

مجلد التحرير	
مَجْلَدُ الْإِشْرَاقِ الْخَطِيبِيِّ	
الاشراق السنوي	
في واري النيل	٤٠٠
الطبعة واري النيل	٤٠٠
العلماء والمترجمين بالاراضي	٣٠٠
فروع الموارث	٥٠٠
للطبعة فروع الموارث	٣٠٠
العلماء والمترجمين فروع الموارث	٤٠٠

مَجْلَدُ الْإِشْرَاقِ الْخَطِيبِيِّ

مَجْلَدُ دِينِيَّةٍ عَالَمِيَّةٍ جَامِعَةٍ

تصدر عن شيخ الأزهر مرتين في كل شهر عربي

مدير المجلة

عبد اللطيف السبكي

عضو جماعة كتاب العلماء

العنوان

إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة

تليفون ٤٦٢١٤

عن النسخة ٢٠ سائلا

الجزء الاول - القاهرة في غرة المحرم ١٣٧٤ - ٣٠ أغسطس ١٩٥٤ - المجلد السادس والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عوذ بك اللهم على إقامة الحق والعمل به

وعلى الدعوة إلى الخير والانس به

وبعد - فإن من أسعد أوقات من يتوجه بقلبه إلى قلوب قرائه أن يستأنف الصلوة بهم بعد افتراق. وكتاب هذه المجلة وقراؤها تتجاوب قلوبهم على صفحاتها حول إقامة الحق والعمل به، والدعوة إلى الخير والانس به، لأن الأزهر قبة الإسلام، والإسلام جامع الحق والخير، ومجلة الأزهر لسانها الناطق بدعوتها. فإذا هدنا وعاد قراؤنا - بعد انقضاء ربع قرن على هذه المجلة، وإبتداء ربع آخر منه - إلى استقبال عام جديد من حياتها، كانت هذه العودة منا ومنهم إلى التحدث بدعوة الإسلام، وحبذا الحديث، وحبذا ما يدور عليه، والعود أحمد.

وكانت مجلة الأزهر في الربع الأول من القرن الأول لحياتها تطلع على قرائها مع هلال كل شهر عربي، وقد شعرنا بأن المدة تطول بيننا وبين القراء في هذه الفترة، ومن الخير أن تكون صلتنا بهم أقرب، ووصول المجلة إليهم أسرع، لذلك رأينا أن تكون مجلة الأزهر بين أيدي قرائها مرتين في الشهر لا مرة واحدة. وعسى أن يقع ذلك منهم موقع الرضا، ما دمنا في الحالتين متوخين رضا الله عز وجل، والله يتولى للتؤمنين

المجلة

بناء كيانتا النفسى

بعد الاتفاقية الجديدة



لما استهل شهر ذى الحجة من العام المنصرم ، انتحى صديق الدكتور عبد الوهاب عزام ناحية من دار السفارة المصرية فى مدينة كراشى ، وأخذ يستعرض فى ذهنه حساب السنة فى تقدم الاوطان الإسلامية نحو أهدافها ، أو انحرافها عنها . ثم وقف بفكره وقفة تجاه وادى النيل ، ناظراً إليه من صفحة الأحداث الخلقية والإجرامية فى جريدة الأهرام ، فهاله ألا يخلو عدد منها من خبر يقرأه بعض الناس تشوقاً وتلهياً كما تقرأ القصص ، ويقف عليه المتأمل مكتئباً مرثعاً يصله بما وراءه من أسباب ، ويجمعه إلى ما يشبهه من أخبار ، فيرى أمراً هائلاً ، وداءً عضالاً ، جديراً أن تجتمع الأمة على النظر فيه ومداواته ، كأمر أولئك الشبان من طلبة العلم الذين قتلوا صاحباً لهم وقطعوا جثته ، وهلم جرا .

وبينما كان البريد يسير برسالة الدكتور عبد الوهاب عزام فيما بين كراشى والقاهرة ، كان الأستاذ أحمد محمد خليفة أستاذ علم الإجرام بكلية الحقوق يفكر فى مثل ذلك ويقول : أصبح بيننا ومزعجاً معاً أن هناك ظاهرة حديثة أملت بالجمع المصرى ، تلك هى أن عدداً أكبر من الطلبة قد انزلق إلى هوة الجريمة ، فإذا نحن صانعون لكى نصد لطماتها العنيفة ؟ .

وبما يدل على أن هذين التفكيرين صدرا عن وحي واحد من تطورنا الاجتماعى ، أن أحدهما كان وليد التفكير تحت سماء باكستان ، وأن الآخر انبعث من داخل الأفق المصرى وقد نشرا فى عديد من متابعين من الأهرام . ومن نفس العدد الذى نشر فيه مقال الدكتور عبد الوهاب عزام سمعنا صيحة مألوفة تدوى فى صفحة الأهرام الأولى من أحد كبار خبرائنا فى السياسة الخارجية ، منها العلماء والمنقذين وأقذاذ المسؤولين عن التوجيه الخلق والفكرى إلى أن الاتفاقية الأخيرة بين مصر وبريطانيا لتسوية مشكلة قناة السويس قد أكسبت مصر شخصية ذاتية وشخصية دولية من الطراز الأول ، وأن هذا الاتفاق يقتضى من مصر أن تضاعف جهودها فى بناء كيانتها الروحية والفكرية والمادية . وأن مصر المتجددة الآن قد

حلت عليها - في الحيز العربى ، والحيز الإسلامى ، والإفريقى ، والإفريقى الآسيوى ، والحيز العالمى - فى كل حيز من أولئك ، قد حلت على مصر واجبات جديدة حلولاً أعمق وأقوى مما كان فى أى وقت مضى ، فلا بد من "تحضير أنفسنا" لسكل هذه الواجبات بسرعة ، وقوة ، وبدون تلفت أو تردد .

ولكن كيف ، وبماذا ، نستطيع "تحضير أنفسنا" لسكل هذه الواجبات ؟ ومن الذى يتولى ذلك من أبنائنا رواد المدارس الذين سيكونون رجال المستقبل القريب ؟ وكيف نظهر مدارسنا من العدوى المخيفة التى بدأت تسرى إليها ، وقد اعترف أستاذ علم الإجرام بكلية الحقوق أن عدداً أكبر من الطلبة قد انزلق إلى هذه الهوة ؟

يقول الأستاذ أحمد محمد خليفة : إن رأى فى تعليل هذه الظاهرة قد تشعب إلى فريق يلتقى اللوم على سياسة التوسع فى التعليم ، حتى كان من نتيجتها أن الطلبة الذين ينتمون إلى أسر رقيقة الحال اندمجوا فى أوساط أكثر منهم اقتداراً وثراء ، فشعروا بالعجز عن مواجهة الحاجات التى صار يتطلبها مستواهم الجديد ، فاندفعوا إلى الحصول على المال ولو من غير الطريق المشروع . وفريق يرى "سياسة التوسع فى التعليم ، وبتمهم ظروفنا أخرى اجتماعية وتربوية . وقد ضم الأستاذ إلى ذلك عنصراً آخر مهما وهو اشتداد ضغط الإغراء الجنسى ومؤثراته على الشباب فى الوقت الحاضر ، ومنها مظاهر التبرج التى جعلت النساء يكشفن أكثر مما يخفين ، ويخطرن أكثر مما يشين . والأشرطة السينمائية زادت الطين بلة بما تعرض على أنظار الشباب من مشاهد خلافة تسخطه على حياته الخاصة . ولون معين من الصحف والمجلات تزوده بوقود الخيال ، وتحكى له قصص المتعة ، وتوحى إليه - فى صراحة أو مواربة - بالانطلاق والتجلى والرضا الجسدى . وفى هذه الدوامه الهائلة التى تغذيها المدنية الحديثة يفقد الشباب توازنه ويتبلد تفكيره ، مما يعجزه عن العمل ، ويقعده عن الإنتاج ، فلا يعود إلا عبداً مسوقاً للشهوات ، تدفعه إلى الاعتداءات الجنسية ، وإلى نشدان المال بأى وسيلة ، بما فى ذلك السرقة والاحتيال والقتل .

إن الداء أظهر من أن يخفى على أحد ، وإنه لداء عضال ، وأعراضه فى ازدياد . ولكن ما هو السبيل إلى معالجته ؟

يتساءل أستاذ كلية الحقوق : هل معنى ذلك أن سياسة التوسع في التعليم سياسة خاطئة يجب العدول عنها ؟ وأجاب بأن التوسع في التعليم إذا كان قد تولدت عنه الجرائم في مصر ، فإن العلاج لا يكون في الكف عن التعليم ، ولكن في رفع المستوى الاقتصادي للشعب إلى الحد الذي لا يجعل التعليم سبباً في دقة نفسية ، تصيب التليذ باضطرابه إلى مواجهة ارتفاع مفاجئ في حاجاته ومطالبه .

ومعنى هذا أن من الضروري الصبر على هذه الظاهرة بجميع أعراضها وتأنجها التي ذكرها الأستاذ أحمد محمد خليفة إلى أن تصير طبقات الشعب الدنيا في مستوى اقتصادي أرفع فيصير التلاميذ من أبناء تلك الطبقات أقدر على ارتداء ما يشتهونه من الملابس وارتداء ما يحبون أن يرتادوه من الملاهي ، ويزول أو يقل من نفوسهم الشعور بالحاجة الجنسية ، ومتى تم هذا ثم زالت أو ضعفت دواعي الإغراء الجفسي ، بقدرة قادر ، زال السببان اللذان رتب عليهما ظاهرة الإجرام في الطلبة .

أما الدكتور عبد الوهاب عزام فكان أوسع أفقا وأبعد نظراً إذ قال : إن مثلنا كمثل صاحب المزرعة يكثر فيها الشوك والتجيل ، فيقلعها جاهداً ، ولا يقلب الأرض ليستأصل جذورها وبذورها ، وكلما جد في القلع جد الشوك والتجيل في النبات .

أو كالذي به داء باطن له على الجلد بثور ، فهو يدهن بثوره كل يوم ، والمرض دائم ، والداء مستقر .

يذهب أن نبحث عن سبب الجريمة في نفس المجرم ، وعن علة نفسه في نظام الجماعة التي نشأته ، والبيئة التي يعيش فيها :

في البلد أندية وحانات فيها من السكر والقمار والدعارة ما ينتج الجريمة لا محالة . هذه الأماكن مغارس (مشاتل) للجرائم لا بد أن نعي بها ، ولن ينفعنا سن القوانين الواجزة والإكثار من الشرط والمحاكم والسجون . ولن يحدونا إلا أن نعرف أسباب الجنايات ونلتزمها في الانقاص المريضة والجماعات المعتلة ، وفي الأحوال التي تضرب الناس بعضهم ببعض .

ويقول الدكتور عزام : إن أعظم ما على حكومة الثورة من تكاليف هو إصلاح الانفس ، والطب لهذه الادواء الدخيلة ، وتمكين الاخلاق القويمة التي هي عماد كل إصلاح ، إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .

وبعد فالحديث عن الآوف والضاد أخطر من أن نحصره في الجريمة ووصول عدواها إلى الطلبة . إن الجرائم - سواء كانت من الطلبة أو من غيرهم - تعد بوادر ونوادير على كل حال ، مهما كثر حصاها في أحداثنا اليومية . لكن مرض الانفس هو المرض المزمن والدائم في كل ما يقوم على أنانياتها ، وعلى سوء التعامل بين الناس ، وعلى إثارة المراء مصلحة نفسه - بغير حق - على مصلحة غيره من مواطن أو وطن . إن مرض الانفس في هذا الباب الواسع هو مرض الوطن ، وإذا عولج وزال من أهله كانت الجرائم في الطلبة وغير الطلبة تبعاً له في الزوال إن شاء الله .

نحن نعاني الآن أمراضاً من أمراض النفس ورثناها عن بضعة عصور قضيناها في الذهول القومي والتبذل الاجتماعي ، فألممتنا تلك الأمراض إلى مخالب الاستعمار في إبان قوته وجبروته . وقد سهر الاستعمار لتكوين كيانات النفس في مجتمعنا العصري على أسس تضمن له استمرار ضعفنا ، فرسم لمدارسنا المناهج والتقاليد التي اقتصر فيها على التعليم الشكلي دون التوجيه النفسي ، وكان الغرض من المدرسة - ولا يزال - تخرج الموظف الآلي ، لا تخرج رجل العلم المؤمن بعلمه ، ورجل العمل السكادح الدائب المخلص لعمله . وقد حرص الاستعمار على إيقاظ شهوات السراة وجاهير العامة بما أقامه - أو شجع على إقامته - من الأندية والملاهي والحانات ودور المقامرة وأسواق الدعارة ، وكانت هذه المرافق كلها بحمية بما كان يسمى نظام الحماية الأجنبية . وتطورت الحال في الصحافة ، فبعد أن كانت صحافتنا - أيام المؤيد واللواء - أداة إرشاد ترى من واجبها أن تأخذ بيد الشعب لتنهض بمستواء القوي والملي والعقلي والنقافي ، تحولت بين الحرين وبعد الحرين إلى صناعة تجارية تدفع الضرائب وتستلهم أهواء الجماهير وشهواتهم بما تقدمه لهم من صور لحوم وقصص غرام ووسائل متعة وعناوين خداعة وبما تقوم به من تشجيع للملاهي والسينما المساجنة وتمجيد لاعبيها ولاعباتها وسائر ما شكاه أستاذ علم الجريمة في كلية الحقوق . والسينما نفسها كان يمكن أن تكون أداة تنقيف وتلطيف وتكليف لا تقل نفعا عن المدارس

الصالحه إن لم تكن أجدى من كثير من مدارسنا وأنفع ، لكنها هي الأخرى قلدت الصحافة في الاستلهاهم من أهواء الجماهير واستغلال شهواتهم ، فكانت كما نرى كلنا بأعيننا ، وما زلنا واقفين منها موقف المغلوب على أمره ، معتقدين أن التيار أقوى من أن يصد .

لقد كان هذا الشعب وهذا الوطن إلى ما قبل ستين يمين لا يكفلهما نصوح . وقد تغير الموقف الآن - كما قال أحد كبار خبراءنا في السياسة الخارجية - فأصبح من الواجب على مصر ، وهي في سبيل تجديد شخصيتها الذاتية وشخصيتها الدولية ، ولا سيما بعد الاتفاقية الأخيرة ، أن تضاعف جهودها في بناء كيائها الروحي والفكرى والمادى .

إن الشوك والتجمل لا يستأصلان بالقطع والقلع ، ولا بد من قلب الأرض لاستئصال جذور الشر وبذوره .

يجب تحويل المدرسة من معهد لتخفيظ مواد من العلوم منصوص عليها في المناهج ، إلى بيئة لتربية رجال المستقبل القريب يؤمنون بالأخلاق ، ويتحلون بالروح العالية ، ويؤثرون مرضاة الله في تصرفاتهم ، ويوتقون صلتهم بالعربية والعروبة ، وبالإسلام وتاريخه وشعبه ، ليستقبلوا عهد مصر الجديد في ميادين تعاونها مع الحيز العربى ، والحيز الإسلامى ، والإفريقى ، والإفريقى الآسيوى ، والحيز العالمى كما دعانا إلى ذلك كبير خبراءنا في السياسة الخارجية . والمدرسة إذا عُنيت عناية عملية بالتربية والأخلاق والتحلل بالروح العالية كانت أسبق إلى وقاية طلابها - فقراء وأغنياء - من المساعى المبذولة لرفع المستوى الاقتصادى . ولن يسود هذا في المدرسة المرجوة إلا إذا انتزع المدرسون من أدمغتهم الفوضى التى وصفها الصاغ أحمد شفيق أبوعوف في ماقبل ودل من الاهرام يوم ١٤ أغسطس ، ووجدوا من وزارة المعارف ، أو بمن هم أقوى من وزارة المعارف ، المؤدب الحازم الذى يسوق الناس بعصاه إلى الصراط المستقيم .

ويجب أن تعود الصحافة إلى اعتبار أنها أداة إرشاد ، فتترفع عن كل ما يتعارض مع رسالتها الحقيقية - فى صراحة أو مواربة - على حد تعبير الاستاذ أحمد محمد خليفة . ولما كان ، فاقده الشئ لا يعطيه ، فإن من أول الشروط التى ينبغى مراعاتها فى منح عضوية

تقابة الصحفيين أن يكون العضو أهلاً لهذا الإرشاد، مؤمناً بالأخلاق والمثل العليا، متعاوناً مع وطنه للنهوض بالمستوى الأدبى .

وأشرطة السينما إن لم تتحول من أداة شر إلى أداة خير كان كل سعى إلى الإصلاح عبثاً وضائعاً . وإذا كانت وزارة الشؤون الاجتماعية قد رأت فى السينما من الشر ما عبرت عنه بالقانون الجديد الذى منع الأحداث إلى سن السادسة عشرة عن غشيان هذه الدور الشريرة ، فإن فى أبناء سن السابعة عشرة إلى الخمسين من هم أحوج إلى هذه الحماية والوقاية من الأطفال الذين ليس لهم ما هؤلاء من الإدراك المقلد والغرائز المستعدة للتأثر . ونحن لا نريد أن نمنع أحداً عن السينما : لا الأحداث الذين هم دون السادسة عشرة ، ولا غير الأحداث عن هم أكبر سناً . ولكننا نطالب بتطهير السينما نفسها ، وتحويلها من أداة شر إلى أداة خير ، ثم ليدخلها بعد ذلك كل من شاء .

وسرافق الشيطان وبيوته التى سماها الدكتور عزام (مشاغل) للجريمة كان للاستعمار مصلحة فى تشجيعها وحمايتها والحرص على بقائها وزيادة عددها ، أما نحن فأى مصلحة لنا فى ذلك ؟ وما الذى يحول بيننا وبين إنقاذ الأمة منها وقد زالت الحماية الأجنبية وقه الحمد ؟ لماذا لا نزول هى أيضاً كما زالت تلك الحماية ؟ أنخاف أن يقال عنا إنا رجعيون ؟ إن ضرر هذه المرافق الفاجرة يفتك فى كيانتنا وأموالنا ، ويحول بيننا وبين تحضير أنفسنا ، للواجبات التى يدعوننا إليها تجديد شخصيتنا الذاتية وشخصيتنا الدولية ، بل يحول بيننا وبين أن نغير ما بأنفسنا ليغير الله ما بنا .

نحن منذ سنتين فى ثورة . وكما أن للثورة جانبها السياسى والإدارى والاقتصادى فى بناء (كيانتنا المادى) ، فإن لها جانبها الخلقى والروحى والفكرى فى بناء (كيانتنا النفسى) . وقد كوننا الله من مادة ونفس ، ولا يتم صلاح الكيان المادى إلا بإصلاح الكيان النفسى ، وقد آن أوانه ، وأظننا لإبانة ، قالى العمل الحازم أيها الثائرون ...

محج المريمه الخطيب

فِخَائِهِ الْقُرْآنِ

- ١٧ -

بين الصيام والاحرام (*)

- ١ - يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ
٢ - وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعَمْرَةَ

ركنان من أركان الإسلام : في التصديق بهما تمام العقيدة ، وفي أدائهما مظهر الطاعة ، وإذا تمت لإنسان عقيدته ، وتجاوبت مع عقيدته طاعته ، فقد آمن وأسلم .

وتلك هي العروة الوثقى التي لا انفصام لها ، وفي الاستمساك بها عصمة بالله ديناً ودنيا ، وليس بعد العصمة بالله ملاذ ، ولا دونها ملجأ ، ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم .

ركنان من أركان الإسلام : حين يأخذ العبد بهما يكون ربانياً ، لا تتحكم فيه المادة ، ولا تستبد به الشهوة ، ولا تتأمر فيه النفس .

بل تغلب روحانيته فيذكر ربه ويصمد إليه ، ويناجيه ويقبل عليه ، فيسكون له من جانب الله توجيه ، ومن توفيق الله تذكرة وتغيبه .

وبذلك يكون قد عرف نفسه معرفة صادقة ، فاستمد لها من فيض الله رعاية ، وسلك بها إلى الله سبيل هداية ، وليس كذلك من نسى الله فأفساد نفسه ، وزج بها وزجت به في غواية وعماية .

وشتان : بين من يهدي الله فما له من مضل ، وبين من يضلل الله فما له من هاد .

الصيام والحج : ركنان من أركان الإسلام ، ولكن بينهما وشيجة أخرى : نظمتهما معا في نهج القرآن ، وقاربت بينهما في الأداء والزمان .

(*) تأخر المقال من وقته المناسب (قبيل رمضان) لفرورة .

فأنت ترى - أولاً - أن القرآن يتناولهما في خمس وعشرين آية متوالية من سورة البقرة : من آية ١٨٣ ، يأياها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام ... إلى آية ٢٠٣ ، واذكروا الله في أيام معدودات .

وهذا القدر كله في الصوم والحج ، لم يفصل بينهما في هذا المقام إلا ما يتصل بهما إجمالاً : من حديث الاعتكاف للصائم ، أو مقاتلة المشركين عند المسجد الحرام .

وأنت ترى - ثانياً - أن زمن الصوم - وهو رمضان - يعقبه زمن الحج - وهو الأشهر المعلومات ... وليس بين العبادتين سوى فترة استجمام ، ربما تريت فيها المسلم بعد صيامه حتى يأخذ أهبه للحج : إن استطاع وأراد .

فما هي الوشيجة التي جمعت بينهما ذكرًا في القصص ، وقراباً في الأداء ؟ ؟

أشهد أن نفحات القرآن تهدي إلى سر ذلك : فنظم القرآن لا يكون عفواً ، وترتيب القصص لا يخلو عن حكمة .

وأنت تعرف أن الصوم تخفيف من المعظم ، وتعفف عن البطنة ، وتنبية للشاعر ، ونهضة إلى مناجاة الله في أنفاس كأنفاس الملائكة الأطهار : لولا أنها من جوف إنسان ... وفي تخرج من الشهوات ، ونقاوة من أدران المعصية : لولا ما يلاحقها من محاولات الشيطان ... وفي تجرد من إسفاف البهيمية ، وترفع في مقام الإنسانية ، لمن عرف كيف يصوم .

وإن شهراً يقضيه المسلم على حال تشبه حال الملائكة المقربين ، لا يكون حين الشأن في ميزان العمل ، بل هو عند الله عظيم وعظيم ، فما جزاؤه ياترى ؟ ؟

تكفل الله بجزائه ، وأجل مقداره ، وأفسح للعبد طريق الأمل في تقديره ، وقال على لسان رسوله الصادق : (كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به) فالأعمال الصالحات كلها مأجورة ، وفي صحائف العباد مسطورة ، ولكن الصوم ارتفع شأنًا عن مستواها ، حتى كأنه برز من حساب العبد ، وتمحض لله ، فلا يقابل فقط بالأضعاف من المثوبة التي تقابل بها الحسنات وإن بلغت سبعمائة ضعف .. بل يتجاوز هذه الحدود إلى حيث يدخر الله للصائمين من جباهه وفيض عطائه ... ذلك وعد الله ١١ والله لا يخلف الميعاد .

وأنت تعرف - كذلك - أن الحج وثبة بالجسم كله إلى حيث شاء الله من بقاع مكة في زمن معين محدود .

ففيه استبداع للأهل والولد ، واغتراب عن الوطن ، وهجرة لله ورسوله ، بل فيه تجرد من اللباس ، وانصراف عن مظاهر الترف ، وتفرغ للضراعة والتوبة ، وليساذ بالرجاء في عفو الله ، وتجديد للإيمان الخالص ، وتوثيق للعهد مع الله ، ووفاء صادق لذكريات طيبات ، حملها إلينا القرآن عن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام .

وفيه تعارف بين الشعوب ، وربط بين القلوب ، وتعاهد على الإخاء والتناصر في غير عصية : إلا العصية لكلمة التوحيد التي ينضوى تحتها العجمي والعربي ، ويلتقي في ظلها الفقير والغنى . فإذا تجلى مظهر الإسلام في صوم الصائمين ، ثم في إحرام المحرمين ، وكانت شعيرة الصوم واحدة حيث كانوا في جنبات الدنيا ، وكانت موافقهم في الحج متلاقية ، حيث دعاهم أبو الانبياء إبراهيم في غرة الزمن ، فلبوا وظلوا يلبون دعوته على مر القرون . . .

وإذا كان تجريد النفس من ملاذها ، وكفها عن المباحات ، وحبسها في حظيرة الصوم أشبه بتجريد الجسم من زينته ، وحرمانه من مناعم العيش ، والوقوف به عند التقشف زمناً ما في الحج ، وفي كلا الأمرين تحلل من المادة ، وسمو إلى الروحانية ، فذلك هي الوشيجة التي زاوجت بين الصيام والإحرام في نسق القرآن ، وقاربت بينهما في الزمان . . . وبينهما يكون العبد صاعداً من مراقبة إلى مراقبة ، وليس شيء أطيب من روحانية تتجدد بها أزمته المناجاة ، وتلطف من شقاوة الدنيا ، وتطفىء من وهج الحياة .

فإذا لقيت ناصباً في دنياه ، مكدوداً في عيشه ، أو رافلاً في نعماءه ، سادراً في لهوه ، فذكره أن الدنيا في إدبار ، وأن الآخرة في إقبال ، وأن الأولى يكفى لها القليل من رزق حلال مكسوب ، وأن الآخرة لمن طابت حياته في دين غير مشوب . وذكره أن في الصوم وفي الحج . تقيها إلى هذا لمن تدبر . . . وكل نفس بما كسبت رهينة إلا أصحاب اليمين ؟

عبد اللطيف السبكي

عضو جماعة كبار العلماء

الجوار الاعظم

الجوار الاعظم (١)

الجوار الالهي درجات — للربة الخاصة — المنية
 المامة — الاسباب لا تلتقي — حذر واسلحة في أهلي
 مقامات الجوار — تفحات إلهية — جوار الشيطان سراب

عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال : نظرت إلى أقدماء المشركين ونحن في الغار وهم على رءوسنا ؛ فقلت : يا رسول الله ، لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا ؛ فقال : ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما ١٩ رواه الشيخان .

إذا كان عظم الجوار ، على مقدار عظم الجار ، فلا ريب أن جوار الله عز سلطانه ، أجل جوار وأعظمه ، وأن حماه تعالى شأنه أعز حى وأكرمه ؛ وأين جوار الخلق أجمعين من جوار الخلاق العظيم ١٩ بل أين حى العبيد ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ، من حى الملك المجيد ، الذى له ملك السموات والأرض ولم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك فى الملك وخلق كل شئ فقدره تقديراً ، ١٩

إن ذلك الجوار الاعظم الذى نعينه ، هو الذى عناء الرسول الاكرم ﷺ ، فى حديثه هذا لصاحبه الاول أبى بكر الصديق رضي الله عنه ... وهو الجوار الخاص الذى يختص الله به عباده المقربين ، من النبيين والصديقين ، ومن اهتدى بهديهم إلى يوم الدين ، على درجات لا يحصيها إلا من أحاط بما لديهم وأحصى كل شئ عدداً ...

(١) كان « الجوار فى الاسلام » الذى اغتنمنا بأحاديثه الثلاثة طامنا الغابر خاصة بجوار الانام ، وأما هذا الجوار الذى نفتتح به طامنا الحاضر ، فانه خاص بجوار ذى الجلال والاكرام ، والعزة التى لا ترام .

وهو جوار المعية الإلهية الخاصة ، والصحبة الربانية المقدسة ، التي حرمها الله على أعدائه ، لأنهم نسوا الله ففسهم ، وأعرضوا عن الله فأعرض الله عنهم ، وأقرءوا إن شئتم قوله عز جاره : « قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن بل هم عن ذكر ربهم معرضون أم لهم آله تمنعهم من دوننا لا يستطيعون نصر أنفسهم ولا هم منا يصحبون » .

* * *

و ثم جوار إلهي آخر ، وهو جوار المعية العامة الشاملة ، معية إحاطته تعالى بخلقه : علما ، وقدرة ، وجزاء ، لا تخفى عليه منهم غافية ، تلك المعية التي يشير إليها قوله جل جلت قدرته : « ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد » ، وينبئ عنها قوله تعالت عظمتة : « ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم » .

وشتان ما بين الجوارين : فذاك جوار التكريم والتأييد والتسيد ، وهذا جوار المحاسبة والإنذار والتهديد . . .

ولا يضير هذا الجوار الكريم وأمله أن يأخذوا في أسبابه ، وأن يعدوا العدة له ، ما داموا برهبهم معتصمين ، وعلى ربهم متوكلين ، فإن الاعتصام بالله تعالى والتوكل عليه أساس هذا الجوار وعماده ، وقد أمر الحكيم العليم الذي ربط الأسباب بالمسببات ، والوسائل بالغايات ، أمر عباده ألا يلغوا هذه الأسباب ، فيلغوا معها حكته ؛ وألا يغفلوا فيها ، فيجحدوا بهذا الغلومشيته وقدرته . . . وهذا سيد المتوكلين ، يأخذ مع أول الصديقين ، بكل أسباب النجاة ، في هجرتهما إلى الله . . . حتى إذا أحس الصديق وقع أقدام الكفار فوق الغار ، ألم وحزن ، وخشى أن يصاب الرسول ﷺ بأذى لا يستطيع الصديق أن يدفعه أو يحمله . وهو أول من يفتديه بنفسه وماله . طمأنه صلوات الله عليه وسلامه بأن الله معهما ، وأنهما اثنان الله ثالثهما ، وقد اعتصما به وحده دون خلقه ، فلو أن السموات السبع ومن فيهن ، والأرضين السبع ومن فيهن ، كادوا لهما لجعل لهما من هذا الكيد قرجا ومخرجا . . .

وقد ظاهر صلوات الله عليه في الحرب بين درعين ، وكان يصلي في الحرب صلاة الخوف بطائفة بعد طائفة وهم آخذون حذرهم وأسلحتهم ، مع أنهم جميعا في أعظم الجوار ، وأمنع الحمي .

بل لا يضير هذا الجوار الكريم وأمله أن يكونوا - بجوارحمهم لا قلوبهم - في جوار أحد من الناس وضمانه ، ما دام هذا الجوار سيئاً كريماً مشروعاً ، ووسيلة سائغة للخير والهداية . لا جرم أن المجير مع المجار كليهما في جوار الله حينئذ ... ولما عاد ﷺ من الطائف لم يستطع دخول مكة - لما علت قريش من توجهه إلى الطائف يستنصر بأهلها عليهم - إلا بجوار المعلم بن عدى ، وكان جواره هذا يداً حفظها له النبي ﷺ وذكرها بعد موته ...

* * *

على أنه قد تعرض للتوكاين الصادقين نفحات إلهية فأخذ بقلوبهم وأنفسهم ، فلا يستطيعون لها مدفعاً ، وهم معذرون إذ ينسون في هذه الأحوال جميع الأسباب ، ولا يذكرون إلا العزيز الوهاب ... وقد يأخذون في الأسباب ثم يرفضونها بكل شتم وإباء ، احتزازاً بيارثهم وبارئ الأرض والسماء ... ومن هذا ما وقع للصدیق نفسه رضوان الله عليه مع ابن الدغنة لما لقيه وقد أجمع أمره على الهجرة إلى الحبشة . فقال له : إلى أين يا أبا بكر؟ فقال : أخرجني قومي فأريد أن أسبح في الأرض وأعبد ربي ا فقال ابن الدغنة : مثلك يا أبا بكر لا يخرج ولا يخرج ، ووصفه بما وصفت به خديجة رسول الله ﷺ أول ما رأى الملك ، وقال لها : لقد خشيت على نفسي ... وانهى الحديث بجواره إياه على أن يعبد ربه في داره ، ولا يستعلن بصلاته ... غير أن أبا بكر كان رجلاً بكاء لا يملك عينيه ، فأفزع ذلك أشراف قريش ، وسعوا إلى ابن الدغنة أن يسترد جواره أو يسر أبو بكر صلاته وقراءته ... فرد أبو بكر جوار ابن الدغنة قرير العين بجوار الله عز وجل ...

غير أن هذه مقامات خاصة محدودة ، لا ينبغي أن يقاس عليها ، ولا أن يدعى أحد إلهياً ... ولنبسط القول فيها مجال آخر ...

* * *

وإذا كان جوار الرحمن أعظم الجوار وأكمله ، كان جوار الشيطان بلا ريب أحقر الجوار وأسفله ، فكم زين في الدنيا ووعد بأنه جار ، فلما جد الجد تبرأ ونكص وولى الأدبار ... وهو في الآخرة أشد تبرؤاً ونكوصاً يوم يفر المرء من أخيه ، وأمه وأبيه ، يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذ لله ،

طه محمد السالك

زواج المسلم بالكتائية

- ٣ -

المسئلة الثانية :

إسلام زوج الكتائية وإجماع الفقهاء فيه .

قد تبين في المسألة السابقة حكم تزوج المسلم بالكتائية ابتداء . أما إذا أسلم الزوج الكتائى وكان قد تزوج كتائية قبل إسلامه ، وبقيت هى على دينها فهى زوجته ، والنكاح بينهما باق كما كان عند جميع الفقهاء فى المذاهب الأربعة وعند الظاهرية والزيدية والإمامية . ومع أن بعض فقهاء الزيدية والإمامية ذهبوا إلى حرمة تزوج المسلم بالكتائية مخالفين فى ذلك قول الجمهور ، وقد حكوا الخلاف فى ذلك ، واستدلوا على الآراء المختلفة فيه ، فأهم لم يذكروا خلافاً فى بقاء عصمة النكاح فى حالة إسلام زوج الكتائية ، فدل ذلك على أنه موضع اتفاق ، وأن الخلاف فى المسألة الأولى لا تأثير له فى الثانية ، لضعف الاستدامة عن الابتداء . بل نقل صاحب الجواهر الإجماع عليه كما سبأنى .

مذهب المالكية :

وعند المالكية كما فى الشرح الكبير وحواشيه أن الحرية الكتائية يجوز زواجها من المسلم سواء أكانت يهودية أم نصرانية مع الكراهة عند مالك ، وبدونها عند ابن القاسم من أئمة المالكية .

وعلى الإمام الكراهة فى بلد الإسلام بعلم شتى : منها أنها تذهب إلى الكنيسة ويخشى أن تربى ولده على دينها ، وأن تنفذى هى وولدها بما لا يحل فى الإسلام ، ولا يقدر على منعها من ذلك .

وإذا أسلم الزوج الكتائى أو المجوسى وزوجته حرة كتائية بقى النكاح بينهما ، وذلك للترغيب فى الإسلام ، والملاحظ فى ذلك أن للدوام حكم الابتداء ، والمسلم يجوز له التزوج بالكتائية ابتداءً فيجوز بقاء . والخلاف وراء ذلك فى أنه مكروه لا يؤثر فى أصل الجواز .

مذهب الحنابلة :

أما عند الحنابلة فقد قال فى المغنى ٥٨ ج ٧ : وإذا تزوجها وهما كتائيان فأسلم قبل

الدخول أو بعده فهي زوجته . وإن كانت هي المسلة قبله وقبل الدخول انفسخ النكاح ولا مهر لها .

فإذا أسلم زوج الكتانية قبل الدخول أو بعده أو أسلمها معا فالنكاح باق بحاله سواء أكان زوجها كتابيا أم غير كتابي ، لأن للمسلم أن يتنبدى نكاح كتانية فاستدامته أولى .

ولا خلاف في هذا بين القائلين بإجازة نكاح الكتانيات .

ويفهم من قوله : (ولا خلاف في هذا) أن المجيزين لنكاح الكتانيات متفقون على بقاء عقد النكاح في حالة إسلام الزوج أو إسلامها معا .

أما المانعون فلم ينقل عنهم خلاف في ذلك أيضا بل نقل الإجماع على بقاء النكاح عند الإمامية كما سيأتي .

وإذا أسلمت الزوجة الكتانية قبله وقبل الدخول تعجلت الفرقة سواء أكان زوجها كتابيا أم غير كتابي ، إذ لا يجوز لكافر نكاح مسلمة ، قال ابن المنذر : أجمع على هذا كل من نحفظ عنه من أهل العلم .

وإذا كان إسلامها بعد الدخول فالحكم فيه كالحكم فيما لو أسلم أحد الزوجين الوثنيين على ما تقدم اهـ .

مذهب الحنفية :

وأما عند الحنفية فقد قال السرخسي في المبسوط ص ٤٥ ج ٥ :

« ولو أسلم الزوج وامرأته من أهل الكتاب بقي النكاح بينهما ولا يتعرض لها لأن ابتداء النكاح صحيح بعد إسلام الرجل فلان يبقى أولى ، وإن كانت من غير أهل الكتاب فهي امرأته حتى يتعرض عليها الإسلام ، فإن أسلمت وإلا فرق القاضي بينهما ، » .

مذهب الشافعية :

وعند الشافعية إذا أسلم الزوج وامرأته كتانية فهي له ، وإن كانت غير كتانية تقع الفرقة بمجرد الإسلام إن كان قبل الدخول وبعد انقضاء العدة إن كان بعد الدخول اهـ .

مذهب الظاهرية :

وأما عند الظاهرية فقد قال ابن حزم في المحلى ص ١٤٢ ج ١٠ :
 مما يقع به فسخ النكاح بعد صحته اختلاف الدين إلا في جهة واحدة وهي أن يسلم الزوج
 وهي كتائية فإنهما يبقيان على نكاحهما .

وينقسم اختلاف دينهما (في غير هذا الوجه الذى ذكرنا) خمسة أقسام : —
 أحدهما أن يسلم هو وهي كافرة غير كتائية . وثانيهما أن تسلم هي وهو كافر كتائي
 أو غير كتائي ، فلو أسلما معا فهما على نكاحهما إلى أن قال : ففي كل هذه الوجوه يفسخ
 نكاحهما سواء أسلم إثر إسلامها أو أسلمت إثر إسلامه (٥١) .

وهذا صريح في أن تلك الجهة الواحدة التي استثناهما لاختلاف فيها . وهي مسائلنا
 في هذا البحث . ولو كان فيها خلاف لذكره كما ذكر خلاف ابن عمر في المسألة الأولى .

وقال في المحلى ص ٣١٢ ج ٧ :

وأيما امرأة أسلمت ولها زوج كافر ذمى أو حربى فحين إسلامها انفسخ النكاح بينهما ،
 فلو أسلما معا بقاء على نكاحهما ، فإن أسلم هو قبلها فإن كانت كتائية بقاء على نكاحهما
 أسلمت هي أو لم تسلم . وإن كانت غير كتائية فساعة إسلامه قد انفسخ نكاحها منه . وهو
 قول عمر وجابر وابن عباس وحامد بن زيد والحكم وسعيد بن جبير وعمر بن عبد العزيز
 وعدى والحسن البصرى وقتادة والشعمي وغيرهم .

مذهب الزيدية :

وفي الروض النضر ص ٦٦ ج ٤ : عن علي عليه السلام في اليهودى تسلم امرأته أنه
 إذا أسلما كانا على النكاح ، وإن أسلم هو ولم تسلم هي كانا على النكاح ، وقد أخرجه البيهقي
 وعبد الرزاق .

وهذا الحديث متفرع على ما قبله من أنه يجوز للمسلم نكاح الكتانية ، وفيه إشارة إلى صورتين :

أحدهما أن يسلما معا فهما على النكاح الأول ، ووجهه الاتفاق في الملة .
وثانيهما أن يسلم الزوج دونها فالنكاح باق أيضا بدليل الآية لشمولها ما كان عن نكاح متقدم أو متأخر .

ونقل عن عطاء في الرجل وامرأته يكونان مشركين فيسلان قال : يثبت نكاحهما ، فإن أسلم أحدهما قبل الآخر انقطع ما بينهما ، وقال : إن ذلك في المجوس والمشركين غير أهل الكتاب ، والآية المشار إليها هي قوله تعالى : « والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم »

مذهب الإمامية :

وفي الجواهر : وإذا أسلم زوج الكتانية فهو على نكاحه سواء كان قبل الدخول أو بعده بلا خلاف أجده ، بل في المسالك وغيرها الإجماع عليه بل ولا إشكال على المختار من جواز نكاح المسلم الكتانية ابتداء فضلا عن الاستدامة ، بل وعلى غيره « أي غير المختار وهو حرمة نكاح المسلم الكتانية كما تقدم ، لضعف الاستدامة عن الابتداء ، ولما عرفت من الإجماع المعتضد بنفي الخلاف .

ثم قال : ولو أسلمت زوجته قبل الدخول انفسخ العقد ، لحرمة تزويجها بالكافر ولا استدامة . وإن كان إسلامها بعد الدخول وقف الفسخ على انقضاء العدة ، فإن أسلم فهي امرأته ، وإلا ظهر أنها بانت منه بإسلامها .

ثم قال : هذا كله في إسلام زوج الكتانية وإن لم يكن هو كتانيا . وفي إسلام زوجة الكتاني وإن لم تكن هي كتانية .

وأما إذا كان الزوجان غير كتانيين فالحكم فيهما أن إسلام أحدهما يوجب انفساخ العقد في الحال إن كان قبل الدخول ، ويوقف على انقضاء العدة إن كان بعده بلا خلاف في شيء من ذلك اهـ .

ولا يخفى أن الشيعة الإمامية قد اختاروا القول بجواز نكاح المسلم الكنتانية، وعدتها زواجا مقبولا بالحرمه غير المختار . ومع اختلافهم في هذا أجمعوا كما نقله صاحب الجواهر على بقاء النكاح فيما إذا أسلم زوج الكنتانية . وقرر صاحب الجواهر أنه لا خلاف في ذلك ولا إشكال فيه على القولين : المختار وغير المختار .

ومن ذلك لا يصح أن يفسب للإمامية القول بانفصام عقد النكاح عند إسلام زوج الكنتانية كما فهمه بعض المعاصرين أو كما أريد منه أن يقول ذلك فأطاع .

* * *

خلاصة البحث :

وخلاصة البحث في هذه المسألة أن الفقهاء كافة يرون بقاء النكاح على حاله عند إسلام زوج الكنتانية ، وأن آية المائدة تشمل النكاح ابتداء واستدامة .

وقد جرى على ذلك فقهاء الإسلام إلى الآن ، ودرجت عليه المحاكم على اختلافها وأيدته الفرمانات والخطوط الهايونية والأوامر السابقة في عهد الدولة العثمانية التي كانت لها الولاية على مصر والتي منحت المسيحيين وبعض اليهود امتيازات طائفية . ولم تغير الحكومة المصرية شيئا من ذلك بعد انتهاء سلطان الدولة العثمانية وانتقال سلطتها إلى السلطنة المصرية ، وليس لها أن تمس حكما موضوعيا قضت به الشريعة الإسلامية بلا خلاف فيه . واستمرت الحكومة المصرية من بعد ذلك إلى الآن على هذا الحكم الإسلامي المجمع عليه ، والله ولي التوفيق ؟

(يتبع)

مستبين محمد مخاوي

في الحضارة العربية

روى لسان الدين بن الخطيب وزير دولة بني نصر (التي شيدت قصر الحمراء) أن ثالث ملوك تلك الدولة كان يسهر على أنوار ضخام الشمع ، وكانت تتخذ له من جذوع في أجسادها مواقيت تخبر باقضاء ساعات الليل ومضى المزيج . وإنما فعلوا ذلك لأنه كان يطيل السهر ، وقد أصيب عيناه من ذلك بأذى ، فرأوا أن يلفتوا نظره إلى مواقيت الليل بهذه الطريقة .

عام جديد خواطر وأحكام

سبحان من يفنى الأعوام ، وهو باق على الدوام . وتتناقص الأيام ، وهو منفرد بالجلال والكمال (يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل) . وهو القوى القادر ذو السلطان القاهر ، وهو الحكيم الخبير . احتجبت منه الحقيقة وظهرت الآثار ، فبهرت العقول ، وأذهلت البصائر والأبصار . أخبت له المؤمنون ، وجحد به الكافرون . سبحانه لا ينفعه إيمان ، ولا يضره عصيان ، وهو غنى عن عالمي الغيب والعيان .

تطوى الأعوام وتطوى معها سجلات العباد ، وقليل من يحرص على أن تكون صفحات أعماله كريمة ، يباهى بها يوم تجرد كل نفس ما عملت من خير محضراً ، وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً .

والأعوام مراحل تنقضي من العمر ، وتتخونه في مرعة ، يخالها الغافل بطيئة مستطيلة ويغفل على بصره الجهل والشباب حتى يستفيق على نذر من الشيب والحرم ، فيقرع سن الندم ، ويستعرض صفحه ليتدارك ما فرط منه ، ويحاول أن يجبر التفسير وقد تحول المنية دون الأمنية ، فيمضي لا ملجأ له من الله إلا رحمة الله والطمع في عفوهِ ورضاه . واقد قال أبو نواس بعد رحلة في الجهل والشباب :

ولقد نهزت مع الغواية بدلوهم وأسمنت سرح الطرف حيث أساموا
وبلغت ما بلغ امرؤ بشبابه فإذا عصارة كل ذاك أنام

إن الغافل يستطيل العمر ، ويستكثر الأعوام ، ويسوف في الأعمال ، وينفق من عمره في سعة ، ويركض جهلاً مطية شبابيه حتى يهزلها في الآثام ويضئها في الذنوب . أما المؤمن فينفق من أيامه في رشد وكياسة ، ويعطي حقوق الله في أيامه ولياليه ، فإذا جاء يوم الحساب فرح بمخزور الربح وموفور الثمار .

ولقد نبه إلى اعتبار فرصة العمر الأنبياء وصالحو المؤمنين . فعن رسول الله محمد بن عبد الله صلوات الله عليه من حديث طويل : « والليل والنهار مطيتان فأحسنوا السير فيهما إلى الآخرة » . وعن عيسى بن مريم عليه السلام : « إن هذا الليل والنهار خزانتان فانظروا ما تضعون فيهما » . وكان يقول : اعملوا الليل لما خلق الله ، واعمَلوا النهار لما خلق الله . وعن الحسن رضى الله عنه : اليوم ضيفك ، والضيف مرتحل يحمذك أو يذمك . وكذلك ليلتك .

والعام الإسلامى الهجرى يقبل على المسلمين بذكرياته وبركاته ، وقد جعل الإسلام للشهر الأول منه فضلا خاصا ، وميزه بجملة من الشعائر لم يجعلها لغيره ، ليكون العام مفتتحا بالبركات ، مبشرا على الخيرات ، فتدوم بركته وترجى سلامته . فأوله وهو المحرم من الأشهر الحرم التى فضلت على غيرها من أشهر السنة ، وحرم الله فيها القتال ، وجعل الصيام فيها أفضل من الصيام فى غيرها إلا رمضان . وعن النبي ﷺ : « صوم يوم من الأشهر الحرم أفضل من ثلاثين من غيره ، وصوم يوم من رمضان أفضل من ثلاثين من شهر حرام » . وجعل للصيام فى المحرم خاصة فضلا على غيره ، لذا كان النبي ﷺ يكثر من الصيام فيه ، فقد روى عنه أنه قال : « أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم ، وقد صام العاشر منه ، وجعل صيامه سنة ، وعزم على صوم التاسع معه مخالفة لليهود وقال : « لن عشت إلى قادم لأصوم التاسع والعاشر » . وقد كثرت الأحاديث فى سبب تخصيص اليوم العاشر من المحرم بالصوم وهو المعروف بيوم عاشوراء ، وبجمل ما قيل فيه : أنه يوم تاب فيه قوم من ذنوبهم فتاب الله عليهم . وقيل : إنه اليوم الذى تاب فيه آدم من زلته فقبل الله توبته . وقيل : إنه اليوم الذى نجى الله فيه موسى وقومه وأغرق فرعون ، فكان صيامه شكرا لله على هذه النعمة .

وقد نحل الناس يوم عاشوراء طائفة من الشعائر ليس لها أصل صحيح فى الدين ، فجعلوا للاكتحال والاختناب والاعتسال فيه فضلا ليس لغيره ، ورووا فى ذلك أحاديث أنكرها العلماء . قال العلامة ابن رجب فى لطائف المعارف : « كل ما ورد فى فضل الاكتحال والاختناب والاعتسال لا أصل له » . وما يعتقدُه العامة فضل الإكثار

من الإنفاق فيه على العيال ، وهو ما يسمونه التوسعة على العيال ، ويجعلون من يوم عاشوراء موسماً يخصونه بأطعمة خاصة ، ويستندون في ذلك على أحاديث تروى في هذا الشأن ، وهي مما لم يصح عند أهل الحديث . وما يعتاده بعض أهل المدن اصطناع طعام (العاشوراء) وإهدائه للأصدقاء والأقرباء .

وهذه عادة إن صح أن يكون لغيرها مما ذكرنا أصل من الدين فهي لا تستند على أساس منه ، ولا ندرى مصدرها من التاريخ الصحيح ، وشأنها شأن كثير من العادات التي تتوارثها الشعوب وتجهل أصولها التاريخية ، ويجعل لها تطاول الزمن مقام المشروعات في الأديان . وما قبل في أصلها أن « نوحاً لما خرج من السفينة في ذلك اليوم شكاً من معه إليه من ألم الجوع ، فجمع ما بقي من أزواجه فكانت حيوياً متفرقة من بر وعدس وغيرهما وطبخ الجميع في قدر فأكلوا منه وأشبعهم فهو أول طعام طبخ على وجه الأرض بعد الطوفان ، فاتخذته الناس سنة ذلك اليوم » .

ويتصل بالحديث عن شعائر عاشوراء ذلك الشعار الذي اعتاده بعض الطوائف وحرصوا على إحيائه وهو إقامة مأتم في ذلك اليوم تجديداً لذكرى قتل الحسين في ذلك اليوم ، وعدم الإفطار من صومه على الماء رمزا لقتله عطشا رضي الله عنه . وقد أنكر العلماء ذلك الشعار وقال العلامة ابن رجب : « إنه عمل من ضل سعيه في الحياة الدنيا وهو يحسب أنه يحسن صنعا . ولم يأمر الله ولا رسوله باتخاذ مصائب الأنبياء وموتهم مأتما ، فكيف بمن دونهم » ، وقال العلامة ابن العز الحنفى : « لأنه لم يصح عن النبي ﷺ في يوم عاشوراء غير صومه ، وإنما الروافض لما ابتدعوا المأتم وإظهار الحزن يوم عاشوراء ليكون الحسين قتل فيه ابتدع جهلة أهل السنة إظهار السرور واتخاذ الجيوب والأطعمة والاكتمال ، ورووا أحاديث موضوعة في الاكتمال والتوسعة على العيال » .

وقد جزم الحافظ السخاوى في المقاصد الحسنة بوضع حديث الاكتمال وتبعه غيره منهم ملا على الفارى في كتاب الموضوعات . ونقل الحافظ السيوطى في الدرر المنتثرة عن الحاكم أنه منكر . وقال الجراحى في كشف الخفاء ومزيل الإلباس قال الحاكم أيضاً : الاكتمال يوم عاشوراء لم يرو عن النبي ﷺ وهو بدعة .

ويقترن قدوم العام الهجرى بذكرى أكبر حادث فى تاريخ الإنسانية وهو حادث هجرة النبى ﷺ من مكة إلى المدينة الذى سيقى مدى الدهور والأجيال مثلاً أعلى للإيمان بالفكرة الصالحة ، واستعداد الآلام فى سبيل تحقيقها ، وإقناع الجماعة بها ، ومثلاً أعلى للإنسان الكامل الذى استجاب لدعوة الحق ، وفى فيها ، واسترخص لها المال والجاء والأهل والوطن ، وجهد وجاهد حتى تم لها النصر ، وفاءت البشرية المكسودة المضطهدة إلى ظلالها تسترد ألقامها ، وتستنشق نسائم الحرية والأمن والاستقرار .

نعم ، وسيظل حادث الهجرة وما بذله أبو بكر وعلى والانصار بالمدينة وما تعرضوا له من خطوب وأحوال مثلاً صالحاً للمؤمنين بالدعوات فى التضحية والفداء وإنكار الذات ، فقد وهب أولئك أنفسهم وأموالهم فداء للنبى ولدعوة الإسلام ، واستجابوا لأمره ومشورته دون تخاذل أو عماراة ، وسبق قول المقداد بن الأسود للنبى صلى الله عليه وسلم فى غزوة بدر : « لا نقول كما قال بنو إسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ، ولكننا نقاتل عن يمينك وشمالك وبين يديك وخلفك ، رمزا على ولاء الأصحاب والانصار للقيادة العاملة والزعامة المخلصة .

إن على المسلمين أن يقفوا عند العام الهجرى وقفة التأمل والخبر ، ووقفه الحساب والمراجعة ، ويوازنوا بين ماضيهم وحاضرهم ، ليستمدوا من ماضيهم عزماً ومضاموة ورجاء . وماضيهم حافل بالأبجاد والآثر والمناقب والمفاخر ، وأعنيهم أن يقفوا منه وقفة الحائرين اليائسين ، ويقفوا عن حاضرهم ومستقبلهم وما يتطلبان من عمل وجهاد ، وليذكروا سنن دينهم فى العمل والجد ، والعزة والكرامة ، والعدل والحرية ، والتأهب للأحداث والإعداد للأعداء ، وما إلى ذلك من فضائل يقوم بها بناء الأمم ونشاد عليها صروح مجدها ، ليصلوا مجد الحاضر بشرف الغابر ، وليأخذوا مكانهم من التاريخ كما أخذ أسلافهم ، ويكونوا أحقاء بالخلقة أحرىاء بالوراثة :

إذا المرء لم يبن افتخاراً لنفسه تضايق عنه ما ابتغته جددوه
ألا وإن الأمل فى بقية المسلمين وانبعاثهم إلى الخير قد بدت بوادره ، ولاحت فى الأفق
بشاره ، وإنا نترجو أن ينهمل الغيث ويضطرد الإرهاص ، وما بعد الإرهاص إلا الإعجاز .

أبو الوفا المرافى

الزوجان المهاجران

كلما هل هلال المحرم من كل عام هجري ، حمل في نوره القضي إلى العالم الإسلامي الذكرى العزيرة على كل نفس مجاهدة ، الحبيبة إلى كل قلب مؤمن ، ذكرى أعظم حادث تاريخي عرفته الدنيا ، واتخذها المسلمون مبدأ لتاريخهم المجيد ، ألا وهو الهجرة الكبرى ، هجرة الرسول الأعظم وصحابه من مكة إلى المدينة ، تاركين الأهل والولد ، والمال والوطن ، فارين بدينهم إلى أرض الله الواسعة ، حيث يمكنهم أن يعبدوا الله ، وأن ينشروا دعوة الحق والخير والفضيلة بين عباد الله ، فكان لهم ما أرادوا ، وأبدلهم الله بضعفهم قوة ، وقتلهم كثرة ، وخوفهم أمانا .

وتاريخ الهجرة حافل بالمثل العليا الرائعة التي يقف أمامها المتأمل وقفة الإكبار والإجلال ، لهذه الثلة المؤمنة التي نشرت - بصبرها وكفاحها - دينا قويمًا ، وأقامت أمة هي خير أمة أخرجت للناس .

ولم تكن هذه المثل العليا من صنع الرجال فحسب ، وإنما صنعها الرجال والنساء على سواء ، وهذا هو سر الإيمان ، فقد صير من القوارير الضعاف بطلات في باب الكفاح في سبيل العقيدة والمثل العليا ، مع احتفاظهن بخصائص النساء الكوامل من عفة وحشمة ، وحفاظ لحقوق الله وحق الأزواج .

وأنا الآن بصدد التحدث عن بيت مسلم من البيوت الإسلامية التي كاثت وجادت وهاجرت المجرتين ، وقبلت بصدر رحب ونفس مطمئنة آلام الغريتين . وهذا البيت - إلى هذا - يعتبر مثالا صالحا ينبغي أن تكون عليه البيوت الإسلامية الرشيدة : فالزوجة كانت خير معوان لزوجها على جهاده وكفاحه في سبيل عقيدته ، وأبت عليها نفسها الكبيرة - وقد نشأت وترعرعت في بيت كبير من بيوت بني مخزوم - إلا أن تكون مع

زوجها حيث كان ، تقاسمه الموم والالام ؛ والزوج كان المنزل الكامل في حسن العشرة والقيام بحقوق الزوجية ، فلا عجب أن استأثر حبه بقلها ، ووقت له في حياته وبعد مماته حق الوفاء .

أما الزوج فهو السيد الجليل أبو سلة رضى الله عنه ، وأما الزوجة فالسيدة أم سلة رضى الله عنها ، والتي صارت فيما بعد من أمهات المؤمنين رضوان الله وسلامه عليهن .

ومن هو أبو سلة ؟

هو السيد عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمرو بن غزوم القرشي المخزومي ، وأمه برة بنت عبد المطلب بن هاشم ، فهو ابن عمه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أخا رسول الله ، وأخا سيد الشهداء حمزة من الرضاع : أرضعتهم ثوية مولاة أبي لهب ؛ أرضعت حمزة ، ثم رسول الله ، ثم أبا سلة . وبنو غزوم من البيوتات القرشية التي كانت تتقاسم الشرف في الجاهلية ، فقد كان فيهم القبة والاعنة (١) ، كما كان في بني هاشم السقاية . وإلى جده عبد المطلب انتهت السيادة والرئاسة في قريش . فالرجل فرع من أصلين كريمين يطاولان السناء بمفاخرهما وشرفهما ، ومن ثمة كانت له همه لا تسمى ، كما كان عيوفا للذلة أو أن يقيم على ضيم .

إسلامه :

كان أبو سلة رجلا زكى النفس ، طاهر الفطرة ، مجانباً للخنا والذيلة ، سباقاً إلى كل خير وفضيلة . وما أن عرض عليه الصديق الأكبر والداعية الأول أبو بكر رضى الله عنه الإسلام حتى استجاب له ، فهو من السابقين الأولين إلى الإسلام . قال ابن اسحق صاحب المغازي : إنه أسلم بعد عشرة أفس ، وهي مزية تجعله في الرعي الأول من صحابة رسول الله ﷺ ، ومن يوم أن أسلم وهو حريص على حضور مجلس رسول الله ﷺ ، يتناقى عنه الكتاب والحكمة وأصول العقيدة الصحيحة ، وله حديث واحد في الاسترجاع عند المصيبة (٢) ، روى الإمام أحمد بسنده عن أم سلة قالت : « أتاني أبو سلة يوماً من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم قولاً سررت

[١] القبة كانت تضرب للجيش فيجمع فيها ما يموت به . والاعنة قيادة الخيل في الحروب .

[٢] البداية والنهاية جزء رابع ص ٩٠

به ، قال : « لا يصيب أحداً من المسلمين مصيبة ثم يقول : اللهم أجرني في مصيبتى ، واخلف خيراً منها إلا فعل به ... الحديث ، والظاهر أن قلة مروياته لتقدم وفاته ، ولو تأخرت به الحياة لظفرنا من مروياته بشيء غير قليل .

هجرته :

إن النفوس الكبيرة تستهين بكل شيء في سبيل دينها وعقيدتها ، والقلوب المؤمنة سباقة إلى كل خير ديني أو دنيوي ، والسيد أبو سلمة كان ذا قلب مؤمن ونفس كبيرة ، فلا عجب أن كان من أوائل المهاجرين إلى الحبشة ، ثم إلى المدينة ، بل قيل إنه أول من هاجر إليهما . روى ابن أبي عاصم في الاوائل من حديث ابن عباس رضى الله عنهما : « أول من يعطى كتابه يمينه أبو سلمة بن عبد الأسد ... وهو أول من هاجر إلى الحبشة ثم إلى المدينة » (١) . وقد صاحبه في هجرته إلى الحبشة زوجه السيدة أم سلمة ، ومكث هو وزوجه بالحبشة مع القلة من إخوانهم المسلمين متحملين شغل العيش وألم الغربة ، وولد لها بها بعض الولد حتى نفي إلى المهاجرين بها نبأ مهادنة قريش للمسلمين بسبب إسلام السيد الهمام عمر بن الخطاب رضوان الله عليه ، فرجما فيمن رجعوا ، وما أن وصلوا إلى مكة حتى وجدوا أن محاربة قريش للمسلمين قد عادت كما كانت وأشد ، فرجع البعض ، ودخل البعض في جوار بعض أشراف قريش ، ومن هؤلاء السيد أبو سلمة ، فقد دخل في جوار خاله أبي طالب . ولما أجاره خاله مشى إليه رجال من بني مخزوم فقالوا له : يا أبا طالب ، منعت منا ابن أخيك محمداً ، فما لك ولصاحبنا تمنعه منا ؟ قال : هو استجارني ، وهو ابن أختي ، وإنى إذا لم أمنع ابن أختي لم أمنع ابن أخي . فعز على أبي لهب إحراجهم لأخيه أبي طالب فقال : يا معشر قريش ، لقد أكثرتم على هذا الشيخ ، ما تزالون تنوابون عليه في جواره من بين قومه ، والله لتنتهن أو لنقومن معه في كل ما قام به حتى يبلغ ما أراد . فخافوا ، وقالوا : بل تنصرف عما تكره يا أبا عتبة .

الهجرة إلى المدينة :

ولم يمنع أبا سلمة دخوله في جوار خاله من أن يناله بعض الإيذاء ، حتى لقد فكر في الرجوع إلى الحبشة ، ثم بلغه أن بالمدينة إخوانا لهم ، فزعم على الهجرة إليها ، ولا سيما

وقد أذن رسول الله ﷺ لأصحابه بالخروج إليها لما اشتد بهم الإيذاء ، فكان أول من هاجر إليها من قريش من بنى مخزوم ، وكانت هجرته إلى المدينة قبل بيعة العقبة بسنة ، فشد رحله إلى المدينة وبصحبه زوجته السيدة أم سلمة ، وهناك يبتلى الرجل أشد ابتلاء ، فتمنع منه زوجته ، ويخلع ذراع ولده سلمة ، فاضعف ولا استكان ، بل سار مهاجراً إلى ربه ، حتى جعل الله له فرجاً ومخرجاً ، فلحقته به زوجته وولده .

وسأدع السيدة أم سلمة تحدثنا حديث صدق عن هجرة زوجها فتقول :

«لما أجمع أبو سلمة الخروج إلى المدينة ، رحل لي بعيره ، ثم حملني عليه ، وجعل معي ابني سلمة في حجرى ، ثم خرج يقودني بعيره . فلما رآته رجال بنى المخيرة - رهطها - قاموا إليه فقالوا : هذه نفسك غلبتنا عليها ، أرايت صاحبنا هذه ، علام تترك تسير بها في البلاد ؟ فزعروا خطام البعير من يده ، وأخذوني ، فغضب عند ذلك بنو عبد الأسد - رهطه - وقالوا : والله لا نترك ابننا عندها إذ نزعتموها من صاحبنا . قالت : فتجاذبوا ابني سلمة حتى خلعوا يده ، وانطلق به بنو عبد الأسد ، وحسبني بنو المخيرة عندهم ، وانطلق زوجي أبو سلمة إلى المدينة ، ففرق بيني وبين ابني وزوجي ، فكنت أخرج كل غداة فأجلس في الابلح - مكان بمكة - فلا أزال أبكي حتى أمسى - سنة أو قريباً منها - حتى مر بي رجل من بنى عمى فرأى ما بي فرحني ، فقال لبنى المخيرة : ألا تخرجون من هذه المسكنة ؟ فرقم بينها وبين زوجها وولدها . فقالوا لي : الحق بزوجك إن شئت ، فرد بنو عبد الأسد إلى ابني ، فارتحلت بعيرى ، ثم أخذت ابني فوضعت في حجرى ، ثم خرجت أريد زوجي بالمدينة ، حتى إذا كنت بالتعيم لقيت عثمان بن طلحة بن أبي طلحة العبدري فقال : إلى أين يا ابنة أبي أمية ؟ قلت : أريد زوجي بالمدينة . قال : أو ما معك أحد ؟ قلت : ما معي أحد إلا الله وبنى هذا . فقال : والله ما لك من مترك . فأخذ بخطام البعير فانطلق معي يهوى بي ، فوالله ما صحبت رجلاً من العرب قط أرى أنه كان أكرم منه ، كان إذا بلغ المنزل أناخ بي ، ثم استأخر عني ، حتى إذا نزلت استأخر يعيرى خط عته ، ثم قيده في الشجر ، ثم تحنى إلى شجرة فاضطجع تحتها . فإذا دنا الرواح قام إلى بعيرى فقدمه فرحله ، ثم استأخر عني وقال : اركبي . فإذا ركبت فاستويت على بعيرى أتى فأخذ بخطامه فقادني حتى ينزل بي . فلم يزل يصنع ذلك بي حتى أقدمنى المدينة . فلما نظر إلى قرية بنى عمرو بن عوف بقاء قال :

زوجك في هذه القرية ، فادخلها على بركة الله ، ثم انصرف راجعا إلى مكة ، فكانت أم سلة تقول : « ما أعلم أهل بيت في الإسلام أصابهم ما أصاب آل أبي سلة ، وما رأيت صاحباً قط كان أكرم من عثمان بن طلحة (١) » .

وحقيق بنا أن نقف وقفة قصيرة هنا لنسجل للسيد أبي سلة قوة إيمانه التي سمحت على الأهل والولد والمال ، ولنسجل للسيدة أم سلة حرصها على هجرتها والحق بزوجها وتحملها في سبيل ذلك الآلام ، ولم ترض بالظل الظليل بين قومها وفي وطنها ، وآثرت عليهما رمال الصحراء وهجيرها في الهجرة إلى الله عز وجل ، ولنسجل للعرب في شخص السيد عثمان بن طلحة الخلق الكريم والفضائل الإنسانية السامية ، فما كانت المروءة والعفة والشجاعة وحماية الجار والوفاء بالعهود والترفع عن الدنيا إلا بعضاً من فضائلهم ومفاخرهم التي أهلهم لأن يكونوا حملة رسالة الإسلام الأولين ، وأصحاب خير رسل الله أجمعين .

ويخطئه بعض المؤرخين في تصوير العرب بصورة غير التي امتازوا بها بين الأمم ، ولو نظرنا بعين الإنصاف لوجدنا أن العرب أحفل الشعوب بالفضائل البشرية ، ولأمر ما اختار الله خاتم رسله من العرب ، وجعلهم أهلاً لحمل الرسالة ونشرها ، ولعل فيما صنعه عثمان بن طلحة في جاهليته عبرة ومدكراً لأدعياء الحضارة في القرن العشرين الذين طامسوا هتكوا الأعراض تحت ستار التظاهر بالعطف والحنان ، وتسودوا الخدور على الأمانات الغافلات ، واحتالوا في سبيل الوصول إلى أغراضهم الدنيئة ما وسعهم الحيلة .

جهاده في سبيل الإسلام :

لم تكن هجرة السيد أبي سلة إلا بداية الجهاد في سبيل الدعوة ، وما أن أذن الله للمسلمين في الجهاد حتى سارع إليه ، فشهد بدراً وأحداً ، وفيها أصيب بجرح فداواه شهراً حتى برى ، فلما برى بعثه رسول الله ﷺ في المحرم سنة أربع على رأس سرية إلى بني أسد ، وكانت عدتها مائة وخمسين ، وفيها من خيار المهاجرين والانصار أمثال أبي عبيدة وسعد ابن أبي وقاص وأسيد بن حضير . فلما انتهوا إلى أرضهم أخذوهم على غرة ، ففارقوا وتركوا

[١] البداية والنهاية جزء ٣ ص ١٦٩ - ١٧٠ . وعثمان بن طلحة هذا ، أسلم بعد الحديبية ، وهاجر هو وعاله بن الوليد مما ودفع إليه رسول الله والي ابن عمه شيعة مفاتيح الكعبة يوم الفتح وأمر ما عليهم . وفي شأن عثمان هذا نزل قوله تعالى : (إن الله يأمركم أن تردوا الأمانات إلى أهلها) الآية .

فما كثيرة من الإبل والغنم ، فأخذ ذلك كله أبو سلة ، وقفل راجعا إلى المدينة بعد أن أبقى على هيئة المسلمين وسلطانهم في الأرض ، وخمس الغنيمة لجعل الخمس لله ولرسوله ولذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ، وقسم أربعة أخماسها بين المجاهدين .

ولما عاد إلى المدينة انتفض به جرحه ووافته منيته ، فمات ثلاث بقين من جمادى الأولى سنة أربع من الهجرة ، وقد وفى بما عاهد الله عليه . ولما احتضر دخل عليه رسول الله فأغرضه ودعا له بخير قائلا : « اللهم اغفر لأبي سلة ، وارفع درجته في المهديين ، واخلفه في عقبه في الغابرين ، واغفر لنا وله يا رب العالمين ، وافسح له في قبره ونور له فيه » وبذلك حظى أبو سلة بدعوات: كل واحدة منها خير من الدنيا وما فيها، فرضى الله عنه وأرضاه.

أما الحديث عن السيدة أم سلة ففي مقال نال إن شاء الله .

محمد محمد أبو شربة

الأستاذ بكلية أصول الدين

من كلمات خليفة رسول الله أبي بكر الصديق

- أولى الناس باقة أشدم توليا له .
- الصدق أمانة والكذب خيانة .
- إن عليك من الله عيوننا تراك .
- اهدم الكفر بعضه بعض .
- ثلاث من كن فيه كن عليه : البغى والتكبر والمكر .
- حق لميزان يوضع فيه الحق أن يكون ثقيلًا ، وحق لميزان يوضع فيه الباطل أن يكون خفيفًا .

الأشعرى

ومراحل تطوره الفكري

تفضل السيد رئيس التحرير - مشكوراً - بالتعليق على كتابي (الأشعرى: أبو الحسن) وأسارع فأقدم إليه عميق الشكر على تلك النحية الطيبة التي استقبل بها الكتاب وصاحبه ، فهو في رأيه « كتاب نفيس متعوب عليه » كما أحمد له تلك المحاولة التي لمس فيها التفرقة بين مراحل ثلاث من مراحل التفكير عند الأشعرى ، فهي محاولة عميقة وصادقة ، ولكني مع ذلك أختلف معه في ترتيب هذه المراحل ، فالسيد رئيس التحرير - مسبقاً بمسكدونالد وترتين من المستشرقين - يرى أن الأشعرى كان معتزلياً ، ثم ترك مذهب الاعتزال إلى مذهب قريب مما عليه أتباعه من الأشاعرة ، ثم انتقل بعد ذلك في أخريات حياته إلى مذهب السلف من إمرار صفات الله كما جاءت ، واعتقاد محنتها بلا تأويل ولا تعطيل ، مع التقييد والقطع بعدم المشابهة بين الله وبين خلقه . ولكن الفرق بين السيد رئيس التحرير وبين هؤلاء المستشرقين أن هؤلاء الآخرين قد ذكروا رأيهم على أنه استنتاج وترجيح ، وربما عللوا هذا للتطور في الأشعرى بظروف إقامته ، فقد كان في مبدأ نحوه بالبصرة ، وهي بعيدة عن نفوذ الخنابلة ، ثم انتقل بعد ذلك إلى بغداد الخاضعة لنفوذهم .

أما السيد رئيس التحرير فقد ذكر ذلك على أنه حقيقة يجب أن يسلّم بها ، بل إن حياة الأشعرى يجب أن تدور في رأيه على حسب ما افترضه من تطور ، لتنتهي دراستها بما انتهت به حياة الإمام وما استقر عليه ، « وبذلك يتبين لنا أن الأشعرى شيء ، والأشعرية شيء آخر » .

وفي رأيي - كما ناقشت ذلك في هذا الكتاب - أن الأشعرى قد مر بمراحل ثلاث حقا ، ولكن هذه المراحل تختلف في ترتيبها عما افترضه المستشرقون ، وما جزم به السيد رئيس التحرير ، فالأشعرى خرج عن الاعتزال إلى مذهب السلف وهو الطرف المقابل ، ثم استعاد توازنه العقلي بعد ذلك في مذهب الوسط الذي يعتبر بحق خير المذاهب في الإسلام ، لأنه قد ساول المحافظة على العقل والنص معاً .

ورأيي في ذلك يعتمد كما قلت في كتابي على حقيقة نفسية ، وأخرى عليية .

أما الحقيقة النفسية فهو ما نشاهده من أنفسنا وما نلسه من غيرنا من مبالغة في العداء والمهاجمة للرأى الذى نريد التحول عنه فى المرحلة الأولى من مراحل هذا التحول . فالأشعرى - كما قلت - كان يعانى أزمة نفسية وثورة عقلية على المنهج العقلى ، وانقطع بذلك أيا ما هن المجتمع الذى يعيش فيه ، ثم خرج إلى الناس فى صورة عنيفة مضطربة . وأعلن رفضه لمذهب المعتزلة وطريقتهم ، فن الطبعى أو المرجح فى تلك الحالة أن يتشبث الأشعرى - فى شدة - بأذيال المذهب السلبى ، وأن يعمل على إرضاء نفسه الناترة بالارتقاء فى أحضان أحمد بن حنبل زعيم السلفية فى رأيه ، حتى إذا زالت تلك الغشية ، وفترت تلك الحرارة قليلا ، فإن الرجل يعود إلى نفسه ليجمع منها ما نشأ عليه من إرضاء العقل ، وما لجأ إليه من احترام النقل فيتم له المذهب الجامع ، أو المذهب الوسط ، الذى حقق عظمته بين رجال الفكر إلى اليوم . وأما الحقيقة العلمية فتعود إلى دراسة الأشعرى نفسه فى كتابه (الإبانة) الذى يعتبر فيه سلفيا محضا ، وفى كتبه الأخرى التى تمثل رأيه فى صورته الأخيرة - على حسب زعمنا - ككتاب (اللمع) مثلا ، فإننا نجد الأشعرى فى معالجته لموضوع واحد كموضوع الرؤية فى كلا الكتابين يختلف أسلوبا وفكرة ، فهو فى (الإبانة) أكثر حماسا وأشرق بيانا ، ولكنه ضحل التفكير نسبيا ، بينما نجده فى الكتاب الثانى أكثر تنظيما ، وأدنى إلى العمق والتعقيد والإجادة فى البرهنة ، مما يدل على تركيز الفكرة ، ووضوح المحجة ، والإلف لهذا النوع من المعارضة ، وهذا يرجع على الأقل أن هذا النوع من الكتب لم يصدر عنه إلا فى فترة متأخرة .

وإذن فالمسألة فى رأى لا يجب فيها أن تدرس كما براها السيد رئيس التحرير ، بل ربما كان من الخير أن تدرس على هذه الصورة التى تراها ، اللهم إلا إذا استطاع السيد رئيس التحرير أن يقدم نصا للأشعرى يصرح فيه بأن كتاب (الإبانة) كان آخر كتاب أو من آخر الكتب التى ألفها ، فإنتى بذلك سوف أطرى بحثى واستنتاجى أمام ما يصرح به صاحب المذهب نفسه . فهل يملك السيد رئيس التحرير هذا النص ؟ وما حجته فى الجزم بفرض دون فرض ؟ لا سيما وأن الفرض الذى نقول به هو ما اعتمدته تلامذته ومؤرخو العقيدة فى عهده وغير عهده . ومع ذلك فهو يصلح تعليلا واضحا لكراهة ابن حزم الظاهرى للأشعرى ولعنة متأخرى الحنابلة لمذهبه ونقد ابن تيمية له .

الدكتور محمود غراب
المدرس بكلية أصول الدين

آخر مراحل الأشعرى

إذا كان الحق هو الغرض الذى ينشده اثنان ، فهما متعاونان عليه ، وواصلان إليه لا محالة ، مهما اختلفت الزاوية التى ينظر منها إليه كل واحد منهما . وهذا ما لمسته فى الرسالة الكريمة التى نشرناها آنفاً للأستاذ الجليل الدكتور حمودة غرابة المدرس بكلية أصول الدين ومؤلف كتاب (الأشعرى أبو الحسن) الذى وصفناه فى جزء رمضان من العام الماضى .

الحق الذى أنشده أنا وأخى الكريم الدكتور حمودة ينحصر فى تطوُّر الإمام أبى الحسن الأشعرى بعد أن أكرمه الله باعتزال المعتزلة : هل انتقل من ذلك إلى تقيضه كما يقع أحياناً تحت تأثير قانون رد الفعل ، فاختار مذهب السلف بالتزام نصوص الإسلام فى الإيمان بالغيب ، ومنه آيات الصفات والاحاديث الصحيحة المفسرة لها أو الداخلة فى بابها ، وإمرار هذه الآيات والاحاديث كما وردت ، مع التقييد بأن الله ليس كمثل شئ ، جرياً على طريقة الصحابة والتابعين والتابعين لهم بإحسان ، فكان طوره الثانى بعد الاعتزال هو التطور السلفى الذى يمثله كتابه (الإبانة) وحيث أنه يكون كتاب الإبانة من أوائل مؤلفاته بعد براءته من الاعتزال ، ثم كان له طور ثالث تحول فيه عن مذهب السلف ، وسلك مسلك علم الكلام والجدل العقلى بالطريقة التى نسبت إليه ويمثلها كتابه (اللع) وحيث أنه ينبغي أن يكون كتاب اللع من آخر مؤلفاته ؟

أم أنه لما اعتزل المعتزلة تصدى لمناظرتهم والرد عليهم بأساليبهم الكلامية ، فكان طوره الثانى هو طور الكلام والجدل والاعتماد — فى أمور الغيب — على الأقيسة المنطقية والأساليب التى تصلح لمكاشفة المعتزلة وأهل الأهواء ، وحيث أنه يكون كتاب (اللع) من مؤلفاته فى طوره الثانى ، حتى إذا تقدمت به السن وسمعت نفسه هذه الأساليب وانتقل من يئنها فى البصرة إلى بغداد رجع فى إيمانه بالغيب إلى عالم الغيب مكتفياً بالنصوص التى اكتفى بها الصحابة والتابعون ، ومقتنعاً بأن الغيب قد استأثر الله بعلمه ، وأن أساليب القرآن أرجح فى سلامة العقيدة والتزام صفاء الفطرة من جميع أساليب اليونان ، كقول من قال ، بعد طول المناظرة والجدال :

لقد طفت فى تلك المعاهد كلها وسرحت طرقى بين تلك المعالم

فلم أر إلا واضعا كف حائر على ذقن، أو قارعا سن نادم
وحيث أن يكون الطور السابق هو الطور الثالث من أطوار هذا الإمام ، ولا سيما إذا
اطمأنات النفس إلى أن (الإبانة) من أواخر مؤلفات أبي الحسن رحمه الله إن لم يكن
آخرها .

أما كتاب (اللع) فما لا ريب فيه أنه من أوائل مؤلفات الأشعري بعد برأيه من
الاعتزال ، نقل ذلك الحافظ ابن عساكر في كتاب (تبيين كذب المفتري) ص ٣٩ عن
أبي القاسم حجاج بن محمد الطرابلسي من أهل طرابلس المغرب قال : سألت أبا بكر اسماعيل
ابن إسحاق الأزدي القيرواني المعروف بابن عزرة فقال : « الأشعري شيخنا وإمامنا ومن
عليه معولنا . قام على مذاهب الاعتزال أربعين سنة وكان لهم إماما . ثم غاب عن الناس
في بيته خمسة عشر يوما ، فبعد ذلك خرج إلى الجامع فصعد المنبر وقال : معاشر الناس ،
إني إنما تقيت عنكم في هذه المدة لاني نظرت فتكافأت عندي الأدلة ، ولم يرجع عندي حق
على باطل ولا باطل على حق ، فاستهديت الله تبارك وتعالى فهداني إلى اعتقاد ما أودعته في
كتبي هذه ، وانخلعت من جميع ما كنت أعتقد كما انخلعت من ثوبي هذا (وانخلع من ثوب
كان عليه ورمى به) ودفع الكتب إلى الناس فنها كان كتاب (اللع) . الخ . فكتاب
(اللع) إذن هو أول - أو من أول - ما ألفه بعد أن هداه الله ، وهو يمثل الأشعري
في أول ما كان عليه عند انقلابه على المعتزلة .

ومعلوم أن اعتزال الأشعري للمعتزلة كان في سنة ٣٠٠ ، وكان امتداد طوره الثاني
إلى سنة ٣٣٠ ، وفي هذه العشرين من السنين كان يجادل المعتزلة بالمنظرات العلنية ، وبالمؤلفات
التي تشبه كتاب (اللع) ، بل إن كتاب اللع ألفه ثلاث مرات إحداهن كتابه هذا
الموجود في أيدينا الآن فيما يظن ، وله غيره (اللع الكبير) جعله مدخلا إلى كتابه
(إيضاح البرهان) و (اللع الصغير) جعله مدخلا إلى اللع الكبير . وقد ذكر ذلك
الأشعري نفسه في ثبت مؤلفاته إلى سنة ٣٣٠ الذي أورده في كتابه (العمد في الرؤية)
ونقله عنه الحافظ ابن عساكر في تبيين كذب المفتري (ص ١٢٨ - ١٣٤) ولم يذكر
في هذا الثبت كتاب (الإبانة) لأنه لم يكن قد ألفه بعد . وإنما ألفه في أواخر حياته بعد
انتقاله إلى بغداد ورأى في تلك الحقبة أن يختم الله له في إيمانه بمثل ما ختم به لأصحاب
رسول الله ﷺ وكبار التابعين والأئمة الأولين . وتتجلى هذه الحقيقة لكل منصف

هتق قراة رسالة أبى القاسم ابن درباس التى ألفها عن الأشعرى وألقت بكتاب الإبانة فى طبة ١٣٢١ بميدر أباء الدكن بالهند بأمر نظام حيدر أباء .

ومالك نص صريح بأن (الإبانة) آخر كتاب ألفه الأشعرى فى شذرات الذهب لابن العماد (٢ : ٣٠٣) .

والمسلم إذا بلغ مثل منزلة الإمام أبى الحسن الأشعرى فى العلم وإخلاص النية لله عز وجل فى جميع تصرفاته لا يمكن أن يرجع عن سلفيته بمد أن اطمانت نفسه لها وأنست بها وتشربها قلبه ، كما يتجلى ذلك فى كل سطر من سطور كتابه (الإبانة) ، فهو إذا جادل أهل الأهواء فى كتبه الأخرى وناقشهم فيها يحتمل أن تكون له وجوه من النظر ، فإنه فى (الإبانة) يحزم بما صح به النص عن الله عز وجل فيما استأثر الله بعلبه من أمر الغيب ، وليس للعقل سبيل إليه كالسبيل الذى يهذى إليه كلام الله القديم وحديث المعصوم الذى لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى .

إن الإمام الأشعرى قام فى طوره الثانى بمهاد عظيم مشكور فى مكافته أهل الأهواء والاحتجاج عليهم بأساليبهم ، وكان ذلك ضرورة ، والضرورات تقدر بقدرها ، ويلجأ إليها إذا لم تكن للره عن ذلك مندوحة . أما بمد يأسه من أهل الأهواء وأسفه على إضاعة وقته معهم ، فقد رجع فى إيمانه إلى مصادر الحق فى هذا الإيمان وأراد أن يلقى الله على ذلك .

وشيوخ الإسلام ابن تيمية وجل الإمام أبى الحسن ، ويستدل فى كتابه (منهاج السنة) فى عشرات كثيرة من المواضع بأقوال هذا الإمام التى أوردها فى (مقالات الإسلاميين) وفى غير ذلك من كتبه ، بل إن ابن تيمية يحفظ مذاهب الأشعرى فى كل مسألة ، ويدافع عنه فيما كان يتهم به أهل الأهواء ، وفى خلال رده على الرافضة فى منهاج السنة يدافع حتى عن الأشعرية ويناقش المتحاملين عليها ، غير أنه فى كل أمر يعطى كل ذى حق حقه كما هو دأبه فى عرض كل أمر على النصوص الإسلامية ببيانات شافية يطمئن إليها قلب كل مسلم مخاض منصف .

وإن أشكر لاشى الدكتور حمودة أن أتاح لى بسط الحديث فى هذا الموضوع المهم

وكلنا ناشد حق ، وتلقى عنده دائماً إن شاء الله ؟
محج الربيمه الخطيب

قواعد الاديان

وقواعد الاخلاق

في العدد ٦٣ الصادر بتاريخ ٢٨ من شوال سنة ١٣٧٣ (٢٩ من يونيو سنة ١٩٥٤) من « مجلة التحرير » .

توجه السيد نوار محمود الرملی — فلسطين بالسؤال التالي :

« هل من المستطاع أن يجد الإنسان في قواعد الاخلاق ما يغنيه عن قواعد الاديان ؟
إلى فضيلة الأستاذ أحمد حسن الباقوري الذي أجاب عنه بما يلي :

« نعم من المستطاع . غير أن هذه الاستطاعة نادرة الحدوث ، وضيقة الآفاق ، ولا تكاد تستجيب إلا لافراد ممتازين في الأمم والشعوب ، فأما عامة الناس وسوادهم الأعظم فذلك بالنسبة إليه مستحيل الحصول ، ولهذا كان الدين ضرورة اجتماعية لا بد منها في تهذيب النفوس ، وتقويم الاخلاق ، .

يبد أنى لست أدري أى غناء قصد السائل وأى غناء قصد المجيب .

إن قواعد الاديان تهدف إلى تحصيل سعادة في الدنيا ، وسعادة في الآخرة ، فهل يقصد السائل والمجيب معاً أن قواعد الاخلاق تكفل الحصول على هاتين السعادتين ، كما تكفل الحصول عليهما قواعد الاديان ؟ إن يكن ذلك ما قصده ، فكيف أمكن في وأيهما جواز الحصول على سعادة الآخرة ، دون الاخذ بأسباب دين صحيح ؟ وإن يكن ما قصده شيئاً وراء ذلك ، لا يتصل بالحياة الآخرة من قريب أو من بعيد ، فكيف أمكن أن يتخذ منه موضوعاً يقارنان فيه بين الدين والاخلاق ، وليس هنالك أمر من أوامر الدين إلا وجانب الآخرة ملحوظ فيه ، حتى تلتزم الاوامر التي قصدها تنظيم شئون الدنيا لا بد في تنفيذها لتكون داخلية في نطاق الدين — من استشمار أنها أوامر الله : وأن الله سيجزى على تنفيذها الجزاء الحسن في الدار الآخرة .

ثم كيف تعقد مقارنة بين قواعد الأخلاق وقواعد الأديان ، كشيئين لكل منهما استقلاله عن الآخر ، والدين هو ينبوع الأخلاق ، ومصدرها الأول ، فقد عرف أول ما عرف أن الصدق فضيلة ، والكذب رذيلة ، من الدين الذي سبق التفلسف بزمان بعيد .

بل إن التفلسف نفسه لم يستطع أن يتجاهل العلاقة الوثيقة بين الدين والأخلاق . فهذا كبير فلاسفة العصور الحديثة « كانت » يتخذ من الأخلاق طريقه لإثبات وجود الإله .

وما أظن سقراط — واضع علم الأخلاق — حين قال : « إن جزاء الفضيلة في الفضيلة نفسها ، يعني أنه السرور القلبي الذي يحسه المرء في نفسه عقب إثبات فعل فاضل قد نسي — وهو فيلسوف مؤله — أن حصة من هذا السرور ترجع إلى الشعور بأن الله راضٍ عن فعله .

تلك كلمة قصيرة أردت أن أوضح بها غموضاً ورد في هذا السؤال الذي يبدو خطيراً ، ثم في الإجابة عنه كذلك ؟

سليمان دنيا
الاستاذ في كلية أصول الدين

اختيار المسلمين المناخ المستشفياتهم

لما أراد عضد الدولة أن يبني مستشفى طيبه في اختيار موضع لإقامة البناء عليه . فأخذ الطيب قطعة لحم وشقها أربع شرائح ، ووضع كل شريحة في مكان مكشوف حول المدينة ، ثم رتب رجالاً يثب على كل منها في دفتره الدقيقة التي يحدث فيها التعفن في كل من هذه الشرائح . ثم بنى المستشفى في المكان الذي تأخر فيه تعفن اللحم .

الكسب الحلال

روى مسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيباً ، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال تعالى : « يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً ، وَقَالَ تَعَالَى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ، ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثُ أَغْبَرَ ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ : يَا رَبِّ يَا رَبِّ ، وَمَطْعَمَهُ حَرَامٌ ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ ، وَغَدَى بِالْحَرَامِ ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لَهُ ؟ » .

جاء رسول الإسلام في هذا الدين الخالد بأسمى ما تتطلبه البشرية ، من أوضاع واضحة القصد ، مظفرة الغاية ، قرية المنال ، سبيلها سوى ، وفضلها سنى ، وجلالها في الروعة بالغ مشهود .

فالدين الإسلامى في العقيدة : توحيد خالص ، لا يقبل إشراكاً ولا رياء .

والدين الإسلامى في العبادات : تهذيب وتنظيم ، وتكافل وتساند .

والدين الإسلامى في الأخلاق : بر ورحمة ، وعزة وسمو ، وترفع وإباء .

والدين الإسلامى في المعاملات : يستهدف : أن لا ضرر ولا ضرار .

وحديثنا اليوم في المعاملات توجيه حازم حاسم للناس : أن كلوا من الطيبات ، ولا تيمموا الخبيث ، فإن الطيب مقبول محمود ، وإن الخبيث مردود مردؤل ، وإن الله من سلطانه ، وجل شأنه ، لم يفرق في أمره بالكسب الحلال ، بين الرسل الذين اصطفاهم وولاهم - والله أعلم حيث يجعل رسالته - وبين سائر المؤمنين الذين جعلهم بالإيمان ، وهداهم إلى تعاليمه المشرقة ، بل سوى بينهم في هذا الطلب ، لما له من عظيم الشأن ، وبالغ الأثر .

فالكسب الحلال طريقه طيب ، وريحه طيب ، ومذاقه طيب ، والحافز إليه نفس طيبة ، وقناعة راضية ، واطمئنان كريم .

لا يعمد إلى الكسب الحلال غاش ، ولا مزور ، ولا كذاب ، ولا فاجر .

ولا يجرى وراء الخبيث أبى ، ولا تقي ، ولا نظيف . فشعار الطيبين حمد مكسوب ، وشرف مرغوب . وشعار الآخرين طمع لا يرعوى ، وظلم لا يرتوى ، وجشع طويل هريض ، يمتد إلى أعماق السحت ، وبأخذ بأسباب الإفك ، ويمضغ بين فكيه كرامة يهدرها ، وأمانة يحقرها ، وشرفاً يزدرية ، ولا واقه ما هو بياخ في جشعه الطويل العريض إلا رزقاً مقدراً محدوداً ، قسمه الله له من فوق سبع سموات . قال تعالى : ونحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ، ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات . وقال عز شأنه : وفي السماء رزقكم وما توعدون ، فو رب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تطفون .

وقال ﷺ : « إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم ، وإن الله يعطى الدنيا من يحب ومن لا يحب ، ولا يعطى الدين إلا من أحب ، فمن أعطاه الله الدين فقد أحبه ، والذي نفسى بيده لا يسلم عبد حتى يسلم قلبه ولسانه ، ولا يؤمن حتى يؤمن جاره بوائقه . قالوا : وما بوائقه ؟ قال : غشمة وظلمه . ولا يكسب عبد مالا من حرام فيصدق به فيقبل منه ، ولا ينفق منه فيبارك فيه ، ولا يترك خلف ظهره إلا كان زاده إلى النار ، إن الله تعالى لا يحسو السيء بالسيء ، ولكن يحسو السيء بالحسن ، إن الخبيث لا يحس الخبيث . »

فالكاتب الكريم ، والسنة المطهرة يلفتان نظر الناس إلى أن الرزق مقسوم محدود . وسواء ألب الإنسان الجشع أو قرت نفسه بالقناعة ، وسواء أظفر المرء بالرضا أو شق بالإرهاق ، فلن ينقص من رزقه أو يزيد فيه قناعة ورضا ، أو الحاجة وإعانات . قال رسول الله ﷺ : « إن روح القدس نفث في روعى أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها ، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب . »

فيامعشر الناس : التاجر فيكم إن صدق ووفى ، فكسبه حلال ، وتجارته رابحة ، وماله مبارك فيه ، وإن غش وخان ، أو احتكر وضيق ، فالغلاء الذى يكوى به الناس في الأسعار

سيكون سعيماً يكتوى به في عذاب النار . وإن ربحه الفاحش أغلال في عنقه ، وخيائته في التعامل خسار في دنياه وآخرته .

ويامعشر الناس : إن الموظف فيكم أمين فيما وليه من أمور الناس ، فإن ضيع الأمانة ، أو فوت الحق ، أو استغل النفوذ ، برشوة خبيثة ، أو بمحاملة بغيضة ، أو سلطان أحق ، فهو مدخول في نفسه ، مضيع في إثم ، مدنس بما غل ، والله لا يهدي كيد الخائنين .

ويامعشر الناس : فيكم العامل والصانع والزارع ، فإن حفظوا حق الغير ، وراعوا حدود الله ، وكان في صفاتهم الأمانة ، والوفاء ، والصدق ، وحسن الرعاية ، فقد أكلوا طيباً وربحوا حلالاً . وإن هم عاثوا ، وخانوا ، وضلوا ، فقد حقت عليهم كلمة العذاب ، ولعنة الوطن ، وكرامية الناس .

ويامعشر الناس : أجمعوا أمركم ، وفوتوا على الغاشين والطامعين والمرتشين أطباعهم ، وكونوا على الحرام حرباً ، وأشيعوا التعامل الكريم البريء بين القانعين والصادقين ، ونظفوا المجتمع من هذا الغول الشره الذي لا يفرق بين الحلال والحرام ، ولا بين الخبيث والطيب .

ويا هؤلاء الذين يتعجلون الرزق فيسلكون إليه كل سبيل ، ويتحرقون للجمع ليعاين المال نار جشعهم المتأججة : على رسلكم . . . فكل قرش من رزقكم مرهون بوقته ، مضمون بوعد الله .

قال أبو حازم : وجدت الدنيا شيتين ، شيئاً هو لي أن أعجله قبل أجله ، ولو طلبت بقوة السموات والأرض ، وشيئاً هو لغيري ، وذلك مما لم أنهل فيما مضى ، ولا أنهل فيما بقي ، يمنع الذي لي من غيري كما يمنع الذي لغيري مني . فقي أي هذين أفق عمري ، وأهلك نفسي ؟؟

وينبغي أن يكون معلوماً أن الإسلام لا يتطلب من الناس أن يصبروا على الجوع دون سعي لتحصيل الرزق ، فإن الإسلام دين أمر بالكد والعمل ، ولكن الدين يهيب بالناس أن يشقوا برزق الله الذي وعد . قال تعالى : « وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ،

وأن يطلبوه حلالاً طيباً ، ليسكون بركة لهم في أنفسهم ، وفي أولادهم وأهلهم ، فإن آكل الحرام لا يبعد إلا علة لا تبرا ، أو فساداً لا يقوم ، أو ضياعاً وحرماناً . فيدعو الله لتخفيف العلة ، وتقويم الفساد ، واسترداد الضائع ... يارب ... يارب ... ولكن ...
 أنى يستجاب له ؟ ؟

كيف يستجاب لدعوته وهو ظالم آثم ؟

كيف يستجاب له ، وقد ألبسه الله الداء ، وأحاطه بالبلاء ، وذلك من عدل الجزاء « وما ربك بظلام للعبيد » .

فاللحلال الحلال يا قوم ، إنه زينة بيوتكم ، ومتاع أرواحكم ، وإنه نجاح مقاصدكم ، وظفر أولادكم ، وإنه عفة أيديكم ، وطهارة قلوبكم .

« إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين »

وفقنا الله جميعاً ومهدانا ، وجعلنا بالطيب الحلال ؟

محمد عبد التواب

مفتش الوعظ العام بالأزهر

هي النفس

قال الربيع بن ضبع الفزارى (وقد همر جيلين) :

لقد عزفت نفسى عن اللهو جملة	وإن نهلت من لهوها ثم علت
رأيت قرونا من قرون تقدمت	فلم يبق إلا ذكرها حين ولت
هى النفس ما منيتها ناق شوقها	ولا فتنس إن يشتت تسلت

عريف أهل الصفة

الصفة : الموضع المظلل من المسجد ، كما كان جارياً في أئمة المساجد أولاً أن لا تظال ، فإذا ظلل بها مكان لحاجة كان صفة .

وكانت في مسجد الرسول ﷺ صفة يأوى إليها كثير من الفقراء والغرباء يسمون : (أهل الصفة) وكانوا قوماً قد أخلاهم الحق من الركون إلى شيء من العروض ، وعصمهم من الافتتان بها عن الفروض ، وجعلهم قدوة للتجرد من الفقراء ، لم يحزنوا على ما فاتهم من الدنيا التي زوى الله عنهم ، لإبقاء عليهم .

قال عبد الرحمن بن أبي بكر : كان أصحاب الصفة أناساً من الفقراء ، وكان رسول الله ﷺ يقول في شأنهم : « من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث ، ومن كان عنده طعام أربعة فليذهب بخامس ، بسادس ، وقال أبو هريرة : مر بي رسول الله ﷺ فقال : أبا هريرة . قلت : ليلك يا رسول الله . قال : الحق أهل الصفة قاعدتهم . قال : وأهل الصفة أضياف الإسلام لا يأوون على أهل ولا مال ، إذا أتته صدقة بعث بها إليهم ، ولم يتناول منها شيئاً ، وإذا أتته هدية أرسل إليهم وأصاب منها وأشركهم فيها . وروى أبو نعيم في الحلية أنه ﷺ كان يجرى عليهم كل يوم مداً من تمر بين كل رجلين . والحديث عن هؤلاء بطول .

وإنما المقصود الآن الحديث عن عريف هؤلاء القائم بأمرهم وهو أبو هريرة عبد الرحمن بن صخر الغني سكن تلك الصفة واستوطنها ، منذ لقي رسول الله ﷺ في خيبر فأسلم على يديه في السنة السابعة من الهجرة ، وعاد معه إلى المدينة فلزم ذلك المكان حتى وفاة رسول الله ﷺ . وقد كان السيد الرسول صلوات الله عليه إذا أراد أن يجمع أهل الصفة لأمر تقدم إلى أبي هريرة ليدعوهم لمعرفة بهم وبمنازلهم جميعاً .

قال أبو نعيم : كان أبو هريرة أحد أعلام الفقراء والمساكين ، صبر على الفقر الشديد حتى أفضى به إلى الظل المديد . أعرض عن غرس الأشجار ، وجرى الأنهار ، وعن مخالطة الأغنياء والتجار . أما يحمل ما يقال عن نشأة هذا الإمام العظيم فإنه كان من قبيلة من اليمن يقال لها دوس من الأزدي كانت تعبد الأوثان ، وقد هدى الله أمه أمة إلى الإسلام . ثم هدى إليه قلب هذا الفقي الدوسي من بعدها ، فهاجر إلى النبي ﷺ في نحو السابعة والعشرين من عمره ، وأسلم على يديه ، وآمن بدعوته الكريمة إيماناً دعاه إلى ذلك الانقطاع

والتبتل الذي أشرت إليه . ويتحدث عن نفسه فيقول في اعتداده وشكره لله : نشأت يتيماً ، وهجرت مسكيناً ، وكنت أجيراً لبصرة بنت غزوان بطعام بطنى وعقبة رجلى ، وكنت أخدم إذا نزلوا ، وأحدوا إذا ركبوا ، فزوجنيها الله ، فالحمد لله الذي جعل الدين قواماً ، وجعل أبا هريرة إماماً . وكنت بأبي هريرة بهرة صغيرة كنت ألعب بها . وإذا كان في الناس من يزعم أن الذي كناه بذلك رسول الله ﷺ فإن في ظاهر هذه العبارة ما ينافي ذلك . ولقد كان من الشرف أن يقول : كنتاني رسول الله ﷺ بأبي هريرة لو كان ذلك ، على أنه ليس من الأدب - لو كان ذلك - أن يقول : كنت . وقد أـلم كما قلت لك في فتائه وقوته ، فلزم الرسول ﷺ لا يأوى إلى أهل ولا ولد ، ولا يؤثر على مجلس رسول الله ﷺ شيئاً . فحضر ما لا يحضر كثرة الأصحاب ، وحفظ ما لا يحفظون ، وعلم ما لا يعلمون . واستمر في عهد الخلفاء الأربعة ينثر ما جمع ، ويبشر بما اتفق ، حتى اختاره الله لجواره في السنة السابعة والخمسين للهجرة النبوية في عهد معاوية بن أبي سفيان .

صفاته :

وقد يستطيع المتابع لتاريخ حياته وشئونه وأحواله ، أن يتعرف ما تحلى به ذلك الإمام من صفات كريمة ، أهمها :

(١) الزهد في الدنيا والإعراض عما يغرى الجاهل من أهلها ، شأن أهل الصفة الذين هلمت أمرهم . وقد كان قبل الإسلام كما علمت أجيراً لآل بسة ، وقد تجرد من دنياه وما أقل ما تجرد منه ، فأنقطع لله ولعبادته ، وقد انتهى أمره إلى الإمرة في الدنيا ، والإثراء منها بعد أن استقر الإيمان في قلبه ، فأنشراح الصدر ، وتحافت النفس عن دار الغرور ، فأنسى على تركها . عرف التاريخ من أحوال هذا الإمام أنه كان لا يسأل الناس شيئاً على ما يكون به من خصاصة . وتحدث عن نفسه قال : والله الذي لا إله إلا هو إن كنت لأعتمد على كبدى من الجوع ، وإن كنت لأشد الحرج على بطنى من الجوع ، ولقد قعدت يوماً على طريقهم الذي يخرجون منه فربى أبوبكر ، فسألته عن آية من كتاب الله سبحانه ما أسأله إلا ليستبغنى فـ ولم يفعل ، وكذلك فعل مع عمر ، وفعل معه عمر . ثم مر به أبو القاسم ﷺ وعرف ما في وجهه فبسم ، ثم قال : يا أبا هريرة . قال : لييك يا رسول الله . قال : الحق ، ثم مضى واتبه أبو هريرة ، فدخل ثم دخل أبو هريرة ، فوجد لبناً في قدح ، فقال : يا أبا هريرة الحق أهل الصفة فـشربوا اللبن .

ويحدث بمثل هذا عن نفسه مرارا ، وفيه دليل على زهده وصبره وعزة نفسه ، وأنه لا يسأل الدنيا ولا يطلبها ، فإذا جاع التمس كفافه في عزة وكرامة . ويحدث أنه كان يصرح مرارا بين منبر النبي ﷺ وحجرة عائشة ، فيقول الناس : إنه مجنون ، وما به إلا الجوع . والإسلام دين الطلب والسعي ، ولكنه وجد فيه وفي إخوانه من أهل الصفة ما لا يسمح لهم بالضرب في الأرض من معاني العجز عن التصرف ، واتجاه الاستعداد إلى طلب العلم والعبادة ، فأقرم على ذلك ونزل فيهم قوله سبحانه : (واصبر نفسك) الآيات .

وكانت لأبي هريرة فكرة عن المال والدنيا تحمل على التجرد والإعراض ، فهو ينفذ المال وينفر منه ، ويدعو لأحبابه أن يكثر الله المال لأعدائهم : فقد كان بعض الموالى يلزم أبا هريرة يتلقى عنه العلم والأدب ، وكان إذا سلم على أبي هريرة يقول له : سلام الله عليك ورحمته وبركاته ، دمت وشيكا ، وأكثر الله لمن أبغضك المال .

وكانت له بنت حبيبة فكان ينهاها عن لبس الذهب خوفا عليها من الفتنة ، وكانها كانت تضيق من ذلك وتستحي من عدم لبس الذهب ، فيقول لها : قولي : آبي أي أن يلبس الذهب ، يخشى على حر الثوب ، وهذا نهج لأبي هريرة ، يتحمل مشرقا متألقا فيما ورد عنه إذ يتحدث أيضا عن نفسه فيقول : « إن رسول الله ﷺ قال : ألا تسألني شيئا من هذه الغنائم التي يسألني أصحابك ؟ فقلت : أسألك أن تعلني بما عليك الله . قال : فنزعت نمرة على ظهري فبسطتها بيني وبينه ، فحدثني ، حتى إذا استوعبت حديثه قال : « اجمعها فصرها إليك ، فأصبحت لا أسقط شيئا مما حدثني .

وفي النمرة أحاديث بروايات كثيرة ربما أوردت بعضها .

وموضع الإعجاب في هذا الخبر قوله في جواب النبي ﷺ : أسألك أن تعلني بما عليك الله . يخرج لك أيها العالم العصامي الرباني ، لقد استبدلت الحق بالباطل ، وآثرت ما يرفع وما يخلد على ما ينفض وما يذهب ، ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا ، وما يذكر إلا أولو الأبواب . وإذا فقد بلغ أبو هريرة من الزهد الذروة ، ولم يطلب من دنياه إلا ما يقيم الأود ، فلا الله صدره من العلم والفقه والرواية ، ورفع شأنه بالدين الذي جمعه قواما .

محمود الدواوي
المنقش بالأزهر

الأزهر والصحافة

- ٢ -

تحدثنا في مقالنا السابق^(١) عن جهود الأزهريين في الصحافة العربية منذ مولدها في مصر في العصر الحديث ، وكشفنا القناع عن توليهم صحيفة مصر الأولى ، الوقائع ، بالرعاية والتوجيه ، مما كان له أبلغ الأثر في خلق صحافة واضحة المعالم بينة الأهداف ، ينمو في ظلها الأدب والرأى .

وتتابع في هذه الحلقة وما يليها نهوضهم بالصحافة في صدر هذا العصر ، متوخين في ذكر هذه الصحف تنابعها في الوجود . . . وقد ولى الوقائع في الميلاد :

صحيفة وادى النيل سنة ١٢٨٤ هـ (١٨٦٧ م) :

فقد رغب إسماعيل في إنشاء نهضة صحفية غير رسمية تعبر عن مجلس الشورى واتجاهه وتسير أفكاره ، فأوحى إلى أحد أبناء الأزهر الأدباء ، وهو عبد الله أبو السعود ، بإنشاء هذه الصحيفة ، فكانت أول صحيفة عربية قامت بهذا العمل . ويذكر فيليب دى طرازى ، في تاريخها أنها مجلة سياسية عليية أدبية كانت تصدر مرتين في الأسبوع ، وعبارتها صحفية ، وأفكارها سليمة^(٢) .

أنشئت هذه المجلة سنة ١٢٨٤ هـ ، وذكرت الوقائع المصرية خبر إنشائها في عجلانها^(٣) ، وتلقاها بالتحية صحيفة فرنسية معاصرة كانت تصدر بالإسكندرية فقالت : « وقد حدثت صحيفة مصرية جديدة بمدينة القاهرة تسمى وادى النيل وقد أوضح منشؤها وناظرها فيما

[١] ص ١٠٢٥ من مجلة الأزهر - المجلد ٢٥ - رمضان ١٣٧٣ .

[٢] تاريخ الصحافة العربية ج ١ ص ٦٩ .

[٣] الوقائع في ٢٧ من ربيع الأول سنة ١٢٨٤ هـ .

أورده من بيان الغرض المقصود من إنشائها أنه التزم بأن ينشر فيها الاخبار النافعة للديار المصرية ، سواء كانت ترد من أوروبة أم من الاقاليم المصرية ^(١) .

ومحيفة وادى النيل أول صحيفة وطنية شعبية صدرت بمصر وقد كانت صورة للوقائع في تفكيرها واتجاهاتها ^(٢) .

أضاء أبو السعود الطريق لهذا النوع من الصحف فنهج نهجه كاتبان شهيران في عصر د إسماعيل ، هما د ابراهيم المويلحي ، و د عثمان جلال ، فأنشأ مجلة د نزعة الافكار ، سنة ١٢٨٦ (١٨٦٩ م) سياسية أسبوعية .

وقد كان د أبو السعود ، هذا علماً من أعلام الادب وله جولات موفقة في الشعر والنثر عدا جهده الرائع في التأليف والترجمة . ويتمثل أسلوبه الجزل في صحيفته وفي مقالاته التي نشرها بصحيفة د روضة الاخبار ، التي أنشأها ابنه د محمد أنسى ، للسياسة والعلم والادب والزراعة والتجارة سنة ١٢٩٢ (١٨٧٥ م) .

روضة المدارس :

د كان على مبارك باشا مشرفاً على شئون التعليم في عهد إسماعيل ، وكانت النهضة المشبوبة تحمل ذوى القميرة على الشباب المثقفين أن يبيتوا لهم ما يوسع مداركهم ، وينير أفكارهم ، ويهذب لغتهم ، فلم يكن أولى بتحقيق هذا الغرض من إنشاء صحيفة د روضة المدارس ، التي نهضت باللغة العربية ، وأحييت آدابها ونشرت المعارف الحديثة والافكار الجديدة ، وقد ألقيت مقابله أموراً إلى أستاذ الصحافة الرسمية في القرن التاسع عشر د رفاعه بك الطهطاوى ، محرر الوقائع وناظر الترجمة في عهد إسماعيل ، يماونه في إصدارها جهابذة العصر في العلوم والآداب والفنون المختلفة ^(٣) .

نهض رفاعه بك بهذه المجلة وأسبغ عليها من أدبه وفنه وإرشاده ، وعاونوه طائفة من

[١] وادى النيل العدد العاشر .

[٢] تطور الصحافة المصرية ص ٧٧ .

[٣] د د د د ص ٦٤ .

أدباء الأزهر كالشيخ «حسين المرصني» كما شارك في النهوض بها «علي باشا مبارك» و«إسماعيل باشا الفلكي» وكان «عبد الله أبو السعود» يترجم ما يرد إلى المجلة من مقالات الاساتذة الأجانب فيجد الناس فيها أفكار الغرب وعلومه وآدابه .

كانت روضة المدارس مياسة الفنون ، فواحة الزهر ، يصدق على أيكها الأدباء والشعراء والمفكرين . وكانت الميدان الرهيب الذي تنافس فيه الأقلام ، وتبارى الملكات ، زخرت بالآداب والعلوم والفنون ، وجالت في الاجتماع والتاريخ والرياضة والفلك ، وحفلت بالشعر العربي في القرن الماضي فنشرت الشعر الرقيق الطريف لشيخ الشعراء : «إسماعيل صبري» رحمه الله ولنفيه . وكانت تصدر مرتين في كل شهر . وقد أمر «إسماعيل» بتوزيعها مجاناً على طلبة المدارس ، فاستوتهم وعودتهم حب الأدب والسكف بالاطلاع ، وأثرت في مداركهم وأفكارهم .

جاء في مقدمتها أن لإرادة «خديو مصر المتكفل بسعود رحبتها» ونمو بهجتها ، وتقويم صحتها ، وتمكين نجاتها - شئت لإصدار صحيفة تكون مجالاً لأنفس المواد العلمية بحيث تكون فيها الفوائد المتنوعة ، والمسائل المتأصلة والمنفردة ، أقرب تناولاً للطلع المستفيد ، وأهل مأخذاً لمن يعانها من قريب الفهم والبعيد ، بقلم سهل العبارة ، واضح الإشارة ، وألفاظ فصيحة ، غير حوشية ولا مجشمة لصعب التراكيب .

وتنضي في الإفصاح عن الغرض من إنشائها فتقول : «إن المراد من ظهورها بهذه الصورة هو أن تكشف للعامة مخدرات العلم وترفع حجبها المستورة ، وتنضي بنورها أرباب المقول السليمة ، وأصحاب الطبائع المستقيمة ، وخصوصاً من أبناء المدارس . . . حتى تنسج دائرة معقولهم ومنقولهم ، وتبشهم على ازدياد اهتمامهم ، إذا علم كل منهم أن ما يظهر من أعماله المستحسنة ، ويشهر من أشغاله الدائرة على الأفتدة والالسنه ، سيقيد بهذه الصحيفة ،

موضوعاتها :

أما موضوعاتها فهي رسائل مؤلفة جديدة ، ونبد مصنفه مفيدة ، من علوم وفنون مختلفة ، ومسامرات من مستحسن الحكايات والأخبار مقتطفة ، وبعض تراجم من لغات أجنبية .

الشيخ محمد عبده والأهرام :

أنشأ «سليم قنلا» أحد أدباء سورية صحيفة الأهرام سنة ١٢٩٣ (١٨٧٥ م) . وكان

« الشيخ محمد عبده ، يجرى على صفحاتها قلبه الأديب حيث كان أول عهده بالإنشاء . وقد نشرت له الأهرام خمس مقالات متفرقة بين العدد الخامس من السنة الأولى الصادر في ١٤ من شعبان سنة ١٢٩٣ هـ ، والعدد الواحد والأربعين ، وهذه هي السنة التي نال فيها « الشيخ محمد عبده ، شهادة العالمية من الأزهر . وكانت الأهرام تحتفي به وتقدمه للقراء بديباجة فذة . ومن ذلك ما جاء في العدد الخامس من السنة الأولى إذ قالت : « وردت إلينا هذه الرسالة من قلم العالم العلامة والأديب الفهامة الشيخ محمد عبده أحد المجاورين بالأزهر فأدرجناها بحروفها » .

أبو نظارة ١٢٩٤ (١٨٧٧ م) :

كان لوجود الأفغانى بمصر أثر بليغ في إنارة الفكر ، وإنارة العزم ، وإيقاظ المهمل ، ولم يقتصر فضله على محاضراته الفكرية بل كان يوجه الأدباء والمفكرين والمصلحين إلى كل ما ينهض بالامة وبالشعوب الإسلامية . وكان له على الصحف العربية في مصر فضل يتغنى به التاريخ ، ومن ذلك أنه سعى في إخراج « مرآة الشرق » لصاحبها (سليم عنجورى) وظل يؤيده حتى منح التصريح بصدورها . وكانت مجالا لأقلام الصفوة المختارة من الكتاب الوطنيين ، ولبي « الشيخ محمد عبده » نداء الأستاذ الأفغانى فخر بها كثيرا من مقالاته . كما فعل مثل ذلك « الشيخ على يوسف » وقد كانت هذه الصحيفة لسان الحزب الوطنى في نهاية عصر إسماعيل .

أما صحيفة أبى نظارة فهي أقدم الصحف الهزلية المصورة في الشرق قاطبة . وقد لقيت من الامة إعجاباً وتهاوتا ينم عنه قول « الدكتور محمد صبرى » في كتابه عن تكوين رأى العام المصرى : « إنها شغلت قراءها عن الاستماع إلى مطرب العصر » أحمد سالم ، حين دخل بائع الصحف فأنصرفوا عن المطرب إلى قراءتها مع أن « أحمد سالم » كان يتغنى بأغنية من وضع أبى نظارة عنوانها « المضطهد » لقي بقائها السجن عشرة أيام .

والذى نهدف إليه من الحديث عنها أن هذه الصحيفة ذات الخطر العظيم كان يعدها « جمال الدين » و « محمد عبده » ، وأنها كانت تقض مضاجع الخديو وحاشيته ، ومن ثم كانت قصيرة العمر حيث أغلقها الخديو وظفر من إيطاليا بالموافقة على نفي صاحبها من مصر .

يتبع

محمد طاهر الفقى

المدرس بكلية اللغة العربية

غزوة أحد

— ٤ —

آيات من شجاعة النبي وجيش الاسلام

شجاعة الرسول :

ثبت الرسول ﷺ في المعركة ، ولم يتزعزع في هذه المحنة ، بل ما زال يرمي عن قوسه حتى صارت شظايا ، فأخذ يرمي الأعداء بالحجارة وهو أقرب الناس إليهم ، وقد أقبلوا من كل مكان على أثر سماعهم لتلك الصيحة الشعاء بأن محمداً قد قتل ، وكل منهم يريد أن يحظى بشرف التمثيل برسول الإسلام الأعظم ...

عن علي رضي الله عنه قال : لما انجلي الناس يوم أحد ، نظرت في القتلى فلم أر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : والله ما كان ليفر ، وما أراه في القتلى ، ولكن أرى أن الله غضب علينا بما صنعنا فرفع نبيه . فما لي خير من أن أقاتل حتى أقتل ، فكسرت غمد سيني ثم حملت على القوم ، فأفرجوا لي فإذا أنا برسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم يقاتلهم .

ما أصاب الرسول :

في هذه المحنة أصيب النبي ﷺ عدة إصابات ، فقد رماه عتبة بن أبي وقاص بحجر فكسر رباعيته اليمنى السفلى وجرح شفته السفلى . ورماه عبد الله بن شهاب الأزهرى فشجه في جبهته ، ورماه ابن قنفة لجرح وجته ، ودخلت حلقتان من حلق المغفر في وجته . فلم يبال النبي ﷺ بما أصابه ، بل سار وحوله أصحابه ، فإذا به يقع في حفرة من الحفر التي حفرها أبو عامر ليقع فيها المسلمون ، فلحقه علي بن أبي طالب وأخذ ييده ، ورفع طلحة بن عبيد الله حتى استوى قائماً ، وأخذ أصحابه يسعفونه وينزعون الحلقات من وجهه .

أما المسلمون الذين التفوا حول النبي ﷺ فقد عزموا على الدفاع عنه إلى آخر رجل فيهم ، ولقد أبلوا جميعاً في هذا أضخم البلاء ، وأتى كل منهم من آيات الشجاعة ما يعجز عنه الوصف ، فأبو دجانة مثلاً ترأس دون رسول الله بنفسه ، وكان النبل يقع في ظهره وهو منحني عليه حتى كثر فيه النبل .

وكان قتادة بن النعمان رضى الله عنه يتقى السهام بوجهه دون وجه الرسول حتى أصيبت إحدى عينيه .

وكان سعد بن أبي وقاص يرى النبل دفاعاً عن النبي ﷺ حتى رى ألف سهم ، ما منها سهم إلا ورسول الله يقول له : ارم ، فذاك أبى وأبى ...

صيحة النجاة :

كان أول من عرف النبي بعد الهزيمة وبعد تلك الصيحة المشتومة . : إن محمداً قد قتل ، هو كعب بن مالك رضى الله عنه ، فقد عرفه من عينيه وكانت تزهان تحت المغفر ، فصاح بأعلى صوته : يا معشر المسلمين ، أيسروا هذا رسول الله . .

فأشار إليه الرسول أن أنصت ، ولكن المسلمين لما عرفوا الرسول نهضوا به ونهض معهم نحو الممر ، ومعه أبو بكر وعمر وعلى وباقي من كانوا معه . ولكن أبى بن خلف لحق بالمسلمين وهو يقول : « أين محمد ؟ ! لا نجوت إن نجى » .

فقال القوم : يا رسول الله ، أعطف عليه رجل منا ؟ فقال : دعوه . فلما دنا تناول النبي ﷺ حربة الحارث بن الصمة ، ثم استقبله فطعته في عنقه طعنة جعلته يتدحرج عن فرسه ويعود من حيث أتى ليهلك في الطريق .

وبينا رسول الله وصحابته في الممر إذ علت خيل من قريش الجبل وكان هلى رأسها خالد بن الوليد .

فقال الرسول : « اللهم إنه لا ينبغي لهم أن يدلونا !! اللهم لا قوة لنا إلا بك » فقاتلهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه وجماعة من المهاجرين حتى هبطوا من الجبل . واشتغل المشركون ذكوراً وإناثاً بقتلى المسلمين يمثلون بهم .

وكان أبو سفيان قد جاء يسأل عن النبي ، فأجابه عمر أنه لم يقتل ، فقال : إن موعدكم بدر للعام القابل ، فقال النبي لعمر : قل : « نعم هو بيتنا وبينكم موعد » . ثم انصرف المشركون ، فأرسل النبي علياً يقبهم خشية أن يكون في نيتهم التوجه إلى المدينة لنهبها ، فعاد فطمأنه .

من آيات الشجاعة الفائقة :

ولما خلا الميدان من الأعداء انطلق المسلمون يتفقدون القتلى فقال رسول الله صلوات الله وسلامه عليه : من رجل ينظر ما فعل سعد بن الربيع ، أفي الأموات هو أم في الأحياء ؟ فتقدم أب بن كعب رضى الله عنه وهو من الأنصار لهذا الأمر ، وما هو ذا يحدثنا عما كان : بعثنى رسول الله صلوات الله وسلامه عليه يوم أحد لطلب سعد بن الربيع الأنصارى وقال : إن رأيته فأقرته منى السلام ، وقل له : كيف تجدك ؟ (أى كيف حالك) . فأصبته (أى وجدته) وهو فى آخر رمق ، وبه سبعون ضربة : ما بين طلعة برح ، وضربة بسيف ، ورمية بسهم ، فقلت : إن رسول الله ﷺ أمرنى أن أنظر فى الأحياء أنت أم فى الأموات . فقال : إني فى الأموات ، فأبلغ رسول الله ﷺ منى السلام وقل : إن سعد بن الربيع يقول : جزاك الله عنا خير ما جزى نبياً عن أمته . وقل : إني أجد ربح الجنة ، وأبلغ قومك منى السلام ، وقل لهم : إن سعد بن الربيع يقول لكم : لا عذر لكم عند الله تعالى إن خلاص إلى رسول الله ﷺ مكروه وفيكم عين تطرف ، ثم لم يبرح أن مات . فجئت رسول الله ﷺ فأخبرته خبره .

العودة إلى المدينة :

أمر النبي بدفن شهداء المسلمين وقد بلغوا سبعين ثم اتجه مع باقى أصحابه - وكان أغلبهم جرحى - صوب المدينة ، فاستقبلهم المنافقون واليهود بعين الشبهة والسرور لما حدث لهم ، وأظهروا أقبح القول ، فقالوا : ما محمد إلا طالع ملك ، ما أصيب بمثل هذا نبي قط : أصيب فى بدنه ، وأصيب فى أصحابه ! وقالوا : لو كان من قتل معكم عندنا ما قتلنا ! وهكذا انكشفت للمسلمين قلوب المنافقين بما تحمل من أضعاف وأحقاد ، لحز ذلك فى نفوسهم وأثر فيها أبلغ الأثر ، وأصبحوا بين قريش باستخفافها واستهزائها ، والمنافقين بحقدهم وقبح كلامهم ، واليهود بشتماتهم وسخريتهم . غشوا على الإسلام من التدهور ، وعلى سلطانهم من الذهاب ، وهناك تكون المصيبة الكبرى ، والخطب الجلل .

ولذلك هزم المسلمون على القيام قومة واحدة فى وجه هذا الخطر الدائم ، وعلى الضرب ضربة قوية جريئة فى هذا السيل الجارف . حتى يعود للإسلام مجده ومكانته ، ولسلطان المسلمين قوته وقبضته .

خروج الرسول في أثر العدو :

فلما كان الغد من يوم أحد أى في يوم الاحد ١٦ شوال من السنة الثالثة للهجرة ، وبعد فراغ المسلمين من صلاة الصبح ، أمر النبي صلى الله عليه وسلم بلالا أن يدعو جميع من شهدوا أحدا بالأمس بالاستعداد للخروج في أثر العدو .

وقد رعى الرسول من وراء الاكتفاء بمن شهد غزوة أحد فقط إلى إظهار العزم الشديد على استرداد الهبة ، لأن خروج المسلمين - وغالبهم جرحى - يعد أكبر دليل على صدق العزم . وكذلك أراد الرسول أن يعظم من شهد أحدا ، وخشى اختلاط المنافقين بهم ، فيضعفون من شوكتهم ، ويعرفلون أعمالهم .

وقد وافق نداء بلال رغبة جميع المسلمين فأقبلوا على الإجابة بروح قوية ، وعزم صادق ، وفهم من به يضع وسبعون جراحة .

ومن أمثلة استبانة المسلمين في نصرة رسولهم : أن رجلا من بني عبد الأشهل كان قد شهد أحدا مع النبي صلى الله عليه وسلم هو وأخ له فرجما جريحين ، فلما أذن بلال بالخروج في طلب العدو قال : أتفتوتا غزوة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ والله مالتا من دابة نركبها ، وما منا إلا جريح ثقيل .

ثم خرجا مع الخارجين يتحاملان حتى اتنيا إلى ما انتهى إليه المسلمون .

وعلى عادة النبي حين يترك المدينة استعمل عليها ابن أم مكتوم ، وخرج المسلمون دون أن يشتغلوا بمعالجة جروحهم .

وأرسل الرسول ثلاثة من رجاله ليلحقوا بقريش ويتحسسوا الأخبار ، فلحق اثنان منهم بالقوم في مكان يسمى حراء الأسد ^(١) فقبضت عليهما قريش وقتلتها .

ولما وصل المسلمون إلى المسكان عسكروا فيه ووجدوا الرجلين قد قتلتهما .

وقد مر بمعسكر المسلمين معبد بن أبي معبد الخزاعي وهو مشرك ، وكان بنو خزاعة : مسلمهم وكافرهم يحبون الرسول عليه الصلاة والسلام ، وكانوا موضع سره .

[١] موضع على ثمانية أميال من المدينة .

فقال للنبي : « يا محمد ، والله لقد عز علينا ما أصابك ، ولوددنا أن الله أعلى كعبك ، وأن المصيبة كانت بغيرك » .

ثم انطلق حتى لقي أبا سفيان ومن معه بالروحاء ، وكانوا قد أجمعوا العودة إلى المسلمين ليفنؤهم وقالوا : أصبنا أصحاب محمد وقادتهم وأشرفهم ثم ترجع قبل أن نستأصلهم ؟ ؟ ؟ لنكرن عليهم فلنفرغن منهم .

فلما رأى أبو سفيان معبدا الخزاعي قال : « ما وراءك يا معبد ؟ »

قال : « محمد خرج في أصحابه يطلبكم في جمع لم أر مثله قط ، يتحرقون عليكم تحرقا ، قد اجتمع معه من كان تخلف عنه في يومكم ، وفدوا على ما صنعوا ، وفيهم من الحق عليكم شيء لم أر مثله قط » .

فألبث الرعب أن دب في قلب أبي سفيان ورجاله ، فقررروا العودة إلى مكة . .

محمد محمال الدريجه محفوظ

إقامة الالسنة

قال عبد الملك بن مروان :

ما الناس إلى شيء من العلوم أحوج منهم إلى إقامة ألسنتهم التي بها يتحاورون الكلام ويتجادون الحكم ، ويستخرجون غوامض العلم من مخابها ، ويجمعون ما تفرق منها . إن الكلام قاض يجمع بين الخصوم ، وضيء يجلو الظلام . وحاجة الناس إلى موائده كحاجتهم إلى مواد الأغذية .

يا بني الدنيا

علام إذا هراكم ... وأتم ...
 فما أدري ... وبالدنيا غباء
 لقد مجزت فلاسفة وضلت
 وما أحسنتم في الأرض شيئاً
 بنى الدنيا لقد ضقنا وضقت
 لقد ناءت بعلكم الليالي
 فهذا الشرق تغزوه ذئاب
 ونحن به تمزقنا الأمانى
 غباء ... لا يدانيه غباء
 شياطين على البطحاء تعوى
 بها غرباء ، أوقوم ... نيام ؟
 أنحن بها رعاة ؟ أم سوام ؟
 بمهمبها ، وما صدق الأنام
 وهذا الشرق ، والدنيا ضرام
 فما هذا التناحر والزحام ؟
 وفي أحشائها الثوب الجسام
 وهذا الركن يعلوه الجهمام
 ويقتلنا الخلاف والانقسام
 وداء في مفاصلنا عظام
 وأقوام على البلوى ... أقاموا

■ ■ ■

نخوض معارك الدنيا ونمضى
 غاين النور يملأ جانبيها
 فقوم بينكم فيها كرام
 سياسات وأحلام حيارى
 وأقدار بدنيا الناس تجرى
 نصحتهم بمنعرج الليالى
 وساس الأمر في الدنيا طغاة
 ولم يمصمهم في الأرض (دين)
 حياة ترقص الأقدار فيها
 فما للظاعنين بها مقام
 فينمنا إلى الدنيا ... الرجام
 وابن بها الحجة ... والوئام ؟
 وقوم بينكم فيها ... لثام !!
 وقوم ليس يجمعهم ... نظام
 وأحقاد ، وأحداث عظام
 فما تأبوا ، وما التام الكلام
 فحاق بأهلها الموت الزؤام
 ولم يرح الذمام لهم حسام
 ويصرخ في زواياها الحام
 وما للعاجز الوانى .. قيام

صابر على رمضان الجبوشى

الكتاب

الصراع بين الموالى والعرب

للدكتور محمد بدیع شریف - ٢٧٠ ص - دار الكتاب العربی

الحديث عن الموالى والعرب في الإسلام من أدق بحوث التاريخ الإسلامي ، وقد زلت فيه أقدام كثيرين - مثل جرجي زيدان - لأنهم لم يميزوا بين الموالى الذين أكرمهم الله بالإسلام فآمنوا به واغبطوا بإيمانهم فكانوا أحراراً على العرب من كثير من العرب ، وفي مقدمة هؤلاء سالم مولى أبي حذيفة فالحسن البصري والإمام البخاري ، وكل من آمن بإيمانهم وسار في طريقهم ، فكانوا من أئمة الإسلام ، وهم رواة أحاديث رسول الله في فضل العرب ، وخرجوا من الدنيا وهم يشهدون أن خير خلق الله بعد رسول الله أصحابه من العرب والتابعون لهم بإحسان . فهذا القسم من الموالى هم الذين تعاونوا مع حملة الدعوة الإسلامية من العرب على تعميم هذه الدعوة ، وكانوا معهم إخواناً يوالى بعضهم بعضاً . وقسم آخر من الموالى أولهم عبد الله بن سبأ ، ومن بعده أمثال عبادة بن يسار ، وأبي بكر الكروسي ، ورشيد الهجري ، وعبد بن أبي زئب ، وجهم بن صفوان ، وشيطان الطاق دخلوا في الإسلام ليفسدوه على أهله وليبتثروا فيه ما ليس منه وليقوضوا سلطانه على الأرض ، فهؤلاء هم الذين كان الصراع قائماً بينهم وبين العرب قبل الدولة العباسية وبعد تأسيسها ، ولو ظهر أمثالهم في أية دولة مهما كان دينها أو جنسها لاعتبرت خونة ، ولأنزلت فيهم من النكال والوبال ما يعد في جانب موقف العرب من هذا النوع من الموالى رحمة بل تهاونا وتقصيرا .

وكتاب (الصراع بين الموالى والعرب) للدكتور محمد بدیع شریف الملحق المحقق لسفارة العراق في مصر يكاد يكون أول كتاب عن الموالى لاحظ هذا الفارق ، واعتبر الصراع بينهم وبين العرب صراعاً بين الإسلام وشائتيه ، وصراعاً بين دولة الإسلام والعاملين على تقويضها . لذلك كان موقفاً في بحثه . وكان قد كتبه بالألمانية سنة ١٩٤١ م ، لينال به الدكتوراه من جامعة بازل في سويسرا ، بعد أن كان قبلها في جامعة بن بألمانيا .

والكتاب في تسعة فصول ، أولها : عن العرب والفرس قبل الإسلام وبعده ، الثاني : عن المولى ، ومكانته عند العرب . الثالث : فيما صدر عن الموالى من الأذى منذ اغتالوا أمير المؤمنين عمر إلى آخر أيام بنى أمية . الرابع : عن حركة الموالى في الدولة العباسية من أبى مسلم إلى نكبة البرامكة . الخامس : عن الموالى في الإسلام وخطط الخرمية والراوندية والباطنية وضلالة الحلول الخ . السادس : عن دسائس الموالى في الشعر كالمناونية والمزدكية في شعر بشار وأبى نواس الخ . السابع : فى البويهيين إلى خلع الطائع وانهيار بغداد . الثامن : فى مقاومة الحمدانيين والمزيدين وابن تيمية وتلاميذه وابن عبد الوهاب وجمال الدين الافغانى ومحمد عبده والكنوا كجى . التاسع : فى اليقظة العربية الحديثة إلى ظهور الجامعة العربية .

إن هذا الكتاب محاولة جيدة امتازت بالنظرة الصائبة إلى دخائل التاريخ الإسلامى ، فشكراً لمؤلفه الفاضل على هديته .

من تاريخنا

الأستاذ محمد سعيد العامودى - ١١٦ ص - دار مصر للطباعة

الأستاذ محمد سعيد العامودى من رجال الحركة الفكرية فى المملكة العربية السعودية ، وهو القائم على تحرير مجلة (الحج) الغراء ، وكنا نقرأ له فصولاً متمعة فى مجلة الحج ، وفى مجلة المنهل قبلها ، فصدورت الآن منقحة فى مجموعة لطيفة بهذا العنوان ، تولى تصديرها الأستاذ السيد عبد القدوس الانصارى صاحب مجلة المنهل المسكية ، وإلى القارىء عناوين فصول هذه المجموعة : سياسة المال فى عهد عمر بن الخطاب ، عمر بن الخطاب والضمان الاجتماعى ، من أوليات عمر ، العناصر النفسية فى سياسة العرب ، تاريخ العرب الموجز ، الموالى فى العصر الأموى ، ثم وصف لكتاب مخطوط « موائد الفضل والكرم ، لتراجم أهل الحرم ، للشيخ عبد الستار الدهلوى ، يليه فصل عن تاريخ الصحافة فى الحجاز ، وآخر الكتاب فصل عنوانه : هل الحروب تطوى الحضارات .

وقد أحسن الزميل الفاضل فى جمع هذه الفصول ونشرها ، وبعضها مما يخص الحجاز وليس له مرجع آخر ، فشكراً للمؤلف ونرجو له دوام التوفيق .

دقائق العربية

للسيد أمين ناصر الدين - ٢٨٠ ص - مطبعة الاتحاد في بيروت

السيد أمين ناصر الدين (رحمه الله) من كبار شعراء العربية الذين يعدون من طبقة حافظ إبراهيم والبارودي. ودواوين شعره الثلاثة: «صدى الخاطر، والإلهام، والفلك»، تشهد له - فوق ذلك - بمجهاده المتواصل في سبيل الاخلاق ومقاومة تيار التفرنج والتحلل. وكتابه هذا (دقائق العربية) شاهد جديد على فضل آخر له وهو علمه بأسرار العربية ودقائقها وغيرته عليها. وقد سهر على تأليفه خمسا وعشرين سنة، فبدأه بباب عن خصائص اللغة العربية، وآخر للكلام على الاشتقاق، والنحت، والأجغى والمغرب، والاطراد والشذوذ، واتفاق الأفعال واختلاف المصادر، والفصح والمبتذل، والفصح والافصح، وباب في أفعال التفضيل وأحكامه، وباب في شتى الدقائق اللغوية، وباب في الدقائق البيانية، وباب في الدقائق البديعية، وباب في الدقائق العروضية، وباب فيما يجوز في الشعر دون النثر. وخاتمة في تراجم موجزة لاشهر أئمة العربية من أبي الاسود وسيبويه إلى الجلال السيوطي. رحم الله المؤلف، ووفق الأمة إلى نشر ما لم يطبع من مؤلفاته.

الاسلام والشيوعية

للاستاذ عبد المنعم النمر - ١٦٨ ص - دار الكتاب العربي

يقول مؤلف الكتاب في فاتحته: «أنا وأنت على اتفاق تام في وجوب القضاء على عوامل الشكوى والضعف في مجتمعنا، وعلى اتفاق تام كذلك في وجوب الارتفاع بمستوى الفرد، وإتاحة فرص العمل الإيجابي له ليقدم بلاده وينهض بها، شاعراً بحريته وكرامته. هذا شيء تنفق عليه... ولكن عند الوسيلة تختلف فيسلك البعض طريق الشيوعية، ويحذو البعض الآخر حذو الاشتراكية الهالية في بريطانيا، ويأق فريق ثالث فيدعو إلى سلوك الطريق القديم، طريق المسلمين السابقين الذي رسمه القرآن».

والكتاب يدور حول بيان طريق المسلمين السابقين الذي رسمه القرآن، وموقفه من مجتمعنا وعصرنا ومذاهبه ولا سيما الشيوعية، وفيه البحث عن التشريع القوي الإسلامي، وهل للإسلام أن يحكم؟ وما هو ماضيه في التشريع، وما السر في احتفاظه بقوته وخلوده. يلي ذلك فصول عن الربا، والتأمين، والملكية، والضرائب، وحماية الفرد في الدولة، وأن الإسلام هو الحرية. وتساءل المؤلف في خاتمة كتابه: كيف نصبر؟ فنظفت إلى هذا الكتاب أنظار الباحثين في هذا الموضوع.

الأدب والعلوم



النتائج السيئة للمصالحات

كان لانخفاض نسبة النجاح في نتائج شهادتي الثقافة والتوجيهية هذا العام أثره السيء في نفوس الطلبة وأولياء أمورهم . ويقول المدير العام لمراقبة التعليم في الإسكندرية معللاً أسباب هذا الانخفاض :

لوحظ في السنوات الأخيرة ازدياد عدد التلاميذ نتيجة للإقبال على التعليم ، فترتب على ذلك اشتداد الضغط على المدارس حتى أصبحت المدرسة تستقبل ضعف العدد المقرر لها ، فبلغ عدد التلاميذ في الفصل الواحد نحو خمسين تلميذاً مما لا يمكن معه لأي مدرس أن يقوم بواجبه ، كما أن أجهزة المعامل لا تتحمل هذه الزيادة . وكان لابد إزاء ذلك من توفير العدد الكافي من المدرسين ، وقد اقتضى الأمر ترقية عدد من مدرسي المدارس الابتدائية إلى المدارس الثانوية قبل النضوج الكافي لسد الحاجة إلى المدرسين الثانوي ، فكانت النتيجة أن معظم هؤلاء المدرسين تكاد سنهم تقارب سن الطالبة الذين يدرسون لهم ، وقد تبين أن عدداً كبيراً من

المؤتمر الطبي العربي

انعقد في دمشق المؤتمر الطبي العربي برئاسة الدكتور سليمان عزمي ، واشترك في بحوثه ومحاضراته أطباء يمثلون الاوطان العربية وختم جلساته في عيد الاضحى بجملة كانت أغنى الجلسات من حيث غزارة الموضوعات وأهميتها ، وأعلن الدكتور سليمان عزمي أن مؤتمر هذا العام نجح كثيراً بسبب تحديد الموضوعات وتركيز الاهتمام بشئون السرطان والغدد ذات الإفراز الداخلي ، والعصيدة وغيرها ، مما ساعد الأطباء الإخصائيين على تهيئة موضوعاتهم وعرضها ومناقشتها .

خريجو الأزهر

في مدارس الدولة

قررت وزارة المعارف العمومية أن خريجي كليتي أصول الدين والشريعة في الأزهر يستحقون الترقية إلى وظيفة مدرس ثانوي أسوة بزملائهم خريجي كلية اللغة العربية ، مع مراعاة تقديراتهم والشروط الأخرى التي تطبق على زملائهم .

ستبلى نفائس إسلامية فيها المصاحف الباهرة والصور الفاخرة ، وكلها ملك الامة .

العربية في باكستان

قررت الحكومة الكويتية إقامة مدرستين في كراتشي لتعليم اللغة العربية ونشرها في الباكستان . وكانت الحكومة الباكستانية قد رحبت بهذا المشروع وتبرعت له بالأرض التي تقام عليها هاتان المدرستان .

أستاذ أناتورك

لأناتورك أستاذة عند ما كان في دراسته الابتدائية فالثانوية وفي المدرسة الحربية ، ولكن الأستاذ الذي تحدثوا عنه أخيراً لم يكن من هؤلاء ، بل هو أحدث سناً من أناتورك ، وهو محبني أديب من دعاة الخروج على الإسلام واسمه ضيا كوك آلب ، وكانت مقالاته في الجرائد والمجلات هي التي دفعت أناتورك للتخلي عن أنظمة الإسلام ، والجنوح للانتحاق بمركبة الغرب في أنظمتهم ومظاهرهم وأهدافهم .

وقد أعلنت جامعة أنقرة أن نيازي بركى شرع في ترجمة مؤلفات ضيا كوك آلب من اللغة التركية إلى اللغة الإنجليزية باعتبارها ذات التأثير في كيان تركيا الحاضر . وقد كان لذلك وقع بهيج في الأوساط الأوربية ، والأمريكية وأذاعت شركة برقيات أسوتيانند برس برقية بذلك من مونتريال في كندا .

التلاميذ يتغيبون عن حضور الدروس في الأشهر الأخيرة من العام الدراسي بحجة الاستذكار في المنازل ، في حين أن مراجعة الدروس مع المدرسين في آخر العام لا تقل عنها أهمية في أوله .

وشكا المراقب العام لمراقبة التعليم في الإسكندرية إهمال الأسرة وأولياء الأمور مراقبة الأبناء في هذه الأيام ، وعدم تتبع تصرفاتهم .

الآثار الإسلامية

شكا الدكتور بشر فارس - في مقال له نشرته الأهرام - من إهمال واقع في دار الكتب المصرية لآثار إسلامية تعد من لطائف الذوق ورفائق الحسن ، وهي المخطوطات العربية ذوات الخط البهيج والنقش الرائق والصور المنمنمة . وبعد أن وصف ما هو واقع عليها من إهمال قال : ولا سبيل إلى النجاة ، لأن وزارة المعارف تعنى بالرياضة البدنية فوق عنايتها بالطاقة الفنية ، ولأن دار الكتب لا تجد في لوائحها المالية ما يمكنها من صيانة ذخائرها ، ولأن مصلحة الآثار مشغولة بفرعون عن غيره . قال : وبسبب هذا التهاون من جانب وزارة المعارف ، وهذا العجز المالي من جانب دار الكتب ، وهذا الشغل الشاغل من جانب مصلحة الآثار

اليهود في العالم

إن هذا العنصر الذي يرجع الإنسانية ، بما رسمه لنفسه من خطة (المخالطة والمزايلة) في كل أمة من أممها وكل وطن من أوطانها ، يفرض نفسه أمريكياً في أمريكا وهو مع ذلك يهودي ، ويفرض نفسه سوفيتياً في الاتحاد السوفيتي وهو مع ذلك يهودي ، ومصرياً في مصر وهو مع ذلك يهودي - إن هذا العنصر المزيج لا يزيد تعداده في الدنيا على ١١ مليوناً و ٩٧٢ ألفاً و ١٨ شخصاً حسب آخر تعداد له في سنة ١٩٥٢ . وإنما سخر أمريكا لإرادته وأمواله وضلالاته لأن قريباً من نصف اليهود في العالم موجود في أمريكا ولا سيما في نيويورك التي فيها من هذا الشعب أربعة أضعاف ما يوجد منه في دولة إسرائيل . فاليهود في أمريكا خمسة ملايين ، وفي الاتحاد السوفيتي مليونان ، وفي إسرائيل مليون و ٤٥٠ ألفاً ، وفي دول أوروبا الشرقية المتحالفة مع روسيا ٤٠٠ ألف ، وفي المغرب ٢٦٠ ألفاً وفي أرتريا ٢٢٠ ألفاً ، وفي هونغ كونج ٢٠٠ ألف ، وفي ألبانيا ١٥٠ ألفاً ، وفي الصين الشيوعية ١٢٠ ألفاً ، وفي مالطة ١٠٠ ألف وفي أفريقية الجنوبية ١٠٠ ألف ، وفي استراليا ونيوزلندا ٥٥ ألفاً ، وفي سيام ٥٥ ألفاً ، وفي الهند الصينية ٥٥ ألفاً ، وفي مصر ٥٠ ألفاً وفي باكستان ٤ آلاف ، وفي أندونيسيا ١٢٠٠ وبقية موزعون في اليمن والبحرين وسنغافورة وكينيا وبلاد أخرى .

وعندنا أن أتاتورك لم يكن في حاجة إلى التأثير بكتابات ضياكوك ألب ، لأن الانقلاب في تركيا ليس انقلاباً فردياً ، ولولا أن لاتاتورك مشات من المثقفين أيدوه في عمله ودفموه واندفعوا معه في تحويل تركيا من الاتجاه الإسلامي إلى الاتجاه الغربي وسهروا على مواصلة ذلك بعد موت أتاتورك ، لكان لتركيا عودة بالدولة إلى الإسلام بعد ذلك . وقد رأينا تركيا قد تعاقب عليها أحزاب متعددة ولا تزال مصرة إلى الآن على موقفها الرسمي من الإسلام .

زيادة السكان في العالم

يؤخذ من بيانات إحصائية أعدتها الأمم المتحدة أن الزيادة السنوية للسكان في مختلف أنحاء الأرض تقدر بحوالي ثلاثين مليون نسمة في كل سنة . ومن المعلوم أن الزيادة تنمو مع الزمان ، وسيأتي وقت قريب تتجاوز فيه هذا الرقم .

وهناك محاولات اقتصادية تبذل لرفع مستوى المعيشة والتغذية بانخاذ الأسباب للزيادة في المواد الغذائية . لكن نسبة الزيادة في تعداد السكان تطفئ على نسبة الزيادة في مواد الغذاء ، لذلك يتوقع بعض المراقبين العالميين أن تبوء بالفشل المحاولات الاقتصادية التي تتخذ لمواجهة الزيادة في تعداد السكان .

إنشاء العمل الإنساني

اتفاقية الجلاء عن مصر

القاعدة للحرب وإدارتها إدارة فعالة ، وتنضمن هذه التسهيلات استخدام الموانئ المصرية في حدود الضرورة القصوى للأغراض السالفة الذكر . ويتم جلاء جميع القوات البريطانية عن الأراضي المصرية في مدة لا تزيد على عشرين شهراً من تاريخ توقيع الاتفاق . ويقرر هذا الاتفاق أن قناة السويس التي تعد جزءاً لا يتجزأ من مصر هي طريق مائي له أهمية دولية من النواحي الاقتصادية والتجارية والاستراتيجية . ويصمم كلا الطرفين على احترام اتفاق سنة ١٨٨٨ الذي يكفل حرية الملاحة في القناة .

كثلة اسطورية عالمية

أدى الرئيس جمال عبد الناصر فريضة الحج في هذا العام . ولما كان في منى وجدة قام باتصالات ومباحثات مع المسؤولين المسلمين الذين حضروا موسم الحج أسفرت عن نتائج سياسية لجمع كلمة المسلمين على عقد مؤتمر إسلامي دائم يقوم بإعداد سياسة إسلامية ثابتة بعيدة المدى لرعاية مصالح الشعوب الإسلامية والدفاع عن حريتها

في جلسة تاريخية وقعت مصر وبريطانيا بالأحرف الأولى في يوم الثلاثاء ٢٧ ذي القعدة الماضي (٢٧ يولييه) اتفاقاً على الأسس التي ستقوم عليها اتفاقية جديدة بين البلدين بشأن القاعدة الحربية على قناة السويس . وقد تضمنت هذه الأسس جلاء القوات البريطانية عن مصر في خلال عشرين شهراً ، على أن تتولى شركات مدنية مصرية أو بريطانية صيانة منشآت القاعدة بعد الجلاء . ويسرى الاتفاق حتى نهاية سبع سنوات من تاريخ توقيعه . وتلشاور الحكومتان خلال الاثنى عشر شهراً الأخيرة من هذه المدة لاتخاذ ما قد يلزم من تدابير عند انتهاء الاتفاق . وستبقى بعض أجزاء القاعدة في حالة صالحة وفق الحاجة الميئة في ملحق . وفي حالة حدوث هجوم مسلح من دولة أجنبية على مصر أو على أى بلد عربي يكون عند توقيع هذا الاتفاق طرفاً في معاهدة الدفاع المشترك بين الجامعة العربية - أو على تركيا - تقدم مصر للملكة المتحدة من التسهيلات ما قد يكون لازماً لتهيئة

لتعمية الإنتاج، والمجلس الأعلى للنقل البحرى وشركات الملاحة المصرية ، أن تم توحيد الشركات المصرية الثلاث بعنوان «اتحاد شركات الملاحة المصرية» ، فى ٢٤ أكتوبر ١٩٥٣ ، وكان نتيجة لتكون هذا الاتحاد ، ونتيجة للامتيازات التى خصتها بها الحكومة أن تتمكن من الحصول على تعهدات لنقل بضائع مختلفة لمصلحة السكة الحديد ووزارة التموين ووزارة الحرية .

ولما كان الحوض الجاف الوحيد الموجود الآن بالإسكندرية لا يتسع إلا للبواخر المتوسطة التى لا تزيد حمولتها على عشرة آلاف طن ولا يزيد طولها عن ٥٠٠ قدم ، وبما أن قواتنا البحرية قد وضعت برنامج دعم أسطولها على أساس بناء ٥٢٠٠٠ طن فى السنوات الخمس المقبلة ، ومصلحة الموانى والمناشر تحتاج للنهوض ببرنامج توسعها إلى ما تقدر حمولته بنحو ١٢ ألف طن من الكراكات والسفن والقاطرات خلال العشر السنوات المقبلة ، ومصلحة السواحل تحتاج إلى التوسع فى وحداتها ، والجامعة المصرية مقدمة على بناء أسطول تجارى تربو حمولته على ٢٢٠ طناً ... الخ . لذلك أصبحنا أمام ضرورة جديدة للبادرة بإنشاء حوض جاف جديد فى ميناء الإسكندرية تكفى سمته

وتكوين كتلة إسلامية عالمية يكون لها وجود إنسانى يعتد به بين المعسكرين الشرق والغرب ، نضع سياستها مع الجبهتين فى ضوء مصلحتها ومصلحة شعوبها وحدها .

ومن المباحثات التى قام بها الرئيس جمال عبد الناصر العمل لتدعيم الجامعة العربية وإزالة الخلاف بين دولها الشقيقة وبين الأسرتين الكريمتين السعودية والهاشمية ، وبالفعل سافر الصاغ صلاح سالم وزير الإرشاد القوى إلى بغداد للاتصال بجلالة الملك فيصل لهذا الغرض .

وقد رحب جلالة الملك سعود بفكرة عقد المؤتمر الإسلامى بمكة ، وأبدى استعدادا كبيرا لتحقيق هذه الفكرة بجميع الإمكانيات التى يمكن للحكومة السعودية تقديمها . وستخصص دار كبيرة فى مكة لاجتماع المؤتمر السنوى ، وسينزل جميع وفود هذا المؤتمر فى ضيافة الحكومة السعودية التى ستقدم جميع التسهيلات والمساعدات اللازمة لأعمال المؤتمر .

وإن مصر مستعدة لفتح اعتداد مالى كبير للإنفاق على أعمال التحضير للمؤتمر وتخصيص دار كبيرة فى القاهرة لأعماله .

المهمة المصرية

كان من أثر التعاون بين المجلس الدائم

إنشاؤه ثلاثة ملايين جنيه ، ويتبع ٣٠ ألف طن من الورق .

ميزاننا التجارى

كان العجز فى ميزاننا التجارى قبل سنتين ٨١ مليون جنيه فبط فى نهاية السنة الماضية إلى ٣٨ مليوناً ، وقد استهلك مصر هذا العجز وفاض منه فائض قدره ١٤ مليوناً فى الثلث الاول من هذه السنة .

الاصلاح العمرانى

اعتمد مبلغ خمسة ملايين و ٥٠٠ ألف جنيه لتنفيذ المرحلة الاولى من برنامج تصعيم مياه الشرب النقية فى جميع أنحاء البلاد المصرية .

ومبلغ ١٣ مليون جنيه لتوسيع شبكة المواصلات . وسينشأ ٤١٧٠ سريراً و ١٧٧ وحدة للأمراض المتوطنة فى مديرية الشرقية والمنيا ، ومستشفى السرطان ، وآخر للدوطين ومستشفيات للعمال .

مروع السنوات الخمس

تبلغ تكاليف مروع السنوات الخمس الذى اعتمده مجلس الإنتاج نحو مائتى مليون جنيه ، ويزداد بذلك الدخل القومى بنسبة ٣٠ ٪ . على الأقل بالنسبة لما كان عليه فى سنة ١٩٥٢ وسيوفر عن تشغيل ٣٠٠ ألف عامل فى السنة .

لاستيعاب أكبر السفن حجماً حسب أحدث التصميمات ، وبذلك تمتشى نهضتنا الملاحية مع نهضتنا الصناعية والعمرانية .

زيادة الجيش المصرى الى الضعف

أذيع أن فى الية زيادة قوة الجيش المصرى إلى ضعف القوة الحالية من الرجال والسلاح فى خلال عام واحد . وقد أعدت قيادة الجيش مشروعا ضخما بتفاصيله وسيوضع موضع التنفيذ فور تسلم الأسلحة التى كان الجيش المصرى ممنوعا من استيرادها .

وسيكون لكل قرية من قرى مصر وحدات من الجيش الإقليمى ترابط فيها باستمرار .

النهضة الصناعية

تألفت شركة برأس مال قدره ٣ ملايين جنيه لإنشاء مصنع ينتج ٢٢٠ ألف طن من الحديد والصلب ، وسيدعى الشعب للمساهمة فى هذا المشروع لإبلاغ رأس ماله إلى ١٧ مليون جنيه .

ودعت مصر الشركات العالمية لإنشاء مصنع لسجاد النشادر تبلغ تكاليفه ٢٢ مليون جنيه ويتبع ٢٧٠ ألف طن .

ودعت الشركات العالمية لتقديم عروض لإنشاء مصنع لورق الطباعة والكتابة يتكلف

موت الاستعمار البريطاني والفرنسي في إفريقيا وآسيا . ويعتقد كبار موظفي وزارة الخارجية الأمريكية أنه ستحدث تطورات أخرى في الشرق الأوسط وآسيا تزيدها المعنى تأكيداً .

صنع الأحداث

من دخول الصين والمشرق

وافق مجلس الوزراء على قانون يمنع الأحداث من الجنسين - ممن تقل سنهم عن ست عشرة سنة - عن دخول دور السينما وما يماثلها لمشاهدة ما يعرض فيها من الأشرطة السينمائية وغيرها ، وذلك بعد أن لاحظت وزارة الشؤون الاجتماعية أن السينما والمسارح تقوم بالفعل بدور خطير في شتى نواحي الحياة الاجتماعية ، على أساس أنها أداة للتهديب ، ووسيلة من وسائل التسلية وتمضية أوقات الفراغ . غير أنها قد تكون من أخطر الوسائل في انحراف الأفراد ذوي النفوس الضعيفة ، أو الأحداث الذين لم يكتمل نضج عقولهم ، بالقدر الذي يسمح لهم بفهم ما يعرض عليهم الفهم الصحيح . كما لاحظت الوزارة انتشار بعض الجرائم بين الشباب في مصر نتيجة لما تصوره لم عقولهم القاصرة على أثر ما يشاهدونه في مثل هذه الدور .

امكانيات هائلة

لتعاون إسلامي

يقول الرئيس جمال عبد الناصر في (فلسفة الثورة) :

« حين أسرح بخيالي إلى ثمانين مليوناً من المسلمين في أندونيسيا ، وخمسين مليوناً في الصين ، وبضعة ملايين في الملايو وسيام وبورما ، وما يقرب من مائة مليون وأكثر من مائة مليون في باكستان ، وأكثر من مائة مليون في منطقة الشرق الأوسط ، وأربعين مليوناً داخل الاتحاد السوفيتي ، وملايين غيرهم في أرجاء الأرض المتباعدة ، حين أسرح بخيالي إلى هذه المئات من الملايين الذين تجمعهم عقيدة واحدة ، أخرج إحساس كبير بالإمكانات الهائلة التي يمكن أن يحققها تعاون بين هؤلاء المسلمين جميعاً ، تعاون لا يخرج عن حدود ولائهم لأوطانهم الأصلية بالطبع . ولكنه يكفل لهم وإخوانهم في العقيدة قوة غير محدودة » .

هل مات الاستعمار ؟

تقول جريدة (نيويورك تايمز) : إن خبراء وزارة الخارجية الأمريكية يعتقدون أن اتفاق قناة السويس ، وهزيمة فرنسا في الهند الصينية ، ليس لها سوى معنى واحد وهو

التي قامت بها بلدية الإسكندرية على أن عدد سكان تلك المدينة بلغ في هذا العام مليوناً و ١٠٥ آلاف نسمة .

الموجات الكهربائية

ذات التردد الصوتى

من بين النظم التي يحتمل أن تتبع في شبكة القاهرة الكهربائية نظام التحكم عن بعد بواسطة موجات ذات تردد صوتى . والغرض من هذا النظام التحكم في بعض العمليات ، مثل إضاءة الشوارع ، وإطلاق صفارات الإنذار جميعاً في وقت واحد ، وتغيير التعريف في العدادات ذات التعريفين ، والحد من استعمال بعض الأجهزة عند المستهلكين في أوقات حدوث أقصى حمل مثل تسخين المياه وإضاءة واجهات المحلات وغيرها ، وهذا النظام موضع دراسة الآن لتطبيقه على شبكة القاهرة الجديدة ذات الضغط ٢٣ ك . ف .

وإن الاتصال بمصادر القوى في الجنوب عند أسوان ، وإمكان استخدام الفائض منها في تغطية مدينة القاهرة متوقف على الناحية الاقتصادية في المشروع ، وعلى ما يمكن إفاضة من التطورات في نقل القوى الكهربائية الكبيرة لمسافات طويلة .

وقد أحسن مجلس الوزراء كل الإحسان بالموافقة على هذا القانون كما أحسنت وزارة الشؤون الاجتماعية كل الإحسان باقتراحه والتقدم بمشروعه إلى مجلس الوزراء .

لكن المشاهد أن أكثر الذين تأثروا بالسبب فانتشرت الجرائم بينهم لأنهم من الذين تزيد سنهم عن ست عشرة سنة ، والشر شر على كل حال ، سواء تعرض له هؤلاء أو هؤلاء ، وبما يحتاج إلى شجاعة أنصار الحق والتحير في التصريح به أن يقال للحكومة : إن في عنفها الولاية على هذا الشعب نساء ورجالا ، وإن الشر الذي تحمله أفلام السينما يفتك بالكبار والصغار بلا استثناء ، وإنقاذ الأمة من مشاهد السينما التي تثير الغرائز وتشجع على الشر لا يقل - في باب الإصلاح - عن إنقاذها قبل ذلك من الإقطاعيين والاستغلاليين . فهل لها أن تسن قانوناً يجعل السينما أداة خير لا شر فيه ؟ إنها إن فعلت تحسن بذلك كل الإحسان .

تعداد سكان الإسكندرية

كان تعداد سكان مدينة الإسكندرية ٦٧٥٧٣٦ في سنة ١٩٣٧ ، وما زال ينمو بنسبة ٢ ٪ في كل سنة حتى بلغ ٩٩٩٠٢٤ في سنة ١٩٤٧ ، وتدل الإحصائيات الحديثة

فهرس

الجزء الأول — المجلد السادس والعشرون

صفحة	الموضوع	بسم
المقالات		
٩	افتتاحية العام الجديد	» المجلة «
٢	بناء كياننا النفسى بعد الاتفاقية الجديدة	الاستاذ محب الدين الخطيب رئيس التحرير
٨	نعمات القرآن : بين الصيام والاحرام	» عبد الطيف السبى عضو جامعة كبار العلماء
١١	السنة : الجوار الاعظم	» طه الساكت للفتش بالازهر
١٤	زواج السلم بالكتانية	» حسنين محمد مخلوف عضو جامعة كبار العلماء
١٩	عام جديد : خواطر وأحكام	» أبو الوفاء المراغى مدير المكتبة الازهرية
٢٣	الزواج المهاجران	» محمد أبو شهبة للدرس بكلية أصول الدين
٢٩	الاشعرى وسراحل تطوره الفكرى	» الدكتور حمودة غرابة المدرس بكلية أصول الدين
٣١	آخر مراحل الاشعرى	» محب الدين الخطيب
٣٤	قواعد الاديان وقواعد الاخلاق	» سليمان دنيا المدرس بكلية أصول الدين
٣٦	الكسب الحلال	» محمد عبد القواب مفتش الوعظ العام
٤٠	هريف أهل الصفة	» محمود النواوى المفتش بالازهر
٤٣	الازهر والصحافة	» محمد كامل النقي المدرس بكلية اللغة العربية
٤٧	غزوة أحد	» محمد جمال الدين محفوظ
٥٢	يا بنى الدنيا	» صابر على رمضان الجوفى
٥٣	الكتب	» المجلة «
٥٦	الادب والعلوم	»
٥٩	أبناء العالم الاسلامى	»

رئيس التحرير
محب الدين الخطيب
الاشتراك السنوي
سجل
في وادي النيل ٤٠٠
لطباعة وادي النيل ٢٠٠
للمطبعة والمطبعين بالازهر ٣٠٠
خارج المطبعة ٥٠٠
لطباعة خارج المطبعة ٣٠٠
للمطبعة والمطبعين خارج المطبعة ٤٠٠

مجلة الأزهر

مجلة دينية علمية جامعة
تصدر عن شيخ الأزهر مرتين في كل شهر عربي

مدير المجلة
عبد اللطيف السبكي
عضو جماعة كبار العلماء
للتعريف
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٢١٤
عن النسخة ٢٠ مليماً

الجزء الثاني - القاهرة في ١٦ المحرم ١٣٧٤ - ١٤ سبتمبر ١٩٥٤ - المجلد السادس والعشرون

فهرس

الجزء الثاني - المجلد السادس والعشرون

صفحة	الموضوع	بسم الله
٦٦	سؤال - وأجوبة	الاستاذ محب الدين الخطيب ورئيس التحرير
٧١	نقعات القرآن : ضراعة الابرار	» عبد اللطيف السبكي عضو جماعة كبار العلماء
٧٤	الهجرة	» الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر
٨٣	مشروع خطير	» حسين محمد مخلوف عضو جماعة كبار العلماء
٨٩	لوعة	» احمد الشرباصي من علماء الأزهر الشريف
٩٦	تلوق الادب	» عز الدين إسماعيل
١٠٠	عبد الرحمن النافقي	» محمد وجب البيومي للمدرس بوزارة التربية والتعليم
١٠٤	أخلاقنا في الريف	» عبد الخالق إمام موسى للمدرس بوزارة التربية والتعليم
١٠٧	توجيه الشباب	» عبد اللطيف السبكي مدير للجلية
١١٠	المثالية الواقعية في الفكرة الدينية	» محمد فتحي محمد عثمان مدرس الآداب بالمساهد الدينية
١١٤	نصريات	» محمد علي النجار الأستاذ بكلية اللغة العربية لجنة الفتوى
١١٩	الفتاوى	» موسى صالح شرف بكلية اللغة العربية
١٢١	ركن الطلبة « إلى علماء اليوم »	» المجلة
١٢٢	الادب والعلوم	»
١٢٥	أنباء العالم الاسلامي	»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سؤال - وأجوبة

سأل كاتب نفسه في افتتاحية إحدى صحف دار أخبار اليوم : « ماذا يفعل طالب في مرحلة السن الخطرة - بين الخامسة عشرة والثامنة عشرة والعشرين ، يشاهد فيلما غراميا قتلتهب حواسه ، أو يقرأ قصة عاطفية فيثور جسده ، ثم يسير في الطريق ليزداد برما وضيقا بحرمانه ، وهو لا يجد النادي الرياضى الذى يسمو بغرائزه الجنسية ، وهو لا يجد الأسرة التى توفر له حياة اجتماعية تهذب من فورة جسده . وهو لا يجد المعلم الذى يشعره بالاهتمام والصدقة فى حل مشاكله ... ماذا يفعل مثل هذا الشاب إلا أن يقع فريسة سهلة لطبيعة لعشرة السوء ، والرديلة التى تنفس عن غرائزه الخبيسة بوسائل غير طبيعية ، تنتهى إلى جو الدماء والجريمة . »

إن السؤال الخطير ، والموضوع الذى يحوم حوله لاشك أنه من أفدح أمراض مجتمعتنا ، والتفكير فى معالجته من واجب الصحافة ، وهذه المجلة منها . ومن واجب معاهد التربية والتعليم ، والأزهر فى طبيعتها إن لم يكن أولها . ثم هو من واجب الحكومة لأنها القيمة على الأمة ، والوصية على الجيل الناضئ ، وقد حصرت فى مدارسها حق احتكار الحضارة العامة فأصبح من الحق عليها أن تكون هذه الحضارة صالحة ، وأن تحيطها بجميع أسباب الوقاية .

والمألوف فى معالجة الأمراض أن يبدأ بالبحث عن أسبابها ، حتى إذا أمكن التحرر من تلك الأسباب واستئصالها والوقاية منها كان بذلك غنى عن العلاج ، وقدما قالوا : الوقاية خير من العلاج .

والكاتب الذى نقلنا أقواله فى السؤال الذى وجهه إلى نفسه قد ذكر من أسباب هذا المرض الأفلام الغرامية التى تلهب حواس الشبان والشابات ، والقصص العاطفية التى يقرأها المراهقون والفتيان فتثير أجسادهم ، وهذا التملك الذى يشاهده الناشئون فى الطريق فيزدادون

برما وضيقاً بحرمانهم . ونسى أسباباً أخرى كثيرة ، ومنها أن المجلة التي كتب هو مقالها الافتتاحي كان يوجد فيها إلى جانب مقالته صورة لإحدى المسنحات الفاتنات وهي تعرض ظهرها الفاتن في أحد حمامات السباحة ، بل هو تجاهل الصورة الملونة المطبوعة على غلاف ذلك العدد ، وهي شر من كل ما ذكره الكاتب من أسباب المرض الذي جاء يشكوه ، ويرسل دموعه إشفافاً منه على الوطن وأهله والامة ومصيرها . فالمجلة التي يكتب هو افتتاحيتها هي نفسها مباءة لجرائم المرض الذي زعم أنه ينشد إنقاذ الشباب منه ، والأفلام التي وصفها وشكا منها هم الذين يعلنون عنها ، ويكتبون المقالات في التحبيب بها ، وما ذكره عما يشاهده الثبان في الطريق ، فيزدادون برما وضيقاً بحرمانهم ، لأنما وصل إلى ما وصل إليه بتعريض طائفة من حملة الأقلام ، على ما وصفه الاستاذ أحمد محمد خليفة فيما نقلناه عنه بافتتاحية الجزء الماضي من هذه المجلة ، وقال : إنه يوحى — في صراحة أو موارد — بالانطلاق والتحلل والرضاء الجسدى .

وقد كان جواب الحكومة أخيراً على سؤال الكاتب د ماذا يفعل طالب في مرحلة السن الخطرة يشاهد فيلماً غرامياً فتلتهب حواسه ، أن أصدرت قانوناً منعت فيه الفتيان والفتيات إلى سن السابعة عشرة من دخول دور السينما التي تعرض مثل هذه الأفلام . وهو جواب منطقي مبنى على قاعدة د الوقاية خير من العلاج ، ، وما دامت هذه الأفلام ضارة فيجب أن يسان منها الاطفال والفتيان إلى تلك السن بمنعهم عن مشاهدتها . لأنها شر ، وقد اعترف القانون بأنها شر ، والكاتب الذي نتحدث عن مقاله معترف بأنها شر ، ومن واجب الحكومة أن تمنع الشر عن الامة ، فنعت — بحكم القانون الجديد — الأولاد إلى سن ١٦ أو ١٧ من الوقوع في هذا الشر . غير أننا اختلفنا معها في تحديد دائرة الشر ، وهل هي تناول الأولاد إلى تلك السن أم تشمل سائر الثبان والشابات ، والرجال والنساء ، وذهبنا في افتتاحية الجزء الماضي إلى أن من الخير أن يقطع دابر الشر من أصوله ، فلا يباح من أشرطة السينما إلا النافع ، أو ما لا يضر . ولا بأس بعد ذلك أن يدخل دور السينما كل من شاء .

والقصص العاطفية التي اعترف صاحب المقال بأنها من أسباب المرض الذي يشفق منه على الشباب ، لماذا لا يكون من إصلاحات الثورة القضاء عليها وعلى مثل الصور التي يلهبون بها حواس الثبان ، ويشغلون مواهبهم عن التفكير في معالي الأمور ، ودواعي

التقدم والنهوض . وهل هي أقل ضرراً على مستقبل الأمة والوطن من كل ما عالجته الثورة من أمراض أخرى اقتصادية واجتماعية ؟

ومدارسنا لماذا لا تجبر ما ينقص منازلنا من تربية خلفية ودينية لأبناء الجيل وفلذات أكباد الأمة ، ولماذا تبقى كما كانت مصانع لتخريج موظفين آليين ، ولا تعنى بإعداد نفوس الطلبة وقلوبهم للهمة التي تنتظرهم في عشرات السنين الآتية بتحويل هذا الوطن إلى ما ينبغي أن يكون عليه في عظمته وصناعاته ومعارفه وأسباب قوته ورفعته بين الأمم ، وهل يكون هذا على أيدي الطلبة الذين شغلوا عقولهم وقلوبهم بمثل ما وصفه الكاتب من أهواء وشهوات وتحلل ، أم على أيدي طلبة لا تقع أنظارهم على مثل الصور التي تنشرها مجلات دور النشر القائمة بيننا ، والقصص التي تتفنن في إهانة عواطف الشباب ، والأفلام التي أصبحت شراً محضاً ، وليس للطلبة شاغل غيرها .

إن رسالة المدرسة في عهد الثورة يجب أن تكون أقدس رسالات الإصلاح ، وكان ميسراً منها عند ما كانت وزارة المعارف ضخمة الروتين الذي رسمه لها النظام الدانلوبى وسهر على حراسته رجال يتوارثون حياطته والدفاع عنه . أما وقد ألغينا وزارة المعارف الدنلوبية وأقمنا على أنقاضها وزارة التربية والتعليم ، وقام على أمانتها ورسالها رجل عسكرى ، فيجب أن تبدأ السنة الدراسية الآتية بمعهد جديد من التربية ، وأن يسان الطلبة بل الأمة من الاشرطة الفاجرة في دور السينما ، ومن الأدب الغرامى الداعر الذى فرضته علينا العهود الماضية ولا يزال مستمراً إلى الآن ، وأن تظهر الصحافة من الصور التي تثير الغرائز ، غرائز الرجال فضلا عن الطلبة والفنيان ، وبذلك يكون علاج المرض الذى تحدث عنه كاتب تلك المجلة بوقاية الأمة من أسبابه ، وهذا هو جوابنا على ذلك السؤال ، بل هذا هو جواب الحكومة عليه لما سنت القانون الجديد لدخول الصغار إلى دور السينما ، ولا يزال نطمح في أن يتحول ذلك القانون إلى ما يضمن منع الاشرطة الفاجرة والضارة منعاً باتاً ، فنمنع بذلك شرها عن الصغار والكبار جميعاً .

وقد يقول قائل : لقد عرفنا جواب الحكومة وجوابكم عن ذلك السؤال ، فما هو جواب السائل نفسه ؟

وسوف يعجب القارئ إذا قلنا له : إن الكاتب الذى كان يبكى على ما تركه السينما الفاجرة والقصص الداعرة من أثر سيئ على الطالب ، وهو فى مرحلة السن الخطرة — بين الخامسة عشرة والثامنة عشرة والعشرين — قد أفنى بأن تفتح له منازل الداعرة الرممية ، وأن تيسر له الدولة أسباب البغاء ...

وقد حله على ذلك الشفقة على مثل هذا الطالب لأنه لا يستطيع أن يدعو زميلة له إلى السينما ، وإذا أتاحت له هذه الفرصة فيجب أن يسير إلى جوارها وكأنه شيخ طريقة أو واعظ فى كنيسة . وإذا جلست إلى جنبه فى السينما فهى الجريمة الكبرى لو ضغط على يدها بأنامله . وإذا سنحت لها الفرصة الذهبية أن يمضيا وقتا فى حديقة عامة ، فهو المذنب لو جرؤ وقبلها ، وينادينا الكاتب بملء فيه فيقول : « أجيئوا يا دعاة الفضيلة ماذا يمكن لهذا الشاب إلا أن ينفس عن غرائزه فى الظلام ... » ، ولذلك هو يفتى بإعادة البغاء ، وبأن تفتح الدولة لطلبة المدارس منازل الداعرة ، لأنه يظن أن حكومة الثورة لا تستطيع أن تحطم أسباب هذا المرض وتستأصلها من جذورها : لا تستطيع أن تمنع مجلته من نشر الصور التى أشرنا إليها ، ولا المجلات الأخرى من التفتن بالقصص التى وصفها لنا ، ولا هذه الصحافة من أولها إلى آخرها من إقناع القراء بأن ما تعرضه السينما هو المثل الأعلى للحياة ، ويجب أن تكون حياتنا فى مجتمعنا حياة الممثلين والممثلات فى السينما ، وبعد ذلك لا يبقى متنافس للطلبة إلا فى دور البغاء فيجب إعادتها !

إذن فنحن أمام ثلاثة أجوبة على سؤاله : أحدها ما نراه نحن من اتخاذ أسباب الوقاية بإعادة جرائم المرض واستئصال أسبابه .

والجواب الثانى ما يعبر عنه القانون الجديد الذى يعترف بشرور السينما وأمثالها ويكل أمر الوقاية منها إلى الكبار فلم الحرية فى دخولها أو الامتناع عنها . وأما الصغار إلى سن ١٦ فالقانون يكفل وقايتهم من هذا الشر .

والجواب الثالث جواب كاتب ذلك المقال ، وهو أن تبقى على أسباب المرض كلها ، وأن لا تمد الدولة يدها إلى قدس الأقداس من تلك الشرور . ولكنها تعالج ذلك بإيجاد متنفس للطلبة بفتح دور الداعرة لهم ، ولعله قد ظلم الجنس الثانى فلم يفكر فى ما ينفس عنه ، أم أنه ترك هذا الأمر إلى مرحلة ثانية ينتقل إليها بعد النجاح فى التفتيس عن الفتيان أولا .

وهذه الحملة الجديدة لإشاعة الفاحشة على أرض الكنانة في العهد الجديد أذكرتنا بحملة أخرى في صحيفة أخرى من صحف دار أخبار اليوم حيث كتب أحد رؤساء تحريرهم (يومية) أنني فيها على لبنان بأنه هملي واقعي، رأى أن «الميسر باب رزق واسع كبير، كما أنه مشجع للسياحة والاصطياف في لبنان، ولذلك فإن فنادق عاليه وصوفر وظهور الشوير تعج بالمصطافين ولاعبى القمار، وإن مشاتي ومصايف الريفيرا الفرنسية طقسها أقل جمالا واعتدالا من طقس مصر، ولكنها مزدحة دائما بالسائحين لأنها تقدم لهؤلاء الوانا من التسلية لا تقدمها مصر المخلصة لتعاليم ابن حنبل رضى الله عنه، ثم ردد اقتراحا قديما له بأن ترفع حكومة مصر الحظر عن ألعاب الميسر في فنادق مصر الجديدة والقاهرة والإسكندرية والأقصر وأسوان.

وبعد فإن حكومة الثورة أمام صيحة من سفيرها في باكستان يقول فيها: في مصر أندية وحانات فيها من السكر والقمار والدعارة ما ينتج الجريمة لا محالة. هذه الأما كن مغارس (مشاتل) للجرائم ولا بد من قلب الأرض لتستأصل منها جذور الجرائم وبذورها. وصيحة بل صيحات أخرى تصدر من بعض الصحف المرة بعد المرة، وبخطبة منظمة، وكلما نسى الناس أولها أعادوا على مسامعهم ما يذكرونها، وهى تعترف بالداء، وتنصح لهذا الوطن بأن يداوى نفسه بالتي كانت هى الداء.

وقد كان التداوى من الداء بالداء مألوفاً في مصر أيام كرومر عندما كان زارعو الشر يتوافدون على أرض الكنانة بين أروام وإيطاليين وبهود متحصبين كلهم بالحماية الأجنبية، فيغرسون تلك (المشاتل) ليفسدوا بها على مصر الإسلامية دينها وأخلاقها وثروتها وسعادتها، أما الآن فقد شب عمرو عن الطوق، وصارت مصر تعرف طريقها إلى المجد، وأنه طريق الفضيلة والاستقامة والقوة، وهو الطريق الذى نصح به محمد بن عبد الله وأحمد بن حنبل ومحمد عبده وكل من عاش مستقيماً ودل أمته على طريق الاستقامة. وتعميد هذا الطريق في يد وزير التربية والتعليم وإخوانه من وزراء الثورة، وفي استطاعتهم أن يقوموا برصفه وافتتاحه لمصر الناهضة بأسرع مما يفعل وزير البلديات في طرق العاصمة وميادينها ومعالمها.

هذا هو العلاج بالوقاية، وهذا هو الإصلاح بالفضيلة وبأسباب القوة، وكل دعوة تخالف ذلك فمن الشيطان ونعوذ بالرحمن منه.

محج الدين الخطيب

نفحات القرآن

- ١٨ -

ضراعة الأبرار

« وقالوا : سمعنا وأطعنا
غفرانك ربنا وإليك المصير »

هكذا يحكي القرآن عن الأبرار في ضراعتهم إلى الله ، يلهجون بها في سرهم وجهرهم ، وفراغهم وعملهم ، وقياماً وقعوداً وعلى جنوبهم . ومن حق الله على عباده أن يسمعوا ويطيعوا ، ومن رجاء العبد في ربه بعد السمع والطاعة أن يغفر له ما فرط منه ، ويقسح له رحاب فيضه ، ويغمره برضوانه .

وفي ذكرهم السمع والطاعة قبل سؤالهم المغفرة توجيهم لنا إلى السبيل المأمونة ، والغاية المرجوة ، فالعمل وسيلة ، والثوبة غاية ، وقد نادانا ربنا أن نأخذ بالوسيلة ، ووعدنا من فضله بتحقيق الغاية ، فن تخلف عن تلبية النداء فقد استغنى عن الرجاء .
« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ » .

وقد عرف الأبرار - أولاً - أن يستجيروا لربهم ، فساغ لهم أن يبتهلوا إليه بما قدموا ، ويطعموا فيما وعدهم ، والله يحب أن يسمع النداء من أحبائه ، وهو بهم رحيم ، وبر كريم ، فلن يرض عنهم بالمعطاء ، ولن يفوت عليهم الرجاء ، وتعالى الله أن يخلف وعده .

ولله - سبحانه - أن ينسط يده لمن أراد ولو كانت سبيله معوجة ، وأن يقبضها عن أراد وإن كان على الجادة المثل ، فهو العلي الكبير ، ولا يسأل عما يفعل ، ذلك شأنه ولا رية .

ولكن حكمته فيما دبر ، وعدله فيما قدر ، أن يميز بين الخبيث والطيب ، ويعطى كل ذي حق حقه ، فلن يستوى الأعمى والبصير ، كما لا تستوى الظلمات والنور .

غير أن ناساً أهملوا الوسيلة ، ثم هم يطمعون في الغاية . . . عللوا أنفسهم بالأمانى المكشوبة ، وغالطوها في عدله المشهود ، فقالوا : يغفر لمن يشاء ، ويعذب من يشاء ، وحسبوا أن ذلك إيدان بالتقاعد ، وإهمال للحساب ، فلم - على ما زعموا - أن يتكلموا ، وليس يحجبهم عن الظفر شيء إذا شاء الله لهم المغفرة ويشاء ، وهذه أمنية النفس ، وأحلامها الكواذب .

وهل يكون ثمر بلا شجر ، وحصاد من غير زرع ١٤٤

لا يفرنك ما منت وما وعدت إن الأمانى والأحلام تضليل

على أن الله - جلّت حكمته - لم يرهق عباده بما طلب ، ولم يشق عليهم فيما شرع ، وما كان له - وقد وسعت رحمته كل شيء - أن يجعل عليهم في الدين من حرج .

فلم يكلف نفساً إلا وسعها ، ولم يحملها فوق مقدورها ، وإنما هي نيات مشكورة ، وعبادات ميسورة ، وأعمال مأجورة . فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فإن الجحيم هي المأوى ، وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى .

فلتأخذ كل نفس بما رضيت ، وهي بما فعلت رهينة ، لها جزاء ما كسبت من الخير ، وعليها وزر ما اكتسبت من الشر ، وذلك حكم غير جائر ، وهو القسطاس المستقيم بين الله وعباده ، وقد أراد الله للأبرار من عباده أن يواصلوا دعاءه : توثيقاً للعهد ببرهم ، واحتفاظاً بما أمدهم من توفيقه .

فلمهم أن يقولوا : (ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا) وهل بلغ بهم أن يخافوا العقوبة على النسيان والخطأ ١٤٥ .

معروف أن للرب زلات ، وقد يتراخى فيما ينبغي الاهتمام به من شأن دينه حتى ينسى ويكون أشبه بغير المبالي ، وقد يخطئ في عمل غير سائق أو وضع أمر في غير موضعه ، وكلا النسيان والخطأ مظهر لعدم الحرص والحيلة .

فكان العذاب على ذلك مخوفاً ، ورجاء العفو يغية مرموقة .

« ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملت على الذين من قبلنا .

يريدون إذا وقع منا فيه الإصر وهو الذنب ، فلا تحمله علينا بتركنا مدينين فيه ، بل هي لنا رجوعاً إليك بالاستغفار والتوبة حتى لا نبوء بالإثم ، ونقدم عليك حاملين للوزر كما حمله من قبلنا من عصوك ، ولم يشوبوا إليك ، فخرجوا من دنياهم مغضوباً عليهم منك .

« ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به . » .

كلفتنا من أمر ديننا ودنيانا ما نطيعه ونستطيعه ، فنحن ندعو بدوام ذلك شكراً لك على ما أوليتنا ، فاجعلنا دائماً من القادرين على ما طالت منا ، ولا تجعله ثقيلاً على نفوسنا ، ولا عسيراً بين أعمالنا .

« واهف عنا ، واغفر لنا ، وارحنا . » .

فاصفح لنا عما تعلم ، واستر علينا ما اجترحنا ، وأسبغ علينا رحمتك التي تطيب لها القلوب ، وتلاشي في غمارها الذنوب ، وتدرك في ضوئها المباهج ، فأنت مولانا الصمد المستول ، وكن لنا في دنيانا نصيراً على الكافرين بك ، حتى نغز دينك ، ونعتز به ، ونعيش في هديه ، ونؤوب إليك ، على وفاء بالعهد ، وتمام صدق في الإيمان ، فأليك المصير والمآب ، يا نعم المولى ويا نعم النصير .

ونحن تناسى بالابرار فيما أشاد به القرآن من مآثرهم ، ونرجو على الله أن يفتحنا من هدى كتابه مثل ما منحهم ، حتى نكون في ظلال رحماته بين الخلف عن خيار السلف .

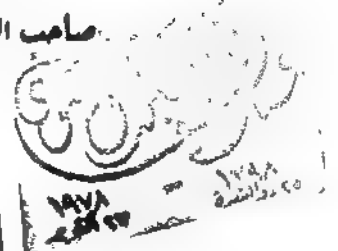
وربنا الرحمن ، وهو المستعان ٩

عبد اللطيف السبكي

عضو جماعة كبار العلماء

كَلِمَةٌ

صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج
شيخ الجامع الأزهر
عن



الهجرة النبوية الشريفة

في الحفل الذي أقامه الأزهر بهذه المناسبة الكريمة في غرة المحرم سنة ١٣٧٤ هـ

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد . فإننا نحتفل اليوم بإحياء ذكرى هي أروع الذكريات ، وأعظمها شأنًا ، وأجلها خطرًا . ذكرى حادث لم يعرف التاريخ له نظيرًا عند أمة من أمم الأرض ، ولا في حياة زعيم من زعماء الدنيا .

نعم لم يعرف التاريخ مثله ، لا في الدوافع التي بعثت عليه ، ولا في الطريقة التي اتخذت لتنفيذ فكرته ، ولا في الآثار العظيمة التي ترتبت على ذلك التنفيذ .

ذلك هو حادث الهجرة الذي كان أول الفتح والفوز ، ودعامة النصر والظفر ، والذي كان الأساس القوي المبكين في بناء دولة الإسلام .

فالهجرة هي التي فرقت بين الحق والباطل ، وفصلت بين الهدى والضلال ، وباعدت بين الإيمان وعبادة الأوثان .

شاع بهانور الإسلام في أجواء شبه الجزيرة العربية ، ثم نفذ إلى ما حولها وإلى ما وراء ذلك من أقطار الأرض . فكل خير أصابه للسلون منذ انتقلت الدعوة الإسلامية إلى المدينة المنورة ، وكل عزة أدركوها على مر الدهور والأعصار إنما كان ثمرة طيبة لهذه الهجرة المباركة .

حادث الهجرة كان بدء انقلاب على الظلم والإثم ، وعلى الشرك والكفر ، وعلى
 الفجور والظلم ، والفسوق والعصيان . كان بدء انقلاب على هذا كله . لا بل نستطيع أن
 نقول : إنه كان صلب هذا الانقلاب وعموده الفقري : له أخص خصائص الانقلابات الصالحة
 ومقوماتها ، وله أظهر صفاتها ويميزاتها ، فقد آتى سريعاً طيب ثمراته ، ونفذ من غير توان إلى
 مقاصده وغاياته ، وشمل به التغيير والإصلاح كل ما كان هنالك من عادات سيئة وأوضاع شائنة .
 ثم إنه لم يكن يقتل ولا سفك دم ، ولم ينطو على ظفیان أو عدوان ، بل كان
 سامياً كل السمو ، طاهراً كل الطهارة ، نبيلاً أعظم النبيل في مقاصده وغاياته . ولذلك كان
 محوطاً بعناية الله ، مؤيداً بوحى السماء ، فبلغ الغرض وأدرك الغاية .
 وكذلك كل من يعمل لنصرة دينه ، وعزة أمته ، وتخليص وطنه من تسلط الأعداء ،
 فإن الله يكتب له التوفيق والتأييد والفوز والفلاح .

أوحى الله إلى محمد ﷺ أن يدعو إلى دين الإسلام ، دين التوحيد الخالص ،
 توحيد الإله الخالق ، مبدع الأرض والسموات ، مدبر الكون وبارئ النسم ، دين لا يعرف
 التقديس والعبادة إلا لله وحده ، فهو يدعو إلى خلع الشرك ، وبذ الأوثان ، والاعتداد
 في ذلك كله بما يهdy إليه العقل ، وما يؤيده من الشرع ؛ وينهى عن التعويل على ما يخالف
 ذلك مما كان عليه الرؤساء والآباء .

كانت رسالة محمد ﷺ هكذا نقية طاهرة ، جليلة واضحة ، لا لبس فيها ولا إبهام ،
 من استقام عليها استقام له الأمر كله ، وظفر بالسعادة في دنياه وأخراه .
 امتثل النبي الكريم أمر ربه ، ودعا إلى دين الله أهله وعشيرته وغيرهم من قبيلته قريش
 وأهل القبائل الأخرى .

دعاهم في لين ورفق ، وأخذ نفسه معهم بالحكمة ، وتودد إليهم بكل عاطفة ، وبكل
 صلة من صلات النسب والوطن والقرابة ، حرصاً منه على تفهمهم ، وإشفاقاً على مصيرهم .
 لم يتقل عليهم بالأوامر ، ولم يرهقهم بالتكاليف ، وإنما كان كل أمره معهم : « يا أيها
 الناس ، قولوا لا إله إلا الله ، كلمة تملكون بها العرب ، وتدين لكم بها العجم ، فإذا أتم
 آمنتم كنتم ملوكاً في الجنة » .

آمن بدعوته قليل منهم ، ولج في الكفر والعناد أغلب ساداتهم ورؤسائهم ، وتبع هؤلاء جمهور قبائل العرب وعامتهم ، من يجرّون في كل حال وراء السادة والرؤساء .

أعرضوا عن دعوته ، وكذبوا برسالته ، وهم في قرارة نفوسهم يعلمون أنه الصادق الأمين ، لم يعبدوا عليه كذبا ، ولم يقف له أحد منهم على خيانة أو خديعة .

أعرضوا وكفروا ، ثم لم يكونوا معه في شيء من الإنصاف والعدل ، فهو لم يبدأهم بشر ، ولم يأخذهم في جفوة ولا قسوة ، كما يفعل الدعاة المنتظمون ، الذين يحملون على قومهم ، ويقسون في دعوتهم ، بل لا ينهم ووعظهم وأخلص لهم النصيحة ، وكاد يقتل نفسه بالغم والحسرة على ما كانوا يتورطون فيه من مواقف العناد والمكابرة ، والإعراض عن حقه إلى باطل لا تقوم لهم فيه حجة ولا شبه حجة .

لكنهم لم يقابلوا خيره إلا بالشر ؛ ولم يجازوا إحسانه إلا بالإساءة ، ولم يتركوه إلى النفر القليل الذي آمن به ، يعبدون بهم ، ويقبلون معهم من يؤمن بدعوتهم ، بل أخذوا يشندون عليه ويؤذونه ، ويعذبون أصحابه وينكسون بهم ؛ ويصدون عن سبيل الحق كل من يتطلع إلى الحق .

نكلوا بأصحابه فاضطروهم أن يهاجروا أكثر من مرة إلى الحبشة ، بلاد غير بلادهم ، وناس لا يدينون بدينهم ، وعاظ المشركين أن هؤلاء المهاجرين قد أفلتوا من أيديهم ، فأخووا على من بقى في مكة من صحابة الرسول ﷺ بألوان الإيذاء ، وصنوف الاضطهاد ، يشتفون منهم ، ويطفثون بتعذيبهم ما تضطرم به صدورهم من نيران الحق والغيظ .

وهنا أشار النبي ﷺ على هؤلاء المؤمنين المضطهدين أن يخرجوا متسللين إلى المدينة ، فخرجوا لم يبق منهم بمكة إلا من حبسته حاجة ، أو من تلبه له المشركون فخبسوه عن الخروج بالقهر والغلبة .

وقدم أبو بكر بالرحيل أيضا ، فأشار عليه الرسول بالبقاء معه حتى يقضى الله أمره .

خرجوا وتركوا مكة لأهلها المشركين ، لكن محمدا ما يزال باقيا هناك متمسكا بعقيدته ، معتصما بيقينه ، يعبد الله ، ويدعو إلى دين الله ، فماذا يصنعون معه ؟

إنهم قد أعيتهم الحيل ، وقد مكثوا سنين طويلة يعالجون أمره ، ويحاولون إغواءه وإغواءه ، بكل ما يفتن به الرجال وأشباه الرجال ، من سلطان ومال ، فلم يفلحوا ، فإذا ينتظرون ؟ لا بد لهذا الأمر من آخر ، هكذا يقررون .

تداعوا إلى دار الندوة ، وتشاوروا وقلبوا وجوه الرأى ، ثم أجمعوا أمرهم على قتله والتخلص منه ، ولكن من ذا الذى يقوى على أن يبوء يائماً ؟ .

قر قرارهم على أن ينتخبوا له فتياناً أشداء من قبائل مختلفة ، يرصدون له أمام بيته حين يبدأ الليل ، ثم يتقضون عليه وهو فى فراشه ضربة رجل واحد ، وبذلك يتفرق دمه فى القبائل ، فلا يقوى أهله بنو عبد مناف أن ينهضوا للاخذ بثأره ، ويكتفون من ذلك بدية أوديات .

تواعدوا على ليلة وذهبوا إليه ، وربضوا أمام بيته لتنفيذ خطتهم ، لكن محمداً صلى الله عليه وسلم كان قد دبر قبل ذلك مع صاحبه أبى بكر تديراً حكيماً ، أفسد عليهم تدبيرهم ، وفشلت به خطتهم ، وذلك بمسد ما أوحى الله إليه بأمره بالهجرة ، وألا يبيت فى فراشه تلك الليلة .

كان قد ذهب إلى أبى بكر ظهيرة ذلك اليوم ، وأفضى إليه بما عنده من الأمر ، فاتفقا على طريقة الخروج وساعته ومكانه ، ووقع اختيارهما على عبد الله بن أريقط ، من أمهر الأدلاء الخبراء بالصحراء ومسالك الطرق . عرفا فيه الرجولة والأمانة على السر ، واطمأننا إليه واستأجراه ، على رغم أنه كان على دين قريش ، ووعداه أن يرافيهما براحتيهما بعد ثلاث ليال فى غار ثور .

خرج محمد عليه الصلاة والسلام من ليلته على النفر الأشقياء الذين كانوا رابضين أمام بيته . وكان منهم أبو جهل وأبو لهب وعقبة بن أبى معيط وأمية بن خلف .

خرج عليهم فلم يره أحد منهم ، أخذهم النوم أو أصابهم الدوار ، أو غشى الله على أبصارهم كما طمس على بصائرهم .

وأخيراً أدركوا خيبتهم ؛ فراحوا يفتفون الآثار التى كانت تنتهى بهم دائماً إلى ذلك

الغار ، ولكن الله صرفهم عنه بما أكرم به رسوله من عجائب ومعجزات : حمامات تبيض ، وشجرة تمتد فروعها وأغصانها ، وعناكب تتشابك خيوطها ويتكاثف نسجها . كل ذلك يجدونه في مدخل الغار أعلاه وأسفله ، حتى ليحلف أحدهم — وهم يتآمرون عند الغار — : ان نسج ذلك العنكبوت لأقدم من ميلاد محمد .

افصرفوا حينئذ عن الغار ، يتبعون الطرق ، ويرسلون عيونهم في جميع المسالك ، ويبعثون النداء في كل واد : من يأتي بمحمد حيا أو ميتا فله مائة ناقة .

مكث محمد ﷺ وصاحبه في الغار ثلاثة أيام كاتا يغتذيان فيها بلبان شاة كان يقدو بها عليهما وروح « عامر بن فهيرة » مولى أبي بكر رعى الله عنه ، كما كان يوافقهما بأخبار أهل مكة وما يصنعون ، ثم قدم عليهما « ابن أريقط » بالراحلتين وطعام جهز في بيت أبي بكر ، فارتحلا ، وأردف أبو بكر معه مولاة ، وسلك بهم عبد الله بن أريقط طريق الساحل ، حتى إذا كانوا تجاه حى بنى مدج بصر بهم رجل من الحى ، فنادى فى القوم : إني قد رأيت على الطريق أسودة ما أظن إلا أنها محمد صاحب قريش وناس معه ، فرد عليه سراقه ابن مالك : لا : إني لأعرف من رأيت ، إنهم ليسوا بهؤلاء ، إنهم فلان وفلان ، وسمى جماعة خرجوا لحاجات لهم . وكان يريد بذلك لبهام الامر على غيره ، كي يخرج وحده ، ويظفر بالجمل الذى جعلته قريش لمن يعود إليها بمحمد .

أخرج سراقه فرسه مع غلام ينتظره به خلف آكة ، وأمره ألا يشعر أحدا ، ثم خرج من وراء الحباء مستخفيا ، فركب وجد فى السير حتى قارب الجماعة ، وراه أبو بكر تخاف منه على رسول الله ﷺ ، فنبته الرسول كما كان يثبته وهما فى الغار إذ يقول له : « لا تخزن إن الله معنا » ، ودعا الرسول على سراقه فساخعت قوائمه فرسه فى الأرض ، فاستجد بالرسول فأنجده ؛ وقطع سراقه على نفسه عهداً أن ينصرف عنهم ، ثم يخذل ويرد كل من يريد اللحاق بهم من أعدائهم ؛ وقد وفى وبر بعهده ، وعرفها له الرسول ﷺ .

* * *

وهكذا خرج محمد ﷺ من مكة فى أول يوم من شهر ربيع الأول بعد ثلاث عشرة سنة من البعثة ، ثم سار هو وأبو بكر وصاحبهما حتى بلغوا المدينة فى تمام اتى عشر يوما

لاقى فيها الرسول وأبو بكر عقبات ومصاعب ، لكن عناية الله كانت تدركه في كل عقبة ، وتلاحظه في كل خطوة ، وتدفع عنه السوء بأنواع العجائب والمعجزات .

* * *

طالته عوالى المدينة ، فخرج أهلها يستقبلونه بالتليل والتكبير والفرح والغبطة . ثم أخذ يرسم خطط النهضة والإصلاح : يعقد الاتفاقات ويقيم المفشات ، ويؤسس المساجد للعبادة والتعليم والإرشاد ، حتى أكمل الله له دينه ، وأتم عليه نعمته .

نزل عليه الصلاة والسلام - أول ما نزل - في بنى عمرو بن عوف ، فأقام أياماً أسس فيها مسجد قباء ، جعله مسجداً عاماً جامعاً بعد أن كان مصلى خاصاً لبني عمرو .

ثم ارتحل يوم الجمعة ، فنزل في بنى سالم بن عوف ، فخطب في مصلاهم خطبة الجمعة ، وصلى بهم صلاتها الجامعة .

ثم امتطى ناقته ، وخطى لها الزمام ، فأخذت تخط به مسالك المدينة ، وكل صاحب بيت من بيوت الانصار يتعلق بزمام الناقة ويدعو الرسول أن ينزل عنده ، وهو عليه الصلاة والسلام يقول لهم : ودعوها فإنها مأمورة ، حتى بركت في مكان كان مریداً يملكه غلامان من الانصار ، في حى بنى النجار ، أخوال عبد المطلب جد الرسول ﷺ ، ثم نهضت بالرسول ، فبركت أمام دار أبي أيوب الانصارى ، ثم نهضت وعادت إلى المسكان الاول فبركت وألقت بجرانها ، فنزل عليه الصلاة والسلام عنها ، ودعاه أبو أيوب أن ينزل عنده في داره ، فأقام فيها حتى بنى له مسكنه الخاص .

ورأى عليه الصلاة والسلام أن يبني هناك مسجداً ، فتقدم الغلامان صاحباً الأرض التى بركت فيها الناقة مرتين ، يرجوان الرسول أن يقبلها منهما هبة ، فأبى عليه الصلاة والسلام إلا أن يكون ذلك بالثمن ، واشتراها منها بعشرة دنانير ، وكانت تقريباً مربعة : مائة ذراع في مائة ، فبنى فيها المسجد الشريف الذى شمر للعمل فيه كل المسلمين من أنصار ومهاجرين . وكان عليه الصلاة والسلام يعمل فيه بنفسه : يحمل الطوب وينقل الأحجار ، وينشد - وينشدون معه - أناشيد تهوى المزائم ، وتحفز الهمم ، وتلهب شعور الإخلاص والإيمان :

هذا الحال لاحال خير هذا أبر ربنا وأطهر

ويقول :

الهم إن الاجر أجر الآخرة فارحم الانصار والمهاجرة

ثم عقد عليه الصلاة والسلام في بيت أنس بن مالك عقد مؤاخاة بين المهاجرين والانصار — وكانوا جميعا تسعين رجلا : نصفهم من الاولين ، ونصفهم من الآخرين — مؤاخاة على التعاون والمواساة ، والتكافل والتساند ، وحتى على التوارث .

وهو عمل حكيم تمت به الوحدة ، وقويت به الالفة ، واستبشر به الانصار ، وتأمى به المهاجرون عن مفارقة الاهل والدار .

ثم عقد عقد موادة ومسالمة مع يهود المدينة من بني النضير وقينقاع وقريطرة ، ليعيش الجميع عيشة استقرار وصفاء وأمن وسلام .

لكن اليهود — وهم الذين كانوا يترقبون ظهور الرسول يقتصرون به على مناوئهم من اهل وطهم المشركين عبدة الاوثان — سرعان ما نقضوا العقد ، ونكثوا في العهد ، وصاروا أعداء مقيمين ، أعداء داخليين ، أشد عداوة على المسلمين ، وأعظم فتنة عليهم من اهل مكة المشركين . فكان لا بد من كسر شوكتهم ، وتطهير المدينة من فتنهم ، وقد مكن الله لرسوله منهم ، ونصره عليهم ، وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم .

العبارة في حادث الهجرة :

إحياء الذكريات المجيدة إنما هو تمثيل لحوادثها ، وعرض لوقائعها ، للاحتفال بما فيها من هبة ، والتأسي بما تشتمل عليه من أسوة حسنة .

وحادث الهجرة كله عبر خالدة ، وكله دروس نافعة : فهو جهاد عظيم ، وكفاح قوى ، وتضحية أعظم تضحية ، في سبيل المبدأ والعقيدة ، وتدبير حسن حكيم ، وعمل جيد رشيد ، لنصرة الحق والعدل ، على الضلال الباطل الفاضح .

وهو نهج عظيم للدعوة ، والتعليم والتربية ، والهدى والإرشاد ، وتمكين لأسباب العزة والقوة ، والأمن والسلام ، وتقوية لروابط الألفة والمحبة والوئام .

ولقد ضرب رسول الله ﷺ بهجرته وارتحاله عن موطن الشر والشغب أحسن مثل
يجب أن يحتذيه المعنيون بإصلاح الجماعات ، في مكافحة الشرور والجهالات ، ومغالبة
الآثام والمفكرات

وإذا كان الظلام لا يمحوه إلا الضوء والنور ، فإن الجبل لا يقتل إلا بالعلم ، والرديلة
لا يقضى عليها إلا بترية الفضيلة .

فأما الصنعب والشغب والتهريج ، وأما الصراخ والصياح ، والمظاهر الفارغة ، والادعاءات
الكاذبة ، فهي شيء ليس من شأن أهل المعرفة بعمل الجماعات وبما يصلح لها من علاج .

والرسول الحكيم كان خير علم بهذه الحقائق ، فقد رأى أن مكة حينذاك ليست بيئة
صالحة تساعد على تكوين معاهد الفضيلة ، ونشر تعاليم الهداية ، وأن مشركيها قلوبهم قاسية
كصخورها أو أشد منها قسوة ، ومن أجل هذا كان منذ زمن قبل الهجرة ، يجد في روعه
أوفيا يوحيه الله إليه أن الأمر سينتهي به إلى ترك مكة ، فانسحب منها في هدوء ليجد
المجال للفسيح للدعوة ، في المدينة الهادئة الوادعة ، عند أصحابه الأنصار ، الذين يابعوه ببيعة
العقبة على الإيواء والنصرة ، وأنه إذا ذهب إليهم في بلدهم آزره وأيدوه ، ومنعوه
بما يمنعون منه أنفسهم وأبنائهم .

ففكرة الهجرة كانت تختمر في نفس محمد ﷺ ، يرى من ورائها أن يتمكن من
العمل في جو هادئ ووسط صالح ، غير أن حادث التآمر على قتله كان هو الحافز على إنفاذ
هذه الفكرة ، وكان بمنزلة الشرارة التي انطلق بها عزمه عليه الصلاة والسلام على الهجرة .

وهكذا هاجر ﷺ إلى المدينة ، فأنشأ المؤسسات الدينية ، ووضع قواعد الدولة
الإسلامية ، وهكذا استقرت في هذه المدينة أصول الهداية والرشاد ، ثم عادت بصلاحيها
ورشادها على مكة وعلى سائر البلاد .

تقرير سنة الهجرة مبدأ للتاريخ الإسلامى :

لم يقرر مبدأ التاريخ الإسلامى إلا في خلافة عمر رضى الله عنه ، بعد ست عشرة
أو سبع عشرة سنة من الهجرة ، لما أخذت تنتشر بين أفراد الأمة كتابة الوثائق وغير

الوثائق . ولا شك أن الكتابة - ولا سيما كتابة الوثائق - هي التي تظهر أكثر من غيرها لزوم العناية بالتاريخ ، وتبين فيها عيوب إهمال التوقيت .

رفع إلى عمر رضى الله عنه صك بدين لرجل على آخر ، قد كتب فيه أن هذا الدين يحل في شهر شعبان ، فقال عمر : أى شعبان ؟ شعبان هذه السنة ، أم شعبان السنة التي قبلها ، أم التي بعدها ؟ ثم جمع أهل الرأي لتقرير مبدأ معين يكون به التاريخ الإسلامى : فمنهم من رأى أن السنة التي ولد فيها الرسول ﷺ هي التي ينبغي أن تحصل مبدأ لهذا التاريخ . ومنهم من رأى أن يكون المبدأ السنة التي بعث فيها . ثم استقر رأى أخيراً على أن يؤرخوا بالسنة التي وقعت فيها الهجرة .

وبذلك صار شهر المحرم من سنة الهجرة هو الشهر الأول من السنة الأولى من هذا التاريخ .

ولكن لماذا لم يجعلوا أول السنة الهجرية شهر ربيع الأول الذي كانت فيه الهجرة ؟

الواقع أن العرب من قبل الإسلام كانوا يعرفون السنة القمرية وأنها اثنا عشر شهراً ، وكانوا يسمون هذه الأشهر بأسمائها المعروفة . وكان أول السنة عندهم هو شهر المحرم ؛ اختاروه كذلك لأنه هو الشهر الذي يكون بعد انتهائهم من موسم الحج ، فلم تكن هناك ضرورة تدعو إلى تغيير مبدأ السنة . إنما الحاجة هي في تعيين السنة التي تكون مبدأ للتاريخ الإسلامى . وقد تم الأمر على أنها سنة الهجرة .

هذا وأنا نسأل الله تعالى أن يهدينا بهدى نبيه الكريم ، وأن يوفق الأمم الإسلامية للتمسك بدينه ، وإحياء تعاليمه ، وأن يديم عنايته وتأييده لجيشنا العظيم ، كي يدرك لمصر حظها من السعادة ، وليعمل - بالوفاق مع الجيوش الإسلامية الأخرى - على ما يعيد لدولة الإسلام مجدها وعزتها وقوتها وكرامتها .

وأن يوفق رئيس جمهوريتنا ، ورئيس حكومتنا ، وإخوانهما قادة الثورة ، وأعضاء الوزارة ، لما فيه خير الأمة وصلاح أمرها ، والسير بها في طريق السداد والرشاد ، إنه يجيب الدعاء ، نعم المولى ونعم النصير . ٩

٤ - مشروع خطير

بحركة رجال الطوائف للقضاء على أحكام الإسلام في مواد الأحوال الشخصية تحت ستار تنظيم المحاكم المالية وقضاها

قد مهدنا بالمسائلتين السابقتين للبحث في هذا المشروع الخطير ، ومدى مناقضته للأحكام الإسلامية في موضوعه . والآن نقول :

منذ نيف وعشرين عاماً رأى تنظيم القضاء الطائفي لغير المسلمين ، وإنشاء محاكم مالية للقضاء في مواد الأحوال الشخصية ، تضم بعض المتعلمين منهم ، يحدد تشكيلها واختصاصها ودرجات التقاضي أمامها بقانون ، وتطبق في المنازعات التي تقع بينهم فيها أحكام مذهبهم وملهم .

وألفت لذلك لجنة من كبار رجال القانون والطوائف في سنة ١٩٣٧ ، ووجد أعضاؤها غير المسلمين ومن ورائهم رؤساء الطوائف الفرصة سانحة لتحقيق ما ظلوا يحلمون به قروناً من إبطال بعض أحكام الشريعة الفراء الخاصة بإسلام أحد الزوجين وأثره في علاقة الزوجية ، وفيما يفشأ عنها من خصومات بعد الإسلام ، وفي الأحكام التي تطبق ، وفيمن له ولاية القضاء في هذه الأحوال .

أثاروا ذلك في الجلسات وفي غيرها ، وأجمعوا أمرهم على ضرورة إقامة المراقيل في سبيل اعتناق الإسلام ، ومعاقبة من يعتنقه بفسخ زواجه بمجرد إسلامه ، وتحريم معاشرته لزوجته ، والحكم عليه باللبس إذا أقدم على معاشرتها دون أن يعلنها بإسلامه ، وإخضاعه بعد إسلامه للقضاء الطائفي في مختلف درجاته ، وتطبيق أحكام ملهم ومذهبهم التي تم عقد الزواج في ظلها على من أسلم ولو من زمن بعيد .

واحتدم النزاع بين الأعضاء في هذه المقترحات ورأى الأعضاء المسلمون فيها - وكشف منهم - مخالفة صريحة لشريعة الإسلام كنبأاً وسنة وإجماعاً ، والدار دار إسلام ، والإسلام

هو الدين الرسمي للدولة بنص الدستور ، والسائد منذ الفتح الإسلامى إلى الآن . ومهمة اللجنة الإصلاح والتنظيم لا هدم الأحكام الإسلامية التى ظلت الطوائف خاضعة لها قروناً ، ولا نقل من أسلم من ولاية القضاء الشرعى إلى ولاية المحاكم الطائفية ، فلا تملك أن تقر فى مشروع القانون ما يخالف صريح الإسلام والحق الصريح .

وبالرغم من ذلك وضع المشروع ، ولكنه لم يلبث أن عني أثره ، وطوى فى زوايا الإهمال ، لمخالفته الصريحة لدين الإسلام ، إلى أن جدد ظروف أخرى ، فأعيد بعثه ، ثم اختفى لهذا السبب .

* * *

وفى أثناء تولي المرحوم (صبرى أبو علم) وزارة العدل ألفت لجنة لبحث المشروع - وكنت عضواً فيها - وانهت بوضع مشروع سليم من كثير من تلك العيوب ، وإن كان كسابقه مشتملاً على بعض عيوب جوهرية ، وكان حظه من الإهمال كحظ المشروعات السابقة .

وأخيراً نشر المصردى فى يوم الأربعاء ١٦ مارس سنة ١٩٥٤ المشروع الذى يراد عرضه على مجلس الوزراء ، فإذا به لم يتغير من ماضيه البعيد شيء ، وإذا به ينقض أحكام الإسلام صراحة ، ويعاقب من يعتنق الإسلام بحريته بعقوبات غير مشروعة .

وليان ما فيه من خطورة تقدم بين يدى البحث تلخيصاً للبداية الآتية المتفق عليها بين الفقهاء فى المذاهب الأربعة .

أولاً :

عقد زواج المسلم بالمسيحية صحيح شرعاً لقوله تعالى : « اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذي أخدان » .

والزوج عليها مع بقائها على دينها كل الحقوق التي للزواج على زوجاتهم في الإسلام كما أن لها عليه كل الحقوق التي للزوجات على أزواجهن فيه .

وتخضع في جميع المنازعات المتعلقة بالزوجية إلى أحكام الشريعة الإسلامية وإلى القضاء الشرعي .

ثانياً :

عقد زواج المسيحي بالمسيحية عقد صحيح في حكم الإسلام ، فإذا أسلم الزوج وبقيت زوجته على دينها استمر العقد صحيحاً واستتبع كل آثاره ومنها حل المعاشرة والطاعة والنفقة .

وبمجرد إسلامه يخضعان جميعاً في المنازعات المتعلقة بحقوق الزوجية لأحكام الشريعة الفراء والقضاء الشرعي ، سواء كان إسلام الزوج قبل التخاصم في هذه الحقوق أم في أثناءه .

ثالثاً :

أحكام الزواج والطلاق والفرقة بجميع أسبابها وما يتبع ذلك هي من الأمور المتعلقة بحل المعاشرة وحرمتها في الدين ، وهي من صميم أحكام الإسلام ، سواء أكان إسلام الزوج أصلياً أم طارئاً ، وسواء أكانت الزوجة مسلمة أم كاتبة ، فلا يخضع فيها المسلم إلا لدين الإسلام وأحكامه ، والزوجة إذا لم تسلم تتبع زوجها المسلم في ذلك .

رابعاً :

الإسلام عقيدة قلبية ، ومظهرها الإقرار اللساني بالشهادتين ، فمن أقر بهما حكم بإسلامه « ولا تقولوا لمن أتى إليكم السلام لست مؤمناً ، وليس لأحد أن يتحكم في عقيدته وضميره ، والسرائر موكولة إلى علام الغيوب .

وكما أنه ليس لأحد أن يكرهه عليه ليس لكائن من كان أن يصد عنه مباشرة أو بالوسائل التي تكرهه على عدم اعتناق الإسلام .

والعمل بالإقرار مبدأ متفق عليه في جميع الشرائع ، ولا زال أهل الأديان الأخرى

يمكنون فيمن ارتد عن الإسلام الخفيف إلى دين آخر أنه قد دخل في حوزته بمجرد رده .
- وإن كان حكمه عندنا أنه لا يقر على دين - .

* * *

والنتيجة المنطقية لهذه المبادئ المقررة بإجماع المذاهب .

أولا : أن عقد الزواج الذي تم بين الزوجين وهما مسيحيان لا يفسخ ، ولا يفسخ بإسلام الزوج ، بل يبقى كما كان صحيحا من الوجهة الشرعية ، مستتبعا كل آثاره ، ويحل للزوج معاشرته زوجته الباقية على دينها معاشرته الأزواج ، ولا يجوز أن يمنع من تمتعه بجميع حقوقه الشرعية التي كفلها له الإسلام .

أما هذا المشروع المنشور فقد نقض هذا الحكم نقضا صريحا حيث قضت المادة ١٢ منه بأن الزوج إذا أسلم وجب عليه إعلان زوجته الباقية على دينها بإشهاد إسلامه في ظرف ثلاثين يوما من تاريخ الإشهاد ، وللزوجة أن تعلن في هذه الحالة في مدى عشرين يوما من تاريخ الإعلان ، باعتبار الزواج مفسوخا .

ويحرم على الزوج معاشرته زوجته من وقت الإشهاد قبل إعلانها به ، وإلا عوقب بالحبس مدة لا تزيد على سنتين ، ولها أن تقيم عليه الدعوى الجنائية . ومن هذه المادة يتضح أن المشروع يعاقب الزوج على إسلامه ، بفسخ نكاحه ، وبحرمانه من الاستمتاع بحقوقه المشروعة ، وتحريم معاشرته لزوجته ، وعقابه عليها .

وبالضرورة يسمح لها بالزواج من غيره بعد هذا الفسخ الجبري ، وذلك في الإسلام باطل ، فإنه يحكم ببقاء عقد الزواج بينهما ، ويمنع لإنهاء إلا برضا الزوج ، ويحل معاشرته لزوجته بعد الإسلام ، ويحكم بأن فسخ النكاح بسبب الإسلام باطل ، وبأن زواجها بغيره بعد هذا الفسخ الباطل باطل وسفاح .

أليس هذا المشروع هادما لأحكام دين الله ، والدار دار لإسلام ، ودين الدولة دين الإسلام .

* * *

ثانيا : أن إسلام الزوج أثناء الخصومة مع زوجته يخرج الزوج عن ولاية القضاء

الملى كما أن إسلام الزوجة أثناءها يخرجها عن ولايته ، فبمجرد إسلام أحدهما يخضع الخصمان - ولو بقى أحدهما على دينه - لشرعية الإسلام وقضائه .

أما المشروع فنصت المادة ١١ منه على أن تغيير الدين أثناء سير الدعوى لا يؤثر في اختصاص المحكمة المالية بنظرها .

ومعنى ذلك أن يخضع الزوج إذا أسلم ، أو الزوجة إذا أسلمت أثناء الخصومة إلى القضاء الملى وأحكامه ، وعندئذ يحكم بفسخ النكاح بسبب إسلام الزوج ، وبحرمانه من جميع حقوقه المشروعة كما يراه المشروع في المادة ١٢ . بل سيحكم بعدم الاعتراد بإسلامها ، ويحل للزوج المسيحي معاشرتها معاشرة الأزواج .

ليس في هذا مخالفة صريحة لحكم الإسلام بإجماع المسلمين ١٩

* * *

ثالثا : وكذلك إسلام أحد الزوجين في أى وقت قبل الخصومة يخرجهم من ولاية المحاكم المالية في المنازعات المتعلقة بأمور الزوجية ، فلا يجوز أن تطبق عليه شريعة الجمة المالية التى كان كلا الزوجين تابعا لها وقت العقد ، وإنما يخضع الخصمان في هذه الحالة لأحكام الشريعة الإسلامية وقضائها .

أما المشروع فقد قرر في المادة ٣٣ أن المحاكم المدنية تطبق في المسائل التى تختص بنظرها وفقا لأحكام هذا القانون شريعة الجهة الدينية التى كان كلا الزوجين تابعا لها وقت العقد ، وتطبق شريعة الجهة الدينية التى كان يتبعها الزوج وقت العقد إذا اختلف الزوجان ديناً أو مذهباً .

ومعنى ذلك أن من أسلم من الزوجين يخضع بعد إسلامه ولو كان قبل الخصومة للمحاكم المدنية وهى لا تطبق عليه إلا أحكام شريعة العقد التى تم الزواج فى ظلها ، وهما مسيحيان .

وفى هذا بداهة مخالفة صريحة لأحكام الإسلام المعروفة فى المذاهب الأربعة .

رابعاً — يريد رجال الطوائف أن تصدر قوانين بهذه الأحكام وتزوج باسم الأمة المصرية وفيها مخالفة صريحة لأحكام الإسلام .

إننا نعتقد أن حكومة الجمهورية المصرية لا تقدم على ذلك ، وأن تنويج الحكم باسم الأمة المصرية يتضمن إقرار الأمة بمشروعية هذه الأحكام ، والأمة المسلمة لا يمكن أن تقر بذلك بحال ، ولا أن تقرره في أى تشريع .

• • •

وبما يجب أن يعلم أننا نحن المسلمين ندعو إلى السلام ، ونود الصفاء بين عصرى الأمة ، ونسعى للوفاق بين الاكثية والاقلية في مختلف الشئون ، إلا ما يختص بالعقيدة والدين . ونحرص كل الحرص على رأب الصدع ولم الشمل ، والإسلام يدعونا إلى كل ذلك ، وإلى إحسان المعاملة مع المواطنين من الكتائين .

وفي ظل هذه التعاليم عاش الجميع في سلام ووثام ، وبما يؤسف له ما نراه من حرص هؤلاء المواطنين على تكبير الصفو ، وإثارة القلق ، واستتارة الشر بالسعى لإقرار مثل هذه المشروعات التى فيها عدوان صريح على أحكام الإسلام .

ومن واجب المسلمين عامة ، والعلماء خاصة ، أن يكشفوا الولاية الامر عما فيها من مخالفة صارخة للإسلام ، وعما ينجم عنها من أخطار وخصام .

وإذا كان لنا رجاء في الكف عن السير في هذه المشروعات وأمثالها في ظروف عادية ، ففي هذه الظروف القاسية التى تقف فيها البلاد موقف الدفاع عن الحوزة ، والمجاربة للجهش الاستعماري يعظم الرجاء ، ويقوى الأمل في وأد هذه المشروعات المفرقة للجماعة ، والناطقة لروح الفتنة بين عناصر الأمة .

ونسأل الله التوفيق والسداد

مصطفى محمد مخلوف

المفتى السابق ورئيس لجنة الفتوى

لوحة

لهبني على ورق الشباب وغمصونه الخضر الرطاب
ذهب الشباب، وبان عني غير منتظر الإياب
فلا بكن على الشباب ب وطيب أيام التصاب
ولا بكن من البلى ولا بكن من الخضاب
إني لأمل أن أخلد والنية في طلابي !

* * *

من قائل هذه الأبيات ؟ ...

إنها لأبي العتاهية ، وهو الشاعر العبّاسي المعروف : أبو إسحاق إسماعيل بن القاسم ابن سويد ، كان مولى لعنزة ، وكان جرارا ، وقد رماه الكثيرون بالزندقة والبخل والشكف ، وكان أبو العتاهية لطيف المعاني سهل الالفاظ كثير الافنان قليل الشكف ، كثير القول في الحكم والأمثال والزهد . وكثير من الباحثين يعدونه من رجال التصوف ، لما يتميز به شعره من سمات صوفية ، وله أرجوزة مزودة طويلة تسمى : « ذات الأمثال » وهي من بدائع أبي العتاهية ، وقد جمع فيها بين الحكمة والزهد حتى صارت دستوراً للأخلاق ، وقد أعجب بها الجاحظ كثيراً ، وأثنى على قوله فيها :

يا للشباب المرح التصابي روائح الجنة في الشباب

ومنها ذلك البيت المشهور :

إن الشباب والفراغ والجدة مفسدة للبر أي مفسدة !

ويقال إن المهدي والرشد حبسوا لبعض أشعار قالها ، ثم تشفع إليهما مرة بعد أخرى حتى أطلقا سراحه . وتوفي أبو العتاهية سنة خمس ومائتين ، وقيل سنة إحدى عشرة ومائتين .

وفي أي مناسبة قيلت هذه الأبيات ؟ ...

حدث أبو بكر عن شيخ له من أهل الكوفة قال :

دخلت مسجد المدينة ببغداد بعد أن بويح الأمين محمد بسنة ، فإذا شيخ عليه جماعة وهو ينشد :

لحنى على ورق الشباب (الآيات)

قال : لجعل ينشدهما وإن دموعه لتسيل على خديه ، فلما رأيت ذلك لم أصبر أن مات فكتبتها ، وسألت عن الشيخ فقيل لى : هو أبو العتاهية ...

* * *

والممن النظر فى هذه الآيات يشهد فيها دلائل حيرة قلبية اصطلى فيها صاحبها بنيران مضرة تأتبه عن يمين وشمال ، فهو أولاً يتلطف على الشباب وأوراقه وغصونه ، ويتحدث عن ذهابه بغير عودة ، ورحيله بدون أوبة ، ثم نزاه ثانياً يبكى على أيام الشباب وعمود التصابي ؛ ونظن نحن بأيام التصابي هذه مختلف الظنون ، وإذا بنا لجأه نرى الشاعر ينتقل إلى البكاء من البلى والبكاء من الخصب ، ثم ينتقل مرة أخرى إلى الحديث عن الأمل فى الخلود ، وخيبة الظن فى هذا الأمل ، لأن المنية من وراء صاحبه تلاحقه ولن تفلته ...

ولقد كانت هذه الحيرة الظاهرية وذلك التردد البادى فى الحديث مدعاةً لصاحب التصوف الإسلامى ، إلى أن يسمى الظن فيها بأبى العتاهية ، فيقول بعد أن يورد تلك الآيات ومناسبتها :

« فهذه الحسرة على الشباب وأيام التصابي تصوره رجلاً مغلوباً على الذات ، وتطمئن فى صحة زهده ، ولو كان زهده عن إخلاص مطلق لرمى بذكرىات الشباب حيث رمتها الأيام .

ولسنا نقول بأن الزهد يقضى على جميع العصبوات القلبية ، وأن بكاء الشباب لا يمر بقلب رجل زاهد ، وأن الحسرة على أيام التصابي لا تكون إلا من رجل مزعزع اليقين ، لا ، ولكننا نتخذ من ذلك شاهداً على أن الرجل ظل يعيش إلى آخرىات أيامه بقلب مفتون بأيام الصبوة والفنك ، وإن كان شمره فى الزهد ملاً الدنيا وغزا صوامع الرهبان . .

والخير فيما نرى هو أن نخفف من حدة هذا المبحوم على أبي العتاهية ، بسبب هذه الايات الرقيقة الدقيقة ، فليس فيها ولا في مناسبتها وظروفها ما يوحى إلينا بقطع الرأى في ذلك الافتتان وتلك الصبوة ؛ فأبو العتاهية قد قال الايات في المسجد ، ولو كان يراد بها ما فهمه مهاجموه لما اتخذ لها المسجد موطناً للإشاد ، ولقد كان ينشدها ودموعه تسيل على خديه كما تقول الرواية ، فلم يكن هناك إذن حنين إلى الفتك أو شوق إلى التصابي ، أو انقهار أمام الذات ، بل كان هناك بكاء وحزن ، وتفجع ودموع ، وخشية وإنابة ، فكيف تتخذها معتمداً للطعن في زهده ؟ ...

ولقد قالها أبو العتاهية — فيما نفهم من حوادث الايام — وهو كبير طاعن في السن ، وهذه السن ليست سن الاندفاع إلى المآرب ، أو التعلق بالاهواء ، أو الخضوع للشهوات ، وإنما هي سن التوبة والمآب ، والاستقامة على طريق الصواب ... ولو فرضنا أنه كانت فيه همة لمجاربة التصابي لازالها توالى الايام والأعوام ... ولو جارينا القائلين بأن هذه الايات ذات صلة بالتصابي لكان جوابنا أن هذا التصابي قد جرى على طريقة المتصوفين المتواجدين لا على طريقة اللاهين المابئين . وأهل الوجد من الصوفية يستخدمون في تعبيرهم عن أشواقهم الروحية ، ولواعجهم النفسية ، وأزمانهم القلبية العالية ، تشبيهات وتعبيرات ، وصوراً بيانية حسية ؛ وكل يغنى على إيلاء ... !

ولكن يظهر أن أبا العتاهية كان رجلاً مبتلى بافتراء الناس عليه من كل ناحية ، إذ لم يكتفوا بذكر ما فيه ، بل أضافوا إليه أشياء وأشياء ، فافتروا عليه مثلاً أنه نبطي وليس بعربي ، مع أنه عربي صريح ، لجده كيسان كان من أهل عين التمر ، وهي بلدة قريبة من الأنبار ، وأوسعوا في اتهامه بالبخل والشح ، ونقلوا في ذلك أخباراً منها ما يصح ومنها ما لا يصح ... وأصغروا به لقب « أبي العتاهية » ، لا لشيء إلا لأن المهدي كما روى قال له : أنت رجل متعذر متعنه ، والرجل المتعذر يقال له عتاهية ، فسا كان منهم إلا أن أطلقوا عليه اللقب ونيزوه به دائماً ، وعيروه ببيع الجرار ، وليس ذلك بمارع مع فرض الإجماع على صحته ، وفوق ذلك فقد قال أبو العتاهية في رد هذا : أما جرار القواي ، وأخي جرار التجارة .

ونعود إلى أبي العتاهية في أبياته التي تصور موقفاً عفيفاً من مواقف الزلزلة الروحية التي تلم بساحة الإنسان حينما يعتبر ويتذكر ، ويمثل له لقاء ربه فيستعظم الصغير من أعماله ، ويستصغر ما قدم من طاعة ، ويخشى أن يصعب عليه الحساب فيفضى به إلى المقاب ، وهناك يدرك أبا العتاهية ما لزم طبعه من الخيرة والاضطراب نتيجة لغلبة السوداء عليه حتى إنه لينقل من أحواله بين الأضداد ، ويبالغ فيما يأتيه أشد المبالغة ؛ ولما لزمنا في هذه الآيات يتحدث أولاً عن ذهاب الشباب ، ثم ينتقل إلى البكاء عليه وعلى أيامه الطيبة ، ثم ينتقل فجأة إلى البكاء من البلى والحضاب ، ثم ينتقل إلى أمل الخلود ، ثم يتذكر أن الموت من ورائه ، فلا أمل ولا لقاء ..

يقول أبو العتاهية :

لمنى على ورق الشباب وغصونه الخضر الرطاب
ذهب الشباب وبان عني غير متظر الإياب

إنه ليعبر تعبيراً قوياً أخاذاً عن اللفظة التي تعنصر فؤاده ، والألم الذي يسحق نفسه ، والحزن الذي يعم ساحته ، أسفاً على ذلك الشباب الذي ذكر ورقه ، والورق من عادته أن يكون أخضر نامياً ناضراً مهتماً ، ومن ورائه الأغصان والفروع والجذوع ، ومن خلف هذه الأشياء كلها الماء الجاري الذي يسبب الحياة ويصنع النماء ؛ فتصور معي الشباب شجرة مورقة قد كللت هامتها هذه الأوراق النامية الخضراء لتشعر بما شعر به أبو العتاهية من لهفة ، ولكنه لم يكتف بورق الشباب ، بل ذكر له غصونه الخضر الرطاب ، وقد تكون الأغصان خضراً ولا تكون رطاباً ، ولكنها حين تكون خضراً رطاباً تكون في غاية نضرتها وشيبتها وفوتها ، ويكون لها بهاؤها ورواؤها ؛ فياله من شباب كان حياً وكان قوياً وكان مؤثراً فعلاً ؛ ولكن هذه الأوراق النامية قد تطايرت ، وهذه القصور قد جفت وبيست ، ولعلها أيضاً قد تكسرت وتحطمت ؛ ولم لا وقد ذهب الشباب بلا رجعة ، وبان عن صاحبه بلا عودة ؛ ولكل فراق لوعة ، ولكن الفراق الذي تنتظر بعده عودة ولقاء يخف ويهون ، وإن كان شديداً قالى حين ، وأما الفراق الأبدي الذي لا رجاء معه في العودة أو اللقاء فدون ذلك وينفد حلم الحليم ...

ولذلك كان ذهاب الشباب من أقصى ما عاناه أهل الإحساس والشعور ، لأنه يذهب غير منتظر الإياب أو الرجوع ، فهو شديد عسير

وما دام ذهاب الشباب هو أشد ما يلاقيه الأحياء فلا مذمة ولا ملام إذا استباح الحساس الشاعر لنفسه أن تبكى هذا الشباب .

فلا بكين على الشباب وطيب أيام التصابي

ولا بكين من البلى ولا بكين من الخضاب

نعم فلا بكين على الشباب الحلو الجليل ، ولا بكين على تلك الأيام الخوالي التي كان فيها العزم موفورا والعمل ميسورا والفضل كثيرا ؛ ولكن النفس الأمارة بالسوء حدثت صاحبها بالآمانى ، فاستقام حيناً راعوج سيره أحياناً ، وهذا تقريع من أبى العتاهية المزمته لنفسه ، ومن الخير أن لا تذهب بنا الظنون كل مذهب فى شباب الشاعر ، فتصوره ماجنا أو مسرفاً ؛ فقد وصف أيام تصاييه بالطيب والطهر ؛ ومن هنا لا نستطيع أن نضيفه إلى زمرة الآثمين ، ولو فرضنا أن التعبير يحتمل هذا التفسير لجلنا كلام الشاعر على أنه لون من التشديد والتزمته فى وصف النفس بالسوء والتفريط ، مع أنها قد تكون أفضل من غيرها ، ولقد جرى الصالحون من قبل ومن بعد على تحميل النفس ما لم تأت من قبل ، وحللا هذا الاتهام للنفس عند الكثيرين من السابقين واللاحقين ، حتى صار واضحاً أن أمثال هذا الاتهام لا يراد بها مطابقة الواقع ، بل يراد بها إثارة صوامل التبصر والاعتبار .

ولعله مما جاء على هذا النهج قول أبى العتاهية فى موطن آخر :

تعلقت بآمال طوال أى آمال

وأقبلت على الدنيا ملحاً أى إقبال

أيا هذا تجميز لفراق الأمل والمال

فلا بد من الموت على حال من الحال

لئن كان هذا القول من ضروب الاتهام الظاهري الذي أشرنا إليه فهو نخط جميل
وتصوير لطيف ، وإن كان يدل على شيء وقع فهو برهان على شخصية أبي العتاهية التي لا تخشى
الاعتراف بما كان منها ، فكيف بعد هذا يوصف بالتصنع والتكلف والمراعاة ؟؟؟

وها هو ذا في موطن آخر يتاجى ربه مناجاة الخاشع الخائف ، الذي لا يقطع بالرأى
فيما سيفعل به يوم يلتقي مولاه ، فراه يتعلق بعفو الله ، ويشير إلى ما كان منه ، ويتحدث
عن فضل الله الواسع ، وعن ندمه العميق الأسيف على ما بدر منه ، ويشجع فيتحدث
عن ثناء الناس عليه ، ويرى أنه ليس أهلاً له ، وذلك على طريقة الكرام من السلف حين
يمتدحهم الناس فيقولون : اللهم اغفر لنا ما لا يعملون ، واجعلنا خيراً مما يظنون ، ...

يقول أبو العتاهية في آخر شعر نظمته يتاجى ربه :

إلهي لا تعذبني ، فإنني	مقر بالذي قد كان مني
فالي حيلة إلا رجائي	لعفوك إن عفوت وحسن ظني
وكم من زلة لي في الخطايا	وأنت على ذو فضل ومن
إذا فكرت في ندمي عليها	عضضت أنا ملي وقرعت سني
أجن بزهرة الدنيا جنونا	وأقطع طول عمري بالتمني
ولو أني صدقت الزهد عنها	قلبت لأهلاً ظهر المجن
يظن الناس بي خيراً ، وإني	لشر الخلق إن لم تعف عني !

ولا يبيكي أبو العتاهية على الشباب والتصابي الطيب فخب ، بل هو يبكي من البلى
ومن الخضاب . يبكي من الوهن والضعف والحالة السيئة التي صار إليها حين قل مجهوده
وضاقت خطواته ، وحين جاء الخضاب متحدثاً عن مظهر من الحياة ليس وراءه كبير عزم
أو قوة ، وذلك الضعف الذي لا حيلة للإنسان فيه يبعث كرامن الحزن والامس من أعماق
النفس فتدوب حشرات وتذهب أسفاً ...

أين الطاقة الماضية التي كانت واسعة ؟ . وأين العزم الذي كان بالأسس مشبوبا ؟ .
وأين دم الشباب الفوار الدافع إلى الحركة والعمل ؟ . وأين نضرة الحياة التي لا تحتاج
إلى خضاب أو تجميل ؟ ... ١٩ ...

لقد ذهب كل هذا ولن يعود ... ولن يعود ١١ ...

إني لأمل أن أخلد والنية في طلابي

هذا الحنين الطاغى إلى الخلود حلم يراود كل عقل ويختلب كل إنسان ، ولكن أين
السييل إلى هذا الخلود ؟ كل من عليها فإن ، ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ، ١٩ ...

ها هو ذا أبو العتاهية يتمنى أن يمتد به العمر ، وأن يخلد في هذه الحياة ؛ وهو يرجو ذلك
إما استجابة لذلك الدافع المستتر في صدر كل إنسان ، وهو دافع الحرص على البقاء والخلود ،
ولما لأنه يريد أن يستزيد من الخير وأن يتخفف مما لا يرضاه في كتابه غدا ؛ ولكن
كيف الوصول إلى هذا المأمول ؟ ... كيف البقاء والموت من خلف الأحياء يتبعهم في سائر
الأرجاء : « أينما نكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة » ، ١٩ ...

وما دام الموت في الطلب ، وما دام الأجل مطويا خلف ستار الغيب ، فلم يبق
إلا الإسراع والبدار إلى رضا العزيز الغفار ...

أحمد الشرباصي

من علماء الأزهر الشريف

مناهجنا

أرى شعباً تحميه ناشوته فما يجدون من حمل قواما
مدارس لم تبنهم لكسب ولم تبني الحياة ولا النظاما
شوقي

تذوق الأدب

« إن التور ذاته يتلاشى إذا لم يوجد في العالم سوى عميان ! »

بعض متصوفة الغرب

« يجب أن تصبح العين معادلة ومشابهة للشيء المرئي كما يمكن استخدامها في تأمله . ولن ترى عين الشمس دون أن تصير مشابهة لها ، ولن ترى نفس الجليل دون أن تكون جميلة . »
أفلوطين

يتذرع الكثيرون بلفظة « الذوق » عندما يتناولون عملاً أدبياً بالقراءة ، أو يستمعون إليه ويطلب منهم بيان رأيهم فيما يقرءون أو يسمعون ، وقصارى كل حكم تقضى أن يقول بجمال هذا العمل الأدبي أو قبحه ، فيعلن بذلك عن رضاه « المتذوق » عنه أو نفوره منه . وعندئذ يبدأ ظهور الجانبين التقليديين للمشكلة .

أما الجانب الأول فهو : الجمال أو القبح في العمل الفني ؛ وأما الجانب الآخر فهو : رضاه المتذوق أو نفوره .

وهنا تتساءل : هل هناك علاقة بين الرضاء والجمال ، وكذلك بين النفور والقبح ؟

قد يبدو للوهلة الأولى أننا نرضى عن الشيء لأنه جميل ، وأنا نفر منه لأنه قبيح . ولكن ألا يحدث كثيراً أننا نقف أمام الشيء الواحد فيرضى عنه بعضنا ويفر بعض ؟ وعندئذ تتساءل : ترى هل هذا الشيء جميل قبيح في وقت معاً ؟ ولو أننا أجبتنا بالإيجاب لأغضبنا المنطق . فبماذا يجيب الناس على هذا التناقض الواضح ؟ إنهم يحلون الإشكال في كثير من البساطة فيقولون : إنها مسألة ذوق .

وقد شاعت منذ القدم عبارة De gustibus non disputandum أى أنه لا مشاحة في الذوق . وقد عملت هذه العبارة عمل السحر في عقول الناس وعقول كثير من يتعاطون

صناعة النقد ؛ فوجدوا في هذا المبدأ غلصاً من كل إشكال يعرض لهم حول القول بجمال الأشياء أو قبحها ، فيكون تعليلهم لكل حكم نقدي يصدر عنه أن المسألة مسألة ذوق .
ويضيق هذا التعليل عن كل تعليل . ثم إن هذا المبدأ كان من الخطورة بحيث أتاح الفرصة لكل شخص أن يحكم على الأشياء بالجمال أو القبح ، بالنجاح أو الفشل ، سواء أكانت له خبرة كافية بهذه الأشياء أم لم تكن لديه هذه الخبرة . وتأتى الخطورة من أنك لا تستطيع - بحسب هذا المبدأ - أن تناقش هذا الحكم . لماذا ؟ لأنه حكم الذوق ، ولا مشاحة في الذوق .

وأحسبني وأحسب الكثيرين الآن غير راضين عن إطلاق هذه القضية التي تقف في سبيل أى تفهم صادق لمشكلة الجمال بصفة عامة ، وفي الإنتاج الأدبي بصفة خاصة ، كما أن من شأنها أن تشيع لونا من الفوضى في ميدان الأدب . فالمشاحة كل المشاحة في الذوق ، وكل حكم نقدي لابد أن يعمل ، ولا يكفي مطلقاً في هذا التعليل القول برضاء النفس وارتياحها ، أو نفورها وقلقها ، لأنها قد ترناح إلى أشياء لا يرتاح إليها آخرون ، كما قد تنفر من أشياء يقبل عليها غيرها من النفوس .

إن كثيراً من أمواتنا تتدخل في أحكامنا النقدية ، فتبعدنا بذلك عن الاتصال المباشر بالعمل الأدبي وما يمكن أن ينطوى عليه من جمال . وتتشعب هذه الأهواء تشعباً غريباً .
وهي تتضح في موقفنا بصفة عامة من القديم والحديث ، وفي العصبية لبعض الأدباء على بعض ، وفي التأثير بالشخصيات الكبيرة ؛ فتكون آراؤنا وأحكامنا من خلال هذه الشخصيات ، وفي التأثير بمبدأ أخلاق معين ، أو نزعة فكرية خاصة ، أو مبدأ سياسى بذاته ... الخ . فكل هذه العوامل تتدخل في أحكامنا النقدية التي تصدرها على الأعمال الأدبية بمجرد أن نطلع عليها . ومن بين هذه العوامل ومن أقواها أننا اعتدنا أن نتحيز لأنفسنا ؛ فيوم نسبق إلى إصدار حكم من الأحكام نضطر إلى الوقوف بجانبه والدفاع عنه حتى لا يبد ونحن في كثير من هذه الحالات نكون عاطئين ، ولكن تحيزنا لأنفسنا يمنعنا دائماً من الاعتراف بهذا الخطأ والإقلاع عنه .

أما علم النفس فقد أسهم بنصيب موفور في الكشف عن العوامل النفسية التي تتدخل في أحكامنا على الأشياء وتحدد موقفنا منها وقد انتهى هذا العلم - كما هي العادة في كل العلوم -

إلى تصنيف الناس بحسب مواقفهم من العمل الأدبي ، ولكن أغاب هذه الاصناف لا تتصل ولا تحاول أن تتصل اتصالاً مباشراً بعناصر الجمال والقبح في هذا العمل ، بل ترند إلى ذاتها ، إلى الاستجابات الحسية والفسيولوجية التي تأتي صدى لإثارات العمل الأدبي . وبهذه الطريقة يمدنا البحث النفسى بالاصول اللازمة لعملية التفسير التي قلنا من قبل إنها ضرورية ولازمة لكل حكم نقدي بالجمال أو بالقبح .

إن هذا العمل الأدبي يؤثر في وأنا متأثر به . فما هي هذه العناصر المؤثرة ، وما هي هذه الجوانب المتأثرة ؟ ولماذا كانت هذه العناصر على هذا النحو من التآلف والتكوين جميلة ؟ هل هناك مبدأ في الجمال يرتد إليه كل ذوق ؟ .

إن جميع الناس يتفقون على أن التفاحة جميلة ، فلماذا ؟ أيكون ذلك لأن حلاوتها تفوق حلاوة كثير من الأنواع الأخرى ، ولأن رائحتها العطرة تنفذ إلى صميم النفس ؟ إنها لكذلك عند كل الناس . وهي عند البعض منهم أجمل الأنواع لأن شخصاً جديداً إلى نفوسهم هو الذي أهداها إليهم أو قدمها لهم .

بهذا المثال نستطيع أن نلبس أطرافاً من الحقيقة . فهذا البعض الأخير قد حكم بجمال التفاحة لسبب آخر غير التفاحة ذاتها ، وهو سبب لا يدخل عنصراً في تكوين التفاحة ، لا هو يتصل بمحجمها ولا بشكلها ولا بلونها ولا برائحتها أو طعمها ، ولكنه سبب كاف لأن يجعلها محببة لدى الشخص ، فهذا عامل من العوامل الخارجية التي تتدخل في أحكامنا على الأشياء . ولو لم تكن في التفاحة ذاتها عناصر جميلة لكان من الطبيعي جداً أن يختلف الناس وتتنوع بينهم هوة الخلاف حول جمال التفاحة . فالناس يختلفون أذواقهم ، لا بالنسبة للعناصر التي تقع في العمل الأدبي ، ولكن بالنسبة للعوامل الخارجية المختلفة التي تكيف موقف كل منهم . وهذه العوامل الخارجية هي التي ينفأ عنها أكبر اختلاف في الأحكام النقدية ، لأنها ترتبط بظروف حياة كل فرد ارتباطاً من نوع خاص ، ومن هنا أمكننا أن نقول : إن لكل إنسان ذوقه الخاص ، ورحنا ننكر المشاحة في الأذواق .

هذا طرف من الحقيقة .

وطرف آخر نلبسه هو أننا تلقى من العمل الأدبي موضوع الحكم لإثارات كما نلبس

عناصر بذاتها تجعلنا نتخذ موقفا نقديا خاصا . ولا أظن الناس قد أجمعوا على جمال التفاح إلا بعد أن رأوه رأى العين ، وتذوقوه بألسنتهم ، وتشمموه رائحته بأوفهم . فهناك إذن عناصر مثيرة ، وأدوات تستجيب لهذه الإثارة . ترى لو كانت حاسة الشم معطلة لدى أحد من الناس هل كان يحكم بجمال التفاحة كما يحكم سليم الأنف ؟ ولا يمكن أن تكون المسألة مسألة سلامة الحواس أو فسادها لحسب ، لأن التفاحة ذاتها لن تكون جميلة إذا هي كانت فاسدة ، وذلك بالنسبة لسليم الحواس بطبيعة الحال . أما الحواس التي لا تميز فيستوى لديها التفاح والقثاء .

ومعنى كل هذا أنه لا بد لكى تذوق الجمال أن يكون لدينا الاستعداد الكافى لهذا التذوق ؛ فلكى تذوق جمال التفاحة لا بد أن نكون متمتعين بحواس سليمة ، ويومئذ لن يحدث بيننا ذلك الاختلاف الشنيع الذى يأتى نتيجة للأهواء والعوامل الخارجية وفساد الحواس ، وعندئذ نستطيع أن نلعل لكل حكم جمالى نصدره تعليلا مقبولا يستطيع أن يشاركنا فيه أكبر عدد ممكن من المتذوقين ؛ ذلك أننا سندس من أجل هذا التعليل عناصر واقعة محققة فى الشيء موضوع الحكم .

ولكن إذا كانت المسألة فى تذوق التفاحة والحكم عليها مسألة حواس ، فإن تذوق العمل الأدبى والحكم عليه أعرض من ذلك بكثير . صحيح أن هناك عناصر حسية واقعة فى العمل الأدبى ، وأن تأليف هذه العناصر وتركيبها له خطره فى تقرير جمال العمل الأدبى أو قبحه ، ولكن هل ينكر أحد أن فى العمل الأدبى عناصر فكرية وروحية تشارك مشاركة فعالة فى تقرير جمال هذا العمل أو قبحه ؟ إن العمل الفنى نشاط روحى قبل كل شيء . ولا بد إذن - كما نحكم عليه حكما عادلا وصادقا - أن يكون نشاطنا الروحى مدبرا تدريبا يمكننا من تلقى العمل الأدبى ، والتفاعل مع ما فيه من ألوان النشاط الروحى والفكرى . وهذا يحتاج إلى كثير من المزاولة التى يفنر إليها كثيرون عن يتحدثون فى النقد أو يصدرون أحكاما نقدية .

عز الدين اسماعيل

مركز البطل :

عبد الرحمن الغافقي

البطل الشهيد

- ١ -

كان عبد الرحمن الغافقي رحمه الله ، بطلاً وميداً الهمة ، حازم الإدارة ، وكان جديراً بتخليد اسمه ، وترداد ذكره ، لولا أن حافظة التاريخ لا تلي غير أسماء عظيمة ، كتب لأصحابها النصر في النهاية ، ولقد أبدى هذا "بطل العظيم من ضروب الفداية ، وروائع التضحية ما يدهش ويصعب ، إلا أنه كان في المعركة الأخيرة مع بسالة الحارقة قائداً بغير جنود .

وقد نشأ نشأة مباركة ، فصحب كرام الصحابة ، وتلقى الفقه والحديث عن عبد الله بن عمر وغيره ، وفاضت نفسه حماسة للإسلام وشغفاً بانتصاره ، فنزح فيمن نزح إلى الأندلس من البوأسل الكماة مجاهداً في سبيل دينه ، ثم تألق نجمه فيما اشترك فيه من الغزوات والحروب ، فعرف بالشجاعة والمروءة ، واكتسب لإجلال معارفه وأصحابه ، وتقدم الصفوف قائداً ممتازاً ، يرسم الخطط ويدير المعارك .

وكانت الأندلس في عهدها الأول مرتعاً للفن والثورات ، وسرحاً للخلاف القبلي والعنصري ، وقد واهبها بعد موسى بن نصير أناس لم يثبتوا للحوادث ، حتى رأسها الصمغ بن مالك الخولاني فأعاد إليها النظام والاستقرار ، وأبرز مهارته الإدارية ، وكان بطلاً مقداماً ، فرأى أن يستأنف الغزو ، ويرفع راية الجهاد ، وتقدم بجيشه الباسل ، فاق كثيراً من النجاح والتوفيق ، واستعاد أربونة وقرقشونة ومعظم قواعد سبتانيا وحصونها ، وأقام بها حكومة إسلامية ، ثم اتجه إلى أكويتين ، فوجد مقاومة عنيفة ، ولكنه اكتسح العدو اكتساحاً رائعاً ،

وتقدم إلى تولوثة فوقف أمام جيش كثيف ، يفوقه عددا وعددا ، فلم يعبأ به واخترق صفوفه ، وقذف بمنجوده في حرمة حمراء تعج بالدماء ، وشاء الفدر أن يسقط شهيدا في مأزقه الكريه ، فانسحب المسلمون ثانية ، بعد أن فقدوا قائدهم البطل ، وخسروا عددا كبيرا من الجنود .

وكان عبد الرحمن الغافقي أحد جنوده في المعركة ، فأجمع الجيش على اختياره للقيادة ، ورأى من الحكمة أن يرتد إلى الجنوب ، ولكن حزنه الاليم على مصرع قائده ، واستشهاد زملائه ، جعله يفسر جديا في الانتقام لمصارع الأبطال ، واستئناف الغزو والهجوم .

ولم يرض الوالي الإفريقي عن اختيار الغافقي للقيادة ، وكانت الأندلس تابعة له في تعيين الولاة ، فبعث بغيره مكانه ، إلا أن القلق والاضطراب في مدى خمسة أعوام متتابعة قد أجبره على تعيين عبد الرحمن مرة ثانية ، فعاد الأسد إلى عرينه ، يتقدم الصفوف ، ويجهز الكنتائب للنضال .

بدأ عبد الرحمن بإصلاح داخلي يقوم على العدالة والمساواة ، فعدل نظام الضرائب ، وعزل من العمال من حامت حوله الریب والظنون ، وأظهر تسامح الإسلام في معاملة النصراري واليهود ، فاهبت الالسنة بالثناء عليه ، وفرح الأندلسيون بولايته فرحا رائدا ، ولم يكن ليحاي أحد في سبيل الحق والعدالة ، بل إن أخلاق الإسلام قد سرت في عروقه ، واختلطت بدمائه ، فألمعت سبيل الرشاد ، وقد غزا غزوة عاجلة ، فغتم أسلابا وفيرة ، وكان فيما أصابه عمود صغير من الذهب المرصع بالدر والياقوت ، فأمر به فكسرت ثم أخرج الخنس كما أمر الله ، وقسم الباقي على من معه من الجنود ، فغضب والى إفريقية غضبا شديدا ، إذ كان يود أن يتقدم به إليه بجمالة ، فكتب يتوعده في لهجة قاسية ، فرد عبد الرحمن يقول : « إن السموات والأرض لو كانتا رتقا لجعل الله للبتين مخرجا منها ١١ » ، وذلك يذل دلالة ساطعة على إيمان القائد وورعه ، وتخلقه بالحلال الإسلامية واضحة شفاقة ، فهو لا يعبأ بكبير في الحق ، ولا يدخر لنفسه شيئا دون جنوده ، وبهذه الشبائل العالية نال ثواب الله ، واحتل شغاف القلوب .

وكان هذا البطل الباسل يوم عزموا أكيدا على تحقيق أمنية موسى بن نصير في الفتح الإسلامي ، فهو يريد أن يوغل في أرض الإفريقج حاملا مدينة الإسلام وحضارته

إلى شعوب غارقة في الظلام والضلال، ثم يحطف إلى الشرق فينفذ من القسطنطينية إلى دمشق وبذلك يعم الإسلام القارة الأوروبية، وينتشل شعوبها من الظلمات إلى النور، هذا إلى أن مصرع السمح بن مالك ورفقائه، كان يذكي في صدره نار الحية، فهو يود - وقد شاهد المأساة - أن يؤدب هؤلاء الذين ظنوا الظنون الوخيمة بقوة الإسلام، فأشاعوا الشائعات المسمومة حول شجاعة أبطاله، ومقدرة قواده، ومن ثم أخذ يدرّب الجيوش، ويحشد الذخائر، ويضع كل جندي في موضعه اللائق بكفأته، ولم تثنه أعباءه الإدارية عن إعداد الجيش، وإذكاء الحية في نفوس تتطلع إلى النصر أو الاستشهاد، كما انتخب فرقاً مختلفة من البربر وعهد بقيادتها إلى أبطال من العرب، فأحسنوا تدريبها الحربي، وأضافوا إلى الجيش الإسلامي قوة عظيمة، وقد خلع الغافقي بعمله هذا على البربر مكرمة خالدة !! فشمروا أنهم لا يقلون عن العرب كفأة وموهبة، وإن كانت روح الإسلام لم تهيم على مشاعرهم هيمنة تامة عاجلة، فقصوا - بعد - أمداً كبيراً في التوجيه والاستعداد.

وقد رأى عبد الرحمن أن يطهر الجبهة الداخلية، قبل أن يشتبك مع أعداء الإسلام في موقف حاسم، فبعث بكتيبة من جنوده إلى عثمان بن أبي نسة، وكان من قبل والياً بربرياً على الأندلس، فعزل عنها، وعين حاكماً لولايات البرينيه، فاضطرم حسداً وحقداً على الغافقي، وتعاهد مع أعداء الإسلام على مقاتلته، بل إنه تزوج ابنة دوق (أوكتين) ليضمن مساعدته في قتال عبد الرحمن، وكان هذا الدوق بين نارين، فهو يخشى من الجيوش الإسلامية التي أصبحت على مقربة منه، تهدد مقاطعته، وتدمر حصونه، كما يخشى جيوش الإفرنج من الشمال، وقد بعث (شارل مارتل) بطلائعها الزاحفة لمناوشته، وإسقاط معاقله، فاضطر اضطراراً مجازفاً إلى معاهدة ابن أبي نسة، ومصاهرته أيضاً، وطار الخبر إلى عبد الرحمن فأرسل إلى والي الخاتن جيشاً بقيادة أحد المهرة من جنوده، لحاصره وقتله جزاء مروه وخيائنه.

عباً الغافقي جنوده واستأنف الغزو طبقاً لمشروعه الضخم الذي رصد حياته لتنفيذه، فاكتمل المدن الواقعة على نهر الرون، ثم هجم على ولاية (أوكتين) وحالفه النصر فزق جيوشها، وطارد فلولها، وسقطت في يده، وتابع زحفه متصمراً في جميع خطواته، حتى افتتح نصف فرنسا الجنوبي من الشرق إلى الغرب في بضعة أشهر! وأصبحت العاصمة

الفرنسية مهددة بالسقوط ، وقد التهب جنوده حماسة وحية ، وزادهم إقداما ما يتوجون به في كل معركة من النصر الباهر والفتح العظيم ١١ .

انزعجت أوروبا انزعاجا صارخا لتقدم الجيوش الإسلامية ، وفزع زعماء المسيحية ، فأرسلوا صيحاتهم الصليبية في آفاق أوروبا ، وبذلوا أنصى ما يقدرون عليه في إشعال الكراهية للإسلام ، وتأريث العداوة لرجالهم ، وكان ملك الفرنجة ضعيفا عاجزا يتولى حاجب قصره (شارل مارتل) قيادة أموره فتجمع حوله الصليبيون ، وقدموه قائدا للكفاح النصراني ، وكان ذا أطماع واسعة يهدف إليها من وراء قيادته ، فشد جيشا ضخما يؤلف العصابات الجرمانية ، والعشائر المتوحشة ، ويجمع طوفانا مرعبا من الآدميين المتوحشين ، وقد خرجوا حفاة عراة يتشحون بجلود الذئاب والثور ، ويرسلون ضفائرهم الممتدة فوق ظهورهم ، فيرمعون للوحشية البدائية صورا مزعجة حراء ، وضافت مجموعهم المكشوفة سهول فرنسا ، فتدافعوا على ضفاف اللوار متزاحين ١١

محمد رجب البيومي

« يتبع »

للدوس بوزارة التربية والتعليم

الأمومة والابوة

قال برنارد شو :

لست معلما للأمهات ، ولست مدربا للأطفال . ولكنني أحقر المرأة إذا تزوجت ولم تقيم بواجبها كام وزوجة في آن معا .

وأما الرجال إذا تزوجوا ورزقوا أبناء وجعلوا حياة أبنائهم كالجحيم .

إن من لا يستطيع القيام بحق الابوة والأمومة ، ينبغي له أن لا يكون أباً أو أما .

أخلاقنا في الريف

تجاوبت دعوات المصلحين في كل ناحية من نواحي المجتمع ، ولمست أيديهم كل شأن من شؤوننا القومية ... وكان للدعوة الإصلاحية جولات فسيحة في حياة الريف ، ونظرات وثابة نحو الأخلاق في البيئات القروية . وقد عشنا نرى ونسمع ما يجري بيننا في الريف من آثار الخلق ، ونسمع ونقرأ ما يبدو من ذوى الفكر ، وأصحاب الأقلام ، وأهل الجد ، من محاولات مشكورة لإصلاح الوسط الريفي ، وتهذيب أخلاقه ، والسير به إلى الوجهة التي يلتقي فيها مع الاوساط الأكثر منه إدراكا للحياة ، وفهما للحضارة ، ومعرفة بالمكارم الخلقية .

ولكننا - مع الأسف - ما زلنا نجد الريف على قديم عهده من الناحية الخلقية ، وإذا كان جائزاً في عرف الزمن الماضي أن تقف مصلحة المستعمر ويقظته عقبة في سبيل الإصلاح الشامل ، وأن يعزل الريف عن مجارة الحياة في أفقها الواسع ، فخلق بنا بعد أن هيا الله لمصر وثبة مرموقة أنت تتطلع إلى يد الإصلاح توالى نشاطها في استئصال ما بالريف من أدواء عضال .

فليس الريف مجرد حقول زراعي كما يخال أناس ، بل هو حقول آدمي للبيئة الأولى ، وللكثرة الساحقة من سواد الشعب .

وترك على قديمه يعتبر تركاً للأكثرية التي يتألف منها عداد الأمة .

وإذا كان الجهل في الريف هو الميراثية الأولى ، أو هو الداء العياء ، أو هو الحاجز الكشيف الذي انكشف الريف ووراه ، فقد انبثق للعلم في ثيايا القرى نور لم يكن معهوداً لها قديماً ، وبه أصبح الأمل في العلاج أقوى إذا اقترنت الوثبة الإصلاحية بروح دينية ، وعناية بالثقافة الإسلامية ، ولم يقف نشاط التعليم عند الجانب المادي الذي لا يمتن بتربية الروح كثيراً ، ولا يكفي لإنعاج الخلق الإسلامي ، فضلاً عن أن التعليم المادي في ظروفنا هذه تتنازع شطحات أخرى للشباب المدوس نرجو أن يبرأ منها قريباً .

وما أحسب عيوب الريف في أخلاقه بحاجة إلى إيضاح ، فأكثرنا عارف بما هناك من تحاسد وأحقاد متغلغلة في أبناء القرية ، تراها كامنة في الصدور ، ويثيرها تفاوت بطراً في الرزق ، أو توفيق لبعضهم في ناحية من نواحي الحظ .

وهناك رغبة ملحة في تتبع العورات ، وإفشائها ، وهناك شماتة فيمن يصيبه إخفاق في مقصد من مقاصده . وهناك نزوع إلى الغمز في الشخصيات ، والغضب من أقدار الناس .

وهناك أنانية تدفعهم كثيراً إلى الخصومات ، بل تدفعهم إلى التهافت على الباطل وهم يعلمونه باطلاً ، ولكنهم يارعون في الضلال والمحاولات الوضيعة لكسب الدعاوى المكذوبة .

وهناك إسفاف في استغلال أقويائهم لضعفائهم ، واستغلال أغنيائهم لفقرائهم ، مع الشح المقنوت الذي يكاد يكون طابعاً معترفاً به بين أهل اليسار والإعسار ، ولو كانوا ذوي قرى ، أو في الصف الأول من أولى الأرحام .

وما أحب أن أشق على القارئ في استيعاب ما في الريف من مأخذ ، فذلك غاية يندفع إليها مونتور ، أو حائق على البيئة المصرية ، أو غير حريص على الوفاء بحق بلده وعشيرته . وبين أهل الريف الذين تتحدث عنهم فئة ضخمة العدد من رجال التعليم : هم يعرفون أن الأمل كان عالقاً بهم أن يفيدوا في جانب الإرشاد ، وأن صلتهم بأهلهم وقومهم في المجالس ، وفي المصليات والمساجد ، ستكشف لهم عن كل مخبوء ، وتتيح لهم أن يتضافروا في التوجيه .

ومن أجل ذلك وثق لهم أن يكونوا بمدارس قراهم ، وألا يرحزحوا عن مساقط رؤوسهم .

ومن أجل ذلك أيضاً سمعوا يوماً أنهم ورثة الانبياء . وذلك استنهاض كان يكفي لإيذائهم من النشاط الأدبي ما فرض فيهم قديماً .

ولكن القرية جذبتهم إلى تقاليدها ، ولم يجتذبوها إلى ناحية معرفتهم وهدايتهم ، وتمنعهم الأمل فيهم عن أبواق للمهارة في جانب حزب دون حزب ، أو متابعة وجيه دون وجيه .

وفيما عدا ذلك وقفوا عند غاياتهم الشخصية : ففريق ينزع إلى المقاهي الريفية ، وتخير

الطرق الحافلة بالمارة ، والتندر بالفكاهات ولو غير مستساغة ، وفريق مكدود في تربية الماشية ، وتكوين الملكية ، وإفساح الزراعة ، واكتناز النقود عن كل واجب ، ولو كان واجب أم محرومة ، أو أخت بائسة .

وأصبح الصالح بالعمل في أضيق حدوده بصغار التلاميذ ، دون أن تكون لهم صلة تهذيبية بالآوساط التي جرى بهم إلى مقرها لتبليغ الرسالة التي وصفوا كذبا بأنهم ورثة الأنبياء فيها .

ثم هم اليوم ، وبعد أن استكانوا إلى ذلك الوضع ، في عداد أهل الريف الذين نرى لحالم ، ونشدد النظر إليهم ، وندعو إلى إصلاح شأنهم .

وسنعود إلى الحديث .

عبدالحق إمام موسى

للمدرس بمدرسة سبك الضحاك الأميرية

تزكية سليبية

كان شوبنهاور الحكيم الألماني يحسن الفكاهة ، على كونه إماماً للفلاسفة المتشائمين في العالم .

وكان في شبابه قد لبى اقتراح جامعة كوينهاجن فكتب رسالة في (أصول الأخلاق) وعرضها على مجلس الأساتذة مع المعارضين فلم تظفر بالجائز ، وظفرت بها رسالة أخرى لا يقرأها الآن أحد ، ولا تذكر إلى جانب الرسالة التي كتبها شوبنهاور في شبابه وظلت إلى الآن مرجعا في فلسفة الأخلاق وأصول الاجتماع .

ومن ذلك الحين يتكرر طبع رسالة شوبنهاور ، وعلى الصفحة الأولى منها ، بالخط العريض : « لم تقبلها جامعة كوينهاجن » .

... كأنما هذا الرفض من تلك الجامعة اعتبره شوبنهاور تزكية لكتابه ، وتقریظاً يستحق الإعلان والتشويه .



توجيه الشباب

تعرف الأفلام في بعض الأيدي فتجه عن قصد أو عن غير قصد نحو دعوة الشباب إلى التخلل ، وإغوائهم بمسيرة العواطف الجفسية ، ويلقونهم التملل عن أنفسهم بأن عاطفة الشباب أغلب عليه من كل اعتبار آخر ، وأن تقاليد مجتمعتنا قاسية على الشاب : إذ لا تقسح لهم المجال في استيفاء رغباتهم ، ولا تقدر الظروف المحدقة بهم الخ .

وأولئك يرون حتما أن تلين التقاليد ، فلا تكبت العاطفة في نفس صاحبها ، ولا تنكر على الرجل أن يعانق أو يقبل من تعلق بها رغبته ، وأينا كان .

وقد كنا نربأ بتلك الأفلام الكريمة أن تتورط في هذه الفتنة ، ونذخرها للتوجيه الصالح وللإزارة في السمو بالجيل الجديد عن التدهور ، واقتلاع الرذيلة من صفوفه ، وتربية الحياة في وجهه ، وتركيز الخلق الرفيع في نفسه ، حتى يكون من الشباب جيل جديد ترجبه الأمة في نهضتها الفتية ، وتحرص اليوم على حسن إعداده ، وتأمل أن تبنى على سواعده وفي ضوء فنوته مجدها الذي تداركته قبيل انهياره : لا ذلك الشباب الرخو الذي طاول قديماً أبواق الفساد والتضليل ، وشب على غير تقاليدنا ، حتى كاد ينصرف عن رجولته ، ويجهل قوميته ويتنكر لدينه ، ولوطنه ، وليشته .

كنا نربأ بتلك الأفلام الكريمة أن تسخر نفسها لهذه النغمة المشثومة ، ثم تكلف الدفاع عن موقفها بأنها تحاول الإصلاح الخلق ، وأنها تحافظ على الشبيبة إبان نشأتها ، ونحو عليها بين الدوافع القاهرة والضرورات الحاضرة بينها وبين الحياة الزوجية .

وأنها في سبيل ذلك تواجه الواقع بشجاعة ، فهي تقدر للشباب عذره ، وتخلق له متنفساً في جوانب الحياة المغلفة .

ذلك المتنفس : هو ما دعا إليه طيب أديب فاضل ، حينما كان يصطاف في سويسرا ، ورأى هناك ما رأى من عرى فتن ، ولكن بمدائمة النظر لم يعد يتأثر بذلك الجمال - كذا

يقول ١- فهو ينشد الإباحية في مصر آمنا خطرنا ، وزاعما أنها تدفع خطرا أشد ، وهو الطبيب
الأديب الذي يذكر قول الشاعر :

إذا استشفيت من داء بداء فأقتل ما أعطتك ما شفاكا

وأحسبه يذكر أن وعيه الباطن قد احتفظ بذكريات هذا الجمال ، وأنه وإن غاب عن
عينه وذمته فهو كين في وعيه ، وكأن دعوته إلى التوسع في الحرية الشخصية صدى لما
يهتف به وعيه ، ولا يلبث أن يستفزه الشجن إذا حاجته الذكريات .

دعانا الطبيب الفاضل إلى التجاوز عن القبلية والعناق من أى شاب ولاية امرأة ، ونحن نؤمن
بأنه لا يستسيغ ذلك لنفسه ولا في المحيط الذي ينتمى إليه ، فكيف يجهر بالناس أن يعملوا به ؟
ذلك المتنفس : هو الذي ألح في الدعوة إليه كاتب جليل يطلب إعادة البغاء الرسمى

كما كان ، وتتسع بعض المجلات لتكرار هذه الدعوة ناسية وناسيا معها ذلك الكاتب الأديب
أنها وصمة من وصمات الاحتلال يوم كانت يده الفاشية تدفع بمصر إلى الوراء ، وتغمرها
بأنواع من اللغو لا تبقى بها على وطن ولا أمة ، ولا دين ولا خلق .

يزعم كاتبنا الجليل أن إعادة البغاء وقاية للشباب من خطر أخش ، ودرء لثورة العاطفة
الجنسية أن يستفحل عدوانها ، وهل كانت العاطفة أو ثورة الشباب مكفوفة يوم كان البغاء
قائما ؟ ولم كانت الأمة تجأ بالشكوى من تغلغل العدوى الجنسية في غير بيوت الدعارة ؟
وهل كان البغاء إلا تسجيلا للوصمة المخزية التي دمغنا بها الاحتلال ؟ .

أرجح أن هذه النغمة التي يتناولها من تناولها من قبيل زلات الرأي ، وعثرات الأقلام .
وكتابتنا الأفاضل يعلمون أن في تاريخ الجماعات ما يغنى عن التجارب ، وأن الفوضى الجنسية
باسم التنفيس عن العاطفة كم كانت معول هدم لنظام المجتمع وسبب انتكاس لراية الدولة ،
لذلك أجمعت الشرائع السارية على حظر هذا التنفيس الذي يدعون إليه ، ولم تعتبره مطلقا
من المحفوات التي يحسن في شأنها التسامح . ومن لم يؤمن بالشرائع فلنذكر ما تحدث به إلى
العالم كله حاكم فرنسا - بيتان - يوم سقطت رايتها في الحرب العالمية الأخيرة ، فقد سجل
على دولته في ماض ولوعة أن سبب نكبتها لم يكن إلا من متابعتها للذات والشهوات ،
والسير في مساقط الحرية الجنسية الخ .

فما بال إخواننا ينسون هذا ، وينسون أن لنا ديناً وتقاليد تأتي علينا هذا الانحراف ؟
خلق بهم أن يعالجوا المسألة من طريقها المشروعة ، فيطلبوا تحديد المهور بأيسر
ما يسمى صداقاً ، ويلتزم الشباب القادر أن يتأهل ويبنى أسرة ، بدلاً من التهرب وإيثار
العزوبة ، والتطلع هنا وهناك .

ويطلبوا كف المرأة عن الإسراف في مظهرها الذي زعزع كثيراً من ثقة الرجل فيها ،
وحمل أغلب الشباب على التخوف ، وقياس من لم يعرفها على من عرفها ، فركن إلى الوحدة ،
وحفلت بيوت الأسر بالعوانس من الفتيات الصالحات للزيجة المنيرة .

ذلك هو الطريق فاسلكوه ، ودعونا من همزات الشياطين ؟

هـب اللطيف السبكي
عضو جماعة كبار العلماء

الخـير

في الحديث النبوي

- خير الناس من طال عمره وحسن عمله .
- خير الناس أنفهم للناس .
- خير النكاح أيسره .
- خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه .
- خير ما أعطى الناس خلق حسن .
- خيركم خيركم لاهله ، وأنا خيركم لاهلي .
- خير الكسب كسب يد العامل إذا فصح .
- خياركم أحسنكم قضاء للدين .

المثالية الواقعية

في الفكرة الدينية

أولا — العقيدة :

عقيدة الإسلام بسيطة مفهومة ، يستطيع الفيلسوف أن يفهم في أحماقها فيجد نشوة ، ويستطيع العاى أن يهضمها في مجملها فيستريح .

ومن بساطتها أنها مرتكزة على التوحيد الخالص ، والواحد الصحيح يفهمه الخاص والعام ، دون التواء أو تعقيد .

فليس فيها الثلاثة الذين أصلهم واحد ، ولا الواحد الذى يتمثل فى ثلاثة ، إلى غير ذلك من التعقيدات ، التى تحتاج لتبسيطها إلى التطرق إلى الرموز والاقانيم ، وهذه أمور أكثر تعقيداً .

ومن بساطة التوحيد الإسلامى أنه يرتكز إلى صيغة : لا إله إلا الله ، وهى تنفى الألوهية عن كل أحد حين تثبتها لله ، ومن ثم يكون فى هذا كل نفي لآى شرك ضمتنا ، ودون حاجة إلى عبارة جديدة .

ومن بساطة التوحيد الإسلامى أنه يتعرض لوصف ذات الله بطريق نفي المماثلة عنها ، دون أن يلجأ إلى التفصيل فى وصفها مباشرة ، ليس كمثل شئ . ، ولذلك قالوا : كل ما خطر ببالك فاقه بخلاف ذلك . ، وهذا المسلك تهضمه كل العقول ، إذ ليس فى طاقة الآلة الإنسانية أن تحيط بهذه القوة الإلهية ، ومن ثم فكل ما يعرض لها من وصف لذات الله فستحمله محملاً يطابق ما يراه الإنسان وما يألفه فى هذه الحياة ... ولذلك جاء وصف ذات الله بتلك الطريقة السلبية ، وهذا الوصف يرضى العقل ، لأنه من المنطق أن يكون الخالق بخلاف المخلوقين ، من حيث ذاته ومن حيث إدراك هذه الذات ، لا تدركه الأبصار

وهو يدرك الأبصار . . وفي الوقت ذاته لا يورط ذاك الوصف الإنسان في تفصيلات هذه الموازنة بين الخالق والمخلوق حتى لا يزل ولا يضل .

ولو راجعت ما ورد عن الإسراء ، وما ورد عن المعراج ، من نصوص قرآنية ونبوية لوجدت مصداق هذه الحقيقة ... فأنت تشاهد في نصوص الإسراء تفصيلاً وتعيداً ، لأن الإسراء رحلة أرضية في طوق العقول أن تتبج مشاهدتها ، لكن المعراج لقاء رباني ليس في طوق الإنسان أن يدرك حقيقته ، لذلك جاءت الإشارات الربانية والإيقاعات القرآنية في شأنه سرية خاطفة ، ما زاع البصر ، وما طغى . لقد رأى من آيات ربه الكبرى ، .

ومن بساطة التوحيد الإسلامي أنه قرر فكرة الجزاء في عقيدته ، فإن الإنسان بحكم تكوينه مخلوق لا يقوم بذاته ، وهو محتاج إلى الفضل ويسوءه الأذى ، ومن ثم كانت مخاطبته بالثواب والعقاب مسيرة لفطرته ، متمشية مع طبيعته ، لذلك فصلت الآيات والاحاديث القول في وصف الجنة بنعيمها ومتاعها ، وفي وصف النار بجحيمها وعذابها . وتعرض هذا الوصف للنعيم الحسى والعذاب الحسى لمن لا يزنون الأمور إلا بموازين الحس الغليظ ... كما تعرض للنعيم النفسى ، والعذاب النفسى ، لمن يشدون الراحة المعنوية ، ويهربون من جحيم الروح ، فأنت تقرأ في الناحية الأولى : لا يمسنا فيها نصب ، ولا يمسنا فيها لغوب ، . . . ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين . . . وتقرأ عن التمتع بالنظر إلى وجه الله الكريم .

بينما تقرأ في الناحية الثانية صور القلق النفسى ، والاضطراب الروحى ، إذ تقرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وقطعت بهم الأسباب . وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبراؤا منا ، كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم ، وما هم بخارجين من النار ، . . وقالوا ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الأشرار . اتخذناهم سخرياً أم زاغتم الأبصار . إن ذلك لحق تخاصم أهل النار ، .

ومن بساطة التوحيد الإسلامى أنه غذى في النفس البشرية نوازح الرغبة والرهبة ، فله سبحانه تعالى أسماء الجلال والجلال ، فهو الغفور الودود الشكور ، وهو العزيز الجبار المتكبر . وهناك جنة التى أعدّها للبتغين ، كما أن هناك النار التى توعدها العصاة .

وهناك الملائكة النورانيون الذين ترى فيهم رمز الخير والطاعة ، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، ، وهناك الشياطين المردة الذين يتمثل فيهم الكفر والمروق والعصيان ، والإنسان يجرى منه الشيطان بجرى الدم . كما أن الملائكة تحوطه وترعاه .

* * *

هذه العقيدة في بساطتها منالية ، تقدم للإنسان فكرة كلية عن الكون والحياة ، وترضى فيه الإيمان بالغيب ، والتطلع لغير المحسوس ، وأفغى أشواق الروح وفطرة الخلق في التطلع للخالق .

وهي عقيدة واقعية من حيث بساطتها وقبيل الناس لها كما أسلفنا ، وهي واقعية من حيث آثارها الاجتماعية التي لا تنأى إلا بها ، والتي تجعل منها حاجة حتمية للجماعات الإنسانية .

فالإنسان لا يتحقق توازنه النفس والعقل إلا بأن يعرف مركزه في هذا الكون ، هل هو القوة الأولى التي تحكم في كل شيء فيطغى ويطيش ، أم هو عبد الطبيعة ، وریشه في مهب الريح فيضعف ويستخذى ؟؟؟

إن العقيدة الربانية تجعل هذا الكون الذي خلقه الله مسخراً بأمره لعباده من بنى آدم الذين كرمهم وفضاهم تفضيلاً ، ومن هنا يأمن صاحب العقيدة شر المعجز الكسير ، وشر القوة المغرورة سواء بسواء ، فهو لا يلتصق بالأرض : ولا يشمخ في السماء ، لا يطغيه الفرح ، ولا تشقيه المصيبة ، إن أصابته السراء شكر فكان خيراً له ، وإن إصابته الضراء صبر فكان خيراً له .

والناس لا يتحقق فيهم التوازن الاجتماعي ، إلا إن استشفروا قوة أكبر من الإنسان ، ومتاعاً أكبر من الحياة الدنيا ، فإن تجاهلوا قوة الله وحساب اليوم الآخر فسيعيشون في حدود أنفسهم ، ومن ثم ستكون النتيجة الحتمية لمن آمن بالإنسان فقط أن يؤمن بنفسه فقط ، لأنه إنسان ، لا يزيد غيره من الناس عنه شيئاً .

وستكون النتيجة الحتمية لمن آمن بالدنيا فقط أن يؤمن بدنياء فقط ، وعليه أن يبرز من هذه الدنيا أكبر قسط عن أى طريق ، ما دامت هي غاية همه ومبلغ عليه .

وهنا تتأصل جذور الانانية الفردية ، والمادية النفعية في المجتمع الإنساني . ولن تستطيع الفلسفة الأخلاقية أن تثمر ثمرتها ، ما دامت هذه الفلسفة تتاجاً إنسانياً من إنسان بمائل ، وليست وحياً من قوة عليا ، فهو يستطيع أن يأخذ من هذه الفلسفة وأن يدع ، وفق مصالحه ورغباته هو وحده ، ولن يستطيع القانون أن يقتلع هذه الجذور الشريرة ، لأنه صناعة إنسانية ، فلماذا يكلف الإنسان نفسه أن يخضع لإنسان ؟؟

وقد تهدد الإنسان بالقوة ، وهنا يكلفه منطق الفردى النفعى أن يوازن بين الأرباح والخسائر ، فإن كان الخروج على سلطان القوة يكلفه أكثر سكن ولكن إلى حين ، وإن كان هذا الخروج أكثر ربحاً وأقل خسارة خرج ينعم في دنياه ، ويحقق منفعة ذاته .

ثم من هذا الذى سيحرس الفضائل الإنسانية عن طريق القوة ؟؟ ومن هذا الذى سيقم القانون بين الناس ؟؟ إنه إنسان مثل الناس ، أنانى مثلهم ، نفعى مثلهم ، يحتاج لغيره أن يهدده بسلطان القانون وسيف القوة .

وهكذا ستحتاج إلى حارس يحرس الحارس من نفسه ، وحارس آخر لحراسة حارس الحارس ، وهكذا سيكون كل الناس في الدنيا حراساً بعضهم على بعض ، ومحروسين من أنفسهم ، ولن نجد أخيراً من يحرس الطبقة العليا من الحراس .

وهبات للمدالة السياسية والاجتماعية والدولية أن تستقر في مجتمع كهذا .

أما تربية النفوس على مراقبة الله واليوم الآخر ، فإنه يجعل كل إنسان يراقب الله في علاقته بالناس ، ويعمل للأخرة في سعيه لدنياه .

ومن ثم يقوم في كل نفس حارس على القيم والمثل والفضائل . حارس من صنع العقيدة فهو أقوى وأكفى من كل حارس ، وهو حارس (مجانى) لا يتكلف أجراً ولا سلاحاً .

أفليست العقيدة إذن (حاجة) واقعية حتمية لكل مجتمع إنسانى ؟؟

محمد فتحي محمد عثمان

مدرس الآداب بالمعاهد الدينية

لغويات

هذا أحمد مدرس النحو

جرى بحث في هذا الأسلوب من الوجهة النحوية . ذلك أن « مدرس النحو » جرى و نفاً للمعرفة ، وهو نكرة ؛ إذ هو وصف أضيف إلى معموله ، فقصره أن يكون وصفاً للنكرة ؛ كما في قوله تعالى في الآية ٩٥ من سورة المائدة : « ومن قتله منكم متعمداً فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة » ، فترى أن « بالغ الكعبة » وقع وصفاً للنكرة مع إضافته إلى معرفة ، ويسمى النحويون هذه الإضافة لفظية ، وهي إنما تفيد التخفيف بترك التنوين لحسب ، والمعروف أن مثل هذا إذا وقع وصفاً للمعرفة يجب قرنه بأداة التعريف ، فيقال في مثالنا : هذا أحمد المدرس النحو . وقد وقف بعض الباحثين عند هذا الحد أخذاً بظاهر هذه القاعدة السابقة . وفي الحق أن لهذه القاعدة تكملة قد تسوغ ما أنكره هذا الباحث ، وتميز المثال الذي صدر به هذا البحث ، وقد أردت أن أبسط الكلام فيه بعض البسط .

يذكر النحويون أن الوصف إذا كان اسم فاعل أو اسم مفعول فإنما تكون إضافته لفظية إذا كان للحال أو الاستقبال . فأما إذا كان للضى فإنما تكون حقيقة . فإذا أضيف إلى معرفة صح أن يوصف به المعرفة . وجاء من ذلك قوله تعالى : « الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلاً أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع » ؛ ألا ترى أن فطر السموات والأرض أى إبداعهما وشقهما قد مضى . وكذلك جعل الملائكة رسلاً إذا فسر ذلك بمخلقهما على هذه الصورة . فأما إذا كان الوصف صفة مشبهة فإنها لا تعرف بالإضافة إلى معرفة بحال .

وقد عرض لهذا سيبويه في الكتاب ١ / ٢١٣ . ويؤخذ منه أن الوصف إذا عرف الموصوف به يقع صفة للمعرفة إذا أضيف للمعرفة ؛ إلا الصفة المشبهة فلا يكون فيها ذلك . وهذا حيث يقول : « وزعم يونس والخليل أن هذه الصفات المضافة إلى المعرفة ، التي صارت

صفة للنكرة قد يجوز فيهن كهن أن يكن معرفة وذلك معروف في كلام العرب . بذلك على ذلك أنه يجوز أن تقول : مررت بعبد الله ضاربك ، فتجعل (ضاربك) بمنزلة صاحبك . وزعم يونس أنه يقول : مررت بزيد مثلك إذا أرادوا : مررت بزيد الذي هو معروف بشبهك ، فتجعل (مثلك) معرفة ، إلا حسن الوجه فإنه بمنزلة رجل ، لا يكون معرفة . يريد سيويه أن الوصف في « مررت بعبد الله ضاربك » معرفة ، إذا كان عبد الله عرف به . وهو إنما يعرف به إذا كان قد ضربه فيما غبر من الزمن . فمن هذا أخذ أتباعه تعرف الوصف بإضافته للمعرفة إذا كان للضمي . وانظر قوله : « إلا حسن الوجه فإنه بمنزلة رجل ، لا يكون معرفة » فهذا يقضى بأن الصفة المشبهة لا تتعرف البتة . وهذا مذهب البصريين ، وعند الكوفيين أن إضافة الوصف إلى المعرفة تكسبه التعريف مطلقا ، وسيمر بك مزيد في هذا .

وجاء في الكتاب العزيز وصف المعرفة بالوصف المضاف إلى معرفة - عدا ما ذكر في سورة فاطر - في موضعين :

الأول : في قوله تعالى في سورة الفاتحة : « مالك يوم الدين » .

والثاني : في قوله تعالى في سورة غافر : « تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب » .

فالاول جاء فيه « مالك يوم الدين » وصفاً للفظ الجلالة . ويخرجه بعضهم على أن الوصف فيه وإن كان للمستقبل نزل منزلة الماضي ، لتحقيق وقوعه ، كما في قوله تعالى : أتى أمر الله ، فهو لهذا معرفة .

فأما الموضع الثاني في سورة غافر فلا يأتي فيه هذا التخريج ؛ فإن غفران الذنوب وقبول التوبة وشدة العقاب ليست في الماضي فقط ، ومن ثم جعل بعض النحويين هذه الأوصاف أبدالا ، وإبدال النكرة من المعرفة سائغ مقبول . وينض من هذا الوجه أن وقوع الوصف بدلا عزيز .

وذهب متأخرون من النحاة - كالغضري - إلى أن الوصف - عدا الصفة المشبهة -

إذا أريد به الاستمرار أو الوقوع في الآزمنة كلها جاز أن يتعرف بالإضافة إلى المعرفة ؛ باعتبار ما فيه من المضي . وعلى ذلك خرج « مالك يوم الدين » ، إذا أريد أن هذا وصف دائم لله سبحانه وتعالى . وكذلك « غافر الذنب » ، و « قابل التوب » . وهؤلاء لما لم يتم هذا في « شديد العقاب » ، إذ كان الوصف فيه صفة مشبهة أولوه بمشد العقاب أى جاعله شديداً ، فكان في معنى اسم الفاعل ، فتعرف من هذا التأويل . وخرج بعضهم من هذا بأنه على حذف أل ، فأصلة الشديد العقاب ، وقد سوغ حذف أداة التعريف الرغبة في التماس مع الوصفين السابقين مع أمن اللبس وظهور المراد .

وقد سلف أن الكوفيين يجعلون إضافة الوصف مطلقاً حقيقية . وفي البحر ٧/٤٤٧ : « وحكى صاحب المتن عن الكوفيين أنهم أجازوا في حسن الوجه وما أشبه أن يكون صفة للمعرفة وقال أبو الحجاج الأعمى : لا يبعد أن يقصد بحسن الوجه التعريف ؛ لأن الإضافة لا تمنع منه انتهى ، وهذا جنوح إلى مذهب الكوفيين ، . وفي هذا سعة أية سعة .

وأعود بعد هذا للنثال المصدر به البحث ، وهو : هذا أحمد مدرس النحو . فإن كان المراد أنه وقع منه ذلك في الزمن الماضي ، وانقطع منه هذا الحدث فلا إشكال فيه ؛ إذ هو معرفة بالإضافة وإن أريد أن هذا وصفه الدائم فلنا أن نذهب مع الزعزعي وأتباعه في النظر إلى جانب الماضي ، فتكون الإضافة أيضاً حقيقية تكسبه التعريف . فأما على مذهب الكوفيين فهو سائغ بمرّة ، لا يحتاج إلى نظر ولا اعتبار .

ومن هذا قولهم : الموضوع سائف الذكر لا يمجنى . وترى أن الوصف فيه للنضى ، فهو جائز عند الجميع .

• • •

بارك الشيخ هذا الامر ، برك عليه ، وبرك فيه

يكثر في هذه الايام أن يقال : بارك الوالد زواج ابته ، وبارك رئيس الدولة الجهود التي تبذل لإصلاح البلد . وظاهر أن المراد الدعاء بالبركة أن يمنحها الله من يدعى له بذلك ، والبركة من الله .

وقد فرقت اللغة بين منح البركة والدعاء بها . ففي الأول يقال : بارك الله فلانا وبارك له ، وبارك فيه ، وبارك عليه ، وفي الثاني يقال : برّك عليه ، وبرك فيه . وفي اللسان : البركة : النماء والزيادة . والتبريك : الدعاء للإنسان وغيره بالبركة . يقال : برّكت عليه تبريكا أى قلت له بارك عليك . وبارك الله الشيء ، وبارك فيه ، وعليه : وضع فيه البركة . . وفي الأساس : « بارك الله فيه ، وبارك له ، وبارك عليه ، وباركه . وبرّك على الطعام وفيه إذا دعا له بالبركة . »

وفي النهاية لابن الأثير — ونقله صاحب اللسان — : « وفي حديث أم سليم : خنكك وبرك عليه أى دعا له بالبركة . . وفي البخارى فى (باب هجرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة) عن أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما أنها حين ولدت عبد الله بن الزبير أنت به النبي صلى الله عليه وسلم ، فدعا بتمرة فضغها ثم نفل فى فيه ، ثم خنكك — أى ذلك خنكك بالتمرة — ثم دعا له وبرك عليه أى قال : اللهم بارك فيه أو بارك عليه . . وفي سيرة ابن هشام فى غزوة الخندق أن جابرا رضى الله عنه دعا النبي ﷺ ومن معه على شوية طبخت ، فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقبل الناس معه ، قال جابر : جلس الرسول صلى الله عليه وسلم وأخرجناها إليه ، فبرك وسمى ثم أكل وتواردها الناس . وفي القاموس (زخى) : « زخى كسُمسى والخاء معجمة عثرى من ولد قرط بن عبد مناف صحابى يرك عليه النبي صلى الله عليه وسلم ومسح رأسه . »

وقد يستعمل الكتاب التبريك مصدرا ، ولا يكادون يستعملون الفعل منه ، وفي أهرام ١٩٥٤/٩/٥ فى الحديث عن بعض المعاهدات ، فوصفها المتحدث بأنها « حادث سار يستحق كل تبريك وتقدير »

قلع ثوبه . جلع ثوبه

يقال فى لسان العامة : قلع ثوبه . وينطق معظم سكان ريف مصر القاف بين الكاف والجيم ، كما ينطق الجيم سكان القاهرة ، وينطق سكان القاهرة وما جاراها القاف همزة ، فيقولون : ألع . وهكذا يذهبون فى تصاريقها . وهذا الاستعمال لا تسوغه اللغة ، فإن القلع إنما يكون لشيء له أصل ينتزع منه ، تقول : قلمت الشجر واقلعته .

وقد بان لى أن هذا تحريف عن الجلع . والجيم ينطق بها بعض أهل اليمن

بين الجيم والسكاف ، فظن بعض من سمعهم أنها قاف ، وجاء المتأخرون من سكان القاهرة
لجعلوها همزة ، كما يجعلون كل قاف .

فالصواب أن يقال : جلع ثوبه ، وأن يؤخذ في هذا التصريف .

وفي اللسان : « جلعت عن رأسها قناعها وخمارها - وهي جالعة - خلعتة ؛ قال :

يا قوم إني قد أرى نوارا جالعة عن رأسها الخمارا

وقال الراجز : جالعة عن رأسها وتخلع

أى تنكشف ولا تستتر ... وقال الأصمعي : جلع ثوبه وخلعه بمعنى ، . والنصيف الخمار
وكل ما غطى الرأس . وقد ذكر ابن السكيت في كتابه « القلب والإبدال » جلع وخلع ، وهذا
يقضى بأن أحدهما بدل من الآخر . وانظره في الكنز اللغوي ص ٢٩ ٢٠

محمد علي النجار

الأستاذ بكلية اللغة العربية

الأنفس الرفيعة

إني لأرفع نفسي أن يكون ذنب أعظم من عفوى ، وجهل أكثر من حلى ، أو عورة
لا يواربها مستر ، أو إساءة أكثر من إحسان .

معاوية

الفتاوى

— ١ —

جاء إلى لجنة الفتوى بالجامع الأزهر ما يلي :

شخص يبيع سلعة بخمسة قروش مثلاً ، وإذا كان المشتري عاجزاً عن دفع الثمن فوراً أجل له الدفع مع زيادة عن الثمن الذي يبيع به ، فيزيده مثلاً من خمسة قروش إلى سبعة . فهل هذا يعد من قبيل الربا أم يكون بيعاً حلالاً ؟

الجواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد - فقد اطلعت اللجنة على هذا السؤال ، وتفيد بأن بيع السلعة بثمن مؤجل زائد عن الثمن الحاضر جائز ، وليس من قبيل الربا . والله أعلم ؟

— ٢ —

ما قولكم - دام فضلكم - في رجل عنده مال ويرغب لإخراج زكاة ماله - هل يجوز أخذ زكاة المال ليشيد به جزء من مسجد أم لا ؟ أفترى بالصواب رحمكم الله .

الجواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد - فقد اطلعت اللجنة على هذا السؤال ، وتفيد بأن من مصارف الزكاة المذكورة في قوله تعالى : « إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ ، الْيَتَامَى (سبيل الله) » .

وقد فسر بعض العلماء على ما نقله الشيخ القفال من علماء الشافعية بكل مصلحة خيرية كتكفين الموتى الفقراء ، ومن ذلك بناء المساجد وعمارتها ، وإنشاء المستشفيات والملاجئ ونحو هذا من المصالح .

وبناء على هذا رأى يصح صرف الزكاة في بناء المساجد إذا كان المسجد يحتاج لذلك ، وبهذا علم الجواب عن السؤال . والله أعلم ؟

- ٣ -

ما رأيكم في بيع البيرة وجواز بيعها أو عدم الجواز ؟ وما رأيكم في شربها حسب المقرر في المذاهب الأربعة ؟ أرجو الإفادة .

الجواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد - فقد اطلعت اللجنة على هذا السؤال . وتفيد بأن شرب البيرة حرام ، لأن الكثير منها مسكر ، وما أسكر كثيره فقليله حرام ، وحيث لا يجوز الاتجار فيها بيعاً وشراءً ، وبهذا علم الجواب عن السؤال . والله أعلم ؟

رئيس لجنة الفتوى

من علماء الأئمة ...

إلى علماء اليوم !!

إلى علماء اليوم أقدم شخصية من شخصيات التاريخ كان لها أثر قوى ونداء صارخ صريح ، شخصية لم تخف إلا الله ولم تحب إلا الحق !! كان شجاعاً جريئاً غلغل التاريخ اسمه ، وكان قويا بعلمه معتزاً بكرامته ، فدك العروش وقوض أنصار الظلم ، وأزهق الباطل وانتصر على كل بدعة وضلالة ، تلك الشخصية هي شخصية الإنسان العظيم والرجل الحر والعالم الجليل : « عز الدين بن عبد السلام » ، الذى مثل سلطان العلماء وقوتهم وزهدهم وورعهم أصدق تمثيل ... عاش هذا العالم طوال حياته لم يركن لكسل ولم يرضخ لخنول ، بل قاوم وجاهد حتى عذب ونفى وبجس ، كان هذا الشيخ أول من ترك الدعاء للسلطان فى خطبة الجمعة حين بقى واستبد ... ويقول ابن السبكي فى طبقاته عن هذا العالم الجليل : « إنه وقف فى وجه القائم بأمر مصر وقتئذ لما أراد أن يفرض ضريبة على التجار قائلا : إذا أحضرت ما عندك وعند حريمك من الحلى ، وأحضر الأمراء ما عندهم من الحلى الحرام ، وضربته سكة وتقدا وفرقه ولم يتم بالكفاية : لك أن تطلب القرض وأما قبل ذلك فلا » .

ولما توفى هذا العالم القوى ومرت جنازته تحت القلعة شاهد الظاهر بيبس كثرة العلماء الذين خرجوا مع الجنازة فقال لحاشيته : « اليوم استقر أمرى فى الملك ، لأن هذا الشيخ لو كان أمر الناس فى » بما أراد لبادروا إلى امتثال أمره !! ،

وهكذا فلنكن رسالة العلماء فى أوطانهم : قوة عليية ، وسلطة روحية ، يخافهم الحاكم ، ويخشاهم الظالم والفاقد !! .

نريد للأزهر علماء يخلدون أسماءهم ، ومن ثم يخلدون معهم جامعتهم الأزهرية العتيقة !! فبها يا رجال الأزهر ، اعملوا وأدوا رسالتكم التى حملكم الله إياها . والعهد الذى نعيش فيه عهد يتطلب العمل والكفاح .

إن الندم على ما فات مجلبة لغيره من الآفات ، وإن الماضى لن يعود أبداً ، فلنعمل على

تحسين حاضرنا ، ولنواجه المستقبل المجهول بنفس قوية وقلب شجاع ؟ موسى صالح شرف
كلية اللغة العربية

الأدب والعلوم

رسالة الأزهر في العهد الجديد

أن يضطلع بها الأزهر هي الخروج بدعوته إلى أركان الأرض العامرة بالمسلمين ، والتي ظلت محرومة حتى الآن من التوجيه والثقافة الصحيحة لرسالة الإسلام . واقترح الوزير على الأستاذ الأكبر أن يبدأ الأزهر فوراً في سد النقص الواضح في هذه الناحية بمضاعفة عدد المبعوثين إلى الخارج وخاصة داخل القارة الأفريقية التي تعتبر أفقر بقاع العالم في هذه الناحية على أن يكون اختيارهم من الشباب الأزهرى المتحمس الذي ألم بقسط وافر من الثقافة والخبرة . وعلى أن يزوده هؤلاء المبعوثون بكل ما يحتاجون إليه لإداء رسالتهم على الوجه الأكمل .

وتناول الوزير مسألة التعاون بين الأزهر وسكرتارية المؤتمر فقدم لفضيلة الأستاذ الأكبر مشروع تفسيق العمل بينهما لدراسته واتخاذ الخطوات اللازمة لوضعه في أقرب فرصة موضع التنفيذ العملي .

قالت « الجمهورية » التي اعتمدنا عليها في نقل هذه التفاصيل : ويعتبر اجتماع السيد الوزير بالشيخ الأكبر بداية فترة حاسمة من النشاط ستظهر نتائجها العملية في خلال

نوهنا في ص ٥٩ من الجزء الماضى بالمؤتمر الإسلامى المزمع عقده في موسم الحج القادم لإعداد سياسة إسلامية ثابتة بعيدة المدى لرعاية مصالح الشعوب الإسلامية والدفاع عن حريتها ، وتكوين كتلة إسلامية عالمية يكون لها وجود إنسانى يعتد به بين المعسكرين الشرق والغربى . وقد نبط القيام بسكرتارية هذا المؤتمر بالقائمقام أنور السادات وزير الدولة في الوزارة المصرية بعد تعديلها الأخير . وقد عقد اجتماعاً طويلاً مع فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر بمكتب السكرتارية العامة بدار المؤتمر الإسلامى نوقشت فيه رسالة الأزهر من جميع الوجوه بوضوح وصراحة . وتحدث الوزير في هذا الاجتماع عن الدور الذى ينبغي أن يضطلع به الأزهر في العهد الجديد - باعتباره أكبر هيئة إسلامية في العالم - فقال : إنه يرى أن نشاط المؤتمر الإسلامى ونجاحه يتوقفان - إلى حد كبير - على ما سيقدمه الأزهر من جهود ، وما يفتحه من آفاق جديدة في شتى الميادين . وأخطر رسالة يمكن

أسبوعين أى فى الموعد المحدد لسفر الدفعة الأولى من المبعوثين الدينيين إلى الخارج . والإسلامية والعقلية والقومية ؟ على هذا يتوقف مصير مصر ، وهى فى الانتظار .

الأزهر فى العهد المصرى

تلموز بن الجبل الصالح

وافق مجلس الوزراء على أربعة مراسيم بإنشاء معاهد دينية تابعة للأزهر فى كل من الفيوم ، وبها ، وبني سويف ، ودمنهور .

جمع وزير التربية والتعليم (الصاغ كال الدين حسين) ممثلى هيئات المعلمين ، وخطب فيهم فقال : « إن مصر فى عهدها الجديد - عهد البناء والتعمير - تحتاج إلى التعاون والتكاتف بين هيئاتها ، إذ أنها فى فترة لم تمر وقد لا تمر فى تاريخ البلاد . نحن الآن فى معركة حاسمة ، فستقبل الثورة ومستقبل البلاد فى أيديكم أتم رسل العلم والعرفان ، ولو أمكننا أن نخرج لهذا البلد جيلا صالحا نكون قد خدمناه أجل خدمة . »

وزارة التربية والتعليم

طالما شكونا فى صفحات هذه المجلة من أن وزارة المعارف المصرية لا تزال - كما أراد لها دانلوب - وزارة تعليم لاوزارة تربية ، وأن التعليم فيها قام على أساس إعداد الموظفين فى حكومة مستعمرة لا على أساس إعداد العالم فى أمة باهضة أو العامل فى وطن ينشد التقدم ، وأنها لا تعنى من التربية إلا بالتربية البدنية .

المؤتمر الكشفى العربى

انعقد فى دمشق مؤتمر الكشافة فى الاوطان العربية . وكان مما قرره :

ولاول مرة فى تاريخ وزارة المعارف المصرية يتولاهاجندى من غير المتخرجين فى مدرسة دانلوب ، ولاول مرة فى تاريخها يقرر مجلس الوزراء أن يكون اسمها « وزارة التربية والتعليم » . والجمل فى هذا القرار تقديم التربية على التعليم ، فهل لنا أن نطمح فى الوزير الجندى الذى تولى قيادة دفعة وزارة التربية والتعليم أن يوجد فيها التربية الحقيقية

١ - توحيد المصطلحات الكشفية فى العالم العربى .

٢ - تأسيس لجنة تشرف على الحركة الكشفية فى مختلف الاوطان العربية .

٣ - ضرورة اطلاع كل كشاف عربى على تاريخ أمته وجغرافية البلاد العربية .

لاى كائن حتى أن يحتملها . وقد اتخذ العلماء احتياطات كافية لوقاية الإنسان أثناء استخدام الطاقة الذرية في الصناعة ، ولكن إذا نشبت حرب فلن يكون هناك وقت لتنفيذ تلك الاحتياطات .

كلية إسلامية جامعية

لأول مرة في تاريخ الحياة الجامعية في البلاد العربية تقوم الحكومة السورية بتأسيس كلية شرعية إسلامية لتكون إحدى كليات الجامعة السورية في دمشق . وقد كان ذلك بقرار من مجلس النواب السوري . وينظر أن يكون من أساتذتها الشيخ مصطفى الزرقا والدكتور مصطفى السباعي وآخرون . والقائمون على تنظيم الكلية سيتصلون بالأزهر للاستعانة ببعض مدرسيه في هذه الكلية الإسلامية الجديدة .

معهذ غزة الربنى

يفتح في الشهر القادم معهد ديني إسلامي في غزة خصص له الأزهر في ميزانيته ثلاثة آلاف جنيه ، وتبرعت له المجالس البلدية في غزة بقسمائة جنيه سنوياً . وقد أوفد الأزهر إلى غزة أحد مدرسيه ومدير ميزانيته للإشراف على إنشاء المعهد الذي يضم في بداية الأمر مائة طالب يصرف لكل منهم جنيه شهرياً .

٤ - أن يتولى الكشافون تعليم الالامين وتوجيههم إلى مافيه خير البلاد وأهلها

الاتحاد العلمى العربى

تقرر إقامة اتحاد على لتنظيم التعاون بين المشتغلين بالعلوم في الدول العربية ، وقد اجتمعت اللجنة التأسيسية لهذا الاتحاد في مدينة بيروت في الايام الماضية لمناقشة مشروع النظام الاساسى للاتحاد . وسيكون مقر اللجنة المركزية للاتحاد في القاهرة على أن تتبعها لجان فرعية .

خطر الانفجار الذرى

ألقي الدكتور ادجار أدريان رئيس الجمعية البريطانية للتقدم العلمى في أوكتفورد خطبة الافتتاح في الاجتماع السنوى العام للجمعية ، وقد أعلن في هذه الخطبة أن العلم تقدم إلى درجة أصبح معها من الممكن في المستقبل القريب أن يضغط إنسان على زر فيدمر ثلثى الكرة الأرضية ، وأن التقدم في العلوم الطبيعية يصحبه تقدم بمائل وفي وسائل الحرب ، وليس الخطر منحصرأ في مثل القنابل الذرية والهيدروجينية ، فإن استمرار الانفجارات الذرية سيؤدى إلى تشبع الجو بإشعاعات تزداد كل يوم إلى أن تبلغ درجة لا يمكن

إنباء العالم الإسلامي

الأسلحة للجيش المصرى

أعلنت وزارة الخارجية البريطانية في يوم غرة المحرم (٣٠ أغسطس) أن الحكومة البريطانية رفعت الحظر الذى كان مفروضا من ثلاث سنوات إلى الآن على تصدير الأسلحة إلى مصر . ومعنى هذا أن مصر تستطيع ابتداء من هذا التاريخ أن تستورد من بريطانيا ما تريد من الأسلحة من مختلف الأنواع ، بما فى ذلك الطائرات النفاثة والدبابات والمدافع والبناق .

وكانت الأنباء التى أذيعت أخيرا عن استعداد أمريكا لإمداد مصر بعون مالى وعسكرى قد أثارت شيئا من القلق فى إنجلترا إذ خشيت بعض الدوائر أن تحمل أمريكا على بريطانيا فى تصدير الأسلحة لمصر .

ومعلوم أن الاتفاق المصرى البريطانى الخاص بالجلاء عن قناة السويس يقضى بأن تفضل مصر بمسئولية الدفاع عن هذا الممر المائى الحيوى ، وأن رفع الحظر عن شراء مصر للأسلحة البريطانية سيمكنها من تحمل هذه المسئولية الخطيرة .

ومع ذلك فإن التصريح الثلاثى من بريطانيا وأمريكا وفرنسا فى سنة ١٩٥٠ بشأن الاحتفاظ بالسلام فى الشرق الأوسط ومنع التسابق على التسلح فى هذه المنطقة لا يزال مرعيا وقد أخطرت به إسرائيل كما أخطرت به مصر عن طريق السفارة البريطانية بالقاهرة وسيكون هذا التصريح الثلاثى هو الضابط لشحنات الأسلحة .

دفاع العرب عن أنفسهم

قدم مستر جون لو مندوب مجلة « دى يونيتد ستيتس نيوز اند ورلد ريبورت » ٦٥ سؤالا إلى الرئيس جمال عبد الناصر عن المشاكل التى تواجه مصر والشرق الأوسط وفى مقدمتها موقف العرب من الدفاع عن أنفسهم ، فأبدى البكباشى جمال اعتراضه على أية معاهدة دفاعية عن الشرق الأوسط وآسيا أو عن الشرق الأوسط وحده ، تكون الدول الكبرى مشتركة فيها ، وقال : « إن العرب يعملون لتنظيم الدفاع عن كياناتهم والوقوف فى وجه أى اعتداء يوجه ضدهم . وهم يخشون من الوقوع تحت سيطرة الدول الغربية ، وخوفهم هذا يجعل من الأفضل أن

عبد الناصر إذا كان يرى أنه لا بد من تسوية الأمور بين العرب وإسرائيل قبل قيام نظام الدفاع عن منطقة الدول العربية ، فأجاب قائلاً : « أعتقد أن بقاء إسرائيل سيؤثر دائماً في الدفاع عن منطقة الشرق الأوسط - كما هو الحال الآن - لسبب بسيط وهو أن إسرائيل تشطر العالم العربي إلى جزئين » .

وسئل إذا كان بقاء النزاع العربي الإسرائيلي سيعوق تسليح منطقة الشرق الأوسط وتقويتها فقال : « إنه ليس لهذا النزاع تأثير في أي عمل من ناحيتنا ، ومن الطبيعي أن يلجأ الإسرائيليون إلى كل وسيلة لمنع وصول أية معونة عسكرية إلينا ، فهم يعلمون هذا سيؤثرون في الأمور المتعلقة بالدفاع عن الشرق الأوسط » .

إسرائيل واتفاقية الجزائر

دارت في البرلمان الإسرائيلي في يوم أول المحرم (٣٠ أغسطس) مناقشة حول جلاء الإنجليز عن قناة السويس ورفع الإنجليز الحظر عن بيع الأسلحة لمصر ، فقال موسى شاريت رئيس وزارتهم :

« إن الاتفاق الذي تم بين مصر وبريطانيا قد وضع دون أية مراعاة لإسرائيل ، فقد تجاهلها كما لو كانت لا وجود لها ، وتجاهل التصريحات التي صدرت في مصر وفيها تأكيد للزم على مواصلة الحرب كتجاهل التهديدات التي قبلت منا عن الهجوم على إسرائيل » .

ترك لهم التدابير الخاصة بأي نظام للدفاع عن المنطقة التي يعيشون فيها . وفي وسع العرب - متى حصلوا على الأسلحة اللازمة - أن يؤلفوا ١٢ فرقة عسكرية في مدة تقل كثيراً عن المدة التي لزمتم لفرنسا لكي تعد الفرق المقرر أن تعدها لتشارك بها في الجيش الأوربي » .

وقال : إنه ضد مساهمة أي دولة عربية في أي حلف دفاعي كالحلف المعقود بين تركيا والباكستان . وأبدى رأيه في قيام نظام للدفاع عن الشرق الأوسط تساهم فيه بريطانيا وأمريكا فقال : إنه لا يستطيع أن يقبل أي مشروع من هذه المشروعات ، لأن شعوبنا ضد أي نظام من هذا النوع ، إذ لنها تعده نوعاً من الاستعمار المقنع .

وقال : إنه أوضح هذه الحقيقة المستردلاس ، وأكد له أن فرض أي نظام من هذا النوع على الشرق الأوسط سيهيء الفرصة أمام الشيوعيين لإثارة الحقد والكراهية ضده . ووجود قواعد أمريكية في ليبيا يهيء للشيوعيين فرصة لنشر دعايتهم السيئة في الشرق الأوسط والعالم العربي .

بقاء إسرائيل

سأل مندوب المجلة الأمريكية « ذي يونيتد ستيتس نيوزاند رلديريورت » الرئيس جمال

يهيئ البلاد معونة فنية بقدر ضئيل ، وليست له نتيجة مادية يلبسها الجمهور ، والجمهور يريد نتائج مادية يستطيع أن يلبسها حتى يدرك أن ثمة معونة حقيقية

تسمية الانتاج المصرى

تحدث الرئيس جمال عبد الناصر مع الدكتور حسنى خليفة رئيس تحرير وكالة الأنباء المصرية فقال : أدركت الثورة وحكوماتها أن تنمية الإنتاج يفنى أن تسير وفقا لبرنامج حددت أهدافه ورسمت وسائل تحقيقه ، وكانت المشكلة التى تواجهنا هى العمل على زيادة الرقعة المتزرعة فى حدود مياه التخزين الحالية ، فقررنا برنامجا يهدف إلى استصلاح ٣٥٠ ألف فدان كما عملنا على تحسين الصرف فى ٢٠٧ آلاف فدان ووضع برامج تعميم التقاوى المنتقاة فزاد ذلك فى إنتاج الزراعة الرئيسية بما لا يقل عن الربع وبدأنا بالدراسات الواسعة بالتعاون مع الخبراء الأجانب لإنشاء (السد العالي) لتتمكن من استصلاح مليونى فدان من الأراضى البور ، وتحويل بقية أراضى الحياض إلى نظام الرى المستديم وضمان زراعة ٧٠٠ ألف فدان للأرز .

وتقرر إقامة صناعات الحديد والصلب والكاولتشوك والبطاريات والسماد والورق

وتناول مسألة تزويد أمريكا للعراق ومصر بالأسلحة فقال : إن الجامعة العربية خلقت حول إسرائيل حلقة من الكراهية والخقد تستوجب أن نبني قوتنا العسكرية بحيث يمكن أن نقف فى وجه قوة الدول العربية مجتمعة كلها . وإن ما يقلقنا الآن ويغضبنا هو أن الولايات المتحدة تضيف بسياساتها إلى متاعبنا متاعب جديدة . فقد حدث عندما أعلنت أمريكا أنها ستقدم إلى مصر مساعدات عسكرية ، أنها اشترطت أن تسوى أوامسالة منطقة قناة السويس ، دون أية إشارة أو شرط بشأن إسرائيل .

وأشار بعد ذلك إلى الضمانات التى قدمتها أمريكا وبريطانيا إلى إسرائيل فقال : «لنا نقدر من كل قلبنا ما جاء بهذه الضمانات من نية حسنة ومن عطف ، ولكننا لا نستطيع قبول هذه الضمانات فى الوقت الذى تزداد فيه قوة جارائنا بدرجة تضر بنا»

برنامج النقطة الرابعة

قال الرئيس جمال عبد الناصر لندوب مجلة « دى يونيتد ستيتس أزورلد ريبورت » الأمريكية : حاول الشيوعيون أن يقتعوا أكرية الشعب المصرى أن برنامج النقطة الرابعة الأمريكى ليس إلا عملا استعماريا . وانتقد الكيباشى جمال هذا البرنامج وقال : إنه

للمهجر في نفقات المحرر الوطني
الأردني

التقدم في سوريا ولبنان

عاد الدكتور سليمان عزمي وزير الصحة السابق من دمشق بعد أن ترأس فيها المؤتمر الطبي العربي ، وهو يقول عن التقدم في تلك الديار الشقيقة : زرت سوريا في خلال الثلاثين السنة الأخيرة ثلاث مرات أو أربعاً ، وزرت لبنان أكثر من خمس مرات ، وفي كل مرة كنت ألاحظ من مظاهر التقدم والنشاط العمراني والاجتماعي أكثر مما لاحظته في المرة السابقة . وما يسر له كل عربي أنك لا ترى حافياً ولا مستجدياً في كل من سوريا ولبنان ، فكل الامرين يكاد يكون معدوماً في القطرين الشقيقين ، وترى كل شخص من السكان فيهما يسعى في طلب الرزق بكل وسيلة من الوسائل الشريفة .

وهذا التقدم الواضح في كل من القطرين لا يرجع إلى همه الحكومة ونشاطها فقط في كليهما ، بل إن للشعب السوري واللبناني أثراً واضحاً للعيان في مظاهر النهضة المتجددة . وقد قال لي أحد سائقي السيارات المناسبة من المناسبات : « سواء سارت الحكومة إلى الامام أو إلى الخلف فإن شعبنا يسير دائماً إلى الامام » .

والجوت ، وتنفيذ مشروع كهبة خزان أسوان ، وسيتلوه توليد القوة من السد العالي ونقلها إلى القاهرة ورسم سياسة لكهربة القطر كله . وفتحنا أبواب الصحراء الغربية لشركات البترول ، وشجعنا شركات الإنتاج الحالية على مواصلة البحث والاستغلال في الصحراء الشرقية ، وكدنا نفريغ من توسيع معمل التكرير الاميري لترفع طاقته من ٣٠٠ ألف إلى مليون و ٣٠٠ ألف طن ، وشرعنا في مد خط للأنابيب من السويس إلى القاهرة ، وسيمد في السنوات القادمة إلى الإسكندرية ويقام معمل للتكرير في القاهرة أو الإسكندرية .

وبعد أن أشار إلى برنامج النهضة الاقتصادية في عشر سنوات قال : إن الاقتصاد المصري يسير في طريق النمو المنتظم وقد حددت حكومة الثورة الاهداف والمعالم والوسائل ، وراحت تمهد الأرض أمام الاموال المصرية وغيرها لاتتاق من بالتعاون الذي يستوحى فلسفته من المصلحة المتبادلة .

مصر والمحرر الأردني

سلم سفير مصر في عمان إلى الحكومة الاردنية مبلغ ٢٧٦ ألف جنيه مصري (أى ٣٠٠ ألف دينار أردني) وهو قيمة

مجلد الزهر
مجلد الدين الخطيب
الاشتركة السنوي
في وادي النيل
٤٠٠
للطبعة وادي النيل
٢٠٠
للطبعة وادي النيل
٣٠٠
في وادي النيل
٤٠٠
للطبعة وادي النيل
٢٠٠
للطبعة وادي النيل
٣٠٠
للطبعة وادي النيل
٤٠٠

مجلد الزهر
مجلد دينية علمية جامعة
تصدر من شيخ الأزهر مرتين في كل شهر عربي

مجلد الزهر
عبد اللطيف السبكي
عضو مجمع علماء الأزهر
المجلدات
إدارة مجمع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٤١٤
تتم السنة ٥٠ مليوناً

الجزء الثالث - القاهرة في غرة صفر ١٣٧٤ - ٢٩ سبتمبر ١٩٥٤ - المجلد السادس والعشرون

فهرس

الجزء الثالث - المجلد السادس والعشرون

صفحة	الموضوع	بسم
١٣٠	التأليف	الاستاذ عبد الدين الخطيب وميسر التحرير
١٣٤	نحات القرآن : المدراء القاتلة	» عبد اللطيف السبكي عضو جامعة كبار
		الطعام
١٣٧	السنة : جزاء الصالحات - ١ -	» طه محمد الساكت للفتش بالأزهر
١٤١	التعريف بالاسلام	حديث للاستاذ الأكبر
١٤٤	إنصاف الرجال لرجال	» أبو الوفاء الرازي
١٤٨	عريف أهل السنة - ٢ -	» محمود النواوي للفتش بالأزهر
١٥٢	الأزهر والمصاحفة - ٣ -	» كامل الفقي
١٥٤	بعض المبر في هجرة الرسول	» علي مصطفى النراي
١٥٨	أم سلمة	» محمد عبد أبو شعبة
١٦٣	للؤمنون حقاً - ٣ -	» علي الهادي
١٦٨	قارس غرناطة (مسرحية)	» محمد الجادوب
١٧٥	الفنون الجديدة في غزوة أحد	» محمد جمال الدين محفوظ
١٧٩	رقعا بالشباب	» محمد مابر حسني عاشور
١٨٣	المكتب	» المجلة
١٨٧	أنباء العالم الاسلامي	»
١٩٠	الأدب والعلوم	»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التأمين

الأوقاف المسلمين المرصدة على جهات البر في مصر - ومنها أوقاف الحرمين الشريفين - عمارات سكنية للاستغلال في القاهرة والإسكندرية وسائر أنحاء الوطن المصري ، بعضها عظيم جسيم من ناطحات السحاب ، وبعضها متوسط ، ومنها ما هو دون ذلك .

ومن ربيع قرن إلى الآن كانت وزارة الأوقاف تدفع لشركات التأمين نحو ألفين وخمسمائة جنيه في السنة تأميناً على بعض هذه العمارات من الحريق ، على اعتقاد أن ذلك في مصلحة الأوقاف الإسلامية ، وأن الضرورة قد حلت عليه ، حتى إذا وقع حريق في بعض هذه العمارات الموقوفة على جهات البر كانت شركات التأمين ملزمة بأن تعوض للأوقاف عما ألهمته النيران منها . وقد بلغ مجموع ما خرج من ربيع هذه العمارات المرصودة لجهات البر الإسلامية ودخل في صناديق شركات التأمين ما يكفي لبناء عمارتين من ناطحات السحاب في خلال نحو ربيع قرن ، فبالك بما كان يدفع قبل ذلك . ومنذ سنة ١٩٤٧ هـ (١٩٢٨ م) لم ترزأ شركات التأمين من عشرات ألوف الجنيهات التي ابتزها من أموال الأوقاف إلا بنحو خمسمائة جنيه فقط ، وخسرت الأوقاف ما كان يكفي لأن تقيم به ناطحتي سحاب أو أكثر .

إنها مقامرة ، وكان الرزء فيها دائماً على أوقاف المسلمين . ولعل الرزء الأدبي في الإقدام على المقامرة وتحمل وبالها وتقديم القدوة السيئة للناس ، أفدح من الرزء المادى بعشرات كثيرة من ألوف الجنيهات صرفت في مصرف لم يكن يسمع به الواقفون ، وما كانوا ليسمعوا به لو أنهم سمعوا به .

ومنذ نحو عشرين سنة أو أكثر كتبتُ مقالا في صحيفة الفتح أشرت فيه إلى هذه المعاني ، واقترحت على أهل كل حرفة - كالنائيرين وأصحاب المكتبات مثلا - أن يكونوا من بينهم لجنة خاصة بحرفتهم يختارون أعضاها من أهل الأمانة والديانة والأخلاق النبيلة ، فيضعوا

تحت يدها صندوقاً يجمعون فيه ما كانوا يدفعونه عادة لشركات التأمين من رسوم سنوية ، وينوون به أن يكون إعانة منهم لمن ينكب بالحريق من رجال مهنتهم الداخليين في هذا الاتفاق ، وأن يتخذوا جميع أسباب الرقابة القانونية والحيلة المالية لحفظ هذا المال ، حتى إذا وقع حريق - لا قدر الله - عوضوا على من تنكب به من مال هذا الصندوق ، ويكون في ذلك مثوبة لكل من ساهم في هذا العمل الذي تحول من مقامرة تحرمها الأديان ، إلى تعاون على البر ينال به صاحبه رضا الرحيم الرحمن .

ولكن خلق التعاون لا يزال عندنا ضئيلاً ، ولا يزال في حاجة إلى بثه في النفوس ، إلى أن نعتاده وتذوق حلاوة ثمراته . لذلك بقي هذا الاقتراح في عالم الخيال ، إلى أن امتلا قلبي سروراً في الأسبوعين الماضيين بإقدام أخى الاستاذ الباقورى على تحقيقه في وزارة الأوقاف على أكمل الوجوه وأنفعها ، فتعاون مع مجلس الدولة على صياغة مشروع تقوم به وزارة الأوقاف نفسها بمهمة التأمين - منها ولها - بالنقود التي كانت تدفع حراماً لشركات التأمين على سبيل المقامرة .

وبما جاء في مشروع وزارة الأوقاف :

« ينشأ صندوق تأمين بوزارة الأوقاف للتأمين على العمارات الاستغلاية التابعة للأوقاف التي تحت نظر الوزارة ومرصدة على جهات بر . ويعتبر الصندوق شخصاً معنوياً من أشخاص القانون العام ، ويمثله وزير الأوقاف أمام الغير ، وعلى الأخص أمام السلطات القضائية والإدارية . وتكون للصندوق ميزانية خاصة مستقلة عن ميزانية وزارة الأوقاف ولكن ملحقة بها . وتباشر أعمال الصندوق مراقبة الحسابات - كأي عمل من أعمال الوزارة - ولكن تشرف على ذلك لجنة للرقابة من وكيل الوزارة ، والمدير العام لقسم القضايا ، والمراقب العام لقسم الحسابات ، والمدير العام لقسم الهندسة ، والمدير العام لقسم الاملاك . ويتكون مال الصندوق من الرسوم التي تحصل من ريع العمارات التي يؤمن عليها لدى الصندوق ، وتحدد النسبة التي تقدر على كل عمارة بحيث لا تزيد على ٥ ٪ من قيمة العمارة ، ويحتفظ الصندوق بحجز من الحصيلة لمواجهة الحوادث الطارئة ، وما يزيد على ذلك يستغل فيما يدر ربحاً للصندوق ويضم لرأس المال . وتقتصر التزامات الصندوق على حوادث الحريق الناجمة في الظروف العادية (أما الحوادث الناجمة عن حوادث الحرب ، أو في مثل حوادث ٢٦ يناير سنة ١٩٥٢ ، فالتمريض يكون من الحكومة بالنسبة للسياسة العامة) .

ويقضى هذا المشروع بأن تعد استشارة لكل مبنى يطلب التأمين عليه ضد الحريق مبنياً فيها قيمة العارة وتاريخ إنشائها والمدة المحددة لاستهلاكها .

وإذا كانت الوزارة - أو مجلس الدولة - استثنى من الاشتراك في هذا الصندوق العارات التابعة للأوقاف الأهلية لأنها أصبحت ملكاً خاصاً لأصحابها، ولتلا يتخلط حساب الأوقاف الأهلية بحساب أوقاف البر، فأى مانع يمنع أن يكون صندوق آخر لعمارات الأوقاف الأهلية مادامت لا تزال تحت يد وزارة الأوقاف، ولماذا لا يقتطع منها رسم التأمين كما يقتطع رسم عوائد الحكومة على المباني إلى أن تخرج هذه العمارات عن نظارة الوزارة وإدارتها، وحينئذ تسلم لمن تأول إليهم مع نصيبهم من الرسوم الموجودة في الصندوق الخاص، فذلك خير للأوقاف الأهلية من الاستمرار في التأمين عليها لدى الشركات، مع ملاحظة الحكم الشرعى في الحالتين .

ولقد توسعنا في الحديث عن هذا الضرب الجديد من التأمين الموافق لروح الإسلام، لأننا نرى في هذا العمل الطيب من وزارة الأوقاف قدوة صالحة لا يبعد أن نسمع عن آثارها وأمثالها في البلاد الإسلامية الأخرى كباكستان وأندونيسيا، ويكون الفضل التاريخي فيها لمصر لأن هذه الفكرة صدرت عنها . ومن حيث المبدأ تمنى لو فكرت في مثل هذا المشروع كل وزارة مصرية - كوزارة التربية والتعليم - فيما تحت أيديها من مبان جرت العادة بأن يؤمن عليها لدى شركات التأمين، وإذا لم تكن المباني التي تحت يد كل منها متعددة بحيث تستحق أن يكون لها صندوق مستقل، فإن في إمكان وزارة المالية، أو وزارة الأشغال، أو وزارة البلديات أن تتولى هذا الأمر عن جميع الوزارات فتجعل لها كل صندوقاً واحداً ترصد فيه الأموال التي تدفع الآن لشركات التأمين، فتبقى أموال الدولة تحت يد الدولة، وتتضمن الوزارات كلها في هذا التعاون الجميل .

أما التأمين لدى الشركات - بجميع أنواعه - فلا ريب أنه نوع من أنواع المقامرة، وكل مقامرة في الدنيا ركزت أنظمتها على أن يكون الربح المضمون للإدارة التي اتخذت ذلك مهنة لها . وفي المقامرة على النقود في الأندية مهما خسر المتقمارون أو كسبوا فكلهم في الجملنة خاسرون إلا نادى المقامرة، فإنه يربح دائماً من جيوبهم نفقاته وأرباحه التي يسميها رسوماً . والمقامرة التي زعموا أن لها وجهاً من المصلحة كالتأمين من الحريق، أو على السفن من الغرق، أو على الحياة . . الخ فإن الذين تجمعهم المصلحة الواحدة من دفعى رسوم

التأمين إذا عرفوا كيف يتعاونون على إنشاء صندوق تأمين بإشرافهم ولمصلحتهم كما فعلت وزارة الأوقاف ، وكما سبق لى اقتراحه قبل نحو عشرين سنة ، فإن معنى المقامرة يتحول فيه إلى معنى آخر نبيل من معاني الإحسان والتعاون بل والاقتصاد .

الحلال بين ، والحرام بين . ولكل منهما أنصار تهش نفوسهم وتبهج قلوبهم لاتساع دائرة ما يقع منها موقع الرضا . وقد قرأت - وأنا أكتب هذه الكلمة - فقرة في يوميات إحدى صحف القاهرة يدعو كاتبها إلى عمل تأمين جماعى لدى إحدى (شركات) التأمين لأصحاب جزائر النيل الزراعية التى تفرق في مواسم الفيضان ، وإلى أن تفرض الدولة تأمينا إجباريا ضد دودة القطن . ترى هل هذا إعلان تجارى لمصلحة شركات التأمين كسائر إعلانات الصحف ؟ لست أدري ، ولكن الذى لا يشك فيه أحد أن شركات التأمين لم تؤسس وتتفق على إدارتها النفقات الطائلة لاجل أن تصدق على المنكوبين أو لتمثل معهم دور العون الإنسانى ، بل هى تدفع فى مثل هذه الحوادث (بعض) ما كانت أخذته وتبسط يدها ببعضه لنفقاتها وموظفيها وإعلاناتها ، ثم هى تبيع بعد ذلك كله . أما الذى نقتحه نحن فبه اقتصاد النفقات والإعلانات ، والربح فيه ثواب من الله على العمل الحلال ، ونكون فى تصرفنا هذا إسلاميين .

ولمناسبة الخوض فى هذا الموضوع الاجتماعى المهم ، نلفت أنظار الوزارات والمصالح التى يعنىها الأمر ، إلى ما يقع فيه المسلمون من الحرج بتحتم التأمين على عمال المصانع فى مختلف الصناعات ، وإلى تحتم التأمين على ما سيقرضه بنك التسليف الزراعى والتعاونى للجمعيات التعاونية التى تألفت أخيرا لبناء المساكن ، زد على ذلك تحتم التأمين الذى أقدم على نظام الادخار ليحل محل نظام المعاش . وما دامت وزارة الأوقاف قد وجدت لنفسها مخرجا من إثم المقامرة بما ابتكره أخى الأستاذ الباقورى للتأمين على مبانى الأوقاف الاستغلالية من الحريق ، فهل يعجز مجلس الدولة ووزارة العدل وجميع رجال القانون والاقتصاد والمال فى الدولة عن أن يشكروا طريقة يرفعون بها الحرج عن لا يجب أن يأثم من مسلى مصر ؟ فى اعتقادنا أن دائرة الحلال أوسع وأوثق وآمن من دائرة الحرام ، ولا يحول بيننا وبينها إلا أن نفكر تفكيراً إسلامياً سليماً ، والله الموفق ؟

نَفَاحَاتُ الْقُرْآنِ

- ١٩ -

الغبراء القاتلة

مريم ابنة عمران

« وإني سميتها مريم وإني أعيدها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ،

١ — أناس من الناس لهم أثره عند الله ، ومقام محمود بين خلق الله ، فهم في نشاطهم محوطون بالرعاية ، وفي حياتهم مشمولون بالعناية والهداية ، ولم تكن حياتهم لأنفسهم ، بل كانوا مثلاً يبتدى بهمديهم ، ويسار على نهجهم ، ثم غدت ذكراهم من بعد : كالمصابيح ، تضيء للإنسانية معابر الحياة ، إذا التوت عليها الطرقات ، وتبصرها مسالك الرشاد إذا خيمت على الدنيا ضلالة ، أو رانت على البصائر ظلمة الشبهات .

فهم في الحياة وبعد الممات كالمعالم الوضاعة في مراحل الزمن ، وأولئك هم الهداة المهتدون ، وهم السابقون السابقون . وإنما أضفى عليهم ربك من فضله ، وآثرهم بالمزيد من حبه ، لسبق حله بأنهم الأصفياء والأبرار ، وهم الأوفياء والأنصار ، فهم دائماً في جنب الله : يحمدهونه على النعماء في السراء ، ويصبرون على بلائه في الغبراء .

فلا تستكثر عليهم ذلك ، ولا تقل : لم لم يكن كل الناس كذلك ؟ ؟ فربك عليم بخلقه ، وحكيم في أمره ، يخلق ما يشاء ويختار ، وليس لك إلا أن تؤمن طائعاً بالحق ، وأن تسلك سبيل الحق ، ولعلك بهمديهم واصل إلى منازلهم أو مقرب : ورحمة الله قريب من المحسنين .

٢ — وهذه مريم ابنة عمران ، دوحة كريمة في منبت كريم . وفرح شاخ من أصل راسخ .

ذكرها نبينا محمد — صلوات الله عليه — أول نسوة أربع ، أحرزن من المجد مالم يتبع لغيرهن ، فقال : « أربع نسوة سادت عالمهن : مريم بنت عمران . وآسية بنت مزاحم — زوجة فرعون المؤمنة التي شهد لها القرآن — وخديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد ، وإن القرآن ليرفع من قدرها ، ويضاعف من شأنها ، ويردد من ذكرها ، حتى يجعلها فوق ما يتصور المتصورون . وسنعرض لذلك بعد .

مريم ابنة عمران من ولد سليمان ، ومن ذرية إبراهيم عليهما السلام ، وأبوها عمران بن ماثان ، بعد موسى بأكثر من ألف وسبعمائة سنة ، وليس هو عمران بن بصهر أبا موسى وهارون كما يشتبه الأمر ، وقد وضع الله آل عمران هذا في مصاف الأخيار ، وشهد لهم فيمن شهد من الأبرار ، فقال : (إن الله اصطفى آدم ، ونوحا ، وآل إبراهيم ، وآل عمران على العالمين) .

وحسبك أن يكون آدم أبو البشر ، ونوح وهو أبو الناس بعد الطوفان ، وإبراهيم أبو الأنبياء ، وآل عمران بما فيهم مريم وعيسى ، كلهم في سياق الثناء سواسية ، وأن الله فضلهم على من هدام ، وإن كانت المنازل بينهم متفاوتة فهم راجعون على من سوام ، وليس يبلغ مبلغ أحدهم أحد ، وهم أصول باسقة بفروعها ، وفروع قائمة على أصولها (ذرية بعضها من بعض) وقديما قالوا : لا ينبت الحطى إلا وشيجه ، وقالوا : لا تثبت إلا في مقارسها النخل .

٣ — إيه يا امرأة عمران !! تقدمت بك السن ، وكاد يتخلف عنك الحظ في الذرية ، ولكنك ذات صلة بربك ، فاسأليه أن يمنحك ذرية تطيب نفسك لها ، وتقرين عينها بها ، ولكن امرأة عمران تبغى الذرية لتتخذ منها زلفى إلى ربها ، فقسأله ما يشوقها ، ثم يكون من أمارات القرب إلى الله أن يتقبل دعاءها ، وإنما يتقبل الله من المتقين .

ولما أحست بالجنين توقعت غلاما ، وتعلق أملها أن تنبه للعبادة ، وتحرمه من قيود البنوة ، وتتخلى عن أنسابه ، ليتفرغ للعبادة وملازمة المعبد ، على عادة البررة من أهل زمانها ، وإذا استجاب الله لها لحملت بعد ما كادت تيأس ، فإن الأمل ليقوى أن يكون الحمل غلاما

ليتم لها تحريره ، وهى لذلك تبادر بالهدد على نفسها وتقول : (رب إني نذرت لك ما فى بطنى محرراً ، فتقبل منى ، إنك أنت السميع العليم) .

ولكن امرأة عمران تفاجأ بغير ما تمت ، فتضع أنثى لا ذكراً ، ويخالجها أسف كثير لقوات الأمل فى المولود ، فإن الأنثى لا تبلغ من الصلاحية للتحرير ما يبلغه الذكر ، ولم يكن من عادتهم تحرير البنات للعبادة والمعابد .

ولأن عدم تحقيق الأمنية قد يثير عندها من وجل الاتقياء ما يشككها فى منزلها عند الله ، بعد أن قوى الرجاء فى ذلك منذ حملت بعد يأس ، فهى تضرع إلى ربها فى لهجة الأرايين ، وخشوع المنذلين ، وتجار بالمعذرة عن فوات مقصودها ، وإن لم يكن ذلك من عملها ، وتقول : « رب إني وضعنها أنثى ، وتقول : « وليس الذكر كالأنثى » أى ليسا سواء فى المنزلة وتعلق الرجاء بهما ، ثم تركن إلى ربها فيما بقى لها من أمل فتقول : « وإني سميتها مريم - عابدة - وإني أعيدها بك وذريتها من الشيطان الرجيم » .

هذه نجوى امرأة عمران إلى ربها ، ومبلغ الأمل فى وليدتها أن يحفظها من غزوات الشيطان ومهزاته ، لتسكون مؤمنة تقية ، وعابدة وفية ، وطاهرة نقية ، ويكون فيها عوض لها عن الغلام الذى كانت تأمله .

وكان امرأة عمران حينما آسفها وضع الأنثى ، فاتها أن الله سبحانه يستجيب دعاء الاتقياء على مقتضى علمه وحكمته ، وليس حتماً أن يكون على وفق رغباتهم ، ولا مسيراً لألفاظهم ، فهو لا يخل عليهم بفضله ، ولكنه يعطيهم من جوده ما فيه خير لهم ، ولو كان غير ما ربههم ، وربما كان أركى مما تعلقوا به ، وذلك الفضل من الله ، فهى تهبو إلى الولد الذكر ، والله يعطيها الأنثى .

وهى تقنع نفسها بعباطه ، وترجع إلى الرضا بقضائه ، وتستعين بالله لانتهاها ولذريتها من الشيطان الرجيم ، فإذا كان من أثر الدعوات لها ، وماذا كان من شأن مريم وقد استقبلتها أمها كما تستقبل كل امرأة بفتها ؟

• إلى العدد القادم •

عبد اللطيف السبكى

عضو جماعة كبار العلماء

السنة

جزاء الصالحات

— ١ —

مسألة خطيرة ذات شطرين — خيار الناس —
 مكانة حكيم قبل الإسلام وبعده — صدقه
 ما عاهد الله عليه — عقد واسطته الإسلام .

عن حكيم بن حزام رضى الله عنه قال : قلت : يا رسول الله ، أرايت أشياء كنت
 أتبحث بها في الجاهلية ، من صدقة أو عتاقة أو صلة رحم ^(١) ، فهل فيها من أجر ؟ فقال النبي
 صلى الله عليه وسلم : « أسلت على ما سلف من خير » . رواه الشيخان ، واللفظ للبخارى .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قلت : يا رسول الله ، ابن جُعدان كان في الجاهلية
 يصل الرحم ، ويطعم المسكين ، فهل ذاك نافعه ؟ قال : « لا ينفعه ، إنه لم يقل يوماً رب
 اغفر لي خطيئتي يوم الدين » . رواه مسلم .

يزل كثير من الناس في مسألة خطيرة فرغ الإسلام منها ، وبينها في كتابه المبين ، وعلى
 لسان نبيه الأمين ، أوفى بيان ... تلك هي مشوبة غير المسلم على ما يتعبد به من قرية ، أو يصنعه
 من صنعة ، أو يقدمه من الخير العام أو الخاص .

والمسألة ذات شطرين : لأن غير المسلم إذا مرّن على فعل الخير وأحبه ، فقد يمن الله
 عليه بالإسلام ، ويورقه لما كان يفعل من البر ، فيتمبذ به في إسلامه ، ويتقرب به لمن أسلم

[١] بيان لما كان يتبحث به ، والتبحث : التعمد ، ولا يخفى أنه كان تعبداً صورياً ، لأن روح العبادة
 معرفة للمبود ، ولا يعرف إلا بالإسلام

وجهه إليه ، كما من على حكيم بن حزام رضوان الله عليه . وقد تغلب عليه شغوته حتى يقضى نجه وهو محروم من النعمة الكبرى ، التي لا تذكر أمة بجانبها وإن عظمت ، نعمة الهداية إلى الإسلام والإخلاص للنعم جلت آلاؤه . وفي طليعة هؤلاء المحرومين المكذابين بيوم الدين ، عبد الله بن جدعان القرشي التيمي ، واحد بني تميم ورجالاتها ، وقريب أم المؤمنين عائشة رضوان الله عليها ، وهذا سر سؤالها عنه واستفتائها رسول الله ﷺ في شأنه ...

وإذا جمعنا بين هذين العظيمين في الحديث — كما جمع الله بين السعادة والشقاوة ، والنعم والجحيم في الذكر — فإن من حق قرائنا أن نبين لهم — في صدر هذا البحث — حكم الله ورسوله في مشيئتهما ومشوبة من سار على نهجهما ، عسى أن يبينوا للناس ، فيتعلم جاهل ، أو يهتدى حائر ، أو يثوب إلى رشده غاو ، ممن يتبعون الهوى فيضلون عن سبيل الله ، ويحكمون بغير ما أنزل الله ، وكأن بأيديهم مفاتيح الجنة ، يفتحونها لمن حكموا له بالقبول والفوز ، وإن كان في كتاب الله شقياً ؛ ويفلقونها في وجه من حكموا عليه بالحرمان والطرده ، وإن كان في حكم الله سعيداً ، ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون .

• • •

كان حكيم بن حزام بن خويلد ابن أخى أم المؤمنين خديجة رضى الله عنها ، في الطليعة من أشراف قريش ووجهها ، في الجاهلية والإسلام ، والناس معادن ، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا ، كما في حديث الصحيحين .

أدرك في الجاهلية ستين عاماً وفي الإسلام مثلها ... وحسبه شرفاً أنه كان صديقاً للنبي صلى الله عليه وسلم قبل بعثته ، وأنه صلوات الله عليه كان يحبه ويودّه ، ويود لو كان من السابقين الأولين ، وأنه فرح بإسلامه يوم الفتح فرحاً عظيماً ، وقال — كما ثبت في السيرة والصحيح — : « من دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن » .

وكان من المؤلفة قلوبهم الذين شهدوا غزوة حنين فأعطاهم الرسول الأكرم ، صلى الله عليه وسلم ، عطاء من لا يخشى الفاقة !! حدث عن نفسه قال : سألت رسول الله صلى الله

عليه وسلم فأعطاني، ثم سأله فأعطاني، ثم سأله فأعطاني؛ ثم قال: يا حكيم، إن هذا المال خضرة حلوة، إلى أن قال: «واليد العليا خير من اليد السفلى» وفي هذا الحديث أنه رضوان الله عليه لم يسأل أحداً من الناس شيئاً حتى توفي، وأن أبابكر وعمر ورضوان الله عليهما كانا يمرضان عليه العطاء مما يُنقى الله على المسلمين فيأبى أن يقبله، وقام بما عاهد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا يرزأ أحداً بعده شيئاً حتى يفارق الدنيا ... (١)

تبرر حكيم في جاهليته بكثير من جلائل الخيرات، وعظائم المكرمات، حتى انتظم في سلك السادة النجب، الذين يصلون الرحم، ويحملون الكل، ويكسبون المعدوم، ويقرون الضعيف، ويعينون على نوائب الحق، وسيدهم غير مدافع هو سيد ولد آدم ﷺ. ولنا الفخر بالعمل لا بالقول ١ - ثم سيد الصديقين أبو بكر رضي الله عنه ...

وكان من آثاره قبل أن يسلم أنه أعتق مائة رقبة من ربة الأسر وذل العبودية، وحمل على مائة بعير، أى تصدق بها كلها. ثم من الله عليه بنعمة الإسلام فأحسن إسلامه، وزاده الله حسناً، فأتى صديقه الحميم الكريم صلوات الله عليه وسلامه، مستفتياً فيما أسلف من هذا البر، فبشره الصادق المصدوق ﷺ بحسن جزائها، وكرم قبولها، وأنه أسلم على ما قدم لنفسه من الخير. قال حكيم رضي الله عنه: قلت: فوافقه لا أدع شيئاً صنعت في الجاهلية إلا فعلت في الإسلام مثله.

ولقد صدق حكيم ما عاهد الله عليه، فصنع بعد الإسلام كما صنع قبله، بل زاد عليه: جاء في الصحيحين أنه لما أسلم حل على مائة بعير وأعتق مائة رقبة، قال ابن عبد البر: حج في الإسلام ومعه مائة بدنة قد جملها بالخبرة، وكفها عن أعجازها (٢) وأهداها،

[١] بسطنا شرح هذا الحديث في الجزء الثاني من المجلد الثامن عشر.

(١) جملها: غطاها. والخبرة كناية البرد اللوشى، وضير «كفها المنصوب» فيما يظهر يعود على الخبرة، معافطة على جملها ونظافتها، وذلك من تعظيم الثمائر. وفي إبداء الهدقات وإعلانه الثمائر دعوة إلى الخير وتحدث بنعمة الله.

ووقف بمائة وصيف بعرفة ، في أعناقهم أطواق الفضة ، منقوش عليها : « عتقاء الله عن حكيم بن حزام ، وأهدى ألف شاة .

وكانت بيده دار الندوة فباعها من معاوية بمائة ألف درهم ، فلامه عبد الله بن الزبير وقال له : بعث مكرمة قريش ! فقال له : يا بن أخي ، ذهبت المسكارم إلا التقوى ، اشتريت بها داراً في الجنة ، وتصدق بالدرهم كلها !

يخ بخ يا حكيم !

لقد نظمت عقدا من الخيرات الجسام ، وبارك الله عليه إذ جعل واسطته الإسلام ، فهل تظن أن الله ينقصه بعد ، وهو أكرم الأكرمين ، وأرحم الراحمين ، وهو الذي يرزق من يشاء بغير حساب ؟

أما بعد ، فهذا هو الشطر الأول من المسألة ، وأما شطرها الثاني فوعده غرة الشهر التالي إن شاء الله ؟

طه محمد الساكنت

أم مدوى

كان في العرب عجوز عاقلة نصيحة لها ابن أحق ، وقد أرادت يوماً أن تزوجه فخطبت له فتاة من العرب ، فحامت أم الفتاة إلى أم الغلام تنظر إليه ، وفيما هي عند أمه دخل عليهما الفتى وسأل أمه : — هل أدوى ؟

أي هل آكل الدواية (وهي قشطة اللبن) . ولما كان ذلك يدل على الشراهة ، أرادت أمه أن تستر حماقة ، فقلبت سؤاله إلى معنى آخر وقالت له : — اللجام معاق بعمود الخيمة ، والسرج في جانبيه .

وبهذا الجواب أوهمت أم الخطيبة أن ابنها أراد أداة الفرس للركوب ، فكتمت زلة ابنها عن ضيفتها . ومن ذلك اليوم ضربت العرب المثل بأم مدوى لمن يورث الشيء عن غيره . وفي ذلك يقول يزيد بن عبد الحكم بن أبي العاص الثقفى :

بدا منك غش طالما قد كتمته كما كتمت داء ابنها أم مدوى



التعريف بالإسلام

بتأليف رسائل باللغات الأجنبية

بدلاً من محاولة ترجمة معاني القرآن

حديث فضيلة الأستاذ الأكبر

قالت جريدة الأهرام :

اجتمع فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر ببعض كبار الأساتذة في الكليات الأزهرية ، وبحث معهم مسألة « ترجمة » معاني القرآن الكريم إلى اللغات الأجنبية الحية ، وعلى أثر إرضاض هذا الاجتماع ، أفضى فضيلته لندوب الأهرام بتصريحات هامة حول موضوع ترجمة معاني القرآن الكريم وموضوع التعريف بالإسلام ، قال فيها :

فكرة أزممت في العهود الماضية :

إن ترجمة معاني القرآن الكريم ، قد أزممت فكرتها في الرموس في العهود الماضية ، وقد مضى عليها نحو ربع قرن ، وهي تطفو أحياناً وترسب أحياناً أخرى بين لجنة ولجنة ، ومن عهد إلى عهد ، حتى طال عليها الأمد ولا نتيجة ، فكأنما كانت على النقيض مما علق عليها من آمال ، فإن كل ما أتتجه للعالم الإسلامي هو تعليم ، الانتظار ، الذي لا ينتج إلا مثله من « الانتظار » . وهذا أعدى أعداء الإسلام ، لأن الإسلام دين حياة وعمل وقوة ، وعزة وسعادة وخير ، لا دين انتظار لا يجدي .

الإيجاب العملي :

لهذا أخذت الأمر من وجهه ورأيت الإيجاب العملي ، فوجدت أن ترجمة معاني القرآن الكريم إنما هي وسيلة لغاية إنسانية هي التعريف بالإسلام ، وما يحمله الإنسانية من نظم الحياة العادلة السليمة ، وما فيه من خير مطلق يهدي إلى الحق المطلق ، ورأيت أن أبدأ

العمل من هنا : من تلك الغايات القويمة القوية التي تسعد الجماعة الإنسانية ، فأعرفها للناس ، وأعرف الناس بها ، عن طريق الثقافات المختصين من العلماء ، ممن درسوا في جامعات أوروبا ، وتيسر لهم الجمع بين الثقافتين ، إلى ما يتحلون به من « شخصية » إنسانية ، فإن العلم وحده ، والثقافة وحدها لا يكفيان ما لم تكن هناك « الشخصية » الصادقة في نقل الإسلام عنها نقلاً أقرب إلى الصحة عملاً وعلماً .

رسالات عن التشريع الإسلامى :

واستطرد فضيلة الاستاذ الأكبر فقال : ومن فضل الله أن وجدت في رجال الأزهر من يستطيعون أداء هذه الرسالة العظمى ، ممن هضموا وفهموا ، وعرفوا أن عليهم ديناً واجب الأداء ، للجماعة الإنسانية كلها بصفة عامة ، وللجماعة المتحضرة التي لم تتعرف إلى الإسلام ، ولم يعرفها أحد بالإسلام بصفة خاصة ، ثم هم يحملون ديناً آخر إلى أوروبا التي عاشوا في ربوعها وبين بنينا ردها من حياتهم ، وتركوا فيها أطيب العلاقات وأزكاهما .

وقد عهدت إلى كل واحد من اخترتهم من هؤلاء أن يؤلف رسالة عن التشريع الإسلامى في موضوع اجتماعى : كالبيع ، والقروض الحسنة ، والرهون ، وتكوين الأسرة ، والحكمة من تعدد الزوجات ، وشرور الإطعام السياسية ، وبيان مضار الحروب بين بنى آدم . وما إلى ذلك مما يوثق روابط الأمم ويجعل منها « إنساناً » ، موحداً بقدر الإمكان .

طبع الرسالات بعدة لغات .

وسيقوم الأزهر بطبع كل رسالة من تلك الرسالات بعدة لغات ، ونشرها في أرجاء العالم المتحضر ، بكل الوسائل المستطاعة تعريفاً له بالإسلام ، وتبياناً لما له في هذا الدين من تكوين لشخصيته ولجماعته ولإنسانيته ، والفرد والأسرة والمجتمع عناصر إسلامية مثل ما هي عناصر إنسانية ، والمسلم الحق لا يكمل إسلامه وهو ساكت عن حق أخيه الأدنى في الحياة العادلة السعيدة ، ورسول الله - وهو الإنسان - يقول لنا : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » ، وكان لا يبالي بما يناله من الأدنى في سبيل هذا الحب الإنسانى العظيم .

إنقاذ العالم من الانحدار المادى .

ومعنى فضيلة الأستاذ الأكبر ، يقول : إن أحداث البشرية اليوم توجب على الهداة والهداة أن يهبوا لاستنقاذها من الانحدار المادى ، والمطامع الحيوانية ، فإن المادة تنسابق إلى انهيار العقل وإلى دمار شامل عام للعالم بأسره .

تعريف الإنسان بالإسلام أصبح واجباً .

فتعريف الإنسان - وخاصة المنحضر - بالإسلام أصبح واجباً من طرفيه ، طرف الدين الذى لا يرضى بهذا التسابق إلى الفناء بسبب المطامع والآهواء والزوات ، وطرف الإنسان الذى يرى الهوة تنسع كل يوم ولا يستطيع أن يسدها ولا أن يبتعد عنها ، ويرى التيار جارفاً .

ولو أن الأديان وجهت جهودها إلى تحرير العقل الإنسانى من أغلال المطامع لسادت السعادة ، ولكن المتدينين ينظرون وهم ساكتون .

رجال الدين والسياسيون .

ثم قال فضيلة الأستاذ الأكبر : إن القول بأن التخاص بما يهدد البشرية من دمار ، بيد السياسيين وحدهم ، قول ينقصه الوعي النفسى ، فالسياسى ليس إلا أداة قومية ، تفوده الأحداث وتسوقه الاطماع ، فهو مسير بالتيار السريع الذى يجتاح العالم ، وقد مضى الوقت الذى ينسب فيه هلاك البشرية إلى السياسيين دون رجال الدين . . .

الإسلام وأهل الكتاب :

وقد كان للإسلام فى أول أمره - ولا يزال - النظر الرحيم فى العلاقات بين آدم ، وخاصة أهل الكتاب ، غلاطهم بالأسرة الإسلامية ، وقربهم من بعضهم ، ليعرف الناس أنهم أولى ببعض مما يداهم به الطمع الشيطانى .

ثم قال فضيلة الأستاذ الأكبر : إننى أرى فى التعريف بالإسلام واجباً إسلامياً إنسانياً ، لما بينت وذكرت ، وقد قررت لهذا أن يكافأ كل باحث على قدر ما فى بحثه من نفع واستيعاء وقوة وصلة ، ونفاذ شخصية ومحبة إنسانيه .

وأسأل الله تعالى أن يوفقنا جميعاً إلى ما فيه تحقيق الخير المطلق للإنسانية جمعاء .

انصاف الرجال للرجال

(يوم ولية من أبي بكر خير من عمر وآل عمر)

كان أبو موسى الأشعري رضى الله عنه أميراً على البصرة من قبل أمير المؤمنين عمر ، وكان إذا خطب للجمعة أتى على عمر رضى الله عنه دون أبي بكر ، فأغضب ذلك ضبة ابن حصن الهزارى وكان ضبة أحد زهاد البصرة وأتقيائها ، فتمرض لآبى موسى فى خطبته ، فكتب أبو موسى إلى عمر يشكوه ، فطلب عمر لشخصه إليه فأشخصه إليه .

فلما قدم إليه قال له ضبة . بماذا استحلكت يا عمر لشخصى من البصرة بلا ذنب أذنبته ، ولا شئ أتيت به ؟

فقال : ما الذى شجر بينك وبين عاملى ؟

قال : الآن أخبرك به . كان إذا خطبنا حمد الله وأتى عليه ، وصلى على رسوله ، ثم أنشأ يدعو لك ، فغاضى ذلك منه ، فقلت له : أين أنت من صاحبه تفضله عليه ؟ فصنع ذلك جمعاً ، ثم كتب إليك ليشكوكى .

فاندفع عمر باكياً وهو يقول : أنت والله أوفى منه وأرشد ، فهل أنت غافر لى ذنبى ، يغفر الله لك ؟

قال ضبة : غفر الله لك يا أمير المؤمنين .

ثم اندفع عمر باكياً وهو يقول : والله ليلة من أبى بكر ويوم خير من عمر وآل عمر . فهل لك أن أحدثك بليته ويومه ؟ قلت نعم . قال : أما الليلة فإن رسول الله ﷺ لما أراد الخروج من مكة هارباً من المشركين ليلاً فتبعه أبو بكر لجعل يمشى مرة أمامه ، ومرة خلفه ، ومرة عن يمينه ، ومرة عن يساره . قال : يا رسول الله ، أذكر الرصد فأكون أمامك ، وأذكر

الطلب فأكون خلفك ، ومرة عن يمينك ومرة عن يسارك ، لا آمن عليك . قال : فثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على أطراف أصابعه حتى حفيت . فلما وصل إلى الغار قال أبو بكر : والذي بعثك بالحق لا تدخله حتى أدخله ، فإن كان فيه شيء نزل بي قبلك . قال : فدخل فلم ير فيه شيئاً ، فأدخل رسول الله ، وكان في الغار خرق فيه حياض وأفاع ، فألقمه أبو بكر قدمه مخافة أن يخرج منه شيء إلى رسول الله فيؤذيه ، وأدرك رسول الله ما يساور أبا بكر من القلق عليه ، فأخذ يخفف من قلقه ويقول : يا أبا بكر ، لا تحزن ، إن الله معنا . فبهذه ليلته . وأما يومه ، فلما توفى رسول الله ﷺ ارتدت العرب فقال بعضهم : نصلى ولا نركى . فأتيته لا آله نصصا فقلت : يا خليفه رسول الله ﷺ ، تألف الناس وارفق بهم ، فقال لى : أجبار فى الجاهلية خوار فى الإسلام ؟ فهاذا أنا لهم ؟ قبض رسول الله ﷺ وارتفع الوحي ، فواقه لو منعونى عقالا كانوا يعطونه رسول الله ﷺ لفاتلهم عليه ، قال : فقاتلنا عليه . فكان والله رشيد الأمر ، فهذا يومه .

* * *

هذه قصة ضجة مع أبى موسى أمير البصرة ، وإسما لصفحة غار فى تاريخ المسلمين صدر الإسلام ، بل صفحة غار فى تاريخ الإنسانية ، وإنها لجديرة أن تدارسها الاجيال من جميع الاجناس والاديان ، لأنها تمثل طبيعة بشرية طاهرة لم تدنسها الاحقاد ولم تلوثها الامواء والشهوات ، تمثل الطبيعة التى اختارها الله ليجمع منها مثلاً علياً يحتذيها الحكام والقادة من جميع الامم فى سائر الازمان ، ويستمدون بهديها فيما يلون من أحكام ، ويباشرون من أعمال ، وهى قصة النواضع الفطرى الذى يسمو بصاحبه إلى أرفع مقام ، والإنصاف الذى لا يعرف الفروق بين الطبقات ، والحرية التى يستوى فى تقديرها الرعايا والرعاة . وهى بعد ذلك صورة كريمة للمجتمع الإسلامى الذى طبعه الإسلام بطابعه فى كل ناحية من نواحي الكمال ، لجعله مجتمعاً مثالياً لما يزل فى خيال الفلاسفة والمفكرين ، وهيئات أن يحققوه ، لما اشتهروا من مبادئ واستولوا من قوانين . وهذه الامثال التى تضربها النفوس الطيبة الطاهرة التى صنعها الإسلام على عينه ، وأعدّها لحل رسالته ، وإرساء قواعده ، فكلوا البناء ، وكانوا الهداة ، وكانوا العبر .

إننا فى عصر يقال إنه من أزهى عصور الديمقراطية ، فى أى شعب من أعرق الشعوب فيها يحاكم الفرد من غمار الشعب حاكم الدولة العظام إلى نفسه وينصف منه فينصفه ، ويعترف بخطئه ، دون أن تأخذه العزة ، فيجحد الحق ، ويحافى الصواب .

ونحن في عصر يقال إنه عصر المساواة، ففي أى شعب من يزعم أنه أرقى الشعوب ممارسة لهذا الحق، واستمتماعه، يعترض فرد من عامة الشعب حاكم الإقليم في رأى يمس شخص رئيس الدولة، ويدافعه عنه، وينظره فيه. ونحن في عصر التهذيب والتنقيف وكلاهما يدعو إلى الإنصاف وتقدير العاملين، والاعتراف بجهودهم في خدمة الدولة، ففي أى شعب من الشعوب ملكت فضيلة الإنصاف نفوس زعمائها وقادتها، فأقر كل منهم لصاحبه بفضله على وطنه وأمنه بباطع التقدير، لا يباعث الرياء والمجاملة والنفاق.

هذا ضبة يعترض أبا موسى الأشعري في سواء المسجد، وفي جمع حافل من الناس، في رأى متصل بشخص أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه - وعمر كما نعرفه صرامة وضرامة - فلا يملك أبو موسى إلا أن ينهى ذلك إلى عمر، وفي يد أبي موسى ما شاء من وسائل الإقناع: بيده الوعيد والإرهاب، ويده السجن والقتل لو أراد.

ألا إن الإسلام ملا بالإيمان والتقوى قلوب الخاكين، وبغض إليهم الاعساف وحبب إليهم الإنصاف، فسلكوا سبيل المودة ومهيج الرشاد. وهذا ضبة يقدم على همر ويجادله في جراءة وصراحة، بل في عنف وقسوة، ويرشده إلى موضع الخطأ في استقدامه من البصرة إليه، لأنه لم يقترف ذنباً أو يعمل سوءاً يستوجب ذلك، وهو واثق بعدل عمر، آمن من بطشه وانتقامه، ويصدق عمر ظنه، ويفسح له صدره، ويترك له فرصة الدفاع عن نفسه، حتى يتضح الحق في قضيته، ثم يحكم على نفسه بأسمى ما عرفت البشرية من أحكام، يحكم على نفسه بأنه أخطأ في استقدام ضبة بل أذنب في ذلك، ويستقيله من ذنبه في إخبات وانكسار، ولا يسع ضبة بعد هذه الخصومة الكريمة والحكومة العادلة إلا أن يستجيب لرغبة عمر ويدعو له بالفقران.

ويقف عمر من أبي بكر وقفة التقدير والتكريم، فيعدد مآثره على الإسلام والمسلمين، ويستعرض جهاده ومواقفه الجليلة من رسول الله ﷺ التي استحق بها أن يكون خيراً من همر وآل عمر.

ومن هو عمر؟ إنه الخليفة الذي فتح الأقطار، ومصر الأمصار، وأرسى بناء الدولة الإسلامية على قواعد من السياسة الراشدة والعدالة السابغة، ودان لدولته الأكامرة

والقياصرة ، وكان حظه مما سأل من ميازيب الذهب في خوازن الدولة مرقعة من أخلاق ،
ولقبات من شعير ، في إدام من خل أو زيت ، عمر الذي يقول فيه ابن عم رسول الله ﷺ
حبر الأمة عبد الله بن عباس رضي الله عنه : إن كان إسلامك لثمرا ، وإن كانت إمامتك
لفتحاً . والله لقد ملأت إمارتك الأرض عدلاً .

ما شاء الله 11 ما هذا الإنصاف والتقدير والإيثار ؟ أهذه خلائق البشر ؟ أم هذه
صفات الملائكة المقربين ؟

خلائف الله جلوا عن موازنة فلا تقيس أملاك الورى بهم

هذه قصة ضبة مع أبي موسى الأشعري وعمر رضي الله عنهم أجمعين ، وهي إن شئت
تصور حال المجتمع الإسلامي وما ساد من حرية ومساواة ، وثقة في الانتصاف من الحكام
والرؤساء ، وإن شئت تصور بعض النواحي الأخلاقية في نفوس الرعاة والرعية : من
تواضع ، واعتراف بجهود العاملين لأعمهم وأوطانهم .

هي على كل حال صفحة يبيض من كتاب التاريخ الإسلامي جدبرة أن يتدارسها المحكام
والمحكومون ، لا من المسلمين فحسب ، بل من أمم العالم قاطبة ، ويجعلوها دستورهم
السياسي والأخلاقي .

وما أحوجهم إلى استلهاهم ما فيها من عبر ، وتطبيق ما توحى به من مبادئ . وما أحوجهم
إلى الإنصاف ، وتقدير العاملين ، وتقويم المخطئين .
أبو الوفا المرافعي

السفور بعد الحجاب

قل لمن بعد حجاب سفرت أبهذا يأمر الفيد الشرف
أسقورا والحيا يحظره وتق الله وآداب السلف
ليست المرأة إلا درة أ يكون الدر إلا في الصدف
أمين ناصر الدين

عريف أهل الصفة

- ٢ -

تحدثت في المقال السابق عن زهد هذا الصحابي الجليل . والآن أتم الكلام في بعض ما عرف به .

٢ - العلم والرواية :

وهي الصفة التي أوفى فيها على الغاية ، حتى رجم فيه الناس الظنون ، وفي صحيح البخاري عنه أنه قال : « إن الناس يقولون أكثر أبو هريرة ، ولولا آيتان في كتاب الله ما حدثتكم حديثاً ثم يتلو : (إن الذين يكتُمون ما أنزلنا من البينات والهدى إلى قوله الرحيم) ثم يقول : « إن إخواننا من المهاجرين كان يشغلهم الصق بالأسواق ، وإن إخواننا من الأنصار كان يشغلهم العمل في أموالهم . وإن أبا هريرة كان يلزم رسول الله ﷺ لشبع بطنه ، ويحضر ما لا يحضرون ، ويسمع ما لا يسمعون . ثم يروي الإمام البخاري بسنده أيضاً إلى أبي هريرة قال : قلت يا رسول الله : إني أسمع منك حديثاً كثيراً أنساه قال : أبسط رداءك ، فبسطه فقرأ يديه ثم قال : ضمه ، فضمته فما نسيت شيئاً بعده . »

أيها القاريء الكريم .

ذلك . ونحوه من معاني النبوة الرمزية التي هي حق لا يدركه إلا المؤمنون الصادقون ، وما أكثر ذلك المعنى لمحمد ﷺ وللتبيين من قبله ، فلا يستخفك الذين لا يوقنون بما يزعمون لك أن هذه أشياء لا يفهمها العقل . نعم إن العقل المجرد من الإيمان لا يفهمها ، ولو فهمها ما كان من خصائص النبوة .

ثم يروي البخاري بسنده إلى أبي هريرة أنه قال : حفظت وعامين من النبي ﷺ : فأما أحدهما فبثته ، وأما الآخر فلو بثته قطع هذا العلوم . وهذا يفيد أنه كان للنبي ﷺ علم غير التشريع لم يكن مكلفاً أن يعلمه الناس ، وكان عند بعض آل النبوة شيء من ذلك يظهر لمن تتبع الآثار والرواية الصحيحة .

ويروى أبو نعيم بسنده عنه قال : والذي نفسى بيده لو حدثتكم بكل ما سمعته لرستموني بالقشع ثم ما ناظرتوني ^(١). وقد أجمع الناس على أنه كان أكثر الصحابة رواية وله ٥٣٧٤ حديثاً منها في البخارى ٤٤٦ ، وروى عنه أكثر من ٨٠٠ بين صحابى وتابعى ، يأخذون عنه متواضعين ، لعلمهم بانقطاعه للعلم والعبادة : منهم ابن عباس وجابر وأنس .

وقال الشافعى : إنه أحفظ من روى الحديث في دهره . وأخرج البخارى في التاريخ أن أبا هريرة قعد في مجلس فيه من مشيخة الصحابة بضعة عشر رجلاً ، لجلس أبو هريرة يحدثهم بالحديث عن رسول الله ﷺ فلا يعرفه بعضهم فيتراجعون فيه حتى يعرفوه ، ثم يحدثهم كذلك حتى فعل ذلك مراراً .

يقول الراوى - وهو محمد بن عمار بن حزم - فمرفت أنه أحفظ الناس منذ ذلك . ورووا عن ابن عمر - وهو من أكثر الصحابة رواية وفقها - أنه قال لأبي هريرة : كنت ألزمت رسول الله ، وأعرفنا بحديثه . والمعجب أيها القارىء أن هذا العلم كله كان في مدة لا تزيد على خمس سنين ، كما يظهر لمن تتبع البحث ، فهي المدة بين خبير ووفاته رسول الله ﷺ .

هذا وحذار أن تنقاد لما يقول به من يلحدون في الدين فيقولون : إن أبا هريرة خرف في آخر حياته ، فنقل عن رسول الله ﷺ ما لم يقله ، لينكر حديث الذباب وغيره ، وليجارى المدنية في كل ما تقول به ، وقد كان يستطيع أن يجد مندوحة أخرى غير الطعن في هذا الصحابى الجليل الذى يشك الناس في كل رواياته إذا أخذوا بهذا الخبر ، فيضيع شطر كبير من الدين ، نسأل الله العافية .

لقد منى هذا الدين بقوم يشكرون السنة ، ويقولون : لا يقبل إلا القرآن وما وافقه . وبقوم يطعنون فيما لا يوافق مواهمهم . وقد خسر الناس خسراناً ميباً . والدين إيمان وقلب سليم .

• • •

٣ - كان في هذا الإمام العارف بربه تواضع وفير يحمله على أن يستذكر دائماً ماضيه في إقلاقه وفقره واستتجاره نفسه ، وكان مع ذلك شكوراً ذكوراً لآلاء الله ، وقد مرت بك

(١) الفتح : يطلق على معان كلها صالح هنا : الفرو الخلق ، كناية الحما ، النخامة ترمى .

قصته التي حدث بها عن نفسه من أنه كان أجيراً لبنت غزوان . وفي حلية الأولياء أنه صلى بالناس يوماً فلما سلم رفع صوته فقال : الحمد لله الذي جعل الدين قواماً ، وجعل أبا هريرة إماماً ، بعد أن كان أجيراً لابنة غزوان ، على شيع بطه ، وحمله رجله ، وروى بسنده إلى مضارب بن حزن قال : بينا أنا أسير من الليل إذا رجل يكبر فألحقته بعمرى ، فقلت : من هذا المكبر ؟ قال : أبو هريرة . قلت : ما هذا التكبير ؟ قال : شكر . قلت : على مه ؟ قال : على أن كنت أجيراً لبصرة بنت غزوان بعقبة رجلى وطعام بطنى ... إلى آخر الخبر ، وهو في معنى ما تقدم لك .

٤ — كان أبو هريرة صواماً قواماً ، وكان ينصح بالصوم في الشتاء ، فيقول للناس : ألا أدلكم على غنيمة باردة ؟ قالوا : ماذا يا أبا هريرة ؟ قال : الصوم في الشتاء ، وقال : أبو عثمان النهدي : تضيعت أبا هريرة سبع ليال ، وقلت له : كيف صيامك يا أبا هريرة ؟ أما أنا فأصوم أول الشهر ثلاثاً ، فإن حدث بي حدث كان لي أجر شهرى . وتحدث أبو عثمان النهدي عن هذه الضيافة فقال : كان هو وخادمه وامرأته يعتقبون الليل أثلاثاً . ويقول أبو عثمان في خبر آخر طريف : إن أبا هريرة كان في سفر ، فلما نزلوا ووضعوا السفرة بعثوا إليه وهو يصلى ، فقال : إني صائم ، فلما كادوا يفرغون جاء لجمع يأكل الطعام ، فنظر القوم إلى رسولهم ، فقال : ما تتظنون ؟ قد والله أخبرني أنه صائم . قال أبو هريرة : صدق ، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : صوم شهر رمضان وصوم ثلاثة أيام من كل شهر صوم الدهر ، وقد صمت ثلاثة أيام من أول الشهر ، فأنا مفطر في تخفيف الله ، صائم في تضعيف الله .

وكان يستن سنة رسول الله ﷺ حين كان يطوف بالسوق ، ثم يأتي أهله ، فيقول : هل عندكم من شيء ؟ فإن قالوا : لا ، قال : فإني صائم . وكانت له رضى الله عنه أوراد من الاستغفار والتسبيح تدخل في عداد غير المحقول إلا أن تصح بها الرواية ، فيقولون : إنه كان له خيط فيه ألفا عقدة ، فلا يتام حتى يسبح به كله .

٥ — كان كثير الإشفاق من ذنبه ، شديد الخوف من ربه ، ويتحدثون أنه كان يستغفر الله كل يوم اثني عشر ألف مرة ، ويقول : إن ذلك على قدر ذنبي .

وإننا وإن لم نخجل هذا القول من المبالغة نقول : إن له دلالة على ما كان من كثرة استغفاره وإشفاقه من ذنبه . ويقولون : إنه لما كان في مرض الموت بكى بكاء شديداً . فقيل له : ما يبكيك ؟ قال : أما إنى لا أبكى على دنياكم هذه ، ولكنى أبكى على بعد سفرى ، وقلة زادى ، وأنى أصبحت فى صمود مهبط على جنة ونار ، ولا أدرى إلى أيهما يؤخذ بى . وكان أبو هريرة إذا مر بمنزلة قال : روحى فإنا غادون ، أو اغدى فإنا رانحون . موعظة بليغة ، وغظة سريعة ، يذهب الأول ، ويبقى الآخر ، لا عقل .

وجدير بمن كان فى غزاة علم مثل هذا الإمام ، وما اختصه به رسول الله ﷺ من تهذيب وتوجيه أن يكون من أقرب الناس إلى ربهم وأشدهم خوفاً منه ، وأكثرهم عظة بالموت وذكر الآخرة .

* * *

٦ — على أن حياة هذا الإمام الجليل لم تخل من هو يستعين به على الحق ، ومنزع ودعابة ، يستروح بهما للجد والطاعة ، فحديث هزته ، ولزومه لها ، وشهرته بها ، من المعلوم بالضرورة . وقالوا : إن مروان كان ربما استخلفه على المدينة ، فركب حماراً شد عليه برذعة ، وفى رأسه خلبة من الليف فيلقى الرجل ، فيقول : الطريق ، قد جاء الأمير . قال ابن قتيبة فى المعارف : إنه كان يأبى الصييان وهم يلعبون بالليل لعبة الغراب . فلا يشعرون بشئ حتى يلقى نفسه فيهم ويضرب برجله ، فينفر الصييان وينفرون .

وبعد - فاعلمى قد صورت لك هذا الإمام العظيم صورة تدفع بك أن تلتصص استيفاء الحديث عنه ، والاستفادة من ذكرياته ، والتعلق على أطوار حياته ، من كتب التاريخ والأدب والسنة النبوية الكريمة .

وحسبك من الفلادة ما أحاط بالعنق ، واهللى التوفيق والرشاد ٩

محمود النواوى

المفتش بالأزهر

الأزهر والصحافة

- ٣ -

صحف النديم :

قبل أن يذنبه « عبدالله نديم » صحفه كان يبث أفكاره ، وينشر آراءه في صحيفتي « مصر » و « التجارة » ، وكتائهما « لأديب إسحاق » ، ويجري بهما قلبه على الأسلوب الحديث المتحرر من السجع والتكلف ، ولما صرح « سليم النقاش » بإصدار صحيفتي « المحروسة » و « العصر الجديد » عقب « التجارة » و « مصر » ، ونفى من مصر « أديب إسحاق » ، تولى التحرير فيهما « النديم » ، فجاء بالمعجب والمطرب ^(١) .

التسكيت والتسكيت : ١٢٩٨ (١٨٨١ م)

وما زال « النديم » كذلك حتى استدعى صاحب « المحروسة والعصر الجديد » من بيروت الكاتبين الفاضلين « سليم أفندي عباس » و « فضل الله الخوري » ، فترك لهما تحرير هاتين الصحيفتين والقيام عليهما ، وأنشأ صحيفة « التسكيت والتسكيت » ، في الثامن من رجب ١٢٩٨ (٦ يونيه سنة ١٨٨١ م) ، وهي صحيفة وطنية أسبوعية أدبية هزلية . وكانت كما يقول « هجوها تسكيت ، ومدحها تسكيت » ، ولغتها سهلة مرسلة واضحة ، لا تلجئك إلى قاموس الفيروزبادي ، ولا تلزمك مراجعة التاريخ ولا أنظر الجغرافيا . وسخرتها نهات صدور ، وزفرات بصعدها مقابلة حاضرتنا نماضينا ، وهي في مجموعها مقالات أدبية رائعة ، وأفكار اجتماعية خصبة ، ظاهرها هزل ، وباطنها جد ، أودعها ما لم يسبقه أحد من الكتاب .

الطائف : ١٣٠٩ (١٨٩٢ م)

ثم أنشأ « النديم » صحيفة « الطائف » ^(٢) قبل الثورة العراقية ، وكانت في أول صدورها

[١] تراجم مشاهير الشرق لخوري زيدان ٣ ص ١٠٨

[٢] سميت الطائف تيمنا باسم هذه البلدة الشهيرة بالحجاز وتفاضلا بأنها تلطف المسكونة كما جاليتها جوانب

أحمد فارس [لبنان القرن الرابع عشر للرحوم أحمد تيمور باشا ص ١٧]

تحميل على المساوىء الاجتماعية العامة كالمواخير والحانات والمراقص التى غزت القاهرة فى ظل الامتيازات وتحت حمايتها^(١). ثم انتقلت الطائف ، من الموضوعات الاجتماعية الخالصة إلى الموضوعات السياسية العميقة ، والأخبار المهمة التى تميزت بها فى عهد الثورة العرابية ، حتى نقل عنها أكثر الصحف المعاصرة لها ما كانت تنشره .

صدرت الطائف صحيفة سياسية عنيفة بلغت من الشهرة ما لم يبلغه غيرها من التأثير فى الأذهان^(٢) وكانت رسالتها الدفاع عن الثورة العرابية وأبطالها ، احتفى بها رجال الثورة وأنصارها ، فاشترك لها النواب بمبالغ كبيرة ، وأصبحت لهم لسانا فيه من العنف والشدة ما اضطر الشيخ محمد عبده إلى تعطيلها شهرا .

ويمكن لها عطف الهيئات عليها من أن تتخذ لونا رسميا . وقد ذكرت جريدة مصر ، فى ٣ جمادى الأولى سنة ١٢٩٩ (٢٣ من مارس سنة ١٨٨٢ م) أن مجلس النواب قد اختار جريدة الطائف القراء لنشر ما يروم إبداءه من الآراء والخواطر والتقارير والمحاضر ، فهى الآن صحيفته شبه الرسمية . ثم قالت : « وجريدة الطائف جديرة بهذا الاختيار ، فهى موصوفة بالوطنية ، معروفة بصدق النية ، منشرة نافذة الكلام ، خطيرة مرعية المقام ، وقد استعان النديم بهذه الصفة (شبه الرسمية) على أن يكون ذا خبرة بشئون الدولة ، وأن يجدد من القوة ما يذلل به العقبات التى تعترضه - وامتازت الطائف بأسلوبها الحاد ، ولقنتها العنيفة ، وأظهر ما فيها تاريخ الخديو إسماعيل بأسلوب فيه من النعمة والتشفي منه ما أبعد عن التاريخ العادل . ومن ذلك الفصل الذى أورده عن الخديو السابق بعنوان « سلب الأملاك من الملاك » فقد استغرق صفحتين من صفحاتها الأربع . ومن عجب أن النديم حين أقدمه المرض أرسل يعتذر عن تحرير جريدته (إلا ما كان من تاريخ حضرة إسماعيل باشا) فإنه يصر عليه ويأبى الاعتذار عنه فيقول : « فإني أتكلف بكتابته لأن نشره من ضمن علاج ما بى » .

ثم انتقلت الطائف من الحملة على إسماعيل إلى الإقذاع فى توفيق ، فى لهجة قاسية فيها تعريض به ، حتى إن حكومته أمرت بتعطيلها فى ١٧ من مايو سنة ١٨٨٢ م ترصبة للخديو واعتذارا له عما ارتكبه صحيفته الحكومة من الإساءة إلى الحاكم الشرعى ٩

يبيع

محمد طاهر الفقى

المدرس بكلية اللغة العربية

بعض العبر في هجرة الرسول

إن الأمم وكذلك الافراد ، في حاجة إلى من يذكرهم دائماً بنواحي العبر في تاريخ أسلافهم ، لتحقيق غاياتهم ، حتى يتأسوا بهم فيما يريدون من الخير والسعادة لأنفسهم وذوئهم . وإن أحسن ما تذكر به الأمم الإسلامية في هذه الأيام التي يكافحون فيها لرد حقوقهم من الغرب الذي غلبهم عليها يوم تغلبهم عن عقيدتهم ، وانفضاضهم عن دينهم ، وانصرافهم عن أخلاقهم ، إن أحسن ما تذكرهم به هو بيان بعض العبر في هجرة الرسول صلوات الله عليه إلى المدينة ، تاركا وطنه مكة ، الذي ولد فيه ، ونشأ بين جدرانته ، وتربى في أكنافه ، والذي عاش فيه ثلاثة وخمسين عاماً بين أهله وذويه وقومه وعشيرته ، كل ذلك لنصرة عقيدته التي امتزجت أصولها بروحه ، أو هي روحه التي لا يحيا بدونها ، لأن فيها مرضاة ربه ، وهي تفوق عنده كل شيء حتى الحياة نفسها التي هي أئمن ما يحرص عليه الناس . وشاركه عليه الصلاة والسلام في هذا المسلمون الذين كانت عندهم القدرة على تلك الهجرة ، فتركوا كذلك الأهل والولد ، والمال والوطن ، فراراً بعقيدتهم التي اختلطت بدمائهم ، وصرى نورها في أرواحهم ، حتى كأنها حيائهم ، بل إذا تعارضت الحياة مع نصرة تلك العقيدة ضحوا بالأولى في سبيل الثانية راضية نفوسهم ، مطمئنة قلوبهم ، وهكذا إذا خالطت العقيدة شغاف القلوب ، وداخل الإيمان بها النفوس ، أصبحت فوق كل شيء ، وأعز من كل شيء : من المال والولد .

وهذا المعنى السامي في تقديس العقيدة وتقديمها على كل ما نملك ، وعلى كل المتع الدنيوية ، هو الذي أوجبه الله على عباده المخلصين حقاً ، والمؤمنين صدقا ، فقال تعالى : « قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فترهبوا حتى يأتي الله بأمره » .

وأود أن يسمع القاري. وصفاً عن بعض ما وقع لمحمد وصاحبه الصديق الأعظم عند هجرتهما وما لقياه في رحلتها فراراً بعبس نور النبوة أن قطعته أفواه المشركين يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون ، ليكون أسوة للجماعدين من أمة محمد في سبيل نصر حقهم على باطل غيرهم .

وهذا الوصف إنما هو على لسان أبي بكر شريك محمد عليه الصلاة والسلام في هجرته ، قال البراء بن عازب رضى الله عنهما : جاء أبو بكر رضى الله عنه إلى أبي في منزله فاشترى منه وحلاً ، فقال لعازب : ابعت منى ابنك يحمله إلى منزلي . فقال لى أبي : احمله ، فحملته وخرج أبي معه ينتقد ثمنه . فقال له أبي : يا أبا بكر ، حدثني كيف صنعتما ليلة سريت مع رسول الله ﷺ . قال : نعم ، أسرينا ليلتنا ومن الغد حتى قام قائم الظهيرة وخلا الطريق لا يمر فيه أحد ، فرفعت لنا صخرة طويلة ، لها ظل لم تأت عليها الشمس بعد ، فزلنا عنده فأثبت الصخرة وسويت يدي مكاناً ينام فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم في ظلها ، ثم بسطت عليه فروة . ثم قلت : نم يا رسول الله وأنا أنفض لك ما حولك ، فنام . وخرجت أنفض له ما حوله ، فإذا أنا براع حقل بغنمه إلى الصخرة يريد منها مثل الذي أردنا . فقلت : لمن أنت يا غلام ؟ فقال : لرجل من أهل المدينة أو مكة ، فقلت : أفي غنمك لبن ؟ قال : نعم ، قلت : أفحلب ؟ قال : نعم . فأخذ شاة ، فقلت : أنفض الضرع من الشعر والتراب والقذى . ففعل ، وحلب في قعب معه كعبة (شيئاً قليلاً) من لبن ، ومعى إداوة حملتها للنبي ﷺ يرتوى ويشرب ويتوضأ ، فأثبت النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو نائم فكهت أن أرقظه ، فرفقت حتى استيقظ . فصبيت على اللبن من الماء حتى برد أسفله ، فقلت : اشرب يا رسول الله . قال : فشرب حتى رضيت ، ثم قال لى : ألم يأن للرحيل ؟ قلت : بلى ، فارتحلنا بعد ما زالت الشمس ، واتبعنا سراقه بن مالك بن جعشم ، ونحن في جلد من الأرض (غليظة صلبة) . فقلت : يا رسول الله أتيتنا . فقال : لا تحزن إن الله معنا . فدعا عليه النبي ﷺ ، فارتطمت يد فرسه (غاصت) إلى بطنها . فقال : إني قد علمت أنكما دعوتما على ، فادعوا لى ، فالدعوى لكما أن أرد عنكما الطلب . فدعا له النبي ﷺ ، فجعل لا يلتق أحداً إلا قال : قد كفيتهم ما هنا ، فلا يلتق أحداً إلا رده . قال : ووفى لنا . أخرجه الشيخان .

ويقول المؤرخون: إن هذه الرحلة قد استمرت سبعة أيام متتابة، وقد كانت أيام قيظ وحر شديد، حيث إن بعض المؤرخين يذهب إلى أنها كانت في شهر يولييه. ويذهب آخرون اعتماداً على حساب فلكي إلى أنها كانت في سبتمبر. وعلى كلا الرأيين فهي في وقت شديد الحرارة، وخاصة في جزيرة العرب التي هي حارة بطبيعتها. وما إن بلغ أهل المدينة مقدم رسول الله حتى خرجوا إليه يستقبلونه، وقد كانوا ينتظرون قدومه كل يوم حتى إذا زال عنهم الظل رجعوا إلى ديارهم، وفي آخر يوم سمعوا بعد رجوعهم رجلاً من اليهود ينادى بأعلى صوته فرق أحد تلال المدينة وهو يقول: «يا معشر العرب هذا جدكم (حظكم) الذي تنتظرون»، فخرجوا لملاقاة الرسول يحملون أسلحتهم إغرازاً لرسول الله، وتكريماً لدين ربهم الذي أنعم عليهم به على يد محمد بن عبد الله المولود بمكة، والمهاجر إلى المدينة، التي أصبحت مركز الدعوة الإسلامية والهداية الإلهية إلى أن ضمت رفاة الشريف، وفازت بشرف الرسول وبيته، كما فازت مكة ببيت الله الحرام. وبأنبي الله إلا أن تكون كلمته هي العليا، وكلمة الذين كفروا هي السفلى.

* * *

تلك بعض العبر في هجرة الرسول عليه الصلاة والسلام، وإنها لتوضح لنا كيف جاهد الرسول وأصحابه الذين أخلصوا نفوسهم لله في سبيل إحقاق الحق وإزهاق الباطل. وإنه يجب أن يكون لنا من كل هذا درس نتخذه مثلاً أعلى للوصول إلى غاياتنا، وتحقيق أهدافنا. والذي يلاحظه القارئ أن كل ما عمله الرسول حين أراد أن يهاجر من موطن دعوته القديم إلى الموطن الجديد، كان مماثلاً لما يقوم به أصحاب كل دعوة من البشر، إلا ما ورد في حديث أبي بكر المتقدم من أمر سراقه الذي غاصت أقدام فرسه في الصخر حين هم بإيذاء النبي وصاحبه، وإلا ما ورد في حديث آخر رواه أبو بكر أيضاً قال: نظرت إلى أقدام المشركين ونحن في الغار، وهم على رؤوسنا، فقلت: يا رسول الله، لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرنا. فقال: يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟ أخرجه الشيخان والترمذي.

* * *

وفي عامة أحواله صلى الله عليه وسلم كان ياجأ لما يلجأ إليه البشر في تحقيق أغراضهم، فهو يلبس على كفار قريش بميت على رضى الله عنه في فراشه، ثم يخرج من بينهم آخر الليل، ثم يختبئ في غار، ثم يسلك طريقاً غير مألوف حتى لا يدركوه ويمنعوه

من الخروج من بينهم ، ويركب راحلة ويفتقل في الحر الشديد بين الجبال والوديان ،
ويتحمل في هذا ألم الجوع والعطش ، وتعب السفر ومشاقه ، فوق خوفه من لحاق قريش به
ومنع من بلوغ غايته .

كل تلك الأمور مسائل بشرية صرفة يعملها كل من يريد أمرا تحول دونه حوائل .
ولقد كان الإله سبحانه الذي أسرى به إلى بيت المقدس وعرج به إلى ما وراء السموات
السيح - مما لا يصل إليه أحد من خلقه ولو كان من ملائكته المقربين - في ليلة واحدة ،
بل في أقل منها ثم رجع إلى مكانه . لقد كان لإلهه سبحانه الذي عمل معه هذا قادرا على
أن يمل مع محمد عليه الصلاة والسلام ذلك في هجرته ، فإذا بكفار قريش يبيتون وقد أصبحوا
لا يرونه بينهم ، وبأهل المدينة وقد أمسوا وليس بينهم محمد فإذا بهم وقد أصبح بينهم ،
ولا يكفون أنفسهم غناء الانتظار ومشقته سبعة أيام في حمارة القيظ وشدة الحر . ولكنه
سبحانه لم يعمل هذا مع رسوله عليه الصلاة والسلام حتى يتعلم كل مجاهد في سبيل هذه العقيدة
الحقة ضروب الصبر وتحمل الآلام ، وحتى لا يكون في الإيمان بها إلقاء الخوارق ،
بل اقتناع العقول ، واطمئنان القلوب ، لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي .

يزاد على ما تقدم أمر آخر ، وهو أن تلك العقيدة لن تقوم ولن تبقى إلا بالجهاد وتحمل
المتاعب واستعذاب الآلام ، وأن الهجرة وترك الوطن والاعتراب في سبيلها أول حلقة
من تلك السلسلة الطويلة من ضروب المجاهدات والحروب والقتال .

* * *

ألا نتمكن المسلمون عبرة من تاريخ رسولهم ، وعظة من دروسه في تحمل المشاق
في سبيل عقيدتهم ، وليعلموا أن رسالتهم التي فرطوا فيها ليست رخيصة القيمة ، وإنما قد
بذل في سبيلها دماء زكية ، ونفوس أبية ، وقلوب طاهرة ، فعلمهم أن يحرسوا عليها
ويستمسكوا بها ، ويدفعوا عنها من يريد بها بسوء أو يكيد لها بشر ، وليوقنوا أن أي شيء
في هذه الحياة لن ينال بسهولة . وبقدر الجهد وتحمل التعب يكون الجزاء والثمن ، وليس
للكسالى إلا الخسار والدمار ، والذل والعار ؟

على مصطفى القزافي

السيدة أم سلمة

رضي الله عنها

نسبها :

هي السيدة هند بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم المخزومية القرشية . واسم أبيها حذيفة وقيل : سهيل ، وكان أبوها أحد أجواد العرب وكرمائمهم حتى لقب بزاد الراكب ، لأنه كان إذا سافر لا يترك أحداً يرافقه ومعه زاد ، بل يكنى رفقته من الزاد ، وكان حدها من الشرف ، فكان حتى كان الرجل من بني مخزوم يؤثر أن ينسب إليه فيقال له « المغيرة » .

وأما عاتكة بنت عامر بن ربيعة بن مالك الكنانية من بني فراس . تزوجت أولاً بابن عمها أبي سلمة بن عبد الأسد ، فلما مات سنة أربع خلف عليها رسول الله ﷺ فصارت من أمهات المؤمنين .

إسلامها وحياتها :

كانت أم سلمة رضي الله عنها من النساء اللاتي سبقن إلى الإسلام ، والظاهر أنها أسلمت بعد زوجها أبي سلمة بقليل . وكما كان السيد أبو سلمة مثلاً عالياً للرجال في الهجرة إلى الحبشة والمدينة ، كذلك كانت السيدة أم سلمة ، فقد صاحبت في هجرته إلى الحبشة ، وكانت إحدى أربع نسوة سارعن بالهجرة إليها : منهن السيدة رقية بنت رسول الله صلوات الله وسلامه عليه وزوج السيد الحبي عثمان بن عفان رضي الله عنه .

ولما أذن النبي ﷺ للمسلمين في الهجرة إلى المدينة سارعت معه إلى الهجرة إليها ، وقيل : إنها أول ظعينة هاجرت إلى المدينة . وقصة هجرتها إلى المدينة قصة رائعة كما سبق في مقال السابق . وقد ولدت لأبي سلمة ابنهما سلمة وبه كنيا ، وعمرودرة وزينب ،

ولم تعقب من النبي ﷺ . وقد حظى أولادها من زوجها الأول بعد وفاته برعاية النبي ﷺ ونالهم من عطفه وبره الكثير ، وأنزلهم منزلة أبنائه ، فياله من شرف عظيم .

وكانت أم سلمة موصوفة بالجمال البارع ، والعقل البالغ ، والرأى الراجح . ونساء بني مخزوم مشهورات بالجمال وحسن التبعيل ، حتى كان يقال : « المخزوميات رياحين العرب » ، ويظهر أن كبر السن وما صادفها في حياتها من مشاق وبلاء قد أذهب الكثير مما كانت عليه من جمال وأنصرة ، وإن بدت يادى النظر ذات جمال . أخرج ابن سعد عن طريق عروة عن عائشة بسند فيه الواقدي قالت : لما تزوج رسول الله ﷺ أم سلمة حزنت حزناً شديداً ، لما ذكر لنا من جمالها ، فتلطفت حتى رأيتها ، فرأيت والله أضعاف ما وصف فذكرت ذلك لحفصة . فقالت : ما هي كما يقال . قالت : فرأيتها بعد ذلك فكانت كما قاله حفصة ، ولكنى كنت غيرة ^(١) . ويدل على عقلها وأصالة رأيها إشارتها على النبي صلوات الله وسلامه عليه عام الحديبية ، ذلك أن النبي لما فرغ من عهد الحديبية قال لأصحابه : قوموا فانحروا ثم احلقوا فقام منهم أحد . حتى قال ذلك ثلاث مرات ، فدخل على أم سلمة فذكر لها ما لقي من الناس ، فقالت السيدة العاقلة : يا رسول الله ، أخرج ثم لا تكلم منهم أحداً كلمة حتى تنحر بدئك ، وتدعو خالقتك فيحلقك . ففعل رسول الله كما أشارت عليه ، فلما رأى الصحابة ذلك قاموا فنحروا ، وجعل بعضهم يحلق رأس بعض .

أم سلمة أم المؤمنين :

كانت أم سلمة عروبا لزوجها أبي سلمة ، ولما توفى سنة أربع حزنت عليه حزناً شديداً وبقيت وفية له بعد مماته كما وفيت له في حياته . وقد بلغ من وفائها له أن كان يحول بخاطرهما أن ليس هناك خير من أبي سلمة ، وكانت قد سمعت من رسول الله صلوات الله وسلامه عليه حديثاً في الصبر عند المصيبة والاسترجاع والدعاء بالاجر والإخلاص ، فلما توفى أبو سلمة استرجعت ودعت بهذا الدعاء ففعلها الله به ، ومن عليها بمن لم يكن يخطر لها على بال أن يتزوج بها وهو رسول الله ﷺ .

روى الإمام مسلم في صحيحه عن أم سلمة زوج النبي ﷺ قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول : إنا لله وإنا إليه راجعون ، اللهم أجرني في مصيبي وأخلف لي خيراً منها إلا أجره الله في مصيبي وأخلف له خيراً منها ، فلما توفي أبو سلمة قلت : من خير من أبي سلمة ؟ أول بيت هاجر إلى رسول الله ﷺ . ثم عزم لي فقلت : فأخلف لي خيراً منه : رسول الله ﷺ .

أما قصة زواج رسول الله بها فإنها لما انتهت عندها في شوال أرسل إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر رضى الله عنه يخطبها عليه فلم تقبل ، فبعث إليها عمر بن الخطاب رضى الله عنه فاعتذرت ، فلم يحمد رسول صلوات الله وسلامه عليه بدا من أن يذهب إليها بنفسه . روى الإمام أحمد عنها قالت : لما انتقضت عتي استأذن علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أدبغ إهاباً لي ، ففسلت يدي من القرظ ، وأذنت له فوضعت له وسادة آدم حشوها ليف فقمعد عليها فخطبني إلى نفسه ، فلما فرغ من مقالته قلت : يا رسول الله ، ما بي أن لا تكون بك الرغبة ، ولكنني امرأة غيرة فأخاف أن ترى شيئاً يعذبنى الله به ، وأنا امرأة قد دخلت في السن ، وأما ذات عيال . فقال : أما ما ذكرت من الغيرة فسادعو الله أن يذهبها عنك ، وأما ما ذكرت من السن فقد أصابني مثل الذي أصابك . وأما ما ذكرت من العيال فإنما عيالك عيالي قالت : فقد سلمت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتولى تزويجها ابنها سلمة أكبر أبنائها ، وبذلك تشرفت بزواجها رسول الله ﷺ وصارت أما من عداد أمهات المؤمنين . ومن ثم نرى أن زواج رسول الله بها لم يكن إلا جبراً لحاظهما وكسرهما ، وحفظاً لها ولأولادها من الضيقة ، ووفاء بحق زوج من خيار المسلمين ، أثر رضا الله ورسوله على الدنيا وزخرفها ومتعها ، وخاطر بنفسه حتى استحق الشهادة في سبيل الله ، وبذلك ضرب رسول الله صلوات الله وسلامه عليه أروع الأمثال في باب المواساة بالنفس والمال ، ووضع الأساس الصالح لأولى الأمر لرعاية حقوق المواطن الصالح والجندى الباسل المضحي بنفسه في سبيل الله والحق والوطن . فهذه الاعتبارات السامية هي التي حدث برسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتزوج بها .

روايتها الحديث وعلها :

كانت أم سلمة رضى الله عنها كعبية أمهات المؤمنين : عاقلة عالمة راوية لحديث رسول

الله ﷺ ، إما بالذات وإما بالواسطة . وقد ممكن لها طول بقائها بعد الرسول رواية الكثيرين عنها ؛ روت عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وعن زوجها أبي سلمة ، وعن السيدة فاطمة الزهراء . وروى عنها أبناها عمر وزينب ، وأخوها عامر ، وابن أخيها مصعب بن عبد الله ، ومكاتها نهران ، ومواليها عبد الله بن رافع ونافع وسفينة ، ومن كبار التابعين أبو عثمان النهدي وسعيد بن المسيب وسليمان بن يسار وغيرهم . ولها من المرويات في كتب الحديث ثلثمائة وثمانية وسبعون حديثاً ، اتفق البخاري ومسلم على ثلاثة عشر منها ، وانفرد البخاري بثلاثة ومسلم بثلاث .

ومن فضائلها أن بعض آيات الوحي نزلت بينها ، روى عنها أنها قالت : في بيتي نزل قوله تعالى : « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً » فأرسل رسول الله ﷺ إلى فاطمة وعلى والحسن والحسين فقال : هؤلاء أهل بيتي . قالت فقلت : يا رسول الله أما أنا من أهل البيت ؟ فقال : بلى إن شاء الله . وسياق الآيات يدخل أزواج النبي ﷺ في أهل البيت إذ الخطاب لإيهن ، والكلام السابق واللاحق في شأنهن ،

وإذا كان حسن السؤال نصف العلم كما يقولون ، فقد كان لحسن سؤالها للنبي صلى الله عليه وسلم أن أنزل الله بسبب ذلك قرآناً يتلى إلى يوم الدين ناطقاً بأن الرجال والنساء سواء في الأجر وعظم الثواب ، روى الإمام أحمد عن أم سلمة أنها قالت : « يا نبي الله مالي أسمع الرجال يذكرون في القرآن والنساء لا يذكرون ؟ فأرسل الله قوله : « إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات ، إلى قوله « أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً » الآية ٣٥ من الأحزاب .

وروى الحاكم في مستدركه عنها أنها قالت : يا رسول الله ، لا نسمع الله ذكر النساء في الهجرة بشيء ، فأرسل الله سبحانه : « فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضهم من بعض » فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيل وقاتلوا وقتلوا لا كفرن عنهم سيئاتهم ولادخلتهم جنات تجري من تحتها الأنهار الآية .

وفاتها :

وبعد هذه الحياة الطويلة التي ذاقته فيها المر والحلو ، والتي حفلت بمجلائل الاعمال وعظائم الامور ، واماها الاجل المحتوم ، وقد اختلف في سنة وفاتها فقال الواقدي : ماتت سنة تسع وخمسين للهجرة ، وقيل آخر سنة إحدى وستين ، وقيل سنة اثنتين وستين إبان خلافة يزيد بن معاوية وبعد مقتل الحسين . روى محمد بن سعد عن شهر بن حوشب قال : إنا لعند أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم فسمعنا صارخة فأقبلت حتى انتهت إلى أم سلمة فقالت : قتل الحسين ، قد فعلوها ، ملا الله قبورهم أو بيوتهم عليهم ناراً ، ورقعت مغشياً عليها وقتنا .

وهذه القصة إن صححت تدفع قول الواقدي . وهي آخر أمهات المؤمنين مونا كما قال الحافظان : الذهبي وابن حجر ، وبموتها انطأ آخر مصباح من مصابيح أزواج النبي صلى الله عليه وسلم طالما شمت النور والهدى والدلم ؟

محمد محمد أبو شربة
الاستاذ بكلية أصول الدين

أمة الحرية والفروسية

لما مثل الدكتور ادوار ماشنسكى (مندوب الجمهورية البولونية لدى الحكومة السعودية) قبل نحو ربع قرن بين يدي الملك عبد العزيز آل سعود ليقدم له أوراق اعتماده ، خطب خطبة قال فيها :

إن مملكة بولونيا تعرف جيداً الأمة العربية الجسورة وفروسيها ، وتقديرها حق قدرها . وقد اشتهرت أمة العرب بحبها للحرية حتى بلغت شهرتها إلى بولونيا فتغنى شعراؤها — منذ العصور السالفة — بفروسية هذه الأمة الكريمة . إن الأمة البولونية تقدر هذه الفروسية وهذا الحب للحرية لأنها هي أيضاً قاتلت متفانية لنيل استقلالها ، وتحملت آلاماً ومتاعب كثيرة لبلوغ غايتها من الحرية المنشودة .



المُؤْمِنُونَ حَقًّا

كما وصفهم القرآن الكريم

- ٣ -

أجملت في الحديثين السابقين ^(١) بعض صفات المؤمنين . وبقي من هذه الصفات كثير منجملة في هذا الحديث ، فقد امتد بنا نفس القول ، وهذا موضوع يحتاج إلى كتاب على حدة .

وإمل من أجل الصفات للرجل المؤمن العفة ، والأمانة ، والوفاء بالهد ، وهذه الصفات هي الواردة في آيات (المؤمنين) في قوله تعالى : « والذين هم لفروجهم حافظون ، إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين ، فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون ، والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون . » وقد جاء في سورة الفرقان في وصف عباد الرحمن : « ولا يزنون ، ومن يفعل ذلك يلق أثاما ، يضاعف له العذاب يوم القيامة ، ويخلد فيه مهانا ، إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا ، فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات ، وطبيعى أن تكون العفة من أجل الصفات وأنبلها ، فإن الأضرار التي تلحق بالمجتمع من وراء الفجور ، أضرار بليغة قاسية . والمؤمنون أبعد الخلق عن الإضرار بالمجتمعات ، وليس ضرر الزنا قاصرا على الشخص نفسه ، وإنما يتعداه إلى الآخرين ، ولذلك كان من السكابر التي نهى عنها الإسلام ، وشدد في النهى عنها ، والنكير على مرتكبيها .

وفي سورة الرعد : « إنما يتذكر أولو الألباب ، الذين يوفون بعهد الله ولا يفتنون الميثاق ، . وصفة الأمانة ، وصفة الوفاء بالهد ، من أهم الصفات التي يجب أن يتحل بها الأفراد

(١) ص ٩٠٦ و ٦٨١ من هذه المجلة لستها للسانية .

والألم ، حتى يقوم التعاون بين الناس ، وحتى ينهض السلام بين الأمم على دعائم وطيدة ، والمراد بالأمانة كل ما ائتمن عليه الإنسان ، والمراد بالعهد ما ترابط به الناس فيما بينهم ، ولو أن كل أمة حرصت على أن تؤدي لغيرها ما ائتمنت عليه ، ولو أن كل أمة وفّت بالتزاماتها ، وراعت عهودها وعقودها لساد السلام بين الأمم ، ولنجت البشرية من أخطار جسيمة ، هددتها وستهددها إلى أن يرجع الناس إلى فضائل الدين . ولا غرابة في ذلك ، ونحن نرى الحيانة والغدر من أكثر الصفات شيوعاً بين الأفراد والجماعات ، وقد حذر ديننا الإسلامي من الحيانة أشد التحذير حتى قال الرسول الكريم : « لا إيمان لمن لا أمانة له » ، كما حذر من الغدر ، لجعله من صفات المنافقين ، وفي الحديث الشريف : « أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً : من إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر ، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها » .

ومن الصفات الحميدة التي وصف بها المؤمنون ، ما جاء في أول أوصافهم في آيات الفرقان ، من قوله تعالى : « وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا ، ومعنى ذلك أنهم متواضعون ، لا تشمخ أنوفهم على خالق الله ، ولا يملأ الفيه أعطافهم ، مهما بلغوا في المال أو في الجاه أو في العبادة ، والمراد بالهون السكينة والوقار ، وليس المراد أنهم يسرون في تحاذل وضعف ، فذلك ليس من وصف المؤمنين ، ولم يكن الرسول ، ولا أصحابه على هذه المشية التي يتصنعها المنتطعون في الدين ، من التزمّت الشديد ، وإظهار الضعف ، وإنما كان يمشى رسول الله ﷺ ، وكأنما يتحدر من صلب ، وفي وصف عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كان إذا مشى أسرع ، وإذا قال أسمع ، وإذا ضرب أوجع ، وقد رأى شاباً يمشى رويداً ، فقال له : ما بالك ؟ أنت مريض ؟ قال : لا . يا أمير المؤمنين ، فعلاه بالدرة وقال : لا تنفسد علينا ديننا . ولا يفهم من وصف مشية عمر بالإسراع أنه كان يهرول ، وإنما المراد أنه كان يمدّ في مشيته ، ولا يظهر فيها أثر الضعف ، وأيس من المحمود في الدين الإسراع في المشي كما جاء في الحديث : « سرعة المشي تذهب بهاء المؤمن » .

وإنما كان المشي على الأرض هونا من صفات المؤمنين ، لأنه لا يوجد في هذه الحياة - مهما كان فيها من نفائس - ما يغري الرجل العاقل بأن يركن إليه ، ويتناول على عباد الله به ، فهماء وصل المرء ، ومهما بلغ من عظام الأمور فإنه إلى التراب يصير ،

وقد أوفى على الغاية بعض الصالحين ، حين يقول في موعظته : « يا ابن آدم ، طأ الأرض بقدميك فإنها عن قريب قبرك » .

ولعل مما يجعل هذا التواضع مريضاً نظر المؤمنين ، أن الله وصفهم بالشدة على أعداء الله فليس التواضع عن ضعف في نفوسهم ، وإنما عن قوة ، فهم - مع تواضعهم هذا - أسد غضاب ، لا يبالون أين سقطوا في المعركة ، كأن كل واحد منهم يتحمل :

أَكْرَ عَلَى السَّكَنِيَّةِ لَا أَبَالِي أَحْتَقِ كَانَتْ فِيهَا أُمُّ سَوَاهَا
وَمَا قَالَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ :

وَلَسْتُ أَبَالِي حِينَ أَقْتُلُ مُسْلِمًا عَلَى أَيْ جَنْبٍ كَانَ فِي اللَّهِ مُصْرَعِي

وقد عز المسلمون ، واتسعت دولتهم ، وهابهم أعداؤهم ، يوم كانوا أشداء على الكفار رحماً بدينهم ، فلما تركوا أخلاق نبيهم ، وأعملوا فضائل دينهم ، وعكسوا الآية في بعض الأحياء ، فكانوا رحماً على الأعداء ، أشداء على الأولياء ، ضاعت هيبتهم ، واستعبدوا أعداؤهم ، وجعل الله بأسهم بدينهم .

ومن الآيات الجامعة في القرآن الكريم لصفات المؤمنين ، قوله تعالى في سورة التوبة :
« إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ » إلى قوله « وبشر المؤمنين » .

في ابتداء هاتين الآيتين رغب الله عباده المؤمنين في الجهاد ترغيباً بليفاً ، ووعدهم وعداً حسناً ، جعل الجنة التي عرضها السموات والأرض ، عوضاً عن نفوسهم وأموالهم حين يجاهدون في سبيل الله ، فيقتلون ويقتلون ، وهو عوض عظيم حقا ، ولذلك فرح الصحابة بهذه الآية فرحاً بالغاً ، وأكبروا أمرها كل الإكبار . حتى أنها لما نزلت توافد الناس على المسجد ، وأقبل رجل من الأنصار ثانياً طرفي ردائه على عاتقه ، فقال يا رسول الله : أنزلت هذه الآية ؟ قال : نعم . فقال الأنصاري : بيع ربيع ، لا ثقل ولا نستقيل .

ثم عدت الآية الثانية أوصاف المؤمنين ، فقد ذكر فيها تسعة أوصاف :

(التائبون) ومعنى هذا أن المؤمن الحق إذا ألم بذنب من الذنوب لم يصر عليه ، بل يؤنبه ضميره ، فيسارع إلى ربه ويندم على فعله ، ويستغفر الله ، ويطلب منه محو ذنبه ، وإقائه من عثرته ، وقد جاء هذا الوصف للتوأمين في آيات أخر ، جاء في سورة آل عمران « والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ، ومن يغفر الذنوب إلا الله ، ولم يصروا على ما فعلوا ، وهم يعلمون ، ووعده الله — ووعده الحق — أن من اكتسب خطيئة أو إثماً ثم أناب إلى ربه ، وندم على فعلته ، غفر الله له ، ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً . »

(العابدون) وهذا وصف جامع ، والمراد أنهم يداومون على عبادة الله ، وأنهم يؤدون على أحسن وجوها ، لا يشغلهم عنها شاغل ، رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار .

(الحامدون) أى الذين يحمدون الله على كل حال ، فهم يقابلون كل أمر منه بالنسليم والرضا ، ولهم في رسول الله أسوة حسنة ، فقد روت عائشة رضى الله عنها قالت : « كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أتاه الأمر يسره قال : الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات ، وإذا أتاه الأمر يكرهه قال : الحمد لله على كل حال ، وإذا بلغ المؤمن هذا الحمد من الحمد على السراء والضراء فقد خلص قلبه لربه ، وطهرت نفسه من شهوات الدنيا ، وأصبح - حقاً - من عباد الله المقربين . »

وقد كان كثير من سلفنا الصالح كذلك ، فكانوا يفرحون بالضراء كما يفرحون بالسراء ، لما يكون في الضراء من جزاء الصبر ، وما يكون في السراء من جزاء الشكر ، ولذلك قيل : التهنة على آجل الثواب خير من التعزية على عاجل المصيبة . فهم يرون أن المصيبة وسيلة إلى إظهار رضاهم عن ربهم وصبرهم على بلائه ، فهذه التى حلت بهم ليست مصيبة يعزى فيها ، وإنما هى نعمة يهنا عليها ، وقد قالوا في الصبر الجميل : إنه لا يتحقق حتى يقوم الرجل يوم تصيبه المصيبة ، مثله قبل أن تصيبه . وهذا مقام عظيم ، لا يصل إليه إلا المصطفون ، وقليل ما هم .

(السائحون) جاء عن عائشة : سياحة هذه الأمة الصيام ، وقيل : المراد بهم المهاجرون ، وقيل : المجاهدون ، فقد ورد عن النبي ﷺ : أن سياحة أمتي الجهاد ، وقيل : طلبة العلم ،

وأياً ما كان فليس المراد به السياحة المعروفة ، لأن هذه رهبانية ، ولا رهبانية في الإسلام .
(الراكمون الساجدون) المراد بهما ، إقامة الصلاة ، والخشوع فيها ، وقد سبق الحديث عن ذلك .

(الأمرون بالمعروف والناهون عن المنكر) وهاتان الصفتان ، من أدل الصفات على قوة الإيمان ، والاستهانة بكل ما يعترض طريق المؤمن من متاعب وآلام ، في سبيل تطهير المجتمعات من الرذائل ، وتحليتها بكرم الخصال . والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، هما الجهاد العملي ، في سبيل إحقاق الحق ، وإبطال الباطل ، ومحاربة الظلم والبغى والفساد ، وإذا كان الثواب على قدر المشقة ، فإن من أشق ما يقوم به المؤمن أن يأمر بالمعروف ، وأن ينهى عن المنكر ، ولا سيما في الأزمنة التي يعم فيها الفساد ، ويطغى فيها الحكم ، وقد وصف الله الأمة المحمدية بأنها خير أمة أخرجت للناس ، وكان من أسرار ذلك أنها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، فقال تعالى : « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » كما نرى على اليهود ، وأخبر أنهم امنوا على لسان داود وعيسى بن مريم (بما عصوا وكانوا يعتدون ، كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه) وقد وازن القرآن بين المنافقين والمؤمنين ، فقال في شأن المنافقين : (المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف) ، وقال في شأن المؤمنين : (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) .

(والحافظون لحدود الله) هذا تعميم بعد تخصيص ، أعنى أنه بعد أن وصفهم بهذه الصفات مفصلة أجل الأمر كله في هذه الصفة ، فذكر أنهم حافظون لأوامر الله فلا يخالفون ، وحافظون لنواحيه فلا يترفون شيئاً منها .

(وبعد) فهذه أصول الفضائل التي تميز المؤمنين الصادقين عن الآخرين ، وقد وعدم الله على قيامهم بما تتطلبه هذه الصفات ، النعيم المقيم (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون) ؟

على السامري

فارس غرناطة

مسرحة في فصل واحد

المكان : قاعة العرش في قصر الحمراء من غرناطة
الزمان : المحرم سنة ٨٩٧ هـ (نوفمبر ١٤٩١ م)

أشخاص المسرحية وأدوارهم

الأدوار :

صاحب غرناطة آخر ملوك العرب في الأندلس
حاكم * العسكري وعضو المجلس الأعلى
قائد غرناطة وفارسها
من القواد

الأشخاص (التاريخيون) :

أبو عبد الله
أبو القاسم
موسى بن أبي الفسان (الغزان)
نعم بن رضوان
محمد بن زائدة

الأشخاص المضافون :

فرانشان في قصر الحمراء
سعيد
حماد (أبو سعيد)
حاجب
أبو محمد
من أعضاء المجلس الأعلى
القاضي
شيخان
رسول فرديناند وإيزابيلا
فاطمة
هروس موسى

المشهد الأول

(سعيد وحامد - فراشان - يرقبان الارائك ، ويصلحان وضع القاعة استعداداً لاجتماع المجلس الاعلى) .

سعيد : (عسكاً عن العمل يتأمل القاعة ويرسل زفرة جري) وا أسفاه ! .. إنها المرة الأخيرة التي نطلنا فيها أيها السقف الذهبي ! ..

حامد : سعيد ! .. إنك لتفرغنى بهذه الكلمات ...

سعيد : لم يعد هناك مجال للتضليل ... إن غرناطة على وشك السقوط .
(أصوات الأبواق والطبول ترتفع من بعيد) .

حامد : ولكن الحامية لا تزال قوية ... ألا تسمع ! ؟

سعيد : لينك أملك .. إنه الشعاع الأخير في ظلمات اليأس .. أما أنا ... فلا أحس في هذه الأبواق إلا نذير الفناء .. لقد استعالت في مسمعى ألباباً ينفخها الأطفال ...

حامد : أوه ! .. إنك مخلوق طبعته على التشاؤم ...

سعيد : ولم لا ؟ .. وكل ما حولنا يعق بالشؤم .. حتى ملكك ... !

حامد : وأنت أيضاً ! .. ألا يكفي أبا عبد الله أن يجمع هذا الحباب أينما ذهب من غرناطة ... بهذا عقوق يا ...

سعيد : كفى .. كفى .. من حق الناس أن يلقوه بأكثر من هذا .. وما أشد عقوقهم لربهم في صبرهم على هذا الأبله ! ..

حامد : ويحك .. أنسيت بلائه المجيد ؟ .. لم يدفع هؤلاء المغيرين عن غرناطة قبل شهر ؟ !

سعيد : (يرسل ضحكة جافة) وأى فضل له في ذلك ! .. إنها حماسة ابن أبي الغزان الذي جره مكرماً إلى المعركة .

حماد : هب ما تقوله صحيحاً ، فما ذنبه ؟ .. وقد تسلم البلاد وهي في دور الاحتضار ..
كما قال لك خالد أمس .

سميد : أنت دائماً تردد أقوال خالد . ولكن الناس لا يحاسبون صاحبكم
على ذنوب غيره .

حماد : فعلام إذن يلومونه ؟ ..

سميد : لأنه أجهز على بقية أملمهم في الحياة .. ويالك .. أنسيت أيام أثار العامة على أبيه
إرضاء للقشاليين ؟ .. ألم يحاربه بسيفكم حتى قضى عليه غمّاً وكداً .. !

حماد : ولكن ...

سميد : دع لكن .. أنسيت أيام كان يقطع بكم طريق عمه الزغل ، وهو بقية المجاهدين ،
ليصرفه عن نجدة العرب في المواطن المهددة .. حتى اضطره للتسليم
إلى فرديناند ! ...

حماد : أشهد أنك أقدر مني على الحجاج .. ومع ذلك لا أزال واثقاً برجولة أبي عبد الله ،
وإني لأتربص له وثبة جديدة ترد فرديناند إلى أقصى الحدود ..

سميد : أف ! .. ذلك هو مرض العرب ... إنهم أبداً ينتظرون ولادة المعجزات على
أيدي حكامهم ...

(وقع أقدام من الخارج)

حماد : (هامساً) أمسك لسانك ، واحتفظ برأسك .. إن للجدران آذاناً ...

سميد : هيات ... لم يعد هناك ما يخيف ...

المشهد الثاني

(يدخل الحاجب كنيباً)

سميد : ما وراءك يا أبا محمد ؟ ...

الحاجب : أسوأ الاخبار . إن العدو على أهبة النفاذ إلى قلب غرناطة ، وقد بدأ يحشو أسوارها بالغام البارود ...

(يرتفع دوى انفجار) .. مو ذا أحدهما ..

(سعيد وحامد يطلان من النافذة)

حامد : انظر سحب الغبار ... يا للهول ! ..

سعيد : إن العدو كالبحر الزاخر ... اللهم رحمتك ! ..

(حركة أقدام من الخارج)

الحاجب : الملك ... الملك ومعه قاضى غرناطة وحاكمها ، وبعض الشيوخ ...

المشهد الثالث

(يدخل الملك ومعه قاضى غرناطة وشيخان ، ثم حاكم المدينة . يحثلون أمكنتهم في جمود واضطراب)

الملك : (بعد لحظة صمت) لقد دعوتكم للنظر في تبدلات الموقف (يجيل نظره في أرجاء القاعة ويرسل تهدة عميقة) وما أهدى فقد لا تجمعنا (الحمراء) مرة أخرى ... لقد جاءني رسول الطاغية يحمل شروطه ، وما أحب أن أقطع أمراً لا ترضونه . ليتفضل القاضى بالكلام ...

القاضى : يجب أن نعرف أولاً قوة الحامية ، فما ينبغي التفكير في التسليم مادام هناك سبيل للمقاومة .

أحد الشيخين : ولعل إخواننا في إفريقية لا ينسوننا من مددكم ، وهم يعلمون أننا ندافع عن آخر أثر لوجود العرب في هذه الأرض .

الملك : (للحاكم العسكري) تكلم يا أبا القاسم ... فانت الحاكم العسكري ...

أبو القاسم : أما المدد فقد انقطع كل أمل فيه . إن إفريقية مشغولة عنا بحروبها العشائرية . وأسطول الطاغية يسد نفور الأندلس ، وجبال البشرات ، قد ألقت سلاحها بعد أن فنى معظم رجالها ، ولم يبق لكم إلا ما تحت أقدامكم .

الجميع : حسبنا الله ..

القاضي : والمؤمن ... !

أبو القاسم : يكفي أن تعلموا أن الاطفال يهلكون جوعاً في أحضان أمهاتهم ، وأن الحامية تقا تل على الطوى منذ الالمس .

الجميع : الله أكبر ... لا حول ولا قوة إلا بالله !!

(يدخل الحاجب)

الحاجب : مولاي ... إن رسول الطاغية يستعجل النظر فى أمره ...

المملك : نعم .. نعم ... (للحاكم) يحسن أن تعتذر إليه وتصبه إلى هنا يا أبا القاسم .

(يخرج الحاكم والحاجب)

المملك : (متهدج الصوت مجيلا عينيه فى القاعة) أسفا على ما ضيك أيها القصر .. لقد

كان رسل الفرنجة يفتنظرون أياما حتى يؤذن لهم بتقبل الأرض وتقديم الهدايا ...

القاضي : كان ذلك فى عهد الإيمان والبطولة ...

المملك : أشاءت حكمة الله أن يفتنى كل هذا المجد على يدى " المضمومتين " ؟

الشيخ : ذلك قضاء الله ...

المملك : يا لهوانى على الله ! ...

المشهد الرابع

(وقع أقدام من الخارج .. وصوت سلاح ..)

الحاجب : الحاكم المسكرى ومعه رسول الطاغية ...

(يدخل الرسول بسلاحه ، ومعه الحاكم أبو القاسم)

الرسول : السلام عليكم .

الجميع : (وقوفاً) وعليكم السلام .

المملك : (يأخذ بيد الرسول إلى مقعد على يمينه) عذراً أيها السيد لتأخير مواجعتك ، فقد أحببت أن تقف بنفسك على جواب المجلس الأعلى .

(الحضور يتهايمون في شأن الرسول)

(الملك يتابع كلامه للرسول) : لقد بعثت فينا فصاحتك نشوة . فلعلنا تلقاء أخ عربي .

الرسول : (مبتسماً) لم يخطئ حدسكم . إن والدي عربي . وقد اختارني سيدي لهذه الوفادة أملا في أن أوفق لإقناعكم بالسكف عن المقاومة اليائسة ، رحمة ببقية الدماء ...

المملك : نعم الاختيار . وإنها لفرصة كريمة أن نشارك في أمرنا كأخ لا ينسى حقوق الرحم

الرسول : يؤسفني أن أقول : إنني لا أستطيع خدمتكم بشيء سوى أن أنصح لكم بالنسليم . كان عليكم أن تفكروا في هذا المصير يوم تعهدتم لمولاي بتسليم غرناطة إذا فرغ من انقضاء على عمكم ...

الجميع : (في دهشة) يا لله ! . نعم ذباقة ! !

الرسول : أما وقد انتهى أمر عمكم فعليكم أن تفوا لمولاي ، وأن تعملوا للإفادة من عطفه .

المملك : (مطرقاً) أعترف بأنني أنا الذي سمعيت إلى نهايتي بعقوقي وجهالتني ، ولكن ... أرجو أن أجد في قلب فرديناند متسعاً للأبرياء من الشيوخ والأطفال والنساء .

الرسول : ما أحسب سيدي ضئيلاً بهذه الرحمة .

المملك : ليكن أمر الله . فاذكر لنا مطالبكم إذا شئت .

الرسول : (يخرج من ثيابه أوراقاً) مطالبنا أن يقسم الملك وكبار القادة بين الطاعة للملكي قشتالة وأراغون ، هل أن يقدو مسلحو غرناطة وعابا لها ، محتفظين بأملاكهم وأسلحتهم ، أحراراً في دينهم ومحاكمهم ، وضماناً لذلك تقديم أربعمائة من أعيان غرناطة وشبابها رهائن لتنفيذ هذه الشروط ... تلك مطالبنا ولا سبيل

إلى تعديلها . (ويقدم الوثيقة إلى الملك) وما هي ذى صورة الاتفاق
لا ينقصها سوى توقيعكم .

الملك : شروط كريمة .

القاضي : إذا شفعبها التنفيذ .

الرسول : مهما يكن من شيء ، فليس المغلوب أن يناقش الغالب في وعوده . إن عليه أن يحسن
به الظن ، ويسلم إليه القيادة .

الملك : رأيكم يا سادة غرناطة .

القاضي : لا خيرة في الشر . وعسى الله أن يلهم الغالبين فيفوا لنا ببعض ما أسلفنا
إليهم من البر .

الرسول : إذن فلتفضلوا بالتوقيع فإن في التأخير مهالك لا حد لها .

الملك : ليسكن أمر الله . (لحاد) القلم والمواة يا أبا شهيد .
(يخرج حصاد)

القاضي : يحسن بنا انتظار القادة فإن لرأيهم شأنًا لا يسعنا إغفاله .

الملك : حقاً ... وقد أرسلت في طلبهم (هامساً) غير أنني أخشى مخالفتهم .
(حركة من الخارج . يدخل الحاجب) .

الحاجب : موسى بن أبي الغزان ، ونعيم بن رضوان ، ومحمد بن زائدة .

الملك : ليتفضلوا ... (للشيرخ) اطلبكم قنصونهم . إنى لأخاف أن تقطع ثورة
الشباب آخر خيط من الأمل .

سعيد : (هامساً) قبح الأمل .

« يبيع »

محمد الميزوب

الفنون الجديدة والدروس المستفادة

من غزوة أحد

مر بأبي سفيان ركب من عبد القيس يريدون المدينة فطلب إليهم إِبلاغ الرسول ﷺ أن أبا سفيان ورجاله قد أجمعوا السير إليه وإلى أصحابه ليستأصلوا بقيتهم .

وكان الرسول في حمراء الأسد حين أخبره الركب بهذه الرسالة ، فقال : حسبنا الله ونعم الوكيل .

وقد لجأ أبو سفيان إلى هذه الحيلة حتى لا يقال : إنه فر من لقاء المسلمين .

وكذلك خشي إذا هو رجع لقتالهم أن ينتصروا عليه ، وفي ذلك قضاء عليه وعلى نصره بأحد وعلى قريش جمعاء .

وقد بقي الرسول والمسلمون بحمراء الأسد أيام الاثنين والثلاثاء والأربعاء ينتظرون قريشاً ليثبتوا لها أنهم عازمون على قتالهم أشد العزم .

وكانوا يوقدون في تلك الليالي خمسمائة نار حتى ترى من المكان البعيد ، وذهب صوت معسكرهم ونيرانهم في كل ناحية ، فكان ذلك داعياً إلى إرهاب قريش ، وإلى القضاء على أقل تفكير في العودة لضرب المسلمين .

ولما لم تأت قريش ، وتأكد النبي ﷺ أنها لن تعود ، رجع بأصحابه إلى المدينة فوصلها يوم الجمعة وقد استعاد كثيراً من الهيبة والقوة بعد أن كان ما كان .

الجديد في أحد :

ظهرت في هذه الغزوة بعض الفنون الجديدة تذكر منها :

أولاً : حفر المصليد :

استحدث المشركون طريقة الحفر المغطاة بالخفيف من سيقان الشجر والعشب والرمال ليسقط فيها المسلمون ، فيكون التشكيل بهم أفسى وأشد .

وقد قدمنا أن أبا عامر الراهب هو الذي تولى إعداد تلك الحفر ، وأنه سقط في إحداها رسول الله صلوات الله وسلامه عليه فأغنى عليه .

ثانياً : اشترك النساء في المعركة :

اشتركت النساء في المعركة مع كلا الفريقين ، أما نساء قريش فكان وجودهن لاستئثاره الهيم ، وإذكاء روح الانتقام ، وطلب الثأر في نفوس قريش ، وكانت وسيلتهن لذلك هي البكاء والعويل ، وذكر قتل بدر من أشرفهم .

وأما نساء المسلمين فكان وجودهن لأمرين :

١ — حمل المياه في القرب لسقيا المسلمين .

٢ — القتال فعلا في ساعات الحرج ، فقد ثبت أن أم عمارة الانصارية قاتلت فعلا لتدافع عن رسول الله ﷺ بالسيف تارة ، ثم بالرمح تارة ، حتى أصابها الجراح فأقدمتها

الدروس المستفادة من أحد :

أولاً : مخالفة أوامر القائد :

قدمنا أن الرسول ﷺ قائد جيش الإسلام عندما كان يرب جيشه للقاء العدو فكف خمسين من الرماة بأن يقوموا على حراسة شعب في جبل أحد مقابل لظفر المسلمين ويخشى نفاذ المشركين منه .

ولقد كان رسولنا الكريم من الحكمة وبعد النظر ، بحيث أمر هؤلاء الحراس ألا يبارحوا مكانهم بأى حال ، وألا يتركوه لنصرة إخوانهم إذا كانوا مهزومين ، ولا لاستغلال نجاحهم إذا كانوا غالبين .

ولكن هؤلاء الرماة رأوا زملاءهم متصرين ، وبأخذون الفنائم فقال لعابهم ،
وخالفوا أمر النبي ﷺ ، فكانت تلك العاقبة الوخيمة التي جاءت بالهزيمة على المسلمين ،
وتبدل الحال غير الحال .

جرح رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفرق المسلمون ونادى مناد : « إن محمداً قد قتل ،
فانحطت روحهم المعنوية وأصبح القتال للنجاة ، لا جهاداً في سبيل الله ، ولو اتبع الرماة
تعليمات النبي القائد لما كانت الهزيمة .

ثانياً : القيادة الحكيمة :

لقد خالف الرماة أوامر النبي ﷺ فكان ما كان .

تري ماذا هو فاعل بهم عند لقائهم ؟ هل كان حساب ومؤاخذه ؟ لا ، بل كان عفو
وصفح ! لقد ضرب لنا الرسول بذلك أعظم الامثال على القيادة الحكيمة الرشيدة ، وعلنا
كيف يكون الرفق أبلغ من الشدة وأعمق أثراً .

لقد دلنا هذا الحادث على أن محمداً ﷺ عالم نفسى ، كما هو قائد حربى . كان عليماً
بنفوس رجاله ، خبيراً بالأسلوب الأمثل لمعاملتهم ، وكان يعلم حق العلم أن العربى حسبه
أن يرى عاقبة غلطاته ، ليمتظ فلا يعود إليها ، ويكون من نفسه لنفسه تلك المحاسبة القاسية ،
وذلك العتاب المر ، ولذلك اختار أن يتركهم للضمير العربى الحى ، وفى ذلك الأثر الشديد
المفشود . ثم إنه كذلك يعرف فى المسلمين ضعفهم وقلة صبرهم على الشدة لو كانت منه عليهم
فى كل ما خالفوه فيه مما افترض عليهم من طاعته . وأحسن ما يكون الرفق إذا جاء من
القائد الكبير ، وفى ذلك يقول الرسول ﷺ : « لا حلم أحب إلى الله تعالى من حلم
إمام ورققه ، ولا جهل أبغض إلى الله تعالى من جهل إمام وخرقه » (١) .

ولقد أثنى الله على نبيه لعفوه عن مخالفه فقال وهو أصدق القائلين : « فبإرحمة من
الله كنت لهم ، ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك ، فاعف عنهم ، واستغفر لهم
وشاورهم فى الأمر ، فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين » .

وكذلك يتحقق قوله جل وعلا : « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم ، حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم » .

ختام :

وقبل أن ندع الكلام عن أحد ، علينا أن نلقى نظرة على شهدائها الذين ماتوا في سبيل الله مخلصين ، وذهبوا صادقين في إخلاصهم ، والذين تجلت لنا منهم روح الشجاعة الفاتقة والإقدام الذي لا حد له ، دفاعاً عن أشرف عقيدة ، وعن أشرف المسلمين سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه .

هنيئاً لهم الجنة التي كانوا وعدوها ، وهنيئاً لهم وقد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة ، وتأكل ثمارها ، وتأوى إلى قناديل من ذهب في ظل العرش ، فيطلع الله عز وجل عليهم اطلاعة فيقول : « يا عبادي ، ما تشتهون فأزيدكم ؟ » ، فيقولون : ربنا لا فوق ما أعطيتنا : الجنة نأكل منها حيث شئنا ثم يطلع عليهم اطلاعة فيقول : « يا عبادي ما تشتهون فأزيدكم ؟ » فيقولون : ربنا لا فوق ما أعطيتنا ، الجنة نأكل منها حيث شئنا ، إلا أن نحب أن ترد أرواحنا في أجسادنا ، ثم ترد إلى الدنيا فقاتل فيك حتى تقتل مرة أخرى ١١١ ، ٩

محمد جمال الدين محفوظ

الغنى والفقر

• الغنى أن تملك من الدنيا ، ولكن أحسن الغنى أن تنها في الدنيا .

• ينبغي أن تقدر ثروة الإنسان لا بأمواله ومستغلاته ، بل بعدد الأشياء التي يستطيع أن يعيش غير محتاج إليها .

• الفقر خلو من المال ، ولكن أقبح الفقر خلو من العافية .

مصطفى صادق الرافعي

رفقا بالشباب

الشباب عصب الحياة ، وعدة الأمم . به تعيش ، وفي سبيله تحيا .

فالامة القوية هي التي تتمتع بقوة شبابها . والامة السعيدة هي التي يعمل فيها الشباب بفكر وثاب ، وعزيمة لا تعرف الحور ، وأمل لا يرقى إليه الملل ، ولذلك نحرص الشعوب الناهضة على تنقيف أبنائها ، ونزويدهم بما يدفعهم إلى المعالي ، حتى إذا كملت قوتهم ، وسلمت بنيهم ، وعزت شكيמתهم ، جنيت من غراسهم أطيب الثمرات ، وأحسن الخيرات .

ومن عجب أننا في مصر نجد الشباب الذي نعلق عليه كبار الآمال ، وترجو منه الخير وتلو الشأن — نجاهه محوطاً بظروف تصرفه عن غايته ، وضروب تثبط همته ، وتدفعه إلى ما يفسد أخلاقه ، ويقوض معنوياته . يفتح الشباب عيونه فيجد ألواناً من الفتنة التي تسير معه في الطرقات ، وتجلس بجانبه في المنتديات والأماكن العامة ، ثم يقرأ الشباب فيجد بعض الكتاب يزين له الفساد ، ويحبه في الرذيلة ، ويشجعه على التصرف في الفرائق بطرق ملتوية ، ويلقي بناظره على الصحف والمجلات ، فيجد صوراً خليعة في أوضاع ماجنة ، لا تحترم الدين ، ولا تخضع للذوق ، ولا تنهت الضمير ، فإذا يفعل الشباب حين يرى هذه الأساليب وتلك الصور والمقالات الخليعة السافرة ؟ إنه من غير شك ستحدثه نفسه . ويستولى عليه شيطانه ، وبوجه سلوكه المقل الباطن إلى مهاوى الرذيلة ، وبؤر الفساد . فهل يمثل ذلك يوجه الشباب ؟ وهل بهذه الأساليب تعالج مشكلاته ؟ وهل بهذا النوع من المجون والاستهتار تنهض الأمم وتقدم الشعوب ؟ أغلب الظن أن هؤلاء الكتاب الذين يتحدثون عن « السكبت الجنسي » والميل العاطفي ، ودفع الشباب إلى قضاء مآربه دون خشية أو وقار ، يضرون المجتمع ويعبثون بالفضائل ، ويقوضون دعائم الأسر والبيوت .

• • •

نقول هذا ونحت أيدينا من « القصص الجديدة » قصة تدور لمحتها وسداها على أن السكبت الجنسي الذي يعانيه الشباب اليوم ترجع أسبابه إلى إلغاء البغاء الذي كان يقوم بعملية التنفيس أو التصريف لجسم المريض ، فيقول الكاتب : « قبل إلغاء البغاء لم تكن هنالك سالة سكبت .

إذ في استطاعة الشخص أن يقضى حاجة جسده بقروش قليلة ، ثم يزعم أن الاستعمار هو الذى قضى على تلك البيوت ليصرف الشعب عن ميدان الجهاد في سبيل حريته إلى ميدان آخر يصارع فيه نفسه ، فإما انتصر وتحطمت نفسه أو تحطم وانتصرت نفسه ، وكلا الأمرين تمزيق لوحدة الفكرية . . وفي موطن آخر يقول الكاتب : « لكي نصل من وراء إلغاء البغاء إلى النتائج المرجوة يجب أن يعقبه إطلاق للحريات مع الدعوة إلى الحب وتيسير التفاه الجفسين في جو من الطمأنينة ، ودون خوف من بطش القوانين الرجعية . وبغير ذلك يصبح إلغاء البغاء كارثة اجتماعية تهدد كيان الأمة بالخطر . »

* * *

وتحدث صحيفة المصرى قليل احتجاجها عن الكبت الجفسى ، وتدعو علماء النفس والاجتماع إلى معالجة تلك المشكلة ، ثم يصدر كتاب « هذا أو الطوفان » وفيه دعوة صريحة إلى الإباحية ، وخروج على التقاليد ، حتى لا يوجد فارق بين الفتى والفتاة : تحب من تشاء ، ويمشى الفتى مع الغادة التى يختارها ، رضى المجتمع أو كره ، حتى يتمتع الشباب ولا يزلق في مهاوى الرذيلة كما يقولون - ولست أدري ما الذى جمع بين هذه الألوان الثلاثة في وقت واحد ؟ أهو توافق الخواطر ، أم العبث الظاهر ؟

* * *

يعيبون إلغاء البغاء . فهل في العودة إلى البغاء ما يزيل الداء ؟ وينشر بالشفاء ؟ ويزعمون أن الاستعمار هو الذى دفعنا إلى صنعه ، ونسوا أنه هو الذى جلبه وأفسدنا بنسائه الخبيثات . فهل يصدق مسلم أو عاقل أن في إعادة البغاء ما يصلح الشباب ، ويقوم أخلاقه ، ويصح معنوياته ؟ إن عودة البغاء تعنى أن المجتمع تداعى دعائمه ، وتهار أخلاقه ، وتزداد آلامه .

أى خلق سليم رضى أن تعرض الاعراض في الاسواق ، وأن تفنك الحرمات في أماكن خاصة ؟ وأى نفس كريمة تسمح لأولادها وبناتها أن تسير إلى تلك الهاوية ، احتراماً للندية المحتضرة ، وتقديراً للحرية المكاذبة الفاجرة ؟ إنها الإباحية السافرة ، والمجون الذى يدفعنا إلى الخراب ، وتحطيم قوى الشباب .

وما تلك الحريات التى يريدونها في التفاه الجفسين ، غير الإباحية والعبث بالكرامات . والخروج على الأخلاق والدين الذى قامت رسالته عليها ، وكيف ندرس الناحية الجنسية

لابنائنا وبنائنا في المرحلة الإعدادية كما يدعو إلى ذلك أحد الأقلام الهدامة فتدفع الطلاب والطالبات إلى المجون والاستهتار باسم العلم والدراسات .

وهل يرضى هؤلاء الكتاب لابنائهم أن يجلسوا مع الفتيات ، أو لبنائهم وشقيقاتهم أن يجلسن مع الشبان في خلوات باسم الحرية والمدنية ؟ وهل يبيحون لبنائهم أن يذهبن إلى الفتيان باسم الصداقة العاطفية ، والمودة الشخصية ؟ إن كانوا يرضون بذلك فإنهم سيحملون ذل الأبد وعار الدهر ، وإن كانوا لا يبيحون ذلك لأولادهم وبناتهم ، فليتنقوا الله في المجتمع ، حتى لا تنهار دعائمه وتتفوض أركانه ، إن هؤلاء الكتاب وأمثالهم يدعون إلى الحرية وقد فقدوها ، إذ اتبعوا غيرهم ونمادوا في تقليده ، ونسوا شخصياتهم وأوغلوا في إهمالها فهم غربيون في صور شرقية مزيفة ، لا إلى الغرب تنسب ، ولا على الشرق تحسب .



الشباب اليوم في حاجة إلى من يهديه السبيل ، ويحنبه الزلل ، فلا تزيدوا همومه ، ولا تقلوا آلامه . وكفى ما تحمل هذه الدعرات من فجور ، وما تنادى به من مجون واستهتار . فنحن اليوم أحوج ما نكون إلى شباب فقي يقدر القيم الروحية ، ويحتذى المثل العبرية ، ويقتدى بالأبطال في ميادين المجد والاستقلال ، والعمل والفضال .

فواجبنا نحو الشباب يدفعنا إلى الأخذ بيده في طريق القوة والمعرفة ، وتبصيره بمواطن الزلل والاختلاء .

للشباب رسالة ، وله هدف وغاية . وعلينا نحن الآباء والمصلحين أن نزيل عنه الحجب ، وأن نعوذه الثقة بالنفس ورباطة الجأش ، والعمل بقدم راسخة ، وعقيدة مطمئنة إلى العلا والسعادة .

وفي استطاعتنا أن ننفذ من نشاط الشباب ، لا بصرفه في الفرائز الجنسية والاستجابة لها ، ولكن بتحويل تلك القوى الكامنة فيه إلى عمل مفيد ، ونهج جديد ، وهدى وإصلاح .

وفي اعتقادنا أن فساد الشباب إنما ينشأ من تلك المناظر المثيرة في الطرقات ، والصور المأجنة في الصحف والمجلات ودور اللهو ، والأغاني المثيرة للجنس ، وهذه المقالات التي تحض الشباب على ترك القيود ، لتنفيذ الغريزة ما تريد .

علينا أن ندرس للشباب تاريخ عظماء الرجال ، لنخلق منهم الأبطال ، وأن نوجهه إلى أثر الأخلاق في بناء الأمم وحضارة الشعوب ، ليعرّض على الأخلاق القويمة ، والمثل المستقيمة ، وأن نبصره بآثار الطيش والانزلاق في مهاوى الرذيلة ، حتى يعتبر بالضحايا والأخطاء ، وأن نحثه على تنظيم أوقات الفراغ في الرياضات المحبوبة ، التي تغذى الجسم ، وتنمي الفكر ، وتهذب الوجدان . ونعيد إليه ثقته بنفسه ووزائه ، وأن نوجهه إلى اختيار الأصحاب في ندوات علمية وأخرى أدبية ، وأن نحترم رأيه لنعوده تحمل المسؤولية ، حتى يصبح عضواً نافعاً في المجتمع بأرائه السديدة ، وقوته العارمة ، وشجاعته الحازمة ، ونفسه الآلية ، وروحه القوية ، وعلينا أن ندرّبه على التعاون الصالح ، لينشأ محباً لوطنه ، عاملاً لخير جماعته ، مضحياً في سبيل أمته بنفسه ونفيسه .

* * *

إن الشباب نار ونور . فاجعلوا ناره تبيد الأعداء ، وتمحق العقبات ، وتمحو الضغائن . واجعلوا نوره يحقق الرجاء ، ويذهب الظلماء ، ويوصل إلى العليا . لا تجعلوا ناره تحرقه ، ونوره يفقده ، وبأسه يتركه .

* * *

أيها الكتاب : لم يخلق الشباب ، ليضم الفتيات بين ذراعيه بالحرام ، وليبحث في الأزهار بالحفاقة والإثم ، ولكن خلق ليصنع المجد بساعديه ، وليحمل الثبل بين جنبيه ، وليحمي العقيدة من اللذل والضميم ، وليقيم مجد الوطن على أسس قويمة ، لا تعبث بها الرياح ، ولا تحطمها أعاصير الأخلاق ، ثم ليكون منه للوطن جيل من أبنائه يقيم الصرح ويعيد المجد ويجدد السيادة .

* * *

أيها الكتاب . الله في الشباب . الله في وطنكم وضمائركم ، الله في دينكم وأخلاقكم ، فإن لم تفعلوا يوشك الله أن يسلط عليكم يداً مؤدية تأخذ على أيديكم ، وتقذف المستقبل من الهوة التي تدفعون الجيل إلى قرارتها .

ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء ؟ محمد صابر مرسى عاشور

مدرس بمعهد محمود

الكتاب

عنوان النجاة

في معرفة من مات بالمدينة من الصحابة

للأستاذ مصطفى العلوي الرافعي - ١٦٨ ص - نشره السيد حسن الشربتلي وزير الدولة بالحجاز

أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هم الذين حفظوا لنا كتاب الله والوحي غرض
والزمن قريب ، وهم الذين نشروا شريعة الإسلام وسننه متقولة بنصوصها الصحيحة السليمة
عن الهادي الأعظم صلى الله عليه وسلم فقلها عنهم التابعون في كل بلد نزلوا فيه ، إلى أن
صارت إلى الأئمة الذين استنبطوا منها الفقه والتشريع .

فالصحابة هم الذين اختارهم الله لحفظ كتابه الباقي الخالد إلى يوم الدين ، وهم الذين
عرفنا منهم من قول النبي صلى الله عليه وسلم وفعله وتقريره ما لم تعرف مثله أمة من أمم
الأرض عن أنبيائها الغابرين . وكان ينبغي لأهل كل قطر إسلامي نزل فيه طائفة من الصحابة
بجاهدين وفاتحين ودعاة وهداة ثم تسلسل عليهم في ذلك القطر أن يجعلوا ذلك من أعظم
دراساتهم ، فيترجم الحجازيون للصحابة الذين نزلوا الحرمين ولا سيما المدينة ، والمصريون
للصحابة الذين نزلوا مصر ، والشاميون للصحابة الذين نزلوا الشام ، والبصريون والكوفيون
للصحابة الذين نزلوا في هذين المصرين ، وأن يبحثوا عن تلاميذهم وما أفادوه منهم ، وعن
تلاميذ تلاميذهم وماذا نقلوه لطبقة الأئمة من أمثال مالك والليث بن سعد والأوزاعي
والشافعي وأضرابهم ، وبذلك تتعرف على أصول المذاهب الإسلامية وينابيعها وأنسابها .

ولعل أشرت إلى هذا المعنى أو أردته بمقالة « مع الرعيل الأول » التي نشرت في جزء
رمضان للعام الماضي من هذه المجلة . ولأجل هذه المعاني التي تحتاج أمتي فرحت كثيراً
لما حمل إلى فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ حسين محمد مخلوف مفتي الديار المصرية السابق
هذه هودته أخيراً من حج بيت الله الحرام هدية من السيد حسن الشربتلي وزير الدولة
في المملكة السعودية وهي كتاب (عنوان النجاة في معرفة من مات بالمدينة من الصحابة)

الذي ألفه السيد مصطفى بن محمد العلوي الرافعي نزيل المدينة المنورة الآن ، فقد ترجم فيه نحو مائتي صحابي وصحابية ثبت لديه موتهم ودفنهم بالمدينة ، واستمد تراجمهم من الإصابة والاستيعاب والمستدرك للحاكم وتهذيب النوى وسيرة ابن هشام وكامل ابن الأثير والبداية والنهاية لابن كثير . وإذا كان قد اقتصر على التراجم فإنه مهد لأدباء المدينة أن يتابعوا الهوس الذي ضربت المثل عليه في مقالة مع الرعيل الأول ، وقد كان شاه ولي الله الدهلوي في « حجة الله البالغة » قد تعرض لذلك فيما يتعلق بأمر المؤمنين عمر وابنه عبد الله ابن عمر وتلميذه نافع إلى أن وصل علمهم إلى الإمام مالك فدونه في الموطأ واستنبط منه في المدونة ، ولما نشر صديق الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي كتاب (الموطأ) سألني أن أختمه بشيء تختمته بكلمة في الموضوع الذي قصدى له شاه ولي الله الدهلوي لابنه أنظار التناشئين إلى مثل ما أردت تنبيهاً إليه في مقالة مع الرعيل الأول . . فعمى أن أدباء المدينة يتبعون أصول علم الإمام مالك وأصول بقية أئمة المدينة حتى يوصلوها إلى الصحابة ثم يبينون كيفية انتشارها في الأرض ، ليقوم بمثل عملهم المصريون فيما يتعلق بالصحابة الذين نزلوا مصر ، والشاميون في الصحابة الذين نزلوا الشام ، والعراقيون في الصحابة الذين نزلوا العراق ، وهذا هو الطريق الحقيقي لدراسة تاريخ التشريع الإسلامي .

تأويل مشكل القرآن — لابن قتيبة

بتحقيق الأستاذ السيد صقر — ٦٠٠ ص — مكتبة عيسى الحلبي

عبد الله بن مسلم بن قتيبة (٢١٣ - ٢٧٦) من أئمة العلم والأدب في الإسلام ، ونقل شيخ الإسلام ابن تيمية قول العلماء فيه « إنه لأهل السنة كالجاحظ للبعثرة » ، وعلى كثرة ما طبعت المطابع من تركه السلف لا يزال كثير من مؤلفات ابن قتيبة منسياً أو مفقوداً . وكتابه (تأويل مشكل القرآن) ألفه لما اعترض كتاب الله بالظن الملهودون ، ولغوا فيه وهجروا ؛ واتبعوا ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ، بأفهام كلية ، وأبصار عليّة ونظر مدخول ، غرّفوا الكلام عن مواضعه ، وعدلوه عن سبيله ... وأدلو في ذلك بدليل ربما أمالت الضعيف النمر ، والحدث الفر ، فألف هذا الكتاب لينضح به عن كتاب الله ويرى من ورائه بالحجج النيرة والبراهين البينة ويكشف للناس ما يلبسون ، مستنبطاً ذلك من التفسير بزيادة في الشرح والإيضاح ، وحاملاً ما لم يعلم فيه مقالاً لإمام مطلع على لغات

العرب ليرى المعاند . وضع المجاز وطريق الإمكان من غير أن يحكم فيه برأى ويقضى عليه بتأويل .

وكان قد طبع فيما مضى كتاب القرطبي لمحمد بن أحمد بن مطرف الكنتاني (٣٨٧-٣٥٤) الذي جمع فيه بين كتابي ابن قتبية . مشكل القرآن ، و . تفسير غريب القرآن ، ، غير أنه نقص من الكتابين فجاء معاً أقل من نصف كتاب مشكل القرآن الذي عنى ابن الأزهري الأستاذ سيد أحمد صقر بشره الآن عن ثلاث مخطوطات اثنتان في دار الكتب المصرية والثالثة بمكتبة مراد ملا ، وقد تحدث عن هذه النسخ في المقدمة ونشر صوراً شمسية لبعض صفحاتهن ، كما أنه ترجم لابن قتبية ترجمة مطولة ، وألحق به فهرس مفيدة ، جزاء الله خيراً .

نحو الدستور الاسلامي

لابي الاعلى المودودي — ١٣٦ ص — لجنة الشباب المسلم — بالمطبعة السلفية

الأستاذ أبو الاعلى المودودي أمير الجماعة الإسلامية في باكستان من أعلام الفكر في المجتمع الإسلامي الآن ، ورسائله في بيان صلة رسالة الإسلام بالمجتمع وحاجة الإنسانية إلى العمل بها قد ملأت الاقطار الإسلامية لأنها نشرت بالعربية والأوردية والإنجليزية وطبعت كل رسالة منها أكثر من مرة في باكستان ومصر والشام .

ورسالته هذه (نحو الدستور الإسلامي) قد تناولت مصادر هذا الدستور وهي القرآن وسنة الرسول وعمل الخلفاء الراشدين ومذاهب المجتهدين ، وتعرض فيها للشاكل التي تمرض الباحث في الكتب الإسلامية القديمة مثل غرابية المصطلحات ، وترتيب الكتب الفقهية القديمة ، وفساد النظام التعليمي الآن ، وادعاء بعض الناس الاجتهاد مع الجبل .

ولما تكلم المؤلف عن الدستور الإسلامي تكلم في تحديد معنى كلمة « الحاكمية » ، ولما هي في الواقع ، ومن ينبغي أن تكون له ، وعن حاكمية الله القانونية ومنزلة الرسول . وعن الخلافة والجمهورية ، والحدود العملية للدولة ، والحدود العملية لأركان الدولة ، ومنها المجالس التشريعية والهيئة التنفيذية والسلطة القضائية ، والغاية التي من أجلها تقوم الدولة ، وكيف تنشكّل الحكومة ، وعن المدنية وأسسها والحقوق المدنية للأهالي على الدولة وللدولة على الأهالي . وألحق به فصل للمودودي عن المرأة في الإسلام ومناصب الدولة فنلفت إلى هذا المكتيب القيم أنظار الباحثين .

مبادئ الإسلام

لابي الاعلى المودودي - ١٣٩ ص - لجنة الشباب المسلم - المطبعة الهاشمية بدمشق

وهذا كتاب آخر لامير الجماعة الإسلامية في باكستان تكلم فيه عن الإسلام ومعنى هذه الكلمة وحقيقتها وحقيقة الكفر ، وعن الإيمان والطاعة ومعنى الإيمان والوسيلة إليه والإيمان بالغيب ، وعن النبوة وحقيقتها والحاجة إلى الإيمان بالنبي وعن نبوة محمد صلى الله عليه وسلم والدلائل على أنه خاتم النبيين ، وعن الإيمان بالله وتأثير عقيدة التوحيد في حياة الإنسان ، والإيمان بالملائكة وكتب الله وأنبيائه واليوم الآخر ، وعن العبادات ومعنى العبادة وعن الصلاة والصوم والزكاة والحج وحماية الإسلام ، ثم تكلم عن الدين والشريعة والفرق بينهما والوسائل إلى معرفة أحكام الشريعة ، وتكلم على الفقه والتصوف . ثم تكلم على أحكام الشريعة ومبادئها وعن الحقوق وأقسامها الأربعة وهي حقوق الله وحقوق النفس وحقوق الناس وحقوق سائر المخلوقات ، وانتهى إلى أن الإسلام هو الشريعة العالمية الدائمة .

وهذا الكتاب كسائر كتب الاستاذ أبي الاعلى المودودي قد عرف شباب الإسلام أنها الغذاء الذي لا مندوحة عنه للنفوس المتعطشة إلى معرفة هذا الدين العالمي الخالد معرفة مركزة صحيحة نافعة .

التفسير الواضح

للاستاذ محمد محمود حجازي - ٣ أجزاء جديدة - مطابع دار الكتاب العربي

عرف القراء فوائد هذا التفسير الجليل مما كتبناه عنه غير مرة في السنة الماضية من هذه المجلة والتي قبلها . وقد صدر منه بعد ذلك ثلاثة أجزاء أخرى (الحادى والعشرون والثانى والعشرون والثالث والعشرون) إلى سورة (ص) وقد التزم المؤلف في هذه الأجزاء كل ما التزمه في الأجزاء السابقة مما جعله موضع ثقة جماهير الشباب المقيمين على تفهم كتاب الله والعمل به . وقد أوشك المؤلف على الانتهاء من عمله الطيب فزجوا له من الله العون والتوفيق .

إنباء العلماء المسلمين

سياسة العرب الخارجية

ك هذه تحتاج إلى قوة كبيرة تجمل كل من يفكر في الاعتداء عليها ينشئ قوتها . وكان السؤال الثالث : هل يمكن للدول العربية أن تتعاون مع الغرب ؟ وجاء الجواب بالإجماع : أن هذا التعاون مقبول على شرط أن تحمل قضية مصر وقضية فلسطين . وهكذا تفررت سياسة البلاد العربية ، وبدأت بتنفيذها . وقد انتهى الآن الخلاف بين مصر وبريطانيا ، ونأمل أن نسعى لحل قضية فلسطين بشكل يرضى العرب . وأعيد بحث السياسة الخارجية في الجامعة العربية في عام ١٩٥٠ فوجدت اللجنة السياسية أن تلك القرارات سليمة فأيدتها .

رد عبد الرحمن عزام

وقد رد الأستاذ عبد الرحمن عزام على هذا البيان في اليوم التالي لنشره فقال : « إذا جاز تسمية هذا القرار قراراً فهو قائم على فرض وهو (أن تتحقق أمان الشعوب العربية جميعاً ، وأن تختل بريطانيا عن سياستها الاستعمارية) . وإن ما سماه السيد نوري

زار السيد نوري السعيد رئيس وزراء العراق الديار المصرية بعد صدور العدد الماضي من هذه المجلة ، وأكل مع ولاية الأمور في مصر المباحثات التي بدأت بينه وبين السيد صلاح سالم في سرسك في شمال العراق ، وعقد السيد نوري مؤتمراً صحفياً في القاهرة قال فيه : « في سنة ١٩٤٩ اجتمعت اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية وجرى البحث في السياسة الخارجية للدول الأعضاء ، وأقيمت حينئذ ثلاثة أسئلة : الأول منها هل يمكن للدول العربية أن تتعاون مع الدول الشرقية (روسيا وتوابعها) ؟ فكان الجواب بالإجماع : أن ذلك غير ممكن ما لم تصبح الدول المصرية شيوعية بمعنى الكلمة ، وإلا فلا مجال للتعاون مع الكتلة الشرقية . وكان السؤال الثاني : هل يمكن للدول العربية أن تقوم بسياسة الحياد فلا تقف مع الشرق ولا الغرب ؟ وكان الجواب : أن الدول العربية ضعيفة لا تستطيع أن تحقق سياسة

أن تحسنت العلاقات بين مصر وبريطانيا ، وقال المصدر الرسمي السوري : إن السيد سعيد الغزي رئيس الوزارة السورية اصطحب معه الزعيم شوكة شقير رئيس أركان حرب الجيش السوري لاخذ رأيه في الموضوعات العسكرية ثم أكد هذا المصدر أن الحكومة السورية الحاضرة لن تبت في أى موضوع يتعلق بالسياسة العربية ، لأنها ستترك الأمر للوزارة الجديدة التي تتمخض عنها الانتخابات القادمة .

السعيد (قرارات إجماعية) في سنة ١٩٤٩ قد نقضت من أساسها في سنة ١٩٥٠ عندما أصدر مجلس الجامعة (قراراً إجماعياً ملزماً) بعدم التعاون مع الغرب ما لم تتحقق المطالب العربية والأمانى القومية للأمة العربية . وهذا القرار أكدته مجلس الجامعة العربية عدة مرات بعد ذلك أثناء النزاع بين بريطانيا وكل من مصر والمملكة العربية السعودية واليمن وغيرها من البلاد العربية .

سوريا ومصر

مديرية الشباب

أدى النجاح الباهر في إنشاء (مديرية التحرير) وتحويل مسافات شاسعة من الصحراء إلى حقول وحدائق وعمران ، إلى التفكير في إنشاء مديرية أخرى على الأرض الصحراوية بين ترعة الاسماعيلية وقناة السويس سوف يطلق عليها اسم (مديرية الشباب) لأنها ستقوم على سواعد الشباب طبعاً لنظام معسكرات العمل .

وينظر أن يبدأ هذا المشروع على مساحة محددة بإصلاح خمسة آلاف فدان ، ثم يتوسع فيها بحسب الحاجة وعلى قدر ما يلقاه المشروع من نجاح .

زار رئيس الوزارة السورية ورئيس أركان حرب الجيش السوري مدينة القاهرة يوماً واحداً ، وعلق مصدر رسمي في دمشق على هذه الزيارة فقال : إنها ترمى إلى الاطلاع على نتائج المحادثات التي عقدها الصاغ صلاح سالم وزير الارشاد القومى في مصر مع رجال الحكومة العراقية خلال زيارته للعراق ، والمحادثات التي دارت أخيراً في القاهرة بين السيد نوري السعيد رئيس الوزارة العراقية ورجال الحكومة المصرية ، ولا سيما ما يتعلق منها بموضوع الاتحادات الثنائية بين الدول العربية ، والعون العسكرى الذى تقترح أمريكا تقديمه إلى البلاد العربية بعد

ماكم قطر

وتبرعته لطلبة الأزهر وغيرهم

مر بالفاهرة في طريقه إلى لندن سمو الشيخ على بن عبد الله الثاني حاكم مقاطعة قطر في الجزيرة العربية . وقد زار الجامع الأزهر وتبرع للحتاجين من طلبته بألف جنيه ، وبألف جنيه أخرى لجمعية مشوهي الحرب ، وبثلاثة آلاف جنيه للشروعات الاجتماعية الخاصة بهيئة التحرير . وسموه يعني بمعارف بلاده ، وقد استقدم من مصر من يقوم على حركة التعليم من أهل الكفاية والأخلاق الإسلامية .

ويطبع على نفقة سموه كتاب (المنفع) في فقه الإمام أحمد لموفق الدين بن قدامة المقدسي وعليه حاشية امتازت ببيان فقه الصحابة والتابعين في كل مسألة من مسائل الفقه بقسميه من العبادات والمعاملات وهو في ثلاثة مجلدات انتهى اثنان منها والثالث تحت الطبع . وفي نية سموه طبع كتاب (الكافي) لابن قدامة أيضا وهو أكبر من المنفع وأصغر من المفتي . ومقاطعة قطر أهلها حنابلة سلفيون كأكثر مقاطعات ساحل الخليج الفارسي .

زلزال الجزائر

في يوم ١١ المحرم (٩ سبتمبر) أصيبت مدينة أورليان والبلاد المجاورة لها في شمال الجزائر بزلزال عنيف جداً فوُض دُطامُ المدينة وحطم بلاداً أخرى في تلك الجهات فقتل قريب من ألفي نسمة ونكسب الألوف في أنفسهم وأموالهم وأملأهم . ومكان مدينة أورليان كان معسكراً للباريشال توجو الفرنسي وجيوشه في السنين الأولى من غزوه لهذا القطر الإسلامي العربي . وفي ١٩ شعبان سنة ١٢٦١ (٥ أغسطس سنة ١٨٤٥) بدأوا بتحويل مكان المعسكر إلى مدينة أطلقوا عليها اسم مدينة أورليان (أورليانفيل) وهي تقع في وسط الطريق بين مدينة الجزائر ووهران على الخط الحديدي وتبعد ٣٠٨ كيلو مترات عن الجزائر . ومناخها جبلي لطيف وأكثر سكانها فرنسيون وأجانب أما البلاد المجاورة لها فعربية إسلامية .

اعانات أسبوع البر

حولت وزارة الشؤون الاجتماعية تمسلكات جمعية أسبوع البر إلى المجلس الأعلى لرعاية الأحداث وتبلغ أكثر من ١٨٠ ألف جنيه كانت معطلة عن الاستعمال فيما جمعت لأجله .

الأدب والعلوم

معهد الأزهرى

لدراسات الاجتماعية

فيكون خريج هذا المعهد ، مستشاراً دينياً
قنياً ، في المركز الاجتماعي الذي يعين فيه .

وسيفتح معهد الدراسات الاجتماعية أبوابه
ابتداء من أول هذا العام الدراسي ، ويقوم
بالدريس فيه طائفة من الإخصائيين
في الجامعات عن حصولوا على مؤهلات من
الجامعات الأوروبية .

ومما يدرس في هذا المعهد : علم النفس
الاجتماعي ، وعلم الاجتماع ، وخواص البيئة
المصرية ، وفن الأداء والإلقاء والخطابة ،
والتاريخ الحديث ، والصحافة ، ومن الجغرافيا
استراتيجية البلاد العربية ، وحوض البحر
الابيض ، وأعلى النيل . والإذاعة ، والمكتبة
الحديثة ، وكل ما له علاقة بالدراسات الاجتماعية .

ويقول فضيلة الأستاذ الأكبر : إن هذا
المعهد الاجتماعي سيضيف إلى الأزهر -
فضلا عن جانب العلم والتدريس والوعظ -
التطبيق العملي في حل مشكلات الحياة
الاجتماعية ، وتوجيه الناس إلى ما فيه خيرهم
واسعادهم . قال فضيلته : وأهم ما يشغلق الآن
واققاء ، النواة الصالحة لهذا الحقل الطيب ، فعلى
الاساس يقوم البناء ، ويقام أعاصير الحياة .

زاد فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع
الأزهر وزارة الشؤون الاجتماعية واجتمع
بوزرها السيد البكاشى حسين الشافعى وتعدنا
في موضوع إنشاء معهد الأزهرى للدراسات
الاجتماعية يكون تابعا لوزارة الشؤون ويكون
الالتحاق به مقصوراً على طلبة الأقسام العالية
بالكليات الأزهرية ممن تتقنوا بأنواع
الثقافات الإسلامية ويمتازون - إلى جانب
معلوماتهم ومعارفهم - بالأخلاق القويمة
والسيرة الحسنة . ومدة الدراسة في هذا المعهد
ثلاث سنوات متمشية مع الدراسة بالكليات
وينحصر للمعهد ثلاثة أيام من كل أسبوع ،
يدرسون فيها ما يجب أن يتوفر لكل اجتماعي
دينى مهمته الأولى تطبيق أحكام الدين على
حاجيات الحياة اليومية للفرد والجماعة ،
وتبصير الناس بمسالك الرأى السديد في نواحي
الفقه الإسلامى .

وسيلحق المتخرجون في هذا المعهد بالمراكز
الاجتماعية حيث يعملون في وظائف تنشأ لهم

شيخا لمعهد من المعاهد . فأجاب فضيلة الأستاذ
الأكبر زائر السكبير بقوله :

لقد كنت أحب أن يكون مفهوما بين
الناس أن تولية الوظائف العامة يجب أن
تكون بعيدة عن مستوى الوساطة والرساطات ،
وربما كان من المقرر أن يدرس موضوع تعيين
هذا الشيخ بين شيوخ المعاهد لما كنت أحسبه
فيه من الكفاية ، ولكن بعد ما شفيع له الرجاء
وعزته الوساطة ، هبط عن المستوى الخاص
بتلك الوظيفة ، لأن شيمة أهل الفضل أن
تطلبهم الوظائف لا أن يطلبوا وبوسطوا
للو وظائف ، وقد جاء في الأثر الإسلامى أن
طالب الولاية لا يولى ،

ثم مرز فضيلة الأستاذ الأكبر هذه
القاعدة فقال : إن الماضى الذى اندثر كان
من عوامل إفساده أن المسئولين كان مهمهم
إيجاد الوظيفة للموظف غير عابئين بالكفاية
أو بالإنتاج ، أما الآن فشعار هذا العهد
إيجاد الموظف الصالح للوظيفة فلا وجاءات
ولا وساطات . . .

الطاقة الزرية في مصر

للأغراض الطبية

وافقت البحرية الأمريكية على إنشاء
وحدة من المعدات والآلات الخاصة بإنتاج
الإشعاع الذرى في مصر لاستخدامها في
أغراض طبية ، كما وافقت على تدريب عدد

ضعف الوازع الدينى

رواجب وعاظ الأزهر

قال البكباشى حسين الشافعى وزير الشؤون
الاجتماعية : إننى أعلق أهمية كبيرة على الدور
الذى يجب أن يقوم به الأزهر الشريف فى
الدعوة إلى حل مشكلاتنا الاجتماعية بتعاون
الشعب والحكومة . فالذى لا شك فيه هو
أن ضعف الوازع الدينى قد ساهم بأكبر نصيب
فى تفكك الأسرة ، وقلة التراحم ، وميل بعض
الناس إلى هدم البعض الآخر .

ونحن إذا استطعنا تجريد حملة من الوعاظ
 والمرشدين — بعد توفر علمائها على دراسة
مشكلاتنا الاجتماعية البارزة — لدعوة الشعب
إلى خدمة نفسه بنفسه والانتفاع بالخدمات
الاجتماعية والصحية والثقافية التى تؤدىها له
الدولة ، فستقصر المسافة بيننا وبين الإصلاح
الاجتماعى المنشود . فإن الأديان جميعها
عواطف مشتركة متحدة فى دعوتها إلى الخير
والبر . والدين الإسلامى فى هذا المضمار قد
جمع فأوصى .

طالب الولاية لا يولى

روى الأهرام أن أحد كبار الشخصيات
زار فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر
وتحدث إليه فى تعيين أحد الأساتذة العلماء

في الحوض الآخر ، ويصدر الجماز موجات ترى على سائر كسائر التلفزيون ، وبها يمكن معرفة حالة العضو المراد الكشف عليه من الأعضاء الداخلية في جسم الإنسان .

اتجاه الطاقة الذرية

إلى تغير مجرى الحضارة

خطب مستر ستراوس رئيس لجنة الطاقة الذرية الأمريكية في حفلة أقامها الاتحاد القومي للكتاب المخصصين في المسائل العلمية بنيويورك ، وعما قاله : إن التقدم الهائل الذي أحرزه العلم الذري في الخمسة عشر عاماً الأخيرة قد تحولت به العناصر إلى عناصر أخرى ، وتبيأت القدرة على اختبار وظائف الخلايا الحية عن طريق الذرات المتتابعة ، وقارب أن يكتشف سر التركيب الضوئي . هذا في زماننا نحن وفي الخمسة عشر عاماً الأخيرة . أما الزمن الذي يستقبله أولادنا فإننا نتوقع لهم أن يستمتعوا بطاقة كهربية أرخص مما يظن ، وأن تزول المجاعات الإقليمية الدورية الهائلة فتصبح حديثنا من أحاديث التاريخ ، وأن يسافروا بلا جهد في البحار وتحتها وعلى متن الهواء بسرعات هائلة وبأقل احتمال للخطر ، وأن يستمتعوا بحياة أطول من حياتنا إذ يقضون على كثير من الأمراض ويفهمون أسباب الشيخوخة فيتمكنون من تأخيرها .

من المصريين على صيانة هذه الوحدة وتشغيلها وستكون هذه الوحدة أول وحدة من نوعها في الشرق الأوسط ، والمتنظر أن تفيد منها الدول العربية الأخرى في المستقبل .

وستوجه الدعوة إلى أربعة من المصريين يسافرون إلى واشنطن للتدرب على استخدام الإشعاع الذري في العلاج ، وسيكون أحدهم من علماء الطبيعة ، والثاني من الإخصائين في الكيمياء الحيوية ، والثالث من الحاصلين على بكالوريوس العلوم أو الرياضيات ، والرابع من المختصين في الكهرباء . وإن البحرية الأمريكية ستدب الدكتور لوني أحد علماء معمل الراديو إيزونوب في واشنطن ليسافر إلى مصر فيختار المصريين الأربعة الذين سيدربون على استخدام هذه الوحدة في أمريكا تحت إشرافه شخصياً في العام القادم .

الكشف الطبي بالرادار

ابتكر الدكتور دوجلاس هوري الأستاذ بكلية الطب في جامعة كلورادو جهازاً يعتمد على الرادار في الكشف الطبي عن جسم الإنسان وأى جزء داخلي فيه . وهذا الجهاز يشبه جهاز الرادار المستخدم في الكشف عن الغواصات في أعماق البحار . وطريقة استخدام الجهاز الطبي هي إحضار حوضين مائيين يوضع الإنسان في أحدهما والجهاز

رئيس التحرير
محب الدين الخطيب
الاشتراك السنوي
٤٠٠ في وادي النيل
٢٠٠ للطبعة وادي النيل
٣٠٠ للأستاذ والمربيين بالزاري
٥٠٠ خارج البلاد
٣٠٠ للطبعة خارج البلاد
٤٠٠ للمعلمين خارج البلاد

مجلة الأهرام

مجلة دينية علمية جامعة
تصدر من مشيخة الأزهر مرتين في كل شهر عربي

مدير المجلة
عبد اللطيف السبكي
عضو رابطة علماء
العلوم
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٢١٤
تمت الطبعة ٢٠ مايو

الجزء الرابع - القاهرة في ١٦ صفر ١٣٧٤ - ١٤ أكتوبر ١٩٥٤ - المجلد السادس والعشرون

فهرس

الجزء الرابع — المجلد السادس والعشرون

صفحة	الموضوع	بسم
١٩٤	الأمة اليقظة وهل آن لها أن تملن وشدها ؟	الأستاذ محب الدين الخطيب رئيس التحرير
١٩٩	نصائح القرآن : المنراء القاتية - ٢ -	« عبد القطين السبكي عضو جامعة كبار العلماء
٢٠٢	الثالاية الواقعية في الفكرة الدينية	« محمد قنقى محمد عثمان
٢٠٧	الرجولية في القرآن	« أحمد الشرايى
٢١٢	كتب وأفكار غربية في الميزان	« سليمان دنيا
٢١٥	لنسويات	« محمد على النجار
٢٢٠	عبد الرحمن النفاق - ٢ -	« محمد وجب البيومى
٢٢٤	نحو قومية عربية	« توفيق ماديور
٢٢٧	القرية في القرآن	« محمود عبد الوهاب فايد
٢٣٢	أسرار الشريعة في أحكام اختلاف للطالم	« محمد أبو الملا البنا
٢٣٥	زينة العلم	« محمد للكى بن الحسين
٢٣٩	فارس غرناطة (مسرحية) - ٢ -	« محمد مجذوب
٢٤٤	سكنى الحكواكب	« حسن محمد موسى
٢٤٦	الفتاوى	« لجنة الفتوى
٢٥٠	الكتف	« المجلة
٢٥٣	الادب والعلوم	«
٢٥٥	أنباء العالم الاسلامى	«

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مع المؤتمر الاسلامى :

الأمة اليتيمة

وهل آن لها أن تعلن رشدها ؟

المسلمون اليوم — فى آسيا وجزائرها فسا وراء السد الحديدى منها حتى سيبيريا شمالا وشبه جزيرة القريم غربا ؛

وفى أوروبا من المجر ويوغوسلافيا وألبانيا إلى سلافيك وسائر خاليكديا حتى كوملجنة وتراقيا وما ارتفع عنها من سيف البحر الاسود ؛

وفى إفريقيا من سعادها إلى تجاهلها وما بين ذلك أو وراهم من سواحل ومكلمن وأدغال وأودية وآفاق ؛

هذه الامم والشعوب الإسلامية — فى آسيا وأوروبا وإفريقية — التى يزيد تعدادها الآن على خمسمائة مليون نسمة ، قد تفاوتت كثيراً فى مستواها الاجتماعى ، وفى مبلغها من الانطلاق أو التقيد ، وفى وسائلها من الثروة والمعرفة والتقدم الصناعى والاقتصادى ، وفى ثقتها باستعدادها للعبورية والنهوض ، ومعرفة الطريق المؤدى إلى ذلك . إنها قد تفاوتت فى كل ما ذكرنا ، غير أنها تشترك جميعاً فى كثير من السجايا والمبادئ والروابط ، وفى طبيعتها الإيمان بال دستور الإسلامى الخالد (إنما المؤمنون إخوة) كما فى أوائل سورة الحجرات ، وبالأمر الإلهى الصريح الذى لا هوادة فيه (بواعظموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا) كما فى أواسط سورة آل عمران . ومهما نسى المسلمون من أخلاق دينهم ، أو تهاونوا بشئ من مبادئ تشريعهم ، ومهما تخلفوا عن مزايأ ملتهم ، فإنهم لمن ينسوا أن المؤمنين إخوة ، ولن يشكوا فى أن الاعتصام بحبل الله هو آلة النجاة ، يوم تنهأ لهم القيادة الحكيمة الحازمة التى تمنى بهم فى طريق النجاة .

إن لهذه الاخوة الإسلامية المشتركة فيما بين المسلمين حقوقا متشعبة النواحي ، وواجبات متعددة المظاهر والمقاصد ، ولو أن هذه الحقوق والواجبات أحصيت ودُرست ونظمت ، واتخذ العقلاء الرحماء من قادة المسلمين وسائل لبعث الحيوية فيها وفي أهلها ، إلى أن يتم توجيههم في طريق العمل الإنساني والبعث الإسلامي ولو بالتدريج ، لكان من ذلك أعظم حادث في تاريخ الإنسانية بعد حادث القيام الأول للإسلام .

أنا أعتقد من عشرات السنين أن الإنسانية في حاجة إلى البعث الإسلامي ، وأنها تتخبط في أنظمتها الحاضرة ولا تجد لها مخرجا من هذا التخبط إلا بأنظمة الفطرة القائمة على أسس الأخلاق . وإن أنظمة الفطرة القائمة على أسس الأخلاق لا تحتاج إلى من يخترعها من جديد ، بل هي موجودة بالفعل في نظام الإسلام الذي أهمله المسلمون فصاروا حجبا بين الإنسانية وبين معرفة هذا النظام ، فاضطر الغرب إلى أن يزلق في أنظمة أُملي عليه اليهود بعضها ، وأفروه ببعضها ، أو جعلوه منها أمام أمر ولقع ، أو كانت لهم يد في تعديل البعض الآخر ، أو توصل غير اليهود إلى بعض المبادئ فوجدوها اليهود داخلة في برنامجهم فأيدوها وروجوها وفصروها ونشروها حتى صارت من صلب ذلك النظام المعمول به في الغرب ، والذي أخذنا نفتقسه عنه منذ نحو مائة سنة ، فغشى دراوين حكمتنا ، وأسواق تجمارتنا ، وساد في مجامعتنا ، وسابق نساؤنا رجالنا إليه في الأزياء والآداب والمعاشر ، حتى آمنّا به وكفرنا بما سواه ، فأصبح الرجل المستقيم منا هو الذي يمدحه الناس بأنه ملتزم لذلك النظام الاجنبي عنا ، وغير مخل بشيء من أصوله أو فروعه أو آدابه (١) .

ولو أن المسلمين انتفضوا انتفاضة حكيمة يرجعون بها إلى أنفسهم ، ويعيدون تنظيم موارثهم ، ويتعاونون على إقامة نظامهم الفطري الذي يتعاملون فيه بمقاييس الإيثار لا بمقاييس الآثرة ، فإنهم لا يلبثون أن يوجد فيهم من أبنائهم جيل ترى فيه الإنسانية جمال الإسلام ، ويتبين لها أنه هو ضالة الإنسانية التي كانت تفندها ، فيتجدد بذلك تاريخ الإنسانية جميعا .

ترى متى يكون ذلك ، ومن الذي يبدأ به ؟

(١) انظر مقالة « الإنسانية بين النظام الحمدي والنظام الاسرائيلي » في جزء ربيع الأول

سنة ١٣٧٢ هـ

لما اجتمعنا قبل عشرة أيام^(١) بقر المؤتمر الإسلامى فى الزمالك بدعوة من كاتم سره العام القائمقام السيد أمور السادات ، كان مما قلته له وإخوانى يمثل أكثر شعوب الإسلام المجتهدين فى تلك الجلسة - وفيهم رجال من الصين والملايو والتركستان فى شرق آسيا ، ورجال من تونس والجزائر ومراكش فى الغرب من شمال إفريقيا ، وآخرون من أوطان إسلامية متعددة - إن الطوائف المواطنة لنا فى أوطاننا ، والمثل الكثيرة المعاصرة لنا ، تنعم كلها بؤسوس طائفية وملية تسهر على مصالحها الحيوية من حيث هى طوائف وممل ، وترعاها فى شئوننا المالية والتشريعية والاجتماعية والثقافية ، إلا المسلمين فإنهم وحدهم أبناء الملة (اليقظة) فى هذا المجتمع البشرى منذ نحو ألف سنة ، أو على تعبير الشيخ محمد عبده : منذ استعجم الإسلام بمن اصطفتهم بعض الخلفاء العباسيين من المماليك ، فابث المماليك أن صاروا ملوكاً سارت الأمة الإسلامية تحت ألويتهم فى طريق الضعف والانحلال ، إلى أن قامت النهضة فى أوربا قبل ثلاثمائة سنة فكان موقف ولاية أمور المسلمين منها موقف المتفرج ، فالغرب يسير قدماً نحو القوة وعلومها وأسبابها ، والشرق الإسلامى يرجع القهقرى بأخلاقه وعلومه وأنظمتة ، حتى كانت النتيجة الطبيعية وقوع أكثر المسلمين فى قبضة الاستعمار ، وهم كالآيتام الذين ليس لهم من يرعاهم ، بينما الطوائف المجاورة لهم يقوم على شئوننا المالية والطائفية والثقافية والتشريعية والاجتماعية منظمات تسهر عليهم ليل نهار ، فتتظم مصادر قوتهم ، وتعاون معهم على التقدم بهم فى مضمار الحياة ، وتعد للمستقبل الاجيال الصالحة من أبنائهم ليكون كل جيل أقوى من الذى قبله .

والآن وقد بدأنا نستيقظ من نوم طال علينا ليله ، فلو أن هذا المؤتمر الإسلامى كون نفسه واتخذ أهبة لتكون منه المنظمة الإسلامية التى تدرس شئون المسلمين ومواريتهم العلمية ، ومواطن ضعفهم وأسباب علاجها ، وتحاول أن تكون لها بهم الصلة الادبية الحكيمة التى تدعو إليها أخوة الإسلام ، فإن هذا المؤتمر سيملاً حيثئذ (الفراغ) الذى يشعر به المسلمون منذ ألف سنة ، فيزول به يتمهم ، بل يرون أنهم بلغوا به سن الرشد ، وأنه قد آن لهم أن تصدر عنهم - فى حلبة التسابق بين الأمم - الاعمال التى يرهنون بها على أنهم فى طليعة الأمم الرشيدة .

لما كان يقال فيما مضى ، المسلمون إلى خير ، ولكن الضعف في القيادة ، كان يراد من هذه الكلمة أن للمسلمين من موارث الحق والخير ما يكفل لهم استئناف البحث والنهوض والتقدم ، غير أنهم لم يكونوا يجدون من قادتهم الرجال الذين يأخذون بأيديهم إلى ميادين العمل التي ينتفعون فيها بتلك الموارث . فهل يأخذ المؤتمر الإسلامى الآن على عاتقه أن يلا هذا الفراغ ، وأن يتولى هذه القيادة لأهل الملة الإسلامية في مصر والعالم الإسلامى ؟

قد يخطر على البال من مدلول كلمة المؤتمر ، أنه خاص بمهمة ثم ينتهى بانتهائها ، وهذا خطأ ، وقد يتبدد هذا الخاطر بإعلان أن المؤتمر الإسلامى دائم ، وسيكون هو نفسه من موارثنا للأجيال الآتية ، وأنه عام يهم لكل ما يهم المسلمين في تربيتهم الخلقية ، وتكوينهم الاجتماعى ، وتثقيفهم القوى والملى والعالمى ، وسيعمل لبعث تشريعهم الذى كان لهم مدة ثلاثة عشر قرنا إلى أن قضى عليه في أيام الخديو إسماعيل .

وأحب أن أقرر الحقيقة الآتية :

كما أن محبة ابن طنطا أو ابن أسبوط لطنطا أو أسبوط لا تنافى محبة لمصريته لأنها جزء منها وحلقة في داخلها كالحلقات التي تنعقد في بحيرة الماء حول الحصاة عند إلقتها في البحيرة ، كذلك الوطنية المصرية أو العراقية لا تنافى العروبة لأنها جزء منها وحلقة في داخلها كحلقات الماء حول تلك الحصاة . والعروبة ، والقومية الاندونسية ، وأمثالها ، لا تنافى أخوة الإسلام وجامعته الجامعة ، لأن جامعة الإسلام هي الحلقة التي تلى حلقة الإنسانية وتجمع بنى الإنسان ، فالجامعة الإسلامية جزء منها تجمع الأمم الإسلامية وأوطانها ، والوطنية المصرية جزء من العروبة تجمع أبناء النيل ، وابن طنطا أو ابن أسبوط يستطيع أن يجمع بين محبة لبلدته ثم وطنه ثم عروبه ثم جامعته الإسلامية كما يجتمع مع سائر البشر بكل من برعى قواعد الإنسانية من أبنائها .

وإذا كان من الخير أن يكون المؤتمر دائما ، وسيكون من موارثنا لأبنائنا الذين يخلفوننا عليه وعلى سائر موارث الحق والخير المنتقلة إليهم عن الماضى ، فإن في طليعة واجباتنا نحوم أن نعد لهم المدارس الصالحة ليتربوا فيها التربية الإسلامية ، وليثقفوا فيها الثقافة الإسلامية ، وأن ننظف لهم كتب التاريخ الإسلامى من الأكاذيب التي أقحمها عليها

المغرضون وشوهوا بها سيرة المثاليين من شמוש صدر الإسلام الذين أشرقت بهم الدنيا وسعدت ، وإن مصر التي صارت إسلامية بعد أن لم تكن إسلامية ، والتي تتولى اليوم دقة سخينة العروبة بعد أن لم تكن عربية ، إنما صارت إسلامية وعربية لأن الذين عرفت بهم الإسلام والعروبة قبل ثلاثة عشر قرناً كانوا مثلاً أعلى للعدل الإسلامى المثالى ، وكانوا مثلاً أعلى للأخلاق العربية النبيلة ، فاستقبل المصريون هذا الدين الإسلامى بالبشر والمحبة والرضا ، وتنازلت مصر عن لغتها لتجمل منطقتها بمنطق العروبة الذى أحبت أهله واقتدت بهم وسارت فى طريقهم . ومن الخير أن يكون من أساس الثقافة الجديدة لأطفال المسلمين تعريفهم بالمسلمين الأولين الذين عرفت الشعوب هذه لهداية الإسلاميه من سيرتهم ومن هدايتهم وشهامتهم ونبل أخلاقهم ، فكانوا المؤسسين الأولين لمجتمعنا الحاضر ، ورواد الدعوة إلى أخوة الإسلام ورابطة العروبة .

إن المهمة التى سيأخذها المؤتمر الإسلامى على عاتقه — إذا سار فى هذا الطريق إلى الجنة — أعظم مهمة اضطلع بها مصلحو الأمم فى أهمهم ، وهى تضارح عمل الصدر الأول للإسلام عندما قاموا بتعريف الإسلام للأمم ، غير أن مهمتنا نحن هى تعريف الإسلام لأهله حتى يعودوا مسلمين ، ومن شأن جمال الإسلام إذا تحلى به أهله حقاً أن يكون عمائمهم به ، وسيرتهم القائمة على أخلاقه ، وسيلة لمعرفة الآخرين به ، ومن عرف شيئاً صار صديقاً له ومن جهل شيئاً عاداه ، وإن تسعة أعشار عداوة غير المسلمين للإسلام ناشئة فى هذه العصور من فقدان القدوة ، وعن نقصير المسلمين فى أن تكون معاملاتهم وأخلاقهم وتصرفاتهم مثلاً للإسلامهم ، تخيل إلى غير المسلمين أن معاملتنا وأخلاقنا وتصرفاتنا المخالفة للإسلام هى من الإسلام فكرهوه لذلك .

وبعد فإن المؤتمر الإسلامى يوم يشرع فى رسم خطته لتحقيق هذا البعث ، يكون من واجب كل مسلم أن يجند نفسه لتنفيذ تلك الخطط ، ولو بأن يبدأ بنفسه فيكون مسلماً حقاً بأخلاقه وأعماله وتصرفاته . وإن لنا حديثاً مع المدرسين ورجال البعث إلى بلاد العروبة والعالم الإسلامى عن الواجب الملقى عليهم فى النهوض بهذه الأمة إلى مستوى رشدتها ، وفاء لحق مصر عليهم ، وإتماماً لمهمة المؤتمر الإسلامى من الجانب الذى هم فيه ، وإلى الملتقى فى جزء آخر من هذه المجلة إن شاء الله .

عبد الرحمن الخطيب

فتح القلبي

- ٢٠ -

٢ - العذراء القانصة

فتقبلها ربها بقبول حسن ، وأنتبها
نباتاً حسناً ، وكفلها زكريا

حسبك يا امرأة عمران أنك أخلصت لله التبة فيما نذرت ، وأنتك انجعت إلى الله فيما دعوت ، فإن للخلصين رجاء موصولاً ، ودعاء مقبولاً . وقد فاض قلبك بالرجاء ، ولهج لسانك بالدعاء ، حينما أودعت مريم بيت المقدس ، واثقة أن الله سيعيدها وذريتها من الشيطان الرجيم .

فكان من رعاية الله لمريم أن تتعاطف عليها قلوب الاحبار ، بدافع قوى من الخنو والإيثار ، وكل يود أن يستأثر بفضل القيام على تربيتهما ، لأنها - أولاً - بنت عمران ، وقد كان فيما بين شيوخهم من الخيرة المقدمين - وثانياً - لأن أمها نذرتها لله ، ففي خدمتها اليوم سابقة إلى الخير ، وزلنى إلى الله .

ولهذه الغاية شجر الخلاف بينهم ، وما حسمه إلا أن اقترعوا عليها ، فوضعوا أعلامهم التي يكتبون بها التوراة في الماء الجاري : على أن من يجرى قلبه مع الماء فلا شأن له بها ، ومن وقف قلبه فهو صاحب الحظ بتربيتها ، ثم كانت القرعة لزواج خالتها زكريا (نبي الله فيما بعد) وإذا كان تهافت الاحبار عليها بادرة من بواذر القبول ، فإن انتهاء القرعة إلى زكريا أماره ثانية على ذلك ، إذ أن زكريا ونحته خالة مريم يكون أقرب إليها من غيره ، وأعطف عليها ، وأرعى لها من سواه ، ثم ظلت مريم عنده في كنف رجب ، وأمن من شظف العيش ، وسارت في مدارج الطفولة ناعمة البال ، تترعرع في حضارة ،

وتتمو في كمال ، حتى اجتازت مرحلة الفشوة ، وشارفت مصيرها المنتظر ، وتلك أمور ثلاثة :
١ - إشراف زكريا على تربيتها . ٢ - ونشأتها في دعة وهناءة . ٣ - واستواء
خلفها وأخلاقها على الكمال . وذلك قوله تعالى (فتقبلها ربها بقبول حسن ، وأنبأها نبأنا
حسناً ، وكفلها زكريا) .

ولينظر إلى أن السياق ابتداء بذكر تقبلها وإنبائها ، ثم ذكر تكفل زكريا أخيراً مع
أنه حاصل في مطلع القصة منذ طفولتها ، ولكن إشاراً زكريا بالتكفل وانتهاء القرعة إليه
كان مظهرراً لتقبل الله سابقاً ، فصح أن يذكر بعده ، سيما وأن التكفل تمتد إلى النهاية ،
فصح أن يذكر بعد سابقه ، وقد يقنى عن هذا التعليل عند العارفين أن العطف بالواو
لا يدل على ترتيب الحصول .

وفي ضوء هذا السياق يبدو لنا واضحاً أن تربية الأطفال في أحضان أهل الصلاح والدين
حصانة لهم من السقطات ، وحفاظ عليهم من المساكره ، وتمكين لهم أن يسلكوا مسالك
الكمال ، وفي صنيع الله بمريم أسوة لمن وعى .

وحينما شبت مريم إلى مرحلة الشباب آوت إلى محرابها الذي مياها زكريا ، وتفرغت
لعبادة الله كما نذرت أمها .

وكان زكريا حينما يصعد إليها من حين إلى حين ليتعرف حالها ، ويقف على حوائجها ، يجد عندها
أطعمة شهية من أطيب الفواكه . فيجب لهذا وهو لم يجيء به ، وليس يصعد إليها أحد غيره ،
فيكبر شأنها ، ويسألها وهي تجهيه بما يزيد إكباراً لها ، وتفاؤلاً بها ، كلما دخل عليها زكريا
المحراب وجد عندها رزقا ، قال يا مريم أتى لك هذا ؟؟ - من أين هذا - قالت هو من عند الله
إن الله يرزق من يشاء بغير حساب . . وذلك أمر عجيب ... ولكن : إلى أين يرتفع شأن
مريم ، وإلى متى ترافقها العناية القدسية ؟؟

لم يدخل في حسابهم أن لها مقاماً فوق ما قدروا لها ، وأسمى مما رجحت أمها ، وهذه المشاهد
الأولى أثارَت عند زكريا حب الذرية ، وجيشَت في نفسه خواطر لم تكن تشغله آنفاً ،
فنهف بالرجاء صاعداً من قلبه المطمئن بالله هـ هنالك دعا زكريا ربه ، قال : رب هب لي

من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء . . وهذه قصة عارضة نشأت بفثشة سببها في الحكاية عن مريم ، وسنعود إلى تمام الحديث عنها بعد .

أما مريم فقد افتتق حولها نور جديد ، وظهر من مكنون الغيب ما سبقت به كل امرأة قبلها وبعدها ، ذلك أن الملائكة نزلت عليها بوحى من عند الله ، ولم يعهد الناس أن الملائكة تنزل على غير الأنبياء من الرجال ، « وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك ، وطهرك ، واصطفاك على نساء العالمين ، يا مريم : اقنتى لربك ، واسجدى ، واركعى مع الراكعين . . فهذا وحى سماوى يؤكد لمريم ، ولتناس في شأها ما رأوا بهذه رأى الدين ، وعرفوه حق اليقين . فاصطفاها وتطهير ، واصطفاها آخر وتكليف بالقنوت . وهو مداومة العبادة . وبالركوع والسجود وهو المحافظة على الصلاة . تلك توجيهات يؤثر الله بها مريم وفي جملتها وتفصيلها إيدان بأن مريم وقد اصطفاها رجا للعبادة وطهرها من المآثم والنقائص ، واصطفاها لأمر آخر متميخ عن الأيام : لا بد أن تكون إنسانة كاملة كالآل يربأ بها عن الدنو من الشبهات ، ويتسامى بها أن تكون حصة لالسن السفهاء .

وما ظنك بفتاة أنجبها بيمة آل عمران ، ومجدها ربهما ، فنشأها على غرار كريم في ضوء التبتل ، وظلال المكوف على مناجاة الله ؟ ، إنها لجديرة أن يصطفها لأمر آخر لا يناط إلا بمن كانت كذلك ، ذلك هو الأمر الذى أثار عجب الدنيا ، وبهر التاريخ ، وجدد في الإنسانية حديثا طريفا يعتبر من أصدق الآيات الكونية على إبداع الله ، ومن أروع الدوافع إلى التصديق بما يكون من عند الله .

ذلك الأمر : هو أنها — فيما بعد — تلد عيسى عليه السلام على نحو ما وصف إنجيل عيسى ، وحدتنا به آيات بينات من القرآن .

فإن تكن مريم في حساب الناس فتاة من الفتيات ، فهى في إطار عجيب من الخصائص الربانية التى اكتشفها منذ إشرافها الأولى إلى أن طوت صفحاتها السكرية في الدنيا على شئ كثير من القصص الحق .

وهذه منزلة رزينا لها من اصطفاها على نساء العالمين .

منزلة : أين منها أمها حنة بقت فاقود الصالحة زوجة عمران الصالح ، بل أين منها حواء

عبد اللطيف البكي

عضو جماعة كبار العلماء

وسواها من النساء الفضليات مع ما لبعضهن من رفيع المقام ؟

« يتبع »

المثالية الواقعية

في الفكرة الدينية

- ٢ -

ثانياً : تكامل الفكرة .

من خصائص الفكرة الدينية أنها فكرة متكاملة الجوانب ، يأخذ بعضها ببعض . وهي في هذا التكامل مثالية في موضوعها ، واقعية بالنسبة للأشخاص الذين يعتقونها ، إذ ترضى فيهم كل مناحي الطاقة البشرية .

إن العقيدة في الدين هي الأساس ، وقد أسلفنا الإشارة إلى مثالياتها وواقعياتها ^(١) ، ولكن لا بد بجوار العقيدة في الله واليوم الآخر ، من تفصيل لما يرضاه الله ويثيب عليه يوم الحساب ، ولما يسخطه ويسوم المرء من أجله سوء العذاب :

والعقيدة بغير هذا (التفصيل التشريعي) سوف تؤدي بصاحبها إلى أن يكون أحد رجلين : إما رجل يخشى الله فهو متردد منزهة متطوع ، لا يقدم على أمر مخافة أن يكون حراماً ، وإما رجل مندفع متأول يحسب أن عقيدته في الله تغفر له كل شيء وتبيح له كل عمل ، لأن الغاية عنده تبرر الوسيلة ...

لذلك كان لا بد من معالم وبيئات تضبط هذا الوجدان الديني ، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين ، وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ، .

ولا شك أن مناط الدقة في تنفيذ الأحكام الشرعية هو الورع التابع من العقيدة ، إذ البر ما اطمأن إليه القلب ، والإثم ما حاك في الصدر ، ولكن المسالك الشرعية تنظم هذه الحساسية العاطفية ، كما أن هذه الحساسية تظاهر الأحكام الشرعية سواء بسواء .

لذلك نجد أن الأحاديث الشريفة التي تتحدث عن الجزاء وتتناول العقيدة ترفع ذلك بفتح من مفاتيح السلوك العملي ، حتى لا تترك الناس في مشاعر مهمة ، ولا يكون الدين مجرد تأوه وترخ ، وحتى لا يسبح الناس في حظيرة القدس وفردوس الآخرة ومعية الله ، وهم لا يعرفون كيف يبيعون ويشتررون ، وكيف يتحادثون ويتعاملون !

عن معاذ بن جبل رضى الله عنه : قال : كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر ، فأصبحت يوماً قريباً منه ونحن نسير ، فقلت يا رسول الله : أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار ؟ فقال : « لقد سألت عن عظيم ، وإنه ليسير على من يسره الله عليه : تعبد الله لا تشرك به شيئاً ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت » . ثم قال : « ألا أدلك على أبواب الخير ؟ قلت : بلى يا رسول الله . قال : الصوم جنة ، والصدقة تطفى الخطيئة كما يطفى الماء النار ، وصلاة الرجل من جوف الليل شعار الصالحين . ثم تلا (تجافى جنوبهم عن المضاجع) ... الآية ، ثم قال : ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه ؟ قلت : بلى يا رسول الله . قال : رأس الأمر الإسلام ، وعموده الصلاة ، وذروة سنامه الجهاد . ثم قال : ألا أخبرك بملاك ذلك كله ؟ . قلت : بلى ، قال : كف عليك هذا ، وأشار إلى لسانه . قلت : يا رسول الله ، وإننا لما نؤخذون بما نتكلم به ؟ فقال : ثكلتك أمك يا معاذ ! وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم ؟ » أخرجه الترمذى .

فأنت تشاهد في هذه التسيبحات العلوية وصايا عملية يجب أن ينفذها البشر في دنياهم ، وهكذا لو تتبعنا أحاديث رسول الله ﷺ لوجدت معلم البشرية يضع أيدي الناس دائماً على أخلاق وأعمال تكون مصداق العقيدة وشارة الإيمان ...

أفليس هو الذى يقول فيما أخرجه الترمذى عن أبي هريرة : « اتق المحارم تكن أعبد الناس ، III

أليس هو الذى يقول : « الإيمان بضع وسبعون شعبة ، أعلاها قول لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياة شعبة من الإيمان » ، رواه مسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه عن أبي هريرة .

والإسلام يجعل من بين شريعته قانونا للعقوبات ، ليزاوج بين حراسة الضمير ورقابة التشريع ، وجزاء الدنيا والآخرة . وهو في الوقت ذاته لا يتصيد الجرم ولا يترصد العقاب ، بل يفتح باب التوبة لتدرك الحدود ... « إلا الذين تابوا من قبل أن تتحدروا عليهم ، ويدعوا للقاضي لتقدير الظروف والبواعث » ادرءوا الحدود بالمشاهات ، ^(١) « إن الإمام لأن يخطئ في العقوبة خير من أن يخطئ في العقوبة » ^(٢) .

فالإسلام مثالي حين يبلغ الكمال بتعاقب العقيدة والشرعة ، وهو واقعي في هذه المثالية ، لأن هذا أدنى للقطرة البشرية ، وأقوم بنجاح الفكرة الدينية .

ويلحق بهذه المثالية الواقعية ذلك المزج الدقيق بين (النية والعمل) ، وبين الظاهر والباطن . فالإسلام يجعل من النية أساسا لأي عمل ، وإنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى ، رواه الجماعة عن عمر . ولكن الأحكام القضائية في شرع الإسلام تجري بمقتضى الظاهر ، لا باتهام السرائر . وفي الحديث « إنما أنا بشر ، وإنكم تختصمون إلي ، فلم ببعضكم أن يكون الخن بحجته من بعض ، فأقضى له على نحو ما أسمع ، فمن قضيت له بحق مسلم فإنما هي قطعة من النار ، فليأخذها أو ليركها ، رواه مالك وأحمد والستة .

ومن تكامل الفكره الدينية وجهتها الإيجابية ، حتى يكون المسلم مؤثرا بالإسلام فيمن حوله ، كما تأثر به في نفسه . ومن ضروب ذلك تكاليف الإسلام لاتباعه بالتناصح في الخير ، والنواصي بالحق والصبر ، والتعاون على البر والتقوى ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . وتبلغ هذه الإيجابية ذروتها في الأمر بالجهاد في سبيل الله ... وهكذا تتضافر العقيدة والشرعة والقوة على تثبيت دعائم الحق ، لا من أجل بغي أو عدوان ، وإنما من أجل مساهمة الطبيعة البشرية والواقع الإنساني في حدود الحق ، لقد أرسلنا رسلنا بالبينات ، وأزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط ، وأزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس .

[١] قال السيوطي : رواه ابن عدي في الكتل فجزء له من حديث أهل مصر والجزيرة عن ابن عباس ، ورواه أبو مسلم الكشي وابن السمعاني في التل عن عمر بن عبد العزيز مرسلا ، ومسند في مسنده عن ابن مسعود موقوفاً :

[٢] رواه ابن أبي شيبة والترمذي والحاكم في المستدرک والبيهقي في السنن عن عائشة وصححه السيوطي

ونجحت هذه المثالية الواقعية حين يسوق الإسلام أبناءه لمبادئ الجهاد ، فهو يعدم بالنصر كما يعدم للشهادة ، لأن الإنسان ينزع بطبعه إلى الأمل القريب . « قل هل توبصون بنا إلا إحدى الحسينين ، ونحن نرصد بكم أن يصيبكم الله بمذاب من عنده أو بأبدينا ، ... يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم . وأخرى تحبونها ، نصر من الله وفتح قريب . وبشر المؤمنين . »

كذلك يربط الإسلام أتباعه بالدولة التي تقيم أحكام الله ، كما يبشرهم بالجنة التي ينعمون فيها برضوان الله . وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلهم من بعد خوفهم أمنا ، يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ، ، ، ، ولينصرون الله من ينصره ، إن الله لقوى عزيز ، الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر والله عاقبة الأمور . .

إن الناس ليسوا كلهم حكماء ، يأخذون الدين بالمتعة العقلية ، وليسوا كلهم أبطالا مكافئين يتلذذون بالصبر على البلاء ومجاهدة الأعداء ، لذلك كان الدين واقعياً في مثاليته حين طمأن المسلمين على المستقبل القريب ، كما شوقهم إلى الأمل البعيد .

وإن الناس ليسوا كلهم الأبطال الأتقياء الذين ينفذون أحكام الله بغير إلزام السلطة . والمجتمع الذي تحدث عنه الخوارج حيث يقوم الناس فيما بينهم وبين أنفسهم بإنفاذ الشرع ، ومن ثم لا يحتاجون إلى إمام - هذا المجتمع المزعوم مجتمع خيالي لا وجود له ... ومن هنا كان الدين مثالياً واقعياً حين عرض للدولة في بناء فكرته .

والدولة في الإسلام لا تعنى أن يحن المسلمون بالسلط والسيادة . ويتنازعوا بالباطل على الحكم والرئاسة . تلك الدار الآخرة ، نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً ، والعاقبة للمتقين ، .

والإسلام يطلب من أتباعه العلم بأحكامه ليسيروا على بصيرة في العمل بهذا الدين ، فلا تكفي النية الطيبة دون الإحاطة بالحلل والحرام كما شرعه الله ، ولا تؤمن مغبة الشروع في الأعمال بغير العلم الصحيح ، ولا يؤمن ضلال العلم إن خلا من التطبيق ، ولقد سلك

الإسلام أول سبيل للتربية الأساسية في مجتمع أى حين ألزم الناس معرفة الحلال والحرام ، ورسم ألوانا من الثقافة الشعبية في فرائضه التى لا يتم إسلام المرء إلا بمزاولتها ، فقرأة القرآن واستماعه ، وخطب الجمعة والعيدى ، ورحلة الحج — كلها وسائل عامة للتربية والتعليم . والإمام ابن حزم يبلغ الذروة في إلزام المسلم بأن يكون على علم فيما يعمل ، ولا يتبع هواه أو هوى غيره فيقول : « والناس فيما يعتقدونه لا يخلون من أحد أربعة أوجه لا خامس لها : إما أن يكون المرء طلب الصواب فأداه اجتهاده إلى الصواب حقاً فاعتقده على بصيرة ... وإما أن يكون طلب الصواب لحرم إدراكه لبعض المواضع ... وإما أن يكون قلد فوافق في تقليده الصواب ... وإما أن يكون قلد فوافق في تقليده الخطأ ... فأما الوجهان الأولان فقد قضى رسول الله ﷺ بأن من اجتهد فأصاب فله أجران ، وأن من اجتهد فأخطأ فله أجر واحد ، إلى أن قال عن القسم الثالث : ولا شك أن المجتهد المخطئ أعظم أجراً من المقلد المصيب وأفضل . ثم قال : وأما القسم الرابع وهو المقلد المخطئ فله لثم معصية التقليد ولثم المعصية باعتقاد الخطأ ، - (الإحكام - ٦ ص ١٦٣ : ١٦٦) .

والإسلام الذى يأمر بالعلم ، يأمر المسلم بأن يعمل بما يعلم ، وقد لا يؤاخذ به بما لا يعلم إن كان في هذا معذوراً غير مقصر . يقول تعالى : ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ، فهذا شرط تبين الهدى لا بد أن يتوفر لتوفر في المخالف دلائل سوء النية وشرب الباعث . ورد أن عمر أتى له بأمة لحاطب انهمت بالزنا فسأها عمر عن جريمتها فقالت : نعم ! من مرعوش بدرهمين ! وهى حينئذ تذكر ذلك لا ترى بأساً . فقال عمر لعملى وعبد الرحمن وعثمان : أشيروا على . فقال على وعبد الرحمن : نرى أن ترجها . فقال عمر لعثمان : أشر : قال : قد أشار عليك أخواك . قال : هزمت عليك إلا أشرت على برأبك . قال : فإني لا أرى الحد إلا على من علمه ، وأراها تستمل به كأنها لا ترى به بأساً . فقال عمر : صدقت والذى نفسى بيده ، ما الحد إلا على من علمه . ولم يرجها عمر ، وإنما جلدها مائة وغربها (الإحكام - ٤ ص ١٨١ - ١٨٢) .

إن هذا التسكامل الرائع الفريد ، هو آية السكالم الذى تتحقق به مثالية التشريع ، وآية اليسر الذى تتحقق به واقعيته وقابليته للتطبيق ؟

محمد فني محمد عثمان

مدرس الآداب بالمعاهد الدينية

الرجولية في القرآن

هناك بعض الالفاظ التي لا تقتصر في دلالتها على معناها اللغوي الاصل ، بل تضمنا مدلولاً عرفياً خاصاً ، ومن بين هذه الالفاظ كلمة « الرجل » ، فإنها في أصلها تدل على مقابل الاثني ، ولكنها تطلق ويراد منها في أغلب الأحيان مجموعة من صفات القوة والشرف والكرم وحسن الخلق ، حتى صرح لابي حفص النيسابوري أن « يجب من سأل : من هم الرجال ؟ بقوله : « القائمون مع الله تعالى بوفاء اليهود ، قال الله تعالى : (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) »^(١) .

وصرنا نقول في مدح الشخص : « إنه رجل » ، ولا نريد أنه ضد الاثني ، بل نريد الثناء عليه ووصفه بأنه ذو نخوة وأريحية وكرم وشهامة ، وأن عنده رجولية تدعوه إلى مكارم الفعال ، وتصدّه عن مواطن الرذيلة . والصلة بين هذا المعنى العرفي وبين أصل المادة موجودة ملموسة ...

جاء في (مفردات القرآن) للأصفهاني « الرجل مختص بالذكر من الناس ... ورجل بين الرجولة والرجولية ... وقوله : « وقال رجل مؤمن من آل فرعون ... فالأولى به الرجولية والجلادة ... »^(٢) .

وجاء في (القاموس المحيط) لمحمد الدين الفيروزبادي : « الرجل معروف ... والرجل الكامل ... ورجل بين الرجولية ... وهو أرجل الرجلين أشدهما . والرجل الرأي الصلب »^(٣) .

(١) طبقات الصوفية للسلي ، ص ١٢٢ .

(٢) المفردات ص ١٨٨ .

(٣) القاموس ، ج ٣ ص ٣٨١ .

وجاء في (أساس البلاغة) للزمخشري « هذا رجل أى كامل فى الرجال بين الرجولية والرجولية ، وهذا أرجل الرجلين ... وهو من رجال قريش : من أشرفهم ... »^(١) .

وفى (مجمع البيان) للطبرسى : « يقال : رجل بين الرجل أى القوة ، وهو أرجلها أى أقوامها ، وفرس رجل قوى على المشى ، وسميت الرجل رجلا لقوتها على المشى ... وارجل الكلام ارتجالا لأنه قوى عليه من غير ركوب فكرة ، وترجل النهار لأنه قوى ضياؤه بنزول الشمس إلى الأرض ، ورجل شعره إذا طوله ، وأصل الباب القوة »^(٢) .

هذه قطوف من نصوص اللغة فى كلمتى الرجل والرجولية ، وهى ترينا أصل المعنى لكلمة الرجل ، والمعانى التى طرأت على المادة ، وخاصة كلمة الرجولية من مفرداتها ...

ولقد تفحصت المواضع التى وردت فيها مادة « الرجل » فى القرآن الكريم ، فكدت أخرج بقاعدة عامة لها معناها ومغزاها ، هى أن القرآن الكريم يلحظ فى استعماله لمادة « الرجل » ، ذلك المعنى الجميل الطارىء على المعنى اللغوى الأصلى لها ، وذلك فى أغلب الأحيان ، وفى المواضع التى يراد فيها الحكم على الرجل بأمر من الأمور زائدة على المعنى الأصلى وهو معنى الذكورة المقابل لمعنى الأنوثة ...

نجد القرآن الكريم إذا ذكر مادة « الرجل » بأصلها اللغوى أراد منها معنى الذكور ، وإذا ما ذكرها فى مواضع تعرض لاكثر من هذا الأصل عطف ذكرها بنفحات من التكريم والتعظيم ، وإذا ما ذكر مادة « الرجل » مقرونة بأوصاف مذمومة فإنه ينقل هذه الأوصاف ويوردها مذمومة إلى المبطلين فى القول ، أو الخاطئين فى التفكير ، وفى هذا القسم الأخير تكريم مستور للرجل ، وإن بدت العبارة المنقولة وفيها أوصاف تدم أو تقدح ... !

وكأن القرآن الكريم بإيثاره هذه الخطوة الغالية التى تكاد تكون قاعدة - كما أسلفت - يريد أن يلفت أبصارنا إلى قيمة الرجل فى المجتمع ، وإلى التبعات التى يجب عليه أن ينهض

(١) الأساس ج ١ ص ٣٢٥ و ٣٢٦ .

(٢) مجمع البيان ، ج ١ ص ٣٢٦ .

بها لأنه كف لها . فإذا ما التفت الرجال إلى هذا الذكر الحميد ، وإلى ذلك التوجيه السديد ثارت في صدورهم عواطف الاستجابة للخير ، ونوازع التدليل على أنهم أهل لذلك الوصف الجليل ، وخرجوا من مسبة التخلف عن هذا المرتقى الذي قبل لهم عنه : ملأوا إليه ، فإنه مقامكم ! . . .

وكان هذا لون دقيق عميق من ألوان التربية النفسية المطوية التي يحسن القرآن المجيد بث هواملها ، وتعميق جذورها في الإنسان . . .

* * *

ها نحن أولاء نرى الذكر المبين يذكر الرجل والرجال بالمعنى الاصلى ، وهو الذكورة ، فيقول : « للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون » ^(١) ، ويقول : « للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن » ^(٢) ، ويقول : « ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ، ولكن رسول الله وخاتم النبيين » ^(٣) .

نفهم من أمثال هذه الآيات الكريمة أن الرجل قد ذكر فيها وهو يراد منه مقابل الأنثى ، ويجرى الحديث عنه بأحكام عادية قد تتساوى معه فيها الأنثى وقد لا تتساوى ، ولكن لا يظهر فيها قصد التكريم . ولكتنا ننقل إلى آيات كريمة أخرى ، فنجد « الرجل » فيها قد تمطرت سميرته ، ونجد التعظيم لشأنه مطوياً أو منشوراً ، وتبين ذلك الهدف النبيل وهو تغليب الذكر الحسن على سواء فيما يتعلق بالحديث عن الرجل في القرآن الكريم .

يقول الله تعالى : « الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم » ^(٤) .

(١) سورة النساء ، آية ٧ .

(٢) سورة النساء ، آية ٣٢ .

(٣) سورة الاحزاب ، آية ٤٠ .

(٤) سورة النساء آية ٣٤ .

وفى هذا ثناء على الرجال ، وتفضيل لهم ، وتنبيه على جلال تبعاتهم ، إذ المعنى — والله أعلم بمراده — أن شأن الرجال هو القيام على النساء ، بالأمر والنهي ونحو ذلك ، مع الحكمة والعدل ، وذلك لأن الله وهب جفنس الرجال فضلا على الجنس الآخر ، ويجب على الرجال أن يعرفوا تبعه هذا الفضل ، ولذلك اختص الرجال بالبوّة والرسالة والإمامة الكبرى والصغرى وإقامة الشعائر كالآذان والإقامة والخطابة والجمعة والطلاق وغير ذلك ، ولأن الرجال يتمتعون ويكدهون ويكسبون ثم ينفقون أموالهم على نساءهم .

وقريب من هذا قول الحق تبارك وتعالى : « ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف ، وللرجال عليهن درجة » (١) . أى أن للرجال زيادة فى الحق على النساء ، لأنهم القوام والحراس ، وهم القائمون بواجب الرعاية والإنفاق ، وذلك جمع رائع بين التشريف والتكليف . فهذه الدرجة التى للرجال ، وهذه القرامة التى شرفهم الله بها ، تستلزمان تكليفا هو حسن الرعاية واطف الإنفاق ، والمعظائم كفؤها المعظاء .

ويقول القرآن الكريم : « واستشهدوا شهيدين من رجالكم ، فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء » (٢) .

أى أشهدوا على المسكّنات المسالية بينكم رجلين يتم بهما نصاب الشهادة ، فإن لم تجدوا رجلين ، فأشهدوا رجلا وأشهدوا معه امرأتين تقومان مقام الرجل الآخر ، وتذكر إحداهما الأخرى إذا نسيت ، فجعل القرآن الرجل فى الشهادة بائنتين ، لأن النساء غالب على جفنس النساء ، بينما التذكر غالب على جفنس الرجال ، وتقرير ذلك فى القرآن تكريم من غير شك للرجال ، وإفصاحهما خصهم الله به من خصائص يجب عليهم أن يتسددوها ويشكروها .

• • •

ويقول الحق تبارك وتعالى على لسان لوط عليه السلام : « فأتقوا الله ولا تحزون فى ضربى ؛ أليس منكم رجل رشيد » (٣) . .

(٢) سورة البقرة ، آية ٢٨٢

(١) سورة البقرة ، آية ٢٢٨

(٣) سورة هود ، آية ٧٨

فهذا نبي الله لوط نراه وقد زارته الملائكة من عند ربه ، وجاءه المجرمون من قومه يهرعون إليه ومن قبل كانوا يعملون السيئات ، ويأتون الذكران من العالمين ، وتلك هي الفاحشة الكبرى التي ما سبقهم بها من أحد من العالمين ، وأراد المجرمون أن يعتدوا على ضيوف لوط من عباد ربه المسكرين ، فنصحهم بأن يتقوا الله بترك الفواحش ، وألا يفضحوه في ضيفه ، لأن إهانة الضيف إهانة لمن أخافه ، ثم ذكروهم بحق الرجولية وما لها من صفات عالية فقال : « أليس منكم رجل رشيد » ؟ . أليس منكم فرد تتحقق فيه صفات الرجولية الراشدة العاقلة ، فيبتدى إلى الحق الصريح ، ويرعوى عن الباطل القبيح ١٤ .

وكان لوطاً عليه السلام يريد أن يقول لهؤلاء : لو كان فيكم رجل تتحقق فيه الرجولية لما سمعت له نفسه أن يقدم على ذلك الإجرام الفظيع ، ولكن أين أنتم من رشد الرجولية وكال الرجال ؟ ...

ويقول القرآن الكريم : « قال له صاحبه وهو يحاوره : أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلاً » ١٥ .

نزلت هذه الآية مع آيات أخرى في أخوين من بني إسرائيل كان أحدهما كافراً ويسمى فرطوس أو قطفير ، وكان الثاني مؤمناً ويسمى يهوذا أو يعلينا ، وقد أنفق المؤمن في سبيل الله ، واشتغل الكافر بزيئة الدنيا وتنمية المال وكنزه ، وكان لهذا الكافر جنتان مليتان بالأشجار والأزهار والنهار ، ولما بغى وكفر ونسى ربه قال له أخوه المؤمن : « أكفرت بالذي خلقك من تراب ، - لأن آدم وهو أبو البشر من تراب ، فكل فرد من أبنائه له حظ منه - ثم من نطفة ، وهي مادتك القرية ، ثم سواك وعدلك ، وفي أكرم صورة ركبك ، بأن جعلك رجلاً » ؟ .

وكان جعله رجلاً ، هو غاية التكريم والتسوية ، وفي ذكر ذلك بلا شك تذكير بنعمة الرجولية وإعظام لأن الرجل ١٦

(يتبع)

أحمد الترمذى

المدرس بالأزهر الشريف

كتب وأفكار غربية في الميزان

الأستاذ الفريد أير "A.J.Ayer" من الأشخاص الذين اشتهرت لهم وقرأت كتبهم خلال الفترة الطويلة التي قضيتها في إنجلترا .

والأستاذ د أير ، معدود في نظر الإنجليز من العباقرة . كتب عنه وعن كتابه اللغة والحقيقة والمنطق ، صحيفة جلاسجو هرالد "Glasgow herald" تقول :

« سبوجد كثيرون يتمسكون بأن كتاب اللغة والحقيقة والمنطق للسيد (أير) عمل سيكون له تأثير عظيم للغاية في جوهر الفلسفة التي ستظهر في بلاد الإنجليز مستقبلا . والسيد (أير) ذو مقدرة عظيمة جدا على الكتابة ، لم توهب لغيره من الفلاسفة ، فأسلوبه صاف ، متع ، يستولى على القارئ بأحكامه ، ودقته مع سهولته وعذوته ، .

وبمثل هذا المعنى كتبت صحيفة مان تشستر غارديان "Manchester Guardian" وصحف أخرى .

وهذا الكتاب الذي نوهت به الصحف هذا التويه العظيم هو أول ما كتب الأستاذ د أير ، ، وربما كان لهذه الضجة التي قامت حول الكتاب أثر في ترشيح د أير ، لأستاذية قسم الفلسفة في أعظم كلية من كليات جامعة لندن "University College London" متخطيا الدكتور كيلينج "Dr. Keelieg" الذي اشتغل أستاذا مساعدا في هذه الإدارة حقبة طويلة ، وكان يظن أنه أحق من يشغل منصب أستاذية القسم حين خلوه . ولكن د الفريد أير ، الشاب والحاصل على شهادة الماجستير فقط سبقه إليه رغم شيخوخته وحصوله على مؤهلات عليا أرقى . ويبدو أن جامعة لندن قد قصدت إلى تدوير الدكتور كيلينج عن قوات منصب أستاذية القسم ، بإستناد منصب سكرتارية مجلس إدارة الجامعة له إلى جانب عمله كأستاذ في الإدارة الفلسفية .

وبالرغم من أن الدكتور كيلينج يعتبر في الإدارة الفلسفية مرموساً لـ «أير» إلا أن سكرتاريته لمجلس إدارة الجامعة قد مكنته من أن يعرض على المجلس، للنقاش والبحث والتفقد أيضاً، كل ما يحدث في الإدارة الفلسفية على غير هواه، ومن هنا نشأ صراع بين «أير» و «كيلينج»، وقد كان «أير» فيها يبدو، أشد اعتزازاً بشخصيته العلمية التي أتاح له أن يتخطى من هو أقدم منه ويشغل رئاسة القسم دونه، أكثر منه بشخصيته الإدارية؛ على العكس من كيلينج الذي يبدو كمن سُم قاطات الدراسة وملاقة الطلاب لكثرة ما عانى من ذلك. فهو إنما يعتز - إن كان له أن يعتز بشيء - بمنصبه في مجلس إدارة الجامعة الذي يخوله سلطة لا بأس بها. فلو أتيج لك أن ترى الدكتور كيلينج وهو يتحدث إلى طلابه في حجرة الدراسة لرأيت يده وريقات تدل ثنيتها وتآكل حوافها وشحوب مداد كلماتها على أنه يؤدي عمله بصورة آلية لا حياة فيها ولا تجديد، إنه يكرر على أسماع طلبة اليوم ما ألقيه على طلبة الأمس البعيد، دون تغيير أو تعديل، ويبدو على طلابه أنهم لا يرتاحون إليه وإن كانوا يخشونه. لكنه لو أتيج لك أن ترى الأستاذ «أير» لأذهلك ما يبدو عليه من سعة الاطلاع ونفاذ البصيرة، وأهمية كلفة المشاكل والمعديات، والبحث عن حلول لها. سمعته ذات يوم يتحدث مع طالب في قسم الدكتوراه حول موضوع رسالته، فوجدته يوصيه باختيار مشكلة من المشاكل الطازجة «Frish» التي جددت في الخمسين السنة الأخيرة والتي لم يعرف الحل طريقه إليها بعد.

لقد كان ذلك التكليف في نظري تكليفاً عسيراً، ولكن لهجة الأستاذ «أير» لم تكن تتم عن أن في هذا التكليف أي عسر أصلاً؛ كأن كلمة «مشاكل» «Problem» تدل عنده على معنى غير ذلك الذي توأماً الناس عليه. لقد أدهشني من الأستاذ «أير» استهائته بالمشاكل إلى هذا الحد، وحركت في نفسي الرغبة في استطلاع ما عنده من القدرة على ذلك، ولكنني لم أشأ أن يكون ذلك عن طريق أسئلة أقدم بها إليه، أو مشكلات أعرضها بين يديه، واكتفيت بالاستماع إلى ما يأتي من محاضرات، ولكن لسوء الحظ لم يستطع هذا الطريق أن يكشف لي عن كفاية الرجل العلمية ومقدرته الفكرية، أو في معنى أدق، كشف لي فيه عما لم أكن أرتجيه. لقد وجدته يذهب ويجه نحو السبورة بسرعة، ويحرك كتفيه ورأسه في هف وهف، ويكرر العبارة التي هو بصدد بحثها مرات ومرات، وهو في خلال كل ذلك قد نسي من حوله، فلم يتبين مدى تفهمهم لأصل المشكلة. ولا الطريقة

معالجته لها ، وما كان أعظم دهشتي حين أراه يختم الجولة بقوله : « أنا غير مستريح

لهذا الرأي " I am not happy with this point

ومن فضائل الأستاذ د. أير ، أنه يعقد ندوة علمية في مساء كل يوم اثنين ، يحضرها كبار تلاميذ القسم ومدرسه ما عدا الدكتور كيلينج ، وفي أحيان كثيرة يحضرها ضيف من كبردج أو من أكسفورد ، وتشغل هذه الندوة بالاستماع إلى بحث يكون قد أعده أحد المدرسين أو الطلبة أو الضيف نفسه ، وبعد الفراغ من الاستماع إليه تدور حوله مناقشة وجدل ، وكان على الأستاذ د. أير ، باعتباره رئيس الندوة ، أن يفتح باب المناقشة ، ولم أكن أدري هل كان عن قصد منه أن يسأل أسئلة تافهة يسهل على صاحب البحث أن يرددها ببساطة وسهولة ؟ أم أن ذلك هو منتهى أمره ، وبلغ جهده ؟ ولقد كان يصمت صمتاً عميقاً حينما يفجأ الرد الفاصل والجواب المفحم ، ويدور ببصره هنا وهناك كمن يطلب النجدة . ويبدو أن مدرسي القسم على علم بحاله ، فيتطوعون لندوته والاختصاصه ، وكان هو يعول في هذا الأمر على اثنين من المدرسين : يلتفت إليهما بوجهه ويشخص إليهما بنظره ، هما رايونند وينتش ، وبتر لونيغ " Peter Long " و " Raymond Winch " واسكن بتر لونيغ لم يكن دائماً على وفاق مع د. أير ، لهذا فقد كان كثيراً ما يترك نجده أشد ما يكون حاجة إليه .

وعما يعرفه الإنجليز عن د. أير ، ولا يحبونه منه ، لهجته التي يصعب فهمها ، ففي أحد اجتماعات جماعة الاحد للشكسبيريين " Sunday Shakespearian Society " التي كنت عضواً فيها ، قدمني مستر ا . و . كوكس " Mr. A. W. Cox " سكرتير الجمعية ، إلى الأستاذ إيفانس " B. Ifor Evans. M. A, D. Lit " رئيس الجمعية وأستاذ الأدب الإنجليزي في جامعة لندن وعضو مجلس إدارة الجامعة مع الأستاذ د. أير ، في الوقت نفسه ، وقد تناول حديثي معه جملة موضوعات ، كان من بينها معرفتي د. أير ، وقد أبدى الأستاذ إيفانس دهشة عظيمة حينما ذكرت له أنني أعرف الأستاذ د. أير ، وأني أستمع إلى محاضراته ، وقال : « إننا نحن الإنجليز لا نستطيع أن نفهم كلامه . »

تلك بحالة قصدت بها التعريف بالأستاذ د. أير ، يتبعها إن شاء الله تعريف دقيق

بكتبه وأفكاره ؟

سليمان دنيا

المدرس في كلية أصول الدين

لغويات

كم ذا نصحتك فلم ترعو عن غيك !

يستعمل هذا الأسلوب كثيراً ، ولا يحس المستعملوه حرجاً ، ولا يضيقون به . ويقول شاعر النيل حافظ إبراهيم — رحمه الله — :

كم ذا يكابد عاشق وبلاقي في حبٍّ مصر كثيرة العشاق

وإذا تأمله الباحث وعرضه على قوانين العربية أعياء أن يجد له تخرجياً يجعله في عدادها ، ويسلك في نطاقها .

ذلك أن « كم ذا » لم يرد بها سماع ، ولا يسوغها قياس . وذلك أن « ذا » زائدة لا يتغير المعنى بسقوطها . فيستوى أن تقول : كم نصحتك ، وكم ذا نصحتك ، وزيادة الأسماء ليست بالمنهج المعبد يركبه كل من يريد .

على أن مثل هذا ورد بعد « ما » في نحو قولك : ماذا صنعت ؟ فهو يؤدي معنى ما صنعت ؟ سواء ، وللعرب في هذا منهجان :

الأول — أن يقولوا : ماذا صنعت أخيراً أم شيئاً ؟ ، يرفعون البدل . وجاء من هذا قول لبيد :

ألا تسألان المرء ما ذا يحاول أنحب فيقهض أم ضلال وباطل

ويخرج النحويون هذا على أن « ذا » اسم موصول خبر « ما » الاستفهامية ، وكأنه قيل : ما الذي صنعت ؟ فالجمل اسمية ، وقد جاء على هذا الوجه قوله تعالى في الآية ٢١٩ من سورة البقرة : « ويسألونك ما ذا ينفقون قل العفو » رفع « العفو » في قراءة أبي عمرو ،

فتقدير الكلام : ماذا ينفقونه أى ما الذى ينفقونه ، قل : هو العفو ، فجاء الجواب جملة اسمية بكلمة السؤال .

والوجه الثانى - أن يقولوا : ماذا صنعت أخيراً أم شراً ؟ ويخرج بعض النحويين هذا على أن د ما ، و د ذا ، مُزجنا حتى صارتا كلمة واحدة ؛ كما هو الأمر فى د إنما ، و د حيثما . ويخرجه بعضهم على أن د ذا ، زائدة فى الكلام ، والآداة ذات المعنى هى د ما ، لحسب . وهذا مذهب كوفى ، يشيخ البصريون بأوجههم عنه ، ويرغبون عن زيادة الأسماء . وأياما كان الأمر فالبعبارة المصدر بها الجملة ، والتي أدت معنى الاستفهام مفعول مقدم للفعل ، والجملة فعلية ، وجاء على هذا قوله تعالى : د ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو ، بنصب د العفو ، فى قراءة الجمهور ، أى يسألونك أى شئ ينفقون ، قل ينفقون العفو ، فجاءت جملة الجواب فعلية ، لتوافق جملة السؤال .

ويرى بعضهم مثل هذا مع د من ، ويستشهد بقول الشاعر :

وقصيدة تأتى المملوك غريبة قد قلنا ليقال من ذا قالها .

وأورد بعد هذا لموضوع البحث د كم ذا ، فأقول : إنى لم أر من ذكر ورود د ، ولا من عرض له .

فإن قال قائل : وما تنكر أن يحمل د كم ذا ، على د ماذا ، ويقاس على هذا الأسلوب الوارد ، والقياس منهج متلب فى العربية .

فالجواب أن ورود د ذا ، بعد د ما ، أو د من ، مزيدة على خلاف القياس ، فلا يقاس عليه . والمرجع فى هذا السماع ، لحيث لا سماع لا ينبغى القول به ولا اعتياده .

ويقول الشاعر :

كم قد ذكرت لك لو أجزى بذكر كم يا أشبه الناس كل الناس بالقمر

والقارى يحس أن د قد ، حشو فى الكلام أوردتها الشاعر لإقامة الوزن ، وكان يغنيه أن يقول : كم ذا ، لو كان تأليفاً صحيحاً ، وقولا معروفاً .

والذى يخلص إليه الباحث أن هذا التأليف خطأ سرى إلى المولدين من التأليف
« ماذا » ، وظنهم أنهما سواء ، وليسوا سواء .

ومن آثار هذا الوم أنى استنشدت كثيراً من الادباء بيت أبى الطيب :
وماذا بمصر من المضحكات ولكنه ضحك كالبكى
فكلهم ينشده :

وكم ذا بمصر من المضحكات
ولا يوجد هذا فى نسخة من نسخ الديوان المتنوعة .

وأقدم ما وقفت عليه من هذا الأسلوب قوله :

يا ممرضا بهواه لما رآنى ضريرا
كم ذا رأيت بصيرا أعمى وأهمل بصيرا

وهذان البيتان لإسماعيل بن منصور التيمى المصرى الضرير الفقيه الشافعى ، المتوفى
سنة ٣٠٩ هـ ، عزاهما له المرزبانى فى معجم الشعراء ٣٧٣ . ولنصور هذا ترجمة مبسطة
فى طبقات الشافعية ونكت الحميان . وكان من الشعراء المجيدين .

ويرى بعض الباحثين تصحيح « كم ذا نصحتك » بأن يكون « ذا » ، منادى حذف منه
حرف النداء ، وهو جائز عند الكوفيين . ويصحح قول حافظ « كم ذا يكابد عاشق » بهذا
الوجه أى كم يكابد يا هذا ، وبزيد وجها آخر ، وهو أن يكون « ذا » مفعولا مقدما ،
أى كم يكابد ذا الالم . والقارى يحس تكلفا فى هذا ، وبعداً عن مقصود المتكلم .
وهو لا يطرد ولا يستمر لو قيل : كم ذا نصحتكم ، وهذا مستساغ عند المولدين الذين
ينطقون بهذا الأسلوب ؛ إذ كان قياسه أن يقال : كم هؤلاء نصحتكم .

الأصنج : الأصلج . الأسوخ : الأصلح

يستعمل فى لسان العامة الأصنج فى معنى الأصم . واسم المعنى الصنج . يقولون : فلان
هنده صنج ، أو هو أصنج : وهذا المعنى لا يوجد فى العربية . وظهر بالبحث أن النون محركة

عن اللام ، فالاصنج أصله : الاصلاج ، والصنج أصله الصلج ، وهذا كما قالوا : أسود حالك وأسود حالك ، وهو أشد سوادا من حلك الغراب ، وحلك الغراب ، يرى بعضهم أن النون بدل من اللام . وفي اللسان : قال الأزهرى : وسمعت غير واحد من أعراب قيس وتميم يقول للاصم أصلاج ، وفي القاموس : « والاصلاج الشديد الاملس ، والاصم . وليس تصحيف الاصلج بالحاء ، وقوله : وليس تصحيف الاصلج هذا في المعنى الثانى ، وهو « الاصم » ، يريد أن بعض اللغويين زعم أن الصحيح في معنى الاصم هو الاصلاج ، فأما الاصلاج فهو تصحيف له ، وليس بلغة ، ولا يرضى هذا المجد ، ويرى أن الاصلاج وارد عن العرب كما ورد عنهم الاصلاج . وقد وقع صاحباً محيط المحيط وأقرب للموارد في خطأ مبين حيث شوها عبارة القاموس ، فأوردناها هكذا « الاصلاج : الشديد الاملس . وليس تصحيف الاصلج بالحاء ، والقارىء يفهم أن الاصلاج في معنى الشديد الاملس ، بزعم بعضهم أنه محرف عن الاصلاج ، وهذا لم يقل به أحد ، وإنما هذا في الاصلاج بمعنى الاصم . وقد أتى الرجلان من قبل الاختصار وعدم التأمل في هذا الموطن .

وقد بعثنى على الكتابة في هذه المسألة أنى وجدت الشيخ الباجورى في كتابته على بردة البوصيرى يقرر الصنج ، كما لو كان هو الوارد في العربية ، ويؤيد كلامه بالنقل عن بعض أئمة اللغة ، فقد كتب عند قول البوصيرى :

محضتى النصح لكن لست أسمعهُ إن المحب عن العذال في صمم

ما يأتى : « والصمم : ضعف في قوة السمع فوق الوقر ودون الطرش ، ودون الصنج أيضا ، كما علم بالاولى . ولذلك قال الثعالبي : يقال في أذنه وقر ، فإن زاد فهو صمم ، فإن زاد فهو طرش . فإن زاد حتى لا يسمع الرعد فهو صنج ، وكلام الثعالبي في كتابه « فقه اللغة » وفيه « فهو صلج » . ويرى القارىء أن الشيخ الباجورى قرأه على حسب ما ألفه وسمعه « فهو صنج » ، وكانت وفاة شيخ الإسلام الباجورى سنة ١٢٧٦ هـ .

وقد عرف القارىء الاصلاج في معنى الاصم ، وأنه أعرق من الاصلاج في هذا المعنى وأعرف ، حتى إن بعضهم زعم أن الاصلاج تصحيف له . والعامة يقولون في معنى الاصم : الاسوخ ، ويبدول أن هذا الأخير محرف عن الاصلاج .

نزع من القوية إلى القاهرة

يكثّر هذا في كتابة التراجم . فيقال : نزع فلان من قريته إلى القاهرة أى انتقل منها إليها أو ارتحل أو شخص . وفي تاريخ أدب اللغة العربية لجرى زيدان ٢١٠/٣ في ترجمة ابن خلدون : « انتقل أجداده من إشبيلية إلى تونس في أواسط القرن السابع للهجرة عند غلبة الجلائقة : ويرجعون بأنسابهم إلى وائل من عرب اليمن . نزع جدهم الأعلى خلدون إلى الأندلس في القرن الثالث للهجرة » .

وقد انتقد هذا التعبير من وجهين :

الأول - أن الزوج معناه في اللغة البعد لا الانتقال ومن ثم لا يعدى بالحرف ، إلى ، يقال : نوحى الدار ، ونزع البلد أى بعد . وقال علي بن الجهم :

وارحنا للغريب في البلد لنا زح ماذا بأمله صنعا !

فارق أحبابه فاستفغوا بالعيش من بعده وما انتفعا

والثاني - أن الزوج إنما يضاف إلى الدار ونحوها ، ولا يضاف للإنسان ونحوها .

وقد بدالى تصحيح هذا التعبير وتسويقه .

فأما تخصيص إسناده إلى الدار ونحوها فلا شئ يوجب . ويقول صاحب اللسان في صدر المادة : « نزع الشئ يزح نوحا ونزوحا : بعد ، ولا يتوهم متوهم أن الشئ لا يشمل الإنسان فهذا اصطلاح محدث ، وقد فسر سيويوه الشئ فقال : يقع على كل ما أخبر عنه . على أنه إذا لم يرد عنهم نسبة الزوج إلا إلى الدار أو ما في معناها فإن ذلك لا يحظر الزوج على غيرها . ويدعبنى هنا قول الشهاب الخفاجي في الريحانة ٤٣٩ وقد عاب بعضهم أسلوبا يقره الشهاب : « وفيه نظر عندى ؛ فإنه إذا استعمل لفظ في كلامهم على وجه من وجوه الكلام ، ثم استعمل على وجه آخر جار على قواعد العربية مؤد لذلك المعنى كيف بعد خطأ » .

وأما استعمال الزوج في الانتقال فإن هذا سبيله التضمين ، فإن المرء إذا انتقل من بلد فقد بعد عنه . والتضمين باب واسع لا بأس به إذا اشتهر المعنى وذاع ؟

محمد علي النجار

عبد الرحمن الغافقي

البطل الشهيد

- ٢ -

لم يعتمد شارل مارتل على القوة وحدها ، بل أحمل الحيلة والمكيدة ، فانتظر بجنوده وقتاً غير يسير . وقد علم أن المسلمين مثقلون بالفنائم والأسلاب ، فلا بد من انتظارهم وقتاً ما ، ليشغلوا بنفائسها الثمينة عن القتال ، ولينجسوا إلى الحرص عليها من جهة ، كما يتسع أمامه الوقت من جهة أخرى لتنظيم صفوفه ، ووضع الخطط الدقيقة ، وتقدير الاحتمالات المتوقعة في الهجوم والدفاع ، ولم يكن المسلمون يقدرّون في نفوسهم أنهم سيفقون أمام هذا الطوفان الحاشد من الموج المتوحش ، إلا أن وثوقهم من النصر قد خلع من قلوب القادة كل خوف . ويأخذ عبد الرحمن - وكان من فرسان المنابر والهيجاء معا - بخطب في جنوده ويحثهم على الثبات والصبر ، ، وكان يتقد حماسه وحمية ، فأفرغ في خطبه كثيراً مما تزخر به نفسه المتوثبة ، ثم تقدم بجنوده يحدوه الأمل المشرق ، ويدفعه اليقين الراسخ بمسألة الأقدار ، مرتقباً ما تتمخض عنه الأحداث .

وفي رحاب شبانيا الشاسعة ، بين پوانيه وتور - التقى جيشان مختلفان عدداً ولغة وديناً ، وعلى مقربة من نهر اللوار هجمت فرسان المسلمين على صفوف الفرنجة ، وتمكّدت جثث القتلى من الجانبين طيلة النهار ، حتى فصل بينهما الظلام .

كان الجند الإسلامي أسداً مغاور ، فقد اخترقوا الصفوف وراء قائدهم الباسل ، ورأوا من جلاد الأعداء ونضالهم المستميت ما لم يعمدوه من قبل ، فسكبا اخترقوا صفها تلاحقت أمامهم وحولهم الصفوف المدججة ذات الصياح المرعب المتوحش ، وقضوا نهارة عابسا كريها كثرت فيه ضحايا الفريقين ، واختال ملك الموت ليسقى الكماة الدارعين

من معين نحتاج لا ينضب ١١ وما غربت الشمس حتى غارت القوى ، وتحطمت الاعصاب ، ووقف الليل الدامس حاجوا كشيئا يمنع تشاجر الرماح إلى حين ١١

وقد برقت في حندس الليل لشارل مارتل فكرة داهية ، طار لها فرحا واستبشارا ، فالمسلمون مثقلون بغنائمهم الثمينة وأسلابهم الذهبية النادرة ، وكثير منهم من البرابرة الذين يحرصون على نفائسهم الغالية أكثر من حرصهم على النصر ، فما عليه حين يتلاحم الجيشان إلا أن يبعث بمن يصبح باكياً على الأسلاب المنهوبة ، والنفائس المباحة ، ليرتد المسلمون مدافعين عنها ، فيتمكن هدهم من رقاب عزيزة ، وأنوف ذات شم ١١ فكرة مأكرة قاصدة جالت بذهن القائد الفرنسي فبادر بتنفيذها حين التقى الجمعان ١١ وطار الصراخ في كل مكان ، وارتفع البكاء على النفائس ، فصيح ما توقعه شارل ، وترك الكثيرون ميدان القتال ، واندفعوا إلى الخيام مذهورين ، وهال المرقف الرهيب عبد الرحمن وأفرعه ، فطلق يعدو بجواده ذات اليمين وذات الشمال ، داعياً إلى الثبات والإقدام في معشر زين لهم حب المال ، وجنوا هياماً بالقناطير المقلقلة من الذهب والفضة ، وحين خابت صرخاته اليائسة ، ترك الطامعين من المرتدين ، واندفع مع خيرة جنوده ليقف بهم أمام الطوفان المتوحش الرهيب .

* * *

واستبسلت كتيبة القائد استبسالاً ينحني له التاريخ لإجلالا وإكباراً ، فأطاحت بصفوف هائلة من الجحافل المتراسة المترامية ، ولكن الطوفان اللعيب قد زحف بموجه المزبد على الفدائيين المناضلين ، فسقط البطل الغافقي صريعاً شهيداً ، وساد الذعر جيوش الإسلام إذ وقع استشهاد عبد الرحمن موقعاً أليماً ، دعا إلى الحيرة والذهول والارتباك ، بينما أمعن العدو في المسلمين تقتيلاً وإملاكا ، فطارت نفوس كثيرة ، وسقطت جثث لا تخضع لحصر ، وتمادى شارل مارتل مع جيشه حصداً واستئصالاً ، فلم يعبأ بمخرج ين أو شهيد يحتضر ، حتى أتى الظلام الأسود ، فطوى الستار على يوم أشأم ، لم يسمع المسلمون بمثله في الاندلس قبل ذلك . وعرفت هذه المعركة الحمراء في التاريخ الإسلامي بمعركة (بلاط الشهداء) ، نظرا لكثرة من سقط في ميدانها الرهيب من شهداء الجهاد الإسلامي .

وقد اجتمعت تحت ستار الليل فلول الجيش المنهزم ، وقرروا الانسحاب النهائي متسربلين بالظلام ، بعد أن عمت الذنكبة وتفاقم الخطب ، وتقهقر الجيش سريعاً في هدوء صامت ، تاركاً وراءه غنائمه وذخائره ، وعدداً من الجرحى لا سبيل إلى إنقاذه في ساعات

معدودات ١١ وحين أشرق الشمس نظر شارل مارتل ، فلم يجد اللواء الإسلامي يتقدم ١١ فظنها مكيدة بيئت بليل ، وثلبت قليلا لا يدري ما يصنع ، ثم طال به الوقت فاندفع مع جيشه يحذر إلى المعسكر الإسلامي ، فلم يجد غير الجرحى المحتضرين ، وذخيرة ضخمة من الأسلاب التي سببت وقوع الكارثة ١١ فأجهز على البقية الباقية من الأرماق المتخاذلة ، ونهب ما وقعت عليه يده من عتاد ومال ، وما زالت شكيمة الجيش الإسلامي — رغم انكساره الحزين — ترهبه وتخيفه ، تخاف أن يتعقب الفلول المنتهقرة ، ورجع إلى قواعده مكتفياً بما أحرزه في هذه المعركة من نصر ساحق ١١ وجعل يدق الطبول في كل مكان ، مردداً أهانيج النصر ، وأنا شيد النجاح .

أجل ، لقد فرحت النصرانية بهذه النتيجة فرحاً عصف بالحلوم ، وما زال أكثر كتاب الغرب إلى اليوم يتكلمون عن (معركة بلاط الشهداء) مزغردين مستبشرين ، وقد ضفروا أكاليل الشاء ، ونظموا قصائد المديح لشارل مارتل ، وعدوه بطل النصرانية الذي أوقف امتداد الإسلام ، وثبت أركان المسيحية ، بعد أن زعزعتها العواصف ، وتعرضت لأحلك الأزمات ، وبالغ أكثر مؤرخيهم في وصف هزيمة العرب ، فذكروا رقاً خيالاً لضحايا الإسلام لا يستند إلى برهان ، بل جعلوا معركة البلاط معركة استئصال وفناء . وهذا وم كاذب ، وأضليل بعيد ، فلم تكن للمسلمين قوة مرهوبة بعد الهزيمة لنتج شارل مارتل قولهم المرتدة بجيشه المنتصر ذى الروح العالية ، والزهو العريض ، ولكنه حين عن ذلك مقدراً ما يعترضه من الصعاب ، وما كان للقائد الطموح أن يحجم عن كسب جديد يزيد به مجده التاريخي وصيته البعيد . ويكفي دليلاً على تماسك العرب بعد الهزيمة ، أنهم وقفوا في وجه القائد المنتصر حينما حاصر أربونة ، فامتعت عليه امتناعاً أيأسه ، وحطم خططه ، بعد أن كان يحلم بإبادة المسلمين واستئصالهم من الأندلس جميعها ، ومن ثم فقد فر راجعاً إلى قواعده مكتفياً بسابق انتصاره ، وأحاديث الفوز والغلبة تقمعه بأريج عاطر ، وترسل في سمعه أعذب النغاث .

• • •

لقد استشهد عبد الرحمن الغافقي ، بعد أن أبلى أحسن البلاء ، وبذل أقصى ما يبذله قائد باسل في الذود عن حياضه ، ولكن مأساة أحد ، تكررت في سهول فرنسا مرة ثانية ، إذ تكالب المسلمون على الغنائم ، وتركوا الجهاد فأسفوا البطل الغافقي في الغرب ، كما سبق

أن أسفوا الرسول الهاشمي يوم أحد في الشرق، ١١ وكان التاريخ يعيد نفسه من جديد، ليرز للسليدين شتى العبر، وأبلغ العظات، ولكن أين من يعقل ويتدبر ١١٤ على أن هذا التاريخ لم يطفئ بريقاً من مجد البطل الشهيد، فقد أجمع المؤرخون على تقديره وإكباره، وبحلوا فدائيته المعجبة بسطور من ضياء ١ فقد قاتل قتال المستميت، وتقدم إلى الموت وهو لا يشك لحظة في استشهاده، وماذا يصنع بجند سحرهم بريق المال، فدارت عليهم وعليه الدائرة، دون أن تجديه تضحية واستبسال.

قد يقال إن البطل الشهيد لم يملك السيطرة على جنده حين تخرج به الموقف، وهرع الطامعون إلى الأسلاب، ولكن هذه انتفاضة لجانية تقع أمثالها بقتة، دون أن تدخل في حساب القادة، ولا يمكن أن تكون علة للتواخذه إذا أغفلها زعيم تعود النصر، وقائد ألب الطاعة والامتثال، على أن الغافقي بالذات قد طعن إلى خطر الأسلاب، وحذر منها دون أن يشدد في أمرها رغبة في اجتماع الكلمة، واتحاد الاهواء، كما ذكر ذلك الأستاذ محمد عبد الله عنان في كتابه (مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام)، وهناك نقد آخر لا يخرج عما ذكره الأستاذ محمد لييب البقوني في كتابه (رحلة إلى الأندلس) حيث قال ص ٩٠ :

« كان يجب على الغافقي بعد دخوله بلاد فرنسا أن يجعل حداً لسيل هجومه، قبل أن يقف الضعف الطبيعي لهذا السيل عند الحد الذي انقلب به الفتح خذلانا، والنصر هزيمة. وهذا نقد يخطه الكاتب غافلاً عن الحية الديفية التي كانت تهيمن على مشاعر العرب، وتجعل انتشار الإسلام فريضة تستحب فيها الشهادة إن لم تجب، وقد ألهمت الانتصارات المتوالية نفوس الغزاة، فوثقوا من النصر وثوقاً طرد من أذهانهم كل شبح للهزيمة، على أنهم لم يؤثروا من ناحية القوة، فيكون الضعف الطبيعي سبباً للتسكية كما ذكر الأستاذ، بل إن كارثة الغنائم وحدها هي التي أبعدت النصر القريب، وأخلفت ظنون القائد في شجاعة جنوده، وقد دعا إلى التخلي عنها دعوات صارخة حين وجد التناحر عليها يفتح باب الكارثة، وإذ ضاق به الأمر، جاد بنفسه رخيصة هينة في جنب الله، فارتفع إلى مقام البررة من الشهداء.

وقد كان فوت الموت سهلاً فردّه إليه الحفاظ المر والخلق الوعر

محمد رجب البيومي

نحو قومية عربية

وجدتني - على غير إرادة مني - أضع هذا العنوان لهذا المقال، وقد يكون الباعث لهذا التسجيل والوضع هو ما يفتاب أمة العرب من شتى المحن وصنوف المكاره ، وما يعتور تقدمها من فرقة وخلاف ، وما يعوق سيلها من أشراك وعثرات .

والعرب في كل مكان يبذلون جهودا متواصلة لإفهام العالم حقيقة قضايهم ، وللحيلولة بين الدخيل وغاياته الاستعمارية العتيقة ، سواء كان ذلك عن طريق سفاراتهم في البلاد الأجنبية ، أو عن طريق وفودهم في هيئة الأمم المتحدة وما يشاكلها . وقد يكتب للجهودهم النصر ، وقد تذهب صيحاتهم في أروقة منظمة الأمم المتحدة هباء ، لأن كثيرين من القضاة إما أعداء للتفاضين ، أو ترضهم بالأعداء أحلاف عسكرية أو اقتصادية أو ثقافية . وويل للحكمة يميل فيها القاضى على المتفاضى ، وبحكم العاطفة في العاصفة .

وصيحاتنا نحن العرب على أية حال يعقبها صدى عميق ، له وقع سيى لدى بعض الأوساط الصديقة التى أشفق على هذه الأمة العربية النامضة من مناورات الدول الاستعمارية

والعرب في كل بقعة من البقاع ، وكل صقع من الأصقاع ، يفكرون أطواقهم الفولاذية بأيد من إيمان ثابت ، وعزم لا يفتنى ، وقوة لا تلين ، بجسارة منهم للطبيعة النائرة على هاتيك القيود النقال ، التى تنوء بحملها الجبال ، واستجابة لدماء آبائهم الصيد الأماجد التى ما تفتأ تنادى بالنار لها ، والتحرر من أعبائها .

هذه أمة العرب ، وحد بينها الدين واللغة والدم والبيئة والتقاليد وأخيرا المحنة ، وهى عوامل من القرة بمكان . ولكن هذه الوشائج على كثرتها لم تستطع تصفية ما بين دولها أو مناقشتها الحساب . وما تزال كل دولة تصدر عن رأيها دون ما تقيد برأى الشقيقات . وهذه هى الحقيقة المرة التى يجب أن تعالج على أساس سليم قويم ، يرد لأمة العرب قوتها ومنعتها ووحدتها وسيادتها .

إن أحداث فلسطين ونكبة فلسطين ويوم فلسطين - قلب العروبة النابض ودمها الدافق - ما تزال عالقة بالأذهان . . . وإذا صح ما أجاب به سماحة الحاج أمين الحسيني مفتي فلسطين لإحدى الصحف - وما أعتقد إلا صحته - فيما نحن العرب كنا السبب المباشر في نكبة أبنائها وتشريدهم .

وكيف يتصور عاقل أن شرذمة من الأفاكين تطوقها الجيوش العربية من كل مكان تنحصر على تلك الجيوش ، إلا إذا كانت الأخيرة تعمل في جهات شتى ، بقول وأهداف شتى ، فلا غرو أن كانت عاقبة أمرها خسرا .

رحمة الله عليكم أيها العرب ما دام فيكم أمثال جلوب الاستعماري ، وجلالوى ، وابن عرفة عن يوالون الاستعمار .

إن هذا الفريق الخائن آفة تقضى على جسم الأمة ، وتفت في عضدها ، وتمزق أوصالها ، وتهدم بذيانها . إنه أشد خطراً وأعظم ضرراً على بلده من عدوها ، ذلك أن الخائن يعرف عورات الأمة ومواطن الضعف فيها ، والأمة إما أن تنفرغ له وتشغل به فيذهب وقتها مسرعاً وهي محتاجة إليه ، أو تتركه فيمكن للعدو أن يتغلغل في صفوفها فينتصر ، وكلا الأمرين شر .

ألا ترى إلى الهند الصينية وقد كالت للفرنسيين ضربات قاصمة حاسمة حصدتهم بنيرانها حصداً ، فلم يبق لهم غير جثث وضحايا وأشلاء ، حتى الجرحى حيل بينهم وبين قوتهم الفرنسيين . إن هذا لم يتم إلا بفضل اتحاد الهند الصينية وخلاصها من الخونة والمرتشين .

إننا أمة مترامية الأطراف ، متعددة المصالح ، لنا ماض مجيد ، وتاريخ حافل ، نحمل رقعة هي الوريد لهذا العالم المتناحر بالضللال ، المتراشق بالنبال . إننا نستطيع أن نتحكم في (معسكرى العالم) وكتلتيه المتوثبين للحرب ، المرتقبين للزوال ، وأن نوقف كلتيهما في الموضع الذى يجب أن لا تتخطاه فلا تتعداه ، وذلك بوحدة الصفوف ، وجمع الشمل ، واتحاد الكلمة والهدف ، والصمود في وجه كل تهديد أو وعيد .

إن الحواجز والقيود والموانع والسدود يجب أن تزول بيننا فوراً نحن العرب ، يجب أن يوحد الجيش بحيث تكون جميع تشكيلاته في البلاد العربية بمثابة فرق في الجهاز الأكبر

تحتل رقعا معينة ، وترابط في أماكن شتى ، فوحدة بغداد كوحدة عمان ، كوحدة متقباد وكوحدة حلب . ويجب أن يوحد الهدف والسياسة بوضع مبادئ عامة ، وغايات مشتركة :

أولاهما — أن الإنجليز والفرنسيين والأمريكان أعداء في كل مكان وزمان مهما تغيرت الشخص ، وتقلبت الأيام ، وتغيرت صور الاحتلال والوان الاستغلال .

وثانيتهما — أن إسرائيل عدو دخيل على أرض فلسطين يجب قذفه في اليم بعد الاستعداد لذلك بمثل استعداده .

لأنه لا يكفي أن يخرج الإنجليز من بلادنا لنكون أحرارا ، بل يجب أن نكون كذلك في عقلياتنا واقتصادياتنا وأعمالنا . وما يقال عن مصر يقال عن كل بلد عربي ، فالمشكلة واحدة ، والاحتلال كما يكون عسكريا يكون اقتصاديا وثقافيا ، والاستعمار النفاذ أخطر أسلحة الاستعمار ، وإن بدا أنه في صورة تبادل المنافع أو المعاونة .

ومشاكل الإسلام والعرب في مراکش والجزائر وتونس هي بعينها مشاكل ليبيا ومصر وإيران وباكستان والعراق الخ . المحنة واحدة ، والإحزن متشابهة ، وبنو العروبة شيع وأحزاب . والداء إن لم يحسم فعلى جسم المصاب .

وبهذه المناسبة ألت معي في أن تركيا قد أساءت إلى الإسلام وأهله أكبر إساءة حين انضمت إلى عمالقة الغرب في حلف جرار . وسوف تكون يوماً ما ميدانا لحرب طاحنة تكون طعمتها الأولى .

لقد اعترفت إسرائيل مع ما في إقدامها على هذا الصنيع من تحد وجفوة ، وكنا نحسبها ستقف عند هذا الحد ، ولكنها جرت وراءها أمة باكستان أكبر دولة إسلامية إلى أحلاف الغرب ، وهي الآن بصدد جر دولة أخرى .

يا قوم ، إن هذا الجزء من العالم شرق تنزلت فيه الرسالات ، وهبطت عليه النبوات ، فاتقوا الله فيه ، ولا تبيحوه إلا لأصحابه وذويه ؟

نوفيس عاشور

المدرس بمهد دسوق

التربية في القرآن

كلمة عن القرآن :

القرآن آية الله الكبرى ، وحجته الخالدة ، ثابت وتنبؤ عن الرسول بعد وفاته ، وخلفته وتخلفه من حين ممانه ، وإن يكن الناس خاضعين لسنن الله الكونية تتمر عليهم أدوار ينفرط فيها عقدهم ، وتشرف عليهم أطوار تختل فيها أنظمتهم ، وتفسد فيها طبيعتهم ، ويصبحون بعد على حال يتطلبون لها رسالة من ربهم ، ويرقبون مرسلًا من خالقهم ، جرياً على مسفته ، واتباعاً لطريقته ، فالقرآن مبعوث إلينا ، ورسول لنا ، وحجة علينا ، بعد خاتم الدين وتمام المرسلين ، ما أخال أحدا يشك في أن القرآن كتاب تربية ، ورسول مبین ، وواعظ ناطق ، وبرهان قاطع ، وعقيدة ناصعة ، وآية ساطعة ، وعبادات منتظمة ، ومعاملات مستحسنة ، وتشريع روحي ، وقانون موثوق ، وسياسة أخاذة ، وإصلاح اجتماعي ، ونظام دولي ، وجمع علمي ، ودائرة معارف ، يرجع إليها أهل الفكر ، ويهتمد عليها أرباب النظر ، « ما فرطنا في الكتاب من شيء » ، « ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء » .

ما أصدق رسول الله ﷺ إذ يقول في حديث رواه الترمذي : « كتاب الله فيه نبأ ما كان قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، وهو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله ، وهو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، هو الذي لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا يخلق على كثرة الرد ، ولا تنفضي عجائبه ، هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا : « إنا سمعنا قرآناً عجيباً يهدي إلى الرشد » من قال به صدق ، ومن عمل به أجر ، ومن حكم به عدل ، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم » .

وما أبلغ ما قاله الدكتور موريس الفرنسي في وصف القرآن . « إنه ندوة عليية للعلماء ، ومعجم لغة للغويين ، ومعلم نحو لمن أراد تقويم لسانه ، ودائرة معارف للشرائع والقوانين ،

وكل كتاب سماوى جاء قبله لا يساوى أدنى سورة من سوره ، فى حسن المعانى ، وانسجام الالفاظ . ومن أجل ذلك نرى رجال الطبقة الراقية فى الامة الإسلامية يزدادون تمسكاً بهذا الكتاب ، واقتباساً لآياته ، يزينون بها كلامهم ، ويبينون عليها آراءهم ، كلما ازدادوا رفعة فى القدر ، وغباهة فى الفكر .

* * *

القرآن كتاب تربية :

إذا نظرنا فى كتاب الله ، وبحشنا عن التربية فيه ، استطعنا أن نقرو ونحن مطمئنون بأن القرآن كتاب شامل فى التربية ، فقد وضع دستوراً للتربية العقلية والنفسية والجسمية ، وأشار إلى أصولها فى كثير من آياته ، وجعلها نشيداً يردده المسلم فى صلواته ، ويترنم به فى غدواته وروحانياته ، ثم حول هذا النشيد إلى حقائق مذهشة حين ربي عقولاً حكيمة ، ونفوساً قوية ، وأجساماً سليمة ، وهأنذا أنحدث عن أصول التربية فى القرآن .

* * *

التربية العقلية :

تقوم التربية العقلية على الأسس الآتية :

- ١ — تحرير العقل من القيود والاضلال .
- ٢ — إثارة الحواس والوجدان لأنها أبواب الفكر .
- ٣ — التزود من العلوم المختلفة التى تزكى العقل وترفع مستواه .

* * *

الحرية الفكرية فى القرآن :

لا يقبل القرآن أن ينضوى تحت لوائه أعمى أو مقلد ، ولا يرضى أن ينسب إليه أحد إلا بعد تفكير سليم بعيد عن سائر المؤثرات ، ومن هنا قرر الإسلام حرية الفكر ، وكرم

العقل حيث كرم الإنسان ، ومبزه به عن سائر الحيوانات الأخرى ، ومكنه - بفكره - من أن يضع يده على ما حواه الكون ، واشتملت عليه الطبيعة ، وجعله بعد ذلك مسئولاً عن أفعاله أمام الله والناس .

نعم : قرر القرآن حرية الفكر ودعا إليها ، ورغب فيها وحض عليها . وفي سبيل ذلك وضع المبادئ الآتية :

١ — لا يكره إنسان على الدخول فيه ، بل لا يقبل إيمان عن إكراه ، وفي هذا يقول الله تعالى : « وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر » ، « لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي » ، « ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً أفأنت تكفره الناس حتى يكونوا مؤمنين » ، « قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ومن ضل فإنا مضل عليها وما أنا عليكم بوكيل » ، « لكم دين ، ولى دين » .

* * *

٢ — دعا إلى التفكير المنطقي الهادى ، وهنا نجد القرآن يسبق علماء النفس في إدراك نظرية « الجماهير لا عقل لها » ، ومن ثم فهو يدعو كل فرد إلى أن يتعمق في التفكير غير متأثر بما طغى الجماهير قال الله تعالى : « قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا » - وفي القرآن كثير من التكاليف نجلها مذبلة بالدعوة إلى العقل والتفكير ، فحين بدعونا إلى إنفاق ما زاد عن الحاجة يقول : « ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون » .

وحين ينهى عما يقطع العلاقة بين الخالق والمخلوق ، وبين الناس بعضهم مع بعض ، لا يغفل عن دعوة العقل فيقول سبحانه : « قل تعالوا أنل ما حرم ربكم عليكم : ألا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ، ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون » . وهكذا نجد دعوة القرآن من مبدئها إلى نهايتها من العقائد إلى بقية التكاليف يقودها العقل ويؤدها المنطق السليم .

٣ — نعى القرآن على المقلدين وأنكر عليهم أن يغفلوا عقولهم ، ويهملوا أفكارهم ، وهو بهذا يريد أن يكون لهم شخصية كريمة ، تجعل لهم حياة مستقلة ، وتأبى عليهم أن يغفوا في غيرهم ، وترتفع بهم عن أن يصبحوا إمعات تتلاشى عقولهم بجانب من يقلدونهم ، وفي هذا يقول : « وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون ، . . إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون قال أولو جئكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون ، . . ويقول أيضاً في بيان ضرر التقليد الأعمى وكيف يستبد بالمقلدين حتى يملك عليهم عقولهم وجوارحهم ، وكيف تسرى عدواه الحبيثة من العقائد إلى الأعمال ، فيقترفون المآسى ، ويرتكبون الموبقات تحت تأثيره وتخديره ، يقول تعالى : « وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها ، قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون » .

وهكذا هدم القرآن التقليد ، ورفض إيمان المقلد ، وشنع على المقلدين فقال : « لم قلوب لا يفقهون بها ، ولم أعين لا يبصرون بها ، ولم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام بل هم أضل ، أولئك هم الغافلون ، . . وقال : « قل هل يستوى الأعمى والبصير أفلا تتفكرون ، . . وأعلن في صراحة أن إهمال العقل هو مفتاح باب جهنم فقال حكاية عن أهل النار : « وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير ، .

وقال ينذر المقلدين بسوء المصير ، ويبين لهم حالهم مع ساداتهم يوم القيامة : « يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسول وأقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبرانا فاتبعونا السيلا ، . . إذ تبرا الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب ، وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبراؤا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار ، .

ويظل القرآن يتعقب المقلدين في كل مكان ، فينكر عليهم الضعف العقلي ، والخنوع والمذلة لأي إنسان مهما كبر مقامه ، أو غلب سلطانه ، فيقول سبحانه : « وإذا يتحاجون في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعاً فهل أنتم مغنون عنا نصيباً من النار قال الذين استكبروا إنا كل فيها إن الله قد حكم بين العباد ، ويقول : « ولو ترى إذ الظالمون

موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنكم أنتم أسكننا مؤمنين ، قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم بل كنتم مجرمين .

* * *

٤ - واحتراما لحرية الفكر قام الإسلام على الدعوة الكريمة ، والخطوة الحكيمة ، والطريقة القويمة ، قام على الإقناع بالبرهان ، والتفاهم بالحجة ، والمحاورة بالتي هي أحسن ، قال تعالى : « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين » ، ولا يلتجئ الإسلام إلى القوة إلا مضطراً حين يرفض الخصم التحاكم إلى العقل ، ويلوذ بقوة السنان بدلا من قوة البرهان ، وهنا لا عيب على الإسلام حين يتجنب مظاهر الضعف فيقابل العدوان بالعدوان ، ويصد القوة بالقوة ، والشر بالشر ، والباديء أظلم .

والناس إن ظلموا البرهان واعتسفوا فالحرب أجدى على الدنيا من السلم والشر إن تلقه بالخير منقت به ذرعا وإن تلقه بالشر يتحسم

نعم : لا عيب على القرآن حين يقرر مبدأ القوة في غير عنف وشطط فيقول : « وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين » ، فالمنطق يقضى بأن يقرع البرهان بالبرهان والسنان بالسنان ، والقوة حين تقف حائلا دون حرية التفكير وحسن التفاهم يجب أن تزال ، ليعود للفكر حريته ، وللعقل احترامه وقداسته .

وبعد - فهذا هو مدى تقديس القرآن لحرية الفكر ، واحترامه لسلطان العقل ، وكفى القرآن نفرا أن أسلافنا الأوائل الذين فهموه حق الفهم ، وآمنوا به أصدق الإيمان ، قد بلغوا بحرية الفكر أعظم مدى حين قرروا أنه إذا تعارض العقل مع ظاهر النقل ، وجب تأويل النقل بما يتفق مع العقل ، وبهذه الحرية الفكرية البالغة كانوا أئمة الهدى ، وأعلام الفكر ، ومفخرة الزمان ، ولا عجب فالقرآن يقول لرسوله : « قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني ، »

محمد عبد الوهاب فايد

المدرس بمعهد صوف

أسرار الشريعة

في أحكام اختلاف المطالع

تلفتت من فضيلة الأستاذ الشيخ عبد الحميد شاهين شيخ معهد القويرى بمصر اطة
من أعمال ليبيا السؤال البالى :

اعترضتنا فى ليبيا مشكلة بشأن اختلاف الأقاليم فى مطالع هلال رمضان كما حدث
فى تونس إذ سبقت مصر فى الصيام . والمرجو الإفادة عن هذه المشكلة بتوضيح واسع .

الإجابة — لا ريب فى أن هذه مشكلة إسلامية من مشاكل بلادنا ، ولكن لم يكن
سببها شيئاً من (أصول الفقه الإسلامى) وإنما سببها الحقيقى هو الاستعمار الذى مزق
المسلمين إلى حكومات ودول لا اتصال بينها ولا ثقة لكل منها بالأخرى حتى فى العمل
بالأحكام الدينية الإسلامية ...

وهذه نكبة المسلمين منذ القرن السادس الهجرى تاريخ الحروب التتريّة
والصليبية إلى الآن . ولو كانت الثقة والاتصال موجودين بين هذه الحكومات حقيقة
مع العناية بالأمور الدينية ، وعلمت مصر برؤية الهلال فى تونس مساء يوم الأحد
لصامت مصر مع تونس يوم الاثنين ، بل ولصام معظم المسلمين فى معظم البقاع برؤية
أهل تونس ...

ذلك لأن حكومة مصر ومعها معظم الحكومات الإسلامية متمسكة الآن بعدم
اعتبار اختلاف مطالع القمر فى الصيام ، وهو رأى المحققين من السادة المالكية
والحنفية والحنابلة وبعض الشافعية ، بناء على أن الخطاب لعموم المسلمين فى قوله ﷺ :
« صوموا لرؤيته ، وأن المراد (مطلق رؤية) للقمر بعد غروب الشمس فى أى بلد
شرقى أو غربى ...

ولذلك نجد مصر دائماً تعلن الصيام لرؤية القمر في السودان مع القطع باختلاف
مطالع القطرين ...

أما رأى باقى السادة الشافعية فى اعتبار اختلاف مطالع القمر استناداً إلى عدم اعتماد
« ابن عباس » رضى الله عنهما فى المدينة المنورة لإخبار (كريب) له برؤية أهل دمشق
الشام الخ فإن مصر قد عدلت عن هذا رأى ، لما يلزم عليه من الحرج والمرج بين المسلمين ،
وظهور التفرق بينهم فى أعيادهم ومواسمهم الدينية .

والحق أنه رأى غير اجتماعى ولا عملى من هذه الجهة ...

ألا ترى أن العمل بهذا رأى وهو اعتبار اختلاف مطالع القمر فى الصوم يستلزم
ألا يصوم أهل القاهرة برؤية أهل الخرطوم مثلاً لا اختلاف مطالع القمر فى هذين البلدين ،
فإن بين عرضيهما فرقاً يساوى (١٤ ر ٥) درجة مما يجعل الفرق بينهما فى مكث الهلال
نحو خمس دقائق زمنية ، وهو فرق يحقق الرؤية فى إحداهما دون الأخرى . هذا من جهة العرض
وأما من جهة الطول فاختلف مطالع هذين البلدين بسببه لا يكاد يذكر ، إذ لا يزيد الفرق
بين الطولين عن خمس دقائق قرسية ونصف دقيقة ، وليس لهذا القدر فرق فى قوس الرؤية .

وأما الفرق الطولى بين تونس والقاهرة فوثر فى (مطالع القمر وفى رؤيته) لكثرتيه ،
إذ يبلغ فرقهما طولا نحو (٢١) درجة ، وهو يساوى بالزمن (١ ٣٣) ساعة زمنية
وخمسة أجزاء من اثنى عشر جزءاً من الساعة .

ومعلوم أن القمر يسبق الشمس فى الساعة الواحدة بنحو دقيقة ونصف دقيقة زمنية
تقريباً . وعليه ففقدار الفرق الناشئ من الطول فى المكث يساوى $(١٣٣ \times ١٣ = ٢١)$
أعنى دقيقتين وثمن دقيقة زمنية ، هذا من جهة الطول . وأما الفرق بين تونس والقاهرة
من جهة العرض فلأن الفرق بين عرضيهما نحو سبع درجات ، وبمقتضى الجدول التالى
نجد أن الفرق بين مكث القمر على أفق هذين البلدين بسبب الدرجات السبع يساوى نحو
ثلاث دقائق زمنية ، وعليه يصير مجموع الفرق بين مكث القمر فى تونس والقاهرة
يساوى نحو خمس دقائق زمنية : اثنتان بسبب الفرق الطولى ، وثلاث بسبب الفرق العرضى .

فروق مكث القمر بالدقائق الزمنية فوق الأفق الغربى بعد غروب الشمس تؤخذ بميل القمر عرضاً وبعرض البلد طولاً .

ميل عرض	٦ ق	١٢ ق	١٨ ق	٢٤ ق	٣٠ ق
٦	صفر	$\frac{1}{4}$	١	١	٢
١٢	صفر	١	١	٢	٢ر٥
١٨	$\frac{1}{4}$	١ر٥	٢	٣	٢ر٥
٢٤	$\frac{1}{2}$	٢	٣	٤	٥ر٥
٣٠	$\frac{3}{4}$	٢ر٥	٤	٥ر٥	٧
٣٦	$\frac{1}{2}$	٣	٥	٧	٩
٤٢	$\frac{1}{4}$	٤	٦	٨ر٥	١٠ر٥
٤٨	١	٥	٧ر٥	١٠ر٥	١٣
٥٤	١	٦	٩ر٥	١٣	١٨
٦٠	١	٦ر٥	١١ر٥	١٨	٣٢
٦٦	١ر٥	١٠	١٦ر٥	٣٢	

والذى اتفق عليه علماء الميقات ألا يقل مكث الهلال لإمكان الرؤية في مثل أفق القاهرة وتونس عن (١٢) دقيقة زمنية ، بحيث إذا كان المكث في القاهرة سبعا فقط استحال الرؤية ، وإذا أضيفت الخمس إلى السبع في تونس أمكنت الرؤية .

هذا مع العلم بأن المراد بالمطلع المؤثر في رؤية القمر إنما هو المطلع البلدى للقمر ، ويسمى بمطلع الأفق المائل ، وهو المدة التي تنصى بين طلوع نقطة الاعتدال الربيعي على الأفق الشرقى لاي بلد وبين طلوع القمر على هذا الأفق ، ويقدر بقوس من معدل النهار ، أوله نقطة الاعتدال الربيعي ، وآخره نقطة من المعدل تشرق مع القمر على أفق هذا البلد .

هذا وإنى أكتفى بهذا المعدل الآن مع الاستعداد لتوضيح ما يراد توضيحه ، والله الموفق ؟

محمد أبو العز البنا

مدرس الفلك بالأزهر

زينة العلم

كان الأحنف بن قيس يقول : ما أضيف شيء إلى شيء أحسن من علم إلى حلم ^(١) .
 وقال عمر بن عبد العزيز : ما قرن شيء إلى شيء أحسن من علم إلى حلم ، ومن عفو
 إلى قسدة ^(٢) .
 وقال أبو حاتم البستي : لو كان العلم أبوان لكان أحدهما العقل والآخر الصمت ^(٣) .
 وقال الإمام البوصري يمدح النبي ﷺ :

وسع العالمين علماً وحلماً فهو بحسب لم تعب الأعباء ^(٤)

أى واسع العلم والحلم وغيرهما من أخلاق نفسه الزكية ، وصفاتها العلية ، فهو تشبيه
 ببلغ ، أى كالبحر الذى هو خلاف البر ^(٥) .

وجاء فى التاج (مادة — رود) :

ومن أمثال العرب : الحلم مطية وطية ، . ويروى عن علي رضى الله عنه أنه قال لرجل :
 ليس الخير أن يكثر مالك وولدك ، وإنما الخير أن يعظم حلمك ويكثر عليك ^(٦) .

وفى حديث علي فى وصف الصحابة رضى الله عنهم : « يدخلون رواداً ويخرجون
 أدلة . أى يدخلون طالبين للعلم ، ملتجئين للحلم من عنده ، ويخرجون أدلة هداة للناس ، .

[١] اللطائف للمقدسى .

[٢] الآداب الشريفة للحنبل [ج ٢ ص ٢٢٩]

[٣] روضة العقلاء [ص ١٨٩] .

[٤] لم تعب : من أعبأ فلان فى شيء أى تعب ، والأعباء جمع عبء بكسر أوله وباء واحدة والمهزمة وهو
 الحمل والقتل من أى شيء كان .

[٥] شرح المهزبة لابن حجر .

[٦] ألف با — لأبي الهجاج البلى [ح ١ ص ٤٦٢] .

وقال كرم الله وجهه يصف المتقين ^(١) :

«... فن علامة أحدهم : أنك ترى له قوة في دين ، وحزماً في لين ، وإيماناً في يقين ،
وحرصاً في علم ، وعدلاً في حلم ،

وقال كرم الله وجهه : ^(٢)

« ليس شيء أحسن من عقل زانه علم ، ومن علم زانه حلم ، ومن حلم زانه صدق ،
ومن صدق زانه رفق ، ومن رفق زانه تقوى » .

وقال الإمام مالك — رضى الله عنه — لفتى من قريش : يا بن أخى ، تعلم الحلم قبل
العلم ، وقال لفتى آخر من قريش : يا بن أخى : تعلم الأدب قبل أن تتعلم العلم ^(٣) .

وكان الإمام الشافعى — رضى الله عنه — يقول : جمال العلماء كرم النفس ، وزينة العلم
الورع والحلم ^(٤) .

وقال الشعى : يا طلاب العلم : لا تطلبوا العلم بسفاهة وطيش ^(٥) اطلبوه بسكينة
ووقار وتؤدة ^(٦) .

وقال الاصفهاني في الأطباق (المقالة التاسعة عشرة) :

«... والموفق من سقى مجدبة السفه بسارية العلم ^(٧) واستدفع زلزلة الغضب براسية
الحلم ، ألا إن الغضب رجفة والحلم عمادها ، والجزع مدة والصبر ضمادها ، .

وقالوا : الصمت زين الحلم وعودة العلم ، يلزمك السلامة ، ويصحبك الكرامة ،
ويكفيك مؤنة الاعتذار ، ويلبسك ثوب الوقار ^(٨) .

[١] التيج [ج ١ ص ٤٢٢] ط الرحمانية .

[٢] شرح التيج لابن أبي الحديد [ج ٤ ص ٥٢٦] .

[٣] الخلاصة للهام الماملى [ص ٦٨ - ص ٧٨] .

[٤] صفة الصفوة لابن الجوزى والطبقات للشمراى .

[٥] السفه والسفاهة والسفاهة : تقيض الحلم . والطيش : النزق وخفة العقل .

[٦] روضة القلاء للبتى [ص ٧ - ٨] .

[٧] السارية : المطرة التى تكون بالليل - قاله اللحيانى .

[٨] النمر للبرهان [ص ١٧٨] .

وقال مالك رضى الله عنه : إن حقاً على من طلب العلم أن يكون له وقار وسكينة وخشية ، وأن يكون متبعاً لأثر من مضى قبله ^(١) .

وقال عمر رضى الله عنه : تعلموا العلم ، وتعلموا العلم السكينة والحلم ، وتواضعوا لمن علمكم ، وتواضعوا لمن تعلمون ، ولا تكونوا من جبارى العلماء فلا يقوم علمكم مع جهلكم ^(٢) .

وقال ابن المعتز : المتواضع في طلاب العلم أكثرهم علماً ، كما أن المسكان المنخفض أكثر البقاع ماء ^(٣) .

وكان يقال : ينبغي للعالم أن لا يترفع على الجاهل ، وأن يتطامن له بمقدار ما رفعه الله عليه ، وينقله من الشك إلى اليقين ، ومن الخيرة إلى التبيين ، لأن مكافئته قسوة ، والصبر عليه وإرشاده سياسة .

ومثله قول بعض الحكماء : الخير من العلماء من يرى الجاهل بمنزلة الطفل الذى هو بالرحمة أحق منه بالغلظة ، ويمدحه بنقصه فيما نوط منه ، ولا يمدح نفسه فى التأخر عن هدايته ^(٤) .

وفى حكمة لقمان : إن العالم الحكيم يدعو الناس إلى علمه بالصمت والوقار ^(٥) .

ومن مقامه التماسك الرخصية قوله :

• إن رداء الوقار والحلم أزين ما تعطف به ذو العلم ، فتعلم وتوقر وإن لم يكونا من جدائلك ، وتعلمهما وإن عدما فى شمائلك .

وجاء من وصية لولادة العبدية ^(٦) .

[١] الآداب الفرجية للحنبل [ج ١ ص ٥٥] :

[٢] الآداب [ج ٢ ص ٥١]

[٣] زهر الآداب لخصري [ج ٢ ص ١٧]

[٤] شرح التلويح [ج ٤ ص ٢٤١]

[٥] قصيون لابن قتيبة [ج ٢ ص ١٧٢]

[٦] النهاية لأبوري [ج ٨ ص ١٨٧]

« ... لا يبعد غضبك -ملك ، ولا هواك عليك ، وق دينك بدنباك ، وق -عرضك بعرضك . وتفضل تخدم ، واحلم تقدم . »

ومما جاء في كتاب تهذيب الاخلاق لليعقوبي قوله ^(١) :

« ينبغي لمن رغب في تذليل نفسه الغضبية أن يجعل مجالسته لاهل العلم وذوى الوقار والشيوخ والرؤساء والافاضل ومن يقل غضبه ويكثر حله ووقاره . »

وقال أبو حفص بن برد الاصغر — يصف أحد علماء عصره ^(٢) :

« ... ورأيت به للحلم جبلا موطوداً ، وللديانة ظلا معدوداً ، وللتقوى جبلا مشدوداً ، وللعلم بحراً طفوحاً ، وللأدب روضاً مجوداً مروحاً . »

ومن المقالة (٤٢) من الاطواق للرخشى :

« رضى الله عن العلماء الخاشعين من الله وحسابه ، الماشين على سبيل محمد ﷺ وأصحابه ، جمعوا إلى الدين الحنيفي العلم الحنفي ، وإلى العلم الحنفي الحلم الآخني ، فنفوسهم رواسي الحلم ، وقلوبهم معادن العلم . »

وقيل : أسباب السؤدد سبعة : العقل ، والحلم ، والعبادة . والصدق ، والعلم ، والسخاء ، وأداء الامانة . واضيف إلى ذلك الصبر ، والتواضع ، والعفاف ، تلك عشرة كاملة هي لمحاسن الشيم شاملة ^(٣) .

وجاء في كتاب — ألف با — (ج ١ ص ٤٦١) ما لفظه :

« وإذا اجتمع إلى الكريم الصدق والحلم ، وانضاف إليهما الصبر والعلم ، فقد تمت خصاله ، وتامى كاله ، »

تونس

محمد المكى بن الحسين

[١] رسائل البلغاء [ص ٥٠٨] ط الثالثة

[٢] الذخيرة لابن يسلم - القسم الأول - المجلد الثاني (ص ٢١)

[٣] فنرد البرهان [١٦]

فارس غرناطة

— ٢ —

— المشهد الخامس —

(يدخل موسى ورفيقاه شاكي السلاح يغمرم غبار المعركة)

موسى : السلام عليكم ،

الجميع : (وقوفاً) وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته .

(في هذه الأثناء تسقط الورقة من يد الملك) .

الملك : تفضلوا أيها القادة .

(يجلسون وموسى إلى يسار الملك) .

موسى : (عابساً يحيل عفيه في الحضور ، وينقل نظره بين الورقة والرسول) : لعله

رسول الطاغية يحمل إلينا التهديد والوعيد ..

الرسول : مهلا يا فارس غرناطة .. وحق العذراء لقد شغفت بأنبائك حتى وددت لقاءك .

وأرجو أن أكون إليكم رسول خير ..

موسى : (يلتقط الورقة من الأرض) ما هذه الأوراق !! أشكرك أيها السيد ، وبودي

لو تكون رسالتك كما رجوت ..

(يطالع الورقة والحضور يلاحظونه في وجوم) ما هذا ؟ ... (لذلك) ألهذا

دعوتنا ، والقتال على أشده ١١٢

(يخاطب القائد) : انظريا بن زائدة ، اقرأ يا بن رضوان (يدفع إليهما

بالورقة) أيرضيكما هذا ؟ .. (للرسول) : أمذاكل ما عندك ١٢ ...

الرسول : إنما تقاس الأمور بأشباهها أيها الفارس . ولو أمنت في واقعكم لوجدت

الخير كله في هذا .

موسى : لانزال في خير مادامت لنا حريتنا ..

ابن رضوان : شروط لا تحتمل ..

- ابن زائدة : السيف أرحم من الهوان (معيداً الورقة إلى موسى) .
- موسى : لا .. لن يكون ذلك أبداً (يمزق الورقة وي طرحها أرضاً) .
- الرسول : (مغضباً) إن لهذا ثمتاً .. قد تعجز عن أدائه غرناطة كلها ..
- موسى : إنها قطعة ورق لا أكثر .. أما غرناطة فهي الشيء الوحيد الذى لا يعده ثمن ...
- الرسول : ومع ذلك فقد تنهى إلى شر من هذا التمزق ... إن ..
- موسى : حسبك . إنك تسرف فى الإهانة .. وكان عليك أن تذكر أن أبهاء المحرام لم تألف من رسل الفرنجة سوى الانحناء .. ولولا حقوق الرسل لكان الشأن غير هذا ..
- الرسول : ذلك عهد مضى .. و
- موسى : وسيتبقى مادام فى هذه الصدور نفس يتردد . إن الأسد لا يقدم يديه للقيد ، وإن لم يستطع الانتصار فهو يعرف كيف يختار ميتته ..
- الرسول : إذن فأنت تريد لغرناطة الانتحار .. إن خيراً من ذلك أن تلقى سلاحها ..
- موسى : بوسعك أن تدعو سيدك ليقبضه !
- الرسول : (للملك) : إذن أرجع بأسوأ النتائج ..
- الملك : (مضطرباً) مهلاً أيها السيد .. لا يزال لنا أمل فى حكمة موسى ..
- الرسول : (متيماً للخروج) يسرنى أن نصيروا إلى اتفاق ، وإلى مستعد لتتأسى الإهانة رحمة بالسكان . سأنتظر ردكم فى جهو السفراء ...
- (يخرج ومعه الحاكم العسكرى) .
- الملك : حسناً تفعلون .
- القاضى : (لموسى) : أى بنى ... يا موسى .. إن حكمة الشيوخ جديرة برضاك فى هذا الموقف المحرج .
- موسى : إن حكمة الشيوخ محل إجلالى .. ولكن الخضوع للعبودية لن يكون حكمة ياسيدى القاضى ..
- (يرتفع صوت المؤذن من مسجد القصر) .
- الجميع : (يرددون مع المؤذن) : الله أكبر .. الله أكبر ..
- الملك : لا اعتراض على شيتك يا الله ..

موسى : (في حماسة) الله أكبر .. أكبر من فرديناند ، ومن كل طاغية . إن هذا النداء جدير بأن يوقظ في قلوبنا روح الاستبسال والعزة .

القائدان : إن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين ...

القاضي : اذكر يا موسى قول الله : « ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ... »

موسى : ولم لا تذكرون قوله : « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ... » ، إن الله لا يرضى للمؤمن أن يؤثر الدنية ، وفي يده سيفه .

الملك : ولكن فرديناند يعدنا بالإبقاء على ديننا ، وبهنا المساراة برعيته ..

موسى : يا للغفلة : ومتى كان هذا العلاج من الأوفياء ! إن المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين .

ابن رضوان : ولكن قومنا أبداً يلدغون .

ابن زائدة : هم لا يستيقظون ...

موسى : ألم يعاهد صاحب (مالفقة) من قبل ، حتى إذا أسلم إليه قذفه في الجب .. ثم

ساق السكان أرقاء إلى إشبيلية ، حيث سلخوا من دينهم ، وسلبوا أبناءهم ،

وذلك أضافهم للسياط والمحاق ١٤ .. شد ما تكذبون أبصاركم وتصدقون

أذانكم يا معشر الغرناطين .. حسبكم ما فرطتم من قبل .. إن دماء آبائكم

وأشلاء شهدائكم تستصرخكم لإيثار الكرامة ، فلا تصفوا الوسوسة الباطل ،

ولا تسموا الجبن حكمة .

الشيخ : لقد استخرنا الله ، ولن ندعو الناس للموت ، وهناك أمل في الحياة .

القاضي : لو سمعت يا موسى أنين الأطفال ، وقد حطهم الجوع على أحضان أمهاتهم

لعدلت موقفك .

موسى : (يتهدج صوته من الألم) واكبدا لأحفاد الفاسقين ينجرأ عليهم الجوع ،

ويقتعون أعينهم على أشأم أيام الدنيا .. !

الشيخ : ذلك حصاد الماضي من أيام ملوك الطوائف ..

الشيخ الآخر : بش الغواة ! .. أفسدتم الترف وغرتم بهارج الدنيا ..

ابن زائدة : واستنفدوا قواهم في النزاع الداخلي على المجد الكاذب ، حتى أسلدوا لهذه السكوارث .

القاضي : ليتهم يعيشون اليوم ليروا ثمار ضلالهم ...

الملك : حسبهم عذاب الله ..

ابن رضوان: ولعنة الأجيال ...

الصبغ : ولكن هذا كله لن يهدى أطفال غرناطة شيئاً .

موسى : والمضى على أطفال غرناطة ١ . . من حقم أن تحاولوا إنقاذهم ، ولو بجبال الوم ،
أما أنا فغير لي أن أحسى بين الذين سقطوا دفاعاً عنهم ...

ابن زائدة : ذلك والله أخرى بالنفوس المريزة ..

ابن رضوان: وأسعد للقلوب المؤمنة ..

موسى : وألقى بثها متكا . فلنستقبل الموت معا كما استقبلنا الحياة .

ابن زائدة : إني تليذك البار . ومعاذ الله أن أفارقك .

ابن رضوان: لا قوة تحرمني نعمة الشهادة في صحبتك يا قائد ..

سعيد : (يتقدم من أقصى القاعة) وأنا أيضاً أحسن صناعة الموت ، فاقبلني في رحلتك
أيها البطل ..

للملك : حتى أنت يا سعيد .. تتركني في اللحظة الأخيرة ١ .

موسى : إنها امتفاضة الإيمان تسمو بالنفوس الكريمة إلى ذروة التضحية .

سعيد : لم يبق في الحياة ما يستحق البقاء .

(يدخل الحاجب)

الحاجب : إن فارساً قادماً من السور يلتمس مقابلة القائد موسى .

موسى : من الفارس ؟

الحاجب : لم يذكر اسمه ، وهو غارق في الحديد لم أر غير عينيه .

موسى : (يلح للفارس خارج القاعة) أقبل أيها الفارس .

— المشهد السادس —

(يدخل الفارس)

الفارس : سيدي القائد . إن العدو المتكاثر يكاد يغلب جنودك على الباب الجنوبي .

موسى : إتنا قادمون . وستفتح هذا الباب .

الفارس : ماذا ؟ .. أفتحون الباب للمعدو ؟

موسى : أجل سنفتحه لنفسه بأجسامنا .

سكنى الكواكب

كتبت الصحف كثيراً في الاطباق الطائرة ، واختلف الناس في تأويلها ، فقال بعضهم : إنها تحمل نفراً من سكان كوكب آخر قد يكون هو المريخ ، وأنكرها آخرون ووصفوها بأنها خرافة : وسواء أكان وجريدها حقيقة ، أم أنها من خيال رواتها ، أو أنهم جاوزوا فيما رواه تصوير ما رأوه ، فإن ذلك لا يمس النظرية القائلة باحتمال وجود أحياء عاقلة في بعض كواكب المجموعة الشمسية والعوالم النجمية الأخرى . ففي الوجود مجموعات كثيرة كالمجموعة الشمسية على أبعاد صحيحة لا يحيط بها الخيال ، وإذا قدر أن في كل مجموعة عشرة كواكب سيارة بعضها مسكون فقد يبلغ عدد الكواكب المسكونة مئات .

والعلماء على أن أرضنا بين الاجرام السماوية لا تعدو جزءاً من مليون جزء من إحدى حبيبات رمال الصحراء ، وهذا يشبه القول المسأور : ما السموات والأرضون في الكرسي إلا كحبة رمل في فلاة ، ولذا لا يتصور أن هذه الكواكب - على سعتها وكثرتها - خالية من الأحياء ، بل والأحياء العاقلة ، كما في أرضنا أو أرقى أو أحط ، كل نوع منها أعد لإعداداً خاصاً يوائم بيئة كوكبه وما فيه من ضغوط وحرارات وأضواء وغازات .

والعلماء يقولون بوجود حياة في المريخ لما بينته وبين الأرض من شبه في تكوين جوه وسطحه ، ومن تقارب في حرارته التي تتراوح بين ١٠ فوق الصفر و ١٠٠ تحت ، وفيهم من يرجح أنها أرقى من الحياة الأرضية لما يرون عليه من مسطحات هندسية ومساحات شاسعة من الحضرة .

والقرآن الكريم يقرر وجود أنواع من الأحياء في غير أرضنا ، وأن بعضها أرقى من النوع البشرى في قوله : « ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير مما خلقنا تفضيلاً » ٧٠ : ١٧ . فقد قالوا : إن هذا الكثير المفضل

بدخل فيه الجن والملائكة ، واستنتج بعضهم أن الآية دليل على وجود مخلوقات أرقى من الإنسان في كواكب أخرى .

وفي قوله تعالى : « سبحان الذى خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم وما لا يعلمون » ، ٣٦ : ٣٦ ، إشارة إلى مخلوقات أخرى خارجة عما نعلمه في أرضنا .

كما في قوله : « ومن آياته خلق السموات والأرض وما بث فيهما من دابة » ، ٢٩ : ٤٢ .

وفي قوله : « والله يسجد ما فى السموات وما فى الأرض من دابة والملائكة » ، ٤٩ : ١٦ .

كذلك لا يتصور أن كل ما نرى ونعلم من أجرام سماوية خلق من أجل الأرض أو سخر لسكان الأرض ما دامت الأرض بهذه الفضالة فى ملك الله . قال تعالى : « وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر ، والنجوم مسخرات بأمره » ، ١٢ - ١٦ . فى رفع النجوم ما يفيد تسخيرها لغيرنا كما سخر الشمس والقمر لنا ، ولا يحتاج بذكر الثلاثة منصوبة فى آية الأعراف - « والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره » ، ٥٤ : ٧ لأن التسخير فيها عام لنا ولغيرنا ولم يخص بلفظ لكم كما فى آية النحل السابقة ، وكذلك آية إبراهيم حيث أريد التخصيص لم تذكر النجوم فى قوله تعالى : « وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار » ، ٣٣ : ١٤ . أما قوله : « وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر » ، ٩٧ : ٦ فليس معناه أن اهتمامنا بها هو كل فائدتها فى الوجود .

وإذن فلا يستبعد أن تكون الاطباق الطائرة حقيقة ، وأن يكون أصحابها من المريخ أو من غير المريخ ، وقد يسبقونا إلى إيجاد الوسيلة للاتصال بنا والتفاهم معنا ، ومن يمشى بر ، وصدق الله وعده الحق : « سترهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » ، ٩

حسن محمد موسى

مفتش سابق بالتعليم

الفتاوى

— ١ —

جاء إلى لجنة الفتوى بالجامع الأزهر ما يلي : —

كنت في حالة غضب وثورة نفسية ، فوقع مني يمين الطلاق مرة واحدة على زوجتي ، وقد سمعت أن بعض المذاهب لا تمتد بالطلاق في حالة الغضب ، فأرجو الإفادة ، مع العلم بأنه سبق هذه المرة وقوع الطلاق مرتين .

الجواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد - فقد اطلعت اللجنة على هذا السؤال ، وتفيد بأن طلاق الغضبان واقع متى كان يمي ما يقول ولم يصل إلى حالة الهذيان وغلبة الخلل في أقواله وأفعاله . وعلى هذا يقع طلاق المستفتي إذا لم يصل به الغضب إلى هذه الحالة المذكورة ، وبذلك تصير امرأته بائنة منه بينونة كبرى ، فلا تحل له حتى تتزوج بزواج آخر زواجا صحيحا شرعا ويدخل بها دخولا حقيقيا ثم يطلقها أو يموت عنها وتنفى عدها منه ، وبهذا علم الجواب عن السؤال ، والله أعلم ؟

— ٢ —

رجل عاشر امرأة في الحرام ووضعت طفلا وكبر ، فصلح بين الناس وصلى وصام فهل الحكم على والديه أم عليه ؟

الجواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد - فقد اطلعت اللجنة على هذا السؤال ، وتفيد بأن إثم جريمة الزنى على الزانى والزانية وحدهما ، وليس على ولد الزنى من ذلك شيء ، وهو إنما يؤخذ بعمله . قال تعالى : « ولا تزر وازرة وزر أخرى » ، وبهذا علم الجواب عن السؤال ، والله أعلم ؟

— ٣ —

شاب اعتنق الدين الإسلامى اعتناقا شرعيا مسجلا وهو فى سن البلوغ وترك دين أبيه رغم ثرائه وماله ، مفضلا الإسلام عما عداه من حب المال . فهل يرث المسلم أباه رغم أن له أخوة على دين أبيهم ؟ . نرجو الإفادة .

الجواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد - فقد اطلعت اللجنة على هذا السؤال ، وتفيد بأن هذا الابن المسلم لا يرث أباه المسيحى لاختلاف الدين ، وهذا هو مذهب جمهور العلماء ، وعليه العمل فى المحاكم الشرعية . ومن العلماء من يقول بورائته من أبيه المسيحى بناء على أن المسلم يرث غير المسلم ، ولكن ليس العمل على هذا القول . والله أعلم ؟

— ٤ —

توفيت والدتى فى أواخر عام ١٩٤٦ وتركت أولادا ذكورا وإناثا . وقد توفى والد والدتى فى ٣٠ يونيه سنة ١٩٥٠ وترك أربعة أولاد ذكور وثلاث إناث وزوجة . فهل لأولاد ابنته المتوفاة حق فى التركة . نرجو الإفادة .

الجواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد - فقد اطلعت اللجنة على هذا السؤال ، وتفيد بأن لأولاد بنت المتوفى التي توفيت في حياته بطريق الوصية الواجبة قدر ما كانت تستحقه والنتهم ميراثاً لو كانت موجودة حين وفاة والدها ، وهذا إذا لم يكن المتوفى قد أعطى أولاد بنته بطريق التبرع شيئاً مما يجب لهم ، كما هو الظاهر .

والقدر الذي يجب لهم في هذه الحالة هو سبعة أسهم من خمسة وتسمين سهمان تنقسم إليهما تركة المتوفى . وتنقسم سبعة الأسهم بينهم للذكر مثل حظ الأنثيين ، والباقي بعد ذلك يقسم على ورثة المتوفى ، فيكون لزوجته ثمنه فرضاً لوجود الفرع الوارث ، وذلك أحد عشر سهماً ، والباقي بعد ذلك كله يكون لأولاده تعصياً للذكر مثل حظ الأنثيين ، فللبنت سبعة أسهم ، وللأبن أربعة عشر سهماً .

وبهذا علم الجواب عن السؤال ، إذا كان الحال كما ذكر به ، ولم يكن للمتوفى وارث غير من ذكر ولا مستحق آخر في التركة . والله أعلم ؟

- ٥ -

هل تصح الصلاة لحامل علبة التبناك أو علبة السجائر ؟

الجواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد - فقد اطلعت اللجنة على هذا السؤال ، وتفيد بأن حمل علبة التبناك والسجائر وما إلى ذلك من كل طاهر في الصلاة لا يطلها ولا يحدث فيها نقصاً . وبهذا علم الجواب عن السؤال . والله أعلم ؟

- ٦ -

هل نجب الزكاة في الفول السوداني أم لا ؟

الجواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه
ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد — فقد اطاعت اللجنة على هذا السؤال وتفيد :

بأن الفول السوداني حكمه في الزكاة حكم الحبوب الأخرى كالقمح والذرة ، فتجب
فيه الزكاة .

رئيس لجنة الفتوى

مجلة الأزهر ترمي إلى العالم الإسلامى عالمين من خيرة العلماء المبرزين وهما :

المغفور له الشيخ عبد المجيد سليم شيخ الجامع الأزهر الأسبق ، والمغفور

له الشيخ محمد أبو شامة العضو السابق لجماعة كبار العلماء .

والمجلة لا ترى نفسها بحاجة إلى التعريف بما للفقيه الأول من خدمات

مشكورة للفقه الإسلامى والقضاء والفتيا والأزهر مما يعلو كل من له صلة
بالبينة العلمية .

كما تذكر للفقيه الثانى تفانيه فى خدمة الفقه المالكي ، وتذشته لطائفة

كبيرة من علماء الأزهر الذين يعتبرون غراساً كريماً له .

وتسأل الله أن يضاعف لهما المثوبة ، جزاء ما بذلا فى سبيل العلم والدين ، وما قدما

لأنفسهما من صالح العمل .

الكتب

تأليف الدكتور صلاح الدين المنجد - المجلد الثانية - المجمع العلمي العربي بدمشق - لابن عساكر

بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد - المجلد الثانية - المجمع العلمي العربي بدمشق

سبق لنا التنويه في ص ٧٥٥ - ٧٥٨ من المجلد ٢٤ لهذه المجلة بالعمل العلمي العظيم الذي يقوم به المجمع العلمي العربي بدمشق ، وهو نشر تاريخ مدينة دمشق للحافظ ابن عساكر ، وتاريخ ابن عساكر معجم ضخم قد يزيد في الطبع على خمسين مجلدا ، تضمن تراجم أعلام الإسلام الدين ولدوا في دمشق أو عاشوا فيها أو مروا بها من زمن الفتح الأول إلى آخر دولة بني أمية حتى زمن المؤلف في القرن السادس الهجري . والمجلد الثانية التي صدرت الآن من هذا التاريخ هي أيضاً بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد ، وهي أيضاً من مقدمات الكتاب ، فقد تقدم في المجلد الأولى ذكر فضائل دمشق وما ورد من الثناء عليها ، وفي هذه المجلد خطط دمشق . قال الناشر : ويبعد أن ابن عساكر طاف بالمدينة مبتدئاً من باب الجابية فسجل ما رآه من مساجد ، وقى ، وحمامات ، شاطراً المدينة شطرين يحدهما الشارع المستقيم ، فباب المسجد والأنهار والفتى والحمامات من أصبح ما في قسم الخطاط من تاريخ دمشق ، لأنه من مشاهدات المؤلف على الوضع الذي كان في عصره . أما سائر أبواب الخطاط فقد اعتمد فيه على شيوخه بالرواية أو بالنقل عن الكتب التي ألقت عن دمشق قبل ابن عساكر وأقدمها كتاب أحمد بن المعلى قاضي دمشق المتوفى سنة ٢٨٦ ، وكتابه من مصادر رحلة ابن جبير ، وكتاب أحمد بن أبي العجاج من القرن الرابع ، وهو من مصادر ياقوت في معجم البلدان ، وكتاب محمد بن عبد الله بن جعفر الرازي من القرن الرابع ، وهو من مصادر ابن تفرى بردى في النجوم الزاهرة ، وكتاب تمام الرازي بن أبي الحسين من القرن الخامس ، وتليذه عبد العزيز بن أحمد الكتاني المتوفى سنة ٤٩٦ ، وتليذه الآخر على بن محمد الربي المتوفى سنة ٤٤٤ ، وهو مؤلف فضائل الشام ودمشق ، ثم هبة الله الأكفاني (٤٤٤ - ٥٢٤) وغيث بن علي الأرمنازي المتوفى سنة ٥٠٩ ، وغيرهم .

وقد استوفى ابن عساكر موضوع الخطط على ما شاهده أو نقله عن ألف قبله وقام الدكتور صلاح الدين المنجد بتحقيق ذلك إلى أقصى ما وصلت إليه يده ، وكان كريماً بما ألحق به من فهارس متنوعة كأحدث ما وصلت إليه مناهج النشر لمثل هذه الكتب النفيسة ، ووضع له مخططين لما كان من الأماكن في داخل سور دمشق أو في الأرباض وخارج السور .

وكنا سمعنا أن المجمع العربي ناط بتحقيق أجزاء تاريخ دمشق برجال متعددين من أعضائه ، فطمعنا في أن يتوالى صدور الأجزاء بسرعة . فإن كان تحقيق الكتاب سينحصر بالدكتور المنجد فنترح إرجاء الأجزاء الأولى التي سبق للشيخ عبد القادر بدران والمكتبة العربية نشر أجزاء المذهب منها ، وأن يعنى بإصدار ما بعد ذلك لنكون بين أيدي الناس الزاجم التي لم يسبق نشرها . حتى إذا انتهى طبع الكتاب يستأنف نشر الأجزاء الأولى ، وبذلك يكون النفع به أوسع ، ولهم الشكر على هذا العمل العظيم .

القصاص في الاسلام

للأستاذ الشرباصي - ٢١٩ ص - دار الكتاب العربي

النفوس البشرية أغلى وأكرم خلق الله ، وكل ما يتعلق بحياتها من أهم ما يهتم له البشر . لذلك كان موضوع « القصاص » في طبيعة ما عني به البشر في أحكامهم ومحاكمهم وحكمة تشريعهم ووسائل أمنهم وكيان حضارتهم وعمرانهم .

وأفنى ما كتب عنه بالعربية - فيما أعلم - هذا الكتاب الجديد لفضيلة الأستاذ الشيخ أحمد الشرباصي المدرس بالأزهر والرائد الديني لجمعية الشبان المسلمين ، وكان الحامل له على ذلك دعوة تلقاها من الجامعة الأمريكية في القاهرة بالاشتراك مع اتحاد الدراسات الاجتماعية لشئون الأحداث ، طلب إليه فيها أن يساهم في سلسلة المحاضرات بمحاضرة عن رأى الشريعة الإسلامية في الثأر وهل هو من اختصاص الدول أم الأفراد ، فاستجاب لهذه الدعوة وألقى المحاضرة ، ثم توسع لمجلة الأزهر في هذا الموضوع فشرنا له ثلاث

مقالات في ص ٥٥٣ و ٧٠٧ و ٨٢٧ من المجلد الماضي ، ثم مضى الأستاذ في دراسته المتشعبة وما زال يبحث ويستقصى إلى أن صار بين يديه كتاب شامل استوفى به القول على الثأر في الجاهلية والإسلام ، وعقوبة الإعدام بين دعاة الإلغاء ودعاة الإبقاء ، وأحكام القصاص وهو من أوسع بحوث الكتاب ، ثم قارن بين قول الله « ولستم في القصاص حياة » وقول العرب في أمثالها « القتل أنقى للقتل » فكان بحث آخر من أنفس بحوث الكتاب الذي أصبح مرجعا لا يستغنى عنه طلاب كلية الشريعة وكليات الحقوق والمشتغلون بالقضاء وتوابعه . بارك الله للأستاذ المؤلف في وقته وزاده نشاطا وإنجازا .

تحذير من كتاب

ظهر في سوق القاهرة كتاب انجليزي مدرسى عنوانه :

A short History of Islam and Islamic Egypt.

أى التاريخ الوجيز للإسلام ومصر الإسلامية ، واسم مؤلفه (م . توفيق) ولما كانت بعض البلاد الإسلامية غير العربية في حاجة إلى كتب مدوسية باللغات الأجنبية عن التاريخ الإسلامى ، وإذا كان مثل هذه الكتب صادرا عن مصر فإنه يقع منها موقع الثقة والرضا ، فقد أقبل فريق منهم على اقتناء هذا الكتاب لتعليمه لأطفالهم ، ثم اصطدموا بما يزلزل هذه الثقة إذ اطلعوا في صفحة ٩ منه على ما يدل على جهل أو سوء نية في دهوى أن « إرادة الله أن العقيدة الجديدة يجب أن تنشر بالسيف » وفي صفحة ١٣ منه على أن القرآن كان يوحى إلى النبي صلى الله عليه وسلم في أحلامه ورؤياه . وكأوا يظنون أن المؤلف م . توفيق هو صاحب جريدة البريد الإسلامى ، وبعد البحث تبين أن المؤلف مرقص توفيق ، وكان يفبغى له أن يكتب اسمه على الكتاب كاملا ليعرف الذين يقتنون تاريخ الإسلام لا بنائهم أن المؤلف أجنبي عن الإسلام فيكونوا من أمره على بصيرة . وقد نهينا إلى ذلك الأستاذ راشد رستم فشكرا له ، ولعل الجهات التى يعنىها هذا الأمر تتخذ الوسائل لمنع الانخداع بمثل هذا الكتاب .

الأدب والعلوم

مناهج الدراسة في الأزهر

الإسلامية ، والأعلام الذين جددوا حيوية الإسلام في نفوس المسلمين ، والباطال الذين أنشأوا التهضات والحركات الإصلاحية في تاريخ الإسلام .

وفي مواد الأدب والتحو والصرف ألقيت الأبواب الممقدة والتي لا تمت إلى الحياة بصلة ، وأضيفت الموضوعات الحية الحساسة المنصلة بالمجتمع . وستدرس في الأزهر المذاهب الأدبية الحديثة بالمقارنة مع مذاهب الأدب القديم .

رسالة التربية

بجل السيد الصاغ كمال الدين حسين وزير التربية والتعليم حديثاً أذاعه على أعضاء أسرة التربية والتعليم لمناسبة بدء العام الدراسي ، ومما قاله فيه :

إن رسالة التربية تتناول كيان الفرد ، وتصقل معدنه ، وتجلو جواهره ، وتخلق منه إنساناً يعيش لفهمه - كما يعيش لنفسه ، ومى بذلك كله : تربية وتكوين قبل أن تكون تعليماً وتلقيناً ، وأساسها روح فاضلة ، وخلق

اتسعت دائرة التجديد في مناهج الدراسة بالأزهر فتناولت « الأصول » من هذه المناهج وشملت الدراسات جميعاً بحيث يمكن اعتبار المناهج المعدلة مناهج جديدة .

وأهم ما روعى في ذلك وصل الدراسات الأزهرية بالحياة ، وتخليصها من الأبواب المعقدة ، والأمور التي تتصل بالفروض البعيدة ، كي تتناسب مع التطور الجديد للدراسات والمجتمع في العهد القائم .

وكانت مادة الفقه من المواد التي أدخل عليها تعديل كبير وتجديد واسع النطاق ، فقد أضيفت إليها دراسة أعمال الشركات والبنوك والأسهم والسندات وكل ما يتعلق بهذه النظم الاقتصادية المتبعة السائدة الآن في المجتمع المصري ، بحيث تدرس هذه النظم على ضوء حكم الشريعة الإسلامية فيها ، بعد أن كانت بعيدة كل البعد عن دراسات الأزهر .

وأدخلت تعديلات كبيرة على مناهج التاريخ فأدمجت فيها دراسة الحركات

المخطاط محتوى الاستشراق

دلت المأزلات التي وقعت في مؤتمر
المستشرقين المنعقد في أواخر شهر أغسطس
الماضي بمدينة كبرديج على أن الاستشراق
أخذ ينحط عن مستواه العلمي السابق بمن
انبت فيه من يهود مغرضين، وروسيين
جاموا لبث الدعايات الرخيصة . ويقول
بعض الذين شهدوا المؤتمر : لقد كثرت الأعضاء
اليهود الذين جاءوا من مختلف البلدان يعملون
في قلوبهم التعصب الإسرائيلي المنافي لأخلاق
العلماء ، وقد زعم أحدهم أن قصر الحمراء
الذي شيده ملوك دولة بني نصر في غرناطة
هو من صنع اليهود ، ولما نوقش اليهودي
السخيف في دعواه تبين أنه يعلى قوله من
وحي الخيال مدفوعا إلى ذلك ببسطة
التعصب . أما مهزلة المأزلات التي أبيع لها
أن تمثل في مؤتمر المستشرقين الأخير فهي
أكاذيب موسكو على تاريخ صدر الإسلام ،
وادعاء أن وسيلة الكذاب كان له تأثير مباشر
في آيات القرآن ، وأنه كان من قبل أسنأذا
ثم حليفا لحاتم رسل الله ، إلى غير ذلك من
السفاه التي تحول بها مؤتمر المستشرقين
إلى بيئة لا يليق بمن ينسب إلى العلم أن
يتعارف معها .

كريم . بناؤها شخصية متينة ، وإدراك سليم
والتليذ أو الطالب في سنه المبكرة مرآة
صافية صادقة ، تعكس في وضوح صورة
المربي سواء في المدرسة أو البيت ، وتنفذ إلى
أغوار نفسه ، فيتمثلها وينساق وراءها .
وهو حين ينمو فكره وتسمو روحه ويقوى
جسمه ، تكون صورة أستاذه ومربيه قد
انطبعت في كل عناصر كيانه . لقد آن لنا
أن نطلق نفوسنا لتؤدى رسالتها في تحقيق مجد
للوطن وعزته ، وليثق كل منا في أخيه ،
وليعطه الفرصة للإبتكار وإظهار النبوغ .
ولنتعاون جميعا ، مبرئين أنفسنا من شر
الطائفية البغيضة أو الحزبية الممقوتة ، عاملين
بإخلاص لوجه الله ، ولإسعاد الأمة وإعلاء
شأن الوطن .

علماء العصر

في معهد الإسكندرية الديني
رأت مشيخة المعهد الديني في ثغر
الإسكندرية أن تقرر توحيد الزي لجميع
طلاب المعهد ، على أن يلبس الطالب العمامة
والحكاكولة (الجبة) المصنوعة من الصوف
المصري . وستعمل المشيخة على مراعاة ذلك
والثبديد على الطالب بارتداء هذا الزي
داخل المعهد وخارجه . وستأخذ إدارة
المعهد الإجراءات المشددة ضد من يلبس
زيًا مخالفا لهذا الزي .

إنباء العالم الإسلامي

شعارها : « القرآن دليلنا والنبى محمد ﷺ زعيمنا » .

الاستعمار اليوم قمامى

روى الأستاذ السيد علال الفاسى رئيس حزب الاستقلال المراكشى أن الظروف جمعه — وهو فى منفاه براسفيل عاصمة الكونغو الفرنسى أثناء الحرب العالمية الأخيرة — بشخصية دبلوماسية انجليزية وشخصية استعمارية فرنسية ، وكان الحديث يدور عن الأسلوب الاستعمارى الذى تتبعه فرنسا فى مراكش ، فالتفت الدبلوماسى الإنجليزى إلى الموظف الفرنسى الكبير وقال له :

إن سياستنا العربية نجحت كثيرا لأننا نعرف بمبدأ الاستقلال للشعوب ، ولأننا نحفظ بنفوذنا المعنوى على ملوكها وذوى الزعامة فيها . اقتدوا بنا إذن ، فاعترفوا للراكشين بالاستقلال ، وضعوا يدهم على (السلطان) و (المفكرين) المخاربة .

باريس — تل أبيب

تلقت الجمهورية من باريس أن الاتفاق تم بين فرنسا وإسرائيل على تنسيق سياستهما فى البلاد العربية بحيث تقوم الهيئات الفرنسية

جمعية دواية للشبان المسلمين

اتخذت التدابير فى كراتشى عاصمة باكستان لعقد أول جمعية دولية للشبان المسلمين بعد شهرين ، ويأمل المشرفون على تنظيم هذه الجمعية أن يبنوا (مدينة شبان) فى كراتشى تتسع لنحو ثلاثمائة مندوب يفدون من جميع ربوع العالم الإسلامى . وينتظر أن يفتتح رئيس وزراء باكستان هذه الجمعية التى تستغرق اجتماعاتها مدة أسبوع .

وينتجه التفكير إلى إقامة معرض للثقافة الإسلامية — بهذه المناسبة — تعرض فيه الأعمال التى حققتها المسلمون فى الأربعة عشر قرناً الماضية ، وما ساهموا به فى تطور الحضارة الإنسانية . وستستخدم وسيلة جديدة لاستعراض التاريخ الإسلامى إلى يومنا هذا إما بكتابته على قرطاس ملفوف من الورق أو القماش أو السيلولويد .

وسيعقد اجتماع عالم تبحث فيه « المبادئ الإسلامية الحية » ، و « دور الإسلام فى مستقبل العالم » .

والجمعية ترى إلى تحقيق وحدة قائمة على العقيدة الإسلامية الراجعة فى خدمة الإنسانية ، وأن يكون رحمة للبشر ، وسيكون

هذه البقعة من العالم ستنفجر بعنف لا يعرفه إلا الإفريقيون .

وكتب ولیم دو جلاس مقالة في مجلة (لوك) الامريكية بعد رحلة قام بها حول العالم ، فاتهم الفرنسيين بالزعة الاستعمارية ، وبارتكابهم جرائم القتل بالجملة في شمال إفريقيا ، وعلق على ذلك بقوله : إن رمز الحكم الفرنسي في مراکش هو الكرباج . وحذر دو جلاس الفرنسيين من أن تقلب مراکش إلى هند صيفية أخرى إذا هم لم تحدث تغييراً سريعاً في الوضع الراهن .

المسلمون في هندستان

أقر مجلس الشعب بالبرلمان الهندي مشروع قانون يقضى بنزع ملكية أملاك المسلمين النازحين عن الهند للتعويض منها على النازحين الهنود من الباكستان الغربية . وقبل أن يفرغ المجلس من مناقشة مشروع القانون أبدى مولانا حفظ الرحمن السكرتير العام للجمعية علماء الهند ملاحظة لفت بها أنظار إخوانه أعضاء المجلس إلى أن بعض الخطب التي أُلقيت في المجلس خلال هذه المناقشة كانت معادية للمسلمين . وما كاد يبدى هذه الملاحظة حتى هبت عليه عاصفة من الاحتجاجات اضطرت معها إلى قطع كلامه ، محتجا على أنه لم يسمح له بالاشتراك في هذه المناقشة ولو لمدة دقيقتين فقط .

المختلفة في كل بلد عربي بمراقبة الحالة لحساب إسرائيل ، وعلى تقديم معونة عسكرية فرنسية للجيش الإسرائيلي وأن تقدم إسرائيل لفرنسا خلاصة خبرة اليهود في مكافحة عرب فلسطين لتستفيد فرنسا من تلك الخبرة في أعمالها الإرهابية ضد شعوب شمال إفريقيا . وقد زار رئيس أركان حرب إسرائيل باريس بدعوة رسمية من الحكومة الفرنسية وتمت اجتماعات بينه وبين كبار موظفي قسم أفريقيا والشرق الأوسط بوزارة الخارجية الفرنسية .

ووصل إلى باريس الكونيل هيكابي نائب مدير المخابرات الإسرائيلية ليضع خبرته تحت تصرف المسؤولين عن إدارة سياسة شمال إفريقيا والمسؤولين عن إدارة سياسة فرنسا تجاه العالم العربي .

ومن المعلوم أن رئيس الوزارة الفرنسية منديس فرانس يهودي ، ومن حوله بطانة يكثر فيها العنصر اليهودي وأكثرهم من المحررين اليهود في جريدة « اكسپرس » لسان حال منديس فرانس .

قاصد أمريكي

يحكم على الاستعمار الفرنسي في المغرب في برقية من نيوبورك أن ولیم دو جلاس قاضى المحكمة العليا الامريكية صرح بأن فرنسا إذا لم تغير سياستها في مراکش فإن



السيد الرئيس جمال عبد الناصر وفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج والسيد وزير التربية والتعليم
في احتفال الأزمري الذي أقيم إبتهاجا باتفاقية الجلاء وتكريما للسيد الرئيس والسادة قادة الثورة

الكلمات

التي أقيمت في احتفال الازهر الذي أقيم بقاعة المحاضرات الكبرى
ابتهاجا باتفاقية الجلاء

الآزهر يحتفل بالجللاء

تحرير الأوطان الإسلامية ، وتقويم أخلاق المسلمين ، وإصلاح مرافق الوطن الإسلامي ، وتعميم العدالة الاجتماعية ، كل ذلك من رسالة الإسلام ، وكان الأزهر دائماً في طليعة العاملين في هذا السبيل ، فلا غرو أن يحتفل الأزهر بهذا الحادث التاريخي العظيم ، حادث الجللاء ، لأنه من العاملين السابقين لتحقيقه ، ولأنه من ثمرات أمانيه .

وقد تجلّت هذه المعاني كلها في الحفل العظيم الذي أقامه الأزهر في مساء الاثنين ٢٧ صفر . وقد أسهب الصحف اليومية في وصف جلال ذلك الحفل الذي كان مؤتمراً ، وكان مجلس يعة ، وكان كسوق عكاظ بلاغة ما قيل فيه ، وسمو الأهداف التي كان يرى إليها .

كلمة فضيلة الأستاذ الأكبر

وقد بدأ الحفل بتلاوة آي الذكر الحكيم . ثم وقف فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر فألقى الكلمة التالية :

حضرة السيد الرئيس ، حضرات السادة قادة الثورة ، إخواني ، أبنائي

أشكر لكم جميعاً - باسم رجال الأزهر وباسمى - كريم تلييتكم دعوتنا لشهود هذا الاحتفال ، الذي يتيح لنا أن نؤدى للبطل العظيم « جمال عبد الناصر » ولإخوانه الضباط الأحرار قادة الثورة ، بعض ما يجب لهم من عظيم التقدير ، وخالص معاني التكريم ، على ما جاهدوا وصبروا ، وعلى ما كاثفوا وناضلوا ، وعلى ما تهاقدوا وعاهدوا الله عليه ، أن يقدموا أنفسهم ضحايا في سبيل تطهير البلاد ، من عوامل الانحلال ، وعناصر الفساد ، وتخليصها من يد المحتل الذي تسلط عليها ، بمختلف قواته المادية ، وأنواع حيله ومكايده السياسية ، مدة اثنتين وسبعين سنة كاملة .

احتفال الازهر بالجلاد

نفوس كبيرة ، وأرواح غالية ، تلك التي يحملها الأحرار قادة الثورة . لكنهم - في سبيل
جد الوطن وعزة أهله - قد استصغروها واسترخصوها ، فاندفعوا بقوة إيمانهم وإخلاصهم ،
ليقدموها فدية زكية ، وهبة سخية ، وليدفعوها عاجل ثمن ، لخلاص الوطن ، ثمن ليس مما يعد
التعامل به في مساومات الناس في هذه الحياة ، وإنما يعرفه الأحرار المخلصون الذين يبيعون
أنفسهم لله .

تعاقد هؤلاء الأحرار ، وعاهدوا الله على أن يقدموا أنفسهم فداء لوطنهم . لكن الله
العلی الكبير ، الرؤوف الرحيم ، الذي يعلم حاجة مصر إلى الأحرار المخلصين ، ولا سيما
في تلك الآونة العصيبة ، التي استحكمت فيها حلقات الشر والظلم ، واستشرت فيها ألوان الفتنة
والفساد - قد حفظ لها حياة هؤلاء الأحرار من أبنائها ، ليعيدوا لها استقلالها ، ويحلوا المحتلين
عن ديارها ، ويقبلوها من عثرتها ، وينهضوا بها من كبوتها .

وقد مكن الله لهم بقوة إخلاصهم ، وصدق عزائمهم ، أن يستخلصوا البلاد من أيدي
المحتلين ، من غير حرب ولا ضرب ، كما استنقذوها من الشر والبلاء ، بتلك الثورة البيضاء .
وكذلك نصر الله يؤتيه من يشاء ، والله عزيز حكيم .

استخلصوا البلاد كاملة موفورة ، بعد مارزحت تحت نير الاحتلال حقبة طويلة ،
لم يستطع فيها ساسة مصر وحكامها ، ولا زعمائها ورؤساء الأحزاب فيها - على اختلاف
مذاهبهم في السياسة ، وتنوع ألوانهم في طريقة الحكم - لم يستطيعوا أن يخلصوا بشيء لوطنهم ،
ولم يقدروا أن يقنعوا المستعمر بأنه أمام جبهة وطنية واحدة ، مجتمعة الكلمة ، صادقة العزيمة ،
مصممة على أن تكافح الباطل بماضى حقها ، وتصارع الظلم بمعدالة مطلبها ، وأنه لا شيء
يثنىها عن المضى في سبيلها ، حتى تدرك الغاية ، وتفوز بالنصر الذي كتبه الله للمخلصين .

نعم ، لم يستطع من تزعموا مصر ومن تقلدوا أمرها في تلك الحقبة الطويلة ، أن يقنعوا
المحتل الغاصب بذلك ، لأنهم - مع شديد الأسف - لم يكونوا في أغلب الأمر على شيء
من ذلك ، اللهم إلا في فترة قصيرة مرت بها سنة ١٩١٩ ، كانت مثلاً حياً يذكر للشعب
في الفداء والتضحية ، وفي قوة الكفاح والجلاد .

ونود هنا أن نتحفظ فنحفظ بين الأقواس شيئاً نرى أنه لا يحسن أن نغفله ، وأن نمر
من غير إشارة إليه ، ذلك أننا لا ننكر تلك الجهود الفردية ، العظيمة الخالدة ، التي بذلها

احتفال الأزهري بالجلال

الدعاة الأولون ، والمجاهدون السابقون ، ودعاة الوطنية الحققة ، الذين شرف بهم ، وتعطر بذكراهم تاريخ مصر الحديث منذ بدء الاحتلال . .

أما تلك الفترة القصيرة التي أشرنا إليها فهي التي زلزلت أركان الأرض ، ورجفت لقوتها طبائع الاستبداد ، وهتفت لها فرحا وطربا قلوب المستضعفين من أهل الأقطار ، التي بليت بما بليت به مصر من مصائب الاحتلال والاستعمار .

إجماع مصر على الكفاح في تلك الفترة ، واجتماع كلمتها على النضال والتضحية ، قد أخضع المستعمر على أن يسلم ويعترف بقوة إيمانها وحيويتها . وعلى أن يطأطيء لكباراً وإعظماً لصلابة وحدتها ، هذه الوحدة التي إن كانت عزلاء من قوى الحديد والنيرون ، فقد كانت مدرعة بقوى الاحتلال والمصاهرة ، وحمية الوطنية والإيمان .

فقد أكرهته هذه الوحدة على أن يطلق سراح المنفيين في جزيرة « مالطة » ، ويخرج المسجونين من محابس مصر ويحونها المضنية المتلفة ، ويفك عقال المعذنين في المعتقلات العسكرية في صحراء « سيدى بشر » المهالكة ، وأن يعيد هؤلاء وأولئك بمن قاموا بتلك الثورة من أبناء مصر المجاهدين إلى متنفس الحرية الفردية ، ولكن هذا ليس هو ما كانوا يبتغون ، وليس هو الذي من أجله كانوا يعملون ويجهدون .

وهكذا أدرك المحتل الفاضل أنه قد فشل في خطته وسياسته ، وأنه لا سبيل إلى إخضاع الأمة بالنار والحديد ، وبألوان التنكيل والتعذيب ، وأنه لا شيء يصرفها عن جهادها ، ويلهبها عن غايتها ، ما دامت على إيمانها ووحدتها .

أدرك المحتل ذلك كله ، فراح يدبر أمره على أن يحاربها بسلاح آخر أشد فتكا ، وأعظم هولاً ، ذلك هو سلاح التفريق ، وتغذية أسباب الخلاف ، وتفضيظ عوامل الحقد ، وتتمية عناصر التباغض بين القادة والزعماء .

وقد نجح في استخدام هذا السلاح ، وشق به أكثر من طريق إلى غاياته ، من التحكم في أمور البلاد وشؤون العباد ، فإنه لم تكن في نفوس الزعماء والقادة مناعة تفل هذا السلاح وتحطمه أو تبطل عمله ، لا بل كان الأمر على عكس ذلك . كانت قلوب هؤلاء الزعماء والقادة مستعدة للفرقة ، مهيئة أن تنمو فيها بذور الخلاف والشقاق .

احتفال الازهر بالجلال

وهذا هو السر في أني آثرت آنفاً التعبير عن عمل المحتل بأنه تنشيط وتثبي ، وتغذية وتمية لأسباب الحقد والكراهية ، والتباغض والعداء بين أولئك الزعماء ، فإنه قد يكون من الإسراف وعدم الإنصاف أن نقول : إن المستعمر كان دائماً يخلق الفقرة بين الزعماء خلقاً ، وأنه كان دائماً ينشئ الاحقاد في قلوبهم لإنشاء ، وأنه هو وحده الذي أوجد الاستعداد - بعد أن لم يكن هناك استعداد - للانصراف عن المصالح العليا الوطنية إلى المنازعات والخلافات التي كانت تغذيها وتهيمن عليها الأهواء الشخصية .

والخلاصة أنه فيما وراء تلك الفترة القصيرة ، فترة سنة ١٩١٩ ، كان أمر الناس خلافات بشعة ، ونزاعات شائنة ، استحكمت بها الشر ، وتشقت بها الجماعة ، وتمزقت فيها جهود الأمة ، وانصرف بها الزعماء والقادة عن شؤون وطنهم ، وشغلهم المستعمر عن نفسه بأنفسهم . تعددت الأحزاب بغير برامج ، وتفتت الحزب الواحد إلى عدة فرق أو أحزاب ، وكان كل حزب إذا صار إليه حكم البلاد يصرف كل جهوده للانتقام من الأحزاب الأخرى ، والقضاء على ما قد يكون فيها من وحدات صالحة ، حتى اضطلع أمرهم جميعاً ، وتضعفت قوة الشعب بأسره ، وهبط المستوى في جميع نواحي الحياة المادية والمعنوية ، الثقافية والخلقية والاجتماعية .

والجيش ! أين كان الجيش من تلك الرزايا والنكبات والأحداث الجسام ؟ أين كان جنوده ، وقواده ، وضباطه العظام ؟

أما القواد والضباط العظام فإننا في الحقيقة لا ندري أين كانوا وكيف كانوا ، ولا ماذا كانوا يصنعون ، وأما الجنود وضباطهم من أهل الرتب الدنيا والمتوسطة ، فقد كانوا مساكين ، لا حول لهم ولا طول ، كانوا مضرباً على أيديهم ، مغلوبين على أمرهم ، مجردين من معظم همتهم ، تحتويهم مساكنهم أو محابسهم ، معتقلين أو مراقبين في ثكناتهم ، تغل دماؤهم بحرارة الغيرة على شرف الجندية ، وشرف السلاح ، وشرف القيادة ، وواجب الوطن ، حتى أراد الله لهم أن تنزاح عنهم تلك الغمة ، وتزول عن قلوبهم تلك الشدة ، وأن يخرجوا من الضائقة ، بفضل الثورة المباركة ، فيشاركوا في الأخذ بأسباب النهضة ، وتكون بأيدي الجيش النظيف القوى مقاليد الأمور ، وأن يكون الجيش هو الذي يحمل راية الإصلاح والإنشاء والعمل النافع المجيد في المدينة والميدان ، وهذا توفيق كبير ، وفضل من الله عظيم ، وهو مصداق قول الله تعالى : « وعد الله الذين آمنوا وعملوا

احتفال الأزهر بالجلال

الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً ، يعبدونني لا يشركون بي شيئاً .

أيها البطل العظيم ! أحبيك وأحيي إخوانك قادة الثورة ، وأحيي فيكم هذه الخصال الثبيلة النابهة ، والصفات الجميلة الفاضلة : طيب القلب ، وطهارة الضمير ، ونقاء السريرة ، والإخلاص الدائم الوفي لحركة النهضة ، ومطالب الثورة التي قتم بها ، والتي جمعتم فيها عقيدة واحدة ، وصوبتم بها إلى غرض واحد ، ليس همكم فيه جمع مال أو التمتع بجاه ، إنما هو الغرض الأسمى ، أن تحيا مصر حياة العزة والمجد والكرامة ، وأن تعيش في ظل الاستقلال والاستقرار .

والآن - والحمد لله - قد مكنتم لها أمرها ، وثبتتم لها عزتها ، وأعدتم لها كامل استقلالها ، وحللتكم بذلك مشكلتها الخارجية التي استعصى على الزمان حلها ، فعليكم أن تعملوا على حل مشاكلها الداخلية ، وأن تسهروا في منهاج الإصلاح والإنشاء ، الذي بدأ نموه وقطعتم فيه ذلك الشوط العظيم بنفس الحزم وبذلك القوة ، قوة الإيمان وصدق العزيمة ، كي تهض مصر إلى المستوى الجدير بها والذي هي جديرة به ، والله معكم ، يؤيدكم وينصركم ، ويشكر لكم جهودكم وجهادكم : « يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » .

« ولينصرن الله من ينصره ، إن الله لقوى عزيز » .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ٢

أسباب الثورة

كلمة فضيلة الشيخ السبكي مدير التفتيش :

ثم وقف فضيلة الأستاذ الشيخ عبد اللطيف السبكي مدير التفتيش فألقى الكلمة الآتية
عن جماعة كبار العلماء :

اللهم أرنا الحق حقاً فنقبله ، وأرنا الباطل باطلاً فنجنبه .

سأدق :

قديمًا عرف الناس مصر وطن الفراعنة ، ومنار العلم ، وبلد المسكارة ، فلها من تاريخها
الصفحات المشرفة ، ومن ماضيها الذكريات المحيطة .

ولنما بنى مجدها ، وأصل تاريخها ، رجال عاشوا لها ، وجهدوا في إعلاء شأنها ، فكانت
مصر - بفضل الأوائل من بنينا - وطنًا مرموقًا بين الأوطان ، محمود الذكر في فم الدنيا .

ومنذ أشرقت شمس الإسلام على مصر ، أخذت حياتها الاجتماعية تنهج نهجاً أقوم ،
حتى أصبحت مصر - في عصرها الإسلامي - أكثر بما كانت أولاً : مطمح أنظار ، ومشرق
حضارة ، وملتقى علماء ، وحتى اعترف الشرق مطمحاً بأن مصر رائدة ، في قديمها وحديثها ،
وفي معارفها وفنونها .

كل ذلك بما أتيج لها من رجال آمنوا بها ، واعتزوا بمجدها ، ثم زادهم تدينهم
بالإسلام معرفة بالوطنية ، وقهماً للأخوة الاجتماعية ، واعتصاماً بها ، وحفاظاً عليها
من العصبيات ، ومن مطاوعة الدخلاء فيما يحاولون من الإيقاع والتفريق .

ولكن عادات الزمن لم تدع لمصر وداعتها ، ولم تترك لها هتافها ، فساقت إليها أخيراً
من أطراف تركيا شرادم دخيلة ، ومكنت لهم الأيام أن يحكموها ويتسلطوا عليها ، فعبثوا
بمجدها ، وزيفوا لأنفسهم تاريخاً على حسابها ، ونشأوا منا أجيالاً هزيلة ، لا تصلح لوطن ،

احتفال الازهر بالجلال

ولا تعترف بدين ولا خلق ، فاختلط في مصر الجدل بالهزل ، وراجت أباطيل السياسة ، والاتجار بالوطنية ، والإثراء على حساب الشعب ، من طريق الدجل والتفجير ، وأصبح للردائل - في أخفى صورها ، وأبشع أحوالها - دعاة وأنصار ، وندوات وجماعات ، واندمت الثقة ، وتقاذف الناس بالظنون والأراجيف ، وانطلقت السنة السفه ، وراجت نزعات الإلحاد ، وانطوى على نفسه من كانت له بقية من خلق ، أو كانت عنده أثارة من دين .

وكان مصر في عهدها هذا جعلت مقامها ، وتمسكت لماضيها ، والتفتت إلى حياة مازلة ، حتى تحثت رجال ، وترجلت نساء ، وانحرفت الأوضاع ، ويئس من دعوة الخير مصلحون كشيرون ، وظنوا أن مصر أصابها نكسة اجتماعية ، دفعت بها إلى هاوية ليس لها من قرار .

ولكن كأن نداءً علوياً يهتف من سماء مصر : حنانيك أيها الجازع مما رأيت ، اليائس مما رجوت ، فإن في السويداء رجالا ، وفي جيش مصر أسودا وأشبالا ، ولا يحزنك أن مصر غابت على أمرها ، وسيقت في غير طريقها ، فإنما هي في صمتها تمهل العابثين فيها ، والخائنين لعهدا ، حتى إذا أخذتهم لم تفلتهم ، وإذا حبست في وجههم لم تعد تضاحكهم .

وعيب على مصر — وفي جيشها أبطال ورثوا نخوة العروبة ، واقتبسوا من عزة الإسلام — أن ترضى عن يستبد بها ، أو تعفو عن يخيس بعهدا ، وتلتوى مع من يحاول لإفسادها والتفجير بها ، أو النيل من حقوقها .

هذا هاتف السماء تصنى إليه القلوب الماطمئة باقه وبالوطن ، فينجاب عنها اليأس ، وينتشم فيها الأمل ، وتنفض إلى الغايات المنشودة .

وها هي مصر تفجأ العالم بثورتها الفتية ، وتعلن في الدنيا صرختها المدوية ، ونشهد التاريخ على أنها إذا اتسمت لواقف عليها ، فكرما منها لا مداهة ، وإذا أمهلتها فخلما ولا ملاءمة ، حتى إذا غره كرمها ، وأغراه حلها ، وواطأ الأجنبي على المسكر بها ، فله منها ثورة الأسد في غضبته ، وزئيره في ثورته ، ورددت في الخائفين : أبعادوا عن وادي النيل أولئك الدخلاء النازحين ، وعلوهم أن مصر للصريين .

احتفال الأزهر بالجلال

سادق:

إذا كان في الحاضر ذكريات للماضي ، فإن الثورة المصرية لمن أصدق الذكريات
للدعوة الإسلامية أول أمرها .

ذلك أن الحياة اضطربت في مصر كثيرا منذ خيمت عليها ضلالات الاسرة العلوية !!
وجرفنا تيار خطر لا يتفق مع بيئتنا ، ولا هو في أصله من تقاليدنا ، حتى تخرجت الصدور ،
وضاقت الانفاس ، لتغلغل الفساد .

ثم كانت بارقة أمل كاذب ، حسبتها يسرا بعدد عشر ، يوم تفاءلنا بعد فاروق ،
وما لبثنا أن رأيناها خدعة من خدع الزمن الماكر ، وزلة من زلات الحظ العاثر .

وهنا ناجى الاتقياء ربهم من جديد ، أن يحنب مصر ما وراء ذلك ، وأن يفرج عنها
كربتها ، ويخرجها من محنتها ، فكان موقف الشعب يومئذ أشبه بموقف العرب يوم تغلغل فيهم
الفساد ، حتى ضجرت منهم نفوس خيرة ، وتعلق أملمم بالسماء ، فاتجهوا إليها بالرجاء ،
أن تدركهم برحمتها عما يحيق بهم .

والله أرحم بالجماعات القابلة للإصلاح أن يتركها في حيرتها ، تتمثر في مفاتن الشيطان ،
وتتساقط وراء مجرميها في مهابط الرذيلة .

فكان من رحمته أن هيا مصر - وهي وطن إسلامي - نخبة من أبطال جيشها ، تملككتهم
الغيرة القومية ، وجاشت في صدورهم الوطنية ، وقويت فيهم الحساسية بما تحسه مصر ، فكل
منهم يسمع في دخيلة نفسه أنين مصر من آلامها ، وعثها على أبنائها ، ودعوتهم سراعا إلى
إقالتها من عثراتها ، فتجاوبت قلوبهم ، واتحدت عزائمهم ، واستمدوا من هدى الرسالة
المحمدية ما أوضح لهم السبيل ، وحبب إليهم التضحية ، وكان لهم من حسن الوفاء ، وصادق
العهد ، وتنام الإيمان ، ما هون عليهم الصعاب ، ودفع بهم إلى الغاية النبيلة ، فصرخوا
صرخة مدوية في جوف الليل : (ليك ليك يا مصر) وكان لهم من جانب الله تأييد
وتوفيق وتسديد .

احتفال الأزهر بالجلال

وفي هذا المحاضر الجديد ذكرى للداضي البعيد ، والله يعلمنا بها أنه ينصر الحق على أيدي
المحقين ، وأنه لا يهدى كيد الخائنين .

فشكرنا لله أن نهتف من قلوبنا مخلصين : حيا الله رجال الثورة ، وأبقاهم لمصر حراسا
أمناء ، ومصلحين أكفاء .

والسلام عليكم ورحمة الله ؟

عيد الجلاء

وتلاه فضيلة الأستاذ الشيخ حسن جاد المدرس بكلية اللغة العربية ، نألقى هذه القصيدة العصماء :

سنا بجره المأمول لاحت بواكره	وهزت دجوع المشرقين بشأره
أطل على ليل الحيارى وأشرقت	على ظلمات اليأس غراً منأره
وخف إليه الدهر يرهف سمعه	ويرحم ركب النور فيمن يسأره
وطالعت النيل السعيد بصبحه	منى طالما جاشت بهن خواطره
ترف بها بشرى الجلاء وعيده	فترقص في شطيه نشوى أزاهره
وتعتق الادواح فوق ضفافه	عرانس واد جن بالحسن سامره
على لهوات الطير من صبواتها	طرائف شدو أبدعتها حناجره
هو النيل والبشرى استخفت وقاره	ترنج عطفاه وجاشت هوادره
وما فاض في شطآنه غير فرحة	تضيق بها يوم الجلاء سرائره
وما هو ماء ما يفيض وإنما	عواطفه جياشة ومشاعره
ثوى في قيود الدل سبعين حجة	يكاتم غيظاً أو تتور نوائره
وصابر الاستعباد مستأسد المنى	يؤمل يوماً أن تقال عوائره
تداركه بحر الخلاص يمنه	فصحت أمانيه وقرت نواظره
فن رام الاستقلال فليشهد الحمى	تغنت به أريافه وحواضره
ومن ضاق بالأغلال فالقيد حطمت	سلاسله والغل قُدت مكاسره
ومن ضل في ليل المظالم سعيه	فقد هتكت أستاره وسنأره
ومن سره أن يشهد البعث مائلا	فهذى معانيه وتلك مظاهره
ومن شاقه يوم الجلاء وعيده	فهذى مجاليه وتلك مناظره
كنى يومه أن الزمان بأسره	أوائله يحمدنه وأواخره

* * *

دعى الله للوادي جمالا وصحبه أسوا جرح وادى النيل فالنام ناغره

احتفال الأزهر بالجلال

لقد صيروا حلم الجلال حقيقة	وكان سراباً يخدع العين ظاهره
وكان لتجار السياسة مغنا	على سوقه السوداء قامت متاجره
وكم من ندَى كان قصةً لهوره	يردها مخوره ومقاهره
فساد وظلم وانحلال ونكسة	أصيب بها الوادى فضلت مصائره
وما كفى الاخلاق حصن لامة	إذا نكبت فيه فاذا تمأذره ؟
وقد ينهض الشعب الجريح بروحه	وليس يقوم الشعب طانت ضمائر
تدارك رحمن السماء مصيره	وطاحت بعرش الظالمين مقاديره
مضوا يتساقون التندامة علقما	وباموا بشؤم طار بالنحس طائر
وأضحى كناس النيل غاباً بمنعاً	تُهاب بوازيه وتُخشى قساوره
صناديد راع الظلم بأس زئيرهم	فزول مغناه ودكت مقاصره
هى الثورة البيضاء ما شابهها دم	ولا فارقت غمد الكى بوازره
لقد بعثوا من ردة الموت وادياً	أعدت له أكفاته ومقابر

خلل هراء المرجفين فاثى	أخا المزم يوماً جاهد الفضل ناكه
وقل للذى تعشيه أضواء نهضة	مضى ليلى الداجى وولت دياجره
سرت فيه بغدادية المزم قادهما	إلى النصر ماض معجز الصنع ساحره
يمت الخطا للجد موكب نورها	ويدفعه قلب الحى ويؤازره
سينى فلا يثنيه هدم معوق	ويمضى فلا يلوى على من يكابر
ومن يجعل الإخلاص رائد عزمه	إلى رفعة الأوطان فائقه ناصر

■ * ■

بنى الشرق هذا الغرب ضل ضلاله	وأعمته أطماع تظل تساوره
ودان بشرع الغاب بغياً وشرّة	فضلت عن الحق القويم بصائر
يمسد أساليب الفناء بعلمه	هل العلم أن يفنى من الكون عامره ؟
لقد عزه فى الشرق قوة روحه	فراح بأنواع السلاح يفسخره

احتفال الأزهر بالجلال.

إذا العرب الابداد فيه توحدت صفوفهمو عادت أمانا مخاطره
وهذا زمان ليس فيه لأعزل مكان ولا يصنى لشكواه قاهره
فما ينفع المفلوب منطق حقه ومنطق سفاك الحقوق بواتره
إذا الذنب لم يسمع لغير ضراعة من الحل الواقى فما هو عاذره
هو الحق لا يعطى لذلة طالب ولكن إذا ضجت غضاباً كواسره

* * *

أسود الخى حياكم الأزهر الذى يكبر للبشرى ويهتف شاعره^(١)
به مشعل النور استفاض على الخى سناه وجاب المشرقين مسافره
ومن ساحه شب الجهاد نحوطه شريعة حق ما تزال تقاوزه
تمائل للبعث الجديد وقد صحت أمانيه واهتزت رجاء منابره
ألح عليه السقم من طول يأسه وشقت من الحرمان مآل مراره
وأوهن عهد الظلم بأثر شيوخه وكان أعز المالكين يحاذره
أنفساء مصر وهى تفخر باسمه وبذكره بالقول لا الفعل ذا كره ؟
وتمنع دون الجامعات حقوقه ونعطى كما شئت مناسها نظائره ؟
إذا ما شكا قالوا : عهدناه قائماً تقشفه فى العيش تروى مآثره
وإن ضاق بالحرمان قيل له اتشد وعمله بالزهد من لا يصابره
أليس لنا حق الحياة كغيرنا ؟ وأين سبيل العدل إن جار جائره ؟
مضى عهد تفريق الطوائف وانقضى وراح زمان الظلم لا عاد غابره
وأدركه عهد المساواة نصفاً فهل يرتجى فى ظله اليوم كادره ؟
متى تنصفوه تنصفوا خير معهد موارده بمحودة ومصادره
وإن تُهضوه تهضوا بمحاكو وبزهى على الماضى ويعتز حاضره

(١) فى هذه الآيات تصوير لحال الأزهر فى عهد الفساد ، من إهدار كرامته ، والاستهانة بحقوقه ، وامل فى للمهد الجديد الذى ينهض بتحقيق البرة والكرامة لأبناء الوادى .

كلمة السيد الرئيس

سم نهض السيد الرئيس جمال عبد الناصر وسط الهتاف المدوي فقال :

إخواني ورجال الأزهر

أحييكم ، وأعبر لكم عن سعادتي في هذه الفرصة التي جمعتنا للاحتفال بجلاء قوات الاحتلال عن أرض الوطن في رحبات الأزهر .

وفي هذه المناسبة العظيمة لا يسعني إلا أن أذكر لهذا الأزهر جهاده على مرّ السنين ، فقد حمل الأزهر دائماً الرسالة ، ولم يتخلّ مطلقاً عن الأمانة ، وكافح كفاحاً مريراً في سبيل الحصول على أهداف الوطن ، وقام رجاله ، وعذبوا ، وقتلوا ، وشرّدوا ، واقتحم المحتلون الأزهر ، فلم يتوان عن المطالبة بحقوق الوطن ، واستمر الأزهر يحمل الرسالة حتى ملها للجيش ، وإلى عرابي الذي قام متسلحاً بروح الأزهر المعنوية إلى جانب القوات المسلحة يطالب بحقوق البلاد .

وعندما وطئت أقدام المستعمر أرض مصر ، حاول بكل قواته أن يقضي على رسالة الأزهر ، كما حاول القضاء على الجيش وقوته ورسالته ، ورغم هذا استمر الأزهر على مرّ السنين يكافح ...

ففي ثورة سنة ١٩١٩ حمل الأزهر العلم ، وقام بأداء الرسالة والأمانة مرة أخرى . وعمل المستعمر على تفريق الشعب شيعاً وأحزاباً ، وعلى تحطيم الجيش وفصله وفصل الأزهر عن الوطن .

واليوم ، وبعد أن قامت الثورة ، أقول لكم :

عليكم حل الرسالة والأمانة مرة أخرى ، فإن أمامنا عملاً شاقاً طويلاً ، وهذا العمل يطالبكم بأن تجاهدوا من أجل الأهداف الكبرى التي كافح من أجلها السابقون ، ورجال الأزهر على طول السنين .

احتفال الازهر بالجلال

إن الوطن يطالبكم بأن تحملوا الرسالة ، رسالة المحبة ، رسالة الدين ، رسالة الإخاء والمعرفة . إن الوطن يطالبكم بأن تنشروا بين ربوعه أن الدين محبة ، لا تمصب ولا إرهاب .

إن الوطن يطالبكم بأن تقولوا بين أرجائه : إن الدين تعاون : لا فرقة ، ولا بفضاء . يطالبكم بأن تنشروا في كل مكان تحلون فيه روح الصداقة والحب والتعاون ، وبهذا نستطيع أن نقول : إن الازهر يمشي في القيام بالرسالة التي حملها الأولون ، وبأداء الأمانة مرة أخرى لعزة الوطن وكرامته وحرية . والسلام عليكم ورحمة الله ؟

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ	
مَجَلَّةُ الدِّينِ الْخَطِيبِ	
الْإِشْرَاقُ السَّنَوِيُّ	
مَكْتَبُ	
فِي وَادِي النِّيلِ	٤٠٠
طَبِيعَةُ وَادِي النِّيلِ	٤٠٠
لِلْمُعَلِّمِ وَالْمُتَعَلِّمِ بِالْوَادِي	٣٠٠
فَهْرَسْتُ الْمَوَارِثِ	٥٠٠
لِلطَّبِيعَةِ فَهْرَسْتُ الْوَادِي	٣٠٠
لِلْمُعَلِّمِ وَالْمُتَعَلِّمِ فَهْرَسْتُ الْوَادِي	٤٠٠

مَجَلَّةُ الدِّينِ الْخَطِيبِ

مَجَلَّةُ دِينِيَّةٍ عَامِيَّةٍ جَامِعَةٍ

تُصَدَّرُ عَنْ مَشِيخَةِ الْأَرْهَابِ مَرْتَيْنِ فِي كُلِّ شَهْرٍ عَرَبِيٍّ

مُدِيرُ الْمَجَلَّةِ	
عَبْدُ اللَّهِ طَيْفُ السُّبُحِيِّ	
عُضُوٌّ مَعْنَاكَ الْيَلْمَاءُ	
لِلْعُنُودِ	
إِدَارَةُ الْجَامِعِ الْأَرْهَابِ بِالْقَاهِرَةِ	
تَلْبِغُونَ ٤٦٤١٤	
عَمَلُ السَّنَةِ ٢٠ سَلَامًا	

الجزءان { القاهرة في ١٦ ربيع الأول ١٣٧٤ - ١٢ نوفمبر ١٩٥٤ - المجلد السادس والعشرون
الحامس والسادس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مولد رسالة

خمسائة مليون من البشر يحتفلون الآن بمولد إنسان مضى على يوم مولده ١٤٢٧ سنة قريية ، وما كانت هذه السنين الطويلة لتقص من علاقتهم به ، ومحبتهم له ، واعتباطهم بالانتماء إليه ، وضراعتهم إلى الله عز وجل أن يحشرهم تحت لوانه يوم تبيض وجوه وتسود وجوه .

إنه إنسان ، إنه ابن امرأة من قريش كما قال هو ﷺ عن نفسه . لكنه امتاز على كل إنسان ، وعلى كل ابن امرأة من نساء قريش ، بأنه حل إلى الإنسانية آخر رسالات الله وأكملها ، وقد حاول كل من كان يحمل رسالة من رسالات الله أن يربي للإنسانية جيلا كالجيل الذي رباه محمد بن عبد الله ﷺ فلم يبلغوا في ذلك شأوه . وكنت قد تحدثت عن ذلك في مقال : الجيل المثالي ، على صفحات هذه المجلة في جزء جمادى الآخرة من سنتها الماضية فأغنى ذلك عن الإطالة به الآن .

وإنما كان الجيل الذي رباه محمد ﷺ جيلا مثالياً لأن الصحابة رضی الله عنهم كانوا كلما نزلت آية من القرآن يخلق من أخلاق القرآن ، أو حكم من أحكام القرآن ، أو توجيه من توجيهات القرآن آمنوا بأنها نزلت ليعملوا بها . بذلك كانوا مسلمين ، وبذلك كانوا خير أمة أخرجت للناس ، وبذلك كانوا قدوة للأمم التي اتصلوا بها ، فعرفت قدر دينهم وفضلهم على الأديان ، بما رأت من آثار هذا الدين في أخلاق أهله وأحكامهم وإنجازاتهم .

إن العمل بعناصر الرسالة المحمدية هو الذى أبرز جمالها ، وأبان عن مواطن الحق والخير فيها ، فعرفت الإنسانية أن ذلك هو الذى كانت تفشده ولا تجده ، ثم وجدته بعد طول شوقها إليه ، وبذلك دخلت شعوب الأرض فى الإسلام ، وبسبب ذلك قام هذا العالم الإسلامى ، وبفضل ذلك صار عددنا فى الأرض خمسمائة مليون من البشر .

إن محبتنا لصاحب هذه الرسالة صلوات الله وسلامه عليه لا تزال كحبة أجدادنا وأسلافنا ، ولكن عملنا برسائله طرأ عليه الضعف ، لأن التعليم الاستعمارى ، ووسائل التأثير على عقولنا ونفوسنا وقلوبنا — الطارئة علينا من الخارج — قد باعدت ما بيننا وبين أخلاق القرآن وأحكام القرآن وتوجيهات القرآن ، وبذلك اختلفنا عن أسلافنا ، بل بذلك تناقضنا فى محبتنا لسيدنا محمد ﷺ وتقصيرنا فى العمل برسائله .

الرسالة المحمدية عامة شاملة للعصر الذى بعث فيه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ولعصرنا هذا ولما بينهما ولما بعدهما ، فهو مبعوث إلينا كما كان مبعوثاً إلى أبى بكر وعمر وعثمان وعلى وسائر إخوانهم من أفراد الجيل المثالى . وفى استطاعة كل واحد منا أن يلتحق بجيل الصحابة إذا استطاع أن يتخلق بأخلاق الصحابة ، وأن يعمل بعمل الصحابة ، وأن يكون وفيّاً للرسالة المحمدية كوفاء الصحابة لها وجهادهم بعقولهم وأرواحهم وأموالهم وأنفسهم فى سبيل ظهورها وتعميم العمل بها .

إن خير ما نتخذه به فى ذكرى مولد صاحب الرسالة العظمى صلى الله عليه وسلم لإحياء رسالته والعمل بها والتخلق بأخلاقها من الصدق والأمانة والتضحية والتعاون والإيثار والاعتدال والاقتصاد والرحمة ، ووضع الأشياء فى مواضعها ، واستعمال نعم الله فيما خلقت له . وقد أكون أنا وأبناء جيلي أقل اقتداراً على ذلك من فتيان الإسلام والشباب المحمدى ، فإنهم فى مستقبل الحياة والقوة ، وفى استطاعتهم أن يمرنوا مواهبهم على مثل ما فعل أصحاب رسول الله ، ليلتحقوا برفقة أصحاب رسول الله . فإن وطنوا النفوس على ذلك كان هذا أعظم ما يحتفلون به فى ذكرى المولد النبوى الشريف ، والله الموفق .

محمد الربيع الخطيب

لماذا لم نترجم القرآن؟

المسلمون دعاة القرآن .

ولما خرجوا من أرض القرآن قبل أربعة عشر قرناً ، استطاعوا في عشرات قليلة من السنين أن يحولوا الشام والعراق وما وراءها من الآفاق شرقاً ، ومصر وليبيا والقيروان وما يليهن من الممالك غرباً ، إلى أمم صديقة للقرآن ، لا تقتصر على فهمه والعمل به ، بل تنافس أمم الأولين في الدعوة إليه ، وتوسيع رقعة الأرض التي تسودها مبادئه وأحكامه وأخلاقه . وكان في علوم القرآن أئمة من أبناء دعاة الأولين - كالأوزاعي ومالك ومحمد بن الحسن وأبي يوسف والشافعي وأحمد - نبغ فيها كذلك أئمة من أبناء البلاد التي وصل إليها القرآن بعد أن لم يكن فيها كعبد الله بن المبارك وأبي حنيفة والليث بن سعد وابن لميعة وابن وهب ويزيد بن أبي حبيب المصري وعبد الرحمن بن القاسم وأسد بن القرات وأشهب بن عبد العزيز والربيع بن سليمان والبويطي والحسن الزعفراني وأبي زرعة الرازي وزميله أبي حاتم وابن أبي حاتم والبيهقي والفقهاء والجصاص وابن قتيبة ومئات بل ألوف من أمثالهم .

كيف صارت مصر والشام والعراق والري وأصبهان والقيروان والأندلس من بلاد القرآن ، ونبغ من أبنائها أئمة في علومه وتشريعهم وسنتهم وأدبهم ، كالأئمة الذين ظهرُوا في أرض القرآن الأصلية ؟

هل ترجم لهم دعاة الإسلام الأولون من العرب هذا القرآن بلغاتهم ؟ ومن الذي ترجمه بها ، وأين هي هذه الترجمات ؟

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه اقتضاء الصراط المستقيم : إن المسلمين الأولين كانوا لا يستطيعون هذا العمل ويمتنعونه ويرونه من الإثم . وقد فهمنا من كلامه حقيقة رائعة قلما يدرك مغزاها إلا من كان في مثل عقل ابن تيمية ، وسعة علمه ، ودقيق نظرانه ، وتألق بصيرته . فهمنا بما قرره في هذا الموضوع أن سياسة الإسلام في الدعوة إلى القرآن كانت قائمة

على مبدأ "نقل الامم إلى الإسلام"، ثم يكون منها الآئمة المتبوعون، لا على مبدأ "نقل الإسلام إلى الامم"، وتبقى بعد ذلك منقادة لغيرها في التوجيه الفقهي والاستقلال في الفهم.

على أنه لو لم تكن للإسلام هذه السياسة الحكيمة التي ألزمها أهلها وثبتوا عليها في جميع أطوار التاريخ، ورأوا من بركة نتائجها ما لم يره أهل ملة من الملل السابقة، فإن الجنوح إلى ترجمة القرآن كان سيصطدم بعقبات تحول بينهم وبين ذلك. وأول هذه العقبات أن القرآن أراد الله به أن يكون عاملاً لكل زمان ومكان. ومن مظاهر هذه المزية القرآنية أن الآية الواحدة قد تدل على معان متعددة من معاني الحق والخير يجوز للعالمين بالقرآن أن يأخذوا بأيها شاموا بحسب مصالحهم التي تختلف بتنوع ظروف الزمان وظروف المكان. ولذلك ترى في تفسير الإمام محمد بن جرير الطبري توجيهات كثيرة للآية الواحدة ذهب إلى كل واحد منها فريق من الصحابة أو التابعين أو الآئمة المتبوعين إلى زمن ابن جرير، فقد يرى مجاهد أن معنى الآية من الآيات كذا، وهو في الواقع رأى وجه له قسط كبير من الدلالة على الحق أو الخير. وقد يرى قتادة أن للآية نفسها معنى آخر إذا تأملته رأيته هو الآخر وجهاً وله قسط من الدلالة على الحق أو الخير لا يقل عن القسط من ذلك في رأى مجاهد، وهكذا آراء غيرهما من كبار الآئمة، والنصوص التي ينقلونها عن تقدمهم من الصحابة والتابعين.

فإذا عمد مترجم إلى ترجمة القرآن، أو ترجمة معاني القرآن - كما ابتدع بعض الناس هذا الاصطلاح - فإنه سيغتمد من هذه المعاني المتعددة واحداً منها ويردده على أنه هو مراد الله من الآية. ثم إذا تصدى لألترجمة مترجم آخر إلى نفس اللغة التي ترجم بها المترجم الأول، أو إلى لغة غيرها، وتبين له رجحان معنى آخر من المعاني التي ذكرها المفسرون لتلك الآية، خرجت الترجمتان بمعنيين مختلفين لآية واحدة. وهكذا يؤدي فتح باب الترجمة إلى ظهور ترجمات في عشرات اللغات يخالف بعضها بعضاً.

إن هداية القرآن كالشمس تشع ألواناً من الأشعة من جميع أطرافها، وإعجاز القرآن قبل أن يكون إعجازاً جمال في ألفاظه وتأليفها ودياجتها فهو إعجاز دلالة على جميع معاني الحق والخير التي قد يصلح أحدها لجليل من الناس أو وطن من الأوطان، بينما يصلح المعنى الثاني أو المعنى الثالث أو المعنى الرابع لأجيال أخرى من الناس وأوطان أخرى من أوطانهم.

وما دامت دائرة الحق ودائرة الخير تشمل المعاني كلها فكلها من هداية القرآن، لكن الإعجاز في دلالة نظمه الإلهي عليها جميعا، وفساد الترجمة في اقتصارها على أحد هذه المعاني دون المعاني الأخرى، وأفسد الفساد في ظهور ترجمات يأخذ كل منها بأحد المعاني دون غيرها فيكون فيها عيب القصور وعيب الاختلاف إن لم يرد عليها عيب الاختلاق. ولو أراد مترجم أن ينقل جميع المعاني التي نقلها الإمام محمد بن جرير الطبري عن شيوخه والأئمة المتقدمين عليه إلى زمن الصحابة لكان عمل هذا المترجم ترجمة تفسر ابن جرير الطبري لا ترجمة القرآن أو معاني القرآن كما يزعم الزاعمون.

إن الذين يدعون إلى ترجمة القرآن رأوا دعاة النصرانية يترجمون التوراة والإنجيل، فأرادوا أن يقوموا حذو القذة بالقذة. والتوراة كتاب تاريخ، والإنجيل كتاب سيرة، وكتب التاريخ والسيرة - بعد كتب الحساب والهندسة والكيمياء والطبيعة وما أشبههن - من الميسور نقلها من لغة إلى لغة، ومع ذلك فإن العلماء تفردوا على ترجمات التوراة والإنجيل لا يتسع المجال هنا للحديث عنها. أما القرآن فإنه في أعلى مراتب الإعجاز، ولكل لفظة منه في العربية جو يحيط بها - على تعبير الشاعر البرهمي تاغور - وإذا اتفق وجود لفظ في غير العربية يلائم معناه من بعض النواحي معنى اللفظ العربي من بعض تلك النواحي فإن التعبير باللفظ الأعجمي عن اللفظ العربي القريب منه قد يستساخ إلى حد ما، إلا أن الجو الذي يحيط باللفظ العربي يستحيل التعبير عنه، واللفظ الأعجمي الذي اختاره المترجم جو آخر في اللغة التي هو منها يزيد بعداً عن هداية القرآن.

وبهذا أجاب تاغور على اقتراح من اقترح عليه أن ينقل كتبه التي ألفها بالهندستانية إلى الإنجليزية فاعتذر وأجاب بأن ذلك مستحيل. فإذا كان يستحيل على مؤلف من البشر أن ينقل أفكاره الشخصية، بل قصصه، بقلبه من لغة إلى أخرى وهو يجيد اللغتين، فما بالك بترجمة القرآن!

وإذا كان للإسلام سياسة قديمة في نقل الأمم إلى الإسلام لتكون من أصحابه كأصحابه، وليس من سياسته نقل الإسلام إلى الأمم لفهم منه ما تشاء ثم ترجع إلى أهله الأولين في فهم

ما يتعذر عليها فهمه ، فإن لنا نحن المسلمين في هذا العصر سياسة أخرى وهي استبقاء هذه اللغة العالمية المشتركة فيما بين المسلمين الذين لا يوجد فيهم إنسان واحد لا يفهم معنى الكلمة العربية « السلام عليكم » ، ولا من لا يفهم معنى « الله أكبر » ، و « الحمد لله رب العالمين » ، التي يصلى بها ركعات متعددة في خمس صلوات كل يوم . وما من قرية من قرى العالم الإسلامى غير العربية إلا وفيها إمام مسجد يمثل الفهم المشترك بين المسلمين للعربية التي تنسج الدعوة الآن إلى اتخاذها لغة مشتركة لهم في جميع أوطانهم ، وما أحلى أن يسافر المصرى إلى يوغوسلافيا في أوروبا الشرقية فيجد في صميم أهلها وفي أصغر قرى البوسنة والمهرسك - بعد أن يؤدي صلاته في مسجد القرية - من يتفاهم معه بلغة القرآن . فهل يجمعنا القرآن حول هذه الوحدة الجميلة ، ونأق نحن فدعو إلى تحطيم وحدة القرآن بعد أن حفظها الله للإسلام والمسلمين أربعة عشر قرناً ؟

لما اجتمعنا في دار المؤتمر الإسلامى بالجلسة التي أشرت إليها في افتتاحية الجزء الماضى من هذه المجلة كان فينا من ولد في أعماق بلاد تركستان المحكومة الآن بأنظمة موسكو ، ثم خرج من هناك وأقام سنين في أفغانستان ، وقدم مصر من عهد قريب ، ومنذ قدم إلى مصر كان يتكلم العربية بمثل فصاحة أهلها بفضل سياسة « نقل الأمم إلى الإسلام » ، واجتتاب سياسة « نقل الإسلام إلى الأمم » . وبفضل سياسة نقل الأمم إلى الإسلام يؤلف علماء الهند وباكستان واندونيسيا إلى يومنا هذا مؤلفات ضخمة نفيسة في مجلدات كبيرة باللغة العربية ، ويطبعونها في بلادهم لأنفسهم وتلاميذهم وأهل بلادهم ، بل السكتب التي تطبعها مصر بالعربية تقرأ في تلك الديار بمقياس أوسع من مقياس انتشارها في مصر نفسها ، وذلك بفضل سياسة « نقل الأمم إلى الإسلام » ، واجتتاب سياسة « نقل الإسلام إلى الأمم » . وهذه الفوائد التي ملأت الدنيا بركة وإنسانية إنما أصبناها ونعمنا بها لأننا لم نحاول المحاوله الخاسرة في ترجمة القرآن ترجحات لا شك أنها تعطى صورة كاذبة ومشوهة للقرآن ولا تفيد الفائدة المرجوة منها كما تفيد ذلك رسائل تؤلفها في الموضوعات التي يزيد الأمم الوقوف على مذهب الإسلام والقرآن فيها ، وتكون مدعمة ببيان هداية الإسلام والقرآن بيانا مؤيداً بما يفسره من نصوص السنة وآراء الأئمة ، وهذا ما بسط فيه القول حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر ، ولا يفتيك مثل خير .

حج الربيع الحليبي

نفحات القرآن

- ٢١ -

٣ - العذراء القاننة

ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين

روى أن فاطمة - رضى الله عنها - قالت : قال لى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم :
« أنت سيدة نساء أهل الجنة إلا مريم البتول - المتعبدة » . وفى هذا الحديث ونحوه إشادة بمريم
على لسان خاتم الأنبياء ، حتى لم يجعل لفته فاطمة - وهى سيدة نساء أهل الجنة - فضلا
على مريم ، وفى هذا منبهة للإسلام فى صراحته ، وتذكير لمن يغفلون عن مبلغه من الإنصاف ،
وتوجيه أبنائه إلى الترفع عن العصية لأشخاصهم ، ولو كانت فاطمة بنت محمد ، بل ولو كان
محمد نفسه ، وهو الذى يقول فى حديثه : « لا تطرونى - لا تبالغوا فى مدحى - كما أطرت النصارى
المسيح ابن مريم » .

وهناك أحاديث تشهد لفاطمة وخديجة أم المؤمنين ، ولآسية امرأة فرعون - رضى الله
عنهن جميعا - ولكن شأنهن لا يراحم شأن مريم ، فإنها منازل فى الفضل يتميز بعضها
عن البعض بمميزات تختلف فى التقدير .

وحسب مريم أن نزل عليها الوحى غير مرة ، وأجبرها القرآن بذلك ، فى وضوح تام ،
وليس يفض من شأن سواها أنها أثيرة عند الله بجانب من التكريم لم يتبع لغيرها .

نزل عليها الوحى : بأن الله اصطفاها ، وطهرها ، واصطفاهما على نساء العالمين . . . وحينما
أمرها أن تقنت لربها ، وتسجد ، وتركع مع الراكعين . . . وحينما بشرها ربها بكلمة منه
اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها فى الدنيا والآخرة . . . وحينما تعاظمت واستبدت أن تلد

وهي عذراء ، فقالت : « رب أنى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر ؟ » ، فطمأنها الوحي بأن هذا ليس كثيراً على الله . « قال كذلك الله يخلق ما يشاء ، ثم طمأنها بأن هذا تكريم اختصها الله به . « قال كذلك قال ربك هو على هين ، ولنجعل له آية للناس ورحمة منا . »

هذه أمثلة من الوحي الذى نزل على مريم ، والوحي فيما يعمد العلماء لا ينزل على غير الأنبياء ، لذلك رجح كثير من سلفهم أن مريم كانت نبيه ، وأن النبوة لا تختص بالرجال . نعم ! لم تكلف بتوجيه دعوة ، ولا بقبليغ رسالة ، حتى تكون رسولا ، والرسالة هى التى لم تكن لغير رجل . وما أرسلنا من قبلك إلا رجلا نوحى إليهم ، والفضل بيد الله يؤتیه من يشاء . والممارضون فى نبوة مريم يستندون إلى آثار لا تقاوم رأى الاولين .

ومما يلفت النظر ، ويرشح رأى الاولين ، أن القرآن يذكر مريم باسمها الصريح ، وهو لم يصرح باسم واحدة سواها من النساء ، بل يذكرهن بالوصف العام أو الخاص ، سواء : أكان فى سياق الوعظ والتفويه ، أو فى سياق الشفاء أو الدماء لمن يذكرها منهن ، فأنت تراه يقول : « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها ، « يا أيها الناس إما خلقناكم من ذكر وأنثى ، « يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة . » وتراه يقول فى سياق المدح : « وضرب الله مثلا للذين آمنوا : امرأة فرعون إذ قالت : رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة . . . » وفى سياق الذم : « ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخثتاهما . . . » « وراودته - يوسف - التى هو فى بيتها عن نفسه ، « قالت امرأة العزيز ، ويقول عن أبى لى لى لى : « سيصلى ناراً ذات لى وامرأته حاملة الحطب . »

وكذلك حينما يتعرض لفساد النبى - صلوات الله عليه ، ورضى الله عنهن - لم يفصح عن واحدة من أولئك باسمها الخاص ، مع ما لى من فضل سابع ، وهن أمهات المؤمنين . ولكن القرآن مع هذا الذى لفتناك إليه يفصح عن مريم باسمها الخاص دائما ، حتى بلغ ذلك ثلاثين مرة متشورة فى آيات القرآن . وإنك لتجد اسمها ينفخ ويتضوع فى سورة البقرة ، وآل عمران ، والنساء ، والمائدة ، والمؤمنون ، وتجد باسمها سورة خاصة : سورة مريم . والقصص عنها فى هذه السورة يشغل تسع عشرة آية متوالية .

وفوق هذه التصريحات لها ذكريات أخرى بأدوات الخطاب أو الغيبة أو السكنايات

المساحة . وهزى إليك بمذع النخلة تسقط عليك رطباً جنياً ، فكلى واشربى ، وقرى
عيناً . . . فناداها من تحتها ألا تحزنى . . . يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء ،
وما كانت أمك بغياً . .

ثم يجمع القرآن جملة من أوصاف الكمال ، ويضيفها على مريم في آية واحدة ، يختم بها
سورة التحريم . ومريم ابنة عمران ، التي أحصنت فرجها ، فنفخنا فيه من روحنا ،
وصدقت بكلمات ربها وكتبه ، وكانت من القانتين . وفي هذه الشهادة فصل الخطاب .
وهذه الإمامة فيها غناء عن التطويل ...

أفرأيت شأناً لامرأة كما رأيت لمريم بفت عمران ؟ ليس بعد هذا القصص الحق من خبر
يهدى إلى عرفان قدرها ، ويقتضى الثناء عليها ، ويرشد إلى الافتداء بها .

فسلام الله عليها في الأولين والآخرين ، وسلام الله على محمد وعلى عيسى وجميع النبيين .

وبعد - فقد كفر شواذ اليهود بكل ذلك ، وأوغلوا في السفه على عيسى وأمه . وإنها
للخصومة الحاققة التي تخدم الفضيلة أكثر مما تحاربها ، وتظهر العظمة أضعاف ما تخفيها ،
وترفع الأقدار فوق ما تشتهي من نقصها ، فلعيسى وأمه ما شاء الله لها من سمو .

وإذا كانت كراهية الأعشى للشمس تحجب ضوءها أو تنقص من سناها ، فلليهود أن
يطمعوا في النيل من مقام وعيسى أمه مريم .

هذا - وفي بعض الطباع شيء من اللؤم لا تجدى في تهذيبه الحقائق ، ولا تكف من
غلوائه البراهين ، وإنما يدفع بهم دفماً إلى الإصراف في الاختلاق ، والدأب على التشهير ،
والخوض في الباطل ، وإن خرج بهم عن التريث كله ، وطوح بهم في لؤنة جنونية إلى حيث
لا حياة ولا دين ، ولا رعاية لما وراء ذلك من سقوط في موازين الاخلاق ، وممرات
تلتصق بتاريخهم على لسان الاجيال .

ومثل هذا واضح في سير المبطلين من اليهود ، وهم الذين سخط الله عليهم ، وباءوا بلعنة
أبد الأبدين ، والله المعيد .

عبد اللطيف البكي

عضو جماعة كبار العلماء

الشيعة

جزاء الصالحات

— ٢ —

ابن جدعان في الجاهلية - لا وزن للصالحات من غير الإسلام -
الإسلام دين الانبياء كافة - الرية في أصل من أصوله كفر بواح -
شبهة من تلبس إبليس — ضلالة تخرج من الملة .

عن حكيم بن حزام رضى الله عنه قال : قلت : يا رسول الله ، أرايت أشياء كنت
أنحت بها في الجاهلية ، من صدقة أو عتاقة وصلة رحم ، فهل فيها من أجر ؟ فقال النبي
صلى الله عليه وسلم : « أسألت على ما سلف من خير ، رواه الشيخان ، واللفظ للبخارى .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قلت : يا رسول الله ، ابن جدعان كان في الجاهلية
يصل الرحم ، ويطعم المسكين ، فهل ذاك نافعه ؟ قال : « لا ينفعه ؛ لأنه لم يقل يوما : رب
اغفر لي خطيئتي يوم الدين ، رواه مسلم .

بيننا في جزء غرة المحرم قول الإسلام — وقوله الفصل — في مشوبة حكيم بن حزام
رضوان الله عليه ، ومشوبة كل من سار سيرته ، من الذين أنعم الله عليهم فعملوا الصالحات
قبل أن يؤمنوا ، ثم أنعم الله عليهم فعملوا الصالحات بعد أن آمنوا وأحسنوا ، ثم زاده
الله حسنا فجزاهم بما قدموا وأخروا ، ولم ينقصهم من عملهم شيئا .

ونبين الآن قول الإسلام كذلك في عبد الله بن جدعان ونظرائه ، ممن أعانوا على
صنوف من الخير ، وأسهموا في ضروب من المكارم ، ولكن غلبت عليهم شقوتهم فجعلت
بينهم وبين الإسلام سدا .

كان هبة الله بن جددان — كما أشرنا في جزء المحرم — من وجوه بني تيم ، ورؤساء قريش ، وكان قريبا لام المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، وكان جواداً كريماً ، مطعماً للطعام ، وصولاً للأرحام ، وكانت له جفنة يأكل منها الفاسم والراكب لعظمها ، وربما يرقى إليها الطاعم في سلم ، ولو لم يكن من مفاخره إلا حلف الفضول لكفاه شرفاً. ونرجو أن نعرض لهذا الحلف في طائفة من حسناته ، وحسنات غير المسلمين قريبا .

أم عائشة رضي الله عنها شأن ابن جددان وما قدم في الجاهلية من مكارم ، فسألت عنها من لا ينطق عن الهوى صلوات الله وسلامه عليه ، فأجابها بأن شيئاً مما عمل لا ينفعه ، لأنه كان من المكذبين يوم الدين .

ومجرد الارتياب في يوم الدين ، فضلا عن التكذيب به ، هدم لركن من أركان الملة الحنيفية ، التي بعث الله بها أبا الأنبياء خليله إبراهيم «وصى بها إبراهيم بنوه ويعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون» .

بل إن مجرد الارتياب في يوم الدين ، فضلا عن التكذيب به ، هدم للركن الأول نفسه ، ذلك الركن الأعظم الذي قامت عليه الأركان كلها ، وبنيت عليه الأديان السماوية والشرائع الإلهية : ركن الإيمان بالله رب العالمين ، وخالق السموات السبع والأرضين ، وباعث النبيين إلى الناس ، مبشرين ومنذرين .

• • •

« إن الدين عند الله الإسلام » ، ومن يتبغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين . »

لا جرم أن هذا الدين الحق ، الذي لن يقبل الله ديناً غيره ، هو دين الله الذي بعث به رسوله إلى الناس أجمعين ، من لدن آدم إلى خاتم النبيين ، وهو الذي قال الله تعالى فيه : « فرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » ، وقال فيه الرسول الخاتم ﷺ ، فيما رواه

الشيخان : « أنا أولى الناس بعيسى بن مريم في الدنيا والآخرة . ليس بيني وبينه نبي :
والأنبياء أولاد علات ، أمهاتهم شتى ودينهم واحد » (١)

لا جرم أن هذا الدين الحق : دين الله تعالى ، يعتمد أول ما يعتمد ، على الإيمان
بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، إيماناً حقيقاً صادقاً لا ريب فيه . ومن الإيمان
بالله توحيده ، وتنزيهه عن كل ما لا يليق به ، واختصاصه بالكمال المطلق الذي لا ينبغي إلا له .
فن شك في أصل من هذه الأصول جملة أو تفصيلاً ، فليس من ملة إبراهيم في شيء .
وإن زعم أنه من أنصاره أو أنصار نبي من بني « إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه
وهذا النبي والذين آمنوا واثقه ولي المؤمنين » .

إن من شك في أصل من أصول الإيمان ، فضلاً عن أن يكذب به ، من الأولين
والآخرين — فثله كمثل عبد الله بن جدعان ، لا ينفعه ما قدم من الصالحات ما لم يسلم وجهه
إلى الله رب العالمين . . .

فإذا أسلم وجهه إلى الله فثله كمثل حكيم بن حزام رضي الله عنه : أسلم على
ما أسلف من الخير ، فبدل الله سيئاته حسنات ، وكتب له منوبة ما قدم وما أخر . والله
يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم . .

وهنا نكشف شبهة لبس بها الشيطان وحزبه على كثير من الناس فضلوا عن سواء
السير ۱۱ قالوا - أو قبل لهم - إن في مجرد الإيمان بالله واليوم الآخر منجاةً من عقاب الله
ومدعاة لثواب الله ، ولو غفل العبد عن الإيمان ببقية ما ذكرنا من الأصول ۱۱۱

ضلالة أخرجهم من المسلة ، وأخرجت معهم كل من شايهم عليها ، أخرجتهم بالادلة الصريحة القاطعة من الكتاب والسنة والإجماع الذى لا شية فيه .

* * *

ولعل منشأ هذه الضلالة أو التلبس بها ، أنهم يرون الكتاب العزيز ، يقتصر أحيانا على ذكر الإيمان بالله واليوم الآخر ، وأحيانا على ذكر الإيمان والعمل الصالح ، حينما يمرض لذكر الأبرار المتقين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

ويجهل هؤلاء الحق أو يتجاهلون أن ذلك الإجمال القليل ، الذى يتلوه فى مواطن أخرى كثير من البيان والتفصيل ، من أساليب الإعجاز فى القرآن العربى المبين .

وهم هذه الضلالة يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض ؛ أو يؤمنون ببعض الرسل ويكفرون ببعض ؛ أولئك هم الكافرون حقا ، وللكافرين عذاب مهين .

على أن الإيمان الحق بأحد هذه الأصول يستتبع — ولا محالة — الإيمان ببقية ؛ لأنها مترابطة متماسكة ، ينظم معنى كل أصل منها على حدة معانى الأصول الأخر .

* * *

ذلك ، وقد بقى حديث ثالث لا يتم أجزاء الصالحات ، إلا به ؛ فلنتم به هذا البحث فى غرة الشهر القابل إن شاء الله ﷻ

ط محمد الساكنت

خطبة نبوية

قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحيف من منى فقال : نضر الله امرأ سمع مقالتي فادأها كما سمعها : قرب حامل فقه غير فقيه ، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه . ثلاث لا يغل عليهن قلب مؤمن : إخلاص العمل لله ، والنصيحة لولاة المسلمين ، ولزوم جماعتهم . فإن دعوتهم تحيط من وراءه .

خيانة الله أو خيانة الصديق

لكل جيل من الشباب فلسفة خلقية خاصة . ولبعض شباب العصر في مصر فلسفة خلقية تثير الرثاء ، وتستنزف الميول من البكاء ، وهي فلسفتهم في علاقاتهم الجنسية . وبمهل هذه الفلسفة أن من العار على الشاب أن يزاحم صديقه في خليلته ، أو يخون جاره في خليلته . أما من وراء هاتين من النساء فيدان مقسع تحب فيه مطايا الجبل ، وترتع وواحد الصبا والشباب .

ولسنا ندرى مصدر هذا التشريع ، ولا سر هذه الفلسفة . وويل للشباب من شرع الهوى ، وفلسفة الشيطان . ومن الذى حرم هاتين وأحل غيرهن ؟ إن النساء في شرع المروءة على نهج واحد لمن أخذ نفسه بالمروءة والوفاء ، وإنهن على نهج واحد في نظر الدين : كلهن حرام ، إلا من أحله بطرقه وأحكامه . وكل علاقة على غير ما قرره فهي علاقة آثمة ، وهي خيانة لله ولرسوله وللناس أجمعين ، وجريمة في الشرائع السماوية والقوانين الوضعية ، لها عقوبتها التي تلائم شناعتها وسوء آثارها ، وليس يفسخها هذا العرف الحديث في نظر الشباب المستهتر الفاجر .

نعم ، إن الشريعة الإسلامية تشددت في حليلة الجار ، واستفطعت العلاقة بها ، وبالغت في إنكارها ، وفاء بحق الجوار ، ولأن الصلة بها أيسر من غيرها ، لمصابقة المساكن ، وتوافر دواعي الخلطة والاتصال ، واسترخاء أعين الرقباء والمشرفين ، ومن هذا كان تشدها وتحذيرها من الإسراف في مخالطة الأقارب والأنساب . فمن رسول الله ﷺ : « إياكم والدخول على النساء » فقال رجل من الأنصار : أفرأيت اللحم قال : « اللحم الموتى » ، واللحم : قريب الزوج كإخيه وابن أخيه وابن عمه . يعنى أن خلوة اللحم معها أشد من خلوة الغرباء ، لأنه ربما حسن لها شيئاً وحملها على أمور تنقل على الزوج ، من التماس ما ليس في وسعه

أو سوء عشرة أو غير ذلك ، ولأن الزوج لا يؤثر أن يطلع الحم على باطن حاله بدخول بيته

وأى الأمرين أولى بالتقدير والرعاية في نظر العقل الرشيد والفكر السديد؟ أن يجرى الشباب على سنن المروءة الزائفة والعرف القريب ، فيراعوا حق الصديق في خليلته ، وحق الجار في خليلته ، ويخرجوا من العلاقة بهما ، ويوقروا حرمانهما ، ولا يروا بأساً فيما عداهما من النساء ، ومن أخواتهم وبنات أخواتهم ، أو يجرؤوا على سنن الدين وحدوده ، فيحرموا جميع من حرم الله من النساء ، دون تفريق بين خليلته الصديق و خليلته الجار وسواهما من النساء ، فيفروا بأمانة الله ، ويقفوا عند حدوده .

إن قانون الجزاء الطبيعي أن يدان الإنسان بما يدين به الناس ، فهل يرضى الدين يمتدون على حرمان الناس ، ويفجمونهم في أخواتهم وبناتهم وزوجاتهم ، أن يدانوا بمثل جرائمهم ، ويفجموا في أخواتهم وبناتهم؟ إن تذكر هذا الجزاء ينبغي أن يكون زاجراً عن أقراف هذه الخطيئة وارتكاب هذه الجريمة .

إن حيوية الشباب قوة دافعة هوجاء ، ولكن بشيء من التدبر في العواقب ، ومراقبة الله في حرمانه ، وبشيء من جهاد النفس والشيطان ، يستطيع الشاب أن يروض نفسه على الحمود من الأمور ، وينأى بها عما يغضب الله ويستخط الناس . والشاب الذى يباهى بشجاعته في ميادين السياسة والعلم والاقتصاد ، أولى به أن يباهى بالشجاعة في ميدان الخلق الكريم والعمل الصالح . وجهاد الشاب في هذا الميدان جهاد مشكور ومقدور عند الله والناس ، لأنه جهاد للهوى والمأطعة والشهوة .

ومن وعدم الرسول صلوات الله وسلامه عليه بالثبوت الحسنى كفاء جهادهم ونضالهم ، شاب نشأ في عبادة الله ، وشاب راودته امرأة ذات جمال فمف من خشية الله .

وإن هؤلاء الشبان الذين يستذكرون أن يخونوا أصدقائهم وجيرانهم في نسايتهم ، وفاء بحق الصداقة والجوار ، واستجابة لداعى الوفاء والمروءة في زعيمهم ، ويقدرّون على ذلك ، هم بلا شك قادرّون على ألا يخونوا الله والناس في حرمانهم لو أرادوا .

إن الشباب في كل أمة مناط أملها ، ومعقد رجائها ، وعلى كواهلهم تقوم النهضة الإصلاحية في نواحيها الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والحلقية . والناحية الحلقية أجدر تلك النواحي بتوجيه الجهود ، فهي أساس النجاح في غيرها من النواحي . فهل لنا أن نضع بين أيدي شبابنا مهمة الإصلاح الحلقى في أمتنا ، ونرجو أن يكونوا بأعمالهم وأقوالهم قدوة يقتدى بهم ، ومثالاً يفسج على منوالهم .

وإن من المشاكل الحلقية التي ينبغي أن تكون موضع عنايتهم وعلاجهم هذه الفوضى في العلاقات النسائية التي يرجع إليها أكثر الجرائم ، وتشغل خواطر أرباب الأسر ، وتفهم مواقف القلق والحرص ، وتشغل خواطر رجال الأمن والقضاء والاجتماع ، بما يتولد عنها من مأس وآثام . وإن أكثر أضرار الصحف الآن تجري بقصص هذه الجرائم والمآسي ، ويقرأها العقلاء في ألم وحسرة ، ويتطلعون في لهمة إلى اليوم الذي ينحسر فيه مدماها ، لتطمئن النفوس ، وتستقر القلوب .

وإذا كانت جبهة الشعب قد حذت لهذا العهد ما وضع من التشريع لحماية الأحداث من أخطار السينا ، فإن جبهة الشعب أيضاً ترحو أن يكون من مفاخره وضع تشريع يعالج أسباب الفوضى في العلاقات النسائية .

وإن من أسباب هذه الفوضى في نظرنا إرخاء العنان للنساء في ارتداء ما يردن من الأزياء ، ولعل من أزيائهن الآن ما يفرى بالفتنة ويدفع إلى الجريمة . وهناك الاندية الليلية التي تعد أوكاراً للفسوق ، وعلى موائد ما وفي زواياها يراق دم الحياء والفضيلة . كما أن هناك بعض المحال العامة التي تمارس في الظاهر بعض الصناعات ، ولكنها في واقع الأمر مواطن للشك والريبة . وأسباب الفوضى النسائية كثيرة غير ما ذكرنا تعرفها مكاتب الآداب ، وفي إمكان رجال الآداب استقصاؤها وإحصاؤها ، واقتراح ما يلائمها من التشريع .

فإلى رجال هذا العهد ، وإلى وزارة الشؤون الاجتماعية خاصة ، نرفع هذه الرغبة ، يدفعنا الأمل ، ويحدونا الرجاء . وعلى الله قصد السبيل ، ومنه التوفيق ؟

أبو الوفا المرافعي

التأمين

وهل هو حلال في جميع صورته؟

السيد محب الدين الخطيب رئيس تحرير مجلة الأزهر
تحية طيبة - وبعد - قرأت بإمعان مقالكم القيم عن التأمين في الجزء الثالث من مجلة
الأزهر الصادر في غرة صفر ١٣٧٤ ، وأستطيع أن أوجزه في النقط الآتية :

١ - التأمين : إذا تعاون الناس فيما بينهم وكونوا لجنة خاصة يختارون أعضاها
لتجمع في صندوق ما كانوا يدفعونه لشركات التأمين من رسوم سنوية ، ولتتخذ جميع أسباب
الرقابة القانونية والحيلة المالية لحفظ هذا المال ، مثل هذا العمل حلال ، ويعتبر تعاوننا
على البر ، ويناب كل من ساهم فيه ، وينال رضا الرحيم الرحمن .

٢ - وإذا لاحظ البعض من خيار الناس أن خلق التعاون لا يزال عندنا ضئيلاً
وعملوا هم فيما بينهم فأسسوا جماعة أو شركة ودعوا الناس للانضمام لهم وقرروا فيما بينهم
أن يتخذوا جميع أسباب الرقابة القانونية والحيلة المالية الخ ... هؤلاء الناس ومن ينضم
إلهم ويتعاون معهم يعتبر آثماً مقامراً ، والرسوم التي يدفعونها حرام في حرام ، والتعويض
الذي يصرف لمن يتكب منهم يكون حراماً ، لأنه نتج عن مقامرة .

٣ - ما قرره وزارة الأوقاف من أن تقوم هي بعمل شركات التأمين
أو جمعياته التعاونية ، فتجمع من نفسها الرسوم التي كانت تدفعها ، وتباشر أعمال الصندوق
مراقبة الحسابات ولجنة أخرى الرقابة ، ثم تدفع التعويضات ويستغل ما يتبقى فيما يدر ربحاً
للصندوق - إذا قامت وزارة الأوقاف بذلك اعتبر ذلك خيراً ، وإذا قامت به هيئة أخرى
أو جماعة اعتبر ذلك شراً مستطيراً .

٤ - التأمين لدى الشركات بجميع أنواعه مقامرة ، أما لدى وزارة الأوقاف فإن معنى
المقامرة يتحول فيه إلى معنى آخر نبيل من معاني الإحسان والتعاون بل والاقتصاد .

° ° °

لقد ارتاح فؤادي لأنى وجدت واحداً من أبناء الأزهر الناهيين يعرف التأمين تعريفاً
صحيحاً ويرده إلى أصله وهو التعاون بين الناس . وهو لهذا يرى أنه حلال ، وأن على أبناء

الامة ومن له منهم مصلحة اقتصادية أن يتعاونوا فيما بينهم فيؤسسوا جمعيات تعاونية للتأمين .
إن ماتتادى به - ياسيدى - نادى به من قبلك كل الرجال النابهين الصالحين في أوربا وفي أمريكا .
ولقد استمع لهؤلاء أبناء أمنهم فأسسوا الجمعيات التعاونية للتأمين ، وإنى أقرر لك أن أكبر
هيئة تأمين في أمريكا هيئة تعاونية لا أثر للمساهمين فيها ، وأن أكثر من ثلثي أعمال التأمين
في أمريكا هي تقدر بألوف البلايين ؛ لا الملايين ، من الدولارات - في يد جمعيات تعاونية ،
وكذلك أكبر هيئة تأمين على الحياة في سويسرا هيئة تعاونية كذلك ، وفي إنجلترا جمعيات
تعاونية كثيرة تقوم بعمليات التأمين .

وبجانب هذه الجمعيات التعاونية قامت جماعات أخرى مساهمة تحاول أن تؤدي نفس
الخدمات التي تؤديها الجمعيات التعاونية ، وهي تمد نشاطها خارج بلادها لأن الجمعيات التعاونية
خاصة لأعضائها فقط .

وإن من دواعي الأسف في مصر أن خلق التعاون عندنا لا يزال ضئيلا ، ولو انضممت
إليك ونادينا عشرين سنة أخرى لما تأسست جمعية تعاون واحدة . غير أنى أعترف معك
في أنى لا أرى أن قيام هيئة مساهمة بالتأمين بدلا من الجمعية التعاونية فيه ضرر بأبناء بلادى ،
أو أن اشتراكهم في هذه الهيئة بالتأمين لديها حرام ، أو أنه نوع من المقامرة ،
بل بالعكس أرى أن أشكر هذه الهيئة لأنها تدعو مواطنى إلى الطريق السليم ، طريق
التأمين ، أو طريق التعاون .

إنى أسمع اليوم وأقرأ عن نهضة كبيرة بالأزهر لتدريس بعض المواد كالتأمين
والأوراق المالية والسندات وغير ذلك من فروع العلوم الاقتصادية الحديثة ، وإنى أود
لو فتاح لى الفرصة للاجتماع مع السادة الذين سيقروون هذه المواد وأشارك معهم بما أنعم
الله به على من علم في هذا الباب - باب التأمين - لكي تتعاون على أن تدرس هذه المادة
حسب أصولها العلمية الصحيحة .

وإنى واثق من أنى سأصل إلى مبتغى ، وهو أن يتقرر في الجامعة الأزهرية أن التأمين
حلال في جميع صورته وأنواعه ، لو فكرنا تفكيراً إسلامياً سليماً . والله الموفق .
وتفضلوا بقبول فائق احترامى ؟

القاهرة في ١٢ أكتوبر سنة ١٩٥٤

أحمد دأنس

أستاذ مادة التأمين بكلية التجارة بجامعة القاهرة
ومدير عام شركة لاجنيفواز للتأمين على الحياة



التأمين

بين النظام الاسلامي والنظم الاجنبية

تفضل حضرة الاستاذ احمد دانش استاذ مادة التأمين في كلية التجارة بجامعة القاهرة فأولى كلمتي عن التأمين ، في الجزء الثالث من هذه المجلة أكثر مما تستحق من عناية ، فشكراً له .
غير أنه لما أراد تلخيص مقال في أربع نقاط تحدث في النقطة الثانية عن شركات التأمين وتحديد مركزها من المؤمنين ، بغير الأسلوب الذي ينطبق عليها ، وبغير ما كفت أنحدث أنا عنها لو حاولت هذا التحديد .

إنه يعتبر المؤمنين لدى شركات التأمين ، منضمين إليها ، ومتعاونين معها . والذي نعلمه أن من يدفع لشركة التأمين رسم التأمين لا يعتبر منضمًا إليها ، لأنه بصفته مؤمنًا لا يملك شيئاً من رأس مال الشركة ، كما أنه لا يعتبر متعاونًا معها ، لأنها غير قائمة على نظام التعاون بل على النظام الرأسمالي . والذي يدفعه لها المؤمن ليس ثمن أسهم في شركة تعاونية فيبقى مملوكاً له ، بل هو رسم تأمين يقامر به على ما أمن عليه من حريق أو غرق أو موت ، وكل ذلك مجهول وفي يد الله ، فإن وقع ما قامر عليه خسرت الشركة في المقامرة فدفعت له عشرات أضعاف الرسم المدفوع ، وإن لم يقع خسر هو رسم التأمين وأصبح في نهاية مدة هذا الرسم غير منضم إلى الشركة ولا متعاون معها ما لم يجدد الدفع . وأقرب مثال لذلك أن بعض المهارات السكنية الموقوفة على الحرمين الشريفين وجهات البر رزمت بعشرات الألوف من الجنهات ابتزتها منها شركات التأمين ولم ترزأ هذه الشركات في مقابل ذلك إلا بنحو خمسمائة جنيه . وكان يمكن أن لا ترزأ شركات التأمين هذا المبالغ المتواضع لو لم يحدث الحريق الصغير الذي دفع المبالغ لأجله . كما كان يمكن أن تدفع شركات التأمين مئات الألوف من الجنهات لو احترقت كل المباني المؤمن عليها . وهاتان الحالتان لا شك أنهما كانتا رهن الاقدار ، ومثل هذه الاحوال يعتبرها الفقه الإسلامى مقامرة ، كما أن أوراق اليانصيب مقامرة .

أما الذى دعوت أنا إليه قبل نحو عشرين سنة أهل كل حرقة - كالناشرين وأصحاب المكتبات مثلا - فهو أن يتبرعوا بما كانوا يدفعونه من رسوم التأمين ويعتبروه إغاثة وإحسانا ، ويجمع فى صندوق يكون كل ما فيه لله لينفق منه على مساعدة من يشكب بالحريق من المشتركين فى هذا العمل الخيرى ، فهذا هو الذى سميناه عملا نبيلًا وعرفنا من سنن الإسلام أن الله يثيب عليه ، لأن ما فى صندوق هؤلاء الجماعة من مال ليس ملكا لأحد كالمال الذى تخرجه خزائن شركات التأمين ويكون ملكا لها وللساهمين معها دون دافعى الرسوم لأنهم يدفعون الرسوم لها ، لا لله . وفرق كبير بين من يدفع المال لتتلكه الشركة ، وبين من يدفعه إحسانا ليكون لله . ولو كان ما يدفعونه لصندوق الشركة من الهبات أو الصدقات أو غير ذلك من أنواع التملك التى تكون فى غير مقابل ، لقلنا هبة أو صدقة وضعت فى غير موضعها ، ولكنه يدخل صندوق شركة التأمين على سبيل المقامرة عن أمر هو فى غيب الله ، فإن وقع كانت الخسارة فى المقامرة على الشركة ، وإن لم يقع كان المقامر الخاسر هو دافع وسم التأمين . وهل المقامرة إلا هذا ؟

إن كل ما حملته رسالة الإسلام إلى الإنسانية ينحصر فى كلمتين : الحق ، والخير . فالحق هو الحق الصريح كالبيع والإجارة وأمثالها من العقود والالتزامات التى يتبادل الناس بها المنافع الشرعية البعيدة عن معانى المخاطرة ، والخير هو التعاون والإحسان الذى يراد به وجه الله وحده ، والتأمين فى هذا النظام الإسلامى لا يدخل إلا فى قسم الخير الذى فيه معنى الإحسان كالذى اقترحتناه على أهل كل حرقة ، ثم ابتهجنا عندما رأينا وزارة الأوقاف عملت به ، فصار التأمين منها ولها .

وليس فى أنظمة البشر نظام فيه ناحية من نواحي المصلحة إلا وفى نظام الإسلام ما يكفل تلك المصلحة بما هو أتم وأكمل ، مع البعد عن مواطن النقص أو الإثم التى تكون فى أنظمة البشر ويكون للسلم عنها غنى . ونظام الإسلام لا يتقصه إلا التعريف به ثم العمل به ، وحينئذ يصيب المسلبون منه سعادتهم المنشودة فى كل نواحي الحياة .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مِنْ بَالِغِ إِشَاعَةِ الْإِسْلَامِ الْكَبِيرِ مُحَمَّدٍ حَرَمِ حَرَمِ
بِتَعْلِيلِ أَلَسْتَا ذَا بَرَاهِيْمَ عَبْدُ الطَّيْفِ نَعِيمٌ

محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم

هذا (إمام الدين) في أعلامه	والدين مُعْتَصِمٌ بِأَسَاسِ إِمَامِهِ
يَحْمِي حَقِيقَتَهُ بِقُوَّةِ بَطْشِهِ	وَيَصُونُ بَيْضَتَهُ بِحِدِّ حَسَامِهِ
(شيخ الجهاد) يود كل مجاهد	لَوْ كَانَ يَدْعَى فِي الْوَعْيِ بِضْلَامِهِ
عَالِي الْوَأْدِ يَقِيْمُهُ بِمَحْدُودِهِ	وَيُبَيِّنُ الْمَأْثُورَ مِنْ أَحْكَامِهِ
الْمُصْلِحُونَ عَلَى الزَّمَانِ سَيُوفُهُ	وَجُنُودُهُ فِي حَرْبِهِ وَسِلَاحِهِ
عَرَفُوا الْجِهَادَ بِهِ ، وَمَنْه تَعَلَّمُوا	مَا صَحَّ مِنْ دُسْتُورِهِ وَنُظَامِهِ
غَضِبَتْ (قَرِيْشٌ) أَنْ جَفَا أَعْصَانَهَا	وَوَفَّى بِعَهْدِ إِلَهِهِ وَذِمَامِهِ
بَغَزَوْا فَوَارِسَهُمْ ، وَيَقْتُلُ جَمْعَهُمْ	حَتَّى يَدِينَ مَرَامَهُمْ لِمَرَامِهِ
وَيَرَى الْحِجَّةَ كُلَّ غَاوٍ مِنْهُمْ	فَيَسْكَفُ عَنْ طُغْيَانِهِ وَعِزَامِهِ
وَيُثَوِّبُ جَاهِلَهُمْ إِلَى دِينِ الْهُدَى	وَالنُّورَ مِنْ دِينِ الْعَمَى وَظِلَامِهِ
دَلَّفُوا إِلَيْهِ ، وَظَنُّوا أَكْذَبَهُمْ مَنَى	أَنْ قَدْ سَقَتْهُ يَدَاهُ كَأْسَ حَمَامِهِ
أَكْذَاكَ يَنْخَدِعُ الْغَبِيُّ ، وَهَكَذَا	يَنْخَبِطُ الْمَفْتُونُ فِي أَوْهَامِهِ ؟

مهلاً (أَبْنِ) (١) لَقَدْ رَكِبْتَ عَظِيمَةً * وَأَرَدْتَ صَرْحاً لَسْتَ مِنْ هَدَامِهِ

(١) أَبِي بَنِي خَلْفٍ ، أَقْبَلَ يَقُولُ : أَيْنَ عَمْدٌ ، لَا تَنْجُوهُنَّ إِنْ نَجَا ، فَاعْتَرَضَهُ رِجَالٌ مِنَ السَّلَاطِينِ فَأَسْرَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَخْلَوْا طَرِيقَهُ ، وَتَتَاوَلَ حَرْبُهُ مِنْ بَعْضِ أَصْحَابِهِ (الْحَارِثُ بْنُ الصَّمَةِ أَوْ الزَّيْبِرُ بْنُ الْعَوَامِ) فَخَدَشَهُ بِهَا فِي عَقْبِهِ خَدَشًا كَبِيرًا حَتَّى احْتَقَنَ الدَّمُ ، فَقَالَ : قَتَلَنِي وَاقَةُ عَمْدٍ ، فَقَالُوا : ذَمِبَ وَاقَةُ فَوَازِدُكَ - أَوْ ذَمِبَ وَاقَةُ عَمْدِكَ ، إِنَّكَ لَتَأْخُذُ السَّهَامَ مِنْ أَضْلَافِكَ فَتَرْمِي بِهَا فَهَذَا ؟ وَاقَةُ مَا بَكَ مِنْ بَأْسٍ - إِنَّمَا هُوَ خَدَشٌ لَوْ كَانَ بَيْنَهُ أَحَدًا مَاضِرُهُ ، فَقَالَ : وَاللَّاتِ وَالزَّيْرُ لَوْ كَانَ هَذَا الَّذِي بِي بِأَهْلِ ذِي الْحِجَازِ (سَوْقٌ مِنْ أَسْوَاقِ الْجَاهِلِيَّةِ كَانَ عِنْدَ مَرْفَعَةٍ) أَوْ لَوْ كَانَ بِرَيْمَةٍ وَمَضَرٍ أَوْ بِأَهْلِ الْأَرْضِ لَسَاتُوا .

صرح بناء الله أول ما بنى
لا يبلغ الباني ذراه ، ولا يرى
مهلا (أبي) فإن جهلت مكانه
أقدم ، فخذها طعنة من باسل
تلك المنية يا (أبي) سقيتها
(خدش) كوقع الظفر أو هو دونه
أ (أبي) أين (المود) والعلف الذي
أذهب ، لك الوبلات من متمرده
لك من قنيل (الكبش) أشأم صاحب
أخذ (النبي) بضربة كانت له
ولمن تقدم فوق صهوة عاثر
هو في الحفيرة دون (حصن محمد)

وأطال من عرينه وسامه
في الداعين بناءم كدعامه
فانهض إليه إن استطعت وسامه
يفتال عزم الليث في إقدامه
فانظر إلى الساق وروعة جامه
لم تفتكي وتضعج من آلامه ؟
أعدته ، وجعلته لطعامه ؟^(١)
عادى الإله ، وبلج في آثامه
يلقى إلى غول الردى بزمامه^(٢)
حتفاً يمزق لحمه بمظامه^(٣)
أشقى وأخيب آخذ بلجامه^(٤)
جثم الحمام عليه قبل قيامه

(١) كان أبي يقول قنبي صلى الله عليه وسلم بمكة : يا محمد إن عندي المود - يعني فرس له -
أعلمه كل يوم فرقا (مكبال يسع اثني عشر مدأ) من ذرة سأقتلك عليه - مات وهم قائلون به إلى مكة
يسرف (مكان) وقيل بيطن رابع (مكان آخر) وكان من أسارى بدر ثم أطلق ، ولم يقتل الرسول
الكريم بيده الشريفة أحدا قبل أبي ولا بعده

(٢) هو ابن ثثة خرج إلى غنمه بعد الوقعة فوافاهما على ذروة الجبل فأخذ ينقضها ، وشد
عليه كبشها فنطعه نطحة أرداه بها من شاهق الجبل فتقطع ، وفي رواية فسلط الله عليه تيس جبل فلم
يزل ينطعه حتى جعله قطعة قطعة

(٣) ضرب النبي صلى الله عليه وسلم سيفه على رأسه فكسر خوذته وشج وجهه الشريف ،
ودخلت حافتان من منفره في وجنتيه وخذشت ركبته لوفوه في إحدى الحفر التي عملها المسلمون أبو عامر
للناسق والله حنظلة غسيل لللائكة رضي الله عنه ، وقد أخذ على بن أبي طالب بيده ورفقه طلحة
ابن عبيد الله حتى استوي قائما ، ولما سال الدم من وجهه الشريف جعل يمسحه ويقول : كيف يفلح
قوم غضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى دينهم ، فزلت : (ليس لك من الأمر شيء - الآية)

(٤) عثمان بن عبد الله بن المنيرة ، أقبل على فرسه يريد النبي وهو متوجه للشعب فعر به فرسه
فجعل عليه الحمارث بن الصمة فقتله ، وأقبل هيبه الله بن جابر العامري فصر به الحمارث فجرحه ،
ووثب أبو دجانة فذبحه .

ألقى القضاء عليه من أنفاله
أرداه (بابن الصمة) البطل الذي
يفشاه سيف (العامري) فيفتنى
سلمت يداك (أبادجانة) من فتى
أحسنت ذبح المشركين فأشبهوا
متراميا ينصب في أجرامه^(١)
أعيا الردى المختال فعز صباه^(٢)
ودم الجريح يبل حر أوامه^(٣)
وسم المنية من حلل صمصامه
ما يذبح الجزار من أنعامه

* * *

يا ويلهم إذ يقذفون (نبيهم)
كسروا عوارضه وشجوا وجهه
يجرى الدم المدرار من متهلل
لا يعجب الكفار من مسفوحه
ما ظنهم باقه يؤثر عبيده
لن يستطيع سوى الضلالة مذهبا
لم يخذلوه ولم تفته كرامة
صبر المشمر للجهاد على الأذى
بمحارة تهوى هوئى صباه^(٤)
من كل غار جدد في إجرامه
طلق الحجا في الوغى بسامه
فلقد جرى من قبل في إلهامه
بالبالغ الموقور من إنعامه ؟
من ليس بالمصروف عن أصنامه
م عند نصرته وفي إكرامه
خلق يتم المجد عند تمامه

* * *

هذا مقام (محمد) في قومه
القادة الهادون من أتباعه
الله أرسله طيباً شافياً
الامر بان ، فأين يلتبس الهدى
هل لامرى في الدهر مثل مقامه ؟
والسادة البانون من خدامه
للعالم الوحشى من أسقامه
من ضل بين حلاله وحرامه ؟

* * *

(ركب النبي) إلى المدينة طائداً
يمشى به (جبريل) في أعلامه^(٥)

(١) الأجسام النقية (٢) الصمام : السداد

(٣) الأوام : المطش

(٤) قذفوه بالمحارة وكان فيهم عتبة بن أبي وقاص فدعا عليه ، فلم يحمل الحول حتى قتل

(٥) عاد المسلمون مع النبي وأكثرهم جرحى

يتوسط الجرحى ، تسيل دماؤهم
ويمد فوق المؤمنين جناحه
أدين مسنون الجهاد وذقن في
شمت (اليهود) وأرجف النفر الالى
قالوا : أصيب (محمد) في نفسه
ماتلك منزلة (النبي) فإنما
جلت مطالبه ، فراح يريده
لو أن قتلى الحرب كانوا عندنا
هاجوا من (الفاروق) غضبة واثق
فدعا : أترك رأس كل منافق
قال (النبي) وكيف تقتل مسلماً
صلى عليك الله ، من متخرج^(١)
سمح الشريعة والحلال مسدد
في قبضه الأمر أو إبرامه
فوق الحصى من خلفه وأمامه
يقضى لمن الحق من إعظامه
وهج الجلاد الحق حر ضرامه
طبع التفاق قلوبهم بختامه^(٢)
ورجاله ، وأصيب في أحلامه
يؤق النبي النصر عند صدامه
ملكاً يدوم جلاله بدوامه
ماهد هالكم ذوى أرحامه
بأفه ، لا يصفى إلى لوامه^(٣)
في القوم يؤذينا بسوء كلامه ؟
أفا تخاف الله في إسلامه ؟
جم الأناة يعف عن ظلامه
في نقضه للأمر أو إبرامه

« يبيع ،

ويلات الأمم

- ويل لامة تلبس بما لا تنسج ، وتأكل عما لا تزرع .
- ويل لامة تكره الضيم في منامها ، وتخنق له في يقظتها .
- ويل لامة كل قبيلة فيها أمة .
- ويل لامة عاقلها أبسكم ، وقائدها أعمر ، ومحتالها ثرثار .
- ويل لامة لا ترفع صوتها إلا إذا سارت وراء الشمس ، ولا تفاخر إلا إذا وقفت في المقبرة ، ولا تتمرد إلا وعقها بين السيف والنطع .

جبران خليل جبران

-
- (١) أظهر اليهود والمنافقون الشبهة والسرور وقالوا : ما محمد إلا طالب ملك ، ما أصيب بمثل هذا نبى قط ، أصيب لى بدنه ، وأصيب فى أصحابه ، لو كان الذين قتلوا عندنا ما قتلوا
(٢) قال عمر فبنى صلى الله عليه وسلم : أتأذن لى فى قتل هؤلاء المنافقين ؟ فقال : أليس يقولون : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، إنى نبيت من قتل المسلمين
(٣) متخرج : جانب المخرج وهو الاسم

اشكالات في ترجمة القرآن

بين فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر في مقاله القيم لجريدة الجمهورية الصادر في ١٣ من صفر سنة ١٣٧٤ أن ترجمة القرآن الحرفية عسيرة جداً ، بل هي ممثلة ، لما للقرآن الكريم من خاصية الإعجاز التي لا يمكن أن توفى ترجمته إلى لغة أخرى بوجود الإعجاز التي تحملها الآيات في أسلوبها الحكيم .

وكذلك أوضح فضيلته أن خير عمل — لتعريف الأمم الأخرى بالإسلام — هو دعوة نقر من المسلمين الذين يحسنون فهم الإسلام ، ويفهمون أضرار الدين ، ويجيدون لغته ، ويعرفون اللغات الأجنبية حق المعرفة ، إلى وضع كتب أو رسائل تعرف بها الأمم أحكام الإسلام وقواعده ، وقوانينه وتشريعاته ، على أن يتابع هؤلاء التنبيه إلى ما في الترجمات الموضوعة من أغلاط وأخطاء ، ليحذر الأخذ بها والتعويل عليها من يريد الحقيقة خالصة .

ولعل الذين يشيرون هذه المسألة تفتتح آذانهم لدعوة فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر ، ويسارعون إلى هذه الدعوة الجليلة ليدعوا إلى الله على بصيرة .

على أن الحجج التي يتذرع بها دعاة الترجمة أوهى من بيت العنكبوت ، فإن أسلافنا العرب الصالحين الذين قاموا بنشر الإسلام والقرآن خارج الجزيرة العربية بين أمم شتى ولغات مختلفة لم يخطر ببالهم يوماً أن يترجموا القرآن الكريم ، ولم يحل ذلك بين هذه الأمم وبين الفهم الحقيقي لتعاليم الإسلام . وكان من نتائج هذه السياسة الحكيمية أن انتقلت الأمم إلى الإسلام ، بدلا من أن يتقبل الإسلام إليها .

ولو أن الأمة الإسلامية اليوم حافظت على تعاليم الدين محافظة أسلافهم عليها ، لكان في ذلك خير دعوة له بين الأمم الأخرى التي لم تسعد بعد بالدخول في الإسلام .

على أنهم عرفوا القرآن بأنه : « كلام الله تعالى ، المنزل على محمد ﷺ ، المحجوز بأقصر سورة منه ، المتعبد بتلاوته » .

وهذا التعريف يحمل الترجمة ممنوعة لما يأتي :

- (١) لا يمكن أن نسمى الترجمة قرآنا .
- (٢) ولا أنها كلام الله .
- (٣) وليست الترجمة هي المنزلة على محمد ﷺ .
- (٤) وليس فيها إعجاز .
- (٥) ولا يتأني أن يتعبد بتلاوتها .
- (٦) ولا يكون لها حكم القرآن .

وعلى أن الترجمة المعنوية مستحيلة عمليا ، وذلك أن بعض الالفاظ يحتمل عدة معان ، وقد ذهب المفسرون فيها مذاهب شتى كلها صادقة الدلالة على شعب الحق والخير ، وما منها إلا ما يصلح للأخذ به في مختلف ظروف الزمان والمكان ، ومن هنا كان القرآن هدى للناس في كل زمان ومكان ، فهل يترجم في مثلها معنى واحد ؟ وهل يكتفى فيها بقول واحد كذلك ؟

آمل من أولئك الداعين إلى ترجمة القرآن أن يفهموا خطر ما يدعون إليه ، فقد عجز أساطين العربية من المشركين عن الإتيان بمثله : « قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » ، فإن كان لا يؤتى بمثله في لفته ، فهل يؤتى بمثله في ترجمته ؟

ولا يتذرع منير هذه المسألة الشائكة بضرورة تعريف الأمم الأخرى بالإسلام والقرآن ، فإن لسان حاله يقول :

أنا الذي نظرت الأعمى إلى أدبي وأسمعت كلماتي من به صمم

عبد القادر سيبة الحمم

من خريجي الأزهر

أولادنا

لا أعجب لشيء في هذه الحياة ما أعجب لعاطفة الأمومة ، تلك العاطفة التي تحمل الأم على أن تستهين بشتى المتاعب في سبيل راحة طفلها ، والتي تهون عليها الشدائد في حمله ورضاعه وتربيته .

وقريب من هذه العاطفة عاطفة الأبوة ، فإن الرجل يكذب بياض يومه ، وربما سهر أكثر ليله ، لا يمل ، ولا يتوجع ، ويجهد الجهد البالغ في السعى على أطفاله ، وتيسير سبل الراحة لهم . وليس العجب أن يكدح الإنسان في سبيل المحافظة على حياته ، وتوفير أسباب الرزق لنفسه ، ولكن العجب أن يجمع المال جامعه ، وأن يكبذ الذهب والفضة كائزهما ، وأن يبيت الليل سهران أرقا ، مفكراً مهموماً ، كل ذلك في سبيل أبنائه !

والحق أنه لولا هاتان العاطفتان لا تقرض الجففس البشرية ، بل لا تقرض كل جنس حتى على وجه الأرض ؛ فتعاب الأولاد ثقيلة شاقة لا يصبر عليها إلا من وفقه الله . والحياة ميدان جهاد كبير ، وحياة الأسرة ميدان جهاد صغير ، ولكنه لا يقل في متاعبه ومزاقه عن ميدان الحياة الأكبر ، وكل فتى يعزف عن الزواج ، إنما هو إنسان رخو ضعيف ، هارب من الميدان ، يؤثر الراحة ، ويخلد إلى الحياة الدون ، ولا يجد في نفسه من الشجاعة ما يحمله على دخول المعترك .

نعم ، الولد مجنونة مبغلة مجبهة ، فالرجل قد يكون شجاعاً مقداماً ، ولكنه حين يذكر أطفاله وحاجتهم إليه ، يتأني ، ويتقبل ما لم يكن يتقبل أيسره ، ويقضى على القذى ، وقد يكون مسرفاً متلافاً ، فإذا فكر في أولاده أمسك يده ، بل ربما بخل وشح :

لولا بنيات كزغب القطا	جمن من بعض إلى بعض
لكان لي مضطرب واسع	في الأرض ذات الطول والعرض
وإنما أولادنا بيتنا	أكبادنا تمشي على الأرض

وما بال هذا الذي تعود أن يخوض المعارك ، لا يبالي على أى جنبيه يصرع ، ولا من
أى النواحي أنه مئيتة ، يتمسك بأذيال الحياة ، ويرغب فيها رغبة الجبان الرعيد . إنهم
بنات ضعاف ، يخشى عليهم الذل :

لقد زاد الحياة إلى حبا بناتي ، أنهن من الضعاف
أحاذر أن يرين الفقر بعدى وأن يشربن رثقا بعد صاف
وأن يعرين إن كسى الجوارى فتنبو العين عن كرم عجايف

وإذ وصل بنا الحديث عن البنات الضعاف ، فإننا نتعنى أن يفهم أولئك الذين يكرهون
البنات وإنجابهن أنهم يجهلون قوانين الحياة ، ويريدون أن يسير العالم على وفق رغباتهم ،
وهم بعد ذلك ضعاف الإيمان بالله ، قصار النظر ، يؤثرون العاجلة على الآجلة ، وينسون
جاهلين أو متجاهلين ، أن البنات حسنات ، وأن البنين نعم ، والحسنات مثاب عليها ، والنعم
مستول عنها ، كما يغفلون عن قول النبي ﷺ : « من خرج إلى سوق من أسواق المسلمين ،
فاشترى شيئاً فخص به الإناث دون الذكور نظر الله إليه ، وقوله : « من كان له ابنة ، فأدبها
فأحسن تأديبها ، وغذاها ، وأسبغ عليها من النعمة التي أسبغ الله عليه ، كانت له ميمنة وميسرة
من النار إلى الجنة » .

ومشهور ما كان من أمر العرب في الجاهلية ، من كراهية البنات « وإذا بشر أحدهم
بأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم ، يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون
أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون » . ونشأ عن ذلك أنهم كانوا يسلكون معهم ما يتنافى
مع أبسط مبادئ الإنسانية والإيمان ، فكان بعضهم يدفنونهن أحياء تحت ضغط بعض
الظروف القاسية ، وقد حرت - والله - في فهم السر في دفنهن أحياء ، ولم لا يقتلوهن ،
ويحفوهن من هذا العذاب الأليم ، ألا إن الغيظ أحد العوامل القوية في هذا
العمل الذمى .

وقد أرشدكم القرآن إلى موضع الضلال في نفوسهم ، فليسوا هم الذين يرزقون بناتهم ،
ولئنا الرازق الله ، ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق ، نحن نرزقهم وإياكم . وقد انقضت

الجاهلية ، وحذر الله من عاداتها ، وتقدم العقل البشرى ، ولكن الناس ظلوا في هذا الامر عند ما يفهمه الجاهليون ، فلا يزالون - أو على الأصح - لا يزال عدد كثير منهم ، يكتسبون حين تطرق المرأة بأنتى ، ويفرحون أشد الفرح حين يبشر أحدهم بمولود ذكر ، مع أن تجارب الحياة أثبتت أن البنت قد تكون أكثر بركة على أبويها من الولد ، وأن حنانها وعطفها على أبويها لا يقاس بهما ولا بدائهما عطف الولد وحنانه .

ولطالما أعجبتنى هذه الاعرابية الظريفة التى هجرها زوجها لكثرة ولادة البنات ، فالتفت لذهن يوما وجعلت ترقص طفلتها على هذا النشيد :

ما لآبى حزة لا يأتينا يظل فى البيت الذى يلينا
غضبان ألا تله البنينا والله ماذلك فى أيدينا
وإنما نأخذ ما أعطينا ونحن كالارض لزارعينا
نفبت ماقد بذروه فينا

لخذثوا أن الرجل حين سمع النشيد ثاب إليه عقله ، ورجع إلى رشده ، ورنث فى أذنه الكلمة الصادقة القوية ، والله ماذلك فى أيدينا ، وأدرك أن كل شئ فى يد الله ، والله ملك السموات والأرض ، يخلق ما يشاء ، يهب لمن يشاء إناثا ، ويهب لمن يشاء الذكور ، أو يزوجهم ذكرانا وإناثا ، ويجعل من يشاء عقيما ، إنه عليم قدير ،

أعرف شبانا يتمنى آباؤهم لو أنهم كانوا فتيات ، بل يتمنون لو أنهم لم يكونوا . وأعرف فتيات يفقن الرجال عقلا وخلقا ونفعا .

فما التأنيت لاسم الشمس عيب ولا التذكير غفر للهلل

ولكن متى يرجع الناس إلى العقل الراشد ، ويوقنون أن الخير فيما اختاره الله ؟

على العمارة

كيف طبق محمد مبدأ الوقاية بعد غزوة أحد ؟

مبدأ الوقاية

للحرب مبادئ يعرفها العسكريون في أنحاء العالم ، وأثبت تاريخ الحروب الطويل أن النصر دائماً في جانب القائد الذي يطبق مبادئ الحرب ، وأبان لنا أن هناك قادة أهملوا بعض هذه المبادئ فباموا بالهزيمة والفشل الذريع . .

والعسكريون حين يدرسون تاريخ الحرب الذي يسمونه « التاريخ العسكري » ، ينعنون - فيما ينعنون - بالنظر إلى المعركة من زاوية معينة ، هي مدى مراعاة مبادئ الحرب وتطبيقها من جانب القادة .

« ومبدأ الوقاية » من مبادئ الحرب . . تعرفه قوانين خدمة الميدان التي تعد دستور الحروب بالآتي :-

« الوقاية معناها التدابير التي يتخذها القائد لسلامة قوته من المفاجأة ، وإخفاء مواقعه عن العدو » .

وورد في موضع آخر من هذه القوانين العبارة الآتية :-

« قائد كل قوة مسئول في جميع الأوقات عن وقايتها » .

ولقد طبق محمد ﷺ قائد جيش الإسلام ، مبدأ الوقاية على خير ما يكون التطبيق ، بل وضع له المبادئ والاسس ، فسبق في ذلك قادة الحروب الذين طبقت شهرتهم الآفاق . .

فلقد كان ﷺ بعد غزوة أحد في حاجة فعلاً إلى هذه « الوقاية » .

وكان هذا من مقتضى الحال ، وبما تحتمه الظروف ، فقد شجعت هزيمة المسلمين في تلك الغزوة الكثير من أهل المدينة ، ومن سائر قبائل العرب ، بمن كانوا يحسبون للإسلام حساباً ، على أن ينسكروا للمسلمين عند عودتهم ، ووهبهم الجرأة على مناوأة الرسول ، وأصبح من الطبيعي ومن المتوقع أن تنال على المسلمين الغارات سواء من قريش التي تريد أن تستغل ما أحرزت من نجاح لتقضي على محمد ﷺ ودينه ، أو من سائر القبائل التي تريد استغلال الفرص .

وهكذا لم يكن على رسول الله ﷺ أن يحافظ على نفسه أو جيشه أو مدينته فحسب ، بل كان عليه ﷺ أن يحافظ على دينه ، وهذا مادعانا إلى أن نبرز في هذه الفترة التي أعقبت وقعة أحد كيف قام محمد ﷺ بأمر الوقاية ، التي كانت تحتمها الظروف .

ولقد تبين لنا من دراسة حوادث هذه الفترة أن النبي ﷺ لجأ إلى الوسائل الحكيمة الآتية تطبيقاً لمبدأ الوقاية :-

أولاً : إنشاء شبكة واسعة من الأعوان والعيون في أنحاء الجزيرة يزودونه بأخبارها ، ومواقف حركات القبائل المعادية . ولقد نجحت هذه الشبكة تماماً ، فكان النبي ﷺ يقف على أنباء غارات الأعداء ، وهي بعد في مرحلة النية والإعداد ، فلم يفتأ مرة واحدة .

وكان استخدام العيون على نطاق واسع أمراً تقتضيه ضرورات الوقاية .

ثانياً : اتباع نظرية الدفاع المجهز التي تحدثنا عنها من قبل ، ومقتضاها أن تخرج لقتال عدوك وتهاجمه بدلاً من أن تقعد منتظراً مهاجمته لك .

وقد اتبع النبي ﷺ هذه النظرية في القضاء على جميع الغارات التي قام بها أعداؤه بعد غزوة أحد . فكان يسرع بالخروج أو بإرسال سرايا لغزو القبائل التي يعلم - بواسطة عيونه وعجزبه - أنها أعدت العدة للإغارة عليه ، فيقاتلها في عقر دارها .

ونذكر من هذه السرايا والغزوات سرية أبي سلمة ، وسرية عبد الله بن أنيس الانصاري ، وغزوة ذات الرقاع .

سرية أبي سلة :

مرت فترة سكون مدتها شهران عقب عودة المسلمين من أحد ، ثم علم الرسول أن طليحة وسلة ابني خويلد الأسديين يعدان العدة للإغارة على المدينة ، فأعد مائة وخمسين رجلاً من المهاجرين والأنصار ، منهم أبو عبيدة بن الجراح ، وسعد بن أبي وقاص ، وجعل عليهم أبا سلة بن عبد الأسد وقال له : « سر حتى تنزل أرض بني أسد بن خزيمه فأغر عليهم » .

خرجت هذه السرية تسرع في السير ، وكانت تستخفي نهاراً ، وتسير ليلاً ، في طريق غير مألوف ، حتى لا يشعر بها أحد ، حتى بلغت قطن^(١) ولكن المسلمين لم يلقوا أحداً ، إذ أن القوم حينما فوجئوا بالمصيبة تفرقوا رعباً وطمعاً .

إلا أن أبا سلة لم يشأ أن يعود أدراجه دون أن يقضى عليهم ، لأنه خشى أن يجمعوا صفوفهم مرة أخرى ، ليعاودوا الكرة ، قسم قوته إلى ثلاثة أقسام :

قسم أقام معه في قطن . وقسمان تعقبا العدو ، وأصابا مقام عظيمة عادا بها إليه .

فلما أيقن أبو سلة أنه لن تقوم للأسديين قائمة ، عاد بمجموعه إلى المدينة متحصراً ، وقسم الرسول الغنائم عليهم ، فكان نصيب الواحد تسع بغير وأغنماً . وكانت مدة غيبة أبي سلة عشرة أيام ، وأعدت سرية هذه للمسلمين بعض هيبتهم .

ولا تفوتنا هذه السرية دون أن نذكر فتناً من فنون الحرب ظهر فيها بوضوح ، ألا وهو القاعدة الوطيدة .

ولإيضاح نظريتها نقول : إنه إذا خرجت قوة في مهمة هجومية بعيداً عن قاعدتها التي خرجت منها ، وجب عليها ألا تدخل كلها المعركة ، بل يجب أن يبقى جزء منها متأخراً في الخلف يطلق عليه القاعدة الوطيدة " Firm Base " يقوم بستر ظهر البقية المهاجمة ، وينجدها عند الضرورة ، ويهيء لها الملجأ المأمون إذا اضطرت للانسحاب .

(١) قطن : جبل بنجد .

وبدون هذه القاعدة الوطيدة تتعرض القوة لخطر مؤكد . وهذه النظرية تشبه إلى حد كبير النظرية القائلة : « لا تضع البيض كله في سلة واحدة » . وأبو سلة قائد هذه السرية طبق هذه النظرية ، فترك ثلث قوته متأخراً ، وهاجم عدوه بالثلثين ، فجاء هذا مثالا واضحاً للقاعدة الوطيدة .

سرية عبد الله بن أنيس الأنصاري :

ثم علم الرسول عليه الصلاة والسلام أن سفيان بن خالد الهذلي يجمع الجوع لقتاله ، وكان بعرة^(١) . فاختار الرسول ﷺ طريقة جديدة ، هي أن يرسل له من يقتله ، فيقتضيه بذلك عليه وعلى مقاصده ، فدعا إليه عبد الله بن أنيس رضى الله عنه وقال له : « آتته فاقته » . ولقد رأى عبد الله أن مهمته هذه تقتضيه بعض الخداع والدهاء ، فاستأذن الرسول في أن يقول ما يبدو له ، فأذن له .

فأخذ عبد الله سيفه ، وخرج حتى لقي سفيان بن خالد ، فشى معه يحدثه بكلام استحلاه ، ثم حمل عليه السيف وقتله ، وعاد إلى المدينة بعد غيبة ثمانى عشرة ليلة . ٩

محمد . جمال الدين محفوظ

علاج المصفيه

لا تكافئ المصفيه على صفه بمثله ، فإنك إن فعلت قضيت له على نفسك ، وأصبحت شريكاً في الخلة التي تزعم أنك تنقمها عليه .

فإن كنت لا بد من متفهما فليكن مثلك مثل الأحنف بن قيس إذ جاءه رجل قد جعل له بعض الناس جملاً على أن يغضبه ، فما زال يسبه ويلع في ذلك إلحاحاً محرراً ، والأحنف ساكت لا يقول شيئاً ، حتى ضاق بالرجل أمره ، فأنقلب إلى قومه باكياً نادياً يأكل لإصبعه أكلاً ويقول :

— والله ما سكت عنى إلا لهوانى عليه ...

(١) عرة : موضع قريب من عرفة

مشكلة اجرام الأحداث

أضحت مشكلة إجرام الطفولة اليوم من أخطر المشكلات الاجتماعية شأنًا ، وأضحى التعاون في علاجها بين شتى العلوم والدراسات حقيقة واقعة للفاحصين والدارسين ؛ إذ رأى فيها علم التربية إحدى مشكلاته ، لأنها لا تعدو - في الواقع - أن تكون مشكلة من المشكلات اليومية للأطمان في أسامها وفي الدوافع إلى ارتكابها ، لولا أن ارتباطها بالعدوان على الغير وتهديد الأمن يجعل لها طابعاً قانونياً خاصاً ، ولذلك رأى فيها القانون الجنائي في الدولة مشكلة قانونية تستوجب المحاكمة والعقاب ، ووجد فيها علم الاجتماع إحدى مسائله ، لأن عواملها وآثارها اجتماعية بحتة ، وتبناها علم النفس لأن مهمته بحث القوى الديناميكية الفعالة في شخصية الطفل ، وهذه القوى هي ذاتها التي تدفعه إلى ارتكاب الجرم واقتواف الذنب ، ولأن عمل هذا العلم يقتضيه أن يضع العلاج من الناحية النفسية والتربوية ، ليقى المجتمع من إجرام الطفولة ، وليقف سداً منيعاً يمنع الحدث من اللجوء إلى الإجرام وتوقيع العقاب القاسى عليه .

ولقد تبين من الوجهة القانونية أن صغر السن مانع من المسؤولية الجنائية في السنوات الأولى من حياة المواطن ، ووجه لتخفيفها فيما بين فترة الإعفاء ومرحلة الرشد الكامل ؛ وذلك لأن المسؤولية الجنائية مرتبطة بالإدراك ومنوطة به ، والإدراك لا يكتسبه الشخص دفعة واحدة ، بل يأتيه تدريجاً في خلال السنوات الأولى من حياته ، حتى تكتمل له الملتكات الذهنية اللازمة لمساءلته جنائياً إذا ارتكب جرماً .

ولا يقتصر الأمر على حد التخفيف من مسؤولية الأطفال عما يرتكبونه من ذنوب ؛ لأنهم يختلفون في الواقع عن البالغين العاقلين من حيث أسباب الجريمة ومن حيث القابلية للإصلاح والتقويم ، فأجرام البالغ يرجع عادة إلى عوامل شخصية وفساد خلق تشربت به نفسه ، بينما أن إجرام الطفولة يرجع إلى البيئة الفاسدة وانحطاط التربية وتقصير الأبوة والأمومة واضطراب أوضاع الأسرة ، وبالرغم من ذلك فالحدث أكثر من البالغ استجابة لدواعي الإصلاح والتقويم والتهذيب والتوجيه لأنه في دور التكوين .

ومن أجل هذا رأت التشريعات الحديثة في شتى البلدان على اختلاف نظمها وأوضاعها القانونية والاجتماعية أن تعالج مشكلة إجرام الطفولة عن طريقين مجتمعين : طريق يتعلق بالناحية الاجتماعية ، وآخر يتصل بالوجهة القانونية .

فأما الطريق الذى يتعلق بالناحية الاجتماعية ، فالقول فيه يتلخص فى العمل على القضاء على العوامل التى تدفع الأطفال إلى الإجرام : وذلك يتأتى بمكافحة تشرذم الأحداث ، وحمايتهم من إهمال أهلهم ، وإصلاح نظام الأسرة ، ونشر التعليم ، وإنشاء الملاجىء ومعاهد التربية ، وتنظيم تشييل الأحداث ، إلى غير ذلك من وسائل القضاء على العوامل الدافعة إلى الإجرام لدى الطفولة ، وتجهيزهم مساوىء الوسط الماسد والبيئة السيئة والتربية المنحطة .

ولقد اتضح بجملاء أن مشكلة إجرام الطفولة مشكلة نفسية قبل كل شىء ، لذلك فعلاجها لا بد أن يكون على ضوء تعاليم علم النفس وأبحاثه ، ويؤكد علم النفس فى هذا الصدد أهمية تركيز البحث فى الحدث ذاته وفى طبيعة جرمه والظروف التى سافته إلى الوقوع فيه ، وثبت أن إجرام الأحداث يرجع إلى أسباب متعددة تتعقد وتتوغل وتتداخل فيما بينها ، ولذلك يشير علم النفس إلى اللجوء إلى طريقة البحث الفردى Case Study لكل حدث على حدة مع تحليل كل ما يتعلق بالموقف الإجمالى وعوامل البيئة والزمان .

ودل البحث على أن عامل البيئة هو أهم عوامل الإجرام لدى الأحداث ، ومن هنا رأينا الجرائم التى تقع من الأحداث نتيجة عدم فهمهم وعدم نهية الجو المناسب للتعبير عن دوافعهم الطبيعية ، وتلك التى يرد بها الطفل على مؤثرات البيئة ، وكذلك الجرائم التى ترجع إلى مرض نفسى لدى الحدث ، كما تبين أن العوامل الجسمية أو العضوية Organic من الدوافع الحية لارتكاب الجرائم بالفسبة للكثيرين من الأحداث ، ومثال ذلك الجرائم التى ترجع لعاهات الحس والحركة ، وتلك التى ترجع لسوء الحالة الصحية أو إلى اضطرابات القدد ، كما نسب الباحثون أمثال جودارد Goddard وهيلى Healy بمجموعة من جرائم الأطفال إلى الغباء والضعف الذمنى ، كما اتضحت العلاقة قوية بين إجرام الطفولة وبين الجهل ونقص التعليم والثقافة .

وأسفر البحث عن حب الطفل الشديد للعب ، وهذا يقتضى بيوتاً مجهزة وإعداداً خاصاً مما لا يتمياً فى الغالب للطفل فى الوقت الحاضر حتى فى الدول الراقية التى ضاقت فيها

المساكن وتغيرت طرق المعيشة ، ومن أجل هذا نشطت الدعوة لإقامة منشآت للأطفال ليزاولوا فيها نشاطهم وحيويتهم ، وينهمكوا فيها في لعبهم ولهوهم ، فلا تنبأ لهم فرصة الإجرام ، بل لقد حدث بالفعل في سويسرا بعد الحرب العالمية الثانية أن أنشئت مدن للأطفال فيها ، واهتمت الدول الأوروبية جميعاً بتنظيم الحدائق العامة للأطفال وتزويدها بمعدات النشاط الصياني المفيد ، ومن الطريف أن نذكر أن الأستاذ Burt في « كتابه The Young Delinquent » أثبت أن جرائم الأحداث في لندن تزيد في المناطق التي تقل فيها مساحات الحدائق العامة التي يسمح للأطفال باللعب فيها ، وتقل بالعكس في المناطق التي تكثر فيها مساحات هذه الحدائق ، وهذا فضلاً عن أن البلاد الأوروبية أكثر كذلك من إنشاء الأندية الخاصة بالأطفال ودور الحضنة .

ويضاف إلى كل هذا اتخاذ التدابير الوقائية لمنع الأحداث من ارتكاب جرائمهم عن طريق إصلاح الحياة المنزلية والتربوية ، وقد أنشأ كثير من البلاد الراقية في هذا المجال مدارس خاصة بالآباء والأمهات يتلقون فيها معلومات تربوية لتطبيقها في المحيط العائلي ، وترتب لهم حلقات دورية يبحثون فيها مع الإخصائيين المشكلات التربوية والعائلية التي يثيرونها ، وتكون بالنسبة للأمهات والآباء على وجه العموم مكاتب للاستشارة التربوية .

ولا يخفى بعد ذلك ما للتربية الدينية للطفل من أثر بالغ في منع ارتكابه الجريمة ؛ لأن احترامه للدين وملء نفسه وإحساسه به يجعله ضابطاً لنفسه من الزلل ، وحافظاً له من الخطأ والإجرام .

أما الطريق الذي يتعلق بالناحية القانونية في مجال علاج مشكلة إجرام الطفولة ، فيتلخص في تقرير الأجزاء والعقوبات على الأطفال والأحداث المذنبين ، مع مراعاة قدر مسئولية كل منهم ، ومع مراعاة ألا يكون هدف هذه الأجزاء والعقوبات الردع والعقاب قبل الإصلاح والتأديب والتقويم والإرشاد ، فضلاً عن تجنب الأحداث قدر المستطاع توقيع العقوبات العادية عليهم كتلك التي تقرر للجرمين من البالغين الكبار كمعوبات السجن التي إن قررت عقاباً للحدث عرضته لمفاسد الاختلاط بالجرمين الكبار ومفاسد السجن ووسطها ، وكانت سبيلاً لتمكين الجريمة من نفسه واستحكامها في ذهنه وشعوره ، بدل القضاء عليها عنده وتخليصه منها وتجنبه الوقوع فيها من جديد .

ومن أجل هذا وضعت التشريعات الحديثة الوسائل التوقية Mesures d'instruction ومن أمثلتها : توبيخ الحدث في الجلسة ، والتسليم للوالدين أو لولى النفس أو لشخص مؤتمن أو لمعهد خيري ، والإرسال إلى مدرسة إصلاحية ، كما أنشأت الدول الراقية الإصلاحيات الخاصة بالأحداث ، وعُنت فيها بالنواحي التعليمية والصناعية والتهذيبية .

وفي مجال هذا الطريق القانوني أيضاً يعم نظام محاكم الأحداث الذي يضمن القضاة والإخصائيين الذين تخصصوا في دراسة الطفولة ومشكلاتها النفسية ، مع الإلمام بالخدمة الاجتماعية للأحداث ، ومن المهم هنا تثبتهم واستقرارهم في محاكمهم ، فلا يمرضون للنقل والتغيير ، مع ضمان ترقياتهم في محاكمهم ، وذلك ليتمرسوا بخبرة عملية دقيقة لمشكلات البيئة التي يزاولون فيها عملهم .

وجدير بالذكر أن دراسة هؤلاء القضاة والإخصائيين لقضايا الأحداث يجب ألا تقتصر على مجرد إثبات التهمة أو نفيها عن الحدث ، بل تعدى ذلك إلى بحث الدوافع النفسية التي تدفع الحدث إلى الانحراف ، وتسوقه إلى ارتكاب الجرم والعدوان .

ومن المهم تزويد محاكم الأحداث بالعيادات النفسية ، التي يوضع فيها الحدث تحت الدراسة والملاحظة مدة كافية لمعالجة حسب التقرير الذي يضعه المختص بالعبادة .

هذا ويدعو المصلحون هنا وهناك إلى الإكثار من إصلاحيات الأحداث ومنشآتهم مع تنظيم إدارتها وجعلها مراكز للبحث والدراسة ، فضلاً عن كونها معاهد لتربية الأحداث وإصلاحهم ، ومن الخطورة جعلها شبيهة بنظام السجون العادي الذي يوضع فيه المجرمون البالغون ، لاختلاف السبب والغاية لكل من النظامين . وفي سبيل تنظيم الإصلاحيات يمكن الاستهداء بما هو موجود في بلجيكا وهولندا وسواهما من الدول الراقية ، كأن تقوم الحياة فيها على نظام الأسر House System ، ويجب الاستفادة من وقت الحدث في عمل مثمر يشعر أثناء القيام به براحة نفسية : كتشغيله وتعليمه الصناعات العملية على ضوء بحوث التوجيه المهني Vocational Guidance ، وإذا ما خرج الصبي من الإصلاحية فنبغي أن يوفر له العمل المناسب بالتعاون بين الشركات الصناعية والجهات الخيرية ، وألا يترك بعد خروجه من الإصلاحية دون تتبع وإشراف من الباحث الاجتماعي حتى يستطيع الاندماج في المجتمع .

وفىما يتعلق بمحاكمة الحدث يقبع القضاة الوسائل التى من شأنها تقويم الحدث ومنعه من العودة إلى ارتكاب الجرم . وما يحسن ذكره هنا تلخيص إحدى قضايا إجرام الأحداث فى بلد كأمريكا مثلاً ، لئرى كيف يعامل هناك الطفل الذى أجرم ، ونختار هذا المثل من قضية عرضت على (محكمة مناهن للأحداث) فى أمريكا ، ذكرها لإخصائى اجتماعى زار هذه المحكمة يوم تلك القضية ، وتتلخص وقائعها فى أن طفلاً فى العاشرة من عمره سرق ساعة فى إحدى المقاهى من أحد الأشخاص ، حيث لمح أحد رجال الشرطة قبض عليه ، ولما عقدت المحكمة مثل الطفل أمام القاضى غائفاً مرتعداً تكاد الدموع أن تقطر من عينيه ، يد أن القاضى خفف عليه كثيراً برقته وحسن ملاحظته ، حتى اطمأن إليه وحادثه كما يحادث صديقاً له .

سأله القاضى عن اسمه برقة ، فأجابه الطفل بأنه (جون سميث) فصمت القاضى قليلاً ثم أردف قائلاً للطفل : إن اسمه يذكره بصديق له يحمل نفس الاسم كان زميلاً له فى المدرسة وكان مجداً متخلقاً ، ولما أتما دراستيهما انصرف الزميل جون سميث إلى دراسة الطب فى كلية الطب ، وتابع القاضى دراسته فى كلية الحقوق .

وذكر القاضى للطفل أن زميله جون سميث هذا صار طبيباً مشهوراً ، وأنه يعز بصداقته وأنه يكاتبه بين حين وآخر ، وأبدى القاضى تأثره وسروره من وجود غلام أمامه يحمل اسم صديقه الذى يعزه ويحترمه ، وقمت له مشكلة يريد أن يتعاون معه على حلها ، لعله يحظى بصديق جديد يحمل نفس اسم صديقه الطبيب ، وراح القاضى يشترط للطفل للحصول على هذه الصداقة أن يساعده فى حل هذه المشكلة ، وابتسم الطفل ورمقه بنظراته البريئة ، وأبدى استعداداً للمساعدة ، وتقدم من القاضى وأخذ الساعة المسروقة من أمامه واستأذنه فى إعادتها لصاحبها والاعتذار إليه . فشكره هذا ، ووعد الطفل بالألا يعود لمثل ذلك فى المستقبل ، وشجعه القاضى ، والفتت إلى رئيس نادى الأحداث الجالس بجانبه ، والذى يتبع له ذلك الطفل ، وطلب إليه الحضور للتعاون معه ومع عائلة الطفل ، ورجاء أن يعير الطفل جون سميث ثلاثة كتب سماها له من مكتبة النادى ، وأخبر الطفل أنه سيتحدث معه شخصياً فى موضوعات هذه الكتب الثلاثة بعد قراءته لها ، وعلى هذا الوضع انتهت قضية جون سميث فى محكمة مناهن للأحداث ١٠٠٠ م

المحرر طه السنوسى

ذروة السنام

عن معاذ بن جبل رضى الله عنه ، قال : كنت مع رسول الله ﷺ في سفر ، فأصبحت يوماً قريباً منه ، ونحن نسير ، فقلت : يا رسول الله ، أخبرني بعمل يدخلني الجنة ، ويباعدني من النار . فقال : لقد - ألت عن عظيم ، وإنه ليسير على من يسره الله عليه ، تعبد الله لا تشرك به شيئاً ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت . ثم قال : ألا أدلك على أبواب الخير ؟ قلت : بلى يا رسول الله . قال : الصوم ، الجنة ، والصدقة تطفيء الخطيئة كما يطفىء الماء النار ، وصلاة الرجل من جوف الليل شमार الصالحين . ثم تلا : تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ولهم رزقناهم ينفقون . فلا تلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون ، ثم قال : ألا أخبرك برأس الأمر وعموده ، وذروة سنامه ؟ قلت : بلى يا رسول الله . قال : رأس الأمر الإسلام ، وعموده الصلاة ، وذروة سنامه الجهاد .

صلوات الله عليك يا منقذ الإنسانية ، بقدر ما أخرجت العالم من ظلمات الممجية ، وأنقذتها من براثن الوحشية ، ومخالب الوثنية . سئلت فأجبت بالجواب القاطع ، ليس له من دافع ، وأنت لا تنطق عن الهوى ، إن هو إلا وحى يوحى . جواب فيه النصر وفصل الخطاب .

يتندر معاذ بن جبل الصحابي الجليل بسؤاله الجامع المانع ، للقائد المكافح المنافع : أخبرني عن عمل ، وأرشدني إلى طريق أنال به الجنة ، ويجنبني النار ، فيجيبه الرسول عليه الصلوات ، بأن سؤاله كبير في مظهره ، سهل حين يسير في غزبه ، فإذا صدقت النية ، وقويت العقيدة ، وخلص القصد ، سهل الوصول إلى نيل المرغوب والمأمول ، ويرشده الرسول - أولاً وقبل كل شيء - إلى أساس الدين الذي ترسو عليه أحجار الجنة ، ويرفرف عليه علم الإسماء ، وإلى الجدار الذي يبنيه ، حتى ينعم بما يبتغيه ، إلى عبادة الله الواحد الديان ، عبادة خالصة من كل شائبة وتقصان ، والقيام بوضع اللبنة التي أمر بها بديع السموات ، من حج وصلوات ، وصوم وزكوات ،

ثم بدله الناصح الأمين ، على أن الصوم وقاية وجنة ، وأن الصدقة ماحقة للذنوب ، والتهجد ليلاً سبياً الصالحين ، وعلامة المؤمنين ، ثم يخلص إمام الفصحاء من ذلك كله إلى جمع أسباب السعادة والغلبة في كلمات ، لتكون أسهل في العمل ، وأيسر لتحقيق السبل . إن هذا الدين يسر ، وإن يشاذ الدين أحد إلا غلبه ، فيخبره عن الدين وأساسه ، والإيمان وعمده ، والرأس وبه العقل المفكر هو الإسلام ، والنور الذي يستضيء به الرأس هو الصلاة ، والقمة التي تنتشر منها الأضواء هي الجهاد .

أيها المصريون الأحرار ، انقضى زمن الكلام ، وجاء وقت الأعمال ، ووجب علينا إعداد كل نفس ونفيس ، وغال ورخيص ، في سبيل الذود عن حياض الوطن المقدس ، واستخلاصه من الدلة ، وعتقه من رق العبودية . ولنا في السلف الصالح خير قدوة ، وأكرم أسوة . فهذا هو أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - يتبرع بجميع ماله في جهاد المشركين ، حينما دعا القائد العظيم إلى الاكتتاب . وأمام الجموع الزاهرة من الصحابة يسأله عما أبقاه من المال لأهله ونفسه ، فيجيبه : أما المال الذي قدمته فهو لإعلاء كلمة الحق ولو كره الكافرون ، وأبقى لأهلي الذخيرة التي لا تنفد أبداً وهي الله ورسوله . وهذا عثمان بن عفان رضي الله عنه يهب لجيش العسرة جميع ماله راضية بذلك نفسه في غزوة تبوك ، وقد رأى ابن عباس رضي الله عنه في منامه ، أن النبي عليه الصلاة والسلام راكب برذونا أبلق يناطح السحاب في سريانه ، والنيل في جريانه . فيناديه جبر الأمة : على رسلك يا رسول الله - كأنه يسأله عن سبب عجلته - فيجيبه بأن الله زوج عثمان بن عفان عروساً في الجنة ، وقبل الله منه هبته في سبيل الله ، ودعيت إلى هذا العرس وقد دنا موعده فأسرعت لذلك .

كل شيء بشئ : فن أعطى الكرائم ، وبذل النفائس ، - صل على العظامم ، وفاز بالطيبات . ومن بخل فإنما يبخل على نفسه .

على قدر أمل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم

هكذا قضت سنة الحياة ، لا تقاد الآمال إلا لمجاهد صابر ، ولا تسلس المعالي قيادها إلا لمن يروضها ، ويحتمل عنث جماحها ، ويتغلب على خشونتها .

لا شك أن العجب يمتلك الإنسان وهو يتصفح أمر النفر الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، ونالوا من الأذى والتهديد ، ما تنوء بحمله الجبال الراسيات ، وأصابعهم من الفتنة في الدين ما يزلزل مثله أشد الناس إيماناً ، وأثبتهم يقيناً ، فما ضعفوا وما استكانوا ، وما وهنوا

لما أصابهم في سبيل مبدئهم الحق ، ولم تنل الكوارث من نفوسهم ، ولم تؤثر هاتيك الحوادث فيهم ، وما زادهم ذلك إلا إيماناً وتسليماً .

ولست أبالي حين أقتل مسلماً على أى جنب كان في الله مصرعى والمقيدة حينما تغفل في النفوس ، ويؤمن بها المرء إيماناً صادقاً ، يدافع عنها دفاع المغاوير الميامين ، وتهون عليه نفسه وماله ، وكل عزيز لديه .

ذهب أحد الأعراب إلى الرسول عليه الصلوات يعاهده على الجهاد في سبيل الله ، تدفعه قوة الإيمان ، ووعد القرآن بأن نصر المخلص دين على الديان ، ثم جاهد في إحدى الغزوات ، جهاد البطل المغوار ، حيث كان الظفر والاتصار ، فعرض القائد الأعلى على هذا الجندي نصيبه من الغنائم ، فأجاب : « ما على هذا اتبعتك ، ولكن اتبعتك على أن أرى بسهم في حلقى فأموت شهيداً فأدخل الجنة » . ما أروح هذا القول الذي يؤجج الحماسة في قلوب الجناء ، ويذر بذور الشجاعة والفداء في نفوس الضعفاء . ثم انبرى يناضل في غزوة أخرى ، وقلبه ثابت كالطود الشاخ ، ملؤه النصر الذي وعد به الله عباده المؤمنين ، وأسفرت نتيجة الملحمة عن نصر المسلمين ، واندحار الباغين المعتدين . عند ذلك سأل قائد المعركة عليه السلام عن الأعرابي ، فبلغ سمعه الطاهر أنه خر صريعاً في الميدان ، شهيد المقيدة والإيمان . ما أعظم هذه الروح الطيبة ، والنفس المؤمنة ، التي فاضت إلى أعلى عليين ، رفيقة الشهداء والصالحين . ثم أمر النبي صلوات الله عليه بأن يلف في ثوبه ، ثم قدمه أمامه وقال : (اللهم إن هذا العبد خرج مجاهداً في سبيلك فقتل شهيداً وأنا شاهد على ذلك) . فانظر يا رعاك الله إلى هذه القلوب والمهج والأرواح التي بذلوها رخيصة في سبيل الحق ، فكانت سبب هزم وسيادتهم وانتشار دينهم وسلطانهم .

يا رجال الثورة وقادة مصر ، وبا وزير التربية والتعليم ، نريد تربية وتعليماً يربط أبناءنا وأحفادنا بأبائنا وأجدادنا ، ويخرج للأمة جيلاً كالجيل المثالي الذي أخرجه الإسلام للإنسانية ، فكان المثل الأعلى في خلقه وهزته وجهاده ، واستقامته على الحق ، وتعاونته على الخير . نريد من مدارسنا جيلاً قوياً ألهياً حصيفاً يرى في الإسلام رأس الأمر وعموده وذروة سنامه ، فنعود به إلى ما كنا عليه يوم عرفنا هذا الإسلام فعرفنا به كل خير . ولنا متظرون .

عبد المطلب صبر

الواظ بوزارة الأوقاف

الأزهر والصحافة

تحدثت في المقال السابق عن صحيفتي (التنكيث والتبكيث) و(الطائف) واليوم أتحدث عن باقي الصحف :

الاستاذ ١٣١٠ هـ (١٨٩٢ م) .

أصدرت الحكومة أمرها بالقبض على التديم مع زعماء الثورة العراقية ، ففر يلتمس النجاة لنفسه ، وكانت الحكومة قد أغرت بمكافأة مالية من يدل عليه ، فقبض عليه بعد عشرة أعوام قضاه محتفيا ، ثم منح العفو على أن يغادر مصر ، فغادرها إلى فلسطين وأقام في يافا قرابة عام ، ثم عاد إلى مصر حينما انتهت ولاية مصر إلى عباس الثاني ، وحثت أماله إلى صحيفة تثر دره ، وتنفش رأيه وفكره ، فأنشأ سنة ١٨٩٢ م جريدة سماها الاستاذ .

وهي مجلة أدبية نقدية تشبه العروة الوثقى بعض المشابهة كما يقول السيد رشيد رضا ، ولكنها لم يكتب لها البقاء طويلا إذ لم يكند يحول الحول حتى اضطرت مرة أخرى إلى مبارحة البلاد ، لأنه اتهم بأنه كان يذكر روح التعصب الديني ، وينشر الآراء التي تحفز الناس على الثورة ،^(١) فنفي إلى يافا حيث كانت خاتمة حياته .

العروة الوثقى ١٢٩٦ هـ (١٨٧٩ م) .

في سنة ١٢٩٦ هـ (١٨٧٩ م) صدر أمر الحديرو توفيق بإخراج جمال الدين الافغاني من مصر ، لأن نشاطه السياسي أثار في نفوس الإنجليز ريبا ومخاوف ، ولأن تعليمه الفلاسفي هيج عليه الجامدين من الأزهريين لجاءه الكيد من هنا وهناك ،^(٢) .

(١) الاسلام والتجديد ص ٢١٣

(٢) ترجمة الاستاذ الأكبر الشيخ مصطفى عبد الرازق لجمال الدين في رسالة الرد على الدهريين

صدع الأفغانى بالامر واتجه إلى (حيدر آباد) فأقام بها عاما ، ثم شبت الثورة
المرائية فدعى منها إلى (كلكتة) وألزمته حكومة الهند بالإقامة فيها حتى انقضت الفتنة
المرائية التى فهم الإنجليز أن له فيها لصعباً . ولما أتيت له حرية التنقل لجأ إلى (لوندرا)
فكث بها أياما قلائل ، وكتب فى طريقه إلى باريس إلى صديقه الشيخ محمد عبده
أن يوافيه بها ، وكان الثانى قد نفى إلى سورية سنة ١٢٩٢ هـ (١٨٨٢ م) لانهامه بالاشتراك
فى هذه الثورة ، وبعد أن مكث بها عاما التقى فى باريس مع أستاذه وصديقه الأفغانى
استجابة لدعوته ، وتلبية لندائه .

كان أكبر مظهر من مظاهر النشاط السياسى والأدبى للأفغانى والشيخ محمد عبده
فى باريس هو إنشاء « العروة الوثقى » وهى مجلة عربية أسبوعية ، كان يتولى الإنفاق عليها
جمعية اسمها جمعية العروة الوثقى (التى أسسها لإثارة الرأى العام فى جميع الأقطار الإسلامية
ودعوته إلى الاتحاد والتضافر)^(١) .

وكان لهذه الجمعية فروع فى الهند ومصر وغيرهما من البلاد الإسلامية ، ومن أغراضها
مقاومة الاحتلال البريطانى فى الشرق ، وتقليص ظل الإنجليز فى هذه الديار ، وقد جاء
فى خاتمة العدد الأول منها أنه « بلغ الإجحاف بالشرقيين غايته ، ووصل العدوان فىهم
نهایتة ، وإن الحالة السيئة التى أصبحت فيها الديار المصرية لم يسهل احتمالها على نفوس
المسلمين عموما . وإن الخطر الذى ألم بمصر نفرت^(٢) له أحشاء المسلمين ، وتسكمت به
قلوبهم ، ولن تزال آلامه تستفروهم ما دام الجرح نفارا ، وما هذا بغريب على المسلمين » .

« تألفت عصبات خير من أولئك العقلاء لهذا المقصد الجليل فى عدة أقطار خصوصا
البلاد الهندية والمصرية... ولما كان نيل الغاية على وجه أبعد من الخطر ، وأقرب إلى الظفر ،
يستدعى أن يكون للداعى فى كل قلب سليم نفثة حق ، ودعوة صدق ، طلبوا عدة طرق

(١) المنار : ج ٨ ص ١٠

(٢) نفرت القدر تنفر ونفرت تنفر إذا هلك ، ومن المجاز : نفر الرجل اغتباط ، وفلانة غيرى نفرة

وجرح نفار : جياش بالقلم (أساس البلاغة) .

لنشر أفكارهم ، بين من خفي عنه شأنهم من إخوانهم ، واختاروا أن يكون لهم في هذه الأيام جريدة بأشرف لسان عندهم ... وأن تكون في مدينة حرة كمدينة باريس . ليتمكنوا بواسطتها من بث آرائهم ، وتوصيل أصواتهم ، إلى الأقطار القاصية ، (١) .

كان جمال الدين الأفغاني مديراً للصحيفة يرسم سياستها ، وكان الشيخ محمد عبده رئيس تحريرها ، فالآراء والأفكار فيها كانت مشتركة بين الاثنين ، والمحرر لجميع مقالاتها هو الثاني .

وكانت مقالات العروة الوثقى ، جامعة بين روح جمال الدين وقلم الأستاذ الإمام ، فجاءت آيات بينات في سمو المعاني ، وقوة الروح ، وبلاغة العبارة ، وهي أشبه ما تكون بالخطب النارية ، تستثير الشجاعة في نفوس قارئها ، وتداني في روحها وقوة تأثيرها أسلوب الإمام علي - كرم الله وجهه - في خطبه الحماسية المنشورة في نهج البلاغة (كذا) ، (٢) .

ظهر العدد الأول منها في ٥ من جمادى الأولى سنة ١٣٠٩ هـ - الموافق ١٣ من مارس سنة ١٨٨٤ ، وقد أخذت من قلوب الشرقيين كل مأخذ ، وأثرت في نفوسهم أثراً لم يبلغه وعظ واعظ ، ولا تنبيه منبه ، وهي ذات أثر في كل ما وجد بعد من حركات الوطنية والحرية في بلاد الشرق ، (٣) .

وقد روع الإنجليز من هذه المجلة ، وهاجها الصحفيون البريطانيون قبل ظهورها حين كتبت عنها بعض الصحف الفرنسية وهي في ضمير الغيب ، وأُنذر هؤلاء المحررون الإنكليز بما ستفعله هذه الصحيفة في سياستهم ونفوذهم في البلاد الشرقية .

ولما ظهرت وأحدثت في البلاد الإسلامية ضجة عنيفة ودويًا هائلاً ، لم يطق الإنجليز صبراً عليها فنعوها من دخول الهند ، وانعقد مجلس النظار المصري في القاهرة ثم أصدر قراره إلى نظارة الداخلية المصرية قاضياً بأن تشتد في منع هذه الجريدة من دخول الأقطار المصرية وتراقب جولاتها في تلك الديار ، (٤) .

(١) تاريخ الإمام ج ١ ص ٢٩٥

(٢) عصر اسماعيل للأستاذ عبد الرحمن الرافعي ص ١٦٣

(٣) ترجمة الأستاذ الأكبر الشيخ مصطفى عبد الرازق للأفغاني .

(٤) تاريخ الإمام ج ١ ص ٣٠١

وبعد أن نشرت الجريدة صورة الامر أعلنت : « أن كل من توجد عنده العروة الوثقى
يغرم مبلغاً من خمسة جنيهات مصرية إلى خمسة وعشرين جنهما » (١) .

وتسخر العروة الوثقى من هذا القرار ، وتعمده ضريبة فرضت على المصريين « ببركة
تصرف الانجليز في مصر » .

وقد وصف السيد رشيد أثر هذه الجريدة في النفوس فقال : « كان كل عدد منها كسلوك
من الكهرباء ، اتصل بي فأحدث في نفسي من الهزة والانفعال ، والحرارة والاشتغال ،
ما قذف بي من طور إلى طور ، ومن حال إلى حال ، وإنما كان الأثر الأعظم لتلك
المقالات الإصلاحية الإسلامية ، ويليها تأثير المقالات في السياسة المصرية ، والذي علمته من
نفسى بالخبر ، ومن غيرى بالخبر ، ومن التاريخ ، أنه لم يوجد لكلام عربي في هذا العصر
ولا في قرون قبله ما كان لها من إصابة موقع الوجدان من القلب ، والإقناع من العقل
ولا حد لهذا » .

وقال : « سمعت أستاذنا الشيخ حسيناً الجسر عالم سورية الوحيد في الجمع بين العلوم
الإسلامية ومعرفة حالة العصر السياسية والمدنية يقول :

« ما كان أحد يشك في أن جريدة العروة الوثقى ستحدث انقلاباً عظيماً في العالم الإسلامي
لو طال عليها الزمان » (٢) .

وليس عجباً أن تحتل هذه الصحيفة تلك المسكاة من النفوس ، فقد خاطبت العواطف ،
وهزت مواطن الحس ، وأثارت في النفوس أساها السكامن على مجد منصوب ، وحرية
مسلوقة ، كل ذلك بأسلوب أعاذ ، وحجج دامغة .

وكان ما نشر من هذه الصحيفة ثمانية عشر عدداً ، صدر آخرها في ذى الحجة من
سنة ١٣١٩ هـ ٩

محمد كامل النقي

المدرس في كلية اللغة العربية

« يتبع »

(١) العروة الوثقى في ١٤ جادى الأولى سنة ١٣٠١ هـ (٢٢ من مارس سنة ١٨٨٤ م)

(٢) تاريخ الامام ج ١ ص ٣٠٤

الرجولية فى القرآن

- ٢ -

ويقول الله تعالى : « وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى ، قال : يا موسى إن الملا يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إني لك من الناصحين ^(١) » .

وهذا الرجل هو شمعون أو حزقييل ، والمشهور أنه مؤمن آل فرعون ، جاء يسرع فى السير اهتماماً بأمر موسى وحرصاً على نجاته ، وذلك بعد أن رأى موسى رجلاً إسرائيلياً يقاتل رجلاً قبطياً ، فنصر موسى الرجل الذى من شعبته ، وضرب الغريب بوكزة قفصى عليه ، وندم على ذلك ، وقال : إنه من عمل الشيطان ، واستغفر ربه من ذلك الظلم ...

جاء الرجل يسعى إلى موسى ويقول له : إن الكبار من أتباع فرعون يتشاورون فى قتلك والبطش بك : فاخرج من المدينة - وهى منف - قبل أن يظفروا بك ، لأنى ناصح لك أمين ؛ فخرج موسى عملاً بنصيحة هذا (الرجل) ونجماً . وكان ذلك موقفاً من المواقف المحيدة التى قام بها رجل من الرجال ! ...

وفى آية أخرى يقول الله تعالى : « وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين ^(٢) » .

فهذا رجل آخر أقبل من أقصى موضع فى المدينة ، وأبعد مكان فى البلد - وهى أنطاكية - وهذا الرجل هو حبيب بن إسرائيل المعروف بصاحب يس ، وكان قد آمن وأقام بغار يعبد الله فيه ، ولما سمع بتكذيب قومه لرسول الله ثارت فيه رجوليته ، فأقبل يسعى ويسرع إليهم حرصاً على هدايتهم ، ونصحهم خير نصيحة : « يا قوم اتبعوا المرسلين ، اتبعوا من لا يسألكم أجراً وهم مهتدون ، وما لى لا أعبد الذى فطرنى وإليه ترجعون ، أناخذ من دونه آلهة

إن يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئاً ولا ينقدرون ؟ إنى إذا لنى ضلال مبين ،
إنى آمنتم بربكم فاسمعون ^(١) .

فإذا كان الجزاء ؟ وماذا كان ثواب هذا الرجل المقدام الذى حرص على مصلحة قومه ،
وجهر بكلمة الحق ودعا إليها ونصر أهلها ؟ ... « قيل ادخل الجنة ، قال يا ليت قومى يعلمون
بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين ^(٢) » .

وأنعم به من جزاء للرجل الكريم الرجولية ١ ...

وجاء فى القرآن الكريم : « وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه : أتقتلون
رجلاً أن يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم ، ^(٣) ؟ » .

كان هذا الرجل مؤمناً عظيماً فى قومه وهم آل فرعون ، وكان يطوى قلبه على الإيمان ،
لجاء بدافع عن موسى حين توجه إليه الأذى ، ويقول لقومه : أتريدون القضاء على رجل
يريد مصلحتكم وخيركم ، ولا ذنب له ولا جريرة ، ولكنه يقول لكم : ربى الله ولا رب
سواه ، وقد جاءكم على صدقه بالدلالات والمعجزات ، فما أضلكم وما أبعدكم عن الهدى ١ .

فأنت ترى أن الذى ذكر بالحق قد وصف بوصف « الرجل » ، وأن هذا الرجل حينما
تحدث عن موسى الرسول النبى وصفه أيضاً بأنه « رجل » ، فكان الرجولية هنا تلقى حظها
أيضاً من التعظيم والتكريم .

ويقول القرآن الكريم : « قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما ادخلا عليهما
الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون ، ^(٤) » .

هذان الرجلان هما يوشع بن نون وكالب بن يفتة ، أو هما رجلان كانا من الجبابرة ،
ثم أسلما وأنعم الله عليهما بالإيمان والثبات والجرأة فى الحق . ولما أمر الله موسى
عليه السلام أن يدخل هو وقومه الأرض المقدسة الطاهرة (فلسطين) ، وحذروهم من

[٢] سورة يس ، آية ٢٦ و ٢٧

[٤] سورة المائدة ، آية ٢٢ .

(١) سورة يس آية ٢٠ - ٢٥

[٣] سورة غافر آية ٢٨ .

الارتداد والانقلاب بالخسران ، خافوا وجبنوا وقالوا : « إن فيها قوما جبارين ، وإننا لندخلها حتى يخرجوا منها ، ؛ فجاء هذان الرجلان المقدامان وانطلقا بكلمة الحق والشجاعة « وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين ، فقدمنا بذلك دليلا آخر على أن الرجل الاصيل الرجولية لا يتصرف إلا تصرف السادة الشرفاء ١١ .

وهذا موسى عليه السلام حينما أراد أن يذهب للقاء ربه اختار من قومه سبعين « رجلا » ، وأمرهم أن يصوموا ويتطهروا ويطهروا ثيابهم ، ثم خرج بهم إلى طور سيناء لميقات ربه ، فكان هذا تشريفا أى تشريفا لهؤلاء « الرجال » . يقول القرآن الكريم « واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا » (١) .

* * *

وفي سورة الأحزاب يقول الحق تبارك وتعالى : « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا ، ليجزى الله الصادقين بصدقهم ، ويعذب المنافقين إن شاء ، أو يتوب عليهم ، إن الله كان غفورا رحاما » (٢) .

هناك طائفة من المؤمنين المخلصين ، هم رجال أى رجال ، استجابوا لله والرسول . ونسكوا بالطاعات ، وقاتلوا قتالا شديدا ، وصدقوا فى عهدهم ووعدهم مع ربهم ، وفيهم نزل هذا الحديث الإلهى الكريم .

قيل نزلت فى أنس بن النضر حين غاب عن بدر فشق ذلك عليه ، وقال : أول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم غبت عنه ١٤ لئن أراني الله تعالى مشهدا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بعد ليرين الله ما أصنع . وشهد أحدا فقال له سعد ابن معاذ : يا أبا عمرو ، أين ؟ قال : وأما ، لريح الجنة أجدهما دون أحد ؛ فقاتل حتى قتل ، بعد أن أصابه فوق الثمانين ضربة وطلعة ؛ فنزلت الآية فيه وفى أصحابه ، لأنهم رجال لم يخونوا أماناتهم ولا مواعيتهم مع ربهم ، بل صبروا وثبتوا . فمنهم من وفى بنفسه ، ومات بعد جهاد واستشهاد ، وبعضهم يتوقع ويرقب يوما يلتقى فيه أعداء الله ، ليؤدى نذره ، وينقبر بعده ، ويموت فى سبيل ربه دون تغيير أو تبديل .

وهؤلاء يجزيهم الله خير الجزاء بسبب صدقهم ووفائهم ، ويعذب المذائقين بنفاقهم ، أو يرحمهم بتوفيقهم للتوبة .

وهذا موقف حميد مشكور من مواقف الرجال ، الذين تجلت فيهم رجوليتهم ، فوقفوا مثلاً علياً يعلمون الناس كيف تكون المسكارم .

ويقول الله تعالى في سورة التوبة : « لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه ، فيه رجال يحبون أن يتطهروا ، والله يحب المطهرين »^(١) .

أراد طائفة من الذين لم يستقم إسلامهم على عهد رسول الله ﷺ أن يناقشوا مسجد قباء ، وهو أول مسجد في الإسلام ، فتجمعوا وبنوا مسجداً سمي « مسجد الضرار » لأنهم لم يخلصوا في بنائه ، بل خدموا به الكفر المطوى في صدورهم ، وأرادوا به تفريق كلمة المسلمين ، فأمر الله نبيه بأن لا يقوم فيه أبداً ، وأن يهدمه ويهرقه .

ثم وصف الله مسجد قباء بأنه بني من أساسه على تقوى الله وطاعته منذ إنشائه ، وهو الحقيق بأن يصلى فيه ، ولذا قال الرسول ﷺ : « صلاة في مسجد قباء كعمرة » ثم وصف القرآن أهل قباء بأنهم رجال ، وأتبع هذا الوصف بأنهم طاهرون متطهرون ، وأن الله يرضى عنهم ويكرمهم ويعظم ثوابهم ، وهذا هو المراد بحبة الله لهم .

فأنت ترى أيضاً أن كلمة رجال ، قد ذكرت محفوة بصفات من صفات الخير والتقدير .

وجاء في سورة النور قوله تعالى : « في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار ، ليجزيهم الله أحسن ماعملوا ويزيدهم من فضله ، والله يرزق من يشاء بغير حساب »^(٢) .

هذا وصف لمن آمن الله عليهم بالهداية لنوره ، فهم يرفعون بيوت الله ، وهم يذكرون اسمه فيها بالتحميد والتقديس والتكبير ، وهم رجال ، لا صارف من زخرف الدنيا

[١] توبة ، آية ١٠٨

[٢] النور ، آية ٣٦ و ٣٧ و ٣٨ .

يلوهم ، ولا عاطف من مغريات الحياة يثيهم ، وهم الجديرون بالمساجد ، ولا يشغلهم البيع ولا التجارة عن الذكر أو الصلاة أو الزكاة ، ويخافون بطش ربهم خوفا شديداً ، فإذا يكون جزاء هؤلاء الرجال ، الذين تعطر الحديث بذكر رجوليتهم والثناء على مكاتبتهم ؟ .. هو ما قاله العزيز الحميد : « ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب » .

• • •

وهناك آيات كريمة ذكرت أن الكافرين عجبوا لإرسال الله رسوله من الرجال ، ثم بينت خطأهم في ذلك العجب ، وأوضحت أن الله لو استجاب لتعتهم ، بأن أرسل لهم ملكا لجملة رجلا . يقول القرآن : « ولو جعلناه ملكا لجمعناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون » (١) .

لقد طلب الكافرون أن يكون الرسول إليهم ملكا ، فرد الله عليهم ذلك بأنه لو استجاب لهم وأنزل عليهم ملكا لجملة رجلا ، لأنهم لا يستطيعون معاينة الملك على هيكله الأصلي ، ولم يقل القرآن « لجمعناه بشرا » بل قال « رجلا » ، وهذا تكريم للرجال وتخصيص لهم بالرسالة ، لأن الرسول لا يكون امرأة ، ومقام الرسالة أعلى مقامات البشر .

وفي سورة الأعراف : « أو عجبت أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون » (٢) .

وصف الله نبيه هنا بأنه « رجل » ، جاء لينذر قومه ويحذروهم ، وليشرح لهم طريق التقوى وسبيل المرحمة ، وليقودهم إلى صراط الغفور الرحيم .

وفي سورة يونس : « أكان للناس عجبا أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس » (٣) . ينكر القرآن الكريم تعجب هؤلاء الكفار من إرسال الرسول رجلا ، ويبين خطأهم ، ويقرر أنه لا عمل للعجب من إرسال الرسول رجلا ، مادام هذا الرجل ، قد سبق في إحراز

(١) سورة الأنعام ، آية ٩ .

(٢) سورة الأعراف ، آية ٦٣ .

(٣) سورة يونس ، آية ٢ .

الفضائل وحياسة الملكات السنية ، وقد صنعه الله عليه واختاره لرسالته ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

وفي سورة النحل : « وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحى إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون » (١) .

لقد أنكرت قريش أن يكون الرسل بشراً رجالاً ، فرد الله عليهم ذلك الإنكار ، وأفهمهم أن الرسالات من قبل محمد صلوات الله عليه لم يحملها إلا رجال ، فلا بدع ولا غرابة أن يكون حامل الرسالة الأخيرة رجلاً ...

وفي هذه الآيات إظهار لفضل الرجال وتوثيقه بشأنهم .

• • •

والقسم الثالث والآخر هو القسم الذى وردت فيه كلمة « الرجل » ، موصوفة بأوصاف سيئة ، ولكن هذه الأوصاف صادرة عن الكافرين الجاهلين الظالمين ، فسجلها الله عليهم ، عخطنا لهم فيها ، وكأنه يريد أن يقول : إنه لا يذم الرجل ذا الرجولية إلا الكافر الجاهل الظالم ... يقول القرآن على لسان هؤلاء : « إن هو إلا رجل به جنة فتربصوا به حتى حين » (٢) .

يتناولون على نوح عليه السلام ، فيصفونه بالجنون والحبل ، ويتآمرون بالصبر عليه لعله يضيق ، يفعلون ذلك وهم يعلمون أنه أرجح الناس عقلاً وأرزنهم قولاً .

ومثل هذا قوله تبارك وتعالى على لسان الكافرين : « إن هو إلا رجل افترى على الله كذباً وما نحن له بمؤمنين » (٣) .

[١] سورة النحل ، آية ٤٣ .

[٢] سورة المؤمنون ، آية ٢٥ .

[٣] سورة المؤمنون ، آية ٣٨ .

وفي سورة سبأ : « ما هذا إلا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم » (١) . .
 وفي سورة الإسراء : « إذ يقول الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورا » (٢) . .
 وفي سورة الفرقان : « وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورا » (٣) .
 لكن القرآن الكريم أراد أن يحسن الدفاع عن « الرجل » وعن « الرجولية » فأورد
 مواطن ذمها ومعها ما يفهمنا بأن ذلك الذم صادر عن مغرضين أو مجرمين ، فلا يليق بنا أن
 نقبله أو أن نخضع به ، ومن هنا يسلم للرجال رجوليتهم . . .

* * *

يا معشر الرجال . . .

هذا حديث القرآن الكريم عنكم ، وهذا ذكره لكم ، وتلك هي النفحات التي عطر بها
 الرجولية حينما أسلم وتصدق فيكم : فأين أنتم من ذلك التكريم العظيم ؟ . . .
 أين أنتم من تحقيق تلك « الرجولية » لأنفسكم ؟ وأين أنتم من إيجاد صفات « الرجل »
 فيكم ؟ وأين أنتم من ذلك المرتقى السامي الذي رفع القرآن إليه النماذج السكرية من جنسكم
 الرجال ؟ . . . أين أنتم ؟ . . .

أحمد الشرباصي
 المدرس بالأزهر الشريف

حسن الاستماع

قال ابن المنفع : تعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن الكلام . ومن حسن الاستماع إمهال
 المتكلم حتى ينتهي حديثه ، وقلة التلفت ، والإقبال بالوجه والنظر إلى المتكلم ، والوعي
 لما يقول . واعلم - فيما تكلم به صاحبك - أنه عما يهجن صواب ما يأتي به ، ويذهب بطعمه
 وبهجته ، ويرى به في قبوله ، مجلتك بذلك ، وقطعتك حديث الرجل قبل أن يفضي إليك
 بذات نفسه .

[١] سورة سبأ ، آية ٤٣ [٢] سورة الإسراء ، آية ٤٧ [٣] سورة الفرقان ، آية ٨

عظمة محمد

حديث لفضية الاستاذ الأكبر

بمناسبة ذكرى المولد النبوى الكريم

« محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً » .

بجل الله عظمة محمد في كتابه الخالد ، الذى طبع نفسه الطاهرة ، بما جاء به من أدب جم ، وفضل كريم ، قال تعالى : « وإنك لعل خلق عظيم » .

فما من فضيلة يدعو إليها القرآن إلا وهى ممثلة فى ذاته الشريفة أقوى تمثيل ، يقر ذلك قول السيدة عائشة الصديقة رضوان الله عليها : « كان خلقه القرآن ، فكانت شخصيته عليه الصلاة والسلام أقوى شخصية جمعت مزايا الإنسانية الرفيعة ، وتمسكنت فيها جميع الفضائل التى أرشد إليها الكتاب العزيز ونهت إليها تعاليم السماء » .

ولإذا كانت عظمة الرجال تقاس بما طبعوا عليه من سمو النفس ، وما قدموا لآمتهم من عمل صالح ، وما أبقوا للأجيال بعدهم من أثر مجيد . فإن نواحى عظمة محمد ﷺ ، من يوم نشأته إلى يوم لقاء ربه ، ماثلة فى القرآن ، وفى نفوس أهل القرآن ، باقية فى الدنيا بقاء هذا الزمان .

إن نشأة محمد ﷺ عجيبية أشد العجب ، غريبة غاية الغرابة . فقد كانت هذه النشأة بين أمة متنافرة القلوب ، منحللة الروابط ، يأكل بعضها بعضاً ، متحللة على الجملة من قوانين الأخلاق ، وقيود الشرائع ، لاندن بنظام ، ولا تخضع لدستور ، جامدة على تقاليد متخلفة من ضلال قديم ، وأمية لم تهتد فيها بنور تام أو معرفة ، ومن حول هذه الأمة أمم طاغية عاتية ، يسوق طغاتها الرعية سوق الأنعام ، ويفرضون عليهم تقديسهم ورفعهم إلى مرتبة الألوهية القاهرة .

نشأ محمد بين هذه الأمة التى كان هذا حالها ، وقد كان أمياً لم يقرأ كتاباً ، ولم يتتقف

في معهد ولا مدرسة ، فإن البيئة كلها كانت تخيم عليها ظلمات الجهل والغي ، وتطبق هلى ربوعها وآفاقها شدائد الظلم والبنى . لكنه شق بهديه وتعاليمه حجب الظلمات ، وأزاح برشاده وبصيرته تلك الشدائد ، وفتح بطهارة أخلاقه ، وجميل خصاله ، وسمو دعوته ، أعينا عميا ، وأذانا صما ، وقلوبا غلغا ، وامتد نور هدايته إلى شاسع الاصمقاع والبقاع ، فألف بين أمم متناحرة ، وقلوب متنافرة ، وربط بينها بسبب أقوى من لجة القربى والنسب .

نور هداية محمد صلى الله عليه وسلم قد سرى في العقول والقلوب ، فبدل الوثنى الذى يعبد ما يصنع على عماية وضلالة ، والدهرى الذى لا يعتقد للخلق بداية ولا نهاية ، والمنحرف المعوج عن فطرة الاخلاق الواضحة المستقيمة ، فجعل من هؤلاء جميعا ، وهم يضرعون في تيه الضلالات ، ومهامه الأباطيل ، نفوسا صافية سليمة ، عرفت الحق ، وتذوقت اليقين ، وخضعت لدعوته وهديه ، سلس له قيادها ، ولان له جمادها ، وأصبحت قوة في يديه بعد أن كانت قوة عليه ، وصارت أمة قوية ناهضة ، شعارها الحق ، وسيلها العدل ، وغايتها السلام .

هذا هو محمد صلى الله عليه وسلم ، وذلك هو روحه القوى ، وتعاليمه السمحة ، ونوره الهادى ، وصراطه المستقيم .

وبعد - فإن الإنسانية التى كرمها محمد بن عبد الله ، رفح شأنها ، وأعلى مقامها ، وأوضح سبيل الخير والهداية فيها ، مدينة له بتمجيد اسمه ، وإعلاء كلمته ، وترسم طريقه ، ولا سيما في هذه الآونة ، التى طغت فيها الأهواء والشهوات ، واستبدت بأصحابها الاطباع ورذائل النزعات ، وجرفت فيها للمادية الفضائل النفسية والقيم الروحية .

وحق هلى من يحفى بذكرى مولده عليه الصلاة والسلام ، أن يجعل ذلك مبصرا لقلبه ، محركا لشعوره ، حافزا لهمة ، مجددًا عهده بسنة رسوله ، ليقتبس من نوره ، ويسير على ما دعا إليه من الخير والهدى والسلام . لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا ، ٩

من الهام ذكرى المولد

رتل الشعر يا أخى ترتيلا
 وانظم الدر من ينانك صدقا
 وترنم بذكر آدابه لى
 فترديدها اسقه يا أخى من
 هذه غادة الفضيلة تسدى
 ليروا من شعاعه لربا العز
 بمديح الرسول تزهى دى الشع
 كيف لا تفخر القوافى ولا تأ
 حين تبدو مثل العرائس من آ
 غنى عن شمس أراح بها الر
 وارت الارض قرصها وستاها

بك يا سيد الوجود وأزكى السنا
 هام قلبي حبا وشوقا فأسمى ال
 من بحباياك تيمنى الملاطف
 جلت بالقول والفعال وبالرو
 وأقت الضمير يرزق فيها
 غادة المجد فانفتحت فأحيت
 فتعلقت من جمال محبا
 لذت بالشعر من هواها ففتيت
 وتعلقت بالجمال عسى فى ال
 وأرى الحسن والسرائر أشبا

منك جفسا ومعتدا وقبلا
 جسم منى يحكى يراعا نحيلا
 فلا فم أرض الكمال بدبلا
 ح رياض الكمال عرضا وطولا
 قرأ يانما وظلا ظليلا
 بشذاها منى فزادأ عليلا
 ها وبادلت ثغرها التفضيلا
 مع الطير بكرة وأصيلا
 حسن أن أجلب العزاء الجيلا
 حاً ولوحاً من الزجاج صقيلا

تَراى القلوب فى ذلك اللو ح ضروبا عديدة وشكولا
يتراى قلب غزالا وقلب يتراى بذلك اللوح فيلا

* * *

وتناجى منى الحجا لك آيا ت أرى الشمس دورها قنديلا
فى سماء الهدى لها شمس فضل رد طرف التناء منها كليلا
يهر العقل من سناها جلال يملأ القلب هبة وذهولا
فأرى الكون صار يما من التف كبير تجرى به النهى أسطولا
من وجوى أرى يراعى قد جـ ف وكفى أبت به أن تسلا
وأرى الطرس قد غدا من خشوع الـ قلب والعقل بالدموع غميلا

* * *

يا جلالا أرى الحجا بمصلا ه يوالى الدعاء والنهिला
وأرى القلب كالولى لدى محـ رابه خاشعاً يطيل المثولا
لا ينى فى صلاته وجل القـ حب يوالى الركوع والترتلا
وعلى وجنته تجرى دموع الـ سحب والخوف والخشوع سيولا
فى حياة الرسول أرواحنا تشـ ستاق أن تستريح أو أن نجولا
سربها عن ضفاف سيرته تسـ متنشق الحق من صباها عليلا
حولها للكمال تبصر زهراً بنسدى المجد والخلود بليلا
يذبل الزهر وهو غض كما فتـ ح لم يسد للزمان ذبولا
ثم ذرها حيالها ترشف صـ جاء لذاتها التى لن نحولا
فيها قف يوم مولده وابـ سط عن آياته لها التفصيلا
مولد جل بالجمال وبالنو ر وبالبشر مفعما مشمولا
حل فيه الهدى يردد أنفا ما وحل الكمال منه رسيلا
فغدا الكون منهما كنى يتاقى من ربه التنزيلا
وبها قف يوم بعثه وانه صـب من النور حولها إكليلا

بمئة جبل الإله بها لك
من سناها للكفر جرد عضبا
وبنى للإسلام عرشاً على أر
بحراء قف برهة ولها اشرح
جبل إن تفاخر الشم بالطو
إذ به أرسل الإله إلى خد
وحبا فيه سيد الكون مالم
ثم عرج بها على معهد الإيه
منزل طالما به نزل الرو
يمنح المصطفى بل الإنس والجن
فيه للحق والهدى تبصر الار
وترى للنبات شمساً ترى من

حق آيات نصره تسجيلا
بيد الحق والهدى مسلولاً
واح أزكى عباده محمولا
مر ما شاهدته شرحاً طويلاً
ل فقد حاز دونها التفضيلاً
ب البرايا أميته جبريلاً
يحب قبلاً كلمته والخيلاً
حان تنعش إلى الجهاد ميولاً
ح إلى سيد الوجود رسولاً
من الله نعمة لمن تزولاً
واح شمساً والكمال خيلاً
دونها الراسيات رملاً مهلاً

• • •

أيها المسلمون إن رسول الله
وعلى منبر الحبلود ينادي
كنت لم تسع أمة في مجال ال
لربا العز كنت تسعين عدوا
كنت في قبلة المعارف شمساً
كيف أمسى منك التقدم إحجا
وغدا في شعوبك الدين غضباً
لم يا أمي جنعت إلى الرا
أجد الله لا يغير ما بال
كيف يرجو الوصول يا قوم من لم
سنة الله في البرايا ولم تلد
بسكرة (الجزائر)

ه منا يشكو الونى والخيولا
أمتي حطمي عليك الغلولا
مجد شبراً إلا تقدمت ميلاً
بيننا الغير كان يسعى ذميلاً
بيننا الغير كان نجماً ضئيلاً
ما وأضحى منك الصداح هديلاً ؟
ن وأمسى اللسان فيهم دخيلاً
ح والخط لا يوافق الكسولاً ؟
قوم حتى يحاولوا التحويلاً
ينو سعياً ولم يحاول رحيلاً
قوا لما من ربنا تبديلاً
أبو بكر مصطفى بن رحون

موهبة النبي صلى الله عليه وسلم السياسية

في مثل هذا الشهر من العام الماضي ، وفي هذه المجلة الغراء ، كتبت مقالا من سلسلة مقالاتي تحت هذا العنوان ، وقلت في ختامه : إنه لا تزال في هذا الباب فصول لم تتم ، ووعدت القراء الأفاضل بالكتابة عند المناسبة . وها نحن في شهر ربيع الأول - شهر الذكريات العطرة ، والاحداث الجليلة - ففيه ولد النبي صلوات الله وسلامه عليه ، وفيه بعث ، وفيه تمت هجرته ، وفيه جاور الرفيق الأعلى ، فهو أحق الشهور بالتحدث فيه عن جوانب العظمة المحمدية ، وهأذا أنا بوعدى وأكتب فصلا آخر في باب (السياسة المحمدية الرشيدة) نأقول ، ومن الله التوفيق والسداد :

لما هاجر النبي - صلى الله عليه وسلم - وصحبه الكرام إلى المدينة ، وأذن الله لهم في القتال أراد النبي ﷺ أن يضعف قوة المشركين المادية حتى يكون ذلك أدعى لخدلانهم في ميدان الحرب ، إذ الحرب لاشك واقعة بينه وبينهم ، وقد وجد النبي ﷺ الفرصة مواتية : ذلك أن قريشاً كانت تذهب بتجارتهما إلى الشام لتبيع وتشتري ، وكانوا يخرجون في قوافل تعرف باسم « المعير » يحرسها أشراف القوم وسراهم ، وكان لا بد كي يصلوا إلى الشام أن يمروا بدار الهجرة ، فرأى الرسول ﷺ أن يقطع عليهم طريق تجارتهم ويصادرهما ، ليكون ذلك إضعافا لهم وتقوية للسلين الذين خرجوا فارين بدينهم تاركين الدار والأهل والمال ، فصار يرسل سرايا والبعوث بقيادة بعض أصحابه ، وأحيانا كان يخرج بنفسه ، فنالوا من أعدائهم وغنموا منهم بعض الغنائم .

وقد أثمرت هذه السياسة الرشيدة ثمرتها ، فأقضت مضاجع المشركين ، وألبت عليهم بعض القبائل التي كانوا يمررون بها ، واكتسب النبي ﷺ أنصارا وأعوانا ، وصار للسلين رهبة وسلطان بقدر ما نقص من هبة قريش وحرمتها الموروثة من قديم الزمان . ولم يكن ما فعله رسول الله ﷺ جورا وظلما في قانون الحرب والسياسة ، فقد

كانت الحرب الاقتصادية - ولا تزال - من الأساليب المشروعة بين المتحاربين ، يلجأ إليها العدو لكي يضعف عدوه . وإذا كان الحصار الاقتصادي مشروعا في الحروب التي يقصد من ورائها بسط النفوذ وتوسيع الرقعة واغتصاب حريات الشعوب - كما هو الحال اليوم - فأحر به أن يكون أشد مشروعية إذا كانت الحرب يقصد بها حماية العقيدة والدفاع عن الدهرة - دعوة الحق والخير والحرية - من طغيان المتجبرين المستكبرين في الأرض ، ونشر لواء الأمان ، وغرس أصول الفضائل في نفوس البشر ، كما هو الشأن في حروب الإسلام ، وبحسب هذه السرايا والمناوشات عدلا وحكما أنها اقتصاص لما نال المسلمين من ظلم واغتصاب للحقوق والأموال ، ولما ينال المستضعفين في مكة من عنت وإيذاء .

وشئ آخر نلسه بوضوح وجلاء في سياسة النبي ﷺ في حروبه وغزواته ، ذلكم هو مبدأ الشورى ، وأخذ به رأى الرجل من أصحابه متى لاح له أنه الحق والصواب ، وهي سمة من سمات القائد العبقري والسياسي المحنك . ففي غزوة بدر الكبرى لما أشار عليه الحباب بن المنذر بأن يغير منزل الجيش وأن ينزل منزلا آخر يكون أشد نكاية بالاعداء استصوب رأيه وقال له : أشرت بالرأى ، وفعل ما أشار به عليه .

وفيها أيضا أشار سعد بن معاذ أن يبنوا له عريشا يكون فيه ومعه الركائب ، فإن انتصروا فيها ونعمت ، وإن كانت الأخرى ركب الركائب ولحق بمن تخلفوا ، ليجدد بهم قوة الإسلام ، فقد تخلف أقوام لم يكونوا أقل إيمانا وحبا للنبي ﷺ ممن خرجوا . ولو علموا أن النبي ﷺ سيحارب ما تخلفوا أبدا ، فأثنى عليه الرسول ودعا له بخير ، وعمل بمقتضى رأى سعد بن معاذ ، وأمر ببناء العريش .

وإذا علمنا أن بعض القادة الذين اكتسبوا شهرة فائقة خمروا الحروب بسبب الاستبداد بالرأى ، وهدم الإصاخة لرأى الغير وإن كان صوابا - أدركنا مبلغ السمو النبوى والحكمة الفائقة في باب الحرب والسياسة ، فلا عجب أن كان النصر حليفه في كل الغزوات التي اتمروا فيها بأمره ولم يخالفوا مشورته .

وفي غزوة أحد يظهر بعد نظر النبي ﷺ وموهبته الحرية بأجل معانيها ، ذلك أنه لما اصطلف الجيشان وتهايلا للقتال كان ظهر جيش المسلمين قبل الجبل ، فوجد رسول الله صلوات الله وسلامه عليه أن الجيش قد يؤخذ من وراء ظهره ، وأن هذه الثغرة لا بد من

سدها ، فاستحضر خمسين رامياً مجيداً ؛ وعلى رأسهم عبدالله بن جبير الانصارى ، وأوقفهم خلف الجيش على ظهر الجبل ليحموا ظهره ، وقال لهم : « لا تبرحوا ، إن رأيتمونا ظهرنا عليهم فلا تبرحوا ، وإن رأيتمهم ظهرنا علينا فلا تبرحوا » ، وقد ظهر أثر هذه الوصاة الحكيمة في نتيجة المعركة ، فسا أن ترك الرماة أماكنهم وخلا ظهر الجبل إلا من رئيسهم ومن ثبت معه حتى جاءت خيل المشركين فقتلت من بقي ، وأخذت المسلمين من ظهورهم وهم مشتغلون بديانهم ، فتفرق شملهم ، وشاعت الهزيمة في صفوفهم ولو ثبت الرماة جميعهم كما أوصاهم السيد الحكيم لما كان ما كان من هزيمة أحد .

وقد تكشففت أحد عن قتلى وجرحى أصيبوا في سبيل الله ، وقد كان رسول الله ﷺ على حذر من أن يميل المشركون إلى المدينة ، وعزم على لقائهم ومناجرتهم ، ولم يطمئن إلا لما علم أن المشركين جنبوا الحبل وركبوا الإبل ، ومع هذا ومع ما نال النبي ﷺ والمسلمين من قروح وجراح أراد أن يرى المشركين ومن على شاكلتهم من يهود المدينة ومناقضتها أن المسلمين لا تزال بهم قوة ، فندب أصحابه للخروج خلف العدو وقال : لا يخرج إلا من كان معنا بالأمس .

فاستجابوا لله ولرسوله من بعد ما أصابهم القرح ، وساروا مع الرسول ﷺ حتى بلغوا حراء الأسد ، وقد كان ما ظنه رسول الله حقاً ، فإن المشركين لما انصرفوا من أحد قبلغوا الروحاء ندموا على انصرافهم ، وتلاوموا على ترك مهاجمة المدينة حتى هموا بالرجوع ، ولكن ترامت إليهم الأنباء بأن رسول الله ﷺ في أثرهم ، وأنه خرج في جمع لم يُر مثله قط ، فعملوا أن المسلمين لا تزال بهم قوة ، وامتلأت قلوبهم رعباً ، وساروا مسرعين إلى مكة .

وبهذه السياسة الرشيدة فوت رسول الله ﷺ على المشركين فرصة أرادوا أن يهتبلوها ، وبين للناس قاطبة أن سلطان الله لا يزال مرهوباً في الأرض .

وفي غزوة الأحزاب تكالبت عوامل الشر على المسلمين ، وجاءهم العدو من فوقهم ومن أسفل منهم ، وقرر يهود المدينة - بنو قريظة - أن ينقضوا ما بينهم وبين المسلمين من عهد ، وينحازوا لقريش وأعوانها ، وهناك اشتد الهول بالمسلمين وبلغت القلوب الحناجر وظن البعض بالله الظنون ، وقال المنافقون والذين في قلوبهم مرض : « ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً » . وقد بدت طلائع الفرج للمسلمين لما جاء نعيم بن مسعود الأشجعي مسلماً - وكان صديقاً لقريش واليهود - فقال : يا رسول الله إني قد أسلمت وقومى لا يعلمون

يا سلامي ، فرني بأمرك حتى أساعدك . وقد تأمل السيد الحكيم فوجد أن واحدا لا يغني بقوته أمام هذه الجحافل ، ولكن قد يغني برأيه ودهائه ، فقال له : أنت رجل واحد ، وماذا عسى أن تفعل ؟ ولكن خذل عنا ما استطعت فإن الحرب خدعة .

وقد كان نعيم عند حسن ظن النبي صلى الله عليه وسلم به ، فقد خرج من عنده وتوجه إلى بني قريظة ، فلما رآوه أكرموه لصداقته معهم ، فقال لهم : تعرفون ودي لكم وخوفي عليكم ، وإني محدثكم حديثاً فاكموه عني ، قالوا نعم . فقال : لقد رأيتم ما وقع لبني قينقاع والنضير من إجلالهم عن ديارهم وأخذ أموالهم ، وإن قريشا وغطفان ليسوا مثلكم ، فهم إن رأوا فرصة انتهزوها وإلا انصرفوا لبلادهم . وأما أتم فقسا كنون الرجل — يريد رسول الله — ولا طاقة لكم بحربه ، فأرى أن لا تدخلوا الحرب حتى تستيقنوا من قريش وغطفان أنهم لن يتركوكم ويذهبوا إلى بلادهم ، بأن تأخذوا منهم رهائن : سبعين شريفا منهم . فاستحسنوا رأيه وعزموا على أن يفعلوا ؛ ثم قام من عندهم وتوجه إلى قريش ، فاجتمع رؤسائهم فقال : أتم تعرفون ودي لكم ومحبي إياكم ، وإني محدثكم حديثاً فاكموه عني ، قالوا نفعل . فقال لهم : إن بني قريظة قد ندموا على ما فعلوا مع محمد ، وخافوا منكم أن ترجعوا وترككم معه ، فقالوا لمحمد : أيرضيك أن تأخذ جمعا من أثراهم ونعطهم لك وترد علينا جناحنا الذي كسرت — يريدون بني النضير — فرضى بذلك . وها هم مرسلون إليكم ، فاحذروهم . وأوصاهم أن لا يذكروا عما قال حرفاً . ثم ذهب إلى غطفان فأخبرهم بمثل ما أخبر به قريشا . فأرسل أبو سفيان وفد إلى بني قريظة يدعهم للقتال ، فأجابوا : لا يمكننا أن نقاتل في السبت ، ومع هذا فلا نقاتل حتى تعطونا رهائن منكم حتى لا نترككم ونذهبوا إلى بلادكم . فتحقق قريش وغطفان مقالة نعيم ، فوجلت القلوب ، وخاف بعضهم بعضاً وأرسل الله على الأحزاب جنده ريحا باردا عاصفة في ليلة مظلمة كمأت القدور وقلعت الخيام وأطفأت النيران ، فخافوا أن تتفق اليهود مع المسلمين ويهجموا عليهم في هذه الليلة الليلية ، فتنادوا بالرحيل . وما أن أصبح الصباح حتى كانوا قد ارتحلوا وقد ملأ الرعب والخوف قلوبهم . ولئن كان الله سبحانه وتعالى أزال عن المسلمين الكرب والغمة بسبب ما قام به نعيم بن مسعود الأشجعي من سياسة التخذيل ، فالفضل في هذا للرسول ﷺ الذي رسم له الخطة ، ووجه هذا التوجيه الحكيم الذي يدل على جودة الرأي وحسن التدبير والقدرة الفائقة على الخروج من المأزق الحرجة .

لغويات

فَهُمْ ، يَفْهَمُ

هذه مسألة صرفية أوردتها في « لغويات » لأنها بسبيل قريب من اللغة . والمسألة أن كتب الصرف في عصرنا لمجت في الكلام على باب « فَعَلَ يَفْعُلُ » بتقرير أنه يصح أن يحول إليه ما ليس منه إذا أريد الدلالة على الغريزة والسجية .

ويقول صاحب شذا العرف في هذا الضرب : « ولك أن تحول كل فعل ثلاثي إلى هذا الباب للدلالة على أن معناه صار كالغريزة في صاحبه » . ومقتضى هذا القول أنه سائغ لك أن تعتمد إلى كل فعل ليس على فَعَلَ ، فتحوله إليه عند قصد الدلالة على الغريزة . فتقول : كَسَلَ يَكْسُلُ ، ونهم ينهم ، وكتب يكتب ، إذا صارت هذه الاحداث غرائز للفاعلين . وما عهدنا معنى يقضى بباب خاص من أبواب الفعل الثلاثي سوى معنى المغالبة ، ومعنى وقوع الفعل وقصوره في المضعف . فأما باب المغالبة فيقضى أن يكون الفعل على فَعَلَ يَفْعُلُ . تقول : كَارَمَنِي فِكْرَتُهُ أَكْرَمُهُ ، أَيْ فَاخَرَنِي بِالْكِرْمِ فَعْلَبْتُهُ ، والمضعف الثلاثي إذا كان واقداً وكان الماضي على فَعَلَ كان مضارعه بضم العين ، وإذا كان قاصراً كان بكسرها ، تقول : عَزَهُ يُعْزِهِ ، أَيْ غَلَبَهُ ، وتقول : عَزَّ يَعْزُزُ أَيْ كَانَ عَزِيزاً .

وهناك معنى يجيز التحويل إلى فَعَلَ غير ما ذكر ، وهو أن يراد التعجب ، والفعل في هذه الحالة جامد يلزم صيغة الماضي ، ولا يأتي منه مضارع . تقول : عقل الرجل محمد أَيْ مَا أَعْقَلَهُ . والفعل إذا أريد منه هذا وحول إلى فعل التحق بنعم وبئس . فالتحويل هنا مطرد منقاس ، وإن ذكر بعض النحاة أن هذا لا يأتي في سمع وجهل وسمع ، فهي تبقى على أصلها من كسر العين إذا أريد التعجب . ويقول أبو حيان في الارتشاف : « ويلحق بنعم وبئس في الاحكام فَعْلُ موضوعاً : كَلْزَمَ وظرف ، وبحولا من فَعَلَ وفَعَلَ إلى فَعْلٍ ؛ نحو عقل الرجل ونجس .

ونصّ النحاة على أن العرب شذت في ثلاثة أفعال فلم تحوّلها واستعملتها استعمال نعم وبش ، وهي علم وجهل وسمع . فنقول : علم الرجل زيد ، وجهل الرجل بكر ، وسمع الرجل خالد ، إذا أرادوا المبالغة في علمه وجهله وسمعه . كذا قال الكسائي : إنه يجوز أن يبنى على فعل إلا في هذه الأفعال الثلاثة ، ومن النحويين من أجاز فيها سمع وعلم وجهل بضم عين الكلمة .

ولا يقول قائل : إن هذا المعنى هو ما أراده صاحب شذا العرف - عليه رحمة الله - فقد أورده عقب للمعنى السابق المتعلق بالفريزة فقال : « وربما استعملت أفعال هذا الباب للتعجب فتفسخ عن الحدث » .

وقد يسأل سائل : من أين جاء الأستاذ الخلاوي بهذه المسألة ، وعلام اعتمد ؟ والجواب أنه لما رأى أن باب فعل يفعل للفرائز وما جرى مجراها خال أن هذا أمر مطرد فيها ، وفاته أن صيغ الأفعال الأمر فيها إلى السماع ، إلا في أحوال استثنائها الصرفيون ، وليس هذا منها . وكأنه اغتره قول صاحب التصريح . فقد قال ابن هشام في التوضيح : « وكل فعل ثلاثي صالح للتعجب منه فإنه يجوز استعماله على فعل بضم العين إما بالأصالة ، كظرف وشرف ، أو بالتحويل ، كضرب وفهم ، فقال الشيخ خالد : « وإنما حوات لتلتحق بالفرائز ولنصير قاصرة كنهم » . ولا يريد الشيخ خالد أن كل ما أريد منه الفريزة يصح فيه التحويل إلى فعل .

وخلاصة هذا البحث أن التحويل إلى فعل يفعل بالضم لقصد الفريزة لم يقل به أحد فيما علمت ووقفت عليه قبل الأستاذ الخلاوي - عليه رحمة الله ورضوانه - وينبغي لمن يكتب في الصرف من المصريين ألا يتابعوه في هذا حتى يقفوا على سند صحيح .

أعتذر عن حضوري اليوم لأمر يعوقني

يقول القائل : أعتذر عن حضوري إليك في هذا الوقت غير المناسب ، وأخشى أن أزعجك . وهذا تأليف سائغ واضح المحجة . ويقول الآخر : أعتذر عن حضوري اليوم لأمر يعوقني . وقد يكتب بهذا الأمل في الديوان إلى رئيسه ، وهو إنما يريد الاعتذار من عدم الحضور ؛ كما هو بين واضح .

وقد أنكر بعض الباحثين التأليف الأخير لمجاقة ظاهر المراد منه ، وأوجب أن يقال :
اعتذر عن عدم الحضور .

وقد بدالى أن التركيب له وجه ينفي عنه الخطأ ويسلكه فيما صح وساغ مذاقه .
إذ كل ما فيه حذف المضاف ، وهو د عدم ، ، وحذف المضاف شائع سائع في العربية ،
ويقول فيه ابن جنى في المحصائص : « باب في أن المجاز إذا كثر لحق الحقيقة » : إنه « قد
كثر حتى إن في القرآن - وهو أفصح الكلام - منه أكثر من مائة موضع ، بل ثلاثمائة
موضع ، وفي الشعر منه مالا أحصيه » . وقد جعل ابن جنى الحذف للمضاف لما ذكر
مطرداً مقبلاً ، وسوغ للناس أن يلجوه ، وخالف في هذا أبا الحسن الـاخفش الذى لا يرى
القياس فيه . والامر بعد يحتاج إلى قرينة على المراد تنفيـه بالمحذوف . وقد أجاز ابن جنى
أن تقول : ضربت زيداً إذا أردت أنك ضربت غلامه أو حبيبه إذا فهم منك هذا المعنى ،
وهو في هذا يقول في الموضع السابق : « فإن قيل : يحىـه من هذا أن تقول : ضربت زيداً
وإنما ضربت غلامه أو ولده ، قيل : هذا الذى شئمت به بعينه جائز : ألا تراك تقول :
إنما ضربت زيداً بضربك غلامه ، وأهنته بإهانتك ولده . وهذا باب إنما يصلحه ويفسده
المعرفة به . فإن فهم منك فى قولك : ضربت زيداً أنك إنما أردت بذلك ضرب غلامه
أو نحو ذلك جاز ، وإن لم يفهم منك لم يجوز » .

وأورد ابن يعيش فى شرح المـفـصل ٢٤/٣ من الشواهد على حذف المضاف قول الشاعر :

المال يزرى بأقوام ذوى حسب وقد يسود غير السيد المال

وقال : « أى فقد المال يزرى ، فترام قدر المضاف المحذوف ، فقد ، ، وهو كالمثال
الذى هو موضوع البحث ، فإن المحذوف فيه « عدم ، وهو كالفقد لا محالة . فإذا جاز حذف
« فقد ، ، ، للقرينة ، كذلك يجوز حذف « عدم ، للقرينة وثقة بفهم المراد .

ويبدو أن البيت الذى استشهد به ابن يعيش تبع فيه رواية وقف عليها وصحت له . وقد
ورد البيت فى اللسان (طبع) فى شعر الحية بن خلف الطائى ، والرواية فيه للشطر الاول :

الفقر يزرى بأقوام ذوى حسب .

وعلى هذه الرواية لا شاهد في البيت لحذف المضاف . ولكن ابن يعيش ثقة ، والظن به صحة الرواية التي أوردتها ، وفيها الحجة لتصحيح ما نحن فيه .

وخطر لي أن أخرج المثال على تضمين الاعتذار معنى التخلّف ؛ لأن الاعتذار ينشأ عنه ويترتب عليه . وفي هذا الغنى عن تقدير محذوف . وعرض لي أن المعروف في التضمين أن يختلف الفعلان في التعدية . ألا ترى إلى قوله تعالى في الآية ١٠٠ من سورة يوسف : « وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن » . فقد عدّى أحسن بالباء لما ضمنت معنى لطف ، ولولا هذا لعدى يالى . والفعلان هنا — وهما أعتذر وأتخلّف — تعديتهما واحدة . وقد يقال : إن اختلاف التعدية يحتاج إليه ليكون قرينة على التضمين ؛ فإذا كانت القرينة من غير هذا الوجه جاز التضمين . والقرينة في المثال تسليط الاعتذار على الحضور ، وإنما يتسلط عليه التخلّف . وقد جاء قوله تعالى في الآية ٢٥٩ من سورة البقرة : « فأما الله مائة عام ، فكان ظاهرهما واجب التأويل لأن الإمامة أى إزهاق الروح لا تكون في هذه المدة ، فقال اليبضاوى : « فالبته ميتاً مائة عام ، أو أماته قلبك ميتاً مائة عام ، وقال الألوسى : « ولا بد من اعتبار هذا التضمين لأن الإمامة بمعنى إخراج الروح وسلب الحياة لا تمتد ، وقد أورد الآية في أمثلة التضمين الشيخ يس في حاشيته على التصريح في أوائل مبحث حروف الجر . والفعلان البت وأمات تعديتهما واحدة . وهذا يشهد لما رأيت .

* * *

البذلة

تطلق البذلة في لسان العامة على الحلة ، وهو استعمال قديم ، في الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني ١ / ٨٠ في ترجمة المغنية اتفاق — وكانت قد فافت في ضرب العود ، وبلغت فيه الغاية — أنها أحيط بها في ولاية المظفر حاجي ، فوجد لها أربعون بذلة مكللة بالجواهر والآلى .

وعند الغويين أن البذلة في هذا المعنى مصحفة عن « البذلة ، بكسر الباء وبالذال المعجمة . ففي تصحيح التصحيف للصفدي : « ويقولون : لبست بذلة من ثيابي ، والصواب : بذلة ، بالذال المعجمة وكسر الباء . وقد غير العامة مع التصحيف معنى الكلمة وأحالوها عن وضعها ؛ فالبذلة : الثوب الخلق ، واستعملوا البذلة في التغميس الجديد من الثياب . وفي ذلك

يقول صاحب التاج : « وقول العامة : البدلة - بالفتح وإهمال الدال - للثياب الجدد خطأ من وجوه ثلاثة . والصواب كسر الباء الموحدة وإعجام الدال ، وأنه اسم للثياب الخلق ، وقد بدالى أن البدلة من البدل ، إذ إن الثوب على أن يبدل ويلبس غيره . ويقول القائل : أريد أن أغير ثيابي إذا أراد أن يلبس غير ما هو عليه ، فالبدلة في الأصل : المرة من البدل ، وأطلق على المبدول .

فإن قال قائل : إن الثلاثي لم يرد من هذه المادة حتى يصاغ منه اسم المرة « البدلة » ، فالجواب أن أبا عبيد قال : هذا باب المبدول من الحروف والمحول ، وهذا يدل على ورود الثلاثي ، فقد كان أبو عبيد إماماً في اللغة متوقياً للخطأ واللعن . وقال أبو حاتم : سمى البدل بدالاً لأنه يبدل بيعاً ببيع ، فيبيع اليوم شيئاً ، وغدا شيئاً آخر ، وقد قال صاحب اللسان عقب إيراد ما ذكر : « وهذا يدل على أن بدلت - بالتخفيف - جائز ، وأنه متعده .

محمد علي النجار

لماذا أسلم عبدالله براون؟

حدثنا فقيد الدعوة الإسلامية في أوروبا السيد محمود سالم العرفاني رحمه الله أن السيد عبد الله براون ذكر عن سبب دخوله في الإسلام أنه كان يقوم برحلة بين قرى الهند فأدركه العطش واضطر إلى طلب جرعة ماء من أحد القرويين الهنود ، فلما رأى الفلاح الهندي أن رجلاً من الإنجليز - أصحاب القوة والسلطان - يريد أن يشرب قدم له الإناء فشرب ، وبعد أن ابتعد مستر براون غير قليل سمع الرجل الهندي يلقي بالإناء على الأرض يحطمه . ثم أدركه العطش في يوم آخر ، فسأل أحد القرويين الهنود أن يسقيه ؛ فسقاه . ولكن هذا القروي لم يكسر الإناء هذه المرة . فسأل مستر براون الدليل عن سبب هذا الاختلاف بين القروي الأول والقروي الثاني ، فأجابه : أن القروي الأول من الوثنيين ، وأما الثاني فمسلم . قال مستر براون : لحمتني ذلك على أن أدرس الإسلام إلى أن عرفت أنه دين الإنسانية الذي ينشده العقلاء ولم يعرفوه بعد .

خطاب تحية ونصيحة أبوية

من شيخ الأزهر إلى أبنائه الطلاب

أبنائي طلاب كليات الأزهر ومعاهده :

أحييكم - في مفتتح العام الدراسي الجديد - تحية أب رءوف بكم ، عطوف عليكم ، حريص على صوالمكم ، يود أن يجمع الخير كله بين يديكم ، ويتمنى أن يملأ بالعبارة والكرامة حاضركم ومستقبلكم ، وهو يرجو أن تكونوا قد وفقتم ، في أيام إجازتكم الصيفية ، للقيام بما يجب عليكم نحو أنفسكم وأهلكم ، وأن تكونوا قد قضيت أيام الراحة هذه ، في استجمام نافع ، وشرح برى ، تستعيدون بهما قوة لعالمكم الجديد ، وتجددون بهما نشاطا لما تستقبلون فيه من درس وبحث ، وأن تكونوا قد وفقتم أيضا ، للقيام بما يرجيه منكم مواطنوكم من أهل البلاد ، بتعرف أحوالهم ، والنصح لهم وإرشادهم ، بما نرودتم به من تعاليم الشريعة ، مع بذل المعونة لهم ، في حل مشاكلهم ، وقض منازعاتهم ، والعمل على إتمام المصالحات بينهم ، باللين والمودة والحسنى ، كما يحبه الدين الإسلامى الخفيف ، وينصح به ويهذى إليه .

ولأنى أنصح لكم بأحسن ما أعرف فيه نفعكم وصلاكم واستقامة أموركم ، مما هو خير عون لكم ، على أن تتموا مرحلة التعلم والتثقف بنجاح مطرد ، وفوز متتابع ، لتخرجوا إلى ميدان الحياة العاملة ، رجالا كاملي الأهبة ، موفوري العدة ، من العلم والمعرفة ، فتتولوا توجيه الشعب في الحياة وجهات سديدة ، وتعدوا أبناء المستقبل لإعدادا رشيدا ، يبنون فيه على ما تأسسون لهم من قواعد وصينة ، ودعائم مكيئة .

أنصح لكم في مستهل العام السعيد ، أن تجمعوا أمركم ، وتسدوا عزمكم ، على الدرس والبحث ، وتفهم قواعد العلم ومسائله والتعمق فيها ، لتدركوا فقهها وتفقوا على أسرارها . واحذروا أن يكون كل همكم حفظ صور المسائل ، واستظهار أحكامها ، من غير أن تلقوا بالا لحكمها وأسرارها ، ولا سيما ما يرجع من ذلك إلى قواعد الشريعة والدين ،

فإن حفظ صور المسائل مجردة عن اللب والروح ، ومعزولة عن التفقه وتعرف الحكمة ، من أصعب الأمور وأشقها على النفس ، وهو شيء يحتاج الطالب فيه - مع طول السكد والعناء المفضى - إلى زمن لا يحتاج في أغلب الأمر إلى أكثر منه ، إذا هو قصد إلى حفظ المعاني جيدة قويمه ، فيستطيع - متى انطبعت هذه المعاني في نفسه ، وتشبعت بها روحه - أن يعبر عنها بعبارات متنوعة ، لا يتقيد فيها بالصيغ والألفاظ ، التي يتقيد بها من همه حفظ الصيغ والعبارات ، على وفق ما في الكتب والمذكرات .

وإذا كان بعض الطلاب ، ممن لم يخبروا الأمور الخبرة السكاملة ، يتعللون - في اهتمامهم بحفظ صور الأشياء من غير تفهم ولا تعمق في البحث - بأن نظام الامتحانات هو الذي يريد على الحفظ والاستظهار ، بدون وعى ولا دراية معنى ، ومن غير ربط بين الأحكام ، ولا مقارنة بين المسائل ، ولا عناية بالتطبيق ، إلى غير ذلك مما شأنه تثبيت المعاني في النفس ، وتمكين المملكات العلمية الصحيحة فيها - إذا كان بعض الطلاب يتعللون بذلك ، فإن التجارب التي لا يشك في صحتها عاقل بصير ، تثبت أن الاستظهار غير الواعي ، لا يبق منه لصاحبه بعد مضي زمن قصير شيء من المعارف لا قليل ولا كثير ، ولا يجدى عليه حتى في الامتحان ما يجدى حفظ المعاني والتفقه بالحكم وأسرار الأحكام . وأخيراً يخرج إلى الحياة العاملة التي تتطلب الجهد والكفاح ، ضعيفاً يتعثر ، ليس له من الفكر الراشد ، والمعرفة الناضجة . ما يقوى به على القيام بواجب العلماء المثقفين .

أبشائي : هذه نصيحتي ، أسديها إليكم خالصة طيبة ، وأحب أن تبصروا بها جميعاً ، وأن تزودوا بها جميعاً ، سواء منكم من فاز بالنجاح في امتحان السنة الماضية ، ومن قدر له الرسوب فيه . أما من نجح فإنه يرداد بمراعاتها قوة ، ويضيف بها فوزاً إلى فوز . وأما من رسب فإنه يكسب منها درساً نافعا ، يحفز به إلى الجهد ، واطراح أسباب الفشل ، ويدفعه على أن يأخذ نفسه من أول يوم من أيام العمل ، بالحزم والمثابرة ، والقصد إلى التفوى والتمكن من دروس الإعادة ، فإن ذلك يعوض له في مستقبل دراسته ، ما قد يظن أنه ضاع عليه في سنة الرسوب . يجب إذاً على من رسب في سنة أن يبذل كل جهوده ليكسب قوة في الإعادة ، يستطيع بها أن يسير في الدراسات المستقبلية ، بنشاط ونهوض ، وتقدم من غير توقف . وقد يكون

خيراً له ذلك الرسوب وأهظم نفعاً ، من أن ينتقل من مرحلة إلى أخرى ضعيفاً هزئلاً ، فإن هذا ليس هو الفوز المرجو ، وليس هو في الحقيقة النجاح المطلوب .

أبناء الطلبة : ليسكن رانذك في الدرس ، وخارج الدرس ، مراعاة النظام ، والحرص على أداء الواجب في وقته ، والغيرة على كرامة الأزهر ومكانته . واعملوا على أن تستفيدوا للطلاب الأزهرى اعتباراً ، وكریم سمعته العلمية والخلقية ، ثم إنه لا يجمل بكم أن تجعلوا من أنفسكم أتباعاً لمن قد يكون دونكم في المعارف الإسلامية ، والتهديب الخلقى السليم ، فإنكم تعدون الآن لتكونوا أئمة يقتدى بكم ، ويسترشد بهديكم ، واعملوا على أن تكسبوا محبة أساتذتكم ، وحدهم وعطفهم عليكم ، بحسن تقديرهم وتكريمهم ، والحرص على الاستماع لهم ، والانتفاع بأفكارهم ومعارفهم ، ليصفوا لكم النصيحة ، ويخلصوا لكم المعونة ، ويبدلوا معكم غاية ما عندهم من جهد ، لتكونوا رجالاً صالحين نافعين .

وإني أسأل الله العلى الكبير ، أن يكلائكم برعايته ، ويسر لكم أمر هذا الجهاد العظيم ، جهادكم في سبيل العلم والدين ، والله المستعان يهدى من يشاء إلى الصراط المستقيم .

والسلام عليكم ورحمة الله ؟ شيخ الجامع الأزهر

عبد الرحمن تاج

قيمة الوقت

كان أسلافنا قبل أن نشيع في بلادهم هذه المقامى يعرفون الوقت من القيمة مالا نكاد نشعر الآن بمثله .

واعتبر ذلك بما قاله أبو الفرج بن الجوزى في كتابه (صيد الخاطر) حول هذا المعنى . قال :

رأيت العادات قد غلبت على الناس في تضييع الزمان ، وكان القدماء يحذرون من ذلك .

دخلوا على رجل من السلف ، فقالوا : لعلنا شغلناك !

فقال : أصدقكم ، كنت أقرأ ، فتركت القراءة لاجلسكم .

وجاء رجل من المتعبدین إلى سرى السقطى ، فرأى عنده جماعة ، فقال له :

حسرت مناخ البطالين (ثم مضى فلم يجلس) .

ربيع الانسانية

لم يكن ميلاد محمد ﷺ في ربيع الاول إلا إيداناً بأن الربيع الدينى والإسلامى قد
تفتح زهره ، وأرج عطره ، وفاح انشره .

وإذا كان الناس يحتفلون بمقدم فصل الربيع من كل عام ، لأن فيه متعة الحس ، فإننا
نحتفل بربيع الاول من كل عام أيضاً ، لأن فيه راحة النفس ، وسر الاس ، وتذكيراً
بالبعث فى الحياة الدنيا وبما بعد الرمس .

وميلاد محمد صلوات الله وسلامه عليه قد اقترن بإشراقة على السكون ، محت دياجير
الظلم العاق ، ومزقت حجب الليل المظلم البهم ، وأقامت بعثته الدنيا وأقعدتها . وكيف لا
وقد أمل اليهود أن يكون المبعوث منهم - وإن نطقت كتب السماء بإسمها عيلته ، أى بعريته
وقرشيته - هنأ منهم على العرب برحة السماء .

له أقام راية العدالة خفاقة فوق الاعلام ، بعد ما وأدوها ، وأحيا عهوداً - طال عليها
الامد - بعد أن دفنوها ، ووفى بدم وأمانات التزموها ، وأعاد لشبه الجزيرة العربية حياة
العزة والكرامة لأفرادها وجماعاتها ، ذكورها وإناثها ، وحفظ على الفتاة حياتها ، وحجب
إلى النفوس خدمتها ، والسمير على مصالحها ، والبر بها ، بعد أن كانت تنفض يديها فى بعض
الاحيان القبار عن قاتلها .

وأحل الوثام محل الخصام ، وأبان أنه لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ، .
وحقن الدماء ، وأبطل السيف إلا فى حق ، لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله
وأنى رسول الله إلا ياحدى ثلاث : الثيب الزانى ، والنفس بالنفس ، والتارك لدينه المفارق
للجماعة ، . رواه الجماعة .

وحدد العلاقة بين المسلم وغيره على أساس التوادف فى حال السلم ، فإن كان ثمة حملة قربي
فلا مانع من التهادى . قالت أسماء بنت أبى بكر : أتتني أمى راغبة فى عهد قريش وهى مشركة ،
فسألت النبي ﷺ : أصلها ؟ قال : نعم . متفق عليه ، زاد البخارى : قال ابن عيينة : فأ نزل الله
فيها : لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ، ومعنى راغبة أى طامعة تسألنى شيئاً ، .

وقد كان العرب قبل بعثته عليه الصلاة والسلام متفرقين مختلفين ، يريقون الدماء لآتفه الاسباب ، وسرعان ما تفشب بينهم المعارك ، فتتفر من هولها النفوس ، وتصرع فيها الرموس ، وتخترم المنايا الضحايا ، ويتلاقى الابطال في النزال ، يحفخخون بالحسب والفسب .

وحروب العرب كثيرة ، وملاحمهم وفيرة مشهورة ، وأيامهم على الدهر مذكورة ، ألفت فيها الكتب ، ومشت بذكرها الحقب منذ فجر التاريخ .

ومن أيامهم المأثورة أيام ربيعة فيما بينها وهي مع تميم ، وقيس فيما بينها وهم مع كنانة ثم هم مع تميم . وكذلك ضبة مع غيرهم . وناهيك بجديس قديما وذات الأئل وصومر وإن كان في زمن الإسلام .

وقد سالت في هذه الحروب دماء ودماء ، وقتل فيها ويسبها أبرياء وأبرياء . ومنها ما استمرت مدة أربعين عاما كحرب البسوس . وبلغ من أمرهم أنهم ما كانوا يكتفون في القصاص من القاتل بأن يكون ندا للقتيل ، ولكنهم كانوا يرون أن أى عدد لا ينهض ندا له ، ولا يصلح كفاه لدمه الذى أريق .

حكوا أن الحارث بن عباد قُتل بجير ابن أخيه ، فأرسل إلى مهلهل شقيق كليب يقول : « إن كنت قتلت بجيرا بكليب ، وانقطعت الحرب بينكم وبين إخوانكم ، فقد طابت نفسى بذلك » . فأجابه مهلهل : « إنما قتلتك بشسع نعل كليب ، فغضب الحارث ودعا بفرسه النعامة ، ثم قال لاميته المعروفة التى يقول فيها :

لا بجير أغنى قتيل ولا رهــــط كليب تواجروا عن ضلال
لم أكن من جناتها علم الله وإلى بحرها اليوم صال
قد تجنبت وائلا كي يفيقوا فأبت تغلب على اعتزال
وأشابوا ذوابنى بجير إن قتل الكريم بالشسع غال

وهذا مثل من عشرات . وما يعنيننا أن نبين أى ومتى وكيف انتهت بينهما الحرب ، ولكن مما لا شك فيه أن اللغة العربية قد أفادت كثيرا من هذه الايام والوقائع ، وأن الإنسانية قد فقدت كثيرا جداً من وسائل الحياة الناعمة المطمئنة التى تعتمد على التفاهم

والود، وتنهض بالأخلاق الحسنة والحب والتعارف المتبادلين ، هذا إلى تفشى الفوضى في العقيدة بينهم ، والشرك بالله خالق الكون ومدبر الامر .

فإذا جاء محمد ﷺ بدين الإسلام حاسماً لكل خلاف ، حازماً في كل موطن ، فيصلا في كل أمر ، فأيقن أن رحمة الله مبطت من السماء إلى الأرض ، وأن عناية الرب لحقها بالخلق . ولا غرابة أبداً في استجابة القلوب — للرسول صلوات الله وسلامه عليه — قبل الأذان ، ودخول الناس في دين الله أفواجا ، راضية به نفوسهم ، قريرة عيونهم ، لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي ، على أن الداعي نفسه كان متينا في أخلاقه ، سنيا في سجاياه النبيلة ، وإنك لعلى خلق عظيم ، ، إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق ، .

فما أحوجنا نحن المسلمين في ذكرى مولده صلوات الله وسلامه عليه إلى أن نجدد التخلق بأخلاقه ، والتزين بأدابه ، ونقتنى أثره ، ونهتج نهجه ، ونسير على منواله ، وقتدى به . لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ، وقد مثلت عائشة رضي الله عنها عن خلقه ، فقالت : « كان خلقه القرآن » .

وجاءه رجل فسأله عن حسن الخلق ، فتلا عليه الصلاة والسلام قوله تعالى : « خذ العفو ، وأمر بالعرف ، وأعرض عن الجاهلين ، ثم قال ﷺ : « هو أن تفصل من قطعك ، وتعطي من حرمك ، وتعفو عمن ظلمك » . ومن البديهي أن هذه الآداب الإسلامية السامية لم تكن موجودة قبل مبته ﷺ ، ولكنه حملها إلى الدنيا . ووضح أغراضها وأهدافها ومراميها للإنسانية .

وقد عنيت رسالته - أول ما عنيت - بهذيب الفرد وتربيته تربية صحيحة ، لتكوين الجماعة بهؤلاء الصفوة على نسق جديد ودعائم قوية ، أساسها التقوى لله والنظر في الكون ، ولبناتها الآخرة في الله والمحبة لدينه والاجتماع على كتابة . أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بيناها وزيناها وما لها من فروج والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج تبصرة وذكرى لكل عبد منيب . . وفي الأرض آيات للوقنين ، وفي أنفسكم أفلا تبصرون . .

ولم تكن مهمته - صلوات الله وسلامه عليه - سهلة ميسرة ، ولكنها كانت مهمة شاقة تتطلب صبراً وخبرة ، وقدرة واحتمالاً ، وشخصية فذة في خلقها وطبيعتها وإنسانيتها وصفاتها السكالية . وقد توافرت جميعها في الرسول الأمين صلوات الله عليه ، إلى جانب ما أوتيته من الحكمة وفصل الخطاب وجوامع الكلم .

وقد قام بمهمته على خير وجه ، وتلقى من ربه كتابه ، فبلغه كما أوحى إليه نعم إنه قام بها على وجه جليل ، بجمله التاريخ بالمجد ، ووعته أذن الدنيا بالإصغاء ، ونطق به الكون في حقائقه .

فإلى أمة المسلمين وهي تذكر مولده عليه الصلاة والسلام لعلمها تذكره وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين . .

ولمى الذين يحتفلون ويحتفون بهذا الحدث الجلل نوجه هذه الكلمات :
اذكروا منهج النبي الكريم ، وسيرته العطرة ، وطريقته المثلى في الهداية ، واقتدوا بما صنع ، واذكروا أنه ترك فينا ما إن أخذنا به لن نضل أبداً : كتاب الله وسنة رسوله ، واذكروا أن أصحابه كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم .

واذكروا أن صلاح آخر الأمة بما صلح به أولها ، وأن أولها كان غيرنا في البصر والعقيدة ، في العلم والعمل ، في الصلة بالله والإيمان باليوم الآخر ، وبهذا انتصر الأولون — وهم الفقراء — على الأكاسرة والقيصرة وهم الأغنياء . . ومن يدرى فلعل القائد العربي لو علم بأن وراء البحر أرضاً لحاضنه .

فله هذه النفوس الطاهرة ، وله هذه القلوب المؤمنة ، وله هذه الوجدانات الحية . إنها صهرت في بوتقة الدين ، وصيغت على أيدي المرين من المتقين المهتدين .

لأنها في قوتها ووثبتها تستمد حياتها وجدها من ربيع النفوس الأول ، منذ ولد النبي الأكرم في ربيع الأول ؟

توفيق عاشور

المدرس بمعهد دمشق

نظام التوازن

هناك طائفة من النظريات التي يفسر بها التاريخ ، ويفسر بها قيام الحضارات المختلفة واندثارها . وقد يكون في بعض هذه التفسيرات جانب من صواب النظر إذا نظرنا إلى حالات جزئية ، ولم ننظر إلى القضية العامة وهي : لماذا قامت الحضارات المختلفة واندثرت ولم تقم لها قائمة بل أصبحت في ذمة التاريخ ؟ والقضية بهذا الشكل كبيرة في الواقع وخطيرة ، ولكتنا سنحاول هنا أن نصور فكرة تصلح أن تكون — على أقل تقدير — فرضاً ياتي قدراً من الضوء على هذه القضية .

مما يمكن ملاحظته بسهولة أن تطور الفرد منذ طفولته إلى شيخوخته يتمثل عادة لا في جانب واحد من تكوينه ، ولكنه يسير في كل الجوانب متوازياً على السواء ؛ فعندما ينمو جسم الطفل من الناحية الفزيائية تنمو معه قدرته البدنية ، كما تنمو قدرته العقلية بشكل مناسب . ولا يدخل في هذا التقدير الحالات الشاذة بطبيعة الحال . كذلك الأمة ؛ مجموعة من القوى المتفاعلة المتناسقة ، تبدأ بسيطة ثم تتسع وتضخم ، وهي كلما اتسعت وتضخمت ازدادت الحياة فيها تعقيداً ، ولكنها تظل متوازنة ما لم تقف في وجهها العراقيل .

هذه الملاحظة البسيطة يمكن أن نستغلها في وضع فكرتنا الجديدة . فالواقع — فيما يبدو لي — أن قيام الحضارات وتطورها ونموها أو اندثارها كان خاضعاً دائماً لمبدأ أساسي هو الميزان الحساس الذي يتحدد بحسب موقف الأمة ومستقبلها . وهذا المبدأ هو مبدأ « التوازن » ؛ فالأمة تتطور حياتها إلى أحسن عندما تنمو مكوناتها متناسقة متوازنة ، وتتطور كذلك — ولكن إلى أسوأ — عندما تفقد هذه المكونات توازنها فتضعف وتندثر .

حسن ، فقد سبقنا إلى النتيجة قبل بسط الفكرة ، وهي أن العامل الأول في تطور

الامم هو توازن قواها ومكوناتها . فإذا تم هذا التوازن فالأمة بخير ، وحضارتها بخير ، وهي في سبيلها إلى الاتساع والتقدم والنمو والكمال . وإذا فقد هذا التوازن كان ذلك نذير شر ، وبداية انحلال وضعف .

ويتبع هذا أن أى نظام تقوم عليه حياة أمة من الامم لا يجعل لمبدأ التوازن المكان الأول . يمكن أن نصفه بأنه نظام قاصر ، لأن البنية غير المتوازنة لا تستطيع أن تعيش طويلا .

ولا أعتقد أن واحداً من المؤرخين قد أدخل في اعتباره هذا المبدأ ، وهو بسبيل الحديث عن حضارات العالم وتفسير انهيارها . ولا أعتقد كذلك أن واحداً من المحدثين انظر إلى الحضارات القائمة الآن هذه النظرة ، ووزنها بهذا الميزان ، ليعرف إلى أى حد يمكن المحافظة على بقاء هذه الحضارات ، وإلى أى حد هي معرضة للانهيار . والنظر في التاريخ على أساس هذه الفكرة كفيلا بأن يغير كثيراً من الاحكام .

وقد قلنا إن الأمة مجموعة من القوى . وهنا نضيف أن هذه القوى بعضها للإنتاج وبعضها الآخر للاستهلاك . وأخطر صورة لفقدان التوازن هي تلك التي تتمثل في فقدان التوازن بين القوى المنتجة والقوى المستهلكة . على أن الامم لا تعيش في عزلة ، بل يتصل بعضها ببعض لا شيء . — في رأي — إلا لإحداث ذلك التوازن بين قوى الإنتاج وقوى الاستهلاك . ولذلك كانت حياة كل أمة متوقفة على نوعين من التوازن : توازن داخلي فيما بين قواها ومكوناتها الخاصة ، وتوازن خارجي فيما بينها وبين الامم الأخرى . وفقدان الأمة توازنها الخارجى لا يقل خطورة عليها من فقدانها توازنها الداخلى .

والأمة مقوماتها المادية والمعنوية . والإنتاج والاستهلاك يتم في النوعين على السواء . وتوازن هذه المقومات المادية والمعنوية من حيث الإنتاج والاستهلاك في أمة من الامم يضمن لها فرصة كافية للتوازن الخارجى مع الامم الأخرى .

وزيادة ناحية وتقص أخرى يعمل على فقدان التوازن الداخلى إن آجلا أو عاجلا . فلا بد إذن من توازن الناحيتين الروحية والمادية ، بحيث لا يطفئ جانب على آخر . فزيادة

النشاط الروحي تنتج من الخطورة ما تنتجه زيادة النشاط المادي . والمجتمع السليم في حاجة دائماً إلى مقادير متناسبة من النشاطين . ولا ينبغي هذا أن يحدثنا التاريخ عن حضارات مادية وأخرى روحية ، مما يدل على أن لونا بذاته قد يطغى على الأمة ويكيف حياتها وحضارتها . ولكن هل قدر لهذه الحضارات أن تعيش طويلاً ؟ إن القطار المندفع لا يقع خطأ بمجرد أن يفقد توازنه ، بل يظل مندفعاً فترة من الزمن رغم انحرافه حتى تقل قوة الدفع فيوهي ، وكذلك كانت تلك الحضارات تعيش إلى أجل ، وتنتظر الدمار من وقت لآخر . وعلى ذلك لا نستطيع أن نتصور أمة من الفلاسفة فقط . وقديماً تصوروا الفلاسفة ، فرسم أفلاطون خطة للدينة الفاضلة جعل فيها الأمر للفلاسفة ، ولكنها خطة لم تبرح رأسه . وكذلك لا يمكن بالمثل أن تقوم أمة من الزراع أو الصناع أو المحاربين فقط ، بل لا بد من حدوث التوازن بين جميع طبقات الإنتاج ، حتى تسير عملية الاستهلاك اللازمة لاستمرار الحياة سيرها الطبيعي .

وإذا كان تكوين الفرد الطبيعي يلزمه للبقاء في صورة سوية استهلاك مقادير مناسبة من المواد الروحية والمادية على السواء ، فكذلك شأن المجتمع الذي يقوم على الأفراد ، يلزمه لكي يتوازن في مجموعه مقادير مناسبة من هذه المواد الروحية والمادية .

أما توازن الأمة مع غيرها من الأمم فهو أن تكون بحيث تستطيع الأخذ والعطاء . أما أن تعطى فقط ، أو تأخذ فقط ، فهذا معناه أنها ليست في حالة توازن مع الأمم . وهي في حاجة للتوازن مع هذه الأمم مادياً وروحياً كذلك ، فتصدر لها وتستورد منها ما يزيد على حاجتها وما تدعو إليه الحاجة . وهذا التوازن يتمثل في التبادل الاقتصادي والسياسي والثقافي ، فتأخذ الأمة من هذا النشاط كما تعطى .

وبحدثنا الأطباء أن الجسم تلزمه بعض المواد الأساسية لبقائه في حالة سليمة ، وأنه حين يقل بعض هذه المواد أو يفقد فإن الجسم يحاول أن يستخلصه بكل طريقة ، وقد تم من أجل ذلك عملية تفاعل كيميائية في الجسم بين بعض المواد ليس الهدف منها إلا استخلاص تلك المادة الناقصة اللازمة لحياة الجسم . وهو بذلك يعود إلى صورته الطبيعية المتوازنة . ومعنى كل هذا أننا لو حررنا الجسم مادة من المواد فإن ذلك يؤثر فيه ، وهو يتحمل هذه الآثار ، إلى أن تتاح له فرصة استخلاص هذه المادة اللازمة لإحداث التوازن واستمرار الحياة .

كذلك الطبيعة البشرية ؛ تبحث دائماً عما يلزمها من مواد روحية ومادية ، فتجارس النشاطين بمقادير متناسبة متوازنة . وهي إذا وقفت في وجهها المراقيل في ممارسة واحد من النشاطين فإنها تنحرف وتعمل ، ولا يمضى وقت حتى تقع الخاتمة الآتية . وقد تحاول بحكم طبيعتها أن نجتاز المراقيل ، وتحصل على المقدار اللازم لإحداث التوازن ، ويكون هذا دليل صحوه وتنبهه للطبيعة السليمة .

ونظرة إلى بعض أمم الغرب تبين لنا كيف أن توجيه النشاط كله في إحدى هذه الأمم إلى الناحية الحرية كان كفيلاً بأن يسوقها هي ذاتها إلى الدمار ، وقد قرأنا منذ قريب عن حملات إلحادية واسعة النطاق تقوم بها روسيا (لعل من أثرها ما قرأناه كذلك من حملة على الإسلام والنبي ﷺ في مؤتمر المستشرقين الذي عقد بكبرج صيف هذا العام) . وليست هذه الحملات في الواقع إلا معوقات تمنع النفوس من الوصول إلى حالة التوازن والاستقرار . ولذلك لا يستطيع الإنسان أن يتصور أن تخلف روسيا حضارة خالدة ، وهي على هذا الوضع من فقدان التوازن في الداخل وفي الخارج .

وهكذا يمكننا أن نفهم أثر التوازن في حياة الأمم وتحديد مركزها الحضارى من التطور العالمى . وهنا أحب أن أصف الإسلام بأنه نظام متوازن ، لا يهتم بلون من النشاط البشرى ويهمل لونا آخر . وهو كذلك نظام متوازن حين يجعل حياة الأمة الإسلامية وعلاقتها بفهرها من الأمم تقوم على تبادل الأخذ والعطاء في حرية ودون إكراه ، ويستطيع الناظر الآن أن يلاحظ أن ديب هذا النظام الحيوى قد بدأ يدب في جسم الأمة الإسلامية ، حين تنهت فيها كل القوى بحكم الفطرة السليمة ، وحين بدأت أجزاؤها تسكف لإحداث التوازن المنشود .

عز الدين اسماعيل

نظرية المساواة

في الشريعة الإسلامية

جاءت الشريعة الإسلامية من يوم نزولها مقررّة نظرية المساواة ؛ فالقرآن يقرر المساواة ويفرضها على الناس جميعاً في قوله تعالى في سورة الحجرات : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُ » ، وذلك ما أكدّه رسول الله ﷺ في قوله : « النَّاسُ سَوَاسِيَةٌ كَأَسْنَانِ الْمَشْطِ ، لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجْمِي إِلَّا بِالتَّقْوَى » ، وفي قوله : « إِنْ اللَّهَ قَدْ أَذْغَبَ بِالْإِسْلَامِ نَخْوَةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَتَفَاخُرَهُمْ بِآبَائِهِمْ ، لِأَنَّ النَّاسَ مِنْ آدَمَ ، وَآدَمُ مِنْ تَرَابٍ ، وَأَكْرَمُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ » .

ويلاحظ على هذه النصوص أنها فرضت المساواة بصفة مطلقة : فلا قيود ، ولا استثناءات ، وأنها فرضت المساواة على الناس كافة ، فلا فضل لفرد على فرد ، ولا لجماعة على جماعة ، ولا لجنس على جنس ، ولا للون على لون ، ولا لسيد على مسود ، ولا لحاكم على محكوم .

إذن الناس في الشريعة متساوون ، على اختلاف شعوبهم وقبائلهم ، متساوون في الحقوق ، متساوون في الواجبات ، متساوون في المسؤوليات ، وهم في ذلك كأَسْنَانِ الْمَشْطِ ، أو هم في ذلك كَأَبْنَاءِ الرَّجُلِ الْوَاحِدِ وَالْمَرْأَةِ الْوَاحِدَةِ ، ترشحهم وحسبهم أصلهم للمساواة في حقوقهم وواجباتهم ومسئولياتهم ، لا فضل لرجل على رجل كما يفضل اليوم أبناء إنجلترا وفرنسا على أبناء المستعمرات التابعة لهاتين الدولتين ، ولا فضل لأبيض على أسود كما يفضل اليوم الأمريكي الأبيض على الأمريكي الأسود ، ولا فضل لعرابي على عجمي أي لا فضل لجنس على جنس ، كما ادعت ألمانيا وغيرها من دول أوروبا أفضليتها على بقية الأجناس .

ومن نتائج تقرير نظرية المساواة رفع مستوى الجماعة ، ودفعهم نحو الرقي والتقدم ، كما أن من نتائجه أيضاً اكتمال الشريعة بما تتطلبه الشريعة السكاملة الدائمة من مبادئ ونظريات .

والتقوى هي وحدها نصاب التفاضل بين الناس في الشريعة الإسلامية ، ولكنه تفاضل في حدود معينة ، تفاضل بين الناس في استحقاق الكرامة ، فأكرمهم عند الله أتقاهم ، وكون التقي كريما على الله ثم على الناس لا يعطيه حقا عند الناس يزيد على ما لغيره من الحقوق ، فالتقوى صفة تؤثر في صلة الإنسان بربه أكثر مما تؤثر في صلة الإنسان بالحقوق الخاصة أو العامة ، والتفاضل الذي ينشأ عن التقوى هو تفاضل معنوي لا مادي .

ونحب ونحن بصدد الكلام على نظرية المساواة أن نعرض لنظرية مساواة المرأة بالرجل . هذه النظرية ليست إلا فرعا من النظرية العامة للمساواة . والقاعدة العامة في الشريعة الإسلامية أن المرأة تساوي الرجل في الحقوق والواجبات ، فلها مثل ماله وعليها مثل ما عليه ، وهي تلزم للرجل بما يقابل التزاماته لها ، فكل حق لها على الرجل يقابله واجب عليها للرجل ، وكل حق للرجل عليها يقابله واجب على الرجل لها ، وذلك في قوله تعالى في سورة البقرة : « ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف » .

ولكن الشريعة مع تقريرها المساواة بين الرجل والمرأة كقاعدة عامة ، ميزت الرجل على المرأة بميزة واحدة ، فجعلت له على المرأة درجة في قوله تعالى بالآية السابقة « وللرجال عليهن درجة » .

وقد بين القرآن حدود هذه الميزة أو الدرجة التي يختص بها الرجل في الآية الأخرى (النساء ٣٤) « الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم » ، فبين بذلك أن الدرجة هي درجة الرئاسة والقوامة على شئونهما المشتركة .

ولا شك أن الرجل وهو المكلف طبقا للشريعة الغراء بالإتفاق على المسرة وتربية الأولاد ، والمسئول الأول عن الأسرة ، أحق بالرئاسة والقوامة على شئون الأسرة المشتركة ، لأن مسئولية عن هذه الشئون تقتضى أن يكون صاحب الكلمة العليا فيها .

فالسطة التي أعطيت للرجل إنما أعطيت له مقابل المسئولية التي حملها ، ليتمكن من القيام بمسئوليته على خير وجه ، وهذا تطبيق دقيق لقاعدة شرعية عامة هي القاعدة التي نقول : « السلطة بالمسئولية » تلك القاعدة التي جاءت بها الشريعة ، لتحكم علاقة أصحاب السلطان بغيرهم ، ولتبين مدى سلطتهم ومسئوليتهم ، والتي قررها الرسول عليه الصلاة والسلام في قوله : « كلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته : فالإمام راع وهو مسئول عن رعيته ،

والرجل راع في أهله ، وهو مشغول عن رعيته ، والمرأة راعية في بيت زوجها ، وهي مسئولة عن رعيته ، .

وإذا كان للرجال درجة على الفساء في شئونهما المشتركة ، فإن الرجل لا يتميز على المرأة في شئونهما الخاصة ، وليس له عليها أى سلطان أكبر من سلطان القوامه ، فهى تستطيع مثلاً أن تملك الحقوق ، وتتصرف فيها ، دون أن يكون للرجل - ولو كان زوجها أو أباً - أن يشرف عليها ، أو يتدخل فيما لها من حقوق التملك .

وقد سوت الشريعة الإسلامية بينهما من يوم تزولها ، أى من نحو أربعة عشر قرناً ، في وقت لم يكن فيه العالم مهيناً للتسوية بين الرجل والمرأة في الحقوق والواجبات ، بل ولا للتسوية بين أجناس البشر وطبقاتهم وأفرادهم ، فلم تكن حاجة الجماعة هى التى دفعت الشريعة لتقرير هذه المساواة ، وإنما اقتضت ذلك حكمة الله في تكميل الشريعة بالمبادئ التى يجب أن تكون في شريعة كاملة دائمة .

ونستطيع بذلك أن ندرك مدى السمو الذى وصلت إليه الشريعة الإسلامية ، بتقريرها مبدأ المساواة بين الرجل والمرأة ، إذا علمنا أن القوانين الوضعية لم تسمح بالتسوية بينهما إلا في القرن التاسع عشر ، وأن بعضها يمنع النساء إلى اليوم من التصرف في شؤنهن الخاصة إلا بإذن أزواجهن .

فالشريعة الإسلامية ما برحت منذ نحو أربعة عشر قرناً تطبق مبدأ المساواة إلى أوسع مدى يتصوره العقل البشرى ؛ ولهذا لا تفرق نصوصها بين الرؤساء والمرموسين ، ولا بين الملوك والسوقة ، ولا بين ممثلى الدول السياسيين والراعى العاديين ، ولا بين ممثلى الشعب وأفراده ، ولا بين الأغنياء والفقراء ، ولا بين الظاهرين والحااملين .

وإن هذا الكمال العجيب في هذه الشريعة لا يحتاج في ظهوره إلا إلى علم أهله به ، ثم عملهم به ، في أخلاقهم فضلاً عن تشريعاتهم وأقضيئهم ، ليسعد المسلمون بذلك ، ويعرف الناس هذه الرسالة الكاملة ، فيحددوا موقفهم منها ؟

محمد محيي الدين الميرى

ليسانس في القانون

من الملك سعود إلى الشعب السعودي

أرسلت إلينا السفارة السعودية بالقاهرة الخطاب الخطير الذي وجهه جلالة الملك - سعود إلى شعبه بمناسبة انتقاله من الحجاز إلى نجد . وهذا نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي هدانا لهذا الهدى الإسلام، ورزقنا نعمة الإيمان، وصلى الله وسلم على محمد خير الأنام . وبعد - فإننا نبارح هذه البقاع المقدسة بقلب مغمم بالحبة والعطف على شعبنا العزيز الذي لم يدخر وسيلة في إبداء شعور الولاء لعرشنا إلا أظهرها رائحة صادقة ، ولا أحجم عن تضحية في سبيل المحافظة على كيان أمتنا ، ولا تردد في الرغبة لرفع مستوى بلادنا وسمعتها . وذلك ما يحدو بنا إلى أن نجدد له العهد ، ونؤكد له الوعد ، بأننا عازمون على التضحية بكل غال ، في سبيل النهوض به وبلادنا العزيزة إلى المستوى اللائق بهما في شتى مناحي الحياة الخاصة والعامة ، الدينية منها والدنيوية ، حتى تكثر فيها الخيرات ، ويعم الرخاء جميع الطبقات ، ونراها بعون الله وتوفيقه ترفل بحمل من العز والكرامة ، وتنعم باستقرار وطمأنينة وسلام بين الأمم .

ونرى في هذا الظرف من الواجب المحتم علينا أن نطلب إلى كل مواطن من أبناء شعبنا داخل البلاد وخارجها ، قريباً كان أو بعيداً ، كبيراً أو صغيراً ، أن يضع نصب عينيه المبدأ الأسمى والغاية المثلى التي ما قامت هذه المملكة إلا على أسسها القويمية ، ولا يرجى لها الازدهار والمنفعة والعلو إلا بالاعتصام بها ، تلك هي التمسك بمبادئ الدين الخفيف الذي حرم علينا الخبائث ، وأباح لنا الطيبات ، وضمن لنا خير الدنيا ونعيم الآخرة .

ولأنني بصفتي ولي أمر هذه الأمة ، المستول عن حفظ استقلالها وكيانها ، وعدم تدخل الأجانب في داخليتها ، والذب عن حياضها ، والمحافظة على أعراضها وأموالها ، مطالب من الله والناس - بالبيعة التي في عنقي ، وبما أدين الله فيه بنفسى - أن أحرم ما حرم الله ، وأحل ما أحله الله ، وأقاتل دون ذلك بجدي وجهدي ، وأدفعه بلساني وسناني ، وأن أصون بعون الله

العقيدة الإسلامية من عبث العابثين وفساد المفسدين ، وأنفذ أحكام الشريعة السمحة بكل ما آتاني الله من حول وطول .

وقد نما إلى أن بعض الغلاة المتطرفة الجبال يرون في التكذب عن هذا الصراط المستقيم خيراً ، ويرون التمسك به والثبات فيه جموداً ، وقد أعماه الله عن حقائق الأمور ، فلم يروا أن هذا الملك لم يقم إلا على الدين ، وأن هذه الأمة لم يلم شعبها ويلتم صدها إلا بالدين ، وأن الأمة العربية كانت في جاهليتها تائهة في بيداء التردى والجهالة والفرقة والضعف ، حتى من الله عليها بهذا الدين الخفيف ، فأرسل رسوله بالهدى ودين الحق ، فظهرت على الأمم ، ونهضت في شتى شئون الحياة ، ثم عادت فهزلت وهوت واستعبدت عند ما تخلى الكثير من أبنائها عن هذا الدين الخفيف وعن العقيدة الصحيحة . وما نحن اليوم وقد جمع الله شملنا ، ويسر لنا وسائل المنعة والقوة ، وفتح لنا أبواب الرزق ، راح أعداؤنا يستغلون جهل جهالنا ، وخساسة المتطعمين منا ، لإفساد عقيدتنا ، فيأتوا ما حرم الله ، وينتهكوا حرمة ما أحل الله ، ويقدهوا في عقيدتنا من هنا وهناك .

فإلى هؤلاء خاصة ، وإلى جميع أبناء شعبي عامة ، أوجه قولي وأخص إنذارى ، بأن في عنقي بيعة إسلامية ، وعلى أداء واجباتها كاملة غير منقوصة ، وفي يدي أمانة مباركة على حفظها ، وللأمة في ذمتي عهد مقدس على أن أقوم به . وكل ذلك يقوم على مبادئ الدين الخفيف ، والعقيدة الصحيحة ، والشريعة السمحة . فمن والانا على ذلك والبناء وعرفنا له حقه وقربناه ، ومن شذ عنا في ذلك واتخذ السفه والجهالة والمروق مركباً فليأذن من الله ثم منا بحرب لا هوادة فيها ولا رحمة ، فلا نعرف فيها بقربى قريب أو كبر كبير . فمن اختزن جهالة لنفسه في صدره فآله حسبتا عليه وهو نعم الوكيل ، ومن جهر بالمعصية وجاهر بها فأحكام الشريعة تكفينا شره ، وحكم الردة معروف ، والحلال بين ، والحرام بين ، والشرع ميزان العدل ، والعدل أساس الملك . وإني عامل - إن شاء الله - بالحكمة القائلة : من التمس رضاء الله بسخط الناس رضى الله عنه وأرضى عنه الناس ، ومن التمس رضاء الناس بسخط الله سخط الله عليه وأخطأ عليه الناس . وإني أرجو وأعمل لا اكتساب رضاء الناس برضاء الله ، وأعوذ بالله من سخط الله .

وقد اتصل بنا أيضاً أن الكثيرين من الذين نعموا في بحبوحة من العيش ، بما من الله

عليهم به من الرزق ، يكثرزون التردد إلى الخارج ، فينفقون أموالا طائلة في غير طاعة الله ، ثم يعودون وقد ترعزت عقيدتهم ، وتمهللت القيم الخلقية العربية في نفوسهم ، وفي ذلك خطر على مجتمعنا وعقيدتنا ، وإسراف في أموالنا ، في حين أما أحوج ما نكون إلى تقوية سياجنا الديني والخلق ، لصد هذه التيارات المتضاربة التي تحتاج عالم اليوم ، وتكاد تقضي على قيمه الاجتماعية . ونحن أيضاً أحوج إلى إنفاق أموالنا في إصلاح بلادنا وتأسيس الشركات بأموالنا ، للقيام بحليل الأعمال النافعة ، لإنهاضها من كبوتها ، واستعادة مكانتها من القوة والمنعة والثناء بين الأمم . فلي هؤلاء أن يتقوا الله في أنفسهم ، وليحذروا مغبة جهالتهم ، ومن أحسن قلنفسه ، ومن أساء فعلها ، وما ربك بظلام للعبيد .

على أنا بهذا كله لم نقصد إلى إنقاص شيء مما أحل لنا الله ، وما أباح لنا الشرع من أطايب الرزق ، فقد أنعم الله علينا بالكثير من أسبابها ، وكان حقاً لنا أن نتمتع بها باقتصاد وإحسان ، متقين الله في أعمالنا (قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق) .

وقد حثنا الله في كتابه العزيز على ارتياد مناهل العلم ، والتوغل في حكمته ، كما أمرنا باتخاذ وسائل القوة والمنعة ، فالمزة لله ولرسوله وللمؤمنين . ونحن اليوم في بدء نهضة ثقافية تقوم على الأسس الدينية والخلقية الصحيحة ، ومن واجب كل مواطن أن يبذل فيها استطاعته ويؤدي واجبه : والمجهود الأهلي في هذا الميدان لا تقل أهميته عن المجهود الرسمي ، والمنشآت الأهلية هي العماد الثاني للثقافة العامة في كل بلد ، فعلى الذين من الله عليهم بالسعة أن يساهموا في هذا المجهود المبرور ، ليخلدوا ذكركم في أمنهم ، ويكتسبوا بذلك رضا الله وشكر الناس ، بدلا من إنفاقهم الأموال فيما لا يكسب إلا سخط الله والناس . وبلادنا الناهضة في حاجة ماسة إلى جهود جميع أبنائها للبناء والإنشاء لا للهدم والتخريب ، ونحن أولى بإعادة مجدنا الغابر الذي قام على ديننا الحنيف ، لا التخبط في عمايات لا توصل إلا إلى الهاوية .

فسيئلتنا هذا سوى بين ، وصراطنا قويم مستقيم . وقد عاهدنا الله سبحانه على اتباعه والثبات فيه ، وتعهدها لامتنا في البيعة أن نستقيم عليه ، فن سار معنا كان منا وكان له علينا حق الرعاية وحرمة الولاء وقرب الإخاء ، ومن شذ عنا وصدد عن السبيل فلاحق له ولا رعاية ولا ولاء . اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه ، ولا تجعله

ملتبساً علينا فنفضل ، إنك سميع مجيب ٥

الكتاب

القرآن المجيد

للاستاذ محمد عزة دروزة - ٣٠٥ ص - المطبعة العصرية في صيدا

الاستاذ السيد محمد عزة دروزة من الأفاضل الأفذاذ الذين أنجبهم مدينة نابلس في فلسطين ، وتخرج قبل الحرب العالمية الأولى في المدارس العليا بالأسنامة ، وكان له جهاد معروف في سبيل العروبة . ثم أسس مدرسة النجاح في نابلس . وألف كتباً مدرسية في التاريخ العربي والإسلامي انتشرت وانتفع الناس بها . وفي الحرب العالمية الثانية اضطر إلى الإقامة في مدينة بروسة بالأنضول ففرغ فيها للعلم ، وحملته محبة لإسلامه على أن يكون مسلماً على علم بدينه ودينه مما يعتقد . فألف كتاب (عصر النبي ﷺ وبيئته من القرآن) وكتاب (سيرة الرسول ﷺ من القرآن) في جزئين ، وكتاب (القرآن واليهود) و (القرآن والمرأة) و (القرآن والضيان الاجتماعي) ، وأراد أن يفهم كتاب الله فاطلع على أمهات كتب التفسير وألف (التفسير الحديث) ولم يفشره بعد ، لكنه نشر الكتاب الذي بين أيدينا الآن (القرآن المجيد) وهو كالمقدمة للتفسير ، تكلم فيه عن أسلوب القرآن ووحيه وأثره ، وعن جمعه وتدوينه وقراءاته ورسم المصحف ، وعن الخطة المثل لفهم القرآن وتفسيره ، وعقد فصلاً للتعليق على كتب المفسرين ومناهجهم .

وقد قضى الاستاذ محمد عزة دروزة أربع عشرة سنة في التأمل في القرآن ودراسة ما كتب عنه ، ناظراً إلى ذلك نظرة شاملة يلم فيها بأثر القرآن في الإنسانية . وكان في خلال ذلك كلما رأى تحاملاً من أعداء الإسلام في ناحية من نواحي بحثه نولى الرد على ذلك بإفصاف وبصيرة . جزاء الله خيراً وزاده علماً وفهماً .

تفسير جزء تبارك

للأستاذ أحمد مظهر العظمة - ٩٠ ص - مطبعة الترقى بدمشق

نوهنا غير مرة ببعض مؤلفات الأستاذ أحمد مظهر العظمة رئيس تحرير مجلة التمدن الإسلامي في دمشق، وقد أهدى إلينا نسخة من كتابه الجديد (تفسير جزء تبارك) وهو كما يقول عنه: من وحى القرآن ونوره، قدم به إلى الشباب المثقف تفسيراً لغوياً ودينياً وعلياً وأدياً، يمدون فيه قبسات تكشف عن جوانب من تاريخ دعوة القرآن وجهاد نبينا الصابر الطاهر ﷺ، وومضات من برهانها القوى الباهر، ولفتات من أديها المعجز. ومن نظامه في هذا التفسير الوجيز أن يأتي بالسورة، ثم بمعاني آياتها آية آية، وإذا كان عدد من الآيات مرتبطاً ببعضه ببعض تسكلم على مجموعها إلى أن ينتهي من السورة. ثم يعلق على ذلك بما تفيد السورة كلها، وما فيها من وحدة الموضوع واتصال خواتمها ببيداتها.

تحت لواء أحد

للأستاذ محمد عطية خميس - ١٢٠ ص - مطبعة شباب سيدنا محمد

غزوة (أحد) جزء مهم من أجزاء السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي، وقد أفردتها رسالة لطيفة بهذا العنوان، الأستاذ محمد عطية خميس، فأحسن تفصيلها، ونأق في عرضها، وعلق بمواضع العبرة في كثير من مواقفها، وذيلها بقائمة تضمنت أسماء شهداء أحد والقبيلة التي ينتمي إليها كل واحد منهم، ومواضع ذكره في هذه الرسالة. وأتبعه بقائمة لأسماء قتلى المشركين في أحد، ونبه على أنه رجع في حوادث الغزوة إلى المصادر الصحيحة من كتب الحديث والسيرة وتراجم الصحابة. جزاه الله خيراً.

الملك سعود - من أحاديثه وخطبه

للأستاذ فؤاد شاكر - ١٣٠ ص - دار الكتاب العربي بمصر

اتهنز الأستاذ فؤاد شاكر - من ألمع أدباء الحجاز - فرصة الذكرى الأولى لثولي جلالة الملك سعود عرش المملكة العربية السعودية. فأصدر هذا الكتاب، متبهاً فيه الأحاديث والخطب والكلمات العابرة التي ارتجلها عاهل المملكة السعودية في أوقات مختلفة، ولا سيما في خلال العام الأول من ولايته الأمر في المملكة الشقيقة، سواء في مجالسه

الخاصة أو في تصريحاته وبياناته وخطبه في المنابر العامة ، وهي تتناول مختلف شئون الحياة في السياسة والاقتصاد وحقوق الرعية وواجباتها وكل ما يتعلق بالحاكم والمحكوم ، وأن الدين وأحكامه المحل الأول من عناية جلالته ، لأنه لا قوام للحياة بغير الدين ، ولأن الدين أساس السعادة في الحياة الدنيا والآخرة .

وقد أهدت إلينا السفارة السعودية هذا الكتاب لمناسبة الذكرى الأولى للجلوس لجلالته . فتشكروا على ذلك .

التاريخ الوافي

للسنة الثالثة الثانوية

لثلاثة من المدرسين بالأزهر - ١٥٠ ص - مطبعة اللواء بمصر

ألف حضرات الاساتذة عمر طلعت زهران وعبد الرحمن مجاهد وهائم محمد الشيخ المدرسون بالمعاهد الدينية الأزهرية هذا الكتاب للسنة الثالثة الثانوية بالمعاهد الدينية وفق المنهج الجديد الذي قرره إدارة الأزهر والمعاهد الدينية .

وهو مقسم إلى ستة أبواب : (١) الحروب الصليبية ، (٢) الدولة المصرية الإسلامية ، (٣) مصر تحت الحكم الإسلامي ، (٤) النهضة الأوربية ، (٥) الكشوف الجغرافية ، (٦) عرض موجز لأحوال بعض الدول الأوربية .

والكتاب مزين بالصور والخرائط ، وقد تولى كل واحد من المؤلفين الثلاثة كتابة قسم منه ، والنزموا الخطة التي أرشد إليها المنهج الجديد . وذكروا في كل باب المراجع التي استمدوا موادها منها بين أفرنجية وعربية ، وتوخوا فيه تيسير دراسة هذا المقرر على الطلبة .
فشكراً لهم ؟

حقيقة إخوان الصفا

للأستاذ محمود الملاح - ٩٦ ص - مطبعة دار المعارف ببغداد

رسائل إخوان الصفا من الكتب التي اختلفت أنظار الناس إليها لما اكتنفها من إبهام وغموض في تعيين مؤلفها أو مؤلفيها ، وفي غرضه أو غرضهم منها ، وفيما خفي

بين ظاهرها من مآرب . غير أن مما لا يرتاب فيه أحد أنها من عمل الإسماعيليين دعاء الدعوة الباطنية ، وبعد أن تكون هذه الرسائل من عملهم يستطيع المرء أن يستشير في ما أهتم عليه من أمرها بما هو معلوم عنده من مقاصد الإسماعيليين الديفية والسياسية .

ويقول الأستاذ الملاح في طليعة هذا الكتيب اللطيف : إن جمعية سرية هدامة في مطلع القرن الرابع الهجري أفرغت على نفسها هذا اللقب الخداع (إخوان الصفا) لهدم الدين المحمدي الشريف التنظيف السمح ، وإزالة دولته من الوجود ، وإقامة دولة لها دين مزيج من إسلام ووثنية بحيث لا يستطيع فصل أحدهما عن الآخر .

ورسائلهم هذه عبارة عن سياحة تنتقل بك من حقيقة إلى خرافة ، ومن حق إلى باطل ومن منطق إلى سفسطة ، فهي سياحة ملغمة بأنماط من تعاليم الباطنية المترسبة من تعاليم مزدك ومانى وزردشت ، والسائح بينما هو في صحصح مكشوف ، إذا هو في نفق مستور ، إذا هو في ذروة شاق ، إذا هو ساقط على أم رأسه في واد لا يعلم قعره إلا الله .

وقد أذكرنا هذا الوصف لإخوان الصفا من كلمة الأستاذ الملاح ، كلمة سمعناها من أحد دعاة الإسماعيلية قبل نحو قرن وهي : إن القرآن كتاب العامة ، وإخوان الصفا كتاب الأئمة . وهي وقاحة صريحة لا تصدر إلا عن شائى للقرآن كافرين بالله يريد السوء بالإسلام وأهله . ورسالة الأستاذ الملاح مجموعة فصول كتبت في أوقات متابعة ، وفيها من الحقائق ما يجدر بكل مفكر مسلم طول التأمل فيه .

إلى السادة القراء

تأخير صدور هذين الجزئين عن مواعدهما المقرر

لأسباب قاهرة .

المجلة

الأدب والعلوم

مدارس تحفيظ القرآن ومناهج الدين بالمدارس

ورجال وزارة التربية والتعليم لإعادة النظر
في المناهج الدينية على ضوء ملاحظته
السيد الوزير .

مع القبول

بفرق تحفيظ القرآن

وافق وزير التربية والتعليم على زيادة السن
بفرق تحفيظ القرآن سنة واحدة على السن
المقررة لتلاميذ الفرق المائتة في التعليم العام ،
لما يتطلبه حفظ القرآن الكريم من وقت
إضافي ومن زيادة في الإدراك .

مؤسسات استمرارية بالسودان

كانت إباحة تشييد المؤسسات الخيرية
والثقافية والاجتماعية في السودان محصورة
فيها مضي بالمؤسسات الأجنبية والإرساليات
التبشيرية . ولما كان هذا الحصر من غير
اللائق ببلاد أكثرية سكانها من المسلمين ،
فقد أباحت حكومة السودان الآن هذا الحق
لأن يقدر عليه من الجماعات والمؤسسات
الأخرى سودانية أو مصرية .

ولما كانت الجمعية الخيرية الإسلامية بمصر

وافق السيد وزير التربية والتعليم على
أن تؤلف لجنة من الأزهر والوزارة للنظر
في موضوع مدارس تحفيظ القرآن الكريم
التي تتبع الوزارة حالياً وجعلها تابعة للأزهر ،
وذلك على أثر زيارة فضيلة الأستاذ الأكبر
للسيد وزير التربية والتعليم . وعما تناوله
البحث في هذه الزيارة ما ينبغي أن يكون عليه
المنهج الديني في المدارس ومراعاة التثني مع
عقلية التلاميذ ووعيهم الاجتماعي ، لأن السيد
الوزير لما زار إحدى المدارس الإعدادية
واستمع إلى ما يلقى في أحد الفصول وجد
المادة الدينية بعيدة عن المستوى اللازم
للتلاميذ . وعلق سيادة الوزير على ذلك بضرورة
رعاية المهضم العقلي والنفسى للتلميذ وإلا أحدث
ذلك التصرف نتيجة عكسية ، لأن التلميذ
إذا لم يستفح المادة أيا كانت تحمّل عنها
ونفر منها وأحدثت في تدينه ثغرة وفي نفسيته
عقدة .

وقد تقرر أن تؤلف لجنة من الأزهر

صالحين يستطيعون أن يؤدوا رسالتهم في الحياة، لأن التربية الاجتماعية والرياضية هي الأساس الأول؛ بحيث تصبح المدرسة مركزاً اجتماعياً وثقافياً، سواء في الجامعة والمدارس، لأن العلم وحده لا يكفي، فيجب أن نغف الثقافة الاجتماعية والرياضية بجانبه، وهذا يتطلب أن نفشى في الطالب شخصية استقلالية، ونعوده أن يعتمد على نفسه حتى يستطيع تأدية هذه الرسالة.

ولذلك سنقوم إن شاء الله بتنظيم الوزارة وفروعها ومدارسها، فنخلقها خلقاً جديداً، كما ستقوم الوزارة بإعداد الجهار اللازم، لنسبق هذه السياسة، حتى تصل إلى هدفها المنشود.

الجامعيون المجدد

في الجامعات المصرية الثلاث

التحق بالجامعات المصرية الثلاث هذا العام ٧٦٩٣ طالباً قبل منهم في جامعة القاهرة ٣٥٥٨ طالباً، وفي جامعة عين شمس ٢٢١٩ طالباً، وفي جامعة الإسكندرية ١٩١٦. وبلغ عدد الذين تقدموا من شعبة الرياضة ١٤١١ قبل منهم ١١٠٩، وعدد الذين تقدموا من شعبة العلوم ٤٥٣٤ قبل منهم ٢٧٧٦، وبلغ عدد الذين تقدموا من شعبة الآداب ٢٨٠٨ قبلوا جميعاً بلا استثناء.

تزاوّل إدارة مستشفى عظيم وسبق لها منازلة للتعليم بمدارس كانت ناجحة في مهمتها، فقد أخذت الآن تعدد عدتها لمزاولة نشاطها في السودان عقب تصريح الحكومة السودانية لها بإقامة المؤسسات الخيرية والاجتماعية والثقافية في ربوع السودان أسوة بالمؤسسات الأجنبية والإرساليات التبشيرية التي تزاوّل مثل هذا العمل.

وستبدأ الجمعية الخيرية على الفور بإرسال عدد من الخبراء والفنيين الذين يزورون المناطق التي ستقام فيها المنشآت الصحية والاجتماعية والخيرية.

والمنتظر عقب انتهاء موسم الأمطار في جنوب السودان البدء بإقامة المستشفى الكبير في مدينة جوبا، وقد اتخذت الإجراءات بحيث يجهز في أقصر وقت ممكن ليؤدى رسالته الإنسانية.

إنشاء جيل جديد

بجهز بروح التربية الاجتماعية

قال وزير التربية والتعليم الصاغ كمال الدين حسين في حديث له عن سياسته الجديدة في وزارته:

«سياستي الجديدة هي قبل كل شيء نشر روح التربية الفكرية والرياضية والاجتماعية لإنشاء جيل جديد قوى، يكونون مواطنين

إنباء العمل الإسلامي

بم ٧٢ عاما

وقوع هجوم مسلح من دولة من الخارج على أى بلد يكون - عند توقيع هذا الاتفاق - طرفا في معاهدة الدفاع المشترك بين دول الجامعة العربية الموقع عليها في ١٣ أبريل سنة ١٩٥٠ أو على تركيا ، فتقدم مصر للمملكة المتحدة من التسهيلات ما قد يكون لازما لتبئة القاعدة للحرب وإدارتها إدارة فعالة ، واستخدام الموانئ المصرية في حدود ما تقتضيه الضرورة القصوى للأغراض المذكورة .

وإذا عادت القوات البريطانية لمنطقة القتال للسبب السابق ذكره فإنها تجلو فوراً بمجرد وقف القتال المذكور . وفي المادتين السادسة والسابعة بعض التفصيل لما يكون في الأحوال السالفة الذكر .

وفي المادة الثامنة لإقرار الطرفين على أن قناة السويس البحرية - التي هي جزء لا يتجزأ من مصر - طريق مائى له أهميته الدولية من النواحي الاقتصادية والتجارية والاستراتيجية وهما معصمان على احترام الاتفاقية التي تكفل حرية الملاحة في القناة الموقع عليها في القسطنطينية في ٢٩ أكتوبر سنة ١٨٨٨ .

تم في مساء الثلاثاء ٢١ صفر (١٩ أكتوبر) توقيع الجانبين البريطانى والمصرى في البهو الفرعونى من البرلمان - على اتفاق جلاء الجيش البريطانى عن منطقة القتال آخر بقعة في مصر كان يحتلها .

ونصت المادة الأولى من الاتفاق والجزء (١) من الملحق الأول بالاتفاقية على أن يتم الجلاء إلى آخر جندى بريطانى في ٢٠ شهراً من تاريخ توقيع الاتفاق ، ويكون ذلك بالتدرج بحيث يكون ٢٢ في المائة من القوات البريطانية قد تم جلاؤهم بعد ٤ أشهر و ٣٥ ٪ بعد ثمانية أشهر ، و ٥٤ ٪ بعد ١٢ شهراً ، و ٧٥ ٪ بعد ١٦ شهراً ، و ٩٠ ٪ بعد في ختام العشرين شهراً .

وتنص المادة الثانية على انقضاء معاهدة ٢٦ أغسطس سنة ١٩٣٦ وجميع ما تفرع عنها .

وتنص المواد الثالثة والرابعة والخامسة على أن أجزاء من قاعدة القتال الحالية تبقى صالحة للاستعمال ومعدة للاستخدام فوراً ، في حالة

تضمنها الملحقان الأول والثاني بأجزائهما، ولا يتسع لها المجال في مثل هذه المجلة .

فتنة باهلية

بينما كان الرئيس جمال عبد الناصر شارعاً في إلقاء خطبته بميدان المنشية بالإسكندرية في الساعة الثامنة من مساء يوم الثلاثاء ٢٦ من أكتوبر أطلق عليه جاهل أحق ثمانى رصاصات أراد الله عز وجل أن تكون طائشة كصاحبها وكتب للرئيس ما قدره له في غيب علمه من نجاة ، وقبض على الجاني وهو سباك من امباية يدعى محمود عبداللطيف ينتمى إلى جماعة الإخوان المسلمين . واستمر الرئيس جمال في خطابه بشجاعة منقطعة النظير ، وعاد في صباح اليوم التالي إلى القاهرة وسط مظاهرات الاحتجاج بمقدمه والسرور بنجاحه . واتجهت الجماهير نحو المركز العام للإخوان المسلمين في ميدان الحدية واخترقته نطاق الحراسة التي ضربها البوليس حوله وأشعلت النار في مبنى المركز العام ومبنى جريدة الإخوان المجاور له وظلت النيران تلتهم الدارين من الساعة الحادية عشرة قبل الظهر إلى الساعة الرابعة بعده إلى أن تمكنت المطافئ من مكافئها وإخمادها .

هذا وقد أحيل مرتكب الجريمة إلى محكمة الشعب التي تألفت لمحاكمته ، ونكتب هذا

وتنص المادة ١٢ على أن مدة الاتفاق الجديد سبع سنوات من تاريخ توقيعه ، وفي خلال السنة السابعة يتشاوران في تقرير التدابير اللازمة عند انتهاء الاتفاق . وعند انتهاء مدة الاتفاق على حكومة المملكة المتحدة أن تنقل أو تصرف فيما قد يبقى لها وقتئذ من ممتلكات في القاعدة ، ما لم تتفق الحكومتان المتعاقدتان على مد هذا الاتفاق .

وبما جاء في الملحق الأول : تعين كل من السلطات المصرية والبريطانية أثناء فترة الجلاء قيادة مختصة في منطقة القتال يناط بها أن تنقل — تدريجياً — مسئولية تأمين المنشآت أو صيانتها من الأيدي البريطانية إلى الأيدي المصرية . وتأخذ رياسة القيادة الشرقية (المصرية) على عاتقها — تدريجياً أثناء فترة الجلاء — مسئولية السيطرة على منطقة القتال سيطرة تزايد بتناقص التزامات رياسة القوات البريطانية .

ومن المرغوب فيه أن يتم نقل المسئوليات من السلطات البريطانية إلى السلطات المصرية على نحو يشمل كل منطقة بأكملها على أنه في الحالات التي يتعذر فيها ذلك ، فن المتفق عليه ضمناً لتحديد المسئولية بوضوح أن تكون سعة المنشآت والمناطق التي تسلم بالقدر الذي يحول دون اختلاط القوات المصرية بالقوات البريطانية ، إلى غير ذلك من التفاصيل التي

اليهودية أخرى في العالم غير فلسطين لإنشاء دولتهم . لقد كنت ميالاً جداً لليهود عند ما وصلت إلى فلسطين . وإن قرأ الصحف

الدائرية ليس لديهم صورة صادقة لما يجري ، فوجهات نظر اليهود هي الغالبة لأنه ليس للعرب ما لليهود من الأسايل الدبلوماسية والأموال التي يمولون بها دعايتهم . وقد وصفتني صحيفة (پوست) الإسرائيلية حين وصولي بأني « رجل طيب » وبعد أسبوعين أصبحت عدواً لليهود . إن اليهود قد ساهموا في تدبير الاضطرابات في فلسطين ، ولا أظن أن حكومة إسرائيل هي التي أوعزت بإثارة الاضطرابات إلا أن المشرفين على المزارع الجماعية الإسرائيلية الواقعة على الحدود منظمة بطرق خاصة للدفاع عن النفس كما يقول اليهود . ومن الطبيعي أن اليهود لا يرتاحون لوجود عرب مسلحين يطوفون بالقرب من الأراضي الإسرائيلية أثناء الليل ، ومن الطبيعي كذلك أن تقع معظم الحوادث من الجانب الإسرائيلي من خط الهدنة . وعلى أية حال فإن العرب هم الذين يعانون من جراء وضع خط الهدنة عبر أراضيهم .

هذه خلاصة اختبار جنرال دنمركي خوله منصبه الممتاز في دراسة حالة اليهود في فلسطين أن يصحح رأيه ويصدر حكمه على هذه الأمة الشريرة فيعلن خطأ الحلفاء في تمكينهم من

بعد الشروع في محاكته ومحاكمة من اعترف عليهم بتهمة التحريض والتآمر . أعادنا الله من الفتنة ووقانا شرورها .

باكستانه — وأفغانستانه

طال الخلاف وأزمى بين الدولتين الشقيقتين باكستان وأفغانستان على مقاطعة واقعة على تقعر الدولتين ترى كل منهما أنها من بلادها . وفي برقية إلى وكالات الأنباء من كراتشي أن الملك سعود وجه رسالة شخصية إلى كل من السيد غلام محمد الحاكم العام لباكستان وإلى الملك ظاهر شاه ملك الأفغان حث فيهما الدولتين الإسلاميتين على تسوية ما بينهما من خلاف في أقرب وقت ممكن . وعلى أثر ذلك وصل إلى كراتشي سردار محمد نعيم خان وزير خارجية أفغانستان لمحادثة المسؤولين في باكستان في تحسين العلاقات السياسية والاقتصادية بين البلدين .

الخطأ في إنشاء إسرائيل بفلسطين

لما عاد الجنرال بينيك (الرئيس السابق للجنة الهدنة الفلسطينية التابعة للأمم المتحدة) إلى بلده في الدانمارك أدلى بحديث إلى جريدة (كوبنهاجن) قال فيه : لا شك أنه كان أدعى إلى استتباب السلام والأمن لو وجد

أن قوات أخرى فرنسية ترسل من ألمانيا إلى المنطقة النائرة في الجزائر .

وقد اعترف وزير الحرية الفرنسية بعد عودته إلى باريس من رحلة عاجلة قام بها في الجزائر بأن فرنسا محتاجة إلى مزيد من الوقت والقوات المسلحة قبل أن تتمكن من إعادة الأمور إلى نصابها .

وكان من تقاليد الجزائر الاحتفال بالمولد النبوى في حفلات تحمل فيها المشاعل ، فأصدرت السلطات الفرنسية أوامر الحظر لمنع هذه الحفلات خوفا من أن تتحول إلى معارك ضد الاستعمار .

وفي يوم ذكرى المولد النبوى قامت قوات فرنسية من عشرة آلاف - وفيها جنود المظلات والفيلق الأفريقى والفرقة الأجنبية ومعها عدد كبير من الدبابات والسيارات المصفحة وطائرات الاستكشاف - بحملة واسعة على الجبال التى يعتمص بها الثوار الفدائيون وتقدم السلطات بثلاثة آلاف تاجر ، والمظنون أن الممارك لن تنتهى قبل مضى ثلاثة أشهر .

سلطانة مراکش

لما أيقنت فرنسا من فشلها في إقامة ابن عرفة بدلا من سلطان مراکش الشرعى

النزول في هذه البقعة من الارض وتسلط بلائهم على القومية العربية في قلب أوطانها والتصریح بأن كل الشرور الواقعة في فلسطين فإن اليهود هم سببها ومصدرها .

سورة الجزائر

نشبث ثورة عنيفة في القطر الجزائرى في أرائل هذا الشهر فكانت مفاجأة جديدة للاستعمار الفرنسى اندلعت نيرانها في بلدان مختلفة في وقت واحد ، وانفجرت في مدينة الجزائر العاصمة ثلاثون قبلة متوالية ، وحطمت محطة توليد الكهرباء ، وفي مدينة قسنطينة انفجرت ٣٤ قبلة ، وهاجم الثارون بعض المعسكرات التى فيها ضباط وجنود جزائريون فخطموا بواباتها وانضم إليهم بعض الضباط والجنود الذين كانوا فيها . ونشب حركات أخرى في حنصالة وأب فريك وباته وأما كن أخرى .

وتقول وكالات الأنباء : إن كتيبة من جنود المظلات أرسلت من فرنسا إلى الجزائر على جناح السرعة ، وإن الحكومة الفرنسية عززت قوات البوليس بستائة رجل من رجال البوليس الفرنسى الخاص ومعهم ثلاث سفن محملة بالأسلحة والعتاد ، وحظر التجول في كثير من البلاد ، وعزلت بلدة أوديس - بين بسكرة وباتنة - عن بقية البلاد . والمعتقد

العالمية الأولى لل مؤتمر الإسلامى الذى انعقد فى هليوبوليس برئاسة رياض باشا قد اشترى بها ١٤٤ فدانا ووقفت على مواصلة المقاصد التى قام المؤتمر لتحقيقها ، وحجة الوقفية باسم حسن باشا رضوان نائب رئيس ذلك المؤتمر ، فقد اتجه الرأى الآن إلى أن المؤتمر الإسلامى الحالى هو المستحق الوحيد لربح هذه الاطيان بحكم شرط الواقف .

منصب الوفاء

أصدر وزير العدل قراراً بندب الشيخ أحمد ابراهيم مغيث — رئيس التنفيذ القضائى الشرعى بالوزارة — للقيام بأعمال مفتى الديار المصرية لمدة ثلاثة أشهر .

مساعرات التنمية الاقتصادية

من أمريكا لمصر

وقعت مصر والولايات المتحدة اتفاقية تعضى بأن تزود الولايات المتحدة مصر بالمساعدات للتنمية الاقتصادية وأن تكون هذه المساعدات مكملة لنشاط مصر الحالى فى ميدان التنمية الاقتصادية لا بديلا عنها ، وستمكن وكالات الحكومة المصرية - بهذه الاتفاقية - من أن تدخل فى اتفاقات فرعية مع بعثة العمليات الأمريكية فى مصر لتحديد المشروعات المشتركة ومقدار ما تساهم به كل من الحكومتين ، ومنها المشروعات الخاصة بالنقل فإن بناء السد العالى وإنشاء صناعات

جلالة محمد الخامس ، رسمت لنفسها خطة جديدة لتسكين ثورة الشعب المغرب وذلك بأن تعزل صليعتها ابن عرفة فى مقابل تنازل السلطان محمد الخامس لابنه . وقد أرسلت مندوباً خاصاً إلى السلطان فى منفاه بمدغشقر ليفاوضه فى ذلك . فكتب السلطان الرد التالى على ذلك الاقتراح :

« إني أستمند سلطتى من الشعب المراكشى الذى عبر عن ثقته بى . وقد رفضت التنازل عن العرش تحت ضغط الحركة الاقلامية فى ٢٠ أغسطس سنة ١٩٥٣ ، فن الأحرى أن أرفض التنازل اليوم بعد أن أصبح واضحاً للعيان أنى كنت ضحية للقذف والاكاذيب . ولكننى أعلن فى الوقت نفسه أنى على استعداد لدراسة أى حل لا يتناول موضوع تنازلى عن العرش ويقصد به إلى تهدئة الحالة وإلى تحقيق تسوية مشرفة وذلك ضمن الاحترام الكامل لحقوق البلاد المشروعة ،

من الاوقاف للمؤتمر الإسلامى

قرر وزير الاوقاف أن تبرع الوزارة بخمسة آلاف جنيه للمؤتمر الإسلامى، للإنفاق منها على أعمال المؤتمر . وقد وقع الأستاذ البافورى حوالة بهذا المبلغ وأرسلها إلى السيد أنور السادات السكرتير العام للمؤتمر . ولما كانت الإعانات المجموعة قبل الحرب

الضمانات المالية التى نص عليها العقد ، وشيكات معتمدة بقيمة الالتزامات المالية المفروضة عليها والملزومة بسدادها عند التوقيع ، وجرت العادة فى مثل هذه المناسبة أن تقوم الشركات بتقديم أقلام الجبر الذهبية أو أدوات البناء المصنوعة من الذهب الخالص هدية تذكارية لمثل هذا التوقيع ، ولكن الأستاذ ايلي بوليتي اختار أن تكون هدية الشركة نسخة نفيسة من المصحف الشريف .

تبرع الملك سعود للاجئين العرب

تبرع الملك سعود بمئشرين ألف جنيه للاجئين الفلسطينيين فى قطاع غزة ، فقرر أن ينفق عشرة آلاف جنيه منها لشئون التعليم ، وثمانية آلاف جنيه لكساء الفقراء فى القطاع ، وألفان للأسر الفقيرة التى تقيم فى مصر من فلسطين .

شعب أرقى من حكومته

قال الدكتور معروف الدواليبي : إن الحكم الوطنى فى سوريا لم يستطع حتى الآن أن يحقق المسئولية الملقاة على عاتقه وإن الفضل فى التقدم الذى أحرزته البلاد يعود إلى الجهد الفردى أكثر مما يعود إلى الحكومات التى تعاقبت على دست الحكم ، لأن عدم توافر الاستقرار حرم هذه الحكومات من إمكانية تنفيذ برامجها فى الحكم ، فلم تعد هذه الحكومات من حيث التطور وتنمية مواردها الاقتصادية .

جديدة سيؤدى إلى الضغط الشديد على طرق مصر وسككها الحديدية ، وكذلك مشروعات المياه الصالحة للشرب . وقد خصصت الولايات المتحدة حتى الآن مبلغ أربعين مليون دولار لهذه المساعدات الفنية . وقال السفير الأمريكى عقب توقيع الاتفاقية : إن الولايات المتحدة تبنى بذلك ثقتها فى مستقبل مصر الاقتصادى .

بغداد النيل على المقطم

ومدينة سياحية بالإسكندرية

وقع الوزير قائد الجناح عبد الطيف البغدادى عقد الاتفاق بينه وبين الشركة المصرية للأراضى والمباني ، على أن تقوم الشركة بتعمير جبل المقطم وإقامة مدينة سياحية حديثة على مضاب قسمى (بغداد النيل) ، وعلى إنشاء منطقة سياحية ساحلية من قصر المنتزه فى الإسكندرية حتى نهاية ساحل المعمورة ، ومنطقة سياحية أخرى فى انشاص ، وقد تاب هن الشركة فى التوقيع على الاتفاق الأستاذ ايلي بوليتي عضو مجلس إدارة الشركة المتدب .

وقبل توقيع العقد قدم الأستاذ بوليتي إلى السيد الوزير مشروع تخطيط هذه المناطق ، وألحق بالمقد خريطة منطقة المنتزه وخريطة منطقة المعمورة وخريطة بغداد النيل على المقطم وخريطة منطقة انشاص وبرنامج تنفيذ الأعمال التى ستقوم بها الشركة ، كما قدمت الشركة وقت توقيع العقد جميع

بسم الله الرحمن الرحيم
 محب الدين الخطيب
 الاشتر السنيوي
 في وادي النيل
 لطلبة وادي النيل
 للمعلم والمدرسين بالادب
 خارج المواد
 لطلبة خارج المدارس
 للمدارس والاساتذ
 ٤٠٠
 ٤٠٠
 ٣٠٠
 ٥٠٠
 ٣٠٠
 ٤٠٠

بمجلتنا
 مجلة دينية عالمية جامعية
 تصدر عن شيخنا الأزهريين في كل شهر عربي

مدير المجلة
 عبد اللطيف السبكي
 عضو جماعة كبار العلماء
 إدارة الجوامع الأزهرية بالقاهرة
 تليفون ٤٦٢١٤
 ثمن النسخة ٩٠ مائنة

القاهرة في غرة ربيع الثاني ١٣٧٤ - ٢٧ نوفمبر ١٩٥٤ - الجزء السابع - المجلد السادس والعشرون

الفهرس

صفحة	الموضوع	بسم الله
٣٥٤	رسالة العلم	الاستاذ محب الدين الخطيب ومحب التحري
٣٥٨	تفحات القرآن : طموح الانبياء إلى البنين . . .	عبد اللطيف السبكي عضو جماعة كبار العلماء
٣٦٢	السنة : قصة أبي طالب	طه محمد الساكت
٣٦٦	من نوادر المخطوطات	أبو الوفا الرازي
٣٧٠	عمار بن ياسر	محمود النواوي
٣٧٢	إسقاط التكاليف الفرعية	عبد الله الرازي
٣٧٨	رسالة للساجد	زكي سويلم للدرس بالأزهر
٣٨٢	خير وسيلة للدفاع الهجوم	محمد جمال الدين محفوظ
٣٨٥	عماد الدين زنكي	محمد رجب لبيوي
٣٨٩	للؤتمر الاسلامي	السيد محمد الكشكشي
٣٩٣	كتب وأفكار غريبة في الليزان	سلطان دنيا
٣٩٧	قع الشهرة	محمد للسبي بن الحنين
٤٠١	فداء من جماعة كبار العلماء
٤٠٣	تطبيقات : إلى الطرايش النظة	« المجلة »
٤٠٦	ركن الطلبة : رسالة البشرية	محمد الهسوقي بمحمد للتصويرة الديني . . .
٤٠٨	الكتب	« المجلة »
٤١٠	الادب والعلوم	»
٤١٣	أنباء العالم الاسلامي	»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رسالة المعلم

كتاب المعلم
١٣٨٨
١٣٨٨
١٣٨٨

المعلمون الذين ستقع أنظارهم على هذه الكلمة يعدون بالآلاف إن لم يعدوا بالآلاف ، وما منهم إلا من يحفظ كلمة حافظ فيهم :

قم للمعلم وفته التبجيلا كاد المعلم أن يكون رسولا

وم يحفظون هذه الكلمة على أنها ثناء عليهم بأنهم - مع قيامهم بمهمة التعليم - يحملون رسالة من رسالات الله ، يتولسون بها إلى مرضاة الله . وإذا كان فيهم من أجهد نفسه في طلب العلم من نعمة أظفاره في مختلف مراحل التعليم إلى أن صار معلماً ، ولم يبلغ بعد أن يكون من حملة رسالة الله إلى أبناء الجيل الناشئ في معاهد التعليم ، فإن الناس لا ينكرون عليه أنه معلم ، ولكنهم لا يعترفون له - ولا هو يعترف لنفسه - بأنه أحد الذين أثنى عليهم حافظ إبراهيم ، لاختلاعهم برسالة التعليم .

المعلمون فريقان : معلم آلى يؤدي عمله من لسانه إلى آذان المتعلمين ، ومعلم صاحب رسالة في التعليم يؤدي عمله من قلبه إلى قلوب المتعلمين . وكلا الفريقين يؤدي عمله ، ويذل في سبيله من جهد ووقت مثل الذي يبذله صاحبه ، غير أن أحدهما آلة ، والآخر مؤمن برسالة .

الأول تافه يعيش على هامش الحياة ، والآخر خالد يؤديه واجبه في تكوين الجيل وإعداده للحياة .

الأول اسطوانة تتحرك وهي لا تشعر بما تتحرك له ، والآخر أب حكيم رحيم يعتبر تلاميذه أمانة الله بين يديه كأولاده الذين اختصه الله بهم واتمته عليهم .

إن الأمة الإسلامية كلها — ومصر في جملتها — تمتاز الآن طوراً من أطوار تاريخها ، وهي منه على مفترق الطرق . والتطور لا يتناول الذين شبوا عن الطوق ودخلوا في سن الرجولة أو السكولة أو الشيخوخة ، بل يتناول رواد معاهد العلم من البراعم التي في سن الطفولة ، إلى المراهقين الذين يملأون المدارس الثانوية ، فالشباب الذين يتلقون التعليم الجامعي ، هؤلاء هم المعرضون الآن لحادث التطور ، وهؤلاء هم الواقفون على مفترق الطرق ، وهؤلاء هم الذين سيكون منهم — في عشرات السنين الآتية — أئمة أخرجت للناس ، أو خير أمة أخرجت للناس . وفي يد المعلم ، المعلم الذي يجمل رسالته أو يتجاهلها ، والمعلم الذي يعلم رسالته ويؤمن بها ، في يد هذا الفريق من المعلمين أو ذاك ، تكوين الجيل الآتي ، وإعداد مستقبل الأمة والوطن جيلاً نافعا ، أو جيلاً خيبراً نافعا .

كان اسم المصنع القائم على إعداد الأجيال الماضية « وزارة المعارف » ، لأن المطلوب من المعلم فيما مضى كان حشر ألفاظ من المعارف في أعماخ التلاميذ والطلبة ليجتازوا بها الامتحان السنوي ، ثم يحصلوا بعد ذلك على شهادة يتوصلون بها إلى وظيفة في دواوين الحكومة ، فكان يكفي لذلك أن يكون المعلم آلة تحفيظ يؤدي عمله من لسانه إلى آذان المتعلمين .

هذه هي الطريقة التي اخنطها دانتلوب لوزارة المعارف ، وسارت عليها وزارة المعارف في النصف الماضي من هذا القرن . أما الآن أي في السنة الدراسية الجديدة ، فقد تحولت وزارة المعارف إلى شيء آخر ، إلى « وزارة التربية والتعليم » ، لإشعاراً للعلم بأن عمله الفردي السابق أصبح الآن عملاً مزدوجاً : كان معلماً فصار معلماً ومربيّاً . كان موظفاً مكلفاً بإعداد موظفين ، فصار أباً مكلفاً بإعداد رجال عاملين خيبرين نافعين . كانت مهمته تنهى بين لسانه وآذان تلاميذه ، فازدوجت الآن هذه المهمة ، وصار مكلفاً بأن ينشئ صلة جديدة بين قلبه وقلوب أبناء كآبائه اتتمنه الوطن عليهم ليكون منهم خير أمة أخرجت للناس ، لا ليركهم هملاً يتعرضون بأهوائهم لحبائل الشيطان فيكونوا شر أمة أخرجت للناس .

لقد تحول المعلم عندما — للمرة الأولى — من آلة أو اسطوانة تردد مناهج وزارة المعارف ، إلى مرثب يرى في نفسه أنه سفير وزارة التربية والتعليم ، إلى فلذات أكباد الأمة الذين

يملاون مقاعد معاهد التربية والتعليم ، ليجعل منهم لبنات قوية سايمة في بنيان الجيل الحبيب ، في المستقبل القريب .

لقد صار المعلم مربياً ومعلماً من قلبه وصميم روحه ومنتهى عزيمته ، بعد أن كان معلماً من لسانه وذاكرتة . وهذا الفرق الجوهرى بين المعلم الدنلوبى والمعلم الاستقلالى هو الذى يجب أن يجعله المعلم نصب عينيه فى داخل مدرسته وخارجها .

لقد أصبح المعلم مسئولاً عن تربية العقل فى أبناء الأمة الذين اتمنته الأمة عليهم ، والعقل هو المصباح للنفس البشرية يقوم على توجيهها إلى الحق والخير فى طريق الحياة ، فكما كانت عناية المعلم بتربية عقل التلميذ أحكم وأقوم ، كان للأمة من هذا التلميذ الرجل المستنير المذهب الذى تعز به الأمة ويرتفع مستواها ويستقيم سيرها نحو العلى ، فيكون لها فى التاريخ دور أعمز وأفضل وأعلى .

والمعلم مسئول عن تربية الخلق فى أبناء الأمة الذين اتمنته الأمة عليهم ، ليكون الجيل الآتى من الأمة - فى عشرات السنين التالية - من أهل الصدق والتعاون على الخير ، والصبر فى الشدائد ، ومن أهل القصد والرفق والاعتدال ، والهدأب فى العمل والمثابرة عليه والتجويد له ، وإيثار الآجلة بنصيبتها من السعى والجهد ، مع إعطاء العاجلة حقها من ذلك .

أيها المعلمون ، أتم الذين تروون للناس قول شوقى : « الأمم الأخلاق ، وقد مل الناس رواية هذه الكلمة بالالسن ، وباتوا فى حاجة إلى أن يروها معمولا بها فى سيرتها وتصرفاتها وتعاملنا فيما بيننا ، لنكون قدوة لهم ولتكون لهم أسوة بنا ، فإن لسان الحال أبأغ وأصدق وأجدى وأسرع تأثيراً من لسان المقال . وإذا كانت الأمم الأخلاق ، فإلى منزلتنا الآن من هذه الأخلاق ؟ وهل من سبيل إلى الارتفاع بمنزلتنا إلا على أيديكم ؟ وإذا كان النطق بقول شوقى : « إنما الأمم الأخلاق ، لم نلتفع به من طريق الكلام ، فإلى ترون أن الآوان قد آن لنجرب طريق القدوة والأسوة ؟ وإذا كنتم يائسين من جدوى القدوة والأسوة فى جبل أنا وأمثالى من الذين شبوا عن الطوق ، فإلى نبدأ بتجربة القدوة والأسوة مع هذه البراعم المتفتحة للحياة على مقاعد مدارسكم ومعاهدكم ؟

إن الزمان استدأر ، والبضاعة التى كانت ترضى وزارة المعارف فيما مضى ، إن تكتفى

بها وزارة التربية والتعليم فيما سياتى ، وقد أصبحت الامة فى حاجة إلى جيل منها جديد يحب الله ، ويؤثر رضاه ، ويتقن مسأخته . ويختار الحق والخير ، ويقتدى فى ذلك بالمثل العليا فى سيرة الاخيار من أهل الحق ، وما أكثرهم فى سلف هذه الامة الفنية بالأخلاق فى جاهليتها ، فضلا عن عصور الإسلام التى قدمت للإنسانية من قادة الحق والخير من لا تضارها فيهم أمم الأرض مجتمعة ، فاستمدوا من هذا الماضى الفنى بالفضائل لإعداد المستقبل إعداداً صالحاً متصل أخراه بأولاء ، ففتأنف سيرتنا الطيبة فى التاريخ . عرفوا الاحفاد بفضائل الاجداد .

ابشوا فى الحاضر مآثر الماضى .

اربطوا قافلة القد بقافلة الامس لتواصل طريقها إلى السعادة .

إن معلم الناس الخير ﷺ كان يستعيز بالله من علم لا ينفع ، فعلوا تلاميذك ما ينفعهم فى تنمية عقولهم ، وتربية أخلاقهم ، والنهوض بمستوى حياتهم ، حتى يكونوا أمة صالحة تحترمها الامم ، وحتى يكونوا أمة صدق ، ودأب ، ونجود ، وابتكار لكل ما ينفع الناس ويقضى حاجاتهم ويرفع مستواهم بين الامم .

هذه هى رسالة المعلم ، والذى يؤمن بها لا يحتاج إلى مناهج تدله عليها ، ولا إلى دليل يأخذ بيده إليها كالدليل الذى يستعين به الكفيف إذا سلك طريقه .

هى رسالة يعرفها كل معلم ، ثم يتفاوتون فى العمل بها ، بقدر تفاوتهم فى الإيمان بها . والفارق بين الفريقين هو أن يميز المعلم طريقه فى التعليم : فهل هو موظف فى وزارة المعارف البدلوية ، أم هو سفير وزارة التربية والتعليم ، المتعاون معها على تكوين الجيل الجديد بتربية عقله وخطفه ونفسه ، وتزويده بالعلم النافع للنهوض بمستوى الامة الاجتماعى إلى ما يرضى الله وتم به فى الاوطان الإسلامية رسالة الحق والخير .

إن رسالة المعلم هى رسالة الدليل للامة الحائرة وهى على مفترق الطرق ، فانظروا إلى أى طريق أنتم ذاهبون بها ...

محج العربى الخطيب

نفحات القرآن

- ٢٢ -

طموح الأنبياء إلى البنين

« هناك دعا زكريا ربه ، قال : رب هب لي
من لدنك ذرية طيبة ، إنك سميع الدعاء ،

ينساق إلى بعض الأذهان أن الرغبة في الذرية ظاهرة لحب الدنيا ، ويميئون على إنسان أن يبتغي الولد ليكون ذكرى والده ، وعماد أهله ، وورث الحنين إلى الخلف محاولة للبقاء في تلك الحياة ، فإن لم يكن بالذات فليكن بالخلف ، وكل ذلك عند هؤلاء المزهدين مشغلة عن الآخرة ، وتشتت بأعراض الحياة ، وهذا هو ، أو أشبه باللهو ، واللهو كله ليس شيئاً في حساب الاقتضاء : هذا ما لديهم من تعللات .

وهناك آخرون من عشاق التقاليد ، يتحاشون إنجاب الأولاد ، خشية أن تنقلهم التكاليف ، وتزدحم بهم متع الحياة الزوجية ، فهم لذلك يجمعون عن الزواج ، أو يستخدمون الوسائل المحظورة في التخلص من إنجابهم .

وبفوت أولئك المزهدين أن حب الولد فطرة في الإنسان ، وفي كل نفس حية ، وأنها نزعة طيمنية امتزجت باللحم والدم ، وهي ما يسمونه (غريزة بقاء النوع) أو نحو ذلك ، مما اقتضته السنة الكونية .

وفاتهم كذلك أن الدين الحق لا ينازع الفطرة ، وأن الفطرة السليمة لا تنأى عن الدين ، ولا تشاقه - وكيف يكون بين الدين والفطرة السليمة عناد : وكلاهما من صنع الله الذي أتقن كل شيء ؟

وكذلك فات الذين يقاومون الفطرة ، ويتأثرون بالتقاليد ، أن هذا اتجاه لا يستقيم . ولا تستقيم عليه النظم الكونية ، بل ولا تستقيم عليه الحياة الشخصية ، فإن الإفلال من إنجاب الأولاد مدعاة لانكماش الدولة ، وانتقاص الجماعة . ومن دواعي الهوى في الدولة أن تعمل على الكثرة . وبجانب ذلك اعتبار آخر هو أن المرء قد يتلى في ولده فيصبح بعد ذلك محروماً يقاسى لوعة الحرمان أو على الأقل يعيش غير مستأنس بأبناء ، ثم يحكم الفطرة أعوان في الحياة .

وإذا كان حب الولد فطرة ، فليس أطوع لفطرة من صاحب دين خالص ، فما بالك بالإنبياء ، وهم صفوة الناس طبعاً ، وأرجحهم مدارك ، وأكملهم إنسانية ؟ .
أراد ربك أن يرسم لنا في المنهج الديني طواعية للمرء لفطرة في حب الولد ، واتخاذ السبل إليه ، فساق إلينا حديث الاختيار من عباده ، لتلمس فيهم القدوة ، وتلقى عنهم الوسيلة ، وفي ذلك ما يدفع الشبهة الكاذبة التي تتخالج المتزهدين ، أو تجري في أفواه الأدعياء . وفيه أيضاً إيقاظ لمعطاة الآبوة الكامنة في النفس والتي يحاولون كبتها ، أو الضفط عليها بالجنوح إلى التقاليد المصطنعة .

* * *

وهذا زكريا نبى الله عليه السلام ، بلغ من العمر ما بلغ ، وفات زوجته أوان الحمل ، وأصبحت عاقراً لا تطمع في المخاض .

ولكن الأمل ، والحنين ، وتحكم الفطرة ، ودافع الغريزة : كلها لا تدع زكريا يستسلم لليأس من الولد ، أو الزهادة فيه ، كما أن دينه الحق لا يمنعه أن يدعو إلى الله ، ويطلق باب الرجاء في فضل مولاه ، بالدعوات الصالحات أن يرزقه الذرية . وهو إذ يلمح في دعواته بالذرية مطاوعاً لفطرته ، ومستأنساً بتوجيه دينه ، إنما هو جانح إلى البشرية في خصائصها البارزة ، غير لائذ إلى مزاعم المتجربين ، من أن التبتل المتعمد من كمال الدين ، ومن شعار الأصفياء . نعم : ليس كذلك .

فزكريا حينما وجد مريم تعيش في كنفه ، وتسكلاً لها رعاية الله ، فيأتيها الرزق من حيث لا يدري هو ، ومن أستاذ لا يمهدها في وقتها ، بل ولا في جودتها ونضجها : يجيش الأمل في نفسه ، وتثور عنده الرغبة في الذرية ، فيضرع إلى الله منادياً : رب : هب لي من لدنك ذرية طيبة ، إنك سميع الدعاء ، وما له لا يدعو ؟ وقد سمع من قبل ما دعت به أم مريم ،

ثم رأى بعينه كيف استجاب الله لها في مريم ، وكيف يجرى كرم الله على مريم ؟ ؟
ولذا : لا يبعد على الله أن يستجيب له ، وأن يرزقه ، وأن يكون ولده أحدوثة العجب
والقدرة ؟ ؟ كما كانت مريم وابنها أحدوثة العجب والقدرة ؟ ؟

والقرآن يحكى أن زكريا دعا ربه في صبيغ عدة . فمرة يقول : « رب لا تذرني فرداً وأنت
خير الوارثين » ، وأخرى يقول : « رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء » ، وثالثة
يقول : « رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيباً ، ولم أكن بدعائك رب شقياً ، وإني
خفت للموالى من ورأى ، وكانت امرأتى عاقراً ، فهب لي من لدنك ولياً ، يرثني ويرث من
آل يعقوب ، واجعله رب رضياً » .

وهل كانت تلك الدعوات أو ما هو أكثر منها وفي معناها متعاقبة في وقت واحد ؟ ؟
فهم بعض المفسرين هذا من قوله سبحانه : « هنالك دعا زكريا ربه » ، وقوله بعد ذلك : « فنادته
الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب » ، فإن نداء الملائكة له بالبشرى وقع وهو في مقامه
من محراب مريم ، وجاء مقرونا بالفاء الدالة على القرب ، ثم اقترن بواو الحال في قوله :
« وهو قائم يصلي في المحراب » .

فكانه لم تمض مدة بين الدعاء والإجابة من الملائكة .

وآخرون من المفسرين يرون بُعد الإجابة عن الدعاء بأزمته طويلة ، لذلك كرر
دعواته ولم تكن في وقت واحد ، وأما التعبير بالفاء في قوله : (فنادته الملائكة) فلا يقصد منه
اقتران التلية بالدعاء ، وإنما قصد منه الدلالة على القرب في الوقوع ، حتى كأنه اقترن بالدعاء .

وكيفما كانت التلية ، فقد تكررت روايتها في القرآن ، ففي سورة آل عمران : « أن الله
يبشرك يحيى مصداقاً بكلمة من الله سيداً وحسوراً ونبياً من الصالحين » ، وفي سورة مريم :
« يا زكريا : إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سمياً ، فالبشرى آذنت زكريا
بأوصاف ربما كانت أكثر مما يرجو ، فإنه طلب ذرية طيبة ، وفسر الذرية بأن تكون ولياً
يرثه ، ويرث من آل يعقوب ، وليس له من ميراث سوى البركة ، والدين . والخلق ، وأن
يكون خلفاً طيباً لسلف طيب ، يقوم بالهداية ، والإصلاح ، حتى لا يكون الأمر فوضى
بين الأقربين لزكريا من أشرار بني إسرائيل يتكالبون عليه ، ويتنازعونه بعد وفاته هو .

وهذه البشرى قوى الأمل فى نفس زكريا ، وألحت عليه النزعة البشرية فى التعجب ؟ كيف يكون له ولد عرفه الآن باسمه يحيى ، وعرفه بصفاته : بأنه لم يسبق إلى هذا الاسم ، وبأنه مصدق بكلمة من الله ، يعنى مؤمنا بنبي آخر يكون كلمة من الله ، وهذا تبشير بعيسى — ولم يكن عيسى ولد — وعرفه بأنه سيكون سيداً فى قومه ، وحضوراً عن الفناء — وكانت هذه محمودة فى زمنه لأشخاص معينين — وعرفه فوق ذلك كله بأنه سيكون نبياً من الصالحين للدين والدنيا ، وفى نفسه وفى قومه .

كيف يكون له ذلك الولد ، وهو لا يعهد فى مثل زوجته أن تلد ، وهل سيكون الولد منها ، أو من زوجة سواها ، ولم يعد فى عمره مقسع لإقتران بأخرى بعد ؟؟

ولكن الله سبحانه يزيد طمأنينة ، ويؤكد له البشرى بما يعجب من حصوله ، فتناديه الملائكة ثانياً : قال : كذلك : قال ربك هو على هين ، الأمر كما سمعت ، لا شبهة فى حصوله ولا استبعاد ، ثم ينبهه إلى سهولة ما عظم عنده بما جرى فى نفسه ، وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئاً .

ولكن هذه البشائر وهذا التدليل لم تقف بزكريا عند ما فيها من التفاؤل الأكيد ، بل زادته شغفا بقرب الحصول ، فسأل الله آية على ذلك .

وفى كثير من هذه المراحل معان إنسانية ، فيها وجوه من الشبه بين الأنبياء وبين غيرهم من الناس .

وسنعود إليها عند إتمام الحديث إن شاء الله ٧

عبد اللطيف السبكي

عضو جماعة كبار العلماء

التجارب

الحلم بعد الجهل قد يثوب	وفى الزمان عجب عجيب
وعبرة لو يرفع التجريب	واللب لا يشقى به اللبيب
والمرء محصى سعيه مرغوب	يهرم أو تعاقه شغوب

الأغلب المعجلى

الشيخة

قصة أبي طالب *

- ١ -

أبو طالب وعبد المطلب في قريش - أعلى مثل للأبوة والبنوة
في التاريخ - عام الحزن - وفاة يحضرها رسول الله
وعدهو الله - هدايتان - عظات وعبر .

عن العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه قال للنبي ﷺ : ما أغنيته عن عمك ؟
فإنه كان يحوطك ويغضب لك . قال : هو في ضعة ضاح من نار ، ولولا أنا لكان في الدرك
الأسفل من النار .

وعن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه أنه سمع النبي ﷺ وذكر عنده عمه أبو طالب ،
فقال : لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة ، فيجعل في ضحاح من النار يبلغ كعبه ، يغلي منه دماغه ! .
رواهما الشيخان ، والنظ البخارى .

حاطه يحوطه حوطا وحياطة : صانه وحفظه وذبت عنه وتوفر على مصالحه .
والضحضاح : مارق من الماء على وجه الأرض إلى نحو الكعابين ، واستمر هنا النار .
والدرك : قعر جهنم وطبقها السفلى . وفتح الراء وإسكانها قراءتان سبعيتان .

لهذه القصة العجيبة صلة أى صلة يبحثنا السابق ، جزاء الصالحات ، نرجو من الله
أن يجعلها عوناً لإتمام هذا البحث ، كما نرجو أن ينفعنا بما فيها من عبر وعظات !!

(*) هذا عنوان أبي عبد الله البخارى لثلاثة أحاديث في كتاب اللغاب : هذين الحديثين ،
وثالث بينهما في وقته ، سنتنهن به في المرح .

أدرك الإسلام من أعمام النبي ﷺ الاثنى عشر أربعة؛ استجاب له منهم سيد الشهداء، وأبو الخلفاء : حمزة والعباس . ولكل منهما في الإسلام ، ونصرة النبي عليه الصلاة والسلام ، بلاء عظيم ، ومقام كريم . عليهما رضوان الله .

ولحكمة بالغة حقت كلمة العذاب على عميه : أبي طالب وأبي لهب ، وإن كان البعد بين عذابيهما في دار القرار ، كالبعد بينهما في هذه الدار ؛ وأين من كان يسبه ويخذله ، ويعاديه أشد العداة ، ممن كان يؤيده ويعاضده ، ويواليه أشد الولاء ١٩

• • •

كان أبو طالب عما شفيقا للنبي ﷺ ، وكان - على قلة ماله - كأييه عبد المطلب ، سيدا كريما مهييا ، مطاعا في قومه محبا ؛ وكان إلى ذلك محبا لابن أخيه جبا فاق كل حب ، ومؤثرا له إثارا فاق كل إثار ، وإذا أعد الله من اصطفاة ليتم مكارم الاخلاق ، فإنه خليق بتمتتي الحب والإعجاب والإكبار .

عرف ذلك منه أبوه عبد المطلب ، وكان كفيل النبي صلى الله عليه وسلم ، وولى أمره . فلما حضرته الوفاة وقد أشرف الحفيد الحبيب على الثامنة من عمره ، عهد بكفالاته إلى ابنه أبي طالب ، ووصاه به حسنا .

• • •

وانفذ أبو طالب وصية أبيه وابن أخيه في كل مرحلة من مراحل حياته المباركة ، وعامله أحسن معاملة ترجى من أب حتى " سرى ، لوحيدة الزكي الوفي ... حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة ، وفضله الله بالنبوة الخاتمة ، والرسالة إلى الناس عامة - لم يتخل عنه ساعة من ليل أو نهار ، حين تخلى عنه الأقرباء ، وناحبه قومه العداة ، ووقفوا في سبيل دعوته عقبة كاداه ؛ بل اشتد ولاؤه له وزياده عنه ؛ وكان هو والعقيلة الثيلة ، أم المؤمنين وأول المصدقين : خديجة بنت خويلد - عليهما رضوان الله - وزيرى صدق لدعوته ، وردأى حق لرسالته ...

• • •

ويقضى الله الذى لا راد لقضائه ، ولا معقب لحكمه ، أن يفقد النبي ﷺ هذين الوزيرين أحوج ما يكون إليهما ، بعد أن قاما مخلصين بمعبء عظيم في كفاح الدعوة ، وأبليا

فيها بلاء حسنا إلى أجل مسمى . توفاهما الذي يتوفى الأنفس حين موتها في نحو شهر واحد ، بعد شق الصعيفة الظالمة ، وفك الحصار الذي استمر سنتين أو ثلاثا ، وكان أثرا من آثار الصراع بين الحق والباطل ؛ وقبل الهجرة النبوية بثلاث سنوات أو نحوها ؛ فلا عجب أن يعظم حزنه عليهما ، وأن يسمى سنة وفاتهما عام الحزن ؛ وأن يستقبل بعدهما أهوالا جساما !!

وأشد أسباب حزنه - فيما نعتقد - موت عمه أبي طالب على ملة عبد المطلب ، وكان يرجو كل الرجاء أن يموت على ملة أبيه إبراهيم حنيفا ؛ ذلك بأنه صلوات الله وسلامه عليه المثل الأعلى للإسلام في كل ما يدعو إليه من مكارم الأخلاق ، وفي مقدمتها حفظ الجليل وحسن الجزاء . وإذا فلا مناص من أن يبذل قصارى جهده في هداية عمه ، ليكون معه في الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وفي ذلك قرّة عينه ، ووفاء دينه ، وجزاء عمه ، وأنعم به جزاء .

وكان خاتمة ما بذل من جهد ما رواه الشيخان وغيرهما ، أن دخل عليه وقد حضرته الوفاة ، وعنده أبو جهل عدو الله وفرعون هذه الأمة ، ومعه عبد الله بن أمية الذي أسلم في عام الفتح ؛ فقال له : يا عمّ ، قل : لا إله إلا الله ، كلمة أشهد لك بها عند الله ، فقال الشقي البغي أبو جهل : يا أبا طالب ، أترغب عن ملة عبد المطلب ؟ فلم يزل رسول الله ﷺ يمرض عليه كلمة التوحيد ، ولم يزل يمرضان عليه تلك المقالة ، حتى قال النبي صلى الله عليه وسلم : يا بن أخي ، لولا السبة وأن تعيرني قريش لأقررت بها عينك ، ثم كان آخر ما كلمهم به : هو على ملة عبد المطلب !! فقال صلوات الله وسلامه عليه : أما والله لا استغفرن لك ما لم أُنّه عنك ، فأُنزل في أبي طالب : « إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء » ، وأنزل فيه وفي غيره : « ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربي » .

ولا يعزب عن فقهه الله في الدين ، أن الهداية التي نقاها عن نبيه هنا ، غير الهداية التي أثبتنا له في قوله تعالى : « وإنك لنهدي إلى صراط مستقيم » ، فالأولى هي الإلهام والتوفيق ، والثانية هي الدلالة والإرشاد لا قروم طريق . وشتان ما بينهما .

ألا إنه لا يحل لمن كان يؤمن بالله واليوم الآخر أن يزعم إيمان أبي طالب حقا بعد هذه الأدلة، وإن كان يود إيمانه خالصا من قلبه، لإقرار العين رسول الله ﷺ . . .
ولا حجة لمن يزعم إيمانه من الراضة وغيره متمسكا بما نسب إليه من مدحه وثأته وتصديقه بالنبي صلى الله عليه وسلم في مثل قوله :

ودعوتى وعليت أنك صادق ولقد صدقت فكنت قبيل أمينا
ولقد علئت بأن دين محمد من خير أديان البرية دينا

فقصارى ما فى ذلك كله أنه آمن بالرسول وحده ، ولم يؤمن بربه الذى أرسله ، وإذا كان إيمانه بالله دون الإيمان برسوله لا ينفعه ، فكيف بإيمانه بالرسول وحده ، وهو إيمان دفعت إليه أوامر الرمح ، ووليعة القربى ١١٩

فلا يهملك « أسنى المطالب فى نجاة أبي طالب » بل اهتم إن شئت بترجته فى « الإصابة » لابن حجر ، وحسبك ما فيه من حجب دوايح
ألا وإن خيراً من المجادلة فى الحق بعد ما تبين أن تلصص وجوه العظة والعبرة فى هذا الصنع الإلهى ، فلعلنا نجد فيه تفسيراً عملياً لقوله جل سلطانه : « ليس لك من الأمر شيء » ، وقوله تعالى شأنه : « قل لا أملك لنفسى نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله » ، ثم لقوله تباركت آلاؤه : « يمنون عليك أن أسلوا قل لا تمنوا على إسلامكم » ، بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين .

هذا إلى ما ذكره فقهاء السيرة النبوية وحكماؤها من الحكم الإلهية البالغة ، فى مبادرة الأبعاد إلى الإيمان به دون الاقارب ، وأن ذلك من أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم ...
واعلمنا نقول - بعد - مقالة الذين نزع الله ما فى صدورهم من غل : « الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله » .

• • •

ذلك ، وللحديث بقية تأتى فى موعدها إن شاء الله ٩

طه محمد الساكت

مِنْ نِزَارِ الْمَنْطُوطَات

« الاستدراك النضير ، على الجامع الصغير ، للأَنْصَارِي »

منع الله الجلال السيوطي بسطة في العلم ، كما منح بعض كتبه شهرة سارت بها في الآفاق ، وأدخلت ما عداها من الكتب في فنونها . ومن الكتب التي كتب الله لها الخلود معجمه في الحديث : « الجامع الصغير » .

ولعل من أسباب شهرته واحترامه الناس به ، ذلك الترتيب الذي ابتدعه السيوطي فيه ، وهو ترتيب ما جمع فيه من الأحاديث على حروف المعجم ، فالسيوطي أول من ابتدع ذلك في علم الحديث على ما نعلم . والجامع الصغير مختصر من الجامع الكبير للسيوطي ، ويقول بعض شراحه : « إن السيوطي لم يسبق إلى مثاله ، ولم يفسح على مثاله ، وإنه قد اشتهر ، وعم نفعه وانتشر ، واشتغل به أهل العلم في مصر والشام والروم واليمن والهند والسودان والحجاز » .

وقد بعثت شهرة الكتاب كثيراً من العلماء إلى شرحه ، فشرحه كثيرون شرحاً مطولاً أو مختصراً ، وأول من انتدب لذلك تلميذ السيوطي العلامة شمس الدين العلقمي أحد العلماء المبرزين بالجامع الأزهر المتوفى سنة ٩٣٩ هـ ، فشرحه شرحاً بالقول في مجلدين وسماه « الكوكب المنير » ، ثم فقه العلامة الشيخ محمد المتبولي الأنصاري وشرحه في كتاب سماه « الاستدراك النضير على الجامع الصغير » .

• • •

وهذا الكتاب هو موضوع كلتنا ، وقد دعا المؤلف إلى شرحه ما رآه في الجامع الصغير . من إيجاز ، هو كالإلغاز ، ثم ما رآه في شرح العلقمي من « أنه ترك أشياء كثيرة لم يوضحها ، وأحاديث منيرة لم يشرحها ، وأتى بمسائل يتعقب عليه فيها ، واستدل في مواضع بدلائل لم يحكم مبانيها ، فاحتاج كتابه إلى استدراكات ، والتعقيب عليه بواضع النكات ، والإتيان بما أخل به من شرح الأحاديث المنيرات » ، وقد سأله جماعة من أهل العلم أن يعلق عليه تعليلاً شريفاً صحيحاً واضحاً ، لا بالطويل الممل ولا بالقصير المخل ، مستدركاً على المؤلف والشارح - رحمهما الله - ما يحتاج إلى الاستدراك والبيان ، ومن هذا يتضح عنوان الكتاب .

وقد عثرت على الجزء الأول من هذا الشرح بمكتبة العلامة المروسي شيخ الجامع الأزهر المهداة إلى المكتبة الأزهرية ، وقد جعله المؤلف مقدمة لشرحه « تشتمل على علوم الحديث التي لا يستغنى الطالب عنها » .

وقد نهج في هذا نهج شراح كتب الحديث في تقديم مقدمة في علوم الحديث ، تعين الدارسين على فهم المصطلحات الحديثية التي ترد في الشرح ، من بيان حال الأحاديث وحال الأسانيد والمسندين وما يتصل بذلك ، كما فعل الحافظ ابن حجر في شرحه لصحيح البخاري ، حيث قدم له بمقدمته المشهورة : « هدى السارى ، إلى شرح صحيح البخاري » . وأول ما نلاحظه على هذه المقدمة أنها من أجمع ما رأينا في علوم الحديث ولا نفلو إذا قلنا : إنها موسوعة كاملة تدل على رسوخ قدمه ، ووفرة اطلاعه ، وتمكنه في هذه العلوم . وقد جمع فيها خلاصة ما كتبه قبله أئمة هذا الفن إلى ما أضافه هو إليها . وحسبنا في الدلالة على ما نقول أن المقدمة تقع في ٨٢٤ صفحة تحوى على ١٢١ بحثاً في بيان حال الأحاديث والمحدثين وما يتعلق بكل منهما ، كما ذكر ترجمة كل صحابي ورد ذكره في الجامع الصغير ، وكل له في الكتاب من حديث صحيح أو حسن أو ضعيف ، ثم ترجمة كل تابعي فمن بعده كذلك على سبيل الاختصار ، وختمها بتراجم الحفاظ الذين ذكروهم السيوطي ، وكل لكل حافظ في الكتاب من حديث .

• • •

ونلاحظ ثانياً قوة أسلوب المؤلف وروحه الأدبية في تأليفه ، ولقد استطاع أن يجمع في خطبته كثيراً من مصطلحات علوم الحديث كبراعة استهلال ، فقال : « الحمد لله شارح صدور أهل السنة بتصحيح ضعيف قلوبهم الحسان ، وفتح معضلات المشكلات ، برسل أدرج ، وأرسل المقطوعين بعلوم مقداره إلى حضرات الإحسان ، وما نفع من انقطع إليه ، ووقف بين يديه ، وأسند أموره إليه ، وتعلق به ، وتوكل عليه .. وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة من جعله من أهل التقوى والصواب ، وحفظه من المنكر والتدليس والخطأ والاضطراب ، والشذوذ والتدبيح والغلط والارتياب .. وأشهد أن سيدنا محمداً صاحب المعجزات الزاكيات والقرآن ، نبي قوى الله به من الإيمان ، ورفع الله بيعته الإسلام ، ووضع الكفران ... نبي طعن الأعداء وجرحهم باللسان والحسام والسنان ...

والجزء الموجود من الكتاب بالمكتبة الأزهرية هو المقدمة ، وقد فرغ المؤلف من تسويدها بمكة سنة ٩٩١ ، ومن تبويبها بمصر سنة ٩٩٣ ، والنسخة الموجودة منه وهي نسخة المكتبة كتبت سنة ٩٩٣ أيضاً بعد نسخة المؤلف بنحو ستة أشهر ، ولعلها أخذت من نسخة المؤلف ، وهي بخط علي بن عبد الكريم الغمري السمنودي ، وتقع في ٤١٢ ورقة ، وعدد سطور صفحاتها بين ٢٤ - ٢٩ سطراً ، وعدد كلمات كل سطر بين ١٥ - ٢٠ كلمة ، وورقها جيد ، وخطها واضح يقرأ في يسر ، وبها شطب وإصلاح بالصلب والهامش ، وعلى هامشها استدراكات وتعليقات لغوية وحديثية وتاريخية ، وبآخرها مقابلة هذا نصها بخط المؤلف :

« المقابلة مع الأخ الصالح الفاضل العلامة بقية السلف وبركة الخلف : الشيخ نور الدين علي الغمري السمنودي ، نفعنا الله ببركاته وبركات سلفه الكريم في يوم الأربعاء قبل ظهر ثاني عشر ربيع الآخر عام أربع وتسعين وتسعمائة . كتبه أحمد المتبولي عفا الله عنه ، وقد أثبت مثل هذه المقابلة أثناء الكتاب في مواضع عدة بخط المؤلف أيضاً .

* * *

وقد عثرت على الجزء الأول من الشرح بمكتبة طلعت بدار الكتب برقم ٥٩٧ حديث ، وهي بخط الغمري ناسخ الجزء الأول (المقدمة) وقد فرغ من كتابته سنة ٩٩٨ ، وبآخره مقابلة وإجازة إلى الناسخ المذكور في عدة محالس ، ويقع في ٤٥٣ ورقة ، وعدد سطور ٢٥ سطراً ، وبهامشه تقييدات ، وقد تصفحته فوجدت أن المؤلف استغرقه كله في شرح البسملة والخطبة ، وقد استطرد فيه المؤلف إلى أكثر العلوم المعروفة ، ولخص أكثر مسائلها ، واستغرق في شرح البسملة فقط ٢٠٥ ورقات منه ، واستغرق الباقي في شرح الخطبة .

والجزء الثالث بمكتبة باريس بعنوان « المصباح البارع التفسير ، والمفتاح الجامع الصغير ، ولعل اختلاف العنوان من تصرف المترجمين ، وقد فرغ من نسخه سنة ١٠٠٠ ويقع في ٤١٣ ورقة ، وسطور صفحاته ٢٥ سطراً ، وذكر فهرس مكتبة باريس أنه ابتدأ بحرف الهمزة ، ولم يذكر أكثر من ذلك ، فلا نعلم حيث انتهى إليه من الشرح .

وقد أشار بروكلمان إليه في فهرسه إشارة موجزة يظهر أنه استمدّها من كشف الظنون ، حيث لم يشر إلى مكان الكتاب ولا مكان أجزائه على غير عادته فيما يعرض له من الكتب .

ولم نطلع على الشرح فنستطيع أن نحكم عليه حكماً صحيحاً بالنسبة لشروح الجامع الصغير ، ولا بالنسبة لشروح الحديث عامة ، وإذا صح قياس المادة العلمية للشرح على ما في المقدمة ، كان الشرح مؤلفاً له مكانه بين كتب الحديث الجامعة .

وإن هذه الأجزاء المنفردة من نسخة واحدة من الكتاب وزهنتها أيدي القدر ، تخصصت مكتبة الأزهر بالجزء الأول وهو المقدمة ، ومكتبة طلعت بدار الكتب بالثاني ، ومكتبة باريس بالثالث ، وهو أول الشرح ، ولا نعلم أين استقرت بقية الأجزاء ، وعسى أن نجتمع الأيام ما نشئت من شمله . على أننا نشك في أن يكون المؤلف قد استكمل ، لأننا نلاحظ أن المؤلف كان يستغرق في تأليف كل جزء مدة تردد بين خمس سنين وستين ، كما يتضح من تاريخ الأجزاء الثلاثة ، فإذا كان قد بلغ في تأليف الجزء الثالث نحو ربع الكتاب ، فإن شرح الكتاب جميعه كان يستغرق نحو ثمانين سنة أخرى ، لكن المؤلف توفي سنة ١٠٠٣ أي بعد الفراغ من الجزء الثالث بثلاث سنين ، فأغلب الظن أنه لم يتمه ، وقد تشكك هو في إمكان إتمامه لطول العمل فيه ، فقال في خطبته : « وأرجو إن تم هذا الشرح أن يستغنى عنه من يكون مثلي بضاعته مزجاة » .

أما المؤلف فهو العلامة الشيخ أحمد بن محمد بن أحمد بن عثمان شهاب الدين المتبولي الأنصاري الشافعي المصري الإمام المؤلف المحرر المتقن . قال القوصوني : هو بركة المسلمين ، ومفيد الطالبين ، شيخنا ، كان ورعاً متواضعاً ، يجلس للوعظ بالمدرسة المؤيدية ، وكان لا يسمع أصلاً ، وكنا نكتب له ما نسأله عنه . أخذ عن جماعة منهم الشيخ زكريا الأنصاري ، وله من المؤلفات شرح على الجامع الصغير ، وهو شرح مفيد جامع ، ومنه كان يستمد الشيخ عبد الرؤوف المناوي في شروحه ، وله مقدمة قبل الشرح المذكور تشتمل على أربعة وعشرين علماً .

قلت : وقد رأيت هذا الشرح وطالعته فرأيت استوعب في مقدمته أشياء نفيسة . وله رسائل أخرى ، توفي سنة ١٠٠٣ ، ودفن خارج باب النصر ^(١) .

أبو الوفا المرافعي

عمار بن ياسر

كان ياسر قد قدم مكة مع أخويه يفتشون عن أخ رابع طالت عنهم غيبته ، وانقطعت أخباره ، وعاد أخوا ياسر .

فأما ياسر فقد خلفه قدر كريم ، وطالب له المقام بمكة ، وإذا أراد الله سبحانه أمراً هياً أسبابه ، فأقام حليفاً لبني مخزوم ، وتزوج أمة لمولاه أبي حذيفة تسمى سمية ، وهي أم عمار بن ياسر .

وظهر الإسلام بمكة ، فأسلم آل ياسر على يد النبي الكريم مع السابقين الأولين ، وكانت دولة الكفر قوية لما تضعف بعد ، وكان المسلمون قليلين مستضعفين في الأرض ، وكان الإسلام غريباً مجفواً إلا من شرح الله صدره للإسلام ، فهو على نور من ربه ، وقليل مأم .

• • •

لم تكن الحرية الرأي شوكة ، ولا للاستقلال بالفكرة دولة ، ولكنه التقليد لقوم سلفوا على الضلال المبين ، فالتناس هناك لهم نفع ، وإذا قيل لهم اتبعوا ما أزل الله قالوا بل تتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون .

بل ذلك ويتبعه أن يضطهد كل من خرج على العقيدة الجائرة ، ولو كان من عشيرته في جاه ومنعة ، لأن العقيدة فرقت بين العشائر ، والعصية قطعت الأرحام ، فكيف إذا لم تكن منعة ولا عشيرة كما كان الغرباء آل ياسر ؟

لقد أودوا في سبيل الحق ودعوته ، وامتنعوا بألوان العذاب ، فكانوا يسحبون على وجوههم على الرمضاء في الهاجرة ، ونحى لهم الأحجار الثقيلة ، فتوضع على أجسامهم وهم عرايا مجهودون ، وما ظنك بفجرة أقوياء ، وجبارة ظلبة أعزة ، حين يظفرون بهؤلاء وأمثال هؤلاء من البررة الضعفاء ، وقد خرجوا عن طاعتهم ، وتحذوهم في أكرم كريم عليهم وهو العقيدة ١١٤ .

لقد مات ياسر ضحية لذلك التشكيل ، وقنلت سمية زوجها في بعض روحيات أبي جهل

للنذير ، حين أغلظت له فطعننا برعته ، وكانت أول من استشهد في الإسلام ، كما دلت الاخبار ، ورحم الله حمية .

ولقد نال تلك الشهادة ابنها وهو يجالده مع جند الحق معتقداً أنه على بينة من ربه ، وبصيرة من نبيه الذي تنبأ له بمصيره يوم يقول : ويح عمار تقتله الفئة الباغية ، يدعوهم إلى الجنة ، ويدعوونه إلى النار .

ولقد أسهم عمار بنصيبه في الهجرة إلى الحبشة وإلى المدينة المنورة ، كما قام بحق الإسلام في الجهاد ، فكان من أهل بدر الذين غر الله لهم . وقالوا : إنه لم يتخلف عن غزوة غزاها رسول الله .

فأما طلبه للعلم وإقباله عليه لحسبك أن رسول الله ﷺ وصفه فقال : إنه كنيف (١) مليء علماً . وقال : « اهدوا بهدي عمار » .

ولا غرو فإنه السابق في مدرسة النبوة مع بكور العلم والدين ، وفي محبة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وصهيب وبلال والسابقين الأولين رضي الله عنهم أجمعين . لهذا ثبته الله بالقول الثابت ، وكان كما نعمته السيد الرسول ﷺ يزول مع الحق حيث يزول .

وروى ابن عساكر بسنده إلى رسول الله عليه صلاة الله وسلامه : عمار خلط الله الإيمان ما بين قرنه إلى قدمه ، وخلط الإيمان بلحمه ودمه ، يزول مع الحق حيث زال ، ولا يبغي النار أن تأكل منه شيئاً .

وكل هذا جعل له في نفس الرسول صلوات الله وسلامه عليه المنزلة الرفيعة ، يرضى برضاه ، ويسخط بسخطه ، وينذر لمن يعاديه بغضب الله ، حتى قال خالد بن الوليد في خصومة جرت لها بين يدي السيد الرسول : خرجت فما كان شيء أحب إلي من رضا عمار .

وكانت جهود الخلفاء ، فما قصر عما كان له في عهد النبي ﷺ : شهد اليمامة فاستقبل ، وحرص المؤمنين على القتال في أبلغ بيان ،

[١] كنيف كريمة : وعاء الرامي . والمنى المقصود واضح .

وبعثه عمر إلى الكوفة والياً ومعه عبد الله بن مسعود - وهو من هو - وزيراً ، وقال
لأهل الكوفة : إنهما من التجباء من أصحاب محمد فاسموا لهما .

وعزله عمر بناء على شكوى من أهل الكوفة ، فإن الناس يكرهون الشديد في الحق ،
المبالغ في الحرص على تنفيذه ، ثم قال له عمر : لعله ساءك أن عزلناك ؟ فقال : أما إذ
قلت ذلك فلقد سامني حين استعملتني وسامني حين عزلتني .

ثم كان مع عثمان على خير ود وأصفاء ، حتى استماه أهل مصر وزبنوا له القول
فأحفظوه ، وكانت فتنة أضل الله من سعى فيها ، فأما على فقد كان يعرف لهما فضله وسابقتها ،
ويعجب به أيما إعجاب ، وكان عمار يرعى حرمة على وقربه من السيد الرسول ، وما زال
على عهده معه ، وعلى ما علم من سيد الأمة في شأن الخلاف والحق فيه ، حتى قتل مع على
في صفين شهيداً كريماً مجاهداً مع الوصي على ، كما جاهد في مستهل الإسلام مع النبي .

وتوفي لأربع وتسعين سنة بعد أن خلف ما خلف من آثاره العلية وتوجيهاته الروحية ،
في كثير من جملة الصحابة والتابعين ، رضوان الله عليهم أجمعين ؟
محمود المواقف
المفتش بالأزهر

نسبات أزهار الأندلس

أرسل شوقي هذين البيتين إلى إسماعيل صبرى يسأله عن رأيه فيهما :

يا سارى البرق يرمى عن جوانحنا	بعد الهدوء ، ويرمى عن مأقينا
ترفرق الماء في دمع السماء دماً	غاض الأمل ، تلخضنا الأرض باكيناً
فأجابه إسماعيل صبرى بهذه الأبيات :	
بأفق أندلس برق يحينا	يبعث بضحك منا وهو يسكينا
يا وامنض البرق كم نهبت من ثمين	في أضلع ذهلت عن دائها حيناً
فالماء من مقل ، والنار من مهج	قد حار بينهما أمر المحينا
لولا تذكر أيام لنا سلفت	ما بات يبكى دماً في الحى باكيناً
فهل تينفت في أطلال قرطبة	في دار ولادة مع ابن زيدونا
أنفوا خطيتاتهم في حجر هيكلهم	واستعبروا ، ثم عادوا غير غاطينا



اسقاط الأحكام الشرعية

بالتحايل ممنوع

شرح الله الأحكام الشرعية ، لمصالح وحكم ، وجعلها كالأدوية لمعالجة أدواء البشرية ، وجعل للتصرفات الصادرة من المكلف مقاصد تدل عليها الألفاظ . فكل عقد يصدر من المكلف تصاحبه نية ، فإن كانت تلك النية عتقة لمقصود الشارع من العقد كانت معتبرة وصحيحة ، وإن كانت غير عتقة لمقصود الشارع كانت لاغية . وقد تظاهرت أدلة الشرع وقواعده على أن للمقصود في العقود معتبر ، وأن القصد يؤثر في صحة العقد وفساده ، وفي حله وحرمة ، كما يؤثر في الفعل الذي ليس بعقد تحليلاً وتحريمًا ، فيصير حلالاً نارة ، وحراماً نارة ، باختلاف النية والقصد ، كما يصير صحيحاً نارة ، وقاسداً نارة باختلافها ، فذبح الحيوان بحله إذا ذبح لأجل الأكل ، ويحرمه إذا ذبح لغير الله . وعصر العنب بنية أن يكون خمرًا معصية ، وعصره بنية أن يكون خلا جائز ، إلى غير ذلك من الأحكام التي تصاحبها النية ، فتجعلها حراماً . وصدق - عليه السلام - إذ يقول : « إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى » .

فبين في الجملة الأولى أن العمل لا يقع إلا بالنية ، ولهذا لا يكون حمل إلا بنية ، ثم بين في الجملة الثانية أن العامل ليس له من عمله إلا ما نوى . وهذا يعم العبادات ، والمعاملات ، والأيمان ، والنفور ، وسائر التصرفات والأفعال . فمن نوى بالبيع عقد الربا فهو محصل للربا ، ولا تأنيث لوجود صورة البيع ، ومن نوى بعقد النكاح التحليل كان محللاً ، ولا تأنيث لوجود صورة عقد النكاح ، فظنير هذا ما إذا نهى الطبيب المريض عما يؤذيه ، وحماه منه ، فيحتال على تناول ما نهاه الطبيب عنه . وقد نهى الله اليهود عن تناول الخمر ، فاحتالوا على الاتفاف بها ليجلوها ودكاً يذاقنها ، وباعوها وانتفعوا بأثمانها ، فحقت عليهم اللعنة .

وقد طلب الشارع من المكلف المحافظة وامتنال الأمر والنهي ، حتى يحصل مقصوده منهما ، فعمل على سد الذرائع بكل وسيلة . فإذا حرم شيئاً وله طرق ووسائل تفضي

إليه ، فإنه يحرمها ، ويمنع منها ، تحقيقاً لتحريمه ، وثبتاً له ، إذ لو أبيضت الوسائل والذرائع المفضية إليه لأدى ذلك إلى نقض التحريم ، وتعالى الله عن ذلك ، فقد قال تعالى : « ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن » . فنع النساء من الضرب بالأرجل ، وإن كان جائزاً في نفسه ، لئلا يكون سبباً إلى سماع الرجال صوت الخلخال ، فيثير ذلك دواعي الشهوة إلى النساء . وقال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم ، والذين لم يبلغوا الحلم منكم ، ثلاث مرات ، من قبل صلاة الفجر ، وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ، ومن بعد صلاة العشاء ، ثلاث عورات لكم ، » .

فقد أمر الله تعالى بمالك المؤمنين ، ومن لم يبلغ منهم الحلم ، أن يستأذنوا عليهم في هذه الأوقات الثلاثة ، لئلا يكون دخولهم بغير استئذان ذريعة إلى اطلاعهم على عوراتهم ، وقت التجرد من ثيابهم في هذه الأوقات .

وكان النبي ﷺ يكف عن قتل المنافقين مع كونه مصلحة ، لئلا يكون ذريعة إلى تنفير الناس عنه ، وقولهم إن محمداً يقتل أصحابه ، فإن هذا القول يوجب النفور عن الإسلام من دخل فيه ، ومن لم يدخل فيه ، ومفسدة التنفير أكبر من مفسدة ترك قتلهم ، ومصلحة التأليف أعظم من مصلحة القتل .



والمنتيج للأحكام الشرعية برى الحرص من الشارع على سد الذرائع . وباب سد الذرائع أحد أرباع التكليف ، إذ هو أمر ، ونهى . والأمر إما مقصود لنفسه ، وإما وسيلة إلى المقصود . والنهى إما مقصود لنفسه لما فيه من المفسدة الذاتية ، أو وسيلة إلى المفسدة . فصار سد الذرائع المفضية إلى الحرام أحد أرباع الدين . وتجويز الحيل يناقض سد الذرائع أشد منافضة ، وذلك لأن الشارع يسد الطرق الموصلة إلى المفساد بكل وسيلة ، فيكون عمل المحتال فاتحاً لطرق المفساد بوسائله التي يحتمل بها على تغيير أحكام الله ، والبون شاسع ، والفرق عظيم بين من يمنع من فعل جائز مخافة أن يؤدي إلى الوقوع في المحرم ، وبين من يصطنع الحيل ، ليصنع الفعل المحرم بصيغة الفعل الجائز ، زاعماً أنه بعمله هذا ينجو من عقاب الله ، وأن نيته الباطنة ، وقصده المستتر ، يخفى على الله الذي يعلم خاتمة الأعين وما تخفي الصدور .

ومن تأمل أحاديث اللعن الواردة في سد باب الحيل يقطع بتحريمها ، كقوله - عليه السلام - : « لعن الله المحلل والمحلل له ، ولعن الله اليهود ، حرمت عليهم الشحوم ، فجعلوها ، وباعوها ، وأكلوا ثمنها ، ولعن الله الرائي ، والمرئى ، ولعن الله آكل الربا ، ومؤكله ، وكاتبه ، وشاهده » .

وبما يدل على بطلان الحيل ، وتحريمها ، أن الله تعالى إنما أوجب الواجبات ، وحرم المحرمات ، لما تضمن من مصالح عباده ، في معاشهم ومعادهم .

فالشريعة للقلوب بمنزلة الغذاء الذى لا بد لهم منه ، والدواء الذى لا يتدفع الداء إلا به ، فإذا احتال العبد على تحليل ما حرم الله ، وإسقاط ما فرضه الله ، وتعطيل ما شرع ، كان ساعياً في دين الله بالفساد ، فقد أبطل ما قصده الفاعل من الحكمة في الأمر المحتال عليه ، وأثبت برعمه حكمة أخرى ، ويزيد عمله قبحاً وشناعة ما يدعيه من نسبة هذه الأحكام إلى الله تعالى ، والله يرى مما يعمل وما يتدع هذا المحتال . إذ أن الله تعالى أوجب أشياء ، وحرم أشياء ، فأوجب الصلاة ، والصيام ، والحج ، وحرم الزنا ، والربا ، والقتل ، كما أوجب الزكاة ، والكفارات ، والوفاء بالنذور ، والشفعة للشريك ، وحرم المطلقة ثلاثاً ، والانتفاع بالمفصوب ، والمسروق ، فإذا تسبب المكلف في إسقاط هذه الأحكام . بأن أسقط الوجوب عن نفسه ، أو أباح ذلك المحرم بأى وجه من وجوه التسبب سمي محتالاً ، ووسيلته تسمى حيلة وتحيلاً ، فمن ذلك ما إذا دخل وقت الصلاة عليه في الحضر ، فعليه أن يؤديها أربعا كالظهر ، فأراد أن يتسبب في إسقاطها كلها بتناول ما يزيل عقله حتى يخرج وقتها ، أو أراد أن يؤديها ركعتين ، فأنشأ سفراً ليقتصر الصلاة ، وكما إذا دخل شهر رمضان فأنشأ السفر هروبا من الصوم ، أو أراد بيع عشرة دراهم نقداً بعشرين إلى أجل ، فجعل العشرة ثمناً لثوب ثم باع الثوب من البائع الأول بعشرين إلى أجل . أو أَرْضَعَت الزوجة جارية زوجها أو ضرتها لتحرمها على الزوج ، فهذه وما مائلها من الحيل ممنوعة شرعاً . ودليل منعها من الكتاب ، ما وصف الله به المنافقين في قوله تعالى : « ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين ، يخادعون الله والذين آمنوا وما يخادعون إلا أنفسهم ، وما يشعرون » . إلى آخر هذه الآيات التى فضحت سرائر المنافقين ، الذين يظهرون خلاف ما يظنون ، فقد أظهروا كلفة الإسلام إحرازاً لدمائهم وأموالهم ، غير ناظرين لما قصده الإسلام من الدخول تحت طاعة الله مع الاختيار

والتصديق القلبي . وقد قال تعالى في وصف المرائين بأعمالهم : « كالذي ينفق ماله رئاء الناس ، ولا يؤمن بالله واليوم الآخر ، فقله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا ، لا يقدرون على شيء مما كسبوا ، والله لا يهدي القوم الكافرين) .
فلم وتوعد هؤلاء المرائين لأهم أظهروا الإتفاق غير قاصدين حكته ، بل قصدوا بعملهم الدنيا ، والجاء ، وحسن الاحدثة ، كما قال تعالى في وصف أصحاب الجنة الذين منعوا حق المساكين فقصدوا قطع ثمارها في وقت لا يتمكن المسكين من الحضور فيه : « إنا بلوناكم كما بلونا أصحاب الجنة إذ أقسموا ليصرمنها مصبحين ، ولا يستثنون ، فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون فأصبحت كالصريم ، .

* * *

وآيات كثيرة من القرآن الكريم تتوعد من أظهر بعمله خلاف ما يبطن ، قاصداً الوصول إلى نفع لم يبح له الشارع الانتفاع به بل حرمه عليه . ومن الأحاديث الدالة على تحريم الحيل قوله عليه السلام : « لا تركبوا ما ارتكبت اليهود والتصارى يستحلون محارم الله بأذى الحيل ، ، أى بأسهلها وأيسرها ، وأقلها عناء ومشقة . وقال : « قاتل الله اليهود ، حرمت عليهم الشحوم ، فجملوها ، وباعوها ، وأكلوا أثمانها ، فقد احتال اليهود على الشحم فأذا به ، فصار في صورة غير صورته الأولى ، فباعوه ، وأخذوا ثمنه ، وانتفعوا به . وقال : « ليشربن ناس من أمتي الخمر ، يسمونها بغير اسمها ، يعزف على رؤوسهم بالمحارف ، والمغنيات ، يخسف الله بهم الأرض ، ويجعل منهم القردة والخنازير ، وقال : « يأتي على الناس زمان يستحل فيه خمسة أشياء بخسة أشياء : يستحلون الخمر بأسماء يسمونها بها ، والسحت بالهدية ، والقتل بالرهبة ، والزنا بالنكاح ، والربا بالبيع ، . والأحاديث في هذا المعنى كثيرة ، وكلها دائرة على أن التحيل في قلب الأحكام الشرعية غير جائز . والآثار الواردة عن الصحابة والتابعين تعطى الإجماع على منع التحايل على الأحكام ، وفيما ذكرنا من الآيات والأحاديث غنية في إثبات ذلك .

* * *

ومن الآثار عن الصحابة - رضى الله عنهم - ما ثبت عن ابن عباس أنه جاءه رجل فقال : إن همى طلق امرأته ثلاثاً . أيجلها له رجل ، فقال : من يخادع الله يخدعه ، . وقال أيوب السخنياني في أهل الحيل : « يخادعون الله كأنما يخادعون الصبيان ، فلو أتوا الأمر عياناً كان أمون على ، وقال شريك بن عبد الله القاضي في كتاب الحيل : « هو كتاب المخادعة ، فإن الحيل المحرمة

مخادعة لله ، ومخادعة الله حرام ، . وقد قال - عليه السلام - : « لا ترتكبوا ما ارتكبت اليهود فتستحلوا محارم الله بأذى الحيل » .

فكل حيلة هدمت أصلا شرعيا ، وناقضت مصلحة شرعية فهي حرام . وهناك بعض تصرفات تبدو لأول الأمر أنها حيلة ، وهي في الحقيقة لا احتيال فيها ، لأنها لا تهدم أصلا شرعيا ، ولا تناقض مصلحة شهد الشرع باعتبارها ، كالنطق بكلمة الكفر إكراها عليها ، فإن هذا التحايل مأذون فيه ، لكونه مصلحة دنيوية لا تشوبها مفسدة أصلا ، لا في الدنيا ولا في الآخرة . فهذا الفعل لا يحل حراما ، ولا يناقض مصلحة ، فإطلاق الحيلة عليه إنما هو بضرب من التجوز ، إذ حقيقته مأذون فيها شرعا ، فليس في هذا التصرف تغيير لحكم الله . ونستطيع بكل وثوق أن نجزم بأن كل تحايل يقصد به صاحبه تحليل محرم ، أو تحريم حلال ، لا يقدم عليه إلا من لم يرتفع من ندى الشريعة الإسلامية ، ولم يحط علما بمقاصدها ومراعاتها للمصلحة التي بها تتحقق السعادة للبشرية من التكاليف الشرعية .

* * *

ومن تأمل في التصرفات الملتوية التي يسلكها أهل الحرف والصناعات والتجار ، يل يسلكها كل من ولى أمرا من الأمور العامة أو الخاصة ، يرى أن الصور التي يعطيها هؤلاء المتصرفون لأعمالهم وأفعالهم إنما هي صور براقة جذابة آخذة لمن رآها لأول وهلة بالقبول والاستحسان .

وفي حقيقتها صور غادعة كاذبة منافقة مرآئية ، لا تهدف إلى تحقيق مصلحة يرتكن عليها صرح الاجتماع القوى السليم ، وإنما هي حقائق تقوض نظام المجتمع وتشتت تضامنه ، وتفرق جمعه ، وتبدد وحدته .

ونظرة فاحصة في المجتمعات الراقية المتحضرة تجلوا لنا وضوح تصرفات أفرادها ، وخلوها من الزيف ، والنصنع والتحايل . فالصدق ، والامانة ، والوضوح ، يضي على التصرفات إثرا فاضيا ونورا يطمئن له القلب ، وتسترخ له النفس ، وحذا لوسلك الناس الطرق الواضحة في تصرفاتهم وأفعالهم ، وعلى الأخص المتصدون للفتيا ، في القرى والمدن ، وعند ذلك تتحقق حكم الشريعة الإسلامية ، وتبدو مصالحها واضحة جلية ، تحبب إليها القلوب ، وقطمئن بها الأئمة ، فلا تكون مثار تشكيك فيها ، ولا انتقاد من بعض من يبحث عن مواضع الضعف في الشريعة الإسلامية ، ليظهرها بمظهر الجود والمعجز عن مسامرة التقدم والرفق والحضارة ؟

عبد الله المرافي

رسالة المساجد

المساجد لها رسالة من أسمى الرسائل وأقواها ، فهي لم توجد لتكون أماكن تؤدي فيها فريضة الصلاة فحسب كما يظن كثير من الناس ، ولكن الواقع ونفس الامر أن رسالتها الحقيقية تعدو هذا النطاق المحدود ، وتهدف فوق هذا إلى النهوض بمستوى المسلمين أخلاقيا ، بما يلقى فيها من خطب ومواعظ وحكم غاليات ، وثقافيا بقصد تفقيه الناس في دينهم وتبصيرهم بشئون دنياهم ، حتى لقد اعتبرت عند كثير من الأمم الإسلامية معاهد للعلم ، يؤمها كل راغب في الثقافة محب لها .

يشهد بذلك الأزهر الشريف ، ذلك المسجد الكبير ، أوبعبارة أوضح تلك الجامعة الإسلامية الكبرى التي كانت حلقاتها العلمية - وما زالت - مشرق الكثرة السائرة من علماء المسلمين الأجلاء ، الذين كانوا بحق دعاة الخير ، وحماة الفضيلة ، ورسول الإنسانية ، وهناك غيره مساجد كثيرة اتخذت في شتى العصور مدارس ومعاهد ، لتدريس علوم القرآن الكريم ، وآداب اللغة العربية ، والعلوم الكونية .

ومن أشهر تلك المساجد : الحرم المكي بمكة ، والحرم النبوي بالمدينة ، ومسجد عمرو ابن العاص بمصر ، ومسجد أبي العباس المرسى بالإسكندرية ، وجامع الزيتونة بتونس ، ومسجد بني أمية بدمشق .

وللمساجد فوق ما ذكرنا رسالة اجتماعية ، فهي خير منتدى لبث الدعاية الصحية في ربوع البلاد ، ورفع مستوى المسلمين اجتماعياً ، ومعاونة القائمين على أمن الدولة على أداء رسالتهم الشاقة ، حتى تستقر الأمور ، ويعيش الناس آمنين على أنفسهم وأعراضهم وأموالهم ، ولها أيضاً رسالة سياسية منزهة عن الحزبية البغيضة ، والتفاني الاجتماعي ، وغرس بذور الشقاق بين الناس . ولقد كان رسول الله - صلوات الله وسلامه عليه - يجعل من المسجد مؤتمراً يجمع المسلمين فيه ليشاورهم في أمر دينهم وشئون دنياهم ، ويعرض عليهم كل ما يتصل بأمورهم ، ويمت لحياتهم الاجتماعية بصلة ، وقد يكون هذا هو الباعث الأول لرسول الله على الأمر ببناء مسجد قباء ، فإنه لم يكن يقصد أن يتخذ المسلمون معبداً يؤدون فيه شريعة الصلاة فقط ، ولكنه كان يهدف إلى معنى روحى اجتماعى ، ويشير إلى حاجة المسلمين للتجمعات ،

وإلى أن الدين من أهم مقومات الحياة ، وأنه لا قوام لامة من الأمم ، ولا اعتراف بوجودها ، اللهم إلا إذا اعتمدت في حياتها على قواعد ثابتة من الدين والخلق والفضيلة .

* * *

ولقد كان المسجد في العصور الإسلامية الأولى أشبه بالبرلمان في عصرنا الحديث ، يجتمع فيه الخليفة بالمسلمين ليعرض عليهم سياسته وطريقه حكمه وأسلوبه في معاملة الناس ، كالذي حدث من خليفة رسول الله أبي بكر ورضوان الله عليه ، فإنه حين تولى أمر المسلمين ذهب إلى المسجد واعتلى منبره ، وقال خطبته المشهورة : « أيها الناس ، إني وليت عليكم ولست بخيركم ، فإن رأيتموه على حق فأعينوني ، وإن رأيتموه على باطل فقوموني ، أطيعوا ما أطعت الله فيكم ، فإن عصيته فلا طاعة لي عليكم ، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ، .

والمساجد - فوق أنها أما كن للعبادة ونشر الثقافة - تعتبر مؤتمرات إسلامية صغيرة ، يجتمع فيها أهل الحى أو البلد ، فتتولف بين قلوبهم ، وتوحد بين صفوفهم ، وتوفق بينهم في الأحاسيس والمشاعر ، والآمال والآلام ، وترفع الحواجز بين غنيهم وفقيرهم ، وشريعهم ووضيعهم ، وفيها مجال للتشاور في كل ما يعن لهم أو يلزم قريتهم ، ولا يفوت الفارس الكريم أن الإنسان المتردد على المسجد يكون شديد الاتصال بأخيه المسلم ، متقصياً لكل أحواله ، مشاركاً له في مراته وضرائه . وتلك لعمري هي أهداف المؤتمر الأكبر في صورة مصفرة ، ودائرة محدودة ضيقة .

* * *

فالمساجد إذاً رسالتها ضخمة ، متشعبة الجهات ، متنوعة الأهداف ، فيها الخير كله للدين والخلق والثقافة ، وسلامة الأبدان ، وتقويم ما اعوج من شئون المجتمع ، إن أحسن أداؤها ، ولن يتحقق ذلك إلا بأمور نجعلها فيما يأتي : -

أولاً : يراعى عند اختيار الأئمة والخطباء أن يكونوا من الضاربين في الحياة الاجتماعية بسهم وافر ، وأن يكونوا ملينين بأدواء المجتمع وأخطار هذه الأدواء ومبعثها وطرق القضاء عليها واستئصالها من النفوس بالدعوة والحجة والبرهان ، ولتكن مادة الاجتماع إحدى المواد التي يعنى بتدريسها في كليات الأزهر ، وبخاصة قسم الدعوة والإرشاد ، على أن يتمحور فيها كل راغب في حل أهواء تلك الرسالة الجليلة القدر ، ويختار الأستاذة

المدرسون لمادة الاجتماع من بين الذين عرّكوا الحياة ، وخبروا كل شيء فيها ، وتزودوا من الثقافة الدينية بنصيب كبير .

ولا ضير في أن يلتحق بتلك الدراسة الاجتماعية أولئك الذين فاتهم أن ينهلوا منها أو يلبوا بأصولها ، وسيظل المرء عالماً ما طلب العلم ، فإن ظن أنه أحاط بكل شيء ، وحوى كل جزئية ، وأحصى كل شاردة وواردة ، كان جاهلاً .

ولا يفوتني في هذا المقام أن أشير إلى خلو كثير من القرى من مساجد الأوقاف ، وخلوها بالتبع من السادة الخطباء الذين يجيدون فن الوعظ ، ولن نطلب شططا إذا قلنا : إن على وزارة الأوقاف في هذا العهد أن تنجح الثقافة الدينية لكل راغب فيها ، وماذا عليها لو أنها ضمت إلى إشرافها مسجداً في كل قرية من القرى التي حرمت من مساجد الأوقاف ، على أن يكون خطيبه وإمامه ممن تعينهم الوزارة ، وتشرف عليهم ، وتتولى شؤونهم ، وتلتزم بمرتباتهم ، وليس ذلك بكثير على وزارة يصرف أمورها وزير مؤمن برسالة المساجد ، ومعتز بأثرها الفعال في حياة الفرد والمجتمع .

• • •

ثانياً : يجب أن تلتقى بالمساجد الكبيرة مكاتب تحوى الكثير من كتب الفقه الإسلامى بمختلف مذاهبه ، وتفسير القرآن الكريم ، وحديث رسول الله ﷺ ، وكتب التوحيد ، ويراعى عند اختيار الكتب أن تكون في متناول الثقافات المختلفة ، حتى يعم النفع بها .

وأحق الوزارات بالتعاون على إبراز هذا المشروع الجليل : الأوقاف ، والترية والتعليم ، والشئون الاجتماعية ، لأنها هي المعنية برفع مستوى الشعب ثقافياً ودينياً واجتماعياً ، وهذا أقوم سبيل وأيسره لتحقيق هذا الغرض النبيل .

• • •

ثالثاً : والكلمة هنا أمسى بها في أذن السادة أئمة المساجد وخطبائها لأقول لهم : إن الخطبة أو الموعدة إذا لم يكن لها موضوع محدد كانت ضرباً من العبث ، وكان صاحبها كخاطب الليل ، وكانت قليلة الجدوى ، ضعيفة الأثر .

وإنه ليسوء السامعين أن يتناول خطيب في موعظته موضوعات متعددة دون أن يستوعبها دراسة أو يستقصيها بحثاً ، وأحب شيء إلى النفوس أن تمت الخطبة للحياة العامة بصلة قوية ، حتى تحدث أثرها المرجو في نفوس المستمعين .

ومعنى هذا بعبارة أدق وأوضح ، أن الخطيب يجب أن يراعى مقتضيات الأحوال كما يقولون ، فيتكلم في الموضوع الذي يلائم الوقت ، ويساير تطور الزمن ، حتى لا يحكم عليه بأنه يعيش في غير عصره ، وأنه رجعى لا يشارك الناس في وثبتهم إلى الخير ، وتطورهم فحياً يرضى الله .

• • •

وليعلم حضرات الخطباء أن الدعوة إلى الدين والخلق لا بد وأن تقوم على أساس قوى متين من الحكمة والموعظة الحسنة ، وأن الدعوة التي تلهب ظهور الناس بالسياط، وتنزل عليهم كالصواعق، دعوة محمقة مردوفة بعيدة كل البعد عن القبول والاستجابة ، وخير الكلام ما أبده العمل ، وكان موجزاً ينفذ من القلب إلى القلب ، ويتناول مشاكل الناس في رفق ولين ، ويسترعى انتباههم دون أن يبعث في نفوسهم الضرر والسامة والملل . وبعد - فهذه كلمة حق ، أمل أن تشق طريقها إلى السمع والاستجابة ، والله ولي التوفيق ؟

زكى سويلم
المدرس بالأزهر

كلمات لانا تول فرانس

- كان البشر في الماضي كما نعرفهم اليوم : خياراً وسطاً ، وشراراً وسطاً .
- المدن كتب مزينة بصور نرى فيها الأجداد .
- العلم معصوم ، لكن العلماء يخطئون .
- قد يحرم من تذوق اللذة مانعها .
- كلما تقدمت في السن ازداد يقيني بأنه لا يوجد مجرمون ، ولا يوجد إلا بؤساء مساكين .

خير وسيلة للدفاع الهجوم

مبدأ قرره محمد قائد الإسلام ﷺ وليس نابليون

مازلت أقول: إن محمداً رسول الله قائد الإسلام، على الرغم من أنه لم يتعلم فنون الحرب في مدرسة حربية، ولم تكن الحرب صناعته، قد سبق أعظم قادة الحروب قديماً وحديثاً، فوضع من المبادئ الحربية، وأساليب قيادة الجيوش، وإدارة المعارك، ما يدرس اليوم في أكبر المعاهد العسكرية في العالم، مفسوباً إلى غير محمد ﷺ من القادة الآخرين الذين ذاع صيتهم نتيجة لاعتقاد خاطئ. أنهم هم أصحاب تلك المبادئ والأساليب ..

والمبدأ الذي نتحدث عنه اليوم «خير وسيلة للدفاع الهجوم»، يمتنقده العسكريون أنه من وضع نابليون بونابارت ..

ولو أن العسكريين درسوا المعارك الإسلامية، لأدركوا ما هم عليه من خطأ تاريخي، ولنسبوا الفضل لذويه.

إن نابليون قد كان هذا مبدأه فعلاً، ودلت معاركه على أنه لم يكن يقنع بالوقوف مدافعاً منتظراً هجوم عدوه، بل كان يبادر بمهاجمته، ليحرمه من فرصة اختيار الوقت المناسب، والموضع المناسب للهجوم عليه.

لكن محمداً ﷺ قد سبقه في تطبيق هذا المبدأ، وذلك في الفترة التي أعقبت غزوة أحد.

فلقد كان على محمد ﷺ أن يواجه موقفاً عصياً في تلك الفترة، لأن الهزيمة شجعت المشركين على الإغارة عليه، رغبة في القضاء على دينه، فكان عليه أن يحافظ على دينه وجيشه وأمنه، فبعد أن عاد من أحدبث العيون في أنحاء الجزيرة، لينذره بأخبار غارات المشركين، فكان على الفور يخرج أو يرسل السرايا للقضاء عليها في مهدها.

وقد تحدثنا عن سرية أبي سلة، وسرية عبد الله بن أنيس الانصاري، وتحدث اليوم عما بقي من غزوات.

غزوة ذات الرقاع (١)

علم النبي ﷺ أن جماعة من غطفان بنجد يعدون العدة لحربه ، فأمر في الحال أصحابه بالتجهز ، وخرج في أربعمائة من المسلمين إلى أن وصل إلى موضع يسمى وادي الشقرة ، فتوقف وبعث أناسا يتحسسون الأخبار ، فرجعوا إليه ليلا بأنه لا يوجد أحد ، فاستأنف السير حتى بلغ نخلا من أراضي غطفان ، فلم يجد المسلمون في مجالسهم إلا الفسوة ، فإن القوم عندما رأوا المسلمين في عدة حربهم بهاجونهم تفرقوا تاركين وراءهم نساءهم ومتاعهم ، فاحتمل المسلمون ما استطاعوا من هذه الغنائم ..

ولما لم يأت الأعداء لقتالهم فقد تناوبوا الحراسة ليل نهار حتى انعدم أثرهم ، فعادوا إلى المدينة بعد غيابهم خمسة عشر يوما .

غزوة بدر الآخرة (٢) تعيد الهبة للمسلمين :

أقام النبي ﷺ بالمدينة بقية جمادى الأولى وجمادى الآخرة ورجبا ، حتى إذا جاء شعبان تذكر قول أبي سفيان في غزوة أحد - وقد مضى عليها عام - الموعد بيننا وبينكم بدر من العام المقبل ، وتذكر عليه السلام أنه قال لعمر : « قل نعم هو بيننا وبينكم موعد ، وكذلك تذكر أبو سفيان ، وكان العام عام جدب ، وقذف الله في قلبه الرعب لما علم بتجمع المسلمين للوفاء بوعدهم ، فأراد أن يدبر حيلة ليرهب المسلمين ويشيخهم عن عزهم ، فجعل لنعيم بن مسعود الأشجعي (٣) - الذي أخبره بتجمع المسلمين - عشرين بعيرا على أن يذهب إلى المسلمين ويخذلهم .

وقال أبو سفيان لقريش : « قد بعثنا نعيما يخذل أصحاب محمد عن الخروج ، وهو جامد في ذلك ، لكن نخرج فندبر ليلة أو ليلتين ثم نرجع ، فإن لم يخرج محمد بلغه أنا خرجنا

(١) في النصف الأول من جمادى الأولى سنة أربع ، ويقال : إنها سميت كذلك لأن المسلمين لم يكن معهم من الإبل ما يكفي لركوبهم ، فكان لكل ستة بئر يتقبون به أى يتناوبون عليه ، فنبت الأرض أقدامهم ، وسقطت أطرافهم من الحفاة ، فكانوا يلثون على أرجلهم المحرق ، فسميت الغزوة بذات الرقاع لهذا السبب .

(٢) في شعبان سنة أربع .

(٣) وكان ذلك قبل إسلامه .

فرجعنا لأنه لم يخرج ، فيكون لنا هذا عليه ، وإن خرج أظهرنا أن هذا عام جذب ، ولا يصلحنا إلا عام عشب ، فوافقت قريش .

أما نعيم فقد قدم المدينة ، وأخذ يرجف المسلمين بشئ أنواع الدعاية حتى قذف في قلوبهم الرعب .

خشى الرسول ألا يخرج معه أحد حتى جاءه أبو بكر وعمر - رضى الله عنهما - فقالا : « إن الله مظهر دينه ومعز نبيه ، وقد وعدنا القوم موعدا لا نحب أن نتخلف عنه ، فيروا أن هذا جبن ، فسر لموعدهم ، فوافقه إن في ذلك لخييرا إن شاء الله » . فسر النبي بذلك وقال : « والذي نفسى بيده لا أخرجن وإن لم يخرج معى أحد » .

قضت هذه الصيحة على تحاذل المتخاذلين ، لجمع الرسول ألفا وخمسمائة من رجاله وعشرة أفراس .

أما أبو سفيان فخرج في ألفين من رجاله ومعهم خمسون فرسا ، حتى بلغ موضعا قريبا من مر الظهران ، وهناك رأى إليه نبأ خروج المسلمين ، فبداه الرجوع تحقيقا لما كان قد دبر في نفسه ، فقال لقومه : « يا معشر قريش ، لا يصلحكم إلا عام ذو خصب ، وإن عامكم هذا عام جذب ، وإنى راجع فأرجعوا ، فرجع الناس ، وأقام الرسول وأصحابه يبدر ينظرون قريشا ثمانية أيام ، اتجر المسلمون فيها ، فربحت تجارهم ربعا عظيما ، ثم عادوا إلى المدينة . ولقد كانت هذه الغزوة درسا قاسيا لمن تحاذل من المسلمين ، وعبرة لمن تطرق إلى نفسه الرعب من دعاية صنيع أبي سفيان .

وكانت هذه الغزوة خاتمة الغزوات التى جرت في العام الذى أعقب أحدا ، وكان من آثارها أنها محت أثر هزيمة المسلمين في أحد محروا تاما ، ففضلا عما أحدثته خطة النبي ﷺ في القضاء على غارات الأعداء في مدها كما بينا ، فإنه كان على أبي سفيان وأصحابه - بعد ما كان من تحاذلهم ورجوعهم في بدر الآخرة - أن ينظروا عاما آخر أشد خصبا ، راضحين تحت عار من تقاعسهم ، لا يقل وطأة عن عار هزيمتهم في بدر الأولى . .

ومكذا نجحت خطة النبي ﷺ التى رسمها في هذه الفترة العصبية التى جاءت بعد أحد ، وعادت إلى المسلمين هيبتهم ، وأطمأنوا إلى أنه لا بد أن يعضى عام آخر قبل أن تقوم

لقريش قائمة ؟

محمد جمال الدين محفوظ



في الحروب العلية

عماد الدين زنكي

البطل الشهيد

— ١ —

سمت قُبة الإسلام غرأ وعزة
ولم يك يسمو الدين لولا حماده
ليهن بنى الإيمان أمن ترة تفت
رواسيه عزاً واطمأن مهاده
فلا منبر إلا ترنح عوده
ولا مصحف إلا أثار مداده
(ابن القيسراني)

في اليوم السابع والعشرين من ذي القعدة سنة ٤٨٨ هـ (٢٨ من نوفمبر سنة ١٠٩٥ م)
وقف رجل مديد القامة أجش الصوت ترتجى لحيته على صدره ، وقد جمع القساوسة والأمرأه
والفرسان ، ليخطبهم خطبة طويلة يتحدث فيها عن الكفرة المسلمين وما فعلوا بقبر المسيح
من إهانة وأزدراء في زعمه ، وانطلق يستجيش الهمم ، ويستنهض العزائم ، ويبسط للأمرأه
أملاً باسماء في السيطرة والمجد ، ويلوح بالرحمة والغفران للجيوش الزاحفة من جموع الفرنجة ،
ويظهر أسفه البالغ للكرامة الذبيحة والدين الجريح ، ذلكم هو البابا دأوريان ، الثاني
الذي اندفع يقول :

« يجب عليكم أن تتعذبوا كثيراً لأجل المسيح ، وأن تتحملوا المشقة والفقر ، وتكابدوا
الذل والاضطهاد ، وتقاوموا المرض والجوع والظلمة وجميع الشرور في الدنيا ، كما قال
السيد المسيح لتلاميذه : « سأريكم كيف ينبغي أن تتألموا من أجل اسمي ، فإنكم ستأخذون
ميراثاً عظيماً » ثم اتجه البابا إلى الحاضرين وصرخ فيهم قائلاً :

« عبدوا طريق الرب ، واجعلوا سبله مستقيمة » .

وهنا دوى هتاف صارخ زلزل الأرجاء : هكذا أراد الله ، هكذا أراد الله .

وقد انتشر القساوسة في كل مكان يرددون دعوة البابا الكبير ، فيثيرون الحنق والسخط على المسلمين ، ويدفعون الكتائب الزاحفة كالموج إلى الشرق العربي ، رغبة في استئصال عقيدته وإبادة دينه ، وأخذوا يخاطبون الناس بما يزين لهم الاندفاع والوثوب ، فهم يطمعون الأمراء في السيطرة الواسعة ، والفتح الحالد ، والملك العظيم ، كما يلوحون بالفقران والرحمة لهذا الطوفان المائج من الفرنجة الأوربيين ، ويقدمون الجنة ضمناً أكيدا لمن يغبر قدمه في تراب الشرق ذائداً عن قبر المسيح ، ومدافعا عن النصرانية في بلاد يجلبجل فيها الأذان ، ونخرس النواقيس ، وقد بذل بطرس الناسك جهدا جبارا في الاستثارة والاستفزاز ، فكان يذرع البلاد عرضا وطولا ، ويلج إلى القصور الشاخة ، ليقنع الأمراء والفرسان ، كما يدرج إلى الأكواخ الصغيرة ، ليلهب حمية السكهل الراقد ، والعصبى الغافل ، والام الجاهلة ، ويتقدم الشباب إلى الحلاء الواسع مبشرا بالجنة ورضوان المسيح ، إن قدر هؤلاء أن يستأصلوا شأفة الإسلام ، وقد أفلح في قيادة جيش جبار بعث به إلى الشرق ليكون طليعة الطوفان المزيد الذي سيجتاح بيت المقدس في وقت قريب .

لقد كانت الحروب الصليبية تنخذ من العاطفة الدينية مثارا للتحرش والاستفزاز ، وقد عمد دعايتها إلى التأثير الوجداني دون أن يدعوا نطقا للعقل والتفكير ، فهم تارة يرسمون صورة لقبر المسيح وعليه فارس مسلم يدوس القبر بجواده ويسمح لهذا الجواد فيبول عليه ، وتارة أخرى يصورون المسيح - عليه السلام - وأمامه عربي يضربه بالسوط وقد سالت دماؤه الغزيرة من جرح دافق ، كما اتخذوا من الأحلام مجالا واسعا للدعاية والتأييد ، فهذا ناسك يرى المسيح يبشره بالنصر في منامه ، وذلك آخر يقسم سيفاً من أحد الحواريين ليحقق به الأعداء ، ثم هذه هالات قدسية من النور تتساقط من السماء في حومة القتال وتتقدم الصفوف إلى الأعداء ، فيفر الأتراك المسلمون مذعورين ، وينتصر الصليبيون بتأييد السماء !!

زحف الجيش الزاخر إلى الشرق في وقت حرج كربه ، فإمارات الشام تخضع للنظام الإقطاعي الذي ينفرد فيه كل حاكم بولاية صغيرة لا تملك جيشاً أو تدخر قوة ، وأمراء

الدول الصغيرة في تناهد يحول دون التفاهم والاتحاد، والحلقة العباسية ببغداد ضعيفة لاتدفع عن نفسها الشر، وقد استصرخت ولاذ بها اللاندون فقطعوا شعورهم وبكوا دون طائل، والدولة الفاطمية بمصر لانددة بالصمت، فلم تجهز كتابها للدفاع رغم ما تملك من جنود وسلاح ١١

موقف ضائق كربه مهد للصليبيين طريق النصر، فسقطت في أيديهم مدينة الرها، ١٢ وأسسوا بها أول إمارة لاتينية، ثم زحف الفرنج إلى انطاكية وحاصروها تسعة أشهر كاملة، فسقطت بعد قتال مرير، ذهب فيه من المسلمين عشرة آلاف أوزيدون، ثم انجى الصليبيون إلى بيت المقدس وشنوا على أهل غارة شعواء، وكان ما كان من الفطائع والأموال، حتى جرت الحويل إلى صدورهما في الدماء، كما اعترف بذلك مؤرخو الغرب في غبطة ومباهاة، وقد قدر عدد الشهداء بما يزيد عن سبعين ألف رجل من المسلمين، منهم جماعات فاضلة من أئمة العلماء، وحسبك بهذا خسارة فادحة، وعنة تنفطر لها الأكباد، ثم انجى الصليبيون إلى طرابلس الشام، فأسسوا بها إمارة لاتينية رابعة، وفرضوا الضرائب القاسية، وبلغوا فوق ما يبتغون من المجد والانتصار.

كان الموقف يتطلب قائداً بأسلا يصمد للحوادث بسيفه ورأيه وجيشه، وقد هيات الاقدار عماد الدين زنكي أمير الموصل للنهوض بهذا العبء الجسيم، وكان وافر الكفاية، دقيق الإدارة، واسع الحيلة، فقسم على توحيد الإمارات العربية تحت قيادته، فضم إلى الموصل معظم بلاد الجزيرة، ثم عبر الفرات واستولى على حلب وكثير من بلاد الشام، وتآلق نجمه في سماء السياسة الإسلامية، فأوجس الفرنجة خيفة من بأسه، وتحينوا الفرص لمنازلته، ووقف الفريقان يتربصان ١١.

* * *

كان عماد الدين حاذقاً مفكراً يقدر لرجله موضعها قبل الخطو، فرأى أن يطمن إلى الناحية الداخلية في بلاده قبل أن يقف وجها لوجه أمام عدوه، فقام بنهضة عمرانية شاملة، فأحيا الزراعة، وشق الترع، واستثمر المال، وأمن الطريق والبلاد، فرجع التجار إلى متاجرهم، والفلاحون إلى مزارعهم، وأخذ العمران يورق ويثمر، كما بث المرشدين والفقهاء، ليطمئنا الشعب على قضية الجهاد، فلا تلهي البلاد شعاعاً من الخوف والرهبة، وجند الشباب الباسل بعد أن أفرغ فيه الحمية والإباء، واستصرخه لنجدة دينه ووطنه، وكان لهذه الأعمال الحاسمة

أمر ملبوس في ارتفاع الروح المعنوية ، والنهاب العزائم الماسحية ، فتدفقت حماسة الجيوش الإسلامية ، والنهب الفرنجة حنقا على القائد الجريء ، ولاحت نذرا الحرب لدى الجيشين ، فوقف الجميع على قدم وساق ١١

ولكن من الذي يبدأ بالقتال ؟

أما الفرنجة فقد جمعوا الكتائب ، ووقفوا عند حصن الأنارب (١) ، يرسلون الطلائع الفاتكة للقتل والنهب والتدمير ، في فترات متقاربة ، وبدأت جيوشهم تتدافع وتزاحم حتى ملأت الفضاء .

وأما العباد فقد استشار قومه فيما يصنع ، فأشاروا بالثريث والانتظار ، ولكنه صمم على القتال ، واندفع في طليعة الصف الأول غازيا مستبсла ، وجنوده من ورائه يمتصمون بقيادته وإدارته ، وصدد الصليبيون بكفاح لم يألفوه ، فقد ثقل عليهم القائد بجيله ورجله ، وتبعهم في الدروب والأزقة ، وسقطت جنهم طريحة تحت أسلات سيوفه ، وأيقنوا أن الحظ بدأ يتخلى عنهم ، فليست عناية السماء تحوطهم في كل مكان ، كما توهموا منذ تركوا بلادهم فاتحين ، بينما ارتفعت حماسة المسلمين ووجدوا في الاتحاد والتماك ظفرا سريعا ، فساروا تحت قيادة العباد إلى قلعة حارم (٢) ، واستعدوا للمركة الثانية في نشوة وابتهاج ، ولكن الفرنجة ألحوا في قبول هدنة مسالمة ، فوقعها عماد الدين مرفوع الرأس ، ووقعها الصليبيون مدحورين ، وهم يحسبون للغد القاتم ألف حساب على يد القائد العظيم ١٢

محمد رجب البيومي

من علماء الأزهر

التربية الوطنية

قال أبو حامد الغزالي :

ينبغي أن يؤذن للصبي — بعد الانصراف من المكتب — أن يلعب لعباً جميلاً يستريح إليه ، بحيث لا يتعب في اللعب . فإن منع الصبي من اللعب ، وإرهاقه في التعلم دائماً ، يميئ قلبه ، ويعطل ذكاهه ، وينقص عليه العيش حتى يطلب منه الخلاص رأساً .

(١) قلعة بين حلب وانطاكية ، نبغ منها علماء وأدباء وأطباء .

(٢) من أعمال حلب تجاه انطاكية [رداً لفتح خربتيا] .

المؤتمر الإسلامى

المؤتمر الإسلامى — كغيره من الأدوار التى قامت بها الثورة سواء فى المحيط الدولى أو المحيط الداخلى — ولید فكرة من الأفكار التى احتواها كتاب « فلسفة الثورة » ، للرئيس جمال عبد الناصر .

فالدائرة الإسلامية تحتوى على مجموعة من الحلول الإسلامية المتصلة المتجاورة ، يريد بها الرئيس جمال عبد الناصر أن تتحد وترابط لتحقيق أهدافها ، وترعى مصالحها المشتركة ، وقد حصر سيادته مصادر التكتل داخل هذه الدائرة فى ثلاثة : العقيدة ، والإمكانات ، واحترام المكان .

وقد طالعنا الوزير أنور السادات بالأغراض الحقيقية التى ينتظر أداؤها من المؤتمر ، ودور مصر فى المؤتمر ، وأيضاً بالخطوط التنظيمية الإجمالية له .

دور مصر فى المؤتمر :

ودور مصر فى المؤتمر الإسلامى لا يخرج عن الدور الذى حددته الثورة لنفسها للقيام بأعمالها ، وهو دور الذى يجمع الناس فى داخل مصر أو فى خارجها حول المنفعة المحققة النتائج بعد الدراسة ، ثم السير بهذه الجروع بعد تبصيرها بمصلحتها ووضوحها لها إلى الهدف الذى يحتوى على هذه المنفعة .

وقد كان الوزير أنور السادات واضحاً كل الوضوح عند ما جرد دعوة مصر إلى إقامة المؤتمر وتدعيمه من المصلحة الذاتية ، أو المصالح السياسية ، أو الجرى وراء إمبراطورية أو سيادة ، وأبان أن هذه الدعوة هى تحقيق لرغبة تجيش منذ فترة طويلة فى صدور المسلمين ، ترمى إلى حصر مستقبل الحياة والسيادة على هذه الأرض المسلمة فى شعوبها ، فى ظل معانى الإخاء والتعاون .

أغراض المؤتمر :

أما أغراض المؤتمر فعلى رأسها السعى إلى إعادة تنظيم حياة هذه المجموعة من الدول طبقاً لتعاليم الإسلام الصحيحة .

فالإسلام أصلاً بدأ دولة واحدة أخذت تمتد أرضها حتى شملت جزءاً كبيراً من اليابسة ، واستقرت حياتها بفضل ثقافة الإسلام الصحيحة وهدائه الحقة ، ثم لم تلبث الأحداث أن ألحقت بهذا الجسد الكبير الفرقة ، حتى تمكن الاستعمار إبان حقبة الضعف من رقاب الدول الإسلامية المتفرقة ، ومكن للحكم الاستبدادى توازنه بمجموعة من المتاجرين بالدين فى لبوس إسلامية ، جعلت كل منها أن تقف حبر عثره فى سبيل تقدم العقل حتى يخلد الفساد والإقطاع والاستبداد . وكانت وسيلتها حجب الصورة الإسلامية الصحيحة ، بنشر الحرافات والبدع والباطيل ، وران على عقول الناس الزيف نتيجة لهذا التدبير المدمر ، وباتت الأحكام الإسلامية فى نظر هذا اللقيف من الناس لا تحتوى صور الحياة الكثيرة التى تحتويها أصلاً ، وأصبح من السهل التحريم ، ومن البساطة التعليل .

لذلك كان على رأس ما يهتم به المؤتمر تجلية الأحكام الإسلامية ، وما تحتوى من نظم ، لتستقر العدالة الإسلامية بصراحته ووضوحها ، ولا يتأتى للمؤتمر تحقيق هذا الهدف إلا بإعادة تنظيم الحياة الإسلامية من جميع وجوها ، بدراسة المجتمعات الإسلامية ، ورد ما تحتوى من نظم إلى مجاها الإسلامى ، أو تعديلها بحيث تتفق مع هذا المجال ، أو باستبعاد ما يخالفه .

ولتحقيق هذا الغرض اقترح الوزير أنور السادات فى مشروعه إنشاء هيئة ثقافية ، مهمتها نشر الثقافة الإسلامية مطهرة مما علق بها من أوهام وخرافات ، وإعداد المواطن المسلم المدرب على التمسك بتعاليم الإسلام وفضائله الخلقية فى كل مكان يمثل شعب مسلم ، ورفع مستواه الثقافى والاجتماعى إلى المستوى الإسلامى السليم .

ومن أغراض المؤتمر أيضاً تقوية أواصر الأخوة بين المسلمين ، وتحويلها إلى قوة فعالة تستطيع بحكم طبيعتها أن تساهم فى تحقيق سلام العالم وتقدمه وسعادته .

ويحتوى هذا الغرض الناحية الاقتصادية ، فالدول الإسلامية تعتبر مناطق متصلة متجاورة ، ترتبط اقتصادياتها ارتباطاً عجيباً ، وتشابه فيها نواحي الإنتاج وتقارب ظروفه ، فكلها دول زراعية ، ولكنها بعيدة عن استعمال الوسائل الحديثة في الزراعة ، وكلها فقيرة في النواحي الصناعية بسبب افتقارها إلى التدريب الفنى ورؤوس الأموال ، وكلها تكاد - بسبب عدم إحكام هذين العنصرين الزراعى والصناعى - تكون متأخرة وإن كانت تتفاوت مراتب هذا التأخر .

هذا كله رغم توافر مواد الإنتاج ، وكثرة الأيدي العاملة ، وانخفاض الأجور ، وكثرة ما يحتويه باطن الأرض من معادن ، الأمر الذى يحتاج إلى تنسيق الإنتاج بين هذه الدول ، وتدارس وسائله حتى يمكن أن تصبح القوة الفعالة التى يريد بها المؤتمر الإسلامى .

ونتحقيقاً لخلق هذه القوة الفعالة التى يريد أن يضيفها المؤتمر الإسلامى على دول هذه المجموعة ضمنى الزير أنور السادات المشروع إنشاء هيئة اقتصادية ، يكون عملها تنسيق السياسة الاقتصادية لجميع الدول والشعوب الإسلامية ، للتعاون على استغلال الإمكانيات الاقتصادية للبلاد الإسلامية على الوجه الأكمل .

وتستعين هذه الهيئة كأخنها الثقافية لتحقيق أغراضها بما سيحشد لها المؤتمر من إخصائين يدرسون أحوال الدول الإسلامية ، ويضعون الأسس الصحيحة للإنتاج فيها غير بعيدين عما أحرزه الغرب من تقدم في هذا المضمار .

وقد أضاف الوزير أنور السادات غرضاً آخر هاماً صرح به في المؤتمر الصحفى الذى عقد لتوضيح النقاط الهامة في مشروع المؤتمر ، وهو أن من مهمة المؤتمر محاربة الاستعمار في بلاد المسلمين .

عضوية المؤتمر :

لما كان المؤتمر الإسلامى مؤتمر حكومات وشعوب ، فقد قسم تنظيمه إلى مجلسين : المجلس التنفيذى وتمثل فيه الحكومات ، فهو يشكل من رؤساء الحكومات الإسلامية ومن زعماء الشعوب الإسلامية التى ليست لها حكومات مستقلة تمثلها أو من ينوب عنهم .

والذى نراه أن هذا التشكيل يتضمن تعريفاً جديداً للدولة الإسلامية التى أصبحت فى نظر المؤتمر كل بلد يؤلف فيه المسلمون أغلبية من السكان، أوله ثقافة وميول إسلامية، أو ارتباطات ومصالح بالبلدان الإسلامية، أو مجموعة من المسلمين ليست لهم حكومة مستقلة تمثلهم .

أما مجلس الشعوب فهو المجلس الثانى المسمى بالجمعية العامة، وهذه تؤلف من أعضاء من الهيئات التمثيلية فى البلاد الإسلامية، وهؤلاء غالباً ما يكونون منتخبين من شعوبهم . كما أن المؤتمر أراد أن يربط بين الشعوب بمعناها الواسع، فأباح لكل مسلم أن يساهم باختياره بحوزه من عشرة أجزاء من الزكاة المفروضة شرعاً على كل مسلم، مؤازرة منه فى تدعيم المؤتمر . والقصد هنا أدبياً أكثر منه مادياً، ويتضمن لإتاحة للعضوية بمعناها الواسع .

كما تضمن مشروع المؤتمر إنشاء هيئة من المستشارين من ذوى الجهاد والكفاح الإسلامى والمكانة فى شعوبهم، وزى أن هذه الهيئة هى « أكاديمية إسلامية » لإبداء الراى الرصين فى شؤون المسلمين .

التسامح الدينى :

ومن السمات الواضحة للمؤتمر سمة التسامح الدينى عملاً بتعاليم الإسلام السمحة، وقد عبر الوزير أنور السادات عن ذلك بتصريحه للصحفيين : بأن الدين الإسلامى لا يدعو إلى التعصب أبداً، بل إنه فى ظل الإسلام عاشت الأقليات، وتمتعت جميع الأديان بالحرية، فالمؤتمر لا يدعو إلى التعصب، بل يستنكره ويحاربه .

وبمقتضى هذا التصريح انتفت عن المؤتمر قضيصة التعصب، ولهذا يتضح لنا أن مزاياء ستظل الناس جميعاً فى البلاد الإسلامية من مختلف الأديان، فن واجبنا جميعاً الدعوة له والحث على تدعيمه .

السيد محمد الكشكى

سكرتير الوحدة الطبية للجامع الأزهر

كتب وأفكار غربية في الميزان

وقفنا بالقارىء في مقالنا السابق عند التعريف بالأستاذ « أير » وهو - كما في العبارة التي يذيل بها خطاباته ، ويكتبها بجوار اسمه على مؤلفاته - يعتبر نفسه « حجة في العقل والمنطق وما يتصل بهما من بحوث » . ولعل كتبه هي المصدر الوحيد الذي يصور لنا أفكاره ونظرياته بعد ما عجزت محاضراته عن إلقاء ضوه كاف على مبلغ ماله من جديد في العلم والمعرفة .

وإذا رحنا نحصى ما للأستاذ « أير » من كتب لم نجد له إلا ثلاثة :

١ — اللغة والصدق ^(١) والمنطق

٢ — المعرفة التجريبية

٣ — الحكماء البريطانيون التجريبيون

أما كتاب « اللغة والصدق والمنطق » فقد رأينا في المقال السابق كيف أشادت به صحيفة « جلايجو هيرالد » وتوقعت له أنه سيغير مجرى التفكير الإنجليزى ، وسيقلب رأساً على عقب كثيراً من نظريات الفلسفة المعروفة إلى وقت ظهوره ، وكذلك صنعت صحف أخرى غير جلايجو هيرالد . والكتاب - إذا ما قرئ - وجد غير جدير بما تكهننت له به الصحف ، ولقد تكون إشادة الصحف به أثراً من آثار العصية الإقليمية ، فالأستاذ « أير » اسكتلاندى ، والصحف التى أشادت به وبكتابه اسكتلاندية ، وربما كان من الشواهد الصادقة على أن استقبال الصحف للكتاب يمثل هذا الشام ، كان إسرافاً لا مبرر له ، أن

(١) ترجمت في المقال السابق كلمة « Truth » بـ « الحقيقة » ولكن أفضل أن أستعمل في هذا اللقاع كلمة « الصدق » بدل كلمة « الحقيقة » .

النظريات التي تقدمها الكتاب والتي توقعت لها هذه الصحف أن تصبح أثراً بعد عين على أثر ظهور الكتاب ما زالت بعد ظهور الكتاب تتمتع بنفس النفوذ والقوة اللذين كانت تتمتع بهما قبل ظهوره .

ولكى لا يكون القول ملقاً على عواهنه أقف بالفارسي عند نصوص من الكتاب ، لنبين ما نحوى عليه من جديد في العلم والمعرفة ، وما عسى أن يكون لهذا الجديد من مزاجحة للقديم بقول الأستاذ « أير » :

(إنه ليجدر بنا أولاً أن نبرر ادعاءنا أن « نظرية الصدق » يمكن فقط أن تبين كيف تكون الجملة صادقة . ولقد درج غيرنا من المفكرين على أن عمل الحكيم المهتم « بنظرية الصدق » إنما هو أن يجيب على السؤال التالي : « ما هو الصدق ؟ » ، ودرجوا كذلك على أن في الإجابة على هذا السؤال وفاء بحق النظرية . لكن إذا تأملنا هذا السؤال المشهور « ما هو الصدق ؟ » وجدنا أنه لا يثير مشكلة ، ولا ينطوى على معضل يتطلب حلاً . وبناء عليه فلما اقتصر الأمر على البحث عن حل لهذا السؤال - كما يدعى هؤلاء المفكرون - قلن تكون هناك نظرية تسمى « نظرية الصدق » (١) .)

* * *

فـ « نظرية الصدق » عند « أير » تعنى أمراً غير الجواب عن السؤال القائل « ما هو الصدق ؟ » . إنها تعنى بيان كيف تكون الجملة صادقة ، كما أشار إليه أول النص . ويمضى « أير » فيشرح مبررات العدول بـ « نظرية الصدق » عن الوقوف عند الإجابة على السؤال القائل : « ما هو الصدق ؟ » ، فيقول :

(لقد لاحظنا فيما سبق أن كل الأسئلة الموضوعة في صيغة « ما طبيعة الشيء ؟ » ، إنما تطلب تحديد ذلك الشيء ، وطلب تحديد الشيء ليس يعنى أكثر من طلب استبدال الجملة التي تشتمل على ذلك الشيء بجملة أخرى مساوية لها في المعنى ، ولكنها لا تشتمل على اسم ذلك الشيء ، ولا على اسم مرادف له . فلما رحنا نطبق هذا المبدأ على « الصدق » لوجدنا أن السؤال القائل « ما هو الصدق ؟ » ليس يعنى أكثر من استبدال قولنا « جملة كذا صادقة » بجملة أخرى ليست تشتمل على كلمة « صادقة » .)

وهذا شيء قليل الغناء في نظر « أير » ، لهذا يعضى في سبيله قائلا :

(بالرجوع إلى تحليل « الصدق » نجد أن الجمل التي توضع في هاتين الصيغتين « جملة كذا صادقة » ، و « جملة كذا كاذبة » تعتبر في نظر المنطق عبثاً لا داعى إليه . حينما يقول الواحد منا مثلاً : « جملة الملكة آن مينة حق » فكل ما هو قائله لا يعدو أن الملكة آن مينة . وبالمثل حينما يقول « جملة اكسفورد هي عاصمة إنجلترا كاذبة » فكل ما هو قائله أن اكسفورد ليست عاصمة إنجلترا . وهكذا نجد أن حكمنا على الجملة بالصدق ليس شيئاً أكثر من إثباتها ، وأن حكمنا عليها بالكذب ليس شيئاً أكثر من إثبات نقيضها ، وهذا يعنى أن كلنى « صدق » وكذب ، يدلان على لا شيء ، فليسا أكثر من علامات إثبات ونفى .

• • •

هذه بعض وجهات نظر الأستاذ « أير » بخصوص نظرية الصدق ، وسنكمل القول عن النظرية بعد أن نقف هنا وقفة نستوضح فيها ما جاء في أقواله السابقة .

لقد ذكر الأستاذ « أير » في مطلع نصه المقتبس هنا أن مهمة نظرية الصدق أن تبين كيف تكون الجمل صادقة ، وهذا يعنى أن هناك صدقا وأن هناك كذبا ، ولكنه انتهى في آخر النص إلى أن الصدق والكذب يدلان على لا شيء ، وهذا تناقض بين . ثم إنه لو كان الصدق والكذب اللذان تنصف بهما القضية علامتين فقط على مجرد الساب والإيجاب لسكانت نظرية الصدق التي تبين كيف تكون القضية صادقة ، بحثاً من بحوث اللغة لا من بحوث الفلسفة ، وأيضاً كيف يكون الحكم على القضية بأنها صادقة هو نفس الحكم بإثباتها ، والحكم بإثباتها يعنى أنها لا تشتمل على أداة السلب ، والحكم بصدقها يعنى شيئاً آخر وراء ذلك يتصل بالواقع ونفس الأمر ، والأمران غير متلازمين ، فقد تكون القضية مثبتة ، وهى في الواقع كاذبة .

ومن الغريب أن يعترف « أير » بأن هناك قضية صادقة ثم يذكر السؤال القائل « ما هو الصدق ؟ » ، والأمران يجب أن يكونا متلازمين ، فإذا كان هناك قضية صادقة ، كان هناك صدق حتماً ، وإذا كان هناك صدق كان هناك حتماً خبر صادق . كذلك است أدري ما هى الفائدة التي ترتب على العدول بنظرية الصدق من بحث حقيقة الصدق إلى بحث كيفية صدق القضية ، مع أننا لو عرفنا حقيقة الصدق ، وأنه مطابقة الخبر للواقع مثلاً ، لعرفنا كيف تكون القضية صادقة ، فإنه — بناء على التعريف السابق — القضية الصادقة

هي ما طابق مدلولها الواقع ونفس الأمر ، كما أننا لو عرفنا كيف تكون القضية صادقة لعرفنا حقيقة الصدق .

ثم ما مبررات إرجاعه السؤال عن حقيقة الصدق ، إلى السؤال عما إذا كانت جملة ما صادقة ؟ إنه لم يستطع أن يبرر ذلك بأكثر من تلك المحاولة التفسيرية التي يفسرها بتحديد الشيء بأنه استبدال الجملة التي ذكر فيها ذلك الشيء بجملة أخرى مساوية لها في المعنى ، ولكنها لا تشتمل على اسم ذلك الشيء ، ولا على اسم مرادف له . ولست أدري ما دخل هذه المحاولة في الغرض الذي من أجله سيقف . إنها قد تبرر القول بأن السؤال عن حقيقة الشيء يحجب عنه بجملة تشتمل على ذلك الشيء دون ذكر اسمه أو اسم مرادف له . ولكنها لا تبرر القول بأن السؤال عن حقيقة الصدق يؤول إلى السؤال عما إذا كانت جملة ما صادقة .

وعجيب أن يدعى الأستاذ « أير » ، أن كلمتي « صادقة » و « كاذبة » في مثل قولنا (الجملة « الملكة آن مينة » صادقة ، والجملة « اكسفورد عاصمة إنجلترا » كاذبة) يعتبران في نظر المنطق شيئاً لا طائل تحته ! فإذا تكون مهمة المنطق - إذن - إذا لم تكن تحرى الأحكام والقضايا ، وتطبيق مقاييس الصدق عليها ، ليتبين الصادق من الكاذب ، وليقول عن الصادق إنه صادق ، وعن الكاذب إنه كاذب ؟

ولو تابعنا النظر في كتاب « اللغة والصدق والمنطق » لوجدنا الأستاذ « أير » يعتبر حواس الإنسان نوعاً من أنواع معايير الصدق التي تستخدم في معرفة ما إذا كانت القضية صادقة أو غير صادقة ، ويحيل في هامش ص ٩٣ من الكتاب المذكور على مقال له نشر تحت عنوان « مقياس الصدق » ، وهذا يعني - مرة أخرى - أن هناك صدقاً وكذباً حقيقيين وأن كلمتي « صادق » و « كاذب » المستعملتين في الدلالة عليهما ، تدلان على « شيء » ، لا على « لا شيء » .

هذا تصوير موجز لجوانب من تفكير الأستاذ « أير » المتصلة « بنظرية الصدق » وهي - كما ترى - لا تستأهل أن يتوقع لها إنسان أنها ستغير مجرى التفكير الفلسفي ، أو أنها ستقلب نظريات الفلسفة رأساً على عقب .

وسنذكر في مقالنا التالي - إن شاء الله - عرضاً موجزاً أيضاً لنفس « نظرية الصدق » عند الفلاسفة الذين أراد « أير » أن يهاجمهم بكتابه « اللغة والصدق والمنطق » .

سليمان دينا

المدرس في كلية أصول الدين

قمع الشهوة

قال الأصمعي : سمعت أعرابيا يوصي آخر - أراد سفراً - فقال : آثر بعملك معادك ، ولا تدع لشهوتك قيادك ، وليكن عقلك وزيرك الذي يدعوك إلى الهدى ، ويحجبك من الردى ، واحبس هواك عن الفواحش ، وأطلقه في المكارم ، فإنك تبرّ بذلك سلفك ، وتشيد به شرفك ^(١) .

وقال علي كرم الله وجهه ^(٢) :

« إياك والشهوات ! وليكن عما تستعين به على كفها عليك بأنها ملهية لعقلك ، مهجنة لرأيك ، شائنة لغرضك ، شاغلة لك عن معاطن الأمور ، مشددة بها التبعة عليك في آخرتك . إنما الشهوات لعب ، فإذا حضر اللعب غاب الجسد ، ولن يقام الدين وتصلح الدنيا إلا بالجسد » .

وقال الشريف الرضى - من قصيدة - عن ديوانه (ص ٨١٧) :

الجسد لا يقتضى لإسحاق ملهية والهزل يكن فى الأوتار والنغم

ومن خطبة لابن نباتة - رحمه الله تعالى - :

« أيها الناس : قلقوا القلوب عن مراقب غفلاتها ، وأعدلوا بالنفوس عن موارد شهواتها ، وجاء من فصل له أيضاً :

« أيها الناس : أغفلتم جلاء القلوب بمدامس الافكار حتى جربت ، وأهملتم بنى الأعمال فى تقاعس الاعمار حتى خربت ، وأرسلتم ذلل الأهواء فى حلبة الشهوات حتى صعبت » .

ومن كلام أكرم بن صبيح :

(١) زمر الآداب الحصرى (ج ٢ ص ٨٥) .

(٢) شرح النهج (ج ٤ ص ٣٥٠) - س ٥ - الحكم للنشوة .

« إن الهوى يقظان ، والعقل راقد ، والشهوات مطلقة ، والحزم معقول ، والنفس مهملة ،
والروية مفيدة ، ومن جهة التواني وترك الروية يتلف الحزم . »

ومن المقامة (الرصية) الهمدانية :

« ... يا بني ، إني وإن كنت وثقت بمتانة عقلك ، وطهارة أصلك ، فإني شفيق ،
والشفيق سيء الظن ، ولست آمن عليك النفس وسلطانها ، والشهوة وشيطانها ، فاستعن
عليهما نهارك بالصبر ، وليالك باللوم ، إنه لبوس ظهارته الجرع ، وبطائنه الهجوع ،
وما ليهما أسد إلا لانت سورته . »

ومن (مقامة العفة) الزعشرية :

« يا أبا القاسم : بسأت نفسك (اعتادت) بالشهوات ، فافطمها عن هذا البسوء .
ولا تطعها ، إن النفس لأماراة بالسوء . »

وجاء في المدهش لابن الجوزي (ص ٤٢) ما يلي :

« يا نائمًا في بوادي الهوى ، انزل ساعةً بوادي الفكر ، يخبرك بأن اللذة قصيرة ،
والعقاب طويل ، وإعجابًا لمن يشتري شهوة ساعة بنعم الأبد ، كانت المعصية ساعة - لا كانت -
فكم ذلك بعدها النفس ، وكم تصاعد لأجلها النفس ... »

ومن مقصورة ابن دريد :

وآفة العقل الهوى فن علا على هواه عقله فقد نجما

قال الأشارح : « آفة العقل : مضرته ومفسدته ، والهوى : الشهوة والإرادة ، فن علا :

أي فن ارتفع على هواه أي على شهوته وإرادته ، فقد نجما أي فقد سلم . »

وقال معاوية - رحمه الله تعالى - : لا يبلغ الأبد مبلغ الرأي حتى يطلب حله جهله ،

وصبره شهوته ، ولا يبلغ ذلك إلا بقوة العلم ^(١) .

وقال الحكييم : الحكمة جلاء العقل وتمييزه بالأدب ، ووقع الشهوات بالمغاف ... ^(٢) .

ومن حكم ابن المقفع : (من جانب الشهوات لم يدنس) .

(١) - الاحياء [ج ٣ ص ١٥٤ س ٢٣] ط العثمانية [فضيلة الحلم] .

(٢) الباب [ص ٤٣٥] س ٦ .

وقال بعضهم : من استولت عليه النفس صار أسيراً في حكم الشهوات ، محموراً في بين
المسوى والمخالفات ^(١) .

وتقول : فلان عبد الشهوة ، أمير القوة ^(٢) (الأساس) .

وقال على كرم الله وجهه : عبد الشهوة أذل من عبد الرق ^(٣) .

وقال سقراط : الحرية هي الخروج عن استعباد الشهوات المذمومة في العقل ^(٤)

وقيل لواليس الحكيم : أي الملوك أفضل — ملك اليونان أم ملك الفرس ؟ فقال :
من ملك غضبه وشهوته فهو أفضل ^(٥) .

وقيل : إذا غلب على الرجل أربع خصال فقد عطب : الرغبة والرغبة والشهوة
والغضب ^(٦) .

وقال أبو زكرياء يحيى بن معاذ بن جعفر الرازي - رضى الله عنه : الجوع نور ، والشبع
نار ، والشهوة الخطب يتولد منه الإحراق ، فلا تطفى ناره حتى يحرق صاحبه ^(٧) .

وفي الفلك السيوطي (ص ٩٠) - « من الحكم : ثمرات الشهوات المخاذا » .
ومن أمثال الثعالبي : « من أمارت شهوته أحمأ مروءته » .

وجاء من مقال لأخيأنا وأستاذنا الشيخ سيدي محمد الحضر حسين بعنوان (الحياة) ^(٨) .

(١) شرح نائمة السلوك للفرنوبى (ص ١٥) .

(٢) الشهوة : الخمر ، يقال : سبت بذلك لأنها تتهى شاربها عن الطعام أى تذهب بشهوته —
كما فى الصحاح ، قال الزيدى : هذا هو الأصل فى اللغة ثم أطلقت على ما يشرب الآن من اللبن لشر
شجر اللبن بقلى على النار قليلاً ثم يلقى ويثلى بالماء اله التاج .

(٣) شرح النهج (ج ٤ ص ٥٧٠) — الحكم المتنورة ص ٢٠ .

(٤) القباب لاسامة [ص ٤٣٤] .

(٥) الكشكول لبهاء الماملى [ص ٩٨ ط - الشرفية - ص ٣١ -

(٦) الفلك السيوطي [ص ٣٨ و ٣٩] .

(٧) المصنوع لابن الجوزى .

(٨) السنة الأولى لمجلة [السادة العظمى] التونسية .

« ... إن الحياة عبارة عن اقْباض النفس عما تدم عليه ، وثمرته ارتداعها عما تنزع إليه الشهوة من القَبَاح ، فإذا تمزق ستر هذه الفضيلة بغلبة الشهوة على النفس اختلت هيئة الإنسانية بالضرورة ، وبقي صاحبها سائماً في مراتع البنى والفسوق ، وبئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ... » .

ومن كلمات أخينا الحكيمه قوله (١) .

« يتلذذ المستقيم بعفته كما يتلذذ الفاسق بإحراز شهوته ، ولكن أمام لذة الاستقامة عقبة لا يقتحمها إلا قوى الإرادة » .

وقال أيضاً : - من قطعة شعرية - عن ديوانه (خواطر الحياة) :

شهوة نمدو على إثم فإن قضى الإثم استعالت أسفا
وإذا ما لاذ بالبحر انثنت بين جنبيه زواحاً وصفا

وقال بعض الحكماء : القوة على الامتناع عن اتباع الشهوات أحد أشقيا أسقام النفس (٢) .

وقال أبو العتاهية (عن ديوانه) :

ومن يتبع شهوة بعد شهوة ملحا تقسم عقله الشهوات
وقال أيضاً :

رأيت الروح جذب العيش لما عرفت العيش مخضاً واحتلاباً
ولست بغالب الشهوات حتى تعد لمن صبراً واحتساباً

وكان مالك بن دينار يقول : حاجب الشهوات غض البصر (٣) .

وكان ازديشير بن هرمز يقول : العاقل من ملك عنان شهوته (٤) .

محمد المكى بن الحسين

تونس

(١) السنة الأولى لمجلة [العرب] التونسية .

(٢) الباب لاسامة (ص ٤٣٢) س ١٥ .

(٣) الامجد للشالي (ص ١٢٩)

(٤) الامجد للشالي (٥٤)

نداء الى المسلمين

من جماعة كبار العلماء بالأزهر الشريف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى بعث الله رحمة للعالمين .

أما بعد - فهذا نداء من جماعة كبار العلماء بالأزهر الشريف ، توجه به إلى الشعب المصرى الكريم ، وإلى سائر المسلمين .

أيها الملوث :

إن الدين الإسلامى دين توحيد ووحدة وسلام وأمان ، وهو لذلك رباط وثيق بين الناس وربه ، وبين المسلمين بعضهم وبعض ، وبينهم وبين مواطنيهم ومن والاهم من أهل الكتاب ، فليس منه تغرير ولا تضليل ، وليس منه تفريق ولا إفساد ، ولا تأمر على الشر ولا عدوان . وقد قام الإسلام من أول أمره على هذه المبادئ ، لجمع بين عناصر متنافرة ، وقرب بين طوائف متباعدة ، وأقام حياة المجتمع الإسلامى على أسس قوية كريمة .

وقد رسم القرآن الكريم منهاج الدعوة إلى هذه المبادئ السامية فقال : (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن) وحذر من التنازع والتداب والتعاون على الإثم والعدوان فقال : (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين) (وتعارفوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان) .

وقد نهج الرسول ﷺ وأصحابه والراشدون من سلف المسلمين هذا المهج القويم فى أقوالهم وأعمالهم وما أثر من سيرهم ، واستقام الأمر للمسلمين ما استقاموا على هذه المبادئ .

وقر فى نفوسهم جميعاً أن هذه المبادئ هى أساس النجاح ، ومصدر الخير ، وعزة الدين والدنيا .

وقد ابتلى المسلمون في عصورهم المختلفة بمن أخذوا تلك المبادئ على غير وجهها الصحيح ،
أو لعبت بعقولهم الأهواء ليجعلوا منها باسم الدين وسائل يجتنبون بها ثقة الناس فيهم ،
ويسترون بها للوصول إلى قاياتهم ومطامعهم .

والتاريخ الإسلامى حافل بأنباء تلك الطوائف التى شبت فى ظلاله ، وزعمت أنها جنود له ،
ثم كانت حرباً عليه أشد من خصومه وأعدائه .

وقد كان فى ظهور طائفة الإخوان المسلمين - أول الأمر - ما صرف الناس عن التشكك
فيهم ، والحذر منهم ، بل كانت موضع ارتياح فيما اتخذت من أساليب الدعوة ، واجتذاب جمهرة
من الناس إلى ناحية الدين .

ولكنه — والاسف — لا نفس كل عارف بدينه ومخلص لوطه وأمنته — قد شذ
من هذه الجماعة نفر انحرفوا عن الجادة ، وسلكوا غير ما رسم القرآن ، فكان منهم تأمر
على قتل الأبرياء ، وترويع الأمنين ، وترصد لاغتيال المجاهدين المحاصرين ، وإعداد العدة لفتنة
طائفة ، لا يعلم مداها فى الأمة إلا الله .

وجماعة كبار العلماء - فى الوقت الذى تستنكر فيه هذا الانحراف عن منهج القرآن
فى الدعوة - تشكر الله العلى القدير أن مكن لأولى الأمر فى هذه الأمة أن وضعوا أيديهم
على بذور الفتنة ووسائلها ، قبل أن يشتد أمرها ، ويستفحل شرها . وتعلن أن الخروج
عن منهج الدعوة الذى رسمه القرآن ، وسلوك سبيل العنف بالإرهاب والعُدوان ، والتضليل
والخداع ، مشاققة لله ورسوله ، واقتيات على الإسلام بما ينكره الإسلام ويأباه ، ويعتبر صاحبه
فى صفوف المتعدين حدود الله (ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه) (ومن يتعد حدود
الله فأولئك هم الظالمون) .

وجماعة كبار العلماء تصحح للسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها أن يتجهوا إلى الدين ،
فيفهموا مبادئه وإرشاداته على وجهها الصحيح ، ويلتزموها فى حياتهم الخاصة فتسلم الأسرة ،
وفى حياتهم العامة فتسلم الأمة ، وأن يكونوا يداً واحدة ، وقوة واحدة ، فى حفظ كيان المجتمع
والدود عن كرامته ، والاعتصام بحبل الله (ومن يعتصم بالله فقد هدى
إلى صراط مستقيم) .

تعلّيقاً

إلى الطرايش اليقظة

كم رجونا إلى من يحملون الأعلام ، وينصبون أنفسهم لتوجيه الرأي العام ، أن يكونوا أبرياء من الغرض ، أوفياء للحق ، وأن يأخذوا أنفسهم بشئ من أدب القول ، حتى يكون لكلامهم قوة الصدق ، فلا يرميهم رام بأن كتابتهم تجارة يحتاجون فيها الغث والسمين من الأساليب ، مما يجلب إليهم الكسب المادى ، ويشبع نهمهم ، بتسخير الأعلام فى الإسفاف .

وحتى لا تجرى فيهم الألسن بأنهم وراء المادة وحدها ، لا أنصاراً لفكرة ، ولا دعاة إلى مبدأ ، فلا عليهم أن يتلونوا بالألوان المرغوب فيها ، ولا عليهم أن يغالطوا الناس فيما يعرفه الناس عنهم .

رجونا ذلك ، ورجونا ألا يكون لهذه الآفات أثر عند أصحاب الصحافة والمستمعين إليها ، فإن أثر ذلك يهون من كاتب نزر الكتابة ، قليل الصلة بالصحافة ، ولكنه لا يهون من كاتب محترف يواجه الناس كل يوم بما يسوده قلبه فى صفحات الجرائد أو المجلات ، وأثر ذلك جناية على المهنة الصحفية ، وعلى كرامتها ، وهم يسمون الصحافة : صاحبة الجلالة .

* * *

ولكن الأمر تجاوز الرجاء كله ، فأصبح لدينا أفراد عرفوا بالإسراف فى هذرهم ، وعرفوا بالنشاط فى تسميم العقول الفضة ، وفى دعوة الجيل الجديد إلى الانحراف عن كل تقليد كريم ، وعن التخلق بأخلاق الطبقات الرفيعة التى يعتد بها فى كيان الأمة ، فلم يعد البلاء بلاء كتاب يتلصسون الكسب خصب ، ولكنه بلاء الانهيار الأدبى الذى أصبح شعاراً وديناً لأشخاص لا ينجحهم أن يتصاحبوا فى الأمة - وهم من عرفهم الشعب - بأنهم حملة أعلام ، ودعاة إصلاح . وما نريد أن نخوض فى النعى على أولئك ، ولكن الذى نريده ونرضاه لأناس نقرأ لهم ونستمع إليهم ، ألا يمسهم ذلك الهوس ، ألا يغلب عليهم ذلك التبجح كما غلب على آخرين ، عرفناهم وعرفتهم الأمة فى العهود الحزبية . لا نريد أن تكون المادة الصحفية

لمن يعيشون في ظل صاحبة الجلالة تطاولوا على العلماء ، وتصيداً للكلام المردول ، للغمز به في العلماء ، وانتهاجا للأساليب النازلة ، لنفت سموم الإباحية والإلحاد في نفوس الأغرار ، وتجديد النزعات الخبيثة عند من يتأثرون بالدعايات المموهة . وكنا نحسب تلك التجارة تتمطل بمسد أن انصرم موسمها .

• • •

قالوا : إن العلماء أفتوا يوماً ما في حكم البيسي كولا ، ولم يفتوا في الإخوان المسلمين ، لجريرة العلماء عند أولئك أنهم (وقد عرفوا من تقرير المعمل الكيماي الرسمي خلو هذا المشروب من المواد المخدرة) أفتوا بأنه حلال ، فهل في الحل ما يغضب أولئك الكتاب المتورعين عن الشبهات ، حتى كأنهم يتخرجون من كل مشروب مريب ، بل يتحاشون ما يشبه عليهم كالبيسي كولا ، فهم غاصون بفتوى حلها عن أفتوا بها .

ومن أعجب العجب أن يتأثر لهذه الفتوى فرسان إحدى دور الصحافة ، والناس يذكرون أن هؤلاء الفرسان كانوا في جانب الفتوى يوم صدورها ، فإذا بغضبهم اليوم ؟! وأما الفتوى في شأن الإخوان المسلمين فهي أمل مفشود عند الطرايش اليقظة ، فما يغضب الطرايش اليقظة إلى كل خير في الدين والدنيا ألا تكون للعلماء فتوى في الإخوان . فإذا نقول لهذه الطرايش اليقظة ، وقد خيمت عليها الغفلة عما رددته الأزهر منذ انخرق الإخوان عن سييلهم الأولى .

هذه مجلات الأزهر ، وإذاعات العلماء في الراديو ، وخطباء الوعظ في دوائرهم تباعا ، ودروس أئمة المساجد ، كلها حافلة بالإنكار على الإخوان منذ بدت أحداثهم الممقوتة ، والإخوان أنفسهم لم يكن يعجبهم أن يحمل الأزهر عليهم تلك الحملات .

ولكن الطرايش اليقظة كما يشهد أصحابها - وهم عمداء صاحبة الجلالة - لم يكونوا ينشرون للأزهر ما يكتبه إليهم علماءه ، ولم يكونوا يقرأون ما ينشره الأزهر في مجلاته ، ولا يسمعون ما جهر به الأزهر وسمعه كل حي ، وطبعاً لم يسمعوا خطب المساجد يوماً ما ، فما ذنب الأزهر عند من يتذرع بالنيل منه إلى إثارة الشبه حوله ؟؟

• • •

وإذا كانت هذه فرصة عند هؤلاء الفرسان ليتقربوا بها على حساب الأزهر كدأهم أيام الأحزاب ، فقد غاب عن يفتة الطرايش أن احتفال الأزهر قبل حصول الحادث الأخير يوم واحد كان أروع مظهر للشعور الصادق نحو الثورة ، وأفسح مجالاً للتنبيد بخصوص الثورة ، والمجاهدين لها ، والعاملين على الانشعاب والتفريق ، والتشكيك في الثورة وأهدافها .

ورجال الثورة أنفسهم قدروا ذلك حق قدره ، وكل ذلك شهدت به الصحف وأصحابها عدا أصحاب الطرايش اليقظة .

وما قد أنكر الأزهر في بيان جماعة كبار العلماء : فهل رضى الطرايش اليقظة ؟ لا ! كتب أحدهم يفض من موقف العلماء ، وينكر عليهم أنهم نسبوا الإجماع إلى أفراد من الإخوان دون آخرين ، وهذا لا يرضيه .

وينكر أن العلماء لم يصرحوا بأسماء هؤلاء الأفراد .

فهل رأيت أيها القراء مخففاً كسيف أصحاب الطرايش اليقظة ؟ فذلك الكاتب يطلب إلى العلماء أن يذكروا له أسماء الإخوان المتحرفين !

هذا رجل ما كان يستحق أن ترد عليه ؟ (المجلة)

السؤال عن العلم

• قال علي بن أبي طالب : قرنت الهيبة بالحياة ، والحياة بالحرمان . والحكمة ضالة المؤمن .

• قال الحسن البصري : من استتر عن الطلب بالحياة لبس للجهل سر باله .

• قال الخليل بن أحمد : منزلة الجهل بين الحياة والافتة .

• وكان ذوق الحجي من حكماء الأمة يقولون : إذا جلست إلى عالم فسل تفقها ، ولا تسئل نعتاً .

رسالة البشرية

من جزيل آلاء الحق - تبارك وتعالى - على عباده أنه أكرم آدميتهم ، فقال في كتابه الكريم : « ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً ، وخلق ما دونهم رحمة بهم ومنفعة لهم ، هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً ، وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ، ثم لم يدعهم إلى أنفسهم في حيرة يعمهون ، وضلال يهيمون ، بل أرسل إليهم رسلاً مبشرين ومنذرين ، ومرشدين ومخبرين ، لشكر منته ، وتسمو آيته ، وتكمل حجته ، حتى لا يكون للبشر عذر يشفع لهم إذا ما نأوا عن منهج الخير والعرفان ، وأشاعوا فيما بينهم الشقاء والحرامان ، وكل عصر جاء على البشرية وهي تفقه رسالتها ، وتقصد واجبها ، هو عصر الحياة والنور والإنتاج والكرامة ، وكل عصر أتى عليها وهي نائمة عن حقيقتها ، وغافلة عن سر وجودها ، ومنجرفة في سيل أهوائها ، هو عصر الفناء والعدم ، وطور الشقاء والألم ، وفصل المأساة في سفر الحياة ، ولذلك تعتبر عصور الجاهلية في مختلف الأمم في الدرك الأسفل من الوجود ، لأنها قوضت عروش الخير والفضيلة ، وأنت على صروح الجماعة وثرعة الإنسانية ، وبغت الفساد في الأرض والإشراك برب السماء . وكذلك تعد العصور التي تمرد فيها الغرب وانطلق من قوانين الحرية والعدالة ، وسعى لبسط بطشه وجبروته ، وتحكيم حيفه وشموائه ، عصور الغياهب الدامسة ، والكرامة الموهودة ، والهمجية الضالة ، ولا تغرنكم هذه الأضواء البراقة ، والاكتشافات المعجبة ، فهي يازاء الرسالة الخالدة التي ناطها الله بالبشرية ، وأودعها أمانة في عنقها ، شيء تافه حقير ، لا حسان له ولا غناء فيه .

* * *

إن هذه الأرض التي وجدنا عليها ، وعشنا على خيراتها وكثرزها ، لنمديها إلينا في كل وقت وحين ، طالبة العرفان بأياديها ونعمائها ، فلا يخلق بنا أن نكون أعق أبنائها وأحاطهم

أخلاقا ، وأوضعهم طبيعة ونفسا ، فلا تلوث ثراها بدماء الأراامل واليتامى والشهداء والضعفاء ، ولا نسمح للأقدام التى تحمل معها جرائم الإثم والنكران أن تسير على أديمها ، ولا للطفيليات التى تشرئب لتحقق الزهور الفواحة بالحياة فوقها ، وأن نكون دائما حراسا على الخير ، وأمانا على الحق ، وحربا عوانا على كل من يبنى علوا فى الأرض وفسادا .

وإذا كان من سنة الله فى خلقه تدافع البشرية وتطاحنها ، فذلك لإسعادها وخيرها وإمانه عوامل الفساد فيها ، ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين ، فلا يكون هناك مجال للفسد ، ولا ميدان لطاغية ، ولا سبيل لاستعباد .

أما هذه الحروب التى لا هدف لها إلا التدمير والهلاك والثروة والسيطرة ، فهى بلاء على الإنسانية ، وممول هدم فى بناء الأسرة الآدمية ، وهى آية على ما اعتزى العقول من عبث بحياة الإنسان ، وبرهان على أن الأمل فى هذه القوة المسادية « كسر اب بقية بحسبه الظمان ماء حق إذا جاءه لم يحده شيئا » ، وأنه قد بامت كل النظم بالفشل فى رسم طريق الحياة الواضح الذى لا يشوبه عوج ، ولا يعتريه عطب ، ولم يبق إلا طريق العقيدة ، ولن تكون هذه العقيدة سوى الإسلام ، لأنها الشريعة التى صاحبت بالبشرية جمعاء أن الأرومة واحدة ، فكلكم لآدم وآدم من تراب ، وأن الاجناس والألوان والأوطان أمور شكلية ، لا يقام لها وزن ، وأن صاحب الجاه والسلطان مع المعدم المغمور يستويان ، وأن الحياة وسيلة لغاية كبرى ، ومزرعة نجنى منها فى يوم آخر ، وأن زرعتنا يجب أن يكون خيرا ومحبة وتعاوننا وتآلفا ، وتآزرا وتعاطفا ، يأياها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير .

وتلك رسالة البشرية فى الحياة ، قبل يضطلع بها البشر ١٩٤٥

محمد المصطفى

بمعهد المنصورة الثانوى

الكتاب

شرح الطحاوية - لابن أبي العز

بتحقيق فضيلة الأستاذ الشيخ أحمد محمد شاكر - ٤٦٦ ص - طبع دار المعارف بمصر

الإمام أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي الأزدي (٢٣٧ - ٢٢١) من فقهاء هذه الأمة في الصدر الأول لتأسيس المذاهب الفقهية المعروفة الآن والمنتشرة في العالم الإسلامي ، وهو ابن أخت المزي صاحب الإمام الشافعي ، وعقيدته التي اشتهرت باسم (العقيدة الطحاوية) مشهورة معسروقة ، وقد كتبها على طريقة طبقته ومعاصريه ، وهي الطريقة السلفية .

وفي سنة ١٢٤٩ طبع في مكة شرح نفيس لهذه العقيدة غير أن المخطوطة التي طبع عليها كانت غفلا من اسم مؤلفها ، وكانت سقيمة كثيرة الغلط والتحريف . وقد عثر العالم الجليل الشيخ محمد نصيف على ما يدل على اسم الشارح في شرح الإحياء للسيد مرتضى الزبيدي (٢ : ١٤٦) حيث نقل من شرح الطحاوية فقرة يزيد على ١٤ سطراً وقال : إن مؤلف الشرح على بن علي بن محمد الغزالي ، وصوابه العزى بالعين المهملة وتمام اسمه على ابن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي (٧٣١ - ٧٩٢) ويقول عنه الحافظ ابن حجر في الدرر الكامنة (٣ : ٨٧) إنه كان قاضي القضاة بدمشق ، ثم بالديار المصرية ، ثم بدمشق .

وهذا الشرح لعقيدة الإمام الطحاوي من أنفس كتب العقائد لأن متن العقيدة نفسه من أقدم كتب المسلمين في العقيدة كتبها قبل شيوع أساليب اليونان وتعدد الفرق والطوائف وقبل ازدياد البدع والجدل والتأويل والشبه فهي من العقائد السليمة التي ارتضاها الأئمة المتبوعون وكانوا عليها وأرادوا أن يلقوا الله بها .

وقاضى قضاء الشام ومصر ابن أبي العز شارح هذه العقيدة سلك مسلك الطحاوى وطبقته من الأئمة الأقدمين في تقرير عقيدة السلف والدفاع عنها والتبسط في بيانها ، فجاء كتابه من أنقص ما ألفه العلماء المحققون . غير أن آفة هذا الكتاب ما كان يغلب على المخطوطة التي طبع عليها بمسكة من تصحيف وتحريف . وإلى الآن لم تظهر نسخ أخرى مخطوطة تعين على تصحيحه . فلما مست الحاجة الآن إلى تجديد طبعه ، قام بذلك فضيلة الاستاذ المحقق الشيخ أحمد محمد شاكر بأقصى ما يستطيعه العالم الأمين ، فإذا مر به حديث أو أثر أو نص عاد إلى مراجع ذلك في الأصول التي تحت يده فصححه منها وعلق عليه ببيان مرجعه من تلك الأصول ، وكذلك الأخطاء الواقعة في الكتاب مما تحرف به كلام الشارح اجتهد في تصحيحها بقدر ما يستطيعه العالم إذا لم يجد لديه نسخاً أخرى من الكتاب المحرف ، وهو يقول بعد ذلك : « ولعل - بهذا - أكون قد أدبت الأمانة في حدود مقدورى واستطاعنى . ولكنى لا أزال أرى هذه الطبعة مؤقتة أيضاً ، حتى يوفقنا الله إلى أصل محفوظ للشرح صحيح ، يكون عمدة للتصحيح . » فجاءه الله عن العلم والإسلام خيراً

الإسلام وعنايته بالصحة والطب

لفضيلة الشيخ محمد إسماعيل عبد رب النبي — ٨٠ ص — مطبعة الرسالة

هذه ناحية من نواحي عناية الإسلام بالمجتمع الإسلامى تصدى فضيلة الاستاذ الشيخ محمد إسماعيل عبد رب النبي واعظ القاهرة للإفاضة في بيانها فكان موقفاً في ذلك بادئا من النظافة التي هي أول وسائل الوقاية الصحية وكيف أن الإسلام جعلها من وسائل عباداته ، بل هي من شعب الإيمان الإسلامى . وتكلم على الحجز الصحى في الإسلام وعن المنهيات التي يمد الانتهاء عنها من قوام الصحة . ثم عن الطب العلاجي والتداوى ، وعن الرياضة والصحة ، وعن الصوم ومزاياه الصحية إلى غير ذلك من البحوث الممتعة التي جعلت هذه الرسالة من أنفع الكتب للجواهر .

الأدب والعلوم

مساوى التعليم المختلط

يزور المارشال موتجمرى - بطل معركة
العلمين، ونائب القائد العام لحلف الاطلنطى -
الولايات المتحدة الآن .

وقال أثناء محاضرة له فى جامعة كولومبيا :
لانى من أعدى أعداء التعليم المختلط ، وإن
من الواجب علينا أن نغنى بتربية شبابنا
وإعدادهم للقيادة .

وأذاع وهو فى نيويورك كلمة حذر فيها
الأمريكيين من التعليم المختلط ، وقال : إنهم
قد لا يرتاحون إلى مايقوله لهم أثناء جولته
التي تستغرق أسبوعين ، وإنه لا يحب اختلاط
الشابات بالشبان فى معاهد التعليم .

مناهج الفقه فى الأزهر

بما اشتملت عليه المناهج الجديدة لتدريس
الفقه الإسلامى بالأزهر الأحكام الشرعية
لعمليات البنوك التجارية والمقارية وبنوك
التسليف الزراعى والصناعى ، والأحكام
الشرعية للمعاملات التجارية التى تتم فى بورصات
الأوراق المالية والعقود ومينا البصل ،

والأحكام الشرعية للتعامل بالأوراق المالية ،
وهى تشمل الأسهم والسندات وعقود
الشركات المختلفة ، ومشروعية الوقف
والادوار التى مرت به إلى الآن ، ومشروعية
الرهن فى الإسلام وأسبابه الحقيقية ، وآراء
العلماء فى الطلاق الثلاث بلفظ واحد ،
والطلاق المعلق ، ومصدر التشريع للقانون
الخاص بذلك ، وأحكام الوصية الواجبة
ومصدر التشريع الخاص بها ، وحكم الزكاة
فى الورق النقدى المتعامل به الآن .

مناهج التاريخ بالأزهر

اشتملت مناهج التاريخ الجديدة بالأزهر
على دراسات وافية لثورة ٢٣ يولييه سنة ١٩٥٢
وحالة مصر منذ سنة ١٩٣٦ إلى سنة ١٩٥٢
من حيث التدخل البريطانى وطغيان القصر
وفساده ، وما حققته الثورة الأخيرة لمصر
من تطهير أداة الحكم والإصلاحات الاجتماعية
والاقتصادية ، واتفاقية السودان الجديدة ،
وإعلان الجمهورية ، وتعبئة قوى الشعب
ضد الاحتلال البريطانى .
وعدلت مناهج التاريخ فيما يتعلق بالفترة

التطبيقات الخاصة بتنفيذ المناهج الجديدة على مراحل في خلال أربع سنوات دراسية بحيث يصبح منفذاً في الاقسام الابتدائية والثانوية من المعاهد الازهرية في العام الدراسي سنة ١٩٥٧ — ١٩٥٨ ، وسيبدأ بتنفيذ هذه المناهج من العام الدراسي الحالي .

دراسات هندسية عليا

تبدأ هذا العام بكلية الهندسة (جامعة القاهرة) دراسات عليا في ميكانيكية التربة وهندستها ، وفي الزى والهيدروليكا (علم المياه) وفي الهندسة الصحية ، وهندسة البلديات . ولا يقبل لتلقى هذه الدراسات إلا من يكون حاصلا على درجة بكالوريوس في الهندسة وستكون الدراسة مسائية وتبدأ يوم ١٥ ديسمبر

السودانيون في الأزهر

تري إدارة الأزهر أن يعقد امتحان تجريبي للطلبة السودانيين الذين قدموا إلى القاهرة للالتحاق بالمرحلة الابتدائية تمهيداً لقبولهم ، على أن يكون ذلك بصفة استثنائية هذا العام . ولتغلب على هذه المشكلة في الاعوام القادمة يستحسن افتتاح معهدين في المسكالك والفاسر لإعداد مثل هؤلاء الطلاب تمهيداً لقبولهم بعد ذلك بالمعاهد الازهرية .

السابقة للثورة ، فأدخلت على المناهج دراسات مستفيضة عن التدخل الاجنبي في شئون مصر ، والثورة العربية باعتبارها ثورة على التدخل الأوربي وعلى حكم الخديو المطلق والاسباب التي أدت اليها وحوادثها ونتائجها . وكذلك الحركة الوطنية ومقاومة الاحتلال منذ حركة مصطفى كامل وثورة سنة ١٩١٩ ، وحركة سعد زغلول والمفاوضات والتقدم الاجتماعي والعمراني والثقافي .

مناهج التربية الوطنية بالأزهر

أدخلت برامج جديدة على مناهج التربية الوطنية بمصر ، فتناولت موضوعات الدولة الجمهورية الديمقراطية وسميزات النظام الجمهوري وأهداف الجمهورية الحالية ، وجهاد مصر في سبيل إعادة الأمور إلى أيدي أبنائها منذ أوائل القرن التاسع عشر ، وثورة الشعب ممثلة في الجيش للنخلص من الظلم والفساد ، وأهداف الثورة ، وواجبات الافراد ومسئولياتهم نحو تحقيق هذه الأهداف ودور مصر في الوطن العرب العام ، واشتراك مصر في النشاط الدولي من اجتماعي وثقافي ورياضي واشتراك مصر في هيئة الأمم المتحدة وما قامت به من جهود دولية ، وأثر ذلك في تقوية مركز مصر بين الأمم .

هذا وقد وضعت الإدارة العامة للأزهر

اليهود في اليونسكو

عبد العليم الصديقي

١٣١٠ - ٢٢ ذى الحجة ١٣٧٣

كان مولانا الشيخ عبد العليم الصديقي من أنشط وأشهر دعاة المسلمين في أفريقيا وسائر أقطار العالم الإسلامي ، وقد نشرنا في ص ١٢٧ من مجلد العام الماضي لهذه المجلة عن آخر مظاهر نشاطه للدعوة الإسلامية وهو رئاسته لل مؤتمر الإسلامي في فيروني الذي دعت إلى عقده جماعة حماية الإسلام في أفريقية الشرقية وتعاونت في ذلك مع مبعوث الأزهر لرياسة المعهد الإسلامي في زنجبار وهو فضيلة الأستاذ الشيخ محمد محمد الدهان الذي كان له نشاط مشكور في خدمة الإسلام والمسلمين هناك .

وقد علمنا الآن من فضيلة الأستاذ الشيخ محمد الدهان أن صديقنا القديم الداعية الإسلامي الشيخ عبد العليم الصديقي رأس الدعاة في تلك الجهات اختار الله له الوفاة يوم الأحد ٢٢ ذى الحجة سنة ١٣٧٣ في المدينة المنورة بعد أن أدى مناسك الحج ، فرأينا أن نسجل له ذكرا لما نعلمه من جهاده الطويل في الإصقاع الأفريقية والاسيوية في سبيل الإسلام ، رحمه الله وأجزل له المثوبة .

كتب الأستاذ العقاد مقالا في جريدة أخبار اليوم أشار فيه إلى احتيال اليهود للوصول إلى مراكز النفوذ في المؤسسات الكبرى ، وقال إن ذلك ظاهر من سلوك المؤسسة العالمية التعليمية الوحيدة في العصر الحديث (اليونسكو) . هذه المؤسسة التي تنفق عليها دول العالم في هذا العصر لم تنشر حتى اليوم بحثا واحدا في مصلحة العرب ، وتتدفق منها كل عام بحوث فياضة أو موجزة لمصلحة واحدة هي مصلحة إسرائيل ومصالح اليهود في أقطار العالم جمعاء .

ولقد وصل منها هذا الأسبوع خمس عشرة رسالة نذكرها بعنواناتها إذا شاء القراء ، وكلها في موضوع واحد هو موضوع «العنصر» ، واللمحة على أعداء اليهود المعروفين في الغرب باسم أعداء الساميين . خمس عشرة رسالة في موضوع واحد للدفاع عن اليهود ، وتسمى اليونسكو بعد ذلك «مؤسسة عالمية إنسانية» ، ينفق عليها العرب بين المنفقين .

خمس ملايين يهودي في بيئة واحدة (أمريكا) يصنعون كثيرا ، بل كثيرا جدا ، في السيطرة على المواقف السياسية . وهل أوجب من سيطرتهم على اليونسكو الموقرة ، وهي عالمية إنسانية ! بشهادة الجميع ...

إنباء العلماء المسلمين

وسأله المراسل : — هل هناك تفكير في توسيع هذا الميثاق بحيث يصبح ميثاقاً دفاعياً إسلامياً لإقامة جبهة ثالثة ؟
فقال : لا توجد فكرة من هذا القبيل الآن ، ونحن حريصون على ألا تنسج رقعة هذا الميثاق بأى حال من الأحوال في الوقت الحالي على الأقل .

الانجليز

بين مسقط وعمان

منطقة مسقط هي المنطقة الساحلية لمقاطعة عمان ، وعلى منطقة مسقط سلطان يرث من موارث الماضي حيازة إنجليزية فرضت على مسقط كما فرضت على المقاطعات المجاورة لها في ساحل الخليج الفارسي . ومقاطعة عمان هي المقاطعة الداخلية وراء منطقة مسقط ، وكلاهما يسكنها عرب مسلمون من طائفة الإباضية ، وعلى مقاطعة عمان إمام هو الرئيس الديني للإباضية . وكان الإنجليز بعد فرضهم الحماية على مسقط عقدوا بين مسقط وعمان اتفاقية اسمها (اتفاقية السيب) حددوا فيها الحدود بين الجهتين .

ولما أخذت تظهر الآن بوادر استنباط البترول في بعض البقاع الداخلة في عمان

ميثاق الدفاع العربي

يجل الصاغ صلاح سالم وزير الإرشاد القومي حديثاً مع مراسل إذاعة هامبورغ للتلفزيون ، ومما جاء في هذا الحديث أن المراسل سأله :

ما هو الوضع بالنسبة لميثاق الدفاع العربي ، وما هي الصعوبات التي لا تزال قائمة في هذا الميدان ؟

فأجاب : — هناك عقبات عديدة يجب أن تذلل ، ليكون ميثاق العرب الدفاعي هذا فعلياً . وأهم هذه العقبات تسليح الدول العربية بما تحتاج إليه ، وبخاصة العتاد الثقيل ، وإيجاد اتصال برى بين مصر وبقية الدول العربية ، وتوحيد هذه الجيوش .

هذه بعض المشاكل التي تواجه هذا الميثاق ولا شك أن بعضها يمكن أن تغلب عليه الدول العربية نفسها في وقت قصير ، والبعض الآخر يتوقف الآن على موقف الغرب من هذه المنطقة ، ومد يد المعاونة التي يمكن أن يقدمها الغرب لتقوية هذه الدول لكي تتمكن من القيام بواجب فعال في الدفاع عن نفسها إزاء أى خطر .

منافذ الإمامة بحشد القوات البريطانية فيها وخاصة واحدة برمي . فهم إذن فضوليون ولا يحق لهم أن يتكلموا في هذا الموضوع .

امامة عماله

عما تضمنه تقرير نائب إمام عمان المقدم إلى أمانة الجامعة العربية بيان بما نقله هذه الإمامة من الفحم والبتروول ، وكيف أنها كانت في الماضي تتمتع باكتفاء ذاتي قبل نكبتها بتدخل الاستعمار البريطاني في شئونها . وأشار التقرير إلى استعداد إمام الإباضية في عمان لمنح امتيازات للتقيب عن البتروول والفحم واستغلال أراضي الإمامة ومراقبتها العامة ، على أن لا تمس هذه الامتيازات سيادة الدولة وقد وضعت أمانة الجامعة العربية خطوطاً رئيسية لإمكان النهوض بهذه الدولة العربية وهي تنحصر في وجوب الاستعانة بالمملكة العربية السعودية والبن وبعض رجال العروبة غير الرسميين ورجال الدين في توثيق عرى الصداقة بين الإمامة والبلاد العربية بوضع سياسة من شأنها الارتفاع بمستوى إمامة عمان والمساهمة في نهضتها الثقافية والاجتماعية والدينية .

فرنسا في الوطن العربي

قال رئيس وزارة فرنسا اليهودي مسيو متديس فرانس : إنه يطلب إهمال فرنسا فترة من الوقت ريثما يتسنى لها حل مشكلة تونس .

والخارجة عن نطاق الحماية المفروضة ، أخذ الإنجليز يحاولون التدخل في المنطقة البعيدة عن نطاق الحماية المزعومة ، فندب إمام عمان اثنين من أفاضل طائفته وهما السيد طالب بن علي والشيخ ابراهيم اطفيش للاتصال بالجامعة العربية وطلب معونتها في منع هذا التدخل من الإنجليز بلا حق ، والشكوى إليها من احتلال الإنجليز أخيراً لمنطقة (عبري) التي هي من مقاطعة عمان طمعاً في بقروها . وإن إمام عمان يطلب الآن من الجامعة العربية معاونته في منع هذا العدوان .

واحدة البريمي

كان الدور الذي مثله الاستعمار البريطاني في مسألة واحدة البريمي المشهورة قائماً على أساس أن الإنجليز يتكلمون باسم إمامة عمان وسلطنة مسقط بدعوى أن البريمي واقعة في داخل حدود عمان ، وكانت المملكة العربية السعودية تقول إن لهذه الأرض حدوداً معلومة . وإن الإنجليز يتعرضون لقسم منها داخل في حدود المملكة السعودية . واستقر الأمر على اختيار محكمين لحل هذه المشكلة .

والآن تقدمت إلى الأمانة العامة للجامعة العربية تقارير من حكومة إمام عمان ونائبه تنكر على الإنجليز أي علاقة لهم بعمان والبريمي ، وتشكو من تضيقهم الخناق على

جغرافية كاملة) تتلاقى أمانها وأهدافها، وتتحد خططها وتتفق آلامها. وكان أبرز دليل على ذلك هو (وحدة الكفاح المشترك) التى تمثل فى مناطقها جميعا.

فرنسا وثورة الجزائر

ألقت الطائرات الفرنسية خمسين ألف منشور من أوراق الإنذار على منطقة الثورة الجزائرية فى جبال أوراس مهددة بأنها ستصب نيران غضبها وانتقامها على مراكز الثورة وأنذرت المدنيين بأن يفتقلوا بعائلاتهم ومنقولاتهم إلى المناطق الآمنة التى تخرج عن نطاق نفوذ الثأرين وسلطانهم، وحددت لذلك مهلة قننى فى يوم ١٨ نوفمبر.

وكان فى تقدير سلطات الاستعمار أنه على أثر سقوط منشورات الإنذار فى البلاد والقرى المنتشرة فى جبال أوراس والى بيسطر عليها الثوار أن يذب الذعر والرعب فى قلوب الشيوخ والنساء والفلاحين، فيتركوا بيوتهم ويقوموا بحركة هجرة تؤثر على نفوس الثوار وتضعف عزائمهم، غير أن رجال المراقبة من الفرنسيين وأذنانهم لم يروا أى أثر لهذا التدبير، ولم يلاحظوا تحركات من هؤلاء السكان تشير إلى تنفيذ ما جاء فى منشورات الإنذار ولذلك اضطرت السلطات الفرنسية وقيادة الجيش إلى إلقاء منشورات أخرى مدت فيها مدة الإنذار إلى ٢٦ نوفمبر

فرد الأستاذ عبد الخالق حسونة الأمين العام لجامعة الدول العربية بأن فرنسا خيبت آمال العرب فى حل مشاكل شمال إفريقيا، وكان أولى لها أن تحل مشاكل مراکش وتونس والجزائر باعتبارها وحدة متكاملة، بدلا من أن تقلس حلولاً سقيمة لجزء منها.

وقال الأستاذ حسونة: إن الدول العربية منحت فرنسا من قبل فرصة كبيرة لحل هذه المشكلة، وكان ذلك عندما طالبت بمهلة مائة فى أغسطس الماضى. على أنه لفت الأنظار إلى أن منح تونس الحكم الذاتى مبدئياً دون مراکش أو تجماع أمانى الجزائر لن ينتج عنه استقرار فى منطقة شمال إفريقيا، ولن تجدى معه ألف فرصة أخرى تمنح لفرنسا للوصول إلى تسوية تحقق أمانى هذه البلاد. إن فرنسا لو كانت منحت مراکش الحكم الذاتى تمهيداً لتحقيق أمانها الوطنية والحرية والاستقلال لما تطورت الحالة فى مراکش إلى ما وصلت إليه الآن من تفاقم يندب بالخطر الشديد، ويهدد السلم والأمن الدوليين فى هذه المنطقة الحساسة من العالم. وهى كذلك لو أعادت النظر فى موقفها من الجزائر وحققها فى الحكم الذاتى تمهيداً لمنحها الاستقلال الكامل لعاونها ذلك على تسوية مشكلتى تونس ومراكش.

والنصيحة التى يجب أن تأخذ بها فرنسا هى أن منطقة شمال إفريقيا تمثل (وحدة

ولايات باكستان

أعلن السيد محمد علي رئيس وزراء باكستان إلغاء الحدود الإقليمية بين ولايات غرب باكستان وإدماجها جميعاً في وحدة إدارية ذات قانون واحد وتخضع جميعاً للحاكم العام في جميع شئونها الإدارية .

وقد وافق زعماء الولايات على ذلك وهي بلوچستان ، ومنطقة الحدود الشمالية الغربية ، وبهاولپور ، وخيبر والقلمت ، والولايات الثلاث الأخرى التي تتاخم حدود آسيا الوسطى السوفيتية ، وبقيت مقاطعة السند وحدها التي لم يوافق زعمائها على هذا التعديل .

اليهود في أريتريا

كنا قد نشرنا في الجزء الأول من أعداد هذه السنة إحصاء لعدد اليهود في العالم منقولا عن المصادر الغربية ، ويغلب عليه أنه إحصاء نشره اليهود أنفسهم ، وجاء فيه أن عدد اليهود في أريتريا ٢٢٠ ألفاً ، وقد كتب إلينا فضيلة الأستاذ الشيخ وهبه محمد أبو عزيزة عضو بعثة الأزهر في أريتريا أنه تمحى الحقيقة في ذلك من المصادر اليهودية هناك ومن نفس رئيس جاليتهم في أريتريا فعمل أن مجموع عددهم هناك إلى اليوم صفراً وكباراً رجالاً ونساء لا يزيد على ٣٠٠ نسمة .

وهددوا بإزالة العقاب الشديد بمن يبق في مناطق الثوار . وتدعى السلطات الفرنسية أن مجموع عدد الأسرى التي انتقلت من المناطق الجبلية بلغ ثمانين أسيرة فأقامت القوات الفرنسية خياماً لإيوائهم .

وقد رأى الثوار أن يقفوا من قوات الاستعمار موقف المجهوم فالتحدروا من جبالهم إلى أول مخفر فرنسي فوجدوا فيه ٢٠٠ ضابط وجندي تمززم الدبابات والقوة المصفحة الأخرى ، فألقى عليهم الثوار قنابلهم اليدوية وأصلوهم نارا حامية من مدافعهم الرشاشة وأسرع الفرنسيون إلى الاحتماء وراء الدبابات ودارت معركة بين الطرفين انسحب بعدها الثوار إلى جبالهم استعداداً لما سيدور من المعارك في المستقبل .

أفغانستان والعرب

أبلغت الحكومة الأفغانية بواسطة سفيرها في القاهرة الأمانة العامة للجامعة العربية التصريح الذي أعلنه نائب رئيس وزارة أفغانستان ووزير خارجيتها وهو :

« إن أفغانستان تؤيد الحركة الوطنية العربية كل التأييد ، وإن سياسة أفغانستان تجاه قضية الجزائر وقضايا شمال إفريقيا هي تأييد القرارات التي تتخذها الكتلة العربية في الأمم المتحدة بهذا الشأن . »

بسم الله الرحمن الرحيم
 مجلّة الدين الخطيب
 الأستاذ الشيخ
 في وادي النيل
 ٤٠٠
 لطلبة وادي النيل
 ٢٠٠
 للعلماء والمدرّسين بالزوايا
 ٢٠٠
 فارجع الموائد
 ٢٠٠
 للطائفة فارجع الزوايا
 ٤٠٠
 للعلماء والمدرّسين خارج الزوايا

مجلة الأزهر
 مجلة دينية علمية جامعة
 تصدر عن شيخ الأزهر مرتين في كل شهر عربي

مدير المجلة
 عبد اللطيف السبكي
 عضو جماعة كبار العلماء
 لـلـعـنـواـلـت
 إدارة المجلة مع الأزهر بالقاهرة
 تليفون ٤٦٤١٤
 عن النسخة ٢٠ مائتا

القاهرة في ١٦ ربيع الآخر ١٣٧٤ - ١٢ ديسمبر ١٩٥٤ - الجزء الثامن - المجلد السادس والعشرون

الفهرس

صفحة	الموضوع	بسم الله
٤١٨	مرحلة الانتقال	الأستاذ عبد الدين الخطيب رئيس التحرير
٤٢١	تفحات القرآن: طسوح الانبياء إلى البنين	« عبد اللطيف السبكي عضو جماعة كبار العلماء
٤٢٤	لغويات	« محمد علي النجار
٤٢٩	عبارة وذكرى	« عبد اللطيف السبكي عضو جماعة كبار العلماء
٤٣٣	الفلة والكثرة في القرآن	« أحمد الشرباصي
٤٣٩	هذه هي الحياة	« علي المباري
٤٤٢	مظاهر الهدم في الأفلام المصرية	« أحمد طه السنوسي
٤٤٦	المصبر	« محمد مرسى محمد المنوس بمحمد الزقازقي
٤٤٨	نظرية المساواة في الفريضة الإسلامية - ٢ -	« محمد عبي الدين للسيدي
٤٥٣	عماد الدين زنكي - ٢ -	« محمد رجب البيومي
٤٥٧	إلى طلاب الأزهر الشريف	« محمد محمد أبو شبة
٤٦١	كعب بن زهير	« عبد المطلب صلاح
٤٦٦	التقاوى	لجنة الفتوى
٤٦٩	ركن الطلبة { سيادة العالم العاملين البارودي الشاعر البطل	موسى صالح شرف بكلية اللغة العربية
٤٧٤	الادب والعلوم	محمد الهسوقي بمحمد للتصوره
٤٧٧	أنبا - العالم الإسلامي	« المجلة »

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مرحلة الانتقال

الأم في تطورها كالمولود في تدرجه من الطفولة إلى الصبا فالمرحلة والفتوة والكهولة والشيخوخة . وهل يشعر الطفل بانتقاله من طفولته إلى الصبا وهو لا يذكر إلا أمسه ويومه يتكرران ولا يدرك ما يعتريه فهما من تفاوت 1 حتى إذا صار صديا نسى أنه كان طفلا .

والأجيال في الأم كالأيام في الأفراد : يتصل جيل الأمة بالجيل الذي كان قبله وبالجيل الذي ينشأ بعده كما يتصل يوم الطفل بأبيه وغده ، فلا يدرك الجيل ما يعتريه — بين أمسه وغده — من تفاوت . أما الذين يراقبون الأم في مراحل تطورها كما يراقب الأبوان طفلها في مراحل نموه ، فينظرون إلى الجيل الواحد من عمر الأمة كما ينظر الأبوان إلى اليوم الواحد من عمر طفلها ، ويرون فيه من تطور الأمة وانتقالها من مرحلة إلى مرحلة ما قلنا يراقبه سائر الناس ويرونه .

نحن الآن في مرحلة انتقال ، ما في ذلك شك . وقد يكون في هذا الانتقال من الخير ما يسديه الله للناس ، وفي استطاعة الناس أن يزدادوا منه الكثير بما يسلكونه فرادى وجماعات من طرق الخير . وقد يكون مع هذا الخير طوائف من الشر الذي تفرضه الظروف ، وفي استطاعة الناس أن يطفوا من سوره ويخففوا من وطأته بما يسلكونه فرادى وجماعات من طرق الحكمة وحسن التصرف .

وكا أن الناس في بيوتهم مطالبون باتخاذ أسباب الوقاية الصحية والخلقية لأنفسهم وأولادهم ليخففوا من عوادي الأمراض ، وليتقوا أسباب الانحطاط الخلقى ، كذلك الأم — ولا سيما في مراحل الانتقال — مطالبة باتخاذ أسباب الوقاية الملية والخلقية والاجتماعية في أوطانها ، لتمتع بما يسديه الله لها من خير ، ولتبتعد عما يشوب هذا الخير من شر قد تقتضيه الظروف .

مرحلة الانتقال ماضية في طريقها ، وهي متأثرة بعوامل علمية مشتركة بين بني الجيل في الإنسانية كلها ، ولا سيما بعد أن تيسرت وسائل الاتصال وأسباب العدوى والتقليد بين المشارق والمغارب ، وعاد الناس كأنهم أسرة واحدة كما كانوا في دهرهم الأول . وفي مجموع

الأسرة الإنسانية من المحاسن ومحمود الوسائل ما ينبغي لنا الاستعانة به على ما نفقده لسكياتنا القومى والملى من سعادة وقوة ، كما أن هذا الاتصال العالمى قد يحمل إلينا من التوافه والنزعات والمفريات والموبقات ما يعارض مصالحنا القومية ومبادئنا الملية وأهدافنا نحو الحق والخير . وهذا ما ينبغي للعقلاء من الآباء والمدرسين والوعاظ والناصحين أن يتعاونوا مع ولاية أمور هذا الشرق الإسلامى على اتخاذ أسباب الحيلة منه ، وإبعاد أبناء الجيل عن الوقوع فى حباله ، وهو أعظم مظاهر الوقاية ، والوقاية أخت التقوى .

من ألف سنة إلى الآن لم تكن مسئولية الآباء المسلمين نحو أبنائهم ، والمدرسين المسلمين نحو تلاميذهم ، والوعاظ المسلمين نحو الجماهير التى يعظونها ، والناصحين المسلمين — من طريق الصحافة والتأليف والمحاضرات — نحو الذين يكتبون لهم أو يحاضرونهم ، مسئولية جسيمة بكسامة مسئوليتنا هذه ، فى أيامنا هذه ، وفى مرحلة الانتقال بوجه خاص .

إن الجيل من أبنائنا الذين يستقبلون الآن مرحلة الانتقال يحتاجون إلى كل ما تزودهم به هذه المرحلة من فنون الإدارة والتنظيم ووسائل القوة والتعليم وأساليب التربية والتقويم ، وهم يحتاجون مع ذلك فى وطنيتهم إلى أن يكونوا مواطنين صالحين مصلحين فى هذا الوطن ، وإلى أن يكونوا فى إسلامهم مسلمين أوفياء للإسلام عارفين بمحاسنه مؤمنين بسقته وأنظمته وقواعده ، وإلى أن يكونوا فى عرييتهم وعروبيتهم متمكنين من أدبهما ، معترزين بأجمادهما ، محفظين بموارثهما ، وأن يكونوا فى إنسانيتهم متعاونين مع جميع بنى الإنسان على الخير والحق ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا .

فأهم ما نحتاج إليه فى مرحلة الانتقال أن نعرف من يتعاون معنا على الحق والخير ، فتعاون معه كما يتعاون الأصدقاء المخلصون . وأن نعرف من ينكر علينا الحق ويمنع عنا الخير فنفستعد لانتزاع الحق منه إلى أن يسلم لنا به ، ولكف يده عما يمتنع من خير إلى أن نتمكننا منه . والامة التى تعرف صديقها وتعرف كيف تتعاون معه ، وتعرف عدوها وتمش على استعداد لدفع عادته عنها ، هى الامة التى عرفت طريق الأمان فى مرحلة الانتقال نحو أهدافها .

ولأجل أن نبلغ هذه المنزلة من الوعى القومى والملى نطمح من عقلائنا وقادة الراى فىنا أن يدرفوا هذه الامة فى مرحلة انتقالها بما ينبغي لها أن تأخذه وما ينبغي لها أن تدعه .

نحتاج في مرحلة الانتقال هذه إلى أن نجهز أوطاننا وسكانها بكل ما نحتاج إليه ونستغنى به من الصناعات في السلم والحرب ، ولهذه الصناعات علوم ووسائل يجب أن يتعاون كل فريق منا - في نطاق اختصاصه - على استكمالها ، ثم على ممارسة فنون الإدارة لتثبيتها واستمرارها وتقدمها .

ونحتاج في مرحلة الانتقال إلى أخلاق تتعامل بها ، وتعاون في نهضتنا ببادل الثقة عن طريقها ، وبغير أخلاق يستحيل علينا أن نهض باقتصادياتنا ومستوى معيشتنا واستكمال أسباب قوتنا . وخير الوسائل لاسترداد الأخلاق الرجوع إلى الله من طريق هذا الإسلام المظلوم بانتسابنا إليه ، والموجود فينا باسمه وعنوانه ، لا بسننه وآدابه وسلطانه على النفوس . وقد آن لنا أن نفتقل - مع مرحلة الانتقال - من شكليات الإسلام إلى ما ينبغي أن يصحبها ويلازمها من حقائقه ومرايمه وأهدافه . وسبيل ذلك أن ندرس أحكام الأخلاق الإسلامية كما ندرس أحكام العبادات وأحكام الأحوال الشخصية في الفقه الإسلامي . والتقوى روح الأخلاق الإسلامية ، وإنما صارت غريبة فينا منذ هجرنا أخلاق الإسلام وزهدنا في تتبع النصوص عن أحكامها ، ونحرمي القدوة فيها باستعراض سيرة رجال الأخلاق في التاريخ الإسلامي ، وقد كانوا زينة الدنيا ومفخرة التاريخ ، بل الإسلام نفسه رسالة أخلاق ، وما منا إلا من يحفظ كلمة الهادي الأعظم صلى الله عليه وسلم ، بعثت لاتمم مكارم الأخلاق .

ويوم نرجع بأخلاقنا إلى سنن الإسلام وآدابه فتخلق بها ، منعجب هذا الإسلام إلى شائبه من بنيه والأجانب عنه ، ومنعظمه في نظر شعوب الأرض ، وسيعظم الإسلام وأهله ذلك فنبعث في مستقبلنا بعثا جديدا .

ونحتاج في مرحلة الانتقال إلى استغلال الكثرور التي ورثناها عن الماضي في تربية أوطاننا وما ينطوي فيها من معادن وثروات ، وفي قوى نفوسنا وما يكن فيها من استعداد للخير ، وفي دور كتبنا ، وخزائن علومنا ، مما لو تفرغ أهل التخصص منا لدراسته وتحقيقه وتنظيمه وبعثه ، لا اكتشافنا في ذلك من المفاخر والمعارف وبواعث الهوى ما تكون منه مصايح هداية لأجيالنا التي تستقبل مراحل انتقالها وهي على مفترق الطرق فتعرف - بأنوار هذه المصايح - الطريق الذي يليق بها أن تسلكه إلى المستقبل السعيد .

حسب الدين الخطيب

نفاية القرآن

- ٢٣ -

٢ - طموح الانبياء إلى البنين

يا زكريا : إنا نبشرك بغلام
اسمه يحيى ، لم نجعل له من قبل سميا

للانبياء مقامهم عند ربهم ، ولهم ميزاتهم على غيرهم ، ومكاثبتهم الرفيعة بين سواهم من الناس .
ولكن ذلك كله لا ينأى بهم عن حظيرة الإنسانية ، ولا يخرجهم عن خصائص البشرية ،
فبينهم وبين الخلق وجوه من الشبه في كثير من المعاني الفطرية .

وليس ينقصهم ذلك فيما بلغوا من المنزلة ، ولا فيما أضفى عليهم ربك من المواهب ،
وشرفهم به من المحامد ، وخصهم به من الفيض ، بل لعل في هذا الامتياز - وم أناس من
الناس - ما يؤكد فضاهم ، ويفصح عن عظيم شأنهم .

وكان النبي محمد - صلوات الله وسلامه عليه - يتلقى من الوحي ما يواجه الناس به في ذكر حقيقته
مشفوعة بذكر فضيلته (قل إنما أنا بشر مثلكم ، يوحى إلى أنما إلهمك إله واحد) .

١ - فلم يعد غريباً على زكريا - عليه السلام - أن يشغفه حب الولد كما يشغفنا ، ولا أن
يردد الدعوات كما ترددها ، ولكن دعاءنا مشوب ، ودعوات زكريا طيبات صافيات .

٢ - وحينما انجحه زكريا إلى مناجاة الله بالرجاء ، كان غاشعاً كدأب الانبياء ،
ومنتخسماً كما يفعله منا الصالحاء .

وهذا مقام الدعوات : يقتضى على المرء أن يعترف لله بفضلته ، ويذكر نفسه بضعفه
ومجزؤه ، ويلتمس أمانيته بالرجوع إلى ربه ، وكذلك صنع زكريا . إذ نادى ربه نداء خفياً ،
قال : رب إني ومن العظم منى ، واشتعل الرأس شيباً ، ولم أكن بدعائك رب شقياً ،
فزكريا يتمدح إلى الله بأنه سعيد بقبول الدعوات من قبل ، فإذا جاش في نفسه الأمل
في الولد ، وساوره اليأس لكبر سنه ، وعقم زوجته ، فإن ما بينه وبين الله من صلة النبوة ،
وإن سابق عهده بقبول دعواته ، ليصرف عنه اليأس ، ويزيده تعلقاً بالرجاء .

٣ - وهذا أمر مشهود لنا : حينما يملكنا الأمل ، ويشد بنا الحذر من فواته . يحس الإنسان بخلجات نفسية فيها بشاشة الثقة بالله ، والاستئناس بكرم الله ، وقد يرجع الواحد منا على نفسه باللائمة ، لما فرط منه سابقا ، ويتجه بالتوبة إلى الله من وقته ، ليكون تجديد عهده مع الله وسيلة إلى قبول دعواته . وإذا مس الإنسان ضرر دعا ربه منياً إليه .

وإذا كان حسن الصلة بالله منار الاطمئنان إلى قبوله الدعوات ، فاظنك بالأنبياء وهم صفوة الله من خلقه ؟ وآية ذلك أن زكريا يتلقى البشرى من عند الله على لسان الملائكة بتحقيق ما طلب .

بل تزيده طمأنينة بتسمية مولوده (يحيى) وبأنه اسم اختاره ربه لم يسبق إليه أحد ، وفي ذلك قدر من النجاح غير محدود .

٤ - ولكن زكريا - كإنسان - يزيده ذلك إيمانا في الطلب ، ويشد تعلقه بالحصول ، ويتمجل الوقت الذي يرى فيه حديث نفسه أمراً واقعاً ، ليستقبل النعمة في بواذرها ، ويعيش في ضوئها أنما من بقاته في انتظارها ، وليشكر عليها من أول وقتها زيادة في تقديرها ، ووفاء بحققها إلى من جامله بها .

٥ - وهذه سنة الاختيار من الناس في الاعتراف بالجميل لأهله ، وشكر النعمة لمسديها . وهي شرعة الله لمن عرف لصاحب الفضل فضله ، ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله ، وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها ، أى بالشكر وحسن التقدير .

أراد زكريا أن يتعجل ما بشر به ، فقال : « رب اجعل لى آية » : علامة أعرف بها قرب استملال الولد الموعد ، فقال سبحانه : « آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا ، واذكر ربك كثيراً ، وسبح بالعشى والإبكار » وقد حصل ، فلم يعد زكريا يستطيع الحديث مع الناس ، إلا رمزاً بالإشارات ، مع سلامته من الآفات كلها ، كما يشهد بذلك قوله تعالى : في آية أخرى : « آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سوياً ، أى لن تستطيع المحادثة في ثلاث ليال بأياها ، مع كونك سوى الخلق ، غير مؤوف بآفة ما » واذكر ربك كثيراً وسبح بالعشى والإبكار .

وهكذا خرج زكريا من محرابه - ساعة أن تلقى البشرى ، وعرف العلامة - غير قادر على الكلام ، فأشار إلى أهله وخواصه إشارة أروحت إليهم أن يفعلوا مثل ما يفعل ، فيكثروا

من التسبيح والذكر لله . بكرة وعشيا : أول النهار وآخره ، وبذلك يكون زكريا قدوة لأولئك ، في مداومة العبادة ساعة القدرة عليها والتفرغ لها ، ويكون مُعَانَا منهم باشتغالهم معه بهذا النوع من الشكر المرسوم لهم .

وكذلك حقت كلمة ربك المفسودة المشكورة ، وصدق الله وعده ، فكان لوكريا ولده يحيى ، وكان يحيى موضع الرعاية من ربه ، وابتدئته العناية بالنبوة ، ليكون خلفاً طيباً لسلف طيب ، وهكذا قال ربك فيهم : ذرية بعضها من بعض ، فما لبث (يحيى) أن أوحى إليه ، وأعطى الحكمة والعقل الراجح ، وهو في صبوة من السن ، إذ لم يكن تجاوز السابعة على أكثر الأقوال ، يا يحيى خذ الكتاب - التوراة - بقوة وآتيناها الحكم صيبا ، وحنانا من لدنا وزكاة وكان تقيا ، وبراً بوالديه ، ولم يكن جباراً عصيا ، فهذه صفات الكمال تفضل الله بها على يحيى : نبوة مبكرة ، وحكمة بالغة ، وحنان وعطف عليه من الله ، وعطف منه على الناس ، وزكاة وتقوى ، ففيه طهارة فطرية ، وفيه تقوى عملية ، وكان باراً بوالديه أقوى ما يكون البر من ولد مهدى ، لأبوين كريمين من خيار الأخيار ، ولم يكن فيه أثر من تجبر ، ولا شائبة من كبرياء ، ولا نقیصة في طاعته لربه وأبيه ...

فكان قرة والديه في حياتهما ، وذكرى طيبة لها بعد وفاتهما ، وقد زاده الله تكريما ، فألقى عليه سلامه وحياءه به تحية دائمة حتى يلتق ربه يوم يبعث من في القبور . وسلام عليه يوم ولد ، ويوم يموت ، ويوم يبعث حيا .
عود على بابه :

في هذه الذكريات توجه لنا إلى ابتغاء الذرية ، والعمل على أن تكون ذرية مرضية ، ولأن أخذها بالترية ، ولنسكن قدوة حسنة لها فيما نقول ونعمل ، وفي الدين والدنيا ، حتى تكون الذرية متعة الحياة ، وعونا على شئوننا ، وذخراً بعد الممات ، نفتنح بدعوانها ، وصالح أعمالها . والمرزوق بالذرية مأجور عليها ، إذا رعاها وراقب ربه فيها ، والمحروم من الذرية مأجور على الرضا بما قدر له ، إذا صبر على الحرمان ، واطمأن إلى قسمة الله في خلقه ، والله حكيم في صنعه . يجب لمن يشاء إنانا ، ويجب لمن يشاء الذكور ، أو يزوجهم ذكرانا وإنانا ، ويجعل من يشاء عقيلا ، إله عليم قدير .

وسلامٌ على زكريا ويحيى ، وعلى جميع النبيين والمقتدين بهم أجمعين ؟

عبد اللطيف السبكي

عضو جماعة كبار العلماء

لغويات

أما وقد أقبل الشتاء فالبس ثياب الصوف

يكثر استعمال «أما» في الأسلوب الذي أوردت. ورأيت كثيراً من الفضلاء يقرأ «أما» بتخفيف الميم. وتلج الخلاف بيني وبين أحدم دمرأ وهو لا يزداد إلا إصراراً على رأيه. «أما» مخففة الميم في مثل هذا المقام تكون لتفنيه السامع لما يلقي عليه، وتعرف بأما الاستفتاحية. وأذكر لاستاذنا الشيخ سيد المرصني - عليه الرحمة والرضوان - كلمة فيها وفي ألا الاستفتاحية. فقد قال: «هي جرس يقرع أذن السامع ويحفزه إلى الانتباه. ومن مواردها قول أبي صخر الهذلي:

أما والذي أبكى وأضحك والذي أمات وأحيا والذي أمره الأمر
لقد تركتني أحسد الوحش أن أرى أليفين منها لا يروعهما الذعر

وهذه يكثر بعدها القسم كما في الشعر الذي ذكرت.

وكان يصرفني عن هذا الرأي أن أما الاستفتاحية لا يأتي بعدها الفاء، ولا يليها جملة الحال، وإنما يليها في أكثر الأمر القسم. وعندى أن «أما» في هذا الأسلوب مشددة الميم، وهي أما الشرطية، مثلها في نحو أما الصدق فنج، وقوله تعالى: «فأما اليتيم فلا تقهر» وقد وقعت جملة الحال فاصلة بين أما والفاء كما هو الواجب فيها لإصلاح اللفظ؛ فإنه لم يعد أن تلي الفاء الواقعة في الجواب أداة الشرط. وأذكر هنا أن ابن هشام في المغني حصر الأشياء التي تفصل بين أما والفاء في ستة ليس منها الحال، وتبعه الأشموني في شرح الالفيه. وكان هذا لا يثنيني عن رأيي لأن ابن هشام ذكر من الأشياء الستة الظرف، نحو أما اليوم فأنا ذاهب، والحال يجري مجرى الظرف، وكنت أعجب من سكوت النحاة عن الحال حتى وجدت الرضي في شرح الكافية صرح من الفواصل بالحال فتلج صدرى لذلك. وهاك كلام

الرضى (ص ٣٩٦ ج ٢) : « وكذا يتقدم على الفاء من أجزاء الجزاء المفعول به أو الظرف ، نحو أما اليقيم فلا تقهر ، وأما يوم الجمعة فأنا ذاهب . . . وكذا غير ذلك من معمولات الجزاء كالحال ؛ نحو أما مجرداً فأنا ضاربك ، والمفعول المطلق ، نحو أما ضرب الأمير فأنا ضاربك ، والمفعول له ، نحو أما تأديباً فأنا ضاربك . »

وعزز من رأيي في التشديد « أما » أني وجدت ما ورد من هذا الأسلوب مشكولاً بتشديد الميم فيما يوثق بضبطه . فقد جاء في اللسان (صرر) : « وكل شيء جمعه فقد صرره . ومنه قيل للأسير مصرور ؛ لأن يديه جمعتا إلى عنقه . ولما بعث عبد الله بن عامر إلى ابن عمر بأسره قد جمعت يده إلى عنقه ليقتله قال : أما وهو مصرور فلا ، وضبط فيه « أما ، بالتشديد كما ترى . وجاء هذا الخبر في الأموال لأبي عبيد ١٣٣ ، وضبط فيه « أما ، بتخفيف الميم ، والضبط فيه لا يوثق به ، فلم تراع الدقة فيه . »

وأذكر في هذا المقام حديث عبيد بن الأبرص مع المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة . فقد كان للنذر يومان في السنة : يوم نعيم ، يعطى أول من يقبل عليه مائة من الإبل ويحسن حياته ، ويوم يؤس يقتل أول من يطلع عليه فيه ويشدد في عذابه . وكان عبيد أوقفه القدر في يوم يؤسه ، فنبه الملك بمكانه في الشعر وسيرورته وأن من الخير أن يعفو عنه ليحسن فيه المدح . وأنتقل من ديوانه المطبوع في أوربة المحاورة الآتية : « فقال (الملك) : قل في مديحا يسير في العرب . قال : أما والصبار فيما عجّل فلا . قال : نطلقك ونحسن إليك . قال : أما وأما أسير في يدك فلا . قال : زدك إلى أهلك وتلتزم رفدك . قال : أما على شرط المدح فلا ، وضبط فيه « أما ، بالتشديد . والصبار وصف من صبره : أوقفه . »

ومما يؤيد ما نحن فيه أن الجملة الحالية في هذا الأسلوب قد يكون مكانها الظرف . ومن ذلك أن أعرايا ألف الحضر ستل : أما تريد البادية ؟ فقال : أما مادام السعدان مستلقيا فلا . والسعدان نبت ترعاه الإبل وتسمن عليه . وجاء هذا الخبر في اللسان (سعد) وأوائل كامل المبرد ، وضبط فيه أما بالتشديد . وفي الكامل بعد الخبر : « يريد أنه لا يرجع

إلى البادية أبداً ، كما أن السعدان لا يزول عن الاستلقاء أبداً . . والتعاريء يرى أنه لو قال :
أما والسعدان مستلق فلا لأدى المعنى الذى أرادته ولم يخزم منه شيئاً .

وجاء فى ديوان ابن نباتة ٤٨ قوله يعزى بامرأة :

تفدى كرام الحى منكم كرائمه يآل بيت العلا والفضل والحسب
أما وقد بقيت علياً سمائمكم فما يعثر زوال السبعة الشهب
وليس فى الديوان ضبط لهذا الموضع ، وهـ أما ، على ما ذكرت مشددة الميم فليس
فى جزئها من العروض زحاف ، وهو من البسيط .
وجاء فيه فى ص ٢٥٥ :

لقد كنت فى لذات ثغرك هانما ليالى لم يُمنع على عاشق ثغر
فأما وسرّ دونها من شوارب فلا خير فى اللذات من دونها سر
وترى أن هـ أما ، فيه مشددة البتة ، وهذا وفق ما رأيت فى هذا الأسلوب . وقوله :
« سر ، كذا فى الديوان ، وكأنه محرف عن « سر » ، ويشهد لهذا أن أصل هذا الشعر
قول أبى نواس :

فبح باسم من تهوى وذرى من الكنى فلا خير فى اللذات من دونها سر
وجاء فيه فى ص ٥٥٨ :

ما أحسن للعيش فى هينى وأنت به أما وأنت بأ كفاف التراب فلا
وهذا كالبيت الأول .

أما تعلم أن مكة أم القرى . ما تزورنى فإني مشتاق إليك

سألنى بعض الباحثين عن مثال تدخل فيه همزة الاستفهام على ما النافية ، فذكرت له :
أما تزورنى غداً ، فرد على أن هـ أما ، فيه للعرض ، وهى فى رأى بعضهم بسيطة غير مركبة
من الهمزة وما ، فذكرت له المثال الأول المصدر به البحث ، وهو : « أما تعلم أن مكة
أم القرى » ، فلا يبين هنا العرض ؛ فإن العرض هو الطلب برفق ، ولا مكان له هنا ،

ولا يبين أن تكون للتفيه فنكون استفاحية ، إذ ليس المراد الإخبار بأنه يعلم ، وإنما المراد بعته على أن يعلم أو تقريره بأنه يعلم . فأما في المثال مؤلفة من همزة الاستفهام التقريرى وما النافية ، والمراد التقرير بما بعد النفي ، مثلها في قوله تعالى : « ألم نشرح لك صدرك » .

ومما هو واضح في هذا المعنى قول يحيى بن وائل :

أما أقاتل من دينى على فرس ولا كذا رجلا إلا بأصحاب
لقد لقيت إذا شرا وأدركنى ما كنت أزعج فى خصمى من العاب

وقد ورد هذا الشعر فى نوادر أبى زيد ، وفيه : « قوله : رجلا معناه : رجلا كما يقول العرب : أنا فلان حافيا رجلا أى رجلا . كأنه قال : أما أقاتل فارسا ، ولا - كما أنا - رجلا إلا ومعنى أصحابى أفقد لقيت إذا شرا ، أى إني أقاتل وحدى ، وترى أن « أما ، هنا لاتصلح للمرض ولا للاستفاح ، وإنما هى الهمزة وما النافية ، وانظر كيف عطف « ولا كذا ، عليها ، ولا يكون ذلك إلا مع النفي ، وانظر قوله فى البيت الثانى : لقد لقيت إذا ، فإن المراد : إذا لم أقاتل إلا كما وصفت ، وهذا مع قوله : إلا بأصحاب قاطع فى أن « ما ، فى « أما ، نافية ؛ فإن هذا استثناء مفرغ وهو لا يكون إلا بعد النفي . ومما يقطع بهذا قول ابن محمّد :

أنى كل عام غربة وتروح أما للنوى من وثبة فترج

وأذكر هنا أن ورود أما للمرض يمله أكثر النحويين . ويذكر صاحب الجنى الدانى أن الذى مرض لهذا هو الماتى صاحب رصف المباني ومن قوله : « قلت : وكون أما حرف مرض لم أره فى كلام غيره . والظاهر أن (أما) فى هذه المثل التى مثل بها مركبة من الهمزة وما النافية ، فهما كلمتان ، وقد ذكر هو وغيره أن أما تكون همزة استفهام داخلة على حرف النفي فيكون المعنى على التقرير كما فى ألم . وترى نحو هذا فى المعنى فى مبحث « أما » .

وقد ذكرنى البحث فى « أما » بما هو جار فى لسان العامة من إدغال « ما » على الفعل

يراد إثباته لا نفيه . يقولون : ما قلت لك إن الحالة حسنة ، أى قلت لك ذلك ، ويقولون : ما تذاكر دروسك فالذاكرة سبيل النجاح ، وإنى أرى أن د ما ، هذه مخوفة من د أما ، . فقله : ما قلت لك أصلها : أما قلت لك ، والاستفهام هنا للتقرير ، وقوله : ما تذاكر أصلها : أما تذاكر ، وهنا د أما ، للعرض . وحذف الهمزة في أما ذكره ابن السيد البطليوسى فى شرح شواهد الجمل للزجاجى ، واستشهد عليه بقول الشاعر :

ما ترى الدهر قد أباد معداً وأباد السراة من قوم عاد

فقله : ما ترى أصله : أما ترى . ويتكلف ^(١) الدمامينى فى البيت جعل ما نافية دون تقدير الهمزة ويحمل الكلام على الإخبار لا على التقرير . وذلك أن المخاطب لما كان فى غفلة عما يعله من حوادث الدهر كان كالجاهل بذلك فنزل منزله ، وتحدث عنه الشاعر أنه لا يعلم أن الدهر أباد معداً ، وهو تكلف أسهل منه تقدير الهمزة ، وقد عهد حذفها كثيراً فى فصيح الكلام .

وورد فى البخارى فى كتاب الزكاة : د كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بالتمر عند صرام النخل ، فيجىء هذا بتمره ، وهذا بتمره ، حتى يصير عنده كوماً من تمر . فجعل الحسن والحسين رضى الله عنهما يلعبان بذلك التمر . فأخذ أحدهما ثمرة فجعلها فى فيه . فنظر إليه الرسول - صلى الله عليه وسلم - فأخرجها من فيه ، فقال : أما علمت أن محمداً لا يأكل الصدقة ، وفى رواية : ما علمت . وعرض لهذه الرواية الأخيرة ابن مالك فى كتابه شواهد التوضيح لمشكلات الجامع الصحيح - وقد طبع فى الهند - لحمله على حذف الهمزة من د أما ، وذكر كلام البطليوسى واستشهاده ، ومن كلام ابن مالك : د ومن روى : ما علمت فأصله : أما علمت ، لحذف همزة الاستفهام ؛ لأن المعنى لا يستقيم إلا بتقديرها ، ٢

محمد على النجار

عبرة وذكرى

نحن مع طلاب الإنصاف فيما ينبغي أن نأخذ به أنفسنا نحو تلك الأحداث التي شغلتنا في هذه الأيام عن كل شيء سواها ، وفي الرجوع إلى الضمير لتعرف إلى أي حد أدينا واجبتنا ، أو تخلفنا عنه في التمكن لهذه الأحداث ، أو في مقاومتها قبل أن يستفحل شرها .

ولكن الذى نود أن نأخذ به أنفسنا كذلك ألا نحيف بالحقيقة فيما نذكر ، حتى يتلقاها الناس غير مشوبة بالغرض ، وحتى يأخذها التاريخ هنا غير مدخولة .

فإننا شهداء تلك الأحداث ، والشاهد أمين صادق عدل فيما يجب عليه حين الرواية . وما يليق به أن يحتذى بالضمير ، ويتمسح بالإنصاف ، ثم يقص ما ليس في شيء من ذلك ، فإن هذا جناية على التاريخ ، وعلى الأجيال التي تأخذ عنا بعد .

هؤلاء : هم الإخوان المسلمون — فيما كانوا — قاموا حول فكرة لم تكن من قبل مربية ، ولم يكن من حق أحد أن ينتمى منها ، فالدهوة إلى الدين : إن تكن أول واجب للعلماء ، فهي واجب كل مسلم أوقى حظا من علم ديني ، واستطاع به أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر . .

وليس يعنى المسلم المثقف من واجبه نحو دينه أن له عملا يشغله ، أو أن له ثقافة أخرى تستأثر به

وحسب القادر على الدعوة براءة لنفسه أن يصلح بها فيما يتصل به ، وفيما يستطيع أن يجهز بدهوته حتى تبلغ .

يستوى في ذلك رجل الأزهر وغيره ممن فرضناه مسلما عارفا ، فضلا عن أن يكون على علم ديني غزير .

في ظل هذا المبدأ قامت طائفة الإخوان ، وما عرف أحد أن لها ماربا آخر تسعى إليه ، وأن لها وسائل خفية تعتمد عليها ، وقطعت أشواطها غير مفهوم سرها ، حتى آل أمرها

إلى ما آلت إليه ، وتبين أنها كانت تغرى الشباب المتعلم بالمراكز في وظائف الحكم ، وتغرى العمال بالثراء ، وتنحجب إلى ذوى العقليات المستنيرة ، بأنهم أجدر من سوامهم بالسيادة والجاه ، حتى تغفلت الفكرة ، وطفئت المطامع ، ولم يعد الدين إلّا لونا يبتهج به من انحدر في الجماعة من البسطاء ، وهو يتمجّل الأمل المنشود له ، فإن لم يظفر به فهو إلى الجنة لاشك .. فلم تكن حاجة الناس إلى الدين هي وحدها السبب الأول والآخر في ركوب الشباب وغير الشباب إليهم ، ولذلك اندمج فيهم من يعمل للشيوعية ، ومن يرتكب المآثم ، ولم يعرف بين خواصه بوازع الدين .

والقائل بأن الرغبة الدنيوية هي كل السبب لا يجمل السوابق التاريخية في الآفاق ، وفي طول الحياة الدنيوية وعرضها ، ولم تكن جماعة الإخوان إلّا مثلاً جديداً لتلك السوابق .

فإيهام الناس أن الحاجة إلى الدين هي التي ألقت بين تلك الجماعة كلها ، وأن قعود الأزهر عن واجبه ، هو الذي مكن لهذه الجماعة أن تتألف ، وأن تكون خطراً في العمولة ، كلام له خبيء ، وهو زعم غير منصف ولا صادر عن الرجوع إلى الضمير ، وأقرب ما يفهم منه أنها محاولة للصق التهم بالأزهر من أبعد الطرق .

وأحسبهم لو احتكوا إلى الضمير وتوخوا الإنصاف - كما رغبوا إلينا - يشهدون أن الأزهر يبلى بلاءه الحسن في القيام برسائله ، وأنه دائماً يستخدم وسائله الممكنة المشروعة في بث الدعوة الإسلامية ، وبيان الحلال البين ، والحرام البين ، وفي تعليم الناس ما بين الحلال والحرام من أمور مشتهات .

هم لا ينسون ولا ينسى الناس معهم أن الأزهر كثيراً ما خوصم وخاصم ، وكثيراً ما تعرض لغمزات الأقلام المتكسبة في سبيل دفاعه عن الحلال ، ودفعه للحرام ، ولم يكن سوى هذا بين الأزهر وبين المتأولين له عن لا يزالون يقفون في وجهه ، كلما طاب لهم أن يناوئوا .

فإذا تحدث الأزهر في شيء من رسالته قالوا له : لست وصياً على المسلمين ، وإذا أهاب بالدعوة إلى أدب القرآن قالوا : نحن نفهم القرآن أكثر من أهل الأزهر ، وإذا بين مخالفة الناس لسنة الرسول فيما بينهم من شئون ، قالوا : وما قيمة السنة التي تأتونا بها أمام عقولنا وأفهامنا الخ .

بهذا ونحوه يقفون في وجه الأزهر .

وما رأينا يوما من ينهض إلى تحكيم الضمير فيقول لهؤلاء العباقرة : تجاوزتم ما يصح أن يقال .

ولأننا نرى اليوم من يحتكم إلى الضمير ليلقى على الأزهر جنابة غيره حاسبا أنه منصف . قيل فيما قيل : لو تعرف الأزهر واجبه ، واتخذ لهذا الواجب وسائله ، لما قامت جماعة الإخوان ، ولا راجت دعوتهم .

والأزهر لا يرضى - من قبل ولا من بعد - أن يسلك في دعوته طريق الإغراء بالوظائف والثراء والسيادة والجاه ، والتهوين على الأغرار من جريمة الدماء ، وزحزحة الحسكام عن مراكمهم ، فتلك هي الجاذبية التي جعلتهم يتسكنون . وفيما عدا ذلك فالأزهر سابق إلى غايته من كل سبيل مشروعة ، وما نحب أن نطيل في شأن بلبسه المصغون إلى الدعوة الدينية من منافذها المفتوحة ، وهم كثيرون وكثيرون جداً ، والحمد لله .

وقيل فيما قيل : لو فعل الأزهر ما يفعله القساوسة في فرنسا وإيطاليا وألمانيا وأمريكا لكان قائماً بواجبه .

ونحن لا ندرى مقدار هذا التفضيل من الصحة ، فكل شيء مما هنالك يعجب بعضنا ولو لم يعجب أهله .

ولسنا نرى من وراء الحجب ما لا سبيل إلى رؤيته من تلك الوسائل التي يطلبونها إلينا ، ولأننا نعرف وسائل كريمة يقرها الدين ، ولا يرهقنا بأكثر منها ، ولا تعلق بها الشبه ، وهي التي يتذرع بها الأزهر في دعوته ، ويضاعف بها من نشاطه في الرسالة التي يفض منها آخرون .

نعودنا من أناس يبتنا أن يناهضوا الأزهر غير متشدين ، وليس بين الأزهر وبينهم إلا مثل ما بين الرشد والقي والحق الباطل .

ولعلها بضاعة يرونها جديدة ترضى أهواء من لا يمتنون في الحقائق .

ومهما صاحوا في وجه الأزهر ، واتهموه يوماً بأنه لم يبد حكم الله في شأن المفسدين من الإخوان ، أو اتهموه - حينئذ أبلى الحكم الديني بعد أن تكشفت غوامضه - بأنه جبان في فتواه ، إذ لم يذكر فيها أسماء المنحرفين من الإخوان على وجه التعيين : مهما كلفوا أنفسهم تلك المصیحات ، فأمرهم هين .

ولكن الذى لا يهون الرضا عنه ، أن يكتب عالم كاتب ، له مكانته الادبية ، ثم هو يجارى أولئك فى التعامل على الأزهر بغير حق ، والمهد به أن يتسامى عن هذه المهارات - وهو أولى بذلك - وأن يجنح بنفسه إلى حكم الضمير .

وما رأى العالم الجليل والكاتب الكبير فى أن الأزهر دعاه صريحاً إلى التعاون معه فى القيام بالدعوة الدينية الإسلامية ، ورحب الأزهر به كسلم له ثقافة أزهرية واسعة ، وثقافة غربية واسعة ، وعليه واجب دينى فى الدعوة ، ولا يعفيه من واجبه هذا أن يقف عند النقد ، دون أن يدلى برأيه مع الأزهر فى الناحية التى تتهبأ له . . . والأزهر الصريح لم يكن مراثياً فى هذه الدعوة .

ولإنما هى روح طيبة تكره المحصورات ، وتذى الحزازات ، وتحقر الأنانية ، وتجنح إلى المسألة التى يرتضيها الدين ويأمر بها القرآن .

وعند تلبية الدعوة عملياً تتاح الفرصة للكاتب الجليل أن يفصل لنا ما أجمله عن القساوسة ، وأن يبصرنا بما غاب عنا من الوسائل المجدية فى اعتباره ، ويكون تعاونه - على أى نحو - مبرئاً لذمته من واجبه أمام الله ، ويكون أجدى نفعا من إثارة الريبة ، وتكلف الاعتذار ، واصطناع التلطف . أما التخلف من عالمنا الجليل عن واجبه الأول نحو دينه ، ثم صيحه بالنقد والتشنى ، فأمر لا أراه جدلاً ولا مستساغاً .

وأخيراً لم تخير الكاتب الجليل لنفسه أن يتفرد بالكتابة فى الغمز فى الأزهر بهذه المناسبة البعيدة عن الأزهر ؟ . ولم تخير أن تكون كتابته هذه عقب البيان الذى نشرته جماعة كبار العلماء ، ووقع موقع الحق والصدق فى شأن الإخوان ، وموقع الاستحسان لدى العام والخاص فى مصر وغيرها ١٩

لا زلت على شئ من حسن الظن ، وأستبعد ما يقال : من أنه شق على وزير سابق ألا يسبق إلى مؤازرة الأزهر بضم جمعيات تحفيظ القرآن إليه ، وكانت الفرصة متاحة له يوم كان وزيراً للعارف ، فلما تولت الفرصة ، وكان أجدر بانتهازها قبل الثورة ، أراد أن يتخذ من الطعن على الأزهر معذرة عن نفسه فى أنه لم يفعل .

وما هكذا يا سعد تورد الإبل ؟

عبد اللطيف السبكى

عضو جماعة كبار العلماء

ومدير التفتيش بالأزهر

القلة والكثرة في القرآن

تعارف العامة من الناس على أن القلة تفيد الضعف والضعف ، وأن الكثرة توحى بالقوة والغلبة ، وقد يعتمدون في هذا الفهم على مثل قول الأول : « وإنما العزة للكاثر » كما أنهم قد يعتمدون على أصل المعنى اللغوي لكلمتي قليل وكثير ، فإنهما يستعملان في الأعداد ، والعدد القليل أضعاف بطبيعة الحال من العدد الكثير .

جاء في (مفردات القرآن) للراغب الأصفهاني : « القلة والكثرة يستعملان في الأعداد ، كما أن العظم والصغر يستعملان في الأجسام ، ثم يستمار كل واحد من الكثرة والعظم ، ومن القلة والصغر ، للآخر ^(١) » .

وفي أساس البلاغة للزمخشري : « في ماله قلة وقل ، (والربا وإن كثر فهو إلى قل) ، والحدقة على القل والكثرة ، وأخذ قله وترك كثره ، أى أقله وأكثره ^(٢) » .

هذا هو أصل المعنى اللغوي لكلمتي القلة والكثرة ، وذلك هو متعارف الناس في استعمالها وفهم معناها ، ولكنني تأملت في استعمال القرآن الكريم لهاتين الكلمتين ، فإذا طريقة أخرى لافتة للأبصار والبصائر ، وإذا هذه الطريقة تتلخص في أن القرآن الكريم إذا ذكر « القلة » فهو يذكرها غالبا في مقام المدح والتقدير ، والإشارة إلى أن القلة الطيبة خير من الكثرة السيئة ، وإذا ذكر « الكثرة » فهو يذكرها غالبا في مقام الاستخفاف وقلة المبالاة ، والإشارة إلى أنها لا تغنى ولا تدوم ، اللهم إلا إذا نسبت الكثرة إلى الله ، فإنها حينئذ تكون جامعة للحسين ، لكثرة العدد وجلال القيمة ...

ولا يمكن على ذلك أن نرى بعض الآيات الكريمة يذكر فيها الخير والشر موصوفين بالكثرة ، كقوله تعالى : « يضل به كثيرا ، ويهدي به كثيرا » ، فلهذا وجهه وتأويله :

يقول النيسابورى : « وأهل الهدى كثير فى أنفسهم ، وحيث يوصفون بالقلة (وقليل من عبادى الشكور - وقليل مالم) إنما يوصفون بها بالقياس إلى أهل الضلال ، وأيضاً فإن المهديين كثير فى الحقيقة ، وإن قلوا فى الصورة .

إن الكرام كثير فى البلاد ، وإن قلوا ، كما غيرهم قل وإن كثروا ^(١) ،

ويقول جارا الله الزعزعى عند تفسير الآية السابقة :

« فإن قلت : لم وصف المهديون بالكثرة والقلة صفتهم : (وقليل من عبادى الشكور — وقليل مالم — الناس كإبل مائة لا تجد فيها راحلة) ... ؟ قلت : أهل الهدى كثير فى أنفسهم ، وحين يوصفون بالقلة إنما يوصفون بها بالقياس إلى أهل الضلال ، وأيضاً فإن القليل من المهديين كثير فى الحقيقة ، وإن قلوا فى الصورة ، فسموا ذهاباً إلى الحقيقة كثيراً :

إن الكرام كثير فى البلاد ، وإن قلوا ، كما غيرهم قل وإن كثروا ^(٢)

وقد علق على هذه العبارة الزعزعية ابن الخثير الإسكندرى بقوله :

« جوابه صحيح ، وتظيره بالبيت وهم ، لأن الشاعر إنما ذهب إلى أن عدد الكرام وإن كان قليلاً منهم فى نفسه فالواحد منهم لعموم نفعه وانيساط كرمه يقوم مقام ألف من جنسه مثلاً ؛ وعدد اللثام وإن كثروا فالواحد منهم بعد الواحد من غيرهم ، لغل أيديهم وانقباضها عن الجود ، وعدم تعدى نفعٍ منهم إلى غيرهم ؛ كقول ابن زيد :

الناس ألف منهم كواحد وواحد كالألف إن أمر عرا

وأما الآية فضمونها أن عدد المهديين كثير فى نفسه ، ومضمون الآيات الآخر أن عددهم قليل بالنسبة إلى كثرة عدد الضالين ، فمبع عنه تارة بالكثرة نظراً إلى ذاته ، وتارة بالقلة نظراً إلى غيره ، فليس معنى البيت من الآية فى شيء ، ^(٣) .

(١) تفسير النيسابورى على هامش الطبرى ج ١ ص ٢٠٤ .

(٢) تفسير الكشف ج ١ ص ٥٧ ، ٥٨ . [٣] للمصدر السابق .

ونعود بعد ذلك إلى استعمال القرآن الكريم لكلمتي « القلة والكثرة » حتى نرى مدى انطباق القاعدة التي استخلصناها من قبل .

يقول القرآن المجيد عن أهل النعيم الفائزين بالرضا والرضوان : « أولئك المقربون ، في جنات النعيم ، ثلة من الأولين ، وقليل من الآخرين »^(١) ، « فزاه قد وصفهم بأهم ثلة أى جماعة من الأولين ، أى الأمم السالفة قبل محمد صلى الله عليه وسلم ، وقليل من الآخرين أى ما جاء بعد الرسول ، فوصف أتباع الرسول عليه الصلاة والسلام الذين ينالون رضوان ربهم السابغ بالقلة ، والقلة هنا بالنسبة لسائر الأمم ، لا لامة واحدة ، وإلا فسابقو أمة محمد أكثر من سابقي أية أمة منفردة .

ويصف القرآن الكريم الذين آمنوا وعملوا الصالحات الذين لا يفتنون على أحد ، ولا يظلمون غيرهم في شيء ، بأنهم قليل ، فيقول : « وإن كثيرا من الخلطاء ليبغى بعضهم على بعض إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم »^(٢) ، أى : وهم قليل ، وهما ، هذه مزيدة للإيهام والتعجب من قلتهم كما يقول البيضاوى في تفسيره .

والذين استجابوا لنداء الله عليه السلام ، وآمنوا به ، ليسوا كثيرا ، بل هم قلة . « وما آمن معه إلا قليل »^(٣) . قيل كانوا تسعة وسبعين : زوجته المسئلة وبنوه الثلاثة ونساؤهم واثنان وسبعون رجلا من غيرهم .

والذين يشكرون نعمة ربهم على وجه الشكر ليسوا عددا ضخما . « وقليل من عبادى الشكور » . والشكور القليل فى العباد هو الذى يتوفر على أداء الشكر بقلبه ولسانه وجوارحه فى أكثر أوقاته ، ومع ذلك لا يوفى حقه ، لأن توفيقه للشكر نعمة تستدعى شكرا آخر ، لا إلى نهاية ، ولذلك قيل : « الشكور من يرى عجزه عن الشكر »^(٤) .

والذين يعلمون أسر أهل الكهف على وجهه قليل ، ولا شك أن هذه المعرفة تفيد عن

[١] سورة الواقعة الآيات ١٢ - ١٥ .

(٢) سورة ص آية ٢٤ . (٣) سورة هود ، آية ٤٠ .

(٤) تفسير البيضاوى .

عظم المسكاة وجلال الرتبة ، ومن هنا قال الأصفهاني عن القلة : « ويكنى بها تارة عن العزة اعتباراً بقوله : (وقليل من عبادى الشكور - وقليل مام) وذلك أن كل ما يميز يقل وجوده ^(١) » ، يقول القرآن عن أهل الكهف : « قل ربى أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل »

والقلة المستضعفة لا يصيرها ضعفها ولا قلتها إذا آمنت وأيقنت ، بل قد تكون هذه القلة المؤمنة مفتاحاً لنصر الله المبين المفضى إلى الغلبة والسيادة والسعادة . « واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون فى الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس ، فأوكم وأيدكم بنصره ، وروزكم من الطيبات لعلكم تشكرون ^(٢) » .

والناقضون للعهد كثيرون ، والثابتون على العهد المقبولون على الله قليلون « ثم توليتم إلا قليلاً منكم وأنتم معرضون ^(٣) » . والخطاب لليهود الذين نكثوا عهد الله وتقضوا ميثاقه ، وغالفوا أمره وتولوا عنه معرضين ، إلا من عصمه الله لحفظ العهد والميثاق ، وهؤلاء قليل جدا بالنسبة إلى الناكثين الناقضين المعرضين .

ويقول القرآن : « فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلاً منهم والله عليم بالظالمين ^(٤) » ، والحديث أيضاً عن بنى إسرائيل بعد موسى ، والجماعة القليلة فى ميدان القتال لا تضيرها قلتها ، كما لا تنفع الجماعة الكثيرة كثرتها . « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين . »

ولا يزيد التوسع فى عرض الآيات والتعليق عليها فيما يتصل بلفظ القلة ، وحسبنا أن تدبر فى هذه الآية التى وردت بها كلمة « القلة » ، وهى تفيد التقدير وعظم الشأن :

« ولا تزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلاً منهم » ، « لئن أخرن إلى يوم القيامة لأحتسبن ذريته إلا قليلاً » ، « واذكروا إذ كنتم قليلاً فكثركم » ، « وإذا لا يلبثون خلافك إلا

[١] للفردات ، ص ٤٢٠ .

[٢] سورة الأنفال ، آية ٢٦ .

[٣] سورة البقرة ، آية ٨٣ .

[٤] سورة البقرة ، آية ٢٤٦ .

قليلًا ، ، « إن ترن أنا أقل منك مالا وولدا ، فعسى ربى أن يؤتىن خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء فتصبح صعيدا زلقا » ... الخ .

• • •

وننتقل إلى استعمال القرآن الكريم لكلمة « الكثرة » ، فنجد أنها تأتي غالبا في مواطن الذم والسوء والاستخفاف والاستهزاء .

يقول القرآن : « قل لا يستوى الخبيث والطيب ، ولو أعجبك كثرة الخبيث » ، « والكثرة التي نعجب بنفسها لا تقى شيئا ، ولا تقوم مقام القلة الصابرة المتواضعة : « ويوم نحسب إذا أعجبكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا ، وضاعت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين » .

وحدث الناس المكثار أغلبه معار : « لاخير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس » .

والكافرون والمجرمون والطاغوت والضالون والمفسدون والجاحدون والفاستقون كثيرون ، ولكنها كثرة الهباء المتثور الذي لا تقوم له قائمة أمام سلطان الحق القيوم ؛ وحسبنا أن نتدبر - لنذكر ذلك المعنى - الآيات التالية :

« الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد » ، منهم أمة مقتتة وكثير منهم ساء ما يعملون ، « وكثير حق عليه العذاب » ، « وإن كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون » ، « ولقد ضل قبلهم أكثرا الأولين » ، « وإن تطلع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله » ، « إنه الحق من ربك ولكن أكثر الناس لا يؤمنون » ، « وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين » ، « فأبى أكثر الناس إلا كفورا » ، « وما يتبع أكثرهم إلا ظنا » ، « وما وجدنا لأكثرهم من عهد ، وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين » ، الخ .

• • •

فإذا نسبت الكثرة إلى الله فإنها الكثرة الطيبة العامرة الغامرة بكثرة عددها وعظم مكاتنها وجلال قدرها ، فاقه يحدث عباده عن الاماكن التي نصرم فيها — وما أكثرها

وما أجلها — فيقول : « لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ، ، وهو سبحانه يتحدث عن نعمه وآلائه ومغائمه فإذا هي كثيرة حسا ومعنى ، وعددا وقيمة ، فيقول : « فعند الله مغائم كثيرة ، ، ويقول : « وعدكم الله مغائم كثيرة تأخذونها ، ،

ويتحدث عن نعم الجنة وخيراتها ، فإذا هي كثيرة حقا وصدقا : « لكم فيها فواكه كثيرة ، ، وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة ، ، متكئين فيها ، يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب ، ... الخ .

ماذا نستفيد من ذلك ؟ ... نستفيد أن القرآن الكريم وهو كتاب حكمة وتوجيه وتهذيب يعتمد إلى إلباس بعض الكلمات معاني خاصة ، ليثير بها الهمم ويصحح بها الموازين . ونستفيد أن القلة الراشدة تسير إلى خير ، ولا تضررها هذه القلة ، وأن الكثرة الضالة تصير إلى الانخزال والوبار . ونستفيد عدم المبالاة بطغيان المستكبرين ، فعما قليل يمر الحق المستضعف القليل . « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين ، . ونستفيد أن « عزة الكاثر ، إنما تكون حقا وصدقا من الله وبالله ، سبحانه هو رب العزة والجبروت ، ومصدر الهداية والتوفيق ؟

أحمد الشرباصي

المدرس بالأزهر الشريف



من حكم السيد أحمد الرفاعي

(٥١٢ - ٥٧٨)

- لفظتان ثلثان في الدين : القول بالوحدة ، والشطح المجاوز حد التحدث بالنعمة .
- دفر حال الرجل أصحابه .
- الاطمئنان بغير الله خوف ، والخوف من الله اطمئنان من غيره .
- الدنيا والآخرة بين كلمتين : عقل ودين .
- الطريقة الشريعة .

هذه هي الحياة

نجم الفلاسفة المتشائمون ، والشعراء الباكون ، والوعاظ المزمثون ، في خلق صورة قائمة مظلة للحياة ، واستطاعوا أن يقرأوا في أذهان الناس أن الحياة وحش كاسر لا عمل له إلا النهش والافتراس ، وأنه فأنك رهيب يتربص بالناس الدوائر ، حتى سرى هذا الداء إلى الذين عاشوا طوال أيامهم يرفلون في مطارف النعيم ، ويعيشون في أجواء كلها بهجة وسرور ، فجعلوا هم الآخرون ينشئون نفثات حزينة أخرى في قيثارة الحياة ، فاصبحت لا تكاد تسمع إلا الحنا يا كيا ، ولا تأمل أن تظفر بأشودة فرحة ، تشرح الصدر ، وتريح المتعب المكدود : شعر حزين ، وموسيقى باكية ، وفلسفة غامضة ، مبهم ، متشائمة ، ووهظ قابض رهيب . . وهكذا . . . وهكذا .

ولكن ، أحقا ، هذه هي الحياة ؟ أحقا أن الحياة كما يقول شوقي :

أخا الدنيا ، أرى دنياك أسمى تبديل كل آونة إهابا
أحقا أن الحياة كما يقول أبو العلاء :

تعب كلها الحياة فإ أعجب إلا من رغب في ازدياد

قد يكون هذا بعض الحق ، أما بعضه الآخر فإن في الحياة طيبات كثيرة ، ومسررات ومتعا ، وإذا كان أحد وجهها مظلما قائما ، فإن وجهها الآخر مشرق مضيء .
وليس لزاما علينا — كما يريد لنا هؤلاء — أن ننظر دائما إلى الحياة من جانبها المظلم ، وأن نصحبها على أنها عدو لا نرى من صداقته بدا ، بل من حقنا — كما أراد لنا الله — أن تمتع بالطيبات من الرزق ، وأن نخل لأنفسنا زينة الله التي أخرج لعباده ، وأن نكون عند ما يحب الله . وإن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده .

وما من شك في أن هذا المنهج في فهم الحياة يعيننا على أن تؤدي واجباتنا على أكمل الوجوه ، وعلى أن نشارك — مخلصين — في العمل لإسماع الإنسانية ، فليست الحياة

غولا خفيفا ، يخوف به الاطفال ، كما أنها ليست جنة واحة الظلال ، جارية الأنهار ، دانية الثمار ؛ وإنما هي مزيج من الخير والشر ، وخليط من الحلو والمر ؛ فعلينا أن نعيش في كل جانب من جوانبها ، وأن نأخذها — دائماً — كما هي ، فلا نذهب المموم بأحلامنا ، ولا نحلم الاحزان أعصابنا ، ولا شك أنا إذا فهمنا الحياة فهما حقيقيا استطعنا أن تغلب على كل مخاوفها .

* * *

نحن في ميدان كفاح ، والبطل في المعركة معرض للنصر والهزيمة ، وهو غرض لأن يصاب ، وربما نجاة ، فمن الحزم أن ندخل المعترك على هذه النية ، وحينئذ لا تفت الهزيمة في أعضادنا ، وكما قالت الحفساء :

جزونا نواصي فرسانهم وكانوا يظنون ألا تجزا
ومن ظن بمن يلاق الحروب ب ، بأن لا يصاب فقد ظن عجزا

وإذا كان الأمر كذلك ، فالظفر لمن تقوى إرادته ، وتسمو نفسه فوق الضرورات ، ويتسع صدره لكل ما ساء وضر .

لا أرى الأيام إلا معركة وأرى الصنديد فيه من صبر
فلك جاري ، ودينا لم يدم عندهما النعس ، ولا السعد استمر

أما العاجز الجبان فنيته رهن بأول الجولة ، يهاب حتى تسكاد تقتله الهيبة ، فإذا قاتل ، قاتل قتال الموقن بالهزيمة . فلا تقوى رجلاه على حمله ، وشر ما في الحياة اليأس من الظفر ، وأول أسباب اليأس فهم الحياة فهما غير صحيح . ألم تر إلى الشاب الناضر العود ، المستقبل لمباهج الحياة ، يرسب في الامتحان ، أو يخفق في حب طائش ، أو يجد مضايقة من والديه ، فيلتي الحياة وراء ظهره ، ويسرع إلى كأس السم يتجرعها ، أو إلى شرارة النار يسلمها على جسده ، أو يلقي بنفسه في أعماق البحر ، ولو أنه كان يفهم أن الحياة كفاح ، وأن المرء عليه أن يسعى وليس عليه إدراك النجاح ، وأن الإخفاق لا يدوم ، بل ربما كان الإخفاق حافزا على العمل النافع المقيد ، ومؤديا إلى نجاح باهر ، ولو كان يفهم أن الحياة أغلى من أن يضحي

بها في توافه الامور؛ لو أنه فهم كل ذلك لأراح قلبه من هم مقيم مقعد ، ولا يبق على نفسه الغضة ، فأعنى أجفانا أن تفرح ، ورحم قلوبنا أن تعظم .

الحياة جميلة ، حتى حينما يغير وجهها . وهي لا تأتي من خارج النفس ، وإنما تنبثق من داخلها : فالصبح المنير البهيج هو ليل مظلم عند صاحب المزاج المختل ، والليل المظلم القاتم هو صبح مشرق عند صاحب النفس المستبشرة المؤمنة ، وكثيرون هم أولئك الذين يكون من غير داء ، ويشكون من غير علة ، فما أحرام أن يسمعوا إلى هذا الشاعر الناصح الأمين :

أياها المشتكى وما بك داء	كن جيلا تر الوجود جيلا
إن شر الحياة في الأرض نفس	تتوق - قبل الرحيل - الرحيل
هو عبء على الحياة ثقیل	من يظن الحياة عبئا ثقیلا
والذي نفسه بغير جمال	لا يرى في الوجود شيئا جميلا
فتمنع بالصبح ما دمت فيه	لا تخف أن يزول حتى يزولا
قل لقوم يفرحون المآقي	هل شفيتم من البكاء غيلا ؟
ما أتينا إلى الحياة لنشقى	فأريحوا - أهل العقول - العقولا

ولكن لا ينبغي أن يفهم من نصيحتنا هذه أننا ندعو الناس إلى أن يقضوا أعمارهم في ارتياد أماكن اللهو ، وأن يشغلوا أوقاتهم بالفكاهات والبطالات ، فما إلى ذلك أردت ، وفرق بعيد بين أن ندعوك - أيها القارئ - إلى أن تتقبل كل ما تأتي به الحياة ، بصدر رحب ، وبنفس مؤمنة واثقة بالخير ، وأن تتمتع بما أباح لك الله من نعم ، وبين أن ندعوك إلى أن تلهو مع اللاهين ، وتعبث مع العابثين .

جاهد في الحياة ، وخذ نصيحتك منها ، ولكن إياك أن تكون فريسة للوهم ، مستسلما للآلام ، منهار الأعصاب ، تؤلك اللسان الخفيفة ، وتمكر عليك صفوك الكلمة العابرة ، فإذا أبيت إلا أن تلبس منظاراً أسود قائماً ، وتنتظر إلى كل شيء من خلفه ، فأنت وما أردت لنفسك ، ولكن ثق أن التي وصفت لك هي الحياة !

على العمارة

مظاهر الهدم

في الأفلام المصرية

- ١ -

أضحت صناعة السينما في مصر من الاهمية بمكان ، وفي الوقت نفسه في أمس الحاجة إلى إصلاح شامل يجعلها قادرة على تحمل المسؤولية الملقاة على عاتقها في خدمة التوجيه والتثقيف والإرشاد العام ، ويحتاج هذا إلى تلمس مواطن الضعف فيها ، وتأصيل وظائفها وتدعيم الأساس الذي تقوم عليه .

وبحث مشكلة السينما في مصر مقشعب النواحي ، فقد تبحث باعتبارها فناً من الفنون ، أو صناعة من الصناعات ، أو أداة ووسيلة حيوية لتوجيه الشعب وتثقيفه وإرشاده ، وهي الناحية التي سنعرض لها هنا ، لتبين إلى أى مدى استطاعت السينما أن تحقق هذه الوظائف القومية في المجتمع المصري .

وإن من يتتبع الأفلام المصرية ، ويشاهد منها الكثير والكثير - وهي وفيرة العدد - ليخرج بحقيقة واحدة لا يستطيع عنها حولا ، وإن أكثر من الملاحظة والتدقيق ، وتعب في الفحص والاختبار ، هذه الحقيقة الوحيدة هي أن هذه الأفلام قد فشلت فشلا ذريعا في تحقيق الاهداف المذكورة ، وعجزت عجزاً تاماً عن أداء الوظائف الحيوية في خدمة الإرشاد العام في المجتمع المصري ، مؤثرة عنصر التجارة على عنصر التوجيه ، ومطوحة بعنصر الفن ، وضاربة الصفح إلا عن الربح وإبتزاز الأموال ... وسنستعرض هنا بعض المظاهر التي ينطوى عليها العرض السينمائي في الأفلام المصرية ، والتي لا يكاد يخلو منها فيلم من الأفلام ، وهذه المظاهر كثيراً ما تندمج في الفيلم الواحد ، ولكننا نستعرضها منفردة ؛ لتوضح معالمها ، ويسهل فهمها .

ونبدأ بعرض برامج (الكباريات) ، فقلّ من الأفلام ما لا نجد فيها من هذه البرامج الكثير ، حتى لقد أحسست - كما يحس الكثيرون - أن (الكباريات) تكون عنصراً

هأماً من عناصر الحياة في المجتمع المصري ؛ لأن المفروض في الفيلم المصري أنه يعالج قصة مصرية ، تدور حوادثها في هذا المجتمع ، فليس يفهم من هذا الاهتمام البالغ بعرض برامج (الكباريات) في أغلبية الأفلام المصرية إلا أنها عنصر أصيل من عناصر حياة المصريين ، ونحن وإن كنا نعلم أن السينما المصرية قد أضحت تسكوّن مثل هذا العنصر ، فلا نعلم أن (الكباريات) لها مثل هذا الدور في مجتمعتنا . ولعاقلاً أن يتساءل كم من المصريين ذهبوا إلى (كباريه) ؟ وكم ممن ذهبوا إليه اعتادوا ارتياده ١٤ . . هذا فضلاً عن أن برامج (الكباريات) لا تعدو أن تكون معرضاً للرقص العاري ، وإبراز مفاتيح المخترقات له ، ويجلس أمامه أو حوله بعض من الرجال ممن لا يجدون لأموالهم تصريفاً ، أو ممن يمثلون بالحياة الغريبة ، أو ممن يدمنون شهوة النظر ، أو ممن يرون في هذا المعرض سوقاً للجسد ، أو ممن يعاقرون الخمر ولا يحسبون لذتها إلا في حلقات الرقص ومصاحبة النساء . ولمنصف أن يتساءل عن الرجل العادي إذا شاهد في الأفلام المصرية مثل هذا المعرض ، ألا يأخذه الشوق إلى الذهاب إليه ؟ ألا يستحي من عدم مشاركته في هذا العنصر الحيوي من عناصر الحياة في مجتمعه ، خاصة إذا كان ممن يجرفهم التيار ، أو ممن له صفة من صفات هؤلاء الرجال ١٤

نريد على ذلك من الناحية الفنية أن عرض هذه البرامج في أفلامنا المصرية هو من قبيل الحشو الذي يفقد القصة أسامها ، ويطوح بالفرض منها ، ويقطع وصل المناظر ، ويضجر المتفرج الذي من حقه أن يندمج في القصة ، ويتتبع فصولها ، خاصة وأنه يعلم أنه يشاهد فيلماً في دار للسينما ، وليس يشهد استعراضاً في صالة (كباريه) ١

يقول أهل الأفلام : إننا ننتج الأفلام المصرية لمصر وللشرق العربي ، وأبناء هذا الشرق بهمهم أن يعرفوا الشيء الكثير عن الحياة في مجتمعتنا المصرية ، بل ويشتاقون إلى ذلك ، فحشو الفيلم المصري إذاً بهذه البرامج وإن كان خطأ فنياً إلا أن له هدف الدعاية ، كما أنه يشبع حاجة أهل ذلك الشرق إلى رؤية مصر في حياة الناس والفن في مجتمعا ، ونحن نقول : لقد أدى هذا الحشو أهدافه ، وعلم أبناء الشرق العربي أن الحياة في المجتمع المصري هي الكباريات والمراقص والاستعراضات ، واشتقاق اللذة ، واحتساء الشراب في علن !

وننتقل إلى مظهر آخر ، هو مظهر الرقص في الأفلام المصرية ، والرقص قد نواضع

الناس على أنه فن من الفنون له أصوله وأوضاعه ، وله تذوقه وتأثيره ، ولكل فن موضوع ، ولقد أدهمت نفسي كثيراً في أن أجد للرقص موضوعاً غير استنارة الفرائز الجنسية ، وأعتقد أن أى منصف يرى ويحس ويكيف ويعقل لا يصل إلى غير هذا الموضوع في ذلك (الفن) . أليس الرقص هو تفنن الراقصة في إبراز محاسن أجزاء جسدها ، وهز جوانب هذه الأجزاء ، ومن الإبراز والاهتزاز تنشأ عملية يطلق عليها الراسخون في علم الأجساد « فن الرقص » ١٩

ولو تخبرنا الدقة في القول لتعين علينا أن نقول : إن الرقص في الأفلام المصرية أنواع وضروب ، فنرى فيها منه التوقيعي الذي وصفناه ، ونرى الاستعراضى الذى إن دل على شيء من الناحية الفنية ، فلا يدل على أكثر من أن المخرج يريد أن يقطع وقت المتفرجين ظناً منه أن مهمة الفيلم قطع الوقت في استعراض الراقصين والراقصات ، دون اهتمام بإبراز فكرة من الأفكار التى تجعل للإرشاد القوى دخلاً في صناعة الأفلام ، وتوجيه الجماهير بواسطتها . إن الإكثار في الفيلم من الاستعراضات بوجه عام دليل على تفاهة الفكرة فيه ، وحسبك أن تشاهد فيلماً مصرياً تكثر فيه هذه الاستعراضات لترى أنه لا فارق بين السينما والبلاغ أو سوق النخاسة أو معارض الفاترينات ١٩

إن فن الفيلم - كما نراه - يقتضى أن يكون لكل فيلم فكرة أساسية تنطوى على ناحية من نواحي الإرشاد والتوجيه للجمهور في قالب مشوق مؤثر ، ومن الطبيعى أن تتطلب فكرة الفيلم استعراض بعض المناظر، وعرض بعض نواحي الحياة . ولكن هذا الاستعراض أو ذلك العرض يجب أن يخدم كل منهما الفكرة الأساسية في الفيلم ، ولا يصح أن يمتد فيه حتى يصبح هو الفكرة الأساسية : إذ الفيلم ليس وسيلة لقتل الوقت لحسب ، بل هو كذلك وسيلة للتوجيه والتهديب والتثقيف والإرشاد . وهذه حقيقة لن يجادل فيها مصلح فنى فضلاً عن أى عامل منصف . وقد يكون الرقص الاستعراضى المحتشم مفيداً وجيلاً إذا كان يخدم فكرة سامية ، وفي حدود هذه الخدمة ، بحيث لا يزيد عن الغرض المرسوم له ، وفي نطاق الرغبة في تزيين المشاعر ، وتهذيب الأحاسيس .

والحقيقة المرة هي أن صانعى الأفلام لا يدققون في فن الفيلم بقدر ما يرغبون في إنجاز بجمهرة كبيرة منها ، تباع رؤيتها في سوق النظارة بمبالغ محترمة ، مهمتهم الأولى السعى إلى

تحصيلها والحصول عليها ، وهم في سبيل ذلك يرجعون من الأفلام الأجنبية استعراضاتها ، ويضعون بدل الممثلين الأجانب ممثلين من المصريين والمصريات ، حتى يجبرهم ذلك على صبغ حياة المصريين بصبغة أجنبية في حفلاتهم الراقصة ، فترام يصورون لك في حياة المصريين المترفين الرقص الجمعي المشترك بين الذكور والإناث من خلق الله ، وكأنما هو صورة حيوية عادية لحياة المجتمعات في مصر ، دون تفكير فيما يثيره التعود على رؤية هذا الرقص ، والإيمان بضرورته في الحفلات والمجتمعات ، من مشكلات نفسية واجتماعية ، وإيقاع الإرشاد القوي في محنة نرجو له منها الخلاص . ويكفي هنا أن نسجل في مقام هذا الرقص الأفرنجي المشترك - وأنواعه معروفة للتفرجين من خلق الله - ما كتبه السيد مصطفى المغلوطي على لسان بطل إحدى رواياته ؛ إذ قال :

« ويل لهؤلاء القوم المرائين الكاذبين ، يفسقون ويزعمون أنهم يرقصون ، ويفترون صنوف السيئات والآثام ، ويقولون : إنهم يفتنون أو يطربون ، وواقع ما اجتمعوا إلا ليختطف العاشق معشوقته من يد زوجها أو أخيها أو أبيها حين أعبته الوسائل إليها ، أو لتفقد الزوجة التي ملت زوجها وسئمته عن عشير جديد غمير مملول ، أو ليلقي الأب بابنته العانس الشوهاة بين ذراعي فتى من الفتيان الأغرار ، يرجو أن يعميه الشغف الحاضر بها عن النظر إلى عيوبها فيقع في حبالتها ، ويصبح على الرغم منه زوجاً لها . إن كانوا يريدون الغناء ، فلم لا يفتنون إلا راقصين ، أو الرقص فلم لا يرقص الرجل إلا مع امرأة ، ولا ترقص المرأة إلا مع رجل ، ثم لا يرقصون إلا متلاصقين مناسكين ، كأنهم بين جدران مخادعهم أو وراء أستار نوافذهم وأبوابهم . من لهذا الزوج الغبي الذي يلقى بزوجته عارية الصدر والظهر والذراعين والكتفين بين ذراعي فتى جميل ساحر يلاصقها ويحاصرها ويقبلها بين يدي شهواته ما شاء ، أن تعود إليه ساعة تعود بالعقل الذي ذهب به وبالقلب الذي كانت تحمله بين أحضانها ، ومن لهذا الأب الأبله المأفون الذي يتبرم بابنته ويستقل مكانها منه ، فيقذف بها بين مخالب هذه الوحوش المفترسة ، ألا تعود إليه بعد قليل حاملة معهما الأول همين آخرين : عاراً على رأسها ، وجنيناً في أحشائها . إنهم يقدودون على أنفسهم من حيث لا يشعرون ، ويمزقون أعراضهم بأيديهم وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا . »

الصبر

الصبر عزيمة من أقوى العزائم ، التي تمهد للإنسان طريق حياته الشائك ، وتساعد على السير في طريق الحياة ، بقدرة ثابتة ، وقلب وثاب ، يخترق معازل الشدة ، وفي النهاية الخطوة بالغرض المنشود .

الصبر ، وما أدراك ما الصبر ؟ هو نفحة ربانية يهبها الله قلوباً قد استعدت لتحملها ، واستعدت أن تحتفظ بها كهديّة نادرة ، ولا يمكن للإنسان أن يعيش بدونها ، إذ بدون الصبر يفنى الإنسان أدياً ، وتطفئ عليه مشاكل الحياة ، وتهزه أعاصيرها ، ويلين عوده الصلب أمامها ، وحينذاك تكون الهزيمة ، والموت الذي لا حياة بعده .

ليس من مات فاستراح يميت إنما الميت ميت الأحياء

إنما الميت من يعيش كثيراً كاسفاً باله قليل الرجاء

الصبر ما أحسنه وما أجمله ، هو جميل ، وأجل منه أن تكون صبوراً .

الصبر غال ثمنه ، عظيم أثره ، هو خلق الأنبياء والمرسلين ، وسلاح المتقين والمصلحين ، مانح رسول ولا زعيم ولا مصلح إلا بالصبر ، فهو العدة المنتجة ، التي توصل إلى الغايات من أقصر طريق ، كل سلاح في الحياة يستطيع أن يفله الزمن ، إلا سلاح الصبر ، فإنه الذي استطاع أن يهزم الزمن ، وصاحبه منصور مهما تلونت عليه الأيام ، ولعبت به السنين .

ولقد أعجبنى بيت قاله أحد الشعراء المحدثين ، فيه من الاستعارة ما يلفت نظر أهل البلاغة والأدب ، ويجلي للناس قيمة الصبر في نفوس الصابرين . قال :

يا بائع الصبر لا تشفق على الشاري قدرم الصبر يسوى ألف دينار

أيها الاخ ، أدعوك لتحلى بفضيلة الصبر ، وأنا أعلم أنه شاق على النفس ، لاني وأنت إذا لم تتخذ الصبر عدتاً في الحياة ، فما الذي نصنع ؟ والشر أمر لا بد منه ، والدمر عنيد ، إذا ترك فترة من الزمن ، فتق أنه غير ساء ولا لاء ، إنما يستعد لك ليهاجمك في الصميم ، حتى تتكشف له حقيقة أمرك ، وإذا ما الذي نصنع إن لم نصبر ؟ رويدك قليلاً ... ها هي ذى السماء أمامنا ، وها هي ذى الأرض أمامنا ، وها هو ذا الكون جميعه بنظامه

أماننا ، تعال بنا نبدل أوضاعه ونظمه وفق ما نريد . . تعال بنا قلب النظام الإلهي رأساً على عقب ، إن استطعنا إلى ذلك سبيلاً . . والله لا أنا ولا أنت ولا أحد ، يستطيع شيئاً من ذلك ، إذاً ليس أماننا إلا أن نصبر ، فلنصبر ، ولنصبر كثيراً ، ولنعتقد جميعاً أن الله مع الصابرين .

يقولون : الصبر مر ، وحقيقة أن الصبر مر ، لكن ألا ترى أنه جميل العاقبة ، وما أحسن الشيء إذا كان جميل العاقبة !! .

* * *

الصبر فضيلة دعا الله إليها في كتابه ، ودعا الرسول إليها في سنته ، ودعا إليها الحكماء في حكمهم ، والشعراء في أشعارهم .

قال الله سبحانه وتعالى : « والعصر ، إن الإنسان لفي خسر ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ، . وقال : « يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة ، إن الله مع الصابرين ، وقال : « ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات ، وبشر الصابرين ، وقال : « إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ، .

وقال صلى الله عليه وسلم : « الصبر نصف الإيمان ، وقال : « ومن يتصبر يصبره الله ، وما أعطى أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر ، .

وقال الإمام علي : الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ، ولا جسد لمن لا رأس له ، ولا إيمان لمن لا صبر له .

وقال بعض الحكماء : الصبر مطية لا تنكبو . وقال آخر : بمفتاح عزيمة الصبر نعالج مغاليق الأمور .

وقال الشاعر :

إني رأيت وفي الأيام تجربة للصبر عاقبة عمودة الأثر

وقلّ من جد في أمر يحاوله واستصحب الصبر إلا فاز بالفقر

اللهم وفقنا لتحمل بفضيلة الصبر ، حتى نحظى بما وعدت به الصابرين ، ولا حول

ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

محمد مرسى محمد

المدرس بمعهد الزقازيق

نظرية المساواة

في الشريعة الإسلامية

— ٢ —

تحدثت في المقال السابق^(١) عن نظرية المساواة في الشريعة الإسلامية . وتكلم الآن في تطبيق هذه النظرية في سريان النصوص الجنائية على الأشخاص .

أولاً : المساواة بين رؤساء الدول والرعايا :

نسوى الشريعة بين رؤساء الدول والرعايا في سريان القانون ومستولية جميع المواطنين عن جرائمهم . ومن أجل ذلك كان رؤساء الدول في الشريعة أشخاصاً لا قداسة لهم .

وكان رسول الله - عليه الصلاة والسلام - يقول دائماً وهو نبي ورئيس دولة : « إنما أنا بشر يوحى إلي ، وهل كنت إلا بشراً رسولاً » . ودخل عليه أعرابي مرة فأخذته هيبة الرسول فقال ﷺ : « هون عليك ، فإنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد » . وتقاضاه غريم له ديناً فأغلف عليه فهم به عمر بن الخطاب ، فقال الرسول : « مه يا عمر ، كنت أحوج إلى أن تأمرني بالوفاء ، وكان أحوج إلى أن تأمره بالصبر »^(٢) . وخرج أثناء مرضه الأخير بين الفضل بن عباس وعلى حتى جلس على المنبر ثم قال : « أيها الناس ، من كنت جللت له ظهراً فهذا ظهري فليستقدمته ، ومن كنت شمتت له عرضاً فهذا عرضي فليستقدمته ، ومن أخذت له مالا فهذا مالي فليأخذ منه ، ولا يخش الشبهة من قبلي فإنها ليست من شأني . ألا وإن أحبكم إلي من أخذ مني حقاً إن كان له ، أو حلقني فلقيت ربي وأنا طيب النفس » . ثم نزل فصلى الظهر ، ثم رجع إلى المنبر فماد لمقالته الأولى^(٣) .

[١] ص ٣٣٤ من الجزءين الخامس والسادس .

[٢] زاد المواد ج ١ ص ٥٩

[٣] للتأليف الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ١٥٤

وجاء خلفاء الرسول ﷺ من بعده فساروا على نهجه واهتدوا بهديه ، فهذا خليفة الأول أبو بكر الصديق - رضى الله عنه - يصعد إلى المنبر بعد أن يبيع بالخلافة فتكون أول كلمة يقولها تأكيداً لمعنى المساواة هي قوله : « أيها الناس ، قد وليت عليكم ولست بخيركم ، إن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوهوني » . ثم يعلن في آخر كلمته أن من حق الشعب الذى اختاره أن يعزله ، فيقول : « أطيعوني ما أطعت الله ورسوله ، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم » (١) .

وهذا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يولى الخلافة فيكون أكثر تمسكاً بهذه المعاني ، التى تدل على ما كانوا عليه فى صدر الإسلام . خطب يوماً فقال : « لوددت أنى وإياكم فى سفينة فى لجة البحر تذهب بنا شرقاً وغرباً ، فلن يعجز الناس أن يولوا رجلاً منهم ، فإن استقام اتبعوه وإن جنف قتلوه » . فقال طلحة : وما عليك لو قلت : وإن تموج عزلوه (٢) .

وأعطى أبو بكر القود من نفسه ، وأقاد للرعية من الولاية . وفعل عمر بن الخطاب مثل ذلك ، وتشدد فيه فأعطى القود من نفسه أكثر من مرة (٣) . ولما قيل له فى ذلك قال : « رأيت رسول الله ﷺ يعطى القود من نفسه . وأباً بكر يعطى القود من نفسه ، وأنا أعطى القود من نفسى » (٤) . ومن تشدد عمر فى هذا الباب أنه ضرب رجلاً فقال له الرجل : إنما كنت أحد رجلين : رجل جهل فعمل ، أو أخطأ فعفى عنه . فقال له عمر : صدقت ، دونك فامثل ، أى اقتص .

محاكمة الخلفاء والملوك والولاية :

وقد جرى العمل فى الشريعة على محاكمة الخلفاء والملوك والولاية أمام القضاء العادى وبالطريق العادى . فهذا أمير المؤمنين على بن أبى طالب فى خلافته يفقد درعاً له ويمجدها

(١) ابن الأثير ج ٢ ص ١٦٠ .

(٢) ابن الأثير ج ٣ ص ٣٠ .

(٣) سيرة عمر بن الخطاب لابن الجوزى ص ١١٣ - ١١٥ .

(٤) الامام الشافعى ج ٦ ص ٤٤ .

مع يهودى يدعى ملكيتها ، فرفع أمره إلى القاضى فيحكم لصالح اليهودى ضد على . ويقص علينا التاريخ أن المأمون وهو خليفة المسلمين اختصم مع رجل بين يدى يحيى بن أكرم قاضى بغداد فدخل المأمون إلى مجلس يحيى وخلفه خادم يحمل طنفسة لجلوس الخليفة ، فرفض يحيى أن يميز الخليفة على أحد أفراد رعيته . وقال : يا أمير المؤمنين ، لا تأخذ على صاحبك شرف المجلس دونه ، فاستجيا المأمون ، ودعا للرجل بطنفسة أخرى .

وبعض الخصومات التى كانت تقع بين الخليفة والولاة وبين الافراد كانت تفض بطريق شرعى بحت ، هو التحكيم ، كما فعل عمر بن الخطاب ، فقد أخذ فرساً من رجل على سوم فحمل عليه فمطب ، فخاصم الرجل عمر ، فقال عمر : اجعل بينى وبينك رجلاً ، فقال الرجل : لى أرضى بشرىح العراقى . فقال شريح لعمر : أخذته صحيحاً سليماً فأنت له ضامن حتى ترده صحيحاً سليماً . وكان هذا الحكم الذى صدر ضد عمر هو الذى حفز عمر لتعيين شريح قاضياً .

وفقهاء الشريعة الإسلامية وإن كانوا يشترطون فى الإمام شروطاً قد لا تتوفر فى كل شخص ، إلا أنهم يسوونه بجمهور الناس أمام الشريعة ولا يميزونه عنهم فى شيء . وهذا متفق عليه فيما يختص بالولاة والحكام والسلاطين والملوك الذين يخضعون للخليفة أو يستمدون سلطانهم منه ، ولهم فى مريان نصوص الشريعة عليه نظريتان :

النظرية الأولى : وهى نظرية أبى حنيفة ، ويرى أن كل شيء فعله الإمام الذى ليس فوقه إمام مما يجب به الحد كالزنا والشرب والقذف لا يؤاخذ به إلا القصاص والمال ، فإنه إذا قتل إنساناً أو أتلف مال إنسان يؤاخذ به ، لأن الحد حق الله تعالى وهو المكلف بإقامته ، ومن المتعذر أن يقيم الحد على نفسه ، لأن إقامته بطريق الحزى والنكال ، ولا يفعل ذلك أحد بنفسه ، ولا ولاية لأحد عليه ليستوفيه ، ولأن فائدة الإيجاب الاستيفاء ، فإذا تعذر لم يجب ، بخلاف حقوق العباد كالقصاص وضمنان المتلفات ، لأن حق استيفائها لمن له الحق فيكون الإمام فيه كغيره ، وإن احتاج إلى المنعة فالمسلطون منعه ، فيقدر بهم على الاستيفاء ، فكان الوجوب مفيداً ^(١) .

(١) شرح فتح القدير ٤ ص ١٦٠ ، ١٦١ ، البحر الرائق ٥ ص ٢٠ ، الزيلعي ٣ ص ١٨٧

فالفعل المحرم في رأى أبى حنيفة يظل محرماً ويعتبر جريمة ولكن لا يعاقب عليه لعدم إمكان العقاب ، ويرتب على هذا أن الإمام لو زنا وهو محصن فقتله أى فرد من الأفراد ، فإن القاتل لا يعاقب على القتل ، لأنه قتل شخصاً مباح الدم ، إذ الزنا من محصن عقوبته الموت ، ولما كانت عقوبة الزنا من الحدود ، والحدود لا يجوز تأخيرها ولا العفو عنها ، فإن قتل الزانى المحصن يعتبر واجباً لا بد منه إزالة للشكر ، وتنفيذاً لحدود الله ، فن يقتل الزانى المحصن فإنه يؤدي واجباً عليه ، ومن ثم فلا يمكن اعتباره قاتلاً .

أما الجرائم التى تمس حقوق الأفراد كالقتل والجرح فيرى أبو حنيفة أن الإمام الذى ليس فوقه إمام يؤخذ بها ويعاقب عليها ، لأن حق استيفائها ليس له أصلاً وإنما هو للجنى عليهم وأوليائهم ، وإذا قام الإمام باستيفاء العقوبة فى هذه الجرائم فإنما يقوم به نيابة عن الأفراد ، ول منع الحيف والإضرار بالغير ، فإذا ارتكب الإمام جريمة من هذا النوع كان للأفراد أصحاب الحق الأصلى فى استيفاء العقوبة أن يستوفوا العقوبة من الإمام مستعينين فى ذلك بالقضاء وبالجماعة ، وإذا استوفى الأفراد العقوبة الواجبة عن غير طريق القضاء فلا حرج عليهم ، لأنهم فعلوا ما هو حقهم ^(١) .

ويؤخذ على نظرية أبى حنيفة أنها تقوم على أساس ضعيف ، لأن الإمام ليس إلانائباً عن الجماعة ، ولأن الخطاب فى التشريع الإسلامى موجه للجماعة وليس للإمام ، وإنما أقامت الجماعة للإمام ليقم أحكام الشريعة ويرعى صالح الجماعة ، فإذا ارتكب أحد الأفراد جريمة كان للإمام أن يعاقبه بما له من حق القيام على تنفيذ نصوص الشريعة نيابة عن الجماعة . وإذا ارتكب الإمام نفسه جريمة عاد للجماعة حقها ، وعاقبت الإمام حيث لا يصلح للنيابة عنها فى هذه الحالة .

النظرية الثانية : وهى نظرية مالك والشافعى وأحمد ، وهؤلاء لا يفرقون بين جريمة وجريمة ، ويرون الإمام مسئولاً عن كل جريمة ارتكبها سواء تعلقت بحق أو بحق للفرد ، لأن النصوص عامة ، والجرائم محرمة على الكافة بما فهم الإمام ، يعاقب عليها من ارتكبها

ولو كان الإمام ، ولا ينظر هؤلاء الأئمة إلى إمكان تنفيذ العقوبة كما ينظر الحنفية ، لأن تنفيذ العقوبات ليس للإمام وحده ، وإنما له ولنوابه ، فإذا ارتكب جريمة وحكم عليه بمقوبتها نفذ العقوبة على الإمام أحد من ينوبون عنه ممن لهم تنفيذ هذه العقوبة ^(١) .

ولم يكتف الفقهاء بتقرير عقوبة رئيس الدولة الأعلى على ما يرتكبه من جرائم ، بل بحثوا فيها إذا كان يعزل بارتكابه الجرائم ، فرأى البعض أن الإمام يعزل بارتكابه المحظورات ، وإقدامه على المنكرات ، تحكما للشهوة واتقياداً للهوى ، لأن عمله هذا فسق ، كما يمنع من انعقاد الإمامة يمنع من استدامتها ^(٢) .

وفق الله ولاية الأمر إلى تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية لنسعد ونستعيد مكانتنا الأولى . والله ولي التوفيق .

محمد محيي الدين المسيري
ليسانس في القانون

مكارم الأخلاق

جاء إلى رسول الله ﷺ بسمانة بنت حاتم الطائي أسيرة ، فقالت :

يا محمد ، هلك الوالد ، وغاب الوافد . فإن رأيت أن تخل عني ، ولا تشمت بي أحياء العرب . فإن أبي سيد قومه : كان يفك العاني ، ويحمي الذمار ، ويفرج عن المكروب ، ويطعم الطعام ، ويفشي السلام ، ولم يطلب إليه طالب قط حاجة فردّه . أنا ابنة حاتم طي ! فقال النبي صلى الله عليه وسلم :

يا جارية ، هذه صفة المؤمن ، لو كان أبوك إسلامياً لرحمنا عليه . خلوا عنها فإن أباهما كان يحب مكارم الأخلاق .

[١] فقه القرآن والسنة ص ٩٧ ، الام قشاف ص ٦٥ - ٣٦

[٢] الاحكام السلطانية لداوردي ص ١٤ ، أسنى للطالب ص ٤٥ - ١١١

عماد الدين زنكي

- ٢ -

تجمع أمراء الدول اللاتينية فيما بينهم ، وتشاوروا فيما يصنعون يطل فارس ، نجم لجأه أمامهم كأسد هصور يدوى غابه بالصياح والزئير ، ورأوا أن الهزيمة السالفة لا بد أن يهي عارها قبل أن يدب الخور إلى النفوس ، تخفوا إلى د حلب ، بقتة حيث انتظرتهم الهزيمة الثانية حاملة ما تحمله الهزائم من الرعب والدمشة والالتيات ، وقد اهتبل العباد حيرتهم اليائسة فانقض بجنوده على د اللاذقية ،^(١) ولقى الفرنجة منه شراً مستطيراً فتناثرت أشلاؤهم فوق السهول والتلال ، ووقع في الأسر أكثر من سبعة آلاف ، وفر الهاربون من المعركة تاركين المدد الكثير من الذخائر والقنائم والأسلاب ، فأضيفت إلى الجيش الإسلامي وازداد بها العمد قوة وعتادا ، فضى يحطم القلاع ويدك الحصون ووقع اسمه موقعاً مرغباً من أعدائه ، فأقلق المضاجع وأطار النوم عن الجفون .

لم يجد الفرنجة بدا من الاستنجاد بملك القسطنطينية ، فقد علوا مطامعه الواسعة وتأثره القديم ، ورأوا أن وقوع الدول اللاتينية تحت يده قد يتيح لهم فرصة التنازل عنها دون جهد كبير ، وجاء الملك سريماً وعسكر أمام د حلب ، فامتعت عليه ولم يجد منفذا يوصله إلى النصر فتوجه إلى د شيزر ،^(٢) ونصب المجانيق وشهر الاسنة والرماح ، وأراد أن يكسب نصراً عاجلاً يحقق ظن الفرنجة في بأسه ، ولكن عماد الدين يدلّف إليه سريماً ويعرض جنوده وأسلحته بحيث يراه ، ثم يبعث إليه يستعجل اللقاء في الصحراء ، لتدور الدائرة على من تدور عليه ، فيستريح الجيش وينفض القتال ، وقد

[١] نثر سوريا القدى تمتنفس منه الآن نسيم البحر الأبيض

[٢] قرب « المعرة » التي منها حكيم شمراء العرب أبو العلاء النخعي

حناق ملك الروم ذرعا بهذا الاستعجال الجريء ، وظن في خصمه من القوة والشكيمة ما يرهب ويزلزل ، فنباطاً وتناقل ومضى وقت أحمل فيه العباد حيلته الحصيفة ، فأرسل إلى ملك الروم من خوفه من الفرنجة ، وذكر له أنهم سيتركونه وحيداً إذا ادلم الخطب ، كما أرسل إلى الفرنجة من ندد بملك الروم ونعى عليه ثقافه وانتظاره ، فوقع الشقاق بين الخلفين ، وفر ملك الروم إلى موطنه تاركا وراءه آلاف الذخائر والأسلاب ، فتبعه عماد الدين واستولى على الغنيمة الرائعة ، وأثنى فيمن أدركه ، ورجع منصوراً تقبله التحيات العاطرة ، وتهال عليه التهنئات ، وفقد إليه الأدباء والخطباء ، فيسجلون إعجاب المسلمين بقادهم الباسل .

وقد حظى عصر العباد بطائفة من نوابغ الشعراء كابن الفيسراني ، وابن المنير ، وأبي المجد الحوى ، فتنغوا بما آثره وخلدوا فتوحه وأجماده ، وما زال السيف في حاجة ماسة إلى القلم يلهب العواطف ويهيج المشاعر ، حتى إذا أزفت الساعة ، وتلاحمت الصفوف ، دفع بالنفوس الظامئة إلى التضحية والاستشهاد ، وقد كان الشعراء قبل العباد يتلبسون البطل المفقذ ، ليضفروا له أكاليل الثناء ، فلا عجب إذا أرسلوا قصائد الشادية ، وقد تحقق الأمل ، وزأر الليث في العرين .

لقد أحمل القائد حيلته الرشيدة ، فظفر بما لا تنيحه السبوف دون مشقة هائلة وكفاح مرير ، وما هو ذا يعمل حيلته الثانية ، ليضم إلى أجماده الخالدة مجدداً جديداً ، فقد صمم على أن يتغذ (الرها) من أعدائها المغيرين ، فبل بوجه إليها قوته وقد أحاط بها الفرنجة من كل مكان ؟ هذا ما لا يشير به الفكر السديد ؛ فالأولى به أن يتغاضى عنها ظاهراً وبوجه حشوده إلى مدن أخرى . كآمد ، (١) وحصص ، و « ديار بكر » ليطمئن الأعداء إلى تحول الخطر في منطقة نائية ، وهذا ما كان ، فقد نزع صاحب الرها عن ولايته مطمئناً لحاميته وانشغال عماد الدين بفتوحه ، ولكن البطل الإسلامي يسرع إليها فيخلف ظنه ويفتح

[١] كانت عاصمة ديار بكر بن وائل ، وهي الآن ترطن التركية في الأناضول

مدينته ، فتسقط في يده وترجع إليها عروبته الأصلية ، ويرتفع له صيت مجلل ، ويتحدث عنه الركبان !!

سقطت الرما كسيرة ذليلة ، وقد توقع المقيمون بها من الصليبيين شروراً كثيرة من العباد ، ولكن سماحة الإسلام تتغلغل في أعماقه ، فلا يقتل أحداً غير المحاربين ، ولا بأس امرأة أو طفلاً أو شيخاً ، بل نشر ألوية الأمان على المدينة ، وقد حجب إليه كثير من أنصاره أن يفتقم لموقعة بيت المقدس ، فقد سالت بها دماء المسلمين ، وذبح الأطفال والنساء والشيخ كالأنعام ، وتأثرت الأشلاء فوق الرمال !! ولكن البطل المسلم يظهر أريجيه الإسلام وعدالته ، فيعتصم بالمروءة ويضرب المثل الصالح للخلق الكريم ، ويرسم الطريقة المثلى ليحتذبها من بعده ولده نور الدين^(١) ، ثم تبلغ - بعد - أوجها الرفيع في سيرة صلاح الدين ، فأين الذين يرمون الإسلام بالتعصب وينهمون أبطاله بالعدوان ، ليتابعوا الحروب الصليبية في حلقاتها المتلاحقة ثم ليقولوا كلمتهم ونقول !!

على أن هذا البطل المتساح لم يجد لدى أعدائه من يقدر مروءته ورجولته ، فتآمرت عليه العصابة الباغية وخبأت له نذلاً من الانذال يغتاله في مجموعه الهادئ بعد أن عجزت عن لقائه في حومة الكفاح ، وهكذا طارت روح الشهيد إلى بارئها العظيم هنيئة بالفردوس ، ناعمة بالخلود ، وقد خلف وراءه نجمة الباسل نور الدين ليستأنف النصر عظيماً عن عظيم .

وقد يلاحظ من يقرأ تاريخ الحروب الصليبية أن انتصارات العماد لا تجد من المؤرخين نصيباً كبيراً من الدراسة والتحليل إذا قرنت بما كتب عن نور الدين وصلاح الدين ، وذلك لأن بعض الكائنين ينظرون إلى النتائج دون المقدمات ، فهم يسجلون المواقف الحاسمة دون أن يمدوا لأسبابها ويرجعوا إلى عناصرها ومقوماتها ، وقد برز عماد الدين في وقت تفرقت فيه الوحدة الإسلامية ، وحالت الأهواء الذاتية دون التماسك والاتحاد ، فبذل جهداً جباراً في إقامة دولة مناسكة تكافح العدو المهاجم ، وتحارب الإقطاع محاربة حاسمة ، وقد استغرق ذلك من نشاطه وكفاحه جهداً ليس باليسير ، وحين اطمأن إلى قوته

(١) أستاذ صلاح الدين الأيوبي في الحرب والسياسة والعدل الإسلامى الرحيم .

بدأ فتوحه ومواقفه ، فدافع وهاجم وانتصر ، ثم جاء ولده نور الدين فوجد دولة متحصنة منيأسكة ، فاستأنف السير وواصل الكفاح ، وسار في الطريق المعبد أشواطاً رائعة بارعة ، حتى أخذ مكانه صلاح الدين فتم على يديه النصر ، ورجحت الكفة العربية بتأييد الله . ومثل عماد الدين مع البطالين الكبارين كمثل أسرة أرادت أن تنفي حديقة فيحاء في أرض ذات صخور وأشواك وآكام ، فقام عبيدها الكبير بإزاحة الأشواك وتسوية الطريق وشق الجداول وتبيئة البذور ، ثم وافاه أجله فاستأنف قومه القرمس والبفر ، وتعدوا الزرع بالرى والتسميد ، حتى ترعرعت الأفنان ، وامتد الظل ، وتهذلت الثمار ، ولولا ما بذله العميد من جهاد عنيف في طريق شاق ما أبتغ الثمر ولا امتدت الظلال !!

ونحن حين نذكر العباد إنما نأخذ من تاريخه عبرة بالغة لحاضرنا الآليم ، فقد احتلت الصهيونية الغادرة فلسطين ، وظن الغرب بالإسلام والعرب أسوأ الظنون .

ولولا الصليبية المتأصلة في الغرب ما قام لليهود دولة في بلاد الإسلام ، فسيحيو أوربا وأمريكا هم الذين أوجدوا إسرائيل من العدم ، وكأخو في تحقيق حلمهم الصليبي بتعزيق الإسلام ، وتدمير مدنه وأبطاله ، مستترين وراء اليهود تارة ، ومجاهرين بالضغينة السافرة تارة أخرى ، بل إن الدعاية المفرضة التي تفتشر في أمريكا اليوم عن الإسلام والمسلمين ، لتعيد لنا بطرس الناسك في مفترياته وتباكيه ، فهم اليوم يرمعون الصليب ومن فوقه حذاء عربى مسلم ، ليستصرخوا الأوروبيين على الإسلام في كل مكان !!!

والأمم العربية الآن في جامعتها المتأسكة ، وإيمانها القوى ، خير مما كانت عليه أثناء الغزو الصليبي منذ بضعة قرون ، ولئن رزقت بطلاً بأسلاً كعماد الدين لسوف تسجل انتصارها الباهر وكفاحها المجيد في جبين التاريخ ، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم ؟

محمد رجب البيومي

المدرس بأبي تيج الثانوية الأميرية
ومن علماء الأزهر الشريف

الى طلاب الأزهر الشريف

يا طلاب الأزهر . يا طلاب أقدم جامعة إسلامية ، بل أقدم جامعة علمية عرفتها الدنيا ، وعاصرت الزمان ألف سنة أو تزيد ، وهي قائمة على حل رسالة الإسلام وفهمها حق الفهم ، ونشرها في أقطار الأرض ، وقائمة على العناية الفائقة بعلوم الشريعة وحفظها من الغهاب ، وعلى حياطة لغة القرآن وعلومها المتشعبة بسياج منيع ضد الرطانة والاستعجام ، فلولا جامعتكم لما اتصل حاضرنا بماضينا ، ولانقطعت صلة الخلف بالسلف ، ولما حفظت هذه الذخيرة الباقية من المعارف الإسلامية ، وهذه الثروة الطائلة من الكتب التي لا يحصيها العد ، ولا يأتى عليها السرد .

يا طلاب اليوم ، ويا علماء المستقبل ، لا نظنوا أن مهمة معهدكم العتيق تخريج علماء يوكل إليهم تدريس علوم الشريعة واللغة العربية ، ويتولون وظائف القضاء والفتيا والوعظ والإرشاد بحسب ، لأن ظننتم ذلك لقد تجنيت على معهدكم ، وفررتم من المهمة الملقاة على أعناقكم في يومكم وفي غدكم ، ووضعتم أنفسكم دون ما يريد الله ورسوله منكم . إن مهمتكم أجل من ذلك وأسمى ، وهي حل رسالة الإسلام وفهمها كما وردت في كتاب الله وفي سنة رسوله ﷺ ، وكما فهمها السلف الصالح وأئمة الإسلام ، وتخليصها مما عسى أن يكون قد علق بها من البدع والشوائب ، والدخيل والغرائب ، وإظهارها في صورتها الحقيقية سافرة مجلوة لا تعقيد فيها ولا غموض ، ثم تبليغها إلى الناس كافة ، وبذلك تأخذ طريقها إلى القلوب والعقول ، وتقع من النفوس المتعطشة إلى الهداية موقع الماء من ذى الغلة الصادى .

إنكم يا أبناء الأزهر - بما استودعتم من كتاب الله وسنة رسوله ، وبما لكم من ثقافة واسعة تتعلق بالإسلام وبلغة القرآن - أحق الناس بفهم رسالة الإسلام على وجهها الصحيح ، وأحق الناس بتبليغها ، وإلا فاقم بالرسالة ، ولا أدبتم الأمانة .

يا طلاب اليوم، وباعلاء المستقبل، لقد رفع الإسلام من شأنكم، ووضعكم الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - موضعاً كريماً تغبطون عليه حيث قال: «العلماء ورثة الأنبياء، والأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهما وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر»^(١)، وورثة الأنبياء شرف دونه أى شرف، ومنزلة لا تنال بالأماني، وإنما تنال بالمر الغالى، وهو أن تملأوا السكون هدى وعرفانا، وحقا وبقينا، وأماناً وإيماناً، وسلاماً وإسلاماً، وفضائل وآداباً، وأن تكونوا مثلاً صالحة صادقة للإسلام وعقائد الإسلام وآداب الإسلام، في خاصة أنفسكم وفي أهلبيكم، وبين جيرانكم ومع مواطنيكم، وبذلك تكونون دعاة إلى الإسلام بقولكم وفعلكم وسمتكم، وتستحقون من الله المثوبة، ومن المواطنين التجلة والتقدير والإكبار. إن الداعي إلى الإسلام لا بد أن يأخذ نفسه بهدى الإسلام وبآداب الإسلام، وإلا لم يسمع له قول، ولم تضر له دعوة، وكان من الذين قال الله سبحانه فيهم: «يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون؟ كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون».

لقد كان رسول الله ﷺ إذا أرسل رسولا يدعو الناس إلى الإسلام، ويعلمهم القرآن والحكمة، يوصيه بأن يكون على خلق حسن وسمت حسن، فلا يحب أن كانوا يجذبون الناس إلى الدخول في الإسلام بأفعالهم قبل أقوالهم. روى مالك في الموطأ عن معاذ بن جبل قال: «آخر ما أوصاني به رسول الله ﷺ حيث وضعت رجلى في الغرز»^(٢) أن قال: أحسن خلقك للناس يا معاذ بن جبل، وذلك حين أرسله إلى اليمن.

يا أبناء الأزهر، إن أزهركم الشريف له مكانة مرموقة في العالم العربي والإسلامي، بل لا أكون مبالغاً إذا قلت في العالم كله. والعالم الإسلامي يعلق عليكم آمالاً كباراً، وأماناً عظيمة، ولعلكم لمستم ذلك في تصريحات كبار المسؤولين هنا وهناك، وكبار الزائرين الوافدين من الأقطار الإسلامية، وفي الرغبات المتتالية التي تصل إلى أولى الأمر في الأزهر، بشأن إيفاد البعث من شبابه ورجاله، للتنقيف والتعريف بالإسلام، أو طلب الفتياء وحكم الشرع الشريف فيما يحدث لهم من مشاكل وبمجد من معاملات. أما أنا فقد أحسست ذلك أيام أن كنت مبعوث الأزهر بالحجاز، وحضرت المؤتمر الأكبر - مؤتمر الحج -

[١] من حديث رواه أبو داود والترمذي [٢] الغرز: موضع الركاب من رحل البعير

وقابلت الكثيرين من المسلمين من كل جنس ولون : فكثرت يا أبناء الأزهر عند حسن ظن المسلمين بكم ، وحققوا الآمال التي يعلقونها عليكم ، وحافظوا على هذه المسكينة السامية التي هي وليدة القرون ، وعلى هذا المجد التليد الذي هو من صنع أسلافكم الأولين المحكفين .

* * *

يا أبناء الأزهر ، إن هذه المسكينة التي حظى بها الأزهر في العالم الإسلامي كله تقتضي منكم التفاني والإخلاص في العمل للإسلام والمسلمين ، والإخلاص للعلم الذي وقفتم حياتكم عليه ، والحرص على أن تحفظوا بثقافة واسعة شاملة لعلوم الشريعة والعربية وغيرها من العلوم النافعة المفيدة ، وهـ الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها ، ^(١) وهـ خذ الحكمة ولا يضرك من أي وعاء خرجت ، ^(٢) .

إن طالب العلم الأزهرى في حاجة إلى أن يلم من العلوم المصرية بما استطاع ، ولا سيما ما يعينه على أن يدافع عن دينه ، وأن يظهر محاسنه ، وأن يكون على علم بالمعارف الإنسانية والتيارات الفكرية واتجاهاتها ، وأن يتناول ما جد في العالم وما سيجد من مذاهب ومشاكل ، بعقل واع مستنير منفتح ، فيدقق ويحقق ويحلل ويوازن ، حتى يصل إلى الحق والصواب ، وبذلك يمكن للأزهر أن يشارك في معترك المعارف الإنسانية العامة .

إنكم - يا شباب الأزهر - محاسبون أمام الله على شبابكم : أضيئتموه ، أم حفظتموه ؟ وبحسبكم أن تعلموا أن علماء الإسلام وأئمة الأعلام ضربوا في المعرفة والحرص على العلم والإنتاج مثلاً علياً لا تزال تذكرها لهم الدنيا بالإكبار والإعظام . وما يذكر عن أبي الوليد بن رشد الفقيه الحكيم أنه لم يترك القراءة طيلة حياته إلا ليلة بنى بامرأته ، وليلة ماتت والدته . والإمام السيوطي ترك من المؤلفات المتكاثرة ما يبلغ نحواً من ستائة كتاب ، منها الموسوعات التي تقع في مجلدات كبار . وغير هذين جم كثير حفل بهم تاريخ الإسلام ، فما أشد احتياجكم - يا أبناء الأزهر - إلى السهر والجد والتعب والتفرغ للعلم ، وقديماً قيل : العلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك ، فإذا أعطيتك كلك فأنت من إعطائه إياك بعضه على خطر ، فما بالك - أيها الطالب - إذا لم تعطه كلك ولا بعضك ؟

(١) رواه الترمذي مرفوعاً وقال : غريب .

(٢) رواه الديلمي بلا سند عن ابن عمر مرفوعاً ، ويروى نحوه من قول علي رضي الله عنهم .

بطلاب اليوم، وباعلاء المستقبل، إن في الثروة الطائلة من الكتب الإسلامية التي خلفها لكم أسلافكم الأماثل كنوزاً وذخائر، ولكنها في حاجة إلى طول صبر وأناة وتبصر وزر، حتى تفتنعوا بما فيها من الكنوز والذخائر، لتتمكنوا من تنظيمها، وتحسنوا عرضها، فأفسحوا لها صدوركم، وأطيلوا لها أنفاسكم، واستخرجون منها بما يرضى عقولكم، وينير قلوبكم، ويشبع نهكم. ولكم بعد أن تستخرجوا هذه الكنوز أن تفضوا عليها من صنعكم ما شتم من تهذيب وتحسين، حتى تظهر في ثوب قشيب يأخذ بالابصار والقلوب.

* * *

ولا يفوتني - يا أبنائي الطلاب - وأنا في مقام الناصح الشفيق، أن أحذركم من نفمة مسهنة، وهي الخط من شأن الكتب القديمة، والإضرار بها ووصمها بالكتب الصفراء، ولا أحب أن أقول لكم: إن هذا التبر دسيسة استعمارية، ولوثة سرت إلينا من أعداء الإسلام، يراد من ورائها التعفية على الآثار القيمة لعلائنا الأوائل، وبحو هذه الصحائف المشرقة من مجد الإسلام الغابر. وأقل ما يقال في هذه النفمة أنها تدل على الضحالة والعناية بالقشور والمظاهر، وهذا ما لا أرضاه لطالب مسلم فضلا عن أزهري، وليس كل أصفر يفت، ولا كل أبيض يسمين، وفي الكتب الصفراء سمين كثير، كما أن في الكتب البيضاء غثا كثيرا، وفي الكتب القديمة ما لو كتب بماء الذهب لكان قليلا عليه، فلتخير من الكتب القديمة أصلها وأقربها إلى روح الإسلام، وأعذبها وأسلمها وأبعدها من التعقيد. وباب العلم والإنتاج لم يغلّق، فلنضف إلى هذه الثروة التي ورثناها ثروة أخرى من إنتاجنا وبحسنا، ونصبغها بالصبغة التي توأمت روح العصر وثقافته، وبذلك نكون قد جمعنا بين الحسينيين، واستفدنا بغيري القديم والحديث.

يا بني الأزهر، إن وطنكم: مصر والوطن الإسلامي الأكبر، ينشدان منكم التوجيه الديني والروحي والعلمي والخلقي، ويريان فيكم الأطباء المهرة لعلاج القلوب وطب النفوس، فكونوا عطاء الآمال والرجاء، وابذلوا الكثير من جهدكم وعلمكم، حتى تزول الأحقاد والشرور، ويسود الوطن الخير والمحبة والأمن والسلام.

محمد محمد أبو شرية

الأستاذ بكلية أصول الدين

كعب بن زهير

كعب بن زهير ، هو الصحابي الوقور ، أحد شعراء سيد الانبياء عليه الصلاة والسلام ، وهو من قبيلة مزينة ، إحدى القبائل المضرية .

ولد كعب وترى بين أحضان أسرة لها أوثق العرى ، وأمتن الصلات بالشعر ، فنشأ شاعرا نابها ، تسمع شعره فتأخذك النشوة ، وتلهيك الحماسة ، وتمعظ منه الالباب ، وتظفر بالحكمة .

فن أبي سلى والد زهير ، إلى بشامة بن الغدير خال زهير ، إلى أوس بن حجر زوج أم زهير ، إلى زهير نفسه ، إلى أخيه سلى والخنساء ، إلى ابنيه كعب وبجير . حلقة شعرية مفرغة ، لم تنقطع هذه الحلقة بكعب الشاعر ، بل تجاوزته إلى ابنه عقبة المعروف بالمضرب ، فيلى حفيده العوام ، فيلى ابن حفيده بشير .

في تلك الدوحة الفارعة ، وفي تلك الزهرة الباسقة البانعة ، شب كعب ونما ساقه ، واخضر عوده ، وترعرع غصنه ، وزكا فرعته . فسمع الشعر طفلا ، وأنشده ناشئا ، وأجاده يافعا ، وكان عمر رضى الله عنه لا يقدم على أبيه زهير أحدا . ويقول :

أشعر الناس الذى يقول (ومن) ، يشير إلى قوله في معلقته المشهورة :

ومن لم يصانع فى أمور كثيرة	يضرس بأنياب ويوطأ بمنسم
ومن يك ذا فضل فينخل بفضله	على قومه يستغن عنه ويذم
ومن هاب أسباب المنايا ينلنه	وإن يرق أسباب السماء يسلم
ومن يغترب بحسب عدوا صديقه	ومن لا يكرم نفسه لا يكرم
ومن لا يذد عن حوضه بسلاحه	يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم
لسان الفتى نصف ونصف فؤاده	فلم يبق إلا صورة اللحم والدم

كان زهير ينهر ابنه كعبا لا شغاله بالشعر فى حديثه ، بل منذ نعومة أظفاره . كان

يترنم إذا سمع الشعر خشية أن يقول ما لا خير فيه فيروى عنه ، فنوصم القليلة بالعار والشنار ، وسبنا الدناءة أبد الدهر ، فلم يستجب لنسدهاء أبيه ، بل صم وفر واستكبر استكبارا ، فأوقع به الإيذاء فلم يرتدع ، ونصب له الشباك والشراك ، وأحكم له الحيل ليثيه عن عزيمته فلم يفلح ، فلم يجد أمام هذا التصميم إلا أن يختبره اختبارا يشف له عن بديته ، ويظهر له مكنون أريحيته ، فجاز الامتحان بتفوق وامتياز ، وكان في مقدمة الشعراء المجيدين ، والناهين البارزين ، وقال من الشعر على البديهة ما يثلج صدر والده ، وتقربه عينه ، ويطمئن به فؤاده ، فأجازه له ، وأذن له فيه ، وسمح له بفسره وإذاعته ، فسار على الدرب حتى وصل المسكنة المرموقة ، وما زال يصعد على معارج النبوغ حتى أصبح زهرة الشعراء ، وفي الطبقة الأولى من السادة الحكماء ، وأضحى من خول هذا العصر المزدهر ، وأصبحت قبيلته محط الانظار ، مرموقة في كل مكان ، مشارا إليها بالبنان ، فقد أعلت قدرها على عكس ما كان يتخوفه والده ، ولسكنها القريحة والموهبة التي وهبها الله تعالى كعبا ، فترجع بها على أريكه العز الخالد ، والمجد الباذخ التالد ، والقول الذي لا يقبل الجدل ، ولا يعرف الشك ، ولا يتطرق إليه الارتياب .

وسمع كعب وقومه بالرسول صلوات الله وسلامه عليه قبل السنة السابعة من الهجرة ، حتى إذا ما خلق في الفضاء ، وذاع صيته ، وارتفع شأنه ، وانتشر لوائه ، رغب كعب في أن يعرف شيئا أبلغ عن ذلك ، وفي هذا المقام روايات : فبعضهم يقول : إن زهيراً رأى في منامه آتيا أتاه ، فحملة إلى السماء حتى كاد يمسها بيده ، ثم تركه فهوى إلى الأرض ، فلما احتضر قص رؤياه على ولده ، وقال : لا أشك أنه كائن من خبر السماء بعدى شيء ، فإن كان فتمسكوا به ، وسارعوا إليه .

وبعض الرواة المؤرخين اكتفى بذكر حادث إسلام كعب وبجهر أخيه في قصة طويلة ، كابن هشام في شرحه للامية كعب المشهورة .

واليك القصة كما وردت ورويت :

كان من خبر قول كعب رضي الله عنه هذه القصيدة (بانث سعاد) فيما روى محمد ابن اسحاق ، وعبد الملك بن هشام ، وأبو بكر محمد بن القاسم بن بشار الأنباري ، وأبو البركات

عبد الرحمن بن محمد الأنباري ، أن كعبا وبهجرا ابني زهير خرجا إلى (أبرق الغراف) — وأبرق الغراف هذا هو ماء لبني أسد في طريق القاصد إلى المدينة من جهة البصرة — في غنمهما ، وكان الحديث قد جرهما دون شك إلى ذكر النبي الجديد ، وما قام به من دعوة إلى الله . ولا غرابة ، فقد كانت تلك الدعوة حديث الأعراب إذ ذاك في مكة والمدينة وما بينهما ، فن موافق ، ومن مخالف ، ومن منتظر لا ينس بينت شفة . فقال بهجر لكعب : أثبت في الغنم حتى آتي هذا الرجل — يعني الرسول صلوات الله وسلامه عليه — فأسمع كلامه . ثم آمن به ، وكان ذلك قبيل السنة السابعة للهجرة على القول الراجح ، لأنه حضر وقعة خيبر ، وقد كان المسير إليها في شهر المحرم من السنة السابعة ، وقد شهد بهجر بن زهير فتح مكة ، ويوم حنين ، وغزوة الطائف في السنة الثامنة ، وله في تلك المعارك أبيات وأبيات أوردتها ابن هشام صاحب السيرة المشهور .

أما كعب فلما بلغه إسلام أخيه بهجر غضب عليه وحنق ، وثارث نأثرته على الدين الجديد ، وأخذ يهجو أخاه بهجرا ويذمه ويشنع به أفظع تشنيع ، بل هجا الرسول عليه الصلاة والسلام فتوعدده النبي صلى الله عليه وسلم وأهدر دمه ، فخذره بهجر أخوه العاقبة ، إلا أن يهجر إلى النبي تائباً مسلماً ، بعد أن عرض عليه محاسن الإسلام ، الدين الحق الخالص ، الذي يدعو إلى عبادة الله وحده ، ويأمر بالصدق وحسن الخلق ، وإكرام الضيف ، وحسن الجوار ، ويحث على المسكرم والفضائل ، ويحارب الرذائل ، ويجب ما قبله . فدين مثل هذا يجب اعتناقه ، وفداء رسوله بالمهج والأرواح ، وأخبره بهجر بأن الرسول يقبل من أتاه تائباً ، (إن يتهوا يغفر لهم ما قد سلف) .

وعند ما سمع كعب قول أخيه بهجر أخذ يفد على القبائل يناشدهم أن يجهروه فلم يجهروه أحد ، وأعاد الكرة مرات ومرات يناشدهم الرمح والحسب والنسب والجوار فلم يجهبه أحد ، وأرجف الناس أنه مقتول لا محالة ، وأخذ يتبرأ منه كل صديق ورفيق ، وكثر الرشا المتوعدون .

تسمى الرشا جنابها وقولهم إنك يا ابن أبي سلى لمقتول
وقال كل خليل كنت آمله لا ألهيك إني عنك مشغول

حتى إذا ضاقت به الأرض ، عاد إلى نفسه وفكر في هذا الأمر ، فهداه الله إلى الحق واطمأنت إليه نفسه ، فأعد قصيدته المشهورة في مدح الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم ؛ وأتى المدينة وهو يعلم أنه مهدر الدم .

فقلت خلوا سبيلي لا أبالكم فكل ما قدر الرحمن مفعول
كل ابن أثى وإن طالت سلاته يوما على آلة حذاء محمول

فلما قدم المدينة نزل مستخفياً على رجل من جبهة كان بينه وبينه معرفة ، فأتى به إلى المسجد ، ثم أشار إلى رسول الله ﷺ فقال : هذا رسول الله ، فقم إليه فاستأمنه ، وهرف كعب رسول الله ﷺ بالصفة التي وصفه بها الناس .

وكان مجلس رسول الله من أصحابه مثل موضع المسائدة من القوم ، يتحلقون حوله حلقة ثم حلقة ، فيقبل على هؤلاء فيحدثهم ، ثم يقبل على هؤلاء فيحدثهم ، فقام له كعب حتى جلس بين يديه ، فوضع يده في يده ثم قال : يا رسول الله . إن كعب بن زهير قد جاء ليستأمن منك نائباً مسلماً ، فهل أنت قابل منه إن أنا جئت بك به ؟ قال : نعم . قال : أنا - يا رسول الله - كعب بن زهير ، فتهجم الأنصار إذ هرفوا كعباً ، وتواثبوا يريدون قتله صائحين : « يا رسول الله ائذن لنا فيه » . فنعهم النبي عنه وقال : « وكيف وقد أتاني مسلماً » .

ثم أخذ كعب يثمد الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - قصيدته في المسجد ، وكان ذلك في السنة التاسعة للهجرة ، فرضى رسول الله عليه صلوات الله وسلامه ، وخلع عليه برده .

• • •

وقصيدة (بانت سعاد) التي مدح الرسول فيها لامية ، وعدد أياتها ٥٨ ، وسلك فيها كعب مسلكاً عجيباً على الطريقة الجاهلية القديمة ، لجعل مطلعها الفزل ، فذكر سعاداً ووصفها وإخلافها الوعد في اعتذاره للنبي عليه الصلاة والسلام ، ثم أجاد في مدحه ، ثم ختم قصيدته المعصاة بمدح المهاجرين من قريش . ومن أياتها قوله في مدح الرسول ﷺ :

نبئت أن رسول الله أوعدني والعفو عند رسول الله مأمول
مهلاً هداك الذي أعطاك نافلة القرآن فيه مواعيط وتفصيل

إن الرسول لنور يستضاء به مهند من سيوف الله مسلول
ومن قوله في غير قصيدة (بانت سعاد) مادحا الانصار ذا كرا بلاءهم مع الرسول :
من سره كرم الحياة فلا يزل في معتب من صالحى الانصار
الباذلين نفوسهم لتبهم يوم الهياج وسطوة الجبار
يتظهرون كأنه نكسك لهم بدماء من علقوا من الكفار
ومن شعره أيضا :

فالسامع الذم شريك له ومطعم المأكول كالآكل
مقالة السوء إلى أهلها أسرع من منحدر سائل
ومن دعا الناس إلى ذمه ذمسه بالحق وبالباطل

أما الحديث عن البردة التي خلعها عليه الرسول عليه الصلاة والسلام إعجابا به ، فأصدق بيان عنها ما قاله العلامة أحمد تيمور بعد بحثه العميق : « إن رأى السيد الراجح أن هذه البردة هي البردة الكمبية التي اشتراها معاوية رضى الله عنه ، ثم حفظت عند بنى أمية حتى ورثها منهم العباسيون ، »

عبدالمطلب صرح
الواعظ بوزارة الأوقاف

الظاهر والباطن

إنما الظاهر والباطن كاللوج والساحل : فإذا جن الموج فلن يضيره ما بقى الساحل
ركبنا هادئاً مشدوداً بأعضاده في طبقات الأرض .
أما إذا ماج الساحل ... فذلك أسلوب آخر غير أساليب البحار والأعاصير . ولا جرم
أن لا يكون إلا خسفاً بالأرض والماء وما يتصل بهما .

مصطفى صادق الرافعي

الفتاوى

- ١ -

جاء إلى لجنة الفتوى بالجامع الأزهر ما يلي :

اشترت منزلاً ويشغل أحد المحلات فيه رجل شامى يشغله حانة لتقديم الخمر للناس ، وتحدثت مع أحد المحامين بخصوص إنذاره بإخلاء العين ، فعرفنى بأنه لا يمكن مادام يقوم بدفع الإيجار، ولديه رخصة بذلك ، ولم أستلم منه إيجار المحل حيث أتى حصلت على المنزل منذ مدة قريبة وكان يملكه قبل ذلك أشخاص أجانب ، لذلك تجدنى فى حيرة حيث أتى أعلم بأتى إذا تسلمت منه أى إيجار فهو بلا شك ثمن خمر قدم للناس .
فترجو الإفادة .

الجواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد - فقد اطلمت اللجنة على هذا السؤال ، وتفيد بأنه إذا لم ينسب السائل لإخراج المستأجر الذى جعل المسكان حانة لبيع الخمر ، جاز لهذا السائل قبض أجرة المسكان منه عن المدة التى انتفع فيها أو ينتفع فيها بالمسكان . ثم إن كان هذا المستأجر غير مسلم جاز للوَجَر أخذ الأجرة ، ولو علم أنها من ثمن الخمر . أما إذا كان المستأجر مسلماً كره للوَجَر استيفاء الأجرة من ثمن الخمر . وإذا لم يعلم أن ما يقبضه أجرة هو من ثمن الخمر لم يكره له ذلك ، كما يعلم هذا التفصيل بالرجوع إلى كتاب المحيط البرهاني فى مذهب الحنفية فى الفصل الثانى والثلاثين من كتاب الكراهية ، فقد جاء فيه ما نصه . « قال محمد فى الجامع الصغير : مسلم باع خمرأ وأخذ ثمنه وعلى بائع الخمر دين لرجل كره لصاحب الدين أن يقتضى دينه من ذلك . وإن كان البائع نصرانياً فلا بأس . »

والوجه في ذلك أن الخمر ليس بمنقوم في حق المسلم ، فلم يجوز بيعه ، ولم يملك ثمنها ، لا بالعقد ولا بالقبض . بل بقي الثمن على ملك المشتري الخمر ، فإذا أخذ صاحب الدين ذلك فقد أخذ ملك المشتري بغير إذن فلا يجوز ، والخمر متقوم في حق الذي ، فجاز بيعه ، وملك ثمنها ، فلو أخذ صاحب الدين ذلك ، فقد أخذ ملك البائع بإذنه فيجوز ، اهـ .

وبما ذكرنا علم الجواب عن السؤال إذا كان الحال كما ذكر به . والله أعلم .

— ٢ —

جرت عادة بلاد بالسودان — دنقلا — أن يقيموا على رأس الخامس عشر من يوم الوفاة أو العشرين وليمة يدعى إليها حفظة القرآن وأهل البلد جميعاً ، ويسمونه بالصدقة ، ويكون غالب مظهره التبذير من مال الميت ، ولو كان بأبناؤه الصغار يتأذى لإجحاف . فهل لهذا أصل في الدين ، أوله من سنة الرسول ما يؤيده ؟ . نرجو الإفادة .

الجواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد . فقد اطلعت اللجنة على هذا السؤال ، وتفيد بأن هذا العمل بدعة مستحذة لاسند لها من كتاب أو سنة ، فيجب ردها والابتعاد عنها . وأخذ شيء من أموال القصر لإقامتها حرام ، وفيه إثم زيادة عن إثم إقامة هذه البدعة . نعم إذا أراد من ليس بحجورا عليه من ورثة المتوفى لصغر أو غيره أن يتصدق عنه من نصيبه الخاص ، فله ذلك من غير تقييد بيوم معين أو مكان معين . وبهذا علم الجواب عن السؤال . والله أعلم .

— ٣ —

أبرأته من مؤخر صداقها وهو معلوم ومن نفقة عدتها والنفقة مقدارها مجهول ، فطلقتها طلاقاً واحدة في نظير ذلك . ثم قال لها بعد ذلك : طلقتك بالثلاثة بالمجلس بسبب مطالبة والد الزوجة بذلك . فهل تقع الطلاق الأولى في نظير العوض مع كون بعضه وهو النفقة مجهولاً ، وإذا وقعت قبل تبين منه . وإذا بان أن طلقها بالطلاق الثلاث ؟ .

الجواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد - فقد اطلعت اللجنة على هذا السؤال ، وتفيد بأنه قد أجاز الحنفية والمالكية والحنابلة البراءة من مؤخر الصداق ونفقة العدة وإن كان مقدار النفقة مجهولا ، لأن البراءة لا تقتضى أن يكون المبرأ منه معلوما ، لأنها من قبيل الإسقاط الذى لا يقتضى تسليما ولا تسليما . هذا وعند الحنفية أن الطلاق الثلاث المذكور يلحق الطلاق البائن الأول . وعلى ما جرى عليه القانون من أن الطلاق المقترن بعدد الثلاث لا يقع إلا واحدة ، يقع على هذا الخالف بالصيغة الأخيرة طلقة واحدة أخرى ، فإذا لم تكن هذه الطلقة الأخيرة مكملة للثلاث ، كان له أن يعقد عليها .

وفى مذهب الإمام مالك والإمام أحمد لا يقع بالصيغة الأخيرة طلاق ، لأن الزوجة قد صارت بالطلاق على البراءة بآئنة من زوجها ، والطلاق البائن يخرج المرأة عن أن تكون محلا للطلاق ، وعلى هذا لا يقع بقوله أخيرا : « طلقتك بالثلاثة ، طلاق . وهذا المذهب الأخير أرفق وأيسر ، وبه تنقّى اللجنة . والله أعلم ؟

رئيس لجنة الفتوى

كيف كان ينظم شوقي قصائده ؟

سئل شوقي : كيف تنظم الشعر ، وكيف تشرع فى تأليف القصيدة ، فأجاب :
أول ما يخطر لى - حينما أفكر فى قرض الشعر - أن أجمع النقط المهمة التى أرى إليها من القصيدة . فإذا انتظم لى هيكلها من هذه الناحية ، اخترت لكل قصيدة روحها وبحرها اللذين توحى لى أذن ونفسى أنهما ينهضان بالموضوع .

وأعظم ما أكون ارتياحا إلى قول الشعر بعد منتصف الليل ، إذ يجد الخيال مسرعا متسعا فى هدوء الليل وسكونه . لكن ذلك لا يمتنعى أن أقول الشعر إذا جاش به صدرى فى كل وقت وكل مكان ، لا يشغلنى منه شغل حتى فى المجالس والمحافل .

سيادة العالم للعاملين

العمل هو الطريق الوحيد المؤدى إلى النجاح الذى يطمح إليه كل إنسان فى الوجود ، وهو أساس المجد ودستور الحياة وباب الرغامة . العمل هو الحياة ، ولا معنى للحياة بدون عمل . . .

ونظرة واحدة إلى الدول الكبرى التى تنصرف اليوم فى رقاب العالم ولا تدرى أنسوقه إلى حرب أم تجعله يعيش فى سلام ؟ نظرة واحدة إلى أمريكا وإنجلترا وروسيا تلك الدول التى تحكم العالم وتسيره حيث تشاء ، نظرة إلى هذا العالم الغربى ومجده ، نجد أنه ما نال العظمة والمجد والسيادة ، وما وصل إلى الرفعة والنهضة إلا بالعمل ، فمن تلك البلاد نشأ المفكرون ووجد العاملون وحكم الحاكسون ، وأصبحت أمما ذات سيادة ، وما لنا نذهب بعيدا وديفنا الإسلام دين عمل وجهاد ، بأمرنا بالكسول والعمل ، وبإنهانا عن الخمول والكسل . إن العمل فى الإسلام شئ عظيم ، وقد حث عليه الله سبحانه وتعالى ، ومدح العاملين على عملهم ، فقال جل وعلا : « إنا لا نضيق أجرا من أحسن عملا ، وقال تعالى : « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ، وقال سبحانه : « من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجزيه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ، وفى آيات كثيرة نجد الله جل جلاله يبين لنا قيمة العمل وجزاء العاملين . وفى سورة العصر حكم سبحانه على الإنسانية كلها بالخسران ، واستثنى منها الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر !!

والرسول صلوات الله وسلامه عليه جاهد فى سبيل الله وكافح للحق والخير ، حتى وصل إلى أرق ما يصل إليه إنسان ، فأدى رسالته الإلهية على أكمل الوجوه وأنمها . وكان دائما

يقول لأهله : يا فاطم بنت محمد لا أغنى عنك من الله شيئاً . يا عباس عم محمد لا أغنى عنك من الله شيئاً . لا يأتيني الناس بأعمالهم وتأتونى بأحسابكم ، ومن هنا نرى أن ميزان الحياة عنده عليه الصلاة والسلام كان العمل لا الجاه أو الحسب . وأبو بكر رضى الله عنه كان تاجراً ، وعندما ولى الخلافة وبعد أن انتهى من تنظيم الدولة ، خرج لينجر فاعترضه الناس قائلين له : كيف تخرج لتجارتك وأنت خليفة المسلمين . فقال لهم رضى الله عنه : وكيف أعيش وهذه صناعتى ؟ ، فمضوا له أقل ما يكفى مثله من الزاهدین .

وعمر بطل الإسلام كان يعمل دائماً ، ويتفقد رعيته ليلاً ونهاراً ، ويكافح فى سبيل إعلاء شأن الإسلام ورفعة المسلمين ، وكان يقول لأصحابه : أرى الرجل فيعجبني ، فإذا قيل : لا صناعة له سقط من عيني ، وكان يردد كلمته المأثورة : إذا أراد الله بقوم سوءاً منعهم الجدول ومنعهم العمل ، !!

* * *

هذا هو الإسلام الصحيح : عمل وكفاح وجهاد وقضية ، والعالم العربى الذى يتطلع إلى العالم الغربى فى ألم وحسرة ، وينظر إليه خائفاً قلقاً ، ما أجدره أن يتمسك بالعمل ، حتى ينال السيادة وقبادة الأمم ، وحتى يرجع لأبنائه ما لهم من ماض زانربكل معانى القوة والشجاعة ، فالعمل وحده هو الذى جعل المسلمين القدماء تخذل أسماؤهم ويذكرون بالإعجاب والتقدير ، وهو أيضاً الذى رفع بلاد الغرب من الخضيض إلى القمة ، ودفعها إلى المجد ، وجعلها تحتل الشرق ، وتسخر أبناءه فى سبيل مصالحها الخاصة .

أيها العرب ، اعملوا وأنجوا ، فبذلك تحققون الغاية من وجودكم ، وتعلموا أن الإنسان العامل المنتصب على ساقه يكافح ويجهاد أكثر ارتفاعاً ورفعة من السيد الراكع على قدميه !! . أيها الشباب : كن دائماً مشغولاً بأى نوع من العمل ، فششاط الشيطان لا يباغقته إلا فى لحظات الكسل والفراغ وأوقات الضيق والملل ، وثق : أن المآرب اليسيرة لا تسمى طموحاً ، ولكن الطموح هو الغايات الشاقة البعيدة ، ففاضل وأنت فى الظلة ، وحارب وأنت ملق على الأرض ، فإنك لن تموت أبداً ، والله مع العاملين ؟

موسى صالح شرف

بكلية اللغة العربية

البارودي : الشاعر البطل

في ١٢ ديسمبر^(١) ، ينصرم نصف قرن على رحيل هذا الفارس البليغ الذي نهض بالقريض من كبوته ، ونفخ فيه روح التجديد ، وهو الفارس الذي أبلى في معارك السياسة والحروب ، فكان له صوت مرفوع ، وحسام مسلول .

وقد رأيت أن أشارك في تحيته والإشادة بذكراه ، بهذه الكلمة على صفحات مجلة الأزهر .

البارودي ونشأته : انحدر البارودي من أسرة كريمة المنبت والنسب ، وقد خرج إلى نور الوجود في سنة ١٢٥٥ (١٨٣٨) وكان أبوه إذاك مديراً للبربر ودنقلة ، وسارت الأيام بالطفل الوليد ، وهو يجوب بين أزاخير الرفاهية والحفوض ، ولكنه فقد أباه ولما يبلغ الثامنة من عمره ، ففقد يموته حياة الدعة والحنان ، وقد كفله أثاربه حتى شارف الثالثة عشرة من عمره ، فأدخلوه المدرسة الحربية ، وقد تخرج منها ضابطاً وهو في السادسة عشرة ، ثم أخذ نجمه يسطع ومركزه يتطور إذ خاض المعارك في حروب الروس مع الترك ، وأبدى من البسالة ما بهر القواد ، ثم قلب في المناصب الإدارية فالسياسية حتى بدت طلائع الثورة العراقية ، فاندفع مع الشائرين بحزم وعزم ، وفي نفسه آمال ضخمة لا تحملها إلا الأنفس الكبيرة والافتدة الوثابة ، فولى رئاسة الوزارة في أخرج الاوقات ، ثم اندلعت النار فأنت على الثورة في مهدها ، لأن الخونة قد طعنوها من الخلف ، فقبضت القوة الدخيلة على زعماء الثورة ، وكان البارودي من بينهم ، ونفتم إلى جزيرة « سرنديب » فلبث في منفاه سبعة عشر عاماً ، ذاق فيها مرارة الأسى والالم والحerman حتى كف بصره ، فسمح له المستعمر الغاشم بالعودة إلى وطنه الحبيب فزله في عام ١٩٠٠ ، ولم يمض على عودته أربعة أعوام حتى لفظ آخر أنفاسه ، فقضى رحمه الله سنة ١٣٢٢ (١٩٠٤) .

* * *

هذا يحمل يسير لحياة هذا البطل الفارس الشاعر المجدد الذي حمل راية الشعر ، وألويته منكسرة وأعلامه مخفوضة ، فكساء حلة قشبية ، وبعثه من رموس التقليد والفنائة ، وطهره

(١) توفي البارودي في ٤ شوال سنة ١٣٢٢ هـ (١٢ ديسمبر ١٩٠٤) .

من أرجاس التزلف والمدح ، ونفى عنه روح الجود بعد الإفقار المديد في دنيا الأدب والقريض ، ذلك أن الشعر العربي بعد انهيار الدولة العباسية وغارة المغول على الشرق وقضائهم على لغة القرآن وأدب للعرب ، أصابه اضمحلال وخول ، وكساد وانحطاط ، فاهتم الشعراء بعد ذلك بالقوالب اللفظية ، يوشونها بالزخارف البيانية ، وصار الخيال معدوماً في جملة ، وما جاء منه فسطحي لا يؤثر في النفس ، ولا يخلق في أجواء الفكر ، واتخذ الشعراء وسيلة إلى الحكم ، وزلنى رجاء أن ينالوا بها منهم عطفاً وعطاء ، فانت فيه روح المزة ، وتخلى عن ميدان الشعب في ذوده عن حريته وكرامته ، رغم ما ساد هذه الآماد من فساد الولاة واستبدادهم ، وازدادت بليته عند ما اختلط الشرق بالغرب ، وسرت لوثة العجمة حتى إلى السنة الشعراء .

وهكذا تدهور الشعر وانحدر من مكاته ، حتى لقد ذهب الدكتور هيكل في مقدمته لديوان البارودي جزء أول سنة ١٩٤٢ ، إلى أن الشعر مكث حوالى عشرة قرون وهو مهمل الأسلوب ، مفكك العبارة ، سطحي المعنى ، محدود الأغراض ، إلى أن ظهر البارودي . وقد انفقت كلمة النقاد المحدثين على أنه الصوت المدوي في عالم الشعر الحديث ، وأنه هو الذى خرج به إلى الحياة . ولكن كيف تسم البارودي منزلة الزعامة في نهضة الشعر العربي الحديث ، مع أنه لم يزاول دراسة العربية ، ولم يتمكن من فن العروض وقواعد النحو ؟ نفعه أنه أكب في يفاعته على تراث الأقدمين من الشعراء ، يستظهر ما يحوز إعجابه ، وينفذ إلى نفسه ، ويتغفل في وجدانه ، وما زال كذلك حتى تكونت ملكته واتسع خياله ، وعندئذ تحركت فيه رغبة النظم ، فأطلق لها العنان ، فصالت في كل ميدان ، وأخذ يجارى الفحول السابقين ، ويتشبه بهم ويمارضهم ، ويحاول أن يزيهم ، وكان لغزارة محفوظه أثر بادر في قريضه ، وكانت حافظته المخزنة تمدّه بلا قصد منه ، وقد يلتبس عليه محفوظه بمنظومه .

وأصدق وصف لشعر البارودي أنه - كما قال الدكتور هيكل - صورة صادقة لنفسيته ، وما يجيش فيها من الآمال والأمانى العذاب ، وهو في غزله أورتائه لا ينفك مفاخرأ مظهرأ عراقه نسبه ، وسموق فرعه ، وغور جذوره ، وهذه الصفة كانت له مدداً زاخراً تده بالفيض الهاطل ، من الإقدام والمخاطرة وحسب المجد وطلب الرفعة والدأب لبلوغ الآمال .

وكما يعتبر شعر البارودى صورة صادقة لنفسيته، يعتبر صورة صادقة لبيئته، وما شاهده فيها من تبدل فى أحوالها، واضطراب فى أمورها، فكان ما قاله إخباراً عن هذا التاريخ المتميز بطابع الحيرة والتدخل السافر من الأجنبي، وأخذ ينادى بالإصلاح العاجل والإيقاظ السريع وتدعيم بنيان الأمة على أسس قوية، ومن الأخذ بالشورى وإقامة الحياة النيابية السليمة، وهو يقول عن الشورى:

فمن استعان بها تأيد ملوكه ومن استهان بأمرها لم يرشد
وكان ما كان من انتكاس الثورة، ونفى الشاعر هذه السنوات فى الغربة والالام والشقاء والمحن، فسجل براعه التفننات الصادقة والآلام المبرحة والآيات الباهرة على عبقريته الفنية وملكته الشعرية الفنية، فترك لنا ديوانه الضخم دليلاً على مكانته البارزة فى عالم البطولة والشعر، وأضاف إلى ذلك غناراته الناطقة بسلامة ذوقه وحسن اختياره، وقوة فطنته، وآية حبه لشعر هذه العصور ومكانتهم فى نفسه.

إن شعر البارودى كان طفرة فى الشعر الحديث، ومنهجاً حياً ترسمه المحدثون أمثال شوقي وصبرى وحافظ وغيرهم، فأحرى به أن يكون رب السيف والقلم، ورمز البطولة والنضحية، وما أجدد أن نذكر ذلك لمناسبة مرور نصف قرن على وفاته. رحمه الله.

محمد الدسوقي

بالشهادة الثانوية — معهد المنصورة



(المجلة) كما أراد البارودى لشعره أن يرتفع عن مستوى عصره، ويلتحق بعصور البلاغة فى صدر الإسلام، فقد كان ينبغى لنا أن نربط ذكراه بذكرىات حول البلاغة من الشعراء الإسلاميين الذين خلد ابن خلسكان وأمثاله تاريخ وفياتهم بالسنة الهجرية، ليتصل حاضرنا بماضينا، وتكتمل منه وحدة متسلسلة. وجميل من كاتب هذه الكلمة أن يكتبه لذكرى مرور نصف قرن على البارودى الذى توفى فى ١٢ ديسمبر سنة ١٩٠٤، وكان أجل من ذلك لو انتبه هو أو انتبهنا نحن إلى أنه توفى فى ٤ شوال سنة ١٣٢٢ فيكون إحيائنا لذكراه قبل سنتين أى فى شهر شوال سنة ١٣٧٢، ولعلنا نلاحظ ذلك فيما سنحاوله بعد الآن من إحياء الذكريات العربية الإسلامية العزيرة علينا، فتحي مع ذكرىاتها ذكرى هجرة الرسول الأعظم وتتخذها أساساً فى تاريخنا القومى والملى كما كانت الحال إلى ما بعد الجبرقى، بل إلى زمن البارودى ومعاصريه.

الأدب والعلوم

إشراف الأزهر

على مدارس تحفيظ القرآن

خاصا ، ومن أهم مقومات هذا الإعداد حفظ القرآن الكريم وإجادة تلاوة ، وخاصة بعد ما ظهر من أن كثيراً من هذه الجمعيات - في وضعها القائم - لم تستطع أن تنهض برسالتها على ما ينبغي ، مما حدا بالأزهر إلى أن يتقدم إلى وزارة التربية والتعليم بطلب إشرافه على تلك الجمعيات .

وبعد أن بحثت اللجنة الموضوع من جميع أطرافه انتهت إلى رأيين: أن تظل هذه المدارس في نطاق المدارس الحرة الخاضعة لوزارة التربية والتعليم على أن تتلقى رغبات الأزهر في إعداد من يريدون الالتحاق به لإعداداً خاصاً من أهم مقوماته حفظ القرآن الكريم وإجادة تلاوته ، كما تستأنس برأى الأزهر في الخطط والمناهج لكي يتوفر له العدد اللازم من الطلاب المستجدين . والرأى الثانى هو أن تتبع هذه المدارس الأزهر الشريف على أساس أن يتخذ الأزهر الوسائل الكفيلة بتحقيق هذا الإشراف ، وأن تكون المناهج في تلك المدارس مساوية - في سائر المواد الأخرى - لمناهج المدارس الابتدائية . وأن تشترك وزارة التربية والتعليم في عمل المناهج

تكرر حديث هذه المجلة عن تحفيظ القرآن وضرورة إشراف الأزهر عليه لأنه الأساس في مناهج التعليم الأزهرية ثم قلنا في ص ٣٤٤ من هذه السنة : إن السيد وزير التربية والتعليم وافق على تأليف لجنة للنظر في موضوع مدارس تحفيظ القرآن التى تتبع الوزارة حالياً وجعلها تابعة للأزهر . وقد عقدت هذه اللجنة عدة اجتماعات تدارست فيها الأمر ونظرت فيما يطلبه الأزهر من الموافقة على أن يوكل إليه الإشراف على هذه المدارس في أنحاء الجمهورية المصرية .

وقد حدد المفهوم من هذه المدارس بأنه يشمل مدارس المرحلة الأولى لتحفيظ القرآن الكريم التى أنشأها الجمعيات أو الأفراد أو وزارات الأوقاف والشئون الاجتماعية . وتبين للجنة من كتاب مشيخة الأزهر وما عرضه ممثلو الأزهر أن الباعث على ضم هذه المدارس إليه إنما هو الرغبة في إعداد من يريد الالتحاق بالأزهر إعداداً

ولما بلغ هذا الرأي إلى وزير التربية والتعليم بادر سيادته بالموافقة عليه ، وأمر بإعداد قرار وزارى يقضى بإلحاق جميع المراكز الخاصة بتحفيظ القرآن الكريم في مختلف بلاد الجمهورية وعواصمها إلى مشيخة الأزهر منذ العام الدراسى الحاضر .

صافتنا

كتب الفائقم السيد أنور السادات يصف مرحلة الاستعداد لإصدار جريدة الجمهورية في العام الماضى ، ومما قاله :

« وجاءت عملية ترشيح المحررين ، وكانت مأساة !

وعرفت حقيقة غريبة ، عرفت أن كل إنسان منهم يكره الآخر ، وإن لم يكن يعرفه !

المسألة كانت محنة أخلاقية تمر بها صاحبة الجلالة ... !

ولم أكن أدري في تلك الأيام ، هل المسألة هي أننا فكره الخير لبعضنا ، أم المسألة أعمق من هذا .

على أى حال لقد استمعت إلى آراء كثيرة في أناس كثيرين ، ولم تكن كلها صحيحة أو لوجه الله .

وإعداد المعلمين ، وأن يكون لها من السلطة على تلك المدارس ما يفرضه القانون رقم ٢١٠ لسنة ١٩٥٣ بشأن تنظيم التعليم الابتدائى واقترحت اللجنة - في حالة الموافقة على أحد الرأيين - تشكيل لجنة بقرار وزارى تمثل وزارة التربية والتعليم ومشيخة الأزهر تكون مهمتها وضع الترتيبات اللازمة لتنفيذ القرار الذى يتفق عليه .

ولما رفع تقرير اللجنة إلى السيد وزير التربية والتعليم بادر فأعلن أنه يتنازل عن حقه في الاختيار بين الرأيين المذكورين ، وأنه يترك لفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر حرية اختيار ما يراه أقرب إلى تحقيق النفع العام . وأمر المختصين في الوزارة أن يتصلوا بفضيلة الأستاذ الأكبر ليقفوا منه على ما يستقر عليه رأيه حتى تشرع الوزارة في تنفيذه .

وقد رأى فضيلة الأستاذ الأكبر أن يأخذ بالرأى القائل بتبعية هذه المدارس إلى مشيخة الأزهر على أن تتولى وزارة التربية والتعليم مراقبة الدراسة فيما يتعلق بالمواد المدرسية فيما عدا القرآن الكريم وما يتصل به ، على أن تبلغ ملاحظاتها إلى مشيخة الأزهر لتعمل على استكمال وجوه الخير والنفع .

وقد حدد لتفسيق هذا المشروع ٢٤ شهراً
على أن تسلم المدينة قبل آخر نوفمبر سنة ١٩٥٦
وفدّرت التكاليف الابتدائية بستة ألف جنيه

الأزهر في جنوب السودان

تحدث فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ
الجامع الأزهر مع السيد الصاغ صلاح سالم
وزير الإرشاد القوي ووزير الدولة لشئون
السودان في موضوع إنشاء معاهد تعليمية
ثقافية في جنوب السودان كالفنار وجوبا
والمسكال، وسيتولى التدريس في هذه المعاهد
والإشراف عليها علماء من الأزهر على أن
يبدأ بذلك فوراً.

مؤتمر التعليم اللازمى

للدول العربية

يعقد في الأيام القليلة الآتية مؤتمر في
القاهرة للتعليم الإلزامى المجاني للدول العربية
يستمر أسبوعين . وستشارك فيه اليونسكو
وبعض المراقبين الأجانب . وسفشير إلى
ما يتقرر في هذا المؤتمر عما يهم القراء .

هل هم يهود ؟

هددت الولايات المتحدة الأمريكية
بالانسحاب من (اليونسكو) إذا لم تتخذ هذه
الهيئة الإجراءات اللازمة ضد الأمريكيين
الرسميين الذين يعملون في هيئة اليونسكو
والمتهمين بعدم الولاء للحكومة الأمريكية ...

مدينة الأزهر

طلبة البعث الإسلامية

عقد اتفاق بين الأزهر وشركة التأمين
والمساكن الشعبية لإنشاء مدينة سكنية لطلبة
البعث الإسلامية ، على أن تقام هذه المدينة
على ٤١ وحدة سكنية تتألف كل منها من ٣
طوابق عدا الدور الأرضي .

ويحتوى الدور الأرضي على قاعة كبيرة
للطعام ، وقاعة للاجتماعات ، وأخرى للألعاب
الرياضية ، وقاعة للاستقبال ، ومطبخ كبير
وخزانة لحفظ الطعام .

أما الطوابق الأخرى فيحتوى كل منها على
غرفتين كبيرتين يسع كل منهما عشرين سريراً ،
وغرفة للاستندكار .

وقد أعدت كل وحدة سكنية لسكنى ١٢٠
طالباً ، وبذلك ستسع مدينة الأزهر لسكنى
٤٩٢٠ طالباً من طلبة البعث الإسلامية
القادمين من السودان والصومال والبلاد
العربية وسائر الأقطار الإسلامية لتلقى العلم
بالجامعة الأزهرية .

وتضم المدينة مبنى للإدارة ، وآخر للنشاط
الاجتماعي ، وبمجموعة من المحال التجارية ،
وستنشأ للمدينة شبكة للجارى ورصف الطرق
الداخلية بالمدينة وتسيق المتزهات والحدائق
العامة .

إنشاء العمل الإنساني

الجامعة العربية

الخارجية للدول العربية فيها نوع من التنافر الظاهري، ومن الضروري - في ظل الأوضاع العالمية الحاضرة - أن يجرى توحيد تلك السياسة على الأساس الوحيد الذي يمكن أن تجتمع عليه الآراء، وهو أن تقوم الجامعة العربية بدورها كاملاً كنظمة إقليمية مستقلة.

وأكد لهم أن مصر تقيم سياستها الخارجية - حتى الآن - على أساس أنها إحدى دول الجامعة العربية، وأنها لم تخرج عن هذه السياسة، فمن الضروري إعادة النظر في ميثاق الجامعة العربية لدعمه وتحويله من (حبر على ورق) إلى (ميثاق ينال الإيمان الكامل للشعوب العربية وحكوماتها) كما أنه من الضروري تعزيز معاهدة الدفاع المشترك، والتعاون الاقتصادي بين الدول العربية.

وشرح للوزراء العرب موقف مصر بوضوح فأكد لهم أن مصر لا تفكر في الدخول في أي أحلاف عسكرية، أو دفاع مشترك. وأنها تعتمد كل الاعتماد على ميثاق الضمان الجماعي العربي، وتريد أن يصبح هذا الميثاق حقيقة فعالة مستقلة تكسب الدول العربية

قال الرئيس جمال عبد الناصر في اجتماعه بوزراء خارجية الدول العربية : إن المصالح العربية العاجلة تتطلب إعادة النظر في ميثاق الجامعة وتحويله من مجرد (حبر على ورق) إلى (ميثاق عملي) . وتستدعي دراسة ميثاق الضمان الجماعي العربي دراسة عملية حتى يكون ميثاقاً مهماً يكتسب الثقة بين الدول العربية ، ويكتسب احترام دول العالم أجمع .

وقال : إن جميع الدول العربية تشكو من الشكوى من الجامعة العربية ، مع العلم بأن الجامعة ليست إلا انعكاساً لحالة أعضائها ، وعيبها عيب الدول العربية .

وقال لوزراء خارجية العرب : إن مصر ترى أن اجتماعهم في النصف الأول من يناير القادم سيكون الفرصة الأخيرة لتبنت كل دولة عربية في اتجاهات سياساتها الخارجية المختلفة ، وإن نتائج ذلك الاجتماع - من اتفاق أو خلاف - ستعلن للشعوب العربية حتى تعرف تلك الشعوب موقف حكوماتها من مختلف المسائل الحيوية.

وقال لهم : إن من المعروف أن السياسة

« بيد أن إسرائيل ما فتئت تقبل المهاجرين اليهود . والمفهوم أنها ستعتدى على أراض عربية جديدة ، وفي هذه الحالة ستصبح الجولة الثالثة أمراً لا معدى عنه . وأشك أن العرب يعملون على الدول الغربية الثلاث ، لأنهم يرتابون في محافظتها على اليهود التي قطعها على نفسها بمقتضى التصريح الثلاثي . مثال ذلك ما عهد إليه سفيرا بريطانيا وأمريكا من تقديم أوراق اعتمادها إلى حكومة إسرائيل في القدس ، فنقضت الدول الثلاث عهودها الخاصة بالمحافظة على الوضع السيامي للمدينة المقدسة . وأماننا الوسائل التي ينتزع بها الصهيونيون مياه الأردن دون اعتبار لحقوق العرب . وإن للمباحثات والمجاملات الدبلوماسية لا تجدى مع إسرائيل ، .

وأكد فارس الخورى أن سوريا تتبع سياسة الحياد بين الكتلتين الشرقية والغربية ، وتسمى إلى كسب صداقة كل منهما .

وقد عقب متحدث بلسان وزارة الخارجية على تصريحات فارس الخورى فقال : إن هذا الحديث لن يخفف من حدة التوتر القائم الآن بين العرب واليهود .

القاء المراسيم

قرر مجلس الوزراء إلغاء إصدار المراسيم فيما كانت تستصدر له ، والاستماعة عنها بقرارات من مجلس الوزراء .

احترام دول العالم أجمع ، لأن ذلك الميثاق - بوضعه الحاضر - لا يدعو إلا إلى السخرية وعدم تبادل الثقة بين الدول العربية بعضها مع بعض وبينها وبين دول العالم كلها .

عضوية الجامعة العربية

قال السيد عبد الخالق حسونة لرؤساء وفود الدول العربية : إننى لا أعترض على أية دولة ترى من مصلحتها الانسحاب من الجامعة العربية ، ولكن الوقت قد أثبت بصورة واضحة أن الخير لكل الخير لكل الدول العربية في التمسك بعضوية الجامعة ، وبذل كل مجهود في سبيل التعاون الفعلى لتقويتها .

مشكلة فلسطين

يتقرر مصيرها بالسلاح

قال فارس الخورى رئيس وزراء سوريا في حديث له مع مراسل التيمس بدمشق : « إن تسوية مشكلة فلسطين أمر مستحيل ما لم تعمل الأمم المتحدة ، أو الدول الغربية ، أو العرب أنفسهم على رد اليهود إلى حالة من التمثل بالقوة . وأخشى أن يتقرر مصير هذه المشكلة بالسلاح فوق تلال فلسطين .

« إن العرب لن يلجأوا إلى الاعتداء أو استعمال القوة لاسترداد حقوقهم ، ولكنهم سيعدون أنفسهم للدفاع حسب ما يقتضيه ميثاق الأمم المتحدة .

اصلاح قبة الصخرة

تقدمت إلى اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية مذكرة من سوريا عن قبة الصخرة في بيت المقدس وحاجتها إلى الإصلاح . فقال وزير خارجية الاردن : إن هذا الموضوع سبق أن اتخذ فيه قرار وعهد إلى الاردن بجمع تبرعات للقيام بهذا الإصلاح ، وقد قامت الاردن بجمع هذه التبرعات ، ولأن كان لا يعرف مقدارها بعد ، واقترح أن يترك أمر الإصلاح إلى الاردن على ضوء الإعامات التي جمعها ، فإذا وجد أنها غير كافية فإنها تطلب من الدول العربية مساعدتها .

قناة السويس

عزم مجلس إدارة شركة قناة السويس على حفر قناتين صغيرتين تبدأ أولاهما من السويس وتبدأ الأخرى من بور سعيد ، على أن يتم حفرهما ويبدأ العمل فيهما من شهر مايو المقبل وكانت شركة قناة السويس قد حفرت من قبل قناة أخرى صغيرة منذ خمس سنوات وهي واقعة عند المنطقة الوسطى للقناة الرئيسية ، وستساعد هذه القنوات الصغيرة على تيسير حركة الملاحة من الشرق والغرب .

وقد بلغ عدد السفن التي اجتازت قناة السويس حتى الآن نحو ٢٥٠ ألف سفينة ،

والمنتظر أن تزداد حركة الملاحة في قناة السويس لأن اليامات التي طلبتها الشركة أخيراً من مختلف شركات الملاحة ونقل البترول دلت على أنه سيبلغ عدد السفن التي تمر يومياً بالقناة ستين باخرة على الأقل .

حسين جاهد بالنشيب

هو الصحفي التركي الذي حكم عليه أخيراً - وقد بلغ الثمانين من عمره - بالسجن ٣٦ شهراً و ٢٠ يوماً لنشره مقالا أهان فيه رئيس الوزارة التركية ووزير الخارجية .

وأول ما عرف به حسين جاهد إصداره في سنة ١٩٠٨ جريدة (طنين) التي كانت لسان الاتحاد والترقي في كل ما كانت ترى إليه من العصبية التركية ضد العناصر العثمانية الأخرى وفي مقدمتها العرب ، وفي تعاونها مع اليهود ولا سيما عنصر الدونمة في سلانيك الذي كان يتظاهر برذته عن اليهودية ومنهم وزير المالية جاريد بك المحرف اسمه عن (دافيد) . كما كانت جريدة طنين لسان حال الدعوة إلى التفريخ والإلحاد تحت ستار الدعوة إلى التجدد والحضارة . ولما شق كمال أتاتورك جميع رجال الاتحاد الترقى استطاع حسين جاهد أن يتجو من هذا المصير بإعلانه ميوله الموافقة لدعوة كمال أتاتورك من الناحية التركية والإسلامية ، ومضى

البحرين قلعة من قلاعهم البحرية بين جزيرة العرب والهند وسائر المشرق ، وكانت لهم ثغور اسم أحدها (صور) والآخر (أرواد) والثالث (جبيل) ذكرها الرحالة اليوناني (سترابون) في كتابه عن الجغرافيا القديمة الذي ألفه قبل ميلاد المسيح وقال : إن في هذه الثغور هياكل تشبه هياكل الفينيقيين ، وبعد أن نزح الفينيقيون عن بلاد المملكة العربية السعودية إلى ساحل الشام سموا بعض الثغور الشامية بأسماء بلادهم التي كانت لهم في ساحل البحرين ، وفي القرن الماضي اكتشف الكابتن دوران ثم تيودور بنت نحو ستة آلاف مدفن للفينيقيين في نفس جزيرة البحرين وسط سهل (المراقيب) بين (المنامة) و (الرفاع) . فهذه الجزيرة العريقة في عروبها كانت إيران أيام الصفويين قبل ما تقي سنة تعتدى عليها بالغزو الاستعماري كالتعتدي على العراق نفسه ، ثم رفع الله تلك المحنة عن البحرين وغيرها ، والآن تنجاهل إيران مشاكلها وعنها وتراسل لبنان والأردن مدعية أن لها حقوقا استعمارية على البحرين ، وقد أحالت لبنان والأردن هذه الدعاوى إلى جامعة الدول العربية فاستكرت الجامعة العربية هذه الدعاوى ، والباس يقولون : إن الشرق العربي لم يعد يقبل الاستعمار من الدول العريقة به فكيف يقبله من مثل إيران ومن يعيش ير .

متحمساً للكياليين كنتحمسه السابق للاتحاد والترقي . وهكذا استطاع أن يعيش في ظل النظام المرسوم في أنقرة قريباً من معيشته فيما مضى في ظل النظام الذي كان مرسوماً في سلاطنتك . إلا أنه اندفع أخيراً في تيار المعارضة للحزب الحاكم الآن في تركيا تأييداً للحزب الآخر الأشد نزوعاً إلى المبادئ الكيالية لحكم عليه بالسجن بعد بلوغه الثمانين من عمره .

نزعة استعمار إيراني

نحو جزيرة البحرين

جزيرة البحرين من أعرق الأوطان العربية في عروبها ، وكانت تسمى في العصور القديمة (جزيرة أوال) على اسم صنم لبني بكر بن وائل وإخوتهم بني تغلب ابن وائل قبل أن تعترف تغلب الديانة النصرانية ، وبني وائل كانوا منتشرين على ساحل الخليج العربي ، وتسمية جزيرة البحرين باسم صنمهم (أوال) يشعر بهذه العلاقة العريقة بالقدم ، وقد قال السعدي المكي يصف نافته - وضرب المثل بنخيل جزيرة البحرين وباسق أشجارها - فقال :

طروح مروح فوق دوح كأنما

يناط بجذع من (أوال) زمامها
بل إن الفينيقيين قبل أن ينزحوا عن
وطنهم الأول نجد والاحساء (البحرين) ،
أي قبل ستة وعشرين قرناً ، كانت جزيرة

رئيس التحرير
محب الدين الخطيب
—
الاشتراك السنوي

٤٠٠	في وادي النيل
٤٠٠	للطبعة وادي النيل
٣٠٠	للعلماء والمدرسين بالادب
٥٠٠	خارج البلاد
٢٠٠	للطبعة خارج البلاد
٤٠٠	للعلماء والمدرسين خارج البلاد

مجلة الأزهر

مجلة دينية علمية جامعية
تصدر عن شيخ الأزهر مرتين في كل شهر عربي

رئيس المجلة
عبد اللطيف السبكي
عضو جماعة كبار العلماء
—
العنوان
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٢١٤
ثمان نسخة ٢٠ مليما

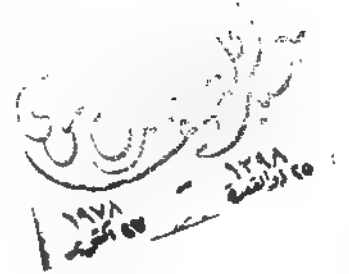
القاهرة في غرة جمادى الأولى ١٣٧٤ - ٢٦ ديسمبر ١٩٥٤ - الجزء التاسع - المجلد السادس والعشرون

الفهرس

العدد	الموضوع	صفحة
٤٨٢	أمة وسط	٤٨٢
٤٨٦	نفحات القرآن : من مناقب المسيح عليه السلام	٤٨٦
٤٩١	اللسنة : قصة أبي طالب - ٢ -	٤٩١
٤٩٥	محنة الأدباء بمدح محنة الأدب	٤٩٥
٤٩٩	ديوان مجد الاسلام — غزوة حراء الأسد	٤٩٩
٥٠٥	حديث القرآن عن التطهير	٥٠٥
٥١١	كلمة الأزهر في افتتاح معهد بنها	٥١١
٥١٦	« معهد بنها	٥١٦
٥١٧	مظاهر الهدم في الأفلام المصرية	٥١٧
٥٢٢	نظرية المساواة في الحرية الاسلامية - ٢ -	٥٢٢
٥٢٨	كلمة شيخ معهد دنشور يوم بدء العمل في المعهد	٥٢٨
٥٣٠	المخيل وكخب التفسير	٥٣٠
٥٣٥	من أدب الاسلام	٥٣٥
٥٣٩	الأدب والعلوم	٥٣٩
٥٤٣	أبناء العالم الاسلامي	٥٤٣
٤٨٢	الاستاذ محب الدين الخطيب رئيس التحرير	٤٨٢
٤٨٦	« عبد اللطيف السبكي عضو جماعة كبار العلماء	٤٨٦
٤٩١	« طه محمد الساكت	٤٩١
٤٩٥	« أبو الوفا الرازي	٤٩٥
٤٩٩	« احمد محرم	٤٩٩
٥٠٥	« أحمد العرباض	٥٠٥
٥١١	« عبد اللطيف السبكي مدير التفتيش	٥١١
٥١٦	« حسن يوسف شيخ المعهد	٥١٦
٥١٧	« أحمد طه السنوسي	٥١٧
٥٢٢	« محمد محي الدين للسيدي	٥٢٢
٥٢٨	« عبد العزيز ملك	٥٢٨
٥٣٠	« محمد محمد أبو شبة	٥٣٠
٥٣٥	« طه الزيني	٥٣٥
٥٣٩	« المجلة	٥٣٩
٥٤٣	«	٥٤٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أمة وسط



« وكذا لك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء
على الناس ، ويكون الرسول عليكم شهيداً ،

سورة البقرة - الآية ١٤٣

أعلن وزير ماليتنا في الشهر الماضي أن مجموع الدخل المصري إذا وزع على سكان بلاد الجمهورية جميعاً أصاب الفرد الواحد منهم ٣٩ جنهاً في السنة . بينما متوسط دخل الفرد الواحد في الولايات المتحدة الأمريكية ٧٩٩ جنهاً ، وفي بريطانيا ٢٨٤ جنهاً ، وفي فرنسا ٣٤٠ جنهاً . وقبل أن يعلن وزير المالية المصرية هذه الحقيقة المؤلمة كانت الإحصائيات المتوالية تفرح آذان الناس وتلفت أنظارهم إلى هذه الحقيقة في كل عام .

وإذا كان متوسط الدخل السنوي للفرد من سكان مصر ٣٩ جنهاً ، فإن المشاهد أن في هؤلاء السكان من يبلغ دخله ألوف الجنيهات ، ومعنى هذا أن الحد الأدنى لدخل العدد الأعظم من الذين يعيشون على ضفتي النيل المبارك قد يهبط إلى خمس هذا المتوسط الذي ذكره وزير المالية . وفي كتاب (مبادئ علم الاجتماع) للدكتور صلاح العبد أن متوسط أجر العامل الزراعي في أيام العمل خلال عام ١٩٥٠ كان عشرة قروش في اليوم ، وإذا علمنا أن متوسط عدد أيام العمل الزراعي يبلغ ١٨٠ يوماً في السنة تبين لنا من ذلك أن متوسط الدخل اليومي للعامل الزراعي لا يزيد على خمسة قروش ، والقدرة الشرائية لخمس القروش في سنة ١٩٥٠ تساوي القرش الواحد أو بضعة عشر مليماً من نقود سنة ١٩٣٩ وما قبلها ، وقد يكون العامل ممن يعملون أطفالاً لا يعملون ، فتكون معيشتهم ونفقتهم عملة على هذا الدخل الهزيل لعدد عظيم من المواطنين .

وسبب هذا التفاوت في الدخل بين الحد الأدنى والحد الأعلى في مصر يرجع إلى سوء توزيع الأراضي الزراعية عندنا ، فإن ٧٢ في المائة من الملاك الزراعيين هم الذين كان يملك الواحد منهم إلى سنة ١٩٤٩ أقل من نصف فدان ، و ٢ في المائة منهم هم الذين يملكون من ١٠ أفدنة إلى مائة فدان فئات ، وبين الذين يملكون أقل من نصف فدان وهم ثلاثة أرباع الملاك ، والذين يملكون عشرة أفدنة إلى مئات وهم ٢ في المائة توجد طبقة وسطى نسبتها ٢٣ في المائة ، والواحد منهم يملك بين فدان وعشرة أفدنة ، وهذه (الطبقة الوسطى) في مصر الضائعة بين أهل الشظف والفاقة ، وبين أهل البطر والتبذير هي التي أردت أن أتحدث عنها اليوم .

إن الطبقة الوسطى هي معدن الخير في كل أمة ، وأفرادها هم أهل العافية والرضا والاستقرار ، لأنهم ارتفعوا عن منزلة الفقر المدقع الذي كاد أن يكون كفرأ ، وعاقام الله من بلاء الغنى الفاحش الذي هو عنوان الطغيان في كتاب الله « إن الإنسان ليطغى ، أن رآه استغنى » .

وهذه النعوت الخلقية للطبقات الدنيا والمتوسطة والطاغية قد تزول سريعاً بزوال أسبابها إذا لم تكن عريقة في الوراثة ، فينحط ابن الطبقة المتوسطة عن مرتبته الخلقية إذا افتقر ما لم يعصمه من ذلك ميراث أصيل من الفضائل ، ويتحلل ابن الطبقة الدنيا بخير من أخلاق طبقته إذا غنى المجتمع بتربيته وتخفيف وطأة الفقر عنه ما لم تكن الأمراض الخلقية مستحصية في بيئته منذ دهر طريل ، وتتجه مواهب أبناء الاغنياء نحو الخير إذا حسن تهذيبهم وتوجيههم ما لم يكن الطغيان عريقاً فيهم إلى حد القرور والصلف .

يقول الله عز وجل : « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ، ويكون الرسول عليكم شهيدا » . وقد أجمع المفسرون على أن « الوسط » هم خيار الأمة ، وإنما كانت الأمة التي اختارها الله لرسوله صلى الله عليه وسلم أمة وسطا لأنهم لا يعرفون نظام الطبقات ، فالغنى فيهم لم يكن من ذوى الغنى الفاحش الذى تنأصل به خليفة الطغيان في نفس صاحبه ، والفقير منهم متوسط الفقر وقد جبر الله فقره بما طبعه عليه من طبيعة الاستغناء والتحرر من معظم الكجاليات ، فهم في بيتهم لم يكونوا يعرفون هذه الكجاليات ، ولذلك لم يكونوا يحتاجون إليها . فالأمة كلها كادت تكون أمة وسطا في معاشها ، فكان لذلك أثره الخلقى من العفة والرضا والاستعداد للخير . وكانت هذه الأمة الوسط في حاجة

إلى معرفة طرق الهدى وأسباب السعادة لترتفع إلى مرتبة الشهادة على الأمم والحكم على منازلتها من الحق والخير ، فبعث الله إليها رسوله بهذا العلم ، ووضع بين أيديها سنن الفطرة ، وقواعد العدل ، وأحكام التشريع الإنساني ، فكان لها من ذلك ميزان تزن به أخلاق الأمم وأحداث التاريخ ، فتشهد على الأفراد والجماعات بما تدل عليه موازين هذه السنن والقواعد والأحكام ، وتتوجه عليها - هي نفسها - شهادة الرسول عليها مدة حياته ، وبما تركه لها من هذه السنن والقواعد والأحكام بعد انتقاله من بين ظهرانيها إلى الرفيق الأعلى .

إن مدار هذه الشهادة على الناس بموازين الإسلام قائم على الاعتدال الذي أراد الإسلام لأمته أن تكون أمة وسطاً ، وأن تكون الطبقة الوسطى من هذه الأمة هي صاحبة النسبة الكبرى في تعدادها ، لأن الطبقة الوسطى هي معدن الخير ، وأهلها هم أهل العافية والرضا والاستقرار . والوسط خير الأمور في ميزان الإسلام ، بل هو لسان الميزان ، وهو العدل . وذلك أن الزيادة على المطلوب في كل أمر إفراط ، والنقص عنه تقصير وتفريط ، وبالإفراط والتفريط يخرج الناس عن الصراط المستقيم . والاعتدال مطلوب بنظر الإسلام في كل شيء حتى في الدين ، وقد ورد النهي عن الغلو في الدين كما ورد النهي عن التفريط والتقصير فيه .

لقد كتب الله النجاح لرسالة الإسلام على أيدي أصحاب رسول الله ﷺ لأنهم كانوا أمة وسطاً ، ولعل من حكمة الله في اختيارهم لصحبة خاتم رسله ، واختصاصهم بمؤازرته على حمل أعباء رسالته ، كونهم أمة وسطاً فطرت على الاعتدال ، والبعد عن الإفراط والتفريط ، ولذلك استجابوا لرسالة الإسلام فيما دعهم إليه من القيام بالحق في كل شيء ، فأعطوا أجسادهم حقها من الوقاية والرعاية ، وأنفسهم حقها من التطهير والتهذيب ، وجيرانهم حقهم من حسن الجوار وجيل التعاون ، وفقراءهم حقهم من التعهد بالبر والإحسان ، وديهم حقهم من العمل به والدعوة إليه وكف عادية الأعداء عليه ، وهذا من ثمرة العلم الذي تعلموه من حامل أكمل رسالات الله ، فأعطوا كل ذي حق حقه ، ثم كانوا شهداء على الناس بما أدوا وما أهلكوا من هذه الحقوق ، ورضوا برسول الله ﷺ وبرسالته شهيدا عليهم .

وحق الذين كانوا أغنياء من أصحاب رسول الله ﷺ - كما مير المؤمنين عثمان ذي النورين وعبد الرحمن بن عوف - كانوا في أنفسهم يعيشون عيشة وسطاً ، وكان لهم من فضل أموالهم ما آزرُوا به الإسلام وأهله في سله وحربه وفي كل ما يعلى مراتبهم عند الله .

الإسلام لم يحظر على أهله الثروة والغنى ، ولكن كان من طبع أهله الذين تشبعوا بسنته وأخلاقه أن يجعلوا فضل غناهم في سبيل الله وإسعاد الأمة ، وبذلك نزه الله سيرتهم عن الطغيان الذى وصف به من يستغنى من دهماء الناس وخشارتهم .

والإسلام إذا امتلأ بالإيمان به قلب الفقير أعانته ذلك على احتمال شظفه ، وزاده عوناً على ذلك ما يربى به الإسلام أهله من العفة عن التبذير ، والتحرر من كل ما يزيد على ضرورة العيش .

ثم إن من مقاصد الإسلام مكافحة الفقر والنهوض بمستوى أهله ليكثر أهل الطبقة الوسطى فى المجتمع الإسلامى فتكون منهم الأمة الوسط التى تحاول أن تشبه بأخلاق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سلمهم وحريهم وفى رغائهم وأزماتهم وفى جميع أحوالهم .

والملاحظ الآن فى مصر وسائر الاوطان الإسلامية عناية ولادة أمورها بمكافحة الفقر والنهوض بمستوى أهله ، وأكثرما تتوجه إليه هذه العناية فى المساديات من أسباب العيش ، وفى نشر التعليم بين أبناء الجيل الذى سيحل محل آباءه فى المستقبل القريب . وإن من سعادة مصر والاطوان الإسلامية كلها أن تزدوج مهمة ولادة الأمور فى إسعاد الطبقة الفقيرة ، فيكون مع العناية بتحصين معاشها العناية بتعريف الإسلام إليها وتوجيهه إلى قلوبها وتوجيهها فى طريقه ، ولا سيما فى (تحريرها) من التبذير والانفاق فيما لا يضمن ولا ينفى من جوع كالدهان والشاى والملاهى ومدارج الإثم .

فالعناية بنفوس هذه الطبقة وأخلاقها لا تقل أهمية عن العناية بزيادة مواردها وتحسين حالها فى معاشها ومساكنها ، والإسلام إذا عرفنا السبيل إلى إدخاله فى نفوس أهله هو الوسيلة الأولى والاخيرة للإكثار من عدد الطبقة الوسطى ، فإنه رسالة الأخلاق ، ودين الكفاح والعمل ، ومدرسة التعاون وحسن التعامل . وإذا كان من الصعب النجاح الكامل فى هذا الميدان بين الذين شبوا عن الطوق ، فلا أقل من أن تكون المدرسة فى البلد الإسلامى مصنعا لتخريج الجيل الإسلامى المؤمن بالاعتدال والتعاون على البر والتقوى ليكثر به سواد (الطبقة الوسطى) ، وهذا هو الطريق إلى المستقبل .

محج الربيع الخطيب

نفاية القرآن

- ٢٤ -

من مناقب المسيح عليه السلام

ويكلم الناس في المهد ، وكهلا ، ومن الصالحين

١ - إثبات هذه المكرمة لعيسى لا يقبل الجدل ، ولا تعلق به الرية بعد خبر القرآن ، وحديثنا عن تكلم عيسى في المهد يقتضينا أن نمهد له بالعود إلى ذكر مريم ، فإن هذا الشأن من ذلك على تمام الاتصال .

٢ - وقد كان قصص مريم عجبا غاية العجب لأنها - كما قلنا - كانت فتاة من الفتيات ، ثم أما من الأمهات ، ولكن شأنها كله لم يكن كشأن - رواها من نساء العالمين ، ومع بلوغها ما بلغت من العجب فهناك سند من الحق لا يحمل أمرها غريبا غرابة الشيء الذي تسكره الأفهام ، أو تترث العقول في تصديقه ، بل يحمل أمرها في منزلة الشيء الذي يتقبله الذهن ، ويعيه القلب ، في استجابة لا تعثرها الشبهة ، ولا يعوزها التحجيص ، ذلك السند هو أن نبأ مريم كله مستمد من الكتب السماوية ، وليس من روايات القصاص ، وأنه جاء في آيات بينات من القرآن ، والقرآن لا يهتم بالتعصب لمريم ، فلماذا لم يكن أمرها مستساغا عند آخرين من عرفوا ذلك ؟ .

٣ - والجواب : أن الأمر يبلغ مبلغه من العجب فيجذب أناسا إلى قبوله ، والافتتاح به إلى درجة الدفاع عنه ، والموت في سبيله ، لأنهم يدركون من قرائته أنه غير مصطنع ، ويتجهون بتوفيق من الله إلى أن غرابته آية صدقه ، وأنه الحق لا ريب فيه ، إذ أن مرد ذلك إلى قدرة الله ، وكل شيء بالقياس إلى قدرة الله سهل مستساغ .

وهذا مبعث الإيمان لمن نبأ للإيمان بفطرته ، دون أن يتارعه شك أو يمن في جدل .

٤ - ومثل ذلك فيمن سبق إلى الإيمان بموسى - عليه السلام - حينما تبين لهم أن معجزته

فوق سحر فرعون ، وكذلك من سبق إلى الإيمان بعيسى - عليه السلام - حينما رأوه يبرئ الأكمه والأبرص ، ويحيي الموتى بإذن الله ، ومن آمن بمحمد - صلوات الله وسلامه عليه - حينما رأوه يتلقى الوحي من عند الله ، ويعطاهم بآيات من القرآن الذي عرفوا مبلغه من البلاغة الساحرة ، وقدره قدره ، وحينما رأوه مؤيداً بالمعجزات التي لم يكن لهم بمثلها عهد ، وكذلك القول في سائر النبيين مع من آمن بهم من أقوامهم ، لاقتناعهم بأن دعواهم النبوة صادقة ، لاقرانها بالمعجزة الخارقة للعادة .

هـ - هذا وقد يكون مبلغ العجب من الشيء نفسه أن تكبره أفهام ، وتقف دونه عقول .

ومرد ذلك عندهم إلى ما ألفوا ، وأن الأمر في حسابهم مقيس بقدرتهم ، فيدفعهم الجلود على هذا إلى المكابرة العنيفة ، والمقاومة الصاخبة ، حتى تكون حروباً طاحنة .

ومثار ذلك أنانية متعكبة ، وغرور متأصل ، وانحراف في الفطرة ، ومنتهى ذلك كله كفر بالحق ، وصدود عن الهدى ، وأحقاد موروثة من بعد .

ومثل ذلك فيمن كفر بالأنبياء من قبل ، ومن كفر بموسى ، وعيسى ، ومحمد - عليهم الصلاة والسلام - من بعد .

وهؤلاء الذين كفروا ، وأولئك الذين آمنوا ، يقفون أمام شيء واحد هو هو ، ولكن العجب من ذلك الشيء يقع موقع الرضا عند فريق ، وموقع السخط عند فريق . وفي مثنى القرآن أمثلة كثر ، وما نحب أن نطيل فيها ، وحسبك أن تقرأ أى موضوع فيه مناسبة للناقضين أو الكفار ، فإنك واجد فيه تفصيلاً أجلاً ، وتأكيذاً لما أسلفنا ، وهو يزيدك معرفة بأن الحاجة والنقاش فيما يزيد عن النفاذ لا يكونان وسيلة إلى الاقتناع والاستسلام للحق ، وإنما هما تبرير للبخالفة ، ووقود للخصومة .

٦ - وقصدي - وقد أطلت عليك في التمهيد - أن فصل الحديث بمريم وعيسى عليهما السلام .

فإن مريم أتت بعيسى دون أن تضاجع زوجاً ، أو تعرف عنها صلة بالرجال .

وذلك أمر يثير العجب عند الناس، وعند آل مريم، لأنهم لا يعمدون مثله، فلمهم العذر إذا دهشوا له، ولهم العذر إذا وقفوا - أولا - من مريم موقف الندم والتساؤل (يا أخت هرون ! ما كان أبوك أمراً سوء . وما كانت أمك بغيا ؟) فهم يشهدون لها بكرم الأصول، وكرم البيته : من أخ، وأب، وأم . وم - في مريم - بين ماض طيب موثق منه ، وبين حاضر مريب ، يخافون منه على سمعتها وعلى مناقبها أن تذهب بها الغواية ، ويتخفون منه على مجدم وشهرتهم أن يذهب في غبار الشبهة التي تثار حول مريم الآن .

وم يواجهونها بتأسيف ممزوج بتلطف (يا أخت هرون) فهرون مثل مشهود بينهم في الفضل ، ومن تمكن أختاً له تمكن مثله (ما كان أبوك أمراً سوء ، وما كانت أمك بغيا) فإذا كان الولد من أبربن صالحين ، فاشأن فيه أن يكون كذلك ، إذ لا خبث فيهما حتى يكون الخبث نزعة منحدره إليه من أصوله .

وفي ضوء هذا الموقف نستفيد أن الوراثة عاملة عملها في الذرية ، وأن الفرع ينجم من أصله - كما حفلت بذلك آداب الإسلام وحكم العرب - ونستفيد أن استهجان الفاحشة أمر قديم ، وأن مجرد الظن بحصولها يثير النفوس الالابية ، وينفضب القلوب الطيبة ، وهذا هو وحى الفطرة التي آزرتها الأديان السابوية من قبل مريم ومن بعدها .

فلا عجب أن يستشيط أهلها لأمر كهذا ، وأن يتطلعوا منها إلى جواب يكشف غامضه . وهذا موقف ينص فيه المرء بريقه ، ويقف عن الكلام لسانه ، وماذا يملك الحر البريء من وسائل الدفاع عن نفسه ، حينما تقوم الشبهة وتعمزه الحيلة ؟؟ هذا مقام النجوى إلى الله ، والركون إلى جانب الله .

٧ - وسنة الله في عباده قديما : أن من يتق الله يجعل له مخرجا . . وأن من يتق الله يجعل له من أمره يسرا .

وهذا ما صنعت مريم . . فقد آثرت ألا تحتاج عن نفسها ، وانجبت إلى الله بعقلها وخواطرها ، وفوضت إليه أن يتولى برامتها بما زعموا ، وأن يحفظ عليها سمعتها ، ويكفهم عن التشكك فيها ، وهو الله الذي بشرها بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ، وهو الله الذي اصطفاها ، وطهرها ، واصطفاها على نساء العالمين .

٨ — ولقد صدق الله وعده بما وضعت ، فلم يبق إلا أن يعلم القوم بما خفي عليهم ، فمكّن من إعزاز الله لها أن ألهمها الإشارة إلى طفلها ففعلت .

ولكن الأمر عند القوم يزداد عجمة وغرابة ، وهم لذلك يبادرونها بقولهم (كيف نكلم من كان في المهد صبيا) ؟؟ وهنا تشرق الحقيقة المنشودة ، وينجلي الأمر الغامض ، إذ أنطق الله الصبي في مهده بخير ما ينطق لإنسان ، وأصدق ما يلجج به لسان (قال : إني عبد الله ، آتاني الكتاب ، وجعلني نبيا ، وجعلني مباركا أينما كنت ، وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا ، وبرأ بوالدتي ، ولم يجعلني جبارا شقيا ، والسلام على يوم ولدت ، ويوم أموت ، ويوم أبعث حيا) .

نعم : كان عيسى في مهده ، وقد غاض الناس في شأنه ، ومريم كانت تحسب لهذا اليوم حسابا ، وتوقع ما يثار حولها يوم يكون الوعد بكلمة الله أمراً مقضيا . وهذا ما حدا بها إلى الخروج من معتكفها بالمسجد ، وإيوائها إلى جذع النخلة بالمكان القصي عن محلة القوم .

وسواء أكان ذلك المكان في مصر أم كان عند بيت لحم هناك كما يختلف الرواة ، فقد عادت بطفلها مع من يرعاها من أهلها إلى حيث يقيمون .

وقد كان منطق عيسى بينهم فصل الخطاب ، ومقطع النزاع .

كان في هذه العجبية الكريمة من عجائب الله في عيسى ما يحلو الشبهة ، ويرفع من شأن مريم أكثر مما رفعتها مناقبها المعبودة لهم ، فإن الوضع من غير زوج أصبح مكرمة ربانية للعدواء القاتنة ، بعد أن نطق صديها في مهده بما نطق على مسمع ومرأى من جمهرة لا تكذب .

٩ — وكانت هذه العجبية الربانية آية جديدة على ما يكون لهذا الوليد من الشأن ، فقد جهر فيهم بأنه عبد الله ، وأنبأهم بأنه سيؤتي بكتاب من عند الله ، وكأه قد أوتى به فعلا فأخبر بصيغة الماضي ، وأنبأهم بالنبوة ، وأنه مبارك من عند الله في كل آوئته وأعماله ، وأنه سيكون متعبداً بما يفرض الله من صلاة وزكاة ، وسيكون باراً بوالدته

لأنها كريمة على ربها ، وسوف لا يكون جباراً على الناس ، ولا شقياً في نفسه ولا بين معاصريه . وهذه المكارم الخلقية إلى جانب صفاته الدينية ، وإلى ما سبق من عماد مريم ، وما لحق من مفاخر عيسى ، كلها مآثر ناطقة أفصح النطق بمنزلة مريم وعيسى عند ربهما ، وكلها قاضية أحكم القضاء بأن تؤمن بعيسى وأمه على نحو ما بين الله في شأنهما : لا مزيد ، ولا نقص .

١٠ — ولكن هذه المكارم الحقّة العجيبة كانت مفترق الطرق ، فأناص تقبلوا ذلك كله في أوضاعه الصحيحة ، وعاشوا أو يعيشون على الإيمان به حتى يفارقوا دنياهم ، ويلقوا ربهم غير شاكين في هذا ولا منحرفين عما رسم الله .

وأناص استكثروا ذلك الفضل على عيسى وأمه ، وغازطهم أن يخرج عليهم نبي بعد نبيهم ، فلفطوا كثيراً ، وأمعنوا في اللفظ ، وشمخوا شموخاً كاذباً عن دعوة الحق ، والحق أباج عند من ينظر إلى الأمور بعقله ، وقلبه ، وإنصافه ، وينظر في مراسم الدين والتدين من المنافذ المشرقة المضيئة حتى يتبين له الرشد من النى .

والقضية ليست قضية شخصية ؛ يحاول كل طرف من أطرافها أن يتغلب على صاحبه : محقاً أو مبطلاً !!

ولأنما هي دين سماوى يقتضينا البعد عن المجازفات الطائفية ، والتزهد عن الغرض من رسول رفع الله من قدره ، وخصه بمحظ وفير من فضله .

ومن سنة الله أن يكون لكل نبي عدو من المجرمين ، ومن سنة الله كذلك أن يبين للناس معالم الهدى ، ومواطن الزلل ، ليتعرفوا موقفهم من ربهم ، ولئلا تكون لهم حجة عنده ، بعد أن دعاهم على السنة أنبيائهم . ولو أنهم أصاخوا إلى الدعوة المسموعة على لسان كل رسول لتخلصوا من كثير من الشر ، وظفروا بأكثر مما يطعمون فيه من الخير ، ولكن ...

وإلى العدد القادم

عبد اللطيف البكى

عضو جماعة كبار العلماء

الشيعة

قصة أبي طالب

— ٢ —

يأس الرسول صلى الله عليه وسلم من مداية عمه - يأسه من الاستغفار له - شفاعته فيه - عمه أهون أهل النار عذابا - جزاء من جنس العمل - مكربة لأبي لهب - أداء الله عن نبيه .

عن العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه قال للنبي ﷺ : ما أغنيت عن عمك ؟ فإنه كان يحوطك ويغضب لك . قال : هو في ضوضاح من نار ، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار .

وعن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم وذكر عنده عمه أبو طالب ، فقال : لعله تنفعه شفاعتى يوم القيامة ، فيجعل في ضوضاح من النار يبلغ كعبه ، يغلى منه دماغه !

رواهما الشيخان ، واقتضى البخارى

لو لم يكن من شأن أبي طالب إلا أنه عم النبي ﷺ وكفيله ، لكان بتلك العمومة الحميدة ، والكفالة الرشيدة ، جديراً باهتمام النبي صلى الله عليه وسلم وعنايته المكرمة . . . فكيف إذا كان أبو طالب أول الذين عزروه ونصروه وشدوا أزره ، ودافعوا عنه وعن دعوته ما استطاعوا إلى الدفاع سيلا . . .

ولو أن أبا طالب وهو يعزر النبي ﷺ وينصره ، اتبع النور الذي أنزل معه - لكان في طليعة السابقين الأولين ، الذين رضى الله عنهم ورضوا عنه ، وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ، ولكن أضله الله الذي يضل من يشاء ، ولو تربى في بيت النبوة والرسالة ! ويهدى من يشاء ، ولو نشأ في حجر الكفر والضلالة ، قل فله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين . .

* * *

استئش الرسول صلوات الله وسلامه عليه من هداية أبي طالب بعد أمرين :
بعد أن عرض عليه كلمة التوحيد فردها أحوج ما يكون إليها ، وكان آخر كلامه : هو على دين عبد المطلب ؛ وبعد أن أنزل الله فيه قرآناً يتلى : « إنا لا نهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء وهو أعلم بالمهتدين » .

ثم استئش صلوات الله وسلامه عليه من الاستغفار له ، بعد أن أنزل الله فيه وفي غيره : « ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم » .

* * *

هذا بعض شأن النبي الكريم ، ذى الخلق العظيم مع همه أبي طالب ١١
أمنية ملؤها الحنان والرحمة ، أن يهديه الله للإسلام ، جزاء ما قدم له من أيا دجسام ...
ثم عاطفة يحدها الألم والامل ، أن يغفر الله له ، ويهبه لنيبه أكرم الخلق عليه ، وأقربهم إليه ...

ثم رجاء كريم ، في رب رحيم ، أن يشفعه فيه ، فيخفف عنه عذاب الخلود في جهنم ١١
لا بتقصير مداه الذي لا يتنهي أبداً ... ولكن بأن يكون أهون أهل النار عذاباً يوم القيامة ، وإن كان هو يرى أنه أشد هم عذاباً ١١

* * *

وقد حدثنا النبي ﷺ من طريق عمه العباس رضى الله عنه ، لما سأله عن أخيه أبي طالب ، وعما يرجو من الله له - أن الله تعالى شفعه فيه فجعله في هذا المقدار القليل من النار ، ولولا هذه الشفاعة لكان في أسفلها دركا ، وأقصاها مدى .

وتفسير ذلك - في الصحاح - أنه يوضع في أخمص قدميه جمرتان أو نعلان من نار يغلى منهما أم دماغه كما يغلى الرجل والقمقم ، وفي رواية : كما يغلى الرجل بالقمقم ^(١) .

* * *

وكان أبا طالب لما زحزح قدميه عن الدين القيم ملة إبراهيم حنيفا ، وثبتهما على ملة عبد المطلب - ثبت الله قدميه في هذا الضحضاح جزاء وفاقا ...

ولولا كلمة سبقت من ربك : « إن الله لا يفر أن يشرك به ويفر ما دون ذلك لمن يشاء » لغفر لأبي طالب شركه ، تحقيقا لآمنية طالما تمنّاها النبي صلى الله عليه وسلم ، وتمناها أصحابه معه ، إقرارا لعينه ، ومكافأة لصنيعه ...

* * *

على أن استجابة الله تعالى لهذه الشفاعة النبوية الرحيمة - فوق أنها تكريم للنبي صلوات الله وسلامه عليه ، وفضيلة له ولعمه خاصة - هونت عليه كثيرا عما قامى في هداية عمه ! ثم كانت أجل وأعظم مما قدم أبو طالب لدين الله وتبته من صنعة ...

* * *

وعما يتصل بهذا لإكرام الله لنبيه بتخفيف عذاب القبر كل ليلة اثنين عن عمه أبي لهب ، وكان من أعدى أعدائه ، وأشدّهم في مناوآته وإيذاته ! ! وذلك بأنه أعتق جاريته ثوية حين

(١) أخمص القدم : باطنها ، والرجل : إناء يغلى فيه الماء وغيره ، والقمقم : إناء ضيق الرأس يسخن فيه الماء ، وقيل هو البسر ، كانوا ينزلونه استعمالا لنضجه . والتفسير الأخير ملائم للرواية الأخيرة . ذلك ، ومن مجائب الاتفاق ما أشار إليه صاحب الفتوح من أن الذين لم يسلموا من أعمامه صلى الله عليه وسلم أبوطالب واسمه عبد مناف ، وبين أسماء المسلمين جفوة وتناف ، وأشدّ منه جفوة وتنافيا أبو لهب واسمه عبد المزي ، ولا جفوة في حمرة والعباس رضوان الله عليهما .

بشرته بولادته ، قالت له : أشعرت أن آمنة ولدت لأخيك عبد الله غلاماً ؟ فقال لها : اذهبي فأنت حرة ...

وقد صح أن أخاه العباس رآه في النوم بعد سنة من وفاته ، وكانت بعد وقعة بدر ، فقال له : ما حالك ؟ قال : في النار بشر حال أو بشر حية^(١) إلا أنه خفف عني كل ليلة اثنين ، أمص^{*} من بين إصبعي هاتين ماء ، وأشار إلى النفرة التي تحت إبهامه ...

* * *

وكذلك يريد الله ألا يجعل لأحد ديناً في علق نبيه من منة أو صنعة إلا كافأها بها ، ولو بدرت منه عفواً غير مقصودة ...

* * *

أليس الذي يجزي أعداء نبيه أحسن مما قدموا له من صنعة — بقادر على أن يجزي أحبائه أضعافاً مضاعفة ، وهم الذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه ؟ بلى ، إنهم جدراء بأن يضاعف جزاءهم ويؤتيهم من لده أجر أعظماً ؟

ط محمد السالك

العمل الصالح

١٢٩٨
٢٥ ربيع الأول
١٣٩٨

قال الفضيل بن عياض في تفسير قول الله عز وجل (في سورة هود وسورة الملك) :
« ليلوكم أيكم أحسن عملاً » قال : أخلصه وأصوبه . قال : فإن العمل إذا كان خالصاً
ولم يكن صواباً لم يتقبل ، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يتقبل . والخالص أن يكون لله ،
والصواب أن يكون على السنة .



محنة الأدباء

بعد محنة الأدب

تحدثت في كلمة سابقة عن محنة الأدب ، وعرضت لشيء من أسبابها وعللها .

وفي النفس أن أحدث اليوم عن محنة الأدباء ، وقد بمشي إلى ذلك ما قرأته عن حفلة لذكرى أديب من أدباء مصر المشهورين ، وأحمد علمائها الدينيين ، وهو المرحوم الأستاذ أحمد أمين ، فقد ذكرت بعض الصحف أن مجلة المحتفلين بهذه الذكرى كانوا أربعين رجلاً ، هم زملاؤه في المجمع فقط ، وواحد من عامة الشعب ذوى الجلاليب البيضاء ولعمر الحق لقد غشيتني الحسرة وأرمضني الألم ، وقلت لنفسي : يا لله !! أهذا هو تقدير الأدباء في مصر وتقدير الشعب لذكراهم . أفليست هذه محنة ، بل داهية دهياء ، وبليّة طخياء ؟ وإذا كان ذلك تقدير أحمد أمين فماذا يكون تقدير غيره من الأدباء من هم دونه علماً وأدباً ، ومقاماً ومنصباً . أتقابل ذكرى أحمد أمين بهذا الجحود والتكران ، وهو الذى خدم النهضة الأدبية والتاريخية والثقافية عامة : مدرساً ومؤلفاً وكتائباً وخطيباً وناشراً ، خدمة لا نفلو إذا قلنا : إنها من أعظم ما قدم للأدب والتاريخ في الربع الثانى من القرن العشرين كما يحس بذلك كل من له صلة بالتاريخ والأدب والصحافة .

وماذا يبقى للأدباء من العزاء ، وما الذى يبعثهم على الدأب والإنتاج ، وأن يذنبوا نفوسهم ، ويصبروا عقولهم ، ويطفئوا نور عيونهم ، ليقضوا حق الأدب ، إذا كانوا لا يقدرون أحياء ولا أمواتاً !!

لقد كان عزاء الأدباء إذ نيا بهم المقام ، وتنكر لهم الزمان أحياء ، أن يقدروهم التاريخ ، وتنصفهم الأجيال ، وأن يقدروا جهودهم وذكراهم أمواتاً ، ولكن إذا عز هذا وذاك فما يكون العزاء ؟

لو كان أحمد أمين عضواً في نقابة الممثلين أو المطربين أو الطبّاخين لاحتشد لتكريم ذكراه جموعهم ، وتبارى في الإشادة بمناقبه ومآثره خطباؤهم ، وامتلأت أنهار الصحف بتقدير جهاده وجهوده . إن الصحف التى فاضت أنهارها أياما بمحادث تافهة لسيدة مغامرة ،

ضفت على أحد أمين يوم وفاته ويوم تأيئته بهر من أنهارها تودى به حقاً لأديب وعالم
ومحنى من أشهر أدباء مصر وعلمائها .

• • •

وإنا إذا كنا نلقى بعض العتب واللوم على جبهة الشعب لتقصيرها في تكريم العلماء
والأدباء ، فإننا نوجه العتب كله واللوم كله إلى الأدباء أنفسهم ، وإذا كان للأسباب الشخصية
بين الأدباء أثرها في التهاون بتكريم الأحياء من الأدباء ، فقد كان حرياً أن ينسبهم جلال
الموت هذه الأسباب في تكريم الراحلين منهم . وتكريم ذكرى الأديب ليس تكريماً
لشخصه ، بل هو تكريم للأدب والعلم ، وإشادة بالأدباء والعلماء ، وإذا هانت على الأدباء
أشخاصهم ، فلا ينبغي أن نهون عليهم آثارهم وأفكارهم .

لقد كنا نفرض على القذى حين نحس بما يعاني بعض الأدباء من قسوة في العيش ،
وضيق بالحياة ، وما كانوا يلقون من إهمال ، وشهدنا من الأدباء من ضاقت به وسائل العيش ،
فركب مضطراً خشن المراكب ، وسلك مسالك لا يحمد بها الأدب والأدباء ، والمضطرب
يركب الصعب من الأمور ، وطالب القوت ما تعدى :

إذا لم يكن إلا الاسنة مركبا فلا يسع المضطر إلا ركوبها
ومن المعب أن تروج كل الصناعات ، وتجرى رياح الحياة رخاء على أهلها ، ويخلع
الزمن عليهم ثياب العز ، ويضفي عليهم حلل النعيم ، فيضمرؤا بقبيل الحال وتطور الزمن ،
إلا صنعة الأدب ، فقد تشابهت أزمائها ، واطرد البؤس في أهلها على اختلاف العصور ،
حتى أن ما قيل في كساد حرفة الأدب وسوء أحوال الأدباء من قديم الأزمان ما زال
جديداً صادقا يترجم عنها وعنهم في هذا العصر ، ووجو ألا يترجم عنهم في مستقبل الأيام .
لقد شكوا الأدباء قديماً زمامهم وأهل زمانهم ، وبجلت كتب الأدب صدى
أنبيهم وشكواهم : أدياراً ، وفناريفعا ، يتغنى بجماله شداة الأدب على اختلاف الأجيال .
وقديماً قال المعري :

رب متى أرحل عن هـ ذه الدنيا فإنى قد أطلت المقام
لما أدر ما نجمي ولكنه في النحس مذ كان جرى واستقام
وقال :

ورضت صباب آمالي فكانت خيولا في مراتعها شمسنة

ولم أعرض عن الذات إلا لأن خيارها عني خفتها
ولم أر في جلاس الناس خيراً فمن لي بالنوافر إن كنته
ومن بعده قال الشاعر الشنبري في حرفة الوراقة ، وهي شديدة الصلة بالأدب :
أما الوراقة فهي أنكر حرفة أوراقها وثمارها الحرمان
شبهت صاحبها بحالة إبرة تكسو العراة وجسمها عريان

وقد ذكرت بعض الصحف منذ مدة أن مائة أديب من أدباء روسيا كتبوا إلى حكوماتهم
يشكون الشقاء الذي هم فيه ، وأبلاغوها أنهم اعتزموا الانتحار ، إن لم تر الحكومة في أمرهم
رأياً جميلاً ، فظن الأستاذ الأسمر قصيدة منها :

لقد كان ظني أنكم في سعادة وما لأديب العرب ثم شقاء
ولم أدر أن الغرب والشرق واحد وأنا بأنحاء الورى نساء
فلما شكوتكم حاج ذلك خاطرى بشعر عزاء القول فيه بكاء

ولقد ألف العلامة الدلجى كتاباً خاصاً في بؤس العلماء والأدباء وسماه « الفلاكة
والمفلوكون » وترجم لكثير منهم عن أدركته حرفة الأدب ، ونفق بهم طائر الشؤم ،
وقدم له بمقدمة رائدة في الفلاكة ، وهي الفقر والبؤس ، وبحث في أثرها النفس والجسمي
في نفوس الأدباء بحثاً علمياً دقيقاً ، وعبر عن ذلك تعبيراً صادقاً ، كله أنين وتوجع ، وحسرة
ونفجع ، وبكاء على الآمال الضائعة ، والأحلام الذاهبة ، وإنه لكتاب من عيون كتب
الأدب ، خليق بأن يتأسى به البائسون من الأدباء والمحدودون من العلماء ، ومن طريف
ما جاء به ما قاله الشاعر المشهور عثمان بن محمد الكلبي الغزي :

قالوا هجرت الشعر قلت ضرورة باب الدواعي والبواعث مفلق
خلت الديار فلا كريم يرجمي منه النوال ولا مليح يعشق
ومن العجائب أن تراه كاسداً ويخاف فيه مع الكساد ويسرق

• • •

ومما رواه عن الشاعر المشهور ابن الخياط :

لم يبق عندي ما يباع بحبة وكفناك مني منظري عن مخبري
إلا بقية ماء وجه صنتها من أن قباع وأين أين المشتري

وبؤس الأدباء قضية جرت بها الأقدار من قديم، وسارت بها الأمثال في الآفاق ، ولاسما امتحن الله الأدباء بالبؤس ، وقد قيل في تمثيل ذلك : إن الله أراد أن تكون ينابيع الأدب ثرة فوارة ، وما هذه الينابيع إلا نفوس الأدباء إذا امتحنت فتأثرت فانفعلت فجرت بالسلسال العذب من الأدب العالي ، كما يهطل الغيث من المزن ، تثيره الرياح ، ويضطرب بالريعود والبرق ، وأى تأثر أشد مما تثيره المحنة بالبؤس في نفوس الأدباء ، وهم ذوو الشعور المرهف ، والحس الرقيق ، والآثار التي تعبر بألحانها عن خفقات القلوب ولوعات النفوس ، ولو استقامت للأدباء أحوالهم ، وطابت حياتهم ، واستقرت نفوسهم ، لصرفتهم النعمة عن رسالتهم ، وخرست بلايل الأدب على أدواح رياضه ، وكذلك حكم الأدباء على أنفسهم ، وقديماً قال أحدهم :

إن الشباب والفراغ والجدة مفسدة للبره أى مفسدة
وقد يكون هذا التعليل صحيحاً إلا أنه لا يطرده ، فكأن من أديب قد أطلق الزرف لسانه ، وأرهف حسه ووجدانه ، وشرح صدره وجنانه ، فعرز عصوله وكثر إنتاجه ، وجادت بالسحر الحلال قريحته وخياله ، وكان أدبه تصويراً دقيقاً لحياة الدعة والزرف التي عاش فيها ومنازل النعمة التي تهلل بين أحضانها ، وما أفسد الزرف ابن المعتر ولا نقص منه أو نزل به حتى غدا تاريخه بين الأدباء أخلد وأشهر من تاريخه بين الخلفاء ، وما حجب الزرف عبقرية شوقي حتى دان بها كل أديب وشدا بها كل متأذب ، ومن قبل ذلك حمل امرؤ القيس وهو من ملوك كندة لواء الشعر في الجاهلية . وكمن أديب شوش البؤس عليه فكره ، ونقص عيشه ، فأكدت قريحته ، وتعطل خياله ، ونضب معين أدبه ، وحرمت الناس من ثمرات فكره .

هذا ويرى بعض الأدباء أن محنة الأدباء أظهر ما تكون في الشرق ، وأنها نتيجة الجهل والركود الفكري ، وقد تزول إذا انتشر التعليم . واستنارت بنور العلم عقول أبنائه ، وتنبه الوعي الأدبي في شعوبه حتى يدركوا منزلة الأدب بين فروع المعرفة ، وإذا ذلك يقبلون على الأدب ، ويمجد الأدباء من الإقبال والتشجيع الأدبي والمادي ما يهيئهم إلى العمل والإتقان ، إلا أنه لا يغوتنا أن ننبه إلى أن الكفاح للعيش والنضال دونه قد صرف الناس عن شئونهم من الأدب ، والأدب كما قال بعض الأدباء : ترف ذهني تلوذ به النفوس في ظلال الفراغ والخفض والاستقرار ؟

أبو الوفا المراكشي

ذِي الْقَعْدَةِ الْحَمْدُ لِلَّهِ
 مِنْ بَيْنِ أَشْيَاءِ الْإِسْلَامِ الْكَبِيرَةِ مُحَمَّدٌ وَآلِهِ
 بِعَلْقَانِ الْأَسْتَاذِ الْبَاهِيَةِ عَبْدِ الْلطِيفِ نَعِيمٍ

غزوة حمراء الأسد

هو مكان على ثمانية أميال من المدينة ، وكان الخروج إلى هذه الغزوة يوم الأحد سادس عشر شوال في السنة الثالثة من الهجرة ، على أثر رجوع المسلمين من غزوة أحد ، دعا إليها النبي ﷺ بعد صلاة الصبح ، وأمر ألا يخرج معه أحد ممن تخلف عن أحد ، وكانت جراحه وجراح الذين أصيبوا معه في هذه الغزوة لا تزال كما كانت ، فلم يتخلف أحد منهم . وسبب الخروج إلى حمراء الأسد أن عبد الله بن عمرو المزني جاء إلى الرسول الكريم وأخبره أن أبا سفيان يريد الرجوع إلى المدينة بمن معه ليستأصل من بقي من أصحابه ، وأن المشركين يحرضونه على القتال ، وكان أن مضى معبد الخزاعي من عند النبي ﷺ إلى أبي سفيان بالروحاء ، ووصف له بأس المسلمين وقوة جيشهم ، ثم نهاه عن القتال ، فأنصرف خائفا إلى مكة :

أقبلوا ، أو فاتقوا سوء المرء	ربض الموت بحمراء الأسد
غاضكم أن لم تنالوا مأربا	فنادى الفيظ ، واشتد الحسد
كيف ينجو من رمى من قومكم	كل جبار ، فأسمى قد همد ؟
لم لا تزجي السبايا ، فترى	مردفات ، تشتكي عما تعبد ؟
لا تدعها يا (ابن حرب) جذوة	تتلظى من قریش في الكبد
يا بن حرب أطفئ النار التي	شها أبطال (بدر) و (أحد)
كل حرب نحدث نيرانها	منذ حين ، وهي حرى تنقد

لا تطلع (صفوان^(١)) واخذ رايه لا تطلعه (مرشداً) يا بني الرشد
ارجعوا فاستأصلوا أعداءكم تلك عز الدهر ، أو مجد الأبد
حاربوا الله ، وزيدوا شططاً إنها فتنته في من جحد
حاربوه ، وانصروا أصنامكم لا تبالوا من قواه ما حشد
يا (ابن عمرو^(٢)) مات من أنبيائهم ما رأت عينك من هزل وجد
لك أذن من (رسول الله) في حد غضب يتقيه كل حد
شاور (الصديق^(٣)) فيهم ودعا يسأل (الفاروق) ما الرأي الأسد ؟
إنها الهيجاء ياخير الوري مائتاً منها ، ولا للقوم بد

•••

ارفع الصوت ، وأذن بالوغي يا (بلال الخير^(٤)) أذن واقتصد
ادع من خاض المنايا ، واصطلي جذوة الامس ، وأمسك لا تزد

•••

نفر القوم خفافاً ، ما وني منهم الجرحى ، ولا استعنى أحد^(٥)

[١] شرحها الناظم ولم يثبتها ، والمراد صفوان بن أمية ، نسي أبي سفيان ومن معه من الحرب وقال : يا قوم لا تفعلوا . فاني أخاف أن يجمع عليكم محمد من تخلف عن الخروج إلى أحد ، فارجعوا والدولة لكم ، إني لا آمن إن رجتم أن تكون الدولة عليكم . فلما بلغ ذلك رسول الله قال : أوشددم صفوان وما كان يرشيد [نعم] .

[٢] قال عبد الله بن عمرو المزني للنبي صلى الله عليه وسلم : إني سمع المشركين يقولون لأبي سفيان : لا محمداً قتلت ، ولا الكواكب أردفت . بش ما صنعت ، ارجعوا .

[٣] دعا النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر وعمر ، وحدثهما بما قال عبد الله بن عمرو ليعرف رأيهما ، فقالا : يا رسول الله ، اطلب القوم ، لا يقتحمون على القرية .

[٤] أمر النبي صلى الله عليه وسلم بلالا أن يؤذن في المسلمين بالخروج للحرب ، وأن يقدم المتخلفون عن أحد .

[٥] كان منهم القدي به تسم جراحات ، وهو أسيد بن حضير ومثله عقبة بن عامر ، والقدي به عمر ، وهو خراش بن الصمة والقدي به بصع حفرة جراحة ، وهو كعب بن مالك ، وعشرون وهو عبد الرحمن بن عوف ، وبضع وسبعون ، وهو طلحة بن عبيد الله القدي قطعت إصبعه فثك بقية أصابع يده اليسرى ، رضي الله عنهم : « القدين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم الفرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم » .

دعوة الحق ، استغفرت (جابرًا) ^(١) فاستغفرت هبرزيًا ^(٢) ذا لبد ^(٣)
 جاء يشكو : كيف ينقذ دمه لم أغب عن (أحد) لولا أبي
 فاز بالرضوان إذ خلفني ومضى قبلي شهيداً ، فأنا
 أنعم الله عليه ، فشنق سار في الجيش ، وخلي هم
 فزت يا (جابر) فأنعم وابتهج فزت يا (جابر) فأنعم وابتهج

* * *

ذهب (السكب ^(٤)) حثيثاً ، فأنجرد يحمل البأس ، ترامى فاطرد
 يحمل الويل لقوم غرم من ذويهم كل شيطان مرد ^(٥)
 زعموا الحق حديثاً يفترى ورضوا بالشرك ديناً يعتقد
 وتماروا ^(٦) في النطابي ^(٧) الذي يصلح الأمر ، إذا الأمر فسد

شرحه الناظم ولم يثبت ، وهو جابر بن عبد الله ، جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم متقيهاً للخروج ، ولم يكن قد شهد أحداً ، فقال : يا رسول الله ، إنما تخلفت عن أحد لأن أبي خلفني على سبع - وقيل تسع - أخوات لي ، وقال : يا بني إنه لا ينبغي لي ولا لك أن نترك هؤلاء الندوة لا رجل فيهن ، ولست بالذي أؤثرك بالجهاد مع رسول الله ، لعل الله يرزقني الشهادة ، فتخلف على أخواتك . فبقيت فيهن ، واستأثر هو بالشهادة ، فأتدنى إلى رسول الله فأذن له ، ولم يأذن لغيره من المتخلفين [نعيم]

[٢] الهبرزي : الأسد .

[٣] جمع لبدية وهي شعر زبرة الأسد .

[٤] اسم فارس من خيل الرسول خرج عليه في هذه الفزوة وعليه الدرع والمنفر ، ولم يكن في الجيش يومئذ فارس سواه ، وأنجرد : أسرع ومضى لا يلوي على شيء .

[٥] مرد : بمعنى عتا وتكبر وجاوز الحد .

[٦] تمارى في الشيء : شك .

[٧] الطيب والعالم ، والمراد به النبي صلوات الله وسلامه عليه .

(ساحر) آناً، وأنا (شاعر) ^(١) ما رأوا من سحره ، ماذا قصد ؟ ^(٢)
سطع النور لمن بأبي العمى فعلى عليه يحنى من يصد

* * *

من رأى الضعف على الضعف انطوى
حمل الجرح على الجرح فنى
إيه (عبد الله) أشهد (رافعاً)
ألقه عن منكب لوماد من
ما لحق الله إلا مؤمن
إيه (عبد الله) ما أصدقها
يا (أبا سفيان) أنصت واستمع
إن ترد خيراً ، فهذا (معبد) ^(٣)
جمع (الغازي) لكم من محبة
انظروا الثيران ^(٤) : هل تحصونها ؟
فإذا القوة والعزم الأشد ؟
موجع الكاهل ، مهدود الكتد ^(٥)
غزوة الحراء في القوم الشهد
هضب (رضوى) كل عال لم يمد
لا يبالى غيره فيما اعتمد
همة صماء ، تأبى أن تهد
ثم أنصت واتتد ، ثم اتتد
أو لم يفتك أن الأمر إد ؟ ^(٦)
وذويه كل صتديد نجد ^(٧)
إنها شتى تراهى من بعد

[١] هكذا كانوا يقولون .

[٢] قصد الشاعر : واصل عمل القصاصد .

[٣] الكتد مجتمع الكتكتين أو الكاهل ، أو هو ما بين الكاهل والظهر ، والبيت وما يمد في
عبد الله ورافع ابني سهيل بن رافع - قال عبد الله : شهدت أحداً وأنا وأخى فرجنا جريحين ، فلما أذن
بالخروج إلى حراء الأسد قال أخى : أتقوتنا هذه النزوة ؟ وما كان لنا من دابة نركبها . فخرجنا
وكنت أخف جراحاً منه ، فكنت أحله مرة وأرسله أخرى - دعا لهذا النبي صلى الله عليه وسلم لما
اقتبها إليه وقاله : ان طال بك العمر كانت لكأ مراكب من خيل وبنال وإبل .

[٤] كانت خرواة موالية لرسول الكرم ، فلما أصاب المسلمين ما أصابهم في غزوة أحد جاءه
معبد الخزاعي ، وقال : يا محمد ، والله لقد عز علينا ما أصابك في نفسك ، وما أصابك في أصحابك ،
ولوددنا أن الله تعالى أعلى كعبك ، وإن المصيبة كانت لنفرك ، ثم مضى إلى أبي سفيان . فقال :
ترك محمد وأصحابه قد خرجوا لطلبكم في جمع لم أر مثله قط ، يشعرون عليكم تحرقاً ، وأطال في
ذلك تحويلاً له ولمن معه ، ثم نهام عن القتال فأتوها .

[٥] الاد : الأمر الفظيع والدامية .

[٦] النجد : الشجاع الماضي .

[٧] كان المسلمون يوقدون كل ليلة خمائة نار ليظن العدو أنهم كثير العدد ، وكانوا دون السبعائة

واسألوها ، إنها السنة يا (ابن حرب) للنساياء الحرة^(١)
 لا تريدوا من يريد غيرها انها من قومكم خير البرد^(٢)
 لا تظنوا أنكم أكفاؤهم إنها منكم لأحلام شرد
 اذكروا الأبطال تهوى ، واتقوا حاصد الموت ، كفاكم ما حصد

* * *

أرأيت الرعب يقتال القوى مستبداً بالعنى المستبد ؟
 رجع القوم سراعاً ، وارعوى عاصف الشر ، فأسمى قدركد
 وتولوا فنولت أنفس تنزى ، وقلوب ترتعد
 يقذف الوادى بهم قذف الحصى تبلغ الريح به أقصى الأمد
 غارة الله على أعدائه تتوالى مدداً بعد مدد
 سوم الأحجار ، لو صبت على ذلك الجلع المولى لم يعد^(٣)

* * *

يا (أبا عزة^(٤)) ماذا تتقى ؟ يا (أبا عزة) أقبل ، لا تحد
 أين تمضى ؟ كل شيء مصرع كل فج من لجاج الأرض سد
 هل رعى السيف دما من عابث ناكث من كل عهد ما عقد ؟
 تطلب العفو ، وتهذى ضارعاً بينيات ضعيفات الجلد

[١] من الدد وهو شدة الخسومة .

[٢] جمع يريد .

[٣] أرسل أبو سفيان إلى النبي صلى الله عليه وسلم يقول إنهم أجمعوا على الرجعة . فقال صلى الله عليه وسلم : حبينا الله ونعم الوكيل ، وألقى نفى بيده لقد سومت لهم الحجارة ، ولو رجعوا لكانوا كأمس القاهب ، وسوم الشيء : جعل له علامة .

[٤] أبو عزة الشاعر القدي من عليه النبي صلى الله عليه وسلم وهو أسير بيد فاطمة بغير فداء وحة بيناته ، وقد كان طاعده أن لا يقاتله ، ولا يظهر عليه أحداً ، فنقض العهد ، وخرج مع المشركين في غزوة أحد يستنصر الناس ويحرضهم على قتال النبي صلى الله عليه وسلم . وقع أسيراً في هذه الغزوة فقال للنبي : امن علي ودعني لبناتي ، وهدي لك ألا أعود لك ما فلت . فقال صلى الله عليه وسلم : « لا يبلغ المؤمن من جهر مرتين » ، وأمر بقتله .

أو لم يمن عليك المرنجي لذوى الضعف فأكثر الفند^(١)
تنظم الشعر ملحاً حرماً وبك خذها ضربة تشفى الحرد^(٢)

• • •

وثب العدل ، يوالى صيده وهو ظلم فأنك إن لم بعد
أخذ الذئبين^(٣) في أنيابه ماييالى منها ما يزدرد
لا تعودا من صريعى شقوة وليعد من كل حى من سعد
موغل فى الشر يسعى دائباً وحقود لو تركى ما حقد
جاملى زل فى إسلامه فهو من بعد ما كان سعد
أخطأته خطوة كانت له خطوة الساعى ، وفوز المجتهد
احذر العقبي ، فما يدرى الفنى أى ورد إن دعا الداعى يرد

■ • ■

ابتدرياً (سعد)^(٤) فالزاد تفد واصطناع الخدير أشهى ماتود
ابعث التمر على الدهر لها من بجاياك العلى حاد غرد
تحمل التقوى ، وتمضى سمحة فى سوى ليس فيه من أود^(٥)
موقرات أقبلت فى جزر^(٦) نطرد العسر بيسر ورغد
ردت الجوع ، وصانت أنفسا هى لله سيوف ما ترد
لك يا (سعد) لديه ولها من جزاء غير نزر ما وعد

[١] الفند : الكذب والكفر بالنعمة .

[٢] الحرد : الغضب .

[٣] معاوية بن المغيرة بن أبي العاص ، جد عبد الملك بن مروان لأمه ، وابن هم هثان بن هفان ، والهارث بن سويد - أمر النبي بقتل معاوية بعد رجوعه إلى المدينة لأنه كان يقتبغ أخباره ويبلغ بها إلى المشركين ، وكان هثان شفع له قبل ذلك ، وأمر بقتل الهارث (وكان مسلماً) انقلبه المجند بن زياد غدرا فى غزوة أحد ، وكان المجند قيل إسلامه قتل أبا الهارث بأبيه .

[٤] سعد بن هبادة ، ساق إلى المسلمين فى هذه الغزوة ثلاثين بيرا تحمل تمرًا من عنده ، وبث منها جزرا فتحروها وآكلوا منها .

[٥] الأود : الأعوجاج .

[٦] جمع جزور وهو ما يذبح من الأنعام .

حديث القرآن عن التطير

نحن نعلم أن الإسلام الحنيف جاء ناهياً عن التطير ، داعياً إلى التفاؤل ، مريداً بذلك قطع أوهم الجاهلية ، والقضاء على خرافات البشر ، مرتفعاً بالإنسانية إلى حيث يريد لها من العزم والحزم ، والإيمان بمقدر الأشياء وحده .

وقد جاء ذكر التطير في القرآن الكريم في المواضع ، وتأملتُ في حديث التنزيل المجيد عن التطير فإذا هناك أمران عامان : الأول منهما أن القرآن لا يذكر التطير إلا منسوباً إلى الكافرين المكذبين للرسل الخارجين عن أمر الله ، والامر الآخر أن حديث التطير في القرآن الكريم يصحبه إخبار بإهلاك هؤلاء المكذبين الكافرين المتطيرين وتعذيبهم ، وإخبار بأن المؤمنين الموقنين — وهم لا يتطهرون — هم الوارثون لهؤلاء الهالكين المعذبين ، وأن العقوبة للمتقين .

ولنستأنس بجو البحث بحسن أن نعرف المعنى اللغوي للتطير وماله من مرادف ، فقد جاء في (القاموس المحيط) : « والطَّيْرَةُ والطَّيْرَةُ ما يتشامم به من الفأل الرديء ، وتطير به ومنه » .

وجاء في (مفردات القرآن) للأصفهاني : « تطير فلان أو طير : أصله التفاؤل بالطير ، ثم يستعمل في كل ما يتعامل به ويتشامم ^(١) » .

ومرادفه التشاؤم ، جاء في القاموس : « ... والشؤم ضد اليقين ... والاشأم ضد الأيامن ... وقد تشاءموا به ، وطائر أشأم : جارٍ بالشؤم » .

و ضد التطير التفاؤل والتمين ، جاء في القاموس : « الفأل ضد الطيرة ، كأن يسمع مريض : يا سالم ، أو طالب : يا واجد ، أو يستعمل في الخير والشر ^(١) » ، وجمعه فؤول وأفؤل .

وجاء في (أساس البلاغة) : « تفأل به وتفاؤل ، وفي الحديث : أحسن الطيرة الفأل ؛ وهو أن يسمع الكلمة الطيبة فيؤمن بها ، وتقول العرب : لا فأل عليك ، وتقول : دون القيب أقفال ، لا يفتحها الزجر والفأل » ^(٢) .

وفي (النهاية) لابن الأثير أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : ما الفأل ؟ فقال : الكلمة الطيبة ^(٣) .

كما جاء فيها أنه صلوات الله وسلامه عليه كان يتفاؤل ولا يتطير ، « وإنما أحب الفأل لأن الناس إذا أملوا فائدة الله تعالى ورجوا عائدته عند كل سبب ضعيف أو قوى ، فهم على خير ، ولو غلطوا في جهة الرجاء ، فإن الرجاء لم خير ، وإذا قطعوا أملهم ورجاهم من الله كان ذلك من الشر . وأما الطيرة فإن فيها سوء الظن بالله وتوقع البلاء » ^(٤) .

ويذكر ابن الأثير الحديث : « الطيرة شرك ، وما منا إلا ، ولكن الله يذهب بالتوكل » ويذكر أن الحديث جاء مقطوعاً ، أى : « إلا وقد يعتربه التطير ، وتسبق إلى قلبه الكراهة ، فحذف اختصاراً واعتماداً على فهم السامع ، ويقال : إن « وما منا إلا ، من قول ابن مسعود أدرجه في الحديث » ^(٥) .

وإنما جعل الطيرة من الشرك لأنهم كانوا يعتقدون أن التطير يجلب لهم نفعاً ، أو يدفع عنهم ضرراً إذا عملوا بموجبه ، فكانهم أشركوه مع الله في ذلك ، وقوله « ولكن يذهب »

[١] غلب استعمال التفاؤل فيما يسر ، والعبرة هنا بالنائب ، وإلا فالتطير أيضاً قد يستعمل فيما يسر نادراً . جاء في النهاية : « والطيرة لا تكون إلا فيما يسوء ، وربما استعملت فيما يسر » .

[٢] أساس البلاغة ، ج ٢ ص ١٨٩ .

[٣] النهاية ، ج ٣ ص ١٨٩ .

[٤] ج ٣ ص ١٨٠ و ١٨١ .

[٥] في بعض الروايات جاء : « وما منا إلا من تطير » انظر تفسير القرطبي ، ج ٧ ص ٢٦٦ .

التوكل ، معناه أنه إذا خطر له عارض التطير فتوكل على الله وسلم إليه ، ولم يعمل بذلك الخاطر ، غفره الله له ولم يؤاخذ به ^(١) .

وليس وراء ذلك خبرة بالنفس البشرية ، ولا براعة في علاج وساوسها وأوهامها .
ولقد روى أن السيدة عائشة رضى الله عنها سمعت من يقول : إن الشوم في الدار والمرأة ؛ فطاروت شقة منها في السماء وشقة في الأرض ، أى كأنها تفرقت وتقطعت قطعاً من شدة الغضب .

فعم روى الحديث : ثلاث لا يسل أحد منهن : الطيرة والحسد والظن ؛ قيل : فما نصنع ؟ قال : إذا تطيرت فامض ، وإذا حسدت فلا تبغ ، وإذا ظننت فلا تحقق ، ^(٢) ، ولكن هذا من باب : وما منا إلا . . . فهو يصور ما يعرض للنفس من أوهام ووساوس وبلايل ، وإلا لحديث الصحيحين صريح : لا عدوى ولا طيرة .

• • •

ننتقل بعد ذلك إلى استعراض الآيات التي جاء فيها ذكر التطير ، لتبين معانيها بإجمال ، ثم نتبين في كل منها الأمرين العامين اللذين سبق ذكرهما في صدر البحث .

يقول الله تبارك وتعالى في شأن قوم موسى الذين كذبوه وكفروا برسالته : « فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه ، وإن نصبهم سيئة يطايروا بموسى ومن معه ، ألا إنما طائرهم عند الله ، ولكن أكثرهم لا يعلمون » ^(٣) .

أى إذا جاءهم الحصب والرغاء والسعة قالوا : هذا لنا وهو مختص بنا ونحن أهلوه ، وإن نصبهم قحط أو مرض ينشأهوا بموسى ومن تبعه ، وذلك نظير قوله تعالى في موقف الكفار من محمد صلوات الله وسلامه عليه : « وإن نصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك ، قل كل من عند الله فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثنا » ^(٤) ؟ .

والعرب من أوهامها كانت تطير بالطائر الآتى من جهة الشمال وتتشام منه وتسميه

(١) النهاية ، ج ٣ ص ٥٢ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) سورة الأعراف : آية ١٣٠ و ١٣١ .

(٤) سورة النساء ، آية ٧٨ .

البارح ، وكانت تقيمن بالطائر الآتي من جهة اليمن وتسميه السانح ، ومن أمثلتهم : « من لي بالسانح بعد البارح ، ، والأعاجم كانت تطير بأشياء ، فجاء الإسلام ناهبا عن التطير والتشاؤم . وقال عكرمة : كنت عند ابن عباس ، فر طائر يصيح ، فقال رجل من القوم : خير . فقال ابن عباس : ما عند هذا لا خير ولا شر . وقال الرسول ﷺ في ذلك : « ليس منا من نح - لم (أى ادعى الرؤيا) أو تكهن ، أو رده عن سفره تطير » .

وقال الرسول ﷺ : « من رجعت الطيرة عن حاجته فقد أشرك . قالوا : وما كفارة ذلك يا رسول الله ؟ قال : أن يقول : اللهم لا طير إلا طيرك ، ولا خير إلا خيرك ، ولا إله غيرك ، ثم يمضى لحاجته .

ومعنى « إنما طائرهم عند الله » أى ما قدر لهم أو عليهم عند ربهم ، لأن الطائر من معانيه فى اللغة الحظ وعمل الإنسان ، « ولكن أكثرهم لا يعلمون ، أن ما لحقهم من القسط والشدائد إنما هو من عند الله بذنوبهم ، لا من عند موسى وقومه .

فأنت ترى هنا أن التطير قد ذكر منسوباً إلى كفره مكذبين ، وكانت عاقبتهم خساراً ووبالاً وإهلاكاً وعذاباً ، وكانت كذلك ميراثاً كريماً للمؤمنين الذين لا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون ، إذ ورثوا مشارق الأرض ومغاربها ، فيقول القرآن صوب ذلك : « فانتقمنا منهم فأغرقناهم فى اليم بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين ، وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التى باركنا فيها ، وتمت كلمة ربك الحسى على بنى إسرائيل بما صبروا ، ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون ، (١) . ويقول القرآن الكريم : « قالوا اطيرنا بك وبمن معك ، قال طائرهم عند الله بل أتم قوم تفتنون ، (٢) .

هذا قول ثمود لنبيهم صالح عليه السلام حين كفروا برسالة وكذبوه فى دعوته : أى تشاء منا بك وبمن آمن معك ، (قال طائرهم عند الله) أى سيديكم الذى يحى منه خيركم وشركم عند الله ، وهو قدره وقسمته ، إن شاء رزقكم وإن شاء حرمكم ؛ ويجوز أن يريد : عملكم مكتوب عند الله ، فنه نزل بكم ما نزل عقوبة لكم وقتة (٣) .

(١) الأعراف ، آية ١٣٦ و ١٣٧ .

(٢) النمل ، آية ٤٧ .

(٣) تفسير الكشاف ، ج ٢ ص ١٤٦ .

وقد وردت كلمة « طائر » بهذا المعنى في قوله تعالى : « وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً » ^(١) .

وجاء أن المراد بالطائر عمله ، من قولك : طار له سهم إذا خرج ، يعنى ألزمناه ما طار من عمله ، فعمله لازم له لزوم الفلادة للمثق لا تفك عنه كما قال الزخشرى ^(٢) .

وقال البيضاوى : « عمله وما قدر له ، كأنه طير إليه من عش القيب ، ووكر القدر ، لما كانوا يقيمون ويتشاءمون بسنوح الطائر وبروحه ، استعير لما هو سبب الخير والشر من قدر الله وعمل العبد » ^(٣) .

والنتيجة في آية النمل هي النتيجة أيضاً ، إهلاك وتعذيب للمتطيرين ، ونجاة وتكريم وميراث خير للمؤمنين المتقين الواقفين . يقول الله تعالى بعد آية النمل التي جاء فيها ذكر التطير : « فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم وقومهم أجمعين ، فذلك بيوتهم غاوية بما ظلموا إن في ذلك لآية لقوم يعلدون ، وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون » ^(٤) .

ويقول الله تعالى : « قالوا إنا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجنكم ولينسنكم منا عذاب ألیم ، قالوا طائرکم معکم ، أنن ذکرتم ، بل أنتم قوم مسرفون » ^(٥) .

نزلت هذه الآية في شأن أهل القرية (أنطاكية) الذين كذبوا الرسل مرة بعد أخرى وكفروا بدعوتهم ، فقالوا لأولئك الرسل : إنا تطيرنا بكم وتشاء منا منكم ، وكانوا في ضلالهم وغهم مسرفين .

فإذا كانت العاقبة ٩ . كانت هلاكا وتعذيبا للكافرين المتطيرين ، ونجاة وفوزاً للمؤمنين . يقول الله تعالى بعد ذلك عن الرجل المؤمن الذي جاء يسعى داعياً قومه أهل القرية إلى الإيمان وهو حبيب النجار : « قيل ادخل الجنة ، قال ياليت قومي يعلمون بما غفر لي ربى وجعلني من المكرمين » ^(٦) . ولا شك أن دخول الجنة أعظم ميراث .

[٢] تفسير الكشاف ، ج ٢ ص ٣٥٤ .

[٤] النمل ، آية ٥٣ و ٥٤ .

[٦] يس ، آية ٢٦ و ٢٧ .

[١] الاسراء ، آية ١٣ .

[٣] تفسير البيضاوى ، ص ٣٧٧ .

[٥] يس ، آية ١٨ و ١٩ .

ثم يقول أيضاً عن المكذبين الكافرين المتطيرين : « وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء وما كنا منزلين ، إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم خامدون ، » (١) .
أفرايت العاقبة الوخيمة ؟

• • •

ومن مظاهر تنفير القرآن الكريم من التطير والتشاؤم أنه اختار للفلاحين الناجين وصفاً من مادة التيمن وهو التفاؤل ، واختار للجرمين الخاسرين وصفاً من مادة التشاؤم وهو التتيطير ، فقال سبحانه : « فأصحاب الميمنة ، ما أصحاب الميمنة ؛ وأصحاب المشأمة ، ما أصحاب المشأمة » (٢) .

أى ، فأصحاب المنزلة السنية وأصحاب المنزلة الدنية ، من تيمنهم باليمن ، وتشأمهم بالشئائل ، وأصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة الذين يؤتون صحائفهم بأيمانهم والذين يؤتونها بشئائلهم ، أو أصحاب اليمن والشؤم ، فإن السعداء يمينون على أنفسهم بطاعتهم ، والأشقياء مشائمين عليها بمعصيتهم ، (٣) . فأنت ترى أيضاً أن القرآن قد جعل التشاؤم من صفات الضالين الفاسقين المعذبين ، وجعل اليمن من صفات المؤمنين المتقين ، وقد عاد القرآن فذكر ذلك صريحاً في قوله : « والذين كفروا بآياتنا هم أصحاب المشأمة » (٤) .

• • •

أليس ذلك الحديث القرآني الدقيق عن بلوى التطير كافياً لصرف الناس عن الاستسلام إلى أوهام التشاؤم ، ومحرضاً لهم على التوجه إلى الله والاهتداء بهداه والحرص على رضاه ؟

« ربنا لا نرغ قلبونا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب ، »

أحمد الترمذى

المدرس بالأزهر الشريف

(١) سورة يس ، آية ٢٨ و ٢٩

(٢) الواقعة ، آية ٨ و ٩

(٣) تفسير البيضاوى ، ص ٧١٠

(٤) سورة البلد ، آية ١٩

كلية الأزهر

في افتتاح معهد بنها الدينى
ألقاها فضيلة الشيخ عبد اللطيف السبكى

بسم الله الرحمن الرحيم .

الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى جميع النبيين .

أيها السادة :

من المباحج السارة أن يجتمع قادة الأمة وأولو الامر وأصحاب رأى فيها ،
لمثل ما اجتمعنا له اليوم من المناسبات المباركة التى أضفت على هذه الجوع الزاخرة لون
الإخاء الصادق فى الوطنية وفى الميول والاهداف ، وألفت منهم صورة حية تتمثل فيها
الأمة متجاوبة فى غبطتها بحاضرها ، واطمئنانها إلى مستقبلها ، وطموحها إلى المثل العليا ،
والتفافها حول قادتها الناهضين بأعبائها ، والسالكين بها مسالك النجح إلى أكرم الغايات .

أيها السادة :

يغمرنا جميعاً شعور قسوى بأن الأمة آخذة سبيلها فى جد ومثابرة إلى السكالك ،
فى كل شأن من شئوننا المادية والادبية ، وفى كل جانب من جوانب حضارتها الاجتماعية ،
وليس ذلك لمجرد وعد نظرب لسماعه ، ولا لمجرد أمل بذاعتنا ، وإنما هى أمور واقعية ،
لا نكاد نسمع البشرى بها ، حتى نراها شاخصة فى حيز الوجود ، ويصدق الخبر الخبر ،
وما نحن بحاجة إلى الإسهاب فى ذلك ، فكلكم راه بعينه ، وما راه كمن سمعا .

أيها السادة :

إن تكن أعمال الإنشاء فى الدولة ، ومظاهر النهضة فى مرافقها المختلفة ، مدعاة
السرور الذى تبادلها ، ومثار البهجة التى شملتنا ، فأولاهها بذلك ما يتصل بالعلم والتعليم ؛
فإن العلم - كما شامت حكمة الله - روح الحياة للأفراد والجماعة ، وهو الركن الأول
فى تكوين الأمة ، والعماد الأقوى فى شيوخ بنياتها ، وتخليد مجدها .

وقديما كانت رسالات الانبياء علماً يوحى به من عند الله ، ليلفوه إلى الناس حتى
تصبح به عقائدهم ، وتستنير به عقولهم ، وتنظم جماعتهم ، وتستقيم حياتهم .

وقد قام التوجيه الإسلامى بنوع أخص من أول أمره على الإشادة بالعلم ، وكانت الدعامة الأولى فى قيام الرسالة المحمدية هى قول الله سبحانه : « اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم ، الذى علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم » . ثم تأنى إلى جانب العلم الذى حمله إلى الناس رسلهم ، علوم أخرى من نتاج العقول ، وأمور أخرى لشئون الحياة الدنيا ، ليست شيئاً غير ما أتى به الدين .

ولأنما هى جزء أصيل تحتويه إجمالاً رسالة الإسلام ، ودعوته إلى المعرفة والتجديد ، بكل ما يستطاع من وسائل ، فإنها من منهج الدين ، ولا تخالفه ، إلا أن تكون أهواء باطلة ، أو نزعات جامحة ، أو شهوات جارفة .

فالدين ينسركل ذلك ، كما تنسكه قوازين العلم الصحيح ، ويُبقى على كل أمر صالح لحياة الناس التى فيها معاشهم ومتاعهم وأعمالهم وآخرتهم . لذلك ترون الدين والإسلام خاصة لا ينسركل على الناس أن يعملوا لحياتهم ، بل يحضهم على ألا يفسدوا نصيبهم من الدنيا ، ويدفعهم إلى الكسب بكل وسيلة مشروعة ، حتى ولو كان احتطاباً بالحبل فى رأس الجبل ، ويحضهم على الاعتزاز بالقوة المادية ، لحماية العقيدة الإسلامية ، من خصومها المناوئين لها ، ولحماية الاوطان من الباغين عليها ، ويعلمهم إجمالاً أن المسلم القوى خير من المسلم الضعيف ، وهو مع حرصه على ذلك أشد الحرص ، لا يأذن بالمدوان ، ولا يتساع فى مجاوزة حدود الله مع أهله أو غير أهله ، وهو يأمر بالمعروف دائماً ، وينهى عن المنكر فى أى لون من ألوانه .

أيها السادة :

هذه ثمرات العلم ، وهى وجهة الإسلام فى إشادته بالقراءة والتعلم والتعليم ، وفى تفضيله لأهل العلم على الجهلاء فى قول الله تعالى : « هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » ٢٢

فن الكفيل بالقيام على هذه الدعوة الناصحة ؟ وتنشئة الجيل الجديد على منهجها الصحيح ، حتى يشب على دين يهذبه ويصقله ، ويطبمه بطابع صاف من اللثة ، خالص من الشوائب ؟؟ ويعلمه ماله وما عليه ؟؟

السكفيل بذلك هو دور العلم كافة ، إذا تهيأ لها جميعاً أن تدلى بدلوها فى الثقافة الدينية ،

وهو المعاهد الدينية خاصة ؛ لأنها أقيمت لهذه الغاية قبل كل شيء ، وهي موئل التربية الإسلامية ، وهي مطمح الأنظار لمن يقصدها ليتعلم دينه وآداب هذا الدين ، ويلتم بمعارف القرآن الكريم .
أيها السادة :

تنشئة الجيل الجديد وصوغه على النقط المجدى أمانة في ذمة المشرفين على توجيه الأمة من رجال الحكم ، وأهل العلم ، وحلة الأعلام .

وإذا بدا في تكوين الشباب وهن أو عوج ، فإن الانظار — كما تنبج باللائمة إلى هيمنة الآباء والأمهات — تنبج إلى هذه الهيئات الثلاث ، لأنها أو بعضها لم تحسن التوجيه ، أو لم تخلص في الرعاية ، أو لم تتعاون على صيانة الجيل الناشئ من تسرب الفساد إليه ، ووقايته من مغريات الشباب ، وجهالة الصبا .

فالامر بحاجة قصوى إلى تضافر هذه الهيئات على قطعيم الفناء بتعاليم الإسلام ، وتربيته على غرار الدين في حدوده الرحبة التي نفهمها .

وفي ضوء ذلك أرى غير مسرف أن المنشئ لمعهد ديني كن يشق نهراً في أرض مجدبة ، يستقي الناس من مائه العذب ما يرطب أكبادهم الظامئة ، أو كن يزرع حقلاً مثمرأ مزهراً ، ليقتات الجبايع من ثماره ، ويقطفوا من أزهاره ، أو كن يبني حصناً منيعاً يحمي به القوم من خطر داهم ، ويدفع من شرفانه عدواً غاشماً .

وخطر الظمأ والجوع والخوف من المهلكات لاشك ، وأخطر منها الجهل ، والجهل بالدين بصفة خاصة ، فأى جزاء لمن لم يملك لأولئك الذين نشطوا بدافع من غيرتهم ومروءتهم ، واستجابوا لضميرهم الديني ، فأنشأوا معهداً يقوم في هذا الإقليم مقام النهر العذب في سقايتهم ، ومقام الحقل المثمر المزهري في تغذيتهم ومتعتهم ، ومقام الحصن المنيع في حمايتهم لقومهم وذوده عن أمته ؟؟
جزاء ذلك لا يملكه ، وإنما جزاؤهم عند من وفقهم لذلك ، فعذرة إليكم يا أهل بنا .
سأدق :

كانت مصر في القديم زاخرة بالفلسفة والعلوم ، ومنذ الفتح الإسلامي ابتدأت صفحة جديدة في تاريخها الثقافي ، ثم آل الأمر إلى الأزهر ، ومع غض النظر عن المذهب الفاطمي الذي قام الأزهر في ظله ولاجله أول الأمر ، فسرعان ما انتهج منهجاً إسلامياً معتدلاً ، وصار وحده المصدر المعروف والمعترف به ، وعاشت في ضوئه مصر جاذبة إلى دينها الجديد ، مبقية على تقاليدنا الشرقية والعربية ، حتى بعد أن اتصلت بالثقافة المدنية ، وأنشئت فيها المدارس الحديثة .

ولكن عين الاستعمار لم تغض عن الأزهر ، وسياسة الاحتلال لم يرضها أن تترك للأزهر أفقه الواسع ، فوقفت في سبيله ، وحاصرت في نطاق ضيق ، وقاومت التعليم الديني الإسلامي ، بكل وسيلة ، وصرفت عنه الأنظار بمختلف المغريات ، ونفشت في البرامج المدرسية زهادة في الدين وفي المثلين إليه ، حتى وُجد بين الجانبين شيء من الجفوة ، ولكن الأزهر صمد لهذه الألاعيب ، وصبر وصابر في بلائه ، وعاش يبين للناس في مصر ، ولولا فدين عليه من أبناء الشرق ، ما أحله الله وما حرمه ، وظل برجا رفيعا لصيانة القرآن ولغته ، وحصنا منيعا لتعاليم الإسلام ، حتى تخفى تلك العهود المظلمة ، واجتاز الشباك التي نصبت للإيقاع به ، واستقبل في جانب الثورة عهدا أغر حافلا بالبشائر في النهضة الدينية ، ولولا روحية الإسلام في قوتها ، ورعاية الله للقرآن الذي نزل ووعده بحفظه ، وصمود الأزهر للناوآت الاستعمارية والغمزات الإلحادية ، لما بقيت مصر زعيمة الشرق ورائده الروحي ، بفضل الأزهر ، وجهاد الأزهر .

وها هو الأزهر ينهض في قوة وجلادة ، ليؤازر الثورة التي آزرته ، ويعالج معها بالإصلاح ما أفسدت العهود الغابرة ، ويتناول من يد الثورة في عام واحد خمسة معاهد جديدة ، ويحتضنها جميعا بتشجيع من الثورة في رحابة وغبطة .

ومن بينها معهد بها الذي تحتفل اليوم بافتتاحه ، ومعهد بنى سويف ، ومعهد الفيوم ، ومعهد دمنهور ، ومعهد غزة ، ولم تكن غزة تطمح في هذه الخطوة من قبل ، فأصبح فيها بفضل الثورة منار ديني يعشى ضوؤه أعين الصهيونية .

سادنى :

إن يكن إنشاء المعاهد الجديدة تفسيرا لمنطق الثورة ، أو يكن احتفالنا اليوم بمعهد بنها تجاوبا مع الثورة في مرامها وآمالها ، وجدتها في الإصلاح والنهيم ، فهناك أمر آخر جدير بالإعجاب والثناء ، ذلك أن وزارة التربية والتعليم بادرت إلى مؤازرة الأزهر مؤازرة جدية ، إذ تخلت له عن الهيمنة على تحفيظ القرآن ، وسارعت راضية مطمئنة بضم جمعيات تحفيظ القرآن إلى الأزهر .

نعم كانت تستطيع وزارة المعارف أن تصنع ذلك في أى عهد من عهودها ، ولكنها لم تفلح إلى جلال هذه الفكرة ، على الرغم مما أحدثوا وغيروا وبدلوا .

وقد فطن إلى ذلك الوزير الشاب المربي تربية عسكرية ، فطن إلى ذلك البطل النائر مع
التأثرين على الفساد والعصية كال الدين حسين .

أيمكن أن تقدر له تلك المأثرة في تاريخ الثقافة المصرية ، أو تجزيه جزاء يرضاه الوفاء ،
ويقنضيه عرفان الجليل ؟

لا ، وإنما جزاؤه على ذلك عند من وقفه لذلك .
وأبهج ما ننتهج به أن يقرن معروف الوزير كال الدين حسين ، بصنيع أسرته ، وتمضيد
أهل بنها لها ، في إنشاء معهد تشرق منه على هذا الإقليم هداية القرآن .

فشكرا لكم آل بنها جميعا إن كان في الشكر غناء عن الواجب .
ساذق :

هذه نزعة إلى الخير تمثلت في عمل الوزير كال وعشيرته ، وفي الحق أنها صدى لصوت
سابق كان يدوى في جنبات هذا الإقليم ، ثم امتد حتى ملا الحافقين ، هو صوت العلماء
الاجلاء الذين أنجبهم القليوبية ، فكانوا في حياتهم أعلام هداية ، وقادة رأى ، وأصحاب
فضل ، ثم لم تمت أسماؤهم بموتهم ، بل أصبحت ذكرياتهم بعد المئات حديث مجد لهذا الإقليم
وأهله ، وأنشودة غار للآزهر ولمصر عامة .

ومن هؤلاء الأسلاف : الإمام الليث بن سعد صاحب المذهب المعروف ، والعالم
الجليل أحمد بن علي القلقشندي صاحب المؤلفات القيمة ومنها صبح الأعشى ، والشيخ أحمد
ابن أحمد القليوبي صاحب المؤلفات في مذهب الإمام الشافعي ، فلا عجب أن رأينا في كال
وأسرته ، أو في سواهم ممن ينهج نهجهم من أبناء القليوبية ، تجديدًا لذكرى أوائلهم من العلماء
الذين طبقت شهرتهم الآفاق ، وشهدت بفضلهم الدنيا .

ولا عجب أن يكون الشبل وليد الأسد ، ولندع التاريخ يكسب ونحن شهداؤه ،
وما شهدنا إلا بما علنا .

ساذق :

نحن - عن الشيخ الأكبر - نعلن باسم الأزهر غبطتنا بضم معهد بنها إلى الأزهر ، ونحمد
للمنشئيه والمتصلين به صنيعهم ، ونشكر للحكومة الرشيدة هذا الفتح الجديد في ميدان التعليم
الديني ، ونرجو لها دوام التوفيق .

والسلام عليكم ورحمة الله

كلمة فضيلة الشيخ حسن يوسف شيخ معهد بنها

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين .

وبعد - فإن من فتح الله علينا هذا الافتتاح العظيم في هذا اليوم الكريم لمعهد بنها الديني ، الذي كان حلياً داعب جفون القليوبية أمداً طويلاً ، وأمنية طالما كانت تمنها هذه المديرية التي كانت دون غيرها من مديريات الجمهورية محرومة من المعاهد الدينية ، إلى أن حقق الله هذه الأمنية في عهد هذه الثورة الكريمة .

واليوم تسعد القليوبية بتشريف أقرب الناس إلى درجة النبوة ، لافتتاح هذا المعهد الديني الإسلامي ، وأعني بهم أهل العلم وعلى رأسهم فضيلة الأستاذ الكبير وكيل الجامع الأزهر ، وأهل الجهاد قادة الثورة وعلى رأسهم السيد نائب الرئيس جمال عبد الناصر ، ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أقرب الناس إلى درجة النبوة أهل العلم وأهل الجهاد » .

فاليوم - أيها السادة - يطيب للقليوبية أن تسجد لله شكراً ، وتحمد له آلامه ونعمائه ، إذ هيأ لها هذا المعهد الديني الذي فتح أبوابه لطلبة العلم من أبنائها ، وهو الفريضة على كل مسلم ومسلمة ، الأمر الذي قام بسببه نفر قليل تبوأوا هذا المشروع ففضوا في سبيل تحقيقه غير عابئين بما نالهم من نصب ، ولا ملتفتين إلى ما يدبر لهم من كيد الكائدين وحقد الحاسدين وبخل الأغنياء والموسرين ، إلى أن هيأ الله لنا من شد عضدنا من قادة الثورة المقاومين ، الذين آمنوا بربهم وزادهم الله هدى ، والذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه من نصرة دينه ونشر تعاليمه ، فأذنوا منا هذا الجنى الذي زريده ، وحققوا لنا هذا الحصاد الذي زرعنا من أجله ، وأنالوا الرغبة التي تقبلها الأزهر بقبول حسن ، فاستجاب لها مشكوراً فضم هذا المعهد إليه ، فأصبح غصنا في دوحة بسطت ظلها على العالمين ، والتي أضاعت بنورها سبيل الهدى والرشاد لجميع المسلمين .

واليوم - بعد هذا الفتح المبين ، وبعد السجود لله رب العالمين - يسجل لكم التاريخ في صفحاته الخالدة - يا من ساهمتم في هذا المعهد بأنفسكم وأموالكم ويأهل العلم في سماءه ويأهل الجهاد في عليائه - أسمى آيات الشكر ، وما تحسب لكم هذا الشكر بموف ، ولكنه جهد المقل ، وحسبنا الله أن نخضع بقلوبنا التي وعت آثاركم ، فوجدت فيكم قادة سادة هداة ، يقتدى بهم في الخير ، ويقتنى آثارهم ، والله الكفيل أن يتولاكم ، ويحسن جزاءكم ، ويسدد خطاكم ، ويرد عنكم كيد الكائدين . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

مظاهر الهدم

في الأفلام المصرية

- ٢ -

يندر أن يجد المدمن على مشاهدة الأفلام المصرية فيلماً يخلو من قبلات ، حتى لقد أصبحت من لوازم هذه الأفلام . إذا جلست في دار للخيالة لتشاهد واحداً منها فلا بد أن تكون موطداً نفسك على أن تشهد منها الكثير والكثير بمناسبة وبغير مناسبة ، بل إن الكثيرين من المراهقين والشبان والفتيات ليدخلون دور الخيالة ليشهدوا هذه الطبعات التي يحملون بها ويشتاقون إلى ذوق أمثالها ، وهنا بيت الداء ومبعث انتشاره .

يشور المتحررون الذين أخذوا طرقاتاً من الثقافات الأجنبية إذا ما اشأز مصلح من حصول القبلية بين بطة الفيلم المصري وبطله ، ويرمونه بالرجعية والتزمّت ، ويقولون : إن الفيلم المصري قصة مصرية من صميم حياة الناس ، والقبلية عنصر حيوي في هذه الحياة ، فهي حادث طبيعي يقع بين الأزواج والمحبين ، وهي طبيعة غريزية خلقها الله في البشر من ذكور وإناث ، فلماذا لا نظهر في الفيلم هذه الأمور الطبيعية ؟ أنكبت غرائز الفرد وقد فطره الله عليها ؟ إن أقل ما يقال عن ذلك هو أنه من قبيل التدين المعقوت ، والتأخر الرجعي الذي أن البلد كصر ضربت بنصيب كبير من المدنية ألا تلتفت إليه أو تأبه له ؟

والواقع أن القبلية في منطق العقلاء هي كما زعموا في حياة الناس ، ولكن من من العقلاء ينكر أن الاتصال الجنسي هو نفسه حادث طبيعي في حياة الناس وخاصة المتزوجين والمتزوجات ؟ أليس هذا الحادث من الأهمية في حياة الناس بحيث يعتبر سبب الحياة ومحورها وعنصر البقاء فيها ؟ وإذا ما سلم العقلاء ذلك ، أضحي لا مناص بعد ذلك من أن نسائل هؤلاء المتحررين : لماذا لا يدعون إلى ظهور هذا الاتصال في الفيلم برغم هذه الأهمية التي له وبرغم أنه اتصال طبيعي تدور عليه الحياة ؟ بل هل يستطيعون أن يدعوا إلى ذلك ؟ وإذا ما حدث أن ظهر ذلك في الأفلام هل سيكون طبيعياً كما خلقه الله ، وهل سيؤدي الرسالة التي قرره من أجلها ، وهل سيكون له أثره الطيب في التحرر والمعرفة بين الناس وفي حياة الناس ؟

إن إظهار الأمور الطبيعية والهامة في حياة الناس في الأفلام التي يشاهدونها ليس من السهولة بحيث تقرر دون اعتبار بما يحيط هذه المسائل من ظروف ، وبحيث ما يترتب عليها من نتائج ، فقد تكون مسألة ما أمراً عادياً في حياة الناس الداخلية تنظمه أوضاع خاصة ، ويدور في مجال معين ، وتحيط به اعتبارات وظروف هامة ، ولكنها إذا ظهرت على مرأى وسماع من الناس ، ومنهم من لا تتوافر بالنسبة له هذه الظروف والاعتبارات - بل إذا ظهرت مكشوفة وتشريعبها يستوجب الستر والخفاء - فإنها لا تكون ذلك الأمر الطبيعي المعتاد ، بل ستكون وبالا على المجتمع ، وعنصر هدم في نهضته وأخلاقه وحياة مواطنيه .

ما ذنب المراهقين إذا شاهدوا قبلات القليل ، ثم جابوا بعدها الطرقات والمنازل ، ليشلوا على مسارحها ما شهده على مسرح الشاشة ، وما ذنبهم إذا ما نشأت في زهرات حياتهم مشكلات نفسية تعصف بصحتهم وشبابهم ومستقبلهم ووطنهم ، سواء منهم المنظطون وغير المنظطون ، وما ذنبهم إذا جنى عليهم مجتمعهم في أفلامه ، فتركهم بعد رؤيتها يسرحون في أحلام اليقظة ، ويبحثون عن الإثم وبؤراته ، والغرام ومشكلاته ، تاركين دروسهم ، ناسين أوطانهم ، مطوحين بمعلمهم وصحتهم وآمالهم وآمال وطنهم فيهم ١٤

وما ذنب تلك الفتاة التي لا عهد لها بالحياة مع الرجال . إذا رأت تلك الطبقات في أفلام المجتمع الذي تعيش فيه ، فتحاول بعدها بدافع الغريزة أن تبحث عن لذتها هنا وهناك في مكان الدراسة أو مكان العمل أو مكان اللهو أو جو الأقارب والجيران ، إن كانت متصلة بالحياة العملية والعصرية ، لا يحول بينها وبين تلك الحياة حجاب ، أو تنشأ لديها - إن لم تكن كذلك - مشكلة التشبع الجزئي ، فتكفيها القبة التي تشهدها في الفيلم ، ولا تستطيع بعد ذلك أن تكون الزوجة التي تتمتع بحياة الزوجية ، أو الأم التي تقيم بحياة الأمومة ١٥

بل ما ذنب الأخلاق إذا ما شاهد الناس هذه الأمور على الشاشة ، وكلمهم من العلم والدراسة بحيث يعلنون أن الشاشة إنما تصور لهم ما يحصل حقيقة بين بطل وبطلة هما ذكر وأنثى ، تضفي عليهما الصحف والمجلات من الصور والمعلومات ما يضحيان بها في حياة الناس معرفين ، وفي كلامهم معروفين ١

ثم لو تركنا هذا وذلك كان لابد لنا من أن نقسام عن الإرشاد القوي في الأفلام .
وأي من هو إذا لم تخل من قبلات ، لا يابها صانعوها بما يترتب عليها من آثار وخيمة
على قنات الشعب ، وفيهم الطفل المقلد ، والمراهق المتهور ، والشاب المحروم ، والبفت
البافمة ، والفتاة الناهدة التي يعميها البحث عن لذة القبلة التي بوجه عرض الفيلم كل همها إليه ،
عن التفرقة بين اشتقاق هذه اللذة من زوج تدخل به في قران ، أو حبيب نهيم به في نزوة ،
أو طالب لذة تقابله في طريق ١٤

لقد كتبت ممثلة مصرية معروفة في إحدى الصحف المصرية الكبيرة مقالا طويلا
عريضاً جاء فيه : « إن الممثلة عندما تقوم بدورها في الفيلم تندمج في هذا الدور ، وتمتعه
كل عواطفها وإحساساتها وأعصابها ، وتركز حواسها في الحوار والحركات المطلوب منها
أداؤها ، فإذا حدث أن تطلب دورها أن تقبل أحد الممثلين في الرواية قامت بدورها
بنفس الإحساس الذي تشعر به لو كان مطلوباً منها أن تضربه قلياً ، فالقبلة السينمائية لا طعم
لها ، إنها قبلة باردة ، يفقدها التمثيل والتصوير والإخراج حرارتها على الطبيعة ! إنها تبدو
شائقة حارة على الشاشة ، ولكنها كقطعة الثلج في البلائو ! إن هذه القبلة التي تجعلها
الاضواء وكأنها تلسع الشفاه يحيطها إطار المنظر وأضواؤه بأشعة من الأحلام والخيال ،
تبدو في أثناء العمل شيئاً عادياً لا يوحى بالحب ، ولا يؤدي إلى غيرة الزوج ولا إلى
الإلقاء به في مستشفى المجاذيب . »

ونحن لو سلنا جدلاً أن القول بأن القبلة السينمائية لا أثر لها فيما بين الممثل والممثلة
يدخل في مخاينا ، فهل نسلّم أنها لا أثر لها في النظارة والمشاهدين ، خاصة وأن الممثلة
المذكورة تقول بأنها تبدو شائقة حارة على الشاشة ، وتجعلها الاضواء وكأنها تلسع الشفاه ١٤

إن كان صانعو الأفلام المصرية يريدون بالقبلة السينمائية أن يعبروا عن الحب
أو الانسجام العاطفي بين بطلة القصة وبطلها ، أو عن الرغبة في الزواج بينهما ، أو عن
المألوف بينهما في القصة حال كونهما زوجين فيها ، فلا يوجد غير القبلة وسيلة للتعبير عن
هذه المعاني ؟ ألا يكفي عرض القصة أو سرد الوقائع أو الحوار أو مجرد النظرة أو غير
ذلك من وسائل لا تكون نتائجها وخيمة العاقبة على المجتمع وأبنائه ، أم أن هذا القول
فيه الرجعية والتزمّت ١٤

إن القبة تعبير جميل عن إحساس خالد إذا كانت بين والد وولده ، أو بين أم وابنتها ، أو أخت وأختها ؛ لأنها تصور علاقة شريفة وإحساساً جميلاً ، ولكنها تضحي تعبيراً سيئاً إذا حصلت علانية بين ممثلي الشاشة وممثلاتها تمثيلاً للإغواء الجنسي والعشق الجسدى ، والعقلاء من أهل علوم النفس يدعون إلى إعلاء الفريرة ، وكان قيناً أن تكون هذه مهمة الإرشاد القومى فى صناعة الأفلام فيما يتعلق بالقبيلات . . ولكن مهمات !

وإذا كان صانعو الأفلام يريدون بالقبلة السينمائية جذب النظارة وكثرة المتفرجين بإغرائهم بلذة المشاهدة ، مستغلين فهم الكبت والحمران والغرائز البشرية ، فهل يرضى الإرشاد القومى بهذا الجذب وسيلة للكسب وإصلاح المجتمع ؟

ثم إن الجذب له وسائله الصالحة ، فرب فليم يعالج فكرة هامة من أفكار الحياة ، يشهده النظارة فينسون أنفسهم فيه ويتتبعونه لا يحولون أبصارهم عنه ؛ لاهمية الفكرة وحسن تمثيلها وبراعة خدمتها وتأديتها ، ويفنى الفيلم دون قبيلات ، فترى الناس يخرجون من مشاهدته وهم سعداء مبسوطون لبداعة الفكرة وحسن العرض وتأثرهم بالمغزى ، ويروج الفيلم ويشتهر فى سوق المشاهدين دون أن يكون للقبيلات السينمائية أثر فى الجذب أو الزواج ، ودون أن يلحظ أحد نقصاً فيه بسببها ، بل ودون أن يتطلبها منهم أحد فيه ، لأن الفكرة بسموها ، والعرض بحسنه ، والقصة بحكها ، والصورة بجهاها ، كل هذه عناصر قد اجتمعت فى الفيلم لجملته كلاً كاملاً لا يحتاج إلى شغل فراغ فكرته ، أو عرضه بطبعات آئمة الغرض منها الجذب والخلب ، والنتيجة منها الإساءة إلى الخلق ، والتطويح بالتقاليد ، والإضرار بحسن السيرة ، وتصديق ما تبق من مثل الحياة فى مجتمع بلد يدين بدين ، ويتمسك بخلق ، ويرنو إلى آمال .

وليس كذباً القول بأن الغرض من القبيلات السينمائية فى كثير من الأفلام هو جذب المتفرجين وإغواؤهم ، فمن ذلك أن الإعلانات التى نشاهدها كل يوم هنا وهناك فى الصحف والمجلات وعلى واجهات الدور السينمائية ، وفى لوحات الإعلانات ، تطوى فى الغالب على تصوير قبلة حارة بين بطل الفيلم المعلن عنه وبطلته فى وضع مثير للغرائز البشرية جاذب لأصحابها ، خاصة إذا كانوا من الشبان والفتيات أو الهائمين والهائمت أو الباحثين والباحثات عن الهيام فى الأرض .

والناس سرعان ما ينجذبون نحو الأفلام التي تصور إعلاناتها لهم هذه القبلات ، ويعرفون أنها أفلام مليئة بالغرام زاهرة بالقبل ، ولا يجد الفاحص صعوبة في ملاحظة انجذابهم لرؤية مواقف الغرام الملتبئة بالثلثات والقبلات يوازع من الحرمان في أجسادهم ، والكبت في أنفسهم ، والشوق في شهواتهم ، فاعليه إلا أن يحضر برنامجاً تعرض فيه أمثال هذه الأفلام حتى يرى أن المناظر التي تصور تلك المواقف وتبرز هاتيك القبلات هي التي يروج لها الحاضرون ويهيجون ويصفرون ويضطربون مهما كان وسط الدار رفيعاً ووسط المتفرجين فيها راقياً .

ونحن نقول لو أن الرؤية تشبع أو تنكفي أو تهديء لكانت علاجاً لكبت هؤلاء وشوقهم وحرمانهم ... ولكنها تزيد النار أواراً ، والجذوة اشتعالاً ، ولا تهديء الغريزة ، ولا تشبع الحاجة ، وإذا ما كان لها مثل هذا الأثر فإن الأفلام تضحي - والحالة هذه - عنصر فوضي في الشعور والأخلاق ، وعنصر إثارة للفراغ ودفع للشهوات ، وعنصر هدم في المجتمع ؟

أحمد طه السنوسي

لشوق لا لحافظ

جاء في افتتاحية (رسالة المعلم) بيت شوق :

قم للمعلم وفه التبجيلا كاد المعلم أن يكون رسولا

منسوباً إلى حافظ ، وهو خطأ أدى إليه الاعتماد على الذاكرة وقد تخون صاحبها ، والصواب أنه لشوق ، وقد نبهنا إلى ذلك الصديق الكريم فضيلة الأستاذ الشيخ طه الساكت فشكرآله .

نظرية المساواة

في الشريعة الإسلامية

— ٣ —

تحدثنا في المقال السابق عن مبدأ المساواة بين رؤساء الدول والرعايا ، وتكلمنا لهذا الحديث يجب علينا أن نعرض للكلام عن رؤساء الدول الأجنبية .
رؤساء الدول الأجنبية :

عرفنا مما سبق أن الشريعة الغراء لا تميز رئيس الدولة الإسلامية الأعلى ، فهي من باب أولى لا تميز رئيس دولة أجنبية .

يتضح من ذلك أن الشريعة تسرى إذاً على رؤساء الدول الأجنبية وعلى رجال حاشيتهم أثناء وجودهم في دار الإسلام ، فإذا ارتكبوا جريمة ما عوقبوا عليها ، ورأينا أن أبا حنيفة يقول بعدم إمكان عقاب الإمام على الجرائم التي تمس حقوق الجماعة ، وهذا القول لا يفيد رؤساء الدول الأجنبية . ولكن ما الحل إذا كان رؤساء الدول الأجنبية وحاشيتهم في دار الحرب ؟؟

رؤساء الدول الأجنبية في دار الحرب وحاشيتهم ليسوا إلامستأمنين ، ولهذا فإنه يمكن لهؤلاء أن يستفيدوا من نظرية أبي حنيفة في تطبيق الشريعة على المستأمن ، وعلى هذا لا يعاقب المستأمن إلا على الجرائم التي تمس حق الأفراد ، أما الجرائم التي تمس حق الجماعة فلا يعاقب عليها ^(١) .

(١) خلاصة نظرية المستأمن : يرى أبو حنيفة أن من يقيم إقامة مؤقتة في دار الإسلام فلا تطبق عليه أحكام الشريعة إذا ارتكب جريمة تمس حقه ، أي تمس حق الجماعة ، وإنما يعاقب بمقتضى الشريعة إذا ارتكب جريمة تمس حق الأفراد ، والمستأمن هو من يقيم إقامة مؤقتة في دار الإسلام . وكان لهذا الرأي أثر سيء على البلاد الإسلامية لأن رأيه اتخذ سنداً في منح الامتيازات الأجنبية للمستأمنين أي من نسميهم اليوم بالأجانب =

على أن أبا يوسف يخالف أبا حنيفة في هذا ، ويرى كما يرى باقي الأئمة عقاب المستامن على كل الجرائم التي يرتكبها في دار الإسلام .

بعد هذا نتابع الحديث بالكلام عن نظرية المساواة بين رجال السلك السياسي والرعابا المعادين ، ثم بين الأغنياء والفقراء ، وأخيراً بين الظاهرين والحااملين .

رجال السلك السياسي :

تسرى الشريعة على رجال السلك السياسي ، فيما يرتكبون من جرائم في دار الإسلام سواء تعلقت الجرائم بحقوق الجماعة أم بحقوق الأفراد ، وليس في قواعد الشريعة ما يسمح بإعفائهم من تطبيق الشريعة عليهم إلا إذا أخذ بنظرية أبي حنيفة في المستامن ^(١) .

المساواة بين الأغنياء والفقراء :

الأغنياء والفقراء لدى الشريعة سواء ، وقواعد الشريعة لا تسمح بأن يستفيد الغني من غناه أو أن يضار الفقير بفقره ، ولهذا لا تعترف الشريعة بنظام الضمان المالي أو الكفالة المالية إذا كانت العقوبة الحبس لا شيء إلا لأنه نظام يقوم على غير المساواة .

والمعروف في الشريعة هو نظام الكفالة الشخصية ، ويطبق في حالة الحبس للدين ، فمن كان محبوساً لدين جاز أن يفرج عنه إذا كان له كفيل ، ولا شك أن كل محبوس لدين يستطيع أن يجد شخصاً يكفله ، لأن الحبس للدين لا يكون إلا عند الامتناع عن الدفع مع القدرة عليه ، ولكن كل محبوس لا يستطيع أن يدفع فوراً قدراً من المال .

== وكلنا نعلم مدى ما قاسته البلاد الإسلامية وما تزال تقاسيه من آثار هذه الامتيازات التي منحت للأجانب وقت ضعفهم وقوة المسلمين لتشجيع الأجانب على دخول دار الإسلام ، وتأمينهم على أنفسهم وأموالهم ، فأصبحت بعد ضعف المسلمين سبباً لاستغلال المسلمين ، وتضييع حقوقهم ، واستعلاء الأجانب عليهم .

(١) رجال السلك السياسي الذين يمكن اعتبارهم مستامين هم الذين ينتمون لدولة محاربة ويمثلونها وليسوا مسلمين ، أما المسلمون الذين يمثلون دولة محاربة أو دولة إسلامية ، فهم لا يعتبرون مستامين بحال ، وحكمهم حكم أي مسلم يقيم في دار الإسلام .

أما الحبس في الجرائم على ذمة التحقيق والمحاكمة فيراء بعض الفقهاء نوعاً من التعزير أى عقوبة اقتضتها حالة الاتهام التى نزلت بالمتهم ، ويترتب على اعتبار هذا النوع من الحبس عقوبة أنه لا يمكن إخلاء سبيل المتهم بكفالة شخصية ، لأن الكفالة لا تقبل في العقوبة . ويرى البعض أن الحبس في هذه الحالة حبس للاحتياط وليس عقوبة ، وعلى هذا الأساس تجوز فيه الكفالة الشخصية .

ونرى أن هذا هو رأى الراجح ، ويتمشى قانون الإجراءات الجنائية مع هذا رأى ، ولا شك أن كل محبوس حسب احتياطياً يستطيع أن يجد له كفيلًا ، ولكن كل محبوس لا يستطيع أن يدفع ضماناً مالياً .

وفى هذا تفوق الشريعة القانون الوضعى حيث أن قانون الإجراءات الجنائية يشترط أن تكون الكفالة مبلغاً من القود يقدره القاضى ، وفى ذلك تنعدم المساواة بين الفقراء والأغنياء .

الظاهرون في الجماعة :

لا تميز الشريعة بين الأفراد ، فهم لديها سواء ، فالحاكم كالمحكوم ، والشریف كالوضيع ، والقوى كالضعيف . وقد عاتب الله رسوله عتاباً شديداً ، لأنه اهتم بأمر قادة قریش وسرانتها أكثر مما اهتم بأمر فقير أعمى هو ابن أم مكتوم عمرو بن قيس ، جاء يسأل الرسول ﷺ أن يعلم بما عليه الله ، وكان النبي ﷺ مجتمعاً في هذا الوقت بقيادة قریش وسرانتها ، يكلمهم في شأن الدعوة ، فكره أن يقطع عليه ابن أم مكتوم كلامه ، وظهرت هذه الكراهية في وجهه وأعرض عنه وهو يطعم في استئالة القوم ، فأنزل الله جل شأنه في ذلك الحادث قوله : « عبس وتولى ، أن جاءه الأعمى ، وما يدريك لعله يزكى ، أو يذكر فتفتحه الذكرى . أما من استغنى فأنت له تصدى ، وما عليك ألا يزكى . وأما من جاءك يسعى ، وهو يخشى ، فأنت عنه تلهى ،

وقد حرص الرسول عليه الصلاة والسلام أشد الحرص على تطبيق مبدأ المساواة وعدم التمييز بين الأفراد .

من ذلك أنه طبق هذا المبدأ يوم أن سرقت امرأة من أشرف قریش ، فتحدث الناس أن رسول الله ﷺ عزم على قطع يدها ، وأعظموا ذلك وكلموا فيها الرسول عن طريق

أسامة بن زيد ، فقام ﷺ خطيباً فقال : ما إكثاركم علىّ في حد من حدود الله ، وقع على أمة من إمام الله ؟ والذي نفسى بيده لو أن فاطمة بنت محمد نزلت بمثل الذي نزلت به لقطع محمد يدها . انظر كتاب الخراج لأبي يوسف ص ٥٠ .

وخاصم عبد من عامة الناس عبد الرحمن بن عوف - وهو من كبار الصحابة - إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فغضب عبد الرحمن بن عوف ، وسب العبد قائلاً : يا ابن السوداء ، فغضب النبي ﷺ أشد الغضب ورفع يده قائلاً : « ليس لابن يثماء على ابن سوداء سلطان إلا بالحق » ، فاستخذى عبد الرحمن وخجل ورأى أن يعتذر للعبد أوضح اعتذار وآلمه للنفس ، فوضع خده على التراب ، وقال للعبد : طأ عليه حتى ترضى .

ولعلنا نذكر قصة جبلة بن الأيهم ، فقد داس أعرابي على إزاره وهما يطوفان بالكعبة ، فاطمه جبلة ، فشكا الأعرابي إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فأمر بالقصاص ، وعز على جبلة وهو شريف أن يقتص منه الأعرابي فهرب ، ولحق بأرض الروم وتصر ، ثم أدركه الندم فقال مقالته المشهورة .

تصرت الأشراف من أجل لطمة وما كان فيها لو صبرت لها ضرر

وكان عمر بن الخطاب حريصاً على التسوية بين الأشراف والعامة ، وله في ذلك وقائع مشهورة . والقاعدة في الشريعة أن التمويضات لا ينظر فيها إلى شخصية المجني عليه ولا مركزه ولا ثروته ، وإنما يقدر التمويض على أساس نتيجة الفعل الذي وقع عليه ، فإذا قتل شريف ووضع فديتهما واحدة .

المسلمون والذميون :

وتسوى الشريعة بين المسلمين والذميّين في تطبيق نصوص الشريعة في كل ما كانوا فيه متساوين ، أما ما يختلفون فيه فلا تسوية بينهم فيه ، لأن المساواة في هذه الحالة تؤدي إلى ظلم الذميّين . ولا يختلف الذميّون عن المسلمين إلا فيما يتعلق بالعقيدة ، ولذلك كان كل ما يتصل بالعقيدة لا مساواة فيه ، ولا يعتبر هذا استثناء من قاعدة المساواة بل هو تأكيد للمساواة ، إذ المساواة لم يقصد بها إلا تحقيق العدالة .

والجرائم التي تفرق فيها الشريعة بين المسلمين والذميّين هي الجرائم القائمة على أساس ديني محض كشرب الخمر وأكل لحم الخنزير ، فالشريعة الإسلامية تحرم شرب الخمر وأكل

لحم الخنزير ، ومن العدل أن يطبق هذا التحريم على المسلم الذي يعتقد طبقاً لدينه بحرمة شرب الخمر وأكل لحم الخنزير ، ولكن من الظلم أن يطبق هذا التحريم على غير المسلم الذي يعتقد أن شرب الخمر غير محرم ، وأن أكل لحم الخنزير لا حرمة فيه ، ولكن يعاقب الذميون على الجرائم القائمة على أساس ديني إذا كان إتيانها محرماً في عقيدتهم ، أو يعتبر عتدماً رذيلة ، أو إذا كان إتيان الفعل مفسداً للأخلاق العامة ، أو ماساً بشعور الآخرين ، فمثلاً شرب الخمر ليس محرماً في عقيدة الذميين ، ولكن السكر محرم عتدماً أو هو رذيلة فضلاً عن أنه مفسد للأخلاق العامة ، ومن ثم كان الذميون معاقبين على السكر دون الشرب ، فن شرب حتى سكر عوقب ، ومن شرب ولم يسكر فلا عقوبة عليه . ويترتب على التفرقة في تطبيق نصوص الشريعة بين المسلمين والذميين أن تكون الجرائم في الشريعة قسمين :

قسم عام : يعاقب القانون على إتيانه كل المقيمين في دار الإسلام .
 وقسم خاص : يعاقب على إتيانه المسلمون دون غيرهم ، ولا يمكن أن يقع إلا منهم ،
 وأساس هذا القسم هو الدين .

وليس في القوانين الوضعية قانون واحد لم يسلك مسلك الشريعة من حيث جعل بعض الجرائم عاماً يقع من كل الرعايا ، وبعضها خاصاً يقع من بعض الرعايا فقط ، ولكن القوانين لا تجعل أساس التفرقة الدين .

وقد اضطرت الشريعة الإسلامية لسلوك هذا الطريق لتحقيق العدالة وتوفير حرية الاعتقاد ، والمحافظة على النظام ، وأساس النظام في الشريعة هو الإسلام . أما القوانين الوضعية فليس فيها ما يحمل واضعها على سلوك هذا الطريق ، لأن القوانين تجرد عادة من كل ما له مساس بالعقائد والأخلاق والدين على العموم ، ويكتفي فيها بتحريم ما يمس علاقات الأفراد المادية أو يمس الأمن أو نظام الحكم . وقد أدت طريقة القوانين إلى فساد الأخلاق وشيوع الفوضى والتحلل من كل القيود ، ولقد أوقع المشرعين الوضعيين في هذا الخطأ الفاحش أنهم أرادوا أن يحققوا المساواة ، ويطبقوا مبدأ حرية الاعتقاد فلم يروا وسيلة لتطبيق هذين المبدأين معاً إلا أن يجرّدوا القانون من كل ما يمس العقائد

والاخلاق والاديان ، فأدى بهم هذا التطبيق المي إلى هذه النتائج المحزنة ، ولو أنهم أخذوا بطريقة الشريعة الإسلامية لضمنوا تحقيق ما شاءوا من مبادئ ولنعموا من وقوع هذه المساوئ .

ونختم البحث بأن كل منصف يستطيع بعد هذه المقارنة التي عقدناها أن يقول : إن نظرية المساواة في الشريعة الإسلامية بلغت درجة الكمال المطلق ، ولكنها في القانون لا تزال كالطفل الذي يحسن أن يحب ولا يستطيع أن يقف على قدميه .

وفق الله ولاية الأمر إلى إصلاح الأحوال ، والعمل على تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية ، فيسعد الراعي والرعية ، ويسود السلام ويعم الرخاء ، والله الموفق ، وهو نعم المولى ونعم النصير .

محمد محيي الدين المصري
ليسانس في القانون

رسالة الأزهري

قال فضيلة الأستاذ الشيخ صادق عرجون شيخ علماء الإسكندرية في خطبة افتتح بها العام الدراسي في المعهد الإسكندري :

« إن الأزهر بمعاهده وكلياته هو جامعة الإسلام الكبرى التي أقامها التاريخ قبا على تراث الإسلام ولغته العربية ، فهو الحفيظ على تبليغ رسالته وتبيين حكمه وأحكامه إلى الناس عامة ، وجعل هذه الأحكام عملا من أعمال الحياة في الواقع الوجودي تسيطر على سلوك الأفراد والجماعات ، وتدخل مع الناس في بيوتهم ومساجدهم ومدارسهم ومعاهدهم ومتاجرهم ومصانهم ، وتشرح معهم في أحراجهم ومزارعهم ، وتصححهم في سلبهم وحربهم . أنا أعلم أننا محسنون في كثير من أمر رسالة أزهري ، وأعلم أننا معوقون في كثير من أمورها ، وأعلم أننا مقصرون في كثير من شأنها قصيرا ساعد المعوقين على ستر إحصائنا فلم يعد مشهودا للناس بعين الرضا والإكبار .

كلمة

فضيلة شيخ معهد دمنهور

في طلائه يوم بدء العمل في المعهد

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمد الله ونستعينه ، ونطلب منه الحول والقوة ، فإنه لا حول ولا قوة إلا بالله .
أما بعد — فإنني أحب أن يدرك أبنائنا الطلاب ، ونحن في أول عهدنا بمدارس العلم في معهد جديد ، وفي مستهل عام مبارك من حياة هذا المعهد الطويلة بإذن الله — أحب أن يدرك أبنائنا أن رسالتهم تقوم عليها الحياة الصحيحة ، ويؤسس عليها المجتمع الصالح ، وهي رسالة الأنبياء والمرسلين .

وإذا كان لي أن أوصيهم ، فإن وصاتي أن يكون لهم غناية بالعلم والخلق ، فالحياة الآن قد اطرحت جانب الهزل ، وسارت سيراً حثيثاً في طريق الاستقامة والجد ، وتغيرت القيم التي يوزن بها الناس ، وأصبح العلم هو أساس الترجيح ، وألقى الجهل عصاه ، وأصبح الجملاء يعيشون على هامش الحياة ، وإن ظاهرهم الحسب والنسب والمال .

ونحن الآن في مطلع فجر جديد ، نأمل أن يكون يومه خيراً من أمسه ، ونسعى جاهدين بكل ما نملك من المواهب و الإمكانات ، إلى بناء الوطن بعد أن تدهى ، وازدهاره بعد أن تهاوى ، فإحوجنا - والحالة هذه - إلى الاعتصام بالخلق الكريم ، فإنه إن تبنى الأمم بالعلم ولا بالمال ولا بغير ذلك من الوسائل بمقدار ما تبنى بالأخلاق .

فإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا
ولعلكم تدركون أن الله العليم الحكيم لم يمدح نبيه الكريم ورسوله العظيم بمثل ما مدحه بالخلق . قال جل شأنه مثقياً عليه : (وإنك لعلی خلق عظیم) .

وإذا كان الاعتصام بالخلق ، والتمسك بأهداب الفضيلة ، مطلوباً من الناس جميعاً ،

فهو أشد طلباً ممن يعدون أنفسهم للدعوة ، و يهيشونها للاسوة ، وقد عاب القرآن الكريم على من يدعو الناس إلى الخير ، وهو لا يعمل به في خاصة نفسه ، قال تعالى : « أنأمرون الناس بالبر ونفسون أنفسكم وأنتم تلون الكتاب » .

ونسألني عن الاخلاق ما هي ؟ فأقول : سئلت السيدة عائشة رضي الله عنها ، عن خلق رسول الله ﷺ ، فقالت : (كان خلقه القرآن) يأمر بأمره ، وينهى بنهيه ، ويحل حلاله ، ويحرم حرامه .

هذه وصاتي إلى أبنائي الطلاب : أبناء اليوم ، ورجال القدر . ولعلمهم إذا وعوها وعملوا بها — وهم لا شك عالمون — سعدوا في دنياهم وأخراهم ، وهي وصاة جامعة لكل ما يوصى به من المكوف على الدرس ، واطراح اللعب ، والابتعاد عن الهزل ، وشغل الوقت بالطاعة ، وكل عمل نافع ، وحسن معاملة المعلمين والزملاء . والناس جميعاً ، ومراقبة الله في السر والعلن ، وحب رسول الله ، والعمل بسنته ، وجلب الخير للناس ، ودفع الشر عنهم ، إلى غير ذلك من كل ما يصلح به الفرد ، وتساعد به الجماعة .

إنكم إذا فعلتم ذلك — يا أبنائي — كنتم أحقاء برضا الله وثقة الحكومة وعطفها وتقديرها ، وجديرين بأن يعلق الشيخ الأكبر آماله عليكم في أن تؤثروا في الحياة الخاصة والعامة تأثيراً يصلح الفاسد ، ويقوم المعوج ، ويبني الوطن ، ومستأهلين لما عمل من أجلكم في هذا الإقليم ، ومستحقين المزيد من كل تكريم وتبجيل .

هداكم الله ووفقكم ونفع بكم ، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ؟

عبد العزيز سملك

شيخ معهد دمنهور

الدَّخِيلُ وَكُتُبُ التَّفْسِيرِ

- ٦ -

كتبت في هذا الموضوع بضع مقالات في هذه المجلة الغراء من العام الماضي ، وقد وقفت عند ذكر قصص الأنبياء والامم السابقة . وقد رغبت إلى بعض أهل العلم أن أتمم ما بدأت ، فالموضوع جد خطير ، ويحتاج إلى جهد كبير من الدرس والبحث ، ولولم يكن في هذا البحث إلا أنه يرد هجمات الطاعنين في الإسلام ، ويبان أنهم طعنوا في غير مطعن لكفى ، فما بالك وفيه - هذا ذلك - للدسلين وأهل العلم غناء كبير .

وسترى متى - أيها القارئ الكريم - أن الدخيل في قصص الأنبياء شيء كثير ، وأكثر مما يذهب بعصمة الأنبياء ، ويضعهم دون منازلهم التي ارتضاها الحق تبارك وتعالى لهم بدركات ، وبعضه مما لا يمدو أن يكون خرافات وترهات ننزه كتاب الله عنها .

فن ذلك ما ذكره بعض المفسرين في قصة ابني آدم لما قتل أحدهما الآخر : من أن آدم عليه السلام رثاهما بشعر ، فقد روى عن علي كرم الله وجهه : لما قتل ابن آدم أخاه بكي آدم فقال :

تغيرت البلاد ومن عليها فوجه الأرض مغبر قبيح

الخ ... ما ذكروا من شعر .

وروى مثله عن ابن عباس رضي الله عنهما . وقد طعن الإمام الذهبي فيما روى وبين أن الآفة من المخرمي أو شبيهه (١) .

وصدق الزنجشري حيث يقول في تفسيره : « روى أن آدم مكث بعد قتل ابنه مائة سنة

لا يضحك ، وأنه رثاء بشعر ، وهو كذب بحت ، وما الشعر إلا منحول ملحون ، وقد صح أن الأنبياء معصومون من الشعر .

وذكر الإمام الألوسي في تفسيره عن الخبر رضى الله عنه أنه قال : من قال إن آدم عليه السلام قد قال شعراً فقد كذب ، إن محمداً ﷺ والأنبياء كلهم في النهى عن الشعر سواء . ولكن لما قتل قاييل هابيل بكاء آدم بالسريانية فلم يزل ينقل حتى وصل إلى يعرب ابن قحطان وكان يتكلم بالعربية والسريانية ^(١) فقدم فيه وأخر وجعله شعراً عربياً ، وذكر بعض علماء العربية أن في ذلك الشعر لحناً أو إقواء أو ارتكاب ضرورة ، والأولى عدم نسبته إلى يعرب ، لما فيه من الركاكة الظاهرة ^(٢) وقد ولع بذكر شعر آدم بعض المؤلفين في كتب الأدب ، وحقيقة الأمر فيه ما ذكرناه .

ومن ذلك ما ذكره بعض المفسرين في تفسير قوله تعالى : « ويصنع الفلك الآية » ، من وصف السفينة وما كان فيها من عجائب ، قال الإمام السيوطي في الدر المنثور : أخرج أبو الشيخ وابن مردويه عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال : « كانت سفينة نوح لها أجنحة وتحت الأجنحة إيوان ، وذكر أحاديث في طولها وعرضها . قال : وأخرج ابن أبي حاتم من طريق زيد بن أسلم عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال : « لما حمل نوح في السفينة من كل زوجين اثنين قال له أصحابه : وكيف نطمن ومعنا الأسد ؟ فسلط الله عليه الحى ، ثم شكوا العارة فقالوا : الفويسقة تفسد علينا طعامنا ومتاعتنا ، فأوحى الله إلى الأسد فعض

(١) « للجنة » : الاقرب إلى المواب أن يكون سكان بلاد العرب الجنوبية يتكلمون باللغة السامية الاولى ، قبل أن يتكلموا بالعربية ، فالعربية والسريانية من فروع اللغة السامية الاولى التي كان الساميون يتكلمون بها من العهد الاول ، ثم نشأت لهجات لها بكثرة الساميين ومجراتهم وتباعدهم ، ومن هذه اللهجات : العربية والاشورية والكلدانية والفينيقية والآرامية والسريانية ، ثم العربية ، فإذا كان قحطان والقطانيون آخر من كان يتكلم ببقايا اللغة السامية الاولى فيعرب بمحتمل أنه أدرك تطور اللهجة العربية في أول عهدها فكان يتكلم بها مع معرفته للسامية الاولى . والسريانية لم تعرف باليمن جنوباً بل في البلاد الشمالية .

(٢) روح المعاني ج ٦ ص ١١٥ ط منير .

مخرجت المرأة منه فتخبأت الفأرة بها . وذكر نحواً من ذلك ابن جرير في تفسيره ، كما ذكر أن نوحاً مسح ذنب الفيل فخرج منه خنزيران إلى غير ذلك مما ذكر في تعليل خلقه بعض الحيوانات ، وكل ذلك مما لا تصدق وروده عن المصوم ، وهي أحاديث خرافة كانت شائعة ثم ألصقها الزنادقة وأعداء الإسلام به زوراً وبهتاناً ليظهروه بمظهر التخريف ، والله سبحانه خلق الأشياء على ما هي عليه لحكم قد تدق عن الإدراك ، والعجيب أن مثل هذا الهذيان لا يزال يجري على ألسنة العجائز يسمرن به في الأمسيات .

* * *

وأعجب من ذلك ما ذكره بعض المفسرين في تفسير قوله تعالى : « ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين » سورة يوسف الآية ٢٤ ، فقد روى عن ابن عباس وغيره أنه حل نكته سراويله ، وأنه جلس منها مجلس الرجل من امرأته ، وأنه لم يتفك عن فعلانه حتى رأى صورة أبيه يعقوب تحذره . وقيل : إنه ضرب في صدره فخرجت شهورته من أنامل قدميه ، إلى غير ذلك مما ذكر ، وهو مناف للعصمة الأنبياء .

وأى معنى يبق للعصمة بعد الذى زعموه ، وما امتناعه عن الزنا على رواياتهم المفتراة إلا وهو مقهور مغلوب على أمره ، ولو أن عريداً رأى صورة أبيه وقد مات تحذره من الإقدام على معصية لنكف عنها ورجع عن غرايته ، فأى فضل ليوسف — عليه السلام — إذا وهو نبي من سلالة أنبياء ؟ بل أى فضل له في امتناعه بعد أن خرجت شهورته من أنامل قدميه ؟ وما امتناعه في هذه الحالة إلا قسرى جبرى . وكيف يتفق ما حيك من روايات باطلة وقول الله جل شأنه : « كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين » . وكيف يستحق هذا الثناء من حل السروال وجلس بين الشعب ؟ بل كيف يتفق ما حاكروه وما حكاها الحق تبارك وتعالى عن زليخا حيث قالت : « أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين » ، وهو اعتراف صريح من صاحبة المارودة التى أعيتها الحيل في استمالته عن طريق الترغيب والتزينة والإرهاب حيناً آخر فلم تفجح ، لأن لم يفعل ما أمره ليسجن وليكون من الصاغرين ، فانظر ماذا كان جواب السيد العفيف يوسف . قال رب السجن أحب إل مما يدعوننى إليه وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين ، فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن إنه هو السميع العليم ،

وقد شهدت الذنوة اللاتي قطعن أيديهن ببراءة يوسف ، قلن حاش لله ما علنا عليه من سوء ، وشهد ببراءته أيضا شاهد من أهلها ، إن كان قبيصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين ، وإن كان قبيصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين . فلما رأى قبيصه قد من دبر قال إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم .

وإبليس نفسه شهد ببراءته في ضمن قوله كما حكاه الله عنه ، فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين ، ويوسف بشهادة الله سبحانه من المخلصين ، فكيف تنفق كل هذه الشهادات الناصعة المبررة ، وهذه الروايات الباطلة المزورة .

وقد ذكر الكثير من هذه الروايات الثعلبي والبغوي (١) في تفسيريهما ووسماها بمذهب السلف ، ومن العجيب حقاً أن يضعفوا مذهب الخلف الذين ينفون هذا الزور والبهتان ، ويفسرون الآيات على حسب ما تقتضيه اللغة ويحتمه الشرع ، وحجتهم في التضعيف مخالفتهم لأقوال السلف ، وهي هذه الروايات الغثى التي يأباهما نظم القرآن الكريم ، وتأباهما طبيعة الأنبياء ، وهي غفلة لا يرضاها الله ورسوله ولا العلماء الراستخون ، وقد وقع في مثل ما وقع فيه الثعلبي والبغوي الواحدى في كتابه البسيط .

وهذه الأقوال التي لا مجال للرأى فيها نزه الرسول عن أن تكون متلفاه عنه ، وهي إسرائيلييات من أباطيل أهل الكتاب دست على الرواة ، دسها الزيادة وأعداء الدين ، ونقلها بعض المفسرين في كتبهم اغتراراً بأنها من أقوال السلف وهم منها برآء ، ولم يكنف الوضاعون بأن ألصقوا أمثال هذه الروايات بالصحابة والتابعين ، بل رروا في المرفوع ما يؤيد هذه الفرية ، وهو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية : ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب ، ثم قال : لما قالها يوسف قال له جبريل : يا يوسف ، اذكر همك ، قال : وما أبرئ نفسي الآية ، ورووا في الموقوف أيضا نحو ذلك . وقد فات من دس هذه الرواية الباطلة أن قوله : ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب ، ليس من مقالة يوسف وإنما هو من مقالة امرأة العزيز ، وهو ما يتفق وسياق الآية والواقع ، ذلك أن العزيز لما أحضر الذنوة وسألهن وشهدن ببراءة ساحة يوسف لم يجد امرأته بدا من الاعتراف ، قالت

(١) أنظر تفسير البغوي ص ٤٣٠ جزء ٤ ط للنار وتفسير الثعلبي (مخطوط) .

امرأة العزيز الآن حصص الحق ، إلى ، وما أبرئ نفسي الآية ، فكل ذلك من قولها ولم يكن يوسف حاضراً ثم بل كان ما زال في السجن ، فكيف يعقل أن يصدر منه هذا القول في مجلس التحقيق الذي عقده العزيز ؟ .

ولا تلتفت لما ذكره بعض المفسرين من خلاف في قائل هذا القول فالحق ما سمعته ، وقد انتصر لهذا الرأي الإمام أبو العباس بن تيمية رحمه الله ، وذكر العلامة ابن كثير أنه أفرد به بتصنيف على حدة . وهكذا نرى أن ما حيك من روايات في قصة يوسف محتلق ، وليس أدل على ذلك من أنه لم يخرجها أحد من أهل الصحة ولا أصحاب الكتب المعتمدة عند المحققين الذين يرجع إليهم في ذلك ، وإنما ذكرها الأخباريون وبعض المفسرين وديدنهم التساهل في مثل ذلك .

وإذا خلصنا إلى ما رأيت ، فالحق الصحيح في تفسير يوسف أنه لم يقع من يوسف هم بالفاحشة ، وأن الكلام من قبيل التقديم والتأخير .

أى لولا أن رأى برهان ربه لم بها ، فالحق لوجود البرهان ، والمقدم إما الجواب أو دليله على الخلاف ، والبرهان هو حجة الله الباهرة الدالة على قبح الزنا ، وهو شيء مركوز في فطر الانبياء ، ورحم الله الإمام جعفر بن محمد الصادق رضى الله عنهما حيث قال : « البرهان النبوة التي أودعها الله في صدره حالت بينه وبين ما يسخط الله » .

وهذا هو القول الجزل الذى يوافق ما دل عليه العقل ويدعو إليه السابق واللاحق . وذهب بعض المحققين إلى أن هم يوسف عليه السلام كان خطرة وحديث نفس من غير اختيار ولا عزم ، ومرعان ما ذهب الخطرة وبقي الحق واليقين ؟

محمد محمد أبو شربة

الأستاذ بكلية أصول الدين

من أدب الاسلام

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : « نهى النبي ﷺ أن يبيع الرجل على بيع أخيه ، وأن يخطب الرجل على خطبة أخيه ، حتى يترك الخطاب قبله ، أو يأذن له الخطاب قبله » . رواه البخاري وغيره .

حرص الإسلام على أن يسود الوثام ويمع الصفاء بين المسلمين ، فدعا إلى ما يجلبهما ، وحذر عما يسبب البغضاء ، ويؤدي إلى التداير والشحناء ، حتى تكون الأمة الإسلامية بدأ واحدة على قلب رجل واحد ، وجسداً واحداً يتألم كل جزء فيه لآلم سواء ، فأوجب التراحم والتماطف والتساند والتعاون بين المسلمين ، وذم الانانية وحذر منها ووصم المنتصف بها بالعداوة لإيمانه أو بنقص لإيمانه ، فقال الرسول ﷺ : « مثل المؤمنين في توادهم وتراحهم كتل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » ، وقال أيضاً : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » ، وقال أيضاً : « المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم » . والحديث الذي معنا ينهى عن مظهرين من أشد مظاهر الانانية كراهية للنفوس ، وسدين كبيرين من أسباب التباغض والشحناء بين المسلمين .

أما أولاً : فهو أن يبيع الرجل على بيع أخيه ، ولا شك أن مسألة البيع والشراء من أسباب تحصيل الرزق والسعى إلى إدراك لقمة العيش التي لا يستطيع الإنسان الحياة بدونها ، فالبيع على البيع ، والشراء على الشراء ، محاربة في الرزق ووقوف في سبيل العيش ، وهذا أشد ما يؤثر في النفوس ويغيظها ويكدرها ويحملها على ارتكاب الجرائم ، لأن الإنسان يذل حياته رخيصة في سبيل رزقه ، فانقطاع الرزق يؤدي إلى الموت جوعاً ، والموت في سبيل المحافظة على الرزق أكرم من الموت جوعاً . وليع الرجل على بيع أخيه صورتان :

الأولى : أن يشتري رجل من أخيه شيئاً على أن له الخيار في رده إذا لم يعجبه أو إذا

ظهر فيه عيب ، فيأتى رجل آخر يعرض على المشتري مثل هذا الشيء بثمن أقل ، فيرد المبيع لبائعه ، ويأخذ من عرض عليه بالسعر الأقل .

الثانية : وهى أبشع من الأولى ، أن يشتري رجل من أخيه شيئاً وهما فى المجلس لم ينفردا ، فيأتى رجل آخر فيعرض على المشتري مثل المبيع بثمن أقل فيرد المشتري المبيع ويأخذ من عرض عليه بالثمن الأقل ، أو يضطر البائع الأول إلى إنقاص الثمن بقدر ما عرض الرجل الثالث فيضار بذلك ، وقد يؤدى هذا إلى العناد بين البائعين فيظل كل منهما ينقص من ثمن مبيعه حتى يبيع أحدهما بثمن فيه خسارة محققة . ومن أمثلة ذلك ما نراه فى الأسواق من البائعين المتجاورين ، ينادى أحد الباعة على سلعة بثمن فينادى جاره على هذه السلعة نفسها بثمن أقل ، فيتناظر الأول فينقص من ثمن سلعته ، ويتبعه الآخر فى النقص وهكذا إلى أن يرحل أحدهما أو يتشاجرا شجاراً قد يؤدى فى بعض الأحيان إلى القتل أو الإصابة بالعاهات .

ومثل البيع على البيع الشراء على الشراء والصورتان اللتان فى البيع على البيع تأتيان أيضاً فى الشراء على الشراء ، بأن يذهب رجل إلى البائع فى مدة الخيار ويقول له : إن الثمن الذى بعته به رخيص وأنا أشتري منك بأكثر أو عندي مشتري أكثر ، أو يقف رجل يربح بيع رجلين وشراءهما فيعرض على البائع ثمناً أكثر مما يعرضه المشتري أو يقول له عندي مشتري بأكثر فيمتنع البائع عن البيع ، وقد يؤدى هذا إلى العناد أيضاً بين المشترين ، فيظل كل منهما يزيد فى ثمن المبيع حتى يبلغ ثمنه الذى يدفعه أحدهما أضعاف ثمنه الأصل ، إلى أن يكف أحدهما عن الزيادة أو يتشاجرا شجاراً تكون آخرته جريئة . وقد عرف الشرع الحكيم ما يترتب على بيع الرجل على بيع أخيه وشراؤه على شراؤه فهنى عنه ، وحث المسلمين على حب بعضهم لبعض ، وبعدم عداية الشقاء والبغضاء .

وحكم البيع مع ذلك أنه صحيح ، ولكن يحرم على من باع على البيع أو اشتري على الشراء ، ويكفيه أنه باع رضى الله بثمن بخس . . .

أما الثانى : فهو أن يخاطب الرجل على خطبة أخيه قبل أن يكف الخاطب الأول نظره عن الخطوبة ، أو يسمح لأخيه ويتنازل له عنها ، ومساءلة الخطبة والزواج ثانى

في الدرجة الثانية بعد تحصيل الرزق ، لأن متعة الرجل وسعادته في زوجته ، فإذا اختارها كما يحب وتجمعت فيها الصفات التي تحبها نفسه ويحبها له خياله ، كان سعيدا في حياته مسرورا في صباحه ومساءه ، مطمئنا في غدوه ورواحه ، ولما كانت مسألة الخطبة والزواج فوق أنها سبب السعادة والاطمئنان ، تمس ناحية حساسة من الإنسان ، إذ يعتقد إذا رفض طلبه في خطبة أو زواج أنه طعن في رجولته ، وأنه ليس له من القيمة ما يسمح لولي الزوجة بإجابة رغبته ، ولا سيما إذا أجبت رغبة غيره ، فإن ذلك يحز في نفسه . وقد يرى أنه ليس أهلا للحياة فيقدم على الانتحار ، أو يقتل من اعتدى عليه في رجولته ، وكدر عليه صفو عيشه أو تلف زوجه أو ماشيته ، أو يسلط الأمور على ماله ، إلى غير ذلك من الجرائم التي فشت في هذا الأيام .

وصور الخطبة على الخطبة كثيرة : فمن ذلك أن يذهب رجل لطلب يد فتاة ، فيأتي آخر أغنى منه أو أرفع منه منزلة في المجتمع بسبب علم أو نسب أو قرابة لحاكم فيطلب يدها قبل أن يكف الأول ، فيميل أهل الفتاة إلى الثاني ويرفضون الأول .

ومنها أن يتقدم رجل إلى أسرة فتاة وترضى به زوجا لفتاتها ، وربما يدفع شيئا من المال . شبكة ، ويقدر المهر ، فيأتي رجل مثل الخاطب أو أقل منه مالا ونسبا وعلما وغير ذلك ، فيعرض . شبكة ، أغلى ومهرا أكثر ، وقد تكون أسرة الفتاة تؤثر المادة أو واقعة في أزمة مالية ، فتفضل الخاطب الأخير ، وليس ذلك كل ما يحدث بل قد يكتب العقد ويختلط الرجل بالفتاة وبأسرتها فيأتي بعد ذلك خاطب جديد أفضل من الأول ، فتحتال الفتاة وأسرته في مضايقة الزوج حتى يطلقها ويظفر بها الخاطب الأفضل ، وهذا مما يفرس العداوة في النفوس .

والحكم الشرعي أن النكاح ينقد للثاني ، ولكن يحرم عليه ويماقب بفعله في الآخرة ، متى كان عالما بخطبة الأول ورضا الأسرة به ، أما إذا لم يعلم أو علم أنه خطب ولكنه رد ولم تقبله الأسرة فلا إثم عليه حينئذ . هذا هو رأي جماعة الفقهاء وهو المعروف عليه ، ولكن الظاهرية قالوا يفسخ نكاح الثاني ولا يبرم أخذا بظاهر الحديث .

بقيت مسألة تتعلق بهذا البحث هي : هل النهي في الحديث عام أو خاص ؟ بمعنى هل

تحرّم خطبة كل رجل على خطبة كل رجل ، فتحرم خطبة المؤمن على خطبة البر والفاجر ،
أو لا تحرّم إلا خطبة الرجل على خطبة أخيه المؤمن الصالح ؟

اختلف العلماء في ذلك فقال بعضهم : النهى عام ، وقال آخرون : النهى خاص ، وحجة
المختصين أن الحديث يقول : « على خطبة أخيه ، والأخوة بين المؤمن الصالح والفاسق
منحلة عراها أو تكاد ، فلا إثم في خطبة المؤمن على خطبة الكافر والفاسق .

وحجة المعصمين أن الإخوة موجودة بين الجميع ، فهما أخوان في الإنسانية .

والذى تقتضيه سباحة الإسلام ويتمشى مع الغرض من تحذير الرسول ﷺ عموم
النهى ، لأن الخطبة على الخطبة - مهما كانت - مسيئة للبغضاء والنفوس بين الناس ، وفيها من
قلة الذوق وعدم الكرامة ما ياباه الإسلام ويحث على البعد عنه ، نسأل الله أن يوفقنا
إلى ما يحبه ويرضاه ؟

طه الزينى

من علماء الأزهر

أفلام الجرائم والفجور

حمل سيراسيموف مخرج الأفلام الروسية على هوليوود مدينة السينما في أمريكا ،
في خلال خطاب ألقاه في مؤتمر الكتاب السوفيت ، ووصف الأفلام التى تنتجها
هوليوود وتذيعها في العالم بأنها أفلام الجرائم والفجور .

الأدب والعلوم

بأسأله شيخ الأزهر

عن سبب تأخر المسلمين

زار وفد الصحافة التركية فضيلة الأستاذ
الأكبر شيخ الجامع الأزهر، ودامت الزيارة
فترة من الوقت، وجهاوا في خلالها سؤالا
إلى فضيلته عن الأسباب التي أدت إلى تأخر
المسلمين عن ركب الحضارة، فأجابهم فضيلة
الأستاذ الأكبر قائلا: ليس التأخر من
الإسلام، وإنما هو عند بعض المسلمين نتيجة
لعدم تمسكهم بمسكنا صحيحا بالمبادئ الإسلامية
وقال فضيلته: إن الإسلام آخر الأديان،
وأحكامه لا تتبدل بتبدل الأزمنة والأمكنة،
فلا يمكن أن نحكم - في وقت من الأوقات -
على محرم بأنه حلال، لأن المحرمات أمور
قيحية .

العصور والاحوال . فالأصول ثابتة،
والفروع تكون تابعة لاحوال الناس .
وسأله بعض الصحفيين الاتراك عما إذا
كان باب الاجتهاد في الإسلام قد أغلق،
فأجاب الأستاذ الأكبر بقوله: باب الاجتهاد
لم يغلُق على أئمة يفهمون لغة القرآن
الصحيحة ولغة السنة الصحيحة، ويستطيعون
أن يحكموا على ما يجد من أمور مستحدثة
في ضروب التعامل والعلاقات الدولية .
ويجب على أولى الأمر من المسلمين وعلى
علماء الدين أن يعلتوا حكم الإسلام فيها على
الأسس والأصول الإسلامية المنيئة .

التعليم الإلزامي في مصر

في السنوات العشر الآتية

خطب وزير التربية والتعليم الصاغ كال
الدين حسين في افتتاح الموسم الثقافي بسكية
المعلمين فقال عن التعليم الإلزامي في مصر
في السنوات العشر الآتية :

إن عدد الاطفال الذين بين السادسة
والثانية عشرة يبلغ عددهم الآن ثلاثة ملايين

غير أن هناك أحكاماً أخرى تابعة لمصالح
الناس، وهي الفروع التي تختلف باختلاف
الآراء والاحوال، مثل مبدأ الشورى،
فإن هذا المبدأ أصل مقرر ثابت، أما كيف
يكون ومتى؟ فهذه تفصيلات تختلف باختلاف

على إنشاء مدارس ثانوية داخلية مجانية للتفوقين ، لنهيء لهم فرصاً متساوية ، وسنعمل على تشجيع المدارس الخاصة حتى لا يضطر أبناء الشعب إلى الإقبال على المدارس الأجنبية .

مدرس شيعي في مصر

يلقن الطلبة دروساً في الإلحاد

نشرت مجلة (المصور) في عددها الصادر يوم ٨ ربيع الآخر (٢٤ ديسمبر) مقالا تحت هذا العنوان ، عن مدرس ياحدى المدارس الابتدائية المصرية اعتقل بسبب نشاطه في الدعوة إلى الشيوعية ، وقد وجدوا بين أوراقه كراسة لأحد الطلبة الذين كان يلقي دروسه عليهم ، وفي الكراسة درس عنوانه : لماذا أنا ملحد ، في أربع صفحات بخط التليذ ، نشر المصور صورتها الشمسية وفيها إنكار لوجود الله وارتداد عن دين الإسلام وسائر الأديان .

ولم تذكر مجلة المصور اسم هذا المدرس ، ولا اسم المدرسة التي كان يدعوفها أبناء الأمة إلى الكفر بالله والردة عن الدين ، والظاهر مما ذكرته عنه أنه وقع في قبضة الحكومة بسبب قيامه بالنشاط الشيوعي بوجه عام . ودعوته إلى الإلحاد في المدرسة

ونصف مليون تليذ . ويزداد هذا العدد بطبيعة الحال - في السنوات العشر المقبلة فيصل إلى ما يقرب من أربعة ملايين ونصف مليون .

ولتعميم تعليم هؤلاء جميعاً نحتاج إلى ٤٨٠٠ مدرسة ، وإن تجهزها يحتاج إلى ٧٦ مليوناً و ٨٠٠ ألف جنيه ، ونحتاج إلى ٧٣٢٠٠ معلم ومعلمة ، وتبلغ نفقات إعدادهم ١١ مليون جنيه . والمصاريف الثانوية لهذه المشروعات تبلغ ٢٩٠ مليون جنيه . ومجلة ما يتفق على هذه المشروعات في السنوات العشر ٤٧٥ مليون جنيه .

مفاتيح التربية والتعليم

قال وزير التربية والتعليم في افتتاح الموسم الثقافي بكلية المعلمين : إن (المعلم) هو المفتاح الأول للتربية والتعليم . ولهذا سنعمل على رفع روحه ، ونمكّنه من أن يقدر التقدير اللائق برسائله ، ورفع القبن المعنوي والمادى الواقع على كل واحد منهم . ومن هنا كان اتجاهنا الأول هو العناية بمدارس المعلمين والمعلمات والإكثار منها .

والمفتاح الثاني هو (الأم) ، ولهذا سنعمل على رعاية كبرى بتعليم البنات لتكون أم مثلى . وسيكون هدفنا الأول في التعليم هو القومية المصرية ، والروح الوطنية ، واستقرار أبنائنا

و ذات يوم أصدر أتا تورك أمراً إلى نساء تركيا أن يتخلعن الجلباب وأن يسفرن لكي يرى العالم وجوههن . وأنا شخصياً لم أقابل حتى اليوم تركيات في وجوههن ما يغرى بالسفور واتجهت تركيا إلى أوروبا ، وولت ظهرها للصحرَاء ، فاستقبلت الحروف العربية الاصل بالحروف اللاتينية .

والآن ، وبعد نحو ربع قرن ، يتساءل الباحث : هل المرأة التركية سافرة أم محجبة ؟ إنها في المدن سافرة ، أما في الأناضول ، في القرى وسفوح الجبال ، حيث يقيم التركي الصميم الاصيل ، لا تزال كما كانت في عهد الخلافة والسلاطين .

وهل تركية اليوم محافظة أو متحررة ؟ لا هذا ولا ذاك ، ونستطيع أن نقول إن بعض شباب الأتراك اليوم لا دين له ، أما شيوخه وفلاحوه فما زالوا مسلمين متدينين .

سأل طالب عراقي يدرس الطب في تركيا زميلة له في السكنية عن دينها ، فهنت لسؤاله ثم قالت : ديني ؟ أظن أنه الإسلام . فقال لها ولكنك تقولين إنك معطوبة لسويسرى كاثوليكي . فقالت الفتاة : ولم ؟ ؟ .

أما فلاحو الأناضول فرأيهم بعيني يحرصون على تأدية الصلاة في مواعيدها . والكتب والمصحف نطبع بالحروف اللاتينية

لم تقتضح إلا بوجود كراسة التليذ عنده أثناء تفتيشه . وهذا مما يحملنا على الرجاء من وزير التربية والتعليم أن يوجه عنايته إلى هذه الناحية بتشديد الأوامر على نظار المدارس والمفتشين لمراقبة أمثال هذا المدرس ، ولعل عددهم غير قليل حتى في غير الشيوعيين ، وإن أبناء الأمة في المدارس أمانة الله في أيدي رجال التربية والتعليم فليتقوا الله في رعايتهم .

درسي من تركيا

لمناسبة زيارة الصحفيين الترك لمصر نشر الثابى ما سجله عن تركيا عند زيارته لها قبل ثماني سنوات فقال :

« لا تزال تركيا — وبعد ربع قرن تقريباً من حكمها الحديث — تعاني آلام الخماض لأنها لم تلد بعد مولودها الذى مناهى به أو منى به نفسه باعث نهضتها أتا تورك

لقد ألغى أتا تورك بحجة قلم السلطنة ، ومن بعدها الخلافة ، وتوالت بعدها قوانين وأوامر الغازى . ألغت الحكومة الاوقاف الخيرية وصادرت أموالها وأملاكها وأموال صناديق النذور ، ثم جعلت الزواج عقداً مدنيا صرفاً لا دخل فيه للدين ، وجاز بعدها للتركية المسلمة أن تزوج من رجل من أى دين أو بلاد دين .

العدل بأن القوانين المصرية تسمح بإنشاء هذا المعهد .

مؤتمر الشباب الإسلامي في كراتشي

ينتظر أن يعقد في الأسبوعين الآتين المؤتمر الدولي الأول للشباب الإسلامي في كراتشي ، فيقام في اليوم الأول لانعقاده استعراض لفرق الشباب ، وفي اليوم التالي يعقد الاجتماع الافتتاحي الشامل ، ثم يواصل المؤتمر اجتماعاته مدة أسبوع . وسيقام معرض ثقافي إسلامي ، وتعد مناقشة عامة عن المثل الإسلامية وترتجل مناظرة ، وينظم عرض يمثل المواقف الشهيرة في التاريخ الإسلامي . وقد سبق لنا التنويه بهذا المؤتمر ، وسنلخص ما يهم من أخباره بعد انعقاده .

الأزهر في جنوب السودان

تحدث فضيلة الاستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر مع حضرة الصاغ صلاح سالم وزير الإرشاد القومي ووزير الدولة لشئون السودان في موضوع إنشاء معاهد تعليمية ثقافية في جنوب السودان كالفاشر وجوبا والمسال . وسيتولى التدريس في هذه المعاهد والإشراف عليها علماء من الأزهر على أن يبدأ بذلك فوراً .

أما رسائل الأشخاص فزال معظمها يكتب بالحروف العربية .

وقال لي أب تركي : إن أبنائي الذين في المدارس يشكون لي من كثرة التغير والتبديل في اللغة ، والذي يحفظونه اليوم يلغى غدا ، والذي حفظوه في العام الماضي على أنه «صح» أصبح اليوم «خطأ» . ويمض المتعلمين يقولون إن الصحف تطالعهم بكلمات جديدة لا يفهمون معناها ، وتكون هذه الصحف قد تلقت قائمة بهذه الكلمات الجديدة من الجهات الحكومية صاحبة الشأن . والواقع أن الاجنبي يرى في تركيا اليوم شيئاً من عدم الانسجام بين الماضي المتفعل بين الجذور والاعمق ، وبين الحاضر الذي فرض على تركيا طفرة واحدة .

الطلبة والسياسة

أقر مجلس الوزراء السوري مشروع قانون يحظر على الاساتذة والطلبة بمعاهد العلم وكليات الجامعة الاشتغال بالسياسة أو الانسحاب إلى إحدى الهيئات أو الأحزاب السياسية .

معهد للعلوم الإدارية

كتبت وزارة الخارجية إلى وزارة العدل تسألها عن رأيها في مشروع إنشاء معهد للعلوم الإدارية في مصر فأجابت وزارة

إنباء العجالة (الشيعة)

السيول في قنا

يقول مفتش رى قنا وأسوان في وصف السيول التي اجتاحت قنا : إن السماء أمطرت مطرا مصحوبا ببرد ورعد ، وقرب منتصف الليل بدأت مياه السيل تتحدر بشدة من الجهة الشمالية في مجرى ترعة العرمانية التي تنتهى بترعة السنهورية الملاصقة لمساكن مدينة قنا والمحاذية لها من الشرق والشمال ، وعند وصول المياه إلى برج السكة الحديد على ترعة العرمانية لم يقسع لتصرف جميع المياه المنحدرة ، فارتفعت المياه في العرمانية والسنهورية إلى مستوى الجسور ، ثم طفت على ميدان مسجد عبد الرحيم القناني فأغرقت بعض الشوارع ، وبلغ غنف السيول في العرمانية أن رفعت قنطرة طريق الغابة وجرفتها لمسافة ٢٠٠ متر ، وتهدركية المياه التي مرت بالخور إلى النيل بعشرة ملايين متر مكعب في اليوم الاول فزاد مفسوب النيل عند قنا طرئعا بحادى بمقدار ٢٠ سنتيمترا وقد اجتاحت السيول مقاطعة قنا فأنت

أولا على ثلاثة نجوع بالمدينة هي المعنى والتحال والسعيد ، وغرت ٨ مناطق ، وامتدت خمسة كيلومترات خارج قنا ووصلت إلى منطقة دشنا ، وجرفت أربعة آلاف مسكن ، وشردت ٢٠ ألف نسمة من السكان . وقد خف وزير الشؤون الاجتماعية إلى مناطق النكبة ، ثم توجه إلى قنا رئيس مجلس الوزراء وعدد من زملائه الوزراء ، ومنهم وزير الأوقاف ، ووصلت إلى قنا أطنان المساعدات من وزارة الشؤون الاجتماعية ، وجمعية الهلال الأحمر ، ووزارة الأوقاف ، ومن القوات المسلحة ، والمعونات الأمريكية . واشتركت في عمليات الإنقاذ قوات الجيش والحرس الوطنى وشباب التحرير وسبع وزارات . وافتحت قوائم الاكتاب فاكسب أهل السعة بالآلوف والمئات . وانتهز بعض الجشعين الفرصة لرفع أثمان الاغذية فأصدر وزير الشؤون الاجتماعية أمرا بمعاقة الجشعين بالجلد ، وبالفعل نفذت عقوبة الجلد في صاحب مخبز وفي بعض الجزارين . هذا وقد تقرر إنشاء مدينة جديدة في قنا بدلا من الأحياء التي دمرتها السيول لطف الله بعباده .

بعثة الأزهر إلى قنا

أوفد فضيلة الأستاذ الأكبر بعثة من علماء الوعظ والإرشاد إلى قنا للقيام برسالة الوعظ الديني والاجتماعي بين الأهلين والحث على التواصي والتعاون وأن يعين أهل السعة لإخوانهم من المنكوبين ، وقد أعدت للبعثة سيارات بمكبرات الصوت أخذت تطوف وسط المعسكرات . ومن برنامج البعثة الأزهرية عقد ندوات دينية اجتماعية في جميع مراكز الإقليم لحث القادرين على إعانة المنكوبين .

الجيش المصري

والمصنع الحربي في مصر

جمل الجنرال التركي على فؤاد عند زيارته أحد المصانع الحربية المصرية الكلمة الآتية في دفتر الزيارات :

« إن المصنع الحربي الذي نشاهد في مصر الشقيقة مشيد بطريقة حديثة وقظيم دقيق . وهذا يظهر لنا قوة الجيش المصري في المستقبل ونحن متأكدون بأن الجيش المصري الذي هو تحت قيادة رشيدة سيكون أقوى جيش في الشرق الأوسط ، .

أمريكا والعالم العربي

قال مستر ادلاي ستيفنسون : إن على

أمريكا أن تقرر ما إذا كانت مشكلة الدفاع عن الشرق الأوسط مشكلة سلاح أو مشكلة طعام .

ونصح ستيفنسون بأن تأخذ أمريكا بالفرض القائل بأن صداقة العالم العربي للغرب أجدى على إسرائيل نفسها من صداقة العالم العربي لأية كتلة أخرى .

وزارة التربية والتعليم

يبلغ عدد الموظفين التابعين لوزارة التربية والتعليم ثلاثة أرباع مجموع موظفي الجمهورية المصرية .

البنك العربي للنوشاء والتعمير

وافق وزراء المال والاقتصاد العرب - بصفة مبدئية - على مشروع تأسيس بنك عربي للإنشاء والتعمير برأس مال سيبلغ مائتي مليون جنيه ، وسيتولى هذا البنك تمويل المشروعات الإنتاجية في البلاد العربية ، وانتقال رؤوس الأموال بين الدول العربية وحمايتها من التسرب للخارج . ويقول وزير المالية المصرية في تصريح أفضى به إلى وكالة مصر للأنباء : وأرجو أن يكون هذا المشروع من المشروعات التي ستنفذ في العام المقبل .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
مَجْلَدُ الدِّينِ الْخَطِيبِ
—
الْإِشْرَاقِ السَّنَوِيِّ

في واري النيل	٤٠٠
لطلبة واري النيل	٤٠٠
لأعلام واري النيل	٣٠٠
خارج الوادي	٥٠٠
لطلبة خارج الوادي	٣٠٠
لأعلام خارج الوادي	٤٠٠

بِمَجْلَدِ الدِّينِ الْخَطِيبِ
مَجْلَدُ دِينِيَّةٍ عَالَمِيَّةٍ جَامِعَةٍ
تصدر عن شيخ الأزهر مرتين في كل شهر عربي

مدير المجلد
عبد اللطيف السبكي
عضو جماعة كتاب العلماء
—
العنوان
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٢١٤
ش.ن.س. ٢٠ ميلادي

القاهرة في ١٦ جمادى الأولى ١٣٧٤ - ١٠ يناير ١٩٥٥ - الجزء العاشر - المجلد السادس والعشرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بين العلم والثقافة

العلم شيء ، والثقافة شيء آخر .

العلم عالمي ، لا تختص به أمة دون أمة ، ولا تحتكره قارة من قارات الأرض فيكون غيرها عالة عليها فيه . إنه مشاع كالهواء الذي تنفسه ، والبحار التي تحيط باليابسة ، وتمخر فيها ألوف السفن حاملة مئات الأعلام .

ثم إن العلم تراث إنساني ، ما من أمة إلا لها فيه جهاد وجهود ، وكل درجة ارتقاها العلم في أي عصر من عصوره على يد أمة من الأمم في بلد من بلاد الناس ، إنما كان ذلك بفضل درجة أخرى قبلها كان العلم قد وصل إليها في عصر آخر قبل ذلك العصر وعلى يد أمة أخرى من الأمم في بلد غير ذلك البلد الذي وصل العلم فيه إلى الدرجة التي تلي تلك الدرجة .

ولكن ما هو العلم ، وما هي الثقافة ، ولماذا كانت غيره وكان هو غيرها ؟

العلم هو مجموعة الحقائق التي توصل إليها العقل البشرى في مراحل تفكيره وتجاربه وملاحظاته المتسلسلة بتسلسل الزمن ، والمحرومة بالامتحانات المتكررة ، فلا تختلف بتفاوت الأذواق ، ولا تتغير بتطور المصالح . إن جدول الضرب من المعارف الإنسانية العريقة في القدم ، وسيبقى حاجة من الحاجات الأولية لطلاب علم الحساب في كل وطن وفي كل زمن . ولولا ما كان معروفا قبل العرب والمسلمين من علم الحساب لما توصل العرب والمسلمون إلى إتخاف الإنسانية بالحقائق الأولية من قواعد علم الجبر والمقابلة . ولولا علم الجبر والمقابلة الذى توصل علمائنا إليه قبل مئات السنين لما تقدمت في العصور الأخيرة العلوم الرياضية الأخرى التي وصلت بها الأعمال الهندسية إلى ما وصلت إليه الآن من التقدم . فالعلوم الرياضية والحقائق الهندسية من العلم العالمى المشاع بين البشر، والذي اشتركت عقول البشر في تقدمه وارتقائه منذ العصور العريقة في القدم ، ولا غضاضة على أمة في أن تطلب العلم به حيث تجده . وكذلك الطب وعلوم الطبيعة وكل ما تمس إليه حاجة الأمم في قوتها وأسباب عزتها وتوفير حاجات أوطانها . والمسلمون على الخصوص يوجب عليهم دينهم أن يتعلموا ما تدعو حاجتهم في مرافقهم إلى تعلمه من العلوم التي إن لم يحذقوها تولاهما عنهم الأغيار ، وكان جهلهم بها من أسباب ضعفهم القوى والملى .

هذا النوع من المعارف الإنسانية هو العلم ، وهو واحد في كل أمة ، وهو اليوم سبيل القوة في الحرب والسلم ، وهو الذى ينبغى للمسلمين أن يكون فيهم - دائماً - العدد الكافى من العالمين به ليتولوا مرافق بلادهم بأنفسهم ، ويحققوا أسباب قوتهم الصناعية والحرية والاقتصادية بأيديهم ، وإذا لم يتحقق ذلك إلا بإرسال البعثات إلى البلاد التي تفوقت به فعليهم أن يوالوا لإرسالها إلى أن يتوافر عندهم من أبنائهم رجال الكفاية لسد هذه الحاجة على قدرها .

ولكن هذا العلم شيء ، والثقافة شيء آخر .

الثقافة في كل أمة لها لون قومى خاص تستمد من مألوفها ، ومن ذوقها ، ومن موارثها الأدبية ، ومن ظروفها الجغرافية ، ومن ضروراتها الإقليمية ، وحاجاتها الاجتماعية . ولذلك ترى الثقافة الفرنسية تختلف عن الثقافة الألمانية ، بل ترى الثقافة البريطانية تختلف عن الثقافة الأمريكية ، مع اتحاد الأمنين في اللغة والآداب . والصينيون يتفوقون مع اليابانيين في الكثير من المقومات ، وكانوا بين الحريين العالميتين في حاجة إلى عضد قوى يستعينون به لمقاومة

الاستعمار المحيط بهم من كل جانب ، ومع ذلك فإن اختلاف الثقافتين أنشأ الحرب بين الصين واليابان سنين طويلة قبل الحرب العالمية الثانية وفي خلالها . ولو لم تكن الثقافة من الفوارق الجوهرية بين الأمم لكان من المعقول أن تتعاون الصين واليابان وتتحد وجهتهما وكانت تكون منهما حيلقة قوة رهيبة لعلها تكتسح الأمم ، وذلك ما كان يندب به إمبراطور ألمانيا قبل الحرب العالمية الأولى ويسميه " الخطر الأصفر " .

تاريخ الأمة من عناصر ثقافتها ، آداب الأمة من صميم ثقافتها ، أخلاق الأمة في كل عصر من عصورها حلقة من سلسلة الأخلاق القومية التي هي من ميراث الماضي ، وقد يكون في ميراث الأمة من أخلاق ماضيها الكثير من الخير والكثير مما يتنافى ، فعلينا أن نصلح بخيرها المتوارث ما يتنافى من الأخلاق التي تحتاج إلى إصلاح . فإذا حاولت الأمة أن تنسكب للطيب من تراثها الأخلاق بتطعيمه بأخلاق أجنبية عنها أصاعت نفسها وفقدت أصلها وصارت إلى حجة تنافى الأصالة ويحتقرها الإصلاح من أصحاب تلك الأخلاق الأجنبية . وأذكر كلمة حكيمة لبسارك كان قالها لعل يوم الثاني لما كان لا يزال ولي عهد الإمبراطورية الألمانية حينما أرسلوه إلى روسيا ليمثل ألمانيا في مناسبة من المناسبات ، فقد قال له بسارك : إنك ذاهب إلى بلاد شرقية ، فإذا رأيت الشرق المتمسك بزيه الأصل فاعلم أنه لا يزال على ميراث من فطرة الشرق وأصائله ، وإذا رأيت الشرق الذي لبس البنطلون تقليدا للغرب فاعلم أنه فقد موارثه في الفضائل ، ولم يكتسب أخلاق الغرب وفضائله .

إن القول الفصل فيما بين العلم والثقافة ، هو أن العلم عالمي ، والثقافة قومية وملية . والعلم لا لون له ، والثقافة ذات لون . وكذب أن في الدنيا ثقافة عالمية ، ولا يمكن أن تكون فيها ثقافة عالمية . فعلى كل أمة أن تتمسك بثقافتها ، وأن تبحث فيها أسباب الحيوية بوصل ما بين ماضيها وآتيها . خصوصاً نحن المسلمين الذين لانكون مسلمين بارتداد الجامع فقط ، ولا بتصحيح العقيدة فقط ، بل إن إسلامنا يتناول البيت كما يتناول الجامع ، ويفرض سنته وأحكامه على المجتمع كما يفرضها على الفرد . وسنن الإسلام وأحكامه مصدر كريم من مصادر ثقافتنا ، فلا يكفي أن نعرف كيف فصل ، بل يجب أن نعرف كيف نكون أفراداً مسلمين في مجتمع إسلامي ، وأن نعرف كيف نكون رعايا مسلمين لدولة إسلامية . ولو عرفنا هذه الناحية الأخيرة من ثقافة الإسلام لما قامت عا كم الثورة ، ولا ذر قرن الفتنة في هذا البلد الإسلامي .

وبعد فإن للإسلام - وهو الدين الاجتماعى - ثقافة واسعة شاملة فى هذه الأمور وفى كل الأمور ، ولولا أن دألوب حرم المتعلمين فى مصر من أن يتعرفوا إلى ثقافتهم الإسلامية ، لجرد مدارس الدولة منها ، لكان الجيل القائم الآن خيراً منه الآن ، ولقطعنا شوطاً طويلاً فى طريقنا إلى القوة وإلى العزة وإلى السعادة والسلامة والعافية .

الامل عظيم فى وزارة التربية والتعليم - بعد أن جعلت التربية العنصر الأول من عناصر رسالتها - أن تلتصق كل الأسباب للتعرف إلى التربية الإسلامية وتعريف الجيل بها ، لأن التربية من أهم عناصر الثقافة ، وما دمتنا فى بلد إسلامى عربى فيجب أن تكون ثقافتنا إسلامية عربية ، وتربية أبنائنا تربية إسلامية عربية ، وهذا لا ينافى إرسال البعثات إلى أوروبا وإلى أمريكا لتخرج مهندسين فى الطبقة الأولى ، وكيميائيين وأطباء فى الذروة العليا ، وعلماء معادن وجيولوجيا من الطراز الأول ، لأن هذه المعارف من العلم العالمى الذى لا لون له ، ونحن فى حاجة إليها فى مرافقتنا ، وتعددين معادنتنا ، واستقباط البترول من تربتنا ، وإصلاح زراعتنا وتوسيعها ، وتجهيزها بوسائل الرى والصرف ، وإقامة المصانع لكل ما نحتاجه فى حربنا وسلمتنا . هذا العلم يجب أن نأخذه حيث وجدناه . أما المعارف التى لها لون قومى لأقوام غير أقوامنا ، ولها لون وطنى لأوطان غير أوطاننا ، ولها لون على الملل غير ملتنا ، فذلك ما يسمى ثقافة ، ونحن فى غنى عنه بثقافتنا التى يجب أن نستمد منها ما ألوفنا ، ومن ذوقنا ، ومن موارثنا الأدبية ، وظروفنا الجغرافية ، وضروراتنا الإقليمية ، وحاجاتنا الاجتماعية . ولهذا الثقافة مثل فى تاريخنا وتراجم أسلافنا ، فيجب أن نعرفها بمعرفتهم ، وأن ندرسها بدراسة تراجمهم ، وأن نحياها بالتخلق بأخلاق أهلها واتخاذهم قدوة لنا وأسوة .

نحن فى مرحلة انتقال ، ومن النصيح للامة أن تتعاون على معرفة الطريق الذى نسلكه إلى مرحلتنا الجديدة . وعندى أنه الطريق الذى يجمع بين تعلم كل ما عند غيرنا من العلوم العالمية التى لا لون لها ، والاحتفاظ بكل ما يحفظ علينا إسلامنا وعروبتنا ومصريتنا من الثقافة التى نحن أغنى أمم الأرض بها ، وما علينا إلا أن نساغف دراستها وإحياءها والعمل بها ، ويومئذ تكون العزة لله ولرسوله وللمؤمنين .

محج الدين الخطيب

فتح القلبي

- ٢٥ -

المتكلمون في المهد

١ - بل من أوفى بعهده واتقى

فإن الله يحب المتقين .

٢ - ومن يتق الله يجعل له مخرجاً .

١ - كان الانقطاع عن الدنيا ، والتفرغ للعباد ، من خير ما يمنح إليه الاتقياء ، إذ كانت الرهبانية أمراً مشروعاً في غير الإسلام .

أما ديننا فدين ودنيا ، وليس من تعاليمه الحتمية أن يهجر المسلم دنياه ، بل من تمام الدين أن يستجيب لله ، وألا ينمى نصيبه من الدنيا ، فإذا قام بما عليه من تكاليف العبادة ، وأدرك من دنياه ما يصلح به شأنه وشأن من يعوله ، وأدلى بدلوه فيما يقتضيه صالح المجتمع ، فهو المؤمن المحسن ، والله يقول : (للذين أحسنوا : الحسنى وزيادة - العاقبة الحسنى - ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة - سواد ولا هوان - أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون) .

٢ - وطوعاً لمبدأ الرهبانية فيما سلف أثر جريح لنفسه أن يعتزل قومه من بني إسرائيل ، ليعيش على التبتل ، ويعكف على الرهينة كما كان مشروعاً من قبل ، فأتخذ صومعة نائية عن محلة قومه . وكانت أمه تعاوده بالزيارة كل يوم ، وعند ما تناديه يشرف عليها ، ويتناجيان حتى قطيب نفسها ونفسه ثم تصرف .

٣ - وذات يوم جاءته وهو مشغول بصلاته . فتادته فلم يجبها ، وآثر أن يفرغ أولاً مما شرع فيه . فلما لم يجبها للمرة الثالثة لم يرقها منه ذلك ، وكأنها ظنت زاهداً في لغائها ، فلم يستجب لتدائها ، ولم يسارع إلى نجواها ، فقالت غاضبة : (اللهم لا تمته حتى تربه وجوه المومسات) . ويبدو أنها مع غضبها لم ترد له الهلاك ، ولم ترض له شراً فاحشاً ، فاكتمت له من المكروه برؤية وجوه لا يصره أن يراها ، جزاء تربته في رؤية أمه ، بينما هي مشوقة

إلى رؤيته أسرع ما يمكن ، وأكثر ما يستطيع . وإذا كانت دعوة الأم في رضاها ، ودعاؤها في غضبتها ، مما لا يحجبه عن القبول حجاب ، فقد استجاب الله لأم جريج ، وابتلاه بفتاة كانت ترعى الغنم قريباً من صومعته ، فراودته عن نفسه ، فأبى ذلك خشية وكرامية ، فانصرفت عنه إلى أحد الرعاة ، وقد علفت من هذا الراعى وأتت بغلام . . فامتاج قومها للحادث ، وسألوها عن اقترافه ، فأقرت على جريج . . وكأنها تخرجت أن تذكر الراعى لما في ذلك من حطة ، فضلاً عن حطة الجريمة في ذاتها ، أو كأنها تتأثر من جريج لتعففه عنها بعد أن تعرضت له ، وكان إقرارها دافعاً للقوم إلى إيذائه ، وهدم صومعته ، ولم يستمعوا إلى براءته .

٤ — ولما بدا له أنهم سيسرفون في النكال به ، توجساً وأنى بصلاة دعا فيها بما دنا ، ثم اتجه إلى الغلام الوليد وقال له : من أبوك ؟ فزرع الغلام فاه من ثدى أمه وأجاب قائلاً : الراعى ، فبهر القوم منطق الرضيع ، وعرفوها مكرمة من الله لجريج التقى البرى ، وألحوا في الاعتذار إليه ، حتى عرضوا عليه أن يقيموا له صومعته من الذهب ، ولكنك اكتفى أن تعاد له من الطين .

٥ — وهذه قصة من القصص التي نطق فيها صبي في مهده ، وإن كانت هذه في التاريخ قبل قصة عيسى عليه السلام ، وهي تتفق في غرضها العام مع قصة المسيح ، من تزكية الاطهار المكرمين ، وتبرئتهم من مفتريات الكاذبين ، وتشف عن نواح من العبرة .

٦ — منها أن جريمة الفحشاء مأساة خلقية جارحة حتى في العصور البدائية ، بل لعلها في تلك العصور كانت أسوأ وقعا ، وأبغض إلى النفوس منها اليوم ، حتى كأن مجرد النظر إلى وجه المومس بلاء كره ، يدعى به على المسىء ، كما فعلت أم جريج حينما ظنت ولدها عاقلاً ، وأظن أمرنا اليوم دون ذلك الإحساس المرهف ، ونحن في عصر المعرفة والحضارة ، وأعرف بمن -لفوا بما زرده من كرامة ، وشخصية ... و ... و ...

٧ — أن أم جريج لم تتناقل عن رؤية ولدها وإن شق عليها مكانه في صومعته ، وترى بما يهيجها أن تدلف إليه كل يوم ، ثم يسوءها منه أنه لم يقدر عطف الأمومة يوماً ، ولم ينشط إلى ترويتها وإثلاجها بكلمات ، ولئن كان في نفسه مشغولاً بطاعة ، فالطاعة لله في

الأم وفي الأب أحب من كل نافلة في العبادة ، ولم تكن أمه تعرف ما منعه ، ولكنها تعرف أن شيئاً ما لا يعدل أن يزهد الولد في أمه ، فهي تغضب منه بحق ، وغضب الأم شؤم لا يطاق ، وهي أول منزلة من منازل الرحم الكريمة على ربها في السراء والضراء .

٨ — ثم انظر إلى هذه الأم التي لم تسرف على ولدها فيما دعت عليه ساعة الغضب ، بل اكتفت برؤيته لوجه المومس ، وهي تعلم أن ذلك يسوءه ، وحسبها من عقوبته ذلك الأمر ، جزاء على نزهد في رؤية وجه يشوقه ويسره أن يراه .

أهذه الأم وحدها هي التي وصفنا ؟ إنها للأمومة مطلقاً ، ونزعة الأمومة من الفطرة التي فطر الله الناس عليها ، وإنما تضرب هذه الأمثال على لسان الأنبياء وفي الواقع ليتهدي من شاء الله له الهداية .

٩ — ثم انظر كذلك إلى أن دعاء الأم يقف عند حدود غضبها المحدود ، وأن الله لم ينكل به أكثر مما يرضيها ، وفي هذا الصنيع تكريم آخر للأم العظوف ، ولعلها لو زادت في الغضب والدعاء ل زاد الله في الأخذ والنكال .

ولكن جريماً لم يسرف ، بل لم يقصد إلى إساءة أمه ، فكانت من تكريم الله له أن يلفظ به فيما تسرب إلى خاطر أمه ، وفيما جرى على لسانها ، وأن يفضح كيد المرأة الباغية عليه باتهامها له ، وهي تعلم أنه براء .

وحاشا لله أن يضيع عبداً ركن إلى جانب الله في إخلاص ، وهو سبحانه يقول في كتابه :
« إن الله يدافع عن الذين آمنوا » .

١٠ — وكانت امرأة من بني إسرائيل ترضع طفلها على مقربة من الطريق ، فرأت رجلاً ذا مظهر كريم ، والأم دائماً تطمح بابنها إلى كل خير تراه ، فاندفعت هذه بدافع الحب والأمومة ، وقالت : (اللهم اجعل ابني مثل هذا) وفي علم الله أن الخير لابنها في غير ذلك الرجاء ، وكان من كرمه بها وبابنها ألا يدع لذلك المظهر مكاناً من نفسها ، فأطلق الله صبيها قائلاً : (اللهم لا تجعلني مثله) ثم عاد صبيها إلى رضاعه .

وما هي إلا فترة قصيرة ، ثم رأت الأم جماعة من الناس بينهم فتاة مهانة منهم ، ومظهرها

فيهم يشير الأسي، فانهطفت المرأة على طفلها وهي تقول : (اللهم لا تجعل ابني مثل هذه الفتاة)
فترك الصبي ندى أمه ثانية وقال : (اللهم اجعلني مثلها) ثم عاد إلى رضاعه ، فكان أمره
عند أمه عجبا فوق العجب ، إذ تراه ينطق في مهده ، ثم تراه يخالف دعاءها له بالخير ، فاتجهت
إليه وقالت : لم ذاك ؟ فأطلق الله طفلها بالعبرة النافعة لها وله .

قال الرضيع لأمه : أما الراكب لجبار من الجبابرة ، وهذه الأمة يقولون لها : سرقت ،
زني ، ولم تفعل شيئا من ذلك !!

وروجه العبرة هنا ألا تأخذنا المظاهر ، وأن نرجع الأمر لله فيما يرجو الإنسان لنفسه
أو غيره ، وفيما يرى من الأحداث.

وإذا طلب فليطمع في الفضل من عند الله ، دون أن يستمد مطعمه من نعمة يراها على أحد ،
فربما كان في طيها بلاء لا يرضاه ، وربما شغلته كثرة الأمانى عن العمل ، أو حملته على الحسد ،
ومنطق الصبي لأمه ليس أمراً تافهاً ، وإنما هو نموذج من التوجيه في صورة عجيبة يسيرة ،
لتركز في الذهن ، وتستقر في الوعي والخاطر ، وتلك الأمثال نضربها للناس .

وإلى العدد القادم إن شاء الله ؟

عبد اللطيف السبكي

عضو جماعة كبار العلماء

العالم النصوح

ورد في القول المسثور :

لا تجلسوا عند كل عالم ، إلا إلى عالم يدعوكم من خمس إلى خمس :

من الشك إلى اليقين ، ومن الرياء إلى الإخلاص ، ومن الرغبة إلى الزهد ، ومن الكبر
إلى التواضع ، ومن العداوة إلى النصيحة .

نصرة الله لأوليائه

وتوفيقه لهم

عن أبي هريرة رضى الله عنه . قال : قال رسول الله ﷺ : إن الله قال : من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلى عبدى بشئ أحب إلى مما افترضت عليه ، وما يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها ؛ وإن سألنى لأعطينه ، وإن استعاذنى لأعيننه ؛ وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددى عن نفس المؤمن : يكره الموت ، وأنا أكره مساءته .

رواه البخارى — وفى بعض الروايات : وفؤاده الذى يعقل به ، ولسانه الذى يتكلم به .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : الولاية ضد العداوة ، وأصل الولاية المحبة والقرب ، وأصل العداوة البغض والبعد . وقد قيل : إن الولي سمي ولياً من موالاته للطاعات أى متابعتها . والأول أصح . والولي القريب : فيقال : هذا يلى هذا أى يقرب منه .

والولي كما يكون وصفاً للعبد يكون وصفاً للولى جل وعلا . الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور ، وذلك أن الله يحب أوليائه كما يحبونه ، وينصرهم كما ينصرونه ، ويتقرب إليهم بالجلود والإحسان كما يتقربون إليه بالعمل والإيمان — والله المثل الأعلى فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم — ؛ ومثل الولي فى أصله الاشتقاق وفى المعنى وصف المولى « ذلك بأن الله مولى الذى آمنوا ، وأن الكافرين لا مولى لهم » .

وحقيقة الولاية قد بينها الله سبحانه وتعالى فى قوله : « ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون » ، وهى حقيقة جامعة لكافة المؤمنين الصادقين ، ومراتبهم فيها هى مراتبهم فى الإيمان والتقوى . وفى هذا يقول ابن تيمية : وأفضل أولياء الله هم أنبيأؤه ، وأفضل أنبيائه هم المرسلون منهم ، وأفضل المرسلين أولو العزم ، وأفضلهم

محمد عليه الصلاة والسلام . فقد تبين بهذا أنه إمام الأولياء ، كما أنه إمام الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

وقد بين هذا الحديث أيضاً حقيقة الولاية التي هي المحبة وما يناسبها ، إذ جعلها ثمرة للعمل بالفرائض ومضاعفتها والزيادة فيها ، وهو ما عبر عنه بالنوافل ، وبهذا يعلم أن لا تنافي بين ما في الحديث من كون أحب شيء إلى الله من عبده تقربه إليه بالفرائض وبين ما بعده مما هو خاص بالنوافل من حبه لعبده حتى يكون سمعه وبصره الخ ، فإن أحب شيء إلى الله هو هذا الجنس من العبادات المفروضة : كالصلاة والزكاة والصيام والبر والصلة وغير ذلك من أعمال الإسلام دون غيره من الفريات المبتدعة المبنية على الحرمان من الرخص والمباحات ، كما ورد أن رسول الله ﷺ رخص في أمر فتزده عن فعله قوم فخطب فقال : « ما بال أقوام يتزهون عن الشيء أصنعه ، فوالله إنى لأعلمهم بالله ، وأشدهم له خشية ، رواه البخاري .

وأعلى ذلك الجنس ما أدى على جهة الزيادة ومضاعفة العمل والاجتهاد فيه ، مما يرجع إلى معنى النفل ، وهو (ما فعله بما لم يجب) . فالنظر — على حد تعبير المناطقة — أولاً إلى السكيف ، وثانياً إلى الكم — إن قبل هذا التعبير — . وإيذان الله أعداء أوليائه بالحرب معناه بطشه بهم وإهلاكه لهم ، وذلك لازم لحقيقة الإيذان ، التي هي الإعلام والإخبار . وهو سنة من سنن الله في هذه الحياة ، التي استقام بها ما استقام من أمر الأمم والجماعات منذ بعث الله للناس مبشرين ومنذرين ، إنا لتنصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ، « بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ، « والله العزة لرسوله وللمؤمنين ، « وأقمم الاعلون إن كنتم مؤمنين ، « وفي بعض الأحاديث القدسية تصوير ذلك بهذه الصورة التي تتخلع لها قلوب أعداء الأولياء ، وتنزيل أعضاؤهم ، لو كانوا يسمعون : « وإنى لأتأثر لأوليائي كما يتأثر الليث الحرب (١) » .

• • •

وتأويل هذه العبارات القدسية العالية : « كنت سمعه وبصره ويده الخ ، أنى أكون له - والله أعلم - في إعلامه ما لم يعلم ، وتبشير به بما يجب ، كسمعه الذي يوصل إليه الأنبياء

(١) بكسر الراء أى للفضبان .

والمعلومات . فإذا ما استمع لم يلتبس عليه الحق بالباطل ، ولا الكذب بالصدق ، ولا الوسوسة بالإلهام .

وكننت له في تبصيره ماخفي من الآيات ، وانهم من الدلالات ، ولطف من اللوحات ، كبصره الذي ينقل إليه صور المراتب . فإذا ما أبصر وجد الله في كل شيء شاهداً وآية ، وفي كل حركة وسكنة دليلاً وهداية ، وفي كل وجود وعدم أثراً وإرادة .

وكننت له في عمل ما يحب ، وإنفاذ ما يريد ، وتسخير ما يشاء ، وتذليل من يشاء ، كيده التي يبطش بها . فإذا ما امتدت يده إلى شيء انقاد لها عصيته ، وأسلس أبطيه ، وإذا ببطش بها لم يعجزه جبار عنيد ، ولا ذو بأس شديد ، لأنه إنما يبطش بيد الله وقدرته ، ويصول بحوله وقوته ، ويمضي مؤيداً بروح من عنده ، ويمدد من جنده ، وينازل بياسه ، ويقضي بقضائه ، ويرى بسهامه .

وكننت له في الإيصال إلى المقاصد والمرامى ، وإدناء الغايات والأمانى ، كرجله التي يمشي بها ، فإذا ما سعى إلى غاية سمت إليه الغايات ، وانطوت لخطواته المهامه والمفايزات ، وتواضعت لقدمه الجبال الشاغحات ، والتأملت لها البحار الزاخرات ، وأيدته فيما يريد جميع الكائنات ، فانقادت لمشيئته الأسباب والمسببات ، وأمكننت لعزائمه الأمور المستحيلات . ذلك بأنه إنما يمشي بقدم الله ويمضي بتأييده ، وبأنه يخطو بنور الله ويسعى بتسديده ، ولأنه حين ذلل نفسه لله وعبدها لوجهه ذلل الله له كل شيء تذليلاً ، وبعد أن أخضع قلبه لمولاه أخضع لمشيئته كل شيء وإن كان ممتنعاً مستحيلاً . وفي الحديث القدسي : « عبدی أطلقی أجعلك ربانياً تقول للشيء : كن فيكون » .

وكننت له في إلهامه الحكمة ، وإتيانه البصيرة والفتنة بما أنزل في قلبه من نوري ، وما أبدية له من أسرارى ، كغفواذه الذي يعقل به المعقولات ، ويدرك به المدركات ، فإذا ما عرض له شأن كان لقلبه فيه فراسة وحكم ، وقضاء ورأى ، وفرفه معرفة الخادق اللبيب ، والفتن الأريب . لأن الله قد جعل له نوراً يمشي به في الناس ، وفرقاناً يفرق به مواضع الالتباس ، وهدى يهديه إلى سبل الله ، ويدله على طريق النجاة . كما يقول جل شأنه : « اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نوراً تمشون به ، وكما يقول : « إن اتقوا الله يجعل لكم فرقاناً ، وكما يقول : « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا

وإن الله لمع المحسنين ، وفي الحديث : « من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم » ، ثم كان قلبه منبعاً للإلهام والحكمة ، ومنزلاً للهدى والسكينة . وفي الحديث الذي رواه ابن ماجه : « إذا رأيتم الرجل أعطى زهداً في الدنيا وقلة منطلق فاقربوا منه فإنه يلحق بالحكمة » .

وكننت له في إنطافه بالحجج والبيانات ، والقضايا المحكمات ، كلسانه الذي هو آلة المقال ، وأداة البيان ، فإذا ما نطق نطق بالحق والصراب ، وقضى بالحكمة وفصل الخطاب ، فكان لقوله في كل قلب أثر من آثار رحمة الله التي تحيي الموات ، وتبصر السقام ، وتنفذ من الضلالة ، وتشفى من العمى . فهذا كله - كما ترى - تمثيل لفضل الله على أوليائه ، وعظيم عونه وإمداده لأصفياه وأوعداته .

أما الفرض منه فهو - كما يقول اليبانيون - تقرير الحال لا بيان المقدار . وذلك لأن معونة الله للولي من أوليائه أجل وأعلى من معونة جوارحه وأعضائه ، فهو مما يراد به تصوير الغائب بصورة الشاهد ، وتقرير الأمور المعنوية بالأمور الحسية ، إيناساً للنفوس ، وتبصيراً للقلوب ، ونجلية عن خفيات الأمور ، كمثل قوله تعالى : « مثل نوره كمشكاة فيها مصباح » .

والاقتصار على هذه الجوارح نوع من الاكتفاء ، لأن المراد - والله أعلم - توفيق هذا العبد وإمداده ظاهراً وباطناً توفيقاً وإمداداً يشملان جميع المدارك والجوارح والحواس . وإنما اكتفى بهذه المذكورات لأن معظم مساع العبد إنما هي بها . وكون المراد على الشمول ليس بمشكل ، فهذا هو ذا رسول الله ﷺ يدهو فيقول : (اللهم أعطني نوراً ، وزدني نوراً ، واجعل لي في قلبي نوراً ، وفي قبري نوراً ، وفي سمعي نوراً ، وفي بصري نوراً ، إلى أن يقول : وفي شعري ، وفي بشري ، وفي لحي ودي وعظامي) .

وقد اشتمل هذا الحديث أيضاً على إجابة الله لهذا العبد إذا سأله ، وعياده إياه إذا استعاذ به ، وتردده عن قبض روحه تردداً لا يتردده عن شيء غيره ، لأنه يكره مساوته . والقول في ذلك مما لا يحتمله المقام الآن . فإلى عدد آخر إن شاء الله .

محمود فرج المقرئ

مدرس بكلية اللغة العربية

الدَّخِيلُ وَكُتُبُ التَّفْسِيرِ

... ومن الدخيل ما ذكره بعض المفسرين في قصة سيدنا داود عليه السلام عند قوله تعالى :
 « وهب لنا كفاية » أتاك نأ الحضم إذ تسوروا المحراب ، الآيات ، فقد ذكر ابن جرير والسيوطي
 من الروايات ما تفشع منه الابدان ولا يوافق عقلا ولا نقلا — عن ابن عباس والسدي
 ووهب بن منبه ، وعصمها أن داود عليه السلام حدث نفسه إن ابتلى أن يعتصم فقيل له :
 إنك ستبتلى فخذ حذرك ، ثم أنبأ يوم الابتلاء ، فأخذ فيه الزبور ودخل المحراب وأغلق
 الباب وأقعد خادمه عليه وقال له : لا تأذن لأحد اليوم . فبينما هو يقرأ إذ جاء طائر
 مذهب يدرج بين يديه ، فأراد أن يأخذه ، فطار فوقه على كوة المحراب ، فذهب ليتناوله
 فإذا هو بامرأة عند بركتها تفتسل ، فلما رآته نفضت شعرها فغطت به جسدها ، وكان زوجها
 غازياً في سبيل الله ، فكتب داود إلى رأس الغزاة : أن اجعله في حملة التابوت ، وكانوا إما أن
 يفتح عليهم وإما أن يقتلوا ، ففعل القائد ما أمر به فقتل زوجها .

وفي بعض الروايات أنه فعل ذلك مراراً حتى قتل ، فلما انقضت عدتها خطبها داود عليه
 السلام ففسر عليه الملكان وهما متكرران ، حتى أفتاهما في قصتهما ، فأفهماه أنه المقصود بهما .
 ولم يقف الأمر عند حد الروايات الموقوفة بل جاء بعضها مرفوعاً : روى البغوي بإسناده
 عن أنس قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن داود النبي لما نظر إلى المرأة فأهم
 فقطع ، كذا ، على بن إسرائيل أوصى صاحب البحث فقال : إذا حضر العدو فمقرب فلاناً
 بين يدي التابوت ، فقتل ، ونزل عليه الملكان يقصان عليه قصته ، ففطن داود ومكث أربعين
 ليلة حتى نبت الزرع على رأسه وأكلت الأرض من جبهته ، وفي سنده ابن طهية وهو مضعف
 في الحديث ، ويزيد الرقائي وهو ضعيف أيضاً ، وقال النسائي والحاكم أبو أحمد : إنه متروك ،
 وقال فيه ابن حبان : كان من خيار عباد الله غفل عن حفظ الحديث شغلاً بالعبادة حتى كان
 يقلب كلام الحسن فيجعله عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم فلا تحمل الرواية عنه إلا على
 جملة التعجب » .

ومن هنا يتبين لنا الغلط في رفع هذه الرواية المنكرة ، ولا نكاد نصدق هذا من

المعصوم ، وإنما هي اختلاقات من إسرائيليات أهل الكتاب . وهل يشك عاقل يقر بعصمة الأنبياء في استحاله صدور هذا عن داود ؟ ولو أن القصة كانت صحيحة لذهبت بعصمة داود ونفرت منه الناس فلا يحصل القصد الذي من أجله أرسل . وكيف يكون على هذا الحال من قال الله فيه : « وإن له عندنا لزاقى وحسن مأب » ، ولكي يستقم هذا الباطل قالوا : إن المراد بالتمجيد المرأة وإن القصة خرجت مخرج الرمز والإشارة ، وإنه لما أفتاهما بجواز من يفعل ذلك قال له الملكان : أنت أحق بذلك ، وصعدا .

والحق أن الآيات ليس فيها شيء مما ذكروا ، وليس من هذا شيء في كتب الحديث المعتمدة ، وما أصدق ما قال القاضي عياض : « لا تلتفت إلى ما سطره الأخباريون من أهل الكتاب الذين بدلوا وغيروا ونقله بعض المفسرين ، وليس في قصة داود وأوريا خبر ثابت ، وقد روى عن سيدنا علي أنه قال : من حدث بحديث داود على ما يرويه القصاص جلده مائة وستين جلدة ، وذلك حد القرية على الأنبياء .

والذي ينبغي أن تفهم عليه الآية أن داود عليه السلام كان وزع أعماله على الأيام وخص كل يوم بعمل ، فعمل يوما للعبادة ويوما للقضاء وفصل الخصومات ويوما للاشتغال بشؤون نفسه ويوما لوعظ بني إسرائيل ، ففي يوم العبادة دخل عليه خصمان تسورا المحراب ودخلا من غير المدخل المعتاد ، فارتاع منهما وظن بهما سوءاً وأنها جاءا ليقتلاه ، ثم تبين له أن الأمر على خلاف ما ظن وأنها جاءا يحتكان إليه ، فلما قضى بينهما بالحكمة وتبين أنهما بريئان مما ظن بهما استغفر ربه من هذا الظن ، ومثل الأنبياء في علو شأنهم وقوة ثقتهم بالله ألا يعلق بنفوسهم مثل هذا الظن . وقد قبل الله استغفاره « فغفرنا له ذلك » . ومثل هذا الظن وإن لم يكن ذنباً في العادة إلا أنه بالنسبة للأنبياء يعتبر خلاف الأولى ، ويرون الاستغفار من مثله ، فهذا سيد البشر غير مدافع كان يقول : « إني ليغان على قلبي ، وإني لاستغفر الله في اليوم مائة مرة » ، رواه مسلم وغيره . وهذا التأويل يوافق نظم القرآن ويليق بعصمة الأنبياء ، فالواجب الأخذ به ونبد الأوهام والخرافات التي هي من شأن القصاص .

• • •

ومن هذا القبيل ما يذكره بعض المفسرين في قصة سيدنا سليمان بن داود عليهما السلام ، ففي تفسير ابن جرير والتملي والدر المنثور الكثير من الروايات ، وخلاصته ما روى أن سليمان عليه السلام أراد أن يدخل الحلاء فأعطى لجرادة خاتمه ، وكانت جرادة أحب نسائه إليه ،

لجاء الشيطان في صورة سليمان وطلب منها الخاتم فأعطته إياه ، فلما لبسه دانت له الإنس والجن ، فلما خرج سليمان من الخلا قال : مات خاتمي ، قالت : قد أعطيته سليمان ، قال : أنا سليمان ، قالت : كذبت ، لجعل لا يأتي أحدا يقول له أنا سليمان إلا كذبه ، حتى جعل الصبيان يرمونه بالحجارة ، وقام الشيطان يحكم بين الناس . فلما أراد الله سبحانه أن يرد على سليمان سلطانه ألقي في قلوب الناس إنكار ذلك الشيطان ، فأرسلوا إلى نساته يستفهمون منهن عن أحواله ، فقلن : إنه يأتينا ونحن حيض .

فلما رأى الشيطان أنه قد فطن له كتب كتباً ودفنها تحت كرسي سليمان ثم أثارها ورواها على الناس وقال : بهذا كان يظهر سليمان على الناس ، وأكفروه وبعث الشيطان بالخاتم فطرح في البحر فابتلعه سمكة ، وكان سليمان يعمل على شط البحر محالاً ، فجعل لرجل سمكة فأعطاه سمكة ، فشقا فوجد بها الخاتم فدانت له الإنس والجن كما كان ، وهرب الشيطان فلمحق بجزيرة في البحر . ويجعلون مثل هذه الأباطيل تفسيراً لقوله تعالى : ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسداً ثم أناب . . وقد نبه السيوطي في تخريج أحاديث الشفاء أنها إسرائيلية تلقاها ابن عباس عن أهل الكتاب ، وقد سبق إلى التنبيه إلى ذلك القاضي عياض في الشفاء ، وقال الحافظ ابن كثير في تفسيره (١) : إن ما ورد في فتنة سليمان إسرائيلية ، وأشد الروايات نكارة ما رواه ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وإسناده قوى ، ولكن الظاهر أنه تلقاه إن صح عنه عن أهل الكتاب ، وفيهم طائفة لا يعترفون بنبوته فالظاهر أنهم يكذبون عليه ، والذي أرجحه أن مثل هذه الروايات مدسوسة على ابن عباس وهو أجل من أن يروى مثل هذا الكذب الصراح أو يصدقه ، وقد كان الذي دسه ما كراً خبيثاً فركب له هذا الإسناد الذي يزعمون أنه قوى ، ولأجل أن الله تكفل بحفظ كتابه قيض للوضاعين جهابذة الحديث ونقاده فكشفوا عوارم وتنبهوا إلى مكرهم وردوا كيدهم في نحرم ، ومن يطلع على جهاد المحدثين في هذا الباب ير العجب العجيب .

هذا وإن نسج القصة مهمل ، عليه أثر الصنعة والاختلاق . وإذا كان الشيطان يتمثل برسل الله فأى ثقة بالشرح تبقى بعد ذلك ؟ وكيف يمتثل أن يسلط الله الشيطان على نساء رسول من رسله ؟ وأى ملك أو نبوة يتوقف أمرها على خاتم يدومان بدوامه ويؤولان

(١) تفسير ابن كثير والبغوى جزء ٦ ص ٢٠٦ ، ٢٠٧ .

بزواله ؟ وإذا كان خاتم سليمان بهذه المنزلة فكيف يغفل الله شأنه ولم يذكره بكلمة ؟ وهل غير الله خلقه سليمان في لحظة حتى أنكرته جرادة ؟ الحق أن أثر الكذب باد على كل كلمة من كلمات هذه القصة .

ومما يذكر في فتنة سليمان وهو موضوع محتلق ما روى عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « ولد لسليمان ولد ، فقال للشياطين : واروه من الموت ، فقالوا : نذهب به إلى المشرق ، قال : يصل إليه الموت ، قالوا : فإلى المغرب ، قال : يصل إليه الموت . وأخيراً قالوا : نضعه بين السماء والأرض ، قال : نعم . فجاء ملك الموت فقبض روحه وجاء بحجده فألقاه على كرسي سليمان ، ويفسرون الآية بمثل ذلك الباطل . وقد نبه على وضع الحافظ أبو الفرج بن الجوزي في موضوعاته وواقفه السيوطي في اللآلي (١) وهل يشك في وضع هذا إلا من يشك في عصمة الأنبياء عن مثله ؟ والظاهر أن عداوة اليهود - أذلم الله - لنبي الله سليمان حتى رموه بالكفر والسحر قد حدثهم إلى أن يرموه بالكاذب ويفترون عليه هذه الافتراءات . وبقيت هذه الافتراءات حتى جاء الإسلام فدست على المعصوم ﷺ والصحابة وهم منها برآء ، وليت المفسرين والأخباريين لم يتفلوا هذا الهراء وتركوه ذهب في قبه الفناء .

والصحيح المتعين في تفسير الفتنة هو ما جاء في الصحيحين - واللفظ للبخاري - عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « قال سليمان بن داود : لأطوفن الليلة على سبعين امرأة تحمل كل امرأة فارساً يجاهد في سبيل الله ، فقال له صاحبه : قل إن شاء الله ، فلم يقل ، ولم تحمل واحدة منهن شيئاً إلا واحدة جاءت بولد ساقط إحدى شقيه ، فقال النبي ﷺ : لو قالها لجاهدوا في سبيل الله أجمعين ، وفي رواية أخرى له أيضاً ، فلم يقل ونسى ، فبينت أن الترك كان نسباً ما لا نعمد . وفي بعض الروايات : أن هذا الولد أتى به فوضع على كرسي سليمان ، فذلك المراد من قوله تعالى : « ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسداً ثم أناب » . وهذا التفسير للفتنة هو المتعين ، وخير ما يفسر به كلام الله هو ما صح عن رسول الله ؟

محمد محمد أبو شرية
الاستاذ بكلية أصول الدين

قتيبة بن مسلم

البطل الشهيد

- ١ -

ندمتم على قتل الأغر ابن مسلم
وأتم إذا لاقيت الله أنتم
وقد كنتمو من غزوه في غنيمه
وأتم لمن لاقاكم اليوم منتم
على أنه أفضى إلى حور جنه
وتطبق بالبلوى عليكم جهنم
(جوهر)

كان العهد الأموي مسرحاً للحروب الدامية داخلية وخارجية ، وبجالات رائعا للبطولة الباهرة ، والفروسية النادرة ، فاتجه شباب العرب إلى النهوض بأعباء القتال ، وأظهروا من فنون الشجاعة أعاجيب غارقة .

ونستطيع أن نطالع في تاريخ هذه الحقبة الدقيقة أسماء مختلفة لأبطال متنازين من كاة العرب وفرسانهم ، غنموا لامتهم ذخراً كبيراً ، وكسبوا لدينهم مجداً ثالداً ، ووثبوا إلى القمة العالية متصيرين ظافرين .

وفي طليعة هؤلاء للغاوير قتيبة بن مسلم الباهل ، ذلك العملاق الفذ الذي ضم للإسلام دولا شاسعة فيما وراء النهر ، فأخرج - بكفاحه الباسل - القطيع الوثق في هذه الأصقاع الدامسة ، من ظلمات الشرك إلى نور الإيمان ، ومشرق التوحيد .

ولقد نشأ قتيبة بن مسلم في بيت يهيم بالفروسية والبطولة ، فأبوه مسلم بن عمرو بن الحصين الباهلي ، كان مضرب المثل في الفتوة والبسالة ، وكان له فرس من عتاق الخيل يسمى بالحرون ، لا يمتطيه غير ذوى البأس والثبات من فرسان البادية المغاور ، فشب قتيبة ولده طامحاً للمجد والرئاسة عن طريق الفتوة والبطولة .

وإذا كان الإسلام الخالد قد جاء بالمساواة العادلة بين القبائل والشعوب فإن فريقاً من سرت في هروقه دماء الجاهلية كانوا ينظرون إلى قبيلة باهلة نظرة شزراء ، و يرونها دون القبائل العربية مجادة و بطولة ، فنظموا في هجائها الايات الفاحشة ، وعدوا - بوحى من عصيتهم - الاتساب إليها ضعة مينة .

ولكن قتيبة - ووالده من قبله - قد رفع هذه القبيلة المتواضعة - بما كسبه من مجد باذخ - إلى مصاف القبائل العريقة . ولولا المساواة العادلة التي سنّها الإسلام في الشعوب والقبائل ما اختارت الدولة الإسلامية من باهلة قائداً يفخر بأجماده كل عربي يمتاز ببلغته ودينه ، ثم هو في الوقت نفسه برهان على تقدمه الإسلام على صدق دعوته الرفيعة إلى تكافؤ الفرص والمساواة .

وكانت معارك الخوارج الزهية مجالاً رائعاً لبطولة قتيبة في شبابه الغض ، فقد خاض لجيها الدامية بجهان ثابت وعزم صبور ، وأظهر من فنون الصيال وبجائبات الإقدام ما جعل الحجاج بن يوسف الثقفي يقدر بطولته الحارقة ، وينوط به العظام الفادحة ، فينهض بأعبائها أكمل نهوض .

وكان - إلى قوة بأسه وشدة مراسه - عالي الهمة ، جرىء اللسان ، ينتقد رؤساده في صراحة تامة وثقة بالغة ، حين فاجأ شبيب بن يزيد بطل الخوارج الكوفة ، عقد الحجاج مجلساً حرياً من قواد الجيش وأخذوا يتشاورون فيما يجب أن يقوموا به إزاء شبيب ، فقام قتيبة وكلم الحجاج كلاماً قاسياً ينبئ عن قصيره في الآهة ، وينعى عليه حيرته وتردده . فقال الحجاج : وما الرأي يا قتيبة ؟ فقال : الرأي أن نخرج أنت وتقوم الجيش ونحن ورامك .

وكان ما أراد البطل الباهلى ، فخرج الحجاج فى طليعة الجيش ، وأبلى قتيبة بلاء رائماً ، وقد ظهر فى لباس حربى أخاذ ، وانهمز الخراج هزيمة ساحقة ، فتردد صيت الفارص الشاب فى كل مكان . ولم تكن هزيمة شيب وأصحابه بالامر اليسير ، فهم على قلة عددهم يقتحمون الختوف ، دون مبالاة بلهبها المبيد ، ثم هم يلجأون إلى المكاييد الواسعة والحيل الرهيبة ، فيسعفهم الرأى البصير ، بما تنقاصر عنه القوة الحافلة ، والمدة الصارخة ، حتى اقتحموا الكوفة ، ودخلوا على الحجاج عرينه المنيع ، فطلب المدد من الشام ، وغشيه القلق الساهد . ولولا كفاح قتيبة الرهيب ، وتقدمه الصفوف فى طريق من الأشلاء ، ماتم النصر للحجاج فى معركة كانت - بالنسبة إليه خاصة - معركة فناء واستئصال .

* * *

أخذ الحجاج بعد مقتل شيب يضع قتيبة فى الصف الأول بين جنوده وأهوانه ، ويراه كفشاً لكل كريمة دامية تتطلب الكى الباسل ، وكان يكن لآل المهلب عداوة شنيعة ، ويرى فى استئثارهم بخراسان نكبة فادحة ، فهم أهل هزيمة جبارة ، وأبطال كفاح قاهر ، ومن الجائز أن يقتطعوا خراسان من الأمويين ، وينادوا بأنفسهم خلفاء كالزبيريين ، فكتب إلى عبد الملك بن مروان يزين لإبسه عزل يزيد بن المهلب ، وأمير المؤمنين يعلم ما بين الرجلين من قطاحن مرعب ، فزيد ينظر إلى الحجاج نظرة جاهلية تنطوى على الاستهانة بأصله المتواضع ، ونشأت فى تقيف ، ويرى - وهو السيد العريق - أن مكانه من قبائل الأزدي القوية ذات الحشد الهائل ، والأرومة المتغلغلة ، يجعله فوق الحجاج مرتبة وكفاية . والحجاج يرى طموح يزيد وصولته ، فيتأكد من عصيانه ومروقه ، ويصارع بضرورة عزله وإقصائه ، حتى تم له ما أراد ، ووافق عبد الملك على خلعه وتأمير قتيبة بن مسلم مكانه . ذلك القائد الذى رشحه الحجاج فنقض بالعبء وملك الزمام .

* * *

سار قتيبة إلى خراسان لوقته ، فاستعرض الجند ورتب شئون الإمارة والحكم ، وتاهب لفتح ممالك ما وراء النهر ، ليشغل الخراسانيين بالغزو والجهاد ، ثم بدا له أن يعدل من

سياسة يزيد في اختيار القادة والأعوان حيث كان يعتمد في استشاراته ومهامه الحربية على العرب وحدهم ، دون أن يشرك الفرس في إحكام خطة ، أو قيادة كتيبة ، مما فسح المجال للتفرقة ، وغرس بذور الخلاف في الجيش الواحد .

وقد شاء القائد الجديد أن يرأب هذا الصدع ، فوثق في كفاية الفارسيين ، وقدمهم في المناصب والقيادة ، وأصبح الجيش الإسلامي إلى حد ما كتلة واحدة ، تقف أمام العدو مترامسة متساندة ، واستطاع كتيبة أن يرضى نفوساً كثيرة ، لم تكن لتجاهد بإخلاص وعزيمة وهي مهددة الحق ضائعة المكانة بين الناس .

سار الجيش الإسلامي بقيادة كتيبة ، فعب النهر إلى أرمينية وبخارى والتركستان ، وكانت هذه الممالك فيما بينها متنافرة متدبرة يغمرها الجور والفساد ، وقد وقع الرعب في نفوس ملوكها الضعاف ، وحاروا فيما يصنعون إزاء الخطر الداهم ، فنهزم من أذعن وصالح ، ومنهم من قاوم ودافع ، وقد سارع ملك الصفانيان تقديم التحف والهدايا ، وأعلن خضوعه واستسلامه ، فتقدم الجيش إلى مملكتي أخرون وسومان ، فصالحهما على الجزية ، وسار كتيبة مثقلاً بما حمل من مال وعتاد .

ولكن الحجاج لم يعجب بخطة المصالحة والهدنة ، فليس المراد من الغزو الإسلامي تكديس الثروات وجمع الأموال ، بل إن نشر الإسلام وحده هو الهدف الأول في بلاد تغمرها الوثنية بظلامها الكثيف ، وإذ ذاك بعث إلى كتيبة يلفته إلى المهمة الأساسية للغزو والجهاد ، ولم يكن كتيبة غافلاً عن رسالته في الغزو ، ولكنه كان لأول عهده يختبر الدروب ، ويستطلع المسالك في مطارح نازحة تستدعي المصانعة والتريث ، حتى إذا ملك أمره ، وتبين طريقه ، عمد إلى تحقيق هدفه في ثبات واطمئنان ، وهذا ما كان منه بعد الجولة الأولى ، فقد أعد العدة الكافية لمهاجمة الحصون المنيعة في بخارى والصغد ، ودقت طبول الحرب في أصقاع التركستان .

كان الخطر مزيجاً داهماً ، فتجمعت كلّة الملوك ، ووقفوا صفّاً واحداً أمام العدو المشترك ، وزحفت جموع الوثنية إلى كتيبة ، فحاصروه حصاراً أليماً ، ولقي ضروباً قاسية من الأموال في مطارح نائية لا عهد له بوهادها المضطربة وآكامها الممتدة ، ولكنه لم يففل لحظة واحدة عن خصومه ، بل هجم هجوم المستميت ، وركز نضاله في جبهة واحدة ، ففرق

حانها أبديد ، ووقع الرعب في الجيش الوثني ، فتبعه قتيبة مشخناً مجزأ ، وتحقق له ظفر مبدئي كان فالاً طيباً للقائد العظيم .

أجل ، لم يكن النصر حاسماً قاطعاً رغم ما استولى عليه المسلمون من الغنائم والأسلاب ، وما جمعه من الاواني الذهبية والتحف النادرة . بل إن فلول الجيش المنهزم قد استغاثت بأشباعها وأحلافها ، وتكدست الوثنية مرة ثانية أمام قتيبة ، فأجمع ملوك الصغد والترك وأهل فرغانة وكش ونسف على مقاومة المسلمين ، فلم يكثر بهم قتيبة وتقدم إلى فتح بخارى ملقياً بجنوده أمام الطوفان الهائل من القطيع المتلاحم ، ودارت معركة رهيبة هزم فيها المسلمون باديء ذي بدء . وكان الوثنيون يتحصنون بنهر كبير ، فشد القائد العربي قوته وعبر النهر إلى أعدائه من حيث يأمنون ، فساد الفزع والاضطراب ، وتلقفتهم أمواج النهر ورماح الغزاة ، وسقطت بخارى المنيعه بعد أن حصدت أمامها الرؤوس ، وسالت بها جداول الدماء ، « يتبع »

محمد رجب اليسوي

المدرس بأبي تيج الثانوية

المؤلفة قلوبهم في جنوب السودان

في جزء شعبان من السنة الماضية نوهنا بالتبرع الكريم الذي وصل إلى فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر من السرى الوجيه الحاج يوسف زينل هلى رضا بأربعين جنيهاً ومن العالم الجليل الشيخ محمد نصيف بعشرة جنيهات للمؤلفة قلوبهم في جنوب السودان ، وفي شهر شوال الماضي نوهنا بوصول حوالة أخرى من حضرة الشيخ محمد نصيف بقيمة خمسين جنيهاً تبرع بها السيد إبراهيم شاكر من أعيان جدة وتجارها وحوالة بعشرين جنيهاً تبرع بها الشيخ محمد الطويل من أعيان جدة ، ونصف جنيه من فاعل خير بالسودان .

وقد ورد أخيراً لفضيلة الأستاذ الأكبر إعانة أخرى بقيمة ٧٩ جنيهاً و ٨٣٠ ملياً بعث بها السيد وزير الاوقاف فيكون مجموع ذلك كله مائتي جنيه و ٣٣٠ ملياً . وقد أرسلها فضيلة الأستاذ الأكبر إلى فضيلة الشيخ عبد العزيز أحمد عيسى ، بمعوث الأزهر ورئيس جمعية المؤلفة قلوبهم بمسكال وذلك بإذن رقم ٣٠٧٣٧٢ بمجموعة رقم ٢ لنصرف في مصرفها .

الشجاعة في نظر الاسلام

الشجاعة من صفات الرجال ، وسمات الأبطال ، وهي الحد الوسط بين خلتين : هما التهور والجن ، كما تشير إلى ذلك نظرية الأوساط ، وهي غريزة من الغرائز يعطيها ما يراه الإنسان منذ حداثة في بيئته التي عاش فيها من ألوان البطولة والإقدام ، وما يلقنه عن أبيه وأمه وسائر المحيطين به من مواقف التضحية والتفاني وعدم الخوف والفرع ، ويمحو أثر هذه الغريزة أن يعيش المرء في وسط يزرع تحت أعباء من التقاليد البالية والتربية الفاسدة التي تجسم له الأشباح والخيالات ، وتخيفه من الظلام والوحدة ، وأعباء من العادات التي تضرب حول الناشئة سياجا منيعا ليس من حقهم أن يظهروه أو يحطموه ، وتوآد عنهم كبتاً وحقداً على مجتمعهم الذي يعيشون فيه ، وتحملهم على أن يتهبوا جميع المواقف المشرفة .

والشجاعة من التحلل التي تغنى الناس بفضليها ، وتناولوها بالإفاضة في أقوالهم ، وهي صفة لازمة لأولئك الأبطال الذين يخوضون الممارك ، ويقودون الجيوش ، وللدعاة المصلحين الذين أخذوا على أنفسهم أن يحموا دعوتهم ، ويرسوا قواعدهم ، ويتغلبوا على كل ما يصادفهم أو يعترض طريقهم غير مباليين بما ينالهم من إيذاء وضرر . وما تجرد قائد أو داعية من هذا اللون إلا كان وبالاً على نفسه وأمة ودعوته ، فاشلا في كل ما أسند إليه أو قام به .

وللشجاعة ضروب مختلفة ، ولكل منها عشاق ، ويندر أن تجمع ضروبها في فرد من أفراد المجتمع البشري ؛ لأن من يهوى الشجاعة المادية قد تعجزه الشجاعة النفسية والأدبية ، وأكثر تلك الضروب تبادرا إلى الذهن اللون المشهور المعروف الذي يفهم عند الإطلاق وهو الشجاعة الجسمية ، وأصحابها هم ذوو العضلات المفتولة ، والسواعد القوية ، والبنية السليمة ، والطول الفارع ، الذين ينازلون الأبطال ، ويصرعون الآساد والرجال ، ويتسلقون الأطواد ، ويغيرون على الأعداء ، ويكرونها ولا يفرقون ، ويقدمون ولا يدبرون ، ولسان حالهم يقول :

فلنا على الأعقاب تدمى كلومنا ولكن على أقدامنا تقطر الدما

ولقد أقام العرب لهذا اللون دولة ، ونصروا لأصحابه المهرجانات ، وتغنوا بآثرهم ، وأفاضوا في الحديث عنهم ، وفي الندوة من أبطال العرب عترة ، وعبد يغوث بن الحارث ، وعمرو بن معد يكرب ، والسليك بن السليكة ، وبشر بن عوافة العبدي وغيرهم ، ولما كانت الشجاعة من الصفات التي يرنو إليها الكثير فقد ادعاهما بعض الأدباء والشعراء : كحسان ابن ثابت ، وأبي العلاء المعري ، وغيرهما من أولئك الذين لم يمارسوا حرباً ، أو ينازلوا أحداً .

ومن يطالع على الشعر قديمه وحديثه ، ويتنقل بين رياضه ، يرى أن الشجاعة قد احتلت فيه المكان الأول ، وفازت منه بالنصيب الأوفر ، وإلى القارئ الكريم طرفاً من تلك الأشعار .

قال عبد يغوث بن الحارث :

وقد علت عرسي مليكة أتى أنا الليث معدواً على وعاديا
وكنت إذا ما الخيل شمسها ^(١) القنا لييقا بتصريف القناة بنانيسا
وعادية ^(٢) سوم الجراد وزعتها بكفى وقد أنحوا إلى العواليبا

وقال النابغة الجعدي :

فلما قرعنا النبع بالنبع ^(٣) بعضه يبعض أبت عيدانه أن تكسرا
مقيناكم كأساً سقونا بمثلها ولكتنا كنا على الموت أصبرا
ملكنا فلم نكشف قناعاً لحرة ولم نستلب إلا الحديد المسمر
وإنا لقوم ما نعود خيلنا إذا ما التقينا أن تحيد وتنفرا
وتسكر يوم الروع ألوان خيلنا من الطعن حتى نحسب الجون أشقرا

وقال المتنبي في قصيدته التي يعاتب فيها سيف الدولة :

ومرهف سرت بين الجعفلين به حتى ضربت وموج الموت يلتطم

(١) نخبها لتتحرك . (٢) القوم يمدون أو الخيل تمدو . (٣) النبع شجر يتخذ منه القسي .

فالحيل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرحم والقرطاس والقلم
صحبت في الفلوات الوحش مفردا حتى تعجب مني القور^(١) والأك

وقال المعري :

وأعدو ولو أن الصباح صوارمٌ وأسرى ولو أن الظلام جحافل
وإني جواد لم يحل لجسامه ونضو يمان أغفلك الصياقل

* * *

والإسلام ينظر إلى هذا الضرب من الشجاعة على أنه أدنى الأنواع كلها ، ويقدم عليه في الأولوية والتفضيل الشجاعة النفسية ، وهي التي تعينك على أن تقهر نفسك ، وتخضعها لرغباتك ، ونحذ من نزواتها الجامحة ، وتحول بينها وبين طيشها وغرورها حتى لا تتمرد على التقاليد والأخلاق والمجتمع . وأقوى الناس وأولام بوصف الشجاعة رجل تحكم في أعصابه ، واستحوذ على زمام نفسه وقت سورة الغضب ، فلم يخرجها عن وقارها ، ولم يتجاوز بها حدود الإساءة إلى الغير ، اللهم إلا إذا استغضب بأن اعتدى على كرامته أو دينه أو انتقص حق من حقوقه بقصد إذلاله .

* * *

وهناك لون ثالث يعرف بالشجاعة الأدبية ، ويعتمد على القوة في الإيمان والجرأة في الإفصاح والبيان ، وأنصار هذا اللون وعشاقه أولئك الأحرار الذين عرفوا كنه الحرية وماهيتها ، فقدسوها وتقاؤوا في سبيل الحفاظ عليها ، وبذلوا كل مرتخص وغارل في سبيلها ، عرفوا أن العزة لله ولرسوله وللدؤمنين فاعتزوا بأنفسهم ، ودافعوا عن حياضهم وحويا بيضتهم ، وعرفوا أن الناس سواسية ، فبذوا النفاق ، وتمردوا على الملق ، وشمخوا بأوفهم ، ولم تمنعهم رءوسهم لغير الله ، قالوا الحق وإن كان مرأ ، وتمسكوا بالصدق ولو كان فيه الهلاك ، كانت لهم رسالات أدوها على أحسن ما يكون الأداء ، ما صرفهم عنها تهديد ، وما حال دون إبلاغها وعيد ، تاصحوا وما عرفوا في سبيل ذلك مجاملة ولا التواء ولا ضعفاً ولا خوعاً ، لقد كانت كلمات النصح تخرج من فم الناصح الأمين كالسهم المارقة لا تلوى على شيء ،

وما سمعنا عن نصيحة هي آيين في المحجة ، وأقوى في الإصاية ، من قول عمر الفاروق رضي الله عنه لسعد بن أبي وقاص حينما عقد له ووجهه لقيادة جيش الفرس : يا سعد سعد بن وهيب ، لا يفرنك من الله أن قيل : خال رسول الله ، وصاحب رسول الله ، فإن الله عز وجل لا يمحو السيء بالسيء ، ولكن يمحو السيء بالحسن ، فإن الله ليس بينه وبين أحد نسب إلا طاعته ، فالتناس شريفهم ووضعهم في ذات الله سواء ، فانظر الأمر الذي رأيت النبي صلى الله عليه وسلم عليه منذ بعث إلى أن فارقه فالزمه ، فإنه الأمر ، هذه عظمى إياك ، إن تركتها ورغبت عنها حبط عملك وكنت من الخاسرين .

ومن تتبع سيرة السلف الصالح ، وعلى رأسهم سيد العزم من الرسل ، فإنه يجد فيها نوعاً من الشجاعة الأدبية غير معروف ولا معهود . لقد كانت كلمة الحق تدوى في كل مكان ، يستوى في مقالاتها السيد والمسود ، ويتلاقى عند الإذعان لها الرئيس والمرءوس والحاكم والمحكوم .

وبعد - فما من أمة رفرف عليها علم الشجاعة إلا بلغت ذروة المجد ، وحطمت قيود الحرية ، وكتب الله لها العزة والكرامة .

زكى سويلم

المدرس بالأزهر

العشراء

من شعر مسكين الدارمي :

اصحب الاخيار وارغب فيهم	رب من صحبته مثل الجرب
واصدق الناس إذا حدثهم	ودع الكذب لمن شاء كذب
رب مهزول سمين عرضة	وسمين الجسم مهزول الحصب

مشكلة التشرد والأوضاع الاجتماعية

لكل مجتمع أدواؤه ومشكلاته، والتشرد داء من أدواء المجتمع، ومشكلة من مشكلاته، ولا يحدث هذا الداء في مجتمع ما اعتباطاً دون سبب، إنما يأتي نتيجة لمجموعة من الدواعي والعامل، كلها ترجع لاعتبار واحد، ليس يعدو اضمحلال الأحوال الاقتصادية؛ إذ المجتمع كتلة متجانسة متساندة، فإن اختلف وضع من أوضاعه أثر ذلك في سائر أوضاعه.

والسبب الأول لوجود التشرد، هو انتشار الفقر، بما يلحقه من انخفاض المستوى المعيشي؛ لأن قلة الدخل تضطر بعض الناس إلى سلوك طريق التشرد، ويتعلق بذلك ضعف الإنتاج، وتفاوت الثروات، إذ من مقتضى ذلك أن تقل وسائل العيش، ولا تتلاءم مع الزيادة في السكان، وتقتصر أماكن العمل على فئات قليلة من الأفراد، فتحل البطالة بين الفئات الأخرى، والنتيجة الطبيعية للبطالة تشرد العاطلين؛ إذ العاطل لا يجد أمامه إلا أحد سبيلين: إما أن يتبع سبيل الجريمة ليحصل على قوته وقوت من يعوله، وإما أن يشرد في دروب المجتمع هو ومن يتبعه من الأطفال.

وكذلك انتشار الجهل يؤدي - كنتيجة منطقية - للتشرد، وذلك أن الجهل وانتشاره يشجع بعض الأفراد على استغلاله في الآخرين من الجهال؛ وذلك باحتراف الشعوذة بطرقها المختلفة، وباتباع التسول في أنحاء البلاد.

ولا تقتصر أسباب التشرد على الفقر والبطالة والجهل، بل الواقع أن انخفاض المستوى الحياتي له أكبر الدخول في خلق نوع يعتبر أهم أنواع التشرد، وقصد به تشرد الأحداث؛ وذلك أن من شأن الانحطاط الحياتي نشوء مرض آخر من أمراض المجتمع، هو مرض (الدعارة)، وهذا المرض أهم بول للتشرد، ويقتين هذا من الإشارة إلى ما يترتب على الدعارة من الاتصال الجنسي بين الغاوين والفساق، وينشأ من ذلك مجموعة من الثرات البشرية غير الشرعية التي يكتب عليها القدر أن تكون تلك المشكلة الحالة التي تهدم كيان الأوضاع الاجتماعية، وقصد بها مشكلة تشرد الأحداث.

ولا شك أن العقيدة والدين يتعلقان تعلقاً مباشراً بالحالة الخلقية ، إذ الوازع الديني هو المنظم ، الطبيعي والأساسي لنشاط الأفراد الاجتماعى ، ومن مقتضى وجوده وتأصله فى قوسهم رفع المستوى الخلقى الذى يؤدى بدوره إلى القضاء على التشرد باعتباره مرضاً اجتماعياً خطيراً . . .

* * *

والمجتمع عادة لا يخلو من عجرة لا يستطيعون العيش ولا الكسب ، لنقص فى أعضائهم الجسمية ، أو لانهدام فى قوام البدنية أو العقلية ، وهؤلاء إذا لم توجد لهم سبل العيش والتنظيم ، يصيرون عنصراً حيوياً من عناصر التشرد ، ومن هذا يقين أن مشكلة التشرد تنسحب إلى شعبتين : أولاهما مشكلة تشرد الأحداث ، وثانيتهما مشكلة تشرد البالغين ، ونعنى بذلك من يتعدون الخامسة عشرة من أعمارهم ، ويدخل فيهم صحاح الأجسام وناقصوها كما يدخل ضمنهم العجزة والضعفاء .

أما عن تشرد الأحداث ، فله مظاهر وحالات متعددة ، منها أن يوجد الحدث متسولاً سواء فى الطرق أم المحال العامة ، ومن التسول أن يعرض سلماً تافهة يتظاهر بالانحجار فيها ، ومنه كذلك أن يقوم بألعاب بهلوانية يحاول بها استدراج عطف الناس فى الطرقات والمقاهى ، ومن مظاهر تشرد الحدث أن يمارس جمع أعقاب لفائف التبغ والاوراق والخشارة المهجلة فى الطرقات ، أو أن يقوم بالأعمال المتصلة بالفسق والمخاطرة أو القمار أو القيام بخدمة الفاعمين بهذه الأعمال ، وكذلك يعد من الأحداث المشردين الصغير الذى يعرف بسوء السلوك ويكون مارقاً من سلطة أبيه أو وليه أو وصيه أو أمه ، ويدخل كذلك ضمنهم من لا يكون له محل مستقر من الصغار ، أو من يعتاد منهم على المبيت فى الطرقات ، أو من لا يكون له وسيلة مشروعة يتعيش منها ، أما المشردون البالغون ، فهم أولئك الذين ليست لهم وسائل مشروعة يتعيشون منها ، فلا ينطبق وصف التشرد على من كان من ذوى الحرف والصناعات المعروفة ولا يجد فى يوم من الأيام له عملاً .

* * *

والوسائل غير المشروعة للتعيش كثيرة ومتنوعة : منها أعمال وألعاب القمار التافهة ، ومنها السعودة ، ومنها المرافقة ، ومنها التسول والشحادة ، ولا يخفى انطباق كل هذه الوسائل

على ما يلقاه الفرد في الطرقات والمحلات العامة من تسول المتسولين متظاهرين بأداء الخدمات للغير، أو بعرض الألعاب المختلفة، أو بيع الأشياء النافذة، وما يلقاه من اكتناز الغيب بضرب الرمال، وقراءة الأكف، واستطلاع النجم، وفتح الكتب، وقلب أوراق اللعب، وكشف الأثر (الاطر) ١

* * *

ويتبين خطر التشرد وضرره في وجهتين. إحداهما معنوية، والأخرى مادية، أما الوجهة المعنوية فتتلخص في أن المجتمع يحكم على أحواله من رقي أو انحطاط بما يكون في أنحائه من مشردين أو خلوه منهم، وأن المجتمع الذي يهمل أمر هؤلاء المشردين إنما هو مجتمع مضطرب، وأن وجود أمثال هؤلاء فيه يعطى صورة سليمة عن حاله المالية والاقتصادية، إذ لو كان في مجبوحة من العيش لندر فيه هؤلاء، كما أن وجودهم يعنى انخفاض المستوى العلى والتفانى، كما تلخص في أن هؤلاء المشردين من البشر، وهم كذلك مواطنون في المجتمع، لهم حقوقهم التي يجدر أن ينالوها كما ينالها سواهم من أفراد، كما يلاحظ أن وجود تلك الطائفة من الأفراد المشردين أضحت من الأمور التي يشتمز منها المواطنون، لأنهم قدس في عين الدولة، ووصمة في جبين الميادين والطرقات والمحلات العامة، تلك الوصمة التي لا ترتضيها دولة ناهضة ترغب أن تعطي للأجانب إذا نزحوا أو وفدوا إليها صورة طيبة عن نهضتها وكرامة أبنائها ورفعته مجتمعيها وعدالة التنظيم الاجتماعي الذي تسير عليه باعتبارها أمة متحضرة، إلى غير ذلك من الاعتبارات المعنوية.

أما الوجهة المادية، فيلاحظ بشأنها أن المجتمع بمجموعة معينة من الأفراد، يعيشون سوياً في إقليمه، على أساس من تقسيم العمل والتعاون فيما بينهم، وأن دخلهم وعيشهم منوط بما يقومون به من أعمال وخدمات، فإذا تخلف واحد منهم عن العمل وظل باقياً بين ظهرانيهم، فإنما يعنى ذلك أن يعيش عالة على تلك المجموعة التي تحيا وإياه، ومن شأن ذلك أن ثمرات الإنتاج والعمل تعود أو توزع على المشتغلين وغير المشتغلين، ومعنى ذلك انخفاض المستوى المعيشي، نظراً لقلة طاقة العمل وكثرة الأفراد الذين يوزع عليهم الدخل الناتج من هذه الطاقة، كما أن تسليم تهيتة العيش لهؤلاء المشردين العالة - وهم قادرون

على العمل - يدعو إلى التكاسل من جانب القائمين بالعمل والإنتاج ، لأنه يستوى في نظرم أن يعملوا وألا يعملوا ، وهذا الكلام لا ينطبق إلا بالنسبة لتلك الفئة من المشردين التي تستطيع القيام بالعمل والمساهمة فيه مع سواها من الفئات ، ولا ينطبق إذا وضعنا في الاعتبار طبقة العجزة مثلاً ، أو طبقة النساء الضعيفات أو ذوى العاهات التي تعوق عن الكد والعمل ، ويظهر كل ذلك في صورة واضحة ، إذا ذكرنا أن القضاء على مشكلة التشرّد بتجنيد المشردين القادرين في المساهمة في الأعمال والخدمات في المجتمع من شأنه أن يزيد الإنتاج ، ويؤدي ذلك إلى تحقيق الرفاهية الاقتصادية للأفراد لو رفع مستوى معيشتهم ، ومن شأن هذا - فضلاً عن سعادة كل أفراد المجتمع وتحقيق العدالة الاجتماعية بينهم - أن يرفع الدولة إلى الذروة التي تليق بالكرامة ، والنهضة التي يرضاها التطور والمدنية الحديثة .

كما أنه يلاحظ أن انتشار المشردين في أرجاء البلاد ، يشجع على انتشار الأوبئة والأمراض العامة ، لأن المشردين سواء أكانوا صغاراً أم كباراً نساءً أم رجالاً هم مرتع خصب لنفسي الأمراض ، لما يحوط حالهم من انحطاط ووهن في القوى الجسمية والذهنية ، بما يترتب على ذلك من إهمال القواعد الصحية ، أو مراعاة الصحة البدنية . ولا شك أن الإنتاج القوي يتوقف على صحة أبدان القائمين بالعمل ، ومن شأن القضاء على التشرّد المحافظة على هذه الصحة لمنع عدوى الأمراض - التي ينشرها المتشردون - من الانتشار .

ولقد حاول المصلحون منا وهناك علاج مشكلة التشرّد بوسائل شتى : منها فرض النظام الخاص بالإجراءات التوقيفية بالنسبة للمشردين الأحداث ، ومنها إنشاء الملاجئ في أنحاء البلاد لضم المشردين والمعوزين . على أننا نرى أن هذه الإجراءات التوقيفية لم تكف ولن تكفي لحل مشكلة تشرّد الأحداث ، كما أن إنشاء الملاجئ لا يعدو في نظرنا إلا أن يكون علاجاً لصنف خاص من فئات المشردين ، وتقصد به العجزة وذوى العاهات ، بل إن ناقصي الاعضاء اهتمت بمشاكلهم البلاد الراقية ، وأوجدت لهم من الأعمال ومن صنوف الراحة ما يهيء لهم حياة سعيدة ، وما يجعلهم مصدر خير وفائدة لا مصدر شقاء وضرر للمجتمع . مثال نهضة الأعمال : ما نسمعه ونقرأه من قيام كفيفي البصر بأعمال يدوية منتجة يأنونها

في حذق ومهارة بعد تمرين وتوجيه . ومثال تهيئة الراحة : ما نسمعه ونقرأه من نضوج المبتكرات والمخترعات إلى الحد الذي تستطيع أن تقدم لنا فيه طرقا وآلات لتفريم قاعدي السمع والنطق المعلومات والتعبيرات ، وأخرى لتعليم العميان القراءة والكتابة ومعرفة الأوقات بوساطة ساعات ابتكرت خصيصاً لهم ، إلى غير ذلك من الآلات والمبتكرات !

ويتلخص علاج مشكلة التشرذ والقضاء عليها - في نظرنا - في القضاء على الأسباب التي أوجدتها وساعدت على نشرها ، وعلى هذا يكون العلاج عن طريق إصلاح الأوضاع الاقتصادية في المجتمع ، وهذا الإصلاح يؤدي إلى رفع مستوى العيش ، ومن شأن هذا الأخير رفع المستوى الخلقى والتربوى ، ولا بد للوصول إلى كل ذلك من الاهتمام بالدين والعقيدة ، وغرسها في نفوس النشء والاهتمام بها في المدارس والمعاهد والمصانع ، فضلاً عن مكافحة الدعارة والفسق ، وإيجاد الوسائل الكفيلة بالتطويع بالبطالة ، والعمل على زيادة الإنتاج ، وهذا الأخير يؤدي إلى القضاء على الفقر والجهل ، وهما من الأسباب الرئيسية لنفاقم مشكلة التشرذ في مختلف المجتمعات ! . ٢

أحمد طه السنوسى



الخطأ الظاهر والخطأ المتوارى

قال رجل من اليونان لديوجانس - وكان الرجل اليونانى يشتغل في صناعة التصوير - ثم زهد فيها وزاول صناعة الطب :-

إنك يا ديوجانس لم تتقن في حياتك إلا الفلسفة ، أما أنا فأمتاز عليك بأنى ما رست فن التصوير وانتقلت منه الى غيره فزاولت صناعة الطب .

فأجابه ديوجانس :

أحسن يا هذا ، فإنك لما رأيت خطأ التصوير ظاهراً للناس وخطأ الطب تسره المقابر تركت ذلك وانتقلت إلى هذا .

كيف عالج الاسلام الجريمة

لم يحارب الإسلام الجريمة كما يحاربها قانون الأرض ، ونظام الناس ، بل عالجها مراعيًا طباع البشر ، وما ركب فينا من ميول وغرائز ، كما أدخل في حسابه ضرورات الحياة ، ودوافع الجريمة ، ونظر إلى الجرائم على أنها أمراض ذات جراثيم فتأكد يجب أن يصح المجتمع منها ويسلم ، فبدأ العلاج بأموال الوقاية ، واعتزال المصابين حتى لا تسرى العدوى فلا يجدي علاج ولا ينتج دواء ، ولعل مرض الاخلاق أنكى في العدوى وأسرع في الانتقال من مرض الاجسام .

بدأ الإسلام العلاج بالترية والتهذيب ، وبيان ما أحل من الأمور وأببح ، وما حرم منها وحظر ، وأعقب ذلك بيان ما يترتب على كل من حسن الجزاء أو سوء المنقلب ، وأنه لا بد لمرحلة التهذيب من مجانبة الاشرار ، واتقاء من يصحب من الاخيار ، فالمرء على دين خليله ، وبذا يصون الإسلام البيئة من أدران الشر ، وجرائم الاشرار ، منعا للأسباب ، وقضاء على الدواعي ، حتى تموت الجريمة قبل أن تولد .

ثم يلتفت الإسلام بعد هذا لبيان عن الدوافع إلى الجريمة والمغريات بها ، فيقيم الحواجز ، ويسد الذرائع ، ويمنع الحمى ، حتى لا يحوم حوله أحد ، فمن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه ، للجريمة الاعتداء على العرض مثلا يدفع إليها ويفرى بها الحرمان من إرضاء تلك الغريزة ، وقد حارب الإسلام هذا بتشريع الزواج والترغيب فيه ، ويجعله نصف الإيمان ، ويمد عليه سعة الرزق وبسط العيش ، فيقول : التمسوا الرزق بالزواج ، فالزواج وما ملكت الايمان محل المتعة ومجال إرضاء الغريزة الجنسية ، ومن ابتغى بعد ذلك فأولئك هم العادون .

وبذا يفصح عما يحل وما يحرم من هذا القليل . كما قد يدفع إلى هذا الاعتداء ، إبراز الجمال ، وإظهار المفاتن ، والتفريط في الأعراض ، ويقضى الإسلام على هذا كله بفض البصر تارة من الرجل والمرأة ، كما حرم الاختلاط ، وأكبر الخلوة بالاجنبية ، وأوجب الحجاب ، وحظر لين القول المطمع ، وقرض المرأة مزينة أو متبرجة ، حتى لا تكون فتنة ثم لا تكون جريمة ، فقرأ هذا في قول الله تبارك وتعالى من سورة النور الآيتين ٢٩ ، ٣٠ من قوله تعالى : قل للؤمنين يغضوا من أبصارهم - إلى - وتوبوا إلى الله

جميعاً أيها المؤمنون لعلمكم تفلحون ، كما نرى ذلك في مسلك الرسول عليه الصلاة والسلام مع أهله ، فقد روى أنه دخل على النبي عليه الصلاة والسلام عبد الله بن أم مكتوم وهو (أعمى) ومع النبي بعض زوجاته . فقال لمن النبي : احتجب . فقلن : إنه أعمى يا رسول الله ، فغضب النبي وقال : أفعمياوان أنتما ؟

ولقد صان الإسلام الاعراض حتى عن تناول بالسب والشتم ، وجعل لذلك حداً مفروضاً يعرف في الفقه بحمد القذف ، ونص القرآن على أنه ثمانون جلدة ، قرأ هذا في قوله تعالى : « والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون » . فقد أنزل بالمفتري بذلك عقوبة مادية جسدية بجلده ثمانين جلدة ، وعقوبة أخرى أدبية برد شهادته ، وإسقاطه من عداد الرجال الكاملين العدالة ، وهذه عقوبة الدنيا . أما جزاء الآخرة فيوضحه قول الله تبارك وتعالى : « إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم » ...

ثم إن وقعت جريمة الاعتداء على العرض بعد كل هذا - ولو عن رضا وطواعية من كليهما - فإن الله يغار على محارمه ، وقد أمرنا بالغيرة على تلك المحارم . فالمعرض ليست ملكاً لأصحابها (كما يظنون) فليست لهم فيها حرية التصرف على ما يريدون ، وكما يحبون ، ومع من يشتهون . فقد أحل الله منه الطيب الطاهر ، وحظر الخبيث الذي تختلط به الانساب ، وتفسد الاخلاق . وتدهور الامم وتنحل ، أقول : إن وقعت الجريمة بعد كل هذه التحذيرات عن غير اكتراث بوعده ، ولاخوف من وعيده ، فثمة حدود تقمع هؤلاء وأمثالهم عن غيهم ، وتقنع أنوفهم عن رجسهم ، من الرجم إلى الموت ، أو الجلد وتعريب عام على ما تفصله كتب الفقه ومذاهب الفقهاء حسب ملاسبات الجريمة ، وحالة الآمين ، من إحسان وعدم إحسان ، تطهيراً وتزكية للبيئة .

* * *

وكما عالج الإسلام جريمة العرض وحاربها ، حارب جريمة الاعتداء على المال ، فلا تلصص ، ولا اختلاس ، ولا سرقة ، ولا غش . لكنه يهذبنا ابتداءً بالألا نطمع فيما ليس لنا فيه ، ونزهد فيما لا نملك . ويحرم الشح والحرص والتكالب على جمع المال ، فإن لذلك شهرة قد نعى عن التفرقة بين الطيب والخبيث . ثم يوجب التعاون بين الحاكم والمحكوم قضاءً على الفقر ، لأنه كثيراً ما يدفع إلى مختلف الجرائم ، وأكثر جرائم الفقر ارتكاباً

جريمة السرقة على مختلف سبلها . . فن ابتغى بعد هذا ثراء عريضا ، وسعة في المال ، فلدیه من الطرق المشروعة الشريفة للكسب الطيب ما يشبع رغبته ، ويذله أمنيته ، فالتجارة ، والإجارة ، والزراعة ، كلها سبل مشروعة .

وليصون الإسلام المال من التلف والضياع شرع له قوانين تصونه حتى من أصحابه ومالكه ، فيحرم الربا ، ويمنع القمار ، ويحظر الرشوة ، ويغض في الإسراف ، ويعدّها كلها كبائر تورث فقر الدنيا ، وخزي الآخرة ، وينم السرقة ، ويصف آكلها بأنه إنما يطعم نارا ، فإنها مصيره . .

فمن أبي بعد هذا التحذير إلا الاعتداء على أموال الناس ، وأكلها بغير حق ، ألزم الدين الحكام أن يقيموا حدود الله ويتفدوا شرعته ، فيزل الحاكم بالسارق عقوبته التي حدّها الله بقوله : « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم ، فإذا مرد السارق على جريمته ، وجمع إليه أنداده وأشباهه ، وقاموا على الطريق يخيفون المارة ، ويمتدون على الأموال والأنفس ، فإن أولئك بعد أن قطع الله جرمهم وسماهم محاربين لله ولرسوله فوض الإمام في أن ينزل بهم من العقوبات التي وضّحها ما يراه على قدر خطرم . نقرأ هذا في قوله تعالى : « إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم » .

• • •

وبالوسيلة عينها رأينا الدين يعالج ويحارب جريمة الاعتداء على النفس ، فإنه بعد أن يتلطف للناس في الطلب بتجيب احترام النفس ، وتغض الاعتداء عليها ، فسمى الحياة « بناء الله ، ودعا قاتل النفس » هادما لبناء الله ، وبعد أن أبان أن من قتل نفسا أو كان سببا في قتلها بغير نفس فكأنما قتل للناس جميعا ، ومن كان سببا في إنقاذ حياة من ضياعها ونفس من تلفها فكأنما أحيا الناس جميعا . من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا ، ثم أوضح بعد هذا — مخوفا — مدى العذاب الذي يلقاه من اعتدى بالقتل فيقول : « ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما » .

ويعمد بعد إذ ينتهى من هذه الأساليب الوعظية الخطابية ذات الوعد والوعيد والترغيب والترهيب - يعمد إلى الإبانة عما يجب من الحدود ، وما يلزم الحاكم من إقامته صيانة للحياة ، وتثيتنا للأمن ، وردعا للدستور ، ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب لعلمكم تنقون ، يبين الإسلام عن القصاص فيما يتعلق بالنفس كلا أو جزءا بصراحة لا تقبل التأويل ، ذلك حيث يقول الله تبارك وتعالى : « وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص ، فمن تصدق به فهو كفارة له ، ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون ، .

وهكذا نرى الإسلام قد عالج الجرائم علاجا راعى فيه النزوات النفسية ، والغرائز البشرية ، فأخذها بالتعليم والتهديب ، ثم بالترغيب والترهيب ، ثم بالحق لا يقع حسم الداء إلا بها وهى الحدود ، فكان معنا على ما قال القائل :

أناة فإن لم تكن عقب بعدها وعيدا فإن لم تكن أغنت كتابه

ولن نغفل - كما لم يغفل الإسلام - النظرة الأدبية إلى النفس ، فإنها إن لم تكن هزيرة كريمة آية مكفولا لها جميع حقوقها ، فليست حياتها حيفتذ بالحياة التى يرضاها ويرضى عنها الإسلام ، فالاضطهاد ، والضميم ، والإذلال ، والتضييق على العقول فى آرائها ، وحبس الارزاق والاستبداد بها ، كلها جرائم وردائل ، يأبأها الإسلام ويحذر منها ، وينزل العقوبة بمن ارتكبها لظلمه ، وبمن نزلت به لرضاه بالظلم ، وإنا لنقرأ هذا فى كتاب الله ، ذلك حيث يقول : « إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم ، قالوا كنا مستضعفين فى الأرض قالوا : ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا . .

ولا تزال حكمة عمر بن الخطاب التى صرح بها فى وجه عمرو بن العاص فى قصة المهرى مع ولده (با عمرو منى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا ، لا تزال تلك الصرخة ترن فى أذن الدهر ...

وبعد - فكم بين حكم الله وحكم الناس . وليس يردع الناس أحكام الناس وقوانين الأرض ، وإنما يردعهم قانون الله ونظام السماء ؟

محمد حافظ

المدرس بالمعهد الدينى بالإسكندرية

مشكلاتنا في نظر الاسلام :

دور اللهو والسينما

يتساءل كثير من الناس عن دور اللهو والسينما ، هل يعتبر وجودها مما يتعارض مع الدين الإسلامي ؟

إن الإسلام دين الفطرة ، وهو يعترف بحق النفس في أن تحيا حياة سعيدة لا سأم فيها ولا ملل ، ولا نصب معها ولا كلل ، ومن أجل ذلك سمح لنا بالتسلية البريئة واللهو المباح ، والمزاح المقبول ، والنكتة الطريفة ، وغير ذلك من الوسائل التي ترفه عن النفس وتطلقها من رباطها ، وتعيد إليها قوة نشاطها ، إذا انقبضت بعد انبساطها .

(١) روى أبو هريرة أن النبي ﷺ قال : إني لا مزح ولا أقول إلا حقاً . قالوا : إنك تداعبنا يا رسول الله ؟ قال : إني لا أقول إلا حقاً . أخرجه الطبراني في الاوسط بإسناد حسن .

ومن هنا أجاب سفيان الثوري حين سئل : هل المزاح هجنة ؟ فقال : بل سنة ، لقوله عليه الصلاة والسلام : إني لا مزح ولا أقول إلا الحق . ذكره ابن عساكر .

(٢) أخرج أحمد والترمذي في الشمائل عن أنس بن مالك أن رجلاً من أهل البادية كان اسمه زاهراً ، وكان يهدي إلى النبي ﷺ هدية من البادية فيجهره النبي صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن يخرج . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إن زاهراً باديئتنا ونحن حاضروه . وكان النبي ﷺ يحبه ، وكان رجلاً دميماً ، فأناه النبي صلى الله عليه وسلم وهو يبيع متاعه فاحتضنه من خلفه وهو لا يبصره فقال : من هذا ؟ أرسلني . فالتفت فعرف النبي ﷺ فجعل لا يألوا ما ألصق ظهره بعصدر النبي صلى الله عليه وسلم حين عرفه ، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول : من يشتري هذا العبد ؟ فقال : يا رسول الله ، إذا والله تجدني كاسداً . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لكن عند الله لست بكاسد أو قال : أنت عند الله غال .

٣ — وأخرج الزبير بن بكار أن رجلاً يقال له نعيمان كان لا يدخل المدينة طرفه إلا اشترى منها ثم جاء بها إلى النبي ﷺ فيقول : ها أهديته لك ، فإذا جاء صاحبها يطالب نعيمان بشئها أحضره إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال : أعط هذا ثمن متاعه . فيقول : أو لم تهده . فيقول : إنه والله لم يكن عندي ثمنه ، ولقد أحببت أن تأكله ، فيضحك .

٤ — وأخرج أبو داود عن أنس أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله احملني . قال النبي صلى الله عليه وسلم : إنا حاملوك على ولد ناقة . قال : وما أصنع بولد الناقة ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : وهل تلد الإبل إلا النوق .

وأخرج أيضاً عن عوف بن مالك الأشجعي قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك وهو في قبة من آدم فسلمت فرد وقال : ادخل ، فقلت : أكلى يا رسول الله . قال : كلك . فدخلت . قال عثمان بن أبي العاتكة : إنما قال كلى من صغر القبة .

٥ — أخرج البخاري عن عائشة قالت : لقد رأيت رسول الله ﷺ يوماً على باب حجرى ، والحبشة يلعبون في المسجد ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يسترنى بردائه ، أنظر إلى لعبهم . وكان يوم عيد يلعب فيه السودان بالدرق والحراب ، فإما سألت النبي صلى الله عليه وسلم ، وإما قال : تشتهين نظرين ؟ فقلت : نعم . فأقامنى وراءه ، خدى على خده ، وهو يقول : دونكم يابنى أرفدة ، حتى إذا ملكت قال : حسبك ؟ قلت : نعم . قال : فاذهبى .

وأخرج عنها أيضاً أنها زفت امرأة إلى رجل من الانصار فقال نبي الله ﷺ : يا عائشة ، أما كان معكم مهر ، فإن الانصار يعجبهم اللهر .

٦ — وأخرج أبو داود في المراسيل عن سعيد بن جبير أن النبي ﷺ صارع ركانة ، وكان رجلاً شديداً معروفاً بالمصارعة والقوة ، فصرعه النبي صلى الله عليه وسلم مراراً ، فقال : يا محمد ما وضع جنبي أحد إلى الأرض ، وما أنت بالذى تصرعنى ، ثم أعلن إسلامه .

٧ — وعن عائشة رضى الله عنها قالت : سابقني رسول الله ﷺ فسبقته ، فلبثنا حتى إذا أرهقني اللحم سابقني فسبقني ، فقال : هذه بتلك . رواه أحمد وأبو داود .

٨ — وعن أنس رضى الله عنه قال : كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ناقة تسمى

العضباء وكانت لا تسبق ، لجاء أعرابي على قعود له فسبقها فاشتد ذلك على المسلمين وقالوا سبقت العضباء . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن حقا على الله ألا يرفع شيئا من الدنيا إلا وضعه » رواه أحمد والبخاري .

٩ — وعن سلمة بن الأكوع قال : مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على نفر من أسلم ينتضلون بالسوق . فقال : ارموا بني إسماعيل ، فإن أباكم كان رامياً . ارموا وأنا مع بني فلان ، فأمسك أحد الفريقين بأيديهم ، فقال رسول الله ﷺ : مالكم لا ترمون ؟ قالوا : كيف نرمي وأنت معهم ؟ فقال : ارموا وأنا معكم كلكم . رواه البخاري وأحمد .

• • •

هذه الأحاديث التي أسلفناها تفيد أن الإسلام دين سمح ، يسير ميول الناس ، ويتمشى مع طبيعتهم ، فلا يحول بينهم وبين ما يجلب السرور لهم ، ولا يمنهم من وسائل الترفيه التي ترفه عنهم ، وتستخرج الموموم منهم ، كل هذا في حرص بالغ على الفضيلة ، ونفور تام من الرذيلة .

وتأمل جيداً قول السيدة عائشة في الحديث السابق : « ورسول الله صلى الله عليه وسلم يسترني بردائه ، أنظر إلى لعبهم ، وقولها في الحديث نفسه : « فأقامني وراءه ، خدي على خده ،

• • •

وإذا كانت دور السينما ونحوها تحول دون الاختلاط ، وتفصل بين الجنسين ، وتحث على أن تعرض على روادها ما يذهب عن النفس السامة ، ويعين على نشر الثقافة ، ويساعد على فهم الدين ، ويؤدي إلى محو الرذيلة ، ويدعو إلى إشاعة الفضيلة ، ويبت في الشباب روح القوة ، ويقضي على أساليب الإجرام . إذا كانت دور السينما على هذا النهج ، فإنها تكون خير مدرسة تعمل على تكوين جيل مثالي يتحلى بالعلم ، ويتدرج بالخلق والدين ، ويحيا حياة سعيدة لا كدر فيها ولا غناء ، وحينئذ تكون حاجتنا إلى إصلاح برامجها ومناهجها ، لتكون وسيلة لإصلاح ونهوض ، بعد أن انحدرت بالامة في مزالق الرذيلة والشهوات ؟

محمد عبد الوهاب فايد

المدرس بمعهد منوف

من نظريات ثورة ٢٣ يوليو

لكل ثورة فلسفة أو مبدأ سام تسير عليه ، يحدد غاياتها ، ويوجه جهودها ، ويرسم طريقها .

وقد صاغ الرئيس جمال عبد الناصر في كتابه : « فلسفة الثورة » ، نظرية جديدة تتضمن فلسفة ثورة ٢٣ يوليو ، راعى فيها أن تسير جزئياتها في وقت واحد ، وطريق واحد ، نحو الهدف الكبير ، حتى يمكننا أن نختزل من عمر الشعب الضائع وقتاً طويلاً .

وهذه النظرية تحتم أن تكون ثورتنا ثورتين : الأولى سياسية تتطلب لنجاحها وحدة جميع عناصر الأمة وترباطها وتساندها ونكرانها لذاتها في سبيل الوطن كله ، ونتيجتها هدم الطغيان والاستعمار .

والثانية اجتماعية ، ومن أول مظاهرها تزلزل القيم ، وتخلخل العقائد ، وتصارع المواطنين مع أنفسهم أفراداً وجماعات وطبقات ، وتحكم الفساد والشك والكرامية والانانية حتى تستقر العدالة للجميع .

وقد شبه الرئيس جمال اختلاف ظروف الثورتين وتنافرهما وتصادمهما اقتصاداً مروعاً بشق الرسى ، وأمدنا بسر المنفذ إلى النجاة من شق الرسى هذين : وهو أن نحفظ بسرعة الحركة والمبادأة ، وبالفدرة على السير في الطريقين في وقت واحد ، وإن كان لم يخف أننا إذا نجونا من شق الرسى يصح أن تقع في التناقض في بعض تصرفاتنا .

ولكن هذا التناقض إذا وجد فأنما يوجد كنتيجة لازمة لإسراع إحدى الثورتين عن الأخرى قليلاً في الطريق الواحد ، وهو ليس بمؤثر ، بل إنه يدعونا إلى الموازنة في سرعة الحركة حتى نلتصم نتائج الثورة .

ويريدنا صاحب النظرية ألا تشغلنا الثورة الثانية الاجتماعية عن الأولى السياسية ، كما حدث في ثورة ١٩١٩ ، وكان ذلك من أسباب فشلها ، فيجب أن نجعل في استطاعتنا أن أن نتصرف بقدر الإمكان حتى ننجو من أن يطحننا شقا الرحي .

• • •

والسبب الكبير في نجاح ثورتنا هو التزامنا لأصول هذه النظرية ، والسير في ثورتين في طريق واحد ، ودليلنا على ذلك التطبيقات الكثيرة الناجحة والتي حصلنا على نتائجها الباهرة سياسياً واجتماعياً .

وأمثلة الأولى السياسية : خلع فاروق ، وإعلان الجمهورية ، وإلغاء الأحزاب ، وإبعاد الساسة المفسدين ، واتفاق الجلاء ، ومحاربة الإرهاب .

وأمثلة الثانية الاجتماعية : تحديد الملكية ، وخفض إيجارات الاراضى الزراعية ، وإلغاء الألقاب ، ومصادرة أموال أسرة محمد على ، وأموال الفادرين والمفسدين ، ورصدها للخدمات العامة ، وإقرار تشريعات العمل ، وخلق التساوى بين العمال والفلاحين ، وتنظيم نقابات العمال ، وإنشاء النقابات الزراعية لأول مرة ، والسير في المشروعات الإنتاجية ، وجنوح الاداة الحكومية إلى الاخذ بنظام اللامركزية وغير ذلك .

وفي هذا كله ما يدل على أن مصلحتنا أن نشد على أعصابنا ، ونمسك على أهوائنا ، ونسكت إلحاح النظريات الأجنبية على أفئدتنا ، حتى نحقق الثورة أهدافها .

وبما يدل على واقعية هذه النظرية ، وصدق اتجاهاتها ، وعلى أن ما صادف ثورتنا حتى الآن من نجاح ، راجع إلى ربطنا بين الثورتين السياسية والاجتماعية ، وسيرنا خلالها معاً في طريق واحد .

بدل على ذلك سوقنا لمثل لم يراع فيه الجمع بين الثورتين السياسية والاجتماعية في وقت واحد . ذلك المثل هو النظرية التي صاغها المرشال شيانج كاي شيك رئيس الصين الوطنية في فلسفته التي سماها . حركة الحياة الجديدة في الصين ، وهي التي التزم فيها أن يحدد حياة الصين سياسياً واجتماعياً .

• • •

وتتلخص هذه النظرية في أن على الصين حتى تنجح أن تمثل لفضائلها العريقة . هذه الفضائل المعروفة بـ : لن . اى . لينغ . تسن ، والتي تترجم إلى « الآداب العامة . العدالة . الاستقامة . الضمير » . وهو يرى أن التزام هذه الفضائل يجعل الغاية من حركة الحياة الجديدة هي ترك الحياة المعقولة ، واستبدالها بحياة معقولة ، فهو يقول في كتابه : « حركة الحياة الجديدة في الصين » : « لئلا نرجو أن تمسكنا بهذه الفضائل يقضى في حياتنا اليومية على الدناءة والعنف ، فستحيل حياة جمهوريتنا مذبذبة ، وتستجيب لمبادئ الثقافة والتهديب والذوق السليم والفن . ومن المؤمل أن العناية بهذه الفضائل تقضى على التسول والصوصية ، فينتصف الموظفون بالأمانة والصدق وحب الوطن ، ويبتطل الفساد والرشوة ، ويوجه الجمهور عنايته للشاريع المنتجة . ومن المؤمل أيضاً أن الاهتمام بهذه الفضائل يؤدي إلى إصلاح سوء نظام المجتمع ، وفساد الحكم ، وبث العسكرية في أبناء هذه الأمة » .

وهو يرى أيضاً أى شيانج كاي شيك ، أن كل أمة في مرحلة الانتقال عليها أن تنبه إلى تغيير التقاليد والعادات أكثر من التنبه إلى السياسات الجديدة نفسها ، ونجاح هذه الحركات الاجتماعية معناه نجاح السياسات الجديدة للحكومة .

كما يقول : « وإذا أمكن للرجل أن يتحل بهذه العادات الجديدة مبتدئاً بنفسه ، فمن الممكن أن يقتدى به أفراد أسرته ، ويمكن للأسرة بدورها أن تؤثر في جالية بأسرها ، ويلاحظ أن الحركة الاجتماعية تتمشى مع السياسة والتعليم ، وإن كانت لا تعتمد عليهما » .

وبالنظر في هذه النظرية نجد أن شيانج كاي شيك قد جعل الصراع في داخل الثورة الاجتماعية قائماً في داخل الفرد أولاً ، ثم ينتقل إذا ما وضحت نتائجه إلى أسرته ومن ثم إلى المجتمع ، بعكس نظرية الرئيس جمال التي تجعل الصراع في محيط الثورة الاجتماعية يقوم بين طبقات ، فهو واضح بذلك من بدايته ، تحكمه الثورة الاجتماعية بتعادل ميزان القوى بين هذه الطبقات ، حتى تستقر العدالة فيما بعد شائعة متجلية لا تلتين ولا تهتز نتائجها ، فهي نتائج جماعية لا فردية ، ظاهرة لا خافية ، تفت خلاها النفوس ما فيها من شك وأنانية وفردية ، فبخرها الثورة بحاراتها أولاً بأول ، حتى ينجلي غبار هذا الصراع عن العدالة الاجتماعية المنشودة .

ومن ناحية أخرى نجد أن شيانج كاي شيك قد جعل حركته الاجتماعية تتمشى فقط مع حركته السياسية ولا تعتمد عليها، في حين أن نظرية الرئيس جمال تتعمد الجمع بين الحركة الاجتماعية والحركة السياسية والسير بهما في طريق واحد كأمراً لازماً لنجاح ثورتنا.

* * *

فنظرية الرئيس جمال تبقى لإصلاح الوضع أولاً بوسائل إيجابية فعالة، فإذا ما صلح الوضع تجملت العدالة كاملة بين المواطنين، على غير ما أرادته نظرية شيانج كاي شيك التي تريد أن تفرس العدالة في وضع لم يصلح بعد، ولذلك تسير ثورتنا سريعاً في طريق النجاح باتباع أصول نظريتها، في حين أن نظرية شيانج كاي شيك لم تأت بما قدره هو لها من نجاح لما أسلفت، وكانت سبباً في أن تنكشف الصين التي كانت مساحتها ١٨٩٦٥٠٠ ميل مربع إلى حيز جزيرة فرموزا، وتعمل الصين الشيوعية جاهدة لاحتلال اعتبارها من الدول الخمس الكبرى بعد أن تمكنت منها الشيوعية، وهذا ما لا نرجوه لبلادنا، وهو أيضاً يجعلنا نتمسك بأصول نظرية الرئيس جمال بعد أن تمتعنا بنتائج تطبيقاتها الباهرة، كما أن فيها الضمان القوي ضد تسرب الشيوعية إلى بلادنا ؟

السيد محمد الكشكى

متى ؟

من مطعم الغرب فيه غير وستان	متى أرى الشرق أدناه وأبعده
بكرية الماء في أفناء أفنان	تجمرى المودة في أعراقه طلقاً
عليه قد أدبرت من غير إيدان	ما بال دنياه لما قام وارفا
وفي دمشق انطوى عهد ابن مروان	عهد الرشيد ببغداد عفا ومضى
كيف انمحي بين أسياف ونيران	ولا تسلم بعده عن عهد قرطبة
عليك لله والايوطان ديثان	فملوا كل حى عند مولده :
قارباً بنفسك أن تمنى بخمران	حتم قضاؤهما ، حتم جزاؤهما

حافظ إبراهيم

النضرة في القرآن

نريد أن نتعرف إلى روح الاستعمال العام لكلمة « نضرة النعيم » في القرآن الكريم ،
ويمكن — توطئة لذلك — أن نلم بالمعنى اللغوي لكلمة « النضرة » :

جاء في (مفردات القرآن) للأصفهاني :

« النضرة الحسن كالنضارة . قال : (نضرة النعيم) أى رونقه ؛ قال : (ولقاهم نضرة
وسرورا) ونضرة وجهه ينضّر فهو ناضر ، وقيل نضّر ينضّر . قال : (وجوه يومئذ ناضرة ،
إلى ربها ناظرة) ، ونضرة الله وجهه ، وأخضر ناضر : غض حسن ، والنضر والنضير :
الذهب لنضارته ، وقدح نضار : خالص كالنبر ؛ وقدح نضار — بالإضافة — متخذ
من الشجر ^(١) . »

وجاء في (النهاية في غريب الحديث) لابن الأثير :

« نضرة ونضرة وأنضره أى زعمه ، ويروى بالتخفيف والتشديد ، من النضارة ،
وهى فى الأصل حسن الوجه والبريق ^(٢) . »

وفى (أساس البلاغة) للزحشى :

« ومن المجاز : نضر وجهه : حسن وغض ، وجارية غضة : ناضرة ، و غلام غض :
ناضر . ونضر الله وجهه وأنضره : حسنه ... وفى الحديث : (نضر الله من سمع مقالتي
فوعاها ^(٣)) ونجار نضار : خالص ^(٤) . »

(١) مفردات القرآن ص ٥١٥ . (٢) النهاية ، ج ٤ ص ١٥٢ .

(٣) إنما أراد : حسن الله خلقه وقدره عن النهاية لابن الأثير ج ٤ ص ١٥٢ .

(٤) أساس البلاغة ، ج ٢ ص ٤٥١ .

وعند تتبع الاستعمال لكلمة « نضرة النعيم » في القرآن الكريم نرى أنه لا يراد بها غضاضة العضو الغالب استعمالها فيه — وهو الوجه — بل يراد بها حسن الجملة ^(١) ، وهي لا تفيد الحسن الحسي فحسب ، بل تشمل كذلك سرور القلب ومتعة النفس . والمشاهد أن نضرة الحس يصحبها غالباً مسرة النفس ، لأن هذا الرنوق في جسم الإنسان يكون في العادة نتيجة لمسرة داخلية وراحة نفسية . بل قد يحوز الإنسان المال والجاه وسلامة الأعضاء ، ولا توجد عنده نضرة النعيم ، لأن نضرة الوجه بهذا الرنوق وذلك البهاء نتيجة معروفة لصفاء النفس وسرورها ، ولذلك كانت « نضرة النعيم » غاية النعيم ، وإن ظن قوم أنها جمال حسي فحسب .

ولعل هذا هو السر في أن القرآن الكريم لم يذكر نضرة النعيم إلا ثواباً كريماً لعباده الطيبين الاطهار الذين يتلقاهم بالعممة الكثيرة والحالة الحسنة في روضات الجنات . ولعل هذا هو السر أيضاً في أن يذكر القرآن مع نضرة النعيم — على طريق المقابلة — ألواناً من العقاب والعقاب لها شدتها وقسوتها ، فالملحوظ أن ذكر النضرة يأتي في مقام المقابلة بين الثواب والعقاب ، وبين ذكر النعيم والجحيم ، فالنضرة وهي غاية في النعيم تذكر في مقابلة ضدها وهو غاية في العقاب ، نصاً أو إشارة ، ويتقدم ذكر الثواب تارة ، ويتأخر عن ذكر الثواب تارة ، ولكنهما يجتمعان .

جاء ذكر النضرة في قول الله تعالى : « إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً ، عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجييراً ، يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيراً ، ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً ، إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً ، إنا نخاف من ربنا يوماً عبوساً قطيراً ، فواقم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا ، وجزاهم بما صبروا جنة وحريراً » ^(٢) .

(١) يقول الزحشرى في كشفه عند تفسير « وجوه يومئذ ناضرة » ما نصه : « الوجه عبارة عن الجملة ، والناضرة من نضرة النعيم » ج ٤ ص ١٦٥ .

(٢) سورة الانسان ، آية ٥ - ١٢ .

ويحمل المعنى أن الذين بروا بطاعة الله وأداء الواجبات واجتتاب المنهيات يشربون في إناء مزاج ما فيه من الشراب كالكافور في طيب الرائحة ، وهم يأخذون شرابهم من عين يفجرونها حيث شاموا من منازلهم وقصورهم تفجيرا ، أى يسيلونها ويجرونها كما أرادوا . وحق لهم هذا النعيم ، لأنهم يؤدون التدوير التى كانوا يندرونها في طاعة الله ، ولأنهم يخافون عقاب الله في يوم كان شره ممتدا طويلا قاسيا ، ولأنهم يطعمون الطعام مع حبهم له وحاجتهم له وشهوتهم فيه ، يطعمونه ذا الحاجة والذي مات أبوه والمأسور في الحرب ؛ وإنما يفعلون ذلك تقربا إلى الله وطلباً لرضاه ورحمته ، لا طلبا للشكر والثناء ، ولا انتظاراً لجزاء منهم ، بل يطعمون بذلك أن يأمنوا عقاب ربهم وينالوا ثبوته ، في ذلك اليوم الشديد الهول العظيم الأمر ، العصيب الشديد ، الذى تعبس فيه الوجوه من شدة مكارهه ، وتقبض فيه الوجوه ، ويطول بلاء أهله .

فحفظهم الله من شر ذلك اليوم ، ودفع عنهم ما كانوا يحذرون ، وأثابهم نضرة في وجوههم ، وسرورا في قلوبهم ، وأثابهم على صبرهم وإحسانهم جنة يتقلبون في رياضها ، وحريرا يرفلون فيه وهم ناعمون مقتبطون . ويقول الزمخشري هنا : « وجزاء بصبرهم على الإيثار وما يؤدى إليه من الجوع والعري بستانا فيه ما كل هنى ، وحريرا فيه ملبس بهى »^(١).

وجاء ذكر النضرة في قوله تعالى : « كلا بل تحبون العاجلة ، وتذرون الآخرة ، وجوه يومئذ ناضرة ، إلى ربها ناظرة ، وجوه يومئذ باسرة ، تظن أن يفعل بها فاقرة »^(٢) .

أى ليس الأمر كما زعمتم من عدم البعث ، وإنما دعاكم إلى هذا محبتكم للدنيا ، وهى الدار الفانية الزائلة العاجلة ، وفضلتم أهواءها وشهواتها ولذاتها السريعة الانتهاء على الآخرة ونعيمها ، مع أن الآخرة هى دار البقاء والخلود : « وإن الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعملون » . فأنتم لذلك تقبلون على العاجلة ، وتعرضون عن الآجلة ، إلا من رحم الله وعهم ، والناس يومئذ فريقان : منهم أصحاب الوجوه الناضرة الحسنة الناعمة ، الجميلة من الغبطة والسرور والنعيم . وأى نعيم أعظم من رؤية المبدع المصور البارئ الخلاق سبحانه ؟

(١) الكشف للزمخشري ، ج ٤ ص ١٦٩ .

(٢) سورة القيامة ، آية ٢٢ - ٢٥ .

وحق لها أن تنضر وهي تنظر إلى خالقها ، وإن كانت أبصارهم لا تحيط به من عظمته .
أو هي تنظر إلى ربها ، أي تنتظر منه ثوابها وهو رب الوفاء والصدق .

ومن الناس أصحاب الوجوه الباسرة أي المتغيرة السكالحة المسودة الكاشرة ، التي تظن
أي تعلم أن بفعل بها فاقرة ، أي يصيبها داهية وينالها شر ، لأن مصيرها إلى النار ، وليس
وراء النار بلاء .

ويقول الله تعالى : « إن الأبرار لفي نعم ، على الأرائك ينظرون ، تعرف في وجوههم
نضرة النعيم ، يسقون من رحيق مختوم ، ختامه مسك ، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ، »^(١).

أي إن الأبرار الذين بروا بتقوى الله والاستجابة له وأداء ما فرضه ، في نعيم مقيم دائم ،
فهم يجلسون على الأرائك - وهي السرر - في المجال من لؤلؤ وياقوت ، يتطلعون فرحين
إلى ما وهبهم الله وأنابهم به على تقواهم ، ولو تطلعت لرأيت في وجوه هؤلاء نضرة النعيم
وحسنه وبريقه ، ويسقى هؤلاء من رحيق مختوم أي خمر صرف ، لا فيها غول ولا هم عنها
ينزفون ، وهذا الرحيق مختوم بالمسك ، فهي طيبة الريح جميلة الطعم . وفي هذا النعيم الذي
وصفناه فليتنافس المتنافسون ، أي فليتنافس المتسابقون إليه ، وليجتهد كل امرئ أن يصله
ويبلغه ، فإنه المقصد العظيم الجليل .

* * *

ولتوضيح مجيء المقابلة بين نضرة النعيم والمذاب البئيس في هذه المواضع الثلاثة
التي تحدثنا عنها نقول : إن المقابل في قوله : « إن الأبرار يشربون من كأس ... » الخ
قد ذكر ثلاث مرات : ذكر قبل الآيات في قوله تعالى : « إنا أعتدنا للكافرين سلاسل
وأغلالا وسعيرا »^(٢) . وذكر أثناء الآيات في قوله : « إنا نخاف من ربنا يوما عبوساً
قطريرا »^(٣) . وبعد ذكر أهل النعيم وذكر الآلاء المفاضة عليهم يومود القرآن فيقول
عن مقابلهم الكافرين : « إن هؤلاء يحبون العاجلة ، ويذرون وراءهم يوما ثقيلا »^(٤) .

وفي الموضع الثاني وهو قوله تعالى : « فلا بل يحبون العاجلة ... » الخ جاءت المقابلة

(١) سورة اللطيف ، آية ٧٢ - ٧٦ . (٢) سورة الانسان ، آية ٤ .

(٣) سورة الانسان ، آية ١٠ . (٤) سورة الانسان ، آية ٢٧ .

بين الثواب والعقاب ، وبين أصحاب النعيم وأصحاب البؤس ، حينئذ قال القرآن : « وجوه يومئذ ناضرة ، إلى ربها ناظرة ، قال عقيب ذلك : « وجوه يومئذ باسرة ، تظن أن يفعل بها فاقرة ، . والفاقرة هي الداهية التي تسكر الفقار ، وهي كناية عن شدة العذاب .

وفي الموضع الثالث والآخر وهو قوله تعالى : « تعرف في وجوههم نضرة النعيم ، جاءت المقابلة قبل ذلك وبعده ، فقبل هذا يقول الله تعالى : « ويل يومئذ للكذابين ، الذين يكذبون بيوم الدين ، وما يكذب به إلا كل معتد أثيم ، إذا تلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين ، كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ، كلا لأنهم عن يومئذ لمحجوبون ، ثم لأنهم لصالو الجحيم ، ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون ، . » (١)

وجاءت المقابلة بعد ذلك في قوله : « إن الذين أجمعوا كانوا من الذين آمنوا يضحكون ، وإذا مروا بهم يتغامزون ، وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكمكين ، وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون ، وما أرسلوا عليهم حافظين ، فالיום الذين آمنوا من الكفار يضحكون ، . » (٢)

وكأنما اتبع القرآن الكريم هذه المقابلة بين أهل النضرة وأهل العذاب ليظهر الفرق الواسع بين هؤلاء وهؤلاء ، وليبشر الأبرار بما أعد لهم من خير وأبعد عنهم من شر ، ولينذر المجرمين بما ينتظروهم من شر وما يفوتهم من خير ، وذلك أسلوب حكيم فذ في الترغيب والترهيب وتهذيب النفوس .

اللهم هبنا نضرة النعيم يوم لقاء وجهك الكريم ...

أحمد الترابصي

المدرس بالأزهر الشريف

(١) سورة المطففين ، آية ١٠ - ١٧

(٢) سورة المطففين ، آية ٢٩ - ٣٤

لغويات

يتفياً المصريون ظلال النعمة

يكثر هذا الاستعمال في هذا العصر ، وفي المنار ٦ / ٢٧١ في الحديث عن الإيمان وأوليته ونشأته مع الحيوان : « وأنه قد أتى عليه حقبة من الدهر وهو على مقربة منها ، ينشأ نشأتها ، ويسير في عيشه سيرتها : يتفياً ظلال الأشجار ، ويستكن في الجحرة والأوكار ، وإذا رجعنا إلى اللغة نرى نص اللسان : « وتفتيات الظلال أي قلبت . وفي التزويل العزيز : تنفياً ظلاله عن اليمين والشمال ... وتفتيات الشجرة وتفتيات وفات تفتية : كثر فيؤها . وتفتيات أنافي فيها ، . فترى أن التفتي يستند إلى الظلال فيكون معناه : قلبها ، وهو عمل التفتي في الآية الكريمة ٤٨ من سورة النحل ، وقد جاء في عبارة اللسان : تنفياً بناء التأنيت ، وهي قراءة أبي عمرو ويعقوب ، وقراءة عاصم وآخرين تنفياً بالياء ، وقد يضاف التفتي إلى الشجرة وغيرها مما له ظل فيكون معناه : كثرة النوى والظل ، وقد يستند إلى المستظل ، فيقال : تفتيات في فوه الشجرة ، أي استظلت بها . وهذا الأخير هو مورد الاستعمال الذي هو موضوع الحديث ، فيجب أن يكون وفق ما جاء في اللغة ، فيقال إذاً : يتفياً المصريون في ظلال النعمة . وقد بان لك أن المثال المصدرية معيب من قبل حذف الجار ، وحذف الجار - كما تعلم - يقتصر فيه على موارد السماع .

وهذا الخطأ قديم ؛ فقد قال أبو تمام في قصيدته في مدح خالد بن يزيد الشيباني :

طلبت ربيع ربيعة الأمهى لها فتفتيات ظلاً له بمدودا

وقوله : طلبت أي ناقته التي حملته إلى الممدوح . وربيعة ربيعة مجاز عن خالد الشيباني ، وشيبان من ربيعة . والمهبي صفة للربيع ، وهو من أمهى النصل إذا أحده ورقفه ، كأنه يريد : الذي حشها بالأمل والرجاء فيه على الإسراع إليه ، أو من أمهى الفرس إذا أرخبت له من عناته . وترى في الشطر الأخير تعدى « تفتيات » إلى الظل بنفسه ، وذلك غير ما جاء في اللسان . وإيراد الشطر هكذا هو رواية الصولي ، ورواية الحارزنجي :

فوردن ظل ربيعة المهدودا

وهي سالمة من الخطأ . وقد نبه على خطأ أبي تمام الشهاب الحفاجي في حاشيته على تفسيره
البيضاوي ؛ فقد قال في ص ٣٣٦ ج ٥ : « والتفريق تفعل من فاء يفيء إذا رجع . وفاء لازم ،
فإذا أريد تعديته عدى بالهمزة أو التضعيف ، كأفاه الله ، وفياه فتية ، وتفيا مطاوع له
لازم . وقد وقع في قول أبي تمام :
وتفيا ت ظله عمودا .

متعديا . وقوله : ظله سبق لك إنشاده : ظلالة ، وكأنه قرأ تفيا ت بإسناده إلى تاء
الفاعل ليستقيم الوزن ، وهذا إن لم يكن من خطأ النسخ أو الطبع . ومن الطريف أن
يقع الشهاب في هذا الخطأ : فقد قال في الريحانة ٤ : « وتفيا العشاق في هجير الاشواق ضافي
ظلالتها . » ويذكرنا هذا - والامر يذكر للأمر - بما وقع من ابن هشام ؛ فقد قال في خطبة
المعنى : « وهأنا بائح بما أسررت ، مقيد لما قررتنه وحررتنه ، فقال الدسوقي في كتابته عليه :
« أدخل ما التنيه على الضمير المنفصل وخبره ليس اسم إشارة ، مع أنه يمنع ذلك ؛ كما يأتي
بينه في حرف الهاء ، وقد وقع له ذلك في ثلاثة مواضع . »

جوال ، جوالق

يكثر في كتابات حملة القلم في هذه الأيام استعمال الجوال في معنى الغرارة ، ويجمعونها
على أجولة . وهم يظنون بمدولهم عن اللفظة العامية « شوال ، أنهم يحوا من الهجعة ،
وأصابوا شاكلة الصواب . والكلمة فارسية ، وقد أدخلها العرب في لسانهم بلفظ «جوالق» .
بعض الجيم وكسر اللام وروى فتحها ، ويجمعونها على «جوالق وجوالق بفتح الجيم فيهما .
قال الراجز :

يا حبذا ما في الجوالق السود من خشكتان وسويق مقنود

والخشكتان يفسره داود الإنطاكى في تذكرته بأنه «دقيق الخنطة إذا عجن بشيرج وبسط
وملى بالسكر واللوز والفسق وماء الورد وجمع وخبز . وأهل الشام تسميه المكفن» .
والسويق : الناعم من دقيق الخنطة أو الشعير المقلو . ومقنود : خلط به القند وهو غسل
قصب السكر .

واللفظ الفارسي هو جواله بالجيم الفارسية ، وهي التي تقرب من الكاف ، كما ينطق سكان القاهرة اليوم . والهاء لبيان حركة الآخر وعدم سكونه ، وتسمى الهاء الرسمية ، أي أنها تكتب في الرسم ولا ينطق بها ، كما ذكره الشيخ طاهر الجزائري في كتابه : « التفریب فی أهول التعریب » ، ص ٩٢ . وقد أبدلت العرب من الجيم الفارسية الجيم ، ومن الهاء الرسمية القاف ، وهذا على حد ما قالوا في دانه : دائق . وقد يبدلون من الهاء الرسمية جيما ؛ كما قالوا في سادة : ساذج . وفي « الألفاظ الفارسية المعربة » ، لإدنى شير : « الجوائق : عدل كبير منسوج من صوف أو شعر ، معرب كواله (بثلاث فقط على الكاف . وذلك رمز الكاف الفارسية) والشوال لغة فيه . »

وقد صارت القاف في « الجوائق » ، باجتماعها مع الجيم آية تعريب الكلمة ، وعدم أصالتها في العربية ، فإن هذين الحرفين لا يجتمعان في كلمة عربية .

وأعود إلى الجمع « جوائق » ، فأذكر أن زيادة الياء فيه شاذة عند البصريين ، وقياسه عندهم جوائق ، أما الكوفيون فيرون زيادة الياء في مثله قياساً ، وقد جاء مراضيع في مراضع ، ومطافيل في جمع مطفل ، قال أمية بن أبي عائذ الهذلي :

ويأوى إلى نسوة عطل وشعث مراضيع مثل السعالى

ومن كبار اللغويين أبو منصور موهوب الجواليقي ، ترجم له ابن خلكان ، وقال : « والجوائق نسبة إلى عمل الجوائق ويجمعها . وهي نسبة شاذة ؛ لأن الجمع لا ينسب إليها ، بل ينسب إلى آحادها ، إلا ما جاء شاذاً مسموعاً في كلمات محفوظة ؛ مثل قولهم : رجل أنصاري في النسبة إلى الأنصار . والجوائق في جمع الجوائق شاذ أيضاً ؛ لأن الياء لم تكن موجودة في مفرد ، والمسموع فيه جوائق بضم الجيم ، وجمعه جوائق بفتحها . وهو باب مطرد ؛ قالوا : رجل حلال إذا كان وقوراً ، والجمع حلال ، وشجر عداًمل إذا كان قديماً . وجمعه عداًمل ، ورجل عراعر وهو السيد ، وجمعه عراعر ، ورجل علاكد إذا كان شديداً ، وجمعه علاكد ، وله نظائر كثيرة . » وقد علمت أن زيادة الياء في الجوائق مقيسة عند الكوفيين . وكذا النسب إلى الجمع على لفظه مقيس عندهم .

وهنا قد يسأل سائل : إذا كانت اللفظة فارسية الأصل ، وحظ العرب تعريبها فالجوال

أقرب إلى الأصل الفارسي وأدنى إلى المزاج العربي من الجوائق ، فكان نولك أن تقرأ الجوال أو الشوال ولا تعيبه على العامة ولا على حملة القلم .

والجواب أن الجوائق ، تعارفها الناس في القديم والفوها ودونت في المعاجم ، فينبغي المحافظة عليها ، وعدم الجري وراء كلمة لم يكتب لها الدخول في لسان العرب وفي معاجمهم .

لا بد وأن ... كما وأن ...

كتب السيد الأستاذ أحمد نصيب المحاميد من فضلاء دمشق إلى المجلة في هذه العبارة :
 « لا بد وأن ... » وذكر أنها تكررت في الصحف اليومية والمجلات ، وأنه لا يرى الواو مكاناً هنا ، وأنه يجب أن يقال : لا بد أن ... والسيد المحاميد على حق في نقده ، والوجه طرح الواو والإتيان بالحرف « من » ، أو حذفه ، كما هو معروف . غير أنه يمكن تخريج الأسلوب المنقود بجعل الواو مزيدة ، وزيادتها مقبوضة عند الكوفيين وبعض البصريين . وفي المعنى لابن هشام في أقسام الواو : « والثامن واو دخولها تخروجها ، وهي الزائدة ؛ أثبتنا الكوفيون والاعفش وجماعة . وحمل على ذلك حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها بدليل الآية الأخرى ، وقيل : هي عاطفة ... والزيادة ظاهرة في قوله :

فأبال من أسعى لأجبر عظمه حفاظاً وينوى من سفاهته كسرى

وقوله :

واقدر ومقتك في المجالس كلها فإذا وأنت تعين من يغبني

١ هـ . وقال في الإنصاف (المسألة ٦٤) : « ذهب الكوفيون إلى أن الواو العاطفة يجوز أن تقع زائدة . وإليه ذهب أبو الحسن الاعفش وأبو العباس المبرد ، وأبو القاسم ابن برهان من البصريين . وذهب البصريون إلى أنه لا يجوز . أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : الدليل على أن الواو يجوز أن تقع زائدة أنه قد جاء كثيراً في كلام الله تعالى وكلام العرب . »

وهذا التخريج يمكن أن يصح قولهم : « كما وأن ... » فالواو مزيدة ، أي كما أن ... ومع هذا ينبغي الرجوع إلى الأسلوب اللاحظ وترك بنيات الطريق ؟

محمد علي النجار

اجلاء يهود بني النضير

تطبيق بارع لمبدأ الوقاية

سمينا الفترة التي أعقبت غزوة أحد بفترة تطبيق مبدأ الوقاية ، وهو مبدأ من مبادئ الحرب ، فقد حتمت ظروف هذه الفترة على النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يحرص الحرس كله على وقاية دينه وأمنه وجيشه من كل عدوان .

وقد بينا أن الخطة التي رسمها النبي في ذلك نجحت كل النجاح ، فقد رأينا كيف قضى صلى الله عليه وسلم على غارات أعدائه جميعاً ، وهي بعد في مرحلة الإعداد ، فأمن بذلك مفاجئتهم له ، وبقي أن نعرف كيف كان موقفه مع اليهود ، وهو ما رأينا أن نتحدث عنه على حدة .

ولقد حدثت في هذه الفترة حادثتان أشفق النبي صلى الله عليه وسلم بواسع فطنته من أن يشجع ما أصاب المسلمين فيهما أعداءهم اليهود والمنافقين على الاستخفاف بشأن المسلمين ، الأمر الذي كان النبي ﷺ يخشاه ، فليس أشد خطراً على المسلمين يومئذ من أن تضعف في نفوس مساكينهم في المدينة هيبتهم .

ولذلك اقتضاه حرصه على مبدأ الوقاية ، أن يعالج الموقف بكل حزم ، بعد أن كشف الله له عن مقاصد اليهود وما يبيتون له من القضاء عليه ، فوجد أن الحل الأمثل هو التخلص منهم بإجلالهم كما سنبين بعد .

يوم الرجيع : (١)

كان مقتل سفيان الهذلي على يد عبد الله بن أنيس الأنصاري - رضي الله عنه - بأمر النبي ضربة قاسية لبني الحيان ، تفكروا في النار ، واتفقوا على أن يكون النار بمكيدة ، كما قتل زعيمهم بمكيدة .

فاتفقوا مع عضل والقارة ومما قبيطان من بني الهون ، وجعلوا لهم إبلا ، على أن يكلموا رسول الله ﷺ أن يخرج لهم نفرأ من أصحابه

فقدم سبعة من القبيلتين مظهرين الإسلام إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وقالوا : يا رسول الله ، إن فينا إسلاما ، فأبعث معنا نفراً من أصحابك يفقهوننا في الدين ، ويقرئونا القرآن ، ويعلموننا شرائع الإسلام ... فبعث معهم الرسول ستة من الصحابة ^(١) فلما بلغوا الرجيع ^(٢) غدروا بهم واستصرخوا عليهم هذيلاً ليعينهم على قتلهم ، فلم يدر الصحابة إلا والرجال بأيديهم السيوف وهم نحو مائتي رجل .

فلم تثبط هذه المفاجأة المرعبة من عزم المسلمين الستة بل استلوا سيوفهم ليقاتلوا ، لكن المشركين قالوا : إنا والله لا نريد قتلكم ، ولكم عهد الله وميثاقه أن لا نقتلكم . قالوا ذلك لأنهم يريدون أن يسلبوهم لسكفار قريش ليفوزوا بالمكافأة .

لم يقبل ثلاثة من المسلمين هذا القول وقاتلوا حتى قتلوا ، أما الثلاثة الباقون فقد نزلوا على العهد ، غير أن المشركين غدروا بهم وربطوهم بأوتار أقواسهم ، ثم قتلوا واحداً وباعوا الاثنين بمكة ، وكان منهما خبيب بن عدي ، اشتراه بنو الحارث لأنه هو الذي قتل عامر بن نوفل في بدر . . .

ولقد كانت قصة مصرع خبيب من أروع قصص البطولة والشجاعة والإيمان ، فإنه لما خرجوا به لقتله سألم أن يدعوهم يصرى ركعتين فصلاهما ، ثم توجه إليهم وقال : لو لا أن نظنوا أني إنما طولت جزعا من القتل لاستكثرت من الصلاة . .

وقتلوه أشنع قتلة ، فقد جمعوا أربعين بأيديهم الحراب والرماح عن قتل آباؤهم وأقربائهم بيدرس ، وقالوا لهم : هذا الرجل قتل آباءكم ۱ فأنهالوا عليه طعنا وضربا حتى مات . ويروى عنه أنه قال قبل موته قوله المشهورة .

ولست أبالي حين أقتل مسلماً على أي جنب كان في الله مصرعي
سرية برّ معونة ^(٣)

والحادثة الثانية حدثت بينما المسلمون في حزنهم على أصحابهم الستة الذين ذهبوا ضحية الغدر ، إذ قدم أبو براء عامر بن مالك على النبي - صلى الله عليه وسلم - فعرض عليه الإسلام

(١) ويقال عشرة من الانصار والمهاجرين .

(٢) اسم ماء لهذيل بين مكة والطائف .

(٣) اسم لموضع بين مكة وصفال .

ولكنه لم يسلم ولم يظهر الإسلام عداوة وقال : « لو بعثت رجلاً من أصحابك إلى أهل نجد فدعوتهم إلى أمرك لرجوت أن يستجيبوا لك » . فذكر النبي صلى الله عليه وسلم ما كان من أمر الصحابة الستة ، وخشي على أصحابه من أهل نجد ، وذكر ذلك لأبي براء ، فتعهد هذا بأن يحميهم ويحيرهم وقال : « أنا لم جار » .

فبعث الرسول المنذر بن عمرو ومعه أربعون من خيار المسلمين ، فلما وصلوا إلى بئر معونة قام عامر بن الطفيل وهو ابن أبي براء فاستصرخ بمض القبائل من بني سليم ، فأحاطوا بالمسلمين في رحالهم وقتلهم جميعاً إلا واحداً تركوه وبه رمق فعاش ولحق بالمدينة ، وواحداً أسر ثم أطلق .

غزوة بني النضير (١)

أدرك الرسول صلى الله عليه وسلم أن ما أصاب المسلمين في هاتين الحادثتين ، سيشجع اليهود على الاستخفاف بأمر المسلمين ، وكشف الله سبحانه وتعالى أمامه نيات اليهود ، فقد ذهب إلى يهود بني النضير في عشرة من كبار المسلمين بينهم أبو بكر وعمر وعلى ، وطلب إليهم أن يعينوه في دية قتيلين من بني عامر قتلها عمرو بن أمية خطأ . . وكان بين بني النضير وبين بني عامر تحالف وجوار ، فأظهروا الرسول قبولاً ورغبة في الإجابة ، ثم خلا بعضهم ببعض وذكروا مقتل كعب بن الأشرف ، وسرت فيهم روح الانتقام والغدر وقالوا : إنكم لن تجدوه على مثل هذا الحال منفرداً ليس معه من أصحابه إلا نحو العشرة ، وكان الرسول قاعداً إلى جنب جدار من بيوتهم فقالوا : من يعلو على هذا البيت فيلقى هذه الصخرة عليه فيقتله ويرميحنا منه ، فتطوع لذلك عمرو بن جعاش بن كعب اليهودي وصعد ليلقى عليه الصخرة .

دبر اليهود هذه المكيدة فيما بينهم ، ولكنهم نسوا أن الله حافظ لرسوله ، إذ كشف له ما أراد القوم به ، فقام عليه الصلاة والسلام مظهراً أنه يقضى حاجة ، وترك أصحابه في مجالسهم وطفق عائداً للمدينة مسرعاً . .

أما اليهود فقد أرتج عليم ، وحاروا فيما يقولون لأصحاب محمد أو فيما يصنعون بهم . ولما طالبت غيبة الرسول عن أصحابه قاموا في طلبه حتى بلغوا المدينة فوجدوه ، فقالوا :

(١) في شهر ربيع الأول من السنة الرابعة الهجرية .

وقمت ولم نشعر ؟ ، فأخبرهم بما أرادت اليهود من الغدر به وأمرهم بالتهيؤ للقتال . وهكذا اتضحت لرسول الله نيات اليهود نحوه ، فعد ذلك نقضاً لما بينه وبينهم من عهد ، وبعث إليهم محمد بن مسلمة وقال لهم :

« إن رسول الله أرسلني إليكم أن اخرجوا من بلادي ، فلا تذا كنوني بها ، وقد هممت بما هممت به من الغدر ، وقد أجلتكم عشراً : فن روى منكم بعد ذلك ضربت عنقه ، .

حارت بنو النضير فيما تصنع وقد انكشف أمرها لمحمد ﷺ ، فأرسل إليها هذا الإنذار الشديد ، وفي هذا الوقت أرسل عبد الله بن أبي (ابن سلول) إليهم يحرضهم على قتال النبي صلى الله عليه وسلم ، ويدعومهم إلى البقاء في ديارهم ، وزعم لهم أن لديه ألفين من رجاله على استعداد لنصرتهم ، فشجع ذلك حيي بن أخطب كبير اليهود على أن يبعث إلى الرسول يقول : « إنا لن نخرج من ديارنا ، فاصنع ما بدا لك ، وأمر بالحصون فريمت ، وبالحجارة فأحضرت وجمعت في الأزقة . وانقضت الأيام العشرة ولم يخرجوا من ديارهم .

كان بين اليهود وبين المدينة نحو ميلين ، فسار النبي صلى الله عليه وسلم بأصحابه لخاصرة اليهود في ديارهم عشرين ليلة ، وعهد إلى خطة بارعة تعد ضربة قاصمة لليهود ، وهي حرق نخيلهم ، ففضى بذلك على أسباب تعلقهم بأموالهم وزورعهم ، لنزول حماسهم للقتال .

نجمت الخطة ، وأدرك اليهود اليأس ، وخاصة بعد أن أخلف عبد الله بن أبي وعده بنصرتهم ، وكذلك لم يعنهم أحد من العرب ، فأرسلوا إلى النبي ﷺ أن يؤمنهم حتى يخرجوا من ديارهم ، فقال لهم :

« اخرجوا منها ولكم دباؤكم وما حملت الإبل إلا الحلقة ، . (وهي الدروع والصلاح) فرضوا بذلك ، وطفقوا يجمعون ما شاموا من مال أو طعام ، وقصد بعضهم خير ، وسار الآخرون إلى أذرعات وأريحاء من أرض الشام .

وخلقوا وراهم أسلحتهم والأرض التي كانوا يملكون .
الإجلاء تطبيق بارع لمبدأ الوقاية :

من هذا نرى أن خطة النبي ﷺ بإجلاء اليهود كانت خطة بارعة اقتضاهما الحال الذي كان عليه المسلمون .

وغير خاف ما كان في بقاء اليهود من خلق الفتن وإثارة الشكوك ، وكانوا سيصبحون عدواً ثانياً بالإضافة إلى العدو الأول قريش ، الأمر الذى كان سيرغم الرسول صلى الله عليه وسلم على قتال عدوين .

ثم إن المنافقين كانوا يعتمدون على نصرة اليهود لهم في مناوأة النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما جلا اليهود هبطت حميتهم ، وفترت عزيمتهم ، ولم يعد لهم ذلك المركز الذى كانوا فيه من قبل .

لقد كانت هذه الخطة إذن ضربة صائبة ، وحجراً أصاب عصفورين : قضى على اليهود ، وعلى المنافقين في وقت معا .

ولا شك أن الرسول ﷺ اطمأن بعد ذلك واستراح بما كما يشغله من أمرهما ؟

محمد جمال الدين محفوظ

نشيد اسلامى

إيه يا أمة خير المرسلين	آن أن تهض بين الناهضين
آن أن نرجع عهد الراشدين	مثلاً قد كان في دنيا ودين
من له العرب الميامين جدود	لهو أخرى للبرايا أن يسود
ونخلق عن حمى الدين بنود	كذياد الأسد من حول العرين
كيف يعرونا نحول ووهن	والورى يصل لظى نار الفتن
من سوانا يدفع الراية من	يرجع العالم للحق للبين
بين أيدينا تعاليم الكتاب	خير منهاج لمن ضل الصواب
أدركت مغزى معانيها الصحاب	فاستوا فوق عروش العالمين
نحن إن لم نتقدم للامام	ونعد سيرتنا بين الانام
فعلى الدنيا - على الدنيا السلام	أى معنى لحياة الخاملين ا

عبد الرحمن نجما

سكرتير محكمة طنطا الابتدائية الشرعية

تعليقات^٢

كنت كتبت فصلاً موجزة عن العذراء القاتنة السيدة مريم ، ونشرتها هذه المجلة .

و ذات يوم حضر إلى مكتبي في إدارة الأزهر السيد الفاضل ر . فوكا من علماء الدين المسيحيين ، وأبدى ارتياحه لتلك الفصول التي نشرناها ، واعتبرها إنصافاً في إيضاح الحقائق العلمية .

وقدم إلينا تعليقاً مكتوباً بالفرنسية بمجلة « ريبون ديجيت » - شعاع مصر - يسجل فيه رأيه ، ثم صارحنا بشكره وشكر آخرين عن قراء أو سمعوا بما كتبنا .

والرأى عندى أننى لا أستحق شكراً على ذلك ، وإنما هى أمانات علمية يقتضينا الإسلام أن نبلغها لمن لم يبلغه ، وأن نوضحها لمن ينتفع بإيضاحها .

وفى من التوجيهات الأدبية والدينية معاً أن أدب الإسلام لا يرتضى العصبية التى تباعد بيننا وبين الإنصاف ، وأن تمجيد مريم وعيسى - عليهما السلام - بما عفى القرآن بذكره كثيراً ، وأن العقيدة الإسلامية لا تتم إلا بالإيمان بجميع الرسل دون تفرق بين أحد من رسله ، إلى آخر ما جاء فى كتابى .

وتقديرأ لما أبداه العالم الدينى المسيحى ر . فوكا نحو ما كتبناه فنشر كلته التالية ، ونحن على ما ندين به من الحق الذى لا ترقى إليه الشبهات .

عبد اللطيف السبكى

العذراء القاتنة^(١)

لقد كانت مفاجأة سارة أن قرأ فى مجلة الأزهر ، ذلك المعهد الدينى الكبير ، والمركز الروحى والثقافى للعالم الإسلامى - أن قرأ - سلسلة مقالات ، أو بالأحرى سلسلة دراسات قيمة عن القديسة مريم العذراء ، وأن تكون هذه المقالات فى نهاية هذا العام المسمى (الميلادى) [فى ٢٤ سبتمبر و ٢٤ أكتوبر و ١٢ نوفمبر سنة ١٩٥٤] .

(١) ترجم هذا المقال الدكتور خليل مدكور .

لقد أخذت هذه المجلة على نفسها أن تعالج بعض المسائل القرآنية ، وبدأت منذ وقت قريب أن تدرس بصفة خاصة الشخصيات البارزة التي وردت أسماؤها في القرآن ، وكان من الطبيعي أن يكون من بين تلك الأسماء اسم السيدة مريم العذراء ، إذ أنها تحتل مكاناً عظيماً في نفسية المسلمين .

ولقد كان من حسن المصادفة أن نكون دراسة شخصيتها في مجلة الأزهر في نهاية هذا العام المأري (الميلادي) .

ومما تجب ملاحظته أن كاتب ذلك البحث هو حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ عبد اللطيف السبكي الذي هو عضو بالمجمع العلمي للأزهر ، أو بعبارة أصح عضو بجماعة كبار العلماء الذين يمثلون أكبر سلطة دينية فيه .

هذا وليس من الطبيعي أن نفتخر من أحد فقهاء المسلمين أن يسلم على طول الخط بما ندين به - نحن معشر المسيحيين - من العقائد المسيحية البهتة ، فيما يختص بالمسيح ، وبأمه مريم العذراء ، إذ أن الإسلام يرى أن مريم هي أم المسيح الذي ليس « ابناً لله » .

هذا ولقد عالج الأستاذ هذا الموضوع بكل دقة من الوجهة الدينية ، مع كثير من رقة الذوق ، وحسن المراعاة ، مما يدعو القارئ إلى أن يتأمل ويتدبر مثله في شخصية تلك العذراء القاتنة التي ملكت عليه مشاعره بفضلها وحسن خلقها .

ولقد أحيطت هذه القصة ببعض الروايات الطريفة ، والتقاليد المعروفة لدى المسلمين ، والتي لا تقرأها الكنيسة الكاثوليكية ، وإن كانت فعلاً رائجة عند المسيحية إبان القرون التي سبقت ظهور الإسلام ، ولا زالت مذكورة في بعض الأناجيل المشتركة فيها .

هذا - فإذا ما تقرر هذا ، وتبين لنا أن شخصية السيدة مريم العذراء قد احتلت هذا المكان الممتاز في القرآن وفي السنة ، فإنه يغيب إلينا أن هذا المقال قد جاء بشيء جديد - أو على الأقل - قد جاء بمحقايق كانت معروفة من قبل إلا أنها لم تكن بهذا الوضوح ، وبهذا البيان والتعمق

وقد جاء بالمقال أمران جديران بالذكر ، ويسترعيان التأمل بصفة خاصة ، وهما :

أولاً : التأكيد بأن مريم العذراء لم تكن قينة بالإكبار والتعظيم فحسب ، بل كانت مثلاً كريماً يهتدى به ويسار على نهجه .

ثانياً : هو تساؤل صاحب المقال لمَ لم يكن كل الناس قد اختصوا بكل فضائلها الفريدة في ذاتها ؟

هذا - ومن الجلي أن نجد من السهل الجواب على هذا التساؤل في الإرادة الإلهية التي لا نستطيع سبر غورها ، ولكن هذا يدعونا إلى الكثير من البحث والتعمق ، لأننا لا زلنا نسير في طريق كله غموض .

ولقد قرر الكاتب الكبير بحق أن فضل السيدة العذراء يرجع إلى أمومتها المجيدة لوليدها المسيح.....

« فلندع مريم أن تعرفنا بشخصيتها أكثر فأكثر هي وابنها » .

ليس حديثاً نبوياً

قيل إن قسيس كنيسة بطرس غالى ألقى فيها عظة دينية تناول فيها الكلمة المشهورة « اتق شر من أحسنت إليه » بالشرح والتفسير باعتبار أنها حديث نبوى ، وقد ألقى كاتب في إحدى الصحف اليومية الصباحية على ذلك وأبدى سروره من أن أحد رجال الدين المسيحي يعظ بحديث نبوى إسلامي من فوق منبر الكنيسة .

ولكن الحقيقة التي يعرفها علماء السنة من المسلمين أن كلمة « اتق شر من أحسنت إليه » ليست حديثاً نبوياً ، وكان بعض أعلام المسلمين يرون أنها قصدت عن عمل الخير ، فن الخير أن يعلم الناس أنها لا تعرف في كتاب من كتب السنة المعتمدة .

الكتاب

المصلحة في التشريع الاسلامي

ونجم الدين الطوفي

للاستاذ مصطفى زيد - ٢٧٥ ص - دار الفكر العربي بمطبعة لجنة البيان العربي
الإسلام دين الفطرة ، وقد قام في رسالته على دعائمين من دعائم الفطرة : « الحق ،
والخير » ، فشكل ما وافق الحق صرفاً والخير خالصاً فالإسلام يقره . والمصلحة ، إذا التقت
بالحق والخير كانت من أهداف الإسلام ، ولأنها من أهدافه لا نجد في نصوصه ما يخالفها ،
فإذا اختلفا وجب على أهل الفقه والحجى أن يطيلوا الدراسة والتفكير فيما يظنونه
« مصلحة » ، وسيجدون أنفسهم في النهاية محطتين فيما ظنوا ، فالنص الإسلامي إن أجحف
بمصلحة هزيلة فذلك لا يكون إلا لحماية مصلحة عامة شاملة . ومن هنا نزلت قدم الذكي
المتوئب الجريء نجم الدين الطوفي الذي يقول عن نفسه :

حنبل رافضى ظاهري أشعري ، إنما لإحدى الكبر

فذهب في شرحه حديث « لا ضرر ولا ضرار » ، وهو الحديث الثاني والثلاثون من
الأربعين النووية إلى أن النص والإجماع إذا خالفا المصلحة وجب تقديم رعاية المصلحة
عليهما بطريق التخصيص والبيان لهما لا بطريق الافتئات عليهما والتعطيل لهما . وهنا
موقف دقيق في التوفيق بين المخالفة والتخصيص ، فالتخصيص ينبغي أن يعتمد على نص
آخر ، وحينئذ يكون تقديم المصلحة على النص بنص آخر لا بترجيح المصلحة على النص
ولا سيما إذا انضم إليه الإجماع . وقد تقدم لنا الكلام على (الطوفي) والمصلحة في هذه
المجلة (م ٢٤ ص ٦٩٥ - ٦٩٧) .

وقد تفرغ لدراسة هذا الموضوع الأستاذ المحقق الفاضل مصطفى زيد الذي سبق لنا
التنويه بتفسيره سورة « الأنفال » (م ٢٥ ص ٢٧٥) فألف أخيراً كتاب (المصلحة
في التشريع الإسلامي - ونجم الدين الطوفي) ونال بهذا الكتاب درجة الأستاذية في الشريعة
الإسلامية بمرتبة الشرف الممتازة بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة ، ولم يقصر
في نقد رأى (الطوفي) وخطأه في ترجيح ما يظنه المصلحة على النص ، غير أنه حاول
أن يلفظ من نصوص التاريخ فيما يتعلق بذبذبة الطوفي بين المذاهب ، وحمل ذلك على أنه

من حرية الفكر . غير أن العالم الجليل الأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة وكيل كلية الحقوق في جامعة القاهرة وأستاذ الشريعة الإسلامية فيها - وهو أحد الذين ناقشوا هذه الرسالة عندما تقدم بها المؤلف إلى كلية دار العلوم - قال في مقدمتها بعد أن أثنى على المؤلف بما هو أهله : « إننا في المناقشة أخذنا عليها مأخذ نشأت من السير السريع ، وأبرز هذه المأخذ وأوضحها هي في محاولة تبرئة الطوفي من التشيع ، فإن النصوص التي نقلها مستشهداً بها لنفي التشيع لطوفي في تنابها دليل إثباته ، وكل نص ساقه دليلاً للنفي هو في مغزاه ومرماه وباعنه دليل الإثبات » . وهذا التقينا مع الأستاذ أبي زهرة فيما سبق لنا تسجيله عن مذهب الطوفي قبل سنتين ، كما التقينا مع الأستاذ مصطفى زيد فيما تقدمه من زلل الطوفي فيما رجح به ما يظنه مصلحة على النص حتى لو كان مقروناً بالإجماع . ولا يفوتنا أن نشير إلى أن الإمامية لا يقولون بالإجماع كما يعرفه المسلمون ، ولذلك لم يحم له الطوفي وزناً حتى مع النص إذا خالفتهما المصلحة المزعومة . وما زاد في قيمة كتاب الأستاذ مصطفى بدر أنه ألحق به نص شرح الطوفي على حديث « لا ضرر ولا ضرار » منقولا من شرحه للأربعين النووية ومزينا بصور شمسية لبعض صفحات الأصل الذي نقل عنه .

بحث في مشكلة التسول والتسولين

لفضيلة الشيخ محمد اسماعيل عبد رب النبي - ٦٤ ص - مطبعة الإمام بالقاهرة
هو بحث في مشكلة التسول ، وأن منشأ الفقر وما كان من ضغط الاستعمار وظلمه وأساليه وتحكمه في أقوات الشعب ، وأن من مساوئ التسول الفردية ذهاب الحياء وفقدان الكرامة وعزة النفس ، ومن الناحية الاجتماعية وجود طائفة تعيش عالة على المجتمع ، وتعطيل قواها عن العمل ، وأنها عنوان للتأخر والانحطاط . وأن الحكم الشرعي في التسول أنه حرام على من استطاع أن يستغنى عنه بالعمل ، وقد قال رسول الله ﷺ : « إن المسألة لا تحمل لفتى ، ولا لذي مرة (أى قوة) سوى » ، وقال : « من سأل وعنده ما يغنيه فإتما يستكثر من جمر جهنم » ، قالوا : يا رسول الله ، وما يغنيه ؟ قال : ما يغنيه ويعشيه . وأنه يحرم على المرء أن يسأل وهو يستطيع العمل . وقال المؤلف في علاج التسول أن يبين للناس هدى الإسلام فيه ، وأن ييسر للمعدم طريق العمل . والإسلام دين يحث على العمل ، وعلى الجهاد في كسب الرزق ، وراث الإسلام سافل بالحث على ذلك وتوجيه الأمة إليه . وقد ختم المؤلف رسالته بكلمة بليغة للحافظ ابن رجب في شرح وصية النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس ، وهي التي يقول له فيها : « وإذا سألت فاسأل الله » ، وهو أمر يفراد السؤال لله ، ونهى عن سؤال غيره من الخلق .

الأدب والعلوم

الولايات المتحدة الأمريكية ثم الدول
الآسيوية وأمريكا الجنوبية .

مدارس لبناء العرب
في الدول الأجنبية

دائرة معارف إسلامية

أعلن شودي على أكبر وزير معارف
البنجاب في الجمعية التشريعية نبأ اعتزام جامعة
البنجاب إصدار دائرة معارف عن الإسلام
باللغة الأوردية ، وأن حكومة الإقليم ستقدم
لهذه الجامعة إعانة مالية لإتمام هذه الدائرة
الحافلة بالمراجع عن الإسلام . وما يستحق
الإعجاب أن حكومة إقليم البنجاب تتقدم
خطوات في طريق التوسع في الدراسات
الإسلامية .

فلسطين

في مؤتمر التعليم الإلزامي

وافق مؤتمر التعليم الإلزامي للبلاد العربية
على التوصية بالمزيد من العناية والاهتمام
بتعليم المعلومات التاريخية والجغرافية عن
فلسطين في جميع الدول العربية ، والاتصال
بالدول العربية غير الممثلة في الجامعة العربية
لتطبيق ذلك .

وأوصى بأمر أخرى تعليمية تتعلق بأبناء
اللاجئين الفلسطينيين ، ومما العناية بتعليمهم
التعليم المهني .

تولد لأصحاب المصالح التازحين إلى البلاد
الأجنبية مواليد فينشأون في وسط غريب
عنهم بلغته ودينه ، حتى إذا بلغوا أشدهم
وجرفهم تيار الغربة لا يبقى لهم من مقوماتهم
الجفسية والإسلامية إلا أنهم أبناء أسر عربية
إسلامية ، وقد رأينا أثناء الحرب العالمية
الثانية ضباطاً في الجيش الأمريكي والجيش
الأوسترالي يبحثون عن يعرف ذويهم في
البلاد العربية الإسلامية التي نزع آبائهم
عنها إلى أمريكا أو أستراليا . وهم في حزن
شديد لأنهم يحملون العربية والإسلام .

وقد لاحظت جامعة الدول العربية هذا
الامر فأعدت الإدارة الثقافية بالأمانة العامة
للجامعة العربية مشروعا لإنشاء مدارس
عربية في بلاد الدول الأجنبية التي يكثر فيها
المهاجرون إليها من بعض البلاد العربية لتعليم
أبناء هؤلاء المهاجرين ما يحفظ لهم عروبهم
وإسلامهم ، كما تفعل الدول الأجنبية في بلاد
الشرق من إقامة المدارس لأبناء جاليانها لهذا
الغرض . وسيبدأ بتنفيذ هذا المشروع في
ألمانيا وبريطانيا والشمال الشرقي من بلاد

رسالة نبأ العجلاء إلى الأمة

نقول ولا نعمل

نعاليم الإسلام بخذايرها وبروحها الصحيح ،
فإن ذلك سيقودنا بلا شك إلى حياة كريمة
عمادها الإيمان والعدل والإخلاص .

لغة عار في جبين الانسانية

أذاع السيد فارس الخوري رئيس الوزارة
السورية ياناً عما دار في الأمم المتحدة
من مؤامرات ودسائس قبيل صدور قرار
تقسيم فلسطين ، وقد جاء في البيان :

« إن هذا القرار جريمة اقترفتها الأمم
المتحدة ، وستبقى لاطخة عار على جبين الإنسانية .
وقد بذل ترومان من الجهد ما لا يوصف ،
هو والمصابة الصهيونية الدولية ، حتى أكرهوا
الدول الصغيرة على الوقوف إلى جانبهم » .

نقول سوريا بمر تأشيرة

وافق مجلس الوزراء السوري على مشروع
قانون بإلغاء تأشيرة الدخول إلى سوريا
بالنسبة لجميع رعايا الدول العربية . وأعلن
وزير العدل بدمشق أن سوريا تريد أن يشهر
المواطنون العرب إذا انتقل الواحد منهم
من بلاده إلى سوريا بأنه لا يزال في وطنه .

قال حاكم باكستان العام لمناسبة افتتاح
مؤتمر الشباب المسلم الذي انعقد في كراتشي :

« إن مصدر ضعف الأغلبية العظمى
من المسلمين هو أنهم يتحدثون عن الإسلام
أكثر مما يطبقونه في حياتهم العملية .
وأن معرفتهم بتعاليمه وارتباطهم به لم تعد
ما ينطقونه بألسنتهم ، ولم يكونوا جادين
في أي وقت في عباداتهم . فالإسلام الصحيح
كان الرباط الوثيق الذي يجمع شملهم ويجعل
منهم أسرة واحدة كبيرة قوية . أما الآن
فقد تركوا الدين إلى الدنيا ، فأنحل هذا الرباط
الذي كان بينهم ، وتمزق شمل أسرهم وتفرق
أهلها شيعاً وأحزاباً ، فتبدلت قوتهم ضعفاً
ووحدتهم تفككاً ، وأسدل الزمن على مجدهم
وقوتهم الماضية ستاراً كثيفاً . ولذلك كان
لزاماً علينا أن ننظر لماضينا كي نستلهم منه
القوة والحياة التي تمسكتنا من الحياة في هذا
العالم المضطرب ، ولنتحقق من أن اتباع
قعاليم الدين الإسلامي كان مصدر قوتنا
الماضية ، وأن نخلي المسلمين عنه هو مبعث
ضعفهم الحاضر . أما إذا عدنا إلى تطبيق

البترول فى سيناء

وقفت الجمعية التعاونية للبترول إلى اكتشاف بئر بترولية جديدة فى (بلاعيم) من الصحراء الشرقية ، وهى بئر غنية بالبترول ، يبلغ الإنتاج اليومى من بترولها الحام نحو ٢١٧٠ برميلا ، أى ما يوازى نحو ٣٠٠ طن فى اليوم ، وهذه البئر خامسة آبار البترول التى ظهرت فى شبه جزيرة سيناء ، وقد عثر على خام البترول فى هذه المنطقة عند عمق ٧٣٢٤ قدما حيث تفجرت ينابيع البترول المتدفق ذاتيا فى الاقدام الاربع والعشرين الاخيرة ، ويقدر الإنتاج السنوى لهذه البئر بثلاثة أرباع مليون طن يبلغ ثمنها - على أساس سعر البترول المستورد - نحو ١٤ مليون جنيه بالعملة الصعبة .

ومنطقة بلاعيم التى ظهر فيها البترول الآن تبعد نحو ٢٠ كيلو مترا عن حقل بترول وادى فيران ، وبالقرب من ساحل خليج السويس الذى تفجرت ينابيع البترول على ساحليه فى السنوات الاخيرة ، إذا اكتشف على ساحل شبه جزيرة سيناء حقل بترول وادى فيران ، وقبله اكتشف حقل بترول رأس مطارمة وعسل وسدر ، واكتشف منذ سنوات بعيدة حقل بترول رأس غارب ، وقبلها حقل بترول الفردقة ، وحقل جمسة . والمتنظر من الآن أن تسد بلاد الجمهورية المصرية حاجتها للبترول بما تفتجه محليا .

تحرير القمار

انتهت وزارة العدل من وضع مشروع بقانون يقضى بتحريم لعب القمار على المصريين ، وإقناذ مصر من أنديةه ، والاقتصار على أندية محدودة العدد فى مناطق السياح الأجانب بحيث يكون دخولها مقصوراً عليهم بإيراز جوازاتهم لمن يراقب الداخلين إلى هذه الأندية . وقد أحسنت الحكومة كل الإحسان إلى هذا الوطن الذى كان منكوبا بكثير من بؤر الفساد منذ كان ضحية لنظام الامتيازات الأجنبية ، ومنها هذه الأندية التى طالما هدمت يوتاً ودفعت رجالا إلى الانتحار بما دخل على نفوسهم من اليأس بضياح تراهم على تلك الموائد الفادرة الفاجرة .

الى مؤتمر الشباب الإسلامى

فى كراتشى

سافر بطريق الجو إلى كراتشى ٥٢ شابا من شباب الأزهر والجامعات المصرية قاصدين عاصمة باكستان لتمثيل شباب مصر فى مؤتمر الشباب الإسلامى الذى عقد فى العشرة الايام الاولى من السنة الشمسية الجديدة ، ومن هؤلاء المثالىين لمصر فى المؤتمر مدير متحف الفن الإسلامى واثان من مساعديه . وقد ودعهم فى مطار القاهرة الدولى القائمقام أنور السادات وزير الدولة والسكرتير العام للمؤتمر الإسلامى .

فهرس

الجزء العاشر — المجلد السادس والعشرون

صفحة	الموضوع	بسم
٥٤٥	بين العلم والثقافة	الاستاذ محب الدين الخطيب رئيس التحرير .
٥٤٩	فتحات القرآن : المتكلمون في الهدى	» عبداللطيف السبكي عضو جامعة كبار العلماء
٥٥٣	نصرة الله لأوليائه	» محمود فرج العفدة للدوس بكلية اللغة العربية
٥٥٧	المخيل وكتب التفسير	» محمد محمد أبو شبة
٥٦١	قتيبة بن مسلم	» محمد رجب البيومي
٥٦٦	الشجاعة في نظر الاسلام	» زكي سويلم
٥٧٠	مشكلة التفرّد	» أحمد طه السنوسي
٥٧٥	كيف طالع الاسلام الجريمة	» محمد حافظ للدرس بعميد الاسكندرية
٥٧٩	دور الهوى والسياسة	» محمود عبد الوهاب فايد
٥٨٢	من نظريات ثورة ٢٣ يوليو	» السيد محمد السكيتي
٥٨٦	النصرة في القرآن	» أحمد الشراصي
٥٩١	لغويات	» محمد علي النجار
٥٩٥	اجلاء يهود بني النضير	» محمد جمال الدين محفوظ
٥٩٩	نشيد إسلامي	» عبدالرحمن نجبا سكرتير محكمة طحا للشرعية
٦٠٠	تليفات « المدرء القاتلة »	» عبد اللطيف السبكي مدير المجلة . .
٦٠٣	السكتب	المجلة
٦٠٥	الادب والعلوم	»
٦٠٧	أبناء العالم الاسلامي	»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
مَجْلَدُ الْإِسْطِثَا
الْإِسْطِثَا السَّنَوِي
مجلد
في وادي النيل ٤٠٠
لغة وادي النيل ٤٠٠
لغة وادي النيل ٣٠٠
لغة وادي النيل ٥٠٠
لغة وادي النيل ٣٠٠
لغة وادي النيل ٤٠٠

مَجْلَدُ الْإِسْطِثَا
مَجْلَدُ شَهْرِيَّةِ جَامِعَةِ
تَصَدَّرَ عَنْ شَيْخَةِ الْأَزْهَرِ شَرْفِيَّةَ كُلِّ شَهْرٍ عَرَبِيَّةً

مَجْلَدُ الْإِسْطِثَا
عبد اللطيف السبكي
عضو جماعة كبار العلماء
للعنوانات
إدارة الجامعة الأزهر بالقاهرة
تأليفون ٤٦٤١٤

القاهرة في غرة رجب ١٣٧٤ - ٢٤ فبراير ١٩٥٥ - الجزء ١١ و ١٢ - المجلد السادس والعشرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أثر الصحافة والسينما في توجيه المجتمع

يلقبون الصحافة بذات الجلالة منذروا أو أمروا الظاهر في تكوين المجتمع وتوجيهه ، فهي
نفسى المنازل فتتداولها أيدي الرجال والنساء والبنين والبنات . ويقرأها الناس وهم في عربات
الترام والسيارات الخاصة والعامة وفي قطارات السكة الحديدية التي تجرى بين الشمال
والجنوب . وتراها في أيديهم وهم في الأندية والمدارس والمقاهى والمتنزهات وفي كل مكان .

كانت صحفنا اليومية قبل الحرب العالمية الأولى تطبع الواحدة منها عشرة آلاف نسخة
في المتوسط ، فوثبت بعد الحرب العالمية الثانية إلى عشرة أضعاف هذا العدد بل أكثر .

كنت في زيارة الأستاذ أميل زيدان بعد الحرب العالمية الأولى ، وكانت دار الهلال
يومئذ مجاورة لدار جمعية الشبان المسيحية في شارع إبراهيم باشا ، تحدثني عن الخطوة
الصحفية التي يود أن يخطوها ، وقال : إن إصدار صحيفة يومية في بيروت أو دمشق ميسور

لمن شاء لأنه سينافس صحفا ذات رأس مال متواضع ، أما الذى يريد إصدارها فى مصر إلى جانب صحيفة الأهرام وأمثالها فإنه يحتاج إلى رأس مال ضخم وإلى استعداد أضخم . ثم رأينا صاحبي دار الهلال يزوران بلاد الغرب وينقلان منها إلى مصر هذا النوع الجديد المصور من الطباعة ويصدران مجلاتهما الواحدة بعد الأخرى ، وتخطو الصحف اليومية — الأهرام ثم زميلانها — هذه الخطوات السريعة فى الطباعة والتصوير واستيراد أخبار العالم من مصادرها . وتقوم فى القاهرة دور أخرى للنشر تنافس مجلات دار الهلال فى الأناقة والتصوير ، وتلقى الناس ذلك على أنه تقدم فى مهنة الصحافة . والواقع أنه تقدم فى الشكل والمظهر ، لكن التنافس المبادى دفع أهل هذه المهنة إلى التسابق فى كسب العدد الأكبر من القراء ومجاراتهم فى أهوائهم ، فتحولت الصحافة عن وظيفة الإرشاد والتوجيه نحو الإصلاح ، إلى الاهتمام بعرض ما يوافق أهواء الجماهير من مواد قليلة العمق وإن كانت هزيلة النفع ، ومن صور لنجوم وكواكب السينما وللمصطفافين والمصطفافات على كورنيش الإسكندرية ، إلى غير ذلك مما يجرى الشبان والشابات على الاستخفاف بالقيم الخلقية ، والاندفاع نحو الرغبة فى الملذات ، أضف إلى ذلك ما ينشر من القصص الغرائبى الذى تمليه على الأفلام الفاجرة نفوس لا تخاف الله ولا ترحى فى الشباب حقوق الإنسانية والوطن ، فيتلقى عنها الشباب من الجنسين دروسا يستقر منها فى النفوس أن العفاف والصون خرافة من الخرافات ، وأن طلب الملذات هو أمنية الجميع المسلم بها حتى من حملة الأفلام الذين يوجهون للناس ويعلمونهم ما يحسن بهم فى طريق الحياة .

وإذا أضفنا إلى ذلك الدور الذى تمثله شاشة السينما فى الليل والنهار وتمليه على طبقات الأمة من سوء القدرة والاسوة ، تبين لنا سبب هذه الحوادث المخجلة التى تكشفها المصادفة بين الحين والحين ، فنعرف منها أى داء دوى وأى مرض وييل أصاب المجتمع من طريق الصحافة والسينما بين الحريين العالميتين وبعدهما .

هذه آتية من كلية التجارة فى جامعة الإسكندرية ترسل على الناس صبيحة من الأهرام نصفها الأهرام بأنها قد اختلطت فيها الحسرة والالام بالنظرة الفاحصة الواعية ، والسكامة المصلحة الصادقة ، فهى تتحسر لما ترى وتسمع كل يوم من لإجرام نصف المجتمع فى حق نصفه الآخر ، بل فى حق نفسه أيضاً ، فهى تقول :

« إن سيدات كثيرات أكثر مما يمكن تصوره يخن أسرهن بهذه الطريقة المجرمة ،

فقرى الخيانة من زوجة ثرية تزوجت بمن تريد وأنجبت منه أطفالا ، ثم نعتشق غير زوجها ، ونغيب عن بيتها ، وتبوء بجرمها ... أو زوجة مدرس تخونه مع تلميذه ... وهن يقدمن على هذه الخيانة الدنيئة بكل سهولة .

وتتساءل الأنسة : « إلى متى تلعب أولئك الزوجات بالنار التي تحرق مجتمعنا ؟ إلى متى يستمر شبابنا في الإضراب عن الزواج ؟ إلى متى يظل أولئك الأزواج نائمين في هدوء ؟ »
« أكتب إليكم جميعاً ... أكتب إلى الأزواج ليفتحوا عيونهم ويرعوا أسرهم ، وينجبوا هدم مجتمعهم . لتكن حملة شديدة لعلاج هذه الحالة الويلة ... لينبه كل شخص الزوج النائم الذي تخونه امرأته حتى تخاف . . ليتكلم الراديو إلى الزوجات في توجيهات وتمثيلات عن مصير الزوجات الخائئات . . وليكن في القانون عقاب صارم لكل زوجة مجرمة . . »
« إن مجتمعنا مريض ، وسيودي به مرضه إلى الهاوية إن لم تتداركه بالعلاج ، ونمحو منه هذا الجرم الفظيع . »

أجل يا آنسة ، إن مجتمعنا مريض ، ولكن ليس المهم تدارك الموبوتين من أفرادهم بالعلاج وحسب ، فإن هؤلاء الموبوتين ضحية لغيرهم ، ولم يكن مجتمعنا مريضا بسببهم ، بل لأن وراهم أقلاماً نقلت إليهم جرائم المرض ، بما أيقظت في النساء والشباب من غرائز ، وبما هونت عليهم من أمر العفة والفضون ، ففي كل دقيقة تقع الأنظار على صور للقبيلات الفاضحة ، والعورات التي أمرت الشرائع بسترها . إن كل أنواع اللحوم ارتفعت أثمانها بعد الحرب ، إلا لحوم النساء فإنها ابتذلت بعد ارتفاع الطباعة ، وبعد أن صارت صور السيقان ومفاتيح النسوان مادة أصلية من مواد النشر والكسب بالعرض على الأنظار . وهذا في الصحافة فما بالك بالسينما !

لأنهم أقنعوا النساء ، وأشباه النساء من الرجال ، أن استنكارنا لهذا الفاحش الفاجر رجعية وتأخر وغباء ، فضت الجماهير في الإقبال على هذه الصحافة المهيجة للشهوات والغرائز واندفعت وداد وأشجان وعشرات الألوف من مثلاتهما في السيل التي دفمن إليها تجار لا يخافون الله ، ولا يرهون هذا الوطن في بنيه وبناته وفي رجاله ونسائه ، فكان ما تسمينه . . يا آنسة . . لعباً بالنار التي تحرق المجتمع ...

فقبل انتهاء الحرب العالمية الثانية كتب كاتب متوثب مقالاً في إحدى مجلات « دار الهلال » . . وكان يعمل فيها قبل أن يعينه أهل المقدرة على إنشاء دار للنشر تنافس

دار الهلال - كتب هذا الكاتب في تلك المجلة من صحف دار الهلال يحرض المجتمع على استقبال عهد السلم بعد انتهاء الحرب بالتحلل من الأفكار الرجعية وأخذ الحضارة الغربية بحذافيرها ، ودفع المرأة إلى خوض لجج التحرر من قيود الرجعية ... الخ . فرد عليه الدكتور يحيى أحمد الدردري المراقب العام لجمعية الشبان المسلمين ، ونصح له بأن يتق الله في هذه الأمة ، فقابلته بشواظ من نار السلاطة والسخرية والاستهزاء ، بما لا يمكن أن يجاريه فيه رجل يحترم نفسه ، ثم رأينا تحقيق تلك الدعوة على صفحات صحف ملأوها الاسواق والبيوت والمجامع ، وتطوع فيها عدد من حملة الأعلام الذين لا يعرفون الحياة الزوجية ، فكانت فئات أعلامهم سموما تعمل عملها في نفوس عشرات الألوف من أمثال وداد وأشجان ، وكان أثر ذلك يفتك في هذا المجتمع المريض فيخفي عن الناس حيناً وتفضحه المصادقات حيناً .

وإذا افترض - بطريق المصادفة - شيء من هذه الجرائم بادر دعاة الفاحشة والتحلل إلى تهوين ذلك على المجتمع والتخفيف من وقعه في النفوس الجريئة ، كما رأينا في يوميات إحدى صحف الصباح التي يقول كاتبها : لا يجوز أن نعتبر حادثاً واحداً دليلاً على انهيار جبل كامل ، فهذه الجرائم البشعة لا تصور الجليل ، وإنما تصور شخصيات منحلة في مجتمع صحيح . بل يقول لمن يشكون من انحطاط الاخلاق كلها وقعت حادثة مثل حادثة مقتل زوجة مأمور الضرائب : إن هذا الاستمزاز الذي تشعر به وأنت تقرأ أخبار هذه الجرائم دليل على أن المجتمع غير ملوث . ويضيف إلى ذلك أن الذي يقرأ صحف العالم بانتظام يجد أضعاف هذه الجرائم في بلاد أخرى يقولون إنها شديدة ، ثم يصرف أذهان الناس عن الموقف الحقيقي للصحف من هذه الجرائم ، خشية أن ينتهوا إلى دور التعريض الذي تمثله بنائية وانتظام ، فيتكلم عن الدور الآخر للصحف وهو نشر أخبار هذه الجرائم بعد وقوعها فيسوق الأدلة على أن الصحف معذورة في ذلك .

إن الذي نؤاخذ به الصحف ليس نشر أخبار الجرائم الجنسية بعد وقوعها ، وإنما نؤاخذها بما كانت تبثه قبل وقوع الجريمة من أفكار تهون على الناس أمر الاعراض ، ومن سرور وفقرات تهيج الفرائز في الأحداث والشباب وفي العامة الذين ليس لهم من عقولهم ودينهم وأزع يعصمهم من التأثير بهذه الدعايات الخبيثة المتواصلة بمحذوق وبراعة وتصميم ، حتى صار أمر الاعراض هيناً على الجماهير ، وحتى صارت الفرائز في حالة انقباض مستمر ،

ومن هنا كان ما تسميه الآنسة التي كتبت في الأهرام ، لعباً بالنار سيحرق المجتمع ، و ، مرضاً ويلا سيودي بالمجتمع إلى الهاوية ، إن لم يتداركه العقلاء بالعلاج .

ولا يكاد القراء يفتنون من مقال ، اليوميات ، حتى تطلع عليهم تلك الصحيفة في اليوم التالي بمقال ، من فكرة إلى فكرة ، زاعماً كاتبه بأن النشر لا ذنب له فيما يقع من هذه الجرائم ، لأن هذه الجرائم ليست في مصر وحدها . ومنشأها في السنوات الأخيرة انهيار الأعصاب ، والمستول عن انهيار الأعصاب هو الحرب ، فإنها حطمت أعصاب الناس وهزت أركانهم وزعزعت إيمانهم فدفعتهم إلى هذه الجرائم . ومن العجيب أن ترى إلى جانب هذا المقال صورة رمزية لدرية شفيق بعنوان ، العقوبة الهائلة ، ودرية شفيق ممسكة بيد نهرو من جانب ويده محمد علي للزعيم الباكستاني من الجانب الآخر وتقول لها : « ياتبوسوا بعض ، يا أبوسكم أتم الاثنين » .

هذه قطرة من القطرات في سبيل تهوين أمر الحياء والعفة والدين على صغار العقول من النساء وأشباه النساء من الرجال ، ومجموع هذه القطرات بين الحربين وبعد الحربين طغى بهذا السيل الجارف من الفاحشة التي أدت إلى ما نرى من إجرام ، وإلى ما يشكو الناس من عواقبه .

كتب لهم الأستاذ السيد صبرى كلمة في الأهرام عنوانها ، انقوا الله . . وكفى ! ، وتابعه الأستاذ جمال العطفي المحامى في اليوم التالي بكلمة أخرى بنفس العنوان يقول فيها عن الأستاذ سيد صبرى : « لا شك أن سيادته يعبر بهذه الكلمة عما يحول بخاطر معظم المواطنين الذين لا يقل استنكارهم للحادث ودوافعه وأسبابه ، عن أسفهم للآثار التي تترتب على هذا (النشر) من الناحية الاجتماعية والخلفية » .

وقد اعترف الأستاذ محمد زكى عبد القادر في إحدى فقرات ، نضو النور ، بأن من المؤكد أنه لولا وقوع جريمة فندق شارع حماد الدين لاستمر الوضع الذي كان قائماً على ما هو عليه . ومن يدري لعل هناك حالات كثيرة مشابهة — وربما أسوأ وأشدّ خطراً — غير معروفة . فالمسألة لا ينبغي أن تؤخذ فقط للتسلية أو التعجب أو لإبداء الأسف والاشتمزاز ، ولكن لا بد من أن يتدخل لبحثها رجال التربية وعلماء النفس والإجرام .

فعمل الامر يرتد في أساسه إلى أشياء كثيرة تتعلق بالوسط والمجتمع ، ولعل بحثها يؤدي إلى إصلاح عميق ، أو دعوة إلى تعديل في أساليب التربية وطريقة تناول التعريف للعلاقات الجنسية بالنسبة للأولاد والبنات في سن المراهقة .

ومن العجيب أن تذهب الافكار في تحليل هذه الجرائم إلى كثير من الاسباب ، وأن يبقى السبب الحقيقي الأول مسكوتاً عنه ، وهو الدور الذي يمثله القائمون على دور الفشر بما ينشرونه من صور تهيج الفرائز ومقالات وفقرات وقصص تهون أمر الإهراص ، وتدفع الأحداث وصغار العقول نحو الشهوات الجنسية دفعا . يضاف إلى ذلك سوء استعمال شاشة السينما في هذا الوطن المظلوم ، وما تقدمه لأبناء الجيل القائم والجيل الآتي من قدوة سيئة ليس عجيباً أن يكون لها في مجتمعنا هذا الأثر المحزون الذي أقام البلاد وأقعدها .

إن شاشة السينما كان يمكن أن تقود الأمة إلى ميادين الرجولة ، وأن تنهض بالبنين والبنات إلى مستوى رفيع من ميادين العمل لإنهاض الوطن ، ولكن انهيار الصحافة إلى المستوى الذي يشكو منه الناس جعل القائمين على السينما يسابقون صاحبة الجلالة في غزو السوق ، واستئالة الجماهير بمجاراة أهوائها ، حتى بلغنا هذه الدركة من الاستهتار والتحلل ، ونحن نحسب أننا نحسن صنعاً .

قبل إعلان الدستور العثماني في سنة (١٣٢٦ - ١٩٠٨) كان الاستاذ محمد كرد علي مقيماً في مصر يشارك في تحرير جريدة المؤيد ، فبادر عند إعلان الدستور بالسفر إلى دمشق وأصدر فيها جريدة يومية اسمها (المقتبس) ، فكتب إليه شيخنا طاهر الجزائري رحمه الله ينصح له بتصغير حجم الجريدة ودعوة زملائه إلى تصغير أحجام جرائدهم ليضطروا إلى الإيجاز في لغو الكلام ، وإلى أن لا ينشروا إلا الصحيح النافع من الأخبار والافكار ، وقال لهم : إن ذلك هو عنوان الترقى والتقدم في الصحافة . فهل ماعليه صحافتنا الآن بعد ارتقاء أم انحطاطا ؟ هذا سؤال جدير بأن تمتحن به أنظار الناس وأفهامهم ...

عبد الرزاق الخطيب

نفحات القرآن

- ٢٦ -

٢ - المتكلمون في المهد

- | |
|---|
| ١ - بلى من أوفى بعهده واتقى
فإن الله يحب المتقين . |
| ٢ - ومن يتق الله يجعل له مخرجاً . |

قتل أصحاب الأخدود :

١ - كانت قصة الأخدود إحدى القصص الرهيبة المروعة التي تكشف عن جود العاطفة حينما تغلب على المرء نزعة الاستبداد ، وتتحكم فيه الضلالة ، حتى لا يكون للرحمة الإنسانية صلة بنفسه ، ولا للوازع الديني سبيل إلى قلبه ، وهو ينسى أن وراء سلطانه سلطاناً أقوى ، وفوق جبروته جبروتاً لا يحد ، فيتخذ الله من شأن هذا الإنسان مثلاً يضربه ، وعبرة يزجر بها .

٢ - وأصحاب الأخدود هم أولئك الذين حفروا حفيرتهم - الأخدود - وأوقدوا فيها ناراً تستمر ، وأعدوها ليقذفوا بها من لا يمالئهم على الكفر ، ولا يرتد عن دينه الحق ، وقد بلغ من قسوة هؤلاء المتجبرين أن يجلسوا في كبرياتهم ، حول تلك الحفيرة وعلى مشهد من أولئك المستضعفين حينما يؤرق بهم ، ويطلب إليهم أن يطيعوا كبراهم في الكفر برهم ، والسير في طغيانهم ، فإذا يثسروا من مطاوعتهم طوحوا بهم في الحفيرة - الأخدود - فهؤلاء يصلون نارها ، وأولئك يتسلون بهم في لظاها ، ويطربون لتوقدها بأجسامهم ، وكل ذلك في غفلة الضمير الإنساني ، وفي نشاط الفتنة الشيطانية .

٣ — وحينما جرى بامرأة مؤمنة تحمل صبيها الرضيع ، ارتاعت من هول ما رآته ، وأخذتها شفقة الامومة على رضيعها ، ووقفت بين إيمان راسخ أخذ عليها مشاعرها ، وبين عاطفة تساورها على طفلها الذى سيطرح به معها ، أو سيدش وحيداً بعدها . وحينئذ هيا الله لها المخرج ، وأفسح لها من هذه الكربة ، فأطلق صبيها بما هون عليها الخطب ، وحجب إليها التضحية ، إذ قال الصبي : (اصبرى يا أمى فإنك على الحق) فكانت التضحية أهون على الأم وأحب إليها فى سبيل الاعتصام بدينها ، والوفاء لله بمهداها .

٤ — والإيمان الصادق من شأنه أن يخفف عن المرء فى دنياه ما يلقى من البلاء ، ويهون عليه ما يحدق به من نصب ووصب .

فلا عجب : أن يكون النكال على شدة أحب إلى المذبذبين فى الأخدود ، وإن توقدت فيه النار بأجسامهم ، أو كان هذا مع من يضمنون به من أهلهم وأبنائهم . وكل ذلك وأضعافه أيسر من عذاب آخر أعد للكافرين ، وهو فى الآخرة لا يخفف عنهم ولا يرجأ فيهم .

• — والله - سبحانه - يقص على الناس هذا النبأ ، ويوضح شأننا من شئون خلقه ، على نحو ما جرى به القضاء فيهم ، بعد أن بين لهم سبيل الرشاد فلم يتخذوه سبيلا ، وبين لهم سبيل الفى فاتخذوه سبيلا .

فانظر كيف كان قصصه عن الفريقين ؟ ؟

أما أصحاب الأخدود الذين أسرفوا على الناس فى التشكيل فقد سجل الله عليهم اللعنة ، وجعلهم مثلاً للآخرين : (قتل أصحاب الأخدود ، النار ذات الوقود ، إذ هم عليها قعود ، وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود) ثم يذكر السبب الذى حفزهم على الكيد والإجرام مع المؤمنين فيقول : (وما تقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد الذى له ملك السموات والأرض ، والله على كل شئ شهيد ، إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ، ولهم عذاب الحريق) وهذا وعيد فيه تشنيع وتقبيح لأصحاب الأخدود ، وفيه تزكية مطوية للبهتدين ، ثم صرح الله بتلك التزكية فى تلو هذه الآيات بقوله : « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجري من تحتها الأنهار . ذلك الفوز الكبير . »

٦ — تلك هي القصة ، وهذا يحمل مبيها ، وجانب العبرة منها واضح ، ففيها حكاية الكفر والطغيان ، وحكاية الطاعة والإيمان ، وفيها تحذير من العدوان والغدر ، وتوجيه إلى الرضا والصبر ، وفيها تصوير للون من ألوان الحياة الدينية في القرون الأولى ، ليتبين للناس أن الخصومة بين الحق والباطل ، وبين جند الله وجند الشيطان ، أو بين الكارمين للدين وبين أهله ، قديمة قدم الزمن ، وستة من سنن الله في المجتمع .

ومن لنا بيت العبرة في قلوب جاحدة ، وبعث الحياة الروحية في نفوس جامدة ، بعد أن مضت سنة الله ، وقضت حكمته أن يكون لله خصوم من عباده ، وللفتنة أنصار من الفرواة ؟؟

سيظل للحق أجناد ، وللباطل أجناد ، ومهما أرخت الفتنة حبالها ، وشكت الفضيلة من خصومها ، فإن الغلبة دائماً للحق على الباطل ، ولن يخلف الله وعده فيما قال : « وإن جندنا لهم الغالبون - إن الباطل كان زهوقاً » .

وبعد - فإن للقصة زماناً ، ومكاناً . ولها أشخاص تولوها طاعة لمن أمروا بها ، ولكن هذه الأمور ليست ذات شأن في الغرض المقصود ، وهو الإرشاد إلى ناحية الخير ، والترغيب فيه ، وإلى ناحية الشر ، والترهيب منه ، وتشخيص هذه العظة في سياق قصص لما وقع من أناس لأناس ، وخصومة أولئك لمؤلا . ونشاط المسيئين في جانب الشيطان ، واحتمال المستضعفين ما نزل بهم في جانب الله .

وهذه التوجيهات حاصلة بما يجزئ القرآن في ذكره .

أما تعيين الزمن ، أو البعثة التي جرت فيها ، أو الأشخاص الذين دبروا أحداثها ، فشيء لا يتعلق به المقصد ، لأنه لا تتوقف عليه الغاية .

وقد نشط العلماء قديماً في الإلمام بهذه المعالم ، وساقوها مع قصة إتمام الفائدة ، ولكن مجال البحث لم يجمعهم حول فكرة واحدة ، بل تشعب بهم الاجتهاد في التقيب والتحري ،

ولم العذر في تعدد الرأي ، إذ لا نص أمامهم ، ولا معالم مقطوعا بها لديهم ، والقصة في جوهرها سليمة وأكيدة ، وإن اشتهت على العلماء لواحقها تلك .

ففرق يراها وقعت في بلاد الحبشة ، وآخرون يفرضونها في اليمن ، وفيها يقال : إن صيياً كان يتردد على كامن ليعلمه السكنانة ، فاعتدى في طريقه إلى راهب متعبد في صومعته ، فركن إليه الصبي مرة بعد أخرى حتى تعلم دينه وعرف ربه ، وكان يدعو فيستجاب له ، وقد دعى لرجل أعشى فأبصر ، فأمن الأعشى كما آمن الصبي ، ولما طار خبر الصبي والأعشى والراهب إلى الملك نكل بهم فقتلهم جميعاً ، وكان في التشكيل بهم مظاهر قدسية حملت جمهرة من القوم على الإيمان برب الصبي والراهب والأعشى ، فلم يسع الملك إلا أن يستعين ببطاقته في شق الأخدود ، والتوسع في تعذيب المؤمنين ، على نحو ما سلف بيانه .

وكذا مما يقال : إن ملكاً استباح محارمه من النساء ، وكان ذلك أمراً منكراً في شريعة قومه ، فلما أحس باتقاصهم له ونفورهم منه ، أراد أن يحملهم جميعاً على القول بما يراه ، فلما عارضوه وخرجوا عليه ، استعان بمن يستبطنهم على الآخرين ، فحفرُوا الأخدود ، وصنعوا بالمخالفين ما صنعوا .

وأياً ما كان تقديرهم فهي احتمالات متشابهة من الناحية العامة ، وهي أنها تصوير لعقلية ملوك غاشمين ، تطاوعهم بطانات ضالة ، فيكون منهم المنكر والفساد ، وما ربك بذافل عما يعمل الظالمون .

وفي مثل هذه القصة لم يكن كثيراً على الله أن ينطق فيها بالصبي ، بل يجب ألا يستبعدا العقل ، وأن نطفن إلى أن غرابتا علينا هي أيسر في اجتذابنا إلى الإيمان بالله من طريق العجب بآياته ، وفي كل آية من آياته عجب ، وإلا فكيف يكون التدليل على قدرته ؟؟ .

تباركت ربنا وتعاليت ١١

عبد اللطيف السبكي

عضو جماعة كبار العلماء

الشيخة

مسامرة نبوية

- ١ -

تمهيد : خطبة هذه المجلة — لسان الحق والخير .
قضية جامعة — معجزة لم تدون — دعابة نبوية .
بيت كريم — صبر عجب ، وجزاء أعجب .

عن أنس رضى الله عنه قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقاً . وكان لي أخ يقال له أبو عمير . قال — أحسبه — فطيم^(١) وكان إذا جاء قال : يا أبا عمير ، ما فعل النعمان ؟ لقد كان يلعب به . فربما حضر الصلاة وهو في بيتنا ، فيأمر بالبساط الذي تحته فيكنس وينضح ، ثم يقوم ونقوم خلفه ، فيصلي بنا .

رواه الشيخان واللفظ البخارى .

(١) مقطوم من الرضاغة ، روى مرفوعاً صفة لآخ بعد وصفه بالجلّة ، ووجه أحسبه منترضة بين الصفة والموصوف ، وروى منصوباً مفعولاً ثانياً لأحسب ، والفتى - كسر د - طائر يشبه المصفر أحر للفقار . وقد يسمى صعوة — واحدة المصو — أصغر من المصفر ، ويأتى ذكرها في الشرح . والبساط : ما يسط ويغرض ، وكان بساطهم من جريد النخل كما في صحيح مسلم ، والنضح بالماء : الرش به .

تمهيد :

بدأنا السنة في عامنا هذا يبحث في « جزاء الصالحات » ، وكنا أكثر شيء حرصاً على أن نختمه في هذا الجزء ، غير أن شعاباً منه اعترتنا في بلوغ الدعوة وموقف المسلمين منها ، وفي أهل الفترة وتحديد العلماء لها ، وفي تخصيص فريق منهم بالعذاب دون سائرهم ... كل هذه وما إليها من بحوث مجيدة حدث بنا إلى الترويج بهذه الدعاية النبوية الكريمة ، حتى يهدأ الله لنا هذه الشغاب ويهدينا صراطاً سوياً .

ولن ندع هذا التمهيد السريع دون أن نعرف من لم يعرف أننا فيما نكتب في « قصة أبي طالب » ، وغيره لا نتعامل على أحد — معاذ الله — ولا نطعن في جهة معينة ، ولا نبغى فيما نكتب — ونشهد الله — إلا وجه الله والحق وحده^(١) ثم نذكر من لم يتذكر أن خطلة هذه المجلة من أول يوم إلى أن يشاء الله ، هي خطتها لن تميد عنها قيد شعرة « تحمل سريرة طيبة .. وقصارى مجهودها أن تعمل على نشر آداب الإسلام وإظهار حقائقه فقية من كل لبس ... تناقض .. مقتدية في مناقشتها بأدب قوله تعالى : « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن » .

« وكتاب هذه المجلة وقراءوها تتجارب قلوبهم على صفحاتها حول إقامة الحق والعمل به والدعوة إلى الخير والانس به : لأن الأزهر قبة الإسلام ، والإسلام جماع الحق والخير ، ومجلة الأزهر لسانهما الناطق بدعوتهما »^(٢) .

* * *

كان النبي صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقاً .

(١) على أن « قصة أبي طالب » ذكرت استطراداً لمناسبة جزائه بشهادة النبي صلى الله عليه وسلم فيه ، لما أبلى من بلاء حسن .

(٢) راجع فاتحة أول مجلداتها عام ١٣٤٩ وآخر مجلداتها في طماننا هذا . وأسأل الله أن يهدينا ومن يخالفنا صراطه للستيم ، صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والتهاداء والصالحين .

قضية جامعة قاطمة : تجمع الخمر كله ، وتصدق الصدق كله ، وتنطق بأنه - صلى الله عليه وسلم - بلغ من المكارم غاية لم يدركها أحد قبله ، ولن يطعم فيها أحد بعده ؛ لأنها غاية الغايات ، والذروة العليا من أرفع الدرجات ؛ وليست هذه شهادة يشهد بها أنس بن مالك وحده ، خادم النبي صلى الله عليه وسلم ، بل يشهد بها كذلك أزواجه أمهات المؤمنين رضوان الله عليهن . والخدم والأزواج أعرف الناس بالخدم والزوج ، ولو كانت واحدة لقلنا : زوج تحب زوجها وتثنى عليه ، ولو كانت اثنتان أو ثلاث أو أربع لافترضنا الحال واقعا وقلنا : اتفقن كلهن تُجمع على هذا الحب والتناء فكيف وقد انتقل إلى الرفيق الأعلى - صلوات الله وسلامه عليه - وفي عصمته الطاهرة تسع كان يبين من المنافسة والغيرة ما لا يحتمله بشر ، إلا أن يكون نبيا أيده بالمعجزات خالق القوى والقدر ١٤ اللهم إن في هذا الاحتمال وحده لمعجزة من معجزات نبيك ولو لم تدون في الأسفار ، وإن في هذا الجمع الذي أبجته لنبيك دون أمته لشاهد صدق على أنه صفوة الأخيار ٠٠ ومالنا نستشهد بفيرك وأنت خير الشاهدين ؟ أدبه فأحسن تأديبه ، وهذبه فأكلت تهذيبه ، ثم بعته ليتم مكارم الاخلاق ، وقلت فيه وقولك الحق : « وإنك لعل خلق عظيم » .

* * *

ولسنا الآن في مقام التفصيل لهذه القضية الجامعة ، فذلك ما لا سبيل إليه في مقال أو مقالات ؛ وإنما نحن بصدد فكاهة من هذه الفكاهات النبوية التي سقناها للاستجمام والاسترواح ، وربما أحب القراء أن نسوق شيئا منها كلما عرض للقلوب ملال أو كلال ، فإنها تمل كما تمل الأبدان .

* * *

كان صلوات الله وسلامه عليه يمزح ولا يقول إلا حقا ، وكان مزاحه القدوة المثل ، والأسرة المحسنة في الصدق والرفق والطف ، لا يتأمل أحد أدنى تأمل فيها حفظ عنه من السر والمفاكهات إلا وجد كلا منها منطويا على أدب وعلم وحكمة ، فضلا عن الترويح للنفس ، والإمتاع للسمع ، والبشاشة للنفوس .

* * *

كان - صلوات الله عليه - يزور أصحابه في بيوتهم ، يكرمهم ، ويعلمهم ، ويعلمون عليهم ، ويبحث فيهم من جلال النبوة سناء ، ومن جلالها نوراً وضياء .

وكان يختص بيت خادمه أنس بمزيد من الزيارة رحمة منه وحنانا ، وقد أشار أنس إلى هذا الاختصاص في إحدى روايات الحديث إذ قال : إن كان النبي ﷺ ليخالطنا حتى يقول لآخ لي صغير يا أبا عمير ، ما فعل السُّنْدَيْر ؟

* * *

كان أبو عمير أخا لأنس من أمه : أم سليم ، وأبوه هو أبو طلحة : زيد بن سهل الأنصاري ، وهو الذي قال لرسول الله ﷺ لما نزلت : لن تألوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ، : إن أحب أموالى إلىَّ بيرحاء وإنها صدقة أرجو برها وذخرها فقال ﷺ : بخ بخ يا أبا طلحة ، ذلك مال راجع ... ثم أمره أن يجعلها في الأقربين .. وبيرحاء هذه حديقة كانت مستقبلة المسجد ، وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب ... ولام سليم وزوجها أبي طلحة في الإسلام ونصرة النبي عليه الصلاة والسلام شأن عجيب ، خليف بأن يدرس في مناهج التربية الإسلامية ١١

* * *

زار هذا البيت الكريم ذات يوم صلوات الله عليه وسلامه ، فألقى أبا عمير حزيناً ، فقال لأمه : مالي أرى ابنك خائر النفس ١٢ فقالت : ماتت صعوته التي كان يلعب بها : فسرى عنه النبي ﷺ بهذه المداعبة : يا أبا عمير ، ما فعل النُّنَّير ؟ ١٣

* * *

ويقضى الله الذي لا راد لقضائه أن يشتكى أبو عمير ثم يموت كما مات طائرته ١٤

وهنا تتجمل أمه أم سليم بصبر عجب وكل شأن من شئونها في الإسلام عجب !

يرجع أبو طلحة إلى بيته فيسأل : ما فعل ابني ؟ فتجيبه صادقة حاذقة : هو أسكن مما كان .. ثم تقدم إلى زوجها عشائه فيأكل ويشرب ، ثم تصنع له أحسن ما كانت تصنع .. حتى إذا نام وتغشاها قالت له : يا أبا طلحة ، أرايت لو أن قوما أعاروا عاريتم أهل بيت

فطلبوا عاويتهم ، ألم أن يمنعم ؟ قال : لا . قالت : فاحسب ابنك ! فغضب وقال تركتني حتى تطلعت ، ثم أخبرني بابني ! فلما أصبح أتى رسول الله ﷺ فأخبره بما كان . . فقال رسول الله ﷺ : بارك الله لكما في ليلتكما . . حملت أم سليم . . فولدت غلاما ، فقالت : يا أنس ، لا يرضعه أحد حتى تغدو به على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجاء أنس فوضعه في حجره ، فدعا صلوات الله عليه بتمرات من تمر المدينة ، أو عجوة من عجونها — ليعطيك الصبي — ففلاكها حتى ذابت ، ثم قذفها في في الصبي ، فجعل يتلظها ، وجعل صلوات الله عليه يقول : انظروا إلى حب الانصار التمر ! فسح وجهه وسماه عبد الله .

• • •

وعاش عبد الله هذا إلى أن جاء من أولاده عشرة بررة ككة ، ما منهم إلا من درس القرآن والعلم وحله ... إنه لجزاء الصبر والرضا في هذه الدنيا ، وجزاء الآخرة أوفى وأعجب .

• • •

أليس هذا البيت - بيت خادم النبي ﷺ ، به بيت المخدوم - عجا من العجب ، علما وهدى وتربية ١١٩

أوليس عجيباً أن ندعه دون أن نعود إليه مرة أخرى ، فنقتبس من نور النبوة مشرقاً على هذه التربية الرشيدة الهادية ١٩ بل ، إنا عائدون إن شاء الله ، وموعدنا غرة الشهر القادم ؟

طه محمد الساكت

نذير من الغرب

كتبنا كثيراً في مجلة الأزهر وغيرها في قضية المرأة ، والدعوة إلى مساواتها بالرجل ، والنزول بها إلى ميادين الحياة تزاحم في أعماله وتشركه في وظائفه ، وأبنا ما في هذه الدعوة من أخطار على المرأة وحدها ، أو على الرجل وحده ، أو على المجتمع عامة ، وفلنا : إن هذه الدعوة مناهضة للطبيعة التي أعدت كلا منهما لرسالة خاصة ، إذا تخلى عنها للأخر أو زاحم فيها كانت الفوضى التي لا يعلم مداها إلا الله .

كتبنا في ذلك تبليفاً لرسالتنا الدينية والخلقية والاجتماعية ، وحرصاً على مصلحة المرأة ومصلحة المجتمع ، وبالرغم مما تكشف عنه الزمن من أحوال تظاهرها في دعوتنا ، وتأخذ بيدنا إلى غايتنا ، ما زال أنصار للمرأة ومشايعوها في دعوتها يجادلوننا في الحق بعد ما تبين ، وبعد أن لمس الناس كيف أن المرأة التي خدعت بهذه الدعوة ، ونزلت إلى ميدان العمل لتزاحم الرجل ، كانت خسارتها فادحة ، واحتملت من الأعباء ما لا طاقة لها به ، وودت بجدح الأنف لو عادت إلى مكانها في المنزل تديره وترعى شئون أولادها ، وترك للرجل ما له قدرة عليه من السعي في توفير القوت وتحصيل الرزق .

وإن الألم ليبلغ منا مبلغه إذ نرى المرأة العاملة غادية رانحة ، يكاد الجهد والقلق يقتلها ، ويدفعها الرجال في زحام المراكب بالأيدي والمناكب ، وتنطق قسماؤها بالأسى والألم على هذا الحظ التكد والمصير التمس ، وويح للمرأة وويح لقلبها إذ ترك أطفالها يرمها أو ليلتها بين أيدي الجيران أو الخدم ، لا يرحمون طفولتهم ، ولا يؤنسون وحشتهم ، بل يروعونهم ويؤذونهم بما لا يليق من الأدب ولا يحمل من التربية .

وإننا لنقطع عن خبرة بالصاع والمشاهدة أن أكثر من قدر لمن أن يعمل من النساء في مختلف المهن لا يحمدن حظوظهن ، ولا يرضين عن حياتهن ، ويفطن بل يحمدن أترابهن

من قدر لمن أن يكن في المنازل زوجات وأمهات فقط ، يقمن بواجب الزوجية والامومة في اطمئنان قلب ، وسكون خاطر ، ويتمتعن بحوار الأطفال ومنافعهم وبسماتهم ، ويتركن للرجال ما وراء ذلك من شئون الأسرة يكفلونها ، وويج للسافرات من بناتنا إذ يرين طالبي الزواج من الشبان يقسابقون إلى أراهم المخدرات في البيوت ، اطمئناناً إليهن ، وثقة بهن وبقدرتهن على حل رسالة الزوجية والامومة ، ويفرون عن تقع عيونهم عليهن سافرات محتلطات بالرجال في الشوارع والأعمال والملاهي والمجمعات .

إن دعوة المرأة إلى المساواة بالرجل فتنة وفدت إلينا من الغرب فيما وفد ، وقد اعتقها بعض المصريين والمصريات عن تخدعهم المظاهر البراقة ، ثم أخذوا يدعون إليها في حاسة بل تعصب ، دون أن يحصوها ويتعمقوها ويتنبهوا إلى ما فيها من مجازفة لدينا وتقاليدنا ، وأخطار على مستقبل بناتنا وأمرنا .

لقد ظنت المرأة وظن أنصارها أن المرأة الغربية سعيدة ، وأن سبب سعادتها هو سفورها ومشاركتها الرجل في عمله ، وأن مساراتها بالرجل تجربة قد نجحت في الغرب ، وأن من الظلم أن تحرم المرأة المصرية والشرقية عامة هذه السعادة ، وأن تقصر في البيت أو تسجن فيه كما يقولون ذلك خداعاً ومداينة .

وقد كان غريباً أن يقول قائل بعد هذا الزمن الطويل من سفور المرأة الغربية وبعد ما نالته من حقوق : رويدكم أيها الناس ، فإن التجربة لم تبلغ غايتها ، وإن الرواية لم تتم فصولاً ، وسيبدو لكم فشل هذه التجربة ، وأن لا بد أن تعود المرأة إلى المنزل كما أعدتها الطبيعة ، لتتولى شئونه وشئون أبنائها ، وترك للرجل شئون العمل والكدح في سبيل العيش ، لأن ممارسة أحدهما محل الآخر فوضى في الاختصاص ، لاخير فيها للرجل ولا للمرأة ولا للمجتمع . وقد حققت الأيام ظننا ، وأدركت شعوب الغرب - بعد أن قطعت نهاية الشوط في التجربة - أن التجربة قد فشلت وانجلت عن أسوأ النتائج ، وأخذ أولو الرأي فيهم يدعون المرأة إلى أن تعود إلى المنزل ، وتفرغ لشئون الأسرة ، لأن مشاركتها في الأعمال أساء إليها وإلى الرجل ، وإلى الأطفال وإلى الأسرة ، وأن نظام المنزل قد انهار

ولم يعد مأوى يستريح فيه الرجل، ويسكن إلى زوج نزيل بيد الختان ما يعانيه من أعباء العمل، ويتقلب الطفل في رياض المطف بين أبويه، بل أصبح كالفندق يقضى فيه كل من الرجل والمرأة سواد ليله ثم يغادرانه إلى العمل، وقد لا يرى أحدهما الآخر، وقد الرجل السيادة على الأسرة، وامتنحن الأطفال بسوء التربية لضعف إشراف الآباء، واضطر الرجل إلى أن يعمل بالمنزل بعض ما كانت تقوم به المرأة من أعمال، ولم يعد الإحساس بخطور نتائج هذه الدعوة مقصوراً على بعض الشعوب المحافظة في أوروبا وأمريكا، بل إن هذا الإحساس سرى في أكثر شعوب هاتين القارتين تطرفاً، ولم تعد الدعوة إلى تدارك الخطر همساً بين الأفراد، بل أصبحت حديث الجماعات والصحف، وقد نشرت بعض المجلات الأمريكية الذئمة مقالا في هذا الموضوع لكاتب كبير، لخصته بعض الصحف العربية فيما يلي:

« إن الرجل الأمريكي المتزوج قد فقد سلطانه وهيبته وكرامته، وهي صفات طالما تمتع بها بوصفه رباً للأسرة، وأهم الأسباب في ذلك هو سماح الرجل للمرأة اقتحام الحياة العامة في دنيا الأعمال، فقد قضى الرجل بهذا على أهم الفوارق التي تميز بين الدور الذي يقوم به كل من الرجل والمرأة. ولقد ظهر من نتائج الإحصاء أن ٦٢ في المائة من الأزواج الأمريكيين يفضلون الإطباق، وأن ٤٤ في المائة يعاونون زوجاتهم في طهي الطعام، وعند ما تزوج المرأة في أمريكا اليوم تطمئن إلى شيء واحد، هو أنها سوف تحصل عن طريق هذا الزواج على رجل يقوم بمهمة الزوجة خلال نصف النهار. »

وذكرت صحيفة أخرى أن ابنة ترومان وهي مغنية مشهورة قالت: إنها تفضل أن تكون زوجة على أن تكون صاحبة أى مهنة أو وظيفة.

هذا ما نشرته مجلات أمريكا ومحفها، وهو خلاصة لنتائج تجربة مساواة الرجل بالمرأة في الشعوب التي غامرت أو قامت بهذه التجربة، نسوقه إلى المرأة المصرية وأنصارها، عسى أن يكون زاجراً لنا عن المضي في التجربة، وأن يكون لنا فيه عظة.

« ولقد جاءهم من الإنباء ما فيه مزدجر، »

أبروفا الطرافي

حياتنا بين الشرق والغرب

وقوة الاسلام التي لا يعرفها أصحابها

أتيج لنا أن نحضر ندوة علمية اجتماعية اشترك فيها نخبة من كبار المثقفين في مصر ليلة الاحد ١٩٥٥/١/٢ بنادى الصحفيين ، وقد كان لكل من حضرات المتحدثين نصيبه من التوفيق فيما أبدى من صواب الراى وتوجيهه .

ولكن الذى لفت الانظار ، وأثار العجب بنوع أخص ، هو موقف الأستاذ الكبير الدكتور مصطفى الحفناوى المحامى بمصر ، فقد كان الحق شاخصاً في موقفه ، والصواب يتألق في منطقته ، وكان التاريخ الصحيح يتكشف واضحاً من ثنايا ألفاظه ، وهو بهذا التوفيق ساعة ذاك ، طيب نفوساً ألبها موقف شاذ لأحد المشتركين في الندوة ، فقد كان شيئاً أن نسمع - على لسان رجل كان مديراً للجامعة - أن مصر عالة على الغرب في كل شيء ، في ماضيها وحاضرها ، وكان أغرب من ذلك أن المدير هذا يخوض بنا وراء فكرة غامضة ، وفي أسلوب مفكك ، ولا يعنيه من كلامه إلا أن يثبت فينا الاستكانة إلى الغرب ، والإيمان بالغرب ، وكأنه يستخف بالسامعين فيقول ما يرضى نزعه وإن كانت متحرقة ، حتى كانت في نفوس المستمعين ثورة مكتوبة إلى نهاية الندوة ، وكان في نفوسهم أسف لأن تكون هذه فكرة رجل ميمى على تعليم الشباب دهرأ طويلا ، ولكن الدكتور الحفناوى - أحسن الله جزاءه - دافع بالحق عن الحق ، وللحق صولة تعصف بالباطل ، كما عصفت كلمة الحفناوى بكلمة مدير الجامعة .

ورغبة في الإفادة وتعميم النفع ، حاولت مجلة الأزهر أن تحصل على مقتبس مما ارتجله الأستاذ الكبير ، فنبأ لها ذلك .

والى القراء ما اقتبسنا من حديث السيد الحفناوى .

عبد اللطيف السبكى

كلمة الدكتور الحفناوى

حياة الام كحياة الافراد ، يجب أن تتركز على مقومات من تاريخها وعقيدتها وتراثها الذى يميزها عن غيرها ، وإلا فقدت كيانها ، وضاعت شخصيتها ، وفرض عليها أن تكون تابعة لغيرها .

على ضوء هذه الحقيقة ، أود أن أعالج موضوع هذه الندوة ، وأناقش السادة الذين سبقونى .

والموضوع المطروح على بساط البحث فى هذه الليلة ، متشعب الحلقات ، ويمكن أن يعالج من زوايا مختلفة ، وجوانب متعددة . وقد طاب لى أن أتحدث فيه من زاوية السياسة الخارجية ، ولكنى رأيت أن أقدم لذلك بملاحظات على ما سمعت من زملائى الذين سبقونى بالتحدث إليكم .



سمعت الأستاذ الدكتور أحمد زكى يشيد بالغرب إلى حد القول بأننا غريبون !! وهذه قضية خطيرة ، أريد أن أنصدى لها كحام ، بين يديه ملف فيه مستندات ووثائق ، أريد أن أبين هل نميش عالة على الغرب حقاً أم أن الغرب هو الذى يعيش عالة علينا ؟ .

وقد نتحدث الدكتور أحمد زكى عن مدينة الإغريق ، ونسب إليهم حضارة العرب والمسلمين ، وجرد هؤلاء من كل فضل أو كنت أرجو أن بدلنا سيادته على كتب الإغريق التى قرأها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، والتى ساعدته فى إقامة دولة عظمى ، كانت ذات نظم رائمة فى السياسة وفى الإدارة وفى غير ذلك ، وكنت أرجو أن بدلنا أيضاً على السند التاريخى لحقوق الفرد الأساسية التى قررها الإسلام ، منذ أن نزل الوحي على رسول الله .

ولكننى سأقدم لزميل السند المكسى فأقول له : إن الناس فى عصور الإغريق والرومان كانوا يباعون بيع السلع ، وتجربى عليهم جميع التصرفات ، وكان الآدميون ملحقين بالأشياء والدواب ، فلم تعرف حقوق الفرد ، ولم تظهر حقوق الإنسان .



في تاريخ العالم نقطة تحول كبرى، تعد ميلادا للإنسانية واصل حضارة، هذه النقطة هي (الرسالة العظمى) التي نزلت على محمد بن عبد الله . قبل هذا التاريخ لم تقم فوق أرض الله دولة كاملة الأركان . ومن هذا التاريخ ظهرت الدولة بمعناها القانوني الذي صاغه الله تعالى إذ قال في كتابه العزيز : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم » .

آتوني بعالم في القانون الدولي أو القانون الدستوري يحدد الأمة أو العلاقات الدولية تحديداً قانونياً أروع مما جاءت به الآية الكريمة ، حتى يقال إننا فقراء في الثقافة ، ويجب أن نمشي طالة على الغرب .

• • •

قبل أن يسطع نور (الرسالة العظمى) كان العالم يعيش تحت وطأة ظلمات بعضها فوق بعض ، وكانت الباباوية التي أرادت أن تشيد لنفسها ملكا على أنقاض قبصر ، قد قسمت المجتمع الإنساني إلى طبقات : الطبقة السفلى ، وتتألف من عامة الناس الذين أهدرت آدميتهم ، وراحح تباع وتشترى وتنتصر في حظوظهم في الدنيا والآخرة ، فتدخل الجنة من نشاء ، وتحرمها على من تبخض ، ووضعت فوق هذه الطبقة طبقة الإقطاعيين ملاك الأرض والنبلاء وذوى التيجان ، ثم فرضت نفسها طبقة عليا فوق كل هؤلاء ، وزعمت أنها واسطة بين الله والناس ، ولذلك اضطربت أحوال العالم ، واختلت الموازين ، وأوشك الفلك أن يتوقف عن الدوران .

ولكن رحمة الله قد وسعت عبادته ، فطلق الإسلام يقاوم الشرك ، ليحرر الإنسان من ظلم الإنسان ، وجعل الناس سواسية أمام الله ، فلا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى ، ولا تفرق ولا تمييز بين لون ولون ، وجنس وآخر ، وعندئذ اضطربت الباباوية وفزعت الكنيسة أيما فزع ، إذ خرج المسلمون الأوائل من صحراء جزيرة العرب ، يحملون رءوسهم على أيديهم ، ولا يستهدفون شيئا غير نشر كلمة التوحيد التي تقضي على الضلالة ، وتحرر الناس من الوثنية والفوضى والشرك جميعه ، وأحست الكنيسة أن تجارة سكوك الفخرا لا بد أن تبور ، فدافعا عن شوائبها وآثارها الرخيصة بيئت للإسلام والمسلمين ، وكانت دولة لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، قد امتدت بأمر ربها من جبال البرانس إلى حدود الصين ، غاستمرت الكفيسة قروناً تستعد للنيل من دولة المسلمين ، وتستعدى عليها الأمراء وذوى

التيجان ، إلى أن أوقعتها حروباً صليبية منذ نهاية القرن العاشر الميلادي ، وتحطمت الحملات الصليبية واحدة بعد أخرى ، وتفتتت قوى الشر فوق صخرة العقيدة الإسلامية .

• • •

وأخيراً فطن قس صليبي في سنة ١٢٤٩ إلى الجغرافيا وحكمها ، فكتب وثيقة مضمونها أنه لا سبيل للقضاء على دولة المسلمين إلا إذا قامت دولة أوروبية باحتلال مصر ، وشقت في أرضها قناة تصل بين البحرين ، وتكثلت أوروبا المسيحية وراء الدولة المحتلة حتى تكون القناة ملكاً مشتركاً للعالم المسيحي ، فبحثت شمل المسلمين .

وقد تلقف ملوك أوروبا وفلاسفتها هذه الوثيقة واستعدوا لتنفيذها ، إلا أن الخلافة الإسلامية كانت قد هاجرت إلى القسطنطينية منذ سنة ١٥١٧ حينما فتح السلطان سليم الأول مصر ، وحصل على البيعة من آخر خليفة عباسي ، ولذلك كاثلت دولة الخلافة ونالحت ورفضت مشروع القناة الصليبي ووقفت له بالمرصاد ، وحرمت الملاحة على الأوروبيين في البحر جاعلة إياه بحيرة إسلامية مغلقة ، فاستهدفت من جراء ذلك لنيران حروب هوجاء ، شنتها عليها أوروبا المغتصبة طيلة قرون عدة ، ووضعت في جنبها شوكة إذ ظهرت روسيا التي كانت دويلة صغيرة في كيف جاعلة ضالتها انزاع بزنطة من أيدي المسلمين .

• • •

وقبل التاريخ الذي أشرت إليه كان الرجل الأبيض قد اهتدى إلى حقيقة مرمدية ، ذلك أن الله تبارك وتعالى قد خلق الأرض كبيت كبير له بوابات ومداخل ، وما هذه البوابات والمداخل إلا المعمرات المائية ، وكان قد سلم المسلمين مفاتيح الكرة الأرضية ، إذ سيطروا من الأندلس على جبل طارق وهو أولى هذه البوابات . وامتلكوا البحر الأحمر بمدخله في السويس وباب المندب ، ثم وضعوا أيديهم على المضائق التركية ، فدانت لهم الكرة الأرضية ، وعاشت أوروبا كلها على فئات موائد المسلمين وما يفيض من خيرهم مما يباع لتجار يقدون من أوروبا إلى مصر والشام مرتين كل عام .

• • •

وفي سنة ١٤٩٨ اهتدى مغامر برتغالي يقال له فاسكودى جاما إلى طريق الهند طواقا نحو رأس الرجاء الصالح ، ولم يصل بمفرده وبمحض اجتهاده بل أوصله الملاحون العرب

الذين تعرف عليهم في موزيق ، ولما عاد إلى بلاده باركة البابا ، وراح هذا الأخير يوزع أرض الله على المغامرين من ملوك أوروبا ، فعلى يد الباباوية ولد استعمار الغرب للشرق ، واستطاع الرجل الأبيض أن يصل إلى آسيا ليسفك الدماء وينهب طيبات الأرض ، وقد جمعوا القراصنة وحطموا الأسطول الإسلامي المصري في مياه الهند في سنة ١٥٠٢ ، وبعد هذا التاريخ ظهرت دول وممالك في أوروبا بدءا بالبرتغال ، فإسبانيا ، فهولندا الصغيرة التي استعمرت أندونيسيا أكثر من ثلاثمائة سنة ، وزحفت على الشرق انجلترا ، ومن بعدها فرنسا .

ولكن الاستعمار الغربي ظل قروناً طويلاً طفلاً في المهد ، يعبت ويعاند ويكيد لدولة الإسلام من غير جدوى ، لأن طريق الشرق قد بقي في أيدي المسلمين .

وجاءت نقطة تحول أخرى في تاريخ أوروبا أخرجتها من الضلالة حينما اتفقت نيران الثورة ، فظهرت الدساتير في أوروبا ، وقامت الدولة بمعناها الصحيح ، ولكن الثورة التي انطلقت في سنة ١٧٨٩ تدين بالفضل فيما أعلنته من (حرية وإخاء ومساواة) للإسلام والمسلمين ، فقد سبقتها ثورة فكرية على السنة وأقلام فلاسفة من أمثال روسو وفولتير ، فن ابن جاء هؤلاء بأفكارهم ، ومتى عرفوا حقوق الإنسان ؟

مفخرة روسو وركن الثورة الركين هو (العقد الاجتماعي) وما هذا العقد إلا فكرة (البيعة) في الإسلام ، سرقها روسو وصاغها وأخرجها بأسلوبه ، وأما فولتير فلم يأت بجديد ، ولا أدل على ذلك من كتابه « الأخلاق » الذي اعترف فيه بفضل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (١) .

(١) المجلة - بل إن كتاب فولتير [معجم الفلسفة] دافع فيه عن صاحب [الرسالة العظمى] صلوات الله عليه حيث قال : « إن مؤلفينا الذين كثروا كثرة الانكشافية يجسدون من السهل أن يجعلوا نساءنا من حزمهم يافئناهم أن محمداً اعتبر من حيوانات ذات ذكاء ، وأنهم في نظر الشريعة الإسلامية بمثابة الرقيق . وبديهي أن هذا الكلام باطل ، ومع ذلك فقد كان الناس يصدقونه . نحن لا نجعل أن القرآن يميز الرجل تلك اللبزة للطفة للمطاة له من الطبيعة ، ولكن القرآن يختلف من التوراة في أنه لا يجعل ضعف المرأة عقاباً عليها كما ورد في سفر التكوين [١٦ : ٣] . ومن الخطأ أن ينسب إلى شارع عظيم كمحمد مثل تلك العامة للنسوة للنساء ، والحقيقة هي أن القرآن يقول : « فإن كرمتموهن فسيأن تكرموهن شيئاً ويجعل الله في خيرا كثيراً » ويقول : « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة ، إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون »

وإذا كانت الثورة الفرنسية قد أعلنت خروجها على الدين فذلك الدين فيما تصوره هو دين الكنييسة الذى استباح نظام الطبقات، وهو لإمداد لآدمية بنى الإنسان، ومن أجل ذلك لم يكن عجا أن نأت ثورة فرنسا عن المثل العليا حينما انعقدت جمعيتها الوطنية لدراسة تقرير وصلها عن طريق غرفة للتجارة بمرسيليا، وهو التقرير الذى وضعه عدد من التجار الفرنسيين كانوا يقبضون بالقاهرة، واستنهضوا حكومة الثورة لترسل جيشاً لغزو مصر كي نشق في أرضها قناة تكون ملصكا مشتركا للعالم المسيحى ١

وقد استمع للمناقشة في تلك الجلسة الصاخبة الجنرال بوناپرت والقس تاليران، وخرج من الجلسة فوضع خطة جيش الشرق الذى جرد على مصر في سنة ١٧٩٨ .

• • •

قاومت مصر ذلك الطاغية بما لم تقاومه به أوروبا بأسرها، حينما كان ينهار ملوك من فوق عروشهم، انقردت مصر بقوة مراس وبسالة منقطعة النظير، لسبب واحد، وهو نفس السبب الذى أدى لفشل الحملات الصليبية قبل ذلك التاريخ بستم قرون، ذلك السبب هو أن العقيدة الإسلامية كانت كالصخرة التى تحطم عليها كل الغزوات، تلك العقيدة التى دفعت المصريين للقتال والنضال قتالا إسلامياً مقدساً وجهاداً في سبيل الله .

نجحت مقاومة مصر بفضل الزعامة السياسية الدينية التى تمثلت في شخص السيد عمر مكرم، وكان عمر مكرم - طيب الله ثراه - هو البقية الباقية لجماعة الوعاظ الذين قادوا الفسك في مصر طوال القرن الثامن عشر .

ولما استطاعت مصر أن تجمل الفرنسيين في سنة ١٨٠٢ وتغوت عليهم غرضهم الالم، وهو شق القناة التى من أجلها استقدم بوناپرت بعثة سميت بالبعثة العلمية، ولم تكن بعثة عليية إلا لكل ما هو لازم لعملية القناة - لما استطاعت مصر أن تطرد هؤلاء فطن الغرب لأمرين على جانب من الأهمية : الأمر الاول هو (العقيدة الإسلامية) التى قرر أن يزعمها ويدمرها كي يفتح له باب الشرق على مصراعيه، والأمر الثانى دولة (الحلقة الإسلامية) التى سماها بالرجل المريض، ووطد عزمه على الإجهاز بالرجل المريض .

وكانت فرنسا في فجر القرن التاسع عشر أكبر دولة في أوروبا، وهي التي تزعمت ذلك التفكير الصليبي، ولكي تصل إلى مأربها دست على مصر محمد علي، ونجحت مساعيها الدبلوماسية في حمل السلطان العثماني على قبول تولية محمد علي أريكة مصر، وفرضت فرنسا على هذه البلاد وصاية مقننة: ظاهرها نهضة حرية وعمرانية، وباطنها فكرة خبيثة هي تجريد مصر نفسها على دولة الخلافة الإسلامية، حتى إذا وصل الجيش المصري إلى أبواب القسطنطينية حطموا الأسطول، وقالوا لمصر: قفي مكانك. وفي الوقت نفسه قضى محمد علي (لحساب الفرنسيين) على الزعامة السياسية الدينية، فسجن السيد عمر مكرم، وقرب إليه المناقذين، وانهت قيادة رجال الدين للسياسة المصرية والتفكير المصري منذ أيام محمد علي، فانفسح المجال لغزو صليبي وقد على هذه البلاد (بالتدريج).

* * *

وفي القرن التاسع عشر اهتدى الأوروبيون إلى البخار، فظهرت الرأسمالية الصناعية ووقفت على قدميها، وسارت معها الرأسمالية المصرفية ورأسمالية المراكب، ورأى هؤلاء أنهم أشد ما يكونون حاجة لطبيات الشرق وثرواته لتغذية المصانع، كما أنهم بحاجة إلى أسواق الشرق الإسلامي، لبيعوا فيها ما يفيض عن الاستهلاك المحلي، فشددوا التفكير على الدولة العثمانية وألبوا عليها روسيا بين حين وآخر، وفي منتصف القرن الماضي قرروا غزو العالم الإسلامي بحملات المراكب الذين يستهون الملوك والسلاطين والأمراء والحكام وذرى الجاه لما سموه (مدنية غربية) فيحتاجون للسل، ويعقدون القروض بفوائد ربوية جنوبية، ثم يأتي النفوذ الغربي بدهوى حماية مصالح المراكب، ولا يلبث هذا النفوذ أن يشفع بفرق مسلحة تحتل بلاد المسلمين طولا وعرضا.

بهذه الكيفية ضاعت مصر وضاعت غيرها من البلاد بسبب ما سموه (مدنية غربية) وحضارة الرجل الأبيض.

* * *

وقبل أن نتورط فيما يردده البعض من ضرورة الأخذ بتلك الحضارة الغربية نريد أن نقف على رأى العرب نفسه في حضارته، وهل هو مغتبط بحاله وراعى، أم أنه قد ذهب ضحية هذه المدنية المادية، وأنه إلى زوال إن شاء الله.

قلت: إنى سأعالج الموضوع كعالم يتكلم من واقع الملفات ، وعلى أساس ما لديه من المستندات ، فاسمعوا ما يقول الغرب نفسه :

وضع السياسي الألماني الكبير « فون بابن » ، الذي كان مستشارا للرايخ الألماني قبل « هتلر » ، مذكرات عن حياته السياسية ، وفي نهاية هذه المذكرات لخص آراءه في بضعة أسطر لا تتجاوز نصف صحيفة من مؤلفه ، وقال فيها ما ملخصه : « نحن الآن على حافة الهاوية ، ذلك لأننا قدمنا في العلم حتى صرنا (عبيد العلم) وتفتنا في الاختراع فأخينا (عبيد الاختراع) وتماديينا في استخدام الآلة إلى أن (حكمتنا الآلة) ولم يبق إلا بارقة أمل ضئيفة لا أظن أننا سننتدى إليها ، هذا الأمل الوحيد في النجاة هو أن (تؤمن) بأن هذا الكون له خالق ، وأن هذا الخالق قد وضع له قوانين ، وما على الإنسان إلا أن يسير طبقا لهذه القوانين ، فإن فعلنا ذلك نحررنا من (العبودية) واستطعنا نحن أن (نحكم) العلم والاختراع والآلة جميعاً ، وبذلك تنجو الإنسانية كلها من الهوة التي تقف على حافتها . »

• • •

ووضع أستاذ كبير من علماء السوربون مؤلفاً حديثاً سماه « المدنية الإسلامية » ، وخلاصة هذا المؤلف القيم قوله : إن العالم في هذه الآونة من تاريخه تتجاذبه قوتان مادتان جبارتان : قوة روسيا السوفيتية ومعها بلاد ما وراء الستار الحديدي ، وقوة أمريكا ومعها جماعة حلف الأطلسي ودول الرأسمالية الغربية ، وهاتان القوتان الماديتان في طارئة م- ١٠ لماتنا وستبقى فوق (أرض الله) قوة واحدة (لا يعرفها أصحابها) ، وهذا من حسن حظنا حتى الآن ، ولكن قد يأتي يوم يعرف أصحاب هذه القوة قوتهم ، فيدين لهم العالم بأمره .

هذه القوة التي حاربناها بضعة قرون ولم نستطع أن نستأصلها هي (الإسلام) فالإسلام يصنع (الرجل المثالي) الذي لا يقهر ولا يغلب ، وسر قوة هذا الرجل هو أنه (يؤمن) بأن الله واحد لا شريك له ، وأن الأمر كله بيده ، ومن شأن هذا (الإيمان) أن هذا الرجل إذا نوى للقتال لا يهاب الموت ، لأنه يعتقد في قرارة نفسه أنه يقاتل في سبيل الله وبأمر من الله ، وفي حياته اليومية يقف في الصفوف مصلياً ، وما صلاة الجماعة عند المسلمين

إلا (التعبئة العسكرية) الدائمة المتجددة ، التعبئة التي تقوم على (النظام) وعلى (قوة روحية) عديدة المثال ، وتلك المآذن في مشارق الأرض ومغاربها تنادى في الجوزاء مئات الملايين بكلمة (لا إله إلا الله ، محمد رسول الله) ، تلك هي القوة التي لا يمكن أن تقهر ، وهي التي تستطيع بعد هزيمه الرأسمالية والشيوعية معا أن (تراث الأرض ومن عليها) .

• • •

هذا ما يقوله الغرب عن الإسلام والمسلمين ، وهنا في هذه البلاد ، وفي هذه الليلة ، وفي هذا المكان بالذات ، نسمع أناسا يقولون عكس ذلك ، ويمشقون الغرب ومدنيته ، ويريدون أن (يربطوا) مصيرنا بمصيره ، وإني أؤكد لكم أن هذا الغرب قد انهار ، بعد أن طرد من آسيا وضرب فيها على أم رأسه ، ولم تبق إلا إفريقيا التي سيطر منها يوما من الأيام ، ويومئذ لا تبقى طيات يسرقها ، فتفيد حضارته الزائفة ، ويرجع إلى الغابة كما بدأ إن شاء الله .

ولكن ما حيلتنا ، ونحن معرضون لغزو يقوم به الآن الإنسان الآلي الزاحف من نصف الكرة الغربي ، ذلك الإنسان المجرد من الضمير والمقومات المعنوية ، ذلك الأمريكي الذي يكي بدموع التماسيح ، ويخرج لنا كل يوم بدعة ، فيوما يقذفنا بما يسميه نقطة رابعة ، وأخرى بما يسميه مدونة للشعوب المتخلفة ، وتحت ستار تلك الدموع ينبش أرضنا وأرض غيرنا ليسرق البترول وطيات الأرض .

لا نريد أن تتشكل مع أولئك الصوص فليس أسمى على أمة بجنى عليها من أن يطلب منها أن تتشكل مع الجاني ، ولكن يجب أن يتشكل الجاني عليهم ضد ذلك الجاني الأثيم الذي كتل نفسه أحلافا ومنظمات مختلفة الأشكال والألوان .

• • •

وبقيت ملحوظة أنه لما قبل أن أترك هذا المكان : لقد تعلمت أمريكا من صناعة السينما الشيء الكثير ، وفطنت للدعاية وأهميتها . والدعاية الغربية تسير مع الجاسوسية لحساب الغرب جنبا إلى جنب ، هذه الدعاية التي تباشرها مؤسسة فرانكلين بمطبوعاتها ،

والجامعة الأمريكية بقاعة محاضراتها ، والمدارس التبشيرية الأجنبية ، والصحف والمجلات التي تعمل بوحى من الأمريكيين ومن معهم من دول العصابة الاستعمارية ، هذه الدعاية لا تستهدف إلا غاية واحدة هي أن تجردنا من (قوميتنا) و (عقيدتنا الإسلامية) (ومقوماتنا الذاتية) وتقول لنا في الصباح والمساء : كونوا غربيين ، أو كونوا أمريكيين ، وفكروا كما فكروا ، وعيشوا كما يعيش ، وتحالفوا معنا لثقتوا من أجلنا ، هذه الدعاية هي الخطر الدام على هذه الرقعة من العالم التي نعيش فيها ، فيجب أن تقاوم ، وأن تأخذ منها حذرا ، وعبثا يحاولون أن يسلطوها علينا في ندوات تبحث فيها مثلاحياتنا بين الشرق والغرب .

• • •

وثمة مسألة أخرى أود أن أشير إليها إشارة عابرة ، وهي مسألة (نظام الحكم) .

لقد تفنن الرجل الأبيض في مواهبه ونظراته ، فتكلم عن (ديمقراطية) و (ديكتاتورية) و (شيوعية) و (اشتراكية) وغير ذلك ، وكلها نظريات منهارة ، وصور للحكم تنداعى يوما بعد يوم ، وما نحن بحاجة لشيء من هذا قط ، فعندما (إسلام) خالد على الزمن ، وحجر الزاوية في (نظام الحكم الإسلامي) هو أن الحاكم والمحكوم على السواء ، يخشون الله في السر والعلن ، وحسبنا أن يؤمن الحاكم بأن الله سبحانه رقيب على تصرفاته ، وبعدئذ لا نكون بحاجة لأن نرهب أنفسنا بنصوص دستورية ، وصيغ تقنين من هنا أو من هناك ، فليكن الإسلام في هذه الديار صمام الأمن ، وطريق السلام .

وأما الغرب ونظرياته ، وما يسمى (حضارة) فأضغاث أحلام ، وبضاعة لا تصلح لكل وقت ، والإسلام لا يمنعنا من أن نسمى في الأرض ، وتأخذ بأسباب العلم الصحيح إلى أبعد الحدود .

وقفنا الله إلى ما فيه الخير والسداد .

والسلام عليكم ورحمة الله ٢

صاحب التنقيح

صدر الشريعة الأصغر

لعل من الخير أن نقدم لقراء مجلة الأزهر شخصية فذة من الشخصيات العلمية التي اعترف بها علماء الأزهر، وقدروها حق تقديرها، وآثروا تخليد ذكرها، إذ قررت مشيخة الأزهر تدريس مؤلف في الأصول لهذه الشخصية .

وما ذاك المؤلف إلا تنقيح الأصول، الذي عني صاحبه بجمع ما تفرق من علم الأصول، في كتاب غر الإسلام البزدوى، وكتاب الأصول لجمال العرب ابن الحاجب .

وضم إليهما ما في كتاب المحصول لابن الخطيب الرازي، وصح له بذلك العمل الجليل، أن يسمى كتابه « تنقيح الأصول »، ونرى من الصواب في هذا المقام، أن نشيد هنا بتأثير البيئة، وما لها من فضل في خلق الشخصيات الممتازة، وإيقاظ الهمم في تحصيل العلوم، والمعارف، والتبريز في ميدان السباق العلمي .

فتن نحن إذ ترجم لصدر الشريعة الأصغر عبيد الله بن مسعود صاحب التنقيح، الذي أخذ العلم عن جده، تاج الشريعة « محمود »، نرى أن تاج الشريعة أخذ العلم عن أبيه، صدر الشريعة الأكبر أحمد بن جمال الدين عبيد الله بن إبراهيم .

وهذا النسب العلمي المتسلسل من الأجداد إلى الأحفاد، لم يختص به علماء المذهب الحنفي، بل قد وجد في علماء المذهب الشافعي، في عائلة السبكي .

فأنت ترى متى الدين السبكي يشرح البيضاوى في كتابه « الإبهاج »، ثم يسير في شرحه قليلا دون أن يتمه، ثم يأتي من بعد ذلك ابنه تاج الدين السبكي فيتم شرحه . ومثل هذا موجود في مذهب الحنابلة في عائلة ابن تيمية .

فالمشهور من هذه العائلة تقي الدين أبو العباس بن شهاب الدين عبد الحلیم ابن شیخ الإسلام مجد الدين عبد السلام بن أبي محمد عبد الله . وكل من الحفيد وأبيه وجده لإمام الأئمة في زمانه ، ومفتى الأمة ، وفريد عصره ، وجبر أمته ، مشهود له بالعلم والفضل ، وله الرأي الصائب ، والحجة البالغة .

وإذا اتقلنا بعد ذلك إلى المغرب ، وجدنا في قرطبة عائلة ابن رشد .

وإذا سمع ابن رشد اتقل الذهن فوراً إلى الطب والحكمة ، والتبحر في علوم المنقول والمعقول . وصاحب الشهرة في هذه العائلة هو القاضي أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد ، المشهور بالحفيد ، الملقب بقاضي الجماعة .

ومؤلفات ابن رشد لا ينكر فضلها علماء أوروبا الذين انتفعوا بها ، وكرسوا مجهوداتهم وعكفوا على ترجمتها في القرون الوسطى ، وجعلوها سراجاً ينير لهم ما أظلم عليهم من جوانب الحياة العلمية والنواحي الفلسفية والقانونية .

* * *

ونعود بعد ذلك لنبين بشيء من التفصيل تاريخ صاحب التنقيح ونشأته .

فقد عرف منذ نشأته العلمية بصدر الشريعة الأصغر ، وكان حريصاً على تحصيل العلم عن جده ، يقيد كل ما يسمعه عنه من المسائل في جميع العلوم .

وهو الشارح كتاب « الوقاية » الذي ألفه جده وأستاذه . ثم قام باختصار كتاب الوقاية في كتاب « النقاية » .

وهذا المختصر خطي بالمكتبة الأزهرية ، كما أن كتاب الوقاية لا يزال مخطوطاً بهذه المكتبة أيضاً .

ولعل الأيام تربنا هذين الكتابين مطبوعين حتى يسهل تداولهما والانتفاع بهما .

وقد أقبل العلماء على شرح كتاب التنقيح وكتابة الحواشي عليه ، نذكر منها :

شرح التلويح لسعد الدين الفتازاني على شرح التوضيح لمؤلف التنقيح . ويصف الفتازاني التوضيح والتنقيح فيقول :

« إن كتاب التنقيح مع شرحه المسمى بالتوضيح للإمام المحقق ، والبحرير المدقق ، علم

المهداية، وعالم الدراية، معدل ميزان المعقول والمنقول، ومنفتح أغصان الفروع والأصول، صدر الشريعة والإسلام - كتاب شامل لخلاصة كل مبسوط وإيف، وبحر محيط بمستقصى كل مديد وبسيط، وكنز مغن عما سواه من كل وجيز ووسيط. فيه كفاية لتقويم ميزان الأصول، وتهذيب أغصانها. وهو نهاية في تحصيل مباني الفروع وتعديل أركانها.

نعم قد سلك منهاجاً بديعاً في كشف أسرار التحقيق، واستولى على الأمد الأقصى من رفع منار التدقيق، وقد أظن في التناء، وأبدع في وصف كتاب التنقيح وشرحه إلى أن قال:

« ثم جمعت هذا الشرح المرسوم بالتلويح إلى كشف حقائق التنقيح، مشتملاً على تقرير قواعد الفن وتحرير معاقده، وتفسير مقاصد الكتاب وتكثير فوائده. »

ويصف صاحب كشف الظنون التلويح مع التوضيح والتنقيح فيقول: « هذا الشرح المسمى بالتلويح في كشف حقائق التنقيح تصنيف سعد الدين مسعود بن عمر الفتازاني الشافعي المتوفى سنة ٥٧٩٢هـ، هو شرح بالقول شرح فيه تنقيح الأصول للقاضي صدر الشريعة عبيد الله بن مسعود المحبوبي البخاري الحنفي المتوفى سنة ٥٧٤٧هـ، وهو من مشهور ذكر فيه أنه لما كان لحول العلماء منكميين على مباحث كتاب نثر الإسلام البرزوي ووجد بعضهم طاعين على ظواهر ألفاظه أراد تنقيحه وحاول تبين مراده وتقسيمه على قواعد المعقول، موداً فيه زبدة مباحث كتاب المحصول ومباحث ابن الحاجب، مع تحقيقات بديعة، وتدقيقات غامضة منيعة، قلما توجد في الكتب، سالكاً فيه مسلك الضبط والإيجاز، فصنف هذا الشرح بمزجاً، وسماه التوضيح في حل غوامض التنقيح.

وناهيك غراً ومجداً علماً لصاحب التنقيح هذا التناء المتكرر من علماء مشهود لهم بالقدرة على التمييز بين غث القول وثمته، والفرقة بين لباب القول وقشوره، وبين جوهره ومظهره.

وكما شرح التوضيح الفتازاني كتب عليه الفري حاشية. كما كتب عليه ملا خمره حاشية أخرى.

وللرجاني حاشية على التوضيح سماها « حزمة الحواشي لإزاحة الغواشي. »

والعلامة عبد الحكيم بن شمس الدين السيالكونى حاشية أخرى ، إلى غير ذلك من الشروح والحواشى المخطوطة والمطبوعة التى تدل على مقدار العناية التى لقيها متن التنقيح . ويكفى فى العصامية العلمية لمصاحب الترجمة أنه كان من علماء القرن الثامن الهجرى الذى ركزت فيه الحياة العلمية عن ذى قبل ، فأصبح نجمه متألفا فى سماء قد أريدت بالغيوم بعض الشيء . فهو وغيره من علماء هذا القرن قد تضاعف مجهودهم ، وقويت عزائمهم حتى تغلبوا على عوامل الضعف ، واضطراب السياسة فى أزمانهم ، وعدم عناية أولى الأمر بعلماء الشريعة ، بل عدم عنايتهم بالعلماء جميعا لانشغالهم بأنفسهم عن كل هذه الأمور .

فليس عجيباً ولا غريباً أن نرى الأزهر الشريف يؤدى ضريبة الوفاء نحو العالم الجليل ، ويعمل على تخليد ذكره بدراسة بعض مؤلفاته .

وليس أجدر بالتخليد من رجل خدم علم الأصول على النحو الذى شرحناه ؟

عبد الله المرائفى

الافرنجى أمس واليوم

إن الافرنجى هو الافرنجى . . . ما تغير شيء من طبعه ، فهو اليوم كما كان عند مازحرف إلينا من ثمانمائة سنة بما فيه من الظلم إلى الدماء ، والقرم إلى اللحم . وإن هذه المدنية التى يتذرع بدعواها إن هى إلا غطاء سطحنى لما هو كامن فى طبعه ، منتهى للظهور لادنى حادث . فالمدنية المصرية لم تزد الافرنجى إلا تفتنا فى آلات القتل ، وفصاحة فى التويه وتسمية الأشياء بغير أسمائها . وبالجمل فالتذى ازدددناه منه هو الرياء لا غير .

شكيب أرسلان

منع القراءة

يجمع الحروف والوقف في المحافل

شاع بين القراء في هذه الأيام التنافس والتباهى بجمع القراءات في المحافل العامة ، تارة بتكرير الكلمة الواحدة بطرق مختلفة ، وتارة بتكرير الآية كذلك ، وقد يبلغ التباهى ببعضهم إلى الإتيان بذلك في نفس واحد - وقد تساءل الكثيرون عن حكم القراءة بالجمع ، وهو موضوع قديم استفتى فيه العلماء فأفتوا فيه بالمنع ، ذلك أنه في اليوم السادس من رجب سنة ١٣٤٠ هـ أرسل جمع من علماء سوهاج ومعهم القاضي الشرعي الشيخ محمد خالد داود إلى شيخ المقاريء المصرية الشيخ محمد خلف الحسيني يستفتونه في قارىء يقرأ بجمع القراءات في المحافل العامة ، فأجاب رحمه الله بما نصه :

« إنما نر لأحد من علماء الفن ولا غيرهم نصاً على جواز القراءة بالجمع على أى طريقة من طرقه في المحافل ، نعم أجازنا بعض المتأخرين من أهل الفن في حال التلقى من الأشياخ لضرورة الإسراع بشروط مدونة في الكتب . إذا علم هذا لجمع قراءة أو رواية مع أخرى في غير حال التلقى بمنوع ، بل لا تجوز القراءة برواية غير المعتادة عند العامة إلا إذا وجد في المجلس عالم بها غير القارىء ، فإذا قرأ القارىء على هذا الشرط لا يفتقل من الرواية التي يقرأ بها إلى غيرها حتى ينتهى مجلسه على مذهب الإمام النووي . وأجاز ابن الصلاح انتقاله إلى غيرها إذا انتهت القصة . »

وما كادت تصل فتوى شيخ المقاريء المصرية إلى المستفتين ، ويشهر أمرها ، حتى ثار بعض جهلة القراء . ولما خفى الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر حيثئذ على الناس من فتنهم دعا إلى الحضور بدار إدارة المعاهد الدينية في الرابع من ذى القعدة سنة ١٣٤٠ هـ بعض كبار العلماء والقراء في ذلك الوقت ، وهم شيخ المقاريء المصرية الشيخ خلف الحسيني ، والشيخ أحمد مكي ، والشيخ علي مني ، والشيخ محمد دياب ، والشيخ همام قطب ، والشيخ علي سبيح ، والشيخ حسن الجريسي ، والشيخ سابق السبكي ، وخصوا نصوص علماء فن القراءات كنص

الإمام ابن الجزرى فى النشر والمنجد ، والعلامة السيوطى فى الإتقان ، والصفاقسى فى غيث النفع ، والأشمونى فى منار الهدى ، فإزداد لهم جلاء أن جمع القراءات السبع أو الأكثر أو الأقل فى ختمة واحدة لم يقع فى الصدر الأول أصلاً ، بل كانوا يقرءون لكل راو ختمة ، دون أن يجمعوا رواية إلى أخرى ، واستمر العمل على ذلك إلى أثناء المائة الخامسة هصر الدانى وغيره ، فن ذلك الوقت ظهر جمع القراءات فى ختمة واحدة لضرورة سرعة التحصيل ، ومنعه بعض الأئمة لمخالفته لعمل الصدر الأول . وحيث لم ينص أحد على جواز الجمع فى غير حالة التلقى فيسكون بدعة ، لا يساعدها نص ولا قياس ولا عمل الماضين من السلف الصالح ، وقد تودى إلى التخليط والتليس .

لهذا قرر ذلك الجمع من أساطين علماء الأزهر وأهل الفن - باتفاق الآراء - منع جمع قراءة أو رواية مع أخرى بأى طريقة من طرقه فى أى مجلس كان ، كما قرروا كذلك منع القراءة برواية غير المعتادة عند العامة ما لم يوجد بالمجلس عالم بها ، وأنه إذا قرأ قارئاً بإحدى الروايات لا ينتقل منها إلى غيرها إلا إذا انتهت القصة وشرع فى غيرها ، فله أن يقرأ ما شرع فيه برواية أخرى ، وإن كان الأولى أن يسير على الرواية التى بدأ بها حتى ينتهى المجلس ؟

محمد محمد جابر
المفتش بالأزهر

الاختلاط

زعم السفور والاختلاط وسيلة للجد قوم فى المجانة أغرقوا
كذبوا، متى كان التمرض للنخنا شيئاً تعز به الشعوب وتسبق

محمد حسن النجمى

عزة النفس . . .

إذا قيل : هذا مورد ، قلت : قد أرى ولكن نفس الحر تحتمل الظما
وما كل برق لاح لي يستفزني ولا كل من لاقبت أرضاه منها
هذه كرامة نفس ، واستملاء خلق ، وقوة يقين ، وطهارة مزع . وإذا كان هذا الشاعر
يتخير المنعمين ، وتستفزه بعض البروق ، فإن الشاعر الآخر يأبى أن يكون لأحد عليه فضل ،
حتى لا يستخزي أمامه حين ينضب لكرامته .

خلقت عيوفا لا أرى لابن حرة على يدا ، أغضى لها حين أغضب
بل هذا الشاعر نفسه ، العالم العظيم ، القاضى على بن عبد العزيز الجرجاني ، يتأبى
حلى ناصحيه بأن يتخذ الخضوع وسيلة للقي ، فإنه يرى الخضوع ذاته فقرا .
وقالوا : توصل بالخضوع إلى القى وما علموا أن الخضوع هو الفقر
ويبنى وبين المسال شيثان حرما على القى : نفسى الآية والدمر
إذا قيل : هذا اليسر ، أبصرت دونه مواقف ، خير من وقوف بها المر

* * *

والحياة كلها تهون عند الحر ، حين تريد منه أن يمتن كرامته ، أو يهون في نفسه رغبة
في العيش . فالحر يظلم وينال منه الظلم ، وتوفى نفسه على الهلاك ، ويترامى له الماء ،
ويبرز أمامه المنهل المصذب ، ولكنه يحتمل الظما صابرا ، ويصبر على حر العطش راضيا ،
احتفاظا بكرامته ، وفعاليا بنفسه ، لأن الطريق غير نظيف ، وقد يحتاج سالكه إلى أن يطأ طيء
عن رأسه ، ويحنى قامته . ومن أمثال العرب : تجوع الحررة ولا تأكل بثديها ، يريدون
أن الحررة لا تكون ظفرا ، ولو نال منها الجوع ، وبلغ من نفسها الحرمان .
وما قيمة المسال ، وما قيمة الجاه ، وما قيمة الشهرة ، وبعد الصيت ؟ ما قيمة كل ذلك ،
إذا كان الراغب في الحياة ، قد وصل إليها ، أو إلى شيء منها ، بعد أن عفر جبهته على أعتاب
الكرام أو اللثام ، ولخير للمرء أن يعيش نكرة مجهولا لا يعرفه أحد ، ولا يسمع به إنسان ،
ولخير له أن يعيش فقيرا محروما ، ولخير له أن يلقي أصنافا من المتاعب والمشاق في حياته ،
خير له كل أولئك ، من أن يذله حب العيش ، ويخضعه سلطان الحياة .

وقد بلغت عزة النفس بكثير من رجالنا مبلغا أصبحوا بها مُثلاً تحتذى ، فهذا العزيز بن عبد السلام سلطان العلماء ، له في هذا الباب مواقف مشهورة ، وقصص عالية مأثورة ، ولعل من أبلغها وأشهرها موقفه من الصالح اسماعيل ، قالوا : إن الصالح اسماعيل حين غضب على الشيخ ، وطرده من الشام ، وصار الشيخ إلى منتصف الطريق ، بعث إليه من يرجعه ، فأخذ الرسول يستلينه ويرضاه ويقول له : بينك وبين أن تعود إلى مناصبك ، وما كنت عليه وزيادة ، أن تنكسر للسلطان وتقبل يده لاغير ، وهنا تعلن نفس الشيخ عن كريم معدنها ، وتجري على لسانه تلك الكلمات الحرة الحاسمة : واقع يا مسكين ، ما أرضاه يقبل يدي ، فضلا عن أن أقبل يده ، يا قوم ، أنتم في واد ، ونحن في واد ، والحد قد الذي عافاني مما ابتلاكم به .

ولعل من عزة النفس أن يتحمل الإنسان ما ينزل به صابرا جلدا ، وأن يلاقى الخطوب مبتسما ، وأن يوطن نفسه على نائبات الدمر حين تنوب ، فلا يكثر من الشكوى ، فإن الشكوى ذل ، وليس إشتاق المترحم بأقل إيلا ما للحر من شماعة الشامت :

لا تشكون لعاذل أو طاذر حالك في السراء والضراء
فلرحمة المتوجعين حرارة في النفس مثل شماعة الأعداء

وإذا كان في الشكوى إلى ذي مروءة ما يواسى أو يسلى ، فإن الراحة التي يجدها الشاكي دون ذل الشكوى :

وراحة النفس في الشكوى ولذنها - لو أمكنت - لانسأوى ذلة الشاكي



ويقترب بعزة النفس علو الهمة ، ولعلو الهمة مظاهر كثيرة : منها أن يعتمد الإنسان على نفسه ، وأن يسود بفعاله وكريم خصاله ، وألا يكون كل نغره فيما ورثه عن آباءه ، فإن أصغر ما في النفس أن يعيش المرء على جاه الآباء والاجداد ، قال زياد بن ظبيان لابنه عبيد الله - وكان عبيد الله من أعلى الناس همة ، حتى لقد بلغت به همة الشطط - : يا بني ، ألا أوصي بك الأمير زبادا ؟ قال عبيد الله : يا أبت ، إذا لم يكن للحى إلا وصية الميت فالحي هو الميت .

ومن مظاهر علو الهمة أن تحسن إلى عدوك ، رغبة في الإحسان ، لا خوفا منه ، قال صاحب العقد الفريد : « ومن أعز الناس نفساً ، وأشرفهم همما : الانصار ، وهم الأوس

والخزرج ابنا قيلة ، لم يؤدوا أتاوة قط في الجاهلية إلى أحد من الملوك ، وكتب إليهم تبع يدعوهم إلى طاعته ، ويتوعدهم إن لم يفعلوا ، فكتبوا إليه :

العبد تبعكم يروم قتالنا ومكانه بالمنزل المتذل
إنا أناس لا تمام بأرضنا عض الرسول يبظر أم المرسل
فغزام تبع أبو كرب ، فكانوا يقاتلونه نهارا ، ويخرجون إليه القرى ليلا ، فنذم
من قتلهم ، ورحل عنهم . .

وبدهى أن علو الهمة ، وعزة النفس ، والاحتفاظ بالكرامة ، كل هذه شيء ، ومعاملة
الناس بالغلظة والجفاء ، والتعالى عليهم ، وشموخ الأنف ، وتصعير الخد ، شيء آخر ،
فستان بين رجل على النفس ، ورجل متكبر : ذاك كريم الطبع ، طيب العشرة ،
حسن المخالطة ، يألف الناس وبألقونه ، ويوطئهم لهم كنفه ، ويعاملهم بالرفق واللين ،
ولكنه حين يبدو له ما عصى أن يחדش كرامته ، ويحط من قدره ، يغضب غضبة الأسد ،
وفي مثله يقول المتنبي :

غير أن الفتي يلاقى المنايا كالحات ، ولا يلاقى الهوانا
أما الرجل المتكبر ، فهو وضع يريد أن يرفع نفسه ، وخسيس يحاول أن يظهر
أنه شريف ، ولولا أنه يشعر في باطنه بمقارنته ما تعاطف على الناس ، فتراه يمشى وكأنه
يقول للناس : اعرفوني ؛ من أنا ؟ نعم . قد عرفك الناس ، فن أنت ؟ أنت صغير يوم
أنه كبير ، وسوفة يتشبه بالسادة .

إليك هذه القصة ، فإنها تمثل تواضع العظماء ، وتلطف الكبراء : كان سيدنا عمر بن الخطاب
رضي الله عنه يسير مع بعض أصحابه فلقيه امرأة من قريش ، وكان واضعا يده على كتف
صاحبه ، فقالت له : يا عمر ، فوقف لها ، قالت : كنا نعرفك مدة عميرا ، ثم صرت
من بعد عمر عمر ، ثم صرت من بعد عمر أمير المؤمنين ، فأتى الله يابن الخطاب ، وانظر
في أمور الناس ، فإن من خاف الوعيد قرب عليه البعيد ، ومن خاف الموت خشي الفوت ،
فقال صاحبه : يا أمة الله ، أبكيت أمير المؤمنين ! فقال له عمر : اسكت . أتدري من هذه ؟
هذه خولة بنت حكيم التي سمع الله قولها من سمائه (١) ، فعمر أخرى أن يسمع قولها ،
ويقنطى به أ ؟

على العمري

(١) هي صاحبة القصة المذكورة في قوله تعالى : « قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي
إلى الله والله يسمع تحاوركما » .

قتيبة بن مسلم

- ٢ -

اشتدت شوكة الجيش الإسلامي بالنصر المؤزر ، وأحس قتيبة أن قوة من السماء تسانده وتعاضده ، فخطب في جنوده وحثهم على مواصلة الجهاد ، وأكد لهم أن العدو المنهزم لا يلبث أن يتكتمل مرة ثالثة ، وأن الجيش الإسلامي يقف وحده أمام بمالك كثيرة متكئة ، ولن يفوز بغير الصبر والإيمان . وكان ما توقع القائد العربي أن يكون ، فقد كان الملك نيزك صاحب باذغيس يضرر حقدا عنيفا للفاتحين ، فأظهر الخضوع والاستسلام خدعة ودهاء ، ووصل إلى المعسكر الإسلامي ليستطلع أموره ويقف على دقائقه وخوافيه ، ثم مالبت أن ارتد عنقا إلى ملوك بلخ و مرو والطالقان والجوزجان ، فأشعل في كل مملكة ثورة ، وأضرم في كل صدر نارا . ووجد قتيبة عدوه يتجمع ويحتشد ، فاستقدم جنودا إسلامية من نيسابور وغيرها ، ولم يدع الأيام توسع لأعدائه سبيل الهبة والاستعداد ، فتوجه مسرعا إلى نيزك صاحب الفتنة فوجده يعتم بصم بأكام ومضائق وعرة لاسبيل إلى النفاذ إليها . فلبث المسلمون أياما لا يهتدون إلى ثغرة تلوح ، حتى سهل الله كل صعب ، فسلخوا طريقا واضحا إلى معسكر العدو ، ودار الموت الأحمر في حومة القتال ، فسقطت نفوس كثيرة ، وتمسكن قتيبة من النصر بعد معارك طاحنة يشيب لها الولدان .

تابع البطل الفاتح زحفه إلى شومان والصفد وبيجستان وخوارزم ، فكان موفق الخطوات ميمون العاقبة . ولكن الوثنية الحائرة تكتمت للمرة الرابعة أمامه ، وهبت تقائل في بأس مرير ، يتقدمها أبناء الملوك والمرازمة والأساورة ويقودها ابن خاقان ، فرأى قتيبة أن يتفرغ لرسم الحطة وإدارة الموقعة ، وندب أخاه صالح بن مسلم لقيادة الحومة ومواجهة الصفرف ، ثم أمر لقوره أن تنصب المجانيق على أسوار سمرقند ، وما زال يضربها حتى تصدعت أركانها وتساقطت أحجارها ، واشتد الضيق بالوثنيين ، فطلبوا الصلح ، وانتصر الإسلام انتصارا حاسما ، ودخل قتيبة المدينة ، وبني مسجدا وصلى به ، وانتخب لها واليا قويا من جنوده ، فاستضاءت بنور محمد ، وترددت في جوانبها أنغام الأذان .

كسب قتيبة هذا المجد الباهر في ثمانية أعوام لم تمر بها ليلة واحدة في راحة جسم

أو هدوه بال ، بل كان الجيش الإسلامي يواجه أهوالاً رائعة ، ويقع في مأزق حرجة : فتارة تنفذ ذخائره ، وطوراً يفقد زهرات من شبابه ، وقائده من وراء ذلك يبك فيه من روحه وينفخ من عزيمته ، ويضرب المثل بنفسه فيتقدم الكتيبة الحسراء ، ويفتح صدره للرماح المشتجرة ، وكان حافزه الملح إلى الجهاد ، هيامه بانتشار الإسلام ، وذبوع تعاليمه ، فكلماً نظر إلى الوثنية تتغلغل في بقاع لا تعرف الضياء ، عزم على استئصالها بكل ما أوتي من شجاعة وإيمان ، وكان يثلج صدره أن يدخل المدينة الجديدة فيشرح للناس هداية الإسلام ويقرئهم آيات القرآن وأحاديث الرسول ، ويدع بها من العلماء من يدهون إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة . لذلك نرى المساجد تبنى في كل مكان ، وترقب أئمة المسلمين وعلماءهم يسبرون مع الجيوش الباسلة ، فيأمرون بالعدل والإحسان ، وينهون عن الفحشاء والمنكر ، ويسيرون الدعائم الرفيعة للأخلاق الإسلامية ، فيحيون المساواة العادلة في أمم تنازهاها الإقطاع ، وتعددت بها الطفلة ، وتأله فيها الحجر ، وعبد الصنم والكوكب والنار من دون الله ، وقد حارب قتيبة الحرافات الدينية بنفسه ، فأحرق أصناماً مقدسة ، وأطلقاً بيوتاً للثيران كانت تنقد وتلتهب .

يقول ابن الأثير : (وأنى بالأصنام فكانت كالقصر العظيم) ، فأخذ ما عليها وأمر بها فأحرقته ، فقال هودك (ولعله أحد مؤيديه) : إن شكرت على واجب ، فلا تتعرض لهذه الأصنام ، فإن بها أصناماً من أحرقتها ملك . فقال قتيبة : أنا أحرقتها بيدي . ودعا بالنار فكبر ثم أشعلها فاحترقت .

ونحن مع إعجابنا البالغ بقتيبة لا ننكر أثر الحجاج في التوجيه والمشورة ، فقد كانت عينه متيقظة لمطالب جنده النازح ، وكان البريد يصله بأخبار الفتوح ، وهو لا يفتأ يعد الذخائر ويبحث المؤن ويشير بالحطط ، وإذا كانت الخطة غير التنفيذ ، فإن مما يشرف قتيبة أن يصل إلى النصر الحاسم في طريقه المرسوم ، ظافراً مؤيداً ، وأن يخضع الجيش الإسلامي لرغبائه ، دون أن يرتفع صوت واحد بمعارضته ، وأن يزن أعوانه وجنوده فيضع كلا في موضعه اللائق ، دون اعتبار لغير الكفاءة الشخصية ، والمقدرة الحربية ، حتى تكمل جهاده بالتوفيق ، وقد رت له دمشق بطولته فبعث إليه الوليد بن عبد الملك بكتاب يفيض بالمدح والثناء .

وواضح أن الإسلام لم ينتشر فجأة في بلاد ما وراء النهر بمجرد انتصار قتبية ، فإن دين البشر متغلغل في الأعماق ، ولا يمكن انتزاعه بانتصار في موقعة ، أو بناء مسجد في مكان ، لذلك لاقى المسلمون بادية الأمر رهقاً عسيراً في التبشير بدينهم ، كما لقي الذين أسلموا من الوثنيين مقاومة عنيفة من ذويهم ، حتى هدى الله النفوس للحق فأشرق عليها نور الإسلام طواعية واختياراً ، ورأى هؤلاء من سماحة المسلمين ما حجبهم في الإسلام وأدناهم منه . ولم تمض سنون حتى أصبحوا من أتبع أهله علما وعملا ، وذخرت المكتبة الإسلامية بمؤلفاتهم العلمية والدينية ، فأصبحت ترى في أساتذته الإسلام وأئمنه من سمي بالخاري ، والسمرقندي ، والبيهقي ، والفنسي ، والخوارزمي ، والترمذي ، والنيسابوري ، والزمخشري ، والبيضاوي ، والشيرازي ، إلى آلاف من الأفاضل يتحدث عنهم تاريخنا العلمي حديثاً مضمخاً بالثناء .

• • •

وقد مات الحجاج وهو الساعد الأيمن لقتبية ، وتوفي بعده الوليد بن عبد الملك ، وكان لا يقل عنه تمضيذا للبطل الفاتح ، فحضر بوفاتها دعامة القوية التي كان يستند إليها في قيادته ، وأصبح أمام سليمان بن عبد الملك وجهها لوجه .

وكان الخليفة الجديد يؤاخذ قتبية وآخرين من أقطاب المجاهدين والولاة بأنهم كانوا يتعصبون عليه لأخيه الوليد ، فكان في نفسه شيء من الضغن عليهم ، وكان ينبغي له وقد ارتقى إلى منصب الخلافة أن يتناسى ذلك لهؤلاء القادة البواسل الذين رفوا راية الإسلام وأعلوا مكانة الدولة إلى السماء . ولو أصاح قليلاً إلى منطق العقل النزيه لسمى إلى استرضائهم وجهد في تقريبهم ، ليسكوبوا معه كما كانوا مع سابقه . وقد ضاعف النكبة على قتبية أنه كان قد قد تأهب لغزو الصين ودخل مدينة كاشغر وأصبح قريباً من الحدود ، وأتمت الرسل تسعى بالسفارة بينه وبين الدولة المهتدة بالغزو الإسلامي ، أفترأجع فجأة عن الغزو منتظراً ما يأتيه من دمشق ؟ أم يستمر في مراسلة ملك الصين واستطلاع داخله مع حرج مركزه ، ودقة موقفه المتأرجح ؟ ! مهما يكن من شيء فقد استمع قتبية إلى نداء البطولة ، وعصفت برأسه النغوة العربية حين جاءه رسوله هيرة السكلاني يحمل تهديد الإمبراطور الصيني ، فبعث يعلمه أنه لن ينصرف عن بلاد الصين حتى يطمأ الأرض ويختم الملوك ويعطى الجزية ، وكان لهذا الرد الحاسم زلزال عنيف في صفوف الجيش الصيني ، فحاربت قوى الإمبراطور وبعث

بالجزية صاغرا مع بعض أبنائه ، فكف عنه قتيبة ، ولولا دقة موقفه السياسي لاقتحم أرضه
وضم إلى الإسلام أصقاعاً جديدة ، ولكن ماذا يصنع ؟ والريح عاصفة ، والجو ملبد بالغيوم ،
بجلجل بالريعود .

ولم يلبث سليمان أن أصدر قراره بعزل قتيبة ، كما أمر بإحضاره إلى بلاط الخلافة في
دمشق ، ولو استجاب البطل الفاتح لهذا العزل الظالم للقي مصرعه ، كما لقيه فاتح الهند الأعظم
محمد بن القاسم الثقفي بعد جهاد ميمون وفصر ميين . لقد فضل قتيبة أن يموت في حومة
القتال دون أن يلقى منيته في غياهب السجن ، وثقيل الأغلال ، فأعلن مخالفته الصريحة ،
وقاد كتائبه الجرئية ليقف أمام جنود الخليفة . ولكن سماً طائشاً أودى بحياته فسقط
شهيداً ، وطارت روحه الباسلة إلى ربها راضية بما آثرها البيضاء ، وجهادها الخالد . ومن المؤسف
أن أكثر أعوانه من العرب تألبوا عليه في عنته لا شيء إلا أنه وثق في كفاية بعض
الخراسانيين فقدمهم في الأولوية والقيادة مع نظرائهم من العرب ، مؤثراً المساواة العادلة التي
شرعها الإسلام ، وكأنه بذلك قد جانب حقاً واخفاً ، واعتصم بضلال أكيد .

وكان لمصرع قتيبة دوى هائل في العرب والفرس معا ، أما المخلصون من العرب فقد
رثوه بقصائدهم الناعمة ، وأقضى مضاجعهم أن تكون نهاية البطل الفاتح قرية عاجلة بعد
أن عقدت عليه الآمال ، ومكن للإسلام في بلاد يعوزها الإثراق والإيمان ، وأما العقلاء
من الفرس فقد صعدوا الزفرات الحارة حزناً على استشهاده الأليم .

• • •

مر خراساني على جثة قتيبة وهو مضرج بدمائه ، فبكى واستمعر وقال : يا معشر العرب ،
قتلتم قتيبة وهو الفارس المغوار ، ولو كان منا معشر الفرس فأت لجعلناه في نابوت ، فكنا
نستفتح به كلما دقت طبول الجهاد .

وقال آخر : يا معشر العرب ، قتلتم قتيبة وبزيد بن المهلب وهما سيدا العرب بخراسان ،
فقال له بعض السامعين : أيهما كان عندكم أعظم وأهيب ؟ قال لو كان قتيبة بالمغرب الأقصى
مكبلاً بالحديد ، وبزيد معنا في بلادنا ، أكان قتيبة أهيب في عيوننا وأعظم .

مات قتيبة رحمه الله وبقيت صحيفه أعماله خالدة ناصعة ، فرفعه التاريخ إلى أفق زاهر
يشرق بالبطولة والكرامة والشهادة ، وفي ذلك عزاء أي عزاء . وسلام على البطل العظيم ؟

محمد رجب البيومي

من علماء الأزهر الشريف

كنوز النقب وموقعه

النقب - ومعناه في العبرانية الجنوب (نجب) - هو القسم الجنوبي من فلسطين ، يحده البحر الأبيض من الغرب ، ووادي الرابة من الشرق ، وصحراء سيناء من الجنوب ، ومقاطعات يافا والرملة والحليل من الشمال .

فالنقب بهذه الحدود يشمل مساحة كبيرة تساوى نحو نصف مساحة فلسطين ، أى أحد عشر مليوناً من الدولارات من ستة وعشرين مليون دونم هى مساحة فلسطين جميعها ، ويتألف منه موقع استراتيجى خطير له شأنه بالنسبة للعالم العربى ، لأنه يقع بين مصر وبلاد الأردن ، ويتصل بميناء العقبة وفلسطين ، والذي يملكه يهدد مواقع كثيرة . وهو جوى خطير بالنسبة لمصر بالدرجة الاولى ، واستيلائها عليه يؤمن اتصالها بالبلاد العربية ، ويقطع صلة اليهود وخطرمهم عن الحجاز وعن القسم الجنوبي من المملكة الأردنية وما يلها أى العراق والمملكة السعودية .

وأراضى النقب خصبة إلا فى شماله فهو صحراوى ، وهو مرتفع من الشرق ، ويسير بانحدار إلى الغرب حتى ساحل البحر الأبيض ، وإلى الجنوب حيث يتصل بصحراء سيناء .

وقد عثت بريطانيا واليهود بكشف أراضيه ، فبين أن فيها كنوزاً عظيمة من المعادن . وقد نشر أخيراً كتاب لشركة مناجم إسرائيل بقلم كبير خبراءهم أ . دافيد ، فأعلن أن فيه معادن الحديد والنحاس والمنغنايز .

وقدر اليهود موقع النقب وقيمه ، فقتلوا الكونت برنادوت رئيس لجنة الهدنة لفلسطين ، حينما قرر أنه ضرورى للعرب ، ولم يبال اليهود بقرار هيئة الأمم بل خرخوا الهدنة وفاجأوا الجيش المصرى كما هو معلوم لمن كان يتابع سير القتال فى فلسطين ، وكانت لهم فيه جيوب من ورائه إلى الشمال ، هى المستعمرات التى تقرب من الثلاثين ، وبمجرد استيلائهم عليه أنشأوا أربعاً وعشرين مستعمرة فى وقت واحد ، إلا أن سكان هذه المستعمرات أخذوا فى التذمر ، وأخذوا يهددون بالرحيل عنها ، فهبت إسرائيل تعلن عزمها على سحب

المياه إليه بتحويل نهر الأردن أو غيره ، ولما أعلن بن غوريون اعتزاله قرر النزول في النقب تشجيعاً لهؤلاء السكان المتذمرين ، ومع ذلك فإن فيه آباراً ارتوازية كثيرة تمتلئ من فيه . ورجال السياسة والجيش منهم يعلقون على النقب آمالاً كبيرة ، إذ يعتقدون بأنه يتسع لسكنى مليون مهاجر يهودى .

* * *

والنقب يتصل في الجنوب الشرقى بخليج العقبة - حيث « ايلات » التى مسح بعض أهلها من قدماء اليهود قردة وخنائير ، وقد شرحت لقراء مجلة الأزهر في العام الماضى أهمية هذا الموقع ومستقبله ، في مقال عنوانه « ميناء العقبة » ، نشر في جزء جمادى الآخرة ١٣٧٣ ، وفي الجهة الشرقية يقع وادى العرابة ، وهو بحر خطير يصل البحرين الميت والاحمر ، وقد عرضت النقطة الرابعة مدسكة حديد في هذا الموقع فرفضت ذلك حكومة الأردن ولاسيا الجيش ، ما دام النقب بيد الأعداء .

هذا هو النقب واتصالاته وكنوزه ، وإن موقعه الخطير هو الذى يغرى به اليهود ومن يوالونهم ، وذلك مما يوجب على العرب - ولاسيا مصر - بذل كل جهد لمنع العدو من التمكن فيه وبلوغ آماله منه ؟

نابلس

احسانه النمر

الايمان

• الإيـمان قوة الحياة .

• كما أنه لا يمكن لإنسان أن يحيا بغير قلب ، كذلك لا يمكن لإنسان أن يحيا بغير دين .

• دلتنى خبرة عشرين سنة على أن السبب الاساسى لتفشى المجون والفساد سوء

(تولستوى)

طريقة تلقين التعاليم الدينية .

الى أين ؟

المادة - الروح - العلم - الدين

« العلم والدين توأمان متلاصقان .
فصلهما يؤدي إلى موتهما » .
هكسلي

« وتلك الأمثال فضر بها للناس
وما يعقلها إلا العالمون » .
قرآن كريم

يخيل للناظر في هذا العنوان للوهلة الأولى عظم الشقة بين هذه الحقائق ، وبعد ما بين مدلولات هذه الالفاظ . ويسبق إلى ذهنه ذلك الصراع الخفيف بين الفكر والوجدان ، وقوانين المادة والروح ، ونظم البحث في العلم والدين ، وتدوى في آذانه من أعماق التاريخ تلك الصرخات المرعبة التي أطلقها العلماء بسبب ما خالط بعض الأديان من أهواء وأغراض ..

لكنني مع هذا واثق بأنه ستكون بجانب هذه الصور الرهيبة صورة أخرى هادئة واعدة ، تلك التي ستدفع هذه الأوهام والأهواء ، وتوفق بين العلم والدين ، كما وفق الخالق العظيم بين المادة والروح ، وبذلك تتوارى تلك الصور القاتمة المؤلة متخاذلة هاربة ، ويسود الوئام والوفاق بين العلم والدين .

لو شئنا أن نأق بتعريف معيارى جامع مانع لهذه المعاني السككية التي تتعرض للكلام عنها فإننا لن نستطيع أن نظفر بتعريف من هذا النوع ، فقد أعيا ذلك العلماء والفلاسفة حتى الآن ، لهذا فإن كلامنا سيكون عن كل بالقدر النسبي للمعرفة البشرية ، والبشرية محدودة ، وفوق كل ذى علم عليم ، فالعلم المطلق لهذه السكليات قد اختص به خالق المادة والروح ، وواهب العلم والعقل ، والموحى بالأديان إلى من اصطفا من البشر .

لا شك أننا نلمس أشياء بأيدينا ، ونسمع أصواتنا بأذاننا ، ونرى أشياء بأعيننا الخ . كل تلك الأمور أمور مادية ندركها ، وهى قريبة معلومة مدركة بالحواس المجردة ، وبعدها أمور مادية أيضا نحتاج فى إدراكها إلى آلات ، وأخرى أشد احتياجا فى إدراكها إلى آلات أدق ، لإمعانها فى البعد ، أو فى ضآلة الحجم .

ولاشك أننا كذلك فيما يدركه العقل من معنويات ، فنها أمور قربية ندركها بهجرد تفكيرنا : كالصدق ، والشجاعة ، والكرم ، والجمال ، والمساواة ، هذه معنويات قربية مفهومة يدركها العقل العادى مجردا دون استعانة بشيء . ويلها أمور أعمق منها تحتاج إلى صفاء الآلة المدركة سواء كانت العقل أو الروح . . ووراء هذه معنويات أشد عمقا وخفاء لا يستطيع العقل إدراكها ، تلك هى المغيبات ، وقد جاء الوحي مبينا لكثير من هذه المعقولات .

وقد دفع البحث فى المادة والروح إلى أن يضع الإنسان لكل من التاحيتين طرقا للبحث ونظما يسير عليها . فطرق البحث فى المادة غيرها فى المعنويات والمعقولات . والغاية عند الباحثين فى المادة غيرها عند الباحثين فى المعنويات والمعقولات ، والدارسين للنفس والروح والدين .

وإذا كان الامر كذلك ، فما هو الطريق الذى يسلكه النوع البشرى ليحقق لنفسه حياة تجتمع فيها أسباب الهناء المادية والسعادة والاطمئنان الروحى .

هل ينبغي للعالم البشرى إذا أراد تحقيق معانى الإنسانية العالية فى المجتمع البشرى أن يعيش فى عالم المادة ، خاضعا لنظمها ، لا يصدر فى تصرفاته إلا عن المادة ، وما توحى إليه به من أسباب ومسببات ، مهملا شأن الروح ، منكراها ، بجانب كل ما تهدف إليه الروح ، وما توحى به الأديان من المعانى السامية ، والقوانين والنظم الراقية .

أم أنه يجب أن يستظل برأية العقل ، مستهديا بنور الروح ، مستوحيا هدى رب العالمين .
الجواب على ذلك هو ما سطر على صفحات التاريخ البشرى فى جميع الحقب والعصور من صراع بين علماء المادة والروح ، وأتباع كل ، وما نسمعه ونقرؤه فى مجتمعاتنا اليوم فى الصحف والمجلات ، وقاعات المحاضرات والمناظرات ، صراع سجلته البشرية فى بطون التاريخ ، وسيظل هذا الصراع قائما ما بقى الإنسان ، وما بقيت المادة والروح ، وما بقى للإنسان فكر ووجدان ، بل وما بقى الإنسان إنسانا .

ويجمل فى أن أطوف بالقارىء الكريم فى رحلة قصيرة موجزة ، لاضع أمام عينيه بعض ما سجلته البشرية من صراع بين المادة والروح ، أو بين السلم والدين ، حتى إذا ما قلنا للقارىء بعد ذلك : إن الإنسان يستطيع أن يحقق المعانى الإنسانية الرفيعة ،

والتعاليم الدينية القسومة مع حياة مادية رغيدة تحت ظل راية الدين ، لا نكون قد طلبنا منه شططا أو ركبنا خطأ ، فقد سجل التاريخ حقبة من الزمان عاشت فيها البشرية على أكل ما تمكون من روحانية سامية مع عيشه مادية مادية .

• • •

لا أذكر الصراع العنيف في القديم بين المادة والروح عند الوثنيين من مصريين وكلدانيين وهنود ويونانيين ، ولكنى أتذكر هذا كله لأقف بك قليلا عند الموسوية كما تصفها النوراة التي بأيدينا ، فقد شددت الحصار على البحث الفكرى (العلم) إذ كل المعارف بالوحى الإلهى ، وكلها مسطور في الكتب المقدسة وقالت : « إن الحكمة ليست من نصيب البشر ، وليست في الأرض ، ولن يستطع الإنسان - مهما بذل - الوصول إليها ، .

وفي المسيحية التي عقدها ما أدخل عليها من آراء فلسفية ، يرى القائلون عليها - لحفظ سلطانهم - تضيق الخناق على البحث الفكرى (العلم) ، ليبقى متروكا ضعيفا لا يتناول إلى هدم السلطان الروحى الذى يعقبه - ولا شك - انهيار سلطانهم للمادى .

قطعت الإنسانية وقتا طويلا في الصراع بين المادة والروح : طورا يطلق فيها للعقل سراح البحث الفكرى ، وآونة يحجر عليه فيحرم نسيم الحرية .

• • •

وقبل مجئ الإسلام كانت الإنسانية قد تضاربت في كل معارفها المادية والروحية ، وتشككت في كل ما لديها من مقدسات ، وأشبهت سفينة في مهب الريح ، تتقاذفها الأمواج في بحر لى تبني مرفأ ترسو إليه .

كانت الإنسانية تتطلب ديناً يشبع تفكيرها ، وينظم حياتها ، فقد عذبها ما حولها من علم ودين ، فوافاها ذلك الدواء الإلهى على لسان خير الرسل سيدنا محمد بن عبد الله ﷺ ، فشفي داءها ، وأذهب شقاءها ، وبطل حياتها سعادة وهناء وسموا وارتقاء . ذلك التنزيل الذى مر عليه حتى الآن أربعة عشر قرنا ولم تخلق جدته ، ولم قبل محاسنه ، ولم يأت العلم بما يتنافى مع مبادئه ، ذلك الدستور الذى جمع بين المعانى الروحية ، والقوانين العلمية ، والنظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، ما لم يستطع الفكر الإنسانى حتى اليوم - وقد كملت

جميع وسائل البحث — أن يأتي بمثله ، فضلاً عن أن يأتي بخير منه . « قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً . ذلك أنه جاء وقد بلغت الإنسانية رشدها ، فوافاها بكل ما تحتاجه في حياتها المادية والروحية ، العلمية والدينية .

وفي ظل هذه الحقيقة دعا هذا الدين الناس جميعاً إلى مبادئه وتعاليمه : « يأتيا الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون ، الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم ، فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون » .

والناس صنفان : صنف يسهل إقناعه بالمناظرة والحجة ، فيعرف الحق ويقنع به ، وفي ذلك يقول الله تعالى : « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن » . يلحق به من قصر فهمه عن المناقشة وفهم الدليل فوافاه الإسلام بالمعجزة التي ظهرت على يد خاتم رسل الله ، فهي عند هذا في مكان الدليل ، وقول الإله الحكيم : « صدق عبدي فيما يبلغ عني » ، وصنف مكابر معاند يلحق به غبي جاهل ، وهذا الصنف كالفرس الجروح لا يمكن ترويضه إلا باستعمال ما يناسبه من الشدة ، وما هي بشدة ، وإنما هي وسيلة الإصلاح والتقويم ، وقد ندب إليها الإسلام كوسيلة للإصلاح فقال تعالى : « وقاتلهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين » .

وقد أمكن لحرارة هذا الدين أن تصهر القلوب المتنافرة ، والمصالح المتضاربة ، والقبائل المبعثرة ، وتكون من شتاتها جميعاً قوة واحدة ، وأمة واحدة ، أوصلت نور الإسلام إلى جميع الأقطار في زمن قصير ، مما يقيمه المؤرخ المنصف برهانا على صدق الداعي إلى هذا الدين ؟

محمد أبوالمظفر

الواعظ العام

الاسراء والمعراج

« سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً
من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى
الذي باركنا حوله أن يره من آياتنا
إنه هو السميع البصير »

خرج بنو هاشم من الشعب بعد حصار دام ثلاث سنين ، لقي المسلمون فيها أفسى ضروب المقاطعة ، وكانت قريش تظن أنها بهذه الأعمال توقف سير الدعوة المحمدية ، ولكن الرسول ﷺ لم يضعف أمام هذا العنت .

وبعد الحصار بقليل توفي عمه ، وكان عضده في الملأت ، وسنده عند الأزمات ، وبعده توفيت خديجة الزوجة الوفية ، والتي كانت مصدر التسمية في لحظات الحزن والأسى ، فأحس المصطفى لفقدتهما حزناً عميقاً ، حتى سمي عام وفاتهما بعام الحزن ، وبينما هو في هذه الحالة ، وقريش تمن في الإيذاء ، وتشتغل في الخصومة ، ظناً منها أن فقد هذين النصيرين سيكون من العوامل التي تجعله ﷺ يبعد قليلاً عن النشاط في دعوته ، ولكن الدعوة تسير قدماً في الذبوع والانتشار .

وفي صبيحة يوم مشرق النور جلس ﷺ في حجر اسماعيل يقص قصصاً كان في سمع قريش الجاهدة المنكرة خيالاً بل حديث خرافة ، حتى أنهم لفرط دهشتهم ظنوا به الظنون ، وحسبوا أن خياله قد شط به ، فبقى أمامه جماعة يستعيدون حديثه خيفة أن يعدل عنه ، وجرى الباقون يتنادون في الطرقات : تعالوا فاسمعوا لما يقول محمد ، اعتقاداً أن هذا هو الخبل بعينه ، وما دروا أن الله جللت قدرته أحب عبده ورسوله ، فأكرمه وشرفه وفضله على سائر خلقه ، فجمع له الرسل المكرمين ، والملائكة المقربين ، في بيت المقدس ليصلي بهم إماماً ، يأخذ عليهم عهداً وميثاقاً بسموه وفضله وتقدمه وسبقه ، وقد أراه ربه وهو في طريقه

إلى المسجد الأقصى عجائب مخلوقاته الأرضية ، وما أعده للخالفين عن أمره ، والخارجين عن طاعته ، بارتكابهم للنكرات ، وصور له عقوباتهم على ما اقترفوه .

وبعد الانتهاء من الصلاة أخذه جبريل وصعد به إلى السموات العلى ليريه آيات الله الكبرى في الملكوت الأعلى ، ولا عجب في ذلك ولا جناح فهو الرسول الأمين ، وهو الحبيب الأول : من خلق الكائنات من نوره ، وألمم الأنبياء الصلاة عليه والتسبيح باسمه .

حتى إذا اكتمل جمعهم بهرم صدقه ، وأختمهم حسن حديثه ، وهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ، ولكن عنادهم وإصرارهم على تكذيبه دعاهم إلى أن يستوصفوه بيت المقدس ، وهم موقنون أنه لم يره قبلاً ، وأن الإسراء كان ليلاً ، والليل يغطي العالم ، إلا أن الرعاية الصمدانية تدركه في شخص جبريل الأمين يحمل على كفه بيت المقدس ، ليكون الوصف هو الحقيقة الصارخة على صدقه ﷺ ، وأن أحد عيرهم صادفه في الطريق فشرب من وكائه ، وأنه قادم يوم كذا في غروب شمس يوم كذا ، فيقع ما حدث . وأن عيرهم الثاني سيقدم يوم كذا في ساعة كذا ، وأن مقدمهم يحمل وسقين ، فيصدق ما أخبر به .

ولكن عتو المعاندين وفساد رأى المكابرين جعل قريشاً تتخذ من قصة الإسراء والمعراج باباً من أبواب شدة الإيذاء ، وقسوة الاضطهاد ، ومحاولة منع الرسول من نشر الدعوة المحمدية ، ولم يكن ذلك الإنكار لعقيدة يؤمنون بها من أن ما حدث به محمد ﷺ كذب ، بل هم موقنون كل اليقين أن الرسول صادق في كل ما جاء به ، إلا أنه الحق الدفين الذي ملك زمام قريش . كيف يؤتي محمد ذلك الخير العميم والشرف العظيم وحده ، وتذهب بنو هاشم وحدها بهذا العز الإلهي ، والسؤدد الرباني ، وتقف بقية قريش عطلاً من كل شرف وعز .

هذه هي الحقيقة المدوية في أعماق التاريخ ، فحمد ﷺ أسرى به في الليلة السابعة والعشرين من رجب إلى المسجد الأقصى بصريح القرآن ، بروحه وجسده ، وصلى بالرسول والأنبياء والملائكة حيث جمعهم مولاه للاحتفاء بحبيبه ، وأخذ البيعة له منهم بأنه خاتمهم وإمامهم في الدين والدنيا .

ثم نصب له المعراج ورقى به إلى ملكوت ربه يتلقاه رسول ويودعه رسول ،
حتى سدرة المنتهى ، فانغمر في أنوار ربه الصمدانية ، وتجملت له الحضرة الربانية بالعناية ،
وسبح في الأنوار القدسية ، وغاطبه مولاه فارخا عليه الصلاة .

وهذه الحقيقة لا ينكرها إلا من عمت بصيرته ، فران على قلبه جهل بمدى قدرة الخالق
جل جلاله بعد تلك المخترعات الحديثة التي قربت البعيد ، بل وصلت في السير إلى أبعد
من حدود الصوت ، ومخترعات القدرة . هذه القدرة لا يعجزها الحرق والالتئام ،
ولا أن يرجع إلى فراشه وهو لم يرد بعد ، ولا طول المسافة ولا قصرها .

وما كذب الفؤاد ما رأى ، ، ما زاغ البصر وما طغى ، لقد رأى من آيات
ربه الكبرى . .

ولقد كانت الإسراء والمعراج سبباً في التمجيل باحتدام الخصومة بين الحق والباطل ،
وأن الله لن يخذل عبده ، وأنه كتب للإسلام الخلود والانتصار في كل ملحمة يكون فيها
القرآن أحد طرفي الخصوم . والله متم نوره ولو كره الكافرون .

محمود محمد المدني

المدرس بالأزهر

الصبر

أحسن بالواجب من وجده صبر يعيد النار في زنده
ومن أبي في الرزق غير الأسى كان بكاء منتهى جهده
أبو العلاء المعري

البهائية

الأساس الذي قامت عليه :

هي نخلة قامت على أساس أنه ليس لله وجود مطلق بأسمائه وصفاته التي وصف بها نفسه في كتب أنبيائه — ولا سيما خاتمهم محمد ﷺ — بل إن وجوده تعالى مفتقر إلى مظاهر أمره الذين جاءوا — بزعمهم — لينشروا بمظهره الأبهي الذي لقبوه بهاء الله ، فهاء الله هو الرب الذي بشرت به الديانات كلها ، وهو المشرع الأعلى الذي تنبأت بظهوره البوذية والبرهمية واليهودية والمسيحية والإسلام ، وكل هذه الديانات وغيرها كانت - بزعمهم - مقدمات لظهوره ، والبهاء هو مظهر صفات الله فهو المتصف بها من دون الله ، وهو مصدر أفعال الله ، فهو فاعلها من دون الله . وهو المعنى بالقيامة ، وبالساعة الكبرى ، وهو وجه الله ، وهو جمال الله البهي الأبهي ، وهو الموعود في البشارات التي سبقت في كل الأديان ، ولا إله إلا هو ، ولا قيامة إلا قيامه ، ولا آخرة إلا بدايته ، ولا دين إلا دينه . وكما أن الإسلام نسخ الديانات السابقة ، فالبهائية نسخت الإسلام ، وكل الأديان كانت ناقصة وبدائية ، وإنما جاءت لتشكل بدین البهاء الكامل . ومع ذلك فإن البهاء ينظّم باحترام الأديان الأخرى ليقول لاتباعها إن دياناتكم جاءت لتبشر بقيامى !

الإرهاصات التي تقدمت البهائية :

والدين البهائي الجديد منبثق عن العقيدة الشيعية ، وقد تمخضت عنه يئشها في إيران ، وصنمه نفر من أذكفاء أهلها .

وقد سبقته إرهاصات :

أولها دعوة رجل من شيعة العراق يدعى أحمد زين الدين الاحصائي (١١٥٧ - ١٢٤٢ هـ) ، وله أتباع إلى الآن يسمون (الشيخية) .

يـ وهو داعية آخر من شيعة إيران يدعى كاظم الرشتي (١٢٠٩ - ١٢٥٩) وله تاريخ .

ثم تأثر بهما وبتلاميذهما شاب عاى من تجار إيران اسمه على محمد الشيرازى (١٢٣٥ - ١٢٦٦ هـ).

إن هؤلاء الثلاثة وكثيرين غيرهم منهم كانوا طلائع البهائية والتجارب الأولى لظهورها، وكانوا يرمون إلى غرض واحد هو إكمال الخطوة التالية التى كان يطمح فيها غلاة المنحرفين من ألف سنة، وهى إعلان تغيير دين الإسلام فى عقائده وتشريعه وأنظمته وجميع أهدافه. كان هذا الشخص الثالث (على محمد الشيرازى) قى غراً يتدين تدين العوام، ويفلو فى ذلك على طريقة الأعاجم، ويستعيز فى تدينه عن العلم بدعوى الفهم. وكان يتردد على مجالس كاظم الرشتى فى أخريات أيامه، فتعرف به - فى مجالس الرشتى - شيطان من شياطين الشيعة يدعى ملا حسين البشروى. فلما هلك كاظم الرشتى سنة ١٢٥٩ هـ خطر ببال البشروى أن يستغل سذاجة هذا الشاب وغروره وغلوه فى الدين، فواصل الاجتماع به، وأوهمه أنه يوشك أن يكون له شأن، وأن هذا أوان «المنتظر»، وقد يكون فى مقام «الباب» الذى يقوم بتبليغ الشيعة الإمامية عن المهدي. فإن تم ذلك له فإنه - أى البشروى - يرجو أن يكون له «باب الباب» فيمده بكل ما يحتاج إليه من وسائل الجدل إذا قاومه المجتهدون والعلماء.

الباب والباية :

وفى يوم ٥ جمادى الأولى سنة ١٢٦٠ أعلن على محمد الشيرازى أنه «الباب» للمهدي المنتظر، وكان على محمد الشيرازى يومئذ فى الخامسة والعشرين من عمره على ما ورد تفصيله فى كتابهم (الكواكب الهدية فى تاريخ ظهور البايية والبهائية) المطبوع فى القاهرة سنة ١٣٤٣ (١٩٢٤). ومعنى الباب فى الاصطلاح الشيعى: الشخص الذى يكون واسطة بين الشيعة الإمامية وإمامهم الثانى عشر محمد بن الحسن العسكري الذى يقولون إنه ولد سنة ٢٥٥ هـ والذى غاب (الغيبه الصغرى) فى سرداب سامراً سنة ٢٦٠ هـ وهو ابن ست سنين وتقوم عقيدتهم على أنه (المهدي)، وهو الذى يسمونه (المنتظر) من مدة تزيد على أحد عشر قرناً، وهم إذا ذكروه يدعون الله بأن يعجل فرجه، وبذلك تكون (الرجعة). ولهذا الموضوع تفصيل ليس هذا موضعه.

ولما كان من تقاليد الشيعة أن الشخص الممتاز الذى يكون واسطة بين المهدي الغائب وبين شيعته يسمى (الباب) فقد رأى هذا الشاب العاى المشتغل بالتجارة - وهو على محمد

الشيرازى - أن يزعم لنفسه أنه هو (الباب) ، ثم ادعى بتسويل ملا حسين البشرونى وإيجائه أنه هو (المهدى) . وكان مجتهدو الشيعة وعلمائهم يمتحنونه ويقترحون عليه كتابة تفسير لبعض السور - كسورة الكوثر ، وسورة العصر ، وسورة يوسف - فيكتب لهم في ذلك خواطر سريعة يسبح بها في عالم الخيال ، ويضمنها ما كان يسمعه من كاظم الرشتى وما يلقنه إياه ملا حسين البشرونى ، غير أنه يكتب ذلك بلغة بسيطة ملحونة ، فيزدادون نفوراً منه واستغفافاً به وتحريضاً للحكومة عليه بما يرونه من جهله .

قال داعية البهائيين الأول في مصر أبو الفضائل الجرفادقاني في كتابه (الحجج البية) الذى طبعه المحفل البهائى الروحاني المركزى بمصر سنة ١٣٤٣ (١٩٢٥) ص ١٢٧ وهو يتحدث عن (الباب) ويسمونه «النقطة الاولى» :

«وأما النقطة الاولى والمثال الاعلى للبشر بجمال (ربنا الابهى) جل ذكره وعز اسمه ، فقام بالامر وهو ابن خمس وعشرين سنة ... وكان قبل قيامه مشغولاً بالتجارة مع خاله ... فلما قام حضرته يأذن ربه الابهى (١) ، وصدع بالامر في مكة المكرمة (٢) ... رجع إلى مدينة بوشهر (٣) ... ونزل على خاله ... وسافر إلى شيراز فوقع في يد أعدائه ، وانقضت أيام دعوته التى تعد سبع سنوات تقريباً كلها في الحجز والحبس والنفى ، إما في بيته أو بيت الحكومة ، إلى أن نقي إلى أذربيجان (٤) .»

وعقب اقتناع الباب بدعوته سنة ١٢٦٠ بتسويل شيطانه ملا حسين البشرونى الذى قام له بوظيفة «باب الباب» استطاع باب الباب أن يجمع له ١٨ مرتداً من الذين استجابوا

(١) أستبعد جداً أن يكون لرهبهم الابهى دخل في شئون الباب أو توجيهه في ذلك الوقت ، وإنما كان الوجه له هو باب الباب ملا حسين البشرونى . ولكن مؤلف (الحجج البية) ائدى تنقل عنه هذه الفقرات يريد أن يوهم البهائيين بأن رهبهم كان - من وراء ستار - يوجه باب الباب في رسم الخطط للباب ، وأنا أستبعد ذلك ، وليس هناك أى قرينة تدل عليه .

(٢) كان سفر الباب إلى الحج في شوال سنة ١٢٦٠ مع خاله وملا محمد على البارفروشى الذى يسمونه (القدوس)

(٣) نثر على ساحل الخليج الفارسى يقابل الكويت في الناطق - الغربى

(٤) وإنما نفتت الحكومة الايرانية الى اذربيجان لان أهلها حنفية ، وفيهم المناعة الدينية من الانخداع بالباب ، لانهم لا يؤمنون بالمهدوية فضلاً عن البائية .

قبل ذلك لاحد زين الدين الاحسائي وكاظم الرشتي ، وأبلغوا الباب أنهم آمنوا به وصاروا أتباعاً له ، وصار يرمز لهم بكلمة (حى) لأن الحاء بحروف الجشل تدل على العدد ٨ والياء تدل على العدد ١٠ ، ووزعهم في أنحاء البلاد ليدعوا له ^(١) .

مؤتمر بدشت :

وفي سنة ١٣٦٤ - وكان الباب معتقلاً في (قلعة ماکو) قرر الشياطين الذين يستيرون الباب ويتخذونه ذريعة لإكمال مهمة أحمد الاحسائي وكاظم الرشتي أن يجمعوا الدعاة الثمانية عشر الذين يرمزون لهم بكلمة « حى » ، وأن يحضروا معهم كل الذين استمالوهم وأدخلوهم في هذه الدعوة ، وأن يعقدوا منهم مؤتمراً في صحراء (بدشت) الواقعة على نهر (شاهرود) بين خراسان ومازندران ، وكان على رأس القائمين بهذا التدبير (باب الباب) وهو ملا حسين البشروئي ، وملا محمد علي البارفروشي الذي يسمونه (القدوس) ، وأم سلى خانم ^(٢) زين ناج بنت ملا صالح القزويني البرقاني التي يسمونها (قرة العين) ويلقبونها (الطاهرة) ^(٣) ، وميرزا حسين علي المازندراني الذي تلقب فيما بعد بلقب (بهاء الله) وصار (ربهم الأبهي) .

فهؤلاء الشياطين دعوا إلى عقد هذا المؤتمر ليقروا فيه إعلان نسخ دين الإسلام ، وجعلوا الدعوة الظاهرة له التفكير في مسألة اعتقال الباب والوسائل الممكنة لإخراجه ،

(١) يتساءل بعض الناس عن تمويل هذه الدعوة والاتفاق على هؤلاء الدعاة الثمانية عشر في تنقلاتهم ومعيشتهم ، ويرى بعضهم أن من وراء ذلك يدأ أجنبية - انجليزية أو روسية - وأن تلك اليد الأجنبية هي التي أوجدت البابية والبهائية . وأنا أرى في ذلك مبالغة ، فالأجنبي أعجز من أن يوجد مثل هذه التيارات الدينية ، ولكنه يستغلها بعد وجودها ، ويشجعها إذا رأى في ذلك مصلحة له .

(٢) خانم تأنيث « خان » كما أن « بيكم » تأنيث « بك » . وخانم اصطلاح إيراني انتقل إلى الترك ومنهم إلى مصر بلفظ « هانم » ، ويكم اصطلاح هندي . قاليم في الكلمتين لتأنيث .

(٣) في خلال فترة الباب في إيران نفت الحكومة الإيرانية بعض القائمين بهذه الفتنة وكان نصيب قرة العين هذه النفي إلى بغداد ، ورأت الدولة العثمانية أن يكون اعتقالها في منزل الشهاب الألوسي صاحب التفسير ونحت نظره ، وقد تحدث عنها الشهاب الألوسي في كتابه (نهج السلامة في مباحث الامامة) وهو آخر ما ألفه وكتب منه وهو مريض عشرين كرامة ثم طاعته للنية قبل أن يتنه . وبعض ما قاله في هذا الكتاب عن قرة العين والباب والبابية أثبتته حبيده السيد عمود شكرى الألوسي في أوائل مختصر النحلة الاثني عشرية ص ٢٢ - ٢٥ .

قال مؤرخ البهائية ميرزا عبد الحسين آواره في ص ٢١٨ - ٢٢٣ من كتابه (الكواكب الدرية في تاريخ ظهور الباية والبهائية) :

« لما تم عقد اجتماع الاحياء في (بدشت) شرعوا في البحث ، وكانت مجالسهم منقسمة إلى طبقتين : الطبقة الاولى المجالس الخاصة ، وهي التي تعقد بكبراء الاصحاب وعظماهم ، والطبقة الثانية المجالس العامة ، وهي التي تعقد بمن سوام . أما المجالس الخاصة فكانت المذاكرات التي تجرى بين خواص الاحياء وأكابرهم فيها تدور حول (تغيير الفروع ، وتجديد الشريعة) وبعد أن أقر الرأي العام على وجوب السعي في تخليص حضرة الباب وإنقاذه ، قرر أيضاً إرسال المبلقين (أى الدعاة المبشرين) إلى النواحي والاكتاف ليعنوا الاحياء على زيارة الحضرة (أى الباب) في ماكو (القلعة المعتقل فيها) مستصحبين معهم من يتسنى استصحابه من ذوي قرباهم وودهم ، وأن يجعلوا مركز اجتماعهم ماكو ، حتى إذا تم منهم العدد الكافي طلبوا من محمد شاه الإفراج عن حضرة الباب ، فإذا لبي الشاه طلبهم فيها ونعمت ، وإلا أنفذوا الحضرة (أى الباب) بصارم القوة وحد الاقتدار .

« وبعد أن تم تقرير هذه الأمور ، وتقبلها وعرفها الجمهور ... دار البحث حول الاحكام الفرعية (أى الصلاة والصوم والحج) من حيث التبديل وعدمه . وتبين بعد المذاكرات الطويلة التي دارت في المجالس الخاصة بين أكابر الاحياء أن أكثرهم يعتقد بوجوب (النسخ) و (التجديد) ، ويرى أن من قوانين الحكمة الإلهية في التشريع الديني أن يكون (الظهور) اللاحق أعظم مرتبة وأعم دائرة من سابقه ، وأن يكون كل خلف أرقى وأكمل من سلفه ، فعلى هذا القياس يكون حضرة (الباب) أعظم مقاماً وآثاراً من جميع الأنبياء الذين خلوا من قبله ، ويثبت أن له (الخيار المطلق) في تغيير الاحكام وتبديلها ، وذهب قلائل إلى عدم جواز (التصرف) في الشريعة الإسلامية ، مسقدين إلى أن حضرة الباب ليس إلا مروجاً لها ومصلحاً لاحكامها بما دخل عليها من البدعة والفساد ^(١) .

وكانت قرة العين من القسم الاول وهم المعظم ، لذا أصرت على وجوب إقحام جميع الاحياء وإشعارهم بأن للقاء مقام المشرع حق التشريع ، وعلى وجوب الشروع فعلاً في

(١) كأن الذي هم فيه واجتمعوا له في هذا المؤتمر ليس أخبث البدع وأفسد الفساد !

إجراء بعض التغييرات كإفطار رمضان ونحوه . وأما القدوس فإنه وإن كان على هذا الرأي إلا أنه كان متمسكا^(١) بالعادات الإسلامية^(٢) ، فصعب عليه تركها^(٣) . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى خشي إحجام (الجماعة) عن الموافقة ، ووقوع الخلاف والشقاق بينهم . ولكن الطاهرة كانت مصرة على رأيها^(٤) وكثيرا ما كانت تقول : « إن هذا العمل سيرز إلى ساحة الوجود لا محالة ، وسيطرق هذا القول آذان العام والخاص ، وإذن فكما أسرعتنا في الكشف عن هذه القوامض كان أليق وأوفق وأنفع للأمر وللعمل الذي سنقوم به ، حتى يفصل عنا كل ضعيف لا يحتمل التجديد ، ولا يبقى معنا إلا كل قوى مخلص يفدى بنفسه هذا السبيل القويم البديع » . وجاءت قرة العين ذات يوم فطرحت هذا الاقتراح الآتي على بساط البحث بين جماعة الأصحاب وقالت : إن ارتداد النساء في الشريعة الإسلامية لا يستوجب حد القتل ، بل يستلزم بذل النصائح اللازمة لمن واستتابتن وتفهيمن ما يرجع بهن إلى ورد التوبة والإيمان . فلا يتمر على^(٥) إذن أن أميط اللثام وأرفع الستار عن أسرار هذه المسائل حين غياب القدوس عن باحة المجلس ، حتى إذا وقعت تصرّجات موقع القبول وصادفت محل الاستحسان من الأصحاب تم المرام وبلغنا الغاية ، وإلا فعلى القدوس أن يياشر نصحي لأعداء عن هذا الجنون ، وأنفض اليد من الكفر ، وأتوب وأرجع إلى أحضان الإسلام^(٦) ، فاستحسن الأصحاب هذا المقترح^(٧) ، ولبثوا يتحينون سانح القرص إلى أن ألم بحضرة بهاء الله زكّام ، وتمارض القدوس ، فعند ذلك شرعت الطاهرة في تفهيم الاحياء حقيقة المقصود ، وكشفت السر المسكون من تبديل الفروع وتغيير الاحكام . فلما رنت في آذان الجميع هذه التصريحات دار التماس والتناجي بينهم ، ففريق أعجب بأفكارها ، وآخر أخذ بأطراف انتقادها ،

(١) أي كذبا وثقة (٢) والمعجب أن يسموا الصلاة والصوم عادات .

(٣) لأنه لا يزال محتاجا إليها في إنجاح تمثيل دوره الشيطاني .

(٤) القى كانت تستوحيه من رفقائها المتظاهرين بالتسل والتأني .

(٥) تنافا واستهواء وفجورا .

(٦) لأنهم هم أصحابه ومرتبه وملقنوه لهذه اللثة ، ليخادعوا بها وبدورها التمثيل هؤلاء الموام

الذين ضلواهم إلى صفوفهم بالخدمة والاساليب التبشيرية .

وذهبوا إلى القدوس يرفعون شكواهم منها إليه (١) . فبدأ القدوس هياجهم ولطف من ثورتهم بلسان اللين والملاطفة ، وأرجأ الحكم الفاصل في القضية إلى حين ملاقاتها واستطلاع الحقيقة منها ، ولما أن وقعت الملاقاة والمقابلة بينهما تباحثا مليا وقررا أخيرا أن يعودا إلى الاجتماع والبعث مرة أخرى . وقالت الطاهرة إنها ستلزمه الحجة وتقيم عليه البرهان القاطع ، وفي الميعاد المضروب اجتماعا وتحقق ما وعدت به الطاهرة من الإقناع والإلزام ، ولكن بالرغم من ذلك لم تهمد الضوضاء ، وما سكنت دمدمة الصاخبين الناقدين لرأى الطاهرة ، حتى كان من بعضهم أن جمع أمتعته وتناهى عنهم ولم يرجع إليهم .

• وفي أخريات الأمر تدخل حضرة بهاء الله في المسألة وأبرز من أساليب الحكم ولطائف الحزم ما هدا به روح الجميع ، وذلك أنه طلب إحضار المصحف الشريف ، فأحضر إليه أمام الجميع كله ، ففتح وقرأ سورة (الواقعة) وأخذ في تفسيرها وتأويلها وأفاض في شرحها وبيانها (أى بما يوافق اقتراح تغيير دين الإسلام) وأن القرآن نفسه أشار إلى ذلك وأبأ بوقوعه حتى اطمانت قلوب الجميع (٢) وعللوا بأنه لا بد من وقوع هذه الواقعة ، وحدثت هذه الحادثات كلها .

• وفي خاتمة المجلس تقرر تحرير هذه المسألة ورفعها إلى حضرة الباب في ما كوا والناس إصدار الحكم الفاصل الجازم منه فيها ، وهذا ما قد كان . وما علم فيما بعد وتبين أن خواص الاحياء كانوا على حق ، وأن رأى حضرة بهاء الله كان متفقا مع حكم حضرة الباب على (وجوب تغيير الشريعة) وأن القدوس وباب الباب والطاهرة كانوا أيضا قائمين على سواء السبيل وجادة اليقين في إدراكهم وفهمهم (أسرار الأمر) .

• أما الذين ضاقت صدورهم ولم تنسع لقبول هذا التجديد العظيم فإنهم قاموا بتشويش الأفكار وإفساد الناس على زمرة الاحياء ، ونجم عن ذلك ما نجم من إغارة عصابة من المسلمين عليهم واعتدائهم بالضرب والسلب وطردهم من الجهة . فنفرق عند ذلك جمع الاحياء

(١) والقدوس أخبث منها وأسبق اقتناها بما هم مقدمون عليه ، بل هو أحد الذين لقنوها الاقتراح ، ورسبوا هذا التدبير الخبيث لتكيد للاسلام وإعلان الردة عنه وكلمهم بمثلون أدوارا تواطأوا عليها من قبل .

(٢) لأن الذين كانت لا تزال في قلوبهم بقية من الاسلام انسحبوا ، وبقي الابلالة والمتفادون لهم

إلى ثلاث فرق : ففرقة سارت بركاب حضرة بهاء الله متجهة إلى طهران ، وأخرى ذهبت مع القدوس والطاهرة إلى مازندران ، وثالثة تحت لواء باب الباب واتتحت أولاً سميت مازندران ثم ولجت آخرأ ناحية خراسان ، ولكن الجميع أجمع العزم وعقد النية على تنفيذ ما تقرر في (مؤتمر بدشت) هذا من التجمع ولم الفعث في ما كور ، والعمل على إنفاذ حضرة الباب ، . انتهى بالحرف من كتابهم (الكواكب الدرية) المطبوع في القاهرة سنة ١٣٤٣ هـ (١٩٢٤ م) من ص ٢١٨ إلى ٢٢٣ .

المناظرات بين (الباب) وعلماء الشيعة :

وفي خلال اعتقال الباب أو تحديد محال إقامته كانت الحكومة الإيرانية تجمعهم بعلماء الشيعة ومجتهديها فيناقشونه وينظرونه على غير طائل ، وكان يكتب لهم كتابات حول الموضوعات التي يدور عليها الجسدل . قال أكبر دعاة البهائية أبو الفضائل الجرفادقاني في (الحجج البهية) صفحة ١٢٨ :

« ولعمري لم يجدوا مضماً في آياته ، وشبهة في كلماته ، إلا أنهم قالوا : فيها ما يخالف قواعد النحو والصرف ، ويخرجها عن حدود الفصاحة والبلاغة . وهو — جل ذكره — أحقهم بما جاء مثله في القرآن والسفر القديم ^(١) ، وقد أكلنا البحث في هذا المقام في كتاب (الفرائد ^(٢)) مبسوطاً مفصلاً .

وفي كتابهم (مقالة سائح في البابية والبهائية) الذي طبعه محفلهم الروحاني بمطبعة السعادة بالقاهرة سنة ١٣٤١ (١٩٢٢) صفحة ١٥ : « وبعد وروده (أي ورود الباب) على

(١) يريد الباب أن يقول : إذا كان في آياتي ما يخالف النحو والصرف ويخرجها عن حدود الفصاحة والبلاغة ، فإن في آيات القرآن كذلك ما يخالف النحو والصرف ويخرجها عن ذلك ! وقد جهل الذين علموه هذا الجواب أن قواعد النحو والصرف استخرجت فيما بعد من لغة القرآن ومن لغة جرير والفرزدق وأمثالهما ممن يشبه بالقرآن ، فالقرآن حجة على اللغة وشاهد عليها . كما أن جهل هذا الفر الأجوف حجة عليه وعلى الذين تفخروا في أوداجه وشاهد على سقطهم وكفرهم .

[٢] كتاب [الفرائد] للجرفادقاني المذكور ألفه سنة ١٣١٥ بالغة الفارسية دفاتاً عن البهائية وهو في ٧٣١ صفحة وطبعه بمطبعة أمين هندية بالقاهرة .

تبريز بأيام عقدوا مجلسا، وجاءوا بالباب إلى ذلك المجلس، وحضره من العلماء الاعلام نظام العلماء، وملا محمد مامقاني، وإمام الجمعة، وشيخ الإسلام على أصغر وبعض آخر من المجتهدين. وأخذ أعضاء المجلس يسألونه عن دعوته، فأجابهم بأنه (المهدي). فعند ذلك عم الهياج... وطالبوه بالبرهان، فتلا الآيات دون تأمل وقال: إن هذا برهان عظيم لبقائه إلى الأبد. فما كان جوابهم إلا الاعتراض على الكلام بأنه غير منطبق على القواعد النحوية. فاحتج عليهم بالقرآن وأتى منه بعدة شواهد لا تطبق على تلك القواعد. وفي أثر ذلك تفرق المجلس، ورجع الباب إلى مستقره. وكان حاكم أذربيجان في ذلك العهد ولي العهد، فلم يصدر منه أمر بشأن الباب.

ثم قال في صفحة ١٨: «عندما وصلت دعوى المهديّة إلى مسامع خـيـول المجتهدين والعلماء المتبحرين قاموا على المنابر صارخين صائحين: إن من ضروريات الدين المبين»^(١) بل من أقوى دعائم المذهب الجعفرى (غيبوبة) الإمام المعصوم الثانى عشر عليه السلام (ثم ذكروا علامات ظهوره بحسب النصوص التى يتوارثونها وقالوا): ما الذى جرى بمجالبقا، وأين ذهبت مجالبصا^(٢)، وما معنى الغيبوبة الصغرى، وماذا حدث للغيبوبة الكبرى؟ وما معنى أقوال حسين بن روح^(٣)؟ وأين ذهبت مرويات ابن مزيار، وكيف نعمل بطيران النقباء والنجباء، وإلى أين نذهب بفتوح الشرق والغرب، وأين حمار الدجال ومتى ظهر السفينانى؟ وأين العلام المذكورة فى أحاديثنا؟ فلا يخلو الحال: إما أن تنكسر أحاديثنا وننفي المذهب الجعفرى ونحسب النصوص الصريحة للإمام أضغاث أحلام، وإما أن نقضى بتكفير هذا الشخص بل نصد محوه أعظم فريضة.

[١] أى على مذهب الشيعة الامامية.

[٢] مجالبقا ومجالبصا [بضم الباء فيها] مدينتان اخترعتهما عقول أهل الخيال فزعموا أن أولاهما فى طرف للشرق والأخرى فى طرف للغرب وأن لكل منهما ألف باب وعلى كل باب ألف حارس، ولهما شأن فى علامات ظهور المهدي لانه وأولاداه ثلاثة يظهرون منهما ١١١.

[٣] هو الحسين بن روح النوبختى الثانى سنة ٣٢٦، وهو الباب الثالث للقائب. أما الباب الأول فقد كان محمد بن نصير (مؤسس النصيرية) يطمع فى أن يكون هو، وأبى ذلك عليه زملاؤه وولوا عثمان بن سعيد، وبهذه ابنة محمد بن عثمان الثانى سنة ٣٠٥، ثم النوبختى. والنوبختى أوصى بابائية إلى الباب الرابع على بن محمد للسرى فكانت له السفارة إلى أن مات سنة ٣٢٩ وبموته وقعت الفية الكبرى فى اصطلاحهم.

الحكم على (الباب) بالإعدام :

وحكم على (الباب) بالإعدام ، ونفذ الحكم في تبريز يوم ٢٨ شعبان سنة ١٢٦٦ فأخرجوا جثته إلى خارج المدينة ووضعوها على حافة الخندق^(١) ثم تفقدوها في اليوم التالي فلم يجدوها ، وقيل إن الوحوش أكلتها ، فاحتج مجتهدو الشيعة بذلك على فساد دعوى الباب بأنه هو المهدي لأن المقرر عندهم أن أجساد الأئمة الاثني عشر محفوظة ومصونة عن السباع والحشرات ولا يعثرها البلى ، وأنهم أحياء بعد موتهم فأجسادهم لا تبلى . فإذا كانت جثة الباب قد أكلتها الوحوش فهذا دليل على كذبه في دعوى المهدي . وقابلهم أتباع الباب بإدعاء أنهم اختطفوا الجثة بالليل وأنهم وضعوها داخل صندوق في مصنع رجل ميلاني ونقلوها من أذربيجان إلى جهة مجهولة^(٢) .

استغلال البهائ تركه الباب وخلافته :

وزعم البهائية أيضاً في كل كتبهم (ومنها مقالة سائح صفحة ٣٠) أن الباب لما علم بأنه سيعدم جمع مכתوباته وخاتمه ومقلته في جعبة ، وأرسلها مع مفتاحها بصحبة شخص اسمه ملا باقر ليسلمها إلى ملا عبد الكريم القزويني في مدينة قم ، فلما وصلت الجعبة إلى ملا عبد الكريم أعلن أنه مأور بإيصالها إلى ميرزا حسين على المازندراني (١٢٣٣ - ١٣٠٩) وبسبب ذلك انتحل حسين على المازندراني اسم (بهاء الله) ونازع كبار البايين مقام الرئاسة عليهم ، وأكثرهم - بل كل المتخلفين منهم في إيران - لم يسلبوا له بذلك ، وظلوا على باينتهم فلم يدخلوا في البهائية . وحتى أخوه يحيى المازندراني خالفه وادعى أنه أحق بالرئاسة منه ، وانفصل عنه لما كانا منفيين في (أدرة) فلم يقتل معه إلى عكا واختار أن يكون منفاه الجديد في بلدة ماغرة في جزيرة قبرص . فلم يبال حسين على المازندراني بكل ذلك وأصر على دعوى أن الباب كان (نقطة) وأنه (أى الباب) كـ محمد وعيسى وموسى إنما جاء ليبشر بمجيء البهاء ، وهذه هي مهمة جميع الأنبياء ، فقد جاءوا ليبشروا بظهور الله فيه ، وأن الباب اشتق من كلمة (بهاء الله) ثلاثمائة وستين اشتقاقاً ، إلى غير ذلك من السفاهات التي بني عليها أساطيره .

وسأتى على تفصيل ذلك في المقال التالي إن شاء الله ٢

حج الميرزا الخليل

[١] هكذا تزعم البهائية توطئة لادعاءات أخرى كما سيبي .

[٢] ولما ادعى البهاء وراثته الباب وانتقل إلى عكا سنة ١٢٨٥ جاء بجثة زعم أنها جثة الباب ودفنها على جبل الكرمل في فلسطين بين حيفا وعكا .



عمر بن عبد العزيز

بين الجود والاقتصاد

- ١ -

قد يجيب المطالع في سيرة الخليفة الخامس والإمام العادل عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ، حينما يرى أخباراً كثيراً تدل على جوده وكرمه وسخائه ، وأخباراً كثيراً تدل على اقتصاده وتقتيره وتشده ؛ وربما عز على المطالع أن يهضم هذه الأخبار التي تبدو كالمتناقضة ، أو ربما عز عليه أن يعللها ويوفق بينها .

وربما تعجل فوصف الخليفة العادل بأنه من أصحاب الشخصية المزدوجة على النحو المعروف في القصة المشهورة : « دكتور جيكل ومستر هايد » ، حيث نرى صاحبها رجلاً غاية الرحمة حيناً ، وقاسياً غاية القسوة حيناً آخر .

ولكن المتابع لسيرته المتمعن في أخباره يستطيع أن يجمع بين هذه الانبعاثات في نظام ، دون أن يجد خلالها تناقضاً أو تناقضاً ، ودون أن يجد في شخصية عمر ازدواجاً أو تعقداً ؛ فهو قبل الخلافة كان مترفاً متلافاً ، سمحاً جواداً ، يذبل ثيابه ، ويسرف في عطره ، ويدخل في طيبه القرنفل والعنبر بكثرة ، وتأتيه جبة الخز الغالية الثمن الرقيقة الحاشية الناعمة الملمس فيعدها خشنة ، ويتسع طعام داره حتى يقول : « لقد رأيتني وكنا لو ضاقت أهل قرية لوجدت ما يعمهم » .

وكان أثناء ذلك - كما يحدث التاريخ - من أعطر الناس والبسم وأخيلهم في مشيته ، يعرفه الناس برائحته الطيبة من بعيد ، ويتنافسون على غسل ثيابهم في الماء الذي غسلت فيه ثيابه ، ويحاول الجوارى تقليده في مشيته ذات الخيلاء ، ويجلب له التجار بدائع الثياب من هنا وهناك ...

وهو بفضل ذلك لأنه شاب ، ولأنه يملك ذات نفسه ولا يسأل عن غيره ، ولأنه في وسط ثرى غنى قادر ، لجده خليفة ، وعمه خليفة ، وزوجته بنت خليفة ، والمال من حوله كثير وفير ... وحسبك في تبيان جوده وسخائه قوله : « ما أعطيت أحداً مالا

إلا وأنا أستقله ، وإنى لاستعنى من الله عز وجل أن أسأله الجنة لأخ من إخوانى وأبخل عليه بالدنيا ، فإذا كان يوم القيامة قبل لى : لو كانت الجنة بيدك كنت بها أبخل ، ا .

ثم نرى عمر بن عبد العزيز فى الخلافة ، فإذا هو يشدد على نفسه ، ويضيق فى أمر ذاته ، وإذا نحن نراه وقد طبق نظام الاقتصاد والتقتير على نفسه بعنف لا مثيل له ؛ ليس الصوف بعد الحرير ، واستلان الخشن من الصوف ، وقد كان قبل الخلافة يستخشن الناعم من الحرير ، وأكثر من أكل العدى حتى قال خادمه يوماً متضايقا : « كل يوم عدى ؟ » . وأكل الثوم المسلوq بالزيت والملح ، وليس المرقع البالى ، وصار عنده — وهو الخليفة — قبص واحد ، يتسخ فيزرعه ليفسل وينتظره حتى يجف ؛ ويرقد الشمعة من بيت المال لينظر على ضوئها فى شئون المسلمين ، فإذا انتهى من ذلك وانتقل إلى شأنه أبى أن يستضيء بها وأطفأها ، وهزل هزالا شديدا حتى استبان أضرأه ، وقد كان من قبل سمينا تغيب حجرة إزاره فى طيات بطنه .

ويقول له بعض الناس : يا أمير المؤمنين ، إن الله قد أعطاك ، فلو لبست ا؟ . فيخفض رأسه مليا ثم يقول : « إن أفضل القصد عند الجدة ، وأفضل للمفو عند المقدرة » .

وإنما يفعل عمر ذلك ؛ لأنه قد صار خليفة على المسلمين ، وأصبح راعيا لهم مسئولاً عنهم ، فانقضى ذلك الفراغ ، وذهبت تلك الحرية أو السعة فى الوقت والرغبة ، وولى عهد الانطلاق فى رحاب الترف والدعة ، وأقبل عهد التبعة والواجب والاهتمام لأمر الأمة والسهر من أجل الرعية ... ولقد خب عمر رضى الله عنه وعب ، ولكل شىء نهاية ، وتطلعت عينه إلى الكثير من أمور الحياة فما استعصت عليه أمنية ، فلم يبق إلا التطلع إلى الخلود الدائم والمجد الصحيح ، إلى أداء الواجب وابتغاء رضوان الله .

ويترجم عمر عن ذلك التغير فيقول : « كانت لى نفس تواقه ، فكنت لا أنال شيئا إلا تأقت إلى ما هو أعظم منه ، فلما بلغت نفسى الغاية تأقت إلى الآخرة ، ا ... والرجل المشتاق إلى الآخرة لا يهتم للدنيا ولا يحرص عليها ، بل يفر منها ويتباعد عنها ، ولو كان بالأمس مقبلا عليها آخذاً منها .

ولكن تشدد عمر على نفسه لم يتجاوزه إلى غيره ، فبيما نراه آخذاً نفسه وأمرته بكل شدة وقسوة ، فارصاً على بيته التفتش المثالى والزهد البالغ ، نراه يرفق بالرعية ويوسع لها

ويحمل إليها حقوقها في أمانة وإحسان؛ وإذا كنا نراه في بعض الأحيان يراجع أو يحاسب، أو يعاقب على إسراف، أو يلوم على إفراط، أو يدعو إلى اعتدال، فلم يكن ذلك بخلا ولا شحاً، ولم يكن إعانة أو إرهاباً، ولكنها شرعة القصد التي دعا إليها الإسلام في الغنى والفقر، وأسلوب العدل الذي حبيب فيه عند الرضى والغضب، وطريقة الاقتصاد التي يكثر بها القليل ويدوم الكثير.

ومن الخير أن نفرق هنا بين الاقتصاد والبخل، فالاقتصاد حكمة وتدبير وتوفير، والبخل كرازة وشح وتقتير؛ والاقتصاد عدل وإنصاف، والبخل ظلم واعتساف؛ والاقتصاد توسط وإعداد، والبخل كنز وسوء اعتقاد؛ ويظهر الاقتصاد بصورة أوضح إذا لم يكن في مالك، بل في مال غيرك؛ لأن مال الغير لا يثير رغبة في حفظه، فإذا حافظت عليه مع ذلك ظهر الدليل على الحكمة والإخلاص؛ ويظهر معنى الاقتصاد أكثر وضوحاً من ذي قبل، ويختفي معنى الشح حينئذ، إذا كان المرء في ماله كريماً جواداً، وفي مال الناس مقتصداً مدبراً، وكذلك كان عمر رضى الله عنه. وثمة شيء آخر... لو كان هذا الاقتصاد ظاهراً في شأن عمر وحياته منذ نشأته لكان لظن الظانين به السوء مجال، ولأمكن أن يقال إن هذا بخل أو ازدواج شخصية، ولكن عمر كان كريماً معطاء قبل الخلافة، وكان كريماً معطاء بعد الخلافة، بل كان كريماً معطاء طيلة حياته، وإذا كان قد تشدد فإنما تشدد على نفسه وأهله ابتغاء وجه الله والدار الآخرة، وإذا كان قد حاسب على إسراف فذلك هو التأديب الواجب والحرص على مال الله ومال المسلمين. وإذا كان قد دعا إلى تدبير أو اقتصاد فإنما هو حسن الرعاية ودقة الولاية، وليس المستول عن نفسه كالمستول عن الأمة بأسرها، وقديماً صور جده الفاروق عظم هذه التبعة حين قال: لو عثرت ذابة على شط الفرات لحشيت أن أسأل عنها، لم لم أهد لها الطريق؟... وحين اعتبر نفسه مسئولاً عن الجبل يضع في الفلاة ١١.

لأن لم يكن ابن عبد العزيز باخلاً ولا شاحاً، بل كان عادلاً قاصداً، والقصد هو استقامة الطريق — كما تقول العربية — ومنه الاقتصاد، والاقتصاد المحمود ما كان بين طرفي الإفراط والتفريط: «والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً».

والاعتدال المعجب في الشخص العظيم هو أن يجمع بين صفتين يراها عامة الناس

كالضدين ، ولكنه يحسن الجمع بينهما ، فيكون في الأولى جيداً ، وفي الأخرى مجيداً ، وكذلك كان ابن عبد العزيز في كرمه واقتصاده .

* * *

لقد كان عمر بن عبد العزيز — رضى الله عنه — قبل توليه الخلافة مترفاً معطاء ، لباساً معطّاراً ذا خيلاء ، ولكنه لما تولى أمر الناس التفت إلى الأمانة ونهض بالثبته ، وانصرف عن الكثير من رغبته وطيلابه ، وأمسك عن الكثير من إنفاقه وبذله ، وما كادت مقاليد الخلافة تلتقي في يديه حتى أمر بالسور فمتكت ، والثياب التي كانت تبسط للخلفاء فحملت ، وأمر ببيعتها وإدخال ثمنها بيت المال .

وقال لزوجته بنت عبد الملك بن مروان — وكان عندهما جواهر لم ير الناس مثلاً ، أخذتها من أبيها — : اختارى ، إما أن تردى حليكِ إلى بيت المال ، وإما أن تأذنى لى فى فراقك ، فإنى أكره أن أكون أنا وأنت فى بيت واحد . فقالت : بل أختارك يا أمير المؤمنين عليه وعلى أضعافه لو كان لى . وردت كل ذلك إلى بيت المال .

ورد عمر جميع الهدايا التى قدمها الناس إلى الخليفة من قبل ، ومزق الكتب التى سجلت فيها أشياء من هذا القبيل ، وبدأ فى ذلك بنفسه وأهله . قال ابن أبي سبرة : لما رد عمر المظالم قال : إنه لينبغى أن لا أبداً بأول من نفسى ، فنظر إلى ما فى يديه من أرض أو متاع ، فخرج منه ، حتى نظر إلى فص خاتم ، فقال : هذا مما كان الوليد أعطانيه مما جاء من أرض المغرب ؛ فخرج منه .

ولما ذكره بأولاده وما يحتاجون إليه قال : « أكلهم إلى الله » ، ورد جميع القطائع ، كما رد الطيب والدراب والحرص الذين كانوا مخصصين له ، وعهد إلى ما كان يجرى على أهل بيوت الخلفاء من أرزاق خاصة وعطايا جسيمة فقطعها كلها بلا استثناء . ولما جاءت عمته ترجوه أن يرد إليهم ما جاءهم عن طريق من سبقه أبى ، فقالت له : إني رأيتهم يتسكلمون ، وإنى أخاف أن يهيجوا عليك يوماً عصياً — كأنها تهدده بثورتهم عليه — فقال واقعاً : كل يوم أخافه دون يوم القيامة فلا وقانى الله شره .

ووسطوا بعد ذلك ابنه عبد الملك قاتلين له : إن من كان قبله من الخلفاء كان يعطينا ويعرف لنا مواضعنا ، وإن أباك قد حررنا ما في يده ؛ فأخبر عبد الملك أباه بذلك فقال : « قل لهم : إن أبي يقول لكم : إنى أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم » .

ولقد أقبل عمر خليفة فوجد الإسراف ضارباً أطنا به ، ووجد المظاهر تستبد بالأمراء والسلطين ، فيرمقون فيها أنفسهم ويرمقون الناس معهم ، ووجد العطايا للطلابين ، والهدايا للشعراء والمادحين ؛ ولا بد من يد ضابطة : تعدل وتقتصد ، فكانت تلك اليد يد عمر بن عبد العزيز ...

• • •

إذن هذا رجل قد قسا على نفسه أشد القسوة ، وأخذ أسرته وأقاربه بالعزم والحزم ، ولم يخش في نهجه لومة لائم ، ولم يبال أن يتعب نفسه ومن معه ومن بعده غاية التعب ، ما دام ذلك في مرضاة الله .

فهل يكون ذلك الإصلاح والتشدد والصرامة مدعاة لكي يشتط أو يعنف أو يحسف ؟ هل يكون ذلك مدعاة لدخوله في باب الكرازة والشح والبخل المضرب بالناس المفضى إلى القبيح من الأمور ؟ أو هل يكون ذلك مدعاة إلى القول بأن عمر قد تغير في سماحة نفسه وكرم نفسه ؟ ... أو هل يكون ذلك - على الأقل - مدعاة للقول بأنه صاحب شخصية مزدوجة ، ١٩ ...

لا شيء من ذلك على الإطلاق فيما نرى ويرى كل منصف للحقيقة والتاريخ ؛ فعمر ابن عبد العزيز لا يزال الكريم الجواد ، ولا يزال الرفيق اللين ، ولا يزال سائراً على صراط العدالة والإنصاف . وإذا كان قد اشتد في أمر نفسه وأمر أهله وذوى قرباه ، فذلك ليعطي القدوة للناس ، وليبعد الشبهة عن حماه ، وليحقق ما يريد من رضا الله وإيثار الآخرة ، وضرب المثل الصالح للحاكم الشفوق والإمام العادل .

لم يكن تدقيقه إبان الخلافة ناشئاً عن حرص طارئ بعد سماح وانبساط يد ، وكيف وهو الذي يعيب الحرص ويثناه على سواء ولو من ذوى قرباه ، فيروى مالك بن أنس أن

عمر بن عبد العزيز قال لسليمان بن عبد الملك : « صحبت آباك فا رأيت حرصاً يشبه حرصهم على الدنيا ، ماتوا وتركوا ما أقدر ما كانوا عليها . »

وإذا كان عمر قد قسا على نفسه وصدها عما كان معتاداً لها قبل خلافته ، فقد استبان كرمه ورأفته بجماعة المسلمين ، إذ يحدث ضمرة عن الوليد بن راشد فيقول : « زاد عمر الناس في أعطياتهم عشرة عشرة ، العربي والمولى سواء . »

فهذه الزيادة السمحة منا على المسلمين عربهم ومواليهم ، مع ذلك التشديد البين هناك على نفسه وأهله ، مما ينادى بأن عمر لم يتغير في سماحته وكرمه ، بل بقى على أريحيته وجوده ، وانضم إلى ذلك شعور عميق عنده بالتبعة التي ألقيت على عاتقه ، وإحساس قوى بتلك العقبة الكوود التي لا يتخطاها المسلم إلى جنة ربه إلا بالصدق والإخلاص وحسن الجهاد : « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين . »

وما هو ذا عمر رضى الله عنه يعضى في سفته الخيرة البارة ، فيواصل إعطاءه لمستحق الإعطاء من العاملين والفقهاء ، وزراه يكتب إلى واليه على حمص قائلاً : « انظر إلى القوم الذين نصبوا أنفسهم للفقهِ وحسبوا في المسجد عن طلب الدنيا ، فأعط كل رجل منهم مائة دينار ، يستعينون بها على ما هم عليه ، من بيت مال المسلمين ، حين يأتيك كتابي هذا ، وإن خير أبر عاجله ، والسلام عليك . »

رضوان الله على ابن عبد العزيز ؛ لقد صدق ، تغير الخير عاجله ، ولا يقول هذا إلا أريحي نبيل ، ولا يهدى إلى مثل ذلك الصنيع إلا كريم مطبوع ...

ويكتب إلى والي حمص أيضاً يحرصه على مساعدة العلماء ومعاونة القارئ والمحدثين حتى يتفرغوا لقراءتهم وعلمهم ، وحتى لا تشغلهم مطالب حياتهم عن رسالتهم ، فيقول له : « مر لأهل الصلاح من بيت المال بما يغنيهم ، لئلا يشغلهم شيء عن تلاوة القرآن وما حلوا من الأحاديث . »

ولعل ذلك الصنيع من أقدم السنن المشكورة في التاريخ ، التي تعمل على نهضة الجو الصالح لطالاب العلم والمعرفة ...

ولقد بعث عمر يزيد بن أبي مالك الدمشقي والحارث بن عبيد الأشعري يفتحان الناس في البدو ، وأجرى عليهما رزقا ، فقبل يزيد العطاء ورفضه الحارث ، فكتب عمر يقول : « إنا لا نعلم بما صنع يزيد بأسا ، وأكثر الله فينا مثل الحارث بن عبيد الأشعري ، ا » .

ومعنى هذا أن المال يعطى لمستحقه وعند الحاجة إليه ، فإذا أراد المرء أن يجعل عمله تطوعا لا اقتداره على شئون حياته من جهة أخرى فيها ونعمت ، وكفى الله بيت مال المسلمين مشوة تذهب بلا غرض وطلب ا

« يفتح »

أحمد الشرباصي

المدرس بالآزهر

إمبراطور ألمانيا

لما زار بيت المقدس

كتب غليوم الثاني إمبراطور ألمانيا كتابا تاريخه ٩ نوفمبر سنة ١٨٩٨ إلى قريبه نقولا الثاني قيصر روسيا ، يصف له فيه شعوره عند زيارته مدينة القدس فقال :

« لما غادرت الأماكن المقدسة كنت أشعر بخجل عظيم من المسلمين ، وكنت أقول في نفسي : لو لم يكن لي دين عند وصولي إلى القدس لكنت قد اعتنقت حتما الدين الإسلامي » .

نصرة الله لأوليائه

وتوفيقه لهم

- ٢ -

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله قال : من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلى عبدي بشيء أحب إلى مما افترضت عليه ، وما يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها ؛ وإن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه ؛ وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددى عن نفس المؤمن : يكره الموت ، وأما أكره مساءته ، رواه البخارى

• • •

علمت فيما تقدم من شرح هذا الحديث من هم أولياء الله ، وما هو أحب شيء يتقرب به العبد إلى مولاه ، حتى يكون سمعه وبصره ويده الخ . هذه العبارات القدسية العالية التى عرفت ما فيها من التأويل القائم على التثليل .

والآن نرى لك بموعدتنا إياك أن نشرح لك سائر ما تضمنته هذا الحديث الكريم من فضل الله على عبده ، وعظيم إحسانه إلى وليه . فمن ذلك قوله تعالى فيه : « وإن سألني لأعطينه » ، وأنت خير بأن التعبير على هذه الطريقة التى لا ينص فيها على مسئول بعينه ، ولا على عطاء (معطى) بذاته إنما يأتي فى كلام العرب على أحد وجهين :

أما أولهما : فهو إرادة العموم على ما يقتضيه المقام فى المسئول والعطاء . وتأويله على ذلك : « وإن سألنى شيئاً لأعطينه سؤاله أو خيراً منه . وفى ذلك يقول العلماء : إن الإجابة تنوع ، فتارة يقع المطلوب ناجزاً بعينه ، وتارة يتأخر للحكمة ، وتارة تقع الإجابة لكن بغير المطلوب ، حيث لا تكون فى المطلوب مصلحة ناجزة ، وفى الواقع مصلحة ناجزة أو أصلح منها . ولا عجب فى هذا التنوع الذى ذكرروه ، فإنما هو من خيرة الله لعبده ، وحسن تديره لأمره ، والله سبحانه وتعالى يقول : « وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى

أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون ، وقد صرح بتفويض الإجابة فيأرواه عبادة بن الصامت رضى الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال : ما على الأرض مسلم يدعو الله تعالى بدعوة إلا آتاه الله إياها ، أو صرف عنه من السوء مثلها ، ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم . فقال رجل من القوم : إذن نكثرك ؟ قال : الله أكثر - أى إجابة - رواه الترمذى . وقال : حديث حسن صحيح ، ورواه الحاكم من رواية أبي سعيد وزاد فيه : « أو يدخر له من الاجر مثلها » .

وأما الوجه الثانى : فهو أن يكون المراد على إثبات أصل الفعل بقطع النظر عما يتعدى إليه . ونظيره قوله تعالى : « قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » ، أى من يحدث لهم العلم ومن لا يحدث لهم . وعليه يكون التأويل : وإن كان من عبدي سؤال ليكون منى إعطاء ، إشارة إلى أن مطلق سؤال العبد لمولاه عند الله بمكان ، وأن كون الإجابة من الوهاب الكريم لا تكون إلا على مقتضى هذا الإسناد العظيم . ولا عجب فى أن تنصرف العناية والاهتمام على هذا الوجه إلى السؤال فى ذاته ، فانه سبحانه وتعالى يقول : « قل ما يعبدكم ربى لولا دعاؤكم ، وفى الحديث « الدعاء هو العبادة » . ولا عجب كذلك أن تنصرف العناية إلى الإعطاء فى ذاته اكتفاء بإسناده إلى المعطى ، فالعرب تقول : « خير من الخير معطيه » .

• • •

أما قوله تعالى فى هذا الحديث : « ولئن استعاضنى لأعبدته » ، ومعناه : ولئن طلب منى عبادى ، ومعنى إياه مما يخاف ، فالوجه فيه هو الأول : وهو إرادة التعميم ، لكن على ما يقتضيه مقام الاستعاذة من التعيين لا التتويج ، إذ ليس سواء مقام الرغبة والاختيار ، ومقام الرهبة والاضطرار .

هذا - ولا قيد للإجابة فى السؤال والاستعاذة إلا من حال العبد نفسه . وعن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال : « من فتح له باب من الدعاء فتحت له أبواب الرحمة » . ولهذا روى عن عمر رضى الله عنه أن الهمة إنما هى فى السؤال ، أما الإجابة فقد تكفل الله بها . فما ذهب إليه بعض العلماء من تقييد كل ما ورد من آيات الإجابة على الإطلاق بقيد المشيئة حلاً للمطلق على المقيد الذى هو قوله تعالى : « بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون

إليه إن شاء وفسون ما نشركون ، لا يصح ، لأن ذلك إنما يكون عند اتحاد جهة الخطاب ، والآية إنما هي خطاب للمشركون لا للمؤمنين فضلاً عن أولياء الله المتقين ، وإن كان للإجابة والإعازة مراتب بمقدار ما بين الفريقين من المراتب .

ويصف ذلك ابن القيم رحمه الله حين يتعرض لمراتب تجريد التوحيد في تفسيره « للمعوزين ، قال : فإن كل إيمانه أى العبد كان دفع الله عنه أتم دفع ، وإن مزج مزج له ، وإن كان مرة ومرة فاقه له مرة ومرة كما قال بعض السلف : من أقبل على الله بكلية أقبل الله عليه جملة ، ومن أعرض عن الله بكلية أعرض الله عنه جملة ، ومن كان مرة ومرة فاقه له مرة ومرة . وحسبنا في الرد على ما ذهب إليه بعض العلماء من إطلاق التقييد ما ورد في الحديث من أن الله يستحي أن يرد يد عبده صفراً - أى خالية .

وكون التعميم في الإعازة على التبيين لا التتويج هو أشرف مقامات الامتتان بقوله تعالى : « آمن بحبيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء » ويشير إليه ما ورد في دعاء العباس رضى الله عنه الذى سقى به أهل الرمادة حتى طفق الناس يمسحون أركانهم [نواحيه وجوانبه] ويقولون : منيئاً لك ساقى الحرمين . اللهم إنك لم تنزل بلاء إلا بذنب ، ولم تكشفه إلا بتوبة ، اللهم إليك جوع كل جائع ، وعرى كل عار ، وخوف كل خائف ، وضعف كل ضعيف .

وأما قوله تعالى في هذا الحديث : « وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددى عن نفس المؤمن : يكره الموت وأنا أكره مساءته » ومعناه : وما ترددت عن فعل شيء كترددى عن قبض نفس المؤمن - أى روحه - والمساءة كناية عن الموت أو الفتن والمحن التى لو مد فى أجله لأدركته . فهو من قبيل التمثيل أو المجاز فى الإسناد . وإليك أظهر ما قاله العلماء فيه :

قال الخطابي : التردد فى حق الله غير جائز ، والبداء عليه فى الأمور غير سائغ . لكن له تأويلان :

أحدهما : أن العبد قد يشرف على الهلاك فى أيام عمره من داء يصيبه ، أو فاقة تنزل به ، فيدعو الله فيشفيه منها ، ويدفع عنه مكروهاً ، فيكون ذلك من فعله كتردد

من يريد أمراً ثم يبدو له فيتركه ويعرض عنه . ويشهد لتأويله هذا إذا تأملته قوله تعالى : « وما يعمر من معمر ولا يتقص من عمره إلا في كتاب » وحديث : « من أحب أن يبسط له في رزقه ، وينسأ له في أثره ، فليصل رحمه » على أن الأثر هو العمر . وروى - في عمره - بدل في أثره .

والثاني : أن يكون معناه : ما رددت رسلي في شيء أنا فاعله كترديدي إياهم في نفس المؤمن أي قبضها . كما روى في قصة موسى عليه السلام مع ملك الموت ، وتردده إليه مرة بعد أخرى . وعلى تأويله هذا يكون إسناد التردد الذي هو فعل الملائكة إلى الله تعالى إسناداً مجازياً لأنهم بأمره يترددون . . ولهذين التأويلين الشريفين عندي وجهان آخران : أحدهما : تصوير تأخير قبض روح المؤمن كلما أدركته أسباب الفناء والاضمحلال إلى أن يصل في عمل الصالحات إلى المنزلة التي يرضاها الله له بتردد المتردد بين الأمرين ، أو تصوير نظر الله تعالى إلى ما هو الأفضل لعبده من حيث حسن الختام من تعجيل الموت أو تأخيرها ، وإفادته ما هو الأرجح له منهما ، بتردد المتردد بين الأمرين ليأخذ بأفضلهما .

وثانيهما : أن يكون المعنى على ترديد الرسل حتى يقع الموت من نفس الولي موقع الرضا حين يكشف عن بصره فيرى منزله من الجنة كما هو شأن المختصر من المؤمنين . وبذلك قيل في تفسير بشرى الأولياء في الحياة الدنيا في قوله تعالى : « لم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة » ، أو حين تبشره ملائكة الرحمة ببشائر منها دخول الجنة . وقد جاء في تفسير قوله تعالى : « إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون » أن معناها « لا تخافوا » من الموت أو بما تقدمون عليه من أمر الآخرة أو من ذنوبكم « ولا تحزنوا » فاقه يغفرها لكم أو « ولا تحزنوا » على ما خلفتم من أهل وولد ، فاقه يخلفكم في ذلك كله ؛ وحسبهم قول الملائكة لهم بعد ذلك في مقام التعليل والتبيين : « نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة وإياكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تقدمون نزلاً من غفور رحيم » .

وهذا الوجه أولى من الاستشهاد بقصة موسى عليه السلام ، لأنها خاصة لاعامة لجميع المؤمنين ؟

محمد قمرج العقدة

المدرس بكلية اللغة العربية

أسرار الشريعة الإسلامية

في تقدير أنصبة الزكاة وسائر الصفقات الشرعية

قال النبي ﷺ : « منعت العراق درهمها وقفيزها ، ومنعت الشام مديها^(١) ودينارها ، ومنعت مصر إردبها ودينارها ، عدتم من حيث بدأت ، والحديث من باب الإخبار بالغيب ، يعني أن هؤلاء سيمنعون إخراج الزكاة والصدقات بدليل باقي الحديث . وعدتم من حيث بدأت ، أي تعودون ، فهو بمعنى الحديث « بدأ الإسلام غريباً وسيعود كما بدأ ، .

إلا أن لذلك الحديث دلالة أخرى على ما نشده ، فقد ذكر لكل بلد مقادير عرفها وما اصطلحت عليه لنفسها ، فهو إقرار منه ﷺ لكل بلد على « تقودها وأوزانها وأكيالها ، إذ أن وزن دينار الشام لم يكن مساوياً لوزن دينار مصر وهكذا وإن اتفقت الأسماء .

وهنا التساؤل : — هل يكون هذا إقراراً من الشرع لعرف كل بلد في تقدير أوزانهم وأكيالهم وتقودهم مطلقاً حتى في حقوق الله المعينة ، كتقدير أنصبة الزكاة والنفقات والديات وزكاة الفطر ... ؟

الجواب : — ليس هذا إقراراً للعرف في كل ما يتعلق به هذا التقدير ...

فإن النبي ﷺ قال في معرض تقدير حقوق الله المعينة . « المكيال مكيال أهل المدينة ، والميزان ميزان أهل مكة ، يعني ﷺ أن « مكيال أهل المدينة » هو المعتبر في تقدير الحبوب والثمار في نصاب الزكاة ومقادير النفقات الخ ، وأن « ميزان أهل مكة » هو المعتبر في تقدير الذهب والفضة لهذه الصفقات الشرعية ...

ولذلك أجمع أهل العصر الأول في الإسلام على أن الشريعة الإسلامية وإن أقرت عرف كل قوم استناداً إلى الحديث الأول « منعت العراق الخ » في تقدير تقودهم وأوزانهم

(١) للدي باليا مكيال شامى أكبر من الصاع الشرعى وهو الفرق غير للشرعى وسيأتى بيان الاثنين

وأكيالهم ، إلا أن هذا الإقرار مخصوص بما يتعلق بحقوق الناس فقط من مبادعات ومبادلات دون حقوق الله المعينة ...

بمعنى أنه إذا اصطلاح جماعة فيما بينهم على ميزان أو مكيال مخصوص ، وصار معروفا لكل بائع ومشتري من غير غبن لأحدهما صح التعامل به شرعا فيما يتعلق بحقوق الناس كاصطلاح أهل مصر الآن على مقادير (إردبها وقدحها وقنطارها ورطلها ودرهمها ، والجرام والكيلو جرام والليتر) .

إذ تكفل ببيان هذه المقادير كتبها المدرسية للحساب والطبيعة والكيمياء ، كما تكفل ببيان مقاييسها الطولية والحجمية كتب الرياضنة والهندسة ، فهي معلومة لهم مشهورة فيما بينهم ، ولذا كانت التعامل بها شرعيا صحيحاً في كل ما يتعلق بحقوق الناس من مبادعات ومبادلات .

أما حقوق الله المعينة (كأنصبة الزكاة ومقادير النفقات والديات وزكاة الفطر) فلا يكنى في تقديرها عرف كل قوم من أكيال وأوزان ونقود إذ أنه قد ورد في تقديرها مقدرات وزنية وكيالية ونقدية على لسان نبيينا صلى الله عليه وسلم (كالدرهم والدينار والمثقال والأوقية والرطل والمذ والصاع والفارق ، بالفاء ، والعرق ، بالعين ، والوسق والفقيز إلى غير ذلك) وقد ثبت أن هذه كانت أسماء أنواع بل أجناس تحتمل أنواع مختلفة المقادير والقيم عند العرب فلا يرفع الغبن فيها على إطلاقها عرف كل بلد . . .

ولذا أجمع العلماء على أنه لا بد من الرجوع في تقدير ونقود وأوزان أنصبة الزكاة ، إلى عرف أهل مكة حين فتحها الإسلام ، وفي تقدير أكيال هذه الأنصبة إلى عرف أهل المدينة أثناء حياة الرسول صلى الله عليه وسلم . والحكمة في ذلك أن أهل مكة كانوا أهل تجارة فهم أدرى بالنقود والأوزان ، وأن أهل المدينة كانوا أهل زراعة فهم أدرى بالأكيال .

وإذ مضى على هذه الأوزان والنقود والأكيال عهود طوال مختلفة الحكومات والحضارة تغيرت فيها وحدانها حتى لحق بها الإبهام والشك لجملة أسباب :

و منها ، عدم العناية بحفظ نماذج لهذه الأوزان والنقود والأكيال حتى يرجع إليها في الأجيال المقبلة كما تفعل الآن مصر وسائر الأمم المتحضرة .

و منها ، انزواء العلوم الآلية لإتقان صنع هذه المقدرات وفهم مدارك الأولين في كيفية لإنشائها وتقاسيمها كالرياضة والطبيعة والكيمياء في بعض تلك العهود خصوصاً عند المسلمين لما دامهم من حروب ودماء مع انتقال آثار هذه المقدرات من كنوز الشرق إلى متاحف الغرب .

و منها ، ورود أسماء هذه المقدرات على لسان الشرع مطلقة غير مقيدة بما يميزها إذ كانت العرب تطلق الألفاظ (درم - مثقال - دينار - أوقية - مد - صاع - إلخ) على أوزان ونقود وأكيال مختلفة المقدار والقيمة والانتساع اتكالاً على ذكاء السامع أو المطلع كما كانت يجاها العرب حينئذ ، وابن سينا المتأخرين من سجايا المتقدمين . . .

و منها ، استعمال بعض المؤلفين من المتأخرين كلمات (دائق — قيراط — حبة) في تقدير هذه الصفقات الشرعية على إطلاقها ظناً منهم أن مقدار كل منها موحد معين ، والحقيقة أنه مشترك بين مقادير مختلفة إذ أن مقدار الدائق المصرى القديم أكبر من الدائق العبرى الأكبر من دائق عبد الملك الأكبر من الدائق الرومانى هكذا ، والمثل كان مستعملاً في التقدير عند العرب الأولين .

و منها ، استمرار الفقهاء والمؤلفين في تقديرها بوحدة الحب من مادة القمح أو الشعير أو العدمس وهى لا تحفظ وزناً ولا حجماً دون الرجوع إلى وحدة الماء الصافى ، فكثرت أقوالهم ونشبت آراؤهم في مقاديرها .

ولذلك رأيت أن أرجع إلى أوزان ونقود وأكيال الأمم المجاورة للعرب كفارس ومصر والشام في عهد النبوة والخلفاء الراشدين ، وأن أتبع ما حدثته كل خلافة أو حكومة بالذات أو بالاستتاج بعد خلافة أبى بكر إلى آخر عهد الأمويين وأوائل العباسيين ، خصوصاً ما اتفق عليه الأئمة الأربعة واستقر العمل عليه إلى الآن ، مستعيناً في جميع المراحل بروايات المحدثين والمؤرخين والفقهاء وعلماء الآثار وعفوظات المتاحف

مع العلم بأنه لم يثبت أن للعرب أى صنع أو إنشاء أو تغيير فى هذه الأوزان والنقود والأكيال إلا فى عهد المأمون .

وهذه جملة الأوزان والأكيال والنقود التى كانت مستعملة فى بلاد العرب زمن النبوة محولة إلى الجرام والليتر والرطل البغدادى المساوى (٤٠٨ جرام) .

أوزان ونقود استعملها أهل مكة وسائر العرب إلى آخر عهد الخلفاء الراشدين	
الوزن بالجرام	أنواع وصفات إجمالية
٢٢٩.٨٤	رطل روماني (لبرا) يساوى (١٢) أوقية أو (٧٢) مثقالا أو (١٠٠) درهم
٢٨٨.٣٢	أوقية رومانية للوزن والنقد تساوى (٤٠ درهما يمنيا خراسانيا) .
١٤٨.١٦	أقدم مثقال وأصله مصرى ونقد فضة واستعمله العرب باسم (نش)
٨.٥	نقد ذهبى فارسي استعمله العرب باسم (دينار) ثم انزوى بعد فتح مكة .
٥٨.٦٦٤	درهم نقد ووزن روماني وفارسي استعمله العرب باسم درهم بغلي كبير .
٤.٧٢	مثقال وزن نيروني ثم صكه قسطنطين ذهابا فسماه العرب (دينار) .
٤.٥٣	صنجة وزن قسطنطيني استعمله العرب باسم مثقال ولم يصك نقدا أبدا .
٤.٢٥	درهم وزن ونقد ثم صكه نيرون ذهابا فسمى (بالدينار العربى) .
٣.٧٧٦	درهم فضة فارسي وروماني استعمله العرب باسم درهم بغلي صغير .
٣.٥٤	أقدم وحدة وزنا ونقدا وأصله مصرى قديم وكان العرب تسميه (نواة) .
٣.١٨٦	درهم خوارزمي وزنا ونقدا وهو جزء من ١٢٨ من الرطل البغدادى .
٣.١٧١	درهم وزن وهو واحد من ($\frac{1}{128}$) من الرطل البغدادى ولم يصك نقدا .
٣.١٤	درهم وزن نيروني يسمى بالدرهم العربى ($\frac{1}{128}$ من الرطل البغدادى) .
٢.٨٣٢	درهم نقد نيروني باسم (ساليك) $\frac{1}{128}$ المثقال العربى أشهر باسم (درهم همر) .
٢.٣٦	درهم وزن ونقد روماني صكه هرقل ذهابا فسماه العرب هرقل .
١.٨٨٨	درهم نقد فضة روماني وفارسي استعمله العرب باسم (الدرهم العبرى) .
٠.٧٠٨	أصله دائق وزن فرعونى وهبرى وروماني ودرهم نقد يمنى خراسانى .

أكيال رومانية للمعرب استعملوا العرب جاهلية واسمها ونسبة وزنها إلى مجموعها ٧٩٪					
أسماء الأكيال		وزن الحب			جسم الحب
بالعجم	بالعربية	بالنخل	بالشعير	بالكروم	بالفحم
دقن أوجرب	١٦ أوسية	٥١٢	٤٦٤,٦١	٤٠٨,٨٩٦	٢٦٤
وصو	إردب	٢٢٠	٢٩٠,٤	١٤٠,٤٦	١٦٥
إردب (قنبر)	أربع وبيات	١٢٨	١١٦,٦	٥٤,٢٢٤	٦٦
عرق	ربع أردب	٨٠	٧٢,٦	٣٤,٦٤	٤١ ½
قفين	منقورية	٦٤	٥٨,٠٨	٢٦,١١٢	٢٢
صاع حاشي	ويب	٢٢	٢٩,٠٤	١٤,٠٥٦	١٦ ½
قنبر (رشاش)	هيكيت (مد)	١٦	١٤,٠٥٢	٦,٠٢٨	٨,٢٥
مكوك (مكوك)	مكوك	٨	٧,٢٦	٣,٦٢٤	٤,١٢٥
قط أمري	حاريس	٤	٣,٦٢	١,٦٢٤	٢,٠٦٢٥
مد أمري	قنبر (مد)	٢	١,٨١٥	٠,٨١٥	١,٠٣١٢٥

أكيال عبرية استعملوا العرب فصرها بالمدية النورة ونسبة وزنها إلى مجموعها ٧٩٪					
أسماء الأكيال		وزن الحب نسبة ٧٩٪			المجموع الكلي الصرى
بالعجم	بالعربية	بالنخل	بالشعير	بالكروم	بالفحم
صاع مدني	ضعف كيت	٥ ½	٤,٨٤	٤,١٧٥	٢,٧٥
ظمدن	كيت (كيت)	٢ ¾	٢,٤٢	١,٠٨٨	١,٢٧٥
مدني	ضعف كيت (مدعبر)	١ ½	١,٢١	٠,٥٤٤	٠,٦٨٧٥

وسفين ما اختبر منها لتقدير الصفقات الشرعية في حياة الرسول ﷺ ثم زمن خلفائه الراشدين وما طرأ عليه تصغير أو تكبير في عهود أمير المؤمنين عمر والخليفين معاوية وعبد الملك وما استقر عليه رأى الأئمة الأربعة واستمر إلى الآن. كل ذلك سفسرته في فرصة أخرى، والله الموفق.

محمد أبو العصور البنا
مدرس الفلك بالأزهر

غزوة الخندق

مفاجأة الخندق - الدعاية كسلاح من أسلحة الحرب

في هذه الغزوة ^(١) ظهر سلاحان جديدان من أسلحة الحرب ، كان لهما أثرهما في هزيمة قريش وحلفائها ...

قابل الرسول ﷺ المهاجرين من قريش بسلاح لم يكونوا يعرفونه ولم يكونوا ينتظرونه ، ذلك هو الخندق الذي حفره حول المدينة ، فأسقط في أيدي قريش من هول المفاجأة، وغاب ظن عشرة آلاف رجل اجتمعوا من كل مكان بمحذوم أمل كبير في القضاء على محمد ﷺ وعلى دينه .

وتمت سلاح آخر أصاب به الرسول مقتلاً من قريش وحلفائها من اليهود ، لأنه استخدمه في الوقت المناسب ، فكان هذا دليلاً على البراعة الفائقة من قائد جيش الإسلام في اختيار السلاح المناسب لمقتضى الحال . ذلك هو سلاح الدعاية .

فهذا السلاح أنقذ الرسول المسلمين من خطر كان عميقاً ، فنع أمراً خطيراً لو تم لترتب عليه أسوأ النتائج للمسلمين ، فقد استطاع الرسول أن يوقع الفتنة بين قريش التي تواجهه ، والخندق يفصل بينها وبينه ، وبين اليهود الذين كانوا خلفه ، وكان بينه وبينهم عهد فنقضوه نصرة لقريش ، وكادوا يتأهبون لقطعته من الخلف .

سلاحان جديدان حقق كل منهما أثره القوي في أعداء المسلمين ، وكان كل منهما آية من آيات حسن القيادة .

(١) في أواخر شوال سنة خمس من الهجرة .

حذر وبقظة :

آن للمسلمين بعد هذه الانتصارات المتتابعة التي أعقبت أحداً أن يركنوا إلى حياة الهدوء والطمأنينة ، إلا أن هناك أموراً لم تكن لنفوس على النبي عليه الصلاة والسلام ، ولم تكن لتخفى عليه ، فقد قدر الموقف كما يفعل القادة العسكريون ، فانهى إلى أن الأمر يقتضى كل الحذر واليقظة .

فهذه قريش وعلى رأسها أبو سفيان قد أصابها ما أصابها من ذل وهوان بعد انسحابها أمام المسلمين يوم الموعد (بدر الآخرة) ولم يكن نخاذلها عن القتال بسبب هزيمة عسكرية بل كان تفادياً للقتال في عام جدد لا زرع فيه ولا ثمر ، فلا بد إذن أن يكون اعتكافها إلى حين ، ولا بد أن يكون لغيابها حد ، ولا شك في أنها تترصد وتتحرز بما ركن في غريزتها العريية من حرص على الثأر !

وهذه اليهود من بنى قينقاع وبنى النضير قد أجلبت عن موطنها ، وشدت شملها وذهب عنها استقرارها وخيرها ، هل يكون ذهابها إلى غير رجعة ؟

ثم إن اليهود يعلمون مبلغ عداوة قريش للمسلمين ، وقد دار مناهضتها للدعوة المحمدية ، فإذا هم عرضوا على قريش مساعدتهم لنضال محمد فلا بد أن هذا العرض واجدد منها قبولاً وترحيباً .

وهذه عرب غطفان وعرب هذيل وسائر قبائل الجزيرة العريية بعد أن أصابها ما أصابها لا بد من تحينة الفرصة للقضاء على محمد .

فكر الرسول صلى الله عليه وسلم - في تقديره للبوقف - في هذا كله ، فانخذ حياها ما تقتضيه القيادة الحكيمة من حذر دائم ، وحيطة لا يلين لها عود ، فبت العيون والأرصاد في أنحاء الجزيرة العريية يوافونه بأخبار العرب في الوقت المناسب الذي يمكنه من الاستعداد لرد العدوان .

اليهود يؤلبون العرب :

ولقد كان الرسول الكريم في اتخاذ سياسة الحذر على حق ، فقد كان يهود بني النضير أول من أخرج فسكرة تأليب العرب على النبي ﷺ إلى حيز التنفيذ ، فسار نفر من أكابرهم : من بينهم سلام بن مشكم ، وكنانة بن أبي الحقيق ، وحيي بن أخطب ، وغيرهم ، حتى قدموا مكة على قريش ، فسأل أهلها حياً عن قومه ، فقال : تركتهم بين خير والمدينة يترددون حتى تأتوهم فتسهروا معهم إلى عهد وأصحابه ، وسألوهم عن بني قريظة فقال : أقاموا بالمدينة مكرراً بمحمد حتى تأتوهم فيميلوا معكم .

فقال قريش لليهود : إنكم أهل الكتاب الأول وأصحاب العلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد ، أفديننا خير أم دينه ؟

فقال اليهود : بل دينكم خير من دينه ، وأتم أولي بالحق منه ، فشجع هذا القول قريشا ، ونشطت لما دعهم اليهود إليه ، وبذلك جمع أبو سفيان أربعة آلاف رجل وثلاثمائة فرس ، وألفاً وخمسمائة بعير لهذا الغرض .

وظفقت اليهود تحرض قبائل العرب على محمد ، فأنت غطفان من قيس بن عيلان ، وجملت لهم تمر خبير سنة كاملة إن هم نصروها ، لجمعوا رجالا كثيرين وألف بعير على رأسهم عيينة بن حصن الفزاري ، وجمع بنو سليم سبعمائة مقاتل على رأسهم سفيان ابن عبد شمس .

وخرج كل من أشجع وبني مرة في أربعمائة رجل ، يقود أشجع مسعر بن ربيعة ، ويقود بني مرة الحارث بن عوف ، وكذلك خرج بنو سعد وبنو أسد يقودهم طليحة بن خويلد ، وانضم إليهم كثير من قبائل العرب . وعلى الجبل فقد بلغت هذه القوات في مجموعها نحو عشرة آلاف مقاتل ، يزعمهم أبو سفيان ، وبدأت زحفها نحو المدينة .

خطة المسلمين:

كانت أبناء الأعداء تتوالى على النبي ﷺ من أعوانه الذين بهم في أنحاء الجزيرة ، فلما

أيقن أنهم قد حشدوا له هذا الحشد الهائل، نظرفيمن حوله من المسلمين، فإذا هم ثلاثة آلاف، وتساءل: كيف يتسنى لهذا العدد الضئيل أن يقف أمام هذا الجيش المرمر من المشركين؟ وكأنه تذكر غزوة أحد حيث كان المشركون ثلاثة آلاف وكان المسلمون ألفاً ومزموا، والآن والمشركون عشرة آلاف والمسلمون ثلاثة آلاف فالامر واضح جلي.

وهكذا لم يكن بد من التحصن للدفاع عن المدينة، وكأنه تذكر قول عبد الله بن أبي (ابن سول) في شأنها: —

«... إن مدينتنا يا رسول الله عذراء، ما فضت علينا قط، وما دخل علينا عدو فيها إلا أصبناه، وما خرجنا إلى عدو قط إلا أصحاب منا...»

وقد كان التحصن بالمدينة للدفاع حلاً تقتضيه الظروف، وترضى به قوانين الحرب، وتحمته القيادة الرشيدة.

فالقائد الذي يدخل المعركة مجاز فاجاله مؤمناً بقوة عدوه وتفوقه في العدد والعدة، لاشك مود رجاله إلى الهلاك المحقق، وعليه وحده تبعه ما فعل.

مفاجأة الخندق:

ولم يكن التحصن المعتاد بالمدينة كافياً للتغلب على هذه القوة الهائلة، لولا أن وفق الله سلمان الفارسي إلى رأى عظيم:

كان سلمان يعرف من أساليب الحرب في بلاده ما لا تعرفه العرب في بلادها، فأشار على النبي ﷺ بحفر خندق حول المدينة.

فقبل الرسول المشورة فوراً، وأمر المسلمين بالشروع في الحفر، وأرسل إلى بني قريظة، وهم يهود بينهم وبينه عهد وميثاق، فاستعار منهم أدوات الحفر من مساح (كواريك) وفؤوس ومكاتل (مقاطف).

الاعخذ بالمشورة الصالحة:

وإن في قبول الرسول ﷺ مشورة سلمان لدليلاً رائعاً واضحاً على حسن القيادة، يضاف إلى ما سبق أن أوردناه في هذه الناحية.

فألاخذ بالمهورة الصالحة واقتباس ما عند الأمم الأخرى من وسائل الدفاع والحرب من آيات حسن القيادة ، وقد عمل الرسول عليه الصلاة والسلام بنفسه في حفر الخندق ، وحمل التراب على ظهره الشريف .

وهكذا دان نفسه بما يدين به أصغر رجاله . وفي هذا المعظمة في أعلى درجاتها . ولقد كان لهذه المشاركة الفعلية أثرها في نفوس المسلمين ، فرفعت روحهم المعنوية ، وضاعفت من إنتاجهم ، حتى لقد تم حفر الخندق في ستة أيام ؟

(يتبع)

محمد جمال الدين محفوظ

كلمة لنابليون

عن قيادة الشرق الإسلامي

كان كرمى القيادة في الشرق الإسلامي شاغراً منذ عهد أطول مما يظن الكثيرون منا . وقد انتبه إلى هذه الحقيقة نابليون بونابرت ، وأراد أن يملأ بنفسه هذا الفراغ ، فعاقه عنه دينه وقوميته . ويؤثر عنه في ذلك قوله :

« الشرق الإسلامي كله في انتظار رجل يتولاه ، ولو استتب لي أن أحالف الممالك ، لكنني الآن سلطان المشرق » .

تشخيص الأنبياء

عليهم الصلاة والسلام

في المسرح، وعلى شاشة السينما

موضوعات البحث :

تمهيد - مقام الأنبياء - توفير الأنبياء - التفريق بين الرسل كفر - تنقيص
الأنبياء جرم خطير ! - عتب الله لأنبيائه - شذرات من قصص الأنبياء - ما هو
التمثيل ؟ - هل يمكن تمثيل الأنبياء ؟ - تشخيص الأنبياء تنقيص لهم - سد الذرائع .
مفاسد تمثيل الأنبياء : أمثلة - خلاصة البحث - للفن ميدان فسيح - في قصص الأنبياء
كفاية - النتيجة ؟

حضرة صاحب الفضيلة ، الأستاذ الأكبر ، شيخ الجامع الأزهر .
السلام عليكم ورحمة الله .

أما بعد - فهذا حكم الإسلام في « تشخيص الأنبياء في المسرح ، وعلى شاشة السينما ،
نرفعه إلى فضيلتكم ، مؤيداً بما فتح الله به من الدليل التفصيلي ، أو المبدأ الشرعي العام ،
الذي يستند إليه الحكم . والله نأل أن يهدينا سبيل الرشاد ، إنه سميع مجيب .

تمهيد :

لا بد لمن يبحث حكم الإسلام في تشخيص الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - أن يتبين
- أول ما يتبين - مقام الأنبياء في الإسلام ، وحقوقهم على بني الإنسان ، وأن يتعرف ما هو
« التشخيص » ؟ وهل يمكن أن يتفق مع ما للأنبياء من مكانة ومنزلة ؟ وهل من الخير
للإنسانية أو من الشر عليها ، أن يمثل في مسارحها أنبياء الله وقصصهم ؟ وما نوع
هذا القصص ؟ وما مبلغ هذا الخير أو الشر ، وما آثاره وتساخمه ؟

لابد للباحث أن يبين هذا كله بياناً شافياً ، إذا أراد أن يكون حكم الإسلام في هذا « التشخيص » واضحاً جلياً ... وذلك هو الذي نعرضه هنا في ثوب الحقيقة مجردة خالصة « والله يقول الحق وهو يهدي السبيل » .

مقام الأنبياء

اصطفى الله من بين عباده أناساً صنعهم على عيته ، وأدبهم بأدبه ، فطهرهم من كل رذيلة ، وكلهم بكل فضيلة ؛ ثم جعلهم سفراءه إلى خلقه ، وأمناءه على وحيه ، يؤدون أمانته ، ويلفون رسالته ، ويخرجون الناس من الظلمات إلى النور بإذنه « الله يصطفى من الملائكة رسلاً ومن الناس » ، « الله أعلم حيث يجعل رسالته » .

هؤلاء هم أنبياء الله ورسله ، مكانهم من الناس مكان الروح من الجسد ، والإنسان من العين ، وحاجة الناس إليهم أشد من حاجتهم إلى الماء ، والشمس والهواء ؛ لأن حياتهم بتلك الثلاثة عاجلة فانية ، وحياتهم بأنبياء الله ورسله دائمة باقية ، وشتان ما بين الحياتين . تلك حقائق ثابتة ، أجمعت عليها الأديان الإلهية ، واتفقت عليها الشرائع السماوية ، وأطمأنت إليها العقول السليمة ، والفطر المستقيمة ، لا يرتاب فيها إلا غبول في عقله ، أو مرتد عن دينه ، أو ملحد جاحد ، لا يؤمن بإله ، ولا يكثرث بدين ، ولا يعترف برسالة .

توقير الأنبياء

على أساس تلك الحقائق الناصعة ، كان توقير الأنبياء ركناً من أركان الإيمان ، ودعامة من دعائم الأديان ، ليس واجباً مفروضاً من قبيل توقير الآباء والمعلمين لحسب ؛ من تركه كان عاقباً آثماً ، ولكنه أصل من أصول العقيدة ، من تركه أو تهاون به فهو بنص الكتاب العزيز وإجماع العلماء سلفاً وخلفاً - خارج من الملة ، كافر بالله ورسالاته ، فإن الله سبحانه كما بعثهم إلى الخلق ليدعومهم إلى الإيمان والهدى ، أمر الخلق بأن يوقروهم ويعظموهم وينزهوهم عن كل قبيصة أو ما يؤدي إلى قبيصة ، وحذرهم المخدركه أن يغضوا من قدرهم ، أو أن يتكلموا فيهم إلا بالإجلال والتعظيم ، والصلاة والتسليم ...

وهل يتصور أن يأمرنا الله باتباعهم ، دون أن نعقد ما أوجب لهم من عصمة ومهابة ومكانة ؟

وإذا كانت حرمة الرسول مستمدة من حرمة مرسله ، فلا ريب أن من عظم أنبياء الله ورسله فقد عظم الله عز وجل ، وأن من انتهك حرمتهم أو غض من قدرهم ، فقد انتهك حرمة الله عز وجل ، وطمع في اختياره ، واستحق غضبه ومقته ولعنته في الدنيا والآخرة !

التفريق بين الرسل وكفر

والمؤمنون لا يفرقون بين الله ورسله ، ولا يفرقون بين رسول ورسول ، بل يؤمنون بهم جميعاً ، من قص الله علينا نبأهم ومن لم يقص ، ويقرؤونهم جميعاً ، ويمتقدون اعتقاداً لا تشوبه شائبة شك أن انتقاص واحد منهم إيذاء لهم أجمعين ، وأن إعظام أحدهم إعظام لهم أجمعين .

بهذا أدبهم الله ، وبهذا نزلت عليهم آيات الله ، آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا تفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا ، إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً . أولئك هم الكافرون حقاً واعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً . والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف يؤتيهم أجورهم وكان الله غفوراً رحيماً ، إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والاسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتيناهم داود زبوراً . ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليماً . رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً .

دلت هذه الآيات البينات على أن أنبياء الله كلهم إخوة ، بعضهم الله للناس مبشرين ومنذرين ، وشرع لهم من أصول الدين وقواعده ما وصاهم به جميعاً ... ثم أمر خاتم النبيين - صلوات الله وسلامه عليهم - أن يهتدى بهديهم ، ويقتدى بهم ، فقال جل شأنه : أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ، ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك .

ولا يضر اختلاف مناهج العبادات وأشكالها ، ما دامت أصول دينهم واحدة ... وفي اختلاف هذه الفروع والمناهج يقول الله تعالى : لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ، ويقول النبي - صلوات الله وسلامه عليه - فيما رواه البخاري ومسلم : أنا أولى الناس بعيسى

ابن مريم في الدنيا والآخرة، والانبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد، والإخوة لعلات هم أولاد الأب الواحد من أمهات متفرقة . يريد صلوات الله عليه بهذا الحديث الموجز الجامع أن أصلهم الذي بعثوا به إلى الخلق واحد ، لا يختلف باختلاف العصور والأزمان ، وإن اختلفت فيه الوصلة المؤدية ، والأوهية الواعية ، وهي المناهج .
وإنما كان نبينا أولى الناس بالمسيح عليهما صلوات الله وسلامه ؛ لأنه أتبع الناس لشريعته ، وأوفق لما جاء به ، ولأن عيسى أقرب رسول بشر بمحمد ، ومهد لقواعده ملته ، ليس بينهما نبى .

لا عجب بعد هذا البيان أن يكون الغض من قدر واحد منهم غضاً لقدروهم جميعاً ، وأن يكون إيذاء واحد منهم إيذاءً لهم جميعاً ، وكفى بذلك سبياً لسلب الإيمان ، وإحباط الأعمال ، ولعنة والعذاب . « إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذاباً مهيناً » ، « يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون » ، « لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً » .

تنقيص الأنبياء جرم خطير

على هذا التوفير الذى يتنا ، وعلى اعتقاد تزيه الانبياء من كل نقص خلقى أو خلقى ، وعلى وصفهم بكل كال إنسانى - جرى سلف الأمة وخلفها ، وأجمع العلماء إجماعاً لا خلاف فيه أن من عاب نبياً ، أو ألحق به نقصاً ، أو عرض به تعريضاً يحط من قدره ، فهو كافر مرتد مستوجب لغضب الله ومقته ولعنته في الدنيا والآخرة .

ومن هذا التعريض الذى يستوجب الكفر واللعة نسبة نبى من الانبياء إلى رعى الغنم على سبيل « النكتة » ، أو فى معرض المزاح والسخرية ، مع أن الانبياء جميعاً رعو الغنم ، تمريناً لإهلياً وتمهيداً لسياسة الأمم ، وقد روى البخارى فى صحيحه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم » فقال أصحابه : وأنت ؟ قال : نعم ، كنت أراهما على قراريط لأمل مكة .

عتب الله لا نبيائه

ولا ينقض من قدر الانبياء عتب الله عليهم فى بعض تصرفات صدرت منهم ، لم يروا

بها بأساً ، ولكن الله يؤاخذهم بها لحكم إلهية بالغة ، منها : إشعارهم بأن هذه التصرفات لا تحمل بمراتبهم العلية ، وإن لم يؤاخذ بها غيرهم ولو كان من خواص الناس ، ومن هنا قيل : حسنات الأبرار سيئات المقربين . . ومنها : إعلامنا بأنهم بشر وإن بلغوا أعلى مراتب الإنسانية ، لا يعلمون الغيب ، وإلا لم يقعوا في موجب هذا العتب .

ومن كان يظن أن إعراضه صلى الله عليه وسلم عن الأحمى الذى قطع حديثه وهو يدعو أشراف قريش إلى الإسلام ، من كان يظن أن الإعراض أو العبوس في هذه القصة يستوجب اللوم ، لولا أن الله أنزل في ذلك قرآناً يتلى ١٤

ومنها إشعارنا بأن هؤلاء المصطفين الأخيار لن يتعدوا مقام العبودية إلى مقام الألوهية . لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون . ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعاً . .

وهناك حكم وأمرار أخرى ليس هنا مكان تفصيلها .

شذرات من قصص الأنبياء

لا يتسع المقام هنا لعرض قصة واحدة من قصص الأنبياء كاملة ، فضلاً عن قصص عدة . . وحسبنا هذه اللمحات السريعة مما ذكر الله في كتابه ، لتقنين منها بعد أن نتعرفه التشخيص ما هو ؟

هل يمكن تمثيل الأنبياء في قصصهم الحق ؟

وإن أمكن فهل يتفق مع عظمة الأنبياء وجلالهم وما ينبغي لهم من قداسة ١٤

ثم ماذا تكسب البشرية أو تخسر من هذا التمثيل على فرض إمكانه ؟

لقد قص الله تعالى من أنباء آدم أبي البشر عليه السلام : أكله هو وزوجه من الشجرة لما غرهما الشيطان ، وقاسمهما إلى لسكا لمن الناصحين . فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما وطفقا يخضفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما ألم أنهما عن تلكا الشجرة وأقل لسكا إن الشيطان لكما عدو مبين

وقص علينا من أنباء نوح أبي البشر الثاني عليه السلام : صنع السفينة ، وسخرية قومه منه ،

ونداه ربه . رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق ورد الله عليه . يانوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم

وقص علينا من أنباء يوسف الصديق عليه السلام : إلقاء إخوته إياه في غيابة الحب ، ومرادة المرأة التي هوى بيتها عن نفسه . ولقد هممت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه وأسف أيه عليه ، وحزنه حتى ابيضت عيناه من الحزن !!

وقص علينا من أنباء موسى الكليم عليه السلام : مناجاة الله له وهو فوق الجبل ، وإلقاء ألواح التوراة ، وأخذه برأس هارون أخيه يجره إليه . قال يابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي . إني خشيت أن تقول فرقت بين بنى إسرائيل ولم ترقب قولي ، وقص علينا إغاثته الإسرائيلي ووكزه المصري وقضاه عليه ، كما قص علينا خروجه من المدينة خائفا يترقب ، ومصاهرته للشيخ الكبير على أن يكون أجيها [يرعى غنمه] ثمانى سنين أو عشرا ؛ كما قص علينا كثيراً من إبداء فرعون وملئه له واستهزائهم به ...

وقص علينا من أنباء داود عليه السلام نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب ، إذ دخلوا على داود ففرغ منهم قالوا لا تخف خصمان بنى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واحدنا إلى سواء الصراط وقد امتحن الله داود عليه السلام في هذه القصة وعاتبه فيها وتركه الأفضل الذي يعاتب عليه مثله ؛ فإنه عليه السلام جعل لحكم البدعي قبل سؤال المدعى عليه ، ثم ندم على ذلك وإن لم يتجاوز الحق ، فاستغفر ربه وخر راكعا وأتاب ، وقال ببعض المفسرين : إنه عليه السلام ود أن يكون له من المال والخير ما لم يكن عنده ، فعاتبه الله لذلك ، لأن مثله — وقد أوتي الحكمة وفصل الخطاب — لا ينبغي أن يتطلع إلى ما ليس عنده .

وللقاصدين في هذه القصة مفتريات وأكاذيب لا تليق بعامة الناس فضلا عن خاصهم ، فضلا عن عباد الله المصطفين الأخيار ... كما في التفاسير لقصة يوسف تأويلات فاسدة بشأن مرادة المرأة له وامتناعه عنها .

هذه شذرات عاجلة من قصص الانبياء سقناها للنظر كيف يكون تمثيلها بعد أن نعرف ما هو ...

التمثيل

التمثيل في المسرح : تشخيص الافراد الذين تتألف منهم القصة أو الرواية التي يراد عرضها على النظارة تشخيصا يحكيها طبق أصلها الواقع أو المتخيل ، أو هو بعبارة موجزة ترجمة حية للقصة وأصحابها .

وقد تلتقط صورة للممثلين في المسرح على شريط خاص يسمونه « الفلم » يعرض على النظارة في شاشة السينما .

هل يمكن تمثيل الأنبياء

لندع القصص المكذوب على أنبياء الله جانبا ، ولنفترض أن التمثيل لا يتناول إلا القصص الحق الذي قدمنا شذرات منه عاجلة ، ثم نسأل : -

١ - كيف يمثل آدم أبو البشر وزوجه وهما يأكلان من الشجرة ؟ وما هي هذه الشجرة ؟ أمي شجرة الخنطة ؟ أم هي شجرة التين ؟ أم هي النخلة ؟ ... وعلى أى حال تمثلهما وقد طافا يصفان عليهما من ورق الجنة ؟ وهل يمثل الله تعالى وقد ناداهما « ألم أنهماك من تلكا الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين » ، أو نترك تمثيله تعالى وهو ركن في الرواية ركين ١٤ « سبحانك سبحانك ! نعوذ بك من سخطك ونقمتهك ومن هذا الكفر المبين ١١١

٢ - وكيف يمثل موسى وهو يناجي ربه ؟ وكيف يمثل وقد وكر المصري فقتله ؟ بل كيف يمثل وقد أحاط به فرعون والسحرة ، ورماه فرعون بأنه ميهين ، ولا يكاد يبين ؟ وكيف تمثل العقدة التي طلب من الله أن يحلها من لسانه ؟ وما مبلغ كفر النظارة والممثلين إذا أفلتت - ولا بد أن فلتت - منهم فلة مضحكة أو هازلة حينما يتمثلون الرسولين وقد أخذ أحدهما برأس الآخر وجره إليه ؟ وما مبلغ التبديل والتغيير لخلق الله الفطرى ؛ ليطابق هذا الخلق الصناعي وقد عملت فيه أدوات الأصباغ والملاصق ١١٢

٣ - وكيف يمثل يوسف الصديق وقد همت به امرأة العزيز وهم بها لولا أن رأى برهان ربه ١٢ وما تفسير الهم في لغة الفن ١٢

٤ - وكيف يمثل أنبياء الله وأقوامهم يرمونهم بالسحر تارة ، وبالكهانة والجنون

تارة أخرى ١٩ بل كيف يمثلون حينما كانوا يرعون الغنم ، وما من نبي إلا رعاها ، ١٩ بل كيف يمثلون وقد آذاهم المشركون ولم يستج بعضهم أن يرى القدر والنجس على خاتم النبيين وهو في الصلاة والسكفار يتضحكون ١٩

سيقول السفهاء من النظارة - وما أكثرهم - مقالة المستهزئين الكافرين من قبل :
« أهذا الذي بعث الله رسولا ؟ » سيفضض فريق لا نبياء الله ورسله فيقاتلون السفهاء ويتقمون منهم وتقوم الممارك الدينية لا محالة ، وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون .

تشخيص الانبياء تنقيص لهم

لسنا بحاجة بعد هذا إلى بيان أن من قصص الانبياء ما لا يستطيع تشخيصه ، وأن ما يستطيع تشخيصه من قصصهم فهو تنقيص لهم ، وزرارة بهم ، وحط من مقامهم ، وانتهاك لحرمتهم وحرمات الله الذى اختارهم لرسالته ، واصطفاهم لدعوته ... لا ريب فى ذلك كله ولا جدال ..

وهذا كله فى القصص الحق الذى قصه الله علينا ورسوله ، وأما القصص الباطل وما أكثره - فهو زور على زور ، وكفر على كفر ، وهو البلاء والطامة ١١١
وما نظن أن أحداً يستطيع أن يجادل فى هذه الحقائق الناصحة ... وأكبر علنا أن أول من يخضع لها ويؤمن بها هم أهل الفن أنفسهم ؛ فإنهم أرهف حساً وأشد إدراكاً لمقتضيات التمثيل وملابساته .

على أننا لو افترضنا محالا ، أو سلطنا جدلا بأن تمثيل الانبياء لا تقيصة فيه ولا مهانة - فلن نستطيع بحال أن نتجاهل أنه ذريعة إلى اقتحام حى الانبياء وابتذالهم ، وتعريضهم للسخرية والمهانة . فالنتيجة التى لا مناص منها ولا مفر : أن تشخيص الانبياء تنقيص لهم أو ذريعة إلى هذا التنقيص لا محالة ١١

سد الذرائع

وسد الذرائع ركن من أركان الدين والسياسة .

فقد أجمع العلماء أخذاً من كتاب الله وبيان رسوله على أن من أعمال الناس وأقوالهم

ما حرمه الله تعالى ؛ لأنه يشتمل على المفسدة من غير وساطة : كالنهب والقتل وبغير حق ؛ وأن من الأعمال والأقوال ما حرمه الله سبحانه لأنه ذريعة إلى المفسدة ووسيلة إليها ، وإن لم يكن هو في نفسه مشتملاً على المفسدة ... ومن ذلك مناولة السكين لمن يسفك بهادماً معصوماً ، فالمناولة في نفسها عارية عن المفسدة ، ولكنها وسيلة إليها ؛ ومن ذلك سب معبودات المشركين وهم يسمعون ، فهو في نفسه جائز ، ولكنه منع لجره إلى مفسدة ، وهي إطلاق السنة المشركين بسب الله تعالى . ولهذا نهانا الله سبحانه عن هذا السب فقال : « ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم ، » .

ومن هذا القبيل تفضيل بعض الأنبياء على بعض ، هو نفسه جائز ، فقد فضل الله بعضهم على بعض ، ورفع بعضهم درجات ، ولكنه يمنع حيناً يجر إلى الفتنة والعصية .. وقد تخصم مسلم ويهودى في العهد النبوى ، ولطم المسلم وجه اليهودى ؛ لأنه أقسم بالذى أصطفى موسى على العالمين ، وأقسم المسلم بالذى أصطفى محمداً على العالمين . فلما بلغت الخصومة خاتم النبيين صلى الله وسلم عليهم أجمعين غضب حتى عرف الغضب في وجهه ، وقال : لا تخيرونى على موسى . ثم أتى عليه بما هو أهله ، ونهاهم أن يفضلوا بين أنبياء الله تعالى سداً للذريعة الفتن ، وحرصاً على وقارهم صلوات الله وسلامه عليهم ...

وإذا كانت الدول تشدد في سد الذرائع وترى ذلك ركناً من أركان السياسة والأمن والنظام والمعاملات الدنيوية ؛ فإنه في العقائد أخلق ، وفي مقام النبوة أوجب وأحق .

مفاسد تمثيل الأنبياء

ومفاسد تمثيل الأنبياء كثيرة ، نكتفي منها بهذه الأمثلة : —

١ — تشكيك المؤمنين في عقائدهم وتبديد ما قر في نفوسهم من تجيد هذه المثل العليا ؛ إذ أنهم قبل رؤية هذه المشاهد يؤمنون حقاً بعظمة الأنبياء ورسالتهم ، ويتمثلونهم حقاً في أكل مراتب الإنسانية وأرفع ذراها . إذا هم بعد العرض قد هانت في نفوسهم تلك الشخصيات الكريمة ، وهبطت من أعلى درجاتها إلى منازل العامة والأخلاق ، قد قمصهم الممثلون في صور وأشكال مصطنعة ، مما يتقلص معه ظل الدين والأخلاق ١١ .

٢ — إثارة الجدل والمناقشة والنقد والتعليق حول هذه الشخصيات الكريمة وتمثيلها من أهل الفن والمسرح تارة ، ومن النظارة تارة أخرى ؛ وهما نحن أولاء نرى صفحات للفن والمسرح ومجادلات في التعليق والنقد ، وأنبياء الله ورسله مثل كلام الله عز وجل ، فوق النقد والتعليق .

٣ - التهاب المشاعر ، وتحزب الطوائف ، ونشوب الخصام والقتال بين أهل الأديان ، كما وقع بين المسلم واليهودى فى العصر النبوى ، وما أحوجنا إلى الأمن والاستقرار وإطفاء الفتن وتسكينها ، لا إثارتها وإشعالها .

٤ - الكذب على الله ورسوله ؛ لأن التمثيل أو التخيل ليس إلا ترجمة للأحوال والأقوال والحركات والسكنات ، ومهما يكن فهما من دقة وإتقان فلا مناص من زيادة أو نقصان ، وذلك يجر طوعاً أو كرهاً إلى الكذب والضلال . والكذب على الأنبياء كذب على الله تعالى ، وهو كفر وبهتان مبین والعياذ بالله !

هذه أمثلة يسيرة من مفاصد تمثيل الأنبياء . . فإذا تفيد الإنسانية من هذا التمثيل إلا الضلال والنكال ؟

وإذا كان الله جل جلالته قد أعجز الشياطين عن أن يتشبهوا بالأنبياء توفيراً وإعظاماً لهم عليهم الصلاة والسلام ، كما يدل على ذلك ما رواه البخارى ومسلم فى صحيحهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من رأى فى المنام فقد رأى فى ؛ فإن الشيطان لا يتمثل فى صورى » ، وسبق أن قلنا : إن الأنبياء إخوة يمس كل واحد منهم ما يمس أخاه - نقول : إذا كان الله سبحانه قد حال بين الشياطين وبين التمثيل بالأنبياء ، مع أنه أعطاهم القدرة على التشكل كما يهون ، فكيف يستطيع الإنسان لنفسه أن يكون أخبث من الشيطان بتمثيل الأنبياء . ثم ماذا يكون الشأن إذا اجترأ إنسان على التمثيل بالنبي محمد أو غيره واحتاج الناس وأثار ذلك شعورهم استياء من الجرأة على قداسة النبوة وخاصة فى نفوس النظار المتدينين ؟

إن حقاً محتوماً علينا أن نجل الأنبياء ، وأن نجل آل الأنبياء وأصحاب الأنبياء عن التمثيل والتشخيص ، احتراماً وإجلالاً للأنبياء أنفسهم ؛ لأن حرمتهم مستمدة من حرمة الأنبياء ، كما أن حرمة الأنبياء مستمدة من حرمة الله عز وجل ، وهذا بعض حقهم على الإنسانية ، جزاء ما صنعوا لها من جميل وأدوا إليها من إحسان .

خلاصة البحث

وجملة القول أن أنبياء الله تعالى ورسوله معصومون بعصمة الله لهم من النقائص الخلقية والخلقية ، وأن تمثيلهم تنقيص لهم أو ذريعة إلى التنقيص لا عالة ، وكلاهما مفسدة أو مؤد إلى المفسدة التى من شعبة إثارة العصبيات والفتن التى لا يعلم مداها إلا الله تعالى .

للفن ميدان فسيح

وإن في الأدب والتاريخ وتصور الفضائل ومكارم الاخلاق ، لميداناً فسيحاً للفن والتفكير ، فلينبه إليها الفن ماشاء له الاتجاه ، وليبتكر ماشاء له الابتكار ، وليدع أنبياء الله ورسوله محفوفين - كما حفهم الله تعالى - بالجلال والوقار ، وليعمل على أن يكون مفتاحاً للخير مغلاقاً للشر ، فطوبى لمن كان كذلك ، والويل لمن يثير غضب الله وسخطه وانتقامه وغيره لأنبيائه !!

في قصص الانبياء كفاية

لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثاً يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء ومدى ورحمة لقوم يؤمنون ، وإن العبرة لا تزال ماثلة في مواطنها واضحة في معاملها ، ينتفع بها في القرآن الكريم ، وصادق الأخبار ، ولو شئت لأطلسنا ، ولكن في هذا بلاغاً .

النتيجة

من أجل ما قدمنا نقرر في ثبات واطمئنان أنه لا ينبغي ولا يحل بحال أن يشخص الانبياء عليهم الصلاة والسلام في المسرح ولا على شاشة السينما . . . والله نسأل أن يجمع قلوبنا على محبته وتوفير أنبيائه ورسوله ، وأن يهدينا الصراط المستقيم : صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقاً . .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ٩

٩٠ من جمادى الآخرة سنة ١٣٧٤ الموافق ٣ من فبراير سنة ١٩٥٥

عبد اللطيف السبكي

مدير التفتيش

وعضو جماعة كبار العلماء

عبد الكريم جاويز

حافظ محمد اللقي

طه محمد الساكت

من مفتشى العلوم الدينية والعربية

تَعْلِيْقَاتٌ

- ١ -

المسرح الاسلامي

وأخيراً أُنصح لنخبة من ذوى النفوس الالوية أن يجهروا بالدعوة إلى إنشاء مسرح إسلامي في مصر ، يتخذون منه وسيلة جديدة لإحياء القومية المصرية التي تلاطمت حولها الموجات التقليدية ، ورائت عليها ألوان زائفة من مساخر الغربيين ، وصنائع السياسة الاستعمارية . ولا شك أن هذا الشعور كان حياً في نفوس الجماهير من المثقفين ، وأنهم ظلوا - بين التيارات المتناقضة - مغلوبين على أمرهم في مقاومة المؤثرات الجارحة للكرامة المصرية ، حتى تغفل الفساد ، وأفرخت الرذيلة ، وكان من تأوهات المصلحين أن دعوة الإصلاح بطيئة الإنتاج ، بينما نجد الغواية تشق طريقها إلى كل فرد ، ونرى الناس يتهاقنون على التحلل من كل ما قد يعوقهم عن الغايات الدنيئة ، ولا يمكنك أن تحصر هذا الفساد في ناحية دون ناحية ، فهو وباء اجتماعي يشعر به الصالح والطالح ، ويراه الأشرار ولا يحاولون التنصل منه ، ويراه الخيرون وقليل ما هم .

ولكنهم كانوا مهما أبلوا في علاجه ، ونشطوا في التحذير منه ، مغلوبين على أي حال لإزاء المفريات المتنوعة التي تنكأ ولا تنقص ، والتي لم يكن يقف في وجهها سلطان الحكم ، ولا تكفها غيرة من القادرين على صدها . وذلك أمر لا يحتاج إلى إسهاب .

وبعد أن تحرق الناس دهرأ طويلاً في التألم لما وصلنا إليه شيئا وشباناً ، ورسميين وغير رسميين ، أذن الله بفجر الثورة أن يفتق ضوؤه ، ولشعور المكبوت أن ينجلي فيما نراه الآن من تعاقب الإصلاحات ، ومن التكاتف في دعم الأخلاق ، والانتقال بالأمة من حضيضها إلى مستواها الجدير بها كأمة شرقية ومصرية ، وكأمة مسلمة لها دين تمتاز به ، وتاريخ تفتخر به ، وقومية يجب أن تصونها .

نقول هذا ، ونحن مستبشرون بفكرة المسرح الإسلامى ، الذى سيطرح التقليد فى تمثيل الروايات الهازلة ، ويدع الاشتغال بما يضر أكثر مما ينفع ، وسيعتاض عن أفلام كانت كالم فى العمل ، بأفلام إسلامية يستمدّها من تاريخنا الصحيح ، ويستقى مفاخرها من أجداد الإسلام وشرعة الإسلام .

ومن البدهة أن هذا الاتجاه ، من أجدى الوسائل فى إصلاح الخلق ، وبناء الشخصية ، وتحسين الشباب الجديد بما انتاب الشباب فى السنين الأخيرة .

وليس من الفهم أن يرانا الناس مبالحين فى هذا التفاؤل ، فإن القرائن عليه قوية الصديق ، وليس من الفهم كذلك أن يكون الأمل فى نتائجه هينا ، فإن تشريع الله وأدب الإسلام وتوجيهات القرآن إلى أساليب الإصلاح الاجتماعى ، وإقامة نظم الدنيا على أسس مأمونة من الذبذبة ، خير ما يأخذ به الناس فى إعداد أنفسهم لحياة خالدة ، ومدنية سائغة .

وما ظنك بنظام وضعه للدنيا خالق الدنيا ، ووجه الناس إليه رب الناس ؟

بل إن الأمل ليخالفنا منذ اليوم فى اتجاه الفكرة الادبية الجماعية فى كل ناحية من نواحي الثقافة إلى مثل ما اتجهت إليه فى إنشاء المسرح الإسلامى بمعناه الصحيح ، فلا يغلو فى مناجه إلى تناول المحظورات التى لا يسمح الدين بإبرازها على المسرح ، والتى يكون فى إبرازها تهوين واستهانة بحدود وضعها الإسلام بين الحرام والحلال ، والتى يكون فى تمثيلها مساس بقراءة أحكام دينية ، أو شخصية من الشخصيات الكريمة على الله .

وأعتقد أن أولئك الغيورين الذين نشطوا إلى هذا العمل الكريم سيكونون أشد غيرة وأكثر رعاية لما يليق وما لا يليق ، حتى لا نضل فى شكايه من الأفلام قديمها وحديثها ؟

— ٢ —

الجرأة فى تفسير القرآن

تلقت مجلة الأزهر كتابا من أحد قراء جريدة الجمهورية (عدد ٤ / ١ / ١٩٥٥) ذكر فيه أن بعض الشخصيات المثقفة ثقافة مدنية كتب فى العدد المذكور عن قصة آدم

في القرآن تحت عنوان : (خواطر عابر سبيل) وأن ذلك المنقشف شطع في خواطره العابرة شطحة ليست موفقة ، إذ تكلف في تفسير الشجرة التي أمر الله آدم وحواء ألا يأكلا منها ، واعتبرها رمزاً للعلاقة الجنسية ، وأن وسوسة الشيطان امتحنتها عند ما بلغا سن المراهقة ، وخرجوا من سن الطفولة الساذجة ، ومعنى ذلك فيما فهمه عابر السبيل أن آدم وقع بحواء في الجنة ولم تكن حلالاً له ، فكانت جريرتهما سبباً في عقوبتهما ، وهذا التصور وحده شاهد على صاحبه بأنه عبر سبيله على غير هدى ، لجأت خواطره نائية كل التبر عن صواب الفهم ، وجاءت دليلاً مادياً على أن أناساً منا يقحمون أنفسهم في تفسير القرآن ، كما يتناولون رواية غرامية ، أو قصة خيالية ، فيقولون فيها ما يطيب لهم دون تخرج ولا مبالاة ولا خشية من الله ، مع أن أحداً منا لو فسر مادة من مواد القانون الوضعي — وهو ليس من أهله — لرموه بالحق والتناول ، ولو كان فهمه صحيحاً . فما بالهم يستيحيون القرآن ، ويدخلون عليه بعقليات لم تنأهب في ثقافتها لفهمه على أى وجه من وجوه الفهم الصحيح ؟؟

وما الذى حجب إلى عابر السبيل أن يتكلف في تأويل الشجرة بالعلاقة الجنسية ، وأى اتصال بين الشجرة والأكل منها وبين المعنى الجنسى ، سواء أكان ذلك من طريق الحقيقة أم المجاز ١١٤٤

ولم تدافعت الخواطر في مخيلة عابر السبيل حول مسألة آدم وحواء من طريق الخيال الرواى ، واستباح لنفسه أن يخرج بآيات الله عن كل فهم تحدث به أهل الذكركفديما وحديثنا ١١٤٤ ولم يعرف إلا عن بعض المستشرقين ١١

إن كان ذلك الكلام جداً فهو عين الخطأ الفاحش ، وإن كان هزلاً وفكاهة فليس في مثل هذا الشأن يكون الهزل والفكاهة .

وإذا كانت جريدة الجمهورية ترضى أن تفسح صدرها لكل نغمة مسمومة ، ولكل نزعة متطرفة ، فلا يلغى أن يتهاوت الكتاب في هذه الورطات .

وعلى حضرة عابر السبيل أن يصحح فكرته ، أثلاً تنظم عقيدته وهو لا يدري .

وليفهم الناس جميعاً أن تفسير القرآن لم يكن مستباحاً عند كبار الصحابة ، وم أعرف

بلفته وأدري بأساليبها ، وإنما كانوا يرجع بعضهم إلى بعض من عرف بالإلمام ، وقوة الإدراك ، وسلامة الذوق . ومع هذه المميزات فقد كانوا يتحفظون فيما يقولون ، وهذا أبو بكر رضى الله عنه يقول : أى سماء تظلمنى ، وأى أرض تغلى ، إذا قلت فى كتاب الله برأى ؟ أفبعد هذا من قدوة لنا فى توفير القرآن عن تفسيره بالخواطر لعاير السبيل أو غيره ؟ ولنا بذلك نقول : إن فهم القرآن كله يستمضى على جميع العقول !! لا ، وإنما هو ميسور فى مواضع لمن يدركون المعانى الأولية ، وليس ميسوراً فى مواضع إلا لمن مارس الثقافة الدينية ، وليس منهم عابر السبيل ، وما يعلم تأويله إلا الله والراغبون فى العلم .

— ٣ —

الاباحيون من كتاب اليوم

عندنا فى أهل الحياء أنهم لا يتعرضون لما ليسوا من أهله ، وما رأينا ذا كرامة يقم نفسه فى حديث يخشى أن يخطئ فيه ، ولكن الإباحيين من كتاب اليوم ، كلما ضافت بهم سبيل الكتابة ، وفرغت جمعيتهم من محمول يكتبون فيه ، تناولوا الكلام عن الدين ، وفرضوا علينا أنهم يفهمون فيه ، ودعونا إلى تصديق ما يهرفون به ، وإذا واجهتهم بنقد ، أو وجهتهم إلى صواب ، تظاهروا واستأثروا بالدعوة ، وزعموا أنهم أسبق من سواهم إلى إدراك ما وردت به الكتب السماوية ، ولهجت به الرسائل . ثم هم بعد ذلك لا يأخذون من الدين بطرف ، ولا يعملون شيئاً إلا أن يكون مجوناً أو زندقة أو إفساداً للعقائد ، أو نهوينا من قداسة الشريعة . فهم داعون إلى ذلك فى جد ومثابرة ، وهم زاعمون فى نبجح أن هذا هو مفهوم الدين . ولو أن سلطان الحكم يلدغهم مرة ، ويصدمهم عن هذه النزعات واللهجات ، لصرفوا أنفسهم إلى ناحية أخرى ، يكتبون فيها ليتكسبوا ما يرضيهم من التكسب ، ولكن التسامح الذى تعودوه قديماً من أولى الأمر أغرام بالهذاب على هذا الباطل الماسح للحياء وللخلق ، والناقض لأهداف الثورة فيما ترى إليه من إصلاح ما أفسدت الأيام الحالية .

نقول هذا وبين يدينا كلمات لكتاب لا يربأون بأنفسهم عن مساطق الفسادية ، ولن يربأوا عن الدعوة إليها إلا أن تشهرهم سياسة العهد الحاضر بأنهم يهدمون ما نبني هم ، وأنها

لا ترضى عن سياسة الهدم ، وإن قام بها أناس متقربون أو متظاهرون بالقرب ، ليعيشوا في ظلها ، وهم عابثون بمقاصدها ، فهذا كاتب يفتر في مجلة الرسالة الجديدة (أوائل يناير سنة ١٩٥٥) ... إن الدين ليس مراسيم ولا طقوسا ، ولا تعاليم ، وإنما هو نسمة تطوف بالقلب فتملأه نورا ... ثم يقول : افعل كل منكر مادام لا يضرك ولا يضر غيرك ، فاسرق إذا كانت السرقة تسعدك ولا تضر غيرك ، واشرب الخمر إذا كنت لا تتأذى بها ولا تؤذى غيرك ، افعل كل شيء تنسيغه نفسك ولا يضر غيرك ... الخ .

هكذا يقول كاتب منهم يفهم أن هناك منكرا لا يضر صاحبه أو لا يضر غيره ، ويدعو إلى استباحة السرقة الخ .

فهل بعد هذا الإفساد من إفساد ، وهل هذه نعمة نسمعها في عهد القضاء على الفساد ؟؟

— ٤ —

عنوان عريض !!

(هيئة كبار العلماء تشترك في إخراج مسرحية)

هذا عنوان عريض في مجلة أسبوعية تقوم عليها امرأة ويساعدها رجال ، وتحت هذا العنوان الوقع من عدد المجلة الصادر في ١٠ يناير سنة ١٩٥٥ كتب كاتب الموضوع أو كاتبته بالنص (... وبدأ فريق التمثيل الأزهرى في الاستعداد لتقديم إحدى الروايات الفكاهية ، وسوف يشترك في إخراجها بعض مشايخ الأزهر من هيئة كبار العلماء ... الخ)

وهذا خبر لا يعدو أن يكون سخفا بلغ من السخافة مبلغ كاتبه أو كاتبته ، ومبلغ الذين يمجهم أن ينشر هذا التهريج ، ويقع فيه الأزهر بطلابه وكبار علمائه ، ومن المفروغ منه أن كلاما كهذا لا يدخل على الناس ، ولا يقع موقع الصدق عند أحد من ذوى العقول . وليس يؤمننا من جديد أن تسف تلك المجلة أو شبهها هذا الإسفاف ، وإنما الذى نلفت النظر إليه أن الناس يتخذون من جرأة المجلة أمانة على هوان الأزهر عند مجلة تجر بالأخبار

المخزية ، ويتخذون من سكوت أولى الأمر عن صد هذه المجلة وما إليها أمانة أخرى على إباحة الغمز في الأزهر ، ولو أن الأمر كان ذا بال عندنا لدفعنا بالمجلة وصاحبها وأصحابها إلى القضاء ، ولكن المجلة والعاملين بها دون ذلك الاهتمام . وكأنهم يستفزون أحداً من الأزهريين إلى مقاضاتهم ليجدوا لأنفسهم موقفاً على حساب الأزهر .

فلتذهب المجلة ودعاتها مذهب الفعش فيما تقول ، ولعل ولاية الأمر بمسأله من رقابة على النشر يرجعون إلى رقيبهم لينبوه إلى أن هذا يعتبر عورة من عورات الرقابة .

ولعل ولاية الأمر يمججون معنا إذا وجدوا أن هذه التعليقات كلها صدرت في صحف ومجلات النصف الأول من شهر يناير سنة ١٩٥٥ .

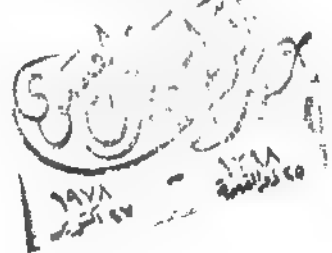
فهل وراء ذلك هجوم محض يراد به مقاومة الدين في معقله ، وفي نفوس المتدينين ، وصد الأمة عن أدبها الديني ؟

وماذا بعد هدم الدين ، أو زعزعة الشعور الديني ذهر الشيوعية ١١٩ .

باتجار الصحف المربية ٩

عبد اللطيف السبكي

عضو جماعة كبار العلماء



تشجيع الاخلاق والسلوك

أهدى فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر كاساً تمنح لأحسن الجامعات في ناحية الخلق والسلوك خلال الأسبوع الرياضي للجامعات .

وهي لفئة إسلامية تمنح مجال التبارى في حسن السلوك بين الفرق الجامعية في ميادين الرياضة .

الكتب

المسند - للإمام أحمد بن حنبل

الجزء ١٣ (بتحقيق الاستاذ الشيخ أحمد شاكر) - ٣٥٨ ص - دار المعارف بمصر

كان من حق هذه الطبعة من مسند الإمام أحمد (١٦٤ - ٢٤١) أن تنوء بها ونشيد بمكانتها منذ أخذنا قبل أكثر من سنتين نغنى في هذا الباب بالكتب الإسلامية والعربية ، ولكن فضيلة الاستاذ الشيخ أحمد شاكر كان قد أصدر أجزاء كثيرة من الكتاب . ثم بدانا الآن وقد صدر الجزء الثالث عشر منه أن السكوت عنه تقصير ، لأن مسند الإمام أحمد أقدم دواوين السنة الكبرى بعد الموطأ ، وهو مورد الشريعة لائمة الإسلام منذ أكثر من ألف سنة ، لاستقصائه مسانيد الصحابة واحداً واحداً ، فهو مجموعة كتب كثيرة ، كل كتاب منها جمع ما وصل إلى الإمام أحمد بالرواية عن شيوخه من أحاديث أى صحابي أدى إلى هذه الأمانة الإسلام بقبليغ ما حفظ عن الهادي الأعظم عليه السلام من أحاديث ورسائله العظمى في العقيدة والتفريع ، وآداب الفرد والأسرة والمجتمع ، وفي سائر أهداف أكل رسالات الله وأعظمها ، مرقا الأحاديث لتسهيل المراجعة والإحالة وتنظيم الفهارس . وليس المهم في هذه الطبعة أنها ملأت الفراغ في المكتبة الإسلامية بعد أن نفذت نسخ الطبعة الأولى من المسند وأصبحت عزيزة على طلابها ، بل أهم من ذلك هذا المجهود الضخم الفخم الذى بذله الشيخ أحمد شاكر في تحقيق سند كل حديث في المسند وبيان مكان روايته ، والتنبيه على ما قد يكون فيه من ضعف لأنه موقوف على تابعي ، والدلالة على مرويات الحديث في الكتب الأخرى وتعيين مواضعه فيها ، فضلاً عن الإشارة إلى تكرره في المسند نفسه . وإذا كان في الحديث غريب أو ما يحتاج إلى تفسير علق عليه بما يغنى القارىء عن مراجعة كتاب آخر . وهذا الجزء الثالث عشر من المسند تضمن بعض أحاديث حافظ السنة من الصحابة أبي هريرة رضى الله عنه ، وفي آخره - كسائر الأجزاء السابقة - فهرس لأحاديث الجزء مرتبة على الأبواب : من أبواب الإيمان ، والعلم ، والدعاء ، إلى أبواب الفقه ، فأبواب الأدب والخلق والاجتماع ، والجهاد والغزوات ، والخلافة والإمارة والقضاء ، والسيرة ، والناقب

والفتن والاضطرابات ، والقيامة وغير ذلك . وقبل هذا الفهرس استدراك وتعقيب ينه فيه على ما كان ينبغي ذكره في الاجزاء السابقة وقائه ذلك فاستدركه . وفي الآخر فهرس لما في التعليقات على الجزء من تحقيق وتعليل . وبالإجمال فإن العلامة الأستاذ الشيخ أحمد شاكر استوفى في هذه الطبعة من المسند جميع أسباب الكمال المقدور عليها لعالم وقف حياته على خدمة السنة المشرفة ، فكان ذلك مفخرة لهذا العصر الذي نسي فيه المسلمون أسباب مفاخرهم ، ومقومات كيانهم ، ولو أنهم استيقظوا لهما لسكانوا ملح الارض وزينة الدنيا .

حقائق عن قضية فلسطين

لسماحة السيد محمد أمين الحسيني — ٢٠٦ ص — المطبعة السلفية

قضية فلسطين هي وصحة الحضارة في القرن العشرين ، ومعرفة السياسة العالمية التي ينبغي لقادة الأمم في أوروبا وأمريكا أن يواروا وجوههم خجلا من وقوعها على أيديهم ، ثم هي فضيحة الفضائح للدور الفاجر الذي تمثله اليهودية الدولية من وراء ستار في توجيه الدول العظمى توجيهها غير إنساني لتحقيق غايات ما كان ليرضى بتحقيقها أى رجل مهذب مسئول لو أنه رجع إلى عقله وإلى ضميره وإلى موازين الحق التي عليها لأجل أن يعمل بها .

هذه القضية الخطيرة - التي هي أبرز قضايا التاريخ في هذا العصر - صدرت عنها كتب كثيرة بلغات لا تحصى ، ولعل أجدر الناس ببيانها والتحدث عنها السيد محمد أمين الحسيني مفتي فلسطين ورئيس الهيئة العربية العليا ، فإنه شاهد عيان لأدوار هذه القضية منذ كانت محجة في ضمير الغيب قبيل الحرب العالمية الأولى إلى أن صدر وعد بلفور لليهود وفرص اليهود على ساسة الدنيا أن يوقعوا على صك الانتداب البريطاني على فلسطين وما تلا ذلك من أدوار متتالية حتى قيام دولة اللصوص في تل أبيب وشطر من بيت المقدس وما بينهما . هذا الرجل هو العربي الوحيد الذي يستطيع أن يقول أصدق مما يقول غيره عن هذه القضية ، وتحت يده من مراجعها ومستنداتها ما لم يجتمع لعربي غيره ، وهو نفسه مكتبة متحركة حافلة بكل ما يتعلق بفلسطين من وجهة النظر العربية والإسلامية .

وكتاب (حقائق عن قضية فلسطين) هذا أجوبة من السيد محمد أمين الحسيني هل أحد عشر سؤالا وجهت إليه حول هذه القضية : الأول هل فرط الفلسطينيون في الدفاع عن وطنهم ؟ الثاني عن كارثة فلسطين وهل هي وليدة خلافات عائلية ، أم نتيجة مؤامرة

يهودية استعمارية ؟ والثالث هل تفاقمت قضية فلسطين بسبب موقف سبلي للفلسطينيين ، أم تفاقمت بسبب إيجابية سمحة اعتنقها بعضهم فزادت اليهود عنواً وصلفاً ؟ والرابع عن سبب خروج اللاجئين من أراضيهم وكيف تحولت فلسطين العربية إلى دولة يهودية ؟ والخامس هل الخلاف مع الملك عبد الله كان خلافاً شخصياً أم خلافاً على المبادئ والوسائل ؟ والسادس على من تقع مسئولية ابتعاد الزعامة الفلسطينية عن فلسطين ووجود الهيئة العربية في الخارج . والسابع عن حقيقة موقف أمريكا من قضية فلسطين وتأثير اليهود عليها . والثامن عن هدف الصهيونية وحقيقتها وأحلامها . والتاسع عن موقف إنجلترا من فلسطين وإغرائها يهود العالم بالهجرة إليها وتقضها ما عقدته للعرب من عهود متكررة ، وما ارتكبته من وسائل التعذيب الوحشية في عرب فلسطين مدة انتدابها . العاشر في سياسة بريطانيا الاستعمارية وانتصارها لليهود على العرب وإلحاحها في عقد الصلح بين العرب واليهود . والسؤال الأخير عن تعصب اليهود الديني واستغفاف العرب به والأسباب الرئيسية لكارثة فلسطين وكيف يمكن استردادها .

هذه المواضيع هي التي دار عليها الكتاب ، وكانت الإجابة على هذه الأسئلة من أعلم الناس بها ، وأغنام بأدائها وأسانيدها . والكتاب مزين بالصور الكثيرة ، وفيه ثلاث خرائط أولاهما لفلسطين بمحدودها الأصلية ، والثانية للناطق التي سلمتها السلطات الأردنية لليهود بعد معاهدة رودس ، والثالثة تبين مطاعم اليهود في البلاد العربية .

وما تقدم من تلخيص مواضيع الكتاب كاف في وصف أهميته ، ووجوب الإحاطة بها على كل عربي وكل مسلم يعتبر أن اختلاس الوطن الفلسطيني إنما كان بغياً على الإنسانية ، وعلى حق من أقدس حقوق الوطن الإسلامي الأكبر .

نسبات الأصل في المذيع

للأستاذ الشيخ محمد محمد الدهان — ٣٢ ص — دار رسائل الجيب الإسلامية

هذا عنوان أحاديث إسلامية لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد محمد الدهان مبعوث الأزهر لرياسة المعهد الإسلامي بنجبار أذاعها من محطة صوت نيجار اللاسلكية ، وتدور على موضوع أثر الدين الإسلامي في حياة الفرد والمجتمع ، والذكريات الإسلامية في شهر ربيع الأول ، وذكرى المولد النبوي ، وشمائل المصطفى صلى الله عليه وسلم . وقد ألحق بها ترجمتها باللغة السواحلية من قلم الشيخين الفاضلين عبد الله صالح الفارسي وأحمد زهران الرباعي .

ونحن نتمنى لهذه المناسبة لو أن مبعوثي الأزهر في مختلف الاقطار الإفريقية والآسيوية وغيرهما عرفوا عظمة الرسالة التي هم مضطلمون بها ، وحرصوا على الدعوة إليها في مناطق عملهم بالقول والعمل والتوجيه ، ولا سيما من محطات الإذاعة التي يعم بها النفع ويعظم الأثر ، ولعلمهم فاعلون .

نحو حياة مثلى

للأستاذ أحمد مظهر العظمة — ٩٥ ص — مطبعة دمشق

وهذه أحاديث أذيعت من محطة الإذاعة السورية بدمشق ، وتدور على حاجة العالم إلى حياة مثلى ، وعلى نظام الإسلام الداخلى ، ونظام الإسلام الخارجى . وعلى موضوع الإسلام ومقاصد الحضارة ، ومستقبل الإسلام .

وقد تولت جمعية التمدن الإسلامى فى دمشق جمع هذه المحاضرات فى كتيب لطيف ونشرته على الناس ليطلع عليه من فاته الاستماع إلى هذه المحاضرات عند إذاعتها .

ومع أنها مطبوعة على ورق صقيل ، فقد فات الناشرى العناية بالتصحيح المطبعى لتفادى الأخطاء الكثيرة التى وقعت فى الكتاب على صفرة وكان ذلك فى إمكانهم لو شاءوا .

الشئون الأندونيسية

وصلت إلينا مع البريد فى هذا الشهر أجزاء السنتين الثالثة والرابعة من مجلة حرية بهذا العنوان تصدرها وزارة الاستعلامات فى جاكرتا (جاوا) بأندونيسيا مرة فى كل شهرين . وقد اختارت لتحريرها السيد حامد هاشم الكاف من أفاضل الكتاب الحضارمة المتوطنين فى أندونيسيا ، والفاضل الأندونيسى المعروف ببحوته وكتاباته العربية من سنين طويلة السيد عبد الله بن نوح ، والسيد محمد ضياء شهاب . والمجلة حافلة بالبحوث والصور التى تعطى للعالم العربى والإسلامى فكرة صادقة عن نهضة أندونيسيا وعلاقتها بالاقطار والأمم الإسلامية الشقيقة ، تشيد بجمال هذه الجزر العزيزة على المسلمين ومشاهدها الطبيعية ومرافقها العمرانية والصناعية لقد كنا من زمن طويل نتمنى لو أن لاندونيسيا مجلة عربية كهذه المجلة توثق وروابط الأندونيسيين بالعالم الإسلامى ، وتقوم بوظيفة التعارف الذى هو سبيل التعاون ، فلما وصلت إلينا مجلة (الشئون الأندونيسية) علمنا أن الجمهورية الأندونيسية كانت منتبهة لهذه الناحية المهمة ، ففكرنا لهم .

الأدب والعلوم

مرحلة التأهيل

للاتحاق بالمعاهد الأزهرية

قامت مشيخة الأزهر بوضع إحصاء للجمعيات المحافظة على القرآن بعد أن التحقت بها . ويؤخذ من هذا الإحصاء أن عدد الجمعيات ١٥٥ جمعية ، وأن عدد التلاميذ في المدارس التابعة لها بلغ ٢٣ ألفاً و ٩٤٠ تلميذاً . وهناك مكانب أهلية لتعليم القرآن تحتوي ١٦٢ ألف تلميذ .

إن هذه المدارس هي المصدر الأول لطلاب الأزهر ، بل هي مرحلة التأهيل للاتحاق بمعاهده في القاهرة والإسكندرية وحواسم المديرية والمحافظات . وبوضع المنهاج الدراسي لهذه الألوف المؤلفة من أبناء المسلمين يكون الأزهر قد نظم المرحلة الأولى التي تؤهل حامل شهادتها لدخول القسم الابتدائي في الأزهر ومعاهده بلا امتحان .

وقد وافق فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر على اعتماد أربعة عشر ألف جنيه من ميزانية الأزهر لتنظيم هذه المدارس ، وهذا بالإضافة إلى الميزانية الخاصة بجمعيات حفظ القرآن .

وكلفت المشيخة فضيلة الشيخ محمد عبد الحاق القمراوي بأن يمثل الأزهر في لجنة وضع المنهاج الدراسي لمدارس حفظ القرآن الأزهرية في عهد ها الجديد ، وسيكون من عمل لجنة المناهج هذه وضع منهاج لإعداد المدرسين لمعهد القراءات التابع للأزهر . فترجو الله أن يكون ذلك توطئة لعهد جديد يستقبله الأزهر بعد أن أتيح له الإشراف على تكوين أبنائه وهم في سلامة الفطرة وطهارتها .

وعاظ الجمعيات

للوحدات المجمع

وضع المجلس الدائم للخدمات العامة في وزارة الشؤون الاجتماعية مشروطاً لإعداد وعاظ اجتماعيين من علماء الأزهر يقومون برسالتهم في الوحدات المجمع ويختارون من بين خريجي كليات الجامعة الأزهرية ، بشرط أن يدرسوا مناهج وافية في الخدمة الاجتماعية تشمل دراسات إسلامية وتاريخية تتضمن اندماج الأمم الإسلامية على اختلاف عناصرها وحضاراتها في المجتمع الإسلامي ، كتاريخ الإسلام الاجتماعي ، ونقل المسلمين لثقافتهم الحضارات ومزج الحياة

الأزهر والبكباشي أ. ح. حسين الشافعي وزير
الشئون الاجتماعية ولنا عودة إلى هذا الموضوع

إعادة كتابة التاريخ الإسلامي

من الاقتراحات التي سجلتها اللجنة الاجتماعية
الإسلامية في مؤتمر الشباب الإسلامي بكرانشى
مشروع قرار يطالب وزارات التربية والتعليم
في العالم الإسلامي بأن تدخل الدراسات
الإسلامية في مناهج الجامعات بالاقطار
الإسلامية، وتكوين هيئة من كبار العلماء
المحققين في مواد التاريخ الإسلامي تكون
مهمتها إعادة دراسة التاريخ الإسلامي من
جديد واستئناف كتابته بأساليب تبرز عظمة
الإسلام وما قدمه للإنسانية من خدمات صادقة،
ليكون ذلك أساساً في دراسة الثقافة الإسلامية
وشرحها شرحاً جديداً يعم تدريسه في جميع
مراحل التربية والتعليم في الأوطان الإسلامية
واقترح الوفد اللبناني في اللجنة الثقافية
التعليمية الشروع فوراً بإنشاء محطة إذاعة
إسلامية تعمل على نشر المثل الإسلامية العليا،
ولم أن يتم ذلك يبدأ من الآن بوضع برامج
ملأمة لهذا الغرض في كل محطة للإذاعة في
كل وطن من أوطان العالم الإسلامي.

تقييم مائة للتعليم

اعتمدت الحكومة مبلغ مليون وخمسة
ألف جنيه لتشييد مبان جديدة للتعليم، منها

الاجتماعية في عهد الرسول ﷺ بالحياة
الاجتماعية بين عهد أبي بكر وعهد عمر بن
عبد العزيز. كما يشمل دراسة علاقة الفرد
بالمجتمع، وتكوين المجتمع ووظيفته، وتأثير
البيئة، ووسائل النهوض بالمجتمع، والمؤسسات
الاجتماعية، ووسائل وأساليب العمل فيه.
ويقرر للمشروع أن الارتكاز في نهوض
البلاد إنما يكون أولاً على إنعاش القرية،
وما للمساجد والمؤسسات الاجتماعية والمعاهد
التعليمية من أدوار هامة في خدماتها، ورفع
مستواها الأدنى، وأن ضريبة الدم والمال
والجهد حق للأمة على أبنائها.

وقد وضعت وزارة الشئون الاجتماعية
برنامجاً لهذه الدراسات تستغرق مدته أربع
سنوات : فيدرس الطالب في السنة الأولى
منها مبادئ الدراسات الإسلامية والتاريخية
والخدمات الاجتماعية الإسلامية، وفي السنة
الثانية مبادئ المشكلات والتشريعات الاجتماعية
والدراسات التربوية والفنية، وفي السنة الثالثة
موضوع مصر ومشكلات الشرق الأوسط
والعالم والسياسة، ويتعمق في السنة الرابعة
في الدراسات الاجتماعية والخدمات الاجتماعية
وما تضطلع به الوزارة من برامج الإصلاح.

وكان يوم السبت الماضي (٢٦ جمادى
الآخرة) موعداً لافتتاح هذه الدراسات
خطب فيه الأستاذ الأكبر شيخ الجامع

مكتبة دير طور سيناء

في دير طور سيناء مكتبة تحتوي عدة ألوف من المخطوطات والوثائق التاريخية ، ولا سيما المواضيع التي تهتم رجال الدير من دينية وفلسفية وسياسية وعلمية ، وبينها مخطوطة للإنجيل بلغة عربية فصحى ترجع إلى عصر صدر الإسلام وبمجموعة من الفرامانات العثمانية والمصرية والتعليمات الإدارية ، وكثير من ذلك يتصل بتاريخ مصر ومنطقة الشرق العربي .

وكانت مكتبة الكونجرس الأمريكي انفتحت مع جامعة الإسكندرية على إيفاد بعثة مشتركة إلى هذه المكتبة لتصوير مخطوطاتها على الفيلم الدقيق (ميكرو فيلم) استعداداً لدراساتها من جهة ، وحفظاً لصور منها احتياطاً للطوارئ التي يمكن أن تطرأ على كل مؤسسة إذا أصابها الأقدار . ولذلك أعدت البعثة المخططة ثلاث نسخ ميكرو فيلم من جميع مخطوطات دير طور سيناء ثم بويت ورتبت على أحدث أنظمة المكتبات وعملت لها الفهارس التي تيسر الاستفادة منها . ثم حفظت إحدى النسخ الثلاث في مكتبة دير طور سيناء ، والثانية بمكتبة جامعة الإسكندرية ، والثالثة بمكتبة الكونجرس الأمريكي . أما نسخة جامعة الإسكندرية فكانت في ستة صناديق فتحت يوم ١٣ جمادى الآخرة (٩ فبراير) بحضور لجنة من إخصائين

١٩٧ ألف جنيه لإنشاء كلية للبنات في مصر الجديدة تتبع جامعة عين شمس و ١٦٠ ألف جنيه لمبنى كلية المعلمين في مفتحة الكبرى ، و ١٠٠ ألف جنيه لمبنى كلية الفنون التطبيقية بمنطقة الأورمان ، و ١٩٥ ألف جنيه لإنشاء مدارس للمعلمين والمعلمات الخاصة ، و ٣٤٠ ألف جنيه لإنشاء مدارس للمعلمين والمعلمات العامة ، و ٧١ ألف جنيه لمدرستين للصناعات إحداهما بالحليمة والأخرى بالمطرية ، و ١٦٠ ألف جنيه لإنشاء مدرسة ثانوية تجريبية بالإسكندرية ، و ١٢٥ ألف جنيه لإنشاء مدرستين إعداديتين تجريبيتين إحداهما في جزيرة الروضة والأخرى بمصر الجديدة ، و ٦٥ ألف جنيه لمدرسة ثانوية للبنين بحلوان و ٧٦ ألف جنيه لمدرستين إعداديتين إحداهما بحلوان والأخرى بالدقي .

وسنشأ مدرسة تجريبية للبنات بالمعجزة ، وستسلم وزارة التربية والتعليم في أول العام الدراسي المقبل ٢٥٠ مبنى جديداً للمدارس الابتدائية .

وكل بلد يتبرع أهله بقطعة أرض تكفي لبناء مدرسة وبمبلغ لا يقل عن ألف جنيه يكون له حق التقدم على غيره في إنشاء المدارس فيه بدلا من الانتظار حتى يأتي دوره في البرنامج الموضوع للبلاد المحتاجة إلى مدارس .

إنشاء المجلس الأعلى

العراق

ينحاز إلى محالفة تركيا

صدر في ليلة ١٢ يناير بلاغ مشترك عن المحادثات التركية العراقية التي دارت بين هـدنان مندريس رئيس الوزارة التركية ونوري السعيد رئيس الوزارة العراقية .

وقد جاء في هذا البلاغ أن الحكومتين التركية والعراقية قررتا عقد اتفاق عسكري يرمي إلى تحقيق التعاون وزيادته لكفالة الاستقرار في الشرق الأوسط والمحافظة على سلامة المنطقة ، وذلك في أقرب وقت ممكن .

وأشار البلاغ إلى أن هذا الاتفاق المرتقب سيتضمن التعهد بالتعاون بين البلدين بصدد أي عدوان قد يقع على تركيا أو العراق من داخل المنطقة أو من خارجها من أي جهة ،

وذلك استناداً إلى حق الدفاع الشرعي الذي نصت عليه المادة ٥١ من ميثاق الأمم المتحدة

وقد فوجئت الحكومات الموقعة على ميثاق جامعة الدول العربية بهذا البلاغ ، واعتبر هذا العمل من العراق متعارضاً مع ميثاق الضمان

الجماعي العربي . ودعت مصر رؤساء وزارات الحكومات العربية إلى عقد مؤتمر عاجل في

القاهرة ، وكانت الحكومة السعودية أشد الدول

العربية تحمساً لوجهة نظر مصر في استنكار حمل العراق . وأرسل جلالة الملك سعود رسالة خاصة إلى السيد نوري السعيد حذره فيها من تفكيك صفوف العرب وإخضاعهم للسيطرة الأجنبية . وفي آخر يناير أوفد مؤتمر رؤساء الحكومات العربية وفداً إلى بغداد لمعالجة الموقف ، فتبين للوفد إصرار العراق على المضي في طريقه إلى التحالف مع تركيا .

وفي ٣ فبراير قرر مجلس الوزراء العراقي بالإجماع ضرورة عقد الميثاق المقترح مع تركيا فوراً واعتباره محققاً مصلحة كل

الشعوب المحبة للسلام . وفي ٦ فبراير انعقد مجلس النواب العراقي وحضره ٩٦ نائباً من

مجموع الأعضاء وعددهم ١٣٥ ، وبعد مناقشة استغرقت أكثر من خمس ساعات تناولت

موضوع الحلف التركي العراقي اقترح الحاضرون على تأييد سياسة الحكومة بعد

أن أستمع المجلس إلى بياناتها فيما يتصل بسياسته التي قالت إنها تهدف إلى أمن العراق

والدفاع عن حدودها طبقاً لميثاق الأمم المتحدة وجامعة الدول العربية ، فأيد النواب

الذين حضروا الجلسة بالإجماع سياسة نوري السعيد في هذه المسألة .

وفي سنة ١٩٥٣ قتل ضابطان بريطانيان في معركة نشبت بين القوات البريطانية ورجال القبائل بسبب النزاع على ملكية خط الحدود. والإنجليز لا يستطيعون أن يدعوا ملكية لشبر أرض من ذلك الوطن العربي، وإنما يدعون مصالح لهم والمشتريين في شركات البترول من رعاياهم. وأخيراً تم الاتفاق على عرض النزاع على هيئة تحكيم رسمية من ثلاثة قضاة أحدهم بلجيكي يتولى الرئاسة والثاني من كوبا والثالث باكستاني. ونذبت المملكة السعودية الأستاذ عبد الرحمن عزام ليكون في الفريق الذي يدافع عن وجهة نظرها. ولا ينتظر أن تصدر هيئة التحكيم حكماً قبل منتصف العام القادم.

حول السد العالي

يقدرّون المدة اللازمة لبناء السد العالي في جنوب أسوان بعشر سنوات متواصلة، وأن القوى العاملة التي تتطلبها بناء هذا السد - الأول من نوعه في العالم - لا تقل عن عشرين ألفاً من المهندسين والفنيين والإداريين والعمال، وقد تقرر أن تبقى لهم مدينة سكنية كاملة المرافق الحديثة.

مؤتمر شباب العالم الإسلامي (مشعل)

انعقد مؤتمر شباب العالم الإسلامي في كراتشي يوم الأحد ٨ جمادى الأولى وانتهى

وفي ١١ فبراير وجه الملك سعود نداء إلى الشعوب العربية دعاهما فيه إلى الكفاح في سبيل وحدة العرب، ورفض الدخول في أي حلف يضر بالامة العربية. وقال: إن الجامعة العربية هي أملنا المشترك ووسيلتنا لغايتنا القصوى وهي الوحدة العربية الكبرى التي نسمى جميعاً لتحقيقها. لكن جامعة العرب هذه تختصر اليوم، وأركانها الراححة على هزائم العرب الصلبة مؤذنة بالانهار، فقد خرج بعضنا عن إجماع الامة وإرادة شعوبها، وقد عجزنا عن إقناعه بمقبة سياسته وخطر الخطوة المفزعة التي يقدم عليها. فيأبها العرب هل ترضون بأن تلتفوا أتم والصهيونيون في حلف مشترك وزمالة سلاح يارغامكم على التوقيع على صلح مع تلك الطفمة الظالمة المعتدية على بلادكم. لقد عجز الاعداء عن حملكم على تحقيق هذا الصلح المشين فسلطوا عليكم بعضاً منكم يرغونكم على ذلك ولو كره المخاضون. لهذا أكرر ندائي إلى كل عربي أن يقول كلمته، وأن ينضم إلى الجماعة، فإن يد الله مع الجماعة.

واحة البريمي

تبلغ مساحة واحة البريمي ٧٠ ألف ميل مربع، ويرجع النزاع بشأنها بين بريطانيا والمملكة العربية السعودية إلى ربع قرن مضى، واشتد هذا النزاع على أثر اكتشاف منابع البترول

البترول العربي

زاد إنتاج البترول في الشرق الأوسط في العام المنصرم. ١٢ في المائة مما كان في سنة ١٩٥٣، فبلغ ١٧٣ مليون طن في مقابل ١٢٢ مليوناً في العام الذي قبله. وكانت الكويت أكبر البلاد العربية إنتاجاً فبلغ ما استخرج منها ٤٨ مليون طن ثم المملكة العربية السعودية فبلغ إنتاجها ٤٧ مليوناً، والمراق ٣٠ مليوناً.

البترول المصري

أعلنت شركة كاليفورنيا الجنوبية البترول أنها أتمت إنشاء أول بئر بترولية بجهة (البلاعيم) في سيناء لحساب شركة مصرية، وهذه البئر تنتج ٤٨ برميلاً في الساعة من فتحة عرضها $\frac{1}{4}$ البوصة وعمق البئر ٧٣٥٠ قدماً.

ويستعدون لافتتاح بئرين أيضاً بالقرب من البئر الأولى، ولإنشاء خط للأنابيب يمتد من البلاعيم إلى منطقة فيران لتيسير نقل البترول.

مسجد الرفاعي

في مقال للأستاذ حسن عبد الوهاب عن مسجد الرفاعي أن هذا المسجد بني على رباط

في يوم الجمعة ١٣ منه، وكان الغرض منه بعث الإيمان في الشباب الإسلامي الذي أهمل فيها مضي فسلوك مسالك ما كان ينبغي له أن يسلكها حتى قال القائل مقام أنور السادات: إلى اعتبار انعقاد هذا المؤتمر حدثاً في تاريخ الإسلام، لأن من الشباب الإسلامي من انخدع بدعوة أنصار السلام، ومنهم من يسيطر عليه النفوذ الأمريكي، بينما كان ينبغي أن يتجه الشباب المسلم إلى الرسالة الإسلامية الخاصة به. لقد تكالبت على الدول الإسلامية وعلى الإسلام عوامل كثيرة جداً لتفشوه وتشيده رسائله الخائلة، وإن السكفيل بإصلاح هذه الأخطاء جميعها هو الشباب

هذا وقد كانت العربية لغة رسمية للمؤتمر، واتخذت كلمة (مشغل) رمزاً له وهي مؤلفة من حروف مقطعة من كلمات (مؤتمر شباب العالم الإسلامي) - وقد اشترك في المؤتمر ١٧٤ شاباً يمثلون ٢٩ دولة، وكان الرئيس من اندونيسيا وكاتب المؤتمر من مصر وأمين الصندوق من سيلان والمراق العام من باكستان، وسيجتمع المؤتمر مرة كل عامين، واجتماعه القادم سيكون في القاهرة. أما المكتب المركزي فيجتمع أربع مرات في السنة، وسيكون اجتماعه الآتي في (جاكرتا) باندونيسيا في شهر رمضان القادم.

ثم عذب بعد ذلك بوضعه في برميل ملاءه بماء بارد قدر ، مع إبقاء رأس الرجل داخل الماء القذر إلى حد الاختناق ، ثم أجروا عليه قياراً كهربائياً تحت إبطيه وحول ساقيه وأدخلوا في فمه أنبوبة من الماء القذر إلى أن خر مغشياً عليه .

وكان يتخلل ألوان التعذيب هذه استجابات كانت تمتد إلى ساعات طوال دون أن يقدم في خلالها أى غذاء إلى المعتذب . إن المناقنين الذين يسارعون إلى عضوية مؤتمرات حقوق الإنسان فيهم من يقرأ الصحف الفرنسية التي نشرت هذه التفاصيل ويرى مع ذلك أنها لا تمس حقوق الإنسان التي يتبجح بها !

منطقة استومية قومية

قال الصاغ مجدى حسنين في افتتاح مسجد أم صابر بمديرية التحرير :
« إن الغرض من إنشاء مديرية التحرير هو إقامة منطقة إسلامية قومية ، وستطبق في هذه المنطقة تعاليم الدين : فلا خمر ، ولا ربا ، ولا ميسر . وسيكون لكل من الجنسين ناد خاص مستقل به . »

ترجمة القرآنة بالإنجليزية

من عطة الإذاعة بطهران
اطلعت مشيخة الأزهر على خبر غوا

مدفون فيه السيد علي أبو شباك أحد ذرية السيد أحمد الرفاعي الكبير ، وأن السيد علي أبو شباك مولود في مصر وتوفي في أوائل القرن الثامن الهجري ، وأن الرباط الذي دفن فيه دخل في المسجد عندما شرعت خشيار هانم أم الخديو إسماعيل في بناءه سنة ١٢٨٦ هـ فاشترت المساكن التي حول الرباط وعهدت إلى المهندس حسين باشا المعمار بإعداد مشروع لبناء مسجد كبير تلحق به مدافن لها ولاسرتها ، وبقن إحداهما ليحيي الانصاري والثانية لأبي شباك الرفاعي ومن دفن معه وبعده من الرفاعيين . وبعد أن سارت العمارة شوطاً كبيراً أوقفت ، ثم استوفت ثانياً سنة ١٣٢٣ بإشراف أحمد خيرى باشا مدير الأوقاف الخصوصية الذي عهد إلى هرنس باشا كبير مهندسى الآثار العربية وقتئذ بإعداد مشروع لتكملة المسجد قام بتنفيذه وأنتم عمارته واحتفل بافتتاحه سنة ١٣٣٠ هـ (١٩١٢) .

الهمجية الفرنسية

نشرت جريدتا (أكسپرس) و(ابزفاتور) الفرنسيتان مقالين للكاتبين فرانسوا موريارك وكلود بورديه عن الفظائع الهمجية التي يرتكبها البوليس الفرنسى في المسلمين الجزائريين ، ومن ذلك قول موريارك إنه سمع من شاهد عيان أن أحد الوطنيين المسلمين في الجزائر ظل يضرب أكثر من ساعتين بسوط ملح .

قرارات

- مؤتمر الشباب الإسلامى فى كراتشى
انتهى مؤتمر الشباب الإسلامى الذى أشرنا
فى الجزئين الماضيين إلى انعقاده فى كراتشى ،
وكان من أهم قراراته بعد الموافقة على دستور
المؤتمر والهيئة المشرفة عليه والمجلس التنفيذي :
١ - ألا يتدخل المؤتمر فى السياسة الداخلية
لأى قطر إسلامى .
٢ - التنديد بالاستعمار ، والرأسمالية ،
والشيوعية .
٣ - التنديد بمطامع إسرائيل التوسعية .
٤ - توصية الحكومات الإسلامية
بتطبيق العقوبات الاقتصادية على إسرائيل ،
أسوة بما تقوم به الحكومات العربية
فى هذا السبيل . لأن بغى إسرائيل على فلسطين
لا يتناول القومية العربية وحدها بل يشمل
الملة الإسلامية جمعاء .
٥ - التوصية بتشكيل لجنة البحث عن
الموارد الطبيعية بالدول الإسلامية .
٦ - سن نظام إسلامى دولى للتأمين يحل
عمل النظام الاجنبى السائد الآن .
٧ - تأسيس شركة إسلامية للزراعة ،
وتأسيس بنك إسلامى .
٨ - التمييز بين الثقافة والعلم ، وتوصية
شباب الإسلام بالابتعاد عن الثقافات
الاجنبية ، وتكوين ثقافتهم من يسابيع
إسلامية تماشى سنن الإسلام ومبادئه .

أن عظمة الإذاعة فى طهران قررت أن تدخل
فى برامجها الاجنبية إذاعة القرآن الكريم
باللغة الإنجليزية فضلا عن ترجمة قامت بها
السيدة كوك الامريكىة ، فكتبت المشيخة
إلى وزارة الخارجية طالبة الاتصال بالسفارة
المصرية فى طهران للحصول على نسخة
من هذه الترجمة لمرضاها على اللجنة التى أمر
بتشكيلها فضيلة الاستاذ الاكبر شيخ الجامع
الأزهر لفحصها ووضع تقرير عنها ،
والاتصال بالسفارة الإيرانية بالقاهرة
فى هذا الشأن أيضا مع طلب الترتيب
فى إذاعة هذه الترجمة .

وقد أمر فضيلة الاستاذ الاكبر بأن تبدأ
تلك اللجنة عملها من الآن بمتابعة واديو
طهران فى إذاعاته وتسجيل ما يذيعه من
القرآن بالإنجليزية وإبداء للملاحظات الفنية
والعلمية التى تبدو على تلك الإذاعة . وقد
أجاب فضيلته مندوب الاهرام على سؤال
له فى هذا الموضوع قائلا :

« إن الترجمة مستحيلة لأن القرآن عربى
بنص كلام الله (قرآنا عربيا غير ذى عوج)
ولأن المتأمل فى آية كلمة منه لا يجد غيرها
مناسبا لمكانتها مما قبلها ومما بعدها .

والمعاني القرآنية ، أو المقاصد الإلهية ،
لم تكتمل إلا فى تلك الالفاظ التى اختارها
الله لها . »

الى حضرات القراء

كنّا نخيرنا للمجلة أن تصدر في نصف حجمها مرتين في كل شهر عربي . ومع أن هذا التعديل صادف ارتياحا لدى كثير من حضرات القراء ، فقد رغبت إلينا الكثرة الكثيرة من حضراتهم أن نعود بها إلى نظامها الأول ، وذلك - أولا - لأن إصدارها أول الشهر لا يغيّب عن خواطرم ، فلا تفوتهم المجلة كما يفوتهم موعدها في نصف الشهر أحيانا - وثانيا - لأن المجلة إذا اتسع أمامها الوقت تظل في الاسواق مدة أطول ، فيكون إدراكها مستظاءا لم أكثر مما هو الآن ، وفي هذا تمكين لحضراتهم من المحافظة على أعدادها متوالية .

وقد استجابت إدارة المجلة لهذه الرغبة السكرية ، على أن تزيد في حجم المجلة ، حتى تتسع لأكثر ما لديها من المواد ، وعلى أن يكون ثمن العدد الشهري أربعة قروش بدلا من خمسة فيما سبق . أما الاشتراكات فكما هو مدون بصورها .

وقد اقتضى هذا التعديل في نظام المجلة ألا تصدر في شهر جمادى الآخرة ، وتستصدر بمشيئة الله تعالى في شهر ذى القعدة المقبل بدلا منه .

هذا - والمجلة تشكر لكتابها وقراءها جميعاً ما أبدوا من إقبال وتأييد ، وهي - بفضل مؤازرتهم - سائرة إلى الكمال في جد ومثابرة . والله ولي التوفيق ؟

(المجلة)

الفهرس

صفحة	الموضوع	بـ
٦٠٩	أثر الصحافة والسينما في توجيه المجتمع . . .	الاستاذ محب الدين الخطيب رئيس التحرير .
٦١٥	تفحات القرآن : المتكلمون في اللمد . . .	» عبد الطيف السبكي عضو جامعة كبار العلماء
٦١٩	السنة : مسامرة نبوية	» طه محمد الساكت
٦٢٤	نذير من الغرب	» أبو الوفا المرافي
٦٢٧	حياتنا بين الشرق والغرب	الدكتور مصطفى الحفناوى
٦٣٧	صاحب التنقيح	الاستاذ عبد الله المرافي
٦٤١	منع القراءة بجميع الحرف والوقف في المحافل	» محمد عبد جابر المفتش بالأزهر
٦٤٣	عزة النفس	» علي العماري
٦٤٦	قتيبة بن مسلم — ٢ —	» محمد رجب البيومي
٦٥٠	كنوز الثقب وموقفه	» احسان النمر
٦٥٢	إلى أين ؟	» محمد أبو المكارم
٦٥٦	الاسراء والمراج	» محمود محمد المدني
٦٥٩	البهاية	» محب الدين الخطيب
٦٦٩	عمر بن عبد العزيز	» أحمد الصرابي
٦٧٦	نصرة الله لأولياته — ٢ —	» محمود فرج العقدة
٦٨٠	أسرار الصريمة الاسلامية	» محمد أبو الملا البنا
٦٨٥	غزوة الخندق	» محمد جمال الدين محفوظ
٦٩٠	تخفيض الانبياء عليهم الصلاة والسلام في	الاستاذة : عبد الطيف السبكي، طه الساكت
	المسرح وعلى شاعة السينما	حافظ اليتي، عبد الكريم جاويش

التعليقــــــــــــــــات

٧٠١	المسرح الاسلامي	الاستاذ عبد الطيف السبكي عضو جامعة
٧٠٢	الجزأة في تفسير القرآن	كبار العلماء
٧٠٤	الاباحيون من كتاب اليوم	»
٧٠٥	هيئة كبار العلماء	»
* * *		
٧٠٧	السكتب	» المجلة «
٧١١	الأدب والمعلوم	»
٧١٤	أنباء العالم الاسلامي	»
٧١٩	إلى حضرات القراء	»

بسم الله الرحمن الرحيم	
مَجَلَّةُ الْإِزْهَرِ	
الاشترار السنوي	
في وادي النيل	٤٠٠
لطلبة وادي النيل	٤٠٠
لأعضاء والمدرسين بالوادي	٣٠٠
خارج الوادي	٥٠٠
للطلبة خارج الوادي	٣٠٠
لأعضاء والمدرسين خارج الوادي	٤٠٠

مَجَلَّةُ الْإِزْهَرِ
مَجَلَّةُ شَهْرِيَّةٌ بِجَامِعَةِ
تصدر عن شعبة الأزهر في أول كل شهر عربي

مدير المجلة
عبد اللطيف التنبكي
عضو جماعة كبار العلماء
العنوان
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٤١٤

القاهرة في غرة شعبان ١٣٧٤ - ٢٥ مارس ١٩٥٥ - الجزء ١٣ و ١٤ - المجلد السادس والعشرون



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اعداد شباب الأزهر

لقيادة المجتمع وتوجيهه

كان الإسلام — منذ يومه الأول — ثورة الحق على الباطل ، فكل ما هو في ذاته حق فهو من الإسلام والإسلام يؤيده ، وكل ما هو باطل في الواقع فالإسلام يمحاه وهو حرب عليه . والإسلام دعوة الخير لمكافحة الشر ومطاردته ، فكل ما هو خير في نفس الأمر فالإسلام يدعو إليه ، وكل ما هو شر محض - أو يعلب شره على ما قد يكون فيه من خير - فالإسلام يستنكره ويقاومه ويبرأ منه . والإسلام بذاته نظام ، وكل نظام يؤدي إلى فائدة عامة ومصلحة راجعة ويمائى مبادئ الحق والخير التي جاء بها الإسلام فالإسلام يقره ويرحب به ويدرك عنه شوائب الفوضى . والإسلام تعاون : تعاون كل الخير ، تعاون على إقامة الحق ، تعاون بين الجماعة على ما تنوء به طاقة الأفراد ، تعاون على كل ما هو حسن وجميل ومفيد . ثم إن الإسلام - قبل كل ذلك ، وبعد كل ذلك - رحمة وتراحم وإيثار ، وقد جاء مبشرا في هدايته الخالدة بأن الراحمين يرحمهم الرحمن .

هذا هو الإسلام الذي بعث الله به نبي الرحمة محمد بن عبد الله ﷺ لينم به مكارم الأخلاق في المجتمع الإنساني . ولأول مرة في تاريخ رسالات الله رأت الإنسانية جيلا مثالياً يكونه هذا الرسول الكريم فلا يبلغ جيل آخر مبلغه في الاستقامة على الحق والتعاون على الخير والزم طريق الله وعمارية الظلم والبغي والظلميان .

إن هذا الدين - دين الأخلاق والتعاون - أداة في يد الله ، وفي استطاعتهم أن يعملوه وسيلتهم الناجحة لتكوين الجيل المثالي الصالح في أي عصر شاموا ، وقد نجحت تجربته في الأجيال الثلاثة الأولى من صدر الإسلام ، وهي الأجيال التي غيرت معالم الأرض ، وأحدثت أعظم انقلاب في تاريخ الإنسانية ، فعمدت أوامر الأخوة والمحبة ووحدة الأخلاق والثقافة والتفكير بين شعوب كثيرة ، مختلفة الألوان والأوطان والأجناس والألسنة . غير أن أعداء هذه الرسالة كادوا لها من مختلف النواحي ، فبنوا في سفنها بدعا ، وفي عقائد عامتها أساطير وخرافات ، وفي أخلاق أفرادها وجماعاتها أنانيات وعادات تنكرها عليهم هداية دينهم ، وفي نفوس أعيانها وأغنيائها شهوات كانت من حياثل الشيطان التي ساعدت سلطان الاستعمار على بسط نفوذه بين شعوب الإسلام : فبعد أن كانت هذه الشعوب تليس بما تفسجه أيدي أبنائها زهدا الاستعمار في ملابسها ومفسوجاتها ومصنوعاتها حتى صار هذا الشرق الإسلامي سوقا لمصنوعاته ومستعبدا لسلطانه الاقتصادي ، وبعد أن كنا نتقف بثقافتنا وتآذب بآدابنا ونفكر بعقولنا ونستمد حيويتنا من أمجادنا وتاريخنا . أقنعنا الاستعمار بأننا أمة مفلسة ليس لها تراث ، وليس لها مبادئ وسنن ، وليس لها ينابيع فضائل تغترف من مواردها ، وتستمد قوتها المعنوية من خزائنها وكنوزها . وبعد أن صدقنا هذه الأكاذيب فرض الاستعمار علينا ثقافته وآدابه ، وجعلنا نفكر بعقليته ، ونحكم على الأشياء بذوقه ومقتضى مصالحه . وبعد أن كانت لنا جيوش يؤمن جنودها بالجهاد والكفاح أضف الاستعمار هذه الجيوش وجعل زمام الكثير منها بأيدي رجاله ، وسلب قادتها نعمة الإيمان بقومياتهم وملتهم ، فأصبح الجندي الجزائري المسلم يستमित في الدفاع عن الاستعمار الفرنسي ، والجندي الهندي المسلم يستमित في هذا الدفاع عن الاستعمار البريطاني ، وما العهد بالأمثال التاريخية على هذه الكوارث الفاصمة بعيد . وهكذا خسرنا استقلالنا الحربي ، بعد الذي خسرناه من استقلالنا

الاقتصادى واستقلالنا الثقافى والخلقى ، وصرنا عالة على الاستعمار وشعوبه فى جميع مصادر قوتنا ومقومات حياتنا .

ولكن عمراً — الذى كان فى المائة السنة الماضية سادراً فى غمرة الطفولة — قد كبر الآن وشب عن الطوق الذى جعله الاستعمار فى عنقه . لقد شب عمرو عن الطوق ، وأخذ الوعى يستيقظ فى نفوس أبناء هذا الشرق الإسلامى وعقولهم .

ومن آثار الوعى فى هذا الشرق الإسلامى التفات أوطانه وأقطاره إلى ناحية التصنيع والاستفتاء الذاتى وتعديل الميزان التجارى بين الاستيراد والتصدير . ثم من آثار هذا الوعى الأخذ بأيدى الطبقة الضعيفة من طبقات المجتمع - ولا سيما طبقة عمال الزراعة - ومساعدتها على الالتحاق بالطبقة الوسطى فى إعادة المجتمع والاستفادة منه ، لأن الأمة التى تعظم فيها نسبة الطبقة الوسطى يكون ذلك عنواناً على تقدمها فى طريق الخير والسعادة . لكن قادة الإصلاح اصطدموا - وهم يعالجون هذه الناحية من الإصلاح - بحقيقة مؤلمة ، وهى أن المساعدة الاقتصادية لهذه الطبقة إن لم تقترن بمعالجة النفس والإصلاح الخلقى فإن مجرد المساعدة بتحسين موارد الذين كانت موارد سيئة لا يكفى فى إصلاح حالهم ، بل قد يسببون استعمال هذه الزيادة فينفقونها على الشهوات والمكيفات ولا يبتغفون بها فى رفع مستوى المعيشة والتقدم فى سبيل الحياة .

لذلك كان من لوازم نجاح الإصلاح الاقتصادى العناية بالإصلاح الاجتماعى ، والمجتمع المسلم أولى به أن يعالج إصلاحه الاجتماعى بالإسلام الذى وصفنا رسالته فى صدر هذا المقال ، والذى 'جرب فى إنهاض أهله فكان منهم خير أمة أخرجت للناس . لذلك رأى رجال الثروة وهم يعالجون المجتمع المصرى ويحاولون النهوض بطبقته الدنيا لتكون منهم طبقة وسطى سعيدة ، أن يكون ذلك عن طريق التوجيه الإسلامى بإعداد شباب الأزهر للقيام به ، وبذلك يخرج الأزهر من عزله التى اعتقله فيها الاستعمار وأعوانه ، إلى المجتمع الذى هم أبناؤه وهو منهم . بل بخروجهم إلى المجتمع يكون المجتمع قد دخل الأزهر والتحق به وعول على أن ينهل من ينابيعه .

هذه المهمة التى ستلقى على عوايق شباب الأزهر نوه بها فضيلة الأستاذ الأكبر فى خطبته التى ألقاها فى حفلة افتتاح دراسات هذا المشروع وسماها (أمانة) وأعلن أنه لا إيمان لمن لا أمانة له ، لأن الأمانة شعبة من شعب الإيمان الإسلامى .

إن مائة شاب من شباب الأزهر قد جندهم الوطن ليخوضوا معركة اجتماعية لها مابعدهما . فإذا برهنوا على النجاح فيها فإن الوطن سيحتاج إلى هذا العنصر الذي هم منه ليعالج به أمراضه الاجتماعية المزمنة ، وليجدد بالأزهريين شبابه ، ويسترد بهم قوته وعافيته . أما إذا فشلوا - لا قدر الله - فالحسارة التي تترقب على ذلك سيتحملها الأزهر ورسالة الإسلام العظمى ، ولا يكون الذنب حينئذ على الأزهر ولا على الإسلام ، بل على هؤلاء الجنود الذين يؤتى الأزهر والإسلام من ناحية تقصيرهم . وهذا هو معنى (الأمانة) التي ردها الأستاذ الأكبر على مسامعهم وذكرهم بأنه لا إيمان لمن لا أمانة له .

إن المزية التي اختير هؤلاء الشباب الأزهريون لهذه المهمة من أجلها هي منزلة (الإيمان) والوطن اليوم في حاجة إلى هذا الإيمان ؛ والإيمان الإسلامي قائم على شطرى الحق والخير ، فما من شعبة من شعب الإيمان الإسلامى إلا وهي داخلة في أحد هذين الشطرين . وكل شعبة من شعب الإيمان الإسلامى يحتاج إلى الإيمان بها كل فرد من أفراد هذا الوطن المصرى ، ولن يؤمنوا بها عن طريق التلقين والتعليم كما يؤمنون بها عن طريق القدوة والأسوة : فالصدق شعبة من شعب الإيمان الإسلامى ، والناس مستعدون لأن يكونوا أمة صدق إذا قادم إليه قادة من أهل الصدق . والتعاون على الخير شعبة من شعب الإيمان الإسلامى ، والناس مستعدون لأن يتعاونوا على الخير إذا قادم إليه قادة من أهل التعاون على الخير . ولذلك قال الأستاذ الأكبر في خطبته : لا بد للعالم الذى يتصدى للتوجيه والإرشاد من أن يأخذ نفسه بالأمانة في الحيلة لديته في وعظه وفتواه ، ولا بد أن تتوافر له الخبرة التامة لأحوال الناس وعاداتهم . وهذه الخبرة هي التي سيعالجونها ويتمرنون عليها في سنوات الدراسة الأربع ، وسيزدادون خبرة بها وتبرنا عليها إذا أتموا هذه الدراسة ونزلوا إلى المعركة ليقودوا هذا المجتمع إلى السعادة بالحق والخير .

وبعد فإن وطنكم قد أحسن الظن بكم بصفتكم أزهريين ، ولأنكم تؤمنون بالإيمان الإسلامى ، ولأنكم تحملون سنن الإسلام وقواعده وهدايته . فعليكم أن تزدادوا مع الزمن إيماناً بهذا الإيمان ، وأن تصبروا على حمل سنن الإسلام ومشاعل هدايته . واذكروا دائماً قول الوزير الاجتهادى لكم في حفلة افتتاح دراساتهم :

ه أنتم طبقة واعية ؛ وعندكم من العلم ما يساعدكم على تفهم مشكلات مجتمعكم . فإذا عملنا بدأ واحدة فسيكون لنا مجتمع متكافل متراحم كما أراد الله لنا .

أنعملون أيها المجندون المائة من شباب الأزهر لم كان التاريخ الإسلامى فى أول قائمة الدراسات التى ستلتقونها ؟

إن العالم الإسلامى - وفى طبيعته مصر - يريد أن يجدد شبابيه بالأخلاق : بالأخلاق الفردية التنظيمية ، وبالأخلاق الاجتماعية القوية . وهذه الأخلاق الفردية والاجتماعية هى التى نهضت بالإسلام ، بل بالإنسانية ، فى الأجيال الثلاثة الأولى من صدر الإسلام . ولأول مرة فى التاريخ تكون بها كيان واحد مؤلف من مصركم هذه ، ومن ديار الشام التى تهتف الآن للتعاون معكم ، ومن بلاد العرب المترامية الآفاق فى الجانب الشرقى من مصر ، ومن ليبيا وما وراءها من شمال إفريقيا ، فضلا عن السودان وما إلى السودان . إن الأخلاق الفردية والاجتماعية التى تخلق بها قادة التوجيه فى الأجيال الثلاثة الأولى من صدر الإسلام هى التى كونت كياننا المجيد - للبرة الأولى - قبل بضعة عشر قرنا ، وإن البدع والخرافات والانانيات هى التى أفسدت ذلك الكيان ونغرت فى عظامه . ونحن الآن فى حاجة إلى تجديد شباب كياننا الأول . والإمام مالك بن أنس الأصبحى يقول : « لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها » . فأنتم ستجددون دراسة التاريخ الإسلامى لتعلموا منه (صناعة تكوين الأمة) تكويننا سليما قائما على الأخلاق الفردية والاجتماعية التى بعث بها محمد بن عبد الله ﷺ .

أيها الجنود الأزهريون ، لقد أراد لكم وطنكم أن تكونوا على ثغرة من ثغرة الإسلام لتعيدوا هذا المجتمع الإسلامى إلى أخلاقه الإسلامية ، ولتردوا هذه الأخلاق إلى أهلها . والجندى المسلم إذا كان على ثغرة من ثغرة الإسلام فإن الموت أهون عليه من أن يوثق الإسلام من قبله .

محبة المربي الخطيب

نفاية القرآن

- ٢٧ -

٣ - المتكلمون في المهد

بلى من أوفى بعهده واثق
فإن الله يحب المتقين .

(١) شاهد يوسف — عليه السلام .

(ب) غلام ماشطة امرأة فرعون .

١ — لم يكن حديث الصبيان في المهد من هينات الأمور ، ولا من الاحداث المألوفة ، وإنما هو - كما تشهد البداية - شأن له خطره . وكان من خطره أنه لم يحدث إلا عند مناسبة ثلاثه ، وتقتضيه أمانة على إحقاق حق ، وإبطال باطل .

ولم يكن كل حق بالغا من الاهمية أن يتأيد بشهادة ينطق بها صبي في مهده ، ولا كل باطل بالغا من الهول أن يدحض بمنطق الصبي قبل أوانه ، ولكنها أمور معدودة ، بلغت في مقياس الحكمة الازلية أن يفصل فيها صبي لم يبلغ عهد الكلام .

٢ — وقد عودتنا الشرائع السماوية ألا نعتد شهادة الصبيان قبل بلوغهم الحلم ، فكيف تأخذنا بشهادتهم ، وهم دون الوعي لم يرحوا مهدهم ؟

جواب ذلك فيما سبق لنا : أن الأمر يبلغ من العجب مبلغه حتى تكون غرابته أدعى إلى الإيمان به عند من لا ينجحون إلى المكابرة ، ولا يتخذون من غرابته عليهم وسيلة إلى تكذيبه ، كما أن غرابته هذه تدفع المكابرين إلى التشكيك والتكذيب ، لأنهم لا يؤمنون إلا بما تستسيغه أذهانهم الكلية بما ألفوه في عاداتهم .

ومن ذلك اختلف الناس قديما حول معجزات الانبياء : إيماننا بها ، أو تكذيبنا لها ، وهي سنة أزلية من سنن الله في عباده .

وفي شهادة الصبي مقطوع للجدل ، وبها يبدو الحق أبلغ ما يكون ، ويندحر الباطل أخزى ما يكون ، ثم لا يجد المغترون منفذا إلى اتهام الصبي فيما أجرى الله على لسانه ، وبظل الحق أوضح وأرقى من أن تعلق به شبهات المبطلين ، وأنضر وأزكى من أن تذكره لومة اللثامين .

٣ — وقد كان من تلك الأمور التي أفصح فيها الصبي فنصر حقاً مغلوباً ، وكشف عن باطل محبوبك ، مسئلة يوسف - عليه السلام - مع زليخا امرأة العزيز (ملك مصر) .

فيوسف نزيل في بيت العزيز ، وهو شاب أضنى عليه الجمال ما أضنى من روعة وبهاء ، وصنمته يد العناية على جانب من الحسن والرواء ، ثم هو عند زليخا يعيش في ظل الحضارة ، ومطارف النعمة ، وعلى وفرة من أسباب الهناء ، وهو لحسنه يصبح هدفاً للفتنة ، ومثاراً للرغبة ، وبغية لامرأة صاوية مترفة ، وحديثاً لنفمها الأمارة بالسوء . وما عسى أن يمنعها من محاولة المتعة به ، في حين أنه لا يحجزها عنه باب ، ولا يحول دونه حجاب ، وهي لا تدرك من أمره أكثر من أنه شاب ، والشباب إذا لم يندفع فهو يستجيب للإغراء ، ويفتن أكثر وأكثر بربات الحدور ، وساكنات القصور .

٤ — ولما شغفها حباً ، وخدعتها نفسها فيه ، تجملت يوماً بكل ما أوتيت من أسباب ، وغلقت من حولها الأبواب ، وما دار بخلدتها أن يتخلف عن مطاوعتها ، ولا زعمت يتعفف عن المتعة بها ، وهي من هي شأوا ، وترقا ، ودلالا ، فتقدمت إليه في أحسن ما ترى لنفسها من زينة ، وأفضت إليه بما تكنه من صبايتها : في أعذب لفظ ، وأرق أسلوب ، وأصرح نجوى ، قائلة له : (هيت لك) أي أنا بين يديك ، وطوع رغبتك ، والاسباب مواتية لكل ما تدفع إليه الغريزة ، ويرنو إليه الشباب ، ويوحى به سحر الجمال ! !

ولكن الذي تجهل امرأة العزيز من شأن فتاها يوسف أنه متحدر من أصلاب النبوة ، وأن عناية الله به سبقت إلى اختياره للرسالة ، فهو دوحة من تلك الأرومة المباركة ، وغصن من الشجرة الزاكية الطيبة التي امتدحها الله بقوله : « إنا أخصناهم بخالصة : ذكرى الدار ،

ولهم عندنا لمن المصطفين الأخيار ، فهو يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام ، ويوسف وهذا شأنه : شب في طهر موروث ، وعفة مطبوعة ، ثم هو فوق ذلك في عصمة مكفولة . . وكان طبيعياً ألا ترى منه يوماً صبوة إليها ، ولا تهافتا عليها . . ثم كان طبعياً يوم تعرضت له ألا ترى منه ملائنة ، وألا تحس منه خضوعاً ، أو تأنس فيه استجابة ، بل استعصم من كيدها بالله ، وفزع في وجهها إلى الله ، وانخلع من فتنتها أسرع ما يكون ، وقال في جبهة : « معاذ الله ، إنه رب أحسن مثواي ، إنه لا يفلح الظالمون » .

هنا : فطنت زليخا إلى أن نفسه لن تنازعه إلى الضلالة ، ولن تسول له أن يتجاوز حدود الله ، ولن يخون الله ، ولا زوجها الذي أكرم مثواه .

هـ — فكانت هذه حدمة بددت أملها ، وكبت عواطفها ، وتركت لواجع الحب تنقد بين الجوانح ، ونوازع الوجد مشبوبة بين الضلوع .

والحب الماسجن — كما يصفه الأدباء — ثورة عاطفية يطفئها قضاء اللبانة في غفلة الضمير ، فإن لم يجد متفهماً ، ولا زاجراً من الخشية ، فكثيراً ما ينعكس إلى إجرام وانتقام ، وعداء واعتداء .

فأعسى أن يحيق بيوسف من كيد زليخا : وقد كان منها معه ، وكان منه لها ما كان ؟

ما عسى أن يحيق بيوسف ، وقد فر منها وهي تلاحقه ، وهرع إلى الباب وهي تجذبه من الخلف ، حتى مزقت قميصه من شدة ما انتزعت ؟

ما عسى أن يحيق بيوسف من زليخا ، والمرأة لا تعرف القصد في كيدها ، وبزبدها إمعاناً فيه أن تأخذها العين ، وهي على نقيصة محرجة ، حينذاك تخلق من الحيلة ما يضيق به ذهن الرجل ، وتسعفها البديهة في التماس البراءة بما يعقل وما لا يعقل من الأسباب ؟ ؟

هذه لحظة رهيبة يقف فيها يوسف أخرج موقف ، فهو يقاوم الفتنة التي تصارعه وهو يأبأها ، وهو يلتصق منها المخلص ولا يدركه ، وهو حين يقترب من الباب يجد العزير مبصراً له في مفره من زليخا ، وما كاد يأخذ موقفه حتى نهجت زليخا ، وتحولت من محبتها له إلى شاكية منه ، وابتدرت زوجها بالشكوى متباكية ، ونعت على يوسف أنه أراد

بها السوء ، وضرعت إلى زوجها أن يقذف به في السجن ، أو ينزل به العذاب الاليم . قالت : ما جزاء من أراد بأهلك سوءا : إلا أن يسجن ، أو عذاب أليم .

ومهما يكن من ثفة العزيز في يوسف ، واطمئنائه إلى مساكنته مع أهله ، فشبهه الصحابي تعلق عادة بالرجل أكثر مما تعلق بالمرأة ، وزليخا أقرب إلى نفس زوجها من يوسف ، وحيلة المرأة أكثر نجاحا ، وقد تضعف الحقيقة وينشط أمامها الباطل حيناً ، فيوسف الآن في موقف الظنة ، ومعرض الشبهة ، ووسيلته إلى البراءة أن يقول الحق ، والحق يزهد الباطل كما تكشف الله ، فإذا قال : « قال هي راودتني عن نفسي » ولكن : أين هذا مما صنعت زليخا في تبالكها ، وتحررها من الشبهة ؟

٦ — وليس ليوسف إلا أن تسعفه العناية بنفحة من تفحات الحق ، ترد عنه كيد المرأة ، وتدفع عنه شبه الظانين .

وقد كان ذلك على لسان صبي من أهل زليخا ، كان في مهده لا يتجه إليه النظر ، ولا يلتبس منه القول ، ولكن الله أنطقه فقال : « إن كان قبيصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين ، وإن كان قبيصه قد من دبر فكذبت : وهو من الصادقين . »

وحينما وقعت شهادة الصبي موقع الصدق الذي لا مراة فيه ، وتركزت الجريمة في زليخا ، تراجع الملك عن غضبه ، واحتال في ستر المخزاة على زوجته ، ونظاها بالتساح ، وقال : « يوسف أعرض عن هذا ، أي لا تتحدث به ، ولا تكشف عنه ، وقال لزليخا : « واستغفري لذنبك إنك كنت من الخاطئين ، ومع ذلك التلطف الذي بدا من العزيز فقد بالغ في التستر على زوجته ، وأمر يوسف فزجوه في السجن لينساع الناس بأنه المعنى ، وأن زليخا بريئة ، وكانوا من قبل ينسامعون بما هنالك . وللقصة بقية لا يتعلق بها قصدنا اليوم .

ولنما قصدت إلى حديث الصبي في مهده تسكلة لسلسلة بدأناها في هذا الشأن بالحديث عن عيسى عليه السلام ، وهذه قصة تناولها الحديث في لهجات شتى ، وتفسيرات متنوعة ، وقد زعم زاعمون أن المتكلم شامداً على زليخا لم يكن طفلاً في المهد ، وإنما كان مستشاراً حكماً يرجع الملك إلى رأيه ، وزعم آخرون غير ذلك .

والقصة جدرة بأن ينطق فيها صبي كما نطق في أحداث مشابهة ، فليس فيها استحالة ،

ولا استبعاد، وخاصة أنها حلقة من الحلقات الناضرة في تاريخ النبوات، وليلعلم الناس أن الأنبياء ينتلون بما يتلى به غيرهم أو أشد مما يتلى به الناس، فتكون العبرة ماثلة للأذهان والمقول على اختلاف العصور .

وإذا روعي أن يوسف مياً في علم الله ليكون صاحب رسالة ، وليكون ذا شأن في ملك مصر، بعد أن طوح به لإخوته في الحب حسداً له وتخلصاً منه ، فليس كثيراً عليه أن تسكفل به العناية الربانية بكل ما شاء القدر من وسائل التزكية .

• • •

(ب) وسادس المتكلمين في المهد : رضيع كانت أمه تعاود ابنة فرعون لتمشطها من وقت إلى وقت، والقصة على ما روى ابن عباس بلفظه ، قال : (قال النبي ﷺ : لما أسرى بي : سرت في رائحة طيبة ، فقلت ما هذه الرائحة ؟ قالوا : ماشطة ابنة فرعون ، وأولادها .. سقط مشطها من يديها فقالت : باسم الله ، فقالت ابنة فرعون : أبي ؟ قالت : ربي وربك ورب أبيك ، قالت : أولك رب غير أبي ؟ قالت : نعم : ربي ، وربك ، ورب أبيك : الله - قال - فدعاها فرعون ، فقال : ألك رب غيري ؟ قالت : نعم - ربي وربك الله - قال - فأمر بنقرة من نحاس ، فأحيت ، ثم أمر بها لتلقى فيها ، قالت : إن لي إليك حاجة ، قال : ما هي ؟ قالت : تجمع عظامي وعظام ولدي - تريد أولادها جميعاً - في موضع واحد ، قال : ذاك لك ، لما لك علينا من الحق ، فأمر بهم فألقوا واحداً واحداً حتى بلغ رضيعاً فيهم ، فقال : قمى يا أمه ، ولا تقاعسى فإننا على الحق) .

وفي هذا من وجوه العبرة ما أسلفنا في قصة جريج وأصحاب الأخدود وسواهما .

وفي هذه القصص كلها جانب ذو شأن من روعة التهذيب الديني ، وبلوغه مبلغه من الإقناع والوجع والإذعان لقدرة الله ، مما لا يحتاج إلى مزيد في الإسهاب .

وإن تكن لنا ملاحظة ننبه إليها ، فهي أن القرآن صرح بأن عيسى تكلم في المهد . وفي بقية القصص أجل القرآن حديثه في بعضها : كحديث أصحاب الأخدود ، وشاهد يوسف . ولكن السنة أفصحت وفصلت ما أجمله القرآن ، وكفى بذلك بياناً وطمأنينة ، وهناك آثار تثبت الحديث في المهد لأفراد غير من ذكرنا ، ولكنها ليست من الدقة بحيث تكفي للإقناع ، وكفى ؟

عبد المظيف السبكي

عضو جماعة كبار العلماء

البيت

مساخرة نبوية

- ٢ -

أحمدية بيت - خطبة أم سليم - نعم المهر الإسلام -
خادم يفخر بخدمته - مزحة نبوية - أنس يحسب
مائة وعشرين ونيفا من صلبه - كياسة صبي وأمانته .

من أنس رضى الله عنه قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقا . وكان لي أخ يُقال له أبو عمير . قال - أحسبه - فطيم . وكان إذا جاء قال : يا أبا عمير ، ما فعل النخعة ؟ ١٩ فقد كان يلعب به - فربما حضر الصلاة وهو في بيتنا ، فيأمر بالبساط الذي تحته فيسكس ويُنضح ، ثم يقوم وتقوم خلفه ، فيصل بنا .

رواه الشيخان واللفظ البخارى

قلنا في الجزء الماضى : كان صلوات الله عليه يزور أصحابه في بيوتهم ، يسكرهم ويعلمهم ويعلمن عليهم ، ويبحث فيهم من جلال النبوة سناء ، ومن جمالها ثورا وضياء . وكان يختص بيت خادمه أنس بمزيد من الزيارة رحمة منه وحنانا ... ، فإسر هذا الاختصاص ؟

لقد اجتمع في بيت خادمه من الفضل والتبيل والمزايا ما لم يجتمع في بيت غيره . قام هذا البيت الكريم على أعمدة ثلاثة ، كل منهم - رضوان الله عليهم - أمة وحده ، وكل

منهم أنصاري خزرجي نجماري ، ينتهي نسبه إلى بني النجار ، أخوال النبي صلى الله عليه وسلم ، أو أخوال جده عبد المطلب ، في عبارة أدق : أبو طلحة زيد بن سهل ؛ وزوجه أم سليم أم أنس ؛ وابنها أبو حمزة أنس بن مالك بن النضر .

• • •

فأما أبو طلحة فهو من نقباء الانصار وأعلامهم ، شهد العقبة وبدرا وأحدا والحنندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ، واستمر بين يديه يوم أحد يحوز عنه بحقيقته ، وكان شديد الرمي ، فنثر له ﷺ كنانته بين يديه ، وكلبهم ﷺ أن ينظر إلى القوم ليرى مواضع النبيل قال له : يا نبي الله ، بأبي أنت وأمي ! لا تشرف يصبك سهم من سهام القوم ، نحرى دون نحرى ، ويتناول - رضى الله عنه - بصدرة نبي رسول الله ﷺ . . وقتل وحده يوم حنين عشرين مشركا . . وكان لا يكاد يصوم تقلا على عهده ﷺ من أجل الغزو ، ثم صام بعده أربعين سنة لا يفطر إلا يوم أضفى أو فطر ، وقد قدمنا في الجزء الماضي بعض شأنه في الخير والإنفاق مما يجب .

• • •

وأما أم سليم فهي من فضليات السابقات إلى الإسلام ، والغايات في سبيل الله ، أسلمت ورسول الله ﷺ ، وبايعته حين مقدمه إلى المدينة ، فأغضب إسلامها زوجها مالك بن النضر ، وزاده غضبا أنها كانت تلقن أنسا كلمة التوحيد ، وهو طفل رضيع ، لئلا ينطق بها أول ما ينطق ، وزوجها يقول لها : لا تفسدى على ولدى اثم خرج عنها يائسا إلى الشام فكان فيها مصرعه . . بخطبها أبو طلحة وهو مشرك . فقالت : أما إنى فيك لراغبة ولكنك كافر وأنا مسلمة ، فان أسلمت فإنى لا أريد منك صداقا غيره ، فأسلم وجاءها ، فقالت حتى يبلغ أنس ويجلس في المجالس فيقول جزى الله عنى أمى خيرا ، لقد أحسنت ولايتى ، فلما كبر أنس قال لها أبو طلحة : لقد جلس أنس وتكلم ، فقالت : يا أنس ، زوج أبا طلحة .

كانت أم أنس تصحب رسول الله ﷺ في غزواته فتداوى الجرحى وتسقى العطاش ، وربما جاوزت ذلك فأنعمرت في الجيش غازیة ، ولها في الحرب حديث عجب اشهدت حينئذ مع رسول الله ﷺ ومعها خنجر قد حزمته على وسطها ، وإنها يومئذ حامل بعبد الله

ابن أبي طلحة — الذي ألمنا بطرف من أمره في الجزء الماضي — فقال أبو طلحة : يا رسول الله ، إن أم سليم معها خنجر ! فقالت : يا رسول الله ، أنخذة إن دنا مني أحد من المشركين بقرت به بطنه . فتبسم صلوات الله عليه وقال : يا أم سليم ، إن الله قد كفى وأحسن .

• • •

وأما أنس فقد سبقت له السعادة بخدمة النبي ﷺ ، وكان يفخر بهذه الخدمة ، وحق له . كناه صلوات الله عليه أبا حمزة ببقلة كان يجتنيها ، ومازحه بقوله له : يا ذا الأذنين ، وهي مزحة جمعت بين الحق والحكمة والطرافة ، وفيها إشارة لطيفة إلى ما ينبغي أن يتحل به الإنسان عامة ، والخدام المذهب خاصة ، وهو أن يكون ما يسمع وقد خلق الله له أذنين ، ضعف ما يتكلم وقد خلق له لساناً واحداً .

• • •

تنبهت أمه إلى شرف هذه الخدمة ، فما إن قدم صلى الله عليه وسلم المدينة حتى قدمته له وهو غلام لم يتجاوز العاشرة ، وقالت : هذا خويديمك أنس ، فقبله وسره به . ودخل على أمه ذات يوم فأنته بتمر وسمن ، فقال أعيديا سمنكم في سفائي وتمركم في وعائي ، ثم قام في ناحية البيت فصلى غير المكتوبة ، فدعا لام سليم وأهل بيتها ؛ فقالت : يا رسول الله إن لي حويجة ، قال ما هي ؟ قالت خادمك أنس ، فما ترك خير آخرة ولا دنيا إلا دعا به : اللهم ارزقه مالا وولداً وبارك له . قال أنس فإني لمن أكثر الانصار مالا ، وحدثني ابنتي أمينة أنه دفن لصليبي إلى مقدم الحجاج البصرة بضع وعشرون ومائة . وكانت أرضه تثمر في السنة مرتين ، واتفق العلماء على أنه تجاوز المائة ...

ومن مفاخر كياسته وأمانته وهو صبي لم يبلغ الحلم ، ما رواه مسلم عن ثابت عنه قال : أتى علي رسول الله ﷺ وأنا ألعب مع الغلمان فسلم علينا ، فبعثني في حاجته فأبطأت على أمي ، فلما جئت قالت ما حبسك ؟ فقلت بعثني رسول الله ﷺ لحاجة ، قالت ما حاجته ؟ قلت إنها سر ، قالت لا تخبرن بسر رسول الله ﷺ أحداً . قال أنس : والله لو حدثت به أحداً لحدثتكم به يا ثابت . وحسبك أنه خدم النبي ﷺ عشر سنين فما قال له أف قط ولا لشيء صنعه لم صنعته ؟ ولا لشيء تركه لم تركته ؟

هذه ترجمة مجلة لبیت خادم النبي ﷺ ، قبل رأيت أو سمعت أعجب من هذا البيت ؟ وهل أيقنت أنه خليف بأن يكرمه النبي صلى الله عليه وسلم بمزيد من زيارته ومخالطته والاستراحة إليه ، والدؤال عن خادمه وأهل خادمه ، والصلاة في بيتهم والدعاء لهم ، كما يصل في بيته ويدعو لأهله على سواء ١٩

وتمت سيان آخران لاختصاص هذا البيت الكريم ، بمزيد من الزيارة والتكريم :
أحدهما ما قاله جمع من الأئمة - وفي طليعتهم الإمام الذروي - رحمهم الله ، قالوا : إن أم سليم وأختها أم حرام - وكانتا في دار واحدة - كانتا خاليتين من الرضاع للنبي ﷺ ، والحالة بمنزلة الأم ، فكان يرى في كل منهما أما حنونا ذات شرف وسن ، يتحدث إليها ويستروح بالجلوس عندها ، وثبت في الصحيحين أنه كان يدخل على أم حرام فيطعم عندها ، ويقبل في بيتها . وما ذلك إلا لأنها وأختها كلتيهما محرم منه . نعم هو معصوم منزلة صلوات الله وسلامه عليه ، ولكن الأمر ليس أمر عصمة خصب ، بل هو - إلى العصمة - أمر تربية وتهذيب ، وقد بعثه الله معلما متما لمكارم الأخلاق ، وبلغ من حيظته مع عصمة الله له أن يده لم تمس يد امرأة قط إلا أن تكون زوجا أو محرما .

الثاني ما رواه البخاري عن أنس في كتاب الجهاد أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن يدخل بيتا بالمدينة - غير بيت أم سليم - إلا على أزواجه ، فقيل له ، فقال إنني أرحمها أقتل أخوها معي [أى مع عسكرى أو على أمرى وطاعنى ؛ لأنه لم يصاحبه في هذه السرية وإنما أمره بصحبها] ولعله خص أم سليم ، لأن وجدها على أخيها حرام بن ملحان كان أشد وأعق ، وإلا فكلتاها أخت له ، وكذلك أختها الثالثة : أم عبد الله .

وقد استشهد حرام في سرية القراء السبعين الذين أرسلهم النبي ﷺ في إمارة المنذر ابن عمرو إلى أهل نجد في السنة الرابعة . . . فساروا حتى إذا نزلوا ببر معونة - بين أرض بني عامر وحرث بني سليم - بعثوا حراما إلى عامر بن الطفيل سيد بني عامر ، بكتاب رسول الله ﷺ ، فلم ينظر فيه ، بل وثب على حرام فقتله ثم استصرخ عليهم قبائل من بني سليم : دعلا وذكوان وعصية ففقدروا بهم جميعا إلا واحدا وقع بين القتلى ، وآخر كان في سرح القوم . ولما بلغه النبي ﷺ نؤم خطب في أصحابه فقال : إن إخوانكم قد لقوا المشركين

وقتلهم ! وإنهم قالوا ربنا بلغ قومنا أنا ألقينا ربنا فرضينا عنه ورضى عنا ! وحزن عليهم صلوات الله عليه حزنا شديدا ! وأقام يدعو على الفادرين بهم شهرا في الصلاة !

* * *

فكان صلوات الله عليه يجبر كسر هذا البيت الذي فقد ركنا من أعز أركانه ، بزيارته والصلاة فيه ، تخفيفاً وترويحاً وتسرية ، وتعليلاً لآمته وتربية وتزكية ، فقد أرسله ربه رحمة للعالمين ، وهداية للمسلمين ، وأسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً .

* * *

أما بعد - فلنا عظيم الرجاء في الله تعالى أن يذل لنا الصعاب التي اعترضتنا في بلوغ الدعوة وموقف المسلمين منها ، وفي الفترة وتحديد العلاء لها ، كي نعود إلى بحثنا في جزاء الصالحات ، الذي بدأنا به عامنا هذا ، ففتحتمه في الجزء الآتي بمشيئة الله وعونه ؛ فإنه المستعان ، ولا حول ولا قوة إلا به ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ؟

طه محمد الساكن

سادات العرب

قال الجاحظ في كتاب (شرائع المروءة) :

كانت العرب تسود على أشياء : أما مضر فتسود ذراعيها . وأما ربيعة فن أطعم الطعام وأما اليمن فعلى النسب .

وكان أهل الجاهلية لا يسودون إلا من تكاملت فيه ست خصال : السخاء ، والنجدة ، والصبر ، والحلم ، والتواضع ، والبيان . وصار في الإسلام سبعا .

وقيل لقيس بن عاصم : بم سدت قومك ؟ قال يذل الندى ، وكف الأذى ، ونصر المولى ، وتمجيل القرى .

وقالوا : السؤدد اصطناع العشيرة ، واحتمال الجريرة .

سه نوادر النحوي طوطات

المساعد لابن عقيل

إلى تمهيل القواعد لابن مالك

إن ابن مالك علم من أعلام العربية ولا شك ، ليس في النحو فحسب كما يظن كثير من الناس ، وإنما هو عليها في فنون القراءات والأدب ، له في ذلك آثار خالدة ، سبق على مر الأزمان دلائل ناطقة بعلمه وفضله . ومؤلفه الأشهر ألفية النحو والصرف حسبه أن يضعه على رأس القائمة من العلماء .

ولابن مالك مؤلفات كثيرة ، تناولها العلماء بالبحث والدراسة ، وظلت العمدة في فنونها ، وما تناولته من موضوعات لم تقو مؤلفات بعدها - على كثرتها وتناول الزمن عليها - أن تنسخها أو تزاحمها . وقد حظيت بعض مؤلفات ابن مالك بالقبول والشهرة ، وأقبل العلماء والمتعلمون عليها من سائر الأقطار الإسلامية : يدرسونها وينهلون منها ويلتقطون من دررها .

وعما تميزت به كتب ابن مالك غلبة الروح الأدبية عليها ، يبدو ذلك فيما يختاره من الأمثلة والشواهد لتأصيل الأصول وتقرير القواعد ، وإن هذه الروح تخفف كثيراً من ثقل القواعد وجفافها ، يعرف ذلك من درس ألفيته واطلع على نسبه .

ومن عرف من العلماء بالعناية بكتب ابن مالك العلامة عبد الرحمن بن عقيل ، فقد هني بكتابه (الألفية) فشرحه الشرح المشهور (شرح ابن عقيل) . وشرح ابن عقيل في نظرنا خير كتاب في النحو والصرف سبق - ما بقيت اللغة العربية - العمدة في قواعدهما ، ولقد كان من حظ اللغة العربية أن يتولى شرح الألفية العلامة ابن عقيل حيث تظاهرت في خدمتها عبقرية ابن مالك وعبقرية ابن عقيل ، وكان من ثمار هذا التظاهر شرح ابن عقيل على ألفية

ابن مالك ، ذلك الشرح الذي يقطعه من يحاول أن يصفه ، فالعذب السلسيل دون عذوبته ، والأدب الرفيع دون أسلوبه ، والسحر الحلال دون إعجازه في بابه .

تناول ابن عقيل (ألفية ابن مالك) فشرحها الشرح المعروف المتداول ، وتناول كتابه (تسهيل القواعد وتكميل المقاصد) فعلق عليه تعليقا موجزا رأى من الإنصاف والدقة العلمية أن يسميه « المساعد » فلم يزعم أنه شرحه أو أنه حل مشكلاته أو جلا عيوبه ، وما إلى ذلك من العبارات التي اعتاد الشارحون أن يتفججوا بها ، لكن ابن عقيل يرى أن عمله في شرح التسهيل هو الإعانة لحسب ، والإعانة تكون بما قل وكثر وما جل وعظم ، فيقول في خطبة الكتاب :

« هذا تعليق مختصر جمعته على (تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد) للعلامة جمال الدين ابن مالك رحمه الله ، يسهل اقتناص شرائده ، ويمين على استخراج فوائده ، ويتكفل بتكميل عوائده وتوضيح مقاصده ، ومزجته بأصله حتى صار ككتاب واحد » .

• • •

ولتمام التعريف بالمساعد على التسهيل يحسن أن نذكر كلمة عن التسهيل مستمدة من المراجع التاريخية التي ترجمت لابن مالك وتعرضت لكتابه التسهيل ، وموجز ما قيل فيه : انه من كتب ابن مالك التي عرفها العلماء قديما واعتمدوا عليه في مؤلفاتهم . وهو منشور لأرجوزة له في النحو تسمى « مجموع الفوائد » ويغلب على الظن أن هذا المجموع كان في حاجة إلى التسهيل والتوضيح فوضع له ذلك ، وإنه ليدل باسمه على الغرض منه ، كما يغلب على الظن أن كتاب التسهيل لم يف بالغرض فلم يوضح المجموع تمام التوضيح فشرح ابن مالك شرحا وصل به إلى باب المصادر ، ويقال : إن ابنه بدر الدين قد أكمله ، ثم شرحه العلامة أبو حيان الأندلسي ، والعلامة جمال الدين بن هشام الحنبلي ، والعلامة بدر الدين الدماميني وغيرهم ، ثم علق عليه العلامة ابن عقيل بكتابه (المساعد) . وقال بعض العلماء : نظم ابن مالك رجزا في النحو عظيم الفائدة يستعمله المشاركة ، ثم نشره في كتاب يسمى (الفوائد النحوية والمقاصد المحوية) ثم صنف كتابه (تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد) تسهلا لذلك الكتاب وتكميلا له ، وإنه لاسم طابق مسماه ، وعلم وافق معناه ، غير أنه في بعض الأبواب يقصر عن معناه ويترك ما ارتهن في إيراد ، فسبحان من تفرد بالسكال .

وقال شارحه الدماميني : « إن الكتاب المسمى (بتسهيل الفوائد وتكميل المقاصد) للإمام ابن مالك كتاب جمع الفوائد جمع كثرة ، وأفصحت كلماته التي غلت قيمتها ، فكان كل كلمة منه درة ، لا ينازع في فضله من دخل باب الاشتغال إليه ، وإذا كان غيره من الفضلات فلا شك أن العمدة عليه . طال ما جاء بالنفع المتعدي فكان شكره لازما ، وعدد حازما من كان بإسكانه في منازل التقديم جازما ، جمع من براعة العبارة والتتقيح ، واعتنى بالإيجاز فافتنى بالتلويح عن التوضيح ، وحشا أهداف المسامع دررا لا عهد لها بمثله ، فظن بعض الطاعنين أنه سار في صعب الطريق ، وفي الواقع لم يسر إلا في سهلها ، وإنما أقي الطاعن من قبل غموض العبارة عن نظره القاصر ، ومنى بضعف الإدراك وفقد الإسناد ، فأصبح لا قوة له ولا ناصر . »

أما (المساعد) الذي هو موضوع كلتنا فهو من أقدم شروح التسهيل ، فقد فرغ المصنف من تصنيفه سنة ٧٥٨ وتوفي ابن مالك سنة ٦٧٣ . وهو شرح موجز أو تعليق مختصر وضد مؤلفه ليساعد على فهم (التسهيل) ، لذلك يقتصر فيه على بيان ما يراه غامضا ، ويتحاشى التطويل والاستطراد إلى العلوم الأخرى ، فيجعل كتب النحو للنحو ، ولا يخلط علما بآخر ككثير من الشراح ، ولا يحاول تعليل مسائله كما يحاول غيره ، وتبدو في الكتاب روح ابن عقيل العربية والأدبية ، فيستعين القرآن والحديث والشعر في الأمثال والشواهد ، وبرصع تعليقاته بكريم الآيات وعيون الشعر ما واثته الفرصة .

• • •

ونذكر هنا أنموذجا من هذا الشرح لتستبين طريقتة فيه ، واضعين الأصل من التسهيل بين قوسين .

فصل (يتعين انفصال الضمير إن حصر بإنما) كقول الفرزدق :

أنا الذائد الحامي الدمار وإنما يدافع عن أحسابهم أنا أو مثلي

(أو رفع بمصدر مضاف إلى المنصوب) نحو عجبت من ضربك هو ، ومنه قوله :

بنصركم نحن كنتم ظافرين وقد أغرى العدى بكم استسلامكم فشلا

(أو بصفة جرت على غير صاحبها) نحو زيد هند ضاربها هو ، ومنه :

غيلان مية مشغوف بها هو مذ بدت له لحجاء بان أو كرها

(أو أضمر العامل) كقوله :

فإن أنت لم يتفعلك عليك فانتسب لعلك تهديك القرون الاوائل
أى فإن ضللت لم يتفعلك عليك ، فأضمر الفعل لفهم المعنى فاتفصل الضمير (أو آخر)
كقوله : إياك نعبد (أو كان حرف نفي) كقوله :

إن هو مستوليا على أحد إلا على أضعف المجانين

(أو فصله متبوع) نحو جاء عبدا لله وأنت . ومنه قوله تعالى : قد كنتم أنتم وآباؤكم
في ضلال مبين ، وقوله تعالى : يخرجون الرسول وإياكم ، إلخ .

وبسنتين ابن عقيل في شرحه بأراء ابن مالك في النحو ، ويتعرض لكثير من مذاهب
التحويين ، كما يفعل ذلك في شرحه على الألفية ، إلا أنه يتوخى الإيجاز عامة في شرحه
على التسهيل .

وتختلف عبارة (المساعد) تبعا للتسهيل عما ألفناه في كتب النحو ، فيقول في تعريف
الاسم والفعل والحرف : والاسم كلمة يستند ما معناها إلى نفسها ، والفعل كلمة تسند أبدا ،
والحرف كلمة لا تقبل إسنادا وضعيا .

* * *

وبالمكتبة الأزهرية نسخة من (المساعد) لعلها أقدم النسخ عامة ، فقد فرع ناسخها
حنا سنة ١٢٦٩ ، وفرغ مصنفها من تصنيفها سنة ٧٥٨ أى أنها كتبت بعد تصنيفها بإحدى
عشرة سنة ، وهى بخط عيسى على السباطلى المعروف بابن الغزولى ، نقلها من نسخة العلامة
أبى عبد الله محمد بن محمد الفارنى ، وهى بخط واضح قليل الهنات النسخية ، وبهامشها تصحيحات
وتعليقات كثيرة ، وبخاصة أولها ، وتقع فى ٣١٧ ورقة ، وعدد سطور كل صفحة ٢٩ سطرا ،
ويبرز الأصل من الشرح دوائر حمراء صغيرة .

هذا ولعل تعريفنا بكتاب (المساعد) يحفز المشتغلين بعلم النحو إلى العناية به وبالتسهيل ،
فقد حرم التسهيل — كما حرمت شروحه — من الدراسة والفرش ، مع أنها من الكتب
الاصول فى النحو بعد الكتاب لسيبويه ، ولا تزال حبيبة الخزانة ، ومجولة حتى لبعض

الخاصة ؟

أبو الوفا الطرسى

الدَّخِيلُ وَكِتَابُ التَّفْسِيرِ

- ٨ -

... وما جاء في قصص الأنبياء وليس له سند صحيح في الإسلام ما روى في قصة أيوب عليه السلام ، فقد زيد فيها المزيدون ، وأتوا فيها بما عصم الله أنبياءه عنه ، وصوروه بصورة منفرة لا يرضاها الله سبحانه لرسول من رسله ، فقد روى عن قتادة : أنه ابتلى سبع سنين وأشهرًا ، وأنه ألقى على كناسة بني إسرائيل تختلف الدواب في جسده .

وروى عن ابن عباس أنه صار قرحة ما بين قدميه إلى قرنه ، وأنه ألقى على الرماد حتى بدا حجاب قلبه ، إلى غير ذلك مما ذكر في تفسير الدر المنثور وغيره .

والأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - معصومون عن كل ما ينفر الناس منهم : كالجلذام والجدري وسائر الأمراض المنفرة ، وإلا لم تحصل الفائدة المرجوة من بعثهم .

وأصحاب كتب الحديث المعتمدة لم يذكروا شيئاً مما أشرنا إليه . قال ابن حجر في الفتح : « وأصح ما ورد في قصته ما أخرجه ابن أبي حاتم وابن جرير وصححه ابن حبان والحاكم بسند عن أنس أن أيوب عليه السلام ابتلى قلبه في ثلاثة ثلاث عشرة سنة ، فرفضه القريب والبعيد إلا رجلين من إخوانه ، فكانا يغدوان إليه ويروحان ، فقال أحدهما للآخر : لقد أذنب أيوب ذنباً عظيماً وإلا لكشف عنه هذا البلاء ، فذكره الآخر لأيوب ، فحزن ودعا الله حيث شاء ، فخرج للحاجة وأمسكت امرأته يده ، فلما فرغ أبطأت عليه ، فأوحى الله إليه أن اركض برجلك ، فعضرب برجله الأرض ، فنبعت عين ، فاغتسل منها فرجع صحيحاً ^(١) الخ ، وقد رويت القصة مطولة جداً عن وهب بن منبه مما يدل على أصل هذه القصة وأنها مما حمله أهل الكتاب ، ثم جاء القصاص والمولعون بالقران فزادوا فيها وأذاعوها .

[١] فتح الباري جزء ٦ ص ٢٢٦ .

وقد ذكر بعض الباحثين في قصص الأنبياء ^(١) أن المبالغين في ضرر أيوب إنما اعتمدوا غيا يقولون على ما جاء عند أهل الكتاب في السفر المسمى سفر أيوب ، وإذا ثبت أن هذا السفر حقيقي ، فعبارة مؤولة ، ففي هذا السفر ما نصه : « دخرج الشيطان من حضرة الرب وضرب أيوب بقرح رديء من باطن قدمه إلى هامته ، فأخذ لنفسه شققة ليحتك بها وهو جالس في وسط الرماد ص ٢ أيوب ، وبعد أن ذكر بعض القول قال : فرأوا ذلك لحسبوا هذا القول على وجه الوصف الحقيقي ، ولوتدبروا لعلوا أن سفر أيوب يشبه قصائد شعرية قيلت في وصف ضره وصبره ، والشعر في كل لغة ميدان المبالغة . انظروا إلى قول همر بن الفارض :

فطوفان نوح عند نوحى كادى
فلولا زفيرى أغرقتى مدامى
ولإقاد نهران الخليل كلوعى
ولولا دموى أحرقتى زفرى
وهذا المتن يقول :

كنى بحسمى نحو لا أتى رجل
لولا مخاطبى إياك لم ترى
إلى آخر ما ذكر من شعر .

وهذا التأويل إنما هو على فرض ثبوت ما جاء في سفر أيوب ، فأما إذا كان مما يزيدوه فالواجب رده ولا كرامة .

وقد دل القرآن الكريم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه على أن أيوب ابتلى في نفسه ، وأنه صبر حتى صار مضرب الأمثال . قال تعالى : « إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب » . فالبلاء مما لاشك فيه ، والذى ينبغي أن نعتقده أن بلاءه لم يصل إلى هذا الحد من أن جسمه أصبح قرحة ، وأنه ألقى على كناسة بني إسرائيل ، وأيوب عليه السلام أكرم على الله من أن يلقى على كناسة تختلف في جسمه الهداب ، وأن يصير قرحة ينفر الناس منه ، والأنبياء إنما يعمنون من أوساط أقوامهم ، فأين كانت عشيرته قواربه وتعمل على رعايته وحفظه ؟ بل أين كان أتباعه والمخلصون له ؟ اللهم إن هذا لا يقره عقل ولا نقل يعتمد عليه .

(١) قصص الأنبياء المرحوم الشيخ عبد الوهاب النجار ص ٢١٧ .

ويعجبني ما قاله القاضي أبو بكر بن العربي رضى الله عنه قال ^(١) : « ولم يصح عن أيوب في أمره إلا ما أخبرنا الله عنه في كتابه في آيتين الأولى في قوله تعالى : « وأيوب إذ نادى ربه أنى مسنى الضر ، والثانية في سورة (ص) » أنى مسنى الشيطان بنصب وعذاب ، وأما النبي صلى الله عليه وسلم فلم يصح عنه أنه ذكره بحرف واحد إلا قوله : « بينا أيوب يغتسل إذ خر عليه رجل من جراد من ذهب ، الحديث ^(٢) » ، وإذ لم يصح عنه فيه قرآن ولا سنة إلا ما ذكرناه ، فمن الذى يوصل السامع إلى أيوب خبره ، أم على أى لسان سمعه ؟

والإسرائيليات مرفوضة عند العلماء على البتات ، فأعرض عن سطورها بصرك ، وأصم عن سماعها أذنك ، فإنها لا تعطى فكرك إلا خيالاً ، ولا تزيد فؤادك إلا خيالاً . وفي الصحيح - واللفظ البخارى - أن ابن عباس قال : « يا معشر المسلمين ، تسألون أهل الكتاب ، وكتابتكم الذى أنزل على نبيكم أحدث الاخبار بالله ، تقرؤونه محضاً لم يشب ، وقد حدثكم أن أهل الكتاب قد بدلوا من كتب الله وغيروا وكتبوا بأيديهم الكتب فمالوا : « هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً » ولا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألهم ، فلا والله ما رأينا رجلاً منهم يسألكم عن الذى أنزل عليكم ، وقد أنكر النبي صلى الله عليه وسلم في حديث الموطأ على عمر قرأته التوراة » .

والظاهر أن مرض أيوب كان من النوع الذى يشتد ألمه ولا يظهر أثره على ظاهر الجلد : كأمراض العظام والمفاصل ونحوها من الأمراض الباطنية ، ولا يزال الناس يستشفون بمياه العيون الكبريتية من أمثال هذه الأمراض إلى يومنا هذا .

ومن المخلوق المصنوع ما ذكره بعض المفسرين في ياجوج وماجوج ، قال في الدر المنثور [جزء ٤ صفحة ٢٥٠] : أخرج ابن جرير وابن عدى وابن عساكر وابن النجار عن حذيفة قال : سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن ياجوج وماجوج ، فقال : (ياجوج وماجوج أمة ، كل أمة أربعمائة ألف أمة ، لا يموت أحدهم حتى ينظر إلى ألف رجل من صلبه حل السلاح) . قلت : يا رسول الله ، صفهم لنا ، فقال : هم ثلاثة أصناف : صنف منهم مثل الأرض ، قلنا :

(١) تفسير القرطبي : ج ١٥ ص ٢١٠ .

(٢) رواه البخارى في صحيحه [كتاب أحاديث الأنبياء] .

وما الارز ، قال : شجر بالشام طول الشجرة عشرون ومائة ذراع ، وحنف طوله وعرضه سواه ، وحنف يفترش إحدى أذنيه ويلتحف الأخرى إلى آخره . وقد ذكر هذا أيضا القرطبي في تفسيره . وهو موضوع كما قال الحافظ ابن الجوزي وغيره ^(١) .

• • •

وفي كتب التفسير من هذا الزيف شيء غير قليل : مثل ما يذكرونه عن ذى القرنين من روايات تنادى باختلافها ، وما يذكرونه عن الأقوام التي وجدها عند مطلع الشمس ومغربها ، وذلك عند تفسير قوله تعالى : « حتى إذا بلغ مقرب الشمس وجدها تغرب في عين حمة ووجد عندها قوما الآيات » فقد ذكروا أن هناك قبائل تارس وهاويل ومنسك وناسك إلى غير ذلك مما ذكروه ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم مر بهم ليلة الإسراء والمعراج فدعا بعضهم فأجابوه ، ودعا البعض الآخر فلم يجيبوه . وقد ذكر القرطبي كثيراً من ذلك مختصراً عما ذكره ابن جرير وغيره عن مقاتل يرفعه إلى رسول الله .

والحق أن ذلك كله من الإسرائيليات الباطلة التي ننزه عنها المعصوم . ولعل مما يؤكد ذلك أن كثيراً من الروايات الواردة في هذا الباب من رواية وهب بن منبه ، وقد جاءت موقوفة عليه . ورفع ذلك إلى الرسول صلى الله عليه وسلم من الخطأ البين والإثم الشديد . ونحن لا نشك في ذى القرنين ويأجوج ومأجوج ، ولكن الذي تنكره هذه الأساطير والروايات التي دست على أنها روايات إسلامية .

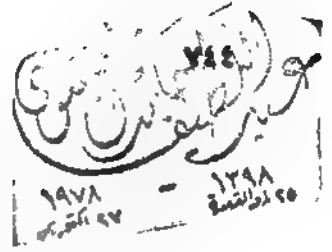
• • •

ومن المخلوق أيضاً ما ذكره ابن جرير في تفسيره عند قوله تعالى : « وقضينا إلى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ، الآيات » فقد ذكر حديثاً عن حذيفة مرفوعاً مطولاً ، وهو موضوع لا يشك في ذلك من له أدنى معرفة بالحديث ، فلا تلتفت إليه مع تنزيه الرسول عن أن يقوله . والعجب كل العجب - كما قال ابن كثير - أنه كيف راج عليه مثل هذه الإسرائيليات مع جلالة قدره وإمامته ، والعصمة إنما هي لله ومن شاءها له من أنبيائه ورسله ؟

محمد محمد أبو شربة

الأستاذ بكلية أصول الدين

رد على استفسار



جاءني كتاب من أحد قراء هذه المجلة الأفاضل ، وهو السيد عبد المنعم طه نافع هندسة جامعة عين شمس ، يثني فيه علي ما أكتبته تحت عنوان [الدخيل وكتب التفسير] ويبدى سروره بمتابعة الكتابة في هذا الموضوع ، وأشهد الله أن سروري بأن في شبابنا المتعلم تعليماً مدنياً من نتائج قراءة هذه البحوث العلمية الدينية كان أعظم من سروري بالثناء علي ما أكتب ، ورجوت أن يكون شبابنا المتعلم علي درجة عالية من الوعي الديني العلمي ، وأن يعنوا بالثقافة الإسلامية عنايتهم بالثقافات الأخرى .

وقد أبدى السيد الفاضل بعض ملاحظات علي الوجه الذي اخترته في تبرئة ساحة سيدنا يوسف عليه السلام من الهم بما يخل بالعصمة ، وعرض علي وجه آخر ، ورهب إلى إبداء رأي فيه ، كما تمنى لو أني عرضت لبقية الشبهات التي ترد علي قصة يوسف عليه السلام . وإني أجل الجواب فيما يأتي :

١ — ما رجحته في القصة من أن الكلام من قبيل التقديم والتأخير ، وأن التقدير هـ لولا أن رأى برهان ربه لم يهـ ، هو الرأي الذي اختاره كثير من محقق المفسرين ، وهو يرى سيدنا يوسف من أي هم بالفاحشة أو مقدماتها ، وهو ما يوافق شهادة الحق سبحانه لعبد يوسف بالبراءة والطهر . وأنا لم يخف علي الخلاف في تقدم جواب لولا وقد أشرت إليه في المقال ، وقد جوز التقديم الكوفيون وبعض أعلام البصريين ، وسواء قلنا المقدم هو الجواب أو دليله فالهم متنف علي أي وجه كان .

٢ — ما ذكرته من كلام بعض المحققين من أن الهم خطرة خطرت بمقتضى الطبيعة البشرية سرعان ما زالت لم يكن اختياراً لي ، وإنما ذكرته لبيان أنه مقبول أيضاً ولا بأس به ، واستعظام السائل حدوث هذا الحاطر ليس في محله ، فيوسف بشر ، وبحسبه في هذا الموقف الجارف الذي بدت فيه الفتنة مجسدة مع المبالغة في الإغراء وتوفير كل أسباب الأمن والعلمانية له ، أقول بحسبه فضلاً وتبلاً أن يخطر ذلك بنفسه خطورا سريعاً لم يكن له أثر ما ، وإنما يتم هذا الاستعظام لو أن الصديق يوسف عليه السلام لم يكن بشراً وإنما كان ملكاً لا شهوة فيه .

٣ — ما مال إليه السائل من أن متعلق الهم هو دفعه إياها عن نفسه بالضرب ، رأي

قاله بعض المفسرين ، وهو رأى بعيد ، لعدم موافقته لقوله تعالى : «لولا أن رأى برهان ربه ، لانه لا ارتباط بين رؤية برهان ربه وامتناعه عن ضربها بعد أن هم به ، على ما هو الظاهر في تفسير البرهان ، وهو ما ركز في نفس الانبياء من قبح القبيح والبعد عن المحرم ، وتأويل البرهان بإعلام الله له أنه لو مالها بالضرب لوقع فيها يكره بعيد جداً ، وهل يخفى على يوسف عليه السلام أن ضربه لامرأة العزيز مما يجره إلى ما يكره ، حتى يكون في حاجة إلى إعلام الله له بذلك ؟ ولعل فيما ذكره السائل من أن هناك رأياً نقسانياً يقول إن الضرب ليس دليلاً كافياً للبغض أو عدم الرغبة في القيام بأمر ما يعضف هذا الرأي ، فلو أنه ضربها بالفعل لما كفى في تبرئته .

ع — ما أورده القارىء الفاضل من أن هناك شبهات أخرى لم أرد عليها في المقال ، كان يرد لو أنى أردت بالبحث التكلم عن قصص الانبياء ، ولكى مسست قصصهم بالقدر الذى يتصل بموضوعى وهو ما دخل القصص من إسرائيليات وأكاذيب . ورغبة في بيان الحق ونشر العلم أجيبه على ما ورد أن آيته .

إن طلب يوسف عليه السلام الولاية والسلطة من الملك لم يكن لحظ نفسه ، وإنما كان ليتوصل به إلى التمكن من تبليغ أحكام الله سبحانه وإقامة الحق وبسط العدل ، ولا سيما وقد علم أن أحداً لا يقوم مقامه في ذلك ، فن ثم طلبها ابتغاء وجه الله لا لحب الملك والدنيا . وقد استدل به العلماء على جواز أن يتولى الإنسان عملاً من يد سلطان جائر إذا كان ذلك سبباً لإقامة الحق والعدل وإصلاح الفساد في الأرض .

وأما احتياله في أخذ أخيه فهو من التدبير الحسن والاحتياال المحمود الذى يتوصل به إلى مصالح دينية ودنيوية ، وقد ترتب على أخذه لأخيه وضمه إليه أن رجع إخوته إليه ، وتعرفه عليهم وتعرفهم عليه ، وزوال الكرب والغم عن أبيه يعقوب ، وقدمه وقدم زوجته وبنيه إلى أرض مصر . ونعموا جميعاً باللقاء بعد الجفاء والصحة بعد الفاقة ، وأنتم الله عليهم النعمة . ومن هنا أخذ العلماء جواز التوصل إلى الأغراض الشريفة بالوسائل التى لا تخالف شريعة ولا تمخذل حقاً ولا تنصر باطلاً . وما من آية في قصة يوسف عليه السلام إلا وفي طيها عبر وعظات ، وسبحان العليم الحكيم .

وبعد - فلعلمك أيها المفسر الكريم قد طبعت نفساً واطمأننت قلباً واقتنعت بما ذكرته لك .

وسلام الله ورحمته عليك ؟

محمد محمد أبو شربة

الأستاذ بكلية أصول الدين

سيد الخزرج

كان الأوس والخزرج قبيلتين عظيمتين في العرب من أهل يثرب المجاورين لليهود بها ، وكان اليهود أهل كتاب سماوى ، وفيهم الاحبار والرهبان ، والعلماء بالاديان ، يعرفون الرسول المبعوث آخر الزمان ، ويستفتحون به على الذين كفروا ، فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين .

ولكن رب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ، ورب حامل علم لا يحمله ، وربما سعد متعلم زكى من معلم شقى ، كما جرى ذلك بين بنى قيلة (الأوس والخزرج) وبين اليهود . فقد استيقظت في نفوس القبيلتين معاني الدين والنبوة ، وتفتقت أذهانهم عن صفات محمد ﷺ وما يجب له من الإيمان به وتعزيره فيما كانوا يسمعون من أحبار اليهود وعلماهم ، وهم أعداؤهم المناوئون ، فحرصوا على ألا يسبقوهم إليه ، ولا يغلبوهم على الحلف به وحمل راية النصر الحفافة على رأسه الشريف ، على حين طبع الله على قلوب الاحبار والرهبان ، ومن أخذت عنهم تلك الاخبار ، فأنكروا ما عرفوا . والحسد - حفظك الله - طماس للحقائق ، جرار إلى البوائق ، وعند الله السلامة والعصمة والتوفيق .

• • •

كتب الله السعادة لبنى قيلة (١) فانتظروا هذه الفرصة الذهبية التي تصلح بين الاخوين المتخاصمين (من الأوس والخزرج) لتعود إليهم قوتهم ، وتخصب لهم أقواتهم ، ويخفض عيشتهم ، ويأمنوا في أوطانهم ، ويسلموا من حملات أعدائهم الآخرين . . . والتقى جماعة من الخزرج بالنبي ﷺ في موسم الحج وتلا عليهم القرآن فعرفوه ، وظفروا منه بضالة مفشودة ، وبغية مرقوبة ، ثم ولوا إلى قومهم منذرين (فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدى إلى الرشd فآمننا به ولن نشرك بربنا أحدا) . (يا قومنا أجيئوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويخرجكم من غياب اليم) . هو والله النبي المبعوث الذي استفتح به اليهود علينا . فلم إلى عز الأبد ، والشرف والمجد . اتخذوا عنده يداً ، وكونوا أتم أسبق شئ إلى إقالة

[١] هم الأوس والخزرج كما قدمت في سلب المصنف ، وقيلة أم الأوس والخزرج .

عثرته ، وحايته من قومه ، لتحلوا اسمى منزلة في قلبه ، وليجمع الله شملكم في نوره وهديه .
وتكرر الاتصال والبيعة بما ترى في التاريخ والسير ، واتخذ محمد ﷺ داره في المدينة
بعد أن زهدت فيه بلدته التي أخرجته ، واتخذ أهله في الانصار بعد أن جفته عشيرته
وناصبته العداء :

وجفوه وحن جذع إليه وقلوه ووده الغرباء

وكان من بنى ساعدة الخزرجيين عظيم مسود لا يرم أمر إلا به ، ولا يصدر صادر
إلا عن حكمه ، لا يسأله سائل منهم إذا نذبه لعظيم أو يسير برهانا على ما نذب إليه ، لأنهم
ألقوا إليه مقاليدهم ، وقد عرفوا حذبه وحكمته وعدله وتقانيه ، وشملهم سخاؤه وعطاؤه ،
وتعهدهم إحسانه وولايته : ذلك هو سعد بن عباد سيد الخزرج غير مدافع .

سعد بن عباد الذي سوده الإسلام كما سودته الجاهلية ، وعرف له فضله وحمته دينه
في سلامة عنصره وجوهره . والدين إذا اتصل بهذا العنصر الكريم آتى بركاته ، ونجلى
في إشراقاته ، وسما في نفوس متحليه ، كما تسمو نفوسهم فيه . بادر السيد سعد بن عباد
إلى الحق ، ولبي دعوة الإسلام تلبية الصدق ، وقد كان أنف المستقبلين للسيد الرسول ،
وقائد المهللين والمكبرين ، ثم أعد له نزهة في داره ، وود بكل ما ود لو حظى بهذا الشرف
ونال هذه الرفعة الجديدة . ولكن الإسلام بأبى أن يستمد شرفه من شريف ، لأنه فوق
الجميع ، ويأبى إلا أن يعلن عنه جوهره غير مضيف . وكان درسا عظيما أن نزل الناقة
المأمورة في دار رجل إنما رفقه الإسلام وجعل له في العالمين لسان صدق في الآخرين ،
هو أبو أيوب الانصارى . وظل السيد الخزرجي في خدمة السيد الرباني رسول الله ، فهو
ذكره وهجره ، ومراحه ومعداه ، يتابع عليه كرامة الضيف الكريم العظيم ، ويتوخى
كل مراضيه ، ويتقدم له أطايب الهدية والقرى يثرب . ظل السيد الخزرجي العزيز الكريم
خير نصير لدعوة الإسلام ، ومعه صنوه العزيز الكريم سعد بن معاذ سيد الاوس ، فهو
في منعة من الله ، في رحابها ورحاب من يلوذون بهما حتى يقول الشاعر :

فإن يسلم السعدان يصبح محمد بمكة لا يغشى خلاف مخالف

وهو قول لا يقول به صاحبه حتى يتوثق له ، ويبصر حقيقته ، وإلا كان الويل له ١ .

ووضع السيدان أنفسهما تحت تصرف صاحب الرسالة ينهى فيقلعان ، ويشير فيمضيان .
ومن ذلك أن السيد الرسول - صلوات الله عليه - أرسلهما إلى بني قريظة ، وقد قيل إنهم
نقضوا عهدهم مع المسلمين ، وأرسل معهم عبد الله بن رواحة وقال لهم : انطلقوا حتى تنظروا
أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا ؟ وإن كانوا على الوفاء لنا فاجهروا به للناس . فذهبوا
إلى بني قريظة ، وإذا هم قد نقضوا العهد وغاسوا بالعقد ، فكبر رسول الله ﷺ وقال :
أبشروا يا معشر المسلمين .

* * *

وكان السيد الهاشمي الرباني يستشير السيد الخزرجي الانصارى في مهام الامر ، ويثني
على مذهبه ، ويأخذ في الكثير من الامر بقوله . كان السيد الانصارى في موضع التقدير
بما سجل الله في كتابه لقوم يمثل شطرم فيه ، ويصدرون عن أمره فيما يعاملون به السيد
الرسول وأصحابه المهاجرين في سبيل الله وسبيله ، والمفارقة ديارهم وأهلهم وأموالهم من أجله .
فقد وصف من يمثل سعد هذا شطرم فقال : (والذين تبوأوا الدار والإيمان من قبلهم
يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان
هم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) وقال فهم السيد الرسول صلوات
الله عليه : د والله لو سلك الناس واديا وسلك الانصار واديا لكنت في شعب الانصار ،
أو كما قال . وكان السيد الرسول صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يشعر بهذه المنزلة ، ويتردد
عليه في داره ، ويعلن له الكثير من حبه وإيثاره : يزوره في بيته كما يزور حبيبه أبا بكر ،
ويزوده بالعلوم والمعارف ، ويرويه بعض كله الطيب : مثل قوله فيما يرويه عنه : د ما من
أمير إلا أتى يوم القيامة مغفولا حتى يطلقه العدل . وما من رجل تعلم القرآن ثم نسيه
إلا لقي ربه وهو أجذم ، وقالوا إنه يروى عنه كثير من جلة الصحابة مثل ابن عباس وأمامة
ابن سهل . ويروى عنه أولاده وأحفاده .

* * *

وشهد سعد مشاهد الجهاد مع السيد الرسول صلوات الله عليه في بدر والأحزاب
والفتح ، وكان يحمل راية الانصار ، وقد حمل راية النبي صلى الله عليه وسلم يوم الفتح

ومر بها على أبي سفيان وقد أسلم . فقال له سعد : اليوم يوم المرحمة . اليوم يستحل الحرمه ، اليوم أذل الله قريشا ، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم آمن بأبا سفيان وسكن من روعه وقال له : يا أبا سفيان ، اليوم يوم المرحمة ، اليوم أعز الله قريشا ...

وانتقل النبي صلوات الله عليه إلى الرفيق الأعلى ، فأبت على سعد عزته أن يخضع لرئيس بعده ، وطلب أن يكون خليفة ، وهي منزلة لا يطمح إليها إلا مثل هذا الذي كان الأنصار يلقبونه بالسكامل ، وقد التفوا به ، وتجمعوا من حوله ، وكادت تكون فتنة لولا أن ذكرهم أبو بكر رضي الله عنه بقول النبي صلى الله عليه وسلم (الأئمة من قريش) ثم قال : نحن الأمراء وأنتم الوزراء ، فزلوا على حكم الله ورسوله .

ثم كانت وفاته في السنة الرابعة عشرة من الهجرة المحمدية في عهد عمر بن الخطاب .

• • •

رحمك الله ياسعد ، لقد أوى الدين منك إلى ركن من الله شديد ، ولقد لقي الإسلام منك ومن أتباعك أعظم التأييد ، ولقد تمهدتم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وآوئتم ونصرتهم حتى بقاء نصر الله والفتح ، ودخل الناس في دين الله أفواجا ؟

محمود النواوي

المفتش بالأزهر

الداء والطبيب

قال سيد الحفاظ أبو عبد الله النواوي (المتوفى سنة ١٦٩) :

العالم طبيب الدين ، والدرهم داء الدين ، فإذا اجتبر الطبيب الداء إليه ، متى يداوى غيره ؟

مشكلة الدعارة

والانتماءات الاجتماعية في العالم

الدعارة مشكلة اجتماعية لها أهميتها وخطورتها، وهي حرفة من أقدم الحرف الإنسانية، عرفتها المجتمعات الوثنية القديمة، وما فتئت إلى اليوم منتشرة في الكثير من المجتمعات الوثنية وغير الوثنية، وقد كانت الدعارة ولا تزال مثاراً للكثير من الأبحاث ووجهات النظر، وموضوعاً للكثير من الحلول والنظم، الأمر الذي يدعو إلى بيان موضوعها، والتعرف على أسبابها ومظاهرها وأضرارها وخطورتها والوسائل التي تكافح بها.

ويرجع انتشار الدعارة في المجتمع إلى مجموعة من الأسباب: منها أن الفقر - أو بالأحرى اضمحلال الأوضاع الاقتصادية في المجتمع - يحدو بالكثيرات من النسوة والفنيات الفقيرات اللاتي قست عليهن الأيام وحرمن من العائل أو الأسرة الصالحة أن يتحدون إلى هاوية الغواية والفساد، قاصدات باحتراف الدعارة الحصول على مورد رزق يعشن منه، ومنها أن شبان المدن في الوقت الحاضر ضعف إقبالهم على الزواج وتأخرت بالنسبة له أَسْنَانُهُمْ؛ وذلك لقلة الدخول التي يحصلون عليها، وقسوة الحياة التي يلاقونها في الحصول على عيشهم، الأمر الذي يدفع الكثير منهم في الغالب إلى الإقبال على تشجيع سوق الغواية والعلاقات غير المشروعة، فضلاً عن السفور والتبرج وأثرهما، وتهرب الشبان من تحمل التبعات الزوجية، وسوء فهمهم لمزايا الحياة الزوجية وإقامة الأسر الصالحة، ومنها كذلك أن التعطل والبطالة من شأنهما تشجيع المتعطلين في مناكب المدن على الفسق والفساد، يضاف إلى ذلك أن حرفة الدعارة تدر أرباحاً طائلة لطائفة تجار النخاسة البشرية الذين يقيمون الشركات والمكاتب والجماعات لإغراء النسوة التعييسات في متباني البلاد وترحيلهن إلى البلدان التي يعدون فيها مواخيرهم وعملاتهم للتجار في الرذيلة، وهذه الأرباح الطائلة تشجع هذه الطائفة على تجارتها ومتابعتها والاستزادة منها، يساعدها في ذلك سهولة إغراء

الكثيرات من النسوة بسبب الحالة المعيشية السيئة التي يكن عليها في كثير من البلدان ، لا فرق بين المتمدين منها والمتأخر ، ويمكن القول أيضاً بأن السماح للأجانب بدخول البلاد والرغبة في تشجيع السائحين والغرباء على المكث بها ، قد حدا في الكثير من الأحيان في بعض الدول إلى تشجيع حرفة الدعارة بل وإلى تخصيص أحياء خاصة لممارستها ، يضاف إلى كل ذلك أثر الأوضاع الخلفية والتعليمية في البلد ؛ ذلك بأن من شأن سوء هذه الأوضاع وانخفاض مستواها ، وضعف التعليم ، والاستهتار بالقيم الروحية والمعنوية ، واضمحلال الوازع الديني ، ونشر الصور الفاضحة ، وذبوح قصص استتارة الغريزة الجنسية ، والأفلام المفضوحة ، من شأن كل ذلك أن تجد حرفة الدعارة لها مكانها في أوساط الشعب ، وتعمل عملها في هدم حياة الأفراد وقواهم ، وتخفيض مستوى البلاد التي تنتشر فيها .

وخطر الدعارة واضح ، يتبين من الوجبات الاجتماعية والصحية والاقتصادية ، فالدعارة مرتبطة بمشكلة التشرد ؛ ذلك لأن من نتائجها وضحاياها وجود الأطفال غير الشرعيين الذين لا يعرفون لهم أباً ولا أملاً ، فيكونون نهباً للشوارع والطرقات والقتول والتشرد ، ومرتباً خصباً للنشل والسرقة ، وبؤرة للضعف والانحلال والقدارة والمرض ، وصورة فاضحة أمام الغرباء والأجانب ، وقدنى في عين الدولة التي يرتعون فيها ، وهنا نجد مشكلة التشرد تتخلف عن الدعارة ، فتحظ مشولية الدولة ونحرج في علاج كليهما .

وترتبط الدعارة بالحالة الصحية في المجتمع ؛ إذ أثبت المختصون أنها دائماً مقترنة بالأمراض التناسلية كالزهري والسلان وغيرهما ، وخطر هذه الأمراض بين واضح بالنسبة إلى انحلال قوى الشبان الجسمية ، وضعف النسل ، وعجز الطاقة الحيوية لدى الأفراد ، وهدم الأسر ، مما يستتبع من الناحية الاقتصادية نقص الإنتاج وقصوره ، وقلة دخول الأفراد ، وتخفيض المستوى المعيشي ، كما أنها مقترنة بالحالة النفسية والسياسية في المجتمع ؛ وذلك بأن المجتمع الذي تنتشر فيه الدعارة انتشاراً كبيراً تفقد فيه الروح المعنوية قوتها ، وتحتاج الأفراد موجة من الاستهتار والفوضى ، فلا يستطيع أن يواجه حركة الإصلاح العسكري أو الدفاع عن حياته إذا خف به الخطر الخارجي ، واحتاج إلى ضريبة الدم أو روح القداء من أبنائه وشبابه العاملين .

وفوق كل هذا وذلك فإن حرقة الدعارة من الحرف التي يشتمل منها الضمير الإنساني، وتنفرد منها الكرامة القومية في المجتمع، وهذا هو الذي حدا بالأمم المتمدنية إلى مكافئها والقضاء عليها، ولقد كان للجمعيات في أنحاء العالم باع طويل في استنكارها ومحاربتها ومطالبة الحكومات بإلغائها، ولم تقتصر الدعارة على كونها مشكلة داخلية في كل دولة، بل تعدت ذلك إلى النطاق الدولي، وقد عنت بها (عصبة الأمم) في سنة ١٩٣٨ وأرسلت إلى الدول المنضمة إليها تسألها عن حالة البغاء فيها وما تفعله في سبيل مكافئها، وقد أصدرت العصبة في سنة ١٩٣٩ تقريراً شاملاً عن ذلك بعنوان عجيب، هو (وسائل رد الاعتبار للبغايا) ١

ولو تتبعنا مشكلة الدعارة في غالبية الدول من حيث الحالة التي يكون عليها البغاء فيها والوسيلة التي تتخذ لمكافئها لوجدنا أن الأمر في هذه الدول يتفرع إلى اتجاهين : أحدهما يذهب إلى الاعتراف بالدعارة وتشجيعها وتنظيمها، وثانيهما يهدف إلى مكافئها والقضاء عليها. فأما الاتجاه الأول فيذهب إلى الإبقاء على الدعارة ومحاولة حصرها في نطاق خاص، وذلك بإصدار لائحة خاصة بها وبالبوت التي ترخص الحكومة العمل فيها في الأماكن التي تخصصها السلطة العامة لذلك، فضلاً عن وجوب حصول كل موسم على رخصة تسلمها لها إدارة البوليس وعليها صورتها للعمل بها، وخضوعها دورياً للكشف الطبي بمعرفة طبيب قسم الآداب، وترسل السلطة العامة من يتبين من فحص هذا الطبيب أن بها مرضاً تناسلياً إلى المستشفى المخصوص إن كانت وطنية أو تبلغ أمرها إلى قنصليتها إن كانت أجنبية، مع فرض عقوبة مالية كالغرامة، وتقريرية كغلق المحل عند مخالفة ما تقتضيه مثل هذه اللائحة التي تبيح الدعارة على هذا الشكل الواضح المكشوف.

ويدعى أنصار هذا الاتجاه من المفكرين والمسؤولين أن له ميزات تلخص في عزل الموسم وحصر الدعارة في أماكن محدودة، ومساعدة البوليس على حفظ الأمن العام، وتجنب التهلك في الطرقات، وتمكين البوليس من المحافظة على الآداب، والإشراف على فئات الغاوين المفسدين، فضلاً عن أن من شأن هذا النظام من الوجهة الصحية اجتناب الأمراض الزهرية. بيد أنه قد ثبت من الإحصائيات أن كل هذه الميزات ضعيفة واهية،

وأن الأهداف التي قصد إليها هذا النظام لم تتحقق بالكيفية التي توقع أنصاره تحققها به ، فضلا عن قيام اعتراضات جوهرية عليه ^(١) .

وأما الاتجاه الثاني الذي يهدف إلى مكافحة الدعارة فهو يقضى بإلغائها وإصدار القوانين الخاصة بمكافئها لتلافي النتائج والاعتراضات التي تنجم عن اعتراف الحكومة بها وتنظيمها باللوائح الخاصة بها ، وهذا الاتجاه الثاني يعتبر الدعارة جريمة من الجرائم المعاقب عليها ^(٢) .

وفي رأينا أن فرض العقوبة وحده لا يكفي للقضاء على البغاء والدعارة ؛ لأن حل أمثال هذه المشكلات المتصلة بالأخلاق والأوضاع الاجتماعية والاقتصادية لا يكون عن طريق الشدة والعنف فحسب ، وإنما عن طريق وسائل الوقاية وأساليب لمنع الداء بالعمل على إزالة أسبابه ودواعيه في شتى نواحي الحياة ، لذلك فضلا عن وسيلة العقاب الرادع بتوقيع الحبس والغرامات نرى الاستعانة في مكافحة الدعارة بكل الأساليب الممكنة ، وفي هذا الصدد يجب أن نضع في الاعتبار ما ورد في التقرير الذي أخرجته عصبة الأمم سنة ١٩٣٩

(١) منها ثبوت أن الماهر تبنى دائما ماهرا بسبب الاتجار للنوى بالنساء أو الرقيق الأبيض ، ومنها عدم إمكان تشخيص المرض التناسلي بالوسائل الطبية التي اتبعتها البلدان التي أخذت بهذا النظام ، ومنها أن هذا النظام إنما يعنى في الواقع موازنة واضحة من الحكومة على البناء كإعلان صريح منها عنه ، ومنها التشجيع على الاتجار بالرقيق الأبيض ، ومنها أن فتح بيت الدعارة معناه إقامة مدونة لنوايا والافساد العام ، ومن الجدير بالذكر أن الأبحاث الخاصة بهذا الموضوع دلت على أن البنى أو الماهر بعد مماوستها مهنة الدعارة بسبب السنين فتتأدها ويكون من الصعب عليها تغييرها ، فإذا قضى على البناء وأخذت النسوة إلى السلاجية للعمل فيها في أعمال الخدمة كغسل اللباس سرطان ما تسأم للمهنة الجديدة وتفضل عليها حيثة المواخير التي اعتادتها وعركتها في سنواتها الماضية فتهرب من اللجوء إلى اللواخير ، لأن سهر اليالي والانهل في الشراب والاصابة بالأمراض الزهرية كل ذلك يؤثر في صحتها ومزاجها تأثيراً من شأنه هوفا من المل في نطاق غير نطاق البناء ، ومن أجل ذلك اتجه البحث بشأن مكافحة الدعارة إلى الوقاية أكثر مما اتجه إلى العلاج ، وقد فشل تقرير العصبة المذكور في محاولة تدليل الصعوبة التي تقترض للمستولين حول توجيه اللومسات إلى المل للفريرف إذا فرووا القضاء على البغاء ومكافحة الدعارة .

(٢) قد أصدر للصرح للمصرى في سنة ١٩٥١ القانون رقم ٦٨ لسنة ١٩٥١ بشأن مكافحة الدعارة ، وفيه ألغى لائحة بيوت الماهرات التي صدرت في ١٦ نوفمبر ١٩٠٥ ، وبذلك أضحت الدعارة جريمة معاقب عليها في مصر — راجع نصوص القانون المذكور .

من أن الدعارة هي والإجرام سواء ؛ لأن مصدرهما واحد ، هو البيئة الاجتماعية السيئة واضمحلال الأوضاع الاقتصادية ، ومن أجل هذا يجب أن تتخذ مكافحة الدعارة شكل الوقاية ، أى عن طريق الإجراءات والتدابير المانعة الوقائية كما هو الشأن فى الكثير من الجرائم ، أى أن الدعارة يمكن مكافئها بالعمل على تحسين الأوضاع الاقتصادية ، ورفع المستوى المعيشى وزيادة الإنتاج ، وإيجاد البيئة الاجتماعية الصالحة لآبناء مختلف طبقات الشعب فى أدوار الطفولة والشباب ، ونضيف إلى ذلك تحسين الأحوال الاجتماعية ، بالاستزادة من نشر التعليم القوى الصالح المقرون بالتربية على الفضيلة ، وتلقين الأطفال القيم الروحية والمعنوية القومية .

ولا بد لنا هنا أن نقرر الأهمية القصوى فى سبيل مكافحة الدعارة ، التى تعول على تشجيع الشبان على الزواج وبناء الأسر الصالحة ، وكل ذلك يتأتى عن طريق الاهتمام بتعاليم الشرائع السمارة فى الحىض على الارتباط الشرعى المنظم ، وتحقيق الأهداف السامية التى تسمى هذه الشرائع لتحقيقها فى هذا المجال ، ويتضح هذا بكل وضوح إذا نظرنا فى التشريع الإسلامى فيما يتعلق بتنظيم العلاقات والأحوال الشخصية على وضع لا يجادل منصف هنا أو هناك فى سلامة أساسه وبنائه وسلامة الدعائم التى يقوم عليها ١ ٢

أحمد طه السنوسى

وكاء العفة

كنا وكانت العفة فى سقاء من الحجاب موكرو ، فإزلم تنقبون فى جوانبه كل يوم نقباً — والعفة تسلل منه قطرة قطرة — حتى قبض وتضال ، ثم لم يكفكم ذلك منه حتى جشتم اليوم تريدون أن تحلوا وكاءه حتى لا يبقى فيه قطرة واحدة .

يا قوم إنا نضرح إليكم باسم الشرف الوطنى ... أن تركوا تلك البقية الباقية من نساء الأمة آمانات مطمئنات فى بيوتهن ، ولا تزججن بأحلامكم وآمالكم كما أزعجتم من قبلهن ، فكل جرح من جروح الأمة له دواء ، إلا جرح الشرف فلا دواء له .

مصطفى لطفى المنفلوطى

عمر بن عبد العزيز

- ٢ -

... وعمر بن عبد العزيز الذى يشدد على نفسه التشديد الذى عرفناه ، هو الذى يحرص الحرص كله على أن يصل إلى المسلمين جميع حقوقهم ، لا يتأخر منها حق عن مواعده ، ولا ينقص منها حق قليلا أو كثيرا ؛ وهذا الحرص الكريم إن دل على شيء فإنما يدل على أن عمر لا يعرف الإمساك عن شح أو بخل أو كنز أو تضيق ، ولكنه حسن التصرف مع حكمة التدبير مع عدم التقصير .

كتب إليه بعض ولاته يقول : « إن الناس لما سمعوا بولايتك تسارعوا إلى أداء الزكاة ، فقد اجتمع من ذلك شيء كثير ، ولم أحب أن أحدث فيها شيئا حتى تكتب إلى برأيك » . فكتب إليه عمر : « لعمري ما وجدوني وإياك على ما ظنونا ، وما حبسك إياها إلى اليوم ؟ فأخرجها حين تنظر في كتابي » .

ويظهر أنها كانت زكاة الفطر ، والمقصود بها التوسعة على الفقراء في مناسبة العيد بعد الإفطار ، فالخير أن تصل إلى أبدي مستحقها بلا تأخير ، وهذا ما حرص عليه عمر .

ويزيد عمر هذا المعنى تأكيداً حين يراه يكتب إلى عدى بن أوطاة خطاباً يبين له فيه الأعمال التي كرمها من الحجاج بن يوسف ، ويحذره أن يأتي مثلها ، ومن الخطاب قوله : « ونهيتك عن فعله في الزكاة ، فإنه كان يأخذها في غير حقها ، ثم يسيء مواضعها ، فاجتنب ذلك منه ، واحذر العمل به » . وأقل ما يفهم من هذا أن عمر لا يحب أن يؤخذ شيء بغير حق ، وألا يوضع شيء في غير موضعه ، وألا يضار مسلم في أمر ...

ويكتب إلى ميمون بن مهران يقول : « يا بن مهران ، إنى لم أكلفك بغيا في حكمك ، ولا في جبايتك ، فاجب ما جيت من الحلال ، ولا تجمع للمسلمين إلا الحلال الطيب » .

ويبلغ ابن عبد العزيز قمة الإحسان في باب النفقة والإعطاء وهو خليفة حين يكتب إليه بعض عماله - كما يحدث لإسماعيل بن عياش - قائلا : إنك قد أضرت بيت المال ؛ أى لكثرة ما تنفقه في مصالح المسلمين ، فيكتب إليه عمر : « أصط ما فيه ، فإذا لم يبق فيه شيء فاملاه وبلا » .

وهذه الكلمة الصريحة الوافية لا تترك وراءها شكاً لشاك في أن عمر رضى الله عنه لم يعرف في سبيل المصلحة العامة ومنفعة المسلمين تقيراً أو تقديرأ ، فإنه لعل استعداد لأن يأتي على ما في بيت المال عن آخره ، مادام في ذلك الاستئصال فائدة للأمة ومنفعة للجماعة .

وقريب من هذا ما حدث به جابر بن خنظلة الضبي قال : كتب عدى بن أرطاة إلى عمر بن عبد العزيز :

« أما بعد ، فإن الناس قد كثروا في الإسلام ، وخفت أن يقل الخراج ، فكتب إليه عمر يقول : « قهمت كتابك ، وواقه لوددت أن الناس كلهم أسلموا حتى نكون أنا وأنت حرائين نأكل من كسب أيدينا » .

* * *

لكن أيكون معنى هذه السعة في الإنفاق والإعطاء أن يصير الأمر فوضى ، فلا ضابط ولا نظام ؟ ... أيكون معناها أن يتطفل على بيت المال من يستحق ومن لا يستحق ؟ ... أيكون معناها أن تغفل عين الراعى عن ملاحظة الرعية حتى يستوى هاضم ومهضوم ؟ ... ذلك ما لا يكون ...

فعلى الرغم من كرم عمر وإحسانه ، وأريحيته ووجهه للإنفاق والإعطاء ، لا يقبل الإهمال والتفريط ، ولا يرضى عن بذل القليل في غير موضعه فضلاً عن الكثير ، ولا يسكت عن تضييع اليسير بله الكبير ...

كان وهب بن منبه على بيت مال اليمن ، فكتب إلى عمر بن عبد العزيز : « إني قد فقدت من بيت مال المسلمين ديناراً » . فرد عليه عمر يعيب عليه إهماله وتضييعه ، ويعرض لوهب بالإنذار والتحذير ، ويقول :

« إني لا أتهم دينك ولا أمانتك ، ولكن أتهم تضييعك وتفريطك ، وأنا حبيج المسلمين في أموالهم (المدافع عن حقوقهم) ولا أخسهم عليك أن تحلف ، والسلام » . ١ ...

نرى هنا احتياطاً في عدم اتهام الدين أو الأمانة ، فقد يكون وهب بريئاً لا شبهة فيه ، ولكننا نرى بعد هذا أو معه دقة في الرقابة ، وفي دينار واحد فقط ، فلا بد من الحلف عليه ١ ...

وكتب إليه أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم - وكان عامله على المدينة - ثلاثة كتب ، يطلب في أولها زيادة في العطاء لأناس كبروا ، وفي ثانیها يطلب شيئا يوقد بين يديه وهو في طريقه ليلا إلى المسجد ، وطلب في ثالثها أن يبنى مسجدا انهدم لبني النجار أخوال رسول الله ﷺ ، فأجابه عمر عنها بكتاب واحد قال فيه :

« سلام عليك ، أما بعد - فقد جاء في كتابك تذكر أن أشياخا من الانصار قد بلغوا أسنانا ، ولم يبلغوا الشرف من العطاء ، وإنما الشرف شرف الآخرة ، فلا أعرف ما كتبت به إلى في نحو هذا .

وجاء في كتابك تذكر أن من كان قبلك من أمراء المدينة كان يجرى عليهم رزق من شمع ، ولعمري يا بن أم حزم لطالما مشيت إلى مسجد رسول الله ﷺ في الظلة ، لا يمشي بين يديك بالشمع ، ولا يوجف خلفك أبناء المهاجرين والانصار ، فأرض لنفسك اليوم ما كنت ترضى به قبل اليوم .

وجاء في كتابك تذكر أن بني عدی بن النجار أخوال رسول الله ﷺ انهدم مسجدهم ، وقد كنت أحب أن أخرج من الدنيا لم أضع حجرا على حجر ، ولا لبنة على لبنة ، فإذا أتاك كتابي هذا فابته لهم بلبن بناء قاصدا ، والسلام عليك ، .

هذه أمور ثلاثة يعرضها ابن حزم على أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز ، وهي كلها أمور مالية تستدعي نفقة ، ولكن الخليفة يأبى أمرين ، ويرفض الثالث رغم مخالفته لما كان اقتواه ...

يأبى الزيادة لقوم في العطاء رغم اكتفائهم بما فرض لهم ، ولا يرى التقدم في السن وحده مسوغا للزيادة في العطاء عن سائر المسلمين ؛ ويأبى أن يتفق على شمع يضاء بين يدي الوالي ، لأن هذا مظنة الإسراف ، ولأن الناس يلحظون على الوالي ما لا يلحظونه على سواء ، ولأن الوالي نفسه قد ألف السير إلى المسجد من قبل دون شمع يضاء ، ولذلك رفض الأمرين ، مع تسويغ الرفض بدليل وبرهان ، ومع التليخ الخفيف بالتعريض المذكر المؤنب
ولكن الأمر الثالث ليس من هذا القليل ... لأنه بناء مسجد تهدم ، والمسجد لأخوال الرسول عليه الصلاة والسلام ، فهل لعمرك أن يرفض ؟ ... ولكن عمر كان قد انتوى أن لا يضع لبنة على لبنة ... فإذا يفعل ؟ ... أيجمل الحكم هنا نيته ورغبته أم الحق والخير ؟ ...

تغلب الحق والخير فأمر عمر ببناء المسجد ؛ وهكذا تتجلى الحكمة البالغة من عمر في أمور الرعية وشئون المال . . .

ويضرب ابن عبد العزيز رضوان الله عليه فنونا شتى من الأمثلة في التحذير من الإسراف في الباطل ، أو الإنفاق بلا موجب ، وتناول تلك الأمثلة أشياء قد يظنها عامة الناس من قوافه الأمور ، ولكن للعلم المربي يتذكر دائماً أن معظم النار من مستصغر الشرر ، وأن القليل إلى القليل كثير ، وأن البدر قد كان بالأمس هلالاً وليداً ، فما زال يتزايد حتى استدار وتكامل بديراً ساطعاً ، وأن النهر الكبير الواسع الهدار الموار كان بالأمس جدولاً صغيراً هادئاً ؛ وإذن فلا بد من ملاحظة الأمور في مبادئها وقوائمه ، حتى لا نقضى إلى عواقب يصعب معها القيادة والتوجيه ...

كتب عمر بن عبد العزيز إلى عدى بن أرطاة ينهيه عن الإسراف في ماء الوضوء فيقول : « أما بعد - فإنه بلغني أن قوماً إذا توضأوا رفعت طساسة^(١) من بين أيديهم قبل أن تمتلئ ، وذلك من زى الأعاجم أخذه ، فإذا أتاك كتابي هذا فلا ترفعوا طساسة حتى يمتلئ ، أو يفرغ من آخر القوم » ...

ويكتب إليه عامل من عماله يشكو قلة القراطيس ، فيجيبه عمر : « أدق قلبك ، وأقل كلامك ، تكثف بما قبلك من القراطيس ١١ » ...

ويظهر أن الورق كان نادراً ، ولذلك دعا عمر إلى الاقتصاد فيه ، كما أنه أحسن في التوجيه إلى تدقيق القلم ، فإنه يؤدي إلى حسن الخط وحسن موقعه في نفس قارئه ؛ وأحسن في التوجيه إلى تقليل الكلام ، فإنه بلاغة وحكمة ؛ ولو اتسع الخط وغلظ القلم وكثر الورق لا تفتح باب الثروة والإسهاب ، والخليفة محدود الوقت ، فليس الأمر إذن أمر اقتصاد فقط ، بل هو اقتصاد وحكمة وإصلاح ...

وحدث عمرو بن ميمون قال : حدثني أبي قال : كتب عمر إلى العمال ألا تمكثوا^(٢) في طومار بقلم جليل ، ولا تمسكوا^(٣) فيه ...

وفي رواية عن ميمون : « ما زلت أنا وعمر بن عبد العزيز ننظر في أمور الناس ، حتى قلت يا أمير المؤمنين ، ما بال هذه الطومار التي يكتب فيها بالقلم الجليل ، ويمد فيها وهي من بيت مال المسلمين ؟ فكُتب إلى العمال ألا يكتب في طومار ولا يمد فيه ، فكانت شبراً أو نحو ذلك » .

(١) الطساسة : مفرد ما طس ، وهو الطست .

وعمر بن عبد العزيز الذي عرف أن الاقتصاد خير وأفضل ، وأن التخفف من متاع الحياة أسلم وأقوم ، والذي طبق هذا على نفسه بعد الخلافة والتزمه ، يحرص على أن ينصح بذلك الناس ليأخذوا به عن طواعية واختيار ، دون أن يرتكب في ذلك هضبا لحق ، أو ظلما لإنسان ؛ وهذا من رغبته في شيوخ الخير وانتشار البر .

حدث إبراهيم بن إسماعيل بن أبي حبيبة الأنصاري أن عمر كتب إلى بعض الأجناد وصية طويلة ، ومنها قوله : « فإن ابتلاك الله بالغنى فاقصد في غناك ، وضع لله نفسك ، وأذ الله عز وجل فرائض حقه من مالك ، وقل عند ذلك ما قال العبد الصالح : (هذا من فضل ربي ليبلوني أشكر أم أكفر ، ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ، ومن كفر فإن ربي غنى كريم) وإياك أن تفخر بطولك ، وأن تعجب بنفسك ، أو يخجل إليك أن ما رزقته لكراحتك على ربك عز وجل ، وتفضيله إياك على غيرك ، ممن لم يرزق مثل غناك ، فإذا أنت أخطأت باب الشكر ، ونزلت منازل أهل الفقر ، وكنت ممن أطفاه الغنى وتعبج طيباته في الدنيا ، فإن أعظك بهذا ، وإن لكثير الإسراف على نفسى ، غير محكم لكثير من أمرى ، وأتى عمر بعض أهله ، فحرب إليه طعاما كثيرا ، فقال عمر : ويحك يا فلان ، دون هذا ما يسد الجوعة ، ويذهب سورة النفس ، وتقدم فضل ذلك ليوم فقرك وفاقتك . فقال : يا أمير المؤمنين ، إن الله أوسع وأحسن ؛ فقال عمر : فعند ذلك وجب الشكر ؛ ثم نهض !

* * *

وهكذا رأينا عمر بن عبد العزيز مترقا محتالا منقفا موسعا قبل الخلافة ، يحيا حياة الدعة والنعيم والرفاهية ، إذ كان غير مسئول عن رعية أو جماعة ، فلما ولى الخلافة زهد وتخفف وتورع وأعرض عن مفاتن الحياة وانقبض عن شهواتها ولذاتها ، ولكن ذلك لم يمنعه أن يحسن إلى رعيته الإحسان كله ، فلا يدخر وسعا في إيصال كل حق إلى صاحبه ، في غير من أو أذى ، وإن كان ذلك الإتيان في الإعطاء لم يمنعه من دقة المراجعة وعمق الحساب ، ولم يمنعه أن يوصى غيره من معارفه أو أصدقائه أو أقربائه بما أخذ به نفسه من زهد وورع . رضوان الله عليه . ٤

أحمد الشرباصى

المدرس بالأزهر الشريف

لغويات

الزَّغَل

تستعمل هذه الكلمة في معنى الغش . وكنت لا يخالجنى شك في عريبتها حتى ذكر لي بعض الأصدقاء بيت ابن الوردى في لا ميته :

قد يسود المرء من غير أب وبحسن السبك قد ينق الزغل

فأنشده : ينق الدخول في مكان ينق الزغل ، وذكر أنه يحفظه هكذا فرجعت إلى اللامية ، فتثبت أنها الزغل ، وبمعنى هذا على البحث في الكلمة « الزغل » . وهاك ما وقفت عليه .

ليس الزغل بهذا المعنى في المعاجم اللغوية فهو دخيل في العربية . وقد رأيت في شعر ابن الوردى المتوفى سنة ٧٤٩ هـ ، وقد عرف الباحثون هذا من قبل ، فقال الشهاب الخفاجي للمتوفى سنة ١٠٦٩ هـ في شفاء الغليل : « زغل بمعنى زيف وقع في كلام الفقهاء والمولدين » وأورد بيت ابن الوردى السابق .

ومن العجيب أن شارح لامية ابن الوردى الشيخ مسعود بن حسن القناوى الذى فرغ من تأليف شرحه في سنة ١٢٨٥ هـ يقول في شرحه ص ١١٥ : « قال في المصباح : سبكت الذهب سبكا - من باب قتل - : أذبتة وخلصته من زغله » . ونص المصباح : « خلصته من خبثه » . فترى شارح اللامية جعل مكان « خبثه » عبارة « زغله » . وهذا إن فعله عن عمد كان مجافيا للأمانة . وخبث الفضة والحديد : ما فناه السكير إذا أذيا ، وفي الحديث : إن الحمى تنق الذنوب كما ينق الكبر الحث . وقد سبق هذا الشارح إلى شرح اللامية الشيخ عبد الوهاب الغمرى الذى فرغ من تأليفه في سنة ١٠٣٠ هـ ولم يرجع على شرح السبك والزغل واكتفى ببسط ما يريد ابن الوردى من المعنى فقال : « فإننا نشاهد في الواقع أناسا كثيرين خصهم الله تعالى بالسيادة والعلم والآداب ومكارم الأخلاق وغير ذلك من الأوصاف

الحيدة ما لم يخص به أحدا من آياتهم ولا أجدادهم . فن الامة التي ذكرها الناظم أن الفضة المزيفة إذا صليت بالنار صفت من الزيف وخلصت من الزغل وصارت خالصة صافية . وحيث قد سادت على أصلها ، . وقد نقل بعض هذا الشيخ مسعود في شرحه .

ويقول صاحب التاج في مستدرك مادة (زغل) : « والزغل - محركة - : الفش . وهو زغلى - بضم ففتح - هكذا تقول به العامة والخاصة . »

وقد بدا لي أن الزغل أصله في العربية الدغل أو الدغل ، ويقرب منهما الدجل . وفي اللسان : « الدغل - بالتحريك - الفساد مثل الدخل ، . والفش فساد أى فساد . وقد تصرف العرب في الدغل . فالداغلة : الحقد المكتتم ، ويقال : دغل في الشيء : دخل فيه دخول المريب ، والداعل : الذى يبنى أصحابه الشر . وكان أصل هذا الدغل للشجر الملتف المتداخل ، وقد يستتر فيه ما يؤذى ويسوء . »

وقد جعل صاحب الالفاظ الفارسية المعربة الدغل مما أصله فارسي ، فهو يقول : « دغل فيه دغلا : دخل دخول المريب ، وأدغل به : غانه . وأدغل : غاب في الدغل . والدغل : دخل في الامر مفسد ، واشتباك الثبت . فارسيته دغل ، أخذته العرب وتصرفت به . ومعناه بالفارسية : المكر والحيلة والفساد والمكثار والزائف من الدراهم . ومنه السكردى : دغل ، . ولكن علام استند هذا المؤلف في أصالة الكلمة في الفارسية ، وغير هذا جائز ، وهو أصالتها في العربية ودخلها الفارسية . وقد سألت من يعلم الفارسية عن تصرف الدغل فيها فننى هذا . وإذ علمت تصرفها في العربية كانت العربية أولى بها . »

زُرَيْمَة ، مَقَاث ، مَقَاة

تجرى الزريمة في لسان العامة للبذرة في أول نباتها في المزرعة ونجومها ، وينطقونها بفتح الزاى وتشديد الراء . ولا ريب في خروج هذه الصيغة عن الأوزان العربية ، فليس فيها فعيلة ولا فَعْمِيل ، ويقول سيبويه في الكتاب ٣٧٦/٢ : « ولا يكون في الكلام فعيل ، ولا يلفظ إلى ما حكاه الاخفش عن بعضهم : كوكب درى بفتح الدال والهمز في آخره ، فهذا من الشاذ الذى لا ينقض القياس . »

ومما يذكر هنا أن هذه الصيغة قديمة في لسان الناطقين بالعربية ، فقد وردت في كتاب تقويم قرطبة لعريب بن سعد الكاتب المنشور في أوربة ص ١٨ ، إذ يقول في الكلام على شهر يناير : « يختار فيه وفيما بعده إلى آخر الشهر زريعة البصل ، وغرس البصل المتخذ للزريعة . وعريب بن سعد هو صاحب الصلة لتاريخ الطبرى ، وقد طبعت الصلة مع التاريخ في المطبعة الحسينية المصرية ، وفي الإبريز للشيخ أحمد بن المبارك ، كان في سنة ١١٣٦ هـ . كما ذكره في ص ٣١٨ - ص ١٤٠ في الكلام على عجب الذنب : « وهو لبني آدم بمنزلة الزريعة » .

وقد نبه على هذا الزيدى الأندلسى المتوفى سنة ٣٧٩ هـ في كتابه « ما يلحن فيه عوام الأندلس » . وينقل عنه الصفدى في تصحيح التصحيف . وهاك ما نقله عنه الصفدى : « ويقولون : زريعة فيشددون ويجمعون على زرارع . والصواب زريعة بالتخفيف ، والجمع زرائع ، وهى فعيلة فى معنى مفعولة من زرعت . فإن كان للتشديد فى ذلك أصل فهى زريعة بكسر الأول على مثال فعيلة » . وجاء فى القاموس الزريعة - كسيفة - لشيء المزروع . وفى اللسان : « قال ابن برى : والزريعة - بتخفيف الراء - : الحب الذى يزرع . ولا تقل : زريعة بالتشديد ، فإنه خطأ » . ويدل هذا على أن الخطأ فى الزريعة حدث فى مصر كما حدث فى المغرب من قديم . فقد أدرك ابن برى عهد الفاطميين ، وكانت وفاته سنة ٥٨٤ هـ فى عهد الأيوبيين ، وكان يلى فى عهد الفاطميين تصحح ديوان الإنشاء وتصحيح ما قد يقع فيه من الأخطاء فى العربية .

ومن الخطأ الواقع فى لسان العامة المقاث والمقائة ، وينطقون بالناء بدل التاء التى فقدت من لسانهم . وقد وردت كلمة « المقاث » فى كتاب تقويم قرطبة المذكور آنفا . فى ص ٤١ « يفرس المقاث ، والذى فى اللغة المقائة والمقنوة للسكان الذى يزرع فيه القناء ، ولم أقف على المقنأ . ويدوى فى تخريج المقاث والمقائة أنهما جاءا على القلب المسكانى . فالأصل : المقنأ فقدمت الهمزة على التاء فصار المقاث ، وخففت الهمزة بنقل حركتها إلى ما قبلها وإسكانها فانقلبت ألفاً . وهذا على حد قولهم فى المرأة والكأة : المرأة والكأة . وهو تخفيف غير قياسى والقياس حذف الهمزة فيقال : المرأة والكمة والمقست والمقنة . ويقول سيويه فى الكتاب ١٦٥/٢ « ومثله قولك فى المرأة : المرة ، والكأة : السكة . وقد قالوا : المرأة والكأة . ومثله قليل » .

• • •
اشربه ، منه ، عنه

يطيب لى كثيراً أن أبحث في تخريج الأساليب العامة ، وردها — ما استطعت — إلى الأصول العربية . وقد بدا لى تخريج الأساليب المسطورة هنا ، والتي تجرى في لسان العامة ، ورأيت تخريجها على الوقف الذي ركبه العامة ونهجوا طريقه ، فهم يسكنون أواخر الكلمات ويعطونها حكم الموقوف عليه . وجرى الناس في هذا على إحدى طرق الوقف . وهو نقل حركة هاء الضمير إلى الحرف الساكن قبلها . فيقال في هند ضَرَبَتْ : هند ضَرَبَتْهُ ويقال : هذا المَاء اشْرَبْهُ ، وهذا الجَوَاد اركَبْهُ . وقد بسط هذه الطريقة سيويه في الكتاب ٢ / ٢٨٧ حيث يقول : « هذا باب الساكن الذي تحركه في الوقف إذا كان بعده هاء المذكر الذي هو علامة الإضمار فيكون أبين لها ؛ كما أردت ذلك في الهمزة . وذلك قولك : ضَرَبَتْهُ واضْرَبْهُ وَقَدْهُ ، وَمِنَهُ ، وَعَنْهُ . سمعنا ذلك من العرب . ألفوا عليه حركة الهاء حيث حركوا لثيانيها . قال الشاعر - وهو زياد الأعجم :

عجبت — والدمر كثير عجبهُ من عنزى سبى لم أضربه
وقال أبو النجم :

فقر بن هذا وهذا أرحله

وفي الجمع ٢ / ٢٠٨ أن هذا لغة الحمْ ، وذكر من شواهد قول الراجز :

من ياتمر للخير فيما قصدهُ محمد مساعيه ويعلم رشده

ويرى القارىء من هذا صحة قول الناس : اركَبْهُ واعْلَمْهُ . فأما مِنْهُ وعَنْهُ فقد رأيت في كلام سيويه ضم التون فيهما من غير تشديد ، فالتشديد هو موطن الخطأ عندم . وهم يفعلون هذا لتقوية الحرف حتى يقوى صوته والنطق به ، كما يقولون : الدَّم في الدم والآب في الآب ؟

محمد علي النجار

ملك الأردن

في صلاة الجمعة بالأزهر



أدى الملك حسين — ملك الاردن — والرئيس جمال عبد الناصر فريضة الجمعة يوم ٢ رجب بالجامع الأزهر ، واستمعوا مع جماهير المصلين إلى كلمة الأزهر في الوحدة العربية والاحلاف الأجنبية . وكانت جموع الشعب قد بكرت بالوقوف منذ الصباح على جانبي طريق المركب تخفق في أيديها وعلى رموسها الاعلام المصرية والأردنية ورايات التحرير . فلما وصل الركب الملكي ، وفيه الضيف الكريم ملك المملكة الأردنية ، وقائد الثورة الرئيس جمال عبد الناصر ، والبكباشي أركان الحرب حسين الشافعي وزير الشؤون الاجتماعية ، والصاغ أركان الحرب كمال الدين حسين وزير التربية والتعليم ، والاستاذ فتحي رضوان وزير المواصلات ، استقبلتهم الجماهير أجمل استقبال ، وكانت الهتافات المتصاعدة من ميدان الأزهر وما حواليه تدل على مقدار ما يكنه الشعب المصري للملك العربي من حب أكيد ، حتى وصل المركب إلى الأزهر الشريف ، فصافح جلالته فضيلة الأستاذ الأكبر وكبار رجال الأزهر ، وشق طريقه إلى محراب المسجد وسط التهليل والتكبير من نحو ثلاثين ألفاً من علماء الأزهر وطلابه وأبناء البعوث العربية والجاليات الإسلامية .

ولما فرغ الشيخ مصطفى إسماعيل من تلاوة السورة وأذان الجمعة وانتهى الناس من أداء ركعتي السنة صعد المنبر فضيلة الأستاذ الشيخ الحسيني المسلي المفقش العام للوعظ والإرشاد بالأزهر ، وألقى هذه الخطبة الإسلامية الحكيمة الجامعة :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا . أستغفركم وأنوب إليهم ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، يهدي من يشاء من عباده إلى صراطه المستقيم . وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا . صلوات الله وسلامه على محمد صاحب دعوة الوحدة والتوحيد ، وعدو

الوفية والتفريق ، وعلى آله وأصحابه الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، لجاهدوا صابرين مخلصين ، فدانت لهم الشعوب راضية مختارة وأعد الله لهم أجرا عظيما . يوم لا يحزنهم الفزع الأكبر وتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون .

أما بعد :

فإن رسول الله - صلوات الله وسلامه عليه - في دعوته إلى الحق عني بأمر البيعة فيما بينه وبين المسلمين ، توطيدا للبيعة ، وتمكينا للثقة ، فبايع في العقبة جماعة الأنصار مرتين في حولين متتابعين مبايعة التناصر والمنعة ، ثم بايعة المسلمون جميعا من المهاجرين والأنصار تحت الشجرة ساعة الشدة وإبان المحنة بيعة الرضوان وبارك الله هذه البيعة ورضى عنها وأنزل في شأنها : « لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم ، فأُنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا ، ومغانم كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزا حكيما ، وعدمكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فجعل لكم هذه وكف أيدي الناس عنكم ولتكون آية للمؤمنين ويهديكم صراطا مستقيما » .

وقد روع المشركون ببيعة الرضوان ، وانخلعت منها قلوبهم ، وقال لهم سفيرهم : « صالحوا محمدا فإن معه رجالا يكادون يقتلون على ماء وضوئه ، وإنكم لن تصلوا إليه أبدا وفيهم عرق يلبض » .

فدبروا وقدروا ، ثم دبروا وقدروا ، فلم يجدوا إلا أن يزلوا من عليه غرورهم ويصالحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان صلح الحديبية ، ووضعت المعاهدة الأولى في الإسلام بين المسلمين والمشركين في الحديبية . وللشرك عصابات من اليهود والمنافقين بخيبر والمدينة كانت متربصة متحفزة ، تمنى نصر الشرك وهزيمة الإسلام وتعمل جاهدة لتوقد نار الفتنة وتسمرها وتقضي بدورها على مؤخرة المسلمين بالمدينة . وذلك شأن اليهود والمنافقين في الغدر والخيانة في القديم والحديث . ولكن الله أراد أن تكون الدائرة عليهم ، فكشف أمرهم لنبيه ، وأورثه أرضهم وديارهم ومغانم كثيرة للمؤمنين الصادقين فكانت آية للمؤمنين على نصر الله للمخلصين ، وكان فتحا قريبا أمام الفتح الأكبر بمكة ، وما يتبعه من نصر يتلوه نصر ، وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم .

أيها المسلمون : هذه صفحة من صفحات الإسلام الغراء ، وسياسة للرسول خالدة ، وعمل الرسول تشريع وتوجيه . وما أشبه الليلة بالبارحة .

وعى إسلامى وعربى بين شعوب العرب ، ونهضة هنا وهناك . شباب عربى مؤمن وثائر . جيوش عربية متوتبة تدفعها الفيرة الحارة الملتهبة . قادة حكام أبرار أخلصوا النية وأقسموا أن يقودوا السفينة إلى بر النجاة والسلامة . ثورة صادقة حازمة على الباطل والمبطلين وعلى الغدر والغادرين والفساد والمفسدين ، يقودها شباب عربى مصرى ناهض ، وهناك الرصد من بقايا يهود خيبر وبقايا المنافقين الأولين الغادرين ، ومن ورائهم قوى الطغيان الظلمى إلى الاستعمار والاستعباد ، الحاقدة المتربصة بالعروبة والإسلام . فالمسلمون اليوم أحوج ما يكونون لجمع الكلمة وربط القلوب فى صدق ووفاء وإخلاص وإيمان . وإن دم العروبة الثائر الفاتر ينادى شعوب العرب ويناشدهم البر بتاريخ آبائهم الأجداد الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، وما وهنوا وما ضعفوا وما استكانوا ، وما غدروا وما خانوا ، بل خاضوا المعامع صادقين ، ووفوا بالعهد مخلصين .

أيها العرب . أيها المسلمون : إن أرواح الآباء والأجداد فى مدى أربعة عشر قرنا تطل عليكم وتناديكم : أين أبناؤى ؟ أين أشبالى ؟ أين المجاهدون ؟ أين الصادقون ؟ أين الثألف ؟ أين التآزر ؟ أين الصدق فى العهد والبر بالوعد ؟

يابنى العروبة : ليس لامة من الأمم تاريخكم ، وليس لامة أبطالكم وأجدادكم كأمجادكم . أستم الفاتحين للهند . أستم المنقذين المسيحية فى مصر من طغيان الاستعمار الرومانى . أستم الآخذين بيت المقدس صلحا وسلاما . أليس أجدادكم ملوك الشرق والغرب . أليست مدنيات العالم من نبع مدينة الإسلام والقرآن ، فيها ياملك العرب ، وهيا يازعماء العروبة ، وهيا يارجال الثورة وأشبال مصر ، سيروا فى طريقكم إلى جمع الكلمة ونبد الشقاق ، واحتضنوا وحدة العرب ، واجمعوا الصفوف العربية ، وحققوا آمال العرب والإسلام . وهام أولاء شيوخ الأزهر وأبنائهم يرحبون بالملك العربى المؤمن بوحدة العرب ، ويباركون أعمالكم ، ويسألون الله لكم النصر والتأييد فى إخلاص وولاء ، ومن ورائهم شعبكم المتدين المؤمن ، وكله ثقة بكم ، وإيمان بحركتكم ، ينظر النداء ، ليقدم نفسه الفداء . والله معكم ولن يتركم أعمالكم .

واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا .

روى مسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا . ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم » .

وفى الحديث « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً » .

الخطبة الثانية

الحمد لله القوي الغالب . العزيز الناصر . ولى الذين آمنوا ، يخرجهم من الظلمات إلى النور . سبحانه وعد المجاهدين المخلصين بالنصر والتأييد . أستغفره استغفار الخاشعين ، وأتوب إليه توبة الصديقين ، وأصلى وأسلم على نبيه محمد صلاة المحبين الصادقين .
أما بعد :

فإن الإسلام دين المحبة والقوة ، ودين العدل والرحمة . يقول الله سبحانه وتعالى : « محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم » ويقول سبحانه : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » .
والمؤمن صاحب رسالة مبعثها حب الله ورسوله ، وحب الحق ، ولا تحقق رسالة الإيمان إلا بقوة يقين وجهاد ، وعزيمة صادقة وإخلاص وولاء .

وهكذا كانت حياة النبيين ، وكانت حياة أتباعهم من بعدهم ، كانت حبا لله وحبا للحق تحميه قوة ، وتبرزه عقيدة ، وتمسك له ثورة . نعم تمكن له ثورة ، فهذا سيد النبيين نازعاً على الباطل والمبطلين ، يسفه أحلام الجاهلية لمبادتهم الأحجار التي لا تسمع ولا تبصر ولا تفنى من الحق شيئاً ، ثورة على العقيدة الباطلة . ولا يستطيع ولن يستطيع فرد قليل الانتصار أن يهاجم عقيدة ويتحدى أصحابها إلا إذا كان قوياً نائراً ومحياً صادقاً ؛ له هدف وله غاية .

أما العدل فهذه الموازين الدقيقة في التشريع والتي سوت بين الناس : قويهم وضعيفهم ، وغنيهم وفقيرهم ، وشريعهم ووضيعهم ، فلا سيادة إلا للحق ، ولا سلطان إلا للعدل ، وهنا

تجلى الرحمة بين الناس حينما يشعرون بالمساواة، ويتذوقون الأخوة البريئة بين الإنسانية المتكافئة . فقل بربك أى سمو فوق هذا السمو ، وأى دين يضارع هذا الدين ١٤ .

« ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه » « إن الدين عند الله الإسلام » .

أيها المسلمون : هذا دينكم وهذه وصاياهم ، فتقدموا إلى صفوف الثورة وعضدوها ، وسيروا خلفها وعاونوها ، واعلموا أن الله مع الصادقين .

اللهم إنا نضرع إليك ونسألك أن تغفر للؤمنين والمؤمنات ، والمسلمين والمسلمات ، وأن تؤلف بين قلوب المسلمين ، وتجمع كلمة العرب ، وتوفق القادة من ملوكهم وزعمائهم إلى جمع الشمل ، وتحقيق المحبة ، ونيل الوحدة ، وإصلاح ذات البين ، اللهم انصر جيوش العرب والإسلام ، ومكن لحكومة الثورة ورجالها ، وأنزل السكينة عليهم وانصرهم نصراً ميئناً ، اللهم إنك تعلم أنهم من أجلك قاموا ، ومن أجل الحق جاهدوا وثاروا ، فارع بفضلك أعلامهم ، وحقق رجاءهم ، وأصلح بهم شأن الإسلام والعرب ، واجعل القلبة لهم ، والنصر على أيديهم ، يا نعم المولى ويا نعم النصير .

عباد الله إن الله يأمر بالعدل والإحسان . . . ١٥

الوطن الأكر

لنا بنو وطن تحرب بينه	سيناء في قدسية وجلال
الشمس تجمع في المطالع بيتنا	والأرض في حرم الجوار الغالى
ولسان صدق في اللغات تألفت	فيه القلوب تألف الأقوال
ومعالم التاريخ في كتب، وفي	عقب ، وفي نصب ، وفي أطلال
نحذوا التأسى من مؤسى نفسه	بغدد يطالعكم بالاستقلال

العقاد

كتب السنة النبوية ومصنفاتها

ودرجاتها في الصحة

نشرت مجلة لواء الإسلام في عدد شهر رجب سنة ١٣٧٤ لفضيلة الأستاذ الجليل عبد الوهاب خلاف مقالا قيما عن تدوين السنة النبوية الشريفة ، استوعب فيه خلاصة تاريخ تدوين السنة بعد أن كانت محفوظة في الصدور يتناقلها المسلمون ، شافهة حتى عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز الذي أمر كبار علماء السنة بتدوينها خشية ضياعها ، وقد حوى المقال معلومات نفيسة نافعة في هذا الموضوع الديني المهم .

غير أن لي تعليقا على هذا الموضوع لما توهمه عبارة الأستاذ خلاف من أن السكتب السنة اقتصر كل واحد منها على رواية ما صح ، مع أن لعلماء السنة نظرا في هذه المسألة :

١ — قال الأستاذ خلاف : « وقد كان القرن الثالث الهجري هو العصر الذهبي لجمع السنة وتدوينها ، ففيه دونت صحاح السنة الستة : صحيح البخاري المتوفى سنة ٢٥١ ، وصحيح مسلم المتوفى سنة ٢٦١ ، وسنن ابن ماجه المتوفى سنة ٢٧٣ ، وسنن أبي داود المتوفى سنة ٢٧٥ ، وسنن النسائي المتوفى سنة ٣٠٣ . وهذه الكتب الستة اقتصر كل واحد منها على رواية ما صح ، ومن أجل هذا يقول الأستاذ خلاف : « ولهذا تلقاها المسلمون بالقبول في مختلف العصور ، » .

أما أن المسلمين قد تلقوا الكتب الستة بالقبول في مختلف العصور فهو قول حق وصدق وليس موضع خلاف أو جدل ، ولكن ليس معنى ذلك أنهم تلقوها على أن كل أحاديثها صحيحة محضة ، وخاصة كتب السنن الأربعة ، فإن المعروف لدى علماء السنة والمقرر في كتبهم ومصنفاتهم أن البخاري ومسلم اقتصر في كتابيهما على رواية الصحيح ، ولهذا سميا بالصحيحين . أما كتب السنن الأربعة فلم يقتصر مؤلفوها على رواية الصحيح وحده ، بل

رووا في كتبهم الصحيح والحسن والضعيف ، على أن الصحيحين لم يسلبا من نقد العلماء وادعاء بعضهم أنهما قد أوردا فيهما نحو مائتي حديث فيها نظر لنقاد الحديث .

قال السيوطي في (تدريب الراوي) : « إن الأحاديث التي انتقدت عليهما — على البخاري ومسلم — نحو مائتي حديث وعشرة أحاديث ، اختص البخاري منها بأقل من ثمانين ، ولا شك في أن ما قل الانتقاد فيه أصح مما كثر » .

وقال النووي في مقدمة شرحه على صحيح مسلم ج ١ ص ١٦ ما نصه : « وأما قول مسلم رحمه الله في صحيحه في باب صفة صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليس كل شيء صحيح عندي وضعته هنا ، وإنما وضعت ما أجمعوا عليه ، فشكلك . فقد وضع فيه أحاديث كثيرة مختلفا في صحتها لكونها من حديث من ذكرناه ومن لم نذكره ممن اختلفوا في صحة حديثه ، وهذا الانتقاد لا ينقص من قيمة الصحيحين العلمية بل فيه إبراز لتحريهما فيما يرويان ، وإن خالفهما بعض علماء الجرح والتعديل وغيرهم من النقاد ، فضعفوا بعض الرواة ممن ثبت لدى البخاري ومسلم توثيقهم وصحة روايتهم ، فكان الانتقاد على أساس اختلاف في وجهة النظر . واختلاف آراء العلماء جرحا وتعديلا مقرر ثابت في كتب الجرح والتعديل ، نص عليه البخاري في تاريخه ، والذهبي في ميزان الاعتدال ، وابن حجر العسقلاني في التزيين وفي تهذيب التهذيب ، والخزرجي في الخلاصة ، وسوام من علماء نقد الحديث ورواته .

٢ — أما ورود بعض الأحاديث الحسنة أو الضعيفة في كتب السنن فهو ثابت قطعا ولا يقبل جدلا ، وبخاصة سنن أبي داود والترمذي وابن ماجه ، فإن مؤلفيها لم يدعوا أنهم اقتصروا فيها على رواية الأحاديث الصحيحة كما يقول الاستاذ خلاف ، بل الثابت عنهم أنهم يروون فيها الصحيح والحسن والضعيف ، وهذا جلي واضح في كلام أبي داود والترمذي ، لأنهما قد يذكران درجة الحديث ، بل إن أبا داود قد نص في كتابه السنن على ضعف بعض الأحاديث التي رواها فيه مع بيان سبب ضعفها ، ونورد هنا بعض أمثلة لذلك :

روى أبو داود في كتاب الطهارة من السنن بسنده « عن ثور بن يزيد عن رجاء بن حيوة عن كاتب المغيرة قال : وضأت النبي ﷺ في غزوة تبوك ف مسح أعلی الخفين وأسفله ،

قال أبو داود : بلغني أنه لم يسمع ثور هذا الحديث من رجاء . ومعنى هذا أن الحديث ضعيف لعدم سماع راويه .

وروى أبو داود في سننه حديث هشام بن قرط أمير حمص عن معاذ بن جبل قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عما يحمل للرجل من امرأته وهي حائض قال : ما فوق الإزار ، والتعفف عن ذلك أفضل ، قال أبو داود : وليس هو - يعني الحديث - بالقوى . أنه بحروفيه . ومعنى قوله : ليس بالقوى ، أنه ضعيف .

وقال الشوكاني في (نيل الأوطار) نقلاً عن ابن الصلاح ما ملخصه : إن أبا داود قال : ذكرت في كتابي الصحيح وما يشبهه وما يقاربه ، وما كان في كتابي هذا من حديث فيه وهن شديد بيته ، وما لم أذكر فيه شيئاً فهو صالح ، وبعضها أصح من بعض .

وقال الشوكاني أيضاً ما نصه : وقد اعتنى المنذرى رحمه الله في نقد الأحاديث المذكورة في سنن أبي داود ، وبين ضعف كثير مما سكت عنه ، فيكون خارجاً عما يجوز العمل به . وما سكتنا عليه جميعاً فلا شك أنه صالح للاحتجاج .

وقال الحافظ المنذرى في مقدمة كتابه (الترغيب والترهيب) ج ١ ص ٨ ما نصه :

وأنبه على كثير مما حضر في حال الإملاء بما تساهل أبو داود رحمه الله في السكوت على تضعيفه أو الترمذي في تحسينه ، الخ .

وقال النووي في (التقريب) ما نصه : وأما تقسيم بغوى أحاديث (المصاييح) إلى حسان وصحاح مريباً بالصحاح ما في الصحيحين وبالحسان ما في السنن فليس بصواب ، لأن في السنن الصحيح والحسن والضعيف والمنكر . وقد نص السيوطي على تساهل بعض العلماء بإطلاقهم اسم الصحيح على السنن فقال في (تدريب الراوي شرح تقريب النواوي) ص ٥٤ : ومن أطلق عليها « أي السنن » الصحيح ، كقول السلفي في الكتب الخمسة اتفق على صحتها علماء المشرق والمغرب ، وكإطلاق الحاكم على الترمذي الجامع الصحيح ، وإطلاق الخطيب عليه وعلى الفسائي اسم الصحيح فقد تساهل .

٣ — وما ذكره الأستاذ خلاف في مقاله بعض الكتب التي جمعت الصحيحين والسنن فقال : وبعض المؤلفين جمع في مؤلف واحد الكتب الستة جميعها بحيث تقرأ فيه

كل ما رواه السنة في باب صلاة الجماعة وفي باب الطواف بالكعبة أو في أى باب ، منها كتاب (جامع الأصول لأحاديث الرسول) ، ومنها كتاب (التاج) الجامع لأصول أحاديث الرسول ، وهذا يوم أن الكتب الستة هي التي سبق وتكلم الأستاذ خلاف عنها وذكر تاريخ وفاة مؤلفيها بما فيهم ابن ماجه . غير أن الواقع أن ابن ماجه لم يكن ضمن السنة الذين جمعت كتبهم في كتاب (جامع الأصول) لأن مؤلفه ابن الأثير جعل (موطأ الإمام مالك) هو السادس بدلا من ابن ماجه . أما كتاب (التاج الجامع لأصول الأحاديث) فقد اقتصر مؤلفه على الخمسة فقط : البخارى ومسلم وأبي داود والترمذى والنسائى .

قال الحافظ عبد الرحمن بن الديبع الزبيدي المتوفى سنة ٩٤٤ هـ في مقدمة كتابه (تيسير الوصول مختصر جامع الأصول) ج ١ ص ٢ ما نصه : « العلامة الكبير محمد الدين أبو السعادات ابن الأثير المتوفى سنة ٦٠٦ هـ جمع فيه - في كتابه جامع الأصول - الأصول الستة المشهورة : صحيح البخارى ومسلم وموطأ الإمام مالك وسنن أبي داود السجستاني وجامع أبي عيسى الترمذى وسنن أبي عبد الرحمن الفسائى ورحمهم الله ، ١ هـ .

وقال الشيخ منصور على ناصف مؤلف كتاب التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول ج ١ ص ٤ و ٥ ما نصه : « وشرعت في تأليفه على بركة الله تعالى ، فاستحضرت أصح كتب الحديث وأعلامها سنداً وهي صحيح البخارى وصحيح مسلم وسنن أبي داود وجامع الترمذى والمجتبى للنسائى رضى الله عنهم ، وهذه هي الأصول الخمسة التي اشتهرت في الأمة وارتفعت لها لها من المكانة العليا في الحديث ، ١ هـ .

وإيضاحاً لهذه النقطة نشير هنا إلى أن المشهور بين علماء الحديث جعل أصول كتب السنة ستة : البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه . وبعضهم كابن الأثير في جامع الأصول جعل موطأ الإمام مالك سادساً بدل سنن ابن ماجه . ومنهم من اقتصر على جعل الأصول خمسة فقط وهو ما جرى عليه النووى في التقريب ، وتبعه على ذلك مؤلف التاج الجامع للأصول كما أسلفنا . قال السيوطى في (تدريب الراوى) ص ٣٥ : « لم يدخل المصنف النووى - سنن ابن ماجه في الأصول ، وقد اشتهر في عصر المصنف وبعده جعل الأصول ستة بإدخاله فيها ، .

هذا هو الاصطلاح المشهور في عهد أصول كتب السنة وفي أصحابها ، ولا بن حزم اصطلاح آخر في ذلك نقله عنه السيوطي في (التدريب) ص ٣٢ فقال : وأما ابن حزم فإنه قال : « أول الكتب الصحيحةان - البخاري ومسلم - ثم صحيح سعيد بن السكن ، والمنتقى لابن الجارود ، و المنتقى لقاسم بن أصبغ ، ثم بعد هذه الكتب كتاب أبي داود ، وكتاب النسائي ، ومصنف قاسم بن أصبغ ، ومصنف الطحاوي ، ومسانيد أحمد والبخاري وابن أبي شيبة - أبي بكر وعثمان - وابن راهويه والطيالسي والحسن بن سفيان والمستدرک وابن سنجر ويعقوب ابن شيبة وعلى بن المديني وابن أبي عروبة وما جرى مجراها التي أفردت لكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم صرفا . ثم بعدها الكتب التي فيها كلامه وكلام غيره ، ثم ما كان فيه الصحيح فهو أجل : مثل مصنف عبد الرزاق ، ومصنف يحيى بن مخلد ، وكتاب محمد بن نصر المروزي ، وكتاب ابن المنذر ، ثم مصنف حماد بن سلمة ، ومصنف سعيد بن منصور ، ومصنف وكيع ، ومصنف الزريابي ، وموطأ مالك ، وموطأ ابن أبي ذئب ، وموطأ ابن وهب ، ومسانيد ابن حنبل ، ووفقه أبي عبيد ، ووفقه أبي ثور ، وما كان من هذا النمط مشهورا كحديث شعبة والليث والأوزاعي والحيدري وابن مهدي ومسدد وما جرى مجراها ، فهذه طبقة موطأ مالك بعضها أجمع للصحيح منه وبعضها مثله وبعضها دونه . ولقد أحصيت ما في حديث شعبة من الصحيح فوجدته ثمانمائة حديث ونيفا مسندة ، ومرسلا يزيد على المائتين ، وأحصيت ما في موطأ مالك وما في حديث سفيان بن عيينة فوجدت في كل واحد منهما من المسند خمسمائة ونيفا مسندا ، وثلاثمائة مرسلا ونيفا ، وفيه نيف وسبعون حديثا قد ترك مالك نفسه للعمل بها ، وفيها أحاديث ضعيفة وأما جمهور العلماء ، . . . »

ويتضح من كلام ابن حزم أن الأحاديث الصحيحة والمقبولة لدى المسلمين ليست قاصرة على ما جاء في الكتب الستة بل توجد أحاديث صحيحة وحسنة في غير السنة من المسانيد والمصنفات الموثوقة التي ألفها أئمة المسلمين من المحدثين والفقهاء المجتهدين . وقد ذكر ابن حزم في كلته السابقة الكثير منها ، كما توجد في الكثير مما لم يذكره ابن حزم مثل كتاب الام والسنن والمسند للإمام الشافعي وكتاب الآثار للإمام أبي يوسف صاحب أبي حنيفة وموطأ الإمام محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة والسنن الكبرى للبيهقي ومسند الدارمي والسنن للدارقطني وغير ذلك من الكتب والنصائيف في السنة .

وإذا قال علماء الحديث هذا حديث صحيح فليس معنى ذلك أنه مقطوع بصحته في نفس الأمر ، قال الحافظ ابن الصلاح : « ومتى قالوا هذا حديث صحيح فمعناه أنه اتصل سنده مع سائر الأوصاف المذكورة ، وليس شرطه أن يكون مقطوعاً به في نفس الأمر ، إذ منه ما يفرد بروايته عدل واحد وليس من الأخبار التي أجمعت الأمة على تلقبها بالقبول . إكذا إذا قالوا في حديث إنه غير صحيح فليس ذلك قطعاً بأنه كذب في نفس الأمر ، وذد يكون صدقاً في نفس الأمر ، وإنما المراد أنه لم يصح إسناده على الشرط المذكور ، اهـ من مقدمة شرح صحيح مسلم للشيخ شير أحمد العثاني الهندي ج ١ ص ١٧ .

وقال السيوطي في (تدریب الراوى) ص ٢٤ : « يناسب هذه المسألة أصح الأحاديث المقيدة كقولهم أصح شيء في الباب كذا ، وهذا يوجد في جامع الترمذي كثيراً وفي تاريخ البخاري وغيرهما . وقال المصنف « النووي ، في (الإذكار) : لا يلزم من هذه العبارة صحة الحديث فإنهم يقولون هذا أصح ما جاء في الباب وإن كان ضعيفاً ، ومرادهم أرجحه أو أقله ضعفاً » ٩

محمد صبري عابدين

من علماء الأزهر الشريف

اليتيم

أياها المثرى ، ألا تكفل من	بات محروما يتبا مصرا
أنت ما يدريك إن أنبتة	ربما أطلعت منه نهرا
ربما أطلعت منه (عبده)	من حمى الدين وزان الأزهر
ربما أطلعت منه شاعرا	مثل شوق نابها بين الورى
كم طوى البؤس نفوسا لورعت	منبتا خصبا لكنت جوهر
كم قضى العدم على موهبة	فتواتر تحت أطباق الثرى
كل من أحيا يتبا ضائعا	حسبه من ربه أن يؤجرا

هافظ ابراهيم

البهائية

— ٢ —

عقيدة البهائيين :

استقرت عقيدة البهائيين — كما قررها لهم البهاء حسين على المازندراني (١٢٣٣ — ١٣٠٩) في ألواح ووحية ، وكما فسرهما دعائه في كتبهم ونشراهم — على أن الله ليس له أسماء ولا صفات ولا أفعال ، وأن كل ما يضاف إليه من أسماء وصفات وأفعال هي رموز لأشخاص ممتازين من البشر قديما وحديثا هم مظاهر أمر الله ومهابط وحيه في زعمهم . وآخرهم وأكملهم هو مفسر سورة الواقعة في مؤتمر بدشت مهديا حسين المازندراني الذي لقب نفسه (بهاء الله) ، فهو عند نفسه وعند أتباعه مظهر الله الأكل ، وهو الموعود ، وبجيته الساعة الكبرى ، وقيامه القيامة ، ورسالته البعث ، والالتقاء إليه الجنة ، ومخالفته هي النار ، وعدمهم أن الديانات السابقة والأنبياء كانت مهمتهم التبشير بسخاقاته ، وأن ظهوره هو ظهور جمال الله الأبهي . وإن أتباعه — حتى الذين يتنازرون عليه بالعلم والذكاء والحبث مثل أبي الفضائل الجرفادقاني — كلهم يدعونه « ربنا » ، وليس ذلك تعظيما له ، ولا اعتقادا بتفوقه عليهم ، ولكن بغضا في الإسلام ، وحقدا عليه ، وتأمرا مع ربههم على الكيد للرسالة المحمدية ...

كتاب (الايقان) :

ولقد نسبت إلى ربههم كتب يؤمنون بأنها هي وحى الله ، ومنها — ولعله أولها — كتاب (ايقان) الذي طبعه محفلهم المركزي في مصر سنة ١٣٥٢ وهو في ٢٠٠ صفحة ، ويقول عنه أعظم دعائهم الجرفادقاني في رسالته الثانية من مجموعة رسائله المطبوعة بمطبعة السعادة بالقاهرة سنة ١٣٣٩ (١٩٢٠) صفحة ٣٩ عند كلامه على « المعاد والرجعة » : « إن إرادة حضرة المحبوب — لازالت أقطار الارض منورة بأنوار وجهه ، ورياض العالم مزينة بأزهار أمره — قد تعلقت باتحاد كل أوليائه ، وأمره المبرم قد نفذ باتفاق قلوب أحبابه ، فعليك بالاغتراف من معين (الايقان) الذي جرى من قلم الرحمن ،

هذه الأزمان ، فإنه — مع وجازته — تبيان الزبر والألواح ، ومترجم كتب الله فائق الإصباح ، به فك ختم النبيين ^(١) ، وحل عقد إشارات السابقين . فأبذل غاية الجهد والتدبر في هذا الكتاب المستطاب ، ليملك الصواب في كل باب ، واحفظ قلوب الأحياء ، عن نطاق الشك والارتباب ، إن (ربنا) بالمرصاد ، وهو ولينا في المبدأ والمعاد .

تنازع الأخوين على كتاب (الإيقان) :

ومن العجيب أن كتاب (إيقان) هذا يتنازعه عدو الله البهائ المازندران وأخوه المخالف له يحيى المازندرانى ، فكل منهما يدعي لنفسه . ومعلوم أنهما كانا معا في إيران ، وانتقلا معا إلى العراق ، ثم إلى القسطنطينية وأدرنة ، فلما تقرر نفيهم إلى عكا سنة ١٢٨٥ أبى أخوه يحيى أن يبقى في عشرته ، وتمرد على ربوبيته ، وطلب الانفصال عنه ، فأرسل إلى قلعة ماغوسة في جزيرة قبرص ، ومن هناك ادعى يحيى أن كتاب (الإيقان) من إنشائه باللغة الفارسية ، وقال أخوه حسين (البهاء) : بل هو من وحي وتزيلي ، حتى قال في (الإشراق التاسع) ص ١٠٤ من ترجمة الإشراقات المطبوعة في القاهرة سنة ١٣٤٣ مع (نبذة من تعاليم حضرة بهاء الله) :

« ولما وردنا العراق ألقينا أمر الله حامدا ^(٢) ، ونفحات الوحي مقطوعة ، وشاهدنا

(١) أى بطل به كون محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين ، وتبين أن مهمته ومهمة سائر الأنبياء إنما كانت التبشير بالبهاء ، وأن البهاء هو الرب الموعود (موعود يمن ١٤)
(٢) لأن العراق كان - بعد إيران - المجال الثاني للدعوة البائية قبل ظهور الدعوة البهائية ، وفيه أنصار الشيخ أحمد الاحمسانى وأتباعه ، وكانت فيه فئاتهم (قرة العين) وقد أنزلتها الحكومة العثمانية ضيقة في منزل الشهاب الألوسى صاحب التفسير ، وكانت متحفظة معه جدا في جميع أحاديثها ، لأنها لا تطلع من دينه في قليل ولا كثير ، فكانت لا تبوح له إلا بما يحتمل التأويل . وإن كانت تقول لغيره ممن تطلع في ردتهم وخيانتهم للإسلام : « قد نزل الرب الودود ، وظهر الموعود » . وكان في العراق قبل ذلك من سنة ١٢٦٠ ملا على البسطامى رسول البائية ، بل حضر إلى مشهد النجف محمد على البارفروشى (القدوس) ، واستمالوا من العراقيين أمثال الشيخ بشير النجفى ، والشيخ سلطان الكربلايى ، ومحمد شبل الكاظمى . وفي بيت محمد شبل الكاظمى نزلت (قرة العين) سنة ١٢٦٣ فأمر نجيب باشا =

الأكثرين^(١) جامدين ، بل أمواتا غير أحياء . لذا نفخ في الصور مرة أخرى ، وجرّت هذه الكلمة المباركة من لسان العظمة (نفخنا في الصور مرة أخرى ، وأحيينا الآفاق من نفحات الوحي والإلهام) . والآن قد خرجت نفوس من خلف كل حجاب مسرعة تقصد ضريح هذا المظلوم^(٢) ، ومنعوا هذه النعمة الكبرى وأنكروها . فيا أهل الإنصاف لو ينكر هذا الأمر فأى أمر في الأرض قابل للإثبات ، أو لائق للإقرار ؟

• وقد اهتم المعرضون بجميع آيات هذا الظهور^(٣) وأخذوها بالتلق من وجدوها عنده . وكانوا يتظاهرون عند أهل كل مذهب من المذاهب أنهم منهم . قل موتوا بغيظكم ، إنه أتى بأمر لا ينكره ذو بصر وذو سمع وذو دراية وذو عدل وذو إنصاف . يشهد بذلك قلم القدم في هذا الحق المبين .

وقد علق ابنه (ع . ع = عبد البهاء عباس) على جملة • وأخذوها بالتلق من وجدوها عنده ، بقوله : حتى يسرقوا منها ويسندوها إلى أنفسهم كما أسندوا • سورة الملوك • ورسالة الإيقان • إلى يحيى في مكتبة باريس ومكتبة لندن . فالذى غاظ ربهم البهاء وعبد عبد البهاء وسائر عبيد البهاء أن يكون • إيقان • في مكتبة باريس وفي المتحف البريطاني على اسم يحيى أخى البهاء .

== وإلى بغداد بنقلها إلى منزل الشهاب الألومى . وعدواقه البهاء يشكو في (الإشراف التاسع) من أنه جاء إلى بغداد بعد ذلك فرأى هذه الدعوة الخبيثة خادمة ، وكان يأمل أن تكون نمت وترعرعت بما غرسه فيها البسطامى والقدوس والفنانة قرة العين ، ولأنه يعتقد أن البيئة الشيعية من طبيعتها قبول هذا الزرع ، غاب ظنه في العراق ، وحزن لخروج الدعوة إلى الردة ، فحاول الفخ في الصور ليعمها ، وما أشد حزنه إذ رأى أخاه وهو أقرب الناس إليه ينقلب عليه .

(١) أى شيعة العراق .

(٢) وما أذل أهل نخلة يشكو ربها وقوع الظلم عليه من المخلوقين .

(٣) آيات الظهور هى كتاب (الإيقان) . ويشكو البهاء من أن أخاه استعمل التلق

فاحتال على اغتصاب هذا الكتاب من كان عنده ، وأنه كان يتظاهر عند أهل كل مذهب بأنه على مذهبهم .

بمجموعة الألواح :

وبما يسميه البهائيون وحيا من ربهم البهاء كتاب يسمونه (مجموعة الألواح المباركة) وهو مطبوع بأمر عبد البهاء في مطبعة السعادة بالقاهرة سنة ١٣٣٨ (١٩٢٠) وقد جاء في ص ١٦١ منه في لوح من ألواح عنوانه (هو الناظر من أفقه الأعلى) مخاطبا شخصا اسمه عبد الوهاب :

« يا وهاب ، إذا اجتذبتك ندائى الأحلى ، وصرير قلبى الأعلى ، قل : إلهى إلهى ، لك الحمد بما فتحت على وجوه أولياتك أبواب الحكمة والعرفان ... أى رب ، أسألك بالذين أسرعوا إلى مقر الفداء شوقا للقائك ، وما منعهم سطوة الأمراء عن التوجه إليك بما أنزله في كتابك ، ثم بالذين أقبلوا إلى أفقك بإذنك ، وقاموا لدى باب عظمتك ، وسمعوا نداءك ، وشاهدوا أفق ظهورك ، وطافوا حول إرادتك ، أن تقدر لأوليائك ما يؤيدهم على ذكرك وثناك وتبليغ أمرك . إنك أنت المقتدر على ما تشاء ، لا إله إلا أنت الغفور الرحيم . يا قلبى الأعلى ، بدّل اللغة الفصحى باللغة النوراء . »

وهذا الخطاب - وكثير غيره من أمثاله - مبنى على أن البهاء حسين على الماسزندانى هو الله ، وأنه لا إله إلا هو الغفور الرحيم المقتدر على ما يشاء . وإن أساس عقيدتهم أن الله ليس له وجود الآن إلا بظهوره في مظهر البهاء . وكان يظهر قبلا بمظاهر نافذة في الديانات السالفة ، لكنه بظهوره في البهاء الأبهى ، بلغ الكمال الأعلى . وإنه ليس لله - عندم - أسماء ولا صفات ولا أفعال ، إلا ما يتصف به من صفات مظهره وهو البهاء ، وما يصدر عن البهاء من أفعال إلهية !

محاربهم اللغة المشتركة في العالم الإسلامى :

وقبل أن ننقل إلى آفاق أخرى من آفاق النحلة البهائية ، أحب أن أوضح الكلمة الأخيرة من لوح (هو الناظر من أفقه الأعلى) ، فإنه يقول في خاتمة : يا قلبى الأعلى ، بدّل اللغة الفصحى ، باللغة النوراء . وهذا خبىء له تفصيل : إن الباب والبهاء نشأ في بيئة عمل فيها العاملون منذ ألف سنة - ولا سيما الدولة الصفوية في أوائل القرن العاشر الهجرى - على تغيير رسالة الإسلام باسم الإسلام ، وإيجاد دين آخر غير الدين المحمدى الاصيل كما

تلقاه الصحابة والتابعون والتابعون لهم بإحسان ، غير أن أولئك اللاعنين كانوا يحرصون - مع ما يسعون إليه من التغيير - على أن يبقى للإسلام اسمه . فلما أعلن البايون في مؤتمر بدشت سنة ١٢٦٤ انسلاخهم عن الإسلام اشتد بهم الحرص على محاربته من كل ناحية ، ومنها لغة الإسلام العالمية وهي لغة القرآن (العربية) ، فكان من عناصر دعوتهم استنكار عالمية اللغة العربية وكونها اللغة المشتركة - لغة الصلاة والعلوم الإسلامية - في العالم الإسلامي فتآمروا على قطع الصلة بين المسلمين وتراثهم العلمي الذي تعاون أعلام المسلمين على تكوينه ذخيرة ثمينة للإنسانية في بضعة عشر قرناً ، ولذلك قام عدو الله البهاء بالدعوة إلى إيجاد لغة أخرى تكون لغة الأمم بزعمه ، وهو يعلم أن لغته الفارسية لا تصلح لذلك ، لأنها - كما قال عنها علامة الدنيا أبو الريحان البيروني - « لا تصلح إلا للأخبار الكسرية والاسمار اليلية » وكان أحب إليه أن يهجي بالعربية على أن يمدح بالفارسية (١) ، ثم إن الفارسية تحوى ولو قليلاً من التراث الإسلامي ، وهذا ما تريد البهائية أن يزول من الدنيا ، لذلك أخذ البهاء يدعو إلى اختراع لغة صناعية جديدة ، والبهائيون يفتخرون على دعاة لغة الاسبراتو بأن ربه قد سبق إلى هذه الفكرة ودعا إليها قبل أن تظهر الدعوة إلى لغة الاسبراتو . ولهذا الموضوع تفصيل آخر ليس هنا موضعه .

عقيدتهم في الله وأنبيائه :

يقول عبده وداعيته الأكبر أبو الفضائل الجرفادقاني في ص ٥٤ - ٥٦ من كتابه (الدور البهية) المطبوع بمطبعة الموسوعات بالقاهرة سنة ١٣١٨ (١٩٠٠) :

« نحن معاشر الأمة البهائية نعتقد بأن مظاهر أمر الله ومهابط وحيه هم بالحقيقة مظاهر جميع أسمائه وصفاته ، ومطالع شمس آياته وبيناته . لا تظهر صفة من صفات الله تعالى في الرتبة الأولى إلا منهم ، ولا يمكن إثبات نعت من النعوت الجلالية والجلالية إلا بهم . و لا يعقل ، إرجاع الضمائر والإشارات في نسبة الأفعال ، إلى الذات إلا « إليهم » . لأن الذات الإلهية والحقيقة الربانية غيب في ذاتها ، متمال عن الأوصاف بحقيقتها ، منذ

(١) انظر مقالة (القرآن معجزة بين معجزتين) بمجلة الفتح العدد ٨١١ ص ٨ .

عن النعوت بكيونتها ، لا قدرتها العقول ولا تبلغ إليها الأفهام ولا تحويها الضمائر ولا تحيط بها المدارك ، فلا توصف بوصف ، ولا تسمى باسم ^(١) ولا تفار بإشارة ، ولا تعين بإرجاع ضمير ، لكن منزع كل هذه هو المدارك الحسية وهي فوق الإدراك ، لأن كل مدرك محاط ، وكل محاط محدود ذو وضع ، وهذا من صفات الجسم والجسمانيات ، تعالت عنه المجردات ، فكيف الذات الإلهية والحقيقية النورانية . فكل ما توصف به ذات الله ويضاف ويستند إلى الله — من العزة ، والمظنة ، والقدرة ، والقوة ، والعلم ، والحكمة ، والإرادة ، والمشئنة وغيرها من الأوصاف والنعوت — يرجع بالحقيقة إلى مظاهر أمره ^(٢) ومطالع نوره ومهابط وحيه ومواقع ظهوره . وقد رقت هذه المسألة من القلم الأعلى ، مبنية مفصلة في ألواح ربنا الأبهي ^(٣) ، فأظهر الله تعالى جواهر أسرارها في الصحف المطهرة ببيانها الآجل . .

(١) ولكن الله هو الذي سمي نفسه بأسمائه الحسنى ووصف نفسه بأوصافه العليا . فكيف تبلغ القصة بالبهائية أن يكذبوا الله فيما أخبر به عن نفسه ، وهل هم أعلم به منه ؟ الحقيقة هي أنهم يريدون أن يقولوا إن الله معدوم ، وإن علم الله وعزة الله وقدرته ومشئته هي صفات مظهر أمره وهو يخفيهم الخيال الخبيث الذي زعم لم أنه ربه . فليقولوها بلا موارد ، وبلا تعرض لأسماء الله وصفاته . بل حتى أفعال الله ليست أفعاله بزعمهم ، وإنما هي أفعال مظهر أمره الذي يعنون به بهائم الأبهي ، فأين كان بهاؤهم الأبهي عندما سرق منه أخوه كتاب وحيه وانتحل نفسه ؟ فلما منع ذلك ودفع هذه الحرقلة التي بقيت تحز في صدره إلى أن هلك ؟ إن إنكار صفات الله قد سبقتهم إليه الإسماعيلية في أيام الحاكم المبيد فأعلن ذلك دعائه وسموا هذه العقيدة في كتبهم (عقيدة التوحيد) ، لأنه لما يكون الله بغير صفات يكون حيثئذ وهما فيكون الحاكم رباً ، وهو سلف للبهاء في هذا المراء .

(٢) مظاهر أمره عند البهائيين هم برهما وبوذا وكونفوشيوس وإبراهيم وموسى والمسيح ومحمد والباب ، وكانت مهمتهم في رسالاتهم التبشير بعدوا الله الملحد السخيف حسين علي المازندراني الذي هو عندهم مظهر صفات الله كلها من دون الله (سبحانه وتعالى عما يقول الملحون) .

(٣) ألواح ربه الأبهي هي (الإيقان) الذي نازعه فيه أخوه يحيى . و (مجموعة الألواح المباركة) التي تقدم نقل نموذج منها . وله أيضاً (كتاب الشيخ) يتخاطب به شيخاً =

تفضيلهم ضلالتهم على جميع الأديان :

ويقول هذا المدعية البهائي الأكبر أبو الفضائل الجرفادقاني في ص ٩٨ من كتابه الآخر (الحجج البية) الذي طبعه المحفل البهائي الروحاني في القاهرة بمطبعة السعادة سنة ١٣٤٣ (١٩٢٥) :

« اعلبوا أبناء الله وجوهكم البية بنوره الوضاح ، وأبد كلنكم العالية بآيات اليسر والنجاح ، أن هذه الأدلة والبراهين تثبت حقية مظهر أمر الله في زماننا هذا أكثر وأوضح وأجلى مما كانت عليه حقية مظاهر أمر الله (أى الأنبياء) في الأزمنة السابقة .

« إن هذه البراهين قائمة ومتوفرة في هذا الظهور الأعظم الأسنى ، والطلوع الاثني الإلهي ، ونعني به ظهور سيدنا (البهاء) جل اسمه وعز ذكره ، أكثر مما توفر في ظهور من سبقه من الأنبياء ، بحيث لو أنكر أحد هذا الظهور الأعظم وأنكر أدلته وبراهينه الواضحة الجلية لا يمكنه إثبات حقية دين من الأديان الماضية .

إنكارهم إعجاز القرآن إلا في البشارة بالبهاء :

وبعد أن استعرض الأنبياء السابقين قبل موسى ، ثم أنبياء التوراة وديانة المسيح - مدعياً أن إثبات مقامهم في الظهور الإلهي أضعف من إثبات مقام البهاء في الظهور الإلهي - قال في آخر ص ١١٨ وما بعدها إلى ص ١٢٢ :

« ثم انظروا أيها الأحباء في أمر الإسلام والأدلة التي يريد المسلمون أن يستدلوا بها على حقية سيدنا الرسول عليه السلام .

== لعله هو الذي يزعم البهاء أن كتاب الإيقان كان مودعاً عنده وسرقه منه أخوه يحيى . و (كتاب الشيخ) مطبوع في مطبعة السعادة بالقاهرة سنة ١٣٣٨ (١٩٢٠) عن نسخة بخط عظيم من عظامهم يسمونه « الزين » ، ولعله البهاء نفسه ، فيكون « الزين » هو حرف الزاي مقتطعاً من كلمة « مازندران » ، ونسخة الأصل كتبت سنة ١٣٠٩ وهي سنة موته . وللبهاء أيضاً (الإشرافات) و (البشارات) و (الطرازات) نشرت نماذج منها في كتاب (نبذة من تعاليم حضر البهاء) المطبوعة في القاهرة سنة ١٣٤٣ (١٩٢٥) .

• أما الكتاب السماوي والوحي الإلهي — باعتقادهم فيه — فهو القرآن الشريف والمصحف المجيد، وهو قد كتبت آياته وحفظت سوره في زمان الرسول عليه السلام، ودونت ورتبت في زمان خلفائه في مجمع من أكابر أصحابه وأوليائه، وانفقت الملل الإسلامية على اختلافهم وتفرقهم شيما ومذاهب على مصحف واحد من دون اختلاف كلمة وتغيير حرف. إلا أنه لا يزيد على مجلد واحد أي ثلاثين جزءا نزلت على النبي عليه السلام نحيوما متفرقة في مدة ثلاث وعشرين سنة. وسيدنا النبي - كما هو معلوم عند الجميع - كان من قریش، أي أشهر قبائل العرب فصاحة وبلاغة، حتى عدَّ أكثر علماء الإسلام فصاحة يبيانه في القرآن^(١) حجة بالغة، وبلاغة كلامه معجزة دامغة. ولكتنا قدنا هذا الرأي^(٢) في كتب عديدة، وأظهرنا سبب إعجاز الوحي السماوي ووجوه تمييزه عن كلام البشر^(٣)، بما لم يبق شك فيه لأرباب البصائر والنظر.

• وأما نفوذ كلمته وغلبة دياناته فلم تظهر ظهوراً تاماً فيما عدا العرب من الفرس والحزور والترك والهنود إلا في القرن الثاني من الهجرة... الخ

إنكارهم المعجزات المحمدية إلا في أحاديث (عكا):

• وأما معجزاته وعجائبه - مما اقترح عليه أعداؤه منها ويحاول علماء الإسلام أن يثبتوها له عليه السلام — فينفيه صريح آيات القرآن... (وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون...)... وأمثال هذه الآية كثير في الكتاب،

(١) أي أن بيان القرآن إنما هو من فصاحة بيان محمد صلى الله عليه وسلم، لأنه من قریش أفصح قبائل العرب وأبلغها، وليس البيان القرآن - بزعمهم - من عند الله لأن الله عندهم ليس بمتكلم ولا فاعل، بل الأنبياء هم مظاهر صفاته وأفعاله.

(٢) أي كون القرآن معجزاً بلغته وبيانه، فهم يشكرون ذلك، بل هم الذين لقنوا الباب أن في القرآن لحناً يخالف قواعد العربية.

(٣) من جهة البشارات (كما سيجيء).

وقد استوفينا الكلام فيها في (الفرائد) وفي (الدرر البهية) وفي (فصل الخطاب) .

« وأما ما ظهر منه عليه السلام من المعجزات — من غير اقتراح — فليس لها مصادر إلا روايات وأحاديث قلما يمكن الاعتماد عليها إلا من باب حسن الظن ١ .

« ولكنه يوجد في القرآن الشريف والأحاديث الصحيحة المروية عنه عليه السلام إخبار عن الأمور الآتية (٢) بما لا يستهان به ولا ينكره إلا المجادل المتعنت . فقد أخبر عليه السلام بجميع حالات أمته وما دارت عليه من الاطوار من الصعود والنزول والنشاط والخمول ... وكذلك أخبر عن الأمور الحادثة في انقضاء الدهور من ظهور المهدي ونزول روح الله (٣) وقيام الأنبياء الكذبة وظهور الدعاة الكاذبين والقيامة الصغرى والقيامة الكبرى وأشراتها وعلاماتها ، كل هذه الأمور أيضا بجزئياتها وكتلياتها ومواقعها (٤) وميقانها بما لا يمكن أن يدركه الإنسان بالمدارك البشرية ويخبر عنه بالانظار السياسية ، بل لم يشاهد مثله في آثار من سبقه من المظاهر القدسية .

« ... وليس مرادنا من الأحاديث الصحيحة ما اصطاح عليه علماء الإسلام من الشيعة والسنية ، فإن أهل السنة والجماعة يعتبرون أن الحديث الصحيح ما يوافق مذهبهم (٥)

[١] أي البشارات [وهنا مريب للفرس] .

[٢] وهذا هو الفرض الأول لبهاية من ادعاء الاحترام لديانات السابقة ومنها الاسلام ، ليزعموا أنها كلها جاءت لتبشر بهذا السخيف المستخف بقول البشر إلى حد الطمع في أن يؤمنوا بربوبيته . هذا مع ادعاء أن الانبياء السابقين كانوا كلهم أقل شأنًا من البهاء وأن رسالاتهم مقدمة له وإلهامات بين يديه . وأن البهاء حكم بنسخها كلها مع احترامه لها . فيقيام ديانته لم يبق مجال لبقاء أي ديانة أخرى .

[٣] البهائيون يكذبون كل ما لا مصلحة لهم به من أحاديث صحيحة البخاري ومسلم وسائر الكتب الستة ، ويقتطعون من قامة للوضوحات أحاديث مكذوبة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها ذكر (مكا) ومناقبها ويفتخرون في نشرها وإعلانها ويمتدحونها المعجزة الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم .

(٤) الواقع عكس ذلك ، فهم اعتبروا مذهبهم ما وافق الحديث الصحيح ، وما منهم إلا من كان يقول : « إذا صح الحديث فهو مذهبي » ، والأحاديث عصفت قبل المذاهب الفقهية ، فكانت المذاهب تبعًا لها وهي أدلة لأحكامها .

والراوى على مذهبهم ^(١) ويضعفون كل حديث دونه مهما كان راوى الحديث ثقة وأميناً ^(٢) وهكذا علماء الشيعة لا يعتبرون أخبار من لم يكن على طريقتهم ومذهبهم .

ثم قال فى آخر ص ١٢٣ وما بعدها : « فإذا عرفتم أيها الأبرار كيفية انتشار الديانات السابقة ومقدار ما عند أصحابها من الأدلة ، فاعملوا — أفاض الله عليكم نوراً من ملكوته الإلهى — أن تلك الأدلة المذكورة تدل على (هذا الظهور) الأعلى دلالة أظهر وأجلى وأنهم وأقوى مما كانت تدل على الديانات الأخرى (أى البوذية والبرهمية واليهودية والمسيحية والإسلام) بحيث لو أنكرها أحد أصحاب تلك الديانات يستحيل عليه إثبات حقية دينه . فلتكلم فى نسبة كل دليل من الأدلة المذكورة إلى (هذا الظهور) الأعظم . . . ليظهر الفرق جلياً لأهل الإيمان :

تجسم بالوحى البهائى :

« أما الكتاب الإلهى — أى الوحى السماوى — فمع ما كانت تصادف ربنا الإلهى

(١) بل إن العدل الضابط الأمين من الرواة يأخذون بروايته ولو كان من الطوائف الأخرى ، كروايهم عن الحسن بن صالح بن حى الهمداني وهو زيدى ، وعن عدى بن ثابت الظفرى السكونى وهو شيعى ، وعن منصور بن أبى الأسود الخياط الشيعى ومن لا يحمى من أمثالهم . انظر لذلك مقالنا (تسامح أهل السنة فى الرواية عن مخالفتهم فى العقيدة) فى جزء ربيع الأول سنة ١٣٧٢ من هذه المجلة .

(٢) الذين لا غرض لهم من الإخصائين فى التاريخ - وآخرهم الأستاذ أسد رستم من أساتذة جامعة بيروت الأمريكية - يرون أن علماء الحديث من أهل السنة هم المثل الأعلى فى تمحيص الأخبار وتحققها . ويرى الأستاذ أسد رستم فى مقدمة كتابه (مصطلح التاريخ) أن أرقى مثل استطاعت طائفة من العلماء أن تضربه فى القديم للنهج التاريخى الصحيح هو المثل الذى ضربه علماء الحديث من المسلمين فى عصر التدوين والعصور التى تليه . وقد بلغ إعجاب بعض الباحثين المعاصرين من الأجانب بواحد منهم وهو القاضي عياض ، فقال متحدثاً عن رسالة له فى مصطلح الحديث : والواقع أنه ليس فى إمكان أكبر رجال تاريخ أوروبا وأمريكا أن يكتبوا أحسن منها فى بعض نواحيها ، وذلك بالرغم من مرور سبعة قرون عليها .

طول أيام ظهوره من البلايا والمصائب الجسيمة ^(١) والدواهي العظيمة مما ليس هنا محل ذكره . ومع أنه لم يكن من أهل العلم ، ولم يدخل المدارس العلمية ، فقد ملا الآفاق من ألواح المقدسة الفارسية والعربية ، مما لا نبالغ إذا قلنا إنها تزيد على ما عند ملل الأرض جميعا من كتبهم السماوية وصحفهم الإلهية ^(٢) .

د وخلاصة القول أنه جرت في مدة أيامه المباركة من قلبه الأعلى وبيانه الأجل أربعة أنهار من تلك المعارف الإلهية والحكم السامية السماوية ، ما حيت به القلوب ، وابتهجت به النفوس ، وقامت به الأموات ، وانشرحت به الصدور . وهذه هي الأنهار الأربعة الجارية من عرش الله في الجنة العليا ، والينابيع الفائضة بماء الحياة في الملائ الأعلى ، كما بشرت به حفظة الوحي ، وأخبر الله عنه بلسان موسى « يهطل كاللمطر تعليمي ، ويقطر كالندى كلامي ، وكالطل على الكلا ، وكالوايل على الأعشاب » .

هلاك البهاء وقيام عبده بعده :

د وأما الفرع الكريم ، المنشعب من الأصل القديم (يعني ابنه وعبده عبد البهاء عباس) والنور الساطع من سماء إرادة ربنا الرحمن الرحيم ، فمكاد أن يعجز قلم الكاتب البليغ عن وصف ألواح المقدسة وبياناته ، وتخصيص ماهية أخلاقه المعجزة وحالاته ، وها هي ألواح الكريمة التي تربو على الآلاف مثورة في الاقطار ، انتشار أوراق الزهور في الربيع من الأشجار ، ونفحات قلبه السيل فائحة في الأمصار ، فوحان نسيم الصبح في الأسفار . وإني في سنة ١٨٩٤ من الميلاد (١٣١٢ هـ) لما سافرت إلى الأرض

(١) وبإيج روية ربكم هذا من البلايا والمصائب التي كان أذل من أن يدفعها عن نفسه !

(٢) ولكتب ربكم الأبهي امتياز آخر على جميع الكتب السماوية وهو أنها تنق عن الله العلم والمشيئة والقدرة وسائر الصفات والأفعال ، وتنقلها إلى معنوهكم بدعوى أنه المظهر لها ، مع أنه كان - باعترافه - أعجز من أن يدفع الذل عن نفسه .

المقدسة ^(١) وساعدتني العناية الإلهية بالتشرف بالحضرة القدسية ، قد دهمشت وبحيرت فيها شاهدت من عظيم أطواره وآثاره ... حتى ملئت من ألواح المقدسة جميع الآفاق ، وبلغ نداء ربه الأبهى إلى السبع الطباق ، .

هذه صورة جامعة وجيزة للبهائية ، وما تقدمها قبلها من مساعي الكيد للدين الإسلامي ابتغاء تقييره وتحويل أهله عنه ، ومقتطفات من نصوص القوم مأخوذة من كتبهم ، مدلولا عليها بصفحاتها . ومن شاء المزيد على ما تقدم فليتخذ ما أوردناه أساسا وليتوسع بعد ذلك بما شاء من المصادر التي سمينا أمثالها . وأظن أن فيما أوردته ما يكفي للحكم على هذه الضلالة بما تستحقه هي والذين سمعوا لها ، والله حسيبهم في الدنيا والآخرة .

حُب الدين الخطيب

ما رواه البخارى ومسلم

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في منهاج السنة (٤ : ٥٨) :

يظن الجهال أن الأحاديث التي في البخارى ومسلم إنما أخذت عن البخارى ومسلم ، ولا يعلمون أن في قولنا « رواه البخارى ومسلم » علامة لنا على صحته ، لا أنه كان صحيحا بمجرد رواية البخارى ومسلم . بل أحاديث البخارى ومسلم رواها غيرهما من العلماء والمحدثين من لا يحصى عدده إلا الله ، ولم يتفرد واحد منهما بحديث ، بل ما من حديث إلا وقد رواه قبل زمانه وفي زمانه وبعد زمانه طوائف . ولو لم يخلق البخارى ومسلم لم ينقص من الدين شيء ، وكانت تلك الأحاديث موجودة بأسانيد يحصل بها المقصود وفوق المقصود ، وإنما قولنا « رواه البخارى ومسلم » كقولنا — أى عن القرآن — « رواه القراء السبعة » ، والقرآن منقول بالتواتر ، لم يخص هؤلاء السبعة بنقل شيء منه ، وكذلك التصحيح لم يقلده أئمة الحديث فيه البخارى ومسلم ، بل جمهور ما صحاه كان قبلهما عند أئمة الحديث صحيحا منلق بالقبول ، وكذلك في عصرهما .

(١) عكا القرية من حيفا . وكان ذلك بعد هلاك البهاء بثلاث سنوات .

جديد... ولكن...

لا أذيع سرّاً إذا قلت إن من أشد الناس رغبة في تجديد علوم العربية : نحوها وصرفها وبلاغتها ، ولهذا أقبلت بشغف زائد على قراءة هذا الكتاب الصغير الذي ألفه الدكتور مصطفى جواد عضو المجمع العلمي العراقي ، وعنوان الكتاب (المباحث اللغوية في العراق) .

ولا أنكر القاريء أني أسفت لأن باحثينا المحدثين عجزوا عن أن يجبتونا بشيء نافع حقاً في المباحث اللغوية والنحوية ، وليشركني القاريء في هذا الأسف أعرض لمسائل طابها المؤلف على النحاة القدامى ، واعتبرها من مورثات العربية وهنا واضطراباً ، ثم تبين لي أي مدى حالف المؤلف التوفيق .

ولنبداً بمسألة خطيرة ، جعلها المؤلف أساساً من أسسه ، تلك هي اعتماده على كتب التاريخ والتراجم في إثبات الكلمات اللغوية ، أو القواعد الصرفية ولو فتحنا هذا الباب لدخل على اللغة ضيق كثير ، ولما كانت لغة العرب بقدر ما هي لغة الأعاجم والمتعربين . وأسوق مثلين من اعتماده على غير ما يعتمد عليه :

١ — ينسب الآب أنستاس ماري الكرمل كلة تعاصر (لأنه لا وجود للتفاعل في مادة ع ص ر) فيرد عليه الدكتور جواد (بأن : المفاعلة ، للمشاركة تؤدي في الغالب إلى : التفاعل ، ولا تفاعل بفهم مفاعلة ، فإن وجد عاصروا وجد تعاصروا) . وهذا كلام لا سند له من قواعد الصرف . ثم يزيد أن كلة : التعاصر ، وردت في كلام ياقوت الحموي في ترجمة أبي عثمان سعد بن هاشم الخالدي ، وفي كلام ابن خلكان عن البرد وتعلب ، وفي كلام ابن ظافر ، والفطحي ، والسخاوي . ثم يقول : « فهؤلاء أدباء ومؤرخون مشهورون استعملوا (التعاصر) منذ العصور الإسلامية القديمة ، وفي استعمالهم دليل على القياس الذي أشرنا إليه ، فكيف يصح قول الآب أنستاس ؟ » وأنا أسأل - متعجباً - : كيف يصح قول الدكتور مصطفى جواد ؟

٢ - ينكر على البصريين رأيهم في وجوب رد الجمع إلى مفردة عند النسبة إليه ، فيما عدا ما استثنى . وهذا بحث منعرض له قريباً . ولكن الذى يعنينا هنا ، أنه جعل من أدلته الاعتماد على استعمالات المتأخرين ، فقد نظر في فهرست تاريخ بغداد للخطيب البغدادي فوجد فيه علماء كثيرين كانت نسبتهم إلى الجوع مثل المحاملى ، والاصباغى ، والأخبارى . وبعد أن ذكر عدداً من هؤلاء قال : « أفنكون نسب هؤلاء الأعيان من سلف الأمة غلطاً من أجل دعوى صرفية باطلة » ؟

ولا أجد أبلغ في الرد على هذا الكلام مما قاله الشيخ أحمد الإسكندري - رحمه الله - في إحدى جلسات المجمع اللغوي : « لا يصح أن يكون الخطأ الذى حصل في عصور الجمل قاعدة ، وفي كتاب السماعات كثير من النسب إلى الجمع ، ولكنه غير صحيح ، ونحن نعمل لمجمعنا لا للغة العوام . فيجب أن يكون ما نعمله على قواعد صحيحة » .

ومن غريب الأمر أن الدكتور جواد الذى يستند إلى مثل هذه العبارات ينكر على النحويين قولهم بأن « عامة » تجيء للتوكيد قال : « لم يثبت استعمالها في كلام العرب ، وإنما قالت العرب : جاء عامة القوم ، وأخذ عامة المال ، وبقى معنا عامة النهار ، مع أن سيويوه ذكر أن العرب يقولونها ، ومع أنه ينقل في صفحة ٨٤ من كتابه هذه الفقرات للشاعر العراقي المشهور معروف الرصافي ، الاشتقاق في أسماء الأحداث ضرورى ، لا بد منه ، ولا يجوز أن يكون عدم السماع حجة في منع قياسه وإطراده من وجوه : أحدها أن عدم السماع لا يستلزم عدم الوقوع إذ يجوز أن يكون قد وقع أن العرب قد نطقت به ولكنه فات الرواة فلم تروه ولم تنقله ، لأن نقلة اللغة أكثر ما يعتمدون في نقلها على الشعر ، ومن الجائز في الكلمة المحكوم فيها بعدم السماع أنها لم تقع في الشعر ، بل وقعت في النثر الذى لم تضبطه الرواة ، ولم تنقل منه ولا عشر معشار ، فعل القائل بالمنع أن يثبت لنا عدم الوقوع ، وإلا فدليلة مدفوع ، وكلامه غير مسموع » . وكلام الرصافي في هذا يتفق مع قول أبي عمرو ابن العلاء : ما وصل إليكم مما قالت العرب إلا أقله ، ولو جاءكم وقرأ لجاؤكم خير كثير . وقد قال سيويوه وكفى به حجة .

على أن صاحب اللسان ذكر الحديث الشريف : سألت ربى أن لا يهلك أمتى بسنة بعامه . ثم قال : والباء في (بعامه) زائدة ...

وكذلك هو ينكر المطاوعة ، ويعتبرها « خرافة عجيبة ... مضى على ابتداعها أكثر من ألف سنة » ثم يقول بعد أن ساق كلام الصرفيين عن المطاوعة « والصحيح أنه ليس في اللغة العربية أوزان للمطاوعة ، ولا أثر للمطاوعة في هذه الأوزان التي ذكروها ، وقد قام الخيال الصرفي في هذه المسألة بدور كبير ، ونحن لم نجد عربياً فصيحاً يستعمل في كلامه جملة « كسرت العود فانكسر » ، ولا أمثالها ، ولا حطمت فتحطم » . . . وعلى هذا ترى من المنسوخ علياً قرار الجمع اللغوي المصري الخاص بالمطاوعة ونصه : كل فعل ثلاثي متعد دال على معالجة حسية فطاويعه القياسي « انفعل » ما لم تكن فاء الفعل واواً ، أو لاماً ، أو نوناً ، أو ميماً ، أو راء ، ويجمعها قولك ولنفر ، فالقياس فيه افتعل .

قلت : والصحيح أنه ورد على لسان أعراب فصحاء مثل هذا التركيب ، فن الرجز المشهور : قد جبر الدين الإله لجبر ، وفعل المكسور العين يأتي مطاوعاً لفعل مفتوحها ، وكما ورد في شعر الأعشى « إذ يرفع الآل رأس الكلب فارقعاً » (١) .

على أن الذي نفهمه من المطاوعة أن يظهر أثر الفعل الأول في فاعل الفعل الثاني بصرف النظر عن هذا التركيب الذي يذكره الصرفيون بطريقة صوغ فعل المطاوعة ، فإذا قلت انكسر الفصن ، فهمت من الفعل (انكسر) أنه أثر لكسر ، والجمع اللغوي وضع قراره الآنف ، لأن الحاجة ماسة عند وضع مصطلحات للعلوم إلى التوسع .

وقد قالت العرب كسرت العود ، وأطفأت السراج ، فكان طبيعياً أن يجيئوا بفعل يدل على هذا الأثر الذي حدث من الفعل المتعدي فقالوا : كسر أو انكسر العود ، وانطقاً المصباح ، فدلوا على كل ظاهرة بفعل ، ولا مانع أن يقال هنا كسر بالمبنى للجهول ، وهو توسع ، أن يكون للدلالة على حدث ما صيغتان أو أكثر ، فلا يقال حيثنذكره الدكتور جواد « فلو كانت الأفعال الإرادية التي سميت غلطاً أفعال المطاوعة تؤدي معنى الفعل المبني للجهول أو كان الفعل المجهول يؤدي معنى هذه الأفعال ، ما احتاج الواضع إلا إلى إحدى الطريقتين منهما للتعبير ولم يأت بهما معاً » .

وأي ضمير على الواضع أن يأتي بطريقتين للتعبير عن معنى واحد ؟ وقد يمكن الفرق بين كسر العود للدلالة على المطاوعة ، وبين كسر مبنياً للجهول .

والدكتور يجعل الفرق أن « انفعال وما جرى مجراه من الأفعال المزعوم أنها للمطاوعة ... هي في الحقيقة لرغبة الفاعل في الفعل أو ميله الطبيعي أو شبه ميله إليه » ، ونحن نرى التكلف ظاهراً هنا ، فإنه إذا قيل : إن انطلق ، وانصرف ، إنما بنينا على هذا الوجه ، لأن الفاعل له رغبة في الانطلاق والانصراف اعترضتنا آلاف الأفعال من هذا النوع ، وليست فيها رغبة بادية للفاعل . ولكن الدكتور لا يعوزه التخريج ، فيجئنا « بميله الطبيعي أو شبه ميله إليه » . وهو - على كل حال - التواء في التقعيد ، وقول الصرفيين في المطاوعة أقرب من هذا . ثم إنه من المعلوم لدى المؤلف وغيره أن أحداً من الصرفيين لم يقل بأن كل (انفعال) جاء للمطاوعة ، ولا أن كل وزن جاء للمطاوعة لم يجيء إلا لها ، فاعتراضه بأفعال من هذه الصيغ - ولا دلالة فيها على المطاوعة - غير مقبول .

وبعد أن ذكر الدكتور قاعدته في أن أفعال المطاوعة إنما هي للدلالة على رغبة الفاعل في الفعل ... قال : « هذا هو السر الذي بقي مجهولاً عشرة قرون أو أكثر منها ، ودعا خفاؤه إلى عبث كثير في اللغة ومعجماتها وكتب صرفها ، وبقي أن نعرف ما وزن هذا الكلام عند المشتغلين بصرف العربية ومعجماتها ؟ » .

ويصرف المؤلف القلم إلى « بيان خسران صرفي آخر هو جهل الصرفيين - رحمهم الله - أن أكثر أسماء الآلة والأداة استعمالاً هو « فعال » ، وأنه أخرى بالقياس من « مفعول ومفعول ومفعلة » ، لحفته وسهولته وقدمه ، باعتبار أن المشتقات تتفاضل في التقدم بنسبة قلة الزيادة فيها » . ونرجع هنا إلى أصل المسألة : الصرفيون أجمعون : قدامهم وعحدثهم ، ومنهم أعضاء المجمع اللغوي بمصر ، يجمعون على أن « مفعول ومفعول ومفعلة » هي السكينة والغلبة في أسماء الآلة ، والآخرين وضعوا قراراً بقياسيتها ، والدكتور جواد يقول : إن هذا خسران مبين ، وإن « فعلاً » أكثر استعمالاً ، فهو لذلك أخرى بالقياس . ونحن لا نستطيع أن نتجاهل كل العلماء ونؤمن على قول الدكتور حتى يأتينا باليدنة والدليل ، فننسى أن المؤلف لم يسبق في مؤلفه دليلاً واحداً على أن « فعلاً » أكثر ...

قد يقال إنه أخف ، وقد نسلم أنه أقدم ، أما أن يقال إنه أكثر شيوعاً في لغة العرب فتلك دعوى ... تحتاج إلى برهان .

أما رد الجمع إلى المفرد عند النسبة إليه فهو - وما أشبهه - تقصير في حق العربية ارتكبه قوم حين أرادوا أن يحملوا قواعد ما غايات لا وسائل ، وقد فعلوا ذلك مع جهل للقواعد أنفسها ، وهو يؤدي إلى ضياع الفائدة المرادة بالنسبة . هذا بعض كلامه ، ولنا نحتاج إلى سفر طويل لنُدله على موضع الخطأ والخطر في هذا الكلام . فأولاً - وكأ قلت قبل ذلك - نحن متبعون للغة العرب ، والعرب همكذا كانوا يفعلون حين يريدون النسبة إلى الجمع ، قال سيويه بعد أن ذكر بعض الكلمات التي يرد فيها المفرد إلى الجمع : « وهذا قول الخليل ، وهو القياس على كلام العرب »^(١) ، والعجب العاجب أن المؤلف لا يتعرض لصنيع العرب الأولين بنى ولا إثبات ، وإنما يستشهد على ما يقول بأن الجاحظ قال « ملوكي ، وكذلك ابن جني له كتاب « التصريف المملوكي ، ثم ما شئت من أسماء تقرأ من تاريخ بغداد كما أسلفت ، مع أن في كلام الصرفيين القدماء ما يميز كثيراً من هذه النسب ، وفي قرار الجمع اللغوي المصري ما يوسع الدائرة مع الاحتفاظ بالقاعدة الأولى المستندة إلى كلام العرب . وهذا هو القرار : « المذهب البصري في النسب إلى جمع التكسير أن يرد إلى واحد ، ثم ينسب إلى هذا الواحد ، ويرى الجمع أن ينسب إلى لفظ الجمع عند الحاجة كإرادة التمييز أو نحو ذلك . » ويعتمد المؤلف اعتماداً كلياً على ما سماه مذهب الكوفيين ، مع أن النسب إلى الجمع مطلقاً ليس مذهباً لهم وإنما هو تجويز ، وهذا التجويز لم ينص عليه في كتاب من كتب الصرف المعتمدة ، كما جاء ذلك على لسان العلامة الشيخ السكندري . وثانياً - ننظر إلى المسألة من الناحية العملية ، فهل صحيح أن النسبة للمفرد تضع المقصود من النسبة ؟

نفرض أننا نريد النسبة إلى المساجد لندل على أن رجلاً يعتاد الذهاب إليها ، فقلنا مسجدي ، فأى معنى ضاع من هذه النسبة ؟ أما حين تؤدي النسبة إلى المفرد إلى ضياع المعنى المقصود فالأقدمون أنفسهم يحملون النسبة إلى الجمع ، وقد ذكر المؤلف نفسه مواضع ينسب فيها إلى الجمع فلا داعي للنص عليها هنا .

ثم نعود (للنحو الباطل) الذي ابتلى بالجمود وعدم الإبداع ، واتباع قدماء النحويين في سرد القواعد من غير عرضها على كلام العرب وشعرهم الحال من الضرورة ، والتزام

أقوالهم كأنها بما يحرم الاجتهاد فيه ، ولا يجوز التعليق عليه ، ولا إضافة قاعدة إليه
 كان بودي أن يروى المؤلف ظمناً ، وأن يطيل في التفيد والتعديد والإبداع ، فإن من
 الحق أن النحو في حاجة شديدة إلى الإبداع ، ولكن المؤلف لم يسق لنا إلا مسائل ، ليس
 الحق معه في كثير منها .

ذكر استعمال « عامة » في التوكيد ، وقد أسلفنا الرد عليه فيها ، وذكر أن النحاة لم
 يهتدوا إلى أن الاسماء الموصولة مأخوذة من أسماء الإشارة بإضافة « أل » إليها ، وهو أمر
 - لو صح - ليس بذى خطر . وذكر أن المسوخ للابتداء بالنكرة في نحو قولهم « سرينا
 وجم قد أضاء » ليس هو وقوع النكرة في جملة حالية ، وإنما هو كون الخبر جملة فعلية قال :
 وهذا لم يفتن له أحد ، وعلى ذلك يجوز أن تقول : كوكب قد طلع ، وحجر قد سقط ،
 ويستدل على صحة هذا الكلام بكلام لصاحب الأغاني ١

وما أخذه على النحويين أنهم لم يفتنوا إلى معاني بعض الحروف ، فنلا (على) فتستعمل
 للشر ، وأكثر استعمال « لام الجر » للخير والمنفعة ، وهذا يرشدنا إلى مسوخ الابتداء بالنكرة
 في قولهم : سلام عليكم ، مع « أنه ليس لها مسوخ من مسوغاتهم » ، وكذلك في قولهم « ويل
 لفلان » مع أنهم « يرون أن الصحة أن يقال له ويل » ... وكل هذا كلام في غاية الغرابة ،
 فالنحويون قالوا إن الدعاء مسوخ الابتداء بالنكرة في هذين المثالين ونحوهما ، والنحويون لم
 يروا أبداً أن الصحة في أن يقال « له ويل » وكيف ... ؟ وفي القرآن الكريم : « ويل
 للطففين » ، ويل لكل همزة ، فويل للصالحين ...

(وبعد) ففي الكتاب فوائد جمعة ، وفيه مباحث أخرى تحتاج إلى الدرس والتحصيل ،
 وقد ألمت ببعض مسائله ، وتركته الكثير ، لأنه يحتاج إلى وقت وفراغ بال . وإلى أهيب
 بعلماؤنا المشتغلين بالدراسات اللغوية والنحوية أن يعطوا مثل هذه المباحث حقها من النظر ،
 فقد يكون في ذلك خير كثير للغة ، والنحو . ولست أعنى بعلماؤنا أولئك الذين يحفظون
 الكتب ويدرسونها ، وإنما أعنى أولئك الذين يفتنون أعينهم على ما يكتبه الآخرون ،
 ويقرأون ويهضمون ، وبدركون أن عليهم مسؤوليات فوق الحفظ والتلقين .

ولا أنسى أن أبديت بتحياتي إلى الدكتور مصطفى جواد ، فقد فتح لنا بكتابه آفاقا
 لعلها أسلطنا إلى خير كثير . ٩

على العماري

المدرس بالأزهر

تعدد الزوجات في الاسلام

تعتبر مسألة تعدد الزوجات من أهم المسائل التي يتكلم فيها الطاعنون على الإسلام؛ لأن التعدد يؤدي - في نظرهم - إلى مشاكل كثيرة، وسبب التباغض بين أفراد الأسرة الواحدة مما يجعل الأمة متفرقة الكلمة غير متعاون أفرادها، ثم هو يؤدي إلى انتشار الفقر بسبب عدم قدرة الرجل ذي الذل الكثير على الإنفاق عليه، وتنقيفه حتى يخرج نسلاً نافعا لأئمة قادراً على كسب نفقاته.

والواقع أن تعدد الزوجات تشريع ضروري لبني الإنسان لا غنى لهم عنه، والإسلام الخفيف حينما قرر هذا التشريع إنما نظر إلى حكم عالية قد تخفى على الناظر لأول وهلة.

ترجع حكمة تعدد الزوجات في الإسلام إلى ثلاثة أسباب أصلية، تندرج تحتها أسباب فرعية. أما الأسباب الأصلية فهي:

١ - ضمان العفة للمسلم: وفر الإسلام للمسلم جميع الأسباب وهياً له الوسائل التي تضمن أن يكون عفيفاً بعيداً عن إتيان الفاحشة، ليضمن أن يكون إنساناً محترماً منفرغاً لاداء واجبه في بناء الأمة الإسلامية، فإن الشخص الذي يكبت شهوته ولا يجد لها مصرفاً حلالاً يكون موزع الفكر مكتئباً، وكثيراً ما يتدفع إلى سلوك الطرق المعوجة للتنفيس عن نفسه فيترتب على ذلك انحلال الأخلاق وهتك الأعراض واختلاط الأنساب، والأمة التي تحل أخلاق أبنائها وتهتك أعراض نسائها ولا يدري الفرد فيها أباه، يكون مصيرها الفناء، وقد يجول في بعض الأذهان أن العفة يمكن ضمانها للمسلم بزوجة واحدة، ولكن هذا بعيد عن الصواب، فالرجل في بعض أحواله بل في كثير منها لا تكفيه زوجة واحدة، لأن الزوجة تعثرها حالات تكون فيها غير مهيأة لتمتع زوجها: كالحيض والنفاس، وقد تطول مدة الحيض إلى خمسة عشر يوماً، كما قد تطول مدة النفاس إلى ستين يوماً، ثم قد تمرض الزوجة مرضاً طويلاً، أو تكون عاجزة عجزاً تاماً بطبيعتها عن الحمل، أو يكون الرجل لم يوفق في اختيار زوجته الأولى لبعض الأسباب، فلا بد له في هذه الحالة من البحث عن غيرها، فإذا لم يجد في الحلال طلبه في الحرام، ولا شك أن إمساك الزوجة وأولادها أفضل لها من طلاقها وزواج غيرها إذا راعينا الشروط التي وضعها الشارع الحكيم لضمان العدل بين الزوجتين على قدر الإمكان الإنساني.

٢ — المحافظة على الاعراض لحفظ الانساب : لا شك أن امتناع الرجل والمرأة

عن المنعة الجفسية إلا في الحدود التي حددها الشارع فضيلة إنسانية لا يسع كل عاقل إلا الاعتراف بها ، وقد أجمع الناس من أول الحقيقة على أنها فضيلة وأن ضدها رذيلة ، والإنسان الذي لا يحفظ عرضه سواء كان رجلاً أم امرأة إنسان منحل الأخلاق ، ضرره لأمة أكثر من نفعه ، ويكفي من ضرره أنه يخرج للأمة أبناء وبنات فسهم غير معروف . والأمة المختلة الانساب كالجيش المكون من فرق من أجناس مختلفة تنعدم فيه روح التعاون ويكون مصيره الهزيمة في أكثر الأحيان .

٣ — كثرة النسل : إن الأمة قليلة العدد تكون ضعيفة التاج في الزراعة والصناعة

والعلم والحضارة تبعاً لقلة العقول المفكرة واليد العاملة ، ويترتب على ذلك ألا نستطيع الدفاع عن نفسها إذا هاجمتها دولة كثيرة العدد قوية العدد ، لذلك حث الإسلام على كثرة النسل فقال الرسول ﷺ : « تناكحوا تناسلوا تكثروا فإنى مبارك بكم الامم يوم القيامة » فالمرأة التي لا تحمل مطلقاً أو ينقطع حملها بعد مدة قصيرة أو تكون ضعيفة النسل بطبيعتها ، لا بد لزوجها من البحث عن غيرها رغبة في النسل ، وقد رغب الإسلام في المرأة الولود ولو كانت غير جميلة فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : « سوداء ولود خير من حسناء عقيم » .

ولما كان النسل من زوجة واحدة لا يكفي لكثرة الافراد المطلوبة لدولة قوية ، أباح الشرع التعدد فقال تعالى : « فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع » ، ولما كان تعدد الزوجات يتبعه مشاكل قد تؤدي إلى الضرر بالزوجات أو بالأولاد نظراً لتأثير الزوجات على الآباء وميلهم في بعض الأحيان إلى بعض الزوجات دون بعضهن الآخر ، فيؤثرون من يملكون إلبين بالنفقة الكثيرة ويخصون أولادهم ببعض أموالهم في حال حياتهم أو بعد موتهم : كتخصيصهم ببعض الزكاة أو الوصية لهم أو نحو ذلك ، أوجب الشرع العدل بين الزوجات في البتة والنفقة وغيرها ، فجعل القسم بين الزوجات في الميكنة ، والمساواة بينهما في كل ما يلزم بيت الزوجية ، ما عدا الميل القلبي الذي لا يملكه الإنسان ولا يستطيعه ، ومنع من لا يستطيع العدل أو الإنفاق على زوجتين فأكثر من زواج غير الواحدة فقال تعالى : « فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعدلوا » ، بل منع الإسلام من لا يستطيع الإنفاق على واحدة من الزواج مطلقاً حتى يستطيع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا معشر الشباب ، من استطاع البائة فليتزوج . ومن لم يستطع فعليه بالصوم ، فإنه له وجاء » ، ومعنى « وجاء » أى قاطع لشهوته ومصبر له عن النساء .

فترى أن الإسلام شرع تعدد الزوجات وحاطه بجميع الضمانات التي تمنع الضرر عن الزوجات والأولاد، فأوجب العدل، وشرع الميراث، ومنع غير العادل وغير المستطيع من الزواج ومن تعدده. فهذه المشاكل التي زارها الآن من تشرذم الأبناء ومن التباغض بين أفراد الأسرة الواحدة، إنما نشأت من عدم اتباع الناس لقواعد الدين سواء كانوا رجالاً أو نساء، فالرجل الذي لا يعدل بين زوجاته وأولاده آثم غير متبع لكتاب الله ولا لسنة رسوله، والمرأة التي تحقد على ضررتها وعلى أولادها وتحاول إيقاع الضرر بهم لمجرد أنها زوجة أخرى لزوجها ولأن أبناء ضررتها أبناء آخرون لزوجها آثمة وغير متبعة لكتاب الله وسنة رسوله، ولو عرف كل من الرجل والمرأة حدوده ولزمها لم تحدث هذه المشاكل، ولم تحدث هذه الضجة الكبيرة حول تعدد الزوجات.

بقيت مسألة متممة لهذا البحث لا بد من شرحها، تلك هي قول بعض الناس، لماذا يبيح الشرع تعدد الزوجات للرجل ولا يبيح تعدد الأزواج للمرأة؟ والجواب عن ذلك أن السبب الأكبر في عدم إباحة تعدد الأزواج للمرأة الواحدة، كونها بيت الفسل، فإذا تعدد أزواجها لم تعرف أنساب أولادها، ولأى أزواجها يرجعون، وهذا من أخطر العوامل التي يتحاماها الشرع، لما تجلبه من الأضرار التي سبق بيانها أول هذا البحث. ثم إن المرأة يكفيها رجل واحد، لأنها تعتبرها أسباب كثيرة تضعف صحتها، ويقع ذلك ضعف طلبها للرجل، كالحيض والنفاس والحمل والوضع، وتعرض لها مشاغلا بتربية الأولاد، وهي مهمة شاقة تستنفد كل وقتها فيضعف لذلك تفكيرها في الرجل. وقد دلت التجارب وأثبت الطب أن المرأة تفقد شهرتها قبل الرجل بمدة كبيرة فهي في سن الخمسين تسكاد تنعدم شهرتها لما تعافيه من آلام الحمل والوضع وتربية الأولاد وغير ذلك. أما الرجل فيظل محفظاً بقوته الجفسية إلى آخر حياته تقريباً، وإلى ذلك فإن المرأة لشدة عاطفتها نحو أبنائها تفلس بوجودهم عن الرجل، ولذلك نجد كثيراً من الزوجات اللاتي يتوفى أزواجهن ولهن منهم أولاد لا يتزوجن بعد وفاتهم، لأنهن استعصن بأبنائهن عن الزواج وصرفن عاطفتن إليهم.

فلكل ما تقدم من الأسباب أباح الشرع تعدد الزوجات للرجل، وهو تشريع حكم لا بد من التسليم به والرضا عنه، ولا سيما بعد الوقوف على حكمته واستيقانها واعتقاد أن الله لا يشرع لنا إلا ما ينفعنا في دنيا ما وأخراتها وإن خفيت عنا حكمته؟

طه الزبيدي

أستاذ في النحو والصرف

الأزهر وتعليم المرأة

في مساء يوم الاثنين ١٢ من رجب سنة ١٣٧٤ الموافق ٧ مارس ١٩٥٤ أقيمت بدار المركز العام لمجمعات الشبان المسلمين ندوة خاصة بالبحث في « رسالة الأزهر اليوم » وقد كان على رأس الباحثين فيها السيد صاحب الفضيلة الشيخ عبد اللطيف السبكي عضو جماعة كبار العلماء ومدير المجلة ، الذي أناب عنه الأستاذ الشيخ زكريا البري سكرتير تحرير المجلة ، في إلقاء كلمته عن « الأزهر وتعليم المرأة » .

وفيا يلي ننشر هذه الكلمة القيمة :

أيها السادة :

حديثنا عن رسالة الأزهر في تعليم المرأة ، يعود بنا قليلا إلى الماضي .

ذلك أن دعوة الإسلام : لم تكن للرجل وحده ، ولا معنية به أكثر من المرأة ، بل نظر الإسلام إلى الجنسین سواء ، وجعل حقهما في الثقافة ، ونصيتهما في الدعوة سواء ، وغاطهما ببناء واحد مشترك ، فقال : (يأياها الناس . يا بني آدم . يا عبادي . يأياها الرسول بلغ) ولم يقل بلغ الرجال فقط ، ولا بلغ النساء فحسب ، بل وجه رسالته ، بكل ما فيها من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى الجميع .

وإذا وجد ما يشعر بالتخصيص : فذلك في الأحكام التفصيلية الخاصة بكل منهما ، مما يليق بطبيعته ، ويلائم جفسه .

وسياق الآيات في هذا ونحوه ، وقرائن الخطاب وسنة الرسول ، كافية بتحديد الأوضاع .

وقد فهم المسلمون الأولون هذه المساواة العامة في الدعوة وفي تبليغها ، وفي الأخذ بثقافة الإسلام .

وكلكم تعلمون أن نساء النبي ﷺ ورضي الله عنهن ، سبقن إلى المؤازرة في الدعوة الإسلامية تحملا وأداء ، وكن يحدثن بعد الرسول بما لا يعلمه غيرهن من أفعال وأقوال

كانت حجة في التشريع الإسلامى . وسار المسلمون على هذا ردحا طويلا من زمنهم ، ثم وقف بهم النشاط عن مسيرة المرأة للرجل في هذا المضمار .

وإذ كانت الدعوة الإسلامية تركزت بيننا في الأزهر من منتصف القرن الرابع الهجرى ، وأصبح الأزهر مصدر ثقافتها في مصر وفي الشرق عامة ، فلم يكن للأزهر اتجاه نحو الفتاة ، لتمكينها من حظها في الثقافة الإسلامية ، كما اتجه إلى الرجل من ذلك التاريخ ؟ ؟

الحق أنه سؤال وارد ، وربما كان الجواب عنه متكلفا ، ولكن رويدكم قبل الحكم عليه بالتقصير ، فلمل له عذرا وأنت تلوم .

سادتى :

عرف الناس من تعاليم الإسلام حجاب المرأة عن مخالطة الرجال ، ولكن الزمن غلبهم على صواب رأى ، فبالقوا في الحجاب ، وأسرفوا في الغيرة على الفتاة ، وحسبوا أنها ليست بحاجة إلى العلم الذى قد يخرج بها عن حد الاحتشام ، بل ساد في البيونات أن تعليم الفتاة مجرد القراءة والكتابة قد يخرج بها إلى ما هنالك .

وأصبح هذا التخرج من تعليم الفتاة عرفا شائما ، وللعرف حكمه وسيطرته في حياة المجتمع .

ويبدو أن الأزهر تأثر بهذا العرف ، إذ الأزهر كان يستقبل من يتقدم إليه طالبا للعلم ، ولم يكن يتجول وراء الناس ليفرض عليهم ثقافته .

وإذ لم تصل الفتاة بالأزهر ، فقد اكتفى هو بأن يبلغها الثقافة الإسلامية من وراء حجاب .

وعاشت المرأة في مصر طويلا على قبس ضئيل من نور الإسلام ، كان يقرب إليها من طريق الآباء والأزواج ونحوم من الأقارب ، أو من تقليد الناس بعضهم لبعض . فهذا العرف السقيم وقف بالفتاة عن الثقافة الدينية ، ولم يكن أمامها سوى هذه الثقافة التى حرمت منها كذلك .

تقع تبعة هذا العرف على الشعب وعلى الأزهر .

أما الشعب : فلأنه تحكم في الفتاة ولم يتجه بها نحو التعليم الديني ، كما اتجه بالفتيان ، ولم يطلب إلى الأزهر أن يطلقها كما كان يطلب إليه أن يتلقى الأبناء .

وأما الأزهر : فله لم يحاول تخفيف الضغط على المرأة ، بحسن الدعاية إلى تنظيم الحجاب الذي تكاثف أمامها ، حتى لم تبرز منه إلا المرأة العائزة التي تخرج سعياً وراء القوت ، أو التي تخرج لمعاونة الزوج في حقله .

ولو أن الشعب طالب بذلك وأحجم الأزهر ، أو لو أن الأزهر حاول ذلك وثلكت الشعب في إجابته ، لانحصرت التهمة في أحدهما ، وبرى الآخر .

سادق :

كان هذا التوقف من الجانبين مجلبة لسوء القالة على الإسلام نفسه ، إذ فهم من فهم أن الإسلام يهضم المرأة ، ويقتل حريتها ، ويضعها في قبضة حديدية من يد الرجل ، والإسلام يقول لهؤلاء :

غيري جنى وأنا المعضب فيكمو فكأننى سبابة المتسدم

هذه مرحلة زمنية من مراحل الأزهر في رسالته إلى المرأة .

٢ — ثم أصبحنا على باب مرحلة أخرى ، فقد انحدرت إلينا سياسة استعمارية ، وزعمت أنها تأخذ بنا إلى مشارف الحضارة ، وهيمنت على التعليم الحكومي ، وتركت الأزهر وحده بحجة أنه للدين . والسياسة تخدم الديانات ولا تتعرض لها ، ولكن ماذا فعلت هذه السياسة ١١٩

حملت إلينا بعض التقاليد الفسوية ، وجعلت من بينها تعليم الفتاة ، ولكنه تعليم لم يتجاوز التعليم الأول والثانوي المحصور في مدرسة أو مدرستين فقط ، كالمدرسة السنية ، وخدعتنا السياسة بهذا ، ووقفت بالفتاة كذلك عند هذه الغاية ردهاً طويلاً .

فإذا فعل الأزهر في مقابلة هذا القسط من التعليم المدني للفتاة ؟

كان الأزهر نفسه يحس بالضغط عليه في رسالته ، وإن زعمت السياسة أنها أطلقت

في أفقه الواسع ، فقد كانت تحاربه حرباً باردة في غير مهاودة ، إذ ضيق على بنيه مسالك الحياة ، وقصرتهم على أعمال محدودة متواضعة ، ومكنت لسوام أن يتنفسوا في ظل التعليم المدني ، فكان ذلك توجيهاً عملياً للشعب ، أن ينصرف بأبنائه عن التعليم الديني .

وفي الوقت نفسه جردت التعليم المدني من كل توجييه ديني ، فأصبح بين الازهريين وإخوانهم من المتخرجين في المدارس نجوة روحية ، وجفوة عاطفية ، وتسكر كل منهما للآخر ، فأحدهما يعتبر الثاني لا دينياً ، والآخر يعتبر الأول جامداً رجعياً ، وبين هذين الاعتبارين انصرفت رغبة الكثيرين عن الازهر ، وتعلق الناس بالوظائف ، ولم يجدوا في الازهر - حينذاك - وسيلة إليها ، فأصبح الازهر يحس أكثر من قبل بأنه مقاوم ، وكأنه اعتقد ، أو اعتقد بحق ، أنه لو أفسح للراة طريقها إليه ، لما وجد فتاة تسلكه ، وكيف كان بطمع في التغلب على سياسة الاستعمار ، وهو أعزل من المغريات الجذابة ؟؟

سادق :

بعد ذلك اتسع التعليم للفتاة حتى أصبح جامعيًا في أكثر فروعها ، واتجه أولياء الفتيات إلى هذه الناحية ، والباعث الأول هو الباعث : رغبة في تمكين الفتاة من التوظيف ، حتى لا تضيق بها حياة الأسرة إذ لم تخرج إلى بيت الزوجية ، وهذه غاية لا تتاح لها من طريق الازهر .

وعامل آخر لا يغيب عن حضراتكم ، له أثر في مقاومة الازهر والصد عنه ، هو عامل الصحافة المتجربة ، والأقلام الجامعة ، فقد نشطت النزعة العدائية للتعليم الديني من طريق بعض المجلات وبعض الكتاب الصحفيين ، وأصبح هؤلاء النخاسمين من الكتاب المسدين مع الاسف 11 نشاط في الفص من الازهر ، واتهوا الفرص للتشجيع على أهله ، وتسميم العقول الفضة ، بما تشفره تلك المجلات من إسفاف وتجريح بالباطل ، ومن ترويج الأباطيل والأخبار الضارة ، فهي تنتزع من الشباب ميولهم إلى الدين ، وتبث فيهم الغواية والزهادة في الدين ، وتصور لهم جانب الخير في أقبح ما يعجب الشيطان .

ولم يجد الازهر من سلطات ذلك العهد عوناً على مقاومة هذه التيارات الخبيثة ، فالازهر يومئذ لا بطمع في استجابة الفتيات إلى دعوته ، في الوقت الذي يروج بينهن ما يروجه المنحرفون ، من تهافت على ما يسمونه حرية ، وتحللاً من الجمود الديني كازعموا وأكثروا 11

وشر من هذا كله أن ينشط القائمون على التعليم المدنى يوم ذاك ، فى كبت الروح الدينى الإسلامى ، مجاملة للاستعمار ، فهم يلغون مكاتب تحفيظ القرآن فى المدن والأرياف ، بحجة أن النظام الصحى فيها غير لائق ، وبحجة أن الوزارة ستشرف على تحفيظ القرآن فى المدارس الإلزامية .

والحق أن تحفيظ القرآن بالمدارس كان خدعة ماكرة ، أو فكرة هزيلة ، فإن التجربة كشفت عن فشل الرأى فى هذا ، بل كشفت عن أنها مؤامرة يراد منها قفل أبواب الأزهر إذا لم يجد حفاظا للقرآن يتقدمون إليه . ولو كان الأمر أمر نظام صحى لسهل عليهم جداً أن يوفروا هذا النظام ، أكثر من سهولة إفسادهم لنظام تحفيظ القرآن بالمكاتب .

ولكن الله لم يخضع كتابه لتدبير المفسدين ، قبيأ له من نشاط الأمة وغيرها على دينها أن تحتضن هى تحفيظ القرآن على أكرم الوجوه ، وأنشأت له الجمعيات التى قام عليها الخيرون من أبنائها ، وصدق وعد الله فى قوله : « إنا نحن نزلنا الذكر وإلما له لحافظون » .

فكان الأزهر فى تلك الحقبة يقاوم خصومات عدة : خصومة الاستعمار القوى ، وخصومة الكتاب المفتونين الذين نصبوا أنفسهم - ولا يزالون - للتشويش من حوله ، وخصومة التخاذل الذى كان يلبسه من رجال الحكيم المصريين .

ولإزاء هذه المقاومات لم يتطلع الأزهر إلى مناداة الفتاة للإقبال عليه ، وغلب الأزهر على أمره فى هذا الجانب ، وعكف على الجانب الميسور له فى ثقافة البنين ، وخطا خطوات فسيحة فى هذه الناحية ، رغم ما يلقى فى سبيله من خصومات .

هم لا تنسوا أن الأزهر مع تراكم الحولجز فى طريقه ، لم يغفل عن رسالته إلى المرأة تماماً ، بل هو جاد فى توجيه ثقافته للمرأة ، من طريق المحاضرات المتوالية ، والاجتماعات المتعاقبة فى الأماكن المحددة لذلك ، والتى يقوم عليها علماء الوعظ فى أنحاء الدولة ، ولذلك أثره الحميد .

وإنه ليسركم أن تعلموا منذ الآن أن مدرسة للفتيات قائمة بجانب الأزهر ، ونظام الدراسة فيها على النحو المنشود ، وفيها من الفتيات أكثر من ثلثائة فتاة فى الفرق المختلفة .

ولعلها النواة الأولى لتعميم هذه الثقافة في أنحاء الدولة .

والبنت مدرسة إذا أعدتها أعددت شعبا طيب الأعراق

غير أن الذي لم تتمكن منه هو التوسع في إعداد دراسة رسمية للفتاة ، على نحو الدراسة المنبئة للفتيان ، ومواصلة الثقافة الدينية بين الناشئات من بناتنا ، ليكون لنا جيل جديد من المرأة الصالحة للأمة المثالية ، الكفيلة بنشئة جيل قوى في مصر ، لا للأمة الساذجة التي كانت ، ولا للأمة المنحلة أو الخليطة من عادات وتقاليد ، لا تمت إلى إسلامنا ولا إلى شريقتنا ولا إلى مصريتنا بصلة .

سادق :

أخيراً أذن الله لمصر أن تستقبل عهداً ميموناً ، انتعش فيه الأمل الضائع في تثقيف الفتيات بثقافة الإسلام ، وهو العهد الذي لمس الأزهر من أبطاله جنوحهم إلى هدى الدين ، وحرصهم على مؤازرته في التوجيه الصالح ، ونشاطهم إلى كل ناحية تتوسم فيها الأمة نفعا وتقدما .

والأزهر اليوم مؤمن أصداق الإيمان بأن سلطة الحكم الحاضر ستكون في عونه ، إذا توسع في إعداد دراسة دينية ملائمة للفتاة ، وسيجد من الحكومة سبقا إلى هذه الغاية ، ونشاطا يعوضه عن تحاذل السلطات الغابرة ، وهو فاعل إن شاء الله .

والسلام عليكم ورحمة الله

يدخلون في دين الله ما ليس منه

قال الزاهد الصالح أحمد بن علي الرفاعي المتوفى بقرية أم عبيد بالعراق سنة ٥٧٨ هـ :

تعلق الناس اليوم بأهل الحرف والكيمياء والوحدة والشطح والدعوى العريضة . إياك ومقاربة مثل هؤلاء الناس ، فإنهم يقدون من اتبعهم إلى النار وغضب الجبار ، ويدخلون في دين الله ما ليس منه ، وهم من جلدتنا : إذا رأيتهم حسبهم سادات الدعاة إلى الله تعالى . حسبك الله ! إذا رأيت أحداً منهم قل : « ياليت بيني وبينك بعد المشركين » .

لحن القراء بالاذاعة

وأسبابه وحكمه

لا شك أن الأمة كما هي متعبدة بفهم معاني القرآن وإقامة أحكامه وأخلاقه وحدوده ، متعبدة بتصحيح ألفاظه وإقامة حروفه على الصفة المتلقاة عن أئمة القراءة المتصلة قراءتهم بالحضرة النبوية ، فلا تجوز مخالفتها ولا العدول عنها إلى غيرها .

قال الشيخ الإمام أبو عبد الله نصر بن علي الشيرازي في كتابه (الموضح) في فصل التجويد منه : حسن الأداء فرض في القراءة ، ويجب على القارئ أن ينلو القرآن حق تلاوته صيانة للقرآن من أن يجد اللحن والتغير إليه سيلا . واللحن حرام خصوصا إذا كان اللحن مما يلتبس به المعنى ، فإنه يفسد به القارئ ، ويأثم به المستمع . ففي (الطريقة المحمدية) : من المحرم استماع القرآن ممن يقرأ بلحن وخطأ بلا تجويد ، فعلى السامع أن ينهى القارئ إن ظن التأخير ، وإلا فعليه القيام والذهاب إن قدر بلا ضرر ، فلا تقعد بعد الذكري مع القوم الظالمين .

وعن علي القاري في شرح الجزرية : ينبغي أن يراعى جميع قواعد التجويد وجوبا فيما يغير المبني ويفسد المعنى ، واستجابا فيما يحسن به اللفظ ويستحسن به النطق حال الأداء . وإنما قلنا بالاستجاب في هذا النوع ، لأن اللحن الخفي لا يعرفه إلا مهرة القراء ، من تكرير الآراء وتطنين النونات وتقليط اللامات في غير محلها وترقيق الآراء في غير موضعها ، والتحرز من هذا النوع ليس فرضا عينا لما فيه من الحرج .

وسبب اللحن أمران : التفتي بالقراءة ، والمجازفة بقراءة الصعب من الرويات كقراءة حزة وورش وغيرهما من الروايات . أما التفتي - ومثله القراءة بقواعد النغم الموسيق - فلما أن يكونا مع مراعاة التجويد وقواعده ، ولما أن لا يكونا كذلك .

فأما التفتي بمعنى تحسين الصوت مع مراعاة أحكام التجويد فلا بأس به ، بل هو مندوب إليه ، لما أخرجه عبد الرزاق عن البراء بن عازب أن رسول الله ﷺ قال : « زينوا القرآن بأصواتكم » وفي رواية الحاكم « فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حسناً ، وإن أدى التفتي إلى الخروج على قواعد علم التجويد حرم إجماعاً ، قال في التارخانية : « التفتي بالقرآن والألحان إن لم يغير الكلمة عن موضعها بل يحسنها فذلك مستحب عندنا في الصلاة وخارجها ، وإن كان يغير الكلمة عن موضعها فإنه يوجب فساد الصلاة ، لأن ذلك منهي عنه » وقال التوريشي : القراءة على الوجه الذي يهيج الوجد في قلوب السامعين ويورث الحزن ويحلب الدمع مستحبة ، ما لم يخرج التفتي عن التجويد ، ولم يصرفه عن مراعاة النظم في الكلمات والحروف ، فإذا انتهى إلى ذلك عاد الاستحباب فيه كراهة .

وأما القراءة بالألحان والنغم فالظاهر من كلام مشايختنا أنه يأتي فيها هذا التردد ، يستأنس لذلك بما أخرجه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول عن حذيفة مرفوعاً « اقرأوا القرآن بلحون العرب وأصواتها ، وإياكم ولحون أهل الفسق ، ولحون أهل الكتائب ، فإنه سيحى بعدى قوم يرجعون القرآن ترجيع الغناء والرهمانية والنوح ، لا يجاوز حناجرهم ، مفتونة قلوبهم » .

ويرى بعض العلماء أنه يجب منع هذا النوع من القراءة سدا للذرائع ، لأن القراءة بالألحان وأصول علم النغم يتعذر معها المحافظة على قوانين علم التجويد ، وإلى هذا ذهب صاحب (الطريقة المحمدية) قال : « وأما الذي أحده المتكفون ، وأبدعه للمرتنون بمعرفة الاوزان ، وعلم الموسيقى ، فيأخذون في كلام الله مأخذهم في النشيد والغزل والمنثويات ، فإنه من أشنع البدع وأسوأ الاحداث في الإسلام » . وهذا يحمل قول الزيلعي « لا يحل الترجيع في قراءة القرآن ، ولا التطريب فيه ، ولا يحل الاستماع إليه ، لأن فيه تشبها بفعل الفسقة في حال فسقهم وهو التفتي » .

• • •

وأما اللحن بسبب قراءة الغريب من الروايات فهو جرأة غريبة على كتاب الله ، ففي الفتوى التي نشرناها في جزء سابق من مجلة الأزهر ما يمنع ذلك حيث جاء في كتاب

(الآيات البيّنات) : لا يجوز القراءة برواية غير المعتادة عند العامة ، إلا إذا وجد في المجلس عالم بها غير القارىء . هـ . وفي (الفتاوى التتارخانية) : « قراءة القرآن بالقراءات السبع والروايات كلها جائزة ، ولكن أرى أن الصواب أن لا يقرأ بالقراءات العجيبة والروايات الغريبة بين العوام والجهال وأهل القرى والجبال ، فلعلهم يستخفون أو يضحكون فيكفرون » . وسئل الشيخ التجدى مفتى الشافعية في عصره عن حكم القراءة برواية غير المعتادة عند العامة ، وليس بالمجلس عالم بها يرد القارىء إذا أخطأ ، فقال : الذى تلقينته عن شيوخى السقا نقلا عن مشايخه أنه لا يجوز تدريس علوم الفقه والحديث والتفسير إلا بحضور من إذا غلط الشيخ برده ، فالقرآن أولى . ويستأنس لرأى الشيخ التجدى - رحمه الله - بما قاله الإمام الشاطبى فى (الاعتصام) : « من البدع التحدث مع العوام بما لا تفهمه ولا تعقل معناه ، فإنه من باب وضع الحكمة فى غير موضعها ، وقد جاء النهى عن ذلك ، فقد أخرج أبو داود أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن الغلو طات ، قالوا : وهى صعاب المسائل أو شرارها . وفى سنن الترمذى أن رجلا أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، أتيتك لتعلمنى من غرائب العلم ، فقال عليه الصلاة والسلام : ما صنعت فى رأس العلم ؟ قال : وما رأس العلم ؟ قال : هل عرفت الرب ؟ قال : نعم ، قال : فما صنعت فى حقه ؟ قال ما شاء الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذهب فأحكم ما هنالك ، ثم تعال أعلمك من غرائب العلم .

• • •

فإذا علمنا أن اللحن الجلى أى الخطأ الفاحش حرام بالإجماع يأثم به القارىء والسامع إذا لم يرجره ، وأن سبب اللحن هو التغنى - الذى يتسبب عنه تمطيط الحروف ونقص الغنات - كما أن سببه أيضا المجازفة بقراءة القراءات التى لا يعلمها إلا الخاصة . فالواجب على محطة الإذاعة ملاحظة ذلك ، بتنبه القراء بعدم التغنى الممنوع شرعا ، وعدم القراءة برواية غير رواية حفص ، فإن أراد قارىء أن يقرأ بغيرها فليُرسله محطة الإذاعة بكتاب رسمى إلى مكتب البحوث والثقافة الإسلامية بالأزهر ، ليعرض ما يريد أن يقرأه على الفنينين فى هذا المكتب حتى لا ينشر القرآن على بلاد الإسلام محرّفاً .

محمد محمد جابر

المفتش بالأزهر

الآفة العظمى لهذه الأمة

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « إن أخوف ما أخاف على أمتي كل منافق عليم اللسان » . رواه أحمد .

* * *

يحمل بنا - قبل أن نجلى للقارئ الكريم بعض مجالى النور فى هذا الحديث الشريف - أن نتعرض لبيان حقيقة النفاق ، والمراد منه ؛ وأن نبين وجه الفرق بينه وبين ما لعله يلتبس به مما هو من أحد الخصال وأكرم الخلال ، وهو مداراة الناس . فلفظ « النفاق » وما يتصرف منه مأخوذ من « نفاقه » الضب ، أو اليربوع . وهو جحر يدخل منه ، فإذا طلب خرج من جحر آخر ، اسمه القاصعاء . ويلاحظ أن الأول ظاهر ، والآخر خفي . فشبّه به المنافق فى الدين لدخوله فى الإسلام من وجه ، وخروجه منه من آخر ؛ وهو - بهذا المعنى الذى صار يراد منه - إسلامي لم تعرفه العرب بالمعنى الخاص به ، وهو مخالفة الظاهر للباطن . فإن كان فى اعتقاد الإيمان فهو نفاق الكفر ، وإلا فهو نفاق العمل ، ويدخل فيه الفعل والترك ، وتتفاوت مراتبه . ولما كانت مخالفة الظاهر للباطن أعم من مداراة الناس التى هى - كما يقول على كرم الله وجهه « رأس العقل بعد الدين » ، وجب أن نفرق بينهما . وهذا الفرق نستطيع أن نأخذنه من التقسيم السابق للنفاق ، ونستطيع أن نقول فيه قولاً أصرح : هو أن النفاق من باب مخالفة النية والاعتقاد ، وأما للمداراة فهى من باب مخالفة الوجدان والشعور . وفى الحديث « إنا نهش فى وجوه أقوام وقلوبنا تلعنهم » ، وذلك ضرب من ضبط النفس ، كالحلم وكظم الغيظ ، والعفو عن المسيئين ، والصفح والإعراض عن الجاهلين .

وقوله ﷺ فى الحديث « عليم اللسان » ، من باب المجاز : بتشبيهه فنن هذا اللسان فى القول المعجب ، ونشقيقه للكلام ، بالعلم الذى هو من خصائص الأفهام والعقول .

وإنما كان ذلك النوع من النفاق هو أخوف ما يخافه النبي صلى الله عليه وسلم على أمة ،

لأنه أرق من بلاغة القول ، وسحر البيان ، وسطوع الحجة ، وقوة البرهان ، ما يخلب القلب ، ويسحر العقل ، ويدع الحليم حيران . وذلك من أهون الأمور على ما يريده المنافقون من ستر ما هم عليه من سوء النية ، وخبث الطوية ، وقبح المراد . ولأنه الداء الدوى الذى لا يبرادر له ولا ظواهر ، والشر الخفى الذى لا تتقدمه الآيات ولا النذائر ، والجائحة الموبقة التى لا تدرك إلا حين تقع الواقعة ، وتنزل النازلة ، وتذهب الحيلة ، وتنبت الوسيلة ، وتقطع الأسباب . ولأن هذا النوع من النفاق يبلغ - فى براعته البارعة وعبارته الساحرة - مبلغاً يلبس على الأمة الخير بالشر ، والإثم بالبر ، والكذب بالصدق ، والباطل بالحق ، والإيمان بالكفر ، والأمانة بالخيانة ، والغدر بالوفاء - إلى أن تجد الأمة نفسها على حال من الاشتباه والالتباس ، والاختلاط والاضطراب ، لا تعرف معها معروفاً ، ولا تنكر منكراً ، ولا تؤيد فيها حقاً ، ولا تحذل باطلاً ، ثم تنتهى إلى حال من الرمن فى رأى ، والضعف فى الدين ، والانحلال فى العزيمة ، والتردد فى العمل ، لا يستقيم معها أمر ، ولا تدرك عاقبة ، ولا تصلح حياة .

وكيف لا يبلغ هذا النوع من النفاق الحدّاع هذا المبلغ من التلبس والتويه ، والتضليل والتخذيل ، وأنت لا تكاد ترى شيئاً مما يعرف به مثل هذا المنافق فى صفحات وجهه وفى قلمات لسانه ؛ فإن بدر منه شيء - على فرط حرصه - استطاع ببيانه أن يجعل له وجهاً ، وأن يلتمس منه مخرجا ، فكان كما قال الأول على تفاوت الحالين :

ومقام ضيق فترجته ببياني ولساني وجدل

بل لا تكاد ترى منه إلا مظاهر الورع والخشية ، وعلامات الوفاق والإجابة ، ولا تكاد تجده إلا متحرّجا من البوادر والهفوات ، متحرّزا من الصغائر والزلات ؛ بل متزها فيها ترى عن كثير من الطيبات والمباحات ؛ ولا تكاد تعرف خصال الإيمان إلا رواية عنه ، ولا خلال الخير إلا استمدادا منه ، ولا وجوه البر إلا تأسياب به ؛ ولا تعقل لإخلاص الدين معنى إلا إذا تمثلته ، ولا لثبوت اليقين حقيقة إلا إذا تخيلته ؛ وإنه ليوحى إلى النفوس كل هذه المعاني بتعمده إظهارها ، وتكلفه إطرأها ، وحلفه بكل محرّجة على لزومها واعتقادها ، ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ويشهد الله على ما فى قلبه وهو ألد الخصام ، وإذا تولى سعى فى الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل وانه لا يجب الفساد ، وإذا

قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد ، وصدق الله العظيم ، فإن مناقضا واحدا أوتى اللسن وسحر البيان ، والقوة على الإدلاء بالحجة والبرهان ، لكفيل بأن يهلك أمة أو يغير مصير دولة .

فإن كان من أئمة الدين استدرجها بضروب من التأويل الباطل تمحو صراحة الحق ونصاعته من القلوب ، وغرها بزخارف من القول تغطي بشاشة الإيمان ، وتكدر صفاء اليقين .

وإن كان زعما سياسيا غرض من كل كسب سياسى لسواه ، ولو كان فيه النجاة ، حسدا وبغيا ، وحرم أمته ما أتمته فيه من خير كفرانا وغدرا ، وفتح لها أبواب المطامع المهلكة في كل ما لا يكون ، وصرفها عن كل خطة ناجحة ، أو فرصة سانحة . ولو لمستها الأيدي ، وأبصرتها العيون .

وإن كان رأسا في الأدب جعل همه في صرف القلوب عن فطرها القويمة إلى سبله المعوجة ، واختلجها عن مواردها العذبة إلى مشاربه الآسنة ، جاعلا الشأن كله للأثرة والتشديق ، والاستقصاء والتعمق ، معرضا عن قول النبي صلى الله عليه وسلم : « إن أبغضكم إلىّ وأبعدكم مني مجلسا الأثرارون المتفهبون المتشدقون في الكلام ، . وقوله : « ألا هلك المتطعمون ، يقولها ثلاث مرات . والتطعم من نطع القم وهو أعلاه . ويراد به التعمق والاستقصاء . والمتطعمون في هذا العصر هم أولئك الذين يجعلون الكلام وسيلة وغاية معا ، ويقولون : إن الفن للفن ، وأن ليس للدعاني الشريفة شأن في دولة الأدب ، ولا هي مما يمت إلى تقديره بصلة ولا سبب . فيفتنون بذلك للناس أبوابا من التجديد في الأغراض والمعاني لا تدع معروفا إلا أنكرته . ولا حسنا إلا هجسته وقبحته ، ما دام ذلك يساعد على حسن التصوير والافتان في التعبير ؛ وما كان التزيد في القول ولولم يتضمن سوءا إلا فضولا مكروها عند السالفين . فعن عطاء بن أبي رباح : إن من كان قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام ، وكانوا يعدون فضول الكلام : ما عدا كتاب الله تعالى ، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو أمرا بمعروف ، أو نهيا عن منكر ، أو تنطق بحاجتك في معيشتك التي لا بد لك منها . أتذكرون أن عليكم حافظين كراما كاتبين ، عن اليمن وعن الشمال قعيد ، ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد .

وإن كان مريباً نهج الناشئة مناهج الاستهانة بالفضائل ، والاستخفاف بالمآثر ، ونشأها على الأخذ بالقشور ، وعبادة الظواهر ، وغرس في نفوسها التحلل من القيود ، والتصل من الحقوق ، والتكر للواجبات .

وإن كان من ذوى السلطان والجاء شوه بزخرف قوله وغروره وجه الحياة ، وقعد بكل صراط يوعد ويهد عن سبيل الله ، زاعماً أنه لا يهدى إلا إلى سبيل الرشاد ، ولا ينهى إلا عن الشر والفساد ، متخذاً من نعمة الله عليه حجة للباطل على الحق ، وبرهاناً للشك على اليقين ، ثم قدم أرباب الألسنة على أهل القلوب ، والذين يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا على من يعلمون أن ما عند الله خير وأبقى ، فشغلوا الناس بالعاجل عن الآجل ، وفتنهم بكل ما لا ثمرة له ولا طائل وأولئك وأشياهم من ذوى الجدل والمقالات هم الأسباب القوية في هدم مجد المسلمين ، وهم المحنة العانية التي زلزلت أركانهم في العالمين ، وهم الذين جعلوهم كمن قبلهم سلفاً ومثلاً الآخرين . ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

محمود فريج العقدة

المدرس بكلية اللغة العربية

من حكم أبى مدين

- للعقر نور ما دمت تستره ، فإذا أظهرته ذهب نوره .
- أضر الأشياء محبة عالم غافل أو صوفي جاهل .
- لا نعم عن قصاص نفسك فتطنى .
- من لم يستعن بالله على نفسه صرعه .
- من عرف نفسه لم يفتّر ببناء الناس عليه .
- الدعوى من رعوة النفس .
- من تزين بزائل فهو مغرور .

الأزهر والصحافة

نتحدث في هذا المقال عن أحد أعلام الأزهر وأثره في الصحافة في هذا العصر، مفصحين عما كان لصحفه من جهد كريم في نهوض الأدب، وشبوب الوطنية.

فقد كان الشيخ علي يوسف، رحمه الله أديبا يختلف إلى مجالس الأدباء والعلماء منذ نشأته، ثم طفق يرسل مقالاته إلى الصحف في ذلك الحين، ولما نما هواه إلى الصحافة ساعد المرحوم أحمد فارس الشدياق، في تحرير صحيفة القاهرة. وكان يكتب أول الأمر على غرار الكتّاب في عصره: مقدمات طويلة تمهد بين يدي كل موضوع ولو لم تدع إليها حاجة الكلام، واحتفال بالمحسنات البديعية تستكره استكراها ولو استهلكت الغرض المطلوب^(١).

ثم مضى مع نهضة جمال الدين وتوجيه المرصني يدرب قلبه ويروض بيانه ويسلس أسلوبه ويرسله جزلا سهلا حتى استقام له أسلوب رصين منطلق عرف به.

مجلة الآداب ١٣٠١ (١٨٨٤)

وبعد أن تهيأ للشيخ علي يوسف هذا القدر من الأدب، وعبدت له طريقه، ويسرت مسالكه، لبى هوى الصحافة في نفسه، فأنشأ صحيفة عليية أديبة سماها (الآداب)، وقد كانت هذه المجلة شيئا مذكورا في ذلك الحين، ولا سيما بعد أن دالت دولة « روضة المدارس »، التي كان يقوم على تحريرها صدور العلماء وأفاض الكتاب والشعراء. وفي السنة التالية لجريده كثرت إقبال الناس عليها. وعرف منشئها بمكانة مهدت له وضع جريدة (المؤيد) الغراء^(٢).

(١) الشيخ عبد العزيز البشري بمجلة الرسالة المجلد الثاني من السنة الثانية من ١٢٦٨

(٢) مرآة مصر لآياس زخودا ص ٥٢٨

المؤيد ١٣٠٧ (١٨٨٩ م)

كانت جريدة المقطم صحيفة الاحتلال في ذلك الحين تظاهر الانكليز وتعاونهم ، وتؤيد سياسة الاحتلال وزوجها ، وتنفش فكرها ورأيها ، فتلك أقلام المصريين حبيسة لا تجد مجالاً تصور فيه آمال الأمة وآلامها ، ولا تجد متفلساً لها عما يحالها من كرب وحسرة على المجد المنصوب ، والوطن المنكوب ، لم يكن للوطنيين بدءاً من أن يتجهوا بتفكيرهم إلى إنشاء صحيفة وطنية تعبر عن إحساسهم وآمالهم ، ويتخذونها منبراً يذودون منه عن وطنهم ودينهم وحقوقهم .

فاجتمع (لطيف باشا سليم الحجازي) و (حسن باشا عاصم) و (إبراهيم بك الهلباوي) وغيرهم من الوطنيين النابغين واستقر رأيهم على أن يعرض الأول فكرة لإنشاء صحيفة على (رياض باشا) ، وعلى أن تجاهد الاحتلال وتنشئ الأحداث على رغم منه ، وأعانها على ذلك وطنية هذه الحكومة وشعورها الغيور على مجد البلاد فلم ير رئيس الحكومة مانعاً يحول دون إنشاء المؤيد .

تقدم (الشيخ علي يوسف) ومعه صديقه (الشيخ أحمد ماضي) أحد رفاقه في الأزهر فأنشأ صحيفة (المؤيد) وكان (الشيخ أحمد ماضي) معروفاً بالذكاء والنباهة ، وفيه هوى شديد إلى الكتابة والإنشاء ، وكثيراً ما كتب بصحيفة الآداب التي كان يصدرها صديقه (الشيخ علي يوسف) فلا عجب أن يشرك زميله في عمله الصحفي الجديد .

ولكن عقبة أثبتت في طريق المؤيد وهي في مستهل الطريق ، إذ لم يلبث الشريكان أن اختلفا ، ولا ينزل أحدهما عن الشركة إلا على مال ، والشيخ علي يوسف لا يجد من المال ما يسعفه ، وهنا اهتزت أريحية المغفور له سعد زغلول ، فأعانه في حلحلة اليأس ، وأمدته بما خلص المؤيد له ، ولما أتى صاحب المؤيد بمطبعة جديدة من طراز فاخر ، وعقد لذلك حفلاً رائعاً في دار المؤيد ، خطب في الجمع فأتى على سيرة هذه الحادثة ، ونوه بفضل سعد زغلول (المستشار بمحكمة الاستئناف) الذي أتى أن يسمع الخطبة إلا واقفاً .^(١)

(١) الشيخ عبد العزيز البشري مجلة الرسالة س ٢ مجلد ٢ ص ١٧٦٩

أغراض المؤيد :

صدرت « المؤيد » في ٧ ربيع الآخر سنة ١٣٠٧ (أول ديسمبر سنة ١٨٨٩) ، ومن أهم أغراضها كما تقول « بث الأفكار المفيدة ؛ والأخبار الصادقة ، والمبادرة إلى نشر الحوادث الداخلية من باب الاعتبار والتحذير ، أو الترويح والتبشير ... غير تاركة شأن التجارة الداخلية والخارجية ... ومن واجباتها نشر كل ما يهيم الوطني معرفته من الحوادث ، معتمدين في كل ذلك على البرهان القوي والسند الثابت والخدمة الحقيقية والبحث الدقيق ، وإرسال النظر خلف كل سائحة » (١) .

وقد كانت « المؤيد » مؤيدة لحكومة « رياض باشا » موالية له ، ولا بدع في ذلك فهو الذي ارتاح لإنشائها ، وصرح بها ، وقد عملت على نشر الأغراض التي أنشئت من أجلها في روية وهوادة ، وبذلك ظفرت برضى المسلمين الوطنيين وبتقنم .

أصبحت « المؤيد » ميداناً للأقلام المشبوبة التي يجريها على صفحاتها زعماء السياسة والأدب والاجتماع ، وجرى المؤيد إلى غاياته طلقاً يرفده بالمقالات الرائعة أبطال الرأي والأدب والعلم من أمثال (الشيخ محمد عبده) و (سعد زغلول بك) و (مصطفى كامل) و (قاسم أمين) و (مصطفى لطفى المنفلوطى) و (فتحي بك زغلول) و (حفي بك ناصف) و (ابراهيم اللقاني) و (الشيخ عبد الكريم سليمان) و (السيد توفيق البكرى) و (ابراهيم المويلحى) و (محمد المويلحى) و (إسماعيل أباطة) ، وعالجت هذه الأقلام ، وعالج معها صاحب المؤيد الموضوعات المصرية الإسلامية في مقالات مسية ، قد تبلغ الصفحة الأولى جميعاً ، (٢) .

وقد كانت المؤيد ممتازة من بين الصحف المصرية بالدفاع عن الوطن والدود عن حقوقه ومهاجمة الاستعمار في شتى أساليبه ، فكانت قلب الوطن الحافق ولسانه النابض ، دأبت على مهاجمة الأجانب كلها واتتها الفرص والأسباب ، وصورت ظلم الاحتلال للبصريين وعسفه بهذا الوطن المنكود ، ولعل مما يحسن ذكره إيراد آيات من القصيدة الرائعة التي نظمها المرحوم حافظ بك إبراهيم في رثاء صاحب المؤيد ، فما قاله في ذلك :

[١] المؤيد للمصادر في ٧ ربيع الآخر ١٣٠٧ أول ديسمبر سنة ١٨٨٩

[٢] المؤيد في ٧٠ من شعبان سنة ١٣١٠ [٨ مارس سنة ١٨٩٤]

كم أرجفوا بعد موت الشيخ وارتقبوا موت المؤيد فينا شر مرتقب
 وإن يمت تمت الآمال في بلد لولا المؤيد لم يفسط إلى طلب
 صباية من رجاء بين أضلعنا قد بات يرشف منها كل مغتصب
 ألم يسكن لبنى مصر وقد دهموا من صاحة الغرب مثل المعقل الأشب
 كم انبرت فيه أقلام وكم رفعت فيه منائر من نظم ومن خطب
 وكان ميدان سبق للآلى غضبوا للدين والحق من راع ومغتب
 فكم يراع حكيم في مشارعه قد التقى يراع الكاتب الأرب

ترامى لدار الوكالة البريطانية أن ساعد المؤيد قد اشتد وأن خطرهما قد تفاقم ، فلم تطق صبرا على أمرها ، ولم تدعها تنفت في الناس سيمومها وأفكارها ، فأمرت بمنعها من دخول السودان ، وحوربت بشتى الأساليب ، فكانت تصدر هناك دون علمها فلا تصل إلى مشتركها ، (١) .

هبت على المؤيد رياح وأبواء كان من شأنها أن تعصف بها ، ولكنها كانت تستمد من الأحداث قوة ، ولم يهن عزم صاحبها بما دبر له من كيد وغت ، وما ارتعد له من ضيق وعصف ، بل كان يمشى قدما في طريقه .

هذا هو الاستعمار يضيق على المؤيد ويخلق لها المتاعب والعقبات ، فيحرم إصدارها في مصر والشرق ، ثم يحرض صحفه لمهاجتها والنيل منها ، ويثيرها على المؤيد فتكتب ملية داعى الضلال ونداءه .

وتلك هى المقطم بوق الاحتلال وداعيته ، تعتبر صاحب المؤيد جاهلا بآداب المناظرة ، وتحمل على مصطفى كامل لأنه دعا إلى تكريم المؤيد لأنها أقدر الصحف على الإساءة إلى المقطم وأصحابه ، (٢) .

ثم هى توجه نظر الصحف الأوربية إلى ما تنشره المؤيد ، وتحتمل إلى رأى العام ، ليحافظ على التقاليد الخديوية المشهورة بمنع التقسيم بين الرعية ، وتشرح للصحف العربية

(١) المنبر في ربيع الاول ١٣٣٤ (٢٢ من يناير ١٩١٦ م) .

(٢) تطور الصحافة المصرية ص ١٧٩ .

خطر الدعوة التي يبثها المؤيد وأذنا به من الصحف ، وتلفت نظر صحيفة (الحقوق) إلى ذلك ، إذ لا نجد جريدة أخرى بين الجرائد العربية التي انتصرت للمؤيد تستحق أن تذكر على مسمع من أهل الفضل والأدب ،^(١) .

كتبت المقطم ذلك واحتفلت الصحف الأجنبية بما كتبه ، وبذلك كبريات الصحف الموالية لذلك اهتماما بليغا . ومن هذه الصحف (لوبروجريه أجبسيان) التي ردت على الشيخ على يوسف حماسه وهاجمت سياسة التعصب ، وأغرقت الحكومة بهذه الصحيفة لأنها تدعو إلى التعصب الذي من شأنه أن يعرض الأمن للاضطراب وحياة الأوربيين للخطر ، ولأن الشيخ على يوسف يدعو إلى أن يقوم قسم من الشعب بذيخ القسم الآخر ،^(٢) .

ولم تقتصر صحف الاحتلال على مهاجمة المؤيد فحسب ، بل كانت تناهض الصحف الموالية لها مناهضة جامدة . ومن هؤلاء صحيفة المقياس التي كانت تطبع في دار المؤيد وتكتب مقالاتها بروح من الشيخ على يوسف وأنصاره .

والحق أن المقياس كانت قاسية صريحة في عصبيتها للدين والوطن . وأنها مثلت أفلامها لانييل من المقطم وأصحابه ، وحملت عليه حملة شعواء ، وأسأت إلى المسيحيين إساءات واضحة ، لا لبس فيها ولا لبهام^(٣) إذ نشرت مقالا بعنوان (يضرمون نار التعصب وينكرون) .

ثم إن صحف الاحتلال تذكر ما تنشره المقياس من نثر وشعر تدعو فيه إلى أن يسلم المسلمون سيوفهم ويقتلوا الكافرين لأنهم زلزلوا صروح دين المسلمين .

وقد حكى صاحب « مرآة العصر » (أن قناصل الدول قرروا مرة مخاطبة رئيس مجلس النظار « دولتو » ، رياض باشا في هذا الشأن فأجابهم بما ينفي الريب) ، ثم حدث أن الحكومة أعادت إنشاء (قلم المطبوعات) في نظارة الداخلية مرة ثانية تحت رئاسة أحد

(١) المقطم في ٨ ربيع الآخر ١٣١٣ (٢٨ من سبتمبر سنة ١٨٩٥ م) .

(٢) تطور الصحافة المصرية ص ١٨٠ عن (لوبروجريه المصادرة في آخر ربيع الأول ١٣١٣ (٢٥ من سبتمبر سنة ١٨٩٥ م) .

(٣) المقياس العدد العاشر من سنة ١٣١٣ (١٨٩٥ م) .

الاجانب ، فكان يتعقب المؤيد في كل عدد يصدر منه ، ويناقش صاحبه الحساب على كل سطر يكتبه فيه .

وهناك حامل آخر غير الاستجابة لرغبات الاحتلال حمل المقطم ونظائرهما على مناهضة المؤيد والكيد له ، وذلك هو حسدها على ما بلغت من مكانة ، وما تواتر لها من مجد وشهرة ، ولعل مما يؤيد ذلك موقف المقطم من صاحب المؤيد في قضية الزوجية المشهورة التي شغلت المجتمع المصرى ردها من الزمن ، وكانت مادة خصبة للصحف والمجامع ، وذلك أن الشيخ على يوسف ، أراد أن يتزوج ابنة (السيد عبد الخالق) شيخ السادات الوفائية ، ورأت هي هذا الرأي معه ، وانفقد عزمهما على إتمام الزواج دون علم شيخ السادات ، الذى عارض الفكرة أشد المعارضة ، ورأى الصحفي غير كفء لابنته لأنه دونها حسباً ونسباً ، وتم العقد كما يقضى بذلك الشرع ، ولكن والد العروس أصر على إياها ، وثار على الواقع ، فأقام الدعوى في المحكمة الشرعية ، ليحال بين ابنته وبين زوجها ، ولأنه « يمتن مهنة لا يكرم بها صاحبها » .

كان لهذه القضية ضجة في الصحف شغلت الأذهان ، وكان للدفاع فيها حظ من البيان الرائع والحجة الناهضة ، (وحاولت الحكومة أن تحول درن فصل الزوجين وتنفيذ قرار القاضى ، وكاد قاضى القضاة أن يثير أزمة حادة في دوائر القضاء ، ويقف القضايا الشرعية جميعاً ، ويفلق أبواب المحكمة ، لولا أن الحكومة نزلت عند أمره ، وحالت بين الزوج وزوجته إلى أن يفصل في القضية) (١) .

ثم إنه كتب له الفوز في هذه القضية ، وتولى مشيخة السادة الوفائية خلفاً لصهره المرحوم (السيد عبد الخالق السادات) .

ونظرة إلى موقف الصحف من هذه القضية وموقفها من صاحب المؤيد تريك كيف كان الشيخ على يوسف محسوداً على مجد صحيفته .

أما صحف الأقباط فقد حرص كثير منها على عدم الخوض في هذا الموضوع خلاص مصر ، و « المقطم » . فأما مصر فقد ساء ما قرار عمامى للسادات في الصحافة فهي ترى أن (ما قاله

(١) صحيفة الشباب العدد الثالث من سنة ١٣٥٥ هـ (١٩٣٦ م) .

الشيخ الفندى وكيل السادات تعريضاً بالصحافة وحساباتها من المهن الدينية المضرة بقول لا يصدر إلا عن الجاهلين الأغبياء الذين لا يدركون ولا يفهمون).

وأما المقطم، فقد حرصت على نشر تفاصيل القضية نشرًا يظهر فيه الغرض والتشفي دون أن يعلق الكاتب على اتهام المحامي والمحكمة الصحافة بأسوأ ما تتم به حرقة من الحرف^(١).

وأما المنار، فقد كانت صحيفة موالية لصاحب المؤيد في قضيته، وكان من الممكن أن يغار صاحب المقطم على كرامة الصحافة التي امتنها الدفاع، وأن يقول كلمة إنصاف لمهنة هي مهنته، ولكن حقه على صاحب المؤيد أعماه عن الدفاع عن مهنته، ولم تكن اللواء في مستهل ظهورها لتال من مكانة المؤيد الراضية المؤثرة، ولكن صاحب المؤيد التوى طريقه وجنح إلى السلم قلبه^(٢) واستطاع الاحتلال أن يعطفه إلى جانبه، واحتفل الانجليز بمقدمه يوم أن زار بلادهم.

منذ ذلك الحين تقلص ظل المؤيد، وخفت صوته، وانكش مجدها، وبدأت تفسح الطريق للواء، يخفق في ربوع البلاد، فتخفق معه قلوب، وتهتز به مشاعر وإحساسات.

ومما مهد لهذه الخاتمة ما كان لاغتيال بطرس غالي، رئيس الحكومة (في ٩ صفر سنة ١٣٢٨ - ٢٠ من فبراير سنة ١٩١٠) من أثر في التصديق على الصحف وحرية القول، فقد صدر بمقتل هذا الرجل ثلاثة قوانين كانت حرباً على الصحف وحريتها، وشرعت الصحف المسيحية تقعم المسألة الدينية في سياستها، وتفيض بالعصية والملاحاة، نعم إن هذه المساجلات هيأت ثروة أدبية خصبة، (وأنتج الأدباء والشعراء روائع الأدب وبدائع الشعر في تأييد وجهات النظر المتباينة، كما ترك هذا الخلاف كتباً عربية وإفريقية قيمة)^(٣).

(١) تطور الصحافة المصرية من ١٩٠٥.

(٢) المجلة - ما حدث في سنة ١٩٠٤ من تحول في السياسة الخارجية بسبب الاتفاق الانجليزي الفرنسي حمل الكثيرين في مصر على تعديل خططهم. ومنهم صاحب المؤيد الذي كان يرى أن اللواء سد الفراغ في المعارضة العنيفة، فأثر أن يكون المؤيد لسان المعارضة المنطقية المعتدلة.

(٣) جريدة الوطن في ٢٦ ربيع الأول ١٣٢٨ - ٨ من إبريل سنة ١٩١٠.

ولكن قانون المطبوعات كان هزة عنيفة أصابت الصحف عامة و د جرائد مصر مهما تباينت مبادئها واختلفت مذاهبها تنفق على انتقاد هذا القانون وتحييد حرية الصحافة به ،^(١) .
أطلقت الحكومة بوحى من الإنجليز يدها للتكيل بالصحفيين وتعذيبهم ، واتخذت في اضطهادهم ألواناً شتى بين إنذار وحبس وتعطيل ، وقد أصدرت أمراً بتعطيل (اللواء) صحيفة الحزب الوطنى لأنها عيذت محرراً مستولاً دون حصولها على إذن بذلك ، وعطلت صحيفة العلم مرة بعد مرة ثم أمرت بتعطيلها نهائياً .

لم تقو الصحف على احتمال هذه الصدمات ، وكان من أثر ذلك أن تنسكت طريقةها وتعثرت في سبيلها ، وقد قررت جريدة الشعب أن إرهاب قانون المطبوعات ضيق على الصحف ، فأخذت تصور الرأى العام صورة مشوهة خوفاً من بطشه ، كما جعل الصحف الإسلامية في تناقص ، والقبضية في تزايد ، إذ أغلق ست من الأولى ، لم يثنأ على أنقاضها إلا صحيفتان قبظيتان هي الرقيب والإقدام .^(٢)

ذلك هو الجو الخانق الذى تنفس فيه الصحف ، وتلك هي الكوارث التى كررت بها الأفلام التى طامسا شرعت رماحاً دينية ، لم يطب الذؤيد فى هذا الجو جهاد ، ولم يسغ لصاحبها فيه حياة ، فأصبحت شركه بينه وبين غيره ، واتجهت انجماها جديداً لا قوة ولا حياة فيه ، وتخلى عنها الشيخ على يوسف ، فى سنة ١٣٣٩ هـ — سنة ١٩١٣ م بعد أن أصبح شيخاً للسادة الوفاة ويبيع أدواتها فى ١٣ جمادى الآخرة سنة ١٣٣٤ هـ - ١٧ أبريل سنة ١٩١٦ م فاختتمت بذلك تاريخها الحافل ومجدها العظيم . ٩

محمد طاهر الفقى

المدرس فى كلية اللغة العربية

(١) جريدة الأمالى فى ١٥ المحرم سنة ١٣٢٩ - ١٧ يناير سنة ١٩١١ .

(٢) جريدة الشعب فى ٣٠ جمادى الأولى سنة ١٣٣٥ - ٨ مايو سنة ١٩١٢ .

غزوة الخندق

الخندق مفاجأة كبرى لقريش والأحزاب

— ٢ —

خبرة فائقة في هندسة الميدان :

أحب أن أقف هنا قليلاً ، فإن غزوات النبي ﷺ كانت - في الحق - تحوى كثيراً جداً من الفنون الحربية التي تستوقف النظر ، وفي هذا الموضع تقف أمام دليل واضح على أن النبي خبير قى مبدع في هندسة الميدان التي تتعلق بنظام حفر الخنادق وإقامة الموانع وغيرها من دفاعات الميدان ، فقد خط عليه الصلاة والسلام لكل عشرة من الرجال عشرة أذرع يعملون فيها ، وقسم العمل وتوزيع الانصبه على هذا الوجه هو ما تقضى به أحدث قوانين هندسة الميدان ، فهو يضمن نظاماً عادلاً في توزيع العمل ويذكر روح التنافس بين الرجال ، وذلك لظهور مجهود الفرد وإنتاجه ، وإمكان مقارنته بمجهود زملائه ، وهو يضمن لكل رجل فسحة كافية ليعمل فيها ولا خوف عليه من حركات زميله ، ولا يضطر إلى انتظاره إذا تداخل العمل فيكون في هذا ضياع الوقت .

وهكذا نرى أن محمداً ﷺ قد وضع من الأصول الفنية في هندسة الميدان ما هو مسطور اليوم في الكتب الرسمية الخاصة بهذا الفن ...

الخندق في أنسب مكان :

كان أحد جوانب المدينة مكشوقاً ، وسائر جوانبها مشبكة بالبنيان والنخيل ولا يتمكن العدو منه ، فاختار الرسول عليه الصلاة والسلام هذا الجانب للخندق بين الحرة الشرقية والحرة الغربية (١) .

(١) الحرة : أرض جبلية سوداء كالنعم .

وهكذا نرى أن الرسول قد اتخذ من طبيعة الوضع الجغرافى وما فيه من بنيان ونخيل موانع تقف دون عدوه المهاجم ، واختار الجانب المكشوف خفر فيه الخندق وهو مانع صناعى . فإذا نحن رجعنا إلى قوانين الحرب الحديثة ، وجدناها تتحدث فى هذه الناحية ، موجبة الانتفاع بالموانع الطبيعية (كالجبال والأنهار وغيرها) القائمة فى ميدان القتال ، إلى الحد الأقصى ، وإقامة الموانع الصناعية كالتنادق والألغام والأسلاك الشائكة وغيرها فى الأماكن المكشوفة ، لأن فى ذلك توفيراً للوقت والرجال والأدوات .

وكانت هناك منازل تبعد عن الخندق فرحين تواجه مآتى العدو ، فأمر الرسول بتحصين جدرانها وإخلاء المساكن الأخرى ، ثم جرى بالنساء والذراى إلى هذه المنازل التى حصنت .

وكذلك وضعت الأحجار إلى جانب الخندق من ناحية المدينة لتكون سلاحاً يرمى به عند الحاجة إليه . وعلى الجملة فقد كانت خطة دفاع الرسول عليه الصلاة والسلام مثالا رائعا للفن العسكرى على أكمل وجوهه ، وكانت عملا ترضى به أحدث النظم العسكرية .

الخندق سلاح جديد :

كلنا يعلم ما أحدثه ظهور الدبابة (١) لأول مرة فى الحرب العظمى الأولى من انقلاب خطير فى فنون الحرب ، وما أصاب الألمان حينذاك من فزع ودهشة وارتباك فى خطوط الدفاع بسبب المفاجأة .

وهذا أمر طبيعى لا غرابة فيه ، فالسلاح الجديد الذى يطلع به فريق على خصمه فجأة ، يحدث بلا شك أثره المنشود إلى أن يتيسر لذلك الخصم كشف سره أو إعداد وسائل مقاومته . ولم يكن العرب يعرفون فى حروبهم الخندق ، وفى هذه الغزوة يفاجئهم الرسول عليه الصلاة والسلام أعداءه بهذا السلاح الجديد ، وسرى الآن ما أحدثه من أثر .

سار أبو سفيان ورجاله حتى بلغوا جبل أحد فلم يجدوا عنده أحداً ، فجازوه إلى المدينة فإذا بالخندق يطالعهم ، فأسقط فى أيديهم وأخذهم العجب والذهر والغيظ . وعسكرت قريش

(١) ظهرت الدبابة لأول مرة فى سارك السوم بفرنسا فى ١٥ سبتمبر سنة ١٩١٦

ومن تبعها بمجتمع الاسيال من رومة ، وعسكرت غطفان ومن معهم إلى جنب أحد عند ذنب نهم ، ومضت عدة أيام لم يزد القتال فيها على الترامى بالنبال كتراشق المدفعيات في الحروب الحديثة ، وكان أبو سفيان والعرب معه أثناء ذلك يفكرون - دون جدوى - في طريقة لاجتياز هذا المانع العجيب ، حتى لقد أصبحت الرغبة في الانسحاب أمراً تخفق له قلوب الناس .

وكان بين هؤلاء العشرة الآلاف في هذا الحين رجل واحد ليس فيهم من هو أشد منه ارتباطاً وفزاعاً ، وهو حيي بن أخطب اليهودي الذي دبر هذه الحروب وألب هذا الجمع على محمد ﷺ ، فقد عز عليه - بعد أن حزب كل هذه الأحزاب - أن يتطرق إليهم الوهن والخنوع ، ورأى أن هذه الفرصة إن أفلتت فبهات أن تعود ، فإذا انسحبت جيوش الأحزاب كان النصر للمسلمين ، ثم الويل بعد ذلك لليهود ، أما الأسباب التي جعلته يخشى من انسحاب الأحزاب فيمكن تلخيصها فيما يلي :

(١) هبوط عزيمتهم وانحطاط روحهم المعنوية لمفاجأة الخندق ، فأيقنوا أن مقامهم أمامه سوف يطول ، وهم جاموا ليحاربوا يوماً أو يومين كما حدث في أحد .

(٢) شدة البرد وكثرة العواصف في ذلك الحين .

(٣) كان اشتراك غطفان في القتال لأنها وعدت ثمار سنة كاملة من مزارع اليهود في خير إذا تم النصر ، أما وقد أصبح هذا النصر بعين الاحتمال ، وسيذهب دونه ما هو أثمن من تلك الثمار ، فلا يبعد أن تفكر غطفان في الانسحاب .

(٤) أما قريش فالأيام بينها وبين محمد ، ورغبتها في الانتقام لنفسها من بدر وما بعدها أمر يمكن إدراكه فيما بعد .

(٥) كان يهود بني قريظة على عهد مع المسلمين ، وكانوا يمدونهم بما يلزمهم من مؤنة ، الأمر الذي يطيل أمد مقاومتهم ، ويقطع أمل قريش في إمكان التغلب عليهم بالحصار .

يهود بني قريظة ينقضون العهد :

فكر حيي في هذا كله ، ووجد ألا سبيل للخلاص من هذا المأزق إلا باستمالة يهود بني قريظة إلى جانبه ، وجعلهم ينقضون ما بينهم وبين الرسول من عهد ، وبذلك تنقطع مساعدتهم له ، فلا يقوى على الوقوف أمام الأحزاب ، فذهب إلى بني قريظة يريد مقابلة كعب بن أسد صاحب العقد ، فأغلق كعب باب حصنه عليه لما علم بمقدمه ، ولكن حياً

ما زال به يستمبله ويستعطفه ويستحلفه يهوديته حتى لأن له ومزق صحائف الميثاق ، وعاهده
حيي إن رجعت الأحزاب ولم يصيروا محمداً أن يدخل معه في حصنه ليصديه ما يصديه ، وطلب
كعب أن تمهله الأحزاب عشرة أيام يعد فيها عدته على أن يقاتل الأحزاب المسلمين في هذه
الأيام العشرة أشد قتال .

بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم انحياز يهود بني قريظة إلى الأحزاب ، فمطم البلاء ،
وعم الفزع بين المسلمين ؛ فليس أقسى على النفس من أن يخون الحليف في وقت المحنة . ثم إن
المدينة فيما نساؤم وعيالهم وقد أصبحوا تحت رحمة هؤلاء الخونة الناقضين للعهد ، وبذلك
أصبح الخوف عليهم أكثر من الخوف على أهل الحندق .

وأرسل الرسول عليه الصلاة والسلام عظمى المدينة : سعد بن معاذ ، وسعد
ابن عباد ، ومعهما عبد الرحمن بن رواحة ، وخوات بن جبير ، ليقفوا على جلية الأمر
من بني قريظة ، فجاءوا بتأييد ما بلغه عنهم .

الرسول يتصرف بسرعة :

فأرسل الرسول في الحال سلة بن أسلم في مائتي رجل ، وزيد بن حارثة في ثلاثمائة
رجل (أي سدس القوة) يحرسون المدينة ويظهرون التكبير ليرهبوا بني قريظة ويحموا
الفساء والذراري من غدرهم . وفي هذه الاثناء رتبت الأحزاب أوضاعها فجعلوا كتيبة
ابن الأعور السلي من فوق الوادي شرقاً ، وغطفان في أسفل الوادي غرباً ، وعلى رأسهم
عينه بن حصن ، وأقاموا أبا سفيان أمام الحندق ، وكان خبر نجاح حيي بن أخطب في دعوته
سافراً الأحزاب إلى العمل ، مشجعاً لهم على القتال ، فاندفع بعض فرسان قريش : منهم عمرو
ابن ود ، وعكرمة بن أبي جهل ، وهيرة بن أبي وهب ، وضرار بن الخطاب ، يريدون اقتحام
الحندق ، فلبسوا منه مكاناً ضيقاً وأكروها خيلهم فاجتازته ، ونادى عمرو بن ود في المسلمين
في عظمة ، هل من مبارز ... هل من مبارز ... ؟ فقام على كرم الله وجهه وقال : أنا له
يا نبي الله ، فقال عليه الصلاة والسلام : اجلس ، إنه عمرو بن ود . ثم كرر عمرو النداء
مرتين ، وفي كل مرة يمد الرسول قوله ، حتى أنشد عمرو يقول :

ولقد بحثت من النداء بمجمعك هل من مبارز
إن الشجاعة في الفتى والجود من خير الفرائز

فلما رأى الرسول ثورة على ورغبته الملمحة في لقاءه أذن له فنازله فقتله ، وهنا فرت خيل الأحزاب مولية الأدبار . ولما أقبل الليل جعلت أطراف من الأحزاب تطيف بالخندق ، ولكن المسلمين كانوا عيوناً ساهرة لا تنام ، وأقبل نوفل بن عبد الله بن المغيرة يريد عبور الخندق ، فهوى هو والفرس فيه فصرعا .

وكان في الخندق ثغرة ضعيفة يخشى من اختراق قريش لها ، فذهب إليها رسول الله ، ووقف عليها بنفسه ، وكلف سعد بن أبي وقاص بحراستها طول الليل ، وأخذ بعض يهود بني قريظة يعيشون في المدينة يريدون إرهاب النساء . ويروى أن صفية بنت عبد المطلب كانت في دار حسان بن ثابت ومعها بعض الصبية ، فربهم يهودى وأخذ يطيف بالدار ، فقالت صفية لحسان : إن هذا اليهودى يطيف بإحسان بالحصن كما ترى ، وإنى والله ما آمنه أن يدل على عورتنا من وراءنا من اليهود ، ورسول الله وأصحابه قد شغلوا عنا ، فانزل إليه فاقته ، فتخاذل حسان واعتذر ، فأخذت صفية عموداً ونزلت فضربت اليهودى حتى قتلتها ؟

محمد جمال الدين محفوظ

أسوان والخزان

في الحفل الذى أقامته الرحلة الأزهرية في ثكنات الجيش بأسوان مساء الخميس (٢٤ جمادى الثانية ١٣٧٤) ١٧ فبراير سنة ١٩٥٥ وحضره كبار الضباط والموظفين بأسوان . ألقى فضيلة الأستاذ الشيخ السباعى الشناوى المراقب بكلية الشريعة قصيدة عصماء تقتطف منها ما يلى :

إن كان للآثار ومن حضارة	نقشت على الأحجار والبقايا
حضارة العهد الجديد حضارة	بنيت على الإصلاح والعرفان
شاد الفراعين الملوك هياكلا	ليقال خوفو أو تحتمس بان
والشعب ساموه العذاب ليخلدوا	ما كان للإسماعيل والعمران
شتان من بينى ليرفع نفسه	وقال فيه مدائح الإحسان
ومن ابتقى للشعب يسعده ولا	يبنى تراه الخمد والشكران
تبني الشعوب إرادة نفاذة	وعزيمة وثابة وثقان
يا مصر عهد بالتقدم زاهر	فلتهنى بليونك الشجعان

الكتب

مجموعة تفسير شيخ الاسلام ابن تيمية

بتحقيق الأستاذ عبد الصمد شرف الدين — ٥٢٠ صفحة

المطبعة القيمة في بمباي ، الهند .

شيخ الإسلام ابن تيمية من أعلام هذه الملة ، ومؤلفاته - على قلة ما نشر منها حتى الآن - ملأت خزائن الكتب في الشرق والغرب ، وشغلت المطابع الإسلامية في مصر والشام والهند وغيرها . ولابن عروة الصالحى الدمشقى كتاب اسمه « الكواكب الدرارى فى ترتيب مسند الإمام أحمد على أبواب البخارى » توسع فيه بالشرح والتعليق حتى زاد على مائة وأربعين مجلدا ضخما ضاع كثير منها ، ويوجد منها فى دار الكتب الظاهرية بدمشق بضعة وأربعون مجلداً ، كما أن منها فى دار الكتب المصرية ثلاثة مجلدات « برقم ٦٤٥ تفسير ، ومن عادة ابن عروة أنه إذا بلغ فى كتابه إلى بحث سبق لبعض الاعلام تأليف كتاب قيم أو رسالة نفيسة فى موضوعه يثبت هذا الكتاب أو الرسالة بالنص فى ذلك الموضع من كتابه . وقد نشرت إلى الآن كتب متعددة من كتب ابن تيمية وابن القيم مستخرجة من « الكواكب الدرارى » هذا ، ولو أن ابن عروة لم يثبت تلك الكتب فى الكواكب الدرارى لكانت الآن فى عداد تراثنا المفقود ، وما أكثره .

ومجموعة تفسير شيخ الإسلام ابن تيمية التى قام بتحقيقها ونشرها الأستاذ عبد الصمد شرف الدين من أفاضل علماء المسلمين فى الهند تناول تفسير ست سور من القرآن هى سور الأعلى والشمس والليل والعلق واليئنة والكافرون ، وهى من آخر مؤلفات ابن تيمية ، وكانت فيما يظنه الناس مفقودة ، فعثر عليها الأستاذ عبد الصمد شرف الدين فى أحد المجلدات الثلاثة الموجودة فى مصر من « الكواكب الدرارى » وجاء إلى مصر

خصيصاً لنقلها ودراستها والعناية بنشرها ، وقد نقلها بالتصوير الشمسي وعكف عليها زمناً طويلاً يدرس ويحقق ويقارن ويعلق عليها الحواشي ، ثم أخرجها للناس أخيراً مطبوعة بأجمل الحروف على ورق جيد لجاءت بأكثر من خمسمائة صفحة كبيرة ألحق بها فهرساً للأسماء والفرق والأماكن والكتب ، وكتب لها مقدمة بالعربية وأخرى باللغة الإنجليزية ، فاستحق على جهوده هذه آيات الثناء والشكر ، لأن زكاة العلم خدمته ونشره ، والاستاذ عبد الصمد شرف الدين أهدى لأبناء ملته زكاة عليه ٩

ابن حزم - صورة أندلسية

للدكتور طه الحاجري - ٢٣١ ص - دار الفكر العربي

أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم (٣٨٤ - ٤٥٧) علم من أعلام الإسلام الذين كان ينبغي لنا أن نضع بين أيدي المتقنين من أبنائنا وشبابنا مراجع وافية للتعريف بهم ، وتيسير الإفادة من علومهم وسيرتهم . وقد سد هذا النقص الآن في المكتبة العربية العالم المحقق الدكتور طه الحاجري بإصداره هذا الكتاب عن ابن حزم ، فبعد ذلك اثنين وعشرين فصلاً في كتابه هذا ابتدأها بتمهيد تحدث فيه إلى القارىء عن بداية معرفته لابن حزم قبل نيف وعشرين عاماً حين أخذ يظهر في عالم الطباعة كتابه (المحلى) ، فوجده رجلاً قوى الشخصية إلى أبعد مدى ، عظيم الاعتداد بنفسه إلى أقصى غاية ، ولكنه اعتداد قوامه الفهم العميق ، والعقل المحكم الوثيق ، والعلم الواسع الدقيق . وما ظنك برجل يستطيع أن يتناول الأمور التشريعية كلها : عباداتها ومعاملاتها ، ويقضى فيها دون أن يرجع في شيء منها إلا إلى الكتاب والسنة الصحيحة والإجماع الثام . فلما أراد الدكتور الحاجري أن يعرف قراءه بهذه الشخصية العظيمة انتقل بمعارفه التاريخية وبحوثه العلمية إلى ربوع الأندلس والبيئات التي تنقل بينها هذا الرجل العظيم ، فعاش معه ، ودرس دقائق مداركه ومختلف ميوله وكنوز الفضائل من أخلاقه ومواهبه ، فلا يقف من حياته على حادث إلا نحري تفاصيله وبعث الحيوية في ظروفه ، ثم يتأق بعرضه على قرائه كما لو كانوا معاصرين لابن حزم ، وكما لو كانوا شهوداً لنشاطه العلمي والخلق والسياسي في شبابه وكهولته إلى أن لقي ربه تاركاً وراءه من تراثه العلمي أربعمائة مجلد تشتمل على ثمانين ألف ورقة في كل سطر

من سطورها علم صحيح جيد وفهم ثاقب عميق الغور أحاط بمعارف عصره والمعصور التي سلفت قبله ، فاستطاع بالمقارنة بين نزعاته المختلفة وتيارات عصره المتضاربة أن يقف على قدر الإسلام في هدايته وتشريعه وأنظلمته ، وعلى قدر عظائمه من صدر الإسلام الأول إلى النصف الثاني من القرن الرابع الهجري والنصف الأول من القرن الخامس ، فكان بذلك من مفاخر الإسلام وأهله والثقافة الإسلامية ورجائها والتاريخ الإسلامى وأعلامه . فشكرا للدكتور الحاجرى على هذه الدراسة القيمة ، ولعل الله يلهمه الإكثار من أمثالها .

دقائق وحقائق — في مقدمة ابن خلدون

للاستاذ محمود الملاح — ٩٨ ص — مطبعة أسعد ينفاد

سبق لنا التعريف ببعض مؤلفات الأستاذ الملاح ، فمرقنا القراء برسائه عن حقيقة إخوان الصفا في ص ٣٤٢ — ٣٤٣ من هذه السنة ، ورسالة له عن ابن سينا وأخرى عن عبد الباقي العمري في مجلد السنة الماضية - وبين أيدينا الآن رسالة جديدة له عن مقدمة ابن خلدون وهو يقول عنها إنها دراسة تشبه أن تكون خاطفة لمواضع شغلتي ، ولوجشوت لها لجئت بضيقها . ويقول عن ابن خلدون : هو أستاذي الخاص الذي تهذب فكري وقلبي على يديه ، فأنا خريج مدرسته التي وجهتني توجيها حسنا على بعد الشقة في الزمان وفي المكان ، وما مدرسته إلا مقدمته التي لم أزل مقبلا عليها في الأدوار الثلاثة من حياتي . وكانت تعرض لي سوانح مختلفة باختلاف الفصول والابواب فأعلقها على هوامش مقدمة ابن خلدون . وبتوالي الزمن لا يتناولها أشرفت تلك التعليقات على التلف ، فرأيت من أحسن ما يخدم به تراث السلف إنقاذ تلك التعليقات بنسخها والتوسع فيها وتقديمها إلى المكتبة العربية . وعندى أن (المقدمة) لم تستغن عن الصقل في عهد صاحبها نفسه فكيف في عهدنا .

والاستاذ الملاح معروف عند قرائه بإخلاصه وشجاعته وألمعيته في كل ما كتب ، ولا سيما في مقاومته الشعوبيين والعابثين بالتاريخ الإسلامى ، فرسالته الجديدة عن مقدمة ابن خلدون جديرة بالدراسة وطول التأمل .

الأدب والعلوم

أممكم الإسلام ومبادئ
باللغات الحية

هذا السكادر في ميزانية الأزهر لعام
٥٥ - ١٩٥٦ ، وقد أعد لمواجهة ذلك في
ميزانية الأزهر مبلغ اثني عشر ألف جنيه .

وسينخصص لكل عضو من جماعة كبار
المعلماء درجة مدير عام حرف (١) لأنهم -
بحكم القانون - سيزاولون مهنة «الاستاذية»
فيشغل كل منهم الكرسي الذي يناسبه .

وأوشك فضيلة الاستاذ الأكبر أن ينتهي
من بحث شغل الأماكن الخالية من عضوية
جماعة كبار المعلماء ، وتبلغ أربعة عشر مكاناً ،
كما أوشك فضيلته أن ينتهي من توزيع كراسي
الاستاذية لكل كلية من كليات الأزهر
الثلاث حسبما تقتضيه الحاجة .

الجريمة والسباب

أقامت وزارة الشؤون الاجتماعية ندوة
في دار جمعية الاقتصاد السياسي والنشر
والإحصاء لبحث موضوع الجريمة والشباب
بين الأسباب والعلاج ، وقد ترأس الندوة
الاستاذ محمد فؤاد جلال السكرتير العام
للجلس الدائم للخدمات العامة .

أوعز فضيلة الاستاذ الأكبر شيخ الجامع
الأزهر بتأليف لجنة من بعض أعضاء جماعة
كبار المعلماء وبعض المشتغلين بالشئون
الإسلامية من أساتذة الجامعات تكون مهمتها
ترجمة الأحكام الشرعية والمبادئ الإسلامية
التي تشتمل عليها آيات القرآن الحكيم إلى
اللغات الحية . مع بيان الأسباب التي نزلت
فيها كل آية وما استهدفت من الصالح الإنساني .

والغرض من هذا المشروع تصحيح الآراء
التي نشأت عن أخطاء بعض التراجم فظراً
لخطورتها على صحة العقيدة الإسلامية ،
وبيان للناس كافة عن حقيقة الإسلام
الاجتماعية الإنسانية .

كليات الأزهر

قرع فضيلة الاستاذ الأكبر شيخ الجامع
الأزهر من إعداد كادر هيئات التدريس في
الكليات الثلاث (أصول الدين ، والشريعة
واللغة العربية) ، وأصبح مقرر أن يدمج

مستشفى الأمراض العقلية عن وجوب العناية بالناحية الطبية النفسية وقال: إن الجريمة عمل عدواني ضد المجتمع، وأعرب عن ارتياحه للمشروعات التي يعدةا المجلس الأعلى لرعاية الشباب، وما ينتظر أن يكون لها من أثر طيب في المحاولات التنفسية للنشء، وهو يرى أن هنالك واجبا كبيرا ملق على بعض العناصر للعمل على الوقاية من الجريمة وهم رجال الدين وبمعدم المدرسون فالقضاة والباحثون الاجتماعيون والنفسانيون ورجال البوليس وأطباء الأمراض العقلية.

واختتم الندوة بحديث الاستاذ محمد سعيد قدرى مدير الشؤون العامة بوزارة الشؤون الاجتماعية فركز بحثه في السلوك الشخصى وقال: إن الجريمة نوع من السلوك، فليس هنالك جريمة، وإنما هو سلوك معوج كان يجب تدريب صاحبه منذ البداية على أن يكون سلوكه مستقيما، ويصدر بنا قبل أن نغنى بمعاينة المسوء أن نضع أيدينا على العلة التي أفضت إلى العقل المنحرف. واختتم الاستاذ قدرى كلمته التحليلية بقوله: إن أهم عامل يساعد الشباب على الانحراف هو ازدياد وسائل (التعليم) بسرعة، مع بطء خطوات (التربية الوجدانية والاجتماعية).

وتحدث اللواء عبد العزيز صفوت فتناول الموضوع من نواحيه الواقعية، ذاكرا العوامل التي تدفع إلى الجريمة ومن بينها الولادة والفريضة والعادة والعاطفة، وكذلك تأثير المناخ ثم هجرة أهل الريف إلى المدن، والجهل وأثر تحاسد الضرائر في بنين، والفقر والسكل... وحلل كلا من هذه العوامل تحليلا قرنه باستشهادات واستدلالات.

وتكلم بعده الاستاذ ابراهيم خليل الوكيل السابق لمحكمة النقض فعالج الموضوع من نواحي التربية وعلا الجريمة بأنها فشل الفرد في الاندماج في المجتمع، وأن من أهم أسبابها سوء استعمال أوقات الفراغ، والكتب المنطرفة، والأفلام المنحرفة، ونادى بوجوب التعاون مع البيئة انهيئة الجو الصالح للدواطن الصالح.

وتلاه الاستاذ محمد فتحى المستشار وأستاذ علم النفس الجنائى بكلية الحقوق فعرض طائفة من دراساته الشخصية، ونوه بأثر الدراسات النفسية في الوقوف على العوامل الحقيقية للجريمة التي تدل على أن الذى يقدم على عمل يمد في نظر القانون جريمة إنما تلازمه حالة مرضية. وعرج على أثر الطب النفسى والعلاجى وهو مجال مدرسة اللا شعور وتحدث الدكتور أحمد وجدى مدير

خطبة المنبر بلفاء

خطبة التعليم المختلط

في حفلة افتتاح الدورة التاسعة للجنة الثقافية بجامعة الدول العربية التي انعقدت في قصر الكندرة بمدينة « جدة » ثغر الحجاز وقف رئيس وفدنا المصري فخطب خطبة تأتق بها كعادته . لكنه - وهو المؤلف لبعضة أجزاء عن إمام دار الهجرة مالك ابن أنس - جاء في خطبته قوله « وصدق صاحب الدعوة صلوات الله عليه إذ قال : إنما تصلح هذه الأمة بما صلح به أولها ، فنسب هذه الكلمة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أنها للإمام مالك الذي ألف هذا الخطيب في سيرته وعليه كتابا في أجزاء متعددة . ولما كان إسناد كلام الإمام مالك إلى النبي صلى الله عليه وسلم يتضاعف فيه الخطأ والزلل ، فقد علقنا على ذلك بالتصحيح والتنبيه مجلة « البعثة » التي تصدر في « الرياض » عاصمة نجد بصفحة ١٣٨ من جزء جمادى الأولى سنة ١٣٧٤ ...

وجه مندوب الأهرام سؤالا إلى الأستاذ حامد نبيه المدير العام للتعليم الثانوى عن فوائد وأضرار التعليم المختلط ولا سيما في المرحلة الإعدادية ، فأجاب : إن هناك سنا معينة في حياة البنين والبنات هي التي يبدأ عندها دور المراقبة ، ومن الخطورة بمكان أن نجتمع بين الولد والفتى في هذه المرحلة من العمر ، في أى مرحلة من مراحل التعليم . ولما كانت المرحلة الابتدائية تنتهى في حدود سن المراقبة - وهي حوالى الثالثة عشرة - فليس من الممكن أن يكون التعليم مختلطا في المرحلة الإعدادية .

ووجه مثل هذا السؤال إلى سيدة من كبريات سيدات التعليم فاعترفت له بأن المجتمع المصرى لا يقبل فكرة الاختلاط ، وأنه يوجد الآن - في أمريكا مثلا - من ينادى بالعودة إلى فصل البنات عن الولد في مراحل الدراسة المتوسطة ، كما وجدت كليات جامعية خاصة بالبنات . قالت : ونحن في مصر متجهون إلى إنشاء كلية جامعية للبنات .



إتباء العجل الشاه

الضمائم العربية الجديد

في الساعة الثامنة والنصف من مساء يوم
الأحد ١٢ رجب ١٣٧٤ (٦ مارس ١٩٥٥)
أذيع في القاهرة والرياض ودمشق في وقت
واحد نص البيانين المشتركين التاليين بشأن
مشروع الضمان العربي الجديد :

عقد في الرياض اجتماع يوم السبت ١١
رجب ١٣٧٤ (٥ مارس ١٩٥٥) برئاسة
صاحب الجلالة ملك المملكة العربية السعودية
حضره صاحب السمو الملكي الأمير فيصل
رئيس مجلس الوزراء ووزير الخارجية
السعودية ، والسيد خالد العظم وزير الخارجية
ووزير الدفاع الوطني السوري بالوكالة ،
والسيد الصاغ صلاح سالم وزير الإرشاد
القوى المصرية .

وقد عرض في الاجتماع ما تم الاتفاق عليه
بين الحكومتين السورية والمصرية في البيان
المشترك الذي وقعته سوريا ومصر يوم
٧ رجب ١٣٧٤ (٢ مارس ١٩٥٥) وقد
وافق حضرة صاحب الجلالة الملك سعود
بإمارة المملكة العربية السعودية موافقة كاملة
على جميع ما جاء في هذا البيان المشترك بغير

تحفظ . وأبدى جلالته رغبته الشديدة
بضرورة الإسراع لعقد المؤتمر الذي دعا
إليه البيان لتحقيق أمان الأمة العربية وأهدافها
واقعة ولي التوفيق .

عن المملكة العربية السعودية :

الأمير فيصل

عن الجمهورية السورية :

خالد العظم

عن الجمهورية المصرية :

صلاح سالم

البيان السوري المصري

اجتمع السادة صبري العسلي رئيس مجلس
وزراء سوريا ، وخالد العظم وزير الخارجية
ووزير الدفاع بالوكالة (عن الجانب السوري) .
والصاغ أركان حرب صلاح سالم وزير
الإرشاد القومي (عن الجانب المصري)
في دمشق ما بين ٢٦ فبراير و ١ مارس
سنة ١٩٥٥ .

ولما كان الاتفاق تاما بين الحكومتين
المصرية والسورية في السياسة الخارجية ، فقد

(نقدأ عرياً) . وتؤلف لجنة فنية لوضع قواعد هذا المشروع تهتة لإقراره .

٢ - إعادة النظر في نظام (التبادل التجاري) المعمول به حالياً ، رغبة في تعزيزه وتوطيده ، بإعفاء المنتجات والمصنوعات المحلية من (الرسوم الجمركية) أو تخفيف هذه الرسوم لأدنى حد ممكن .

٣ - تشجيع تأليف شركات مساهمة (برهوس أموال عربية مشتركة) للقيام بمشاريع زراعية وصناعية واسعة ، وبأعمال الملاحة الجوية والبحرية والتأمين وغيره .

٤ - تأليف (مجلس اقتصادى عربى) لتوجيه هذه السياسة الاقتصادية والإشراف عليها .

(٣) الاتصال بالحكومات العربية لعرض الأسس والمبادئ المذكورة في هذا البيان ، ودعوة الدول العربية الموافقة عليها إلى مؤتمر توضع فيه النصوص مع تفاصيلها لإقرارها وإنفاذها فور إبرامها .

على أن يعقد هذا المؤتمر خلال شهر آذار (مارس) سنة ١٩٥٥ ، وأن يضم رؤساء الحكومات ووزراء الخارجية والدفاع الوطنى والمالية والاقتصاد ورؤساء الأركان العامة .

تشاور الفريقان في الموقف العربى في الظروف الراهنة ، وتبادلا الرأى في الوسائل المؤدية إلى تعزيز السكبان العربى سياسياً وعسكرياً واقتصادياً ، فوجدا أن الأسس التالية هى الضامنة لتحقيق هذه الأهداف :

(١) عدم الانضمام إلى الحلف التركى - العراقى أو أية أحلاف .

(٢) إقامة منظمة دفاع وتعاون اقتصادى عربى مشترك تركز على الأمور التالية :

(١) الالتزام بالاشتراك فى صد أى عدوان يقع على إحدى دول المنظمة .

(ب) إنشاء قيادة مشتركة دائمة لها مقر رئيسى تشرف على تدريب القوات العسكرية التى تضعها كل دولة تحت تصرف تلك القيادة ، وعلى تسليمها وتنظيمها وتوزيعها وفقاً للخطة الدفاعية المشتركة ، كما تتولى هذه القيادة تنسيق الصناعات الحربية والمواصلات اللازمة للأغراض العسكرية .

(ج) عدم قيام أى دولة مشتركة فى المنظمة بم عقد اتفاقات دولية عسكرية أو سياسية بدون موافقة بقية أعضاء المنظمة .

(د) دعم الاقتصاد بين دول المنظمة تمهيداً لتحقيق الوحدة الاقتصادية الجامعة . ويتبنى الفريقان الأمور الآتية :

١ - إحدات (مصرف عربى) يصدر

بنفى اسرائيل فى غزة

واستعداد مصر لمواجهة العدوان بالعدوان
فى الساعة الثانية والنصف من مساء الاثنين
٥ رجب (آخر فبراير) قامت إسرائيل
باعتداء إجرامى منكر على منطقة غزة خربت
به ميثاق الأمم المتحدة ونصوص الهدنة مرة
أخرى، فعبرت وحدة نظامية من الجيش
الإسرائيلى تقدر بفصيلتين خط الحدود
وتوغلت أكثر من ٤ كيلومترات و ٨٠٠ متر
داخل منطقة غزة وهاجمت معسكراً مصرياً
بالبنادق والمدافع الرشاشة ومدافع الهاون
ومدافع البازوكا والقنابل اليدوية و ١٢٠
كيلو جراماً من المتفجرات، ودمرت أحد
المباني، وأحرقت الخيام وسيارتين عسكريتين
ونسفت محطة المياه، وأسفرت المعركة عن
استشهاد الصاغ محمود أحمد صادق و ٣٥ من
ضباط الصف والجنود ومدنيين مصريين .
وأصيب ضابط و ٢٨ جندياً ومدنياً بجراح .
وكلفت هيئة الأمم الجنرال بيرنز كبير مراقبي
الهدنة بتقديم تقرير عن الحادث، فزار المنطقة
التي وقع فيها هذا القدر الوحشى الدنىء،
وشاهد الأسلحة والذخائر التي خلفها اليهود
بعد انسحابهم من المعركة .

وفى يوم الخميس ٨ رجب ألقى الرئيس
جمال عبد الناصر - فى حفلة افتتاح المبنى الجديد
للكلية الحربية - أخطر خطاب سمعه منه
العسكريون ، فأعلن أن للقائد العام للقوات

المصرية المسلحة قد كلف العمل على رد
العدوان بالعدوان ، كما كلف العمل على حماية
حدود هذا الوطن ، وأن جميع إمكانيات
مصر متعباً فى هذا السيل . قال : وإذا دافعنا
عن الوطن فسندافع ونحن نعلم على أنفسنا
وعلى قوتنا ، ولن نعلم على مجلس الأمن
ولا على قرارات مجلس الأمن ، إذ أن هذا
المجلس وقراراته هي التي هزمتنا عام ١٩٤٨ ،
وهو الذى انتصر مع حلفاء إسرائيل الذين
عملوا على تثبيت اليهود هناك ، وعملوا على
إزالة القومية العربية من تلك البقعة . إن
الصاغ محمود أحمد صادق وإخوانه من جنود
مصر الذين استشهدوا بالأمس لم يكونوا سوى
طلعة لجيش مصر فى هذا الطريق ، فكلنا
بنفى الاستشهاد فى سبيل الوطن . لقد سمعت
أمس تهديداً من إسرائيل ، وإنى أقولها لهم :
نحن شعب لا بنفى الإساءة (وكررها ثلاثاً
ثم قال) : ولكن الإساءة تزيدنا عزماً
وصلابة وتصمياً . إن الجيش لم يهزم فى عام
١٩٤٨ فى فلسطين ، ولكن كان ضخمة القدر
والخيانة والهدنة وحلفاء إسرائيل ، وإتنا اليوم
فى عام ١٩٥٥ نختلف تماماً عن عام ١٩٤٨ ،
والأساليب التي ساعدت على هزيمتنا فى الماضى
قد اختلفت تماماً ، ولن تعود ...

وقد أصدرت لجنة الهدنة برئاسة اللفثان
كولونيل فرانسوا جيو كوماجى حكماً بأن
المهجوم كان مدبراً وأعد مقدماً بواسطة
السلطات الإسرائيلية .

مجمع إسلامى

تقــلد فضيلة الشيخ حسن مأمون منصب مفتى الديار المصرية ، وقد وجه إليه مندوب الجمهورية سؤالاً قال فيه : هل ترون أن يتطور دور الإفتاء إلى دور مشابه لدور مجلس الدولة ، وأقصد قسم التشريع وقسم الرأى به ، فتعرض على دار الإفتاء جميع مشروعات القوانين التى تصدر متعلقة بالولاية على النفس وكافة مسائل الأحوال الشخصية كما تراجع ما هو موجود فعلاً من هذه القوانين وهذه النظم ، وتبدى رأياً بالنسبة لمسائل المسلمين فى كافة صورها فى جميع أنحاء العالم الإسلامى متى طلب منها ذلك ؟

فأجاب فضيلته : لقد فكرت فى هذا الموضوع وأنا بعيد عن الإفتاء ، وسألت نفسى هذا السؤال . والآن وأنا على وشك تولى أعمال المنصب لا أستطيع أن أجيب عليه إجابة مفصلة إلا بعد دراسة هذا الموضوع الخطير . وإلى أن تم هذه الدراسة أعلن أتى أضع نفسى فى خدمة مصر والعالم الإسلامى ، وإذا قصر وقتى وجهدى عن بلوغ الغاية تقدمت إلى أولى الأمر بما يعنى من مقترحات مدروسة تيسرلى أداء هذه المهمة الخطيرة . ولعل من بين هذه المقترحات إنشاء (مجمع إسلامى) يقوم بمهمة تخلص العقائد

الإسلامية بما شأها ، وكشف حقيقة الدين الإسلامى التى ضل عنها كثير من المسلمين وغير المسلمين ، ويكون شأن هذا المجمع شأن المجمع اللغوى ، يخدم كل منهما الغرض الذى أنشئ من أجله .

أسمى الرسائل منتظلي

خطب السيد أنور السادات فى رأس التورة عقب انتهائه من زيارة قطر والكويت ودخوله منطقة الظهران ، فقال فى حفلة الشائى التى أقامها له اتحاد أبناء النيل وحضرها أكثر من ألف مدعو على رأسهم الأمير السعودى محمد بن فهد الجولوى وقائد القوات السعودية :

« إن أسمى الرسائل انبعثت من قلب الجزيرة العربية للعالم أجمع ، تستهدف خير الإنسانية ، والنعمة لبنى الإنسان . واليوم يدور الزمن ، ويتم الاتفاق على أن تخرج من الجزيرة العربية دعوة جديدة إلى المسلمين فى مشارق الأرض ومقاربها لكي يعودوا إلى سالف مجدهم وقوتهم ، وقد آن لهذه الدعوة أن تتلقى . »

ثم عاهد سيادته الحاضرين — باسم الملك سعود والرئيس جمال عبد الناصر — على أن يعمل بكل قواه من أجل تحقيق فكرة (الإسلام) الخالدة .

الفهرس

صفحة	الموضوع	بسم
٧٢١	إعداد شباب الأزهر لقيادة المجتمع وتوجيهه	الاستاذ محب الدين الخطيب رئيس التحرير
٧٢٦	نفحات القرآن : المتكلمون في العهد . . .	» عبد القظيف السبكي عضو جماعة كبار العلماء
٧٣١	للسنة : مسامرة نبوية - ٢ -	» طه محمد الساكت
٧٣٦	من نواذر المخطوطات : للساعد لابن عقيل .	» أبو الوفا المراغي
٧٤٠	الدخيل وكتب التفسير - ٨ -	» محمد محمد أبو شهبه
٧٤٤	رد على استفسار	» » » » »
٧٤٦	سبد المخرج	» محمود النواوي
٧٥٠	مشكلة الدعارة	» أحمد طه السنوسي
٧٥٥	عمر بن عبد العزيز - ٢ -	» أحمد الشرايبي
٧٦٠	لنويات	» محمد علي النجار
٧٦٤	جلاء ملك الأردن في صلاة الجمعة بالأزهر .	»
٧٦٩	كتب السنة النبوية ومصنفاتها	» محمد صبرى طابدين
٧٧٥	للجمالية - ٢ -	» محب الدين الخطيب
٧٨٧	في المباحث القنوية والنحوية : جديد ولكن .	» علي الهامري
٧٩٣	تعدد الزوجات في الاسلام	» طه الزيني
٧٩٦	الأزهر وتعليم المرأة	» عبد القظيف السبكي مدير المجلة .
٨٠٢	لحن للقراء بالاذاعة وأسبابه وحكمه . . .	» محمد محمد جابر المفتش بالأزهر . .
٨٠٥	آلآفة المظنى لهذه الأمة	» محمود فرج المتقدمة
٨٠٩	الأزهر وللصحافة	» محمد كامل الفقى
٨١٧	غزوة الخندق	» محمد جمال الدين محفوظ
٨٢١	أسوان والنهران	» السباعى الشتاوى المراقب بكلية التربية
٨٢٢	الكتب	» المجلة »
٨٢٥	الادب والعلوم	»
٨٢٨	أبناء العالم الاسلامى	»

بسم الخیر	
مَجْلَدُ الدِّينِ الْخَطِيبِ	
الاشترک السنوی	
ملح	
فی وادی النيل	٤٠٠
لطیبة وادی النيل	٤٠٠
للعلماء والمربين بالوادی	٣٠٠
خارج الموضع	٥٠٠
للطیبة خارج الموضع	٢٠٠
للعلماء والمربين خارج الموضع	٤٠٠

مَجْلَدُ الْأَزْهَرِ

مَجْلَدُ شَهْرِيَّةٍ بِمَامُونَةِ

تصدر عن شيخ الأزهر في أول كل شهر عربي

مدير المجلة

عبد اللطيف التتبي

عضو جماعة كبار العلماء

للعنونات

إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة

تلفون ٤٦٤١٤

القاهرة في غرة رمضان ١٣٧٤ - ٢٣ إبريل ١٩٥٥ - الجزءان ١٥ و ١٦ - المجلد السادس والعشرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الطريق الى فهم الاسلام

تلقت المجلة في هذا الشهر رسالة من شاب مسلم مثقف ، يذكر فيها أنه يريد أن يفهم دينه فهما صحيحاً ، غير أنه في حيرة من أمره في اختيار الكتب التي تعينه على هذا الفهم . ويقترح علينا أن نفتح باباً في مجلة الأزهر بعنوان « مكتبة المسلم » ، فذكر فيه الكتب القيمة التي يجب أن يقتنيها المسلم ، مع توجيهات في هذا الموضوع .

والسؤال - أيها الشاب المسلم المثقف - ليست مسألة الكتب التي تقتني ، فالكتب أكثر من أن تحصى في مجلة ، والذين يقتنون الكتب يتفاوتون فيما يحتاجون إليه منها . ولقد شرح الله صدرى للحدث معك في هذا الموضوع ، لأن هذا الدور مرّ على كثيرين من شباب الإسلام ، ولعل كنت واحداً منهم ، وقد تبين لي أن فهم الإسلام كما يتوقف على جودة الكتب التي يرجع إليها المسلم في فهم دينه ، يتوقف كذلك - بل قبل ذلك - على التجاوب القلبي والعقلي بين الإسلام والمسلم . فأول ما أنصح لك به أن تعد نفسك - أولاً - لهذا

التجارب، وأن تكون لك نظرة إيجابية صائبة إلى الإسلام في مجته تدبجك في بيئة الأولى، وبدلاً من أن تنقل (العلم) بالإسلام من الكتب إلى عقلك وقلبك ونفسك، تنقل أنت بعقلك وقلبك ونفسك إلى بيئة الإسلام الأولى: فتجبه وتحبها، وتعيش في جوتها وجوها، وتحرى (العمل) بما تدفعك هذه المحبة إلى (العلم) به من رسالة الإسلام وسيرة أهله الأولين، فالعلم بذلك - مهما قل - فهو كثير إذا كان الغرض منه العمل به، والتخلق بما يهدي إليه من أخلاق، والنطبع بما يرشد إليه من سجايا، والاستئثار بما يدل عليه من سنن، حتى تكون منه في طريق أهله الأولين كأنك واحد منهم. ولم لا؟ وهذا أمر يسور لك، ولا يتوقف إلا على أن تريد وتعزم وأن تجد المتعة والارتياح في هذه الإرادة وهذا العزم.

إن القرآن - كتاب الله - هو المرجع الأول للعلم في فهم الإسلام، وكانت طريقة الصحابة في تعليمه لتلاميذهم من التابعين أنهم كانوا إذا تعلوا عشر آيات أو نحوها لم يجاوزوها إلى غيرها حتى يفتها من حفظها، ويقيموا السنتهم بعريتها، ويحسنوا تلاوتها، ويعرفوا ما فيها من أحكام، وأخلاق، وتوجيه اجتماعي. ثم أن (يعملوا) بذلك في أنفسهم، وفيما لهم عليه سلطان من يثبتهم. وقد فهمنا ذلك مما رواه أبو عبد الرحمن عبد الله بن حبيب ابن ربيعة السلي تلميذ أمير المؤمنين عثمان بن عفان وعلى بن أبي طالب وأضرابهما من علماء الصحابة كعبد الله بن مسعود، وزيد بن ثابت، وأبي بن كعب. فالعلم بالقرآن كان للعمل به، ولولا ذلك لكان القرآن حجة على من يتلوه، ورُبَّ تالٍ يلمنه القرآن.

وإذا اخترت لنفسك عشر آيات من القرآن وأردت أن تدرسها على طريقة الصحابة والتابعين فاذهب إلى تفسيرها في (جامع البيان) لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، فإنه سيستعرض لك مذاهب الصحابة والتابعين وأهل القرون الثلاثة الأولى فيما فهموه من هذه الآيات، وقد تظن في مذاهبهم الكثيرة معنى الاختلاف، وما هو من الاختلاف في شيء، لأنه اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد. وإن مثل القرآن في هدايته كمثل الشمس في إنارتها، فهي تثير بما لا يحصى من أشعتها المرسلة إلى دنيانا من جميع أطرافها. فكما نور، كما أن مفهوم القرآن كله هداية، ولذلك كان رسالة الله العامة إلى الإنسانية في كل زمان ومكان. وإذا أردت المزيد فاذهب إلى تفسير هذه الآيات العشر نفسها في (الجامع لأحكام القرآن)

لابن عبد الله القرطبي الانصارى . واقرأ مع ذلك تفسيرهم في تفسير الحافظ ابن كثير ، واختم دراستك إن شئت بما ورد عن تفسير تلك الآيات في تفسير المنار ، فهو تفسير عصرى جيد جامع لكثير من المزايا . وستخرج بعد ذلك بعلم نافع إن شاء الله . ولن يكون نافعاً إلا إذا عملت بما سلمت منه كما كان يصنع الصحابة والتابعون والتابعون لهم بإحسان . ولا تستكثر على هذه الآيات العشر أن تقرأ لها كل هذه الكتب ، وأن تمنى في تدبرها كل هذا الوقت ، فإن القرآن أنزله الله لذلك (كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته) ، (أفلا يتدبرون القرآن) ، (أفلم يدبروا القول) . قال أبو الحجاج مجاهد بن جبر المكي : عرضت المصحف على ابن عباس ، أوقفه عند كل آية منه وأسأله عنها . وروى مالك بن أنس أن عبد الله بن عمر بن الخطاب أقام على حفظ سورة البقرة عدة سنين ، قيل ثمان سنين . فالرعيل الأول من المسلمين كانوا لا يعنون بالإكثار من العلم إلا بعد إتقان ما يتعلمونه منه .

والد طريقة افهم الإسلام في بيته الأولى تتبع تراجم الصحابة من كتبها : كالإصابة للحافظ ابن حجر ، وأسد الغاية لابن الأثير ، والاستيعاب لابن عبد البر ، وطبقات ابن سعد ، وتاريخ الإسلام للذهبي ، وتاريخ دمشق لابن عساكر . وقد فغنى الله كثيراً بدراسة حياة الصحابي الواحد من أمثال هذه الكتب ، فأرتب أخباره بحسب تسلسلها التاريخي من بدء حياته إلى نهايتها . وإذا عرض لي في هذه الأخبار اسم بلد ذهبت إلى معجم البلدان لياقوت ومعجم ما استعجم للبكري فتصورت منهما موقع ذلك البلد وحالته كأنى ساكن فيه ، وإذا وقفت في حياة ذلك الصحابي على ذكر وقعة من وقائع التاريخ رجعت في تفاصيلها إلى تاريخ أبي جعفر محمد بن جرير الطبري وأمثاله ، وإذا وقعت للصحابي أحداث أو أحاديث مع شخصيات أخرى معاصرة له أبادر إلى معرفتها من مظانها حتى أكون كأنى معها في أوطانها وميادين نشاطها . وهكذا كنت كأنى أرى ما يفعل هؤلاء البررة الاختيار ، وأسمع ما يقولون ، وأراقب نشاطهم ، وأصغى إلى أمانيم ، وأقالم لآلامهم ، وأنعم ما تعلموه من معلم الناس الخير ﷺ . وقد أتوسع في ذلك فأذهب إلى مسند الإمام أحمد فأندبر ما رواه التابعون عن هذا الصحابي من سنة رسول الله ﷺ ، وبذلك أعيش مع الإسلام في بيته الأولى كما كان يعيش فيها رجاله الأولون ، وما أسهل ذلك

والله وأنفعه . ولولا التجارب العقلية والقلبية بين المسلم والإسلام في بيئته الأولى لكننا محرومين لذة العيش مع أهل الصدر الأول ، وكنا نكون تائهين في بذيات الطريق ، منحرفين عن الطريق الأعظم الذي بعث الله به خاتم رسله بأكل رسالاته .

كما أن الإنسان عدو ما جهل فإنه صديق ما يعلم ، وحرصنا على معرفة الصحابة كأئمة معاصرون لهم وساترون في قافلتهم ، يغرس محبتهم في قلوبنا ، ويجعلنا على طريقتهم في الدين والمعرفة والأخلاق والأهداف ، ومتى تم لك ذلك أيها الشاب المسلم المثقف فإنك إن تحتاج إلى " ولا إلى مجلة الأزهر في أن تدلك على الكتب التي يجب أن تفتنيها ، بل ستعرف ذلك من نفسك ، وستعرف أئمة الإسلام الذين يدركونك على الإسلام ، وستعرف قيمة مؤلفاتهم وعلومهم وتوجيهاتهم . واعلم أن كل ما تستطيع أن تأخذه عن إمام قديم من الموثوق بعلمهم ودينهم فذلك خير لك من أن تأخذه عن بعده ، لأن المساء كلما قرب من يتابعه الأولى كان أصنى وأطهر وأروى . ومع ذلك فإن من الأمثال التي تتداولها ألسنة العلماء قولهم " لا يغنى كتاب عن كتاب " . فطالب العلم بعد أن يعرف معالم الطريق الذي هداه الله إليه ، وبعد أن تملأ حجة الإسلام وأمله الأولين شغاف قلبه ، فإنه لن يضره أن يقرأ كل شيء ، وأن يطلع على كل كتاب ، وأن يعرف مذهب كل صاحب مذهب . ولولا أني كنت أفتني كتب البهائية - وهي أحدث ما وقع للبشر من كفر وضلال - ما استطعت أن أعترف قرأني بهذا الكفر والضلال ليتقوا شره ويحذروا مخادعة دعاته . غير أن ذلك لا يجوز إلا بعد أن يعرف الشاب المسلم المثقف معالم إسلامه ليستطيع الرجوع إليها ويلجأ في دينه إلى قلاعها . ولذلك كان أول ما يجب أن يبدأ به الشاب المسلم المثقف أن يحب الإسلام وبيئته الأولى والصدر الأول من دعاته وهداته ومجاهديه حتى كأنه يعيش معهم ، وبذلك يتم له الانس بما أكرمهم الله به من إقامة الحق وتعميم الخير والتعاون عليه ، فيكون ذلك خلفا من أخلاقه كما كان خلفا من أخلاقهم ، ويعرف به دين الله الذي اختاره لخير أمة أخرجت للناس ، ويوشك أن يكرمه الله بأن يجعله منهم ، وأن يكثر في هذا الجيل من أمثاله فيكون ذلك بداية للبعث الإسلامي المرتجي ، وما ذلك على الله بعزيز .

حب الدين والخطيب



نَفَاثُ الْفِرَاقِ

- ٢٨ -

المراء... والمباهلة

« الحق من ربك ، فلا تكن من الممترين . »

١ — ليس عجيباً أن يكون في الدنيا حق وباطل ، وليس عجيباً أن يكون للحق دعاة وأتباع ، وللباطل غواة وأشباع .. لحكمة الله جرت يدينا على أن تكون حياتنا العقلية معرضة للخلاف والاتفاق ، وأن تكون الحياة الدينية كذلك بجالا بين الحق والباطل ، وأن يسلك الناس في تفكيرهم واختيارهم سبلا متعددة ، وأن يتنازعا الأمر فيما بينهم ، حتى ينهض فيهم حكم العقل ، أو يفصل بينهم حكم الدين .
ولكن العجيب من شأن الناس أن يأخذ بعضهم اللجاج حتى لا يهتدوا بعقل ، ولا يستجيبوا لدين .

وتلك هي الضلالة التي ينفخ فيها الشيطان من نفثاته ، ويدفع بهم إلى أغوارها حتى يثأر الشيطان لنفسه من آدم بما يصنعه في بنيه من تنازع وشقاق ، وصرف عن الهدى ، واقتياد إلى الهلاك ، إن الشيطان للإنسان عدو مبين .

٢ — وفي معرض الخلف بين الدعاة والمدعوين تذكر حديث المراء والمباهلة بين النبي محمد — صلوات الله وسلامه عليه — ونصارى نجران من حرب الجزيرة ، فقد استمعوا على دعوة الإسلام ، ونصبوا أنفسهم للجدل ، واسترسلوا فيه ، حتى في الوقت الذي أصبحت للإسلام فيه قوة عليهم .. وأصبح يسيرا أن يغلظ عليهم المسلمون لو كانت دعوة الإسلام تؤثر القوة ، وتجنح إلى العنف ، ولا تأخذ بالحسنى .
واكبتها دعوة الحكمة ، والموعظة الحسنة التي أمر الله بها نبيه .

طال الجدل بين هؤلاء ومحمد في شأن عيسى عليهما الصلاة والسلام ، ولم يرض أهل نجران ، أو لم تهدم عقولهم إلى تصديق محمد فيما أوحى به الله إليه ، ولم يعفوا أنفسهم من اللجاج والشطط ، فكان من رفق الإسلام في دعوته ، ومن تأييد الله لنبيه ، أن يدعوهم إلى المباهلة معه ...
والمباهلة : هي ضراعة العبد إلى ربه بالدعوات : خيرا كانت أو شرا ، واكبتها في هذا المقام دعوات إلى الله أن ينزل لعنته وغضبه على الكاذب من الفريقين .

(فن ساجد فيه من بعد ما جاءك من العلم ، فقل : تعالوا ندع أبناءنا وأبنائكم ، ونساءنا ونساءكم . وأنفسنا وأنفسكم ، تم نبطل فنجعل لعنة الله على الكاذبين) .
 ٣ — وإذا كانت المباينة دعاء إلى الله : لا حرباً نجهدهم ، ولا شيئاً آخر يخشون مشقته عليهم ، فليس يصير أهل نجران أن يياكلوا محمدًا كما طلب .

بل إذا كانت الدعوات مناجاة لله من عباده الأبرار ، وكان أهل نجران لهم صلة خاصة بالسماء ليست لمحمد ولا لغيره ، وأنهم أبناء الله وأحبائه كما يقولون ، فأيسر الأمور عليهم ، وأحبها إلى نفوسهم ، أن يسارعوا إلى المباينة ، يتجهون بها إلى من في السماء لينصرم على محمد فيما اختلفوا فيه ، وليرفع من شأنهم بإهلاك خصمهم هذا ، حتى لا ينكر عليهم أحد بعد . وتكون هذه المباينة أقرب السبل إلى الغلبة على محمد وسواه إن كانوا هم الصادقين .

٤ — ولكن وفد نجران الذين كانوا يترددون على محمد ، ويحملون إلى قومهم ما سمعوا ، ويلفونهم ما قالوا ، لم يأسوا من أنفسهم طمأنينة إلى صدقهم في مزاعمهم ، ولم يجحدوا لديهم الشجاعة في قبول المباينة ، ولا نهضت بهم عقولهم أن يتخلوا عن المكابرة ، ويستجيروا للدعوة الحقبة الرحيمة التي رددتها عليهم محمد ، فراوغوا في موقفهم ، وطلبوا إلى محمد أن يهملهم أيا ما قلائل ، ريثما يتشاررون ، أو يحضرون إليه في موعدهم مع من يرافقهم من أبناء ونساء للمباينة .

وصاحب الحق لا يضيق صدره لمثل هذه المحاربة ، بل يرى من المطاردة في الرفق ، ومن المزيد في الإقناع بصدق دعوته ، أن ينفس عن خصومه ، وأن يشعرهم بأن المسئلة مسئلة هدى وإرشاد : لا مسئلة تحكم وعناد .

ومن شأن ذلك في نهايته أن يكون أوضح للحجة ، وأقطع للبعدرة .

لذلك أجابهم في طلب المهلة ، وانصرفوا إلى وجهتهم .

ولما خلا بمضهم إلى بعض كان مما رأوه أن يستشيروا أوليائهم من اليهود ، فأشاروا عليهم أن يصالحوا محمدًا على الجزية ، وحذروهم الملاعة لما يعرفونه في التوراة من علامات الصديق التي تتوفر كلها في محمد وفيما يقول به ، ويدعو إليه .

وإذ حان موعدهم ، ورجعوا إليه ، وجدوه قادمًا ، وفي صحبته أقرب أهله إليه ، وأعزهم عليه ، وهم : علي ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين - رضي الله عنهم - وكان النبي - صلوات الله عليه - عظم أهله هؤلاء ما يفضلون معه حينما يجتمع برفد نجران بقوله : « إذا أنا دعوت فأمنوا أتم » .

ولكن الوفد النجراتي لم يكذب يشارف الموقف ، ويرى عن كثب محمداً في أهله مطدشين إلى ما جاءوا بسبيله ، فرحين بما أقبلوا عليه حتى وجلت قلوب النجراتيين ، واهتزت فرائصهم ، وقال لهم أسقف - كان معهم - : يا معشر النصارى ، إنى لأرى وجوها لو سألوا الله أن يزيل جبلا من مكانه لأزاله . فلا تباهلوا وتهلكوا .

في ضوء هذا تخير أهل نجران لأنفسهم أيسر الأمور عليهم . وانهى بهم التردد - أولا - ومشورة اليهود عليهم - ثانياً - ونصيحة الاسقف - ثالثاً - إلى مصالحة محمد على الجزية ، يجمعونها من أموال متنوعة ويدفعونها كل عام .

وكان من مراحم الإسلام التي يعترف بها المنصفون من خصومه أن يقبل الجزية ممن لم يكن يسارع إلى الدخول فيه . ليطل على عقيدته الأولى غير مكره على هذا الدين الجديد ، ولتكون لديه الفرصة فسيحة حتى يراود نفسه في القبول للدعوة الحققة ، أو في التضحية بمال يستطيعه ، ليصالح به أهل الدعوة الجديدة من شؤونهم ، ومن مرافقهم التي ينفع بها معهم أهل الجزية ، وليعيشوا في ظل ظليل من عدالة هذا الدين وحمايته لهم كما يحمي أهله وأوليائه مما يحيق بهم ، أو يخشون مساسه من عدوان المعتدين عليهم في وطن ، أو نفس ، أو مال .

هذا : ولم تكن دعوة محمد لأهل نجران أو سواهم مجافية لدعوة الانبياء من قبله ، بل هو يأخذ الناس بما يأخذ به نفسه ، ويحدد فيهم عقيدة التوحيد ، ويسمو بهم عن الاباطيل التي رانت على القلوب ، وصدئت بها العقول ، ويذكرهم بأن شأنه فيهم كشأن الرسل فيما دعوا إليه قديماً . ويكرر فيهم : قل ما كنت بدعاً من الرسل ... إن أتبع إلا ما يوحى إلى ... ، وشرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً ، والذي أوحينا إليك ، وما وصينا به إبراهيم ، وموسى ، وعيسى : أن أقيموا الدين ، ولا تفرقوا فيه .

وهكذا من آيات القرآن التي تتجاوب مع الفطرة ، وتؤكد - في غير هوادة ولا شبهة - أن الانبياء جميعاً على أصل واحد ، ليس فيهم من ترك ثغرة في دعوته ، أو نزوع إلى طريقة غير طريقة أسلافه ، أو أذن لمن يتابعه أن يدخل في دعوته ما ينحرف بها عن جادة الانبياء جميعاً ، أو يتاوى بها أصلاً من أصول الدين في تحايل أو تحريم .

والانبياء جميعاً أناس بعثوا إلى الناس يبالغونهم دعوة إله واحد لا شريك له ، وليس في الانبياء من تأله على الناس ، أو انتحل نسباً إلى الله ، وإنما قل ذلك أناس طغاة جبارون كفرعون ونحوه . وهؤلاء ليسوا من الله ولا من الأدب مع الله في شيء .

وحاشا للأنبياء أن يغيروا أو يبدلوا .

غير أن الناس كما عهدناهم ، وكما قصت علينا كتب السماء ، وكما أسلفنا في صدر حديثنا هذا ، كثير أما يشذون عن حكم العقل ، ولا ينصاعون لحكم الدين .

وقد كان الشذوذ من أهل نجران وأضرابهم مسبوقا بشذوذ من آخرين .

وكان من وسائل الدعوة المنصفة التي انتهجها معهم دائما محمد عليه الصلاة والسلام - غير المباهلة - أن يصارحهم بأن يكونوا معه وأن يكون معهم على عقيدة واحدة ، وأنه لا يفرض عليهم غير الحق الذي يزعمون أنهم عليه ، وأن يناشدهم بدعوة الكتب السماوية التي يتمتعون إليها ، ويركز في عقولهم أنه غير جاحد لما فيها ، بل هو مجدد لها غير مشوبة بما انحدر إليها من أوضاع وموضوعات ، وأمور مصنوعة ، فكان يقول : (يا أهل الكتاب : تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم : ألا نعبد إلا الله ، ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله) . فهذه مساواة كاملة في الوقوف من الله موقف المبودية ، دون أثر ولا إثارة ، ولا سيد ولا مسود ، ولا استسلام تابع لمشروع .

والله يعلم نية - إذا لم يستجيبوا لهذه الدعوة التي فيها تنزيه لعقولهم وأفهامهم ، وفيها تكريم لإنسانيتهم ، وإكبار لالوهية خالقهم ، وفيها تبرئة للأنبياء عما نسب إليهم ، وفيها أخذ بجانب الحق الذي يستوى الجميع أمامه ، ولا يختص به فريق منهم - إذا لم يستجيبوا لذلك وتولوا عنه في جدلهم المعمود ، وصدودهم المألوف ، فليقطع الحديث معهم ، ولنسكن كلمته إليهم (ائتمدوا بأنا مسلمون) .

وأنت ترى من هذه الأمثلة في أدب الدعوة إلى الله ، وفي إفصاح الصدر للمعارضين ، حتى تقف حجتهم ، وينكشف عجزهم ، كيف كان المراء وسيلة إلى الباطل من أهل نجران أو سواهم ، وكيف كانت الحكمة في الدعوة والموعظة الحسنة وسيلة الداعي إلى الحق ، وكيف ينهى به الجدل معهم إلى الاعتصام بدينه ، والوقوف عن مجاراتهم ، وتركهم إلى ما وراء ذلك مما قدر الله في شأنهم .

ومن أجل ذلك كان من تعاليم الإسلام ترك المراء ، فإنه استدراج من الشيطان إلى ما يبعد بالمرء عن الصواب ، ويمعن في الباطل عنادا وصلفا .

ومن أجل ذلك قال النبي ﷺ : « أنا زعيم بيت في أعلى الجنة لمن ترك المراء وإن كان حقا » . ولعل لنا من هذه عبرة وأسوة ؟

عبد المظيف السبكي

عضو جماعة كبار العلماء

الشيعة

راية الاسلام

— ٣ —

ذكريات — آلام وآمال — خير ويهودها —
 بشارة نبوية — خربت خير — أسرار وحكم —
 من أعلام النبوة — ساعة قبل قيام الساعة —
 ألا رجل يحب الله ورسوله ... يفتح الله على يديه !

عن سهل بن سعد رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر :
 لأعطين هذه الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه ، يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله . قال :
 فبات الناس يدوكون ليلتهم : أيهم يعطاها . فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ ،
 كلهم يرجو أن يعطاها : فقال : أين علي بن أبي طالب ؟ فقيل : هو يا رسول الله يشكى
 عينيه ! قال : فأرسلوا إليه ، فأتى به ، فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه ودعاه ،
 فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع ، فأعطاء الراية . فقال عليّ : يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا
 مثلنا ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ، ثم ادعهم إلى الإسلام ،
 وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه ، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك
 من أن يكون لك حمر النعم .

رواه الشيخان واللفظ للبخارى .

• • •

يدركون : يخوضون ويهوجون ، ومنه وقع الناس في دوكة ، بفتح الدال وتضم .

انفذ على رسلك : امض على هيتك متشداً غير عجل ، ففي الامة سلام وحكمة .

حمر النعم : هي الإبل الحمراء ، أعز أموال العرب وأكرمها عليهم ، ومن هنا ضربوا
المثل بها في نفاسة الشيء وعزته .

• • •

في ذكرى الإسراء والمعراج رفع العلم الإسلامى المصرى على أعز ثغر من ثغور مصر ،
وقبل هذه الذكرى وبعدها تكرر عدوان أشد الناس عداوة للذين آمنوا على ثغر آخر
من ثغورها الخدت بنا ذكريات الآلام والآمال ، إلى إرجاء ما وعدنا به في الجزء السابق
والكتابة في حديث هذه الراية التى رفعها الله ، ونصر في ظلها عباد الرحمن على عبيد الشيطان
، ولننصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز .

• • •

قدم رسول الله ﷺ المدينة على أثر صلح الحديبية ، ومكث بها عشرين ليلة أو قريباً
منها ، ثم خرج إلى خيبر ، وكان الله عز وجل وعده إياها في سورة الفتح ، وقد نزلت
مرجعه من الحديبية .

وخيبر واحة كبيرة خصبة ، ذات حصون منيعة ، ومزارع وفيرة ، ونخل كثير ؛
ولا يجتمع سكانها في صعيد واحد ، بل يفرقون في وديان متقاربة ، ويقيمون في بيوت
محصنة ، تحيط بها النخيل وحقول القمح ١ وتقع خيبر على نحو مائة ميل من المدينة إلى
جهة الشام

وكانت خيبر - كسائر بلاد اليهود قديماً وحديثاً - وكراً للدسائس والفتن التى يعايرونها
في الناس كافة ، والعرب منهم خاصة ١

وكان يهود خيبر أعرق اليهود في الخداع والمكر ، حتى ضرب بهم المثل في ذلك ،
وكانوا إلى هذا الحب رجالاً أشداء محاربين ذوى بأس ..

• • •

كان هؤلاء الخونة الفجيرة أشد من هيج الأحزاب وألهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه في غزوة الخندق ، فلم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم بد من القضاء على هذه الأفاعى السامة ، والشياطين الماردة ، وهكذا أعد صلوات الله وسلامه عليه العدة لقنابلهم ، وأبلى هو وأصحابه بلاء مينا .

وهكذا صدقهم الله وعده إذ قال : « وعدكم الله مغنم كثيرة تأخذونها فاجعل لكم هذه وكف أبدى الناس عنكم ولنكون آية للؤمنين ويهديكم صراطا مستقيما ، واستجاب دعاء رسوله لما دعاه وقد أشرف على خيبر بعد مسيرة ثلاثة أيام : اللهم رب السموات وما أظللن ، ورب الأرضين وما أقلل ، ورب الشياطين وما أضلل ، ورب الرياح وما ذرين ، فإننا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها ، ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها .

فلما كان يوم خيبر وعزم الأمر ، أخذت النبي صلى الله عليه وسلم الشقيقة - وهي ضرب من الصداع شديد - فلم يخرج يومئذ ، فأخذ الراية الصديق وقاتل قتالا شديدا ، ثم رجع ولم يفتح له ! فلما كان الغداة أخذها الفاروق وقاتل قتالا أشد ثم رجع ولم يفتح له ، واستشهد محمود بن مسلمة ! فقال صلوات الله عليه : لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ، لا يرجع حتى يفتح الله له ، وقال لمحمد بن مسلمة : يفتح الله على يديه فيمكنه من قاتل أخيك !

بات أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلتهم يموجون ويختلفون ويتمنون ، فما من رجل منهم عامة ، والمقربين من رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة ، إلا تمنى أن يكون ذلك الرجل ، حتى قال عمر رضي الله عنه : ما أحبت الإمارة إلا يومئذ ، ولم لا وهذه شهادة المعصوم صلوات الله عليه ! إنها لشرف ليس وراءه شرف ، ومنزلة لا تضارعها منزلة .

ولما كان الغد بعث صلى الله عليه وسلم إلى ابن عمه علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وكان أرمداً شديداً الرمد لا يبصر ، فجيء به وقد عصب عينيه ، فقتل فيهما أو في راحته صلوات الله عليه ، ودعاه فبرأ كأن لم يكن به شيء ^(١) وكان من دعائه له : اللهم اكفه الحر والبرد ، فلم يرمد رضي الله عنه قط حتى مضى لسبيله ، وكان يلبس في الحر الشديد الثوب المحشو الثخين ، فلا يبالي ، ويلبس في البرد الشديد الثوب الخفيف ولا يبالي !

وبعد أن عقد لعل لواءه صلوات الله عليه ، وأوصاه بما يوصى به أمراء الجيش من الدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، والآنفة في القتال إلا إذا لم يكن من الجد في القتال بدت ؛ بعد هذا مضى سيف الله على بركة الله وهدى رسول الله ، ولم يزل الجيش بقيادة أميره ينتقل بإذن الله من نصر إلى نصر ، ومن فتح إلى فتح ، حتى خربت خيبر ، وساء صباح المنتصرين ...

وانجلت هذه الموقعة الكبرى عن قتل بضعة وتسعين من عدو الله وعدو الناس أجمعين ، واشتهاد بضعة عشر من سادة المجاهدين . أما الغنائم فسل عنها التاريخ . . . ولا يثبتك مثل خيبر .

وإذا حُتِّب إلينا أن نلتبس حكمة الله في الفتح على يدي على "دون صاحبيه ، وهما مقدمان في الإسلام عليه ، أصبنا من هذه الحكمة عجباً !

إن علياً من رسول الله ﷺ بمنزلة هارون من موسى كما أخبره بذلك لما استخلفه على المدينة في غزوة تبوك ... وإنه علم من أعلام أهل البيت . . . وقد خرج من المدينة وهو أرمداً ، وكان له العذر الحق أن يتخلف ، ولم يكن ليدور بخلفه أن يطمع في الإمارة أو يتناول إليها ، ولم تكن إمارته لتخطر على بال أحد ؛ وأشد ما يغيب اليهود أن يجعل الله مذلهم على أيدي المسلمين كافة ، وعلى يد النبي صلى الله عليه وسلم وأهل بيته خاصة ؛ فأراد الله

[١] من غريب المصادقات أن اكتب هذا الحديث وأنا أرمداً ، وأسلمه للمجلة وقد من الله بالشفاء .

العلی القدير أن یجمع إلى معجزة من معجزات كتابه ، آیات مبینات علی صدق نبيه وإكرام أهل بيته ، ولن ينقص ذلك كله من قدر الشیخین ومكانهما شیئا .

أما بعد ، فإن العالم كله شرقیه وغریبه یوج في هذه الأيام ویضطرب ، وللبود - قاتلهم الله - في هذا الموج والاضطراب ، مواقف فتن ، ومراحل إحسن ، ومكاید عداوة ، ولن یهدأ العالم يوما حتی یقضى علیهم فیموتوا ، وإن ساعتهم - قبل أن تقوم الساعة - لآتية لا ريب فیها ، وسیخربون بیوتهم بأیدیهم وأیدی المؤمنین آخرا ، كما كانوا یخربون بیوتهم بأیدیهم وأیدی المؤمنین أولا ، هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله . . وإن لنا إن شاء الله کرمة علیهم ثم کرمة .

وإذا قضت حکمة الحکیم العليم أن یجعل بعض الناس لبعض فتنة ، فقد قضت حکمته جل وعلا أن یجعل شر هذه الفتنة أكابر مجرميها من هؤلاء الکفرة الفجرة ، الذین قالوا سمعنا وعصینا وأشربوا فی قلوبهم العجل بكفرهم ، فلعنهم الله وغضب علیهم وجعل منهم القردة والخنازیر ، ثم نأذن لیمتن علیهم إلى يوم القيامة من یسومهم سوء العذاب .

ولا نقصد الآن إلى تفصیل أخبارهم ؛ فإنها طويلة الذیل ، وكلها شر لا خیر فیها ، وغدر لا وفاء معه ، ومکر سیی یحیی بهم کل حین ، دون أن یتعظوا أو یرعوا ، وأنی لهم ذلك وقد قست قلوبهم فیها کالحجارة أو أشد قسوة ۱۴

وإنما الذی نقصد الآن إليه ، ونستعین الله علیه ، أن یمن علی هذا العالم الإسلامی المستضعف ویرید به خیرا ، فیمنعه الجدل ، ویمنحه العمل ، ویجعل له من عدوه الأعداء واعظا ومعتبرا ، ثم یعطی الراية المحمدية رجلا أو رجلا منهم یحبون الله ورسوله ، ویحبهم الله ورسوله ، یفتح الله علی أیدیهم ، وینصرهم نصرا عزیزا مؤزرا .

والذی یدیه الخیر وهو علی کل شیء قدير ، إنه لفاعل ذلك وخیرا من ذلك ، إذا غیرنا ما بأنفسنا ، ونصحتنا الله ورسوله ، واعتصمنا بحبل الله جمیعا ۱۵

طه محمد الساکت

مقارنة

بين العدالة التشريعية في القوانين الوضعية

والرأى في التشريع الإسلامى

كلما نشط علماء الفقه الحديث في بحث القوانين الوضعية ظنوا أنهم ظفروا من أبحاثهم بآراء وأفكار تستحق الإعجاب وتثير الدهشة لطرافتها وجدتها ، وهم ليعدم عن الشريعة الإسلامية ولعدم اعتمادهم بالتعمق فيها يظنون أن الشريعة الإسلامية خالية من تلك الآراء والأفكار . وقليل منهم يقصد إلى الغوص في التراث الفقهى الإسلامى باحثاً ومنقباً عما وصل إليه التفكير الإسلامى في الميدان التشريعى . ومن اعتديت إليه من هؤلاء القليل الدكتور على بدوى في مؤلفه « أبحاث التاريخ العام للقانون » في الجزء الأول في بحث مبادئ العدالة . فقد تعرض في مؤلفه لمبادئ العدالة وتعريفها ومدى تأثيرها في القانون الرومانى ، والقانون الانجلوسكسونى .

وبعينا من هذا البحث معرفة العدالة التى اصطلح عليها الباحثون في القانون ومقابلتها بالرأى عند علماء الفقه الإسلامى ، فتراه يعرف العدالة بأنها « القواعد القائمة إلى جانب قواعد القانون الاصلى مؤسسة على وحى العقل ، والنظر السليم ، وروح العدل الطبيعى بين الناس . والى ترمى إلى تعديل قواعد القانون أو أن تحل مكانها بفضل ما فيها من القوة المعنوية المستمدة من سمو مبادئها .

وقد عمت هذه الوسيلة الشعوب التى تطورت شرائعها في العصور القديمة واستقت مبادئها من مصدر واحد وهو العقل ، وشعور العدل في النفس ، ولكن هذا المصدر اتخذ باختلاف الشعوب صوراً مختلفة : فقد كان مصدر العدالة عند الرومان « قانون الشعوب » ، وكان مصدرها عند اليونان « قانون الطبيعة » ، ثم أصبح هذا القانون الطبيعى صورة لمصدر العدالة عند الرومان منذ بدء العصر العلى ، وكان مصدرها عند الإنجليز ضمير الملك .

أما مصدر العدالة في الشريعة الإسلامية عند الكتاب والسنة والإجماع فهو العقل وحكمة التشريع في الإسلام . ولما ظهرت في الإسلام حالات جديدة لم يرد عليها نصوص خاصة في الكتاب والسنة ، اعتمد الفقهاء على قياس غير المنصوص على ما ينطبق عليه مما ورد فيه النص ، وقد وصل المجتهدون والفقهاء في خلال عصور الشريعة الإسلامية إلى أسمى وأعظم وأحكم مما وصل إليه فقهاء الرومان من مواجهة الحالات الجديدة ، بنشاط فقهى أفضى إلى تعديل بعض القواعد الفقهية : إما بتوسيع نطاقها أو بتخصيص حكمها أو بإضافة مبادئ جديدة إليها تبعاً لظهور المجتمع والعمور بالعدالة النفسية ، وتلك العدالة قد أرشد إلى مبادئها العقل وحكمة التشريع المستمدة من روح النصوص ومعانيها ومن تطور الحياة الاجتماعية ونمو العرف والمادة التي أطبق فقهاء الإسلام على اعتبارها والظر إليها عند استنباط حكم الحادثة التي جمدت في الحياة الاجتماعية الإسلامية . وقد أطلق على هذا الأسلوب وتلك الطريقة في الشريعة الإسلامية اسم « الرأي » . وبدأ العمل به من عهد الخلفاء الراشدين بل من عهد النبي ﷺ كما يرى ذلك الإمام ابن القيم ، فأصبح مصدراً من مصادر الأحكام الشرعية ، وبمرور الزمن وتحدد الحوادث والوقائع اتسعت دائرته في العصور المتتالية تبعاً لتجدد أحوال الناس التي تبعها نمو وازدياد في الأحكام الفقهية .

ونحن في هذا المجال إذ وصلنا إلى الميدان الفسيح في التشريع لا نرى حاجة إلى التذلل على الكثرة الغالبة من الأحكام الشرعية التي ثبتت بالقياس ، فبطون الكتب الفقهية من جميع المذاهب المختلفة مليئة بالأحكام التي أنبتها الفقهاء الإسلاميون بأرائهم واجتهادهم معتمدين تارة على قياس الأحكام عن طريق قياس غير المنصوص على المنصوص ، وتارة أخرى على قواعد عامة استنبطوها من روح التشريع الإسلامي وذلك مثل القواعد الإسلامية « لا ضرر ولا ضرار » ، « كلما ضاق الأمر اتسع » ، « أروا كتاب أخف الضررين » ، « من تعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرماته » ومعتمدين أحياناً على قاعدة المصالح المرسلة واستصحاب الأصل ونحوهما . وتمتاز قواعد العدالة ومبادئها في الشريعة الإسلامية عن غيرها من القوانين الوضعية بأنها لم تنشأ مفصلة عن أحكامها الشرعية ، وإنما بدأت من عهدنا الأول متدججة في أصول الشريعة وأحكامها بصفتها جزءاً منها غير مستقل .

والرأي أقسام ثلاثة : أولها وأكثرها استعمالاً مستمد من روح المبادئ المنصوصة

في القرآن والسنة ، وقياسا على الأصول والأحكام الواردة فيها ، ويطلق على هذا القسم القياس . وثانها : الرأي الصادر عن جماعة المسلمين وأولى الحل والعقد منهم وهو الإجماع ، وثالثها : ما يكون مجرد اجتهاد غير مستند لقياس ولا إجماع .

وأبرز الصحابة وأكثرهم استعمالا للرأي بجميع أقسامه عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فقد حدثت أيام خلافته حوادث جديدة ومشاكل اجتماعية خطيرة لم يسبق وجود نص لها ، فاقنضت غيرته على المصلحة العامة وشجاعته في الحق أن يثبت أحكاما لهذه المسائل : فقد أغنى السارق من قطع يده في عام المجاعة ، وأوقع القصاص على من قتلوا واحدا ولو كثروا عددهم ، وأن يمنع المؤلف لقلوبهم عن نصيبهم في الزكاة ، لأن الله أعز الإسلام وأغنى عنهم . وقرر أن تبقى الأراضي المفتوحة عنوة بأيدي أهلها مع ضرب الخراج عليهم دون أن تقسم الأراضي على الغزاة باعتبارها غنائم .

من ذلك يرى أن العدالة الاجتماعية والرأي لفظان مترادفان يدلان على معنى واحد ، وقد وجد هذا المعنى في الشريعة الإسلامية كما وجد في غيرها من الشرائع الحية الراقية التي يفخر بمبادئها علماء التشريع الحديث . ونحن واقفون من أن الشريعة الإسلامية بذت كل عنصر من عناصر الحياة التشريعية للأمم الراقية المتحضرة مهما بلغت حضارتها ومهما كان تقدمها وارتقاؤها .

والشريعة الإسلامية لا يضيرها تقصير الباحثين وعدم وقوفهم على كنوزها وما فيها من عناصر القوة في العدالة والمرونة في التشريع ، وصلاحياتها لكل زمان ومكان ، وهي جديرة بأن تمثل بقول الشاعر العربي :

ما ضر شمس الضحى في الأفق طالعة أن لا يرى ضوءها من ليس ذا بصر

عبد الله مصطفى المراغى

المصلحة في التشريع الاسلامي

يعد موضوع : « المصلحة في التشريع الإسلامي » ، من الموضوعات المجهولة لكثير من عامة المسلمين ، لأن البحوث التي وضعت فيها قليلة ونادرة ، ولا تزال هذه « المصلحة » بحاجة إلى مزيد من الحديث الواسع المفصل عنها ، حتى يستبين لجمهور القارئ في المكتبة الإسلامية : ما هي المصلحة ؟ وما مدى مراعاتها ؟ وما هي شروطها ومواطنها ؟ وما موقفها من أدلة الكتاب والسنة والإجماع والقياس ... الخ .

ولذلك كان من الخير أن يتجه أخى البجاة الأستاذ مصطفى زيد المدرس بكلية دار العلوم إلى دراسة هذا الموضوع من جهتين : من جهة عرضه ويبحثه في نفسه ، ومن جهة التعرف إلى مذهب نجم الدين الطوفي المتوفى سنة ٧١٦ هـ في المصلحة ؛ وقد وضع في ذلك رسالة قدمت إلى كلية دار العلوم ، للحصول بها على درجة الأستاذية في الشريعة الإسلامية ، وقد تولت مناقشتها علنا في مساء السبت ٢٨ من شعبان سنة ١٣٧٣ هـ (أول مايو سنة ١٩٥٤ م) لجنة من السادة الأساتذة محمد الزقزاق ومحمد أبو زهرة وعبد العظيم معاني ، ونال بها صاحبها درجة الماجستير (الأستاذية) في الشريعة الإسلامية ، بتقدير ممتاز مع درجة الشرف الأولى .

وقال فضيلة الأستاذ محمد أبو زهرة عن هذه الرسالة : « وإنى لأشهد أني عندما ابتدأت أقرأ الرسالة بشعبيتها - أحسست بأن أقرأ لكاتب قد استولى على موضوعه ، ورسم طريقه ، وحد حدوده ... يوغل أحيانا في سيره ، ويرفق أحيانا ، وهو في إيغاله ورقفه عليم بأعلام الطريق وصواه ، قد يتعثر عندما يوغل ، ولكنه لا يلبث إلا قليلا حتى يقيله الله من عثرته ، فيسترد قواه ، ليسير في الطريق الجدد إلى أقصى مداها » .

وأريد أن ألقى على هذه الرسالة التي نشرت منذ حين نظرات ألحظ فيها بعض الملاحظات ، ويشجئني على ذلك أخوتي للباحث الفاضل ، ووفقى بتواضعه وإخلاصه للبحث ، ورغبته في الوصول إلى الحقيقة ، وهو الذي يقول في ختام تقديمه لكتابه : « أما أنت أيها القارئ الكريم فهذه رسالتي أقدمها إليك ... لا أدعي أنها مبرأة من العيوب ، فإني لا أجد قد يصحبه التوفيق وقد يخطئه ؛ لكنني حاولت ما استطعت أن تضيف إلى العلم جديدا ، وأن تضع رعاية المصلحة حيث ينبغي أن توضع بين أصول الشريعة الإسلامية ... تلك الشريعة التي أراد الله لها أن تكون عامة دائمة ، ليعملها صالحة لكل زمان ومكان ، وجعل رعاية المصلحة من أسس هذه الصلاحية فيها وإحدى دعائمها ، فإن أكن قد وفقت فيها حاولت فلا وحده الفضل ، »

وتتجه ملاحظاتي إلى تعليقات الباحث على « رسالة الطوفي في المصلحة » التي جعلها ملحقا لكتابه ، وأول ما ألاحظه هنا أن الباحث اعتبر النسخ التي اعتمد عليها في نشر الرسالة أربع نسخ ، مع أنها في الواقع نسختان خطيتان ، هما الموجودتان بالخزانة التيمورية ؛ وأما الثالثة فهي مطبوعة الشيخ جمال الدين القاسمي ، والرابعة صورة مطبوعة مطابقة لمطبوعة القاسمي نشرتها الممار ، وهما منقولتان في الأصل عن نسخة مخطوطة عام ١٧٥٦ هـ ، وأظن أن هناك فرقا كبيرا في النشر بين الاعتماد على النسخة الخطية وبين المطبوعة ، ولو أن الناشر رجع إلى أصل المطبوعتين لكان ذلك أقوم وأقيم .

ويمكن قبل أن نمضي في الملاحظات أن نتفق على أشياء : منها أن النص المخطوط يجب احترامه واعتباره ما دام له وجه يصححه ويجعله مقبولا ، وأن التخطئة لا تأتي إلا عند الجزم بعدم وجود وجه لتصويب ، وأن الناشر إذا تعددت أمامه النسخ يختار من بينها أدقها وأصدقها ، ويجعلها أساس النشر ، ثم يعلق عليها بما يرامى له من مقارنة أو إصلاح . ويظهر لي أن أخى الباحث المفضل خالف هذه القواعد في مواطن من تعليقاته على رسالة الطوفي ، وأعتقد أن ذكر هذه المواطن مما يرضيه ، وهو رجل حقيقة يبحث عنها أني وجدها ...

جاء في ص (١٦) من رسالة الطوفي عند ذكر أدلة الشرع هذه العبارة : « ... وعاشرها الدعوات » ، وعلق الناشر على ذلك بقوله : « هكذا ذكر الدليل في (١ ، ب) أما في (ج ، د)

فقد ذكر بلفظ : العادات ، ولست أدري لماذا لم يفرق الناشر هنا بين العوائد والعادات ، ولماذا لم يختار كلمة العادات لأنها المناسبة هنا . فالعوائد هي الفوائد ووجوه الإحسان . والعادات هي ما يعتاده الناس .

وفي ص (١٧) يواصل الطوفي ذكر أدلة الشرع فيقول : « الثامن عشر إجماع العترة ، ويعلق الناشر بقوله : « زادت في (ج ، و) : عند الشيعة ، ووقف . وكان يحسن أن يزيد فيذكر أن العترة هم الشيعة ، أو يذكر ما بينهما من عموم وخصوص . جاء في أساس البلاغة : « وعترة النبي صلى الله عليه وسلم عبد المطلب ، وكل عمود تفرعت منه الشعب فهو عترة ، وأغصان الشجرة عترتها : عمود الشجرة . وفي المعين : عترة الرجل أقرباؤه من ولده وولد ولده وبنى عمه دثيا : وفي حديث أبي بكر : نحن عترة رسول الله ويهضته التي تفقت عنه ، » (١) .

وفي ص (١٦) جاءت العبارة : « ورابعها إجماع أهل المدينة ، ويعلق الناشر بأنه أضاف كلمة (أهل) ؛ وأنا لأرى ضرورة لإضافتها إلى نص يجب أن تكون له حرمة ، فإن قولنا : « إجماع المدينة ، واضح الدلالة على أن المراد أهل المدينة ، على حد قوله تعالى : « وأسأل القرية : « واللغة مبنية في صورها البليغة على الإيجاز والاختصار .

وفي ص (١٧) كان في أصل الرسالة هذه العبارة : « ثم إن قول النبي ﷺ : « لا ضرر ولا ضرار ، يقتضي رعاية المصالح إثباتا ونفيا ، إذ الضرر هو المفسدة ، فإذا نفاهما الشرع لزم إثبات النفع الذي هو المصلحة ، لأنهما تقيضان لا واسطة بينهما ، . كان هذا هو الأصل ، فزاد الناشر كلمة المفاسد ، وجعل العبارة هكذا : « ... يقتضي رعاية المصالح إثباتا والمفاسد نفيا ، ولما وصل إلى كلمة (نفاهما) رجع تذكير الضمير ورجعه إلى كلمة الضرر .

وعبارة الطوفي يمكن إبقاؤها كما هي دون فسادها ، ويكون الضمير راجعاً إلى المصلحة ، لأن الشارع الحكيم قد بنى مصلحة قليلة لرعاية مصلحة عامة كبيرة ، أو يكون المعنى أن الشارع يلاحظ المصالح ويراعها في حالي إثبات الخير ونفي الشر ، دون تقييد الإثبات

والنفي بالمصالح وحدها؛ وقد كان من الخير الناشر لو أنه ذكر رأيه في تعليقه مع إبقاء النص على ما هو عليه .

وفي ص (١٩) يتحدث الطوفي عن المصلحة فيقول في الأصل : « وأما حدها بحسب المعرفة ، فيصلحها الناشر ويجعلها « العرف » ، ويعلق بقوله إن « العرف » ، جاءت في نسخة (١) وهو خطأ واضح . ولماذا يجعلها الناشر خطأ واضحاً ، بينما هناك احتمال لصحة « العرف » ، فهي كما تقول اللغة مصدر عرف ، فهي بمعنى المعرفة ، وأصل العرف هو المعرفة ١٤ .

وفي ص (٢١) جاءت عبارة : « وحجة الثاني أن كل من فعل فعلاً ... » . زاد الناشر من عنده (الوار) قبل كلمة (حجة) مع أنها غير موجودة في المخطوطتين ، والمقام لا يستلزمها ، لإمكان اعتبار الكلام مستأنفاً .

وفي ص (٢١) أيضاً هذه العبارة : « حجة الأولين أن الله عز وجل متصرف في خلقه بالملك فلا يجب عليه شيء ، ولأن الإيجاب يستدعي موجبا أعلى ، ولا أعلى من الله عز وجل » . فيصلحها الناشر : « ... وأن الإيجاب ... » ، ويعلق قائلا : « في النسخ الأربع : ولأن ، والسياق يقتضي حذف اللام ليتمكن العطف على (أن الله) قبله ، . ولماذا يقتضي - أى يستوجب - السياق ذلك ؟ ولماذا لا يكون من عطف الجمل المستقلة مع التصرف في التعبير ؟ وخصوصاً أن النص وارد في مراجع الناشر الأربعة ... »

وفي ص (٣٠) كان في أصل الرسالة هذه العبارة : « وجه الاستدلال به أنه ورد بالفاظ كثيرة وروايات متعددة بمبلغ التواتر المعنوي » ، فأصلحها الناشر هكذا : « ... وروايات متعددة بلغت درجة التواتر المعنوي ، وقال : « وقد آثرت تصحيحها هكذا ، . وأقول : ولماذا هذا التصحيح والأصل صحيح ، والتقدير : وروايات متعددة هي كاتبة بمبلغ التواتر ، ومثل هذا التعبير في العربية كثير ... »

وفي ص (٣١) ورد الحديث : « يد الله على الجماعة » ، فأصلحه المؤلف هكذا : « يد الله مع الجماعة » ، ونبه على ذلك الإصلاح في الهامش ، والأصل صحيح لا يحتاج إلى إصلاح ، فرواية الأزمدى للحديث هي : « يد الله على الجماعة » ، وإحدى روايتي الطبراني كذلك :

« يد الله على الجماعة » . وهناك رواية ثالثة للطبراني هي : « يد الله مع الجماعة ، والشيطان مع من فارق الجماعة يركض » .

وفي ص (٣٣) كان أصل الرسالة قد ذكر الحديث : « من مات تحت راية عمية مات ميتة جاهلية » فأصلح الناشر كلمة « عمية » وجعلها « عصية » ، وعلق في الهامش بقوله : « رسمت هذه الجملة - لعله يعني الكلمة - هكذا : عمه » .

وأقول إن كلمة (عمه) هذه هي (عمية) نالها قليل من تحريف الخط ، وفي النهاية لابن الأثير جاء الحديث : « من قتل تحت راية عمية فقتلته جاهلية » قيل هو فعيلة من العاه وهو الضلالة ، كالقتال في العصية والأهواء ، وحكى بعضهم فيها ضم العين ^(١) .

وفي ص (٣٨) جاء في أصل الرسالة : « أن أحمد كان أحفظ لسنة » ، فأصلح الناشر كلمة (لسنة) وجعلها (للسنة) بلامين ، وعلق بقوله : « في الأصل : لسنة » بدون اللام وهو تحريف . ومن قال إنه تحريف ؟ ... ألا تقول : هو أحفظهم لقرآن ، وأرعاهم لسنة ، وأصفاهم لصديق ، وأحرصهم على صلاة ... ؟ »

وفي ص (٣٩) جاءت العبارة : « ومنها قوله لعائشة : (لولا قومك حديثو عهد بسلام لهدمت الكعبة على قواعد إبراهيم) وهو يدل على أن بناءها على قواعد إبراهيم هو الواجب في حكمها ، فتركة لمصلحة الناس » . مكذا نشرت العبارة ، وعلق الناشر بقوله : « في الأصل لمصلحة التتالف » وهو قد أصلحها بقوله : « لمصلحة الناس » وظنى أن محجة العبارة هي : « لمصلحة التآلف » أو لقصد تألف القلوب .

• • •

هذه ملاحظات لم أرد بها عيباً ولا شيناً ، ولكنني أردت بها المشاركة في البحث عن الحقيقة ، ولعل لإيرادها مظهر من مظاهر العناية بموضوعها ، وإني لوائق من أن الأخ البجاعة المفضل يسره أن يعرف الحق فيستمسك به ، وقد يكون من الخير تذكر هذه الملاحظات عند العودة إلى طبع هذه الرسالة التي أعتبرها مجوداً علياً يفخر به صاحبه ، ويفرح له محبوه ؟

أحمد الشرباصي

المدرس بالازهر الشريف

فتح الفتوح في الاسلام

في مثل هذا الشهر من العام الماضي كتبت مقالا بعنوان « شهر الذكريات الخالدة » عرضت فيه لذكرين حبيبتين إلى القلوب المؤمنة : ذكرى نزول القرآن ، وذكرى غزوة بدر . وبقيت الذكرى الثالثة ، ذكرى فتح مكة بلد الله الحرام التي بها تم النصر ، ودخل الناس في دين الله أفواجا ، وقد وعدت القراء الأفاضل بالكتابة في ثالثة الذكريات في مناسبتها ، وهأنذا أفى بما وعدت ، ومن الله التوفيق والفتح .

في السنة السادسة من الهجرة أراد النبي ﷺ ومحبته أن يعتمروا ، فقدم المشركون عن البيت ، وكانت (بيعة الرضوان) التي بايع فيها المسلمون النبي ﷺ على الموت ، ثم كان ما كان من (صلح الحديبية) الذي اتفق فيه الطرفان على المهادنة وعدم الاعتداء ، وكان من شروط الصلح أن يرجع النبي ﷺ وأصحابه من عامه هذا ثم يأتوا في العام القابل فيدخلوا مكة معتمرين ليس معهم من السلاح إلا السيوف في القرب ، وأن من أراد أن يدخل في عهد النبي ﷺ فيدخل ، ومن أراد أن يدخل في عهد قريش فليفعل . فدخلت خزاعة في عهد رسول الله ، ودخلت بنو بكر في عهد قريش . وقد وفي النبي ﷺ والمسلمون بما عاهدوا عليه قريشاً حق الوفاء ، لكن لم تلبث بنو بكر - حلفاء قريش - أن أغاروا على خزاعة حلفاء رسول الله ﷺ وأخذوهم بقتة وهم على ماء لهم ، وأعانهم على غدرهم رجال من قريش . فسا كان من خزاعة إلا أن أرسلوا رسولا إلى نبي الله يخبره خبر ما جرى ، ويستنصره على هؤلاء الذين غدروا بهم ، فلم يجد رسول الله ﷺ بدا من أن يجيبهم إلى ما طلبوا . فها هي قريش قد نقضت عهدها ، وظهرت حلفاءها على حلفائه ، وها هم حلفاؤه جاءوا يستنصرون به . وتبين رسول الله ﷺ أن مهادنة قريش كانت على دخن ؛ لذا فلتفتح مكة أم القرى التي هي من الجزيرة العربية بمنزلة القطب من الرحي ، وفيها السكبة المشرفة التي تنفخ إليها قلوب العرب قاطبة ، ويتوجه إليها المسلمون في صلواتهم ودعائهم .

وأحست قريش بسوء صنيعها وخافت مغيبته ، فأرسلت كبيرها أبا سفيان بن حرب

إلى المدينة كي يستوثق من العهد ويمد في الأجل ، فدخل على ابنته أم حبيبة زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم يلتمس عندها العون على ما جاء من أجله ، ولكنه وجد منها أمراً عجيباً خيب ظنه ، ذلك أنه ذهب ليجلس على فراش رسول الله ، فطوته عنه . فقال : يا بنية ، ما أدري ، أرغبت بي عن هذا الفراش ، أم رغبت به عني ؟ . فقالت : هو فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنت مشرك نجس ، فلم أحب أن تجلس عليه . فخرج وهو يقول : والله يا بنية لقد أصابك بعدى شر . ثم ذهب إلى رسول الله فسلمه ، فارد عليه شيئاً ، وحاول أن يستشفع بأبي بكر وعمر وعلى رضى الله عنهم عند رسول الله فما وجد عند أحد منهم ما يعينه على ما يريد ، بل أغلظ له الفاروق عمر في القول وأنبذ به بالشر . وما كان لي أن أمر بقصة أبي سفيان مع ابنته من غير أن أستخلص منها العبرة . وإن الإنسان ليلتمس السبب فيجده في الإيمان القوى الذي يحب الله ويغضه ، ويقول الحق ولو كان مرا ؛ وفي صنع السيدة أم حبيبة وأمثالها - وما أكثرهم - معنى قول الله تعالى : « لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه » الآية ٢٢ من المجادلة . واستنفر رسول الله ﷺ الأعراب الذين حول المدينة وقال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحضر رمضان بالمدينة . فاجتمع من قبائل أسلم وغفار وهزينة وجهينة وأشجع حشد كثير . وكان من سياسة رسول الله صلى الله عليه وسلم الموقفة إخفاء خبر الفزو عن أهل مكة حتى لا يستعدوا فتكون الملحمة شديدة ، وما للمسلمين حاجة إلى إراقة الدماء . وكانت أمنية الأمانى عند رسول الله أن تفتح مكة من غير أن يراق دم ، فتبقى للبلد قداسها وحرمتها . وليس أدل على ذلك من دعائه - عليه الصلاة والسلام - ربه ومولاه بقوله : « اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبقثها في بلادها » .

سار الجيش اللجب الذي بلغ تعداده عشرة آلاف مجاهد في رمضان من السنة الثامنة ميمًا وجهه شطر مكة ، يحذوه إعزاز دين الله ونصرة حلفاء رسول الله ، وشهدت الصحراء هذا الجيش المؤمن الموحد الذي لم تر له مثيلاً من قبل . وامتلأت جوانبها باسم الله الأكبر . وفي الطريق إلى مكة التقى الرسول ببعض أهل بيته منهم عمه العباس رضى الله عنه ، فأسلوا وحسن إسلامهم ، وما زال الجيش يقذف السير : منهم الصائم ومنهم المفطر حتى بلغ مر الظهران ، وهناك أوفدت عشرة آلاف ثائر ، فارتفعت رسل قريش من هول ما رأوا ، وكان من الرسل أبو سفيان بن حرب ، وكان العباس عم رسول الله قد ذهب يتجسس الأخبار ، فعرف صوت

أبي سفيان وهو يتحدث مع من كانوا معه ، لحمله ورائه حتى أتى به إلى رسول الله وهو وراهما يستأذن رسول الله في قتله ، ولكن رسول الله لم يأذن له وقال : « اذهب به يا عباس إلى رحلك ، فإذا أصبحت فأنتى به ، وفي الصباح غدا به إلى النبي ﷺ فعرض عليه الإسلام .

وبعد مجادلة شهد شهادة الحق وأسلم . وأراد رسول الله ﷺ أن يريه عزة المسلمين وقوتهم ليخبر من وراه من قومه ، عسى أن يكون في هذا أن ترفع قريش راية الاستسلام ، ويفتح البلد الأمين من غير أن تراق الدماء . فقال للعباس : احبس أبا سفيان عند خطم الجبل حتى ينظر إلى جنود الله ، لحملت الكتائب تمر به كتية كتية ، وكلما مرت كتية سألت عنها فيجيبه العباس ، حتى مرت الكتية الخضراء التي فيها رسول الله يحف به سادات المهاجرين والأنصار ، لا يرى منهم إلا الحدق من الحديد ، فلم يلبث الرجل أن قال - وقد هاله ما رأى - : « يا عباس ، ما لأحد بهؤلاء قبل ، واه - يا أبا الفضل - لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداة عظيما ، فقال له العباس : إنها النبوة . قال : فنعن إذن . وكان سعد بن عباد الانصارى لما مر بأبي سفيان قال له : يا أبا سفيان « اليوم يوم الملحمة ، اليوم تستحل الكعبة ، فلما أخبر رسول الله بمقالة سعد قال صلى الله عليه وسلم : « كذب سعد ، ولكن هذا يوم تعظم فيه الكعبة ، وأمر بالراية فأخذت من سعد وأعطيت لابنه قيس .

وكان العباس على علم بنفسية أبي سفيان ، فقال للنبي : إن أبا سفيان رجل يحب الفخر ، فاجعل له شيئا ، فقال رسول الله الخبير بالنفوس : نعم « من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن ، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن » . فانطلق أبو سفيان إلى قومه يصبح فيهم بأعلى صوته : يا معشر قريش ، هذا محمد قد جاءكم فيما لا قبل لكم به ، من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن ، ومن أغلق بابه فهو آمن . وقد كان لهذا أثره في نفوس القرشيين ، وعصمت بسببه دماء كثيرة في هذا اليوم المشهود .

ولم يفت النبي ﷺ - وقد أصبح على أبواب مكة التي حرمها الله يوم خلق السموات والأرض - أن يوصيهم بأن لا يقاتلوا أو يسفكوا دما إلا إذا أكرهوا على ذلك إكراهًا واضطروا إليه اضطارا . ودخل خالد بن الوليد ببعض الجيش من أسفل مكة ، فلم يجد إلا مقاومة من قلة ضئيلة استجابت لنزوات الشباب وحمية الجاهلية ، وكانت نتيجة المناوشات أن قتل من جيش خالد اثنان ومن المشركين بضعة عشر رجلا .

ودخل النبي صلى الله عليه وسلم ببعض الجيش من أعلى مكة من غير مقاومة ولا إراقة

دم ، ونصبت له رايته على الحجون ، وضربت له هناك قبة ، وبذلك صدق الله رسوله وعده ودخل مكة منتصراً . وكان من فرط شكره لله سبحانه وتواضعه أن دخل مطأطأاً رأسه حتى لتكاد جهته تمس الرحل . وكان هذا الفتح الميمون في صبيحة يوم الجمعة لعشرين خلت من رمضان سنة ثمان من الهجرة .

ولأنه لما يسجل للمسلمين في سجل الخلود بسطور من نور أن لا تزهد إلا أرواح بضعة عشر رجلاً أعلنوا العصيان في فتح بلدكمكة ، ذاق المهاجرون من أهله ألوان الظلم والاضطهاد وسيموا سوء العذاب ، ولكنهم النفوس المؤمنة سرعان ما تنسى الإساءة ، وتستجيب لداعي الرحمة والعفو والصفح الجميل .

فلما استراح النبي صلى الله عليه وسلم قليلاً بقبته التي ضربت له على الحجون سار بين شيوخ المهاجرين والانصار حتى المسجد الحرام وطاف بالبيت سبعا وهو على راحلته يستلم الحجر بحجر في يده ، وكان على الكعبة ثلثمائة وستون صنفاً فصار يشير إليها بعود في يده وهو يقرأ : « جاء الحق وما يبدى الباطل وما يعيد ، فصارت تنهارى وتقطع . ثم طلب مفتاح الكعبة من عثمان بن طلحة حاجبها فنأوله لرسول الله ، ودخل الكعبة وكبر في جوانبها وطهرها عما كان بداخلها من الصور والتمائيل ، وكان بعض بني هاشم قد طمع في مفتاح الكعبة لتكون لهم سداة الكعبة مع سقاية الحاج ، ولكن السيد الأمين صلوات الله وسلامه عليه أبى وقال : أين عثمان بن طلحة ؟ جاء فنأله إياه وقال له : « هذا يوم وفاء وبر . »

ثم جلس النبي ﷺ بالمسجد الحرام بعد ما صلى بمقام إبراهيم وشرب من ماء زمزم حتى تضرع ، وحيون أهل مكة شاخصة إليه والقلوب واجفة منه ، وتجمعت في رموس أهل مكة الذكريات المؤلمة ، ذكريات ثلاثة عشر عاماً كلها اضطهاد وتشريد وإبذاء للنبي صلى الله عليه وسلم والمهاجرين من صحابته ، وكانت خاتمة الاضطهاد أن أخرجوهم من ديارهم وأهليهم وأموالهم ، فلا عجب أن كانت أنفاسهم تنقطع من الخوف ، وأطل التاريخ برأسه على وادي مكة ليرى ماذا يصنع الرجل المظلوم المنتصر ؟

ولكن السيد العفو الرؤوف الرحيم ذا الخلق العظيم أخلف الظنون ، فقام على باب الكعبة خطيباً ، وكان عما قال : « يا مشركريش ، إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظيمها بالآباء ، كلكم من آدم وآدم من تراب . » بأبها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم

شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم . ثم قال : يا أهل مكة ، ما تظنون أنى فاعل بكم ؟ قالوا : أخ كريم وابن أخ كريم . فقال : اذهبوا فأنتم الطلقاء . فاستعبرت العيون فرحاً ، وأقبلوا على رسول الله تائبين مسلمين لله رب العالمين .

ولم يهدر رسول الله إلا دم جماعة قليلة من عظمت جرائمهم ، واشتد إيذاؤهم له وللمسلمين ، ومع هذا ففهم من جاء مسلماً طالباً العفو فغفاه ، ومنهم من أبى الانقياد فحقت عليه كلمة العذاب .

وإن النفوس المنصفة التي لا تفشد إلا الحق لتجد لزماً عليها أن تقف هنا لحظات ، لتسجل فيها هذا المثال العالى الفريد في باب العفو والتسامح الذي لا تجد له مثيلاً في تاريخ الدنيا ، وما هو القرن العشرون - قرن النور والحرية والمثل الانسانية كما يزعمون - قد شهد حربين عالميتين ، وكلتا يعرف ماذا أنزل الغالب بالمغلوب من سلب وقتل وتخريب وتدمير وإذلال واغتصاب لحقوق الإنسان التي طالما طعنوا بها وعقدوا لها المؤتمرات ولبسوا بها على السذج من بنى الإنسان ، لقد أصبح شعار المنتصر في عصرنا هذا العبارة السائرة « ويل للمغلوب ، فأين ما يفعله المنتصرون في قرنه العشرين من مخاز يندى لها جبين الإنسانية ، مما صنعه نبي الله محمد بن عبد الله قبل أربعة عشر قرناً ؟ !!!

وبفتح مكة استؤصلت الوثنية ورسد قواعد التوحيد والإسلام في الجزيرة العربية ، ودخل الناس أفراجاً في دين الله ، حتى أضحت الجزيرة على دين واحد وعلى قلب رجل واحد ، وأصبح أهلها أهلاً لخل رسالة الإسلام وإشاعة نوره في كل مكان . لقد كان لفتح مكة آثار بعيدة المدى ، فقد أصبح البيت الحرام رمز التوحيد والوحدة والأمان ، وقضى على عبادة الأوثان . ومن يومها وداعى الله من بيت الله يرفع صوته مجلجلاً في الأجواء بأنه « لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله » وسيستمر إلى ما شاء الله .

ولم يكد يمضى قرن من الزمان منذ الفتح حتى بسط الإسلام لواءه على المعمورة حيثئذ ، ونعم العالم بدين الحق والعدل والخير والسلام ، وضرب المسلمون في معاملة الأمم المغلوبة مثلاً عالياً من التسامح والعفو والرحمة استمدوها من أخلاق صاحب الرسالة العظمى ، ولا سيما في يوم الفتح . ولعلك - أيها القارئ الكريم - قد آمنت معى بأن فتح بلد الله الحرام هو فتح الفتح في الإسلام ؟

محمد محمد أبو شربة
الاستاذ بكلية أصول الدين

النظم التى يقوم عليها

كيان المجتمع الاسلامى

والاعتمادات الماسة بهذه النظم

تشارك الجماعات - مهما اختلفت على المبادئ أو اختلفت عليها العصور - فى أنظمة أساسية يقوم عليها كيان الجماعة . وإذا ألقينا نظرة على كل الأنظمة التى تقوم عليها الجماعات فى العالم وجدنا أن كل الجماعات تشارك فى أربعة أنظمة ، تعتبر الدعائم التى يقوم عليها كل مجتمع على سطح الأرض . وهذه الأنظمة هى :-

- ١ - نظام الأسرة .
- ٢ - نظام الملكية الفردية .
- ٣ - النظام الاجتماعى للجماعة .
- ٤ - نظام الحكم فى الجماعة .

أولاً - نظام الأسرة : الجماعة ليست إلا مجموعة من الأفراد . وهذه المجموعة تتكون من عدة أسر . ولا شك أن الأسرة نتيجة لوجود الرجل والمرأة وقدرتهما على التناسل . وهذا الفسل فى حاجة إلى من يعوله حتى يبلغ أشده ، ولذا اقتضى الحال أن يستأثر كل رجل بامرأة معينة ، وأن ينسب إلى نفسه من تلده من الأبناء ، وهكذا اقتضى وجود الرجل والمرأة وجود نظام الأسرة ، وصار هذا النظام أساساً تقوم عليه كل جماعة .

ثانياً - نظام الملكية الفردية : والإنسان فى حاجة دائمة إلى المأوى والمأوى والملبس والمشرب وأدوات السعى لهذه ولغيرها من الحاجات والمنافع دفعت إلى تملك هذه الأشياء والاستئثار بها دون غيره من الناس لنفسه أولاً ولاسرتة بعد أن اقتضى الحال وجود نظام الأسرة ، وهكذا وجد نظام الملكية الفردية .

وإذا كانت المبادئ الاشتراكية والشيوعية تنادى بالملكية الجماعية وتؤثرها على الملكية الفردية ، فإن غلاة المعتنقين لهذه المبادئ لم يتمكنوا من إلغاء الملكية الفردية إلغاء مطلقاً ،

لأن هناك من الممتلكات الفردية ما تقتضى الطبيعة وجوده والمحافظة عليه ، فكل إنسان في هذا العالم يجب أن يملك طعامه وكسائه ومسكنه وأداة عمله ورزقه ، وإلا استعالت عليه الحياة .

ثالثاً — النظام الاجتماعي للجماعة : وقد اقتضى نظام الأسرة ونظام الملكية الفردية الاعتراف بشخصية الفرد وحرية وحقه في حماية نفسه وأسرته وماله ، ولكن ضعف الفرد وكثرة حاجاته وقلة وسائله وحاجته إلى التعاون مع غيره كل ذلك دعا إلى تكوين الجماعة .

وتكوين الجماعة يقتضى بطبيعته أن يكون للجماعة نظام اجتماعي تقوم الجماعة على مبادئه ، ويبين حقوق الأفراد وواجباتهم ، والنظام الاجتماعي للجماعة يختلف باختلاف الجماعات . فالجماعات الإسلامية نظامها الاجتماعي يقوم على مبادئ الإسلام ، والجماعات غير الإسلامية يقوم نظامها الاجتماعي على أساس الاشتراكية أو الشيوعية أو الرأسمالية أو غير ذلك من الأنظمة الاجتماعية .

رابعاً — نظام الحكم في الجماعة : كذلك اقتضى تكوين الجماعة أن يقوم فيها نظام للحكم يصرف شئونها ويسهر على مصالحها ونظامها الاجتماعي ويوفر الأمن لها في الداخل والخارج ، ونظام الحكم يختلف باختلاف البلاد . ففي بعض البلاد يكون الحكم جمهورياً وفي بعضها ملكياً إلى غير ذلك ، وهكذا وجد نظام الحكم وكان وجوده نتيجة ضرورية لوجود الجماعة نفسها .

هذه هي الأنظمة الأربعة التي يقوم عليها كيان المجتمع ، وكل مساس بها يمس المجتمع في أصل وجوده ويهدم أهم مقوماته ، ولذلك حرصت الشريعة الإسلامية الفراء على أن تحمي هذه الظم من كل اعتداء ، لأن في حمايتها بقاء الجماعة وصلاحياتها للبقاء ، ولأن كل تهاون في حمايتها يؤدي إلى انحلال الجماعة وسقوطها .

الاعتداءات المساسة بهذه النظم : وقد قصت الشريعة الإسلامية الاعتداءات الخطيرة التي يمكن أن تمس هذه الأنظمة فوجدتها تهمصر في جرائم الحدود وجرائم القصاص والدية ، وهي الزنا والقذف وشرب الخمر والسرقه والحراية والبغى والردة والقتل والجرح في سائر العمد والخطأ .

فالزنا : اعتداء على نظام الأسرة ، ولولم يعاقب عليه لكان لكل امرئ أن يشارك الآخر فى أى امرأة شاء ، وأن يدعى من شاء أو يتصل بمن يشاء من الأبناء ، ولا تنهى الأمر بغلبة الأقوياء وهزيمة الضعفاء وتضييع الأنساب وشقاء الآباء والأبناء . وأخيراً فإن إباحة الزنا معناها الاستغناء عن نظام الأسرة وهدم الدعامة الأولى من الدعائم التى تقوم عليها الجماعة .

والسرقة : اعتداء على نظام الملكية الفردية ، ولولم يعاقب عليها لكان لكل فرد أن يشارك غيره فى طعامه وشرايه وكسائه ومسكنه وأداة عمله ، وكانت الغلبة آخر الأمر للأقوياء ، وكان الجور والعري والحرمان للضعفاء ، فإباحة السرقة معناها الاستغناء عن نظام الملكية الفردية وعجز الأفراد عن الحصول على ضروريات الحياة وسقوط الجماعة بعد سقوط أهم الدعائم التى قامت عليها .

والردة : اعتداء على النظام الاجتماعى للجماعة ، لأن النظام الاجتماعى لكل جماعة إسلامية هو الإسلام ، ولأن الردة معناها خيانة الإسلام والخروج على مبادئه والتشكيك فى صحته ، ولا يمكن أن يستقيم أمر الجماعة إذا وضع نظامها الاجتماعى موضع التشكيك والظمن لأن ذلك قد يؤدى فى النهاية إلى هدم النظام .

والبغى : اعتداء على نظام الحكم فى الجماعة ، لأن جريمة البغى تعنى الخروج على الحكم ومعصيتهم ، أو تعنى طلب تغييرهم أو تغيير نظام الحكم نفسه ، وإباحة مثل هذه الجريمة يؤدى إلى إشاعة الخلاف ، والاضطراب فى صفوف الجماعة ، ويقسمها شيعاً وأحزاباً تتقاتل وتتناحر فى سبيل الحكم ، كما يؤدى إلى اختلال الأمن والنظام وسقوط الجماعة وانحطاطها .

وجرائم القتل والجرح : اعتداء من ناحية على حياة الأفراد المكونين للجماعة ، وهى من ناحية أخرى اعتداء على النظام الاجتماعى ونظام الحكم فى الجماعة ، لأن هذه الجرائم تمس حياة الأفراد وأبدانهم ، والنظام الاجتماعى يتطلب حماية الأفراد وعصمة أنفسهم وأموالهم ، كما أن نظام الحكم وجد لإقامة النظام الاجتماعى وتوفير الأمن للجماعة ، فالتساهل فى محاربة هذه الجرائم يؤدى إلى تحكيم الأقوياء فى الضعفاء وصرف الأفراد عن العمل المنتج وانصرافهم إلى التنازع والتناحر واستنباط الوسائل لحماية أرواحهم

وأنفسهم . وهذا يؤدي إلى تفكك الجماعة وانحلالها . وقد حرصت الشريعة أشد الحرص على أن لا تصل الجماعة لهذه الحالة ، فقررت عقوبة القصاص في حالة العمد ، والدية في حالة الخطأ ، وهي عقوبات رادعة قصد منها حماية الأفراد المكونين للجماعة وبث الأمن بينهم وتوفير الطمأنينة في نفوسهم .

وجريمة القذف : اعتداء على نظام الأسرة ، لأن القذف في الشريعة قاصر على ما يمس الأعراض ، ولأن القذف المماس بالأعراض هو تشكيك في صحة نظام الأسرة ، فمن يقذف شخصا فإنما ينسبه لغير أبيه وبالتالي لغير أسرته ، وإذا ضعف الإيمان بنظام الأسرة فقد ضعف الإيمان بالجماعة نفسها لأن الجماعة تقوم على هذا النظام .

وجريمة الشرب : تؤدي إلى فقدان الشعور ، وإذا فقد شارب الخمر شعوره فقد أصبح على استعداد لارتكاب السرقة والقذف والزنا وغير ذلك من الجرائم ، فضلا عن أن شرب الخمر يضيع المال ويفسد الصحة ويضعف النسل ويذهب العقل ، والنظام الإسلامي يحرم شرب الخمر تحريما قاطعا ، فإتيان هذه الجريمة اعتداء من كل وجه على الجماعة وهدم للنظم التي تقوم عليها الجماعة .

وجريمة الحراية : إن اقتصرنا على السرقة فهي اعتداء على نظام الملكية الفردية ، وإن صحبها القتل فهي أيضا اعتداء على حياة الأفراد المكونين للجماعة ، وإن اقتصرنا على ترويع المجنى عليهم فهي اعتداء على أمن الجماعة ، والاعتداء على حياة الأشخاص وأمنهم هو اعتداء على النظام الاجتماعي وعلى نظام الحكم ، لأن كل جماعة ملزمة بحماية حياة الأفراد وتوفير الأمن لهم ، لأن ذلك ضروري لبقاء الجماعة ، فإذا لم تتوفر هذه الحماية فعنى ذلك تفكك الجماعة وانحلالها لأن الأساس الأول لبقاء الجماعة وهو حماية أفرادها منعدم ، ولا يحصى الأفراد ويمنع الاعتداء على حياتهم وأمنهم إلا تقرير العقوبة الرادعة على هذا الاعتداء .

هذه هي الجرائم التي تمس كيان المجتمع مساسا مباشرا ، عاقبت عليها الشريعة بعقوبات رادعة وأهملت في تقدير العقوبة شخصية الجاني إبقاء على الجماعة وحماية لها ، وإذا قلنا إن هذه الجرائم تمس كيان الجماعة فليس معنى ذلك أن باقي الجرائم لا تمس الجماعة من قريب أو بعيد ، إذ الواقع أن كل جريمة أيا كانت تمس الجماعة ، ولستنا نستطيع أن نقول إنه ليس في الجرائم كلها ما يمس الأسس التي يقوم عليها المجتمع مساسا مباشرا مثل الجرائم التي

احتفظت لها الشريعة بهذه العقوبات ، وإن بقية الجرائم إن مست صالح المجتمع فإنها لا تمس الأنظمة التى يقوم عليها المجتمع ، وإن مست هذه الأسس فإنها لا تمسها مساسا مباشرا وخطيرا .

ونجد أن الشريعة الإسلامية - فى الجرائم التى تمس كيان المجتمع وتصل بالأسس التى يقوم عليها - قد أهملت شخصية الجانى ، والشريعة فى هذا تعتبر منطقية وواقعية حين ميزت بين هذه الجرائم من ناحية وبقية الجرائم من ناحية أخرى ، لتفاوت الخطورة والآثار فى النوعين .

يتضح مما سبق أن الجرائم الماسة بكيان المجتمع نوعان .
النوع الأول : يشمل جرائم الحدود الثامة وهى سبع جرائم : (١) الزنا (٢) القذف (٣) الشرب (٤) السرقة (٥) الحراة (٦) الردة (٧) البغى .

وقد وضعت الشريعة لهذه الجرائم سبع عقوبات مقدرة ليس للقاضى أن ينقص منها أو يزيد فيها أو يستبدل بها غيرها ، فمن ارتكب جريمة منها أصابته العقوبة المقررة لها دون نظر إلى رأى الجنى عليه أو إلى شخصية الجانى ، وليس لولى الأمر أن يعفو عن الجريمة أو العقوبة بحال من الأحوال .

وقد اتجهت الشريعة فى جرائم الحدود إلى حماية الجماعة من الجريمة ، وأهملت شأن المجرم إهمالا تاما ، فشدت العقوبة وجعلتها عقوبة مقدرة ، ولم تجعل للقاضى أو لولى الأمر سلطانا على العقوبة ، وعلة التشديد أن هذه الجرائم من الخطورة بمكان ، وأن التساهل فيها يؤدى حتما إلى تحلل الأخلاق وفساد المجتمع واضطراب نظامه وازدياد الجرائم ، وهى نتائج ما ابتليت بها جماعة إلا تفرق شملها واختل نظامها وذهب ريعها ، فالتشدد هنا قصد به الإبقاء على الأخلاق وحفظ الأمن والنظام ، أو بتعبير آخر قصد به مصلحة الجماعة ، فلا عجب أن تهمل مصلحة الفرد فى سبيل صالح الجماعة ، بل العجب أن لا تضحي مصلحة الفرد فى هذا السبيل .

النوع الثانى : والنوع الثانى من الجرائم الماسة بكيان المجتمع يشمل جرائم القصاص والدية ، وهى جرائم القتل والجرح سواء كانت عمدا أو خطأ ، وهى على وجه التحديد :
(١) القتل العمد (٢) القتل شبه العمد (٣) القتل الخطأ (٤) الجرح المتعمد (٥) الجرح الخطأ .

وقد وضعت الشريعة لهذه الجرائم عقوبتين : هما القصاص أو الدية في حالة العمد ، والدية في حالة الخطأ . وحرمت على القاضى أن ينقص من هاتين العقوبتين أو يزيد فيهما أو يستبدل بهما غيرهما ، كما حرمت على ولى الأمر أن يعفو عن الجريمة أو العقوبة ، وعلى هذا فمن ارتكب جريمة من هذه الجرائم أصابته العقوبة المقررة لها دون نظر إلى ظروف الجاني وشخصيته .

وإذا كانت الشريعة قد حرمت العفو على ولى الأمر فإنها قد أباحته للجنى عليه أو ولىه ، فإذا عفا الجنى عليه أو ولىه في العمد سقط القصاص وحلت محله الدية إذا كان العفو على الدية ، فإذا كان العفو مجانا سقطت الدية أيضا ، وفي جرائم الخطأ يسقط للعفو الدية ، ويترتب على سقوط القصاص في العمد والدية في الخطأ جواز معاقبة الجاني بعقوبة تعزيرية ، والعقوبات التعزيرية ينظر فيها إلى شخص الجنى عليه وظروفه .

وظاهر مما سبق أن الشريعة تتجه أصلا في جرائم القصاص والدية إلى حماية الجماعة من الجريمة وإهمال شأن المجرم ، وأنها لا تعنى بشخصية الجاني وظروفه إلا إذا عفا الجنى عليه أو ولىه . وقد منعت الشريعة حق العفو للجنى عليه أو ولىه لأثر الجريمة وإن كانت ماسة بكيان المجتمع إلا أنها تمس الجنى عليه أكثر مما تمس المجتمع ، بل إنها لا تمس المجتمع إلا عن طريق مساسها بالجنى عليه ، فإذا عفا الجنى عليه أو ولىه لم يعد ما يدعو لإهمال شأن المجرم والتشدد في حماية الجماعة ، لأن أثر الجريمة الخطر يزول بالعفو فتصبح الجريمة غير خطيرة ولا تؤثر على كيان المجتمع . والواقع أن الجنى عليه أو ولىه لا يعفو إلا إذا صفح عن الجاني أو رأى في الدية فائدة مادية يهيم الاحتفاظ بها ، فعلة العفو هي إما الصفح أو الفائدة المادية التي تعود على الجنى عليه وأوليائه ، وكلاهما علة مشروعة تحلها الشريعة محل الاعتبار ، لأن الصفح معناه القضاء على الخصومات والاحقاد ، ولأن تفضيل الفائدة المادية على العقوبة البدنية معناه التسامح والصفح وإضعاف حدة الخصومات ، ولا شك في أن من حق الجنى عليه أو ولىه أن يكون أول من تعود عليه من الجريمة الفائدة إذا أمكن ذلك بعد أن أصيب منها وتحمل من آلامها ما لم يتحمله غيره .

العقوبات المقررة لجرائم الحدود : تسمى العقوبة المقررة لكل جريمة من هذه الجرائم حداً .

والحد هو العقوبة المقررة حقاً لله تعالى ، أو هو العقوبة المقررة لمصلحة الجماعة . وحينما يقول الفقهاء : إن العقوبة حق لله تعالى يعنون بذلك أنها لا تقبل الإسقاط من الأفراد ولا من الجماعة ، وهم يعتبرون العقوبة حقاً لله كلما استوجبها المصلحة العامة ، وهي دفع الفساد عن الناس وتحقيق الصيانة والسلام لهم .

وسنذكر عن كل عقوبة من هذه العقوبات باختصار .

أولاً — في عقوبات الزنا : الزنا في الشريعة الإسلامية ثلاث عقوبات هي :

(١) الجلد . (٢) التغريب . (٣) الرجم . والجلد والتغريب معا هما عقوبة الزاني غير المحصن ، أما الرجم فهو عقوبة الزاني المحصن .

ثانياً — في عقوبة القذف : القذف في الشريعة عقوبتان : إحداها أصلية وهي الجلد ، والثانية تبعية وهي عدم قبول شهادة القاذف . ومصدر هذه العقوبة قوله تعالى في سورة النور : « والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون » .

ثالثاً — في عقوبة الشرب : تعاقب الشريعة على شرب الخمر بالجلد ثمانين جلدة . ومصدر العقوبة التشريعي هو قول الرسول عليه الصلاة والسلام : « من شرب الخمر فاجلدوه فإن عاد فاجلدوه ، أما تحريم الخمر فصدره القرآن الكريم . والرأي الراجح أن العقوبة لم يحدد مقدارها بثمانين جلدة إلا في عهد عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - حيث استشار أصحاب الرسول في حد شارب الخمر فأفنى على بن أبي طالب رضي الله عنه بأن يحد ثمانين جلدة ، لأنه إذا شرب سكر ، وإذا سكر هذى ، وإذا هذى افترى ، وحد المفتري - أي القاذف - ثمانون جلدة ، ووافق الصحابة على هذا الرأي . وإذن فتحريم الخمر مصدره القرآن ، والعقاب مصدره السنة ، ومقدار الحد مصدره الإجماع .

رابعاً — في عقوبة السرقة : تعاقب الشريعة على السرقة بالقطع . والمصدر قوله تعالى : « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله » سورة المائدة ٣٨ .

خامساً ، في عقوبة الحرابة : فرضت الشريعة للجريمة الحرابة أربع عقوبات هي :

(١) القتل . (٢) القتل مع الصلب . (٣) القطع . (٤) النقي .

ومصدر هذه العقوبات التشريعي هو القرآن حيث قال الله جل شأنه : « إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض » - سورة المائدة : ٣٣ .

سادسا ، في عقوبة الردة والبنى :

(١) عقوبة الردة : للردة عقوبتان ، عقوبة أصلية وهي القتل ، وعقوبة تبعية وهي المصادرة .

القتل : تعاقب الشريعة المرتد بالقتل ، والأصل في ذلك قوله تعالى : « ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأرلئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » البقرة : ٢١٧ . وقول النبي ﷺ : « من بدل دينه فاقتلوه » .

المصادرة : عقوبة الردة التبعية هي مصادرة مال المرتد . واختلفت المذاهب والفقهاء في مدى المصادرة ، والرأى الراجح في هذا أن المصادرة تشمل كل مال المرتد ، وهذا هو مذهب الإمام أحمد .

(٢) عقوبة البنى : تعاقب الشريعة على البنى بالقتل ، والأصل في ذلك قوله تعالى في سورة الحجرات : « وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ، فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله » ، وقول الرسول ﷺ : « من أعطى إماما صفقة يده وثمرة فؤاده فليطعمه ما استطاع » ، فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنقه الآخر ، وقوله : (ستكون هنات وهنات ألا ومن خرج على أمي وهم جميع فاضربوا بالسيف عنقه كائنا من كان) .

العقوبات المقررة لجرائم القصاص والدية :

جرائم القصاص والدية هي كما ذكرنا آنفا ، القتل العمد ، والقتل شبه العمد ، والقتل الخطأ ، والجرح العمد ، والجرح الخطأ .

والعقوبات المقررة لها هي : القصاص — والدية — والكفارة — والحرمان من الميراث والحرمان من الوصية .

أولاً — القصاص : وهذه العقوبة مخصصة للجريمة القتل العمد . ومعنى القصاص أن يعاقب المجرم بمثل فعله ، فيقتل كما قتل ويحرق كما جرح . ومصدر هذه العقوبة هو القرآن والسنة ، فآله جل شأنه يقول : « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والاثني بالاثني . فمن عني له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم ، ولكم في القصاص حياة يا أولى الألباب لعلكم تتقون » البقرة (١٧٨ ، ١٧٩) ويقول جل شأنه في سورة المائدة ٤٥ : « وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص ، فمن تصدق به فهو كفارة له ، ومن لم يحكم بما أنزل الله فأرثكهم الظالمون » . وفي السنة جاء قول الرسول عليه الصلاة والسلام : « من اعتبط مؤمناً بقتل فهو قود به إلا أن يرضى ولي المقتول » . ويقول : « من قتل له قتيل فأمله بين خيرين إن أحبوا فالقود وإن أحبوا فالعقل — أي الدية — » .

ثانياً — الدية : جعلت الشريعة الدية عقوبة أصلية للقتل والجرح في شبه العمد والخطأ ، ومصدر هذه العقوبة القرآن والسنة ، يقول الله تعالى : « وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأ ومن قتل مؤمناً خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله إلا أن يصدقوا » النساء : ٩٢ . ويقول الرسول ﷺ : « ألا إن في قتيل عمد الخطأ قتيل السوط والعصا والحجر مائة من الإبل » .

ثالثاً ، الكفارة : الأصل في الكفارة قوله تعالى : « ومن قتل مؤمناً خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله إلا أن يصدقوا فإن كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة ، وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة إلى أهله وتخريج رقبة مؤمنة ، فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله » والكفارة عقوبة أصلية ، وهي عتق رقبة مؤمنة ، فمن لم يجدها أو يجد قيمتها يتصدق بها فعليه صيام شهرين متتابعين ، فالصوم عقوبة بدلية لا تكون إلا إذا امتنع تنفيذ العقوبة الأصلية .

رابعاً - الحرمان من الميراث : الحرمان من الميراث عقوبة تبعية تصيب القتاتل تبعاً للحكم عليه بعقوبة القتل ، والأصل في ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : (ليس للقاتل شيء من الميراث) وقوله : « ليس للقاتل ميراث بعد صاحب البقرة » .

خامساً - الحرمان من الوصية : الحرمان من الوصية عقوبة تبعية ، والأصل فيها قول الرسول ﷺ : (لا وصية لقاتل) وقوله : (ليس لقاتل شيء) وذكر الشيء نكرة في محل النفي يعم الميراث والوصية جميعاً .

هذه هي العقوبات المقررة لجرائم الحدود والقصاص والدية .
وأرجو من الله أن يوفقني في شرح كل عقوبة من هذه العقوبات بالتفصيل .
والسلام على من اتبع الهدى . وقفنا الله جميعاً إلى ما فيه الخير والسداد ؟

محمد محيي الدين المصري

حكم

- المؤمن لا يحيف على من يفيض .
- إعلان الشيانة كيد العدو العاجز .
- أخلق " بمن غدر ألا يوفى له .
- المفروح به هو المحزون عليه .
- العاقل يترك ما يجب خوفاً من العلاج بما يكره .
- من نأى أصاب أو كاد .
- عقوبة الغضب تبدأ بالغضب : فتصحب وجهه ، وتلم دينه ، ونعجل ندمه .
- إذا لم تشغل النفس بما يصلحها شغلك بما يفسدك .
- نفاق المرء من ذله .
- الهوى مفتاح السيئات

أدركوا الأسرة

هذا عنوان مقال نشرته بعض الصحف ، عرض فيه كاتبه لحال الأسرة المصرية ، وصور ما يتهددها من أخطار وما هي صائرة إليه من الانهيار .

وقارن بين حالها الحاضر وحالها الماضي ، وأنها كانت في ماضيها خيراً منها في حاضرها ، كما قارن بين حال الأسرة الريفية والأسرة المثقفة الحضرية ، وأن حال الأولى خير من الثانية ، وأبان في إيجاز أسباب اعتلال الأسرة ووجه العلاج ، ومع ذلك فقد طلب أن يوكل بحث ذلك إلى لجنة من ذوى الخبرة في علم النفس ، وكان من رأيه أن الحالة النفسية التي تسود بعض المثقفين هي العلة الأولى فيما وصلت إليه الأسرة .

ونحن مع الكاتب الفاضل فيما عقده من مقارنات بين الماضي والحاضر ، وبين حال الأسرة في الريف والحضر ، وأن أمر الأسرة في حاجة إلى علاج حاسم وسريع ، لأن علاج الأسرة علاج للأمة : فهي نواتها ، ومنها تتألف وحداتها . إلا أن لنا رأياً آخر في أسباب انحلال الأسرة ، ورأياً في علاجها ، وإذا كان من أسباب تدهور الأسرة الحالة النفسية التي كونتها العوامل الثقافية والاقتصادية والخلقية كما أشار إلى ذلك الكاتب الفاضل ، إلا أننا نرى أن السبب الحقيقي وراء ذلك ، وهو خروج المرأة عن سنن الفطرة وسنن الشريعة في كثير من شئونها ، فلقد خرجت المرأة عن سنن الفطرة وسنن الشريعة حين حاولت أن تلي من الشئون ما لم تخلق له ولم تهيئها طبيعتها لتوليها : حاولت أن تقتصب القيام على شئون الأسرة في تصريف أمورها المعاشية ، وتستبد دون الرجل بطريق الإنفاق عليها ، وتزحزحه عن مكانه فيها ، فحاول الرجل أن يحتفظ بهذه الحقوق التي خولته إياها الفطرة والشريعة . وبين هذه المحاولات تعارضت سلطة الرجل والمرأة ، وكان من نتيجة ذلك انهدام بعض الأسر .

وخرجت على سنن الفطرة وسنن الشريعة حين حاولت أن تكون مشرفاً واعياً ورقياً صارماً ، تحصى على الرجل حركاته في المنزل والعمل والمقهى والمستراض ، وفي زيارة الأهل والأقارب ، تفسر كل حركة من حركاته بعاطفتها الفسائية ، وعقلها المحصور في الشئون الزوجية . واستيقظت في نفس الرجل عناصر الرجولة فتدافعا وتنازعا وكان عاقبة ذلك

انفراط عقد بعض الأسر واختلال نظامها ثم انهيارها . وخرجت عن سنن الفطرة والشريعة إذ أسفرت وترجت وهجرت المنزل وشتونه وارتادت السينما والمسرح والمقهى والمشرّب ، فدبت في صدر الرجل عقارب الفيرة ، وغلت في عروقه دماء النخوة ، فطلب إليها أن تلتزم حدود الحشمة والوقار ، وتمعلّى للنزول وللأولاد حقوقهم ، فتمردت عليه واستنصت على رياضته ، وضاق بها ذرعاً ، وأفلت من يده زمام التفكير والاستبصار ، وكانت بعض الأسر هي الضحية لتصرف المرأة وسلوكها .

وخرجت عن سنن الفطرة والشريعة حين حاولت أن يستجيب الرجل لمطالبها السكّالية ، وما أكثر ما تطلب المرأة صيفاً وشتاءً ، وخريفاً وريبعاً ، وما أكثر ما تطلب للباس والزينة ، واللباقة والمجاملة والمباهاة والمفاخرة . وقست على الرجل ظروف الحياة فهجر عن تلبية الرغائب وتحقيق المطالب ، فهاجت وماجت وهددت وهجرت ، وتقطعت أسباب الود والتعاون ، واضطر الرجل أن يفهم عرى هذه الرابطة ، فتعرضت بعض الأسر للانهار .

وخرجت المرأة عن سنن الفطرة والشريعة حتى في إنجاب الأطفال . ولقد كان من المضحك أو المبكى — كما يشاء القارئ — ما نشرته بعض الصحف ، من أن زوجة اشترطت على زوجها أن يدفع لها ألف جنيه إذا ولدت له ولداً لأنها كانت راغبة عن الخلف صيانة لجسمها أن يذهب به الحمل والإرضاع ، فلما ولدت طالبتها بالوفاء فأبى عليها فرفعت أمره إلى القضاء ، وما تزال القضية معروضة للنظر .

هذه بعض مظاهر تآكل المرأة على الفطرة والشريعة ، وهي السبب الحقيقي في انحلال الأسرة . وقد زين لها دعاة السوء من الجنسين ذلك التمرد في صور خلافة براقة هي صور المدنية والرقى والخلاص من عبودية الرجل والفكاك من بطن الحريم أو ما إلى ذلك من الصور الزائفة .

وقد خدعت المرأة المتحضرة بهذه الصور ، وهجرت في المضمار ، ولكن سقطت دون الناية ، وكان عاقبة أمرها خسراً ، فقد تقدمت مشاكل الأسرة ومشاكل الزواج ، وانصرف الشباب لهذه الأسباب عن الزواج ، فركدت سوق الفتيات سواء المتعلّقات منهن والجاهلات ، وأحس الآباء والأمهات بوطأة الإلزام في زواج البنات .

وقد سلم الريف من هذا البلاء ، وما تزال الأسر على خير حال من الاستقرار والهناء ، بفضل المرأة التي عرفت مكانها ووظيفتها ، وحافظت على سمعتها وكرامتها ، والتزمت حدود الحشمة والوقار التي يفرضها مجتمعا الريفى ، ولم تحاول ما حاولته أختها المتعلمة المنحصرة من الاستبداد بالسلطة فى شئون الأسرة ، والانطلاق مع عواطفها ورغائنها دون حساب لغيره الرجل وكرامته وطاقته المالية ، وظلت المعنية المخلصة فى المنزل والحقل ، تبدى رأيا إن أرادت فى قطامن وأدب ، لا فى كبرياء وصلف كما يفعل كثير من المثقفات الحضريات ، وساعد على ذلك الاستقرار حرص الرجل على مكانه فى الأسرة والاحتفاظ بحقوقه ، وأنه القوام عليها وصاحب رأى فى تصريف شئونها ، والمسئول عن حاضرها ومستقبلها ، وسار كل من الرجل والمرأة فى طريقه المرسوم له ، فلم تعارض السلطات ، ولم تقاين الآراء ، وسلم كيان الأسرة الريفية من الهزات العنيفة التى تقضى إلى التصدع والانهار ، وسلم المجتمع الريفى أيضاً من أزمة الزواج التى كانت نتيجة لازمة لانحلال الأسر فى المجتمعات المثقفة فى المدن ، وما تزال الفتاة فى الأسرة الريفية تحظى بإقبال الشبان والرغبة فىهن . وإن كثيراً منهم يتزوجن دون أن يبلغن السن التى فرضها القانون .

والعلاج الحقيقى لحال الأسرة أن تلتزم المرأة أو تلزم حدودها التى رسمتها الفطرة والشريعة ، وتمتكن بحقوقها الطبيعية والشرعية ولا تحاول أن تسلب الرجل حقوقه . وحقوق المرأة فى الشريعة الإسلامية كفيلة بمهايتها وحياتها وسلامتها وسلامة المجتمع من التفكك والانحلال .

وإن الأمم التى حارلت إزعاج المرأة من منزلها والزج بها فى الميادين العامة فى السياسة والصناعة ودفعها إلى ما ليس من شئونها ، أخذت تدرك خطأها فى ذلك وتحس سوء طاقبتها على الأسرة والأمة . وقد ذكرنا فى كلمة سابقة أن ذوى الرأى والتقدير فى تلك الأمم أخذوا يفهمون إلى الاخطار التى حلت بالأسر نتيجة لذلك ، كما أخذوا يدعون المرأة إلى العودة إلى مكانها فى المنزل لممارسة شئونه وشئون الأولاد ، ويقولون : إن المرأة لو أحسنت ممارسة هذه الشئون لساهمت بأكبر قسط فى علاج الأسرة ، وأعادت لها منامها واستقرارها وأصلحت ما أساءت به إلى نفسها ؟

أبو الوفا المرافى

وفي البلاغة أيضا ...

في العدد الماضي من مجلة الأزهر علفت على مباحث في اللغة والنحو ، والنية هذه المرة
النعيب على بحث في علوم البلاغة .

ولعل علوم البلاغة أشد حاجة للبحث والدرس والتجديد من على اللغة والنحو .
ذلك أن المتقدمين عنوا بالنحو واللغة أكثر مما عنوا بعلوم البيان ، ووجد المتأخرون مجال
البحث عمدا فأكثروا من التأليف في هذين العلمين ، وبخاصة علم النحو . أما علوم البلاغة
فسبيل البحث فيها وعمر شائك ، وليس في استطاعة كل من تحدّثه نفسه أن يقول في البيان
قولا ، لأن هذه الناحية من الدرس لا تحتاج إلى التحصيل وحده ، وإنما تعتمد إلى حد
كبير على ذوق سليم ، وطبع مسعف .

وافد ظهرت الشكوى من الإهمال في علوم البيان ، في وقت مبكر جدا ، فوجدنا
عبد القاهر الجرجاني يتحدث في أكثر من موضع عن التقصير في تحصيل هذه العلوم ،
حتى يقول : « لا ترى في الدنيا علما قد جرى الأمر فيه بدينا وأخيرا على ما جرى عليه
في علم الفصاحة والبيان ... فإنك إذا قرأت ما قاله العلماء فيه وجدت جله أو كله رمز
ووحيا ... وأما الأخير فهو أنا لم نر العقلاء قد رضوا من أنفسهم في شيء من العلوم أن
يحفظوا كلاما للأولين ويتدارسوه من غير أن يعرفوا له معنى إلا علم الفصاحة » (١) .
« وجملته الأمر أنه إن قيل إنه ليس في الدنيا علم قد عرض للناس فيه من الخش الخلط ،
ومن قبيل التورط ، ومن الذماب مع الظنون الفاسدة ، ما عرض لهم في هذا الشأن ظنفت أن
لا يخشى على من يقوله الكذب » (٢) .

ولم تكن الحال بعد عبد القاهر بأحسن منها قبله ، فهذا الإمام أبو يعقوب السكاكي
يشكو من الشكوى من أن علم البيان مع ماله « من الشرف الظاهر ، والفضل الباهر ، لا ترى

(١) دلائل الإعجاز ص ٣٥٠ مع بعض التصرف .

(٢) دلائل الإعجاز ص ٢٨٢ .

علما لقي من الضيم ما لقي ، ولا منى من سوم الخسف بما منى ، ^(١) وإن كانت شكوى السكاكي تختلف عن شكوى الشيخ عبد القاهر ، فالإمام الجرجاني يشكو من غموض مسائل البيان عند المتقدمين ، ومن التقليد والجود وعدم الفوص على معاني الأوائل عند المتأخرين ، ويتألم لما يظهر في بحوث البيان من فحش الخطأ ، والذهاب مع الظنون الفاسدة ؛ وأما السكاكي فشكواه من تفرق مسائل البيان ، وأن أحدا لم يمهدها قواعد ، ولم يرتب لها شواهد ، وكل مسألة من هذه المسائل ذاهبة في مجاهل علم من العلوم ، علم تراه أيادى سببا ، فجزة حوته الدبور وجزة حوته الصبا ، ^(٢) .

وشمر السكاكي لضبط متفرقاته ذيله ، واستتمض في استخلاصها من الأبدى رجله وخيله ، ومن قبله جهد عبد القاهر في تخيص العلم من الظنون الفاسدة ، وبالغ في الإبانة والتوضيح ، ولكن الشكوى ما برحت تظهر كلما تقدمنا مع العصور ، فقد عكف العلماء والمتعلمون على ما كتبه السكاكي يستظفرونه ، ويجادلون حول ألفاظه ، دون أن يفيدوا العلم بمجديد ، مما دعا سعد الدين التفتازاني أن يقول في مقدمة مفرجه المختصر ، عن علم البيان : « وإن هذا الفن قد نضب اليوم ماؤه فصار جدالا بلا أثر ، وذهب رواؤه فعماد خلافا بلا ثمر » .

ولسنا اليوم في حال أحسن من أى عهد من هذه العهود الثلاثة ، فيما يتعلق بهذه العلوم ، فقد تغيرت الدنيا ، وتقدمت الدراسات ، وثبت بما لا يدع مجالاً للشك ، أن دراسة البلاغة على الطريقة المدرسية ، وتحصيلها على أنها قوانين جافة ، وقواعد مضبوطة ، لا يفيد هذه العلوم ، ولا يفيد طلابها ، ولا يمكن - بحال - أن يساعد على تنمية الملكة ، وتربية حاسة الإدراك . بل ربما كان له أثر عكسي ، كما هو الحال فيما نشاهده من أذواق المتعمقين في دراسة كتب البلاغة السكاكية ، ومع كل هذا لا تزال مصرين على أن يقضى الطلاب أعمارهم في استظهار طائفة كبيرة من التعريفات ، وعدد لا حصر له من التفسيرات التي لا طائل وراءها .

[١] مفتاح العلوم ص ١٢٨ .

[٢] للفتاح ص ١٢٩ .

وإذا كان لا بد من دراسة البلاغة في دائرة علمية ، فنحن في حاجة إلى من ينظر ، ويطيل النظر في هذه الكتب القديمة ، ويعرضها لنا بأسلوب جديد ، وبطريقة جديدة أقرب إلى روح الفن ، وأعود بالفائدة على الراغبين ، وقد كنا قرأنا وسمعنا أن بعض من يعنى بهذه العلوم عازمون على تدوين أصول جديدة لها ، ولكننا لم نظفر بغير هذه الوعد .

ذكرت كل هذا ، وأنا أطالع فصلا في مجلة المجمع العلمي العربي التي تصدر بدمشق ، كتبه الأستاذ الكبير أنيس المقدسي ، أحد أعضاء المجمع ، بعنوان « المسوّغات العقلية للبلاغة » . وهو بحث قيم ، فيه محاولة عمودة لضبط أنواع البديع ، ومباحث البيان ، تحت ضوابط عامة ترجع إلى أمور نفسية . ولا أشك في أن الكاتب بذل فيه مجهوداً مشكوراً ، وفتح باباً لو واصلنا السير فيه ربما وصلنا إلى عمل جليل رائع في هذه العلوم ، ومن ضوابطه - مثلاً - « العقل يجذب عادة إلى غير المعتاد ، ويتخذ هذه الخاصة وسيلة إلى معرفة سر الحسن في الالتفات ، والقصر ، والتقديم ، والاستفهام ، ثم يبوب المحسنات البيانية (كذا) تبويبا منطقيا - وإن كنت أكره كلمة المنطق هنا - وهذا شيء لم يفعله القدماء - كما يقول - فيذكر هذه الأبواب (التواطؤ اللفظي) ، (التواطؤ المعنوي) ، (المغايرة) (الخروج عن المعتاد) ، (الإيحاء إلى غرض) ويدخل في كل باب من هذه الأبواب فصولاً من علم البيان ، وأخرى من علم البديع ، فثلاً يدخل في باب التواطؤ المعنوي : التشبيه ، والتمثيل ، والاستعارة ، ومراعاة النظير ، وتجاهل العارف ... وهكذا .

ونحن مع العالم الفاضل في أن القدماء لم يبوروا هذه المباحث تبويبا منطقيا . ولعله يريد كما فعل - تبويبا نفسيا ، ولكننا نسجل هنا أن القدماء عللوا بعض الظواهر البيانية بأور نفسية ، وهذا أمر شائع ، وواضح في كتب الشيخ عبد القاهر ، وقد صوّرف القول ، وأطال وأفاد في بيان السر في أن حسن التمثيل ؛ وراع ، وجل . وذكر عللا كلها ترجع إلى واطف النفس وغرائزها ، ولنا لنجده يسجل أمراً من هذه الأمور في أوائل كتابه أسرار البلاغة حين يعلل الحسن في التجفيس فيقول عن صاحب التجفيس الرائع : « فقد أعاد عليك اللفظة كأنه يخدعك عن الفائدة وقد أعطاها ، وبوهمك كأنه لم يزدك وقد أحسن الزيادة ووفاه ،^(١) »

ثم إن واجب البحث العلمي يقتضي أن ننبه هنا إلى أمور : —

١ — كنت أفضل أن يكون عنوان البحث (المسوغات النفسية) فهذه الأمور التي ذكرها ليست مما يكون حكم العقل واضحاً فيها ، وإنما هي ألصق بعواطف النفس وانفعالاتها .

٢ — تحدث في فاتحة البحث عن إعراض أهل زماننا عن المحسنات البيانية ، وحسبانهم إياها من الطرق الرجعية ، وذكر أن البلاغة تحولت إلى متج الصنعة المتكلمة منذ القرن الرابع ، فأصبح البديع غاية منشودة لذاتها ، وأن التشدد في هذا أتى بفعل انعكاسي هدفه هدم الزخارف البديعية ، وملاحظتنا هنا أنه لم يفرق بين المحسنات البديعية ، والمباحث البيانية ، فالأولى - حقيقة - هي التي أنقلت البيان العربي ، وهي التي يرم بها الشعراء والكتاب في عصرنا ، بل في عصر الدولة العباسية نفسها ، وليس ما وجه من النقد لآبي تمام بالامر المجهول . أما المباحث البيانية من مجاز واستعارة وكتابة ، فلا تزال تحمل من أدبنا بل ومن كل الآداب اسمى مكان ، وإنما نرى كتاب الصحف يعمدون كثيراً إلى استعارات ومجازات تحتاج إلى تأمل طويل !

٣ — ذكر تعريفات تبعد كثيراً عما نعرفه في اصطلاح البلاغيين ، بل إن بعضها لا وجه له فيما أعتقد ، فهو يذكر المجاز المرسل ، ويمثل له بقول الشاعر : « مررت على المروءة وهي تبكي ، وهذا مجاز عقلي ، وما أظن أحداً جعله مجازاً مرسلًا ، ولا يقال هنا إنه أخطأ في التمثيل فقط ، فإنه لم يذكر غير هذا المثال ، فكأنه يعرف بالمثال ، ويعرف التجريد بأنه (أن يخاطب الإنسان نفسه) وهذا فقط نوع واحد من أنواع كثيرة للتجريد ، وقد عرفه القدماء بقولهم : « هو أن ينزع من أمر ذي صفة أمراً آخر مثله فيها ، مبالغة لجمالها فيه ، وهو أقسام منها نحو قولهم لي من فلان صديق حميم أى بلغ من الصداقة حداً صح معه أن يستخلص منه آخر مثله فيها ... الخ . وعرف الالفات بأنه « الانتقال المفاجيء من صيغة إلى صيغة » ، ومثل له بقول الله تعالى : « قل أمر ربى بالقسط ، وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد » .

وفي تعريف الالفات رأيان : رأى للسكاكي ، ورأى للجمهور ، ولا ينطبق تعريفه

هذا على واحد من الرأيين ، والالتفات عند الاقدمين هو التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة : التكلم والخطاب والغيبة ، بعد التعبير عنه بطريق آخر منها ، بشرط أن يكون التعبير الثاني على خلاف مقتضى الظاهر ، ولا يشترط السكاكي أن يكون قد عبر عن المعنى بطريق من الطرق الثلاثة ، أو يكون مقتضى الظاهر التعبير عنه بطريق منها فعدل إلى الآخر ، بل يكفي بأن يعبر عن المعنى ابتداء بطريق وكان من حقه أن يعبر عنه بآخر من هذه الثلاث . ولا ينطبق واحد من التعريفين على الآية ، وبجازها وقل أقيموا . . .

(٤) لم يظهر لي دخول بعض الأنواع في ضوابطه ، فتلا أدخل التورية تحت ضابط (التواطؤ اللفظي) ومثل بهذا البيت :

قالت وهبت لك السواك فقلت لا ولماك ، مالى حاجة بسواك

والذى سوغ دخول هذا المثال ما فيه من الجناس ، ولكن ليس بلام في التورية أن يكون فيها جناس . وهذه بعض أمثلتها (الرحمن على العرش استوى) . (والسماء بفيناها بأيد وإنا لموسعون) وقول صلاح الدين الصفدى :

يا قلب صبرا على الفراق ولو روعت ممن تحب بالبين
وأنت يا دمع ان أبحت بما تخفيه وجداً سقطت من عيني

وكثير من أمثلة التورية بل أكثرها لاجناس فيه ، كما أدخل في باب التواطؤ اللفظي (الطي والنشر) و (الجمع والتفريق) ، ولا أراها داخلين في هذا الباب ، وقد عرفه بقوله :

(أن تكون الالفاظ على جرم واحد أو من أحرف متشابهة ، سواء اختلفت في المعنى أم لم تختلف . .

وأعود فأكرر أننا في مسيس الحاجة إلى كثير من هذه الأبحاث ، ولعلنا — معاصر الأزهريين — لا نقف متفرجين ، بل علينا أن ندخل الميدان وإلا فأتنا القافلة ؟

على العمري

عقبة بن نافع

البطل الشهيد

حين انتصرت الجيوش الإسلامية على الدولة الرومانية لأول مرة في مشارف الشام ،
ذعر الروم ذعرا شديدا ، وأيقنوا بالخطر الدام يفاجئهم من حيث لا يتوقعون ، بينما ارتفعت
الروح المعنوية للجيوش الطافرة ، فاتجهت إلى مصر ، وتقدم الجيش العربي إلى وادي النيل
فأنقذه مما يتخبط فيه من عسف الرومان وجبروتهم ، وانتشر لواء العدالة بقيام النظام
الإسلامي في مصر ، وفاض نور الإسلام على وادي النيل ، فأصبحت هذه البقعة من شمال
إفريقية إحدى معاقل الحصينة ، وتشرب أبنائها روح الدين الجديد فاعتصموا بحبله ،
وحفظوا قرآنه ، وتحذروا بلغته ، ولم يكن بد من التطلع إلى إفريقية لتنضم برجالها وحصونها
إلى الدولة الإسلامية الناشئة ، فاتجهت همه القائد الفاتح الحكيم عمرو بن العاص إليها فسار
غربا إلى برقة وطرابلس فافتحهما وترك بهما حامية عربية ، وفي خلافة أمير المؤمنين عثمان
ابن عفان رضى الله عنه توجه عامله وأخوه في الرضاع عبد الله بن أبي سرح إلى إفريقية على
رأس جيش عربي يبلغ عشرين ألف مقاتل ، وقد انضم إليه عقبة بن نافع قائد حامية برقة ،
وخرج البربر والروم للقائهم في جيش كثيف يزيد عن جيش الإسلام بما يقدر بمائة ألف
مقاتل ، ودارت معارك رهيبية صمد لها المسلمون رغم ضآلة العدد والعدد صمودا رهيبا ،
فدارت الدائرة على أعدائهم وأبلى عقبة في هذه الملاحم بلاء حميدا ، فتألق نجمه ، وعد من
قادة الإسلام البواسل ، وحماته الميامين .

كان عقبة بن نافع شجاعا مقداما ، وهو من كرام التابعين الذين أدركوا فضلاء الصحابة
وأخذوا عنهم الورع والشجاعة والإيمان . وقصد امتلات جوانحه حمية وبسالة ، وسحره
ما أبداه أبطال الإسلام من فتوة وتضحية ، فأعجب بهلى وغالد وأبى عبيدة وسعد ، وآلى على
نفسه أن يقوم بمثل ما قام به هؤلاء الأبطال ليعلى كلمة الله في بلاد تكثفها الغياهب
ويلفها الظلام .

سار عقبة إلى برقة وأبلى أحسن البلاء في جيش ابن أبي سرح ، وأخذ يتحرق شوقاً إلى لقاء الأعداء في معارك حاسمة ، غير أن أمير المؤمنين عثمان كان يستشهد في داره ، وتقع الفتنة بين المسلمين ، وتقوم الحروب الداخلية فيما بينهم ، ويتوقف طوقان الفتح ريثما تنجلي الغمة وتنهد الكلمة ، وعقبة في حاميته كالأسد السجين ، فهو بيرقة يتوق إلى الحرية في ميدان موقعة الكفاح حيث تصل السيوف وتموج الدماء .

وفي عهد معاوية تحقق ما يبتغيه ، فقد ولاه الخليفة القيادة وبعث إليه بعشرة آلاف مقاتل ليواصل الفتح ، فاندفع القائد الباسل بخنوده ونفث فيهم من روحه ، وتقدمهم في كل موقعة ، وكان موضع الأسوة بمهارته العجيبة ونضاله المرير .

كان عقبة يقف بجيشه أمام الرومان والبربر معا ، والروم قوم متضلمون بفنون الحرب ، يعملون الحيلة ويرسمون الخطه ، والبرابرة معشر كفاح وجلاد ، فقد صهرتهم شمس الصحراء وتسلفوا الجبال واختبروا الآكام والصخور ، ونازلوا الوحوش في أرباض ملتوية وأدغال كثيفة ، فهم أشبه بالعرب حماسة وقوة ، لولا أن إيمان المسلمين يدفعهم إلى الممالك ويجب لهم الاستشهاد ، أضف إلى ذلك أن البرابرة أصحاب الصحراء يعلون غابثها ودروبها ، ويعتصمون بقلمها وآكامها ، والعرب غرباء نازحون يجهلون ما يجمل الغريب في أماكن لم تظأها قدمه أو يأنه عنها حديث .

كانت الصعاب تكشف الجيش الإسلامي من كل ناحية ، ولكن عقبة يستبين بما يعترضه منها ، فعليه أن يتغلب عليها بأذلال جهده وفكره وحيلته ، ومن ثم فقد استبسل وجالد ومعنى يشق البيد ويطوى المراحل ويشكل بأعدائه الأشاوس حتى خاف محاربوه ، وذاق حلاوة النصر في مطالع كفاحه . فوثق به جفده ، وسيطر عليهم سيطرة الخازم البصير ، وعالج بالقوة ما يحدث من شقاق ، فأخذ الخونة بالجزاء الصارم ليكونوا عبرة بالغة لمن يظهرون الإخلاص في الوجوه ، ويطنون البغضاء في القلوب .

تقدم عقبة بأبطاله فأحرز النصر والنجاح ، ثم حمد إلى أجرة عظيمة تسكنها السباع والأفاعي ، ويرهب البربر وحوشها الكاسرة وهوامها المؤذية ، فأزال أحراسها وأعمل الرماح والسيوف في حيواناتها ففرت هائمة تلتس النجاة ، ثم ابنتى فوقها مدينة القيروان ورأى البربر كتاب الوحوش نفر هاربة من الغزاة الظافرين ، فزادت رهبتهم وعدوا ذلك انتصاراً حاسماً

للإسلام تؤيده السماء ، فأذن الكثيرون لدين الله ، وهبوا يساعدون في بناء القيروان ، فشيّدوا داراً للإمامة ومسجداً للصلاة وبيتاً للناس . وفي مدة يسيرة أصبحت حاضرة العرب في إفريقية تتجاوب آفاقها بالأذان وترتل في جوانبها آيات القرآن الحكيم .

واصل القائد المغوار زحفه وفتوحه ، ولكن النبا يأتي بمزله رغم انتصاره الساحق ومجده العظيم ، فاكتاب البطل أسفا وحسرة إذ حيل بينه وبين أمانيه ، وضاعف شجونه أن القائد الجديد أبا المهاجر لم يرع له مكانه ، فلم يطق صبراً على ما يرى ويسمع ، وسار إلى دمشق فأبلغ معاوية ما لحقه من نقص واستخفاف . ومكث في عاصمة الخلافة ينتظر عودته إلى القيادة وفي قلبه أمل يارق ، يود أن يتحقق عن قريب .

كان أبو المهاجر ينتهج سياسة المسالمة والامان ، ورأى الملاينة سيلاً ناجحة إلى تجمع القلوب وتآلف النفوس ، فصانع البربر ، حتى أمنوا بجانبه . واعتق رئيسهم (كسيلة بن لمزم) الإسلام لحامله أبو المهاجر وشفّعه واجتباها ، ثم تقدم قليلاً إلى الغرب دون أن يحرز فتحاً مبيتاً ، والجيوش العربية لطيفة تتطلع إلى قائد مغامر يطير بها من نصر إلى نصر ، ويعيد إليها أمجاد عقبة وفتوحه الخالدات .

ولم ترض الأقدار للبطل الأعزل أن ينأى عن مسارح كفاحه وميادين فتوحه ، فأتت معاوية وأعاده يزيد إلى مكانه من القيادة ، فاستقبله الجنود استقبالا رائماً ، ورجع البطل إلى مضماره الفسيح ، والامل يفسح له الرغائب وينير في عينه الحياة . ولم يفس ما فعله به أبو المهاجر فمكّال له صاعاً بصاع وأوقفه في الأغلال وحمله مكبلاً مع جيشه الفاتح ليرى بعينه انتصاراته الباسلة . فيتحرق في قيده لهفة وخذلانا . وليت عقبة قد قابل السيئة بالحسنة ، فيسجل له الدهر مكرمة جديدة إلى مكارمه الرائعات ١١

وقد استخلف زهير بن قيس على القيروان ، وتقدم بمجنوده وأبطاله يخوض الممارك الدامية ويقتحم الحصون والآكام .

وكان حر الهجير يحرق الجلود ويرمض الأحشاء ، وعواثق الطبيعة من جبال ورياح ومضايق تجثم بأهوالها في الطريق ، والاهداء يتجهّدون وراء الكشبان والمضارب ، والوحوش المنتمرة تتربص مع البربر ، هول ورهبة في كل مكان وموت يفترقاه في كل منعطف وواد!

ولكن البطل يستهزئ بالخطوب ويرسم للفتح خططا محكمة ، فيهجم على د باغية ، ويمزق ما بها من البربر والروم ، ثم يطير إلى بلاد د الزاب ، فتسقط د لربة ، منكسرة خاشعة تحت أقدامه ، ويفر جنودها إلى الهضاب والتلال بعد تلاحم رهيب ، وتأخذ عقبة النشوة فيندفع إلى (طنجة) ويستقبله قائدها مصالحا مسلما بعد أن أفزع الرعب وتحقق السكارة الدامية لمن هم بمكارة وعصيان ، ويتقدم الجيش ليرى في بلاد (السوس) برابرة كالوحوش الضاربة حفاة عراة يرسلون الضفائر ويتسربلون بالجلود ويرسلون الصرخات المنكرة في أذان لم تسمع من قبل زجاجة الوحوش من أفواه الأدميين ، وتدور المعارك فيساقط الصرعى من الجانبين ، ويتلاحق الطوفان البربرى من كل صوب ، ولكن القائد يتقدم ويرى بنفسه تحت الظبا والاسنة المشرعة ، والنبال المنهمة كالسيل ، وجنوده من ورائه لا يحفلون بشهيد يسقط ، أوجواد يكبو ، ويأذن الله بالنصر لدينه ، فتحمس الجوع المراكمة ، وتفرق الوحوش الواثبة ، وتزفر راية الإسلام ، ويندفع البطل إلى الامام حتى يبلغ المحيط الزاخر تتلاطم أمواجه وتهدر أواذيه ، فيقذف بجواده إلى الماء حتى يبلغ صدره ويرفع يديه إلى السماء ليقول في بسالة وإعذار : اللهم إني أشهدك ألا مجاز للخيول في هذا الماء ، ولو وجدت مجازا لجرت إلى الغرب في سبيل الله ١١ ، قوة وإيمان تملآن روح هذا البطل المغامر الطموح ١٢

لقد توغل في المهامه الشاسعة والمطارح المجهولة إلى مدى لم يخطر بذهن من الأذمان ، وها هو ذا يرجع أدراجه ظافراً إلى القهروان وقد اعتقد أن الطريق مهددة ذلول والابوة هيئة مسالمة ، ولكن الروم والبرابرة يتعرشون من جديد ، وكلاهما في حزن عمى وألم دفين ؛ فالروم يلتاعون لملك فقدروه ، وعدو قوى يستهين بالصعاب ، والبرابرة قد خضعوا خضوعاً منكراً لزعيمهم د كسيلة بن لزم ، وقد اعتق لإسلام وشايع أبا المهاجر ثم نكل به عقبة حين رجع إلى القيادة فاستدله في قومه بعد عزة — وهذا خصاً كبير — وبالع في تحقيره لأجبره على سلخ الشياه وغسل القدر ، وثارث ثأثرته وهو السيد المطاع ، فاندفع إلى عاقلة الرومان ونبد الإسلام مما يتوقع حدوثه من كل متكبر طموح ١١

أجل لقد دبر البربر والروم مكيدة أليمة للجيش الظافر ، ووقف الروم أولاً أمام عقبة ، فتوجه سريعاً إليهم ببقايا جيشه ، ولم يكن يعلم أن البربر سيهاجمونه من الخلف بقيادة د كسيلة ، ١١

فما لبث أن وجد نفسه بين المطرقة والسندان حين يطبقون برماحمهم وخيولهم من حيث يأمن ، وكان أبو المهاجر العظيم لا يزال مكبلا بالأغلال ، فنارت حمية الإسلام في نفسه وعز عليه أن يجد أبناء دينه ولفته يتساقطون كأوراق الشجر على الرمال ، فصرخ واستجد بعقبة ليفك وثاقه فيقف مع أصحابه في مأزقهم الكريه . واستجاب عقبة لندائه فأطلقه من أساره ، ونسى المسلمان التئيلان ما بينهما من خصام ، فتقدما الصفوف معا في بسالة وحمية ، والعدو يرعد ويرق ، والقلة القليلة من الجنود يتهاون شهيداً خلف شهيد ، ويخلف النصر هذه المرة وعده الفزاة الظافرين ، فيستشهد أبو المهاجر في معركة حمراء بعد أن ضرب المثل الأعلى للحمية العاقلة والرجولة المترقمة عن النزوات والمآرب ١١ ويتبعه عقبة فيظفر بالشهادة هو الآخر بعد أن بذل المدخر الممكنون من حيلته الحرية وقوته وشجاعته أبطاله ، ولكن أجل الله إذا جاء لا يؤخر ١١ فهنيئاً للبررة المخلصين ١١

لقد أعاد عقبة بجهاده في إفريقية أجداد خالد في اليرموك ، وسعد بالقادسية ، فهو لا يقل بسالة وتضحية عن هذا وذاك . بل إنهما - كما قال الأستاذ محمود الخفيف في بعض أعداد الرسالة - كانا بحاربان أقواما مترفين حطمتهم الملاذ ووقع التغافل بينهم ، وليسوا كالبربر شكيمة ووحشية وقلة مبالاة ، وكان المسلمون في الصدر الأول متحدى الكلمة متفقي الرأي ، فقد اشترى الله أموالهم وأنفسهم بالجنة ، وروح محمد ﷺ لا تزال تغمرهم بسموها الرفيع ، فتصعد بهم إلى عليين ، أما عقبة فقد مثل دوره بعد تفرق الكلمة في مقتل عثمان وقيام التطاحن في خلافة علي ، وتمزيق الوحدة بتعدد الفرق وتنازع الأهواء ١١

وإن بطلاً ينتصر بجنوده القليلين مع هذه الموانع الجدير بالمحمدة والتبجيل . ويمكن أن اسمه اللامع يأنلق إلى اليوم بأحرف من ضياء في سجل الشهداء من الفاتحين ، وتلك عليا مراتب الكمال ؟

محمد رجب البيومي



يوم الفرقان

دار الزمان دورته ، فعاد بنا إلى مواجهة أعظم ذكرى في تاريخ الإنسانية لوقوف الحق في وجه الباطل ، وضربه المثل الأعلى لما يجب للحق على أهل الحق ، وبذلك كان (يوم بدر) يوم الفرقان ، لأن الله قد فرق فيه — بأيدى المسلمين الأولين — بين الباطل الذي كانت عليه الدنيا كلها ، وبين الحق الذي كانت عليه تلك القلة من أوليائه الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، ففدا هذا الرعيل الأول من طليعة الإسلام قدوة لكل جيل من الأجيال الإسلامية فيما يجب أن يكون عليه موقفهم من الحق ، كلما تكرر الباطل عليه ، وأنكر أن تكون الغلبة له ، والسيادة لأهله .

كان الرعيل الأول قدوة لنا بإقامتهم الحق على أنفسهم ، فكانوا أهل حق في كل ما يختلف فيه الحق والباطل من منافهم الشخصية ، وأهوائهم الإنسانية . وكأوا يكونون مع الحق ولو كان على أنفسهم ، أو على من هم أعز عليهم من أنفسهم من آباء وبنين .

وكان الرعيل الأول قدوة لنا في إقامة الحق في بيئتهم ، فكانوا يضمنون بها أن يظهر فيها الباطل على الحق فيما يتعامل به الناس ، أو يتعاونون عليه ، أو يحتكون فيه إلى حكاهم وقضاهم .

وكان ذلك الرعيل قدوة لنا في إقامة الحق في الأرض ، فيبدلون كرائم أمواتهم ، وفلذات أكبادهم ، وقطرات دماهم ، لينعوا المبطلين من أن يرسخ باطلهم في بقعة استطاع ذلك الرعيل الأول أن يطهرها منهم ومن باطلهم .

الحقيقة العظمى التي قررها (يوم الفرقان) في بدر ، هي أن الباطل « فتنة » ، وأن الحق لا يتكفى فيه أن يقوم به أهله في أنفسهم ، بل يجب أن يضربوا أيضا على يد الباطل « حتى لا تكون فتنة » ، وأي فتنة أقدم من أن تكون للباطل سيادة تظهره حيث كان يجب أن يفرد الحق بالظهور ؟

فهذه الحقيقة لم يسكتف الرعيل الأول من أتمتها وقدوتها الذين ضربوا لنا المثل الأعلى

في بدر أن يقيموها بأنفسهم ، بل مثلوها بدمائهم على مسرح النضال بين حقهم وباطل من يلهم من المبطلين ، فأقرم الله سبحانه على عملهم ، وأنزل في مثل هذه الأيام من رمضان وحيا جعل ذلك ديننا لنا لا يتم ديننا إلا بالعمل به ، ثم وعدنا — ولا يكذب وعد الله — بأننا إذا عملنا به كان (جل جلاله) مولى لنا ، وهو نعم المولى ونعم النصير .

سأل عوف بن الحارث سيد الهداة وأعظم المرسلين فقال له : يا رسول الله ما يضحك الرب من عبده ؟

وكان هذا السؤال في يوم هذه الذكرى ، أى يوم الفرقان ، يوم التقي الجمعان . فأجابه معلم الناس الخير :

« يضحك الرب من عبده غمسه يده في العدو حاسرا » .

وكانت على جسم عوف بن الحارث درع سابقة أعدها ليوم الفرقان ، فاقنع بأنها تثقل جوكه على الباطل في سبيل الحق ، وأنها لا ترد عنه قضاء الله إذا نزل . فزح درعه ، وألقاها وراءه ، وأخذ سيفه المبارك فقاتل حتى لقي ربه شهيدا سعيدا مذكورا على السنة الاجيال في أربعة عشر قرنا وأمثالها بعدها إلى يوم البعث الأكبر . ولو أن أغني أغنياء الأرض أنفقوا كل ما في الأرض من ذهب وفضة لتذكروهم الإنسانية بالخير ذكرى خالدة عشرات القرون كما تذكر أهل بدر لبأوا بالفشل والحزى .

ولما التقي الجمعان ، في يوم الفرقان ، لم يكن الصراع بينهما صراعا بين قريش ومجاهدى المدينة من المهاجرين والانصار . ولكنه كان صراعا مع الباطل في كل مكان : في فارس ، في مصر ، في روما ، في القسطنطينية . وإنما كانت قريش تمثل أهل الباطل في الدفاع عنه ليقى قننة ، على الأرض تشكك بنى الإنسان في الحق ، وما يقضى به . وقد يكون في صفوف قريش من يتفاوتون في حماسهم للباطل ، بل قد يكون فيهم من يكرهون الباطل في ذات أنفسهم ، ومن هؤلاء - مثلا - عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، كان ابنه (أبو حذيفة) في صفوف أهل الحق ، وكان الأب مع الآخرين ، لا تعصبا لباطلهم ولكن خجلا من أن لا يكون مع طبقة من وجهاء قريش وأشرافها ، وهذا الحياء في الحق ، ضعف ، ورسالة الإسلام كما جاءت لإقامة الحق ، جاءت كذلك لإلغاء الحياء فيه .

إن « يوم الفرقان » لم يكن معركة حربية ، ولا خلافاً على ما يختلف عليه الناس من متاع الحياة الدنيا ، ولكن كان إعلاناً لمبادئ إنسانية ، وثباتاً للقواعد التي تقوم عليها تلك المبادئ .

« الحق » ، أمنية الإنسانية منذ وجدت ، ولن تكون للإنسانية أمنية أسمى وأعز من الحق ، حتى تقوم الساعة . والإسلام رسالة الحق المطلق كما تفهمه أصنى العقول وأنقاهما وأنضجها وأطهرها ، وكل من أقام حقاً في الأرض فهو مسلم بقدر ما يقيم من حق ، فإذا أقام الحق كله كان المسلم الكامل .

ويوم بدر ، يوم الفرقان ، يوم ١٧ رمضان ، هو يوم تقرير الحق ، وأخذ العهد على نصرته ، (حتى لا تكون فتنة ، ويكون الدين كله لله) . فإذا جددتم - يا إخواني المسلمين - عهدكم مع الله على إقامة الحق لإحياء هذه الذكرى واقتداء بما كان عليه الرعيل الأول من أهلها (فاعلموا أن الله مولاكم ، نعم المولى ونعم النصير) .

حسب الربيع الخطيب

المسلمون في كفاحهم

المسلمون على جهالة بعضهم	عرفوا الحياة نعيمها والبوسا
أخذوا عن الزمن المشاغب عليها	وتجرعوه من الخطوب دروسا
أقبلون مدى العواطف نوما	أم يدركون سنا البروق جلوسا ؟
ليس الذي لبس السلاح كما جزو	جعل التيب والتكول لبوسا
لو ضن معتق الخوف بنفسه	ما نال من دنيا الرجال نفيسا
العزم منطلق لعزمك واسع	فاربأ بنفسك أن تكون حيسا
	أحمد عمر

شخصية الازهر

في يوم الأربعاء ٢١ من رجب سنة ١٣٧٤ (١٦ مارس سنة ١٩٥٥) ألقى السيد صاحب الفضيلة الشيخ محمد عبد اللطيف السبكي عضو جماعة كبار العلماء ومدير التفتيش بالازهر المحاضرة التالية بقاعة المحاضرات الكبرى بالازهر :

• • •

حديثنا عن الازهر لا يعدو أن يكون استذكراً لصفحة تاريخية . ولهذا يبدو أنه حديث غير جديد ، وبخاصة بين الاسرة الازهرية ، فهي عارقة بما يتصل بأزهرها . والمتحدث إليها في شأنه كناقيل التمر إلى هجر . ولكنني أتهز من وقتكم هذه الفترة لاستذكر معكم فيها فقرات من تاريخ الازهر في ماضيه ، وأقف معكم في ضوئها أمام الازهر في حاضره ، ولنستشف من خلالها حياة يترقها الازهر في مستقبله . وفي هذه الحلقات الثلاث دورة حيوية يجب أن نلم بها وإن لم نستوعبها ، ولعل في ذلك الإمام تذكرة لمن غفل ، بأننا السابقون إلى ما لم نسبق إليه ، ولعلنا نتمثل نحن الازهريين أننا جبهة ذات شأن ، نحمّل منذ القدم رسالة الإسلام إلى الأجيال ، وأنها مسئولة عن تلك الرسالة جماعة وأفراداً . وعسى أن نتهدى إلى الحق فنقول إجمالاً ما لنا وما علينا إلا ما يغلبنا عليه النسيان .

سادق :

منذ تركزت راية الإسلام على مدينة القسطنطينية أخذت الثقافة المصرية تصطبغ بصبغة جديدة ، وغدا المصريون يتلون من آيات القرآن الكريم ، ويتناقلون من أحاديث الرسول وآداب العرب ما لم يكن يجري بينهم على لسان ، وصارت الدعوة المحمدية تفسح خطاها في البقاع المصرية وما حولها ، كما ينساب الهواء في الوادي الرحيب ، وصار الروح الإسلامي بروعه وحيويته يتغلغل في الانفس والقلوب ، كما يتغلغل ماء الحياة في العود الرطب .

ذلك لأن القاطنين على تبليغ الدعوة كانوا مؤمنين بها أصدق الإيمان ، مخلصين لها أكمل الإخلاص ، وبفضلهم قامت للإسلام في مصر دولة فنية ، كما قامت في نواح أخرى من الأمصار العربية ، غير أن مصر فيما يبدو كانت أكثر طواعية للإسلام ، لأن طبيعة المصريين

أسس من سواها وبخاصة حينما تذوق الحق فيما تدعى إليه ، ولأن المصريين أهل علم وحضارة من قبل ، فهم بحكم وراثتهم يتوقون إلى العلم ، ويتشوقون إلى الحضارة . فلم يكن غريبا أن تبدو فيهم طواعية الإسلام أكثر من سواهم ، لأن الإسلام في جوهره ومظهره وفي جملة وتفصيله ، علم وحضارة ، فهو يتجاوب مع الروح المصرية في غير جهد ولا تكلف . ثم إلى جانب هذا كانت مصر — ولا تزال — بحسن موقعها ، وكثرة خيراتها ، تستهوى الفاتحين ، وتجذب العلماء والرحال ، وبذلك ظلت في عصرها الإسلامي بيئة علم ودين ، ومعرض تجارة ، ومسرح سياسة ، وبلاد أضياف . حتى كأنها وطن مشترك بين أهلها وغير أهلها من أبناء الاقطار ، واقتضى هذا الاتصال أن تتأوج بالثقافة الإسلامية ، يحملها إلى مصر رجال يغدون و يروحون ، ويتلقفها منهم مصريون يلتقون بهم حينما استقروا ، وأصبحت تلك الموجات الثقافية بحاجة إلى أن تتأقلم في مصر ، وتتجمع في محبط واحد ، يلم شعنها المتفرق ، ويشع من برجه ضوءها في جنبات هذا الوادي وما يتصل به من الاقطار . ويانشاء موطن للثقافة ، تصبح مصر بعد مكة والمدينة مركزا ثالثا للدعوة الإسلامية .

ولعل مصر لخصوبتها وعذوبة نيلها وصفاء جوها وسهولة السفر إليها ، ولسباحة أهلها ، تكون أيسر مقاما على من يرباط فيها إلى جانب العلم حتى يتعلم .

سادق :

كانت هذه الأمنية جذيرة أن تتحقق منذ دخلها المسلمون العرب ، ولكن الحياة الاجتماعية في الآونة الأولى لم تكن تقس لهذه المنشأة ، ضرورة أن الحضارة الإسلامية كانت وليدة لم تبلغ بهم أن ينشئوا دورا للعلم ، على نحو ما عهدناه بعد ، ولما اتسع الأفق الإسلامي في مدى القرون الثلاثة الأولى ، وأصبح من المسلمين رعييل ضخم في بلاد المغرب ، وفتحت أعين هذا الرعييل إلى بسط نفوذه ، ومد سلطانه ، وتأصيل حكمه ، لم يتردد هذا الرعييل في أن مصر هي ملتي رغبائه ، ومهبط أمانيه ، وهي الوطن الذي يستحق أن يستوطن ، والمقل الذي ينبغي أن يعسكر فيه ، وإذ تحقق لهؤلاء الفاطميين أن يتحركوا من المغرب ، ويدخلوا مصر ، ويجلسوا على أريكته ، كان الخاطر الأول الذي استأثر بعنايتهم ، هو أن يقيموا للعلم داره ، ويرفعوا له في مصر مناره ، وأن يجعلوا فاتحة عهدهم ، وأبرز مآثرهم ، لإنشاء الجامع الأزهر .

ومن وقتنا هذا في منتصف القرن الرابع الهجري أصبح في مصر أسبق جامعة عليية إسلامية ، وانعقد بمصر فصل جديد في تاريخ الثقافات في الدنيا ، تحت عنوان : الجامع الأزهر ، وغدا لمصر نثر جديد لا يزاها فيه مزاحم ، وهو أنها بلد الجامع الأزهر .

نعم حسب الفاطميون أن مجدم بالأزهر ، ومجد الأزهر في مصر ، سيكونان من طريق المذاهب الشيعية ، فإن حياة هؤلاء كانت كلها ولا تزال ملونة باللون الفاطمي ، حتى اختاروا أن يشتقوا للأزهر اسمه من اسم فاطمة الزهراء بنت النبي محمد - صلوات الله وسلامه عليه ورضي الله عنها - ليكون الأزهر باسمه وبدراسه أداة الوصل بينهم وبين السيدة فاطمة ، ولكن الله أراد لمصر خيرا مما أرادوا ، فساق إليها صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٦٧ هجرية ، فقلب الأوضاع ، إلى أصح وجوها ، وأحل المذاهب الأربعة محل المذاهب الشيعية ، وأنشأ في القاهرة مدارس كانت كأجنحة للأزهر ، ثم جاء الظاهر بيبرس فضم تلك الفروع إلى الأزهر ، وأصبح الأزهر على رأس الطريق التي ينبغي أن يسلكها المسلمون ، وجعله عصبا قويا بين مواطن الإسلام كلها ، وبين الجماعات والوحدات الإسلامية المنبثة في الاقطار ، والتي تستظل بكتاب الله وبالسنة النبوية الصحيحة ، والتي لا تنجح إلى الشقاق والخلف . وبهذا التوجيه أصبح الأزهر متصفا بالمعنى الحقيقي لهذا العنوان الجليل ، لا بالمعنى النسبي الضيق الذي كان يتقيد به في عرف الفاطميين .

سادتي :

تجمعت الثقافات الإسلامية في مصر في البقعة التي شاء الله لها أن تحمل اسم الأزهر ، وقد صدق فيها الأثر المشهور : إن لله خواص في الأزمنة والأمكنة والأشخاص .

وكان من سنن المجتمع الإسلامي في الشرق أن يتوافد الناس على الأزهر في مصر ، ليتعرفوا أحكام دينهم من مصدرها الوثيق ، ورسخ في الأذهان حقا أن الأزهر مشرق من مشارق الهداية بعد مكة والمدينة ، وحفل الأزهر تباعا بالأجيال من الناشئة الإسلامية ، يقضون مرحلة من أعمارهم بين جنباته عاكفين على الجهاد العلي ، حتى كان لهذه الحياة العلمية دوى في آفاق الدنيا .

وكانت جلجلة الأزهر نافذة إلى قصور الملوك ، يستمعون إليه ، ويخشعون له ويعلقون

عليه صادق الأمل في إصلاح الراعى والرعية. ساعد على ذلك طابع شخصى عرف به علماء الأزهر وطلابه، طابع التدين الصحيح، والعزة النفسية، والشجاعة في الحق، والامانة في تبليغ الدعوة، وكان طلاب الأزهر يحذون حذو أشياخهم في هذه المحامد، ويتخبرون من الشيوخ من تنضح فيه تلك الميزات، ويحرصون على تقليده، وربما قلده في الحركات والسكنات. وهذا لقوة الجاذبية الروحية بين الشيخ وطلابه، وذلك هو الرباط الأدبى الذى يفسده العلم الحديث بين المعلم والمتعلم، أو كما يسميه أهل التصوف قديما بين الشيخ ومريديه، وظلت سيرة الأزهر هنا وهناك كمير المسك تفوح من جانب علمائه وطلابه من حسن مسلكتهم بين أهلهم ومواطنهم، وفيما يشهده الطلاب الأغراب بيننا وينقلونه عنا بعد العودة إلى ديارهم.

وإلى هنا نستطيع أن نقرر في اطمئنان أن الأزهر في الحقبة السابقة من ماضيه إلى الفتح العثمانى لمصر سنة ٩٢٢ بذل نصيبا مشهودا من الفشاط العلمى، وثابر في القيام برسائلته حتى أتيح وربى أجيالا ضخمة من الناس تربية محمودة، منذ كان وحده حامل المشعل الثقافى في العصور المظلمة، فكان من حقه على المسلمين أن يظفروا منهم بتقديره، وأن يحفوه بالإجلال والتكريم، وقد فعلوا، فالأزهر أدى إليهم رسالته، وهم عرفوا له فضله، وقدروا له مكانته، وسيد الأزهر نفسه، فسيده الناس طائعين شاكرين. ومثله كمثل الشاعر في قوله :

وأكرم نفسى إتنى إن أهنأ وحقك لم تكرم على أحد بعدى

فإذا دخلنا في العهد العثمانى، وجدنا الأزهر يستقبل فترة من حياته، لاهى من التاريخ الأول الذى نحدثنا عنه، ولا من التاريخ الحاضر الذى سنعرض له.

فقد انتقلت الخلافة الإسلامية من مصر بعد بغداد، واستقرت في القسطنطينية، وأصبحت مصر حلقة ثانية وراء الخلافة، ووقف الأزهر وقفة المترقب لما يكون من الخلفاء العثمانيين.

ولم تكن الدولة العثمانية دولة علم ولا فلسفة، ولم يكن لها طابع أدبى موروث، ولا حاولت أن تضفى على رقعتها الجغرافية لونا عليا خاصا، كما كانت تحاول دولة المماليك مثلاً، بل كانت وجهتها في مصر وجهة استغلال مادية، وسيطرة عسكرية غاشمة، وسياسات

متأرجحة بين السكون والاضطراب ، وبقى الأزهر في عهد الأتراك حاملاً رسالته وحده ، دون أن يجد من الخلافة مؤازرة جدية ، تشق له طريقاً أوسع من طريقه الأولى في المضمار العلمي ، ولكنه لم يسأم ولم يطو صفحته ، بل عرف كيف يحرص في أناة وصبر على ثروة علمية ، كونها في قرون سائلة ، وكيف يحرص على مجد أدبي ظفرت به مصر دون سواها من الأمصار .

ونستطيع أن نتخطى هذه المرحلة الجامدة لمن يشاء الرجوع إليها في تاريخ الحكم التركي وما وراه من ذبول حكم محمد علي وأسرته ، فقد يطول بنا ذلك ، دون حاجة إلى تفصيله .

وننتقل من ماضي الأزهر كله إلى حاضره الذي نشهده ونعيش فيه ، وهو الموقف الذي نقصد إليه ، ونود أن تتأزر في الإحاطة به ، حتى نقف بالأزهر على باب مستقبل ملحوظ مرتقب .

سادق :

لا يزال المسلمون على عهدهم بالأزهر ، أنه حصن الدين ، ومصدر الإرشاد، ومقلد الوطنية الرزينة الصادقة ، ولا يزال الأزهر حفيظاً على عهد المسلمين به ، ولكنه يحس في نفسه بأنه يلاقى في تبليغ رسالته شيئاً من العسر ، لم يكن يحس به من قبل ذلك ، لأن حوله عوامل تقتضيه أن ينشط أكثر مما كان ، وهو يود في شغف أن يستجيب لتلك العوامل دون أن يتعثر ، وحوله معوقات تحاول التضييق عليه ، وتحاول أن تحمل الناس على التمسك له ، والاستهانة بما يقوم به في سبيل التهذيب والإصلاح .

وهو بين العوامل الأولى والمعوقات الثانية يجاهد وينصب في جهاده . فما هي العوامل التي تحفز الأزهر على الجهد والتحليق في أفق أوسع من أفقه الأول ؟

ثم ما هي المعوقات التي يضيق بها الأزهر ويراهما دخيلة عليه من حيث يفتن الأزهريون أولاً يفتنون ؟

(١) العوامل :

١ — كان الأزهر وحده مركز الثقافة في مصر قديماً ، ثم ما زال التعليم يتنوع ويتسع لدينا حتى أصبح الأزهر دكنا من أركان المركز الثقافي الفسيح ، وأصبح لازماً عليه

أن يحدد من شبابه العلمي ، وأن يمزج ثقافته الدينية بالثقافات التي لا ياباها الدين ، بل لعلها شطر جوهرى من أهداف الإسلام ، ولعل الأخذ بها ولو إجمالاً يساعد الأزهر على إقناع الناس بأن الدين أسبق إلى احتضان العلم كله ، وبأنه دفع أهله نحو الطموح إلى الثقافات قديماً وحديثاً ، لأن الإسلام هو المنهج الصحيح للتطور في العقلية ، وفي مناحى الحياة الاجتماعية والادبية ، فعود الأزهر عن مسامرة النهضة يعتبر تنحياً عن قيادته التي حمل رايتها من فجر التاريخ .

وما هو ذا الأزهر - فيما نراه ويراه الناس - متنبه إلى ذلك ، وأخذ بحظه من النشاط للطلوب ، وفيه دراسات لمختلف العلوم ، وفيه برامج للتربية البدنية ، وله بعوث في الغرب تنقل إليه ما يحتاجه من العلوم الحديثة ، وله بعوث أخرى في الاقطار الإسلامية ، تبلغ رسائله ، وتقاوم الجبهة في المحيط الإسلامي ، وفيه نخبة كريمة من حضرات المفكرين والمدرسين المثقفين ثقافة مدنية ، وهم يعتبرون عنصراً فعالاً في تلقيح الثقافة الدينية بالثقافة المدنية ، وتعتبر هذه النخبة أداة وصل بين الأزهر ووزارة التربية والتعليم ، وعضداً قوياً في العمل معنا بإدارة الأزهر . ولهم من خلقهم وإخلاصهم وكفايتهم وتدينهم ما يكسبهم ثناءنا وشكرنا ، وحسبنا منهم أنهم معنا في جد وإخلاص ، وحسبهم أنهم منا كأفئسنا .

٢ - عاش الأزهر صادق الوطنية ، ولكنه أخيراً في ظل الحكومات الحزبية ، كان يضطرب كغيره من معاهد العلم ، وكانت تموج فيه الدعايات المختلفة ، فتشغل بعض أهله عن رسالتهم الأصلية ، فيما ينتخه بعض الأحزاب إزاء البعض ، وكان الأزهر في مجموعه مغلوباً على أمره ، وكانت الاكثية من رجاله وأبنائه يربأون بأنفسهم وبأزهرهم عن هذه المغامرات . ولكنهم مأخوذون بذنب القلة منهم ، وهم يتطلعون إلى فرجة من هذه الضائقة ، ولسانهم يقول :

عسى الكرب الذي أصبت فيه يكون وراءه فرج قريب

وقد كان الله للأزهر إذ وصلته عناية الله أخيراً بعد أغر ، في ظل حكومة وطنية وهي حكومة مثالية ، فيما يشهد التاريخ المصري ، إذ تتألف من كتلة متجانسة البيئة متجاوبة الميول ، فكلهم من البيوتات المصرية الصميعة التي برئت من الشوائب الدخيلة ، والتي نشأت أسرها في أحضان الدين ، وشبت على التقاليد الوطنية ، وليسوا من سلاله الباشاوات الانزاع....

حكومة اليوم تدين بإجلال الأزهر ، وتظهر إليه نظرة الثقة فيه ، والرغبة في الانتفاع به ، وتتخذ منه عوناً كبيراً في إصلاح ما فسد من الأخلاق ، وإحياء ما درس من روح الدين ، وهي لا تدفع بالأزهر إلى حزبية ، فقد بادت الحزبية ، وتكتلت الأمة ، وإنما تهيب بالأزهر أن يجهز بدعوته الخيرة ، وأن يكون للرسالة المنوطة به ، وأن يرافق الثورة في خطاها الفسيحة إلى كل غاية نبيلة ينشدها الإسلام من أهله في العمل لوطنهم ودينهم ودنيائهم .

وحكومة الثورة مصفية إلى توجهات الأزهر في غير عصبية طائفية ، ولا تحامل عنصرى ، والأزهر من ناحيته يدرك في حزم ما يتطلبه الانجاء الحكومى الجديد ، وما يتجه إليه النشاط الاجتماعى المتحضر . وهو يقطن إلى تعلق الرجاء به ، واتجاه الانظار إليه ، وهو - بما يبدى من نشاط نحو واجبه - جدير بتدارك ما فاتته في عصر الحكومات الحزبية ويكون - بنشاطه العلمى وبحسن إنتاجه - برهن على مقدار نفعه ، وأوضح مدى الحاجة إليه ، ونبه السافلين عن رسالته إلى أن الأزهر ضرورة حيوية لمصر ، وعصب قوى للامم الإسلامية جميعاً .

٣ - إن الأزهريين يرون بأعينهم أن كل جماعة من الجماعات المصرية تعمل على تكوين شخصيتها في هيئة متماسكة يجمعها شعور عائلى ، ويربطها حب أخوى ، ويسودها الاهتمام بأن تكون في طليعة الجماعات . وضمت هذه الظاهرة حتى في الجماعات التى نعتبرها دون غيرها ، فإذا لاحظنا أن القضاة والأطباء والمهندسين والمعلمين والموظفين والمحامين والصحفيين والسياسة وغير هؤلاء من الهيئات المحترمة قد انتظمت كل واحدة منها في وحدة تسمى رابطة ، أو نقابة ، أو جمعية أو نادياً ، فإننا نلاحظ كذلك أن المطربين والممثلين ومن هم دون ذلك ممن يسمون أهل الفن يخلقون لأنفسهم شخصية ، ويفرضون على الشعب أن يعترف بهم ، وبأنهم يسدون فراغاً في المجتمع ، فإذا كان هذا مسلماً وأمرأ واقعاً ، فالأزهريون - وهم الدعاة إلى الاتحاد والتضامن ، وهم بيئة واحدة في ثقافتها وطلابها الدينى - أولى الناس بأن يكونوا قدوة هذه الجماعات في التعاطف وتبادل الشعور الأخوى ، والتآزر في اجتذاب الناس إلى ناحية الدين ، بالمظهر الصادق الذى كان يتعارفه الناس عنهم ، وبالبعد عما يثير الشبهة فيهم ، ويستفز الألسن حولهم ، وإلى لمسئ في هذا ، إذ أرشد أهل الأزهر إلى خصائصهم ، ولكنه التعاون على البر والتقوى ، أو هى الذكرى ، والذكرى تنفع المؤمنين .

هذه الإمامة بالعوامل الإيجابية التي تهيئ بالأزهر أن يحتفظ بأزهرية المساجدة .

وحينذاك يطيب لهم أن يقولوا في صدق :

بلغنا السماء بمجدنا وسناؤنا وإنا لترجو فوق ذلك مظاهرا

تلك عوامل النهوض . فما هي المعوقات التي يضيق بها الأزهر ؟ وما أحب أن أطيل فيها ، وحسبك من شر سماعة .

أولا : ان نفرا من بيتنا لا يؤمنون بشخصيتهم ، ولا بقضية الأزهر ، ولا أشربوا تقاليدهم ، ومع أنهم عاشوا بين جوانبه ، فقد تلونوا بألوان غيرهم ، وخرجوا عن وضعهم ، بعد أن اتخذوا من الأزهر شهادة مرور ليصلوا بها إلى العمل ، ثم لا ترى في مشربهم الأدبي ولا في طابعهم الشخصي أثرا للثقافة الدينية التي انتزعوا من الأزهر شهادتها ، وكان هؤلاء يشكرون أنفسهم ، أو يتكبرون للناس ، فلام في عداد الأزهريين حقا ، ولهم من طبقة غير طبقة الأزهريين . هم أشبه بالمتكبر لنسبه ، وقد لمن النبي من انتسب لغير أبيه ، وعندى أن الأزهرى المنسلخ من قوميته الأزهرية المهدبة ليس أقل شؤماً على نفسه من المنتسب لغير أبيه ؟

لقد أسرف بعض هؤلاء في التنكر للأزهر ، فسأبروا الطاعنين عليه ، ورددوا غمزات الغاضبين فيه من أصحاب الأهواء والملاحدة ، وزعموا أن هذا التجاوب مع خصوم الأزهر سبق إلى المدنية ، وأنها عبقرية قفزت بهم إلى الامام ، فأنت تراهم في المجالس يمحرون العلماء والأزهر كله ويستنتون أنفسهم فقط ، وأنت ترى بعضهم حينما يصدر الأزهر حكمه في أمر ديني يتناولون ويعلنون المخالفة فيما يراه الأزهر ، مع أنهم لم يبلغوا من العلم مبلغ المدرس الصالح للتدريس ، وإنما يلبسون الرأي العام الذي لا يعرف شأن هؤلاء المخالفين بين صفوف العلماء ، وبهذا الانشقاق يتيحون الفرصة للمتجملين من الدين ، فيقولون عنا ما يرضيهم ، وأنتم تشهدون أن النقطة السوداء تشوه الثوب الأبيض كله .

ثانياً — في مصر بعض صحف ومجلات تنجر باسم صاحبة الجلالة ، وفي مصر كتاب يؤجرون أعلامهم في كل ما يطلب إليهم ، وتلك الصحف ، وهؤلاء للكتاب ، يتناولون الأجر من أية ماحية تدمر بما لها ولو كانت غير إسلامية ، فلا يتخرجون أن ينصبوا أنفسهم دائماً لخصومة الأزهر وللغرض من أمل الأزهر ، ولا يتخرجون من الجهر بالدعوة إلى نبذ

الآداب الإسلامية ، والسير في بحبوحة الملاذ ، ويسمون ذلك تجديدا وتحجراً من الجلود ، ومسايرة للمصر ، وفهما لروح الزمن ، ومساواة للمرأة بالرجل ، تحقيقاً للعدالة الاجتماعية ، وهكذا من أساليب الخداع المغرية للأحداث ، ويفرح بذلك من يفرحون في مقاومة الإسلام ، وزعزعة العقيدة ، ومجافاة الشريعة التي وضعت حصانة للعقول من الضلال ، وهديا للناس إلى مسالك الخير في دينهم وديارهم ، وفي كل شأن من شؤون المجتمع .

فإذا أنكر الأزهر على دعاة المجون هذه النزعة الخبيثة رموه بالعزلة والجود ، ونازعوه رسالته ، وزعموا أنهم يفهمون الدين خيراً عما يفهمه الأزهر ، وأن الأزهر ليس وصياً على الناس . وإذا صاحبت امرأة برزة بدعوة ماكرة ، آزرها هؤلاء الكتاب ، وروجوا لها ، وأحاطوا بها ليدودوا عنها بأفلامهم الآثمة ، ومن الغريب أن هؤلاء المناوئين للأزهر ، والناقين على الآداب الإسلامية ، محسوبون علينا من المسلمين ، في حين أنهم لا ينكرون منكر آخر مهما جزعت له الإنسانية ، وأنهم لا يرون في طائفة أخرى من يتبعج وينسكرك لديه كما يتبعج وينسكرك هؤلاء من جنود صاحبة الجلالة الصحافة ، فالأزهر كان يبتغى أن يجد من هذه الأفلام عوناً له على رسالته ، ولكن المادة جذبتهم إلى فاحيتها ، وليس في الأزهر مال يسد أفواههم . فليكفروا وراء المادة ، وإن الله الذي عصف بالجلالة الملكية سيعصف يوماً ما بالجلالة الصحفية التي تكيد لديه ، وتناوى كتابه الكريم ، وسنة الله آتية بغلبة الحق على الباطل . إن الباطل كان زهوقاً .

يا أبناء الأزهر !!

أحسستم من جديد بأن عهد الثورة عهد التجديد في كل شيء لصالح الوطن والدين والعلم ، لحذار أن تتخلفوا ، وحذار أن تطرحوا أزهريتكم قربانا إلى مظهر يغريك ، بل استمدوا من حيوية الإسلام صلتكم بالعهد الجديد ، وكونوا بأخلاقكم وكرامتكم في طليعة الصفوف ، ولا يصدكم أن تروا كثرة من الناس غير حفية بالمظهر الديني ، فأنتم على الحق ، والحق أحق أن يتبع .

يا أبناء الأزهر :

كنتم حملة الراية قديما ، ولا زالت في أيديكم ، وأعيذك بالله أن تلقوها ، وفي الأزهر شباب يعرفون الكرامة .

يا أبناء الأزهر :

لو لم يكن للأزهر مجد قديم لوجب أن تصنعوا له مجدا جديدا ، وقد أصبحتم في ظل حكومة تتاجى الشباب أن يتسلح بالخلق ، وأن ينشط في العلم ، ويعتصم بالدين ، ويعتز بالوطنية ، فكونوا أول المستجيبين لهذه الصيحة ، وأقنموم بأنكم عند ظنهم ، وانركوا السفاسف من الحركات الهازلة التي لم يعد لها شأن بعد أن انهارت الحزبية التي خدعتكم زمناً طويلا عن العلم وعن الجهد في رسالتكم .

وقد رأينا منكم في معرض الشباب الجامعي نموذجا سارا ، وسمعنا عنكم أكرم الأبناء في حفاظكم على الدين ، واجتذابكم الشباب إلى مواقف الصلاة في موعدها . وبهذا الوفاء لدينكم ، والحرص على واجبكم وتقاليديكم ، سترفعون من شأن الأزهر ، وستحفظون عليه من كرامته وهيبته ما هو جدير به .

ولا تكونوا كأفراد نشأوا في أحضانه ثم كانوا حربا عليه ، وكانوا سهاما في فواده .
يا أبناء الأزهر

إذا كنتم للأزهر في رجولتكم ، كما كان الأزهر لكم في نشئتم وتربيتكم ، فستظل شخصيته ناهضة في كبرياه ، وسيعز بكم في سلوكه على خصومه ، وسيرتد الملاحدة والمأجورون عن مناوآته يائسين من الطعن فيه .
وسيقولون عنه ما تقولونه أتم .

رسا أصله تحت الثرى وسما به إلى النجم فرع لا ينال طويل
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

غزوة الخندق

الدعاية كسلاح من أسلحة الحرب

- ٣ -

فوجئت قريش والأحزاب بالتحندق فوقفوا دونه ، ثم أرسلوا ليهود بني قريظة يحرضونهم على أن ينقضوا العهد بينهم وبين محمد ﷺ فأفلق مسعاهم وأصبح المسلمون في مأزق خطير . . .

كيف الخروج من هذا المأزق ؟

في هذا الوقت العصيب كان رسول الله عليه الصلاة والسلام غارقا في التفكير في هذا الأمر ، ضارعا إلى الله عز وجل أن يكشف الغمة ، ويزيل الكرب .

كان المسلمون بين عدوين ، وكان أمام الرسول حلان كلاهما مر :

الحل الأول : أن يقاتل جميع الأعداء في الجبهتين في وقت واحد ، وهذا ما لم يكن في مقدوره بالنسبة لقلة قوته .

والحل الثاني : أن يقاتل عدوا ثم يميل على الآخر بعده ، وهذا الحل كذلك لا غناء فيه ، فإن انصرافه ناحية إحدى الجبهات لم يكن من الحكمة في شيء ، لأن ذلك يضعف مركزه في الجبهة الثانية ، ويشجع عدوه على النيل منه .

فكر النبي صلى الله عليه وسلم في كل ذلك ، وقدر الموقف ، و انتهى إلى ضرورة الأخذ بالحيلة والمكيدة . فأراد أن يرسل إلى غطفان بعدما ثلث ثمار المدينة إن هي انسحبت ، ولكن سعد بن معاذ وسادة المدينة اعترضوا على ذلك على ما يقال .

ثم إن نعيم بن مسعود الغطفاني أسلم وكنم لإسلامه ، وجاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم متخفيا فقال : يا رسول الله ، إني قد أسلمت ، وإن قومي لم يعطوا بإسلامي ، فرني بما شئت .

فقال الرسول : إنما أنت فينا رجل واحد ، فخذل عنا إن استطعت ، فإن الحرب خدعة .
أى ادخل بين القوم حتى يخذل بعضهم بعضاً فلا يقوموا لنا ولا يستمروا على حربنا .

نخرج نعيم حتى أتى بنى قريظة - وكان لهم نديماً فى الجاهلية - فقال : يا بنى قريظة ، قد عرفتم ودى إياكم وخاصة ما بينى وبينكم . قالوا : صدقت . لست عندنا بمتهم فقال لهم : إن قريشا و غطفان ليسوا كأنتم ، البلد بلدكم ، فيه أموالكم وأبناؤكم ونسأؤكم لا تقدرون على أن تتحولوا منه إلى غيره ، وإن قريشا و غطفان قد جاءوا للحرب محمد وأصحابه ، وقد ظاهرتموه عليه ، وبلدهم وأموالهم ونسأؤهم بغيره ، فليسوا كأنتم ، فإن رأوا نهزة أصابوها وإن كان غير ذلك لحقوا بيلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل يلدكم ولا طاقة لكم به إن خلا بكم . فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهناً من أشرفهم يكونون بأيديكم ثقة لكم على أن تقاتلوا محمداً حتى تاجزوه . فقالوا : لقد أشرت بالرأى . ثم خرج حتى أتى قريشا فقال لآبى سفيان بن حرب ومن معه من قريش : قد عرفتم ودى لكم وفراقى محمداً ، وإنه قد بلغنى أمر قد رأيت على حقا أن أبلغكموه نصحا لكم ، فاكتموه عني . قالوا : نفعل .

قال : تعلموا أن معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد ، وقد أرسلوا إليه . إنا قد ندمنا على ما فعلنا ، فهل يرضيك أن تأخذ لك من القبيلتين قريش و غطفان رجالا من أشرفهم فنعطيكهم فتضرب أعناقهم ثم نكون معك على من بقى منهم حتى نستأصلهم ؟ فأرسل إليهم أن نعم . . . ، فإن بعثت إليكم يهود يلتبسون رهنا من رجالكم فلا تدفعوا إليهم منكم رجلا واحداً . ثم خرج حتى أتى غطفان فقال :

يا معشر غطفان ، إنكم أهمل وعشيت وأحب الناس إلى ، ولا أراكم تهتمونى .

قالوا : صدقت . ما أنت عندنا بمتهم . قال : فاكتموا عني .

قالوا : نفعل ، فما رأيك ؟

فقال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم ما حذرهم .

فلما كانت ليلة السبت من شوال سنة خمس أرسل أبو سفيان وروهوس غطفان إلى بنى قريظة عكرمة بن أبى جهل فى نفر من قريش و غطفان فقالوا لهم : إنا لسنا بدار مقام ، وقد هلك الخف والحافر . فأغمدوا للقتال حتى تاجز محمداً وفرغ مما بيننا وبينه .

فأرسلوا إليهم : ان اليوم يوم السبت وهو يوم لا نعمل فيه شيئاً ، ولنا مع ذلك بمقاتلي محمد حتى تعطونا رهنا من رجالكم يكونون بأيدينا ثقة لنا ، فإننا نخشى إن ضررتمكم الحرب واشتد عليكم القتال ، أن تنشمروا إلى بلادكم وتركونا والرجل في بلدنا ولا طاقه لنا بذلك منه . فلما رجعت إليهم الرسل بما قالت بنو قريظة قالت قريش وغطفان : والله إن الذي حدثكم نعيم بن مسعود لحق ، فأرسلوا إلى بني قريظة : انا والله لا ندفع إليكم رجلاً واحداً من رجالنا ، فإن كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا . وقالت بنو قريظة حين انتهت الرسل إليهم بهذا : إن الذي ذكر لكم نعيم بن مسعود لحق . ما يريد القوم إلا أن تقاتلوا ، فإن رأوا فرصة انتهزوها ، وإن كان غير ذلك انشمروا إلى بلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل في بلادكم .

وهكذا نجحت دعوة نعيم بين الأحزاب ، فخذل الله بينهم ، وبعث عليهم ريحا شديدة ، وهطل المطر غزيراً ، وقصف الرعد ولمع البرق ، واقتلعت العاصفة خيامهم وكفأت قدورهم ، وأطعمت نيرانهم وبعث الله الرعب في نفوسهم ، فخيل إليهم أن المسلمين عبروا إليهم ليستأصلوهم ، فقام أبو سفيان ونادى الرجيل ، فقام خلفه رجاله . وهكذا فعلت غطفان وسائر الأحزاب ، وما أصبح الصبح إلا وليس لها من أثر .

الدعاية كسلاح من أسلحة الحرب :

كانت دعوة نعيم بن مسعود عملاً بارعاً حقاً ، وأهم أسباب نجاحها هو التوفيق في التوجيه ، والتوفيق في اختيار الوقت المناسب ، فها نجحت دعوة قط برجل واحد نجاح هذه الدعوة ، ولا انتهزت فرصة العناصر الطبيعية والعناصر التي تتألف منها جماعة الأعداء كما انتهزت هذه الفرصة ، فكل كلمة قيلت لطائفة من طوائفهم نهى الكلمة التي ينبغي أن يقال في الوقت الذي ينبغي أن تفعل فيه فعلها ، وهذه هي دعوة الإضعاف والتزيق كأقصى ما تكون .

والدعاية في الحرب الحديثة من أهم عوامل النصر ، ولم يكن اهتمام الدول المتحاربة بها أقل من اهتمامهم بإعداد السلاح .

ونحن نعلم مقدار ما أنفقته هذه الدول في الحرب الكبرى الثانية على وسائل الدعاية في كل مكان ، وبين أغراضها العديدة غرضان أساسيان هما : -

١ - إقناع العدو والرأى العام بالقضية وبأنها حق .

٢ - إضعاف العدو عن القتال بإضعاف عزمه ، وإيقاع الشنات بين صفوفه .

وقد تكفل القرآن الكريم والحديث بالغرض الأول وتم ذلك على يد الدعاة .

أما الغرض الثانى فهو ما أراده النبي الكريم بدعوة نعيم بن مسعود ، وقد حالها النجاح حتى بلغ معها رجل واحد ما لم تبلغه دول كبرى بفرق منظمة ، وأموال مبدولة ، ووزارات خاصة لهذا الغرض .

الحسائر :

وقد اشتهر من المسلمين في هذه الغزوة ستة ، وقتل من المشركين ثلاثة ، وكان انصراف الرسول ﷺ من الخندق يوم الاربعاء ٢٢ من ذى القعدة سنة خمس . أى أنه أقام في الخندق أهل من الشهر .

الطعام والامعاء :

كان الطعام يأتى من المدينة تحمله نساء المسلمين ، وكذلك كان الماء .

وكان في مسجد المدينة خيمة فيها امرأة تدعى رفيدة كانت تداوى فيها الجرحى من المسلمين ، ممن لم يكن لهم من يقوم عليهم . ولما أصيب سعد بن معاذ بهم في الخندق حمله بعض المسلمين على حمار إلى هذه الخيمة ليداوى فيها .

أهم الدروس :

ويمكن أن نخرج من هذه الغزوة بثلاثة دروس مهمة وهى :-

١ - اهتمام الرسول عليه الصلاة والسلام بالاستصلاح وتبعية أنباء الأعداء .

٢ - مفاجأة العدو بمحفر الخندق .

٣ - استخدام الدعاية كسلاح .

محمد جمال المبركة محفر

لغويات

محمد باع كتابه* ، يا على* انظر في كتابك* ، يا زينب الزمى دارك*

وهذا أيضاً بحث في العامية يلحق بما أسلفته في جزء شعبان من عامنا هذا . فقد تكلمت على الأساليب : « اشرُبه » ، منه ، عنه ، وخُرجتها على نقل ضمة هاء الغيبة إلى ما قبلها ؛ وسقت على ذلك نصوص النحاة . والامر مقصور عندهم على ما يكون ما قبل الهاء فيه ما كنا ؛ كما في الامثلة التي درتُها في المبحث . فأما ما سطرته في مبحث اليوم فإن ما قبل الهاء متحرك ، وليس هذا مألوفاً في العربية أن تنقل الحركة إلى المتحرك ، فإن معنى هذا إيثار حركة على حركة لغير موجب ، فلا يدخل هذا فيما سوغه النحاة ونسبوه إلى العرب . على أن تخريجهم على توسع العامة في أمر سلكه العرب ، وعلى انحراف فيه عما اشترطه أصحاب اللسان . ويجرى هذا كثيراً في لسان العامة ، وقد تولدت عنه أساليب عامية كثيرة منشؤها التوسع والرخس . وترى في العبارة الأولى : « محمد باع كتابه » توسعاً من جهة واحدة ؛ إذ فيه نقل حركة الهاء إلى متحرك ، وفيما بعدها توسع من جهتين ؛ إذ فيه نقل حركة ضمير غير الهاء إلى متحرك .

ويعني في هذا الموطن أن أذكر أن هذا التوسع قديم . وصحى أن يكون لغة رديئة يشتقها الرواة ويشكرونها ، فقد روى لأعشى همدان هذا البيت :

من دعا لي غزيلي أربح الله تجارته*

بضم تاء « تجارته » ، وهي في موقع المفعول ، فأنكر الأصمعي هذه الرواية واتهم راويها ابن دأب بالوضع والانتحال ، ونفى أن يكون أعشى همدان قال هذا وفيه خطأ بين . وراه^(١) يقول : « العجب من ابن دأب حين يزعم أن الأعشى قال هذا . سبحانه الله ! يحذف الألف قبل الهاء في اسم الله عز وجل ، ويسكن الهاء ، ويرفع تجارته ، ثم يجوز

[١] انظر في هذه القصة معجم الأدباء . طبعة الحلبي ١٦ / ٦٤ ، والاغانى (بولاق) ١٥٨ / ٥

هذا عنه و يروى عن مثله ، . وكان الأصمعي متزمتا في اللغة ينكر كثيرا مما صح فيها . وكان عيسى بن دأب من أعلام الأدب والرواية ، وقد نادم المهدي والهادي ، وكان له الحظوة عندهما . وإذا كان هذا الشعر وضعه ابن دأب على ما فيه من الخطأ فقد كان هذا الخطأ معروفا في أيامه في لسان العامة - على الأقل - فهو يؤرخ لنا هذا الأسلوب . وعندى أن أقوم ما يخرج عليه هو نقل حركة الهاء إلى ما قبلها .

وفي بيت الأعشى ما ينقد من جهة المعنى . وذلك أنه يطلب من يدعو له حبيبه أن يحضر عنده ليواصله . وهذا ابتذال للمحبوب ليس من مذهب الشعراء الغزليين ؛ فهم يصفون الحبيب بالخمر والنمغ والإباه ، ويصفرون تجمش المشاق وارتكاب الصعاب للوصول إليه ، فكيف أن يدعى فيحضر عند المحب . ولا يدخل في هذا الباب قول عمر بن أبي ربيعة :

من رسول إلى الثريا فإني ضقت ذرعاً بهجرها والكتاب

فالرسول يذهب خفية إلى الحبيب ليحسن السفارة ويمهد السبيل للقائه وما يجري هذا المجرى ، وفي هذا عزة الحبيب لا ابتذاله ؛ كما وقع فيه هذا الشاعر . ويشبه هذا ما وقع في أغنية مصرية قديمة فيها هذا البيت :

حبيبي حبيبي هاتوه لي ياناس

فقد حكى أن الورد كرومر شهد مجلس غناء فسمع هذه الأغنية ، فسأل أن تترجم له . فلما وقف على المعنى قال : لا جرم أن هذا محب كسل ، إذ لا يدفعه حبه أن يسعى إلى حبيبه ، ويكافئ الناس أن يجلبوه له ليستمتع به ، وذكر أن هذا مما نضح به كسل المصريين ، وقد أذكرتني هذه الحكاية أن الأعشى كان يغشى فارس ، وأن كسرى سمعه يفتش الشعر فسأل عنه فقيل له : هذا شاعر العرب . فقال ما يقول ؟ فقيل له يقول :

أرقت وما هذا السهاد المؤرق ! وما بي من سقم وما بي معشوق

فقال كسرى : فسروا لنا ما قال . فقالوا : ذكر أنه سهر من غير سقم ولا عشق ، فقال كسرى : إن كان سهر من غير سقم ولا عشق فهو لص . وكلا الرجلين أعجمي لا يفقه مذاهب العرب ، فصاحب الأغنية المصرية رجل تدانته في حبه وتحمير في أمره ، أعياء الوصول

إلى من يحب فلجأ إلى الناس ، وكسرى حصر دواعى السهر فى السقم والعشق والتلصص ، وهذا غير صحيح ، فدواعيه كثيرة . وكأننى بك تذكر أنى دافقت عما تقد به الأعشى ، وفى الواقع أن هذا دفاع ضعيف واهى القوى .

سلته الكتاب . استلمت مبلغ خمسين ديناراً

١ — المثال الأول يبدو سليماً لا يجافى العربية ، ومع هذا فالذى فى المعاجم : سلته إليك الكتاب . فى القاموس : د وسلته إليه تسليماً فتسله أى أعطيته فتناوله ، . وفى المصباح : د سلم الوديمة لصاحبها - بالثقل - : أوصلها ، فتسلم ذلك ، . فقد بان من هذا أن الفعل يتعدى إلى الآخذ بحرف الجر (إلى أو اللام) . ويمكن تخريج هذا على تضمين التسليم معنى الإعطاء ، والتضمين باب واسع يقيسه بعضهم .

٢ — والمثال الثانى فيه أمران غير مألوفين فى العربية :

(١) الأول استعمال الاستلام فى الآخذ ، أو مطاوعاً للتسليم ، والذى فى اللغة فى ذلك التسلم : كما سلم لك فى نصوص اللغويين ، وقد تبقه على هذا كتاب عصرنا ، فهجروا الاستلام إلى التسلم . وقد حدثنى الصديق الأجل الأستاذ أحمد نجاشى — مد الله فى حياته وأمنع به — أنه أول من تبقه على هذا الخطأ ، فقد كان مدرساً فى مدرسة الناصرية فى سنة ١٩٠٦ أو سنة ١٩٠٧ وقدم إليه صك (وصل) ليكتب بخطه (يوقع) على تلم مبلغ من المال لقاء عمل من أعمال الامتحان ، وفيه استلمت مبلغ ... فرج هذه الكتابة وضرب عليها ، وكتب تسلمت فى مكان استلمت . ورفع هذا إلى ناظر المدرسة فسأل الأستاذ بأبان له وجه ما فعل ، فأمر الناظر — وكان له شأن فى الدولة حينذاك — بامتنال ما رأى الأستاذ ، وعرف هذا وترسمه الكتاب ، وقد أصبح معروفاً أن الاستلام فى اللغة لمس الحجر ، إذ هو مأخوذ من السلة للحجرة ، والجمع السلام كالأكنحال من الكحل والادمان من الدهن ، ومنه استلام الحجر الأسود ، فهو لمسه باليد أو القم لتقيله ، ويرى بعضهم أن استلام الحجر الأسود من السلام وهو التحية ، ويؤيد رأيه هذا بأن أهل اليمن يسمون الحجر الكريم المحيا .

وقد بدا لى تخريج الاستلام بمعنى الآخذ — كما يستعمله العامة — على التوسع والتجوز

فالأخذ للشيء وتناوله يسبقه لمس ، فلما كانت بينهما هذه العلاقة صح أن يعبر بأحدهما عن الآخر . وقد جاء في بردة البوصيري :

ولا التمس غنى الدارين من يده إلا استلمت الندى من غير مستلم
فقال الشيخ خالد الأزهرى المتوفى سنة ٩٠٥ هـ في كتابته عليه : ، والالتماس : الطلب .
والغنى : اليسار عند الفقر . والدارين : الدنيا والآخرة ، ومن يده أى نعمت وإحسانه .
واستلمت الندى أى أخذت العطاء . وقال الشيخ إبراهيم الباجورى المتوفى سنة ١٢٧٦ هـ :
« وقوله : إلا استلمت الندى أى إلا أخذت . فالمراد بالاستلام هنا الأخذ ؛ كما فى قولهم :
استلمت معروفه ، على سبيل التجوز ؛ لأنه فى الأصل اللس باليد أو الفم ؛ كما فى قولهم :
استلمت الحجر . . وقد بدأ فى بيت البوصيرى أن يحمل الاستلام على معناه المعروف
فى اللغة ، وهو اللس باليد أو الفم ، والندى على الجود والكرم لا العطاء والخير . يقول :
إذا التمس الغنى من يده فإنه يلس الجود فيها ويستلمه كما يستلم الحجر الأسود ، غنيا بالمقبل .
والخطب فى هذا سهل يسير .

(ب) والأمر الثانى استعمال المبلغ فى القدر من المال كما يستعمل عند الناس . يقولون
فلان على مبلغ من المال ، وكأن وجه هذا أن المبلغ — وهو مصدر ميمي بمعنى البلوغ —
أطلق على البالغ ؛ كأن المال بلغ كذا من العدد أو المقدار .

ويعنى هنا أن أورد نصا لابن حجر العسقلانى المتوفى سنة ٨٥٢ هـ . فهو يقول فى الدرر
السكينة فى أعيان المائة الثامنة ٩/٦٤ فى ترجمة جمال الدين بن العديم الحلبي : « وقرأت بخط
البرهان المحدث أن ابن العديم هذا ادعى عنده مدع على آخر بمبلغ فأنكر . فأخرج المدعى
وثيقة فيها : أقر فلان بن فلان ، فأنكر المدعى عليه أن الاسم المذكور فى الوثيقة اسم أبيه :
قال له : فما اسمك أنت ؟ قال : فلان . قال : واسم أبيك ؟ قال : فلان . فسكت عنه القاضي
وتشاغل بالحديث مع من كان عنده حتى طال ذلك ، وكان القصارى يقرأ عليه فى صحيح
البخارى ، فلما فرغ المجلس صاح القاضي : يا ابن فلان ، فأجاب المدعى عليه مبادرا . فقال
له : ادفع لقرينك حقه ، فاستحسن من حضر هذه الحيلة التى استغفل المدعى عليه ، حتى التجأ
إلى الاعتراف . . وقوله : استغفل المدعى عليه أى تخمين غفلته ، وعائد الموصول محذوف
أى استغفل بها .

رأس الناس في زمانه

عاصر الشعبي سنة ١٠٥ هـ

روى الخطيب البغدادي بسنده ، وابن عساكر في تاريخه ، عن أبي أسامة قال : كان عمر ابن الخطاب رأس الناس في زمانه ، وهو جامع (لالم)^(١) . وكان بعده ابن عباس في زمانه ، وكان بعد ابن عباس في زمانه الشعبي . وكان بعد الشعبي في زمانه سفيان الثوري .

وأخرجنا خبراً آخر عن الزهري (وحسبك به) قال : العلماء أربعة : سعيد بن المسيب بالمدينة ، وعامر الشعبي بالكوفة ، والحسن بن أبي الحسن البصري بالبصرة ، ومكحول بالشام .

وأنت - أيها القاري الكريم - تستطيع أن تقول في التعليق على هذين : إن الإمام الزهري أنصف هؤلاء الثلاثة المعاصرين للإمام الشعبي لجعل تفوقه وامتيازه في دائرة معينة هي

وتذكرني هذه الحكاية قصة سمعتها في حدائق عن الاستاذ الإمام الشيخ محمد عبده عليه رحمة الله - ولا أحق هذه النسبة - فقد ادعى لديه - حين كان قاضياً - امرؤ على آخر يدين وأعرزته البيتة ، فقال القاضي للدعي : أين أعطيتك المال ؟ فقال : تحت الشجرة الفلانية . فقال القاضي : اذهب فأحضر تراباً من هذا المكان ، وكان المكان قريباً ، وأرسل القاضي سرّاً إلى الرجل أن يبطئ في العودة ولا يعجل وأمر غريمه أن يبق في مجلس القضاء وطال المقام على الرجل وأخذ الملل واستبطأ صاحبه ، واتجه إلى القاضي يشكو إليه هذه البطء ويصف أن الشجرة في مكان قريب وما كان له أن يغيب مكثاً ، فقد القاضي هذا اعترافاً من الرجل وقضى عليه لغريمه ، ويروي من هذا كثير في تاريخ القضاء ، فنبه عن زكاتهم وفطنهم ؟

محمد علي التتار

(١) انفراد بهذه ابن عساكر .

السكوفة ، ولم يطلق الامر كما أطلقه أبو أسامة الذي جعله سيد علماء زمانه ، بل سيد الناس على الإطلاق ، وإن كان الخطب في هذه الثانية مما يهون أمره لأن من سبق العلماء فقد سبق الناس جميعا . على أن خبر أبي أسامة الأول قد يحمل على قوة الاعتداد بالإمام الشعبي وتفضيله على الأئمة مهما شاركوه في مرتبة الإمامة ، فإنها مما يقال بالتشكيك كما يقول (أهل المنطق) .

ومهما يكن فإن الذي يعتنى في الامر أن أضع صورة في نفس القارىء الكريم ، لهذا الإمام العظيم ، يدركه منها بوصف عام ، على أن أفضل له بعض النواحي التي أرجو أن يجد فيها الأسوة الصالحة والمثل الصالح ، فحسبك أيها القارىء من رجل يقرن بعمر وابن عباس من غير تكبر ، ثم بسعيد بن المسيب والحسن البصري اللذين أفضت لك في الحديث عنهما بما كان عجبا .

حقاً لقد كان هذا الإمام أعجوبة من الأعاجيب ، يفتى وأصحاب محمد ﷺ شهود ، ويدرس العلم بحيث يسمعون فيعجبون .

ولقد رأى خمسمائة من الصحابة يأخذ عنهم : منهم على والحسن والحسين وعبد الله ابن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو وعبد الله بن جعفر وأسامه بن زيد وجابر ابن عبد الله وأنس بن مالك وغيرهم وغيرهم .

وافد رآه ملك الروم فحسد عبد الملك بن مروان عليه حتى أغراه بقتله ، ولكنه ازداد استمساكا به وحرصاً عليه ، وهكذا العلم النافع وصفاء النفس ومواصلة الدرس .

نشأة الشعبي وحياته

ولد هذا الحبر العظيم لست خلت من خلافة عمر عام جلولاء كما حدث عن نفسه وكان ذلك سنة سبع عشرة من الهجرة النبوية .

ونشأ بالسكوفة وهي يومئذ مركز العلم يؤمه الصفوة من أصحاب محمد ﷺ وأئمة التابعين ، واستمر بالسكوفة لا يقطع ذلك إلا مدة فر فيها إلى اللدائن هرباً بدينه وعقيدته ونفسه من المختار الثقة ، وبعض أسفار أخرى دل عليها ما تفرق من أخباره بلا تعيين ولا تحديد للدة ، ولكن السكوفة كانت هي المركز والمقر له ثمعد الرسال إليها من أجله ، ويقر الناس إليها من كل فج للتضلع من فيضه ، ويوصى المقيم المسافر أن يرجع على هذا الحظم الزاخر .

قال أبو بكر الهذلي : قال لي محمد بن سيرين : إذا جئت الكوفة فاستكثر من حديث الشعبي ، فإنه كان ليسأل وإن أصحاب رسول الله ﷺ لأحياء .

ولقد كان الإمام ابن سيرين قدم الكوفة من قبل ورأى الشعبي في حلقة الجامعة وأصحاب رسول الله ﷺ بها يومئذ كثير . ورأى حب أصحاب رسول الله ﷺ له وحدهم عليه ومقدار ما أفاد من علم ودين ، فنصح للناس باتباعه والاختذ عنه ، وكذلك العالم الرباني الصادق لا يحسد أخاه العالم ، وإنما يراه خير عون له في تحقيق مهمة العلم والإصلاح . اللهم فتوفيقك وهدايتك .

وقد دلت أخبار الشعبي أن عبد الملك الخليفة استأثر به حيناً من الدهر ، يحظى بمجلسه وينتفع بمذاكرته ، ويأخذ كل عن صاحبه . وإذا قلت ذلك فإنما أشهد لعبد الملك رحمه الله بشهادة يسجلها التاريخ له فقد ثبت أنه كان عالماً جليلاً وحافظاً أديباً وراويَةً نافذاً (١) وقد اعترف الإمام الشعبي وهو الأديب الفاضل فقال : ما حدثته بحديث إلا زادني فيه .

وجاء في أخبار الشعبي أيضاً أن عبد الملك استفضاه كما استفضاه الإمام العادل عمر بن عبد العزيز من بعد . وورد في أخباره أن والي مصر أبا الخليفة عبد الملك طلبه من الخليفة ، فقبل أن يذهب إليه على أن يكون عنده شهراً ، ولم يرفض الإمام الشعبي ذلك ، وقد كتب عبد الملك إلى أخيه عبد العزيز كتاباً يقول فيه : « إني آثرتك به على نفسي فلا يلبث عندك إلا شهراً أو نحو شهر ، وهو اعتراف يدل على مبالغ ما كان في أولئك القوم من حب للعلماء مهما تبلغ منزلة الواحد منهم وتقاسمهم على الانتفاع بهم وإن كانوا هم على جانب من العلم خطير . فكما زادت المنزلة العلية في المرء حرص على أن يضاعفها ، ولا سيما إذا كان العلم مما يحصن وضعه ، ويصلح أمره ، وما أحوج الأمراء إلى العلماء إذا أنصفوا .

وكل هذه الأخبار المتفرقة في تاريخ الإمام الشعبي لا نعرف تحديداً لازمتها ولم تقف على تعيين أوقاتها .

ثم استأثرت رحمة الله بهذا الإمام في سنة ١٠٥ للهجرة النبوية عن اثنين وثمانين سنة .

[١] المجلة - وأفضية عبد الملك دونها مالك في [للوطاً] على أنها أحكام متبعة . وكان تدوينه لها في دولة بني عباس .

من صفات الشعبي

أما ما عرف من صفاته الجسمية فقد كان ضئيلاً نحيلاً لأنه كما قالوا زوحم في الرحم وقال ابن قتيبة في المعارف : إنه ولد مع أخ له بعد أن بطن أمه سنتين .

وأما صفاته المعنوية فأهمها .

١ — العلم العجيب والعقل النادر والذكاء البالغ . فانت قد رأيت أنه قرن بعمر ابن الخطاب وابن عباس من سابقه ، وقرن به سيد التابعين والحسن البصري ومكحول الشامي من معاصريه .

وحسبك من رجل : أبو حنيفة والأوزاعي من تلاميذه ، يذكره قرينه مكحول إمام الشام فيقول : ما رأيت أعلم بسنة من الشعبي ، ويعرف به أبو غنيد فيقول : ما رأيت فيهم أفقه منه . ويؤوه به بعد ذلك الشافعي فيقول : إنه في كثرة الرواية مثل عروة . ويوصي به الإمام البصري من يفد على الكوفة ليغتنم الفرصة للأخذ عنه .

ويتحدث هو عن نفسه فيقول ما كتبت سوداء في بيضاء ، ولا حدثني أحد حديثاً فأحببت أن أعيده ، ولقد نسيت من العلم ما لو عرفه أحد لكان به عالماً ، وما سمعت منذ عشرين سنة رجلاً يحدث بحديث إلا أنا أعلم به منه . ويقول ما أدرى شيئاً أقل من الشعر ، ولو شئت لأشدنكم شهراً لا أعيد . فسبحان من يمنح مثل هذا العلم ، وذلك الحفظ . وسبحان من وهب بعض النفوس من الإقبال والحرص والانتفاع مع الدكاء والصفاء ما تبلغ ذلك المبالغ الخطير . ذلك معنى لا يواحم فيه الشعبي رحمه الله إلا قليلاً .

وفي مناسبة علم الشعبي بالشعر والأدب وتحصيله وحفظه أستطيع أن أنبه القارئ الكريم إلى أنه كان فصيحاً قويماً للسان مع ما دخل يومئذ من اللحن على عليّة القوم وأفاضل أهل العلم . وقد تنبه الأصمعي إلى ذلك المعنى فنه عليه حين قال : أربعة لم يلحنوا في جد ولا هزل : الشعبي وعبد الملك والحجاج وابن القزرة . على أن من الناس من يثارع في سلامة الحجاج مزالحن ويذكر دليلاً على ذلك فيما لا مجال لشغل القارئ به . وسأستري بعض ذلك في هذه الكلمة عند مناسبتها

٢ — كان رضى الله عنه حسن الاقتداء، حسن الاتباع، من كثرة ما أخذ من العلم النافع، ومن لقي من أصحاب السيد الرسول نجوم الاقتداء، ومن صفاء نفسه وهداية الله ولطفه وتعهده. وإذا اجتمع العلم النافع والوسط الشريف والمعدن الكريم كان جديراً مع التوفيق أن يهذى إلى الحق ويعلم الدقة في الاعتدال. ومما أثر عنه رحمه الله أنه كان يقول: اقتصاد في سنة خير من اجتهد في بدعة. والله أبوه، فإن القليل الصادق المقبول، خير من الكثير الباطل المرذول. والبدعة شر باطل، فالزيد منها شر، والاستكثار منها غرور مهما قيل إنها دين أو عبادة.

٣ — كان في مزايا الشعبي من العلم الغزير والحق الفاضل واللسان الحلو والمنطق السائغ ما يترك أثره في النفوس ويجعله موضع الإقبال والقبول، وكان الرجل يخرج في حاجة أهله إلى السوق فيخرج على المسجد وإذا هو بالشعبى فينسى أمره حتى ينفض السوق، ثم يذكر حاجته فيقول للشعبى: أى مبطل الحاجات! ولهذا كان يشرع له في بيته وفي المسجد وفي السوق، فإذا رأى قوماً جلس معهم وعلمهم وذكرهم. ولملك إذا قرأت قصته مع ملك الروم علمت كيف يكون أثره حتى في نفس عدوه، ولو كان ملكاً تحف به الجنود.

وإجمال القصة: أن عبد الملك وجهه إلى ملك الروم إظهاراً لفضل الإسلام وعلو شأنه، فأعجب به ملك الروم واستبقاه مدة، ولم يكن ذلك لأحد عند ملك الروم قبله، وذلك أنه ما سأله عن شيء إلا كان التوفيق حليفه، ثم أرسل معه رسائل إلى عبد الملك فخرج بها من عنده، ثم استدعاه ثانية ودفع إليه ورقة ليوصلها وكتب فيها: عجبت لقوم يكون هذا فيهم ولا يملكونه. وإنما أراد أن يقتله عبد الملك، لأنه حسده عليه كما فهم ذلك عبد الملك، ثم ذهب بها إلى عبد الملك ولم يقرأها كما هو أدب الرسل ودأبهم، ولا سيما مع الملوك والخلفاء.

ولما قرأها عبد الملك عرضها على الشعبي فقال الشعبي على البديهة: إنما قال ملك الروم ذلك لأنه لم يرك. فقال عبد الملك: إنه حسدنى عليك فأراد قتلك.

٤ — كان في الشعبي أدب وتواضع يتجلى في ابتذاله نفسه لله والعلم مع تنافس الملوك عليه وكثرة المنجلين والوافدين. على أن الظاهر من أخباره وسيرته أنه كان مرعاً جداً

مع الاحتفاظ بكرامة العلم . وكان أهدأ نفساً من مثل الإمام الحسن فلم يرو أنه اصطدم مع خليفة أو أمير . وسرى حكايته مع الحجاج لما أخطأ أمامه .

كان الشعبي مؤدباً مذهباً متواضعاً راضياً محبوباً من جميع الأوساط ، لأنه ينزل كلا منزلته ، ويخاطب كلا على مقدار عقله . وهو مذهب يدعو إليه الدين ويأمر به ويتصل به التصوف في بعض مسالكه .

وكان كثيراً ما يقول لا أدرى مع لحوثه . وقال له أصحابه يوماً : إنا لنستحي من كثرة ما نسألك فنقول لا أدرى ، فيقول : إن ملائكة الله المقربين لم يستجوا حين سئلوا عما لا يعلمون فقالوا : لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العالم الحكيم ، وكان يقول : ليتني أنفكت من عملي كفافاً لا على ولا لى . ويقول : إنا لسنا بالفقهاء ولا بالعلماء ، ولكن سمعنا الحديث فرويناؤه ، وإنما الفقيه من ورع عن محارم الله ، والعالم من خاف الله . على أنه كان يتحدث بنعمة الله كثيراً كما مر بك في الحديث عن علمه وحفظه ، مما يعد شكراً وحفراً على العلم والجد في طلبه وتركيزه النفس به .

وذكر ابن عساکر فيما يرويه عنه أنه كان إذا سئل عن معضلة قال :

زُبَاء ذات وبر أعيت صاحبها ، لو عرضت على أصحاب محمد ﷺ لأعضلت بهم ^(١) . وهذا اعتذار منه بحق ، وبيان لسبب إحيائه عن الإفتاء في مثلها .

هـ — كان لطيفاً طيب النفس يستجيب بشيء من المزح ويترخص في ذلك بما ترخص به السيد الرسول صلوات الله عليه وسلف الأئمة .

دخل عليه رجل مرة ومعه السيدة زوجه فقال : أيكا الشعبي ؟ فأشار إلى زوجه وقال : هذه ! وفي ذلك أيضاً لطف التعبير عن غباوة الرجل ، إلا إذا كان كلاهما مازحاً . ومن لطيف ما ورد عنه أن الحجاج قال يوماً : كم عطاءك ! (بالفتح) فقال : ألفين ! فقال : وبمك كم عطاؤك ؟ قال : ألفان . قال : كيف لحت أولاً ؟ قال : لحن الأمير فلحنت ، ثم أعرب فأعربت ، وما أمكن أن يلحن الأمير فأعرب . وهذا اللحن هو الذى نهيك عليه حين سقت لك عبارة الأصمى من أن الحجاج لم يلحن .

(١) الزبَاء : الناقة إذا كثرت الشعر على حاجبيها ، فهي تنفر كلما رأتها وتجنب صاحبها .

وبعد فقد خشيت أن أوغل بك فيعتل عليك نشاطك . فإن الإمام الشعبي خضم عظيم .
على أنني سأجعل لك بشيء مما أثر عنه ، ربما كان فيه انتقال واستطراف مع أنه قليل يسير .
يروى أنه قال :

اقتصاد في سنة ، خير من اجتهاد في بدعة ^(١) . أحب أهل بيت نبيك ولا تكن رافضاً .
واعمل بالقرآن ولا تكن حرورياً ^(٢) وأطع الإمام ولو كان بدأ حبشياً . واعلم أن ما أصابك
من حسنة فمن الله ، وما أصابك من سيئة فمن نفسك ولا تكرر دويماً ^(٣) . ما رأيت أغاظ رقاباً ^(٤)
ولا أرق ثياباً ^(٥) ولا آكل لطعام من قراء هذا الزمان . ليس حسن الجوار بكف أذاك
عن الجار ، ولكن حسن الجوار أن تصبر على أذى الجار . وشتمه رجل فقال : إن كنت
صادقاً فغفر الله لي ، وإن كنت كاذباً فغفر الله لك .

وروى ابن عساكر بسنده أن الشعبي كان إذا جلس مجلساً لم يقم منه حتى يقول :
أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . وأشهد أن الدين
كما شرع وأشهد أن الإسلام كما وصف . وأشهد أن الكتاب كما أنزل وأن القرآن كما حدث .
وأشهد أن الله هو الحق المبين . وإذا ذهب ليمض قال : ذكر الله محمداً منا بالسلام .

رحمه الله وسلف الأمة رحمة واسعة ، وجعل لنا في سيرتهم الطيبة أسوة صالحة مصلحة .

محمود النواوي

[١] تقدمت في الحديث من انبأه ، ولكن لها موضوعاً مقبولاً هنا .

[٢] يقول : لا تنتقد فيه كالجوارج .

[٣] لا تنكر القدر .

[٤] كناية عن السن وهو مريب في القراء .

[٥] يريد الترف .

منبر المسجد الاقصى

رمز الفتوح

في مقدمة ما يلتفت نظر الزائر المنبصر في المسجد الاقصى هذا المنبر الضخم القائم إلى جانب المحراب ونحت القبة المذهبة ، فإذا ما اقترب منه وجده مصنوعاً من خشب الابنوس لا من الرخام ، فإذا ما حقق في تاريخه وجده يرجع إلى ثمانية قرون . وهنا يقف متسائلاً : كيف عاش الخشب كل هذه المدة وما يزال على جانب عظيم من المتانة التي قد قبل القرون والأجيال .

وإذا ما خفت دهشته ، استطاع أن يقرأ أسماء الذين صنعوه ، وهم أربعة من الحلبيين : سلمان بن معلى ، وحيد بن ظافر ، وأبو الحسن بن يحيى ، وأخوه أبو الفضل بن يحيى .

ثم يتساءل : هل صنعوه من أنفسهم أم بأمر أحد السلاطين ، فيجيبه التاريخ بأنه صنع بأمر الملك المجاهد نور الدين زنكى الذى تقابل بفتح القدس وأصبح يراه أمراً واقعاً لا محالة ، لما شاع من ازدياد قوى الجهاد الإسلامى وما ترتب على ذلك من ضعف الصليبيين بعد فتحه مملكة الرها التى تسمى الآن (أورفة) ، إلا أن الصليبيين انتهبوا فأعاقوا الفتح ، وعاجلت المنية هذا الملك العظيم فتى فتح القدس لصالح الدين يوسف بن أيوب وهو الذى كان من نصيبه نقل هذا المنبر إلى بيت المقدس بعد صنعه بعشرين عاماً .

إن هذا المنبر رمز صادق للحروب الصليبية من وجهة النظر الإسلامية ، فقد صنعه أربعة رجال من أعلام الفن العربى ، وكان طرد الصليبيين إلى فتح القدس من عمل رجال أربعة وهم : عماد الدين ، ونور الدين ، وأسد الدين ، ورايمهم وأشهرهم صلاح الدين . ولأننا في ظرف مماثل فننظر مثل هذا التطور :

لما دام الصليبيون العالم الإسلامى كان في منتهى الضعف والانحلال ، فكانت مهمة آل زنكى إحياء بيئة جهاد تعكس أشعتها على العالم الإسلامى ، وكان أول من قام بهذا عماد الدين بن زنكى الذى كان على مقاطعة الموصل ، فأنقل بالاكراذ وحزم إلى حاشيته من توسم فيهم الخيم منهم وفي مقدمتهم أبناء شادى الذين حازوا إعجابه وتقديره : وهم أيوب ،

ونجم الدين ، وأسد الدين ، ثم لمع اسم يوسف بن أيوب الذي لقب بصلاح الدين وظهر عليهم جميعاً .

نجحت أعمال عماد الدين فتمت إليه الجزيرة الفراتية ، وأعطى رتبة « أنابك » ، أى الأمير الكبير ، فذاع صيته في صدامه مع الصليبيين ، فوسع ملكه بضم حلب وأرمينيا ، وقد قرر في ذهن من حوله سياستين : سياسة توحيد البلاد الإسلامية ، وسياسة الجهاد لطردهم الصليبيين . ولحسن حظ الإسلام أن عماد الدين أحجب ولدأ بأسلا شهماً هو نور الدين الذى نولى أمر مملكته فور قتله ، وقد وجد نور الدين إلى جانبه رجال آيه من الأكراد فرلى قيادة الجيوش لآسد الدين شيركوه ، فقام هو وأخواه أيوب ونجم الدين وغيرهم بضم بقاع العالم الإسلامى وتوحيدها بكل الوسائل ، فدخلت فى حوزة نور الدين مدائن حماه وحصص ثم دمشق التى استقر بها وجعلها عاصمة لملكه ، وفيها أخذ يجمع كتائب الجهاد ، ثم توجه بها نحو الرما التى أقام فيها الصليبيون مملكة كانت تقض مضجع نور الدين فى قلب مملكته ، فقم له فتحها ، وأزال هذه البقعة السوداء من الشمال ، وأصبح يستمد لتطهير الجنوب والساحل .

وفى هذه الأثناء وقع الخلاف بين وزراء مصر الفاطميين (العبيدين) فاستنجد أحدهم ضرغام بالصليبيين واستنجد الآخر وهو شاور بنور الدين فأنجده نور الدين بمجيش على رأسه قائده الأكبر آسد الدين شيركوه فهزم شيركوه الصليبيين وقتل ضرغام ، ثم انقلب شيركوه ، فخطمه آسد الدين وقضى عليه ، ونولى أمر مصر ، ثم توفى وكان نائب شيركوه ابن أخيه يوسف الملقب بصلاح الدين فتولى أمر مصر بعده ، وانتهت على يده دعوة الباطنيين التى كانت تتولاها الدولة الفاطمية ودعى للخليفة العباسى على منابر مصر وبذلك أعاد الله للعالم الإسلامى وحدته بحكمة نور الدين ورجاله .

ولما توفى نور الدين شهيداً سعيداً اتجهت الأنظار نحو صلاح الدين ، ولم يعش الملك الصالح طويلاً بعد آيه نور الدين ، فأبضى أمر الممالك جميعها إلى صلاح الدين ، وعلى يده تم طرد الصليبيين من القدس ؛ بعد أن مهد له ثلاثة رجال من قبله وكان هو الرابع ، وبات لزماً على كل من يشكلم عن الحروب الصليبية أن يذكر الثلاثة الذين مهدوا وحيأوا لصلاح الدين . وبعد أن تم لصلاح الدين فتح القدس أمر بتطهير الأقصى ونقل المنبر من حلب إلى بيت المقدس ، فكان بين صحه فى حلب ونقله إلى بيت المقدس عشرون طاماً .

كلية الأزهر

في الترحيب بالطلبة الفائزين في مسابقة (نيويورك هيرالد تريبون)

أقامها السيد صاحب الفضيلة الشيخ محمد عبد اللطيف السبكي
عضو جماعة كبار العلماء ومدير التفيتش

السيد وزير التربية والتعليم .

السادة الزائرون الأجلاء .

باسم الأزهر ، وباسم الثقافة الإسلامية التي يتبعها الأزهر لأكثر من ألف عام ،
يرحب الاستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر ، والأسرة الأزهرية كلها ، بحضراتكم أجمعين
ترحيب ، ويلقونكم أحب لقاء .

ونحن إذ نستقبلكم في هذه القاعة من رحاب الأزهر ، فإنما نستقبل وفدًا كريمًا أشرق
هليلجًا من جهات عدة . آخى بيننا العلم ، وربطت بينها الثقافات الأدبية . وفي هذا ما يثير
إعجابنا بهذه الأخوة الأدبية ، وتقديرنا لهذا المظهر الكريم . وسيشهد الوفد في مصر شيئًا
من معالم حضارتها قديمًا منذ عهد الفراعنة ، وحديثًا منذ العهد الإسلامي .

وجدير بالذكر أن تبين أن صلاح الدين كان يرى وجوب ضرب الصليبيين في عقر
دارهم فلم يوافقهم ملك المغرب . كما ذكر ابن خلدون في مقدمته وفي مقدمته قد وفي البحث
عن الأساطيل .

وفي هذا عبرة لما نشاهد ونرى اليوم من التخاذل ، وظلت فكرة صلاح الدين وأمنيته
أن ظهر العثمانيون فردوا للغرب الزيارة ، وشدوا عليهم الغارة في البر والبحر وقرت بذلك
عين صلاح الدين يوم تم فتح القسطنطينية التي كانت أحد أسباب الحروب الصليبية ، وفي تاريخ
الإسلام ورويات أهله عبرة وذكري .

نابلس - بمساحة النمر

وسيشهد كذلك ما نشطت إليه مصر في ظل ثورتها المباركة ، من استكمال سيادتها غير مشوبة بسيطرة أجنبية .

وبفضل هذه الثروة ظلت مصر تسمع العالم كله أنها - كما سبقت إلى حضارات قديمة - معنية دائماً بالحضارات الناشئة ، وأنها تستوحى تاريخها ، وتستمد من عزائم أبطالها ، وتضامن شعبها ، ما يفسح لها الحظي ، إلى أهدافها السامية ، ويحفظ لها مكاتها بين الشعوب الراقية .

ولما نتفرد للسيد وزير التربية والتعليم أن أتاح لنا هذه الفرصة المشكورة ، ونذكر ما فيها من توجيهات سامية .

١ - فقد لفت الأنظار إلى أن هذه الزيارة تحية لكبار للأزهر ، باعتباره أقدم جامعة عليية سبقت إلى نشر الثقافة ، وظلت على رسالتها حتى اليوم .

٢ - ولفت الأنظار إلى أن الأزهر وإن كان في صيغته الخاصة هيئة دينية ، فإنه من الناحية العامة بيئة عليية ، والعلم كيفما كانت صلة ورحم بين أهله ، وإن كانوا من أبعاد مترامية .

٣ - ولفت الأنظار إلى أن السادة الوافدين علينا - وهم طلاب علم ومعرفة - يعتبرون معنا كجنود في ميدان واحد ، وكل منا ومنهم كوحدة في جيش متحد ، يخفق عليه علم واحد ، وإن كان لكل من وحداته شارة تميزها عن سواها من الوحدات . إذ المتمعون إلى العلم النافع بصفة عامة إنما ينفشدون جميعاً للإنسانية أرقى مثلاً ، وللحياة الاجتماعية خير مناهجها لتسعد الأمم وتسلم .

فشكراً للسيد الوزير على صنيعه ، الذي أتاح لنا ولوفد هذا اللقاء الكريم .

حيا الله بيتنا رابطة العلم النافع ، وأدام بيتنا المحبة والأمان . والسلام ٩

معنى الأرض في مختلف الآيات

الأرض هي هذا الكوكب المظلم الذي يعيش عليه الحيوان والاطاق والأعجم ، وقد ورد لفظ « الأرض » في القرآن بهذا المعنى ، وورد بمعمار آخر بينهما وبينه علاقة جامعة ، فيكون إطلاقه على الكوكب حقيقة وعلى غيره مجازاً . وسأورد أكثر الآيات التي ورد فيها لفظ « الأرض » سواء كان حقيقة أو مجازاً مبيناً العلاقة بين المعنى الأصلي والمجازي ، مع ملاحظة أن هذه المعاني قد تكون جارية على بعض التفسيرات دون بعض ، وقد تكون متحدة في جميع التفسيرات أو في كثير منها ...

١ — قال الله تعالى في سورة هود : « وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء » . المراد بالأرض - في أول الآية وآخرها - الأرض كلها ، أي الكوكب ، لأن الله تعالى يرزق كل دابة في أي جزء من أجزاء هذا الكوكب الذي نعيش عليه ، وقد خلق الله تعالى الأرض جميعها والسموات . ومثل هذه الآية كل آية سبق فيها لفظ الأرض بلفظ الخلق كقوله تعالى في سورة « فصلت » : « قل أنتم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أنداداً ذلك رب العالمين » وكذلك كل آية سبق فيها لفظ الأرض بخطاب من الله تعالى لها كقوله تعالى في سورة « فصلت » أيضاً : « ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرها قالتا أتينا طائعين » . ومثل ذلك في القرآن كثير ، كقوله تعالى : « ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من يمده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله » . من سورة لقمان .

٢ — قال الله تعالى في سورة الأنبياء : « ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون » المراد بالأرض في هذه الآية الجنة على بعض التفسيرات ، وعلى ذلك يكون معنى قوله تعالى : « يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات » تبديل معالمها دون

حقيقتها ، ويكون استعمال لفظ الأرض في الجنة مجازا علاقته الجزئية ، لأن الجنة جزء من الأرض كلها ، أما إذا كان معنى تبديل الأرض تغيير حقيقتها فيكون استعمال لفظ الأرض في الجنة استعارة ، لأن أرض الجنة تشبه أرض الدنيا من حيث جريان الأنهار فيها ونمو الأشجار والثمار منها ، وقيل المراد بالأرض أرض الدنيا ووراثه الصالحين لها بالحكم فيها بعد حكم غيرهم ...

٣ — قال الله تعالى في سورة الأعراف : « وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها » . المراد بالأرض أرض فلسطين وبيت المقدس ، ومثل ذلك قوله تعالى في سورة الأنبياء أيضا في شأن إبراهيم عليه السلام « ونجيناه لوطا إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين » أي أرض بيت المقدس ...

٤ — قال الله تعالى في سورة الإسراء : « وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها » . المراد بالأرض أرض المدينة ، ومثل ذلك في بعض التفسيرات قوله تعالى في سورة العنكبوت : « يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة فإياي فاعبدون » . قيل المراد بالأرض أرض مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم . ومثل ذلك أيضا قوله تعالى في سورة النساء : « إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كتمت قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم نذكر أرض الله واسعة فهاجروا فيها » . قيل المراد بأرض الله الواسعة أرض المدينة ، أما الأرض الأولى التي كانوا مستضعفين فيها فهي أرض مكة كما سيأتي ، ومثل ذلك قوله تعالى : « ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراعيا كثيرا وسعة » . قيل المراد بالأرض أرض المدينة ، وقيل المراد بالأرض في الآيات السابقة كلها الأرض كلها وهذا أرجح ، لأن الله لم يحدد للهجرة أرضا معينة ، وإنما ينبغي أن يكون المراد الأرض كلها ...

٥ — قال تعالى في سورة الرعد : « أولم يروا أنا نأتى الأرض ننقصها من أطرافها والله يحكم لا معقب لحكمه » . المراد بالأرض أرض مكة ، ونقصها من أطرافها باستيلاء النبي صلى الله عليه وسلم عليها بالفتح ، ومثل ذلك الآية التي سبقت من سورة النساء « قالوا كنا مستضعفين في الأرض » المراد أرض مكة ...

٦ — قال الله تعالى في سورة القصص : « وزبد أن نن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الأرض » . المراد بالأرض الأولى أرض مصر وبالأرض الثانية أرض مصر والشام ، ومثل ذلك قوله تعالى في سورة « غافر » : « وقال فرعون ذروني أقتل موسى وليدع ربه إني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد » . المراد بالأرض أرض مصر ، وقوله تعالى في سورة الأعراف : « قال موسى اقوم استعيتوا بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين » قالوا أؤذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا قال صلى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلكم في الأرض فينظر كيف تعملون » . المراد بالأرض أرض مصر ..

٧ — قال الله تعالى في سورة الكهف : « إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض » المراد بالأرض أرض الإسلام ، ومثل ذلك قوله تعالى في سورة المائدة : « إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض » . المراد أرض الإسلام ...

٨ — قال الله تعالى في سورة النساء : « يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض ولا يكتمون الله حديثاً » . قيل المراد بالأرض الراب ، والمعنى أن الذين كفروا يودون يوم القيامة أن يكونوا تراباً حتى لا يحاسبوا كما في قوله تعالى : « ويقول الكافر يا ليتني كنت تراباً » وقيل المراد بالأرض القبر ، والمعنى أن الكفار يودون يوم القيامة أن تسوى قبورهم بالأرض وتطمس معالمها حتى لا ينم بعثهم اعتقاداً منهم أنهم إذا طمست قبورهم لا يثمر عليهم فلا يحاسبون .

٩ — قال الله تعالى في سورة المائدة عن اليهود : « قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض فلا تأس على القوم الفاسقين » . قيل المراد الأرض كلها وقيل أرض التيه .

١٠ — قال الله تعالى في سورة إبراهيم : « يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات » المراد بالأرض الأولى أرض الدنيا كلها وبالأرض الثانية أرض القيامة وهي أرض يضاء نقيه كما في حديث الصحيحين . وكذلك قوله تعالى في سورة « الزمر » : « وأشرقت الأرض بنور ربها » المراد أرض القيامة .

١١ — قال الله تعالى في سورة الرعد : « فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض » المراد بالأرض القلب لأن الآية على تشبيه التمثيل ، شبه الله الحق والباطل بالماء والزبد الذي يعلو فوقه وبالمعادن فيذهب هباء ويبقى الماء والمعدن ، كذلك الباطل يذهب هباء كالزبد ويبقى الحق في القلوب ، وتفسير الأرض بالقلب باعتبار ما يؤول إليه التشبيه .

١٢ — قال الله تعالى في سورة نوح على لسان نوح عليه السلام يدعو على قومه : « رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا » : المراد بالأرض أرض قوم نوح لا الأرض كلها على القول بأن طوفان نوح كان موضعيا لا عاما ، وأن نوحا عليه السلام أرسل إلى قوم مخصوصين ولم يرسل إلى جميع أهل الأرض . وهذا هو الصحيح . ومثل ذلك قوله تعالى في سورة هود « وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي » المراد بالأرض أرض قوم نوح .

وقد تبين مما تقدم أن لفظ الأرض إما مستعمل في الكوكب الذي نعيش عليه وهو استعمال حقيقى ، وإما مستعمل في أرض خاصة من جميع الأرض ، وهو استعمال على طريق المجاز المرسل علاقته الجزئية ، وإما مستعمل في شيء آخر غير الأرض كإطلاق لفظ الأرض على أرض الجنة وعلى القلب ، وهذا الاستعمال استعارة وهى مجاز علاقته المشابهة ؟

طه الزبينى
من علماء الأزهر

بطل البرية كلها

قالوا : تحب العرب ؟ قلت : أحبهم يقضى الجوارى بذاك والارحامُ
فحمد بطل البرية كلها هو للأعارب — أجمعين — إمام
محبوب الخوري الشرتوني

عموم التبعات والواجبات الاجتماعية

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ألا كلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته : فالإمام الذي على الناس راع وهو مسئول عن رعيته ، والرجل راع على أهل بيته وهو مسئول عن رعيته ، والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده وهي مسئولة عنهم ، وعبد الرجل راع على مال سيده وهو مسئول عنه ؛ ألا فكلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته . رواه البخاري ومسلم والترمذي .

الراعي والرعية : من الرعي والرعاية ، ومدار المسادة في الأعم الأغلب على أمرين : (١) الديبر والسياسة (٢) الحياطة والحفظ . وبكل من المعنيين فسرت الرعاية . فقال اللغويون : وقيل للحاكم والامير : راع ، لقيامه بتدبير الناس وسياستهم ، والناس رعية ، وقال المحدثون في ذلكم راع ، أي حافظ مؤتمن ، والرعية كل من شمله حفظ الراعي ونظره .

المعنى :

لما كان الإسلام دين التضامن والوحدة ، والعمل والمسئولية ، وكان الناس فيه جميعا طبقة واحدة ، وجنسا واحدا ، ولكل منهم من الكرامة الاجتماعية ما قد يبلغ مبلغ الولاية والزعامة في أخرج الأوقات ، وأشد الأحوال ، كما يصوره قوله صلى الله عليه وسلم : « المؤمنون متكافؤ دماؤهم ، ويسعى بذمتهم أدناهم ، وهم يد على من سواهم » ، وذلك لأن الإسلام دين العطرة الى لا تحتل التكلف ، وتشريع الحقيقة التي لا تقبل الخيال .

لما كان الإسلام كذلك نظر إلى منزلة كل إنسان من المجتمع ، وميدان عمله فيه ، فوجد أن أرحب ميادين الحياة قد يفسح عن أضيقها ، وأن أعلى منازلها قد يقف على أدناها ، وأن المجتمع كالجسد الواحد : يحتاج في حياته وصلاحه إلى أقل عضوه منه ، وكالباء الشاخ : لا يبلغ مبلعه من الشموخ والرسوخ إلا بتساند اللبنة ، وارتباط الأجزاء . فاشد أدنى الناس منزلة في المجتمع كالعبد ، وأعلام درجة فيه كالإمام ، وأشبههم حالا بالضعف والمعجزة الذاتية كالمرأة ، وأصلهم في باب القدرة والتدبير الذاتي كالرجل ، أن يؤدي كل واحد منهم أمانة الله فيما خوله من أمر ، وما استترعه من رعية ، وأن يعلم أن الله سائله ومحاسبه عن كل ما ولاه من الأمور .

وتفصيل الرعاية والمثولية العامين على الوجه الوارد في الحديث اكتفاء أو تمثيل ؛ وإنما اكتفى بالملك والعبد ، والزوج وزوجه . لأن الاولين هما طرفا المجتمع من حيث المنزلة ، والآخرين طرفاه من حيث الضعف والقعدة الذاتية : فهو من التعبير بالأطراف مع إرادة الجميع ؛ ومن صريح معناه قوله صلى الله عليه وسلم . لا يسترعى الله تبارك وتعالى عبدا رعية - قلت أو كثرت - إلا سأله الله تبارك وتعالى عنها يوم القيامة : أقام فيهم أمر الله تبارك وتعالى أم أضاعه حتى يسأله عن أهل بيته خاصة .

فالـ مثولية واقعة على كل مسلم بمقدار ما ولّاه الله من أمر ، وما يسر له من عمل . وهي متنوعة بقرع هذه الأمور والأعمال . والوعيد على التنصل من هذه التبعات والواجبات أصل من أصول هذا الدين الخفيف في القرآن والحديث ؛ وبيان وجوه الرعاية مدروس في فنون كثيرة : كالعقود والصوف والاحلاق ؛ ولو أخذ الناس بهذا المبدأ الإسلامي القويم ، فمرف كل إنسان أنه عضو عامل في الأمة ، وأنه مهما قل شأنه ، وحاول قدره مقوم ، من مقومات المجتمع ، ومكون من مكررات الحياة ، وأن له أثرا - وإن قل - في كل ما للجمتمع من الخصائص والصفات ، لسعدت الأمة بكل فرد من أفرادها .

فسعدت بأمة يقيمون في رعيته حدود الله وأحكامه على سنن الشرع ، ولا يضعون الإحسان موضع الإساءة ، ولا الإساءة موضع الإحسان .

وموضع الندى في موضع السيف بالعلا مضر كوضع السيف في موضع الندى ولا يألون جهداً في تحصيل الخير لهم . ففي الحديث ، ما من أمير يلى أمور المسلمين ثم لا يجتهد لهم وينصح إلا لم يدخل معهم الجنة ، وعن عائذ بن عمرو رضى الله عنه ، أنه دخل على عبيد الله بن زياد فقال له : أى بنى ، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول ، إن شر الرعاء الخطمة (١) ، فأياك أن تكون منهم . وليعلموا أن الله حملهم من هذه الإمامة التي عرضها على السموات والأرض والجبال فأشفقن منها ما لم يحمله غيرهم ، ولا يسأل عنه سواهم ، وأنه جعلهم في مكان المثل والاسوة ، والإمامة والقدوة . فليتعهدوا أنفسهم ، ولينفقدوا شئونهم . فإن الناس لن يزالوا مستقيمين ما استقامت بهم أئمتهم وهدانهم . كما يقول عمر رضى الله عنه . وإن الله يزج (٢) بالسلطان ما لا يزج بالقرآن ، كما يقول عثمان رضى الله عنه . وقد سأل عمر بن عبد العزيز الحسن البصرى رحمه الله أن يكتب له صفة الإمام العادل ، فكان مما كتبه له في صفته أنه قوام كل مائل ، وقصد كل جائر ، وصلاح

[١] يعنى السرف في العنف وأصله من المظم بمعنى الكسر . [٢] يكف ويمنع .

كل قاسد ، وقوة كل ضعيف ، ونصف كل مظلوم ، ومفزع كل ملهوف ، وأنه هو القائم بين الله وبين عباده : يسمع كلام الله ويسمعهم ، وينظر إلى الله ويرىهم ، وينقاد إلى الله ويقودهم . ثم سعدت برعية عامة لا تنزع يدا من طاعة ، ولا تشق عصا الجماعة ، ولا تعصى في معروف ، ولا تخالف في عسر ولا يسر ، ولا منشط ولا مكروه ، ولا تألوا جهدا في النصيحة ولا كتباه ورسوله وللمؤمنين .

وسعدت بمربيها الذين يسطرون الأفكار والمبادئ على صفحات العقول ، ويفرسون الفرائز والمشاعر في جبال الفطر وسويداوات القلوب ، ويطبعون على المسكارم والشمال بهجاء النفوس .

ثم سعدت بآباء راشدين يسوسون أمور أبنائهم وذويهم بالحكمة ، ويوفونهم حقوقهم المشروعة ، ويحبون إلى أبنائهم العلم والفضيلة ، ويرغبونهم في العمل والبطولة ، ويقومون بالنأديب والتهذيب ما أمرهم الله أن يقوم إياه إذ يقول : يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة .

وسعدت بنساء يحسن تدير بيوت أزواجهن ، ويتقن الله في أموالهم وأولادهم ، ويحفظن لهم غيهم بما حفظ الله ، ويعملن من بيوت الزوجية جنات فاضرات يسروح بنسائهن أولئك الأزواج المكدودون في سبل الرزق ، المعنون بعناء العيش ، المحطمون تحت أعباء الحياة ، ويعملن من بيوتهم مدارس لتدريب الأبناء والبنات على أساليب الحياة الصالحة ، والميشة الراضية ، والأعمال النافعة ، والأخلاق الطيبة .

والأم مدرسة إذا أعدتها أعددت شعبا طيب الأعراق والوعيد شديد لمن استرعاه الله رعية فضيعها ولم يتصم لها ، وقد سبق بعضه . ومنه ما رواه معقل بن يسار رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما من عبد يسترعه الله رعية - يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته - إلا حرم الله عليه الجنة » .

ويأخذ المحدثون من هذا الحديث العظيم : أن الراعى ليس مطلوباً لذاته وإنما أقيم لحفظ ما استرعاه المالك . فيبغى ألا يتصرف إلا بما أذن الشارع فيه . ونستطيع أن نأخذ منه أيضا : أن على كل فرد من الأمة واجبا اجتماعيا يدور على دفع المضار عن رعيته ، وجلب المصالح لها في حدود ما آتاه الله

محمد فرج العقدة

المدرس بكلية اللغة العربية

الاختلاط في التعليم

نشرت صحيفة الاهرام كلمة في « ما قلّ ودل »، تعبر عن رأى والد في اختلاط الجنسين منذ نعومة الاظفار بالتعليم لينشأ الاولاد والبنات على التقدير والثقة ، وإزالة الحجل والحيرة في مرحلة التعليم الجامعى ، ثم كتبت الدكتورة درية شفيق بصحيفة الجمهورية مقالا تؤيد هذه الوجهة ذاكرة أن الاختلاط في التعليم أساس الثقة والتكريم ، وأن الامم الراقية هى التى تجمع بين الجنسين في دور التعليم والثقافة .

ولست أعجب من شيء كمعجى من تلك الحجج التى لاتكاد تقف على قدم ، ولا تثبت على دعامة قوية . فهل الاختلاط يمنع الحيرة ، ويزيل الاضطراب النفسى بدون تبادل العواطف والسقوط فى الزلات والمعاطب ؟ لو كان الامر كما يريد دعاة الاختلاط ، لفلت الجرائم الخلقية فى بلاده ووقفت الفريضة الجنسية عند حدها . ولكننا نرى ونسمع كل يوم أحداث يتدى لها الجبين ، أساسها الاختلاط والاتصال .

لسنا نشك فى أن العلم قد تقدم ووسائله قد يسرت . ولكن الاخلاق من غير شك قد تأخرت ، ودعائم الاسر قد تهاوت ، ووشائج البلى قد انهارت . ومن الذى قال إن العلم والمعرفة والحضارة والمدنية الحقة أساسها الاختلاط المزرى ودعائمها الاتصال المردى غير الدكتورة ومن على شاكلها من المقلدات والمقلدين ١١٩

لقد جربنا الاختلاط فرأينا آثاره ، وحلما أوزاره ، وفلذنا غيرنا فصرنا تبعاً وقد كنا سادة ، وآذانا التقليد وما كان أجدرنا بالتجديد . فهل نجرب الفصل بين الجنسين في التعليم أرى ما فيه من حسنات ، ونجنى ما فيه من خيرات ، ونحظى بنزىج البنين والبنات ؟ ولعل دعاة الاختلاط يرون معنى أن من أسباب قلة الزواج هذا الاختلاط الذى يحمل الشباب يبعث بالفتيات ويفر من المسؤوليات والتبعات . فالاختلاط يؤثر فى الاخلاق والمبادئ ويعرض الفتيان والفتيات إلى مزالق لا يسلم من ضررها المجتمع ولا ينجم من آثارها الوطن . وليس أدل على ذلك مما ذكرته صحيفة الاهرام فى ٢٥/٣/٥٥ أن سبعين ألفاً من الاطفال فى أمريكا لا نسب لهم ، وأن السبب فى تلك الكارثة الاختلاط والاتصال . فإذا تصنع الدكتورة درية بهذا الجيش الجرار الذى نشأ ضحية الإثم والمار ؟ نعم ما ذا تصنع الدكتورة

وهي الممتونة بتقليد الغربيين ؟ أريد لمصر مثل هذه الاوزار ؟ أم تريد للبلد مثل هذا الاستهتار ؟ أم تقول إن مثل هذه الاوزار ليس فيها ضرر ولا ضرار ؟
أغلب الظن أنها لا تستطيع الدفاع الحق عن تلك الحال ، فإنها لا تقبل الحدل ولا النضال .
سبعون ألما يضيعون باسم الاختلاط والمدنية ؟ يا لله . هل انقلبت الإنسانية إلى وحشية ، وهل تحولت المدنية إلى همجية ؟ وهل صارت الحضارة مرتعاً للبعث ؟ إنا نربأ بالبشرية أن تنحدر وفيها دين يدعو للهدى ، وضمير يؤنب ذوى النقي والموى ، ومثل للبركارم تحتذى ، وعقل يحجب الإنسان الردى . وإنى لأعجب لدعاة الاختلاط وهذا أثره الذمى في الدول التى أقرته ، ولا يدعون إلى فصل الجفسين في دور العلم وقد أخذت به دول غير مسلمة ، وأفره رجال التربية الروسون بعد تجارب دائية ، وأثبتوا أنه أصلح في تربية الجفسين وأقوم فائدة في تهذيب النفوس من التاجيتين الخلقية والعلمية .

إن نبي الإسلام قرر الفصل بين المتعدين والمندمات لجعل للرجال أياماً وللنساء مثلها .
أخرج البخارى عن أبى سعيد الخدرى أنه قال : قالت النساء للنبى عليه الصلاة والسلام : غلبنا عليك الرجال فاجعل لنا يوماً من نفسك . فوعدهن يوماً لقيهن فيه فوعظهن وأمرهن .
فلو كان الاختلاط جائزاً لما كانت به حاجة إلى أن يخصص لهن يوماً .

لظُوف الدكتور ما تطوف ؛ وانتقل حيث شامت ، ولتجلب لنفسها من الآراء ما أرادت ، ما دامت تجعل تقليد الغرب أسماً أميناً . وقول الحق رجعية لأنه لا يوافق هواها . والثنى الذى لا يبنى لها أن تقع فيه أن تدعو إلى الاختلاط باسم الدين والحضارة ، بعد ما ذاعت هذه الأغلاط وفسدت أخلاق الغرب وسرت عدوى الفساد في كل الطبقات فاضطربت الأمور وسادت الأحوال .

ليس كل ما فى الغرب حقاً يتبع وفوراً يسطع ، وليس كل ما فى الشرق باطلاً يقطع ، وضلاً لا يدفع ، ولعل ذلك هو ما دعا جامعة الإسكندرية إلى التفكير فى إنشاء كلية خاصة بالبنات تقديراً لخطر رسالتها فى هذا العهد الذى يقصد المسؤوليات ويسعى إلى الخير فى خطوات مواقفات فى سبيل الوطن وإسعاد ذويه . فإلى وزارة التربية والتعليم كل ثناء وتكريم لسن قرار الفصل بين الجفسين فى مراحل ، التعليم فهو قرار عظيم يستحق كل إجلال وإكبار .

محمد صابر عاشور

مدرس بمعهد دمنهور الدينى

ليلة القدر

هي ليلة وحيدة في السنة ميزت عن جميع لياليها بعظيم قدرها ، ومن ثم سميت ليلة القدر ، يحتفل بها في الملا الأعلى احتفالاً يتضمن من مدهشات الاعاجيب ما لا يحيط به إلا الحق تعالى ، غير أنه سبحانه يطلع على بعض ذلك من شاء من خلقه . والغالب أنه لا يكشف بشئ من ذلك إلا الصالحون .

والحق الذي دل عليه القرآن والأحاديث المتكاثرة أنها لا تخرج عن رمضان ، والغالب اختصاصها بالعشر الأواخر منه ، وأرجى ليالي العشر أوتاره ، وأرجى الأوتار ليلة سبع وعشرين ، ثم ليلة واحد وعشرين ، وثلاث وعشرين . وذهب جمع من الصحابة إلى أنها ليلة سبع وعشرين ، منهم ابن عباس ، الذي دعا له النبي ﷺ بأن يفقهه الله في الدين ، ويعلمه الناريل ، أي : تأويل القرآن ، وقد استجيب فيه هذا الدعاء ، فقد كان رضى الله عنه من أفقه الصحابة وأعلمهم بتفسير القرآن حتى سمي : ترجمان القرآن .

وحكمة إخفائها أن يجتهد الناس في العبادة في جميع رمضان ، كما أخفيت ساعة الإجابة في يوم الجمعة ليجهد الناس في جميعه ، وأخفى رضاء تعالى في طاعته ، وغضبه في معاصيه ، كي يعتنوا بجميع الطاعات ولا يستصغروا شيئاً منها ، ويحذروا كافة المعاصي ولا ينهاونوا بواحدة منها .

وحسبنا في عظيم فضلها ، ورفيع شرفها ، قوله تعالى : « ليلة القدر خير من ألف شهر » تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر ، سلام هي حتى مطلع الفجر . قالوا : أى ثواب العمل فيها أفضل من ثواب العمل في ألف شهر ، والروح : هو جبريل عليه السلام لقوله تعالى : « نزل به الروح الأمين على قلبك » وقوله جل وعلا : « من كل أمر ، أى : من أجل كل أمر عظيم سار قدره الله لأهل الأرض العابدين ، كقبول الطاعات ، واتساع الرزق ، والبشرى بحسن العاقبة ، وغير ذلك مما تظفيه الملائكة في روع المتقين وقلوب المؤمنين ، فهي ليلة بر وإحسان ، وصلة وإنعام ، ولذا قال عز وجل : « سلام هي ، أى : هاهى إلا سلام ، وأمن وأمان ، يمنع الله فيها أحداث الزمان ، وفيها تسلم الملائكة على

المؤمنين ويصالحونهم وهم في عباداتهم ، وإن كان لا يحس ذلك منهم إلا كلفتهم ، ويستمر كل ذلك من مغرب الشمس إلى مطلع الفجر .

قال العلامة ولي الله النووي في شرحه على صحيح مسلم : « اعلم أن ليلة القدر موجودة ، وأنها ترى ، ويتحققها من شاء الله تعالى من بنى آدم كل سنة في رمضان ، كما تظاهرت عليه الأحاديث . وأخبار الصالحين برؤيتهم لها لا تحصى » .

وقد كان عليه الصلاة والسلام يعتكف (أى يمتكف في المسجد) العشر الأواخر من رمضان ، ويعتكف معه أزواجه الكرام ، وجاء الفوز بليلة القدر ، وأنها ما بشأن رمضان في أواخره ، إعلاما بأن المدار على الختام .

هذا وقد فسر بعضهم قوله تعالى : « ليلة القدر خير من ألف شهر » بخلاف ما تقدم حيث قال : (إن الفرض من ذكر الألف ، هو التأكيد لا التحديد ، وإن المعنى : أن ليلة القدر خير من شهور جد كثيرة ، بل قيل إنها خير من الدهر ^(١)) ، وعلى هذا فالمراد خيريتها لا من حيث العمل لحسب ، بل من حيث أنها كانت ليلة نزول الكتاب الحكيم الذى تضمن من الخير للخلق والبر بالإنسانية ما لا يملئه إلا الله تعالى . مع ما يفاض على العالمين فيها مما لا يكتفه كنهه ولا يحاط بقدره .

(وبعد) فإن أسعد أوقات المبد على الإطلاق وقت يتوب فيه إلى ربه ، ويرجع فيه عن غيه ، ويأخذ في امتثال أوامر مولاه ، واجتناب كل ما عنه نهاه . وأبرك الأوقات على هذه الأمة وقت يعودون فيه إلى الفسك بدينهم ، والتشبث بمتابعة نبيهم ، إذ بهذا دون غيره يعود إليهم مجددم العظيم ، ومدنيتهم الحقة . إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، قال الله تعالى نرغب أن يقرب هذا الوقت العظيم ، وأن يوفق الأمة القائدين منها والمقودين ، إلى الألفة والوحدة ، ومتابعة الكتاب والسنة ، حتى يسعدوا السعادة الحقة في الدنيا والأخرى ، إنه تعالى مجيب الدعاء ٩

محمد عبد المنعم محمد زهران

ناظر مدرسة المحمودية الابتدائية

تعليقا

- ١ -

مع الثورة في مصانع الذخيرة

١ — وأخيراً : أعفتنا الثورة من البضاعة الكلامية ، ومن خطاب برلمانية للعرش ، كنا نسمع فيها بيانا وصحرا ، ونستشف من ثأياها أملا وبشرا ، ثم تمضى الأيام ، وتلاحق الاعوام ، فلا نراها إلا قدرة على الخداع ، واستدرجا إلى الضياع .

وقد لجأنا الثورة بما كنا نهفو إليه ، ولا تتوقع الحصول عليه .

وأشهد : لو أن واصفا ذرب اللسان وصف لنا ما رأينا في تلك المصانع الحربية لما بلغ وصفه من الواقع إلا ما يبلغه التمثيل بوميض البرق لودج الشمس الضاحية .

٢ — حملتنا السيارة إلى مصنع للذخيرة في ضاحية من ضواحي القاهرة ، وبعد أن أمعنت بنا في جوف الصحراء وقفت على مدخل بناء ليس شاخ الذرى في تطاوله ، ولا أنيق الشرفات في أهته ، ولكنه في بساطته من الخارج يهولك موقعه رهبة ووحشة ، وبوحى إليك مظهر الحراس من حوله ، وفي أبراجه مدججين بالسلاح على قدم وساق ، أن في داخل المبنى سرا خطيرا ، وأن له حرمة تقوم على رعايتها تلك النلة من نسور الجيش المصرى .

٣ — كان مأذونا لنا بالدخول والمشاودة ، ومع ذلك كانت الدقة في المناقشة ، والتحرى من القصد والتأكد من صدق الفرض فوق ما كنا نظن ، وأبعد مما تتوقع .

ثم ماكدنا نجتاز أول باب حتى تلقانا ضابطا كريم اللقاء ، مشرق الجبين ، وهو صاحب التوبة في الإشراف على الحراسة وإدارة المصنع ، جلس إلينا في ردة متوسطة السعة ،

وبادلنا عبارات الترحيب ، ثم قام يطوف بنا في جنبات هذه المدينة الصناعية المصفرة ، ويخرج بنا من هو إلى آخر ، وفي كل واحد عمل يكمل بعضه بعضا ، ويختلف نوعه عما في البو الآخر ، والضابط الكريم يتمهدنا بالشرح التطبيقي لما تؤديه تلك الماكينات الكهربائية المذقة في أوضاعها ، والبائرة في شكلها وعملها ، وتمدنا كيف تمر الأنبوبة الحاسية المستطيلة بتلك الأجهزة واحداً بعد آخر فيعمل كل واحد عمله فيها حتى تراها في سيرها تنهى إلى قطع في حجم القلم أو أكبر أو أقل طبقا للغرض المقصود منها ، وأنت تراها في النهاية أمانيب مخروطة ، وتراها بعد ذلك تمر في سرعة خاطفة بأجهزة كهربائية أخرى وتخرج منها محشرة بالرصاص الذي يهرك العمل فيه حين يصهر ، وحين يعبأ في تلك الانابيب ، وتكون مياة للوضع في المدافع أو البندق أو المسدسات .

٤ — قضينا ساعتين في أحضان ذلك المصنع البالغ خمسة وأربعين فدانا ... وأفدنا في هاتين الساعتين ما ملأنا زهواً بمصريتنا الجديدة ، وإيماننا بأن الثورة خلفت مصر خلقا آخر .

وحقاً كان العجب يأخذ منا مأخذه لكل شيء يقع تحت أنظارنا هناك : نظاما ، وتنسيقا ، وروعة .

وهذا هو العامل المصري الذي عاش مغمور الشخصية ، مقبوراً في مصانع الحرف الضئيلة ، وفي تلك الحروب التي كانت تفنك بشباه في سيل عيشه المنكود : يجلس اليوم إلى تلك المخترعات ويبدى من ذكائه وتنام استعداداته للإنتاج ما يهر الجاهلين بكفائته ، ويكتب الحائزين على هضبة مصر ، ولقد حسبنا أن هذا المشهد الذي أثار فينا ما أثار من كبرياء وعزة هو غاية ما أدركته الثورة الآن .

ولكن الرحلة امتدت بنا إلى مصنع آخر ، فكان آية جديدة تفوق ما شهدنا لإبداعا واتساعا ، وفيها من ضروب الصناعة ما زاد في عجبنا ، وضاعف من بهجتنا . وكشف لنا عن أسرار فية يودعها المولى في رؤوس المباشرة من عباده ، وتجلى بها مواهبهم على صفحة هذا الكون . وإنها لشاهد صدق على أن الله استخف عباده وأرضه ليعمروها بجهودهم ، ويبرزوا كوامن إبداعه بنشاطهم . وإن كانت أدوات الحرب مشأمة ، ومدعاة للتخريب ،

وليس فيها ما يبعج المحبين للسلام ، فقد كان من سنن الله في خلقه أن يخلق من الشر خيراً ، وأن يكون الإرهاب بالتدمير وسيلة إلى التعمير ، « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض » .

ونحن لا نزعج أن ما أعجبنا به هو غاية ما هنالك ، ولكنه غريب في اعتبارنا بالقياس إلى ما كنا فيه إلى سنتين مضتا ، وقد لا يكون غريباً عند من شاهدوا المخترعات الحديثة في مثل هذا الضرب من الصناعة كسبك المعادن ، وخرائط الحديد ، ونجارة الأخشاب ، والنسيج ونحو ذلك .

فم كانت صناعة الذخيرة معروفة في مصر منذ أزمنة خلت ، ولكن ذلك شيء وما نشهده اليوم شيء آخر ، رافد عشنا عيالاً على الغير في لوازم الجيش حتى لمسنا نتيجة الجهل بها والهمقر فيها على أرض فلسطين ، وكانت المأساة المحزنة هي السبب الحافز على تلك الثورة المبحومة . وحقا كما قلنا إن الشر يكون أحياناً سبباً في الخير . على أن الاتجاه إلى التسليح والتأهب للدفاع ليس حتماً وسيلة إلى الحرب ، وإنما هو في النظرة الرشيدة للدفاع وحماية الوطن من عدوان المعتدين إذا اقتضى الأمر ، وذلك هي سنة الإسلام وتوجيهه « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » .

فتورنا الرشيدة بما تبدى من الجد في استصناع الذخيرة ليست عادية ولا باغية ، وإنما هي قائمه بحق الوطن وحق الدين جميعاً .

ومما يزيدك رضا واطمئناناً أن الثورة لم يغب عنها في هذه المصانع أن تأخذ عملها بالتوجيه الديني ، فأنت ترى أول ما يواجهك في المصنع ذلك المسجد الأنيق الذي يهتد في النفوس ذكريات القوى بجانب ما تبعته صناعة الذخيرة من ذكريات الحروب ، وفي اقتران الذكرين يتمثل الإيمان والقوة المادية .

وفي الحق أن الإيمان والقوة المادية هما مقومات الأمة ، وأحدهما من غير الآخر لابقاء له ، وعلى هذا الأصل قام الإسلام غير باغ ولا عاد .

وتشهد للثورة ذلك التوجيه في معسكرات الجيش ، فهي معنية بإنشاء المساجد فيها مقتنعة بأن غرس الشهور الديني وتركيز روحه في نفس الجندي والعامل ضمان لخصية كل منهما

من آفة التداعى والميوعة ، ونهوض بهما إلى الوطنية المثالية التى تنأى بهما عن الانانية وتحبب إليهما الإيثار والتضحية ، فإن يسكن للثورة كبير الفضل فيما أبدت من ضروب الإصلاح على قصر العهد ، فإن من جوائب فضلها المشهود أنها لا تنساق إلى ما انسقت إليه الارستقراطية البائدة من الغفلة عن مؤازرة الدين ، والاعزاز به ، والدعاية إليه .

وليس حتماً بل ولا سائناً أن يساق الناس إلى الدين بالعنف والإكراه ، إذ الدعوة الإسلامية فى مهجها الاصيل دعوة سلبية من طريق الإرشاد والترغيب ، ولا يكون الإكراه والتهريب إلا حين تخفق الموعظة الحسنة عند غلاظ القلوب .

فإن تكن الثورة آخذة فى نشاطها بدعم الجانب الأذنى فهى آخذة بالأسلوب الإسلامى فى دائرة الهدوء والتريث المترن ، وحسبك من زعمائها أنهم فيما عرف عنهم جميعاً لا يعرفون بشئ مما عرف عن حكماء سابقين .

هذه لفتات توجه بها الأذهان الغافلة إلى صنع الثورة فيما تعده لخدمة الوطن وفيما تحرص عليه من دعم الأخلاق ، وتقوية المعنويات ، وانتشال الأمة من مساقط العهد البائد فى مراحلها كلها ، إلى أكرم أوضاعها ، مما يتفق مع تاريخها ، وتقاليدها ، ودينها ، ويصل بينها وبين حياة جديدة تنشد لها بركة من اللواتى التى تمكروا على سمعها أو تشوب ذكراها .

وبعد - فقد كان من العبارات الصادقة التى جرت على لسان البعض منا حينما بهرته عجائب الثورة فى المصانع : (ماذا نقول : والله لقد نقلوا المانيا إلى مصر) وآخر يقول : (لو أنهم حجوزوا مرتباتنا كلها للإنفاق فى إعداد الجيش لآمنّا بما يصنعون ، ولا عدنا نقول : فيماذا ينفق الجيش ؟؟)

وذلك حق ، والايام كفيلة بإظهاره ، وسيتضح الصبح لكل ذى عينين .

عبد المطلب السبكى

عضو جماعة كبار العلماء

الأزهر

ومزاعم السيدة درية شفيق

طربت السيدة درية شفيق وجهرت بفرحتها حينما روت إحدى الصحف أن الأزهر أخذ في تمكين الفتاة من ثقافته الدينية ، وعامل على إعداد كلية نسوية تقوم على منهج إسلامي يسلك بالفناء سبيلا أقوم في صقلها ، وإعدادها للأمم المتأهلة ، حتى تشغل حيزها إلى جانب الرجل .

وكان ولا يزال جديرا بالسيدة درية وسواها أن تطرب لذلك الاتجاه ، وأن تمنحها ، وأن تمنى للأزهر توفيقا فيما تحدث به بعض الصحف ، ألا يلقي في سبيل التعليم النسوي ما لقيه آنفا من المعوقات .

ونحن نقدر للسيدة درية وغيرها ذلك التفاؤل ، ونعتبره موازنة أدبية في تدليل الصعاب وإحفاق الأمل .

إذا ما من شك في أن هذا نهوض بالفتاة إلى المكاة التي تخلفت عنها بعد صدر الإسلام ، حتى كأنها لم تكن شطرا من شخصية الرجل ، ولم تعد ذات أثر إيجابي في تكوين المجتمع وقوامه .

ولكن الذي نقف عنده من غبطة السيدة درية هو زعمها للناس أن الأزهر - فيما أبداه من الحرص على تزويد الفتيات بالثقافة الدينية - مستجيب لما نادى به السيدة درية ، ونازل على إرادتها ، وأنه لشط إلى هذه الناحية بعد أن سبقته هي إلى المتأنف بإعطائه المرأة حقها .

وأحسب السيدة تعرف فيمن يعرف أن الأزهر - أولا - لم يكن المستول عن الحيولة بين المرأة وتزويدها بالعلم النافع ما أمكن ، بل كان ذلك لأسباب بعيدة عنه ، وليس خاضعة لنفوذه .

وإذا لم يستطع الأزهر إعداد المعاهد الفسوية لم يفته أن يثبث دعوته الثقافية في الأوساط على اختلافها من كل نافذة تناح له ، وأنه كما يشهد المصفون يعلم ويكتب ويخطب ، ويذيع في الناس جمعا ، وأنه يحاصر السيدات المثليات في مجتمعات حافلة بهن في أماكن متعددة لذلك ومتعددة .

والسيدة درية تعرف فيمن يعرف أن الأزهر - ثانيا - قائم على ذلك قبل أن توجد هي في الدنيا بقرون وقرون ، فليس من الصدق واحرام الأفهام أن تزعم للناس في جراحة غير معروفة أن الأزهر اسجابه لدعوتها ، وأنه ادرك يارشادها أن المرأة نصف المجتمع .

فأبسط الناس معرفته بالتاريخ ، وصلة بتعاليم الإسلام ، يعلم أن الدعوة الدينية موجهة إلى الجنسين ، وأن المرأة المسلمة في صدر الإسلام تلقت الدعوة كما تلقاها الرجل ، وجلست في مجالس العلم كما جلس الرجل ، وأنها قامت بنفسها من الرواية والتبليغ كما قام الرجل ... فليس مقبولا أن تزعم السيدة أن هذا تقي من الأزهر ، وأنه كان صدق لدعوتها هي ؛ وهي بنت اليوم القريب .

والسيدة درية تعلم فيمن يعلم - ثالثا - أنها مع من يناصرها في ناحية ، والأزهر في ناحية ، فهي تدعو إلى جلوس المرأة بمجالس الرجال ومع الرجال في كل شأن ، أو هي تدعو إلى ترجل المرأة ، وانخلاعها من خصائصها إلى خصائص الرجال .

والأزهر لا يتابع في هذه الدعوة أحدا ولو تظاهرت عليها دريات الأرض جميعا ، ولا يمكن أن يرى اللجاج حول هذا من الصواب في قليل ، ولا يستيج أن يخرج بالمرأة عن دائرتها الكريمة التي هيأها لها الفطرة ، ولا يستطيع الرجل أن يرحمها فيها ، كما لا نستطيع هي أن تسير الرجل في كل ناحية وإن تيسرت لها بعض النواحي .

وإنما يحرص الأزهر على تقويم شخصية المرأة تقويما أدبيا حتى لا تظل على قصصها ، وحتى تكون أصلح للحياة ، وأجدر بمزاوجة الرجل في المجتمع المنشود ، ويكون الرجل بها أوفر حظا ، وأكرم بيئة .

وذلك مكفول إذا تقاربا ثقافة مع بقائها على أئونها وبقائه على رجولته .
أما أن تكون امرأة في طيمنتها وطابعها ، وفي هدامها وزيتها ، وتكون رجلا مع الرجل

خارج البيت وفي مزاحم الرجال ، وفي الغياب عن خدرها ، والتجول والأسفار هنا وهناك ،
فذلك بحفاة لاهطرة وانقراض على الحياء الذي موحية طبيعية للمرأة ، وتمثلت إلى مدنية نسوية
مائه ، ستمها ألبوها بمد أن خاضوا فيها طويلا ، ورتعوا في إباحيتها ، ثم صدمتهم نتائجها
ولفحتم جمراتها .

وفي أحاديث المارفين بما هنالك ما يقى عن الإسهاب ، وبقمنا إلى توجهات القرآن التي
لا توجب دعاء المساواة المطابقة ، والتي لو فطنوا إليها بعقولهم لأراحوا واستراحوا . فالقرآن
يعنى المرأة من أمور خسة عليها كالحرث والسمي على الرجل في المعاش ، ويمفيها من واجبات
دينية أخرى ترهقها أو تعرضها للابتدال .

والقرآن يذكر المرأة دائما في موضع الرفق بها ، والتلطف معها ، والمطف عليها .
ويذكرها دائما على أنها خلقت زوجا وسكننا للرجل وقرة عين له ، وأنها مشتقة من
جسده ، وأن بينها وبين الرجل مودة ورحمة ، فوظيفتها الأولى والأصيلة مرسومة في إطار
من الأثوة المصقولة .

وبناء على ما أجملا لا يكون الأزهر مع السيدة دربة شفيق فيما هي جادة فيه ، إلا أن
تكون هي قد هذبت من فكرتها ، وتريثت في دهرتها ، واهتدت إلى ما يقول به الأزهر :
غير أنها لا تريد الاعتراف بتقليده ، فهي تواجه الناس بدعوى سبق على الأزهر .

كذلك لا يكون الأزهر ، ولا يمكن أن يكون تابما لها فيما تراه ، إلا أن نمحو التاريخ
الطويل الذي عاشه الأزهر في رسالته ، ثم نقرضه ناهضا من جديد ، وأنه خفض من كبريائه
وشمرخه ، ووقف . أو ما واتخذ إمامه السيدة دربة شفيق ، أو من ينفخ في بوقها من أولئك
الذين لا يصغون إلى القرآن ، ولا يسكرثون بالجارب ، ولا يستجيون للضمير .
لا . لا . يا أماء ؟

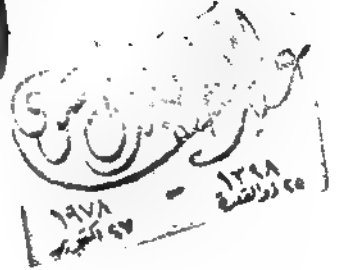
عبد اللطيف السبكي

عضو جماعة كبار العلماء

الكتب

تفسير الطبرى

الجزء الأول - ٦٢٣ ص - دار المعارف بمصر



الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى (٢٢٤ - ٣١٠) علم من أعلام الرواية والفقه والدوين في النصف الثانى من القرن الثالث الهجرى وأوائل القرن الرابع . وأكثر الذين أفادوا من علمه فى عصرنا إنما عرفوه على أنه صاحب التاريخ الذى حفظ لنا - منذ ألف سنة - عشرات الآلاف من الآثار والنصوص عن عشرات من المراجع الأولى المختلفة المراتب التى أبادها أعداء الإنسانية فى كوارث هولاء والحروب الصليبية وما بعدهما . ولولم يؤلف الإمام أبو جعفر الطبرى كتابه فى التاريخ لضاعت هذه النصوص ولضاع بضائعها علم غزير وتراث لا يعوض . وما يقال عن تاريخ الطبرى يقال أكثر منه عن تفسيره (جامع البيان عن تأويل القرآن) الذى قال فيه أبو عمر الزاهد غلام ثعلب ، قابلت هذا الكتاب من أوله إلى آخره فما وجدت فيه حرفاً خطأً فى نحو أو لغة ، وإذا كانت هذه منزلة تفسير الطبرى فى النحو واللغة فماذا نقول فيما حفظه من النصوص الماثورة فى تفسير القرآن عن الصحابة والتابعين وسائر أهل القرون الثلاثة الأولى مما حوته كتب أعلام المفسرين المتقدمين فى الزمن على الطبرى ، وهذه الكتب العظيمة الخطر هي كذلك بما فقدناه فى الكوارث والاحداث التى نزلت بأوطان العرب والإسلام ، ولولم يؤلف هذا التفسير - وهو فى ثلاثين جزءاً - لكانت الرزية بفقد تلك الكتب أفدح مما نشعر به الآن . وكان تفسير الطبرى قد طبع مرتين قبل نحو نصف قرن إحداهما بمطبعة بولاق . لكنه فى طبيعته لم يرزق العناية والعلم والصبر والبصيرة الثيرة التى رزقها الآن بقيام رجلين من رجال العلم بتحقيقه وخدمته أحدهما الأستاذ محمود محمد شاكر الذى اضطلع بأعبائه دائماً صابراً متقياً مراجعاً ، فتولى تصحيح متن الكتاب وخطبه ومقابلته على ما بين يديه

من مخطوطاته ومطبوعاته ، ومراجعتها على كتب التفسير التي نقلت عنه ، وعلق عليه ، وبين ما استغلّق من عبارته ، وشرح شواهد من الشعر ، وبذل جهده في ترقيم آثاره ونصوصه . وقد استعان ببقايا مخطوطات الكتاب ، وهي أجزاء مفردة من الجزء الأول في دار الكتب المصرية برقم ٤٢ م و ٤٣ م تفسير ، والجزء السادس عشر منه رقم ٢٧٨ تفسير ، ومخطوطة برقم ١٠٠ تفسير كانت في ٢٥ مجلداً ضاع منها الجزءان الثاني والثالث ، وهي قديمة غير معروفة التاريخ ، وعلى ما فيها تكاد تكون أصح النسخ ولذلك جعلها أمّا لفشر هذا الكتاب . أما سائر المخطوطات فهي سقيمة وردية . وانتفع بكتاني (الدر المنثور) للسيوطي و (فتح القدير) للشوكاني فهما يكثران النقل عن أبي جعفر . أما ابن كثير فلم يقتصر على نقل الآثار بل نقل بعض كلام أبي جعفر بنصه في مواضع متفرقة ، وكذلك فعل أبو حيان والقرطبي في مواضع قليلة من تفسيرهما ، فعارض المخطوط والمطبوع من تفسير أبي جعفر بما نقل عنه في هذه الكتب ، كما راجع كثيراً مما في التفسير من الآثار على سائر الكتب التي هي مظنة لروايتها وبخاصة تاريخ الطبري نفسه ومن في طبقة من أصحاب الكتب التي تروى الآثار بالأسانيد . وما تكلم به الطبري من النحو واللغة راجعه الاستاذ محمود شاكر على أصوله مثل (مجاز القرآن) لأبي عبيدة و (معاني القرآن) للفراء وغيرهما ، وتنبع شواهد ما استطاع في دواوين العرب ونسب ما لم يكن منها منسوباً وشرح الآيات وحقق ما يحتاج إلى تحقيق من قصائدها ، وبين ما وقف عليه من اصطلاح النحاة القدماء وغيرهم بما استعمله الطبري وخالفه النحاة المتأخرون في اصطلاحهم .

إن هذا الجهد العظيم الذي بذله الاستاذ محمود شاكر في خدمة تفسير أبي جعفر الطبري مضافاً إليه الفهارس التي سنشير إليها فيما بعد ، قد أكله مجهود أخيه الاستاذ العلامة الشيخ أحمد شاكر ، فإنه نظر في أسانيد أبي جعفر - وهي كثيرة جداً - فتكلم عن بعض رجالها حيث يتطلب التحقيق ذلك ، ثم خرج جميع ما في الكتاب من أحاديث رسول الله ﷺ ، وقد يساهم في غير ذلك من مؤازرة أخيه في مراجعة بعض عمله الطيب والاستدراك عليه .

ومع أن الاستاذ محمود شاكر سيلحق بالكتاب عند انتهاء طبعه إن شاء الله فهارس عامة ، فقد تهجل فأفرد بعض الفهارس مع كل جزء : لجمل فهرساً للآيات التي استدلل بها الطبري في غير موضعها من التفسير ، وفهرساً للأعاظ اللغوية التي رواها الطبري ، وكثير منها مما لم يرد

في المعاجم أو جاء بيانه عن معانيها أجود من بيان أصحاب المعاجم ، وفهرسا الرجال الذين تكلم عنهم أخوه الأستاذ الشيخ أحمد شاكر .

وهذا الجزء الأول الذي صدر الآن من تفسير أبي جعفر رحمه الله وأحسن إليه انتهى إلى آخر الآية ٤٣ من سورة البقرة ، وتكون بداية الجزء الثاني من تأويل قول الله عز وجل (تأمرون الناس بالبر وتقسون أنفسكم) وهو مطبوع أنفس طبع واكمله على ورق جيد . فرجو الله أن يعين على إتمام الكتاب كله وهو المستعان وبه التوفيق .

كتاب البحث ، في شرح كتاب (البعث)

لفضيلة الأستاذ أبو الوفا المراغي — ٢٧٢ ص — مطبعة السنة المحمدية

كتاب (البعث) لأبي بكر عبد الله بن سليمان بن الأشعث السجستاني (٢٣٠ — ٣١٦) العالم الحافظ ابن الإمام القدوة الحافظ . وكتابه (البعث) جزء جمع فيه واحداً وثمانين حديثاً في أحوال الميت من وقت احتضاره إلى وقت قراره في الآخرة وما يمرض له بين ذلك من أحوال وأهوال وخوف ورجاء وما يلامه في قبره ويثبته وحشره وامتجانه بالسؤال ومروره على الصراط وحاجته إلى الشفاعة والتماسه ذلك عند الأنبياء والمرسلين ، وما أعد الله لأولياته في الجنة من اللطاف والكرامات .

وقد عثر فضيلة الأستاذ أبو الوفا على مخطوطين قديمين منه بالمكتبة الأزهرية كتبت أحدهما في أواخر القرن الرابع ، والثانية في أواخر القرن السادس ، وعلى مخطوطه ثلاثة بدار الكتب المصرية بخط إسماعيل بن إبراهيم بن عبد الله بن محمد بن جماعة سنة ٨٥٧ . فقام بتحقيق الكتاب وأصحححه وشرح كل حديث من أحاديثه ، بعد أن ذكر رجاله وتخريجه ودرجته ، وراجع لذلك كتباً سماها في آخر الكتاب مع تعيين الطبعة التي اعتمد عليها في النقل ، لجاء الكتاب كأجود ما ينبغي من العناية لأمثاله من كتب السلف التي نرجو أن يوفق فضيلته إلى نشر أمثاله ، وهي بين يديه ومن حوله في المكتبة الأزهرية التي كان من أعظم خدماتها تنظيمه الفهرس المفصل لكتبها في خمسة مجلدات كبيرة . وإن قرأ هذه المجلة من أعرف الناس بفضلها ما يقرأونه له في كل جزء من أجزائها .

الوسيط في أصول فقه الحنفية

لفضيلة الاستاذ أحمد فهمى أبو سنه - ٢٦٤ ص - مطبعة دار التأليف

أصل هذا الكتاب بحوث القسم الثانى من كتاب (التوضيح) فى أصول الفقه لصدر الشريعة الحفيد المتوفى ببخارى سنة ٧٤٧ ، حل به غوامض كتابه (التنقيح) وكان قد نفع به كتاب (أصول نظر الإسلام البزدوى) بتنظيم مسائله وبيان مراده ضاماً إليه ما احتاجه المقام من أصول المرخسى ومحصل الرازى وعناصر ابن الحاجب . ثم شرحه بكتاب (التوضيح) الذى عرض الآن فضيلة الاستاذ الشيخ أحمد فهمى أبو سنه لبحوث القسم الثانى منه لحفظها وأكلها ورتبها . وبذلك يسر دراستها للاميد من طلاب أصول الفقه الإسلامى فى كلية الشريعة بالأزهر . وكتاب (التوضيح) يعتبر فى مذهب الحنفية حجة ، وقد خطا بأصولهم وفقهم خطورة واسعة نحو إحكام القواعد وتهذيب الفروع . وقد خدمه فضيلة الاستاذ أبو سنه بهذا الوسيط فبسط بحوثه ، وحقق ما أشكل من مسائله ، واستدرك ما فاتته مما لا يستغنى عنه المققه ، قال : وربما اقتضى الدليل أن أحمله فى تصحيحه أو ترجيحه . وقد حرص على الإكثار من إيراد الامثلة الفقهية توضيحاً للقواعد وتمريناً على تطبيقها وبياناً لمطابقة ما قاله الأصوليون لما رآه العقلاء .

ومباحث القسم الثانى من التوضيح تناولت حروف المعانى والصريح والكناية والدلالات والأمر والهى ودلالتهما وأقسام المأمور به والمنهى عنه وحسن الأفعال وقبحها وشروط التكليف . وقد وصف الكتاب فضيلة الاستاذ الشيخ عبد الحميد فرغلى بأنه يحتل منزلة رفيعة من وضوح العبارة وجودة الترتيب والتصنيف وتحرير المباحث وتحقيق المشبهات وتبسيط الغوامض لجزى الله المؤلف خيراً .

التفسير الواضح

لفضيلة الاستاذ محمد محمود حجازى - الاجزاء ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ - دار الكتاب العربى

لا يزال القراء على ذكر مما سبق لنا كتابته على هذا التفسير المختصر الجامع الذى سد فراغاً كان يشعر به جمهور المثقفين من شباب المسلمين لفهم كتاب الله عز وجل حتى وجدوا فى أجزائه التى ظهرت حتى الآن كفايتهم العاجلة ، وتمهيد السبيل أمامهم لفهم الكتب المطولة فى تفسير كتاب الله عز وجل .

وقد صدرت أخيراً الأجزاء الـ ٢٥ و ٢٦ و ٢٧ منه . وقد علم القارىء أن المؤلف الفاضل اختص كل جزء من أجزاء القرآن الثلاثين بجزء من التفسير ، فلم يبق على تمام الكتاب غير الثلاثة الأجزاء الأخيرة ، وفق الله المؤلف ويسر له إتمامه وأحسن جزاءه

المواريث في الشريعة والقانون

للأستاذ الشيخ رضوان شافعى المتأفى - ١٩٤٤ ص - المطبعة السلفية ومكتبتها .

هو شرح لقانون الميراث رقم ١٧ سنة ١٩٤٣ مع الفقه بعبارة سهلة وجدارول مبسرة تساعد على الفهم وتربية للملكة ، ألفه فضيلة الأستاذ الشيخ رضوان شافعى المتأفى رئيس محكمة الجيزة الابتدائية الشرعية ، ورتبه على مواد قانون الميراث المعمول به الآن فى مصر ، وقسمه إلى ثمانية أبواب اشتملت على جميع أنواع الميراث . واستطرد فيه إلى ملاحظات واضحة فى بعض المواد والمدكرة الإيضاحية وبعض الموضوعات . وألحق به بحثاً فى الوصية الواجبة التى صدر بها قانون سنة ١٩٤٩ فكان من تمام شرح قانون الميراث استيفاء شرح قانون الوصية الواجبة أيضاً . وهو مطبوع طبعا حسنا على ورق جيد .

المرأة والاسلام

للأستاذ كمال أحمد عون — ٢٢٠ ص — مطبعة الشعراوى بطنطا

مؤلف الكتاب من أفاضل علماء الأزهر ، وكتابه من أجود ما قرأناه لأزهري فى موضوعه ، فقد جمع بين العلم والبصيرة البيرة والشجاعة فى مواجهة الباطل بأسلمحة الحق . وقدور بحوثه حول : المرأة فى التاريخ ، المرأة العربية ، هل تساوى المرأة الرجل فى القوة الجسمية ، مكانة المرأة فى الإسلام ، تعدد الزوجات ، مشروعية الطلاق ، المرأة فى الميراث والشهادة ، المرأة والحجاب ، المرأة والمجد ، المرأة والأزهر ، المرأة والحياة العامة ، المرأة والحياة السياسية ، المرأة والشواطيء ، المرأة والأقلام المسمومة ، فى رياض القرآن . ولايجابنا بالكتاب تنميا لو أنه خلا من كله (مرحوم) فهى حكم بما لا يمل به إلا الله ، وأفضل من ذلك صيغة الدعاء (رحمه الله) . وإتينا ننصح لكل طالب أزهري بأن يقتنى هذا الكتاب وأن يهيج هججه فى الدعوة والتفكير .

الأدب والعلوم

الالتحاق بكليات الأزهر

لطلاب البعث من البلاد الإسلامية

سنت مشيخة الأزهر نظاماً جديداً
لالتحاق طلاب البعث من البلاد الإسلامية
بالكليات الأزهرية الثلاث، وهو يتضمن
ما يأتي :

١ - يتمتع الطلاب الوافدون للالتحاق
بالدراسة العالية بالأزهر - من حملة المؤهلات
الشرعية التي لها قيمة عليية - امتحاناً عاماً
في المواد الأساسية يكشف عن مدى استعدادهم
ونحدد لهم على أساسه السنة الدراسية التي
يلحقون بها بحيث لا يتجاوز السنة الأولى
بالكليات .

٢ - لا تمنح شهادة العالمية مع الإجازة
إلا لمن أتم الدراسة العالية بالأزهر قبل
الالتحاق بأقسام التخصص .

٣ - الطلبة الذين يطلبون السماح لهم بمتابعة
الدراسة فقط في قسم من أقسام التخصص
- لحاجتهم الخاصة إلى هذه الدراسة مع سبق

حصولهم على شهادة عالية معتبرة من بلادهم ،
وترى المشيخة الموافقة على طلبهم مراعاة
لظروفهم - يمنحون عند تخرجهم إجازة من
الكلية بإتمام هذه الدراسة ، لعدم سبق
حصولهم على الشهادة العالمية من إحدى كليات
الأزهر .

تصنيف المرأة المسلمة

في الأزهر

بحث فضيلة الاستاذ الأكبر مع كبار
المستولين في الأزهر حاجة المرأة المسلمة إلى
التفقه في الدين ، وأن يتخرج من المسلمات
طائفة تشارك في العلوم الإسلامية ، فنشأ
لهم كلية خاصة بهم في الأزهر تكون مهمتها
إعداد فتيات صالحات دينياً واجتماعياً بمختلف
الدراسات المؤهلة لذلك وتستمد هذه الكلية
طالباتها من أقسام البنات تلحق بكل معهد
ديني وإلى أن تستطيع هذه الأقسام إمداد
الكلية بما يلزم من الطالبات اتجه الرأي
إلى الاستعانة بوزارة التربية والتعليم في أن

وزير التربية والتعليم الذي كان في استقباله أصحاب الفضيلة الشيخ الحسيني سلطان والشيخ صالح شرف والشيخ عبد اللطيف السبكي والشيخ محمد فهم اسماعيل .

وافتح الندوة بكلمة من فضيلة الشيخ عبد اللطيف السبكي باسم فضيلة الاسناد الاكبر شيخ الجامع الأزهر نشرها في مكان آخر ، وقد رحب فيها بالضيوف في أقدم جامعة ترمي التراث الإسلامي . ثم تحدث بعده السيد وزير التربية والتعليم فرحب في كلمته باسم الثورة بالضيوف وتمنى لهم إقامة سعيدة .

ودارت في هذه الندوة أحاديث وإجابات على أسئلة فيما بين الطلبة عما يحول وأذهانهم من شئون التربية والتعليم والحياة الدراسية ، وكان الطلبة المتحدثون من سيلان والهندامارك ومصر وفلندة وفرنسا وألمانيا وساحل الذهب والسويد وسويسرا والروج والأردن وانجلترا وأمريكا ويوغوسلافيا ، فكان ذلك نموذجاً لطيفا للتمكيد في مختلف الأوطان حول المعاني التي تجول في أذهان الجميع .

قاعة المحاضرات بالأزهر

تعد قاعة الأزهر للمحاضرات من أضخم قاعات مصر لهذا الغرض ، وهي تتسع لنحو

تتنازل للأزهر عن إحدى مدارسها الخاصة بهذا اللون من التعليم وهي مدرسة تقع في حي الغورية بالعاهرة وبها نحو ٣٠٠ طلبة ، ورؤى أن يتحدث فضيلة الاستاذ الاكبر إلى السيد وزير التربية والتعليم في هذا الموضوع حتى إذا وافق الوزير أمكن ابتداء الكلية من أول العام الدراسي المقبل .

وسيعد لهذا المشروع منهج على سبيل التناول قريب المسأخذ يشتمل أيضا على بعض الممن النسائية وغيرها من مواد التدبير المنزلي ومواد الامومة والتفريض ، وإذا تم ذلك تنشأ في الأزهر (مرافقة عامة لشئون البنات) .

نموة للطبيب في الأزهر

دعت إدارة التربية الرياضية والاجتماعية بوزارة التربية والتعليم إلى ندوة عامة بقاعة المحاضرات الكبرى بالأزهر حضرها أكثر من ألى طالب وطالبة امتلات بهم جوانب المدرج ، واشترك في الندوة الطلبة الضيوف العائزون في مسابقة نيويورك هيرالتريبيون وعدد ١٦ طلبة ، كما اشترك فيها ١٤ طالبا مصريا فازوا بمسابقة الكتب المدرسية .

وقد رأس الندوة الصاغ كمال الدين حسين

اعداد الامم الصالحة

وافق السيد وزير الاوقاف على إنشاء معهد لإعداد (الام المسلمة الصالحة) عن طريق إعداد الفتاة عقب إتمامها مرحلة الدراسة الثانوية وتزويدها بدراسات في التدبير المنزلي وواجبات الام نحو أولادها وزوجها . هذا دراسات أخرى في تربية الطفل والمطهي وأشغال الإبرة . وسيقبل في هذا المعهد ١٢٠ فتاة كدفعة أولى ويشرف على تنفيذ المشروع مدير الثقافة في وزارة الاوقاف .

كلية إسلامية بالملايو

ومستشفى إسلامي في بورما

قال القائمقام أورد السادات إن مسلمي الملايو أنشأوا أخيراً كلية إسلامية في بلادهم وإن الرئيس جمال عبد الناصر تبرع لهذه الكلية بحوالي ألفي جنيه سنوياً . وإن الأزهر سيوفد إليها اثنين من رجاله ليساهما في التدريس بها وهما مصريان حاصلان على شهادة التخرج من الأزهر وشهادات من جامعتي لندن وكبريدج .

كما تبرع الرئيس جمال عبد الناصر بحوالي ألف جنيه سنوياً للمستشفى الإسلامي في بورما .

أربعة آلاف مستمع ، ومزودة بآلة عرض سينمائي . وقد تم الاتفاق بين المجلس الأعلى لرعاية الشباب والجامعة الأزهرية على الإفادة من هذه القاعة في نشر النشاط المسرحي والسينمائي ، واستقر الرأي على أن تشارك كل من وزارتي التربية والتعليم والشئون الاجتماعية والجامعة الأزهرية في تسييق برامج استغلال هذه القاعة لتحقيق هذه الأغراض .

رواق شرق السودان

تحقق مشيخة الأزهر رغبة الطلاب الوافدين من مديرية كسلا وما جاورها في شرق السودان بإنشاء رواق خاص بهم يسمى (رواق شرق السودان) ، وسينتسب إليه الطلاب الوافدون من البلاد الواقعة بين حدود مصر الجنوبية شمالاً والبحر الأحمر وحدود أريتريا والحبشة شرقاً وخط وهمي مستقيم شمال مدينة كسلا يبدأ شرقاً من حدود أريتريا والحبشة جنوباً ونهر عطبرة غرباً . وإذا كان بين الأوقاف للرصد على طلاب الأزهر وعلائه أوقاف خاصة بأمالى هذه الجهات أو بعضها فإنها ستصرف لأهلها على شروط الواقفين .

وعاظم لمرور الشقيقة

في شهر رمضان

وافق مجلس الأزهر الأعلى على انتداب ستة وعاظ أزهرين إلى السودان ، وخمسة للعراق ، للوعظ في شهر رمضان المعظم . واختيار واعظين للوعظ في قطاع غزة .

الجفسي ، أو التي تستهدف إلى إثارة الرعب الشديد في النفوس . وقد وضعت الحكومة

البريطانية هذا القانون استجابة للرأي العام الذي ضج بالشكوى من هذه المسرحيات والفصص .

سنة الأزهر الدراسية

تمددت نهاية السنة الدراسية في الأزهر هذا العام بيوم الخميس ١٠ ذى القعدة (٣٠ يونيه) وبداية الدراسة في العام المقبل يوم السبت ٢٨ صفر ١٣٧٥ (١٥ أكتوبر) .

ذهب فرعونى

عشر أحد الأما إلى بيلدة ميت وهينة من أعمال البدرشين على قربتين مدفونتين في حظيرة المواشى وكانتا مئمتين بالذهب الفرعونى . وتبين أن في تلك البقعة مقبرة فرعونية يوجد بها تابوت وبعض القطع الذهبية .

جامعة أردنية

سترصد المبالغ التي يجرى جمعها في أنحاء بلاد الأردن لمناسبة زفاف الملك حسين على الأميرة دينا ليشتمان بها في مشروع بناء الجامعة الأردنية التي تتجه النية إلى إنشائها .

علوم الحديث ومصطلح

اقترح مدير معهد الدراسات الإسلامية في حيدر أباد الدكر على الأمانة العامة لجامعة الدول العربية إنشاء معهد أو جماعة تتألف من علماء الأوطان الإسلامية لدراسة علوم الحديث النبوى ومصطلحه ، لأن ذلك من أهم الأسس في التشريع الإسلامى وفهم الإسلام . وقد أحيل هذا الاقتراح على المؤتمر الإسلامى للنظر فيه .

قانونه نحن في حاجة إلى منكر

وافق مجلس العموم البريطانى على مشروع قانون يقضى بمنع عرض أو نشر القصص والمسرحيات التي تتضمن المواقف الجنسية الميعة ، أو التي تصور بعض واهى الشذوذ

إنباء العمل الشيوعي

استمرار قوة المسلمين

بحكمة ، وبلا حد

بكل ما لدينا من وسائل ، وهذه المصادر الثلاثة هي :

١ - أتنا شعوب متجاورة تربط بينها جميع الروابط المادية والأدبية الممكنة .

٢ - أرضنا نفسها وموقعها على الخريطة ، ذلك الموقع الاستراتيجي الذي يعد مفرق طرق العالم .

٣ - البترول عصب المدنية المادية الذي بدونهُ تتوقف جميع الآلات عر عملها . ان تكاليف إنتاج برميل البترول في أمريكا الشمالية ٧٨ سقنا ، وفي أمريكا الجنوبية ٤٨ سقنا ، أما في البلاد العربية فإن هذه التكاليف لا تتجاوز ١٠ سقنات ، ان مركز الإنتاج العالمي للبترول قد انتقل من الولايات المتحدة الأمريكية إلى البلاد العربية التي لا تزال بكرة ، ونصف ثروة العالم من البترول تحت أرض البلاد العربية ، وإن متوسط الإنتاج اليومي للبئر الواحدة هو ١١ برميلا في الولايات المتحدة و ٢٣٠ برميلا في نزيولا ، و ٤٠٠٠ برميل في البلاد العربية .

ترى هل أوضحت الآن مدى أهمية هذا المنصر من عناصر القوة ؟ أرجو أن أكون فعلت ...

قال الرئيس جمال عبد الناصر في كتابه (تحرير مصر) الذي صدر في الأيام الأخيرة :
عند ما أنظر إلى الثمانين مليوناً من المسلمين في أندونيسيا ، وإلى الستين مليوناً في الصين ، وإلى ملايين المسلمين في الملايو وسيام و بورما ، وإلى المائة المليون من المسلمين في باكستان ، وإلى مثلهم في الشرق الأوسط ، وإلى الأربعين مليون مسلم في الاتحاد السوفيتي ، وإلى غير هؤلاء وأرلئك من ملايين المسلمين المبعثرين في مشارق الأرض ومقاربها - عند ما أنظر إلى هذه المثات من الملايين الذين تجمع بينهم عقيدة واحدة ، أشعر بضخامة الاحتمالات التي يمكن تحقيقها عن طريق (التعاون) بين (جميع هؤلاء المسلمين) ، تعاوناً لا يتجاوز نطاق ولاهم الطبيعي لأوطانهم ، ولكنه يهيء لهم ولاخوانهم في العقيدة (استخدام قوتهم بحكمة وبلا حد) .

إن لدى شعوب الشرق الأوسط ثلاثة مصادر رئيسية للقوة يجب أن نستخدمها

إلى مؤتمر باندرونغ

في الهند وبورما . وفي يوم السبت ٢٣ شعبان (١٦ أبريل) وصل الرئيس جمال عبد الناصر والوفد المصرى إلى جاكرتا ثم إلى باندرونغ ، وبالرغم من أن الامطار الموسمية العزيرة كانت تهطل على المستقبلين إليهم ظلوا ساعات ينتظرون وصوله ، واستقبله مع رجال الجمهورية الادونيسية 'لوف كثيرة من الشعب . وسنصف في الجزء الآتى هذا المؤتمر الذى يمثل الأمم المستعمرة أو التى كانت مستعمرة وهى الشطر الأعظم من أمم الأرض ونشير إلى أعماله وقراراته إن شاء الله .

المؤتمر الاسلامى

قال القائمقام أنور السادات عقب عودته إلى مصر من رحلته في الإفطار الإسلامية :
تقرر تأليف (المجلس الأعلى) لمؤتمر الإسلامى من الملك سعود رئيسا والسيد غلام محمد الحاكم العام لباكستان والسيد جمال عبد الناصر ، وستوجه الدعوة إلى المؤتمر الإسلامى إلى جميع المسلمين في العالم ، وستدعع كل من مصر وباكستان والمملكة السعودية بمائتى ألف جنيه . كل سنة لتحقيق التعاون بين المسلمين . ولن يكون المؤتمر الإسلامى شأن بالسياسة وسيكون مؤتمر عمل لرفع مستوى المسلمين في جميع بقاع الأرض .

في الساعة الواحدة من صباح السبت ١٦ شعبان (٩ أبريل) غادرت مطار القاهرة الدولى إحدى طائرات شركة الخطوط الجوية الهندية مقلة الرئيس جمال عبد الناصر رئيس وفد مصر إلى المؤتمر الآسيوى الأفريقى في باندرونغ باندونيسيا ، ورافق الرئيس في سفره أعضاء وفد مصر في المؤتمر وهم الساسة : الصاغ صلاح سالم وزير الإرشاد ، والدكتور محمد فوزى وزير الخارجية ، والشيخ أحمد حسن الباقورى وزير الأوقاف ، والاستاذ محمد أبو نصير نائب وزير التجارة والصناعة ، والاستاذ عبد الحائق حسونة الأمين العام لجامعة الدول العربية ، والاستاذ مصطفى كامل استاذ القانون الدستورى بجامعة القاهرة ، والاستاذ عبد الله العريان المتدب في الإدارة المانونية بوزارة الخارجية . وينضم إلى وفد مصر هناك الاستاذ على فهمى المبروسى وزير مصر المفوض في أندونيسيا وقائد الجناح على صبرى مدير مكتب الرئيس للشئون السياسية على أن يلتحق بالرئيس في كراتشى . وللفرد سكرتارية فنية وحرس وكتبة وعملون للصحافة والإذاعة .

وقد مر الرئيس بكراتشى فاستقبل فيها استقبالا منقطع النظير ، وكذلك كان استقباله

اللائحة الإسرائيلية في بغيرها على غزة

وصفنا في الجزء الماضي (ص ٨٣٠)
البخى الذى وقع من إسرائيل على قطاع
غزة . وقد نظر مجلس الأمر يوم ٥ شعبان
(٢٩ مارس) في هذا الحادث ، وكانت الجلسة
 برئاسة مندوب تركيا سليم صارى بر ، فقال
 سيريسون ديكسون مندوب بريطانيا استناداً
 إلى الأدلة المسألة أمام المجلس : إن عدوان
 إسرائيل كان مدبراً ، وكان عملية عسكرية
 أقدمت عليها إسرائيل عمداً ، ويجب أن تذكر
 بأفضل موقف مصر على ما أظهرته من ضبط
 الاحصاب ، وكان من السهل جداً على مصر
 أن ترد على العدوان المسلح بعدوان مسلح
 مثله . وقال هزى كاوت لورج مندوب
 أمريكا : لقد أوضحت في هذا المجلس في ثلاث
 مناسبات سابقة وفي شكل قرارات أو
 تصريحات أن هذه الإجراءات الانتقامية
 إلى تقوم بها إسرائيل لا تتماشى مع التزامات
 الدول بميثاق الأمم المتحدة . ونحن نواجه
 الآن الحادث الرابع وهو أخطر الحوادث
 إطلاقاً لأنه كان مدبراً . وقال هزى
 هوينو مندوب فرنسا : إن لجنة الهدنة
 المشتركة أدانت إسرائيل في حادث غزة ،
 وكان مجلس الأمن قد أصدر في سنة ١٩٤٣
 قراراً بإدانة إسرائيل في مذبة (قبية) التي
 ذهب ضحيتها أكثر من ٥٠ عربياً ، ولعل

إسرائيل تدرك أن قرار مجلس الأمن في هذه
 المرة يعتبر إنذاراً . ولاحظ لوزى موزو
 مندوب نيوزلندة أن المندوب الإسرائيلي
 لم يشر بشئ إلى معاقبة المسئولين عن هذا
 الحادث ، ولا إلى تعويض مصر عن الخسائر
 التي لحقتها ، وهو شئ يحق لمصر أن تطالب به .
 وقال سورليف مندوب روسيا : إن هذا
 العدوان الإسرائيلي يعد خرقاً لميثاق الأمم
 المتحدة ولاتفاقية الهدنة ، ويجب مع استنكار
 هذه الأعمال أن تتخذ الإجراءات التي تكفل
 عدم تكرارها في المستقبل .

وأجرى الاقتراع ، فوافق أعضاء المجلس
 بالإجماع على إدانة إسرائيل .

وتكلم مندوب مصر الاستاذ عمر لطفي
 فقال : إن قرار المجلس بإدانة إسرائيل
 غير كاف ، ويأى ل أن يحمل هذا القرار
 السلطات الإسرائيلية على التمكن في الكف
 عن الأعمال الحربية .

المصوص وأصحاب البيت

بلغ عدد المدن والقرى العربية التي لدغها
 اليهود وشردوا أهلها ١١٨ مدينة وقرية في
 فلسطين . وجاء في الكتاب السنوى الذى
 أصدرته حكومة إسرائيل عن إحصائيات
 سنة ١٩٤٥ أن عدد العرب الموجودين الآن
 في الأراضي الفلسطينية التي يحتلها اليهود بلغ
 حوالى ١٧٧ ألفاً ، منهم ١٢٠ ألف مسلم
 و ٤١ ألف مسيحى و ١٦ ألف درزى .

الفهرس

الموضوع	صفحة
الاستاذ محب الدين الخطيب رئيس التحرير	٨٣٣
■ عبد القادف السبكى عضو جماعة كبار العلماء	٨٣٧
» طه محمد الساكت	٨٤٠
■ عبد الله المراهى	٨٤٦
» أحمد المراهى	٨٤٩
» محمد عبد أبو شبة	٨٥٤
» محمد محي الدين المسيرى	٨٥٩
» أبو الوفا المراهى	٨٦٩
» على الهامى	٨٧٢
» محمد رجب البيومى	٨٧٧
» محب الدين الخطيب	٨٨٢
» عبد القادف السبكى مدير التنفيذى	٨٨٥
» محمد جمال الدين محفوظ	٨٩٥
» محمد على النجار	٨٩٩
» محمود النواوى	٩٠٣
» احسان النمر	٩١٠
» عبد القادف السبكى	٩١٢
» طه الزينى	٩١٤
» محمود فرج المقدة	٩١٨
» محمد صابر هاشور	٩٢١
» محمد عبد المنعم زهران	٩٢٣
	تعليقات
» عبد القادف السبكى مدير المجلة	٩٢٥
» » » »	٩٢٩
» » » »	٩٣٢
» » » »	٩٣٧
» » » »	٩٤١

إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٢١٤

تصد عن شيخه الأزهري في أول كل شهر عربي

في وادي النيل	٤٠٠
للطباعة وادي النيل	٤٠٠
للأستاذ والمهندس بالوادي	٣٠٠
خارج الوادي	٥٠٠
للطباعة خارج الوادي	٣٠٠
للأستاذ والمهندس خارج الوادي	٤٠٠

وأول ما يتبادر إلى الأذهان من نظام الإسلام نظامه في المال ، لأنه شغل الناس الشاغل في الحياة ، وهو مطلوبهم الذي يكسحون للإكتاف منه ، ومن الخير أن يعلموا حكم الإسلام على ما هم في سبيله من ذلك ، ليكون كدفعهم موافقا لمناهج الإسلام ، فيجمعوا بين الحسنيين : سعادة الدنيا ، وسعادة الآخرة .

إن الإنسانية لا تعرف نظاماً أدق ولا أنبل من نظام الإسلام فيما يوجبه على المسلم من تحرى الحق والنزاهة في الحصول على المال ، ليكون من وجهة النظر الإسلامية مالا وحلالا ، . والمأثور في ذلك عن صاحب الشريعة الإسلامية ﷺ من الأوامر والتوجيهات ، وأساليب تطبيقها في سيرة أصحابه والتابعين لم ياحسان ، قد حفلت صفحات كتب الفقه الإسلامي والآداب الشرعية بالأحكام المستمدة منها والمستنبطة من نصوصها ، مما لا يقسع الإفاضة فيه مقال في مجلة .

والحقيقة الأولى من حقائق نظام الإسلام في المال أنه يحارب مبدأ اعتباره (غاية) ، لئلا يؤدي ذلك بالناس إلى إسراف في تحصيله وادخاره طلباً لما يسميه الناس (غنى) ، والغنى لفظ مبهم ليس له مدلول ثابت ولا حدود معينة ، فكل غنى فقير بالنسبة إلى من هو أغنى منه ، وكل فقير غنى بالنسبة إلى من هو أشد منه فقراً . فالكدح لاجل الغنى - باعتبار أن المال غاية - يستحيل أن يبلغ بجميع الكادحين في سبيل ذلك إلى غاية يصير فيها كل كادح أغنى من كل غنى ، ومآل ذلك إلى أن يبقى كل كادح أفقر من هو أغنى منه ، وبذلك تصبح جهود الإنسانية ضائعة في سبيل مطلب سخيف يجرى الناس من ورائه في مثل الدوامة التي لا راحة لمن اندفع معها في حركتها ، فكلما أمعن جرياً معها ازداد بذلك بعداً عن السعادة ، وحرم الشهور بهناء الاستقرار .

إن (الغنى) بطر وطميان ، و (الفقر) كاد أن يكون كفراً ، وأكثر ما ننشأ العداوات بين الناس - بل بين أفراد الأسرة الواحدة - عن حب المال ، واعتباره غاية ، والتنافس في الدخار ما يزيد منه على مقدار الحاجة . وقد يطنى هذا التنافس بين الناس فيبغى بعضهم على بعض حتى في حاجاتهم وضرورياتهم . وإذا سنّ المجتمع أنظمة لنفسه تخفف من بغى الناس بعضهم على بعض في سبيل المال ، فإن مجرد اعتبار المال غاية يجعل الحياة تافهة ، ويدفع بأهلها إلى نشاط آلى مزعج ، ثم هو يذهب بالوقت في غير مذاهب السعادة التي يطمئن إليها العاملون القانعون .

لذلك اعتبر الإسلام المال (وسيلة) : فهو وسيلة الفرد إلى استيفاء حاجاته الضرورية في الحياة . ووسيلة الأسرة إلى هئاتها في ستر وعافية واطمئنان ، بل وسيلتها كذلك إلى من امتدادها في خطوات متواصلة نحو السلامة والبقاء بنشاط وقناعة ورضا . ثم هو وسيلة الجماعة والدولة إلى قيام النظام الصالح في المجتمع ، وتوفير مرافقه العامة والمشاركة ، وإلى دفع الطوارئ التي قد تهدد هذا المجتمع في نظامه وأمنه وسلامته .

فالمال إذن - باعتباره وسيلة - ضرورى للفرد ، وقد حض عليه الإسلام بترغيب أهله في السعى والعمل والكسب الحلال وضمان حق التملك الفردى . وضرورى للأسرة ، وقد سن لها الإسلام نظام النفقات ، وأرشد إلى فضيلة التواصى بالمعروف بين الأقارب . واحترم الإسلام أمانة الامتداد في الأسرة فمن لم نظام التوارث . ثم إن المال ضرورى للجماعة والدولة ، ولذلك سن الإسلام نظام الزكاة واعتبرها عبادة من العبادات المحتمة كالصلاة والصيام والحج . وإذا كانت الوسائل تقدر بقدرها فإن هناك فروقا دقيقة بين نظر الإسلام إلى المال من حيث هو وسيلة للاستعمال الفردى ، وبين نظره إلى ما زاد منه على قدر الحاجة ، باعتباره أمانة تحت يد صاحبه ليكون في سبيل الله والمصالح العامة . فما هى الحدود الفاصلة بين هذا وذاك ، بل ما هى الحدود الفاصلة بين اعتبار المال وسيلة واعتباره غاية ؟ قال الإمام النووى في ترجمة الصحابى الجليل أبى ذر الغفارى من كتابه (تهذيب الاسماء) : كان مذهب أبى ذر أنه يحرم على المسلم ادخار ما زاد عن حاجته . وقال الحافظ أبو عمر بن عبد البر في ترجمة أبى ذر من (الاستيعاب) : وردت عن أبى ذر آثار كثيرة تدل على أنه كان يذهب إلى أن كل مال بمجموع يفضل عن القوت وسداد الديش مذموم فاعله . وأن آية الوعيد في سورة التوبة « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ، يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ، هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون ، نزلت في ذلك . وخالفه جمهور الصحابة ومن بعدهم ، وحلوا آية الوعيد على ما نعى الزكاة .

إن أبا ذر كان مسيح هذه الأمة المحمدية - كما وصفه بذلك أستاذه الأعظم معلم الناس الخير صلى الله عليه وسلم - وقد سبقه إلى مثل هذا المذهب المسيح عيسى بن مريم سلام الله عليه يوم قال : « لأن يدخل الجبل في سم الخياط أهون من أن يدخل غنى ملكوت السماوات ،

وهذا الاختلاف بين أبى ذر وإخوانه من الصحابة في تحديد الحد بين كون المال (وسيلة) وكونه (غاية) قد احتدم في خلافة أمير المؤمنين عثمان ذى النورين ، وكان أمير المؤمنين عثمان نفسه من أغنياء الصحابة ، فكان غناه يسع الأمة في مجاعلتها وأزماتها ، وكان غناه يسع جيش المسلمين فيجعل رضى الله عنه على رواحله كل من لا راحة له من مجاهدى الصحابة ، فضلا عن زكاة أمواله التى كان يزخر بها بيت مالهم في كل عام ، ومالا

يحصي من صدقاته التي يجهل الناس منها أكثر من الذي يعلمونه . بل أمير المؤمنين علي أيضاً كان في الشطر الثاني من حياته من أغنياء الصحابة ، قال ابن حزم : كان من جملة عقار علي ينفع ، كانت ثقل له كل سنة ألف وسق تمر سوى زرعها . وروى محمد بن كعب القرظي — وكان من ثقات التابعين عالماً كثير الحديث ورعاً — أن علياً رضي الله عنه قال : لقد رأيتني على عهد رسول الله ﷺ أربط الحجر على بطني من شدة الجوع ، وإن صدقة مالي لتبلغ اليوم أربعين ألفاً . وعبد الرحمن بن عوف أحد العشرة المبشرين بالجنة كان من أصحاب الملايين ، وكان كأخويه عثمان وعلي يفدّي بيت المال بركة أمواله ، ويدخل السرور على البيوت المستورة بما يفدقه عليها من صدقات غناء ومبراتة . لكن أغنياء الصحابة كانوا — مع ما يؤدونه من زكاة أموالهم ، وما يتصدقون به على رقيق الحال من أبناء أمتهم — يعيشون في بيوتهم عيشة وسطاً ، ويرون أن ما زاد عن حاجتهم في هذه العيشة الوسط كأنه أمانة لله تحت أيديهم يدخرونه في أيام الرخاء لآيام الشدة فيبدلون منه حيثئذ بسخاء وكرم لصد حاجات المجتمع الإسلامي كلما رأوا مصلحة الملة في حاجة إلى هذا المدد الغزير من أموالهم المباركة في سلم الأمة وفي حروبها .

فهؤلاء الأغنياء من الصحابة رضي الله عنهم لم يكونوا على خلاف مع أخيه أبي ذر الغفاري في أن نظام الإسلام في المال (وسيلة) ، ومنع كل المنع من أن يكون (غاية) . لكنهم اختلفوا معه على تحديد معنى الوسيلة ، فأبو ذر يمنع الادخار من حيث هو ويعتبره كنزاً تكوى به جباه أصحابه يوم القيامة ، بينما إخوان أبي ذر حملوا هذا الوعيد على المقصرين في القيام بواجبات الادخار وأعباء الفتى بمن يتجاهلون معنى الأمانة فيما زاد من المال عن الحاجات الشخصية ، فيذهبون في ذلك مذاهب أهل السرف والبذخ ، ويستعملون فضول أموالهم في غير المواضع التي يرون أن فيها مرضاة الله .

نحن هنا الآن أمام الحقيقة الثانية من حقائق نظام الإسلام في المال ، وهي أن المسلم مطالب بأن يعيش عيشة معتدلة من غير سرف ولا تقصير ، وأن عليه — وعلى من هم تحت ولايته من بنيه وذويه — أن يحاذروا اعتياد ما يستطيعون الاستغناء عنه من الكماليات ، لتلا بصح — بحكم العادة — من الحاجيات ، فيفقدوا عنصراً من عناصر حرمتهم التي كانوا عليها عند ما كانوا يتمتعون بنعمة العافية من العبودية لحاجة جديدة كانوا عنها في غنى .

إن (التحرر) من الكاليات والتوافه مصدر كريم من مصادر السعادة ، كما أنه اتجاه حكيم للأمة التي تؤثر القوة على الضعف . وهذا ما أراد أمير المؤمنين عمر أن يحمل المسلمين عليه يوم كان يقول لهم : « اخشوشوا ، فإن النعم لا تدوم » . بل إن هذا (التحرر) مرتبة عالية من مراتب تحرير النفس ، وكأني بالإمام محمد بن إدريس الشافعي يستعرض هذه المعاني كلها في ذهنه وهو يمر بالذي يتوضأ على شاطئ النيل من مدينة الفسطاط ، فينهاه عن الإسراف بالماء على وضوئه . وما كان الإمام الشافعي يخاف على ماء النيل أن ينقص بإسراف المتوضئ في وضوئه ، لكنه كان يخاف على المتوضئ نفسه أن يعتاد الإسراف في مأكله وملبسه إذا اعتاد الإسراف بالماء في وضوئه ، والإسلام يكره لأهله أن يسرفوا وقد نهانا الله سبحانه عن ذلك بنص التنزيل « ولا تسرفوا ، إنه لا يحب المسرفين » . والمسلم إذا عالج هذا التحرر في نفسه من السرف وطفيان الكاليات فإنما يعد نفسه بذلك لاحتمال الأهواء ومواجهة المصاعب عند وقوعها . والمسلمون الأولون ، في استجابتهم لهداية الإسلام في التحرر من الكاليات - بقدر الطاقة - كانوا على سابقة من ذلك في مجايا عروبهم ، إذ كان الاستغناء عن وسائل الترف من أشرف معاني (التحرر) عندهم ، فكانوا يذهبون بفطرتهم إلى أن (المدنية) بحسن ، و (المدنية) قيد ، وقد اشتقوا اسميهما في لغتهم من مادة (دان .. يدين) وهي تطوى على معاني الخضوع والخشوع ، وذلك مما ينافي مذهبيهم في الحياة التي لا يرونها سعيدة إلا إذا ضمنت لهم الحرية النبيلة الكريمة بأوسع دوائرها . وفي زمان أبي ذر استقدم معاوية إلى قصره على ضفاف بردى حرّة من سيدات البادية وكريماتها العاقلات لتكون سيدة قصره وأم ولده ومنجبة ولي عهده ، فكان من أمر هذه السيدة الحكيمة - وهي ميسون بنت بحدل القضاعية - أن ضاق صدرها في قصر الحضراء بالترف الذي استعبد له أهل المدن ، مما يجافي طباع العربي والعربية ، ونحن لا نزال إلى اليوم نترنم بقولها :

ليت تخفق الأرواح فيه أحب إلى من قصر منيف
ولبس عباءة وقر عيني أحب إلى من لبس الشفوف

هذه النظرة الفطرية السليمة إلى الحياة ، منضماً إليها معان أخرى كثيرة من المعاني السامية ، هي التي أهلت العرب لفهم أنظمة الإسلام ، والعمل بها ، والنهوض بأعباء رسالته ،

ومتحقيق أهدافه ، والتعهد للإنسانية العليا ، بما تنوء نحن الآن بمثله ، لانتنا أنقلنا كواهلنا وأوقرنا ظهورنا بالعبودية لهذه الكماليات والتوافه ، فرخصنا في كثير من شروط الإسلام للكسب الحلال ، وتجاوزنا حدوده فيما نأخذ وما ندع ، فبطأت بنا خطواتنا عن مواصلة السير إلى السيادة والسعادة في قافلة الإسلام التي كان يسير بها أبو بكر وعمر إلى أهداف الإسلام القصوى .

المال سلاح ، وكما أن لاقتناء السلاح وحمله « رخصة » وشروطا ، فإن لتحصيل المال والحصول عليه إرشادات وشروطا . وكما أن السلاح لا يستعمله الفرد فيما يتعلق بشخصه إلا في حالة الدفاع عن النفس ، فالمال في النظام الإسلامي يبنى لحامله أن يستعمله في ضرورياته وحاجياته بأضيق حدودها ، متذكراً دائماً الهداية القرآنية في وصف المفسرفين ومقت المبذرفين . ثم يكون هذا المال بعد ذلك - كما يكون السلاح - قوة للجماعة والدولة في استتباب أمنها وطمأنينتها ، وفي الدفاع عن حوزتها .

إن العامل بالأجر البوى في زماننا إذا كان يدخن التبغ ويسرف في تناول الشاى ، ثم استطاع أن (يتحرر) منها ، كم ترى يستطيع أن يقتصد من نفقته في السنة الواحدة فيرده على زوجه وولده وذويه غذاء وكساء ؟ ولعله يستطيع أن يدخر من ذلك في عشرات السنين ما يبنى لهم منه مسكناً محمياً بسيطاً يكون خير ذخر يتركه لهم إذا انتهت مدة حياته معهم ، زد على ذلك ما يحفظ على صدره وجوفه من صحة وسلامة وقوة . ولو أن الكثيرين من محالنا وأشباهه المال في كسبهم المحدود تربوا على مبدأ (التحرر) من الكماليات والتوافه على هذا الوجه لكانوا بذلك سعداء في أخلاقهم ومعيشتهم ، وحسن التصرف في مواردهم ، ومواجهة المسئوليات بيسر وراحة بال . ولن يفوتهم بهذا التحرر إلا زوائد مضرة بالصحة والخلق ، وعادات سخيفة تدل على الإسفاف ، وليس فيها ما يسمن أو يغنى من جوع . وكم ترى تنفق مصر كل عام ثماناً لما تستهلكه من جوارب النايلون التي لا تدفى ولا تستر ؟ أليس المال الذى ينفق عليها يذهب حراماً ؟ وهل لو كنا نتصرف في أموالنا تصرفاً إسلامياً نخسر كل هذه الأموال على هذه الجوارب السخيفة ؟

مبدأ التحرر من الكماليات والتوافه ، والاقتصار على ما لا بد منه ، من أسس المبادئ التي دعا إليها المسيح عيسى بن مريم في دنيا التوراة ، ودعا إليه مسيح المحمديين أبو ذر

الغفارى في دنيا القرآن . على أن الإسلام نفسه جاء ديناً وسطاً : فلم يحاول مقاومة الطبيعة ، بل عالج تقويمها ، وسدد اتجاهاتها ، وأرشد الإنسانية إلى الاعتدال في كل شيء : الاعتدال في الثروة والغنى ، الاعتدال في الفقر والزهّد ، الاعتدال في الحب ، الاعتدال في البغض ، الاعتدال في الراحة ، الاعتدال في النشاط وبذل الجهد . بل إنه - وهو دين - جاء يدعو إلى الاعتدال حتى في الدين : « لا رهبانية في الإسلام » ، « إن هذا الدين متين ، فأوغل فيه برفق » ، « الدين يسر ، ولن يغالب الدين أحدٌ إلا غلبه » ، « إياكم والنلو في الدين ، فإنما هلك من قبلكم بالغلو في الدين » .

لو كان من السهل مقاومة الغنى إلى الحد المأثور عن المسيح عيسى بن مريم لما خالف ذلك بعض عظماء كنيسة في مأكلهم وملبسهم ومسكنهم ودياراتهم . وقد أدرك هذه الفجوة الواسعة بين النظرية وتحقيقها بالعمل كثيرون من عقلاء المسيحيين ، ومنهم جبران خليل جبران فعقد لها فصولاً وأقاصيص بل أفرد لها كتباً يتمتع المتأدبون بقراءتها . وإذا كان العمل بهذا المبدأ لم يطفه القائمون على تراث المسيح والمتصّبون للدعوة باسمه ، فأولى بمعاصري أبي ذر أن يروا في اعتدال النظام الإسلامى ما هو أكثر ملائمة للحياة . وحبذا لو كان ميسورا للبشر الأخذ بطريقة المسيح عيسى بن مريم ومسيحنا المهدى أبي ذر ، إذ أن لا نقطع بذلك كثير من أسباب الشرور ، وكان يكون الرضا بهذه القناعة سعادة لا يدرك لذتها إلا من ألف هذه الطريقة وارتضاها ، وقليل مام ... بل أين هم ؟ ...

ولا يطمعن دعاة الباطل الشيعى أن يمدحوا من أبي ذر دعوته وطريقته متكباً لهم في تاريخ الإسلام ، فإن جبابرتهم المتبوءين قصور الكرمليين - حتى لو انضوا إلى ملة حبيب أبي ذر ومعلمه الأكبر صلوات الله عليه - يرام أبو ذر حصب جهنم ، ويعتبرهم من فراعنة الإنسانية وطفانها . والذين يتصيدون في الماء العكر ليستفيدوا من اختلاف وجهتي النظر بين أبي ذر ومعاوية رضوان الله عليهما ، يجب أن يعلموا أن معاوية كان من صالحى البشر في سيرته ومعيشته ، وهو مصباح من مصابيح الإسلام ، لكن جاء بعد شمس من نفوس الخلفاء الراشدين الذين ضلّ الدهر على بنى الإنسان بأمثالهم ، فما كان للصباح مهما تألق بوره أن يكون كما يجب أن يكون في جانب تلك الشمس التي ملأت الأرض هداية ونورا . وإن سيد الزهاد في عصره أحمد بن حنبل الذى يفهم معنى الزهد وعالجه في نفسه وفي الناس قد ضرب الأمثال بسيرة معاوية لما ينبغى للناس الاقتداء به من مذاهب الزهد ، وإن القارىء ليجد

هذه الأمثال من زهد معاوية في (كتاب الزهد) الذي ألفه الإمام أحمد بن حنبل ليكون به القدوة والأسوة للناس .

وقد آن لنا أن نشير إلى منزلة المال في نظام الإسلام ، وأن له في تصرف المسلمين به حالتين : إحداهما ما يتعلق منه بمعيشة المسلم الشخصية ، وقد مضت سنة النبي ﷺ وأصحابه ومن سار سيرتهم من التابعين وسائر المسلمين على أن يقتصر المسلم من المال على الضروري لحاجته ، وأن يحرر نفسه مما لا حاجة لها به من الكجاليات . وهذا عمر بن عبد العزيز كان له السلطان الأعلى على الشام ومصر والعراق والحجاز واليمن وإيران والسند في جناح الدنيا الآيمن ، وعلى شمال إفريقية وبلاد اسبانيا في الجناح الأيسر ، وكانت تهجى إليه أموال هذه الممالك وعشورها وخراجها ، فكانت مائدة طعامه في بيته أقل نفقة من مائدة موظف في الدرجة السابعة من أهل زماننا ، وكان يفعل ذلك لأنه أراد أن يكون مسلماً في معيشته الشخصية وأن يتصرف في المال بما أرشده إليه النظام الإسلامي .

والحالة الثانية أن يكون تحت يد المسلم مال — إما من مال الدولة ، أو من مرافق الأمة ، أو مما دخل في ملكه الشخصي من ميراث أو كسب حلال إلا أنه زائد عن حاجته — فمثل هذا المال : سواء كان من أمانات الله ، أو هو من مواهب الله (وما كان منه من مواهب الله فسواء كان بشكل مصنع ، أو متجر ، أو أرض زراعية ، أو عقار ، أو نقود كثرت أو قلت) فإن نظرة الإسلام إلى ذلك أنه أمانة لله تحت يد المسلم ، وأنه محاسب على حسن تصرفه فيه أضعاف ما كان محاسباً على كيفية حصوله عليه . وهذا التصرف يختلف بحسب الزمان وظروفه ، والبيئة وحاجاتها العامة . ففي العصور التي لم يكن للمال فيها كل الأهمية التي له اليوم عسكرياً واقتصادياً كان أغنياؤنا ينصرفون في الزائد عن حاجتهم من مواردكم بما يسمى في تاريخنا بالكرم والجود ، فكانوا ينفقونه - على من يلجأ إليهم ويعلق أمه على كرمهم - بسخاء لا يكاد يصدق . وكانوا يتصيدون الفرص السانحة للجود بما تحت أيديهم من الأموال كالذي نقرأ في صفحات أخبارهم . وذلك لأنهم كانوا يرون أن تضخم المال في الأيدي القليلة يحبسه عن التداول حتى يصل إلى الأيدي المحتاجة إليه ، فكانوا لا يكتفون بإخراج زكاته ، ولا بتوزيع الصدقات الأخرى : الدائم منها كالأوقاف الجارية ، والمنقطع منها كالذي يعطى في مختلف الوجوه وشتى المناسبات ، بل يجعلون الكرم والمطاء

منفذا ثالثا للخلاص من الأموال الزائدة ابتغاء مرضاة الله، وجريا على سنة العرب في الكرم، وعلى حكم الإسلام في الاعتدال الاقتصادي، حتى تضيق الفجوة بين الفقر والغنى.

إن المبدأ الذي كان مؤلّا يعملون به جميعاً، والطريقة التي يحققون بها هذا المبدأ كانت ملائمة لزمانهم. أما اليوم، فالمال أصبح قوة أساسية يتوقف على حسن سياستها عز الملة ويكون بمكسها، فالأكتفاء منه بمقدار الحاجة على نفقتنا الشخصية لا يزال واجباً علينا في ديننا كما كان يفهمه عمر بن عبد العزيز. ولكن اختلف أسلوب التصرف فيما زاد من هذا المال عن حاجتنا الشخصية، فأصبحنا في موقف الامتحان من الله عز وجل بحسن التصرف في هذه الزيادة، ومن العبادة أن تستعمل في تأسيس المصانع وتمير الأموال والإكثار من المرافق بشرط أن تكون (النية) في ذلك تحسين حال المسلمين وتيسير أمورهم والنهوض بمستواهم الاجتماعي والاقتصادي والعلمي والعمراني والحربي.

وأحب أن أنه في هذه العجالة بمكانة (التعاون) في الإسلام: فالمسلمون مأمورون به أمر إيجاب، بما لا يقل عن سائر ما أوجبه الإسلام عليهم مما نعمة ديناً. كل خير، وكل مصلحة مشروعة، تضيق جهود الأفراد عن تحقيقها، فالمسلمون مأمورون بتحقيقها من طريق (التعاون). وفي هذا الزمان الذي ازداد فيه اعتبار قوة المال وحاجة المسلمين إلى استكمال مراقبهم الصناعية والاقتصادية والعمرانية والاجتماعية والحرية صار من الواجب عليهم التوسع في نظام التعاون، ولو أدى بهم إلى أن تكون أهمهم أمماً تعاونية، ودولهم دولاً تعاونية، مع تعديل أنظمة التعاون بسن الإسلام وتوجيهاته كلها رأوا حاجة إلى ذلك.

الحلال بين والحرام بين، وبينهما أمور مشبهة، فالمسلم يجب عليه في كل ما يحاول من سياسة المال ومكابدته العمل أن ينفذ «الحلال» ويتحراه، ويحذر «الحرام»، ويظهر يده وذمته منه، وأن يكون موقفه من الأمور المشبهة موقف النصوص الحكيم الذي يُلطف من حدة الشر ويحاول توجيهه إلى الخير، وأن يستعمل المال في خير الملة، ويلاحظ في كل تصرفاته مرضاة الله والنهوض بأمته وتوفير أسباب الخير لها مجتمعة، ولا يثابها فرادى، ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

نفحات القرآن

— ٢٩ —

الوجوه البيض في اليوم الآخر

«وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون ،

١ — أية وجوه تلك التي عرضت لها الآية بالثناء ، وذكرتها في أعذب قصص ، وأطيب رجاء ؟؟ .

أهى الوجوه التي كانت في الدنيا تتناولها يد الماشطة حتى تهذب من قبها ، وتنسقبها بالخصاب حتى تصقل إهابها ، ثم تتركها مسرحا للعيون الخاتئة ، ترشقها بالنظرات الاتيمة ، وخدعة يلوح بها الشيطان ، ويدعو إليها الفؤاة ، ويجمع حولها الفساق ؟؟

أم هى الوجوه التي نسقتها يد القدرة فمكان يشع البهاء من قسماتها ، ويشرق الحسن من طلعتها ، ثم هى لا تعرف لله نعمة ، ولا تحشى له جانبا ، ولا تسجد بين يديه بحمدة المؤمنين الشاكرين ؟؟

لا هذه ، ولا تلك . فإن الله لا ينظر في الناس إلى صورهم ، ولا يقدرهم بأجسامهم ، ولكن ينظر إلى قلوبهم ، ويزنهم في الآخرة بأعمالهم .

ورب إنسان بين الناس أشعث أغبر ، ولكنه على صلة بالله ، فهو عده ربه بر مشكور ، وله في الآخرة حظوة ممدودة ، ومنزلة مشهودة .

٢ — فمن هم أولئك الذين وصفهم القرآن ببياض الوجوه ، وبشرهم بأنهم سيكونون في رحمة الله خالدين ؟؟

جواب ذلك في سياق الآيات فقد بينت سوابقها :

أ — أن هناك دعوة إيجابية توجهنا إلى الكمال الذاتي : نأخذ به لأنفسنا ، ثم ننشده في غيرنا .

ب — وأن هناك دعوة سلبية تصرفنا عن الشر الذي وقع فيه غيرنا .

ثم انتهت بنا الآيات إلى الغاية التي يكون فيها بياض الوجوه أو سوادها .

٣ - ١ - فالكمال : في أمور ثلاثة (١) في تقوى الله حق تقائه (٢) وفي التسليح بالدين دائماً في السروف العلانية حتى لا يفتجأنا الموت إلا على الإسلام (٣) وفي التضامن على الحق والاعتصام بحبل الله والرجوع إلى شريعته في كل ما يمرض لنا من الخلافات ، حتى لا ينفرك جمعنا ، وتضعف شوكتنا ، ويقبح معاشنا في دنيانا .

(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون . واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا) .

٤ - وكاننا فيما ننشده للخير في أمور ثلاثة (١) أن ندعوم إلى الخير (٢) ونأمرهم بالمعروف (٣) وننهام عن المنكر . وهذه رسالة المصلحين ، بعد أن صلحت حالهم (وانسكن منكم امة يدعون إلى الخير . ويأمرون بالمعروف . وينهون عن المنكر)

ونحن في حوزة هذه الآيات نكون على السكالك المشهود للإسلام في أهله ، البارين بأنفسهم وبدينهم وبغيرهم . وما من شك في أن الإنسانية لا تتمثل في شاكلة خير من هذه الشاكلة ، وأن من كان في هذا الوضع الرفيع من أوضاعها التي رسمها الإسلام يكون على سبيل راشدة ، لاستمداده التوجيه من مناهج الكتاب والسنة ، وتلك سبيل الهداية التي لا تكلف المرء جهداً ، ولا تبعده عن شيء من الخير ، فنصبيه في الدنيا مكفول ، وحظه فيها ناهض ، وشأنه في الآخرة موكول إلى وعد الله الصادق (قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني)

هذا التوجيه ظهر عملياً في مسلك المسلمين أول عهدهم ، وظهرت آثاره في نجاحهم يوم تمت لهم السيادة واتسعت لهم الرقعة ، وظهرت منهم المثالية في سياستهم وعدالتهم ونجاحهم الذي هز التاريخ ؛ ثم ضعف بقدر ما ضيعوا وفرطوا .

وبهذا التوجيه والأخذ به لانكون كالذين بلغتهم دعوة ربهم فركبوا رموسهم ، وتفرقت عقيدتهم ، وأصبح كل منهم في زاوية من زوايا الباطل ، وتمكنت بينهم الخصومات الدينية حتى شغلتهم جميعاً عن تتبع الحق في ذاته ، وعن الرضوخ للصواب حتى لو بان لهم وشخص أمام عيونهم .

٥ - ب - وأولئك هم الفريق الآخر، الذي دفعنا عن متابعتة الدعوة السلبية في صدر الآيات « ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات ، وأولئك لهم عذاب عظيم » . هذا الفريق هو الذي سلك مسلكا معوجا عن صراط الله ، وانحرف انحرافا غاويا ، وهم الذين كبر عليهم أن يحيدوا عن العصية ، وأبوا أن يزونا الأمر بميزان النصفة والاعتدال : فمنهم من تحلل من دعوة الله إلى التدين ، ولم تخضع وجوههم لله بالإيمان والتعبد ، فحملوا أنفسهم ظلماً ، وأورثوها غضبا . ومنهم من تدين ، ولكن في غير مطاوعة للدين الحق الذي ركن إليه ، فلم يتابع رسوله في الإيمان بالرسول ، والرجوع إلى الله الحق في كل ما جرى على السنة الرسل من الحق . ومنهم من ظن نفسه تام العقيدة ، كامل الإسلام ، وهو في نفسه حرب على العقيدة ، خصم لدينه بما يأتي وبما يدع ، وهو حجة سيئة لمن تتبع الإسلام في عمل أهله ، ولمن يحاسب المسلمين على احترامهم لدينهم ، ويظن أن ضعف التدين عند الأشخاص يعتبر ضعفا في الدين ذاته . هؤلاء جميعا - والله المعيد - هم الذين يحشرون يوم القيامة على حالة تخالف حالة الأولين .

٦ - هذان فريقان : قال عنهم القرآن : « يوم تبيض وجوه ، وتسود وجوه » . وقد بين لهم القرآن جميعا ما يأخذون وما يتركون ، فإذا ما قطعوا سبيل الحياة ، وانتهوا إلى غايتها ، ووقفوا من ربهم موقف الجزاء ، كان طبيعياً في نظر العقل ، وكان عدلا في نظر الدين ، أن يفرق الله بينهم في المقام والمظهر ، وأن يميز بين خبيثهم وطيبهم ، ليلبس كل منهما نتائج سعيه في دنياه ، ويرى مصيره الذي ارتضاه ، وليعملوا جميعاً أن وعد الله حق ، وأنه كان قولاً فصلاً ، ولم يكن بالهزل .

فياض الوجوه في تلك المواقف ليس بياضها الذي كان عرضاً في الحياة وكانت به فتنة فائنة ، فقد يكون ذلك قبلاً هناك .

ولأنما بياض اليوم هو وضاعة وصباحة من أثر الإيمان ، وهو روعة وبهجة لحسن ما لهم عند ربهم ، واطمئنانهم على أنفسهم ، وظفرهم بما وعدهم من المثوبة وحسن القبول .

٧ - هذه الوجوه هي التي تردد في القرآن ذكرها ، وتعدد في الآيات وصفها ، وتنوع الثناء عليها ، وتأكد الوعد لها ، فإن الله يقول عنها : « وجوه يومئذ ناعمة ، لسعيها وراضية ، في جنة عالية » ، ويقول : « وجوه يومئذ ناضرة ، إلى ربها ناظرة » .

أرايت أن هذه الوجوه التي وصفت بالبياض : هي التي تكون ناضرة في النعيم ،

مغمورة بالرضا، وهاتئة بالظنرات إلى الذات الأقدس.. هي التي تعرف فيها نضرة النعيم، وهي التي تسقى من رحيق مختوم، لم يسبقها إليه أحد، ولم تخالطه آفة ولا شائبة ولا نقصان . هؤلاء هم المختفون الذين سيكونون في جنات وعيون، وسيكونون في مقام أمين، وسيكونون في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر . هم هؤلاء، وليسوا هم الذين يريدون علوا في الأرض أو فساداً ولا الذين يقبلون عن الدنيا رياء أو يتصنعون الزهادة فيها تحايلاً، وإنما هم الذين يبتغون الدار الآخرة ولا ينسون نصيبهم من الدنيا، وهم الذين ساروا على النهج الأقوم في عقائدهم، وأعمالهم، وفي مودتهم للمسلمين ومعادلاتهم مع الغير . ٨ — وليسوا أولئك الذين قال فيهم : « فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون » .

٩ — نعم كفروا بعد الإيمان، فقد كانوا مؤمنين منذ أدركوا ما في الحياة من أمارات القدرة، وشاهدوا ما فيها من مظاهر الإبداع لمن أنشأ ذلك بقدرته، وكانوا مؤمنين منذ عرفوا لأنفسهم عقولاً يهتدون بها، وحواس يدركون بها، ثم لم يستخدموها في الاهتداء، حتى تعطلت عن صواب الإدراك، وسخروها في غير ما خلقت له . . . وكانوا مؤمنين يوم دعاهم رسولهم، وترادفت الدعوة على ألسنة الرسل ففرقوا بينهم، وآمنوا ببعضهم وكفروا بالبعض، وما هكذا يكون الإيمان بما جاء من عند الله . كانوا مؤمنين لو لم يتخيروا لأنفسهم الضلالة، ويسلكوا سبيل النبی . هؤلاء أصحاب الوجوه السود، وهم أصحاب الوجوه الباسرة العابسة التي تقف هناك مكتئبة محزونة، تتوقع ما ينزل بها من كل داهية فاقرة - تقصم فقار الظهر - وما سيحل بها من الهوان . هؤلاء هم أصحاب الوجوه الخاشعة العاملة الناصبة . والخشوع وما بعده أو صاف المتواضعين العاملين في طاعة الله، ولكنها هنا للتسكيت والتوبيخ والتحسير لأنهم لم يكونوا كذلك، فهو يعيرهم بذكر أو صاف لم تكن لهم .

وبعد - فهل ذلك خاص بمن كفر ؟ ؟

لا . . ذلك شأن العابثين بدينهم، ولو كانوا في ظنهم غير مأخوذین، فليكل أمره نصيبه، وجزائوه على ما اتبهك من حرمات الله، ولو كان في عداد المسلمين، وليس من عذاب الله مهرب ولا ملجأ إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات . ورحمة الله قريب من المحسنين ٢٤

عبد اللطيف السبكي
عضو جماعة كبار العلماء

الْبَيْتُ

بلوغ الدعوة المحمدية

هموم الدعوة المحمدية وخلودها - أمة الدعوة والإجابة -
 كاتموا الحق وم يعلمون - صحيحة مدوية - من بلقهم الدعوة معرفة -
 ويل للقصرين في الدعوة - ضيعة الحق - إحالة إلى مراجع ...

عن أبي هريرة رضى الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : والذي نفس محمد بيده ، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودى ولا نصرانى ، ثم يموت ولم يؤمن بالذى أرسلت به ، إلا كان من أصحاب النار . رواه مسلم .

بما اختص الله به نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم أن بعثه إلى الناس عامة ، وكان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة ، ومن هنا كانت تتجدد الرسالات وتتعاقب ، بتجدد الأجيال وتعاقب الأمم ، وربما يُبعث في العصر الواحد أكثر من رسول واحد . وأما رسالة خاتم النبيين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، فهي خاتمة الرسالات ، وشريعته خاتمة الشرائع ، ودعوته عامة شاملة باقية إلى يوم النشور .

وإذا قال الناس من أول يوم بعث فيه صلوات الله عليه وسلامه ، مدعوون بدعوته ، مأمورون بشريعته .

فأما من بلغته منهم هذه الدعوة — في حياته ﷺ أو بعدها — فسكن

إليها واستجاب لها ، فهو من أمة الدعوة والإجابة معاً ؛ وأما من أباه وأعرض عنها ، فقد دَحَضَتْ حجته ، وسقطت معذرتة ، وحقت عليه كفة العذاب ، فكان من أصحاب النار ، وبئس القرار .

• • •

هذا شأن من سمع بالنبي ﷺ ، فاستجاب له ، أولم يستجب .

وأما من لم يسمع به صلى الله عليه وسلم قط ، ولم تبلغه دعوته - كائناً ما كان الحائل بينه وبين هذه الدعوة - فهذا معذرتة معه ، ويشهد ببراءته ومعذرتة النبي صلى الله عليه وسلم نفسه في حديثه هذا ، بل يشهد ببراءته ونجاته ربه عز وجل إذ يقول : « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا » ، قل أى شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم وأوحى إلى هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ .

ففي الآية الأولى شهادة منه عز وجل بأنه لا يعذب أحداً من عباده إلا بعد إقامة الحجة عليه ، بإرسال رسول إليه ، كما قال سبحانه : « رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل » ، وتأويل الرسول بالعقل ، مما يأباه بل ينفر منه العقل والنقل !!

وفي الآية الثانية شهادة منه سبحانه - وهو أكبر شيء شهادة - بنبوة من أوحى إليه هذا القرآن لينذر به قريشاً وسائر من بلغه القرآن وسمع به ، فأما من لم يبلغه القرآن ولم يسمع به ، فليس من المنذرين ، وعذره - كما قلنا - معه .

• • •

وتقديم قريش في الخطاب والإنذار والإعذار ، من الأمور الطبيعية البديهية ؛ لأنهم - على اختلاف درجاتهم - أقرب الناس إليه ، وأولى الناس به ؛ أهل وعشيرته وأعرف الناس بسيرته ، بلغتهم نزل القرآن ، وبين ظهرانهم نشأ وتربى عليه الصلاة والسلام ؛ فلم يكن عجباً أن يبدأهم بالإنذار ، ثم يقتضى بغيرهم من أهل القرى والأمصار . بل العجب كل العجب أن يكون الأمر على غير ذلك !

• • •

فرسالة محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه إلى الناس كافة ، وخلود شريعته إلى يوم الخلود ؛ ووجوب تبليغها إلى ذلك اليوم الموعود . . . كل أولئك من أصول الإسلام الأولى ، التي لا يسع مؤمننا باقعه واليوم الآخر أدنى تردد فيها .

* * *

عرف هذا الحق واهتدى به من شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه .
وعرف هذا الحق واهتدى به فريق من أهل الكتاب وعلماهم ، كعبد الله بن سلام ، وكان من أحبار اليهود ، وتيم الدارى ، وكان من رهبان النصارى ، حتى ليؤثر عن عبد الله بن سلام رضى الله عنه أنه لما أسلم قال له عمر رضى الله عنه : أنعرف محمداً صلى الله عليه وسلم كما تعرف ابنك ؟ قال : نعم وأكثر ، بعث الله أمينه في سمائه إلى أمينه في أرضه بنعمته فعرفته ، وابنى لا أدري ما كان من أمه . وروى أن الفاروق رضى الله عنه قبل رأسه حين سمع منه ذلك ! وكأنه رضى الله عنه . وقد فرح بعلم عبد الله وإيمانه - كان أشد فرحاً بصدق قول الله جل ثناؤه : « الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون » .

* * *

وكانى بالرسول ﷺ - وهو يحدث بحديثه هذا - يقصد أول ما يقصد إلى هؤلاء الجاحدين الذين يكتمون الحق وهم يعلمون ! سواء منهم من جحد رسالته جملة وتفصيلاً ، ومن جحد عمومها إلى الناس كافة ، وزعم أنه رسول الله إلى العرب خاصة ؛ لأنه نبي أمي والعرب قوم أميون ، وقد قال هو نفسه : نحن أمة أمية لا نكتب ولا نحسب . . . فاتخذ بهذا الزعم الضال المضل الكاذب المنافق - طريقاً وسطاً لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ، وآمن ببعض الكتاب وكفر ببعضه ، وضل ضلالاً بعيداً . .

يقصد الرسول ﷺ أول ما يقصد إلى هؤلاء الحاسدين الجاحدين ، فيرسلها صيحة عالية مدوية ، مقصية بالفاجر فوق عباده ، القائم على كل نفس بما كسبت ، من يده نفسه وأنفس العباد جميعاً ، انه لا يسمع نداءه كائن من أمة الدعوة إلى يوم الفزع الأكبر ، ثم يموت غير مجيب له إلا من كان من أهل البار خالداً مخلداً فيها أبداً .

* * *

وإذا كان أهل الكتاب من اليهود والنصارى لم يغن عنهم كتابهم من الله شيئا ، بعد رسالة خاتم النبيين صلوات الله وسلامه عليهم ، فإن من عدام عن ليسوا بأهل كتاب أولى بأن يؤمنوا به ويمزروه وينصروه ويتبعوا النور الذي أنزل معه ، ويستمعوا له وهو يتلو عليهم . قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا الذي له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون .

ولسنا بعد بيان الله ورسوله بحاجة إلى أن نعيد ما قلناه في مناسبات عدة : إنه لن يؤمن بالله من لم يؤمن برسوله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، وإنه لن ينفعه عند الله ولن ينجيه من عذابه ما قدم لهذه الإنسانية من حسنات شتى ... وكيف ، وأساس القبول أن يعرف العامل من عمل عمله لأجله ؟ ولن يعرفه إلا من طريق رسوله الذي أرسله داعيا إليه يآذنه ، ولو أن عملا ينجي من عذاب الله أحدا غير مؤمن لسكان معه الذي أسلفنا من حسناته الجسام ما أسلفنا أولى بذلك وأحرى ؛ وإن يوما من أيامه في الشعب مع ابن أخيه لأرجح وزنا ، وأكبر شأنا مما قدم هؤلاء الكاشفون والمخترعون للناس في حياتهم الدنيا . وحسبهم أن الله يجعل لهم في هذه العاجلة ثواب ما قدموا للناس فيها ، جزاء وفاقا . ولا حرج على فضله أن يخفف عنهم من عذاب الجحيم شيئا ، وإن كانوا خالدين فيه أبدا .

بقي من بلغتهم الدعوة المحمدية مشوهة بالباطيل والمفتريات ، وكثير ما هم ، والظاهر كما قال جمع من الفضلاء المعاصرين ^(١) أن هؤلاء في حكم من لم تبلغهم الدعوة ، اللهم إلا أن تلوح لبعضهم شمس الحقيقة من خلال سحب الكتمان والتليس ، ثم يعنى عنها ويعرض عن النظر فيها مع قدرته على ذلك ؛ فإنما لئمه على نفسه .

وهذا لا يعنى الأمة الإسلامية — ولا سيما أولى الأمر منها — من قبة المؤاخفة والتفصير في تبليغ الدعوة المحمدية ، ما استطاعت إلى التبليغ سبيلا .

(١) منهم أستاذنا الكبير محمد عبد الله دراز في كتابه : « المختار من تيسير الرسول » وقد اتفقنا به في شرح هذا الحديث .

والعجب أنا لانغار على دعوتنا وهي دعوة الحق ، معشار ما نرى ونسمع من نشاط
الذين يسمون أنفسهم بالمبشرين ، وينفقون في محاربة دعوتنا كل عام مئات الملايين ١١
فيا ضيعة الحق بين الغفلة والجهالة ١١

* * *

أما بعد ، فلهذا الحديث صلة وثيقة ببحث « جزاء الصالحات » الذي بدأناه في الجزء
الثاني من عامنا هذا ، كما له صلة وثيقة كذلك بالبحث في « أهل الفترة » وكنا وعدنا
القراء بأن نتحدث إليهم فيها ، لإجابة لرغبات جاءتنا من العراق ... غير أننا وجدنا من
سبقنا إلى الإفاضة في هذا البحث ، قديما وحديثا ، مما يجعل كلامنا بعده حديثا معادا .

فإلى هؤلاء الذين رغبوا ملحين أن تتكلم في أهل الفترة عامة ، وأبوى النبي صلى الله
عليه وسلم خاصة - نسوق هذه المراجع السهلة اليسيرة :

١ - روح المعاني للعلامة الآلوسی العراقي في تفسير قوله تعالى « وما كنا معذبين
حتى نبعث رسولا » .

٢ - مجلة الأزهر في مجلدها الثامن ص ٦٠٦ في « الدعوة إلى الله تعالى وأهل الفترة »
للأستاذ الجزيري ، محرر السنة حيثئذ .

٣ - مجلة لواء الإسلام في جزئها الأول ، جزء رمضان المبارك ، من عامنا هذا ،
وقد تارلت في ندوتها بحثا في الدعوة والفترة مستقيضا .

أما نحن فقد اكتفينا إذ كفيينا . والسلام على من اتبع الهدى ، ومن إذا خاطبهم الجاهلون
قالوا سلاما ٩

طه محمد الساكت

الآلام

ما أشبه آلام الإنسان بآلم الطفل المدلل : تراه يحزن لكثرة ما يفرح ، ويحول ابتسامه
دموعا في عينيه فيتغير في صورته دون أن يتغير في معناه ، فيضحك باكيا . ويشكو فتكون
شكواه طريقة مرح في غير شكلها . ويكون في نفسه معنى واحد ، ولكن وجهه الغض اللين
يضع لهذا المعنى أساليب مختلفة هي أنواع من ألعاب الطفولة .

مصطفى صادق الرافعي

الدَّخِيلُ وَكُتُبُ التَّفْسِيرِ

- ٩ -

... ومن الإسرائيليات والموضوعات التي اشتملت عليها كتب التفسير كثير مما يتعلق بأحوال المبدأ والمعاد وأسرار الوجود وأسباب الكائنات ، مما جاء به من مرفوعاً وبعضه موقوفاً على الصحابة والتابعين . وذلك مثل ما ذكرناه في عمر الدنيا وأنه سبعة آلاف سنة وأن النبي ﷺ بعث في آخر الألف السادسة ، فقد ورد ذلك مرفوعاً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد حكم عليه الإمام أبو الفرج ابن الجوزي بالوضع ووافقه غيره ، كما جاء بعضها موقوفاً على ابن عباس رضي الله عنهما ، وقال السيوطي فيها : إنها صحيحة ، وعلى تسليم الصحة إلى ابن عباس فهي من الإسرائيليات التي تحملها ابن عباس وغيره عن سلسلة أهل الكتاب ، وهذا لا ينافي كونها باطلة في نفسها . وتحديد عمر الدنيا بهذا القدر من مفتريات اليهود ومزاعم الكاذبة ، حتى لقد كانوا يقولون : لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة ، عن كل ألف من عمر الدنيا يوم من أيام الآخرة ، وقد أكذبهم الله سبحانه في هذا حيث قال : وقالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة قل اتخذتم عند الله عهداً فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله ما لا تعلمون ، [سورة البقرة الآية ٨٠] .

وماذا يقول المتصرون لمثل هذه الروايات الباطلة أمام ما ثبت من الأدلة المتكاثرة على أن عمر الدنيا أضعاف ذلك وأن التمسك بمثل هذه الروايات باسم الدين أضر على الدين من طعن أعدائه فيه . ولو أن النبي ﷺ بعث في آخر الألف السادسة لكانت القيامة قد انقضت زمنها ، فظهر أن الواقع والمشاهدة يكذبان ذلك . ومن ذلك ما ذكره الثعلبي وذكر نحوه القرطبي عند تفسير قوله تعالى : وجعلنا الليل والنهار آيتين فحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلاً من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلاً ، [الإسراء الآية ٩٣] ، فقد ذكر حديثاً عن ابن عباس قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن الله لما أبرم خلقه فلم يبق من خلقه غير آدم عليه السلام خلق شمساً من نور عرشه ، فأما ما كان في سابق علم الله أن يدعها شمساً فإنه خلقها مثل

الدنيا ما بين مشارقها ومغاربها ، وأما ما كان في سابق عله أن يطمسها ويحوّلها قرأ فإنه خلقها مثل الشمس في الضوء ، وإنما يرى الناس صغرهما لشدة ارتفاعهما ، ولو تركهما الله كما خلقهما في بدء الأمر لم يعرف الليل من النهار ، ولا النهار من الليل ، ولسكان الأجير ليس له وقت يستريح فيه ، ولسكان الصائم لا يدرى متى يصوم ومتى يفطر ... فأرسل جبريل فأمر "جناحه على وجه القمر ثلاث مرات وهو يومئذ شمس فحما عنه الضوء وبقي فيه النور فذلك قوله : (وجعلنا الليل والنهار آيتين) . فالسواد الذي ترونه في وجه القمر إنما هو أثر ذلك المحو . وفي إسناد الثعلبي نوح بن أبي مرثد وهو وضاع كبير ، وقد حكم عليه ابن الجوزي بالوضع (١) وفيه من الزكاة القفلية والمعنوية ما يشهد بذلك . وما يشهد باختلاق مثل هذه المرويات أن رسول الله ﷺ ما كان يتعرض للكونيات بهذا التفصيل . ولما سئل عن الهلال لم يبدو صغيراً ثم يكبر ثم يصغر؟ أجاب بالفائدة فقال : « هي مواقيت للناس والحج ، وهو من الأسلوب الحكيم ، إذ توجيه الناس إلى الاعتبار بالفاية والفائدة خير وأجدى من بيان السبب والعلّة ، وليس من الحكمة التعرض لمثل هذه الكونيات بالتفصيل كما يصنع أهل الفلك والهيئة .

وترك مثل هذا الزمن كي يتوصل إليه البشر بعقولهم واجتهادهم وبحسبهم أولى ، ولا سيما وأنه لا يتوقف على معرفة الناس لمثل هذه التفصيلات الفلسفية فائدة دينية ، بل قد يكون في ذكرها على ما هو المعروف في علم السنن الكونية فتنة لبعض العقول الضعيفة التي لا تستسج مثل هذه التفصيلات في هذا الزمن ، والإسلام في مثل هذا حكيم كل الحكمة ، وصدق ابن مسعود رضي الله عنه حيث يقول : « ما أنت بمحدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة » . والقرآن والسنة حينما يتعرضان للآيات الكونية سفلية أو علوية يكون مقصدهما الاسمي انتزاع العبرة والاستدلال بما أودع فيها من الدلائل على وحدة الصانع جل وعلا وقدرته وعلمه وحكمته وسائر صفاته العلية واستحقاقه للعبادة ، والقرآن لم ينزل ليكون كتاباً تبسط فيه قواعد العلوم الدنيوية وتفصيلاتها على غرار ما يصنع في كتب الهيئة والفلك وسنن الكائنات والتاريخ وغيرها ، وإنما نزل ليكون كتاب هداية وإرشاد وتبشير وإنذار ، وليكون المعجزة العظمى والآية الباقية للنبي على وجه الدهر ، فهو

لا يمس من الكونيات والعلوم والمعارف إلا القدر الذي يفيد في هذه المعاني السامية التي لأجلها نزل .

ويعجبني في هذا المعنى ما ذكره الآلوسی عن بعض الفضلاء حيث قال : « إنه لم يحمى في ترتيب الأجرام العلوية والسفلية وشرح أحوالها كما فعل الفلاسفة عن الشارع شيء ، لما أن ذلك ليس من المسائل المهمة في نظره عليه الصلاة والسلام ، وليس المهم إلا التفكير والاستدلال بها على وحدة الله وكأله جل جلاله ، [تفسير الآلوسی جزء ١٣ ص ٩٩] .

• • •

ومن ذلك ما يذكره بعض المفسرين في غروب الشمس وأنها إذا غربت ابتلعها حوت ، وما يذكرونه في تعليل برودة مياه الآبار في الصيف وسخوتها في الشتاء ، فقد روى - زوراً - أن خزيمة بن حكيم السلمي سأل رسول الله ﷺ عن سخونة الماء في الشتاء وبرودته في الصيف ، فقال : إن الشمس إذا سقطت تحت الأرض سارت حتى تطلع من مكانها فإذا طال الليل كثرت مكثها تحت الأرض فيسخن الماء لذلك ، فإذا كان الصيف مرت مسرعة لا تلبث تحت الأرض لقصر الليل فبثت الماء على حاله بارداً ، وذلك ومثله مما لا نصدق ولا يعقل وروده عن المعصوم صلوات الله وسلامه عليه ، وما كان لينكم كما قلت آنفاً في الآيات الكونية والفلكية بهذا التفصيل .

وفي هذا التعليل من التفات والسذاجة ما لا يليق بعامل فضلاً عن أعقل العقلاء ، وهو تعليل باطل ولا يتفق هو والمقررات العلمية الثابتة التي كشف عنها تقدم العلوم والمعارف البشرية ، والإسلام قد منى في عصوره المختلفة بأنامر يتسمون باسمه وهم يحملون له في نفوسهم المريضة الضغن والحقد والكيد : كالباطنية وأضرابهم ، وقد تفتنوا في الكيد له واحتالوا في ذلك ما شاء لهم الاحتيال ، ولم يمكنهم أن يدخلوا في القرآن ما ليس منه ، فسلكوا في تفسيره وتأويله المسالك الفاسدة ، وأيدوا تفسيراتهم الباطلة بنسبة مثل هذه الخرافات إلى المعصوم ﷺ ، ولكن الله الذي تكفل بحفظ كتابه ودبته قبض لهم من علماء الأمة من كشف اللثام عن أباطيلهم المقتنعة ، ومكذباتهم أن يطعنوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون ؟

محمد محمد أبو شربة

الأستاذ بكلية أصول الدين

مشكلة

أوقات الفراغ

من المفهوم أن نظام الحياة في المجتمع يقتضى ألا يواصل الأفراد العمل ليل نهار لا يستريحون ولا يهدأون ، فخصصت للعمل ساعات ولراحة الأفراد ساعات أخرى ، تتمثل في العادة في أوقات الاصيل والمساء والليل من كل يوم إذا كان العمل في صياحة النهار وضحا ، فضلا عن أيام العطلات الأسبوعية والدورية وأيام الأعياد وعطلات المناسبات . وهذا التخصيص وذلك النظام لا يقتصران على طبقه الموظفين لحسب ، بل يتعداه إلى جميع الطبقات في الأمة من تجار وصناع وغيرهم ، كذلك نجد بعض فئات تتمتع بيجورة من أوقات الفراغ أكثر من سواها من الفئات ، ومثال ذلك التلاميذ وطلاب العلم في المدارس والمعاهد والجامعات ، فضلا عن ذلك نجد في البلاد الزراعية طبقة الزراع والفلاحين التي تعمل في مواسم الزرع ، ثم يعتورها فراغ طويل لمدة قد تطول إلى حين الحصاد ، ذلك الفراغ الذي يطلق عليه علماء الاقتصاد اسم البطالة المقنعة أو الغير المنظورة .

وقد تبدو المسألة بسيطة لأول وهلة ؛ لأن الإنسان يعتقد أن هذه الأوقات قد خصصت لراحة الشخص ولسماته ، ولكن المسألة تتعقد وتتضح أهمية بحثها ، إذا تبينا أن الوسائل الكفيلة بإراحة الشخص وإفادته من أوقات فراغه تلك هي وسائل قاصرة في الكثير من الأحيان عن الوصول إلى الهدف الذي يراد منها ، وبما يزيد في خطورة المسألة العلم بأن أوقات الفراغ وكيفية قضائها تؤثر تأثيراً كبيراً على العمل والإنتاج ، وبالتالي تتأثر الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية بمدى الاستفادة من هذه الأوقات وكيفية استغلالها وتوجيهها لإسعاد الفرد والمجتمع . وقد لا نجد تدليلاً على مدى خطورة أوقات الفراغ وأثرها في أوضاع المجتمع خيراً من التذكير بأن إحدى الوزارات في فرنسا قد ألقت ذات مرة بشأن علاج مشكلة أوقات الفراغ بالنسبة لطبقة العمال .

ولما كان العمل والإنتاج من اختصاص السلطة العامة والمنتجين وأرباب الأعمال ، فقد اهتم هؤلاء بتنظيم العمل تنظيمًا شاملاً ، ولكنهم تركوا أوقات الفراغ للأفراد ينظمونها وفق هواهم وأمزجتهم ، لأنهم اعتقدوا أنها مخصصة للراحة والسعادة والهناء العائلي ، وتلك أمور شخصية تتعلق بالحرية الفردية المكفولة للفرد في المجتمع ، وكان من نتيجة هذه الفكرة الساذجة أن عجز الأفراد عن الاستفادة من أوقات فراغهم واستغلالها ، وبالتالي ظل تأثيرها في العمل والإنتاج ورقي البلاد قاصراً ضئيلاً ، واتيح الناس في مختلف فئاتهم وطبقاتهم وسائل ملثوية لقضاء هذه الأوقات ، بل أصبحت هذه الأوقات بالنسبة لكل منهم بمثابة مشكلة خاصة يروح تحت عبئها ويحاول قضاءها بأي نهج وعلى أي وجه وفي أي نطاق ، وليس من ضابط ولا موجه ولا هاد سواء السبيل .

* * *

ومن هنا وجدت المقاهي المزيد من روادها يوماً بعد يوم ، من الهاربين من بيوتهم الراغبين في قضاء فراغهم في لعب الررد والطاولة ، أو في الجلوس لمناخلة الراخين والرائحات والغادين والغاديات حتى يمر من الليل نصفه ، فيقومون إلى مراقدم في ملل وسأم وقد شربوا الكثير من المشروبات أو المكيفات . ومن هنا كذلك ازداد الإقبال على الخور ؛ لأن الشخص من هؤلاء إذا شرب واستطاب استطاع أن يقضى فراغه بمقل مخور وجسم مكدود فينعم بالخمر والسكد وبهرب من الواقع إلى الخيال ، ومن هنا ازداد الإقبال على المخدرات وتعاطيها فضلاً عن الخور لأن في تعاطيها كما يتوهم الناس التمتع بعالم من الأحلام . وكثيراً ما يلجأ الشبان في قضاء تلك الأوقات إلى أحلام اليقظة يقضون فيها أوقاتهم دون وعى وينعمون فيها بما يهيوه لهم الخيال من تحقيق الآمال البعيدة والأمانى العذاب ، حتى إذا صحوا إلى أنفسهم أو انهكوا في أعمالهم وتمثل أمامهم الواقع المرير ، اضطربت منهم النفوس وشردت العقول واستقبلت بعضهم مستشفيات الأمراض العقلية إذا أودت أحلام اليقظة بما بقي من عقولهم ، واستقبلت آخرين أبواب السجون إذا طرخوا . بما نسب لهم من اضطراب وقلق - أبواب الإجرام والتخريب .

وانتهز المفرضون فرصة هذه الفوضى ، فكثبوا الاقاصيص الرخيصة ونشروا الحكايات المثيرة ليقبل عليها من هنا وهناك هؤلاء الشبان وبخاصة العمال وأنصاف المتقنين لقضاء فراغهم في قراتها واستيعابها وتمثيلها في حياتهم وتقليد أبطالها في الخلاعة والمجون والفوضى والإفساد ، وانصرف الشبان يقضون عطلاتهم الطويلة في التسكع في الطرقات

ومغازلة النساء، وهب الكثير من المراهقين يمدون يفتهم في التسلط وحب القوضى وإظهار البأس والاستهتار والتخريب، في مشاهدة الأفلام البوليسية التي يهتمون كل اهتمام بحركات أبطالها المجرمين وضرباتهم وخروجهم على الأوضاع ووسائلهم في الإجرام والإفساد، فيتشبعون بهذه الحركات والعنربات وتلاقى هوى في نفوسهم وغرائزهم، فيحاولون تقليدها واحتذاءها في حياتهم. أما الفلاح الذي أسلفنا أن أوقات فراغه أطلق عليها الاقتصاديون اسم البطالة المفعنة، فوسائله في قضائها قاصرة، فهو يقضيها في كسل وخمول، تراه ينام تحت نخلة ليل نهار، لا يدري ما يفعل سوى طعام يأنى عليه واحتساء شاي أسود اللون ينلذذ به ونوم في الظل مدة من النهار يفظ فيه وهناك طبقة العمال التي تكون في أوقات فراغها نهياً للبؤس والشفاء والتسكع هنا وهناك في الدروب والمنعطفات، ناهيك بما يسببه كل ذلك من ارتكاب جرائم الأموال من نصب وسرقة وجرائم الاعتداء على النفس بسبب كثرة المشاجرات والمشاحنات التي يسببها تعطل الكثيرين منهم في أوقات الفراغ.

على أن تلك الفكرة الساذجة حول ترك أوقات الفراغ للأفراد يقضونها حسب هواهم دون تدخل من الحكومات لتنظيمها وتنظيم قضائها وإيجاد الوسائل الفعالة لاستغلالها والإفادة منها، قد أضحت فكرة غير ذات موضوع، وصارت مسألة أوقات الفراغ مسألة حيوية هامة، تهتم بها الحكومات وتضع لها البرامج ولا تجاهلها في مشروعاتها القومية وفي توزيعها للإنتاج القومي في شتى نواحي الحياة.

ويمكن القول بأن هذه الفكرة الحديثة تقضى بأن على الدولة واجباً بأن تهيم السبل لقضاء وقت الفراغ في متعة وسعادة يفيد منها الشخص جسمياً وروحياً، ليستطيع أن يتابع عمله وقت العمل بمجد وحماة وروح معنوية عالية. ومن الحلول التي تتبع بالنسبة لطبقة العمال، تخفيض أجور السلك الحديدية في أيام العطلات الأسبوعية لهم ولعائلاتهم بين مناطق هملم والضواحي حيث يقضون هذه العطلات، مع تنظيم هذه الضواحي وإنعاش حالة حدائقها ومتنزهاتها وخفض أثمان المشتريات فيها، بل وتوزيع بعض الحلويات والمرطبات بأثمان زهيدة، حتى يستطيع العمال وعائلاتهم أن يستمتعوا بوقت طيب يحسون فيه برد السعادة فيعودوا إلى العمل بنفس وروح جديدين يعيشان الحياة في الإنتاج ويزيدان من قدرة وطاقة العمل، والمفهوم أن مثل هذه الإجراءات معناها بالأسلوب الاقتصادي

رفع مستوى معيشة طبقة العمال ؛ لأن خفض أجور القطارات وتهميشة المنزهات وخفض أثمان الحلويات والمرطبات معناه في الواقع زيادة أجورهم زيادة غير منظورة ، وهذه ترفع مستواهم المعيشي كما لا يخفى .

وساهمت الشركات والمشروعات الكبيرة في تنظيم أوقات فراغ العمال ، فأشاعت في نفوسهم الروح الرياضية والجماعية ، وهيات لهم كافة وسائل الترفيه ، فأنشأت الأندية وقاعات السينما وحمامات السباحة وضروب التسلية والرياضة الأخرى ، وتعمل في الوقت نفسه على تهيئة السبيل لممارسة هوايات مفيدة ومن خفيفة حب ميل وهوى كل عامل ، وكذلك زوجات العمال يتدربن على أشغال الإبرة والحياكة وتشرف عليهن شرفة اجتماعية متقنة توثق صلاتها بهن وبعاثلاتهن أوثق الاتصال لتوجه حياتهن وأسرنهن التوجيه الحسن .

أما التلاميذ والطلاب فقد عملت الحكومات على توجيههم في أوقات فراغهم التوجيه السليم ، فأنشأت لهم أندية خدمة الشباب ، وافتتحت المدارس للتلاميذ أندية للنشاط الاجتماعي والثقافي والرياضي ، تحتوي برامجها على حفلات السمر والتسلية ، وتقديم الأفلام السينمائية الثقافية والجغرافية ، والقيام بالرحلات المختلفة لزيارة معالم الأقطار والآثار والوقوف على المشاريع العمرانية والزراعية والصناعية ، وفتح المكتبات وقاعات المطالعة وبث روح القراءة في التلاميذ للاطلاع على الكتب الأدبية والدينية والثقافية والقصص للمتعة .

وتعمل الحكومات في الوقت الحاضر على زيادة رفاهية الشعوب ، وذلك بإيجاد وسائل التسلية والمرح لقضاء أوقات فراغ الأفراد ، فأخذت تنشئ المنزهات والمسارح ، وتضاعف الإنتاج السينمائي الذي يلاقي رواجا كبيرا ، وله تأثير قوى في الناس ، الأمر الذي يدعو إلى توجيهه وجهة الثقيف والتهذيب ، وأن تكون أهدافه ترفيق المشاعر وتهذيب الوجدان وزيادة المعلومات وتوجيه الشعب وإرشاده القومي .

وأما القراءة فهي وسيلة ناجحة ومهمة كل الأهمية لشغل أوقات الفراغ ، وتعمل المجالس البلدية في بعض البلاد الراقية على إنشاء المكتبات العامة في المدن والقرى ليفشاها الجمهور للقراءة والاستعارة ، وتحشد فيها المئات من الكتب الشعبية لينتفع بها الجمهور بالمجان ، وتنشئ السلطة العامة هيئة تشرف على ما يصدر من كتب ودوريات من مهامها توجيه

الإنتاج الفكرى والأدبى وجهة جديدة تحقق للشعب الرفاعية فى القراءة الممتعة والثقافة الواجبة والأفكار الناضجة وتقوية الشعور القومى وبعث الروح المعنوية واستثارة الغرائز الحيوية فى الشعب للعمل والإنتاج . ويلحق بالكتب والدوريات محطات الإذاعة ، فى سبيل تهيئة الوسائل الفعالة لإفادة الفرد والمجموع من أوقات الفراغ يجب تنظيم الإذاعة وتقديم البرامج الحافلة التى تمنح الأفراد بسماحها وتقضى روحهم وإحساسهم بالقضاء الرقيق والشعر القومى والفكاهة الخفيفة ، وتطعم ثقافتهم بالجديد المفيد من المعلومات والأبناء والأفكار .

وفىما يتعلق بالفلاحين والوراع ، فإن الفكرة الحديثة تقضى بالإفادة المطلقة من أوقات فراغهم بدل ضياعها هباء فى ظلال النخيل وغطيط النوم ، ويكون ذلك عن طريق بعث الصناعات الريفية والاهتمام بها لزيادة الإنتاج القومى ، وإنشاء الأندية الريفية التى تقدم لهم الإرشادات الزراعية والصحية والأفلام التوجيهية الممتعة ، والعمل على محور الأمية بينهم وتخصيص برامج لإرشادهم بالإذاعة اللاسلكية ١٤

أحمد طه السنوسى

السواجم

قل للسواجم فى الغصون ترغى	وصلى فنونك بمد طول تجاف
المرس حولك والعروس أزينت	لم يبق غيرك ، فأذنى بزفاف
زيدى على النسق القديم ، وجددى	نسقا يحدد هزة المشتاف
زمن القديم مضى ، وليس بمنصف	من لا يزيد ذخائر الأسلاف
الفن وجدان العصور ، وصورة	مما يسبق العالم المتشاف
حذق المثقب يستقل بما انطوى	من سره ، وبراعة الكشف
صلف المبرز فى مذاهب غمه	إذعان متهن ، وعجز مضاف

أحمد محرم

ابراهيم بن أدهم

البطل الزاهد الشهيد

روت كتب المتصوفة عن إبراهيم بن أدهم أسطورة جذابة جميلة ، فقد جعلته أميراً من أهرق بيوت الملك بفارس تحيط به أبهة السلطان وجلال التاج ، ويسير في موكب غم وحوله الفرسان والحراس ، وقد اشتغل بمباهجه وملاهيته عن شئون الملك ومشاغله ، فافقد كتيبة زاحفة ، وما أسكن ثورة هائجة ، بل كان يتقلد سيفه ويهيئ أقواسه ونباله ويركب جياده السريعة ، ثم يتوغل في اليباء الشاسعة ليصارع الآرام والوعول ويتعقب الثمالب والوحوش ، فإذا أتعب الصيد وأضناه السكر والهجوم نصبت له خيمة مطرزة وتجمع حوله أصدقاؤه وندمانه قساقوا كثوس الرحيق وسمعوا أعذب الألحان ورقصت أمامهم القيان حتى إذا قضوا أرباباً من الراحة والمتعة رجعوا إلى « بلسخ » في موكب حاشد وجمع عظيم .

وشامت الأسطورة أن تقول إنه خرج يوم الجمعة إلى الصيد ، وحوله حاشيته في يوم بمحسوس له الناس ، وكان مؤذن الجمعة ينادي إلى الصلاة ، فهاهم بفريضة ربه ومضى إلى ملاعبه يترنح فوق جواده والناس يتهايمسون في غضب عن هذا الخليع المساجن الذي يجيب داعي الشيطان في وقت تتفتح فيه أبواب الرحمة في السماء ، ويمضي الفارس إلى صيده فيصرع الظباء ويتوغل في الغاب متحرشاً بوعوله ويمافيره ، حتى إذا بلغ منه الجهد مبلغه ركن إلى صخرة عالية لجلس يستريح منفرداً عن أصحابه ، وإذا هاتف يمدلاً عليه سمعه ويناديه : يا إبراهيم ، ما لهذا خلقت . يا إبراهيم ما بهذا أمرت . « أخسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون » ، ثم يتقطع الهتاف وقد تغلغل صده في أعماق الأسير الفارس فغير مجرى حياته تغييراً حاسماً وحول أفكاره من طريق إلى طريق ، فرجع إلى حاشيته منكسراً

ذليلاً، وودع رفاقه توديعاً حاراً وهام على وجهه بضرب في لجج الأرض وتقاذفه المطارح النائية، ووجد راعياً للغنم يخلع عليه حلتة الجميلة وقد رصمت بخالص الذهب وزينت بأفضل اليواقيت، وأخذ منه كساه الصوفي الحشن، وعصاه الخشبية الطويلة، ومضى يطوف بالأرض زاهداً متورعاً، فحج البيت الحرام، وطوف بالعراق والشام، وألقى مواعظه الدينية المؤثرة، وصحب الأئمة من الفقهاء والعلماء حتى وافاه الأجل وقد بلغ من الورع والتصوف والمحبة مبلغاً يضعه في قمة الزهاد وذروة الناسكين .

* * *

تقول كتب المتصوفة هذه الأسطورة، وينقلها كاتب عن كاتب مضيفاً إليها ما يسمح به خياله من تهاويل، وقد يستعين بأبيات شعرية يزعم أن إبراهيم قرأها على جدار أو قبر أو نظمها في سكرة هيام . ويحى المستشرقون فيبحثون هذه الأسطورة ويتساءلون ، هل كان لعائلة آدم سلطان في إمارة بلخ ؟ وهل عرف تاريخ الفرس أحداً من ملوك هذه العائلة سواء . يبلغ ، أم غيرها من المقاطعات ، فإذا صحت التاريخ عن الإجابة الشافية حكوا أن هذه الأسطورة قد صيغت على منوال قصة « بوذا » إذ فر من سلطانه وترك الإمارة والقصر ، لينشر مذهبا ويملا قلوبا . ثم يتوسعون في ذلك فيعقدون صلة وثيقة بين التصوف الإسلامي والتصوف الهندي ، ويردون كل زهد في الإسلام إلى عناصر أجنبية طرأت عليه وأثرت فيه دون أن يكون منبعها الاصيل كتاب الله وتعاليم محمد صلى الله عليه وسلم ، ويمضون في طريقهم إلى أبعد مدى فيقرنون الشبه بالشبه ، ويلتزمون بين تسك « بوذا » الهندي وعزلة إبراهيم الفارسي .

وإن ثبت للباحث في تاريخ المتصوفين تأثر بعضهم بمذاهب صوفية لا تنبع من الإسلام ولا تنصل بأسبابه في شيء ، فإن هذا البعض لا يقتضى إليه ابن آدم في قليل أو كثير ، فقد كان بعيداً عن أحوال الجذب والتواجد والهيام . ولم يتطرق إلى البحوث النظرية كإفعل الحلاج والسهروردي وابن عربي بل كان تصوفه زهداً خالصاً يترسم فيه مبادئ الإسلام ، فهو يتمسك بالنصوص القرآنية ويروى الأحاديث النبوية ، ويصدر تعاليمه لمريديه في نطق قرآني تدعو إليه الفطرة الإسلامية وتقبله العقول في غير عناء كبير .

أما نشأة إبراهيم فيمكننا بمراجعة الروايات المختلفة في تاريخه وترجيح ما تقوم عليه الأدلة الوثيقة أن نجزم بأنه عربي قح ، نشأ في سلاة عربية خالصة ، لحين زحفت الجبوش

الإسلامية في فترة متعاقبة إلى خراسان وتم فتحها على يد الأحف بن قيس ، وقتيبة بن مسلم الباهلي ، أخذت الأسر العربية تنزع إلى هذا الإقليم الخصيب ، وتنتشر بذرايرها في بلاد ما وراء النهر ، ومن هذه الأسر الكثيرة أسرة الصوفي الزاهد إبراهيم بن آدم بن منظور ابن زيد بن جابر التميمي العجلي ، فقد نزح أجداده إلى بلخ في وقت يتعذر تحديده ووجدوا من رعاة العيش ما مكن لهم في الثروة فرزقوا نصيباً موفوراً من المال ، ونشأ أبناؤهم نشأة مترفة باعثة فوجدوا القصور والضياع والعبيد ، وغمروا أنفسهم بالمتاع والبهجة ، وكان والد إبراهيم رغم ثرائه الواسع صالحاً خيراً يتبع العباد والزهاد ويحج البيت الحرام في أكثر الأعوام ، وقد أورث فتاه إبراهيم مالا طائلاً وجاهاً مديداً فترعرع في أفياء النعم ، ويحب مطارف البهجة في شبابه ، ثم أذن الله له بالفوز فطاف عليه طائف من تفلسك والده وهواه ، ثم اتسع في زهده شيئاً فشيئاً حتى يقن أن المال ظل زائل ومشغلة للنفس ، فعزف عن بريقه الخادع ، واحتقر ما يفرق فيه من متعة وجاء ، ثم تجرد عن الزينة والزخرف بعد أن فكر ودبر ، واستأذن أباه في الرحيل عن خراسان إلى العراق ، وكانت أشواقه تدفعه إلى مكة مهبط الرسالة فترك العراق إلى أم القرى ووجد بها كثيراً من أئمة الفقه والحديث والتصوف ، فاصطحب الفضيل بن عياض وسفيان الثوري ومالك بن دينار وغيرهم ممن لقيهم في رحلاته الكثيرة حتى امتلأت نفسه اطمئناناً وسكينة ، وأقم قلبه نوراً وعرفاناً .

ولم يكن إبراهيم بدعاً في تفسكه ، فقد كان معاصره شقيق البخلي ذا دنيا واسعة وجاء عريض ، فاعتزل الثروة والضياع وتكلم في التصوف والزهد ، وكان أحدهما اقتدى بصاحبه ، وهما من بلدة واحدة ، فسار على منواله مما يعز وجوده بين أرباب الثراء .

ولقد كان لإبراهيم رسالة خالدة تكشف حقيقة الزهد وتقربه مثالا ملموساً للجميع ، فقد زهد زهداً خالصاً فيما يملك ، ولم يكن كهؤلاء الذين يتظاهرون بالورع ولو برقت لهم الحياة بشعاع كاذب لاندفعوا في تيارها الخادع . وكان من تمام رسالته أن يأكل من عمل يده ، فلا يدع نفسه عالة على عساقه ومريديه ، وقد اشتغل بستائياً أجيراً يكسح بومه الطويل ليقنتات من طريق حميد ، وهنا يظهر تأثيره بتعاليم الإسلام ، فهو دين عمل يلبذ التواكل ، وليست فيه رهينة تدفع صاحبها إلى العزوف والانطواء ، لذلك نجد ابن آدم يتشدد في تحريم المكاسب والمآكل ويرسل وصاياه الكثيرة فيقول : أطلب مطعمك ولا عليك ألا تقوم

الليل أو تصوم النهار ، كما كان يرفض رفضاً باتاً أية هدية تقدم إليه لما يندرج تحتها من معاني التواكل والخنوع ، ولو فهم الناس الزهد كما فهمه إبراهيم لعطف القنى على الفقير بما يزيد عن حاجته ، ولا جهد الفقير في تحصيل رزقه دون أن يمد يده لإنسان ، وبذلك يستشعر معاني العزة والكرامة ويعيش في ملأه على الرأس مرتاح الضمير .

وقد تنبه إلى ما انتشر لدى المتواكلين من انقطاع للعبادة وانتظار للعطاء ، فقد ذلك نسولاً سائراً تنأى عنه الرجولة ويمقتة الإسلام ، فقال : المسألة مسألتان : مسألة على أبواب الناس ، ومسألة يقول الرجل فيها : ألزم المسجد وأصل وأصوم وأعبد الله ، فن جاءني بشئ قبلته ، فهذه شر المسألتين . وهذه النصيحة الحازمة تفضح هؤلاء المترهين في دين لا يعرف الرهبة ، فهم شر من المتسولين لأنهم يسترون تسولهم البغيض بستار من التبتل والعبادة ، مع أن الإسلام يرى في سعى المؤمن لرزقه من طريق الحق عبادة خالصة يكافأ عليها بالثوبة عند الله ، ولن يضير المسلم أن يكون فقيراً كادحاً ، وإنما يضيره أن يتصيد المال دون جهد يبذل أو سعى يتاح ، ونحن لا ندهو غنياً إلى اعتزال ماله كما فعل ابن آدم ، ولكننا نتخذ مثلاً لقوة الإرادة وكبت الأهواء وخذلان النفس في مضمار عفيف تتجاذبه المطامع والمغريات ، كما يصور لنا هوان المال وضعت لدى النفوس النبيلة ، فلا تتكالب عليه في عنف أو تبخل بحق الله فيه ، ومن يدري لعل ابن آدم قد تخلص من ثروته لوجود شبهة في عقله ، من طريقة جمعه ، لحسم الشك باليقين .

ولم يطل مقام إبراهيم بمكة فارتحل ثانية إلى العراق ، وقابل أبا جعفر المنصور ببغداد ووعظه في غلظة ، ثم توجه إلى الشام واتخذها موطناً دائماً ، ولكن لواعج الحنين كانت تعصف به إلى موطنه بخراسان ، فيسائل أصحابه عن بلغ ورحب بمن يفسد إليه من فارس ، وما زالت الأوطان مألّف القلوب إذا شط المزار .

• • •

كانت إقامة ابن آدم بالشام خيراً وبركة على أهل مدينة صور ، فقد خالطهم وصادقهم ، واندج في مجتمعهم يشير بالرأي ويقدم النصيحة وينبسط إليهم في شئون الحياة ، حتى جن به العامة وعظموه تعظيماً كبيراً ، ورووا عنه الخوارق الكثيرة ، وهي في كثرتها الزائدة تدل على سمو قدره ، وارتفاع أوجه .

هذا - وقد كان الازاعي إمام أهل الشام يكبر إبراهيم ويشيد بلباقته ويمجيب باندماجه في قومه وخبرته بالنفوس ودعوته إلى الله بالحكمة والقنوة ، فهو المثل الحميد لصاحب الورع في الإسلام ، وقد كان حبه لله حباً إسلامياً خالصاً يبرأ عما اختلط بالتصوف بعد ذلك من مذاهب فلسفية حلولية واتحادية ، فهو شبيه في زهده وعبادته بالحسن البصري ورابعة العدوية وأضرابهما من خلص لهم الزهد الإسلامي خلوصاً طاهراً ، فطريقتهم إلى الله كتابه الواضح وهدى نبيه الكريم .

وكان ختام حياته مقطعاً رائعاً للجهاد الكريم ، فقد أغار الروم على بعض الثغور الإسلامية فحمل سيفه وارتحل إلى الميدان ، ذائداً عن عمالك الإسلام ، وصمداً للكفاح والنضال حتى رزق الشهادة في معركة حامية سنة ١٩٠ هـ ، وحزن عليه المسلمون حزناً شديداً فحملوه إلى (صور) ودفن بموضع يختلف المؤرخون في تحديده ، وقد حكى ابن بطوطة أنه زاره في مدينة (جبلة) وقد أقيمت حوله زاوية يعمرها الصالحون ، كما رثاه ابن أخته محمد بن كنانة السكوني رثاء حزيناً يرسم شمائله العاطرة ويكي جلاله الصريح .

محمد رجب البيومي

حي بن أخطب في ساعة الموت

لما أتى يحيى بن أخطب - مجموعة يداه إلى عنقه بجبل - ليقبل بعد غزوة بني قريظة ، نظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال :

أما والله ما لميت نفسي في عداوتك ، ولكن من يخذل الله يخذل .

ثم أقبل حي على الناس فقال : أيها الناس ، إنه لا بأس بأمر الله ، كتاب وقدر ، وملحمة كتبها الله على بني إسرائيل .

ثم جلس فضربت عنقه ، فقال جبل بن جوال الثعلبي .

لعمرك ما لام ابن أخطب نفسه ولكن من يخذل الله يخذل

كلنا مكفوفون

أخي المكفوف البصير ...

سلام عليك من أخ لك مبصر كفيف . إنه لا يقول هذا مصافمة لك أو مجاملة أو مخادعة ، بل يقوله حقيقة واقعة ، وإن كانت مسترة مبرقة ؛ فكلنا في هذه الحياة مكفوفون ، وإن اختلفت جهة الكف ^(١) لدى بعضنا عنها لدى البعض الآخر ؛ وكلنا في هذه الحياة يجب علينا أن نبصر ، وأن نجاهد هذا الكف بكل ما استطعنا من حيلة ، وبجميع ما أطلقنا من وسيلة ، حتى نكون في مجتمعنا بصراء على الرغم مما يعترض سبيلنا من كف في هذا الجانب أو ذاك . نعم ، كلنا في الحياة مكفوفون يجب أن نبصر ؛ فالتاس يأثون إلى هذه الحياة العريضة الواسعة ، وليس عندهم كل المقدرة التي تكفل لهم الاتصاف على متاعها ومصاعبها ، وليس لهم كل الوسائل الرشيدة المهيأة لكي تبلغ بصاحبها غاية ما يصبو إليه ؛ بل كل منهم فيه ناحية أو أكثر من نواحي النقص والقصر ، سواء أكان هذا النقص حسياً أم معنوياً ، باطنياً أم ظاهراً ، وهذا الوجه من وجوه النقص هو كف للبرء عن بلوغ الهدف في ميدان ذلك النقص لو لم يوجد ، والكف في أصل اللغة منع وحرمان وصد عن شيء وحجب عن وجهة ؛ ومن ثم لا تكون هناك مبالغة ولا مجاملة إذا قلت لك : إننا مكفوفون يجب أن نبصر ...

* * *

في الناس من ينشأ وهو قوى البدن مفتول العضل موفور الصحة ، ولكنه هزيل العقل فخل التفكير ، فهو إذن مكفوف في عقله ، ويجب عليه أن يبصر في هذا الميدان العقلي ، فيثقف ويتعلم ويحصل ما به يكون قويم التفكير سليم التدبير ...

وفي الناس من ينشأ وهو قوى العقل واسع الفكر ، ولكنه ضعيف في خلقه ، مرذول في طباعه ، مذموم في خصله ، قد علت روحه غشاوة من استغلاق الشعور وبلادة الطبع وسوء الخلق ، فهو مكفوف من غير شك في هذه الناحية ، ومن الواجب عليه أن يبصر فيها ،

(١) في المعاجم اللغوية أن الكف يدل على الحجب ، والمنع ، والنقص ، والقصر .
انظر اللسان والاساس والقاموس .

حتى يبصر قلبه كما أبصرت عينه ، وحتى تضيء روحه كما أضاء عقله ، وإلا ضاع أكبر الفائدة من هذا العقل الواسع الذى يغتر به ، دون أن يكون له قوام من مكارم الاخلاق .

وفى الناس من ينشأ كثير المال مطمئن الأحوال عزيز الجاه فى المجتمع ، ولكنه لم يرزق نعمة الإحساس بما حوله من مشاهد الطيبة ومباهج السكون وأسرار الحياة ... لم يرزق الاستجابة الوجدانية لما فى الحياة من آيات الروعة والجمال ... لم يرزق المشاركة العاطفية مع تلك الروح الكونية السارية خلال الحياة ، لا نراها بأعيننا ، ولا نلمسها بأيدينا ، ولكننا نشعر بها بقلوبنا الشاعرة وأرواحنا اليقظة وعواطفنا المتقدة ؛ فتل هذا الرجل مكفوف فى ذوقه وإحساسه ووجدانه ، وهو محتاج كل الاحتياج إلى أن يبصر فيها ليستطيع التمتع بما فى الحياة ، وإلا كان ميت الأحياء ...

وهناك القوى الجسم الامى العقل ، فهو مكفوف فى ناحية العلم ، يحتاج إلى أن يبصر بالمعرفة ، وهناك المبصر فى عينه ، المكفوف فى قلبه ، وهناك المبصر فى حسه المكفوف فى نفسه ، وهناك السليم فى عينه السقيم فى شمه أو ذوقه أو لمسه أو سمعه ، وهناك غير هؤلاء من الذين قضى عليهم نقص البشر أن ينالهم الكف فى ناحية من النواحي أو فى أكثر من ناحية ، وإن تتمتعوا بالإبصار الحسى أو المعنوى فى سواها ؛ وكلهم بحاجة إلى أن يعالجوا هذا الكف ليصروا ...

فأنت إذن ترائى أنى لم أكن مجاملا ولا مخادعا حينما قلت : كلنا مكفوفون ، وكلنا يجب علينا أن نبصر ...

لو أحسن المرء محاسبة نفسه ومراجعتها لقال لها : ما أكثر الجهات التى أصابنى فيها كف حسى أو كف معنوى ...

هل اطلع عقلى على كل ما يجب - أو ما يمكنه - أن يطلع عليه حتى أستطيع الحكم بثبرته من الكف عن بعض المعلومات ؟ ...

هل استطاع أدبى أو خلقى أن يحفظ حقوق الناس ، فلا يفرط فى شيء منها ، ولا يسيء إلى محاسن الاخلاق فى بعضها حتى يتمكنى أن أنزهه عن الكف والحرمان من الإحسان فى بعض هذه الوجوه ؟ ...

هل تناول إحساسى الشاعر المذوق كل ما يحمل أن يتناوله بالإدراك والسبر والتمتع ،
حتى أظهره من لون ما من ألوان الكف في بعض هذه الجهات ١٤ ...

ألا ما أقل ما عرفناه ، وما أكثر ما جهلناه ! ... ما أضيق ما رأيناه ، وما أوسع ما
لم نره ! ... ما أخف ما أدبناه من الواجبات ، وما أثقل ما فرطنا فيه ! ... ما أكثر الوجوه
التي أصابتنا فيها الكف ، حتى ليصح أن يقال عنا : إنا مكفوفون معرقون في كف الحس
وكف النفس ؛ ورحم الله امرأ عرف قدر نفسه ! ...

* * *

ها هو ذا السكير مثلاً يدمن الخمر حتى تستبد بعقله ورأسه وجسمه ، وتستبد بماله
وحقوق أمرته ، وتهبط به مبنى ومعنى - إلى الدرك الوضيع ، وإلى أسفل سافلين ؛ ولقد
تطلع إليه فتراه حديد البصر ، عريض البدن ، طويل القامة ، ضخم الهامة ؛ ولعلك لا ترى
في ظاهره ما يقطع بالعله أو المرض ، ولكنك لو خبرت أمره الجسمى والاجتماعى لوجدته
مكفوفاً من هنا ، ومكفوفاً من هناك ، ومكفوفاً من هنالك ...

إنه مكفوف لا يدرك المصير الرخيم الذى يسير إليه ، ولا يرى الهاوية السحيقة
التي تردى فيها أو ستردى عما قليل ؛ وهو مكفوف لا يشاهد تلك الانياب الشيطانية
الرهيبه التي تنهش في لحمه وعظمه وفهمه ، حتى تتركه شجعاً عطماً ، أو نبهاً مقسماً بين العلل
والأوجاع ؛ وهو مكفوف عما تسببه له بنت الحان من مصائب في حاضره ومستقبله
ومصائب في عرضه وشرفه ، ومصائب في أصدقائه وخلاته ؛ ولو عرف السكير مثلاً
ما يدار وبجحاك ويفعل من حوله ، في بيته وماله وسميته ، وبين معارفه وأصدقائه ، وبين
السكائدين له والحاقدين عليه ، لادرك أى إدراك أنه مكفوف ، مكفوف ، مكفوف ١١

لكن محمد بن الإسلام عليه الصلاة والسلام قد رمز إلى قريب من هذا حين قال :
« طوبى لمن شغلته عيبه عن عيوب الناس ، لأن المرء لو أدار طرفه إلى عيوبه ونقائصه ،
والجهات التي أصابه الكف والحرمان منها ، لوجد له من ذلك شاعلاً أى شاغل ، ولم يبق لديه
متسع من وقت أو جهد لكي يتطلع إلى عيوب سواه ... »

بل كأن القرآن المجيد قد رمز إلى مثل هذا حين قال : « عليكم أنفسكم لا يضركم من
ضل إذا اعتديتم ، لأن المرء إذا جعل تقويم نفسه همه فقد شغلها بعمود الامر وسناده ،

وإذا ما عني كل واحد بإصلاح نفسه فقد صلح المجتمع كله ، لأن المجتمع بناء يتكون من لبنات هي تلك النفوس ؛ ولو أن كل نفس تناولت جهة الكف التي أصيبت بها فعالجتها وأصلحت أمرها ، لتسامى شأن المجتمع وعلا . . .

* * *

وأنت يا أخى المكفوف قد شئت لك الاقدار أن تختبرك بصرك فذهبت به ، وبذلك أصابك الكف عن رؤية المشاهدات ، وإنه لنقص حسي ما في ذلك شك ، وإنه لحرمان من مطلوب محبوب ما في ذلك ريب ، ولكن ، هل يدعوك ذلك إلى اليأس ؟ . . . هل يحرمك ذلك من كل شيء ؟ . . . هل يدعوك هذا النقص الحسي في جهة واحدة إلى إلقاء السلاح وإعلان التسليم في الجهات الأخرى ؟ . . .

لا لا أيها الصديق . . . إذا كان بصرك قد كُف ، فهناك كثير من حواسك وأدوات إدراكك وإنتاجك ونشاطك لا تزال لديك صالحة للاستعمال والاستغلال وحسن التعويض ، والمعمول على براعتك وفتنتك ومحاولتك .

عندك يا صاحبي حاسة اللمس ، تستطيع بها الكثير والكثير ، وإن من وراء أصابعك عيناً تبصر وترى ، فأنت بهذه الأصابع تستطيع أن تكتب وأن تقرأ وأن تميز بين مختلف الأشياء . . . ويد الضرب وراء ما عين ترى . . .

ألا تعرف يا صاحبي أن هناك من المكفوفين من يستطيع أن يعرف عن طريق اللمس باليد نفسيات من يلمس أيديهم ، وأن يعرف أن صاحبة هذه اليد شقيقة لصاحبة تلك اليد ؛ إلى غير ذلك من غرائب اللمس . . .

وعندك حاسة السمع تستطيع أن تدرك بها الكثير ، وأن تحصل بها الكثير ، وأن تتغف عن طريقها بالكثير .

وعندك حاسة الشم يمكنك أن تأتي عن طريق تدريبها وحسن استغلالها بالعجائب والفرائب ، ولعلك سمعت عن ذلك العالم النباني المكفوف البصر الذي يستطيع أن يميز بين الآلاف من أنواع الأزهار والرياحين عن طريق لمسها وشمها . . .

وهل جاءك نبأ المكفوفين الذين يقرأون بالسنهم أو بشفاهم - على طريقة (برايل) ؟ تلك الطريقة الخاصة بقراءة المكفوفين وكتاباتهم .

لا يجران بخاطرك أبداً أنك فقدت كثيراً ، فقد ذهب منك القليل ، وبقي بين يديك
الجليل ، وأنت بحسن تصرفك واستغلالك تجعل نفسك وغيرك لا يحسون بأنك فقدت
شيئاً ؛ فلا تيأس وحاول . . .

لقد كان أجدادنا العرب يسمون المكفوف باسم « البصير » ولعل ذلك كان منهم
تفاؤلاً وتيمناً ، كما سماوا المهلكة « مفازة » ، والدبغ « بالسليم » ؛ وأكاد الملح في تسمية
المكفوف باسم « البصير » رمزا إلى التحريض على المحاولة وعدم الاستقامة العاجزة لذلك
النقص الحسى المحدود ؛ وإن المكفوف البصير ليستطيع بنشاطه ومثابرته أن يكون « بصيراً » ،
يبصر بيديه ، ويبصر بسمعته ، ويبصر بشمته وذوقه . ويبصر بقلبه وروحه ؛ وصدق القرآن
الكريم : « فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور » .
أيها الصديق المكفوف البصير . . . لا يزال الطريق أمامك مفتوحاً ، ولا زالت قدماك
قادرتين على الخطوات ، فلا تكف عن المسير . . .

أحمد الشرباصى

المدرس بالأزهر الشريف

الكتاب

قال أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ .

ما رأيت بستاناً يحمل في ردن ، وروضة تنقل في حجر : ينطق عن الموتى ، ويترجم
عن الأحياء . ومن لك بمؤنس لا ينام إلا بنومك ، ولا ينطق إلا بما تهوى . آمن من الأرض ،
وأكتم للسر من صاحب السر ، وأحفظ للوديعه من أرباب الوديعه . ولا أعلم جاراً آمن ،
ولا خليطاً أنصف ، ولا رفيقاً أطوع ، ولا معلداً أخضع ، ولا صاحباً أظهر كفاية وعناية
ولا أقل إملالا ولا إبراما ، ولا أبعد مرأه ولا أترك لشغب ولا أزهد في جدال
ولا أكف عن قتال . من كتاب .

غزوة بنى قريظة

« لا تقطعن ذنب الاعمى وتركها ،

فقض يهود بنى قريظة العهد الذى بينهم وبين محمد صلى الله عليه وسلم فى غزوة الخندق ، فكانت طعنة من الخلف لا تأتى من شجاع .

فقضوا العهد فى وقت كان الرسول فيه واجها لعشرة آلاف من أعدائه جاءوا من كل مكان للقضاء عليه ، وكان مطمئنا إلى ما بينه وبينهم من ميثاق الأبحار بوجه ولا يظاهروا عليه .

ولقد كان اليهود الخونة على أهبة النزول إلى المدينة والفتك بالمسلمين ونسائهم وعيالهم لولا لطف الله ، فكان ما دب فى صفوف الأحزاب من خلاف بما دعاهم إلى الارتحال . . وبذلك فوت الله عليهم سوء نيتهم ، فكان لا بد من القضاء على بنى قريظة بما صنعوا ، فأمر الرسول مؤذنا فأذن فى الناس : من كان سامعا مطيعا فلا يصلين المصر إلا ببني قريظة .

وأرسل عليا فى المقدمة حاملا اللواء وكان على حاله من يوم الخندق ، واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم .

وحاصر المسلمون بنى قريظة وهم فى حصونهم ، وهذه الحصون لم تكن بالشكل الذى نعرفه ، وإنما هى منازل تتنازع عن غيرها بضخامة الجدار وارتفاعه . وكان مع اليهود حبي بن أخطب وفاء بوعدة لهم فى غزوة الخندق ^(١) .

واستمر الحصار خمسة وعشرين يوما كان القتال فيها تراشقا بالنبل والحجارة ، وكان الحصار شديدا محكما لم يجرؤ معه أحد من اليهود أن يخرج من حصنه .

(١) حبي بن أخطب هو الذى دبر فكرة جمع الأحزاب وألب الألوفا المؤلفة على الإسلام وصاحب رسالته ، فلما رأى حيلة الأحزاب وتردد أمام الخندق ذهب إلى بنى قريظة ليستميلهم إلى جانبه فينقضوا عهدهم مع النبي صلى الله عليه وسلم ، ووعدهم أن يبقى معهم إن رجعت الأحزاب ولم يصيبوه .

ولما أدرك كعب بن أسد - سيد بني قريظة - أنهم واقعون لا محالة في يد المسلمين ، عرض على قومه حلا لهذا المأزق وحققا للدماء أن يعلتوا لإسلامهم ، فرفضوا وقالوا : لا نفارق حكم التوراة ولا نسقبدل به غيره .

فعرض عليهم أن يقتلوا نساءهم وبناتهم وأن يخرجوا إلى محمد وأصحابه رجالا مصلتين السيوف لم يتركوا وراهم ما يخشون عليه حتى يحكم الله بينهم وبينه ، فإن هلكوا لم يتركوا وراهم نسلا يخشون عليه ، وإن ظفروا اتخذوا النساء ورزقوا الولد .

فرفضوا ذلك أيضا وقالوا : نقتل هؤلاء المساكين ! فآخير العيش بعدم ؟ فعرض عرضاً آخر قائلاً : إن الليلة ليلة السبت وإن عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمونا فيها فارتدوا لعلنا نصيب منهم غرة .

قالوا : نفسد سبتنا ! ونحدث فيه ما لم يحدث فيه من كان قبلنا ؟ وقر رأيهم على أن يرسلوا شأس بن قيس إلى الرسول ﷺ يعرض عليه أن يرتحل بنو قريظة عن المدينة إلى أذرعات بالشام تاركين وراهم ما يملكون .

فأبى رسول الله وهو الفاتل : « لا يلدغ المؤمن من جحر مرتقين » .

والمرة الأولى كانت مع يهود بني النضير ، الذين غدروا بالرسول بعد أن فرغ من غزوة أحد ، فدبروا مكيدة لقتله عليه الصلاة والسلام ، غير أن الله حفظه إذ كشف له ما يبتو ، فبعث إليهم أن يخرجوا من بلادى فلا تساكنتى بها ، وقد هممت بما هممت من القدر ، وقد أجلتكم عشرا فن روى منكم بعد ذلك ضربت عنقه .

وخلاصة الامر أن يهود بني النضير خرجوا ولم يتركوا وراهم إلا السلاح .

غير أنهم ما لبثوا أن انقلبوا على الرسول بعشرة آلاف مقاتل حرضوم عليه من كل مكان في غزوة الخندق . وهذا هو السر في رفض الرسول طلب يهود بني قريظة أن يرتحلوا إلى الشام .

فبعثوا (أى يهود بني قريظة) إلى الرسول أن ابعث إلينا أبا لبابة نستشيره في أمرنا ، وكان أبو لبابة مناصحا لبني قريظة وهو من الأوس وكان بنو قريظة عالفين لهم .

فأرسله النبي صلى الله عليه وسلم إليهم فقاتلوا : يا أباالبابة، أترى أن فنزل على حكم محمد ؟ قال : نعم ، وأشار بيده الى حلقة (يعنى أنه الذبح) .

فاستنجد بنو قريظة بالأوس حلفائهم أن يشفعوا لهم لدى الرسول، فعرض عليهم أن تختار بنو قريظة رجلاً من الأوس ليكون حكماً . فاختاروا سعد بن معاذ لذلك ، وكان في هذا الوقت جريحاً اثر معركة الخندق . فذهب جماعة من المسلمين لإحضاره من المسجد حيث كان يداوى في خيمة رفيعة التي كانت تستقبل الجرحى من المسلمين .

فلما قدم أخذ من الطرفين عهداً باحترام حكمه والنزول عليه ، ثم حكم بأن يقتل الرجال، وتقسّم الأموال ، وتسبي الذراري والنساء .. فلما سمع الرسول ﷺ هذا الحكم قال : «والذي نفسى بيده ، لقد رضيت بحكمك هذا أفعه والمؤمنون وبه أمرت ، ثم خرج إلى سوق المدينة وأمر لحفرت بها خنادق ثم جيء باليهود فضربت أعناقهم ودفنوا فيها وكانوا حوالى السبعمائة . وهكذا كان جزاؤهم مثل ماعرضوا المسلمين له لو انتصرت الأحزاب في واقعة الخندق »

محمد جمال الدين محفوظ

السؤال عن العلم

مما أثر عن حكماء هذه الأمة في طلب العلم والسؤال عنه الكلمات الآتية :

- خير خصال المرء السؤال .
- إذا جلست إلى عالم فسل تفقهاً ، ولا تسل تعنتاً .
- قال الحسن البصرى : من استترعن الطلب بالحياء لبس الجهل سرباله .
- وقال : إني وجدت العلم عثاناً بين الحياء والستر .
- قال الخليل بن أحمد : منزلة الجهل بين الحياء والألفة .
- قال علي بن أبي طالب : قرنت الهية بالتحية ، والحياء بالحرمان .

القصاص في الاسلام

كتاب جديد ألفه العالم الفاضل الأستاذ أحمد الشرباصي ، وللاستاذ الشرباصي مؤلفات كثيرة ، كان من حسن الحظ أن طالعنا كلها إبان ظهورها ، ولكنني حين قرأت هذا الكتاب وجدته يختلف عما ظهر للدولف قبله من كتب ، ووجدتني شديد الرغبة في التحدث عنه .

وأول ما يطالعك من محاسن الكتاب ما يبدو فيه من المجهود الكبير المبذول في تدوين مباحثه ، وهذا العدد الضخم من المراجع القديمة والحديثة التي استعان بها المؤلف ، وأحسن الأخذ منها .

ولقد رأينا بعض المؤلفين المحدثين يسطون على ما كتبه الآخرون ، وينقلونه نقلاً دون تبصر أو زيادة عليه ، حتى دون أن يذكروا ما لاصحابه من فضل ، ولكن الشرباصي نظر في هذه المؤلفات ، وأحاط النظر فيها ، وناقش بعض الآراء ، وانتهت به المناقشة إلى تأييدها حيناً ، وإلى مخالفتها حيناً آخر ، مع إقامة الدليل ، وتوضيح الحجج ، في التأييد أو المخالفة .

وليس عيباً أن نأخذ عن غيرنا ، ولكن العيب أن نأخذ عنهم وتجاهلهم ، ونوم الناس أن هذه آراؤنا وثمرة بحثنا وتفكيرنا ، أو ننقل عباراتهم دون أن نمنع النظر فيها ، ونميل بين الآراء ، ونضيف إليها جديداً ، وهذا ما يرى منه الأستاذ أحمد ، فهو يسند الرأي لصاحبه ، ويؤيده أو يعارضه بالبرهان العلمي السليم ، ولعمري إن هذا هو المنهج الحق في البحث والدرس .

والكتاب يتحدث عن موضوع خاص من موضوعات الفقه الإسلامي ، وقد يكون من الإنصاف أن نقول : إن المؤلف وفي هذا الموضوع حقّه من كل نواحيه ، وحشد فيه من آراء السابقين والمعاصرين ما جعله - فيما أرى - مرجعاً في هذا الموضوع .

وقد أعجبتني في هذا الكتاب مباحث كثيرة ، ولكنني وقفت - بخاصة - عند حديثه عن عقوبة الإعدام ، وهرض آراء المعترضين عليها ، والمؤيدين لاستمرارها ، وكان من حسن تأنيبه رده - في مقدمة الكتاب - على الداعين إلى علاج المجرم بدلاً من عقابه ،

لأن المجرم - زعموا - أحوج إلى العلاج منه إلى العقوبة ، فرد المؤلف على هذه النقطة بالذات بأن الإسلام كله وحدة ، وأنه يجب ملاحظة أصوله كلها دفعة واحدة ، فإنه أدق نظام لحياة جماعة فاضلة ، فلا ينظر إليه - فقط - من بعض الزوايا ، وتفغل تعاليمه الأخرى ، فيكون الخطأ ، وتكون البلبه في الآراء والنظرات ، وذلك حيث يقول : « والإسلام لا يضيئ ذرعا بتيسير الأسباب لملاج المجرم إذا أمكن الجمع بين علاجه وعقابه المشروع ، ولو تذكرنا أن الإسلام كل لا يتجزأ ، وأنه يجب الأخذ به في جميع النواحي حتى يمكن خلق المجتمع الإسلامي المنشود ، وأنه قد اشترط للمجتمع شروطا كثيرة كالمداة والمساواة والأخوة والتعاون والإحسان والتكافل الاجتماعي بشئى صوره ، وأنه يعتبر اختلال هذه الشروط بابا لاعتبار الشبهة في الجريمة .

أقول لو تذكرنا ذلك لأدركنا أن الإسلام لم يفته الاحتياط لمثل هذه الثغرات أو الدوافع التى يتحدثون عنها ، وأنه قد عالجاها وقطع الطريق عليها قبل أن توجد أو تولد ، وكان الإسلام يأخذ في هذا المجال بالنظرية القويمة المسئلة « الوقاية خير من العلاج » . هذا . وإن كنت أخالف الأستاذ في أن القائل بلغ حالة لا يصلح معها للنهذيب .

والكتاب جذاب لا يكاد قارئه يبدأ فيه حتى يجد في نفسه رغبة ملحة في مواصلة القراءة . ومرجع ذلك - عندى - أن المؤلف لم يقصره على الأحكام الفقهية التى لاتلذ قراءتها إلا لذوى الميول الخاصة ، وإنما جعل ينتقل من فقه إلى أدب إلى تاريخ إلى لغة إلى بيان ، مع أسلوب واضح ، وعبرة سلسة ، وعرض جذاب ، وأفكار مقسقة .

وعما أعجبنى في الكتاب ، هذه البحوث المستفيضة في الموازنة بين الآية الكريمة (ولسكن في القصاص حياة) والقول العربى المشهور (القتل أنفى للقتل) فقد وفى البحث حقه ، وجمع كل ما قيل فيه أو أكثره ، وأضاف إليه من عنده جديدا ، أعجبنى منه المقارنة بين النصين من الناحيتين النفسية والا ، جناعية ومما قاله عن الأولى : « ومن الفروق بين الآية والمثل أن الآية صدرت بلفظة (القصاص) والقصاص إنصاف ، والنفس البشرية تحب هذا الإنصاف وتبحث عنه ، وتعجب به ، ونهتف لمحققه ، وفى الآية كذلك كلمة (الحياة) والحياة كلمة عميقة جذابة . .

ومما قاله في الناحية الثانية : « ومن الفروق الاجتماعية أن المثل عند سماعه يثير في نفوس الجماهير مشاعر الانتقام ، وأحاسيس النار ، ويحرك فيهم الميل إلى السزال والقتال للوصول إلى القتل . . . وأما الآية الكريمة فإنها تقف بالجماعات كما تقف بالافراد على بابي الرغبة والرغبة ، تصدم — رغبا ورهبا — عما لا يليق بهم من الاعتداء على حياة فرد أو جماعة . »

• • •

ولا ينبغي الإعجاب بالكتاب ، واللحظات الممتعة التي قضيتها في قراءته من مراجعة مؤلفه في بعض الأمور ، فالإخلاص للحق يدفعنا إلى المحاسبة ، وليس المؤلف ولا الناقد ليس واحد منهما ملصكا لنفسه ، وإنما هما — ومعهما النص المنقود — ملك الجماعة .

علل المؤلف اختيار كلمة القصاص في الآية الكريمة ، وإثارتها على كلتي (النار) و (القتل) بأن : « النار يذكر بالدم والعداوة والاحتقاد والإسراف ، وبأن القتل أيضاً « يذكر بإزهاق الروح والطرود واللعن ، أما القصاص ففيه « مساواة وعدل وإنصاف » . وقد علل الأستاذ مصطفى صادق الرافعي إثارة كلمة القصاص على كلمة القتل بقوله : (من إعجاز لفظة القصاص هذه أن الله تعالى سمى بها قتل القاتل ، فلم يسمه قتلًا كما فعلت الكلمة العربية ، لأن أحد القتيلين هو جريمة واعتداء ، فزوه — سبحانه — العدل الشرعي حتى عن شبهة بلفظ الجريمة ، وهذا منتهى السمو الأدبي في التعبير) .

وأقول : إن الأستاذ المؤلف قد رمى بعيداً ، وكذلك فعل الرافعي - رحمه الله - من قبل ، ولعل أقرب طريق للبرهنة على ذلك أن نذكر تعاريف الكلمات الثلاث لئلا نرى أنه لا تصلح إحدى اللفظتين - لغويا - مكان كلمة القصاص .

(فالقصاص) معناه الأصلي المساواة والتعادل كما ذكر المؤلف ، وهو - كما ذكر الرافعي - يشمل أخذ الدية والعتق وغيرهما ، أو بمعنى أدق هو معاقبة الجاني بما جنى فيشمل القتل بالقتل والجرح بالجرح . و (النار) له تعاريف نقلها المؤلف عن كتب اللغة ، فهو الدم أو الطلب بالدم ، أو القاتل أو الطالب بالدم ، وأما (القتل) فهو إزهاق الروح ، أو كما يقول الأصفهاني في مفرداته : إزالة الروح عن الجسد كالموت . فواضح أن كلمة النار لا تؤدي معنى كلمة القصاص ، وكذلك كلمة القتل ، فاختيار القصاص إنما هو للفوارق اللغوية .

ويسوق المؤلف قول المفسرين لقوله تعالى : « ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل إنه كان منصورا » ثم يذكر تفسيرين آخرين ، يرى أن الآية تحتملهما ، وهما - فيما يقول - من نظره الخاص ، وأرى أن أحدهما غير صالح ، فهو يقول : « واجب على القاتل الأول أن لا يقدم على القتل ، وأن لا يسرف في هذا العدوان وهو الاعتداء على النفس المحرمة حتى لا يناله ذلك العقاب الاليم ، وهناك قراءة تؤيد ذلك وهي « فلا تسرف ، أى يأبى القاتل لا تسرف في القتل ولا تقدم عليه بهذه الجرأة ، فيكون ذلك نهيا عن القتل ابتداء - لأننا جعلنا لورثة من تقتله أبى القاتل المعتدى سلطانا رادعا بالقصاص هو القصاص ، ولأنه كان منصورا بمعونة الساطان ، ومساعدة جماعة المسلمين ، .

وواضح أنه يجعل الضمير في قوله تعالى : « فلا يسرف ، للقاتل ، وفي قوله عز وجل : « إنه كان منصورا ، لولى الدم ، وذلك لا يتفق مع نص فصيح ، بله القرآن الكريم ، على أنى لا أدري من أين جاءت النصرة (بجماعة المسلمين) .

وقد ذكر المؤلف في صلب الكتاب أن يهود كانوا يوجبون قتل القاتل ، ولا يرضون الدية ، وأن المسيحيين كانوا يوجبون أخذ الدية لا غير ، ثم ينقل في هامش الصفحة نصوصا تدل على أن أهل التوراة كان عندهم القصاص أو العفو ، وأن أهل الإنجيل كان عندهم العفو لا غير ، ثم يترك هذا الأمر دون أن يلتقي عليه أضواء التحقيق والترجيح ، بل أن ينبه على هذا الاختلاف ، حتى لربما ظن القارىء العادى أن ما في الهامش يؤيد ما في صلب الكتاب ، وليس يكفى في البحث المتخصص أن يذكر مثل هذا التعارض ، بل لابد من التحقيق مهما كلف الباحث من مشقة وجهد .

وقد دعت كثرة النقول التي حرص عليها المؤلف إلى أن يكرر المسألة الواحدة ؛ فهو يذكرها أولا ثم يعيدها في نص من النصوص ، وقد يعيدها في نص أو نصوص أخرى ، وكان واجب الاقتصاد العلمى يقتضيه أن يقتصر من كل نص على الجديد فيه ، لا سيما في القضايا المشهورة ، فإذا كانت القضية تحتاج إلى تدعيم وتأكيد ، يذكر أكثر من نص ، أمكن أن يقتصر على أوفى النصوص ، ثم يشير إلى العلماء الذين يؤيدون هذا الرأى ، وإلى كتبهم - إذا شاء - التي وردت فيها نصوص مشابهة .

وعندى أن من عيوب الكتاب جنوح المؤلف إلى الوعظ والإرشاد حتى دعاه ذلك إلى

أن يثبت خطبة ألقاها في مسجد من المساجد في يوم الجمعة ، والذي أراه وجوب إخلاء البحث العلمى من مثل هذا الأسلوب ، والاقتران على تبيان الآثار السيئة التى تترتب على مجاوزة حدود الشرع ، دون إلباس هذا البيان الثوب الوعظى .

وقد ذكر المؤلف فى سبب نزول قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى ... الآيتين) أنهما (نزلتا فى مقتل سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه ، حينما بلغ الحزن برسول الله مبلغه بقتله ، فتوعد الرسول قاتليه بأن يبطش بهم ويثأر له فى توسع ، فنزل القرآن بأمر بالعدل والإنصاف والقصاص بلا اعتساف) .

وكنت أحب أن يلقى الأستاذ نظرة فاحصة على هذا الكلام ، فإن الذى يبدو لأول وهلة أنه غير مقبول - وهو كذلك - ذلك أن حمزة رضى الله عنه قتل فى غزوة أحد ، بيد كانت كافرة ، فى حرب مشروعة ، فإذا توعد الرسول بأن يبطش بقاتليه لم يكن مما يترك عليه ، وليس ما يفعله بالكفار فى حرب أخرى مما يدخل تحت القصاص ، ولئب أن يبالغ فى تقتيلهم ، وإذلالهم ، وليس فى ذلك ما ينهى عنه ، مادامت آداب الحرب مرهية ، ولعل لا أبالغ أن هذا الأمر يكاد يكون بديها ، فكيف مر على المؤلف دون أن يأتى إليه بالا ١٤

• • •

وبهذه المناسبة أذكر أن أكثر العلماء السابقين على أن كلمة (حياة) فى الآية التكرية ، تشمل أنواعا من الحيوانات ، حياة القاتل ، وحياة المهدوم بقتله ، وحياة ذويهم ممن كانوا سيقتلون لو لم يشرع القصاص ، كما هى العادة من تعديهم القاتل إلى غيره من ذوى قرابته ، وفى ذلك يقول الطبرسى فى تفسيره (مجمع البيان) : « فيه قولان : أحدهما أن معناه فى إيجاب القصاص حياة ، لأن من هم بالقتل فذكر القصاص ارتدع ، فكان ذلك سببا للحياة ، عن مجاهد وقتادة ، وأكثر أهل العلم ، والثانى أن معناه : لكم فى وقوع القتل حياة لأنه لا يقتل إلا القاتل دون غيره بخلاف ما كان يفعله أهل الجاهلية الذين كانوا يتفانون بالطوائف ، من السدى ، والمعنيان جميعا حسنان ، .

فالقصاص سبب فى حياة من بهم يقتل لإنسان ، ثم يتذكر أنه سيقتل فيرجع ، وسبب لحياة المهدوم بقتله ، وسبب لحياة آخرين ، لأنهم كانوا يقتلون غير القاتل ، والجماعة بالواحد ، فالتتوين للتعظيم ، إذا أريد أنهم كانوا يقتلون الجماعة بالواحد ، أى لكم

في القصاص حياة عظيمة ، قال الزمخشري : « وكُم قتل مهمل بأخيه كليب حتى كاد ينفى بكر بن وائل ، أو يكون التوين للنوعية ، أي نوع من الحياة ، « وهي الحياة الحاصلة بالارتداع عن القتل لوقوع العلم بالاقتصاص من القاتل ، لأنه إذا لم بالقتل فعلم أنه يقتص منه ، فارتدع سلم صاحبه من القتل ، وسلم هو من القود ، فكان القصاص سبب حياة نفسين ، كما يقول الزمخشري في كشافه .

لكن بعض الباحثين المحدثين يرى أن تنكير حياة ، جاء لأن الذي يحيا بالقصاص فريق خاص من الناس وهم المهموم بقتلهم ، أما القاتل فلا يستفيد من القصاص حياة ، ويقول : إن بعض وجوه الإعراب أصبحت شبهات دينية ، وإن بعض العلماء فهموا اللغة فهما آلياً عضاً ، فأعان كل ذلك على جريرة كبيرة هي ترك مواجهة الصورة اللغوية والفنية ، ودليله على ذلك أن التنكير في حياة لا يفيد أن غير المهموم بقتله يستفيد حياة من القصاص — كما زعم العلماء — وفي ذلك يقول : « لما كان الإنسان إذا علم أنه إذا قتل قتل ارتدع بذلك عن القتل فلم صاحبه صارت حياة هذا المهموم بقتله في مستأنف الوقت مستفادة بالقصاص ، وصار كأنه قد حي في باقي عمره ، وإذا كان المعنى على حياة في بعض أوقاته وجب التنكير .

ثم إن الحياة لا يستفيد منها الجميع ، إذ ليس بواجب ألا يكون إنسان في الدنيا إلا وله عدوهم بقتله ، ثم يردعه خوف القصاص ، فمن لم يهم إنسان بقتله فكفى ذلك لهم ، فليس بمن حيي بالقصاص ، والذي لم بالقتل فلم يقتل خوف القصاص لم يستفد حياة ، وإنما الذي استفاد المقصود قتله ، ذلك أن هذه الحياة إنما هي لمن كان يقتل لولا القصاص ، وذلك محال في صفة القاصد للقتل ، فهو ينكر أن يكون من لم بالقتل فلم يقتل ، بمن حيي بالقصاص ، هذا الذي عليه مجاهد وقتادة وأكثر أهل العلم .

والسر في هذا الإنكار أنه لم يعن النظر ، فلو دوى أن المراد : ولكم في مشروعية القصاص حياة ، لما وقع فيما وقع فيه ، إذ فهم من القصاص وقوع القتل على القاتل ؛ وهو نظر ضيق ، لأن كلمة القصاص معرفة بأل التي تجعلها كلمة عامة ، أي لكم في هذا الجنس من المقربات حياة ... والمعلم كله .

كلنا سواء !!!



قالت ساعة لأختها : أنت من الذهب الخالص وأنا من المعدن الرخيص ، ولكننا مع هذا نسير معاً ونساوى في بيان الأوقات . وكذلك نحن البشر فينا الفنى المترف الذى ولد وفى فمه ملعقة من الذهب الإبريز كما يقول الإنجليز ، وفينا الفقير المعدم الذى استقبل الحياة فى كهف مظلم وخرقة بالية ، ولقمة عيش بغير إدام ، ولكن هذا الفقير يستطيع أن يقول لهذا الفنى ما قاله الساعة الرخيصة لأختها الثمينة : يجب أن نعيش معاً ونعمل معاً لآتى فى قبرى وقيامى بعمل أخدم المجتمع مثلما تخدمه أنت فى غناك ! !

وقرات قصة طريفة خلاصتها أن بعض السلاطين علم أن ابنه الأمير الوحيد يريد أن يكون خياطاً يقضى كل وقته فى صنع الملابس للفقراء والمحتاجين ، فغضب السلطان وأحضر الأمير وقال له : كيف تكون أميراً وتعمل خياطاً ؟ هذا طار لا أقبله أبداً ، فقال الأمير : ولكن الخياط يا أبى لا يقل أهمية عن السلطان ! فازداد غضب السلطان وقال لابنه : إذا استطعت أن تثبت لى أن الخياط نافع كالسلطان تركتك تفعل ما تشاء ، وإذا لم تستطع فلن أسمح لك أبداً بممارسة الخياطة مدى الحياة ، وأمامك عام كامل لتأثني فيه بالبرهان والدليل ! فارتدى الأمير ثياباً قديمة ووضع الإبرة والخيط واللقص فى منديل قديم وسار حتى وصل إلى دكان خياط وعرض عليه أن يعمل عنده فوافق وأخذ الأمير يعمل عنده ثلاثة أيام ، ولكنه فى آخر اليوم الثالث أبدى رغبته فى ترك العمل والانصراف ، فأراد الخياط أن يستبقه لأن عمله حسن وخلقه جميل وسلوكه طيب ، إلا أن الأمير أصر على الرحيل ، ودعا الخياط إلى وليمة كبيرة يقيمها فى البساتين العامة بعد ستة أشهر فوعده بتلبية الدعوة . وانصرف الأمير وذهب إلى خياط آخر وعمل معه ودعاه إلى وليمة ، وهكذا فعل مع غيره . وما انتهت الأشهر الستة حتى كان قد عمل مع جميع الخياطين فى المدينة ودعاهم جميعاً إلى الوليمة ، وأخذتهم الدهشة عندما رأوا العامل الذى تنقل بين حوائنهم ليكون خياطاً هو الأمير نعمان الذى يرتدى ملابس الأمراء . وبعد ما أكلوا وشربوا قال لهم : يسرنى أن

أدعوك إلى نزهة طويلة تستغرق ستة أشهر تقضيها في البحار على ظهر باخرتي العظيمة ،
فلبوا طلبه وساروا منتقلين في البحار .

فلما رجعوا إلى المدينة بعد انقضاء الرحلة وجدوا أهلها جميعاً في ثياب رثة قديمة ممزقة ،
وهم يصيحون ويصرخون : أين كنتم ؟ نريد ملابس جديدة . وذهب الأمير إلى القصر
فوجد السلطان حزينا ، ولما رآه قال : لقد بليت ملابسى الملكية وأصبحت غير لائقة
بسلطان عظيم مثلى فأبستم نعمان وقال لآييه : أرايت الآن يا أبى كيف كانت نتيجة اختفاء
الخطاطين من المدينة ؟ فقال السلطان باسماء : الحق معك يا بنى ، لقد تأكدت الآن أن الخطاط
لا يقل أهمية عن السلطان ! ومن ذلك اليوم والأمير نعمان يحيط الملابس للفقراء والمحتاجين
وهو مسرور سعيد ؟

هذه قصة جاء بها الخيال من غير شك ، ولكن الحقيقة واضحة في مراميها ومعانيها ،
فالامة تتكون من أقاليم ، والإقليم يتكون من عدة بلاد ، والبلد مؤلف من أسر ، والأسرة
تألف من أفراد ، ولكل فرد في الامة بل في الحياة مهمة يقوم بها وعمل يؤديه ، فكل عمل
يقوم به المواطن عظيم ، وإن بدا في عين الأغرار حقيراً مهيئاً ، فلقد أضرب الكناسون يوماً
عقب بعض الأعياد الكبرى في القاهرة ، فلا تسلم عمادهم الشوارع من القمامة ، وأزكم الأنوف
من الزهومة ، وأقضى العيون من بشاعة القاذورات ؟ وقلنا : يا لله ، أيؤدى الكناسون
للمدينة هذه المهمة الكبيرة : فإذا يحدث إذن لو أضربوا أسبوعاً أو عشرة أيام ؟ ثم لماذا
أكتب هذا ؟ لأن بعض الكبراء عندنا يتعالون على بعض العمال كأنهم ليسوا مثلهم لآدم
وحواء ، ويتعامون عن حقوق الخدم كأنهم من ذهب إربز وهؤلاء من طين جاف ،
مع أن الله تعالى يقول : يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها
زوجها وبث منهما رجالا كثيراً ونساء واتقوا الله الذى تسامون به والارحام إن الله
كان عليكم رقيباً .

محمد محمد بكر هلول

رئيس اتحاد خريجي الأزهر بمديرية جرجا

دعوة الاسلام

هي دعوة القوة والسلام

استقبل الرئيس جمال عبد الناصر الايام الاولى من رمضان ، وهو يتنقل بين مختلف الاقطار من أعماق هذا العالم الاسلامي ، فشاهد بعينه أثر دعوة الإسلام في مئات الملايين من قلوب أهله التي أعلن الاستعمار فشله وعجزه عن تحويل قوة إيمانها إلى ضعف ، وعن إحالة فطرتها السليمة الطيبة إلى ما أرادها لها المستعمرون من فساد ، فكان من إلهامات المعاني السامية التي يوحى بها رمضان إلى أهل البصيرة ، ومن بقايا معاني الخير التي تزخر بها قلوب مئات الملايين من المسلمين ، هذا البيان البليغ الذي خاطب به الرئيس جمال عبد الناصر إخوانه المسلمين في مصر والوطن العربي والعالم الإسلامي :

في أخريات القرن السادس الميلادي ، وقبل أن يغمر نور محمد ، الرسول (صلوات الله عليه) أرجاء البشرية ، كان العالم في الشرق والغرب ، في الشمال والجنوب ، يتعثر في خطا الرجعية ، ويئن من وطأة الجور والاستعباد ، ويعد كثيرا عن تعاليم المسيحية السمحة ، ويمكف معظمه على عبادة الوثن ، ويعبد بعضه النار أو الكوكب السيار .

فشعوب بأسرها تستذلها فئة من الرجال قد يلقبون بالباطرة حيناً ، والقيصرة حيناً آخر ، وعوالم بمجموعها تفضلها فئة أطلقت على نفسها رجال الدين ، واتخذت من هذا اللقب ستارا تتوهم به هذه الجماهير حتى لا تفيق من سباتها ، وتزج العصائب عن أبصارها .

وحروب بعضها في أثر بعض تثار إشباعاً لنهمة الغزو والفتح فحسب ، حتى بات العالم على شفا الهاوية ، وكادت تدور عليه الدائرة . ولكن رحمة الله التي وسعت كل شيء قضت ولاراد لقضائها أن تهدى هذا العالم الضال ، وترده إلى الهداية والاستقرار ، فاختارت محمدًا ، العربي اليتيم الفقير الناشئ في جوف الصحراء ليكون النبي الملهم ، والرسول الموحى إليه ، لهدى البشرية إلى السلام والطمأنينة ، وإلى التراحم والتعاون ، والإيمان واليقين .

وكانت رسالة من أشق الرسائل وأخطرها في هذا الجو العاصف الذي كان يجتاح العالم حينذاك ، ولهذا التخلف المزرى الذي اتسم به البشر آنذاك ، ولكن الخلق العظيم الذي تخلق به الرسول الكريم ، والصبر الجميل الذي تحلى به طوال حياته ، والقوة الحارقة في الإعداد والتنظيم ، وما كان يمتاز به من بلاغة ومنطق سديدين ، كل أولئك مكن لرسالته وأصل لدعوته ، فأمنت به هذه الملايين من البشر إيماناً زاخراً لا يخبو ولا يفتر .

ولقد استطاع الرسول الكريم أن يجعل دعوته مثلاً لكل الدعوات ، ومناراً لمن أتى بعده من المصلحين ، فقد كان خاتم الأنبياء ، وآخر الموحى إليهم من المرسلين ، لجعل من حياته دستوراً للحاكمين ، ومن سيرته نوراً يهتدى به الأحياء على مر الأجيال والأعوام . لقد كانت حياته متناهية في البساطة ، غاية في السمو والرفع ، فعاش فقيراً ومات فقيراً ، وكان في ذلك مضرب الأمثال .

وكانت سيرته حافلة بألوان التضحيات فضحى بنفسه مرات ومرات ، ضحى بها عند إعلان دعوته ، وإصراره عليها ، وعدم الرجوع عنها ، على قلة الناصر والمعين ، وضآلة المال والنسب ، وضحى بها في الغزوات التي دافع فيها عن كيانه بل كيانه دعوته .

وكانت دعوته من أقوى الدعوات لأنها لم تجعل حجاباً بين العبد وربّه ، ولا وساطة بين الإنسان ومعبوده ، فاقه أقرب إلى مخلوقه من جبل الوريد ، فقضى هذه الدعوة على كل وساطة وكهاة وأدعاء . وبساطة الدعوة كانت العامل الأول في هذا القرب المعجيب : فكل إنسان يستطيع في سر أن يفهم مرامي الدين ، ويقوم بفرائضه في غير عنت أو إرهاق .

وأظهر ما في الدعوة الانحداد والتعاون : فالمسلم أخو المسلم ، والمؤمن للمؤمن ، أتى كان هذا المسلم أو المؤمن ، فالفرقة ضعف ، والخروج على الجماعة خذلان .

حقاً أن في الدعوة الإسلامية دروساً وعبراً . فلم لا تتخذ منها واعظاً ومرشداً ؟ لم يشق بعضنا عصا الطاعة على بعض ؟ ولم نفرق في سياقتنا وأهدافنا ومثلنا ؟ لم لا نهتدي بهدي الإسلام عندما فضل الطريق أو تشبه علينا الأعلام ؟ لم يكون بعضنا حرباً على بعض ؟ لم نفساق في سبيل غير سبيل الأخوة الصادقة والعصية المتكافئة والجماعة المتآزرة ؟

ألم تكفنا هذه القرون السوالم التي صرنا فيها إلى حطام ؟ ألم تنل منا العوادم لما كان بيننا من فرقة ؟ ألم نستذل وقد كنا سادة الدنيا وكرامها ؟

أيها العرب ، أيها المسلمون ، أطيعوا الله وأطيعوا الرسول بأن تكونوا يداً على من عاداكم ، مسلمين لمن سالمكم ، ولا تفرقوا ولا تنهوا فأتتم الأعلون ، وليست هذه العبارة ألفظها من الشفاء ، أو يرددها اللسان ، ولكنها تابعة من قلبي المؤمنين إيماناً عميقاً بدعوة الإسلام التي هي (دعوة القوة والسلام) ، فهل تضعون أيديكم في يدي ؟

وهل تلبون هذه الدعوة الحارة من قلب مؤمن بالعروبة والإسلام ؟ ولن يكفيني أن بلغت ، وأشهدت الله على أن بلغت ، ولكنني سأسعى ما حييت بكل ما في من جهد وعزم وإيمان ، لتصبح هذه الدعوة حقيقة لا ريب فيها . والله على ما أقول شهيد .

جمال عبد الناصر

أحاديث الاستاذ الأكبر

وجوب التحرى لرؤية هلال رمضان

السمى لتوحيد القيام بعبادة الصوم في البدء والنهاية

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله : محمد خاتم النبيين ، وعلى آله وأصحابه وكل من اهتدى بهديه العظيم إلى يوم الدين .

أما بعد ، فإنه يصرنا في مطلع هذا الشهر العظيم ، شهر رمضان المبارك ، أن نتوجه إلى إخواننا المسلمين ، في مشارق الأرض ومغاربها ، بالتحية الطيبة والتهنئة الخالصة باستقبال شهر الصيام الذي يجب أن نختم به ، وأن نحكي فيه نزول القرآن الكريم ، الذي أنزله الله لعباده خيرا ورحمة ، وجعله هدى ونورا وشفاء لما في الصدور ، وأرشدنا به تعالى إلى خير الدنيا وسعادة الآخرة ، وبصرهم بنصحه ومواعظه ليطهروا نفوسهم ، ويصلحوا بمبادته شئونهم ، ويأخذوا بأنفسهم في الجادة والطريق القويم .

تحرى رؤية الهلال :

وإن أول ما يجب أن يعنى به المسلمون لاستقبال هذا الشهر العظيم أن ينهضوا لتحرى رؤية الهلال عقب غروب الشمس من اليوم التاسع والعشرين من شهر شعبان ، وأن يبذلوا جهودهم ويتعاونوا في القيام بهذا الواجب الديني الخطير ، ولا يذيق أن يتهاونوا في أمر ترصد الهلال ، ويركنوا إلى الكسل بالاعتقاد على حساب الفلكيين ، فإن إثبات الهلال بالرؤية أمر حتمه الدين الإسلامي الحنيف ، ورسول الله ﷺ يقول : « صوموا لرؤيته ، وأفطروا لرؤيته ، فإن غم عليكم فأكلوا عدة شعبان ثلاثين يوما » .

آلات الرصد الحديثة :

ولقد يسر الله أمر الرؤية في هذا العصر بما اخترعه العلماء من الآلات الحديثة التي يسهل بها كشف الهلال في ليلته الأولى مهما كان صغيرا دقيقا .

وإذا كانت الشريعة لم تفرض على الناس أكثر من تحرى الهلال برؤيته بالعين المجردة ، ولم تحتم عليهم أن يتكلفوا البحث عن وسائل أخرى ، رحمة بهم وتخفيفا عليهم ، فإن ذلك لا يمنع أن تستخدم تلك الوسائل التي تسهل رؤيته والتثبت منه ما دامت موفورة ميسرة .
ينبغي للمسلمين في جميع أقطار الأرض أن ينشطوا لهذا الأمر ، وأن يستخدموا كل ما يستطيعون لرصد هلال رمضان وإثباته بالرؤية ، وأن يهتموا بشريعة الصيام ، التي هي أحد أركان الإسلام .

اهتمام الناس بالرؤية في الماضي :

وإني لاحظ أنه منذ ثلاثين أو أربعين سنة مضت ، كان اهتمام الناس بتعرف الهلال وترصده ، والعناية برؤيته ، أكل وأقوى مما هم عليه في الآونة الحاضرة ، وقد كانت المنارات والمآذن ، في المدن والقرى ، لا تكاد تخلو واحدة منها من جماعة فرغت نفسها ، وأقبلت بوحى من دينها ، لترصد الهلال ، وليكون لها شرف رؤيته والشهادة بثبوته .

إحراز شرف الرؤية :

وإني كنت في هذا العام مصعبا ألزم على الذهاب بنفسى إلى مرصد حلوان قبل الغروب في هذا اليوم (الجمعة) لأحرز هذا الشرف العظيم ، شرف أن أكون من شهود إثبات هلال رمضان ، وعملت من أجل ذلك على الاتصال بمصلحة الأرصاد الجوية ، لأتعرف الأحوال التي قد تثبت هذه الأرصاد عند وقت الغروب من ذلك اليوم ، كما عملت على الاتصال بالقائمين بالأمر في مرصد حلوان ، ليوفروا لى الوسائل الميسرة لرؤية الهلال ، ولكن عارضا قويا حال بينى وبين تنفيذ هذا الذى عزمته عليه ، فعمدت إلى جماعة من العلماء والموظفين في مشيخة الأزهر أن يذهب منهم نفر إلى مرصد حلوان ، وآخر إلى سفح الأهرام ، ونفر ثالث إلى أعلى القلعة ، وسيكونون جميعا مزودين بمعلومات فلكية عن موقع الهلال وميزلته ومدة مكثه فوق الأفق بعد غروب الشمس ، وسيكون أيضا كل فريق مهم بمجهز بمنظار معظم وبآلات حديثة مما يستخدم في المراصد .

وأرجو أن يوفقهم الله لرؤية هلال هذا الشهر المعظم ، كي يتيسر الاتصال بأهل الأقطار الأخرى ، ونعمل على توحيد القيام بهذه العبادة ، عبادة الصوم في البده والنهاية .

والله ولى التوفيق

صوموا لرؤيته...

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله . والصلاة والسلام على سيدنا محمد ، خاتم رسل الله ، وعلى آله وصحبه .

أما بعد ، فإن الرسول العظيم الذي بعثه الله هادياً ورحمة للعالمين ، قد علّمنا ما عليه الله ، وبصرنا بما هدى إليه من هدى الله ، وأرشدنا في شعائر ديننا ، ومقومات عبادتنا ، إلى ما تصلح به وما ينبغي الاعتناء عليه .

وإن من خير ما أرشدنا به الرسول صلى الله عليه وسلم في أمر الصيام ، واستقبال شهر رمضان ، قوله عليه الصلاة والسلام : « صوموا لرؤيته ، وأفطروا لرؤيته ، فإن غم عليكم فأكلوا عدة شعبان ثلاثين يوماً » . فقد ربط ثبوت الشهر بهذه العلامة الحسية ، وعلق وجوب الصوم على تحقق الرؤية البصرية : رؤية الهلال بعد غروب الشمس في اليوم التاسع والعشرين من شهر شعبان ، وهذه الرؤية هي التي تفيد العلم الجازم ، واليقين الذي لا شك فيه بثبوت شهر الصيام .

أما إذا كانت رؤية الهلال في ذلك اليوم مستحيلة طليعة ، بأن كان القمر لم يتم دورته بعد ، أو كان هناك عارض من العوارض الجوية التي تحول دون الرؤية ، فقد أرشد النبي صلى الله عليه وسلم إلى ما يتبع في ذلك ، فأمر بإكمال شعبان ثلاثين يوماً ، ثم لا يكون المسلمون حينئذ في حاجة إلى تفقد الهلال في اليوم التالي لإثبات شهر رمضان .

غير أن هناك أمراً مهماً يجب النظر إليه ، والفصل فيه بحكم يقطع الاختلافات ، التي تقع كثيراً بين أهل الأفطار الإسلامية في اليوم الذي يبدأ فيه الصيام .

ذلك أن بعض هذه الأفطار قد يتيسر لأهلها رؤية الهلال ، في حين أنه تعذر رؤيته على أهل قطر آخر ، فهل يجوز أن يعتمد أهل هذا القطر الثاني على ما يبلغهم من تحقق الرؤية في بعض الأفطار الأخرى ، فيصوموا معهم من أول أيام صومهم ، ويتوحد بذلك مظهرهم في أداء عبادة من أهم العبادات ، وفي إقامة شعيرة هي من أعظم أركان الدين ؟

حقاً أن موقع البلاد على الكرة الأرضية مختلف شرقاً وغرباً ، وشمالاً وجنوباً ، واختلاف هذه المواقع ولا سيما عندما ينظر إليها بالقياس إلى الخطوط الطولية للكرة الأرضية ، يوجب بالضرورة اختلافاً وتفاوتاً في المواقيت ، فتشرق الشمس على قوم قبل أن تشرق على آخرين بساعة وساعتين وثلاث ساعات وأكثر من ذلك على حسب التباعد بين الجهتين شرقاً وغرباً . ولذلك لا يمكن أن توحد مواقيت الصلوات اليومية ، ولا أوقات الإفطار والإمساك في جميع الأقطار الإسلامية ، ما دامت الأوضاع قاضية بتفاوت تلك المواقيت ، وما دام الواقع يشهد بأنه قد يفرغ ناس من الإفطار وصلاة المغرب في يوم من أيام رمضان على حين أن ناساً آخرين لا يكونون قد فرغوا بعد من صلاة ظهر ذلك اليوم ، وأن أهل بلد يمسكون عن الطعام والشراب في فجر يوم ، على حين أن أهل بلد آخر يكونون حيثئذ في وقت الضحى أو الظهر من ذلك اليوم .

لكن اختلاف مواقع البلدان لا يمكن أن يكون له الأثر البالغ فيما يرجع إلى إثبات الالهة ، ولا يمكن أن يكون التفاوت بين الأقطار الشرقية والغربية بمقدار يرم كامل ، فهلال رمضان من هذا العام ربما لا يتمكن بعض أهل الشرق من رؤيته بعد غروب الشمس من يوم الجمعة التاسع والعشرين من شعبان ، لغروبه قبل غروب الشمس عندهم ، في حين يستطيع رؤيته أهل مصر أو أهل تونس أو الجزائر أو مراکش ، فالحلال هو من غير شك هلال جديد : هو هلال رمضان ، كما أن يوم السبت التالي لاشك أنه هو يوم السبت لا يوم الجمعة عند جميع أقطار الأرض . فما المانع من اعتبار أن الهلال الجديد الذي ظهر لأهل المغرب هو هلال رمضان لأهل المشرق أيضاً ؟

إنه لا شبهة في أن الهلال هلال رمضان ، وأنه قد ولد قبل مضي يوم كامل على أهل المشرق الذين لم يروه في أول ليلة ، ولذلك هم يرونه في الليلة التالية أكبر حجماً ، وأعلى في الأفق منزلة عما كان في الليلة الأولى عند أهل المغرب الذين رأوه فيها .

ون هنا اختار كثير من العلماء عدم التعويل على اختلاف المطالع في إثبات الهلال ، وهو ملحظ قوى ووجهة نظر سديدة ، ويزيد ذلك قوة وسداداً أن توحيد بدء الصيام من أقوى العوامل على تمكين الروابط بين الأمم الإسلامية في جميع أقطار الأرض

وجمعهم على كلمة واحدة وطريقة واحدة ، والناس الآن أحوج ما يكونون إلى عوامل التأليف والتقريب وتوحيد الكلمة .

وهذا الملحظ القوي لا يتنافى مع ما دل عليه الحديث : « صوموا لرؤيته ، وأفطروا لرؤيته » ، فإن ذلك خطاب للأمة الإسلامية المتكافلة المتساندة في إقامة شعائر الدين وإيجاب الصوم على المسكفين متى تحققت رؤية الهلال ، فيكفي إذن لإيجاب الصوم على أهل قطر أن تثبت رؤيته ولو في قطر آخر ، فإن الحديث لم يقل : لا يجب الصيام إلا على من رأى هلال رمضان . . . وإذن فلا فرق بين قطر وقطر فيما يرجع إلى ثبوت الهلال ، كما أنه لا فرق بين بلد شرق وآخر غربي في قطر واحد .

هذا ، ولا ينبغي أن يتوهم أن قول الله تعالى : « فن شهد منكم الشهر فليصمه » ، معناه فن رأى هلال رمضان فليصمه ، وأن ذلك يتنافى مع فكرة توحيد البدء بالصيام ، فإن اليهود في الآية ليس معناه الرؤية ، فالأصح والمبصر سواء في إيجاب الصوم ، وإنما هو الحضور ، والمعنى من حضر شهر رمضان وأدرك زمنه في حالة أهليته للتكليف بالصوم ، فعليه أن يصوم .

وخلاصة القول أنه ما دامت مسألة اختلاف المطالع واعتبارها أو عدم اعتبارها محل اجتهاد الفقهاء ، ذلك الاجتهاد الذي اختلفت فيه أنظارهم ، فلا يكون من بدع القول أن يرجح أحد النظريتين على غيره ، ويفصل في المسألة بعدم التحويل على اختلاف المطالع نظراً لما أشرنا إليه من أسباب هذا الترجيح .

نسأل الله للسلمين جميعاً أن يوحد كلمتهم ويجمع شملهم ، ويرفع شأنهم ، ويعز سلطانهم .
واؤه ولي التوفيق والسداد .

عود الى تقرير الرأى

فى مسألة إنبات الالهة

فى حديث الصيام الذى نشرته لنا جريدتنا الالهام والجمهورىة فى أول يوم من شهر رمضان الحاضر — قلنا : إن اختلاف مواقع البلاد على الكرة الأرضية شرقا وغربا له أثر كبير فيما يرجع إلى مواقيت الصلوات اليومية ، وكذلك فى تحديد وقت الإفطار ووقت الإمساك فى شهر رمضان .

وقلنا أيضا : إن اختلاف هذه المواقع ليس له الأثر البالغ فيما يرجع إلى نبوت الالهة ، وأردنا من ذلك أن التفاروت بين البلاد فى المطالع لا يمنع من توحيد بدء الصيام فى جميع الأقطار ، اعتمادا على تحقق رؤية الهلال فى قطر من هذه الأقطار .

ولكن قد يقول قائل : إن هذا التوحيد إن صح أن يجرى على القطر الذى رأى أهله الهلال وعلى الأقطار الواقعة غربيه فلا يمكن أن يتحقق بين ذلك القطر والأقطار التى فى الجانب الشرقى منه : فإذا روى الهلال فى مصر فى ليلة فإن هذه الليلة من وقت غروب الشمس تكون من الشهر الجديد بالنظر إلى أهل مصر ، ولزم أن تكون كذلك بالنظر إلى أهل تونس والجزائر ومراكش من بعد غروب الشمس عندهم أيضا ، بل إن رؤية الهلال تكون فى هذه الأقطار أيسر منها فى مصر ، لعلو منزلة القمر فوق الأفق هنالك ، بسبب تأخر غروبه عن غروب الشمس أكثر مما يكون فى مصر ، لكن تلك الليلة التى تحتسب جديدة لمصر والبلاد الواقعة غربها لا تكون جديدة لأهل الأقطار الشرقية : كإفارس وباكستان وأندونيسيا ما دام الهلال لم يكن قد انفصل فى سماهم عن حالة المحاق ، أو ما دام الهلال لم ير عندهم بعد غروب الشمس .

قد يقال هذا . ونحن نوافق على أن حالة البلاد الواقعة شرق قطر رأى أهله الهلال تختلف إلى حد ما عن حالة البلاد الواقعة غربى هذا القطر ؛ لكن هذا الاختلاف لا يمنع

— على أية حال — من الاخذ بفكرة توحيد البدء بالصيام . وهي فكرة قد ذهب إليها كثير من العلماء الاعلام وأئمة الفقه الإسلامى .

وكل ما هنالك من فرق بين قطر شرقى وآخر غربى — بالنظر إلى تقطة معينة يكون أهلها قد رأوا الهلال — هو بضع ساعات من الليل تحسب لأهل البلاد الشرقية من الشهر القديم ، على حين تكون عند أهل مركز الرؤية وما فى غريبه من الشهر الجديد . أما ما بعد هذه الساعات من الليل فإنه يكون من الشهر الجديد بالنظر إليهم جميعا .

وإذا يجب صوم النهار التالى لليل الذى تحققت فيه رؤية الهلال فى قطر من الأقطار : يجب صومه على أهل ذلك القطر ، وعلى أهل كل قطر وكل بلد اشترك مع قطر الرؤية فى جزء من ذلك الليل الجديد ، وذلك بإدراك جزء منه قبل طلوع الفجر .

أما الأقطار التى لا تشارك قطر الرؤية أو بلد الرؤية فى جزء من ذلك الليل الجديد ، فإنهم يكونون حقيقتا فى نهار قديم من غير شك : هو نهار آخر أيام شعبان ، فعليهم أن يصوموا النهار الذى يتلو عتدم ذلك الليل الجديد .

وتكون النتيجة أن أهل الأقطار جميعها إذا صاموا النهار التالى لتحقق الرؤية فى قطر من الأقطار يكونون صائمين فى نهار جديد من شهر جديد .

أما ما قد يقال من أنه ينبغي الانصراف - فى إثبات الهلال - عن الرؤية والاكتفاء فى ذلك بحساب الفلكيين ، وأن هذا هو الذى يحل الإشكال ويمنع الاختلاف الذى يقع كثيرا بين الأقطار فى إثبات هلال رمضان ، فنحن لا نوافق عليه ، ولا ينبغي المصير إليه لأمرين :

١ - الأول ، أنه مخالف لما نص عليه الحديث النبوى الصحيح من ربط الصيام بالرؤية التى هى للمشاهدة الحسية اليقينية ، ووجوب الاعتماد عليها فى تنفيذ فريضة الصيام .

٢ - الثانى ، أن الاعتماد على الحساب الفلكى — الذى يراعى فيه اختلاف أوضاع القمر حسب اختلاف مواقع البلاد فى أى بقعة من بقاع الأرض — لا يحل الإشكال ،

ولا يمكن أن يتوحد به بدء الصيام في جميع الأقطار ، فإن التفاوت بين حساب وحساب هو كالتفاوت بين رؤية ورؤية .

وإذا لا مناص — حين يراد توحيد بدء الصيام في جميع الأقطار الشرقية والغربية — من اعتماد الرؤية التي تتحقق في بعض البلاد ، والاكتفاء بها في وجوب الصوم على سائر الأقطار ، لا فرق بين ما هو واقع منها شرقي مركز الرؤية وما هو واقع غربيه .

فإذا اهتم المسلمون في الأقطار كلها بهذا الأمر الديني العظيم ، وبذلوا عنايتهم في التماس الهلال وتحري رؤيته بعد غروب اليوم التاسع والعشرين من شهر شعبان ، واففقوا على أن يعلم بعضهم بعضا بنتيجة ذلك التحري ، وعلى وجوب الاعتماد على قرار أية دولة إسلامية يكون قد ثبت لديها حلول شهر رمضان بما تحقق من رؤية هلاله بالاعين المجردة أو بالأجهزة الحديثة الموضحة المكبرة — إذا اهتم المسلمون وعنوا بذلك العناية التامة فإنه لا يمكن أن تفوتهم جميعا رؤية الهلال متى كان نظام دورته يساعد على هذه الرؤية .

وهذا يتم العمل بالحديث النبوي : « صوموا لرؤيته ، وأفطروا لرؤيته » ، من حيث أنه يوجب الصوم على المسلمين إذا تحققت رؤية الهلال ، ولم يقصر وجوب الصوم على أهل الرؤية وحدهم .

نسأل الله الهداية والتوفيق ، إنه سميع مجيب .

أحكام الصيام

في المناطق القطبية وما يقرب منها

قال الله تعالى : « شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن ، هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، فمن شهد منكم الشهر فليصمه ، ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر ، يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » .

بين الله تعالى في صدر هذه الآية منزلة شهر رمضان وجلال مكانه بين أشهر السنة ، من حيث أنه سبحانه قد اختاره من بين هذه الأشهر ، فأُنزل فيه أول ما أنزل من القرآن الذي هو في جلته هداية عامة للناس ، ومعجزة إلهية تثبت بنفسها أن هذا القرآن ليس من صنع أحد من البشر ، فليس هو من إنشاء محمد وإبتكاره ، وليس هو من ثمرات عبقرية وذكاؤه ، وإنما هو كلام الله وروحيه ، جعله حجة ساطعة لمحمد ﷺ ودليلاً باقياً على صدقه في دعواه أنه رسول الله إلى الناس ، لينقذهم من الشرك والضلال والزيف والانحراف ، وليمنضى على ما كانوا عليه من قبيح العادات وسوء التعصبات .

ذلك شيء من هداية القرآن في جلته .

وهو في تفصيله آيات بينات ، ودلائل واضحات ، في باب الهدى والإرشاد ، والفرقة بين الحق والباطل : يبين الحق ويوضح دلائله ، ويفصل آثاره وثمراته ، داعياً إليه ، آمراً باتباعه والتسلك بأهدابه ، ويكشف عن الباطل ومساويه ، ناهياً عنه محذراً من مفسده وأضراره .

وقد أشارت الآية بعد ذلك إلى أن الشهر الذي هو بهذه المنزلة من الفضل والشرف - شرف اختياره لنزل فيه هذه النعمة العظمى على الإنسانية كلها - يجب أن ترعى حرمة ، وأن تحمى دائماً ذكراه ، ففرض فيه شريعة الصيام ، وهي شريعة تناسب حال القرآن ودعوته ، وتتفق مع أهدافه وغاياته والحكمة من إنزاله ، فإن القرآن هدى ونور ، يبحث على التقوى والرحمة ، وعلى العدل والمساواة ، وإحسان المعاملة والمعاشرة ، وعلى الصراحة وصدق القول وإخلاص العمل ، وتطهير النفس من الخداع والفسق والتناق .

وكذلك الصيام وحكمته ، فإنه يبعث على الإحسان والرحمة ، وعلى الصدق والإخلاص ومراقبة الله ، ويمرن النفس على الجلد والصبر في مكافحة الشدائد والملمات ، وعلى جمع الحمة وبذل الجهد لتذليل الصعاب والتغلب على مختلف العقبات .

فالصوم أحسن مبصر بحكمة نزول القرآن ، وخير مساعد على الاعتدال بهديه ، والانتفاع بتعاليمه وإرشاداته .

• • •

وقد بينت الآية الكريمة أن صوم رمضان واجب حتم على كل من شهد هذا الشهر العظيم . وشهر رمضان هو أيامه التي عدتها ثلاثون أو تسعة وعشرون ، وليس هو الهلال . والمراد بشهود هذا الشهر ليس هو رؤية هلاله كما قد يظن بعض الناس ، فإن نزول القرآن لم يكن في هلال رمضان ، وإنما كان نزوله في أوقات من ليل أو نهار .

ولأن الذي يصام ليس هو الهلال ، وإنما هو تلك الأيام . هذا إلى أن الصيام واجب عام وليس مقصوراً على من رأى الهلال ، فمن رأى الهلال ومن لم يره في وجوب الصوم على سواء .

فشهود الشهر إذا معناه الحضور فيه ، تقول : شهد فلان صلاة الجمعة وصلاة العيد ، وشهد الاحتفال برأس السنة وذكرى الهجرة ، وتقول يشهد يوم عرفة كل عام عدة آلاف من المسلمين ، فليس الشهود في ذلك كله على معنى الرؤية والإبصار ، وإنما هو على معنى الحضور والوجود في تلك الآونة والمشاركة في تلك الأعمال .

وعلى هذا يكون الصوم واجباً على كل من حضر وقته وأدرك زمنه المحدد شرعاً .

وهذا الوجوب ملاحظ فيه بالضرورة أن المخاطبين به هم أهل التكليف ، وهم العقلاء البالغون ، فلا يجب الصوم على صبي دون البلوغ ، كذلك لا يجب على مجنون ، ولا تشغل به ذمته ما دام كذلك مرفوعاً عنه القلم ، حتى إذا أفاق من جنونه وعاد إليه وعيه فلا يكلف بقضاء ما فاتته من الصيام ، كما لا يكلف بقضاء ما فاتته من الصلوات ، فإن وجوب القضاء متفرع على شغل الذمة بأصل الواجب ، وذلك غير متحقق في المجنون ، فهو والصبي غير المكلف على سواء .

أما إذا كان العاقل البالغ المكلف بالصوم مريضاً مرضاً لا يستطيع معه الصوم أو لا يستطيعه إلا بمجهود جيد ، أو كان الصوم عاملاً على زيادة مرضه أو تأخر برئه منه

فإنه يكون مفي من وجوب تنجيز الصيام في وقته المحدد، ولكن ذمته تكون مشغولة بهذا الواجب ، فعليه أن يقضى ما فاته بعد زوال المانع ، فيصوم أياماً بعدد ما فاته ، فإن لم يدرك أياماً يكون فيها صحيح الجسم ومستطيعاً أن يصوم ، بل استمرت به العلة والاضعف حتى مات فلا يؤخذ بشيء مما فاته من صيام .

وليس على هذا المريض الذي أعفى من وجوب تنجيز الصوم شيء من الفدية التي تجب على غيره في بعض الحالات ، لأن المريض مشغول الذمة بوجوب الصوم نفسه ، فإن لم يستطع أدائه في حالة المرض وجب أن يقضيه في حالة الصحة ، وما دام المانع من الصوم هو المرض وحده وكان هذا المرض من شأنه أن يعرض ويؤول فلا ينتقل الوجوب إلى شيء آخر غير الصوم ، ولا يقوم غيره مقامه في الخروج عن عهده .

وكذلك المسافر - الذي يقطع مسافة السفر الشرعية - له أن ينتفع بهذه الرخصة : رخصة الفطر، على أن يقضى ما فاته بعد إقامته بصيام عدة ما فاته من أيام آخر ، لكن المسافر إذا أخذ بعزيمة الصوم كان ذلك خيراً وأفضل كما قال تعالى : « وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعملون » ، إلا أن تصل به مشقة السفر إلى حـد الإجهاد والإعياء ، ففي هذه الحالة يكون كالمريض وينبغي له الفطر وعليه القضاء .

أما الذي يطالب بالفدية : وهي إطعام مسكين يوماً كاملاً عن كل يوم يفوت صومه ، فهو الحرم الذي لا يستطيع الصوم إلا بمجهود يستنفد طاقته ويبدل فيه غاية الوسع ومهايته . فهذا لا تكلفه الشريعة بأداء الصيام لأنه لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ، ثم هو ليس من أهل أن تخاطبه الشريعة بوجوب قضاء ما يفوته لأن المانع عنده من أداء الصوم في وقته ليس من الموانع التي من شأنها أن تعرض وتزول ، بل هو عارض مستمر ملازم يرداد فيه صاحبه كل يوم ضعفاً على ضعف ، فالشريعة الحكيمة لا تخاطبه حينئذ بوجوب قضاء الصيام ، وإنما الواجب عليه الفدية : طعام مسكين عن يوم ، وذلك بر ونفع يعود على الجماعة بسد حاجة واحد من الفقراء المساكين يوماً كاملاً ، يحفظ نفسه فيه من ذل المسألة . وهذا هو عين العدل وعين الرحمة ، يوم بيوم ، ما دام ليس هناك إثم ولا عدوان . وهذا التشريع الحكيم هو نقطة صغيرة جداً من كتاب الضمان الجماعي والتكافل الاجتماعي الذي أتى به الإسلام .

وقد بين في آية سابقة على التي قدمناها أول الكلام — نوع الفدية ومن نجب عليه وذلك قوله تعالى : « وعلى الذين يطبقونه فدية طعام مسكين » ، فإن المراد بالذين يطبقون الصيام هم الذين يذلون فيه آخر الطاقة وغاية الوسع ، ويستنفدون فيه كل الجهد ، وليس معناه الذين يستطيعونه عن سعة ويسر وقوة احتمال .

والذي يؤيد أن المراد بالإطاقة في الآية هو — هذا المعنى الذي أثرننا إليه ما ورد في قراءة أخرى تقول : « وعلى الذين يطوقونه » ، فإن التطويق هو إحاطة العنق ونحوه بطوق ، وذلك يدل على معنى الشدة والضيق ، ويكون معنى الآية على هذا أن من يعثره بسبب الصيام ضيق وشدة بالغة تستنفد جهده وغاية استطاعته وهو الهرم ، فعليه الفدية عن كل يوم طعام مسكين ، وبهذا تلتقي القراءتان ، والقراءات كما قال العلماء يفسر بعضها بعضاً .

ويلحق بالهرم الضعيف عن احتمال الصيام في وجوب الفدية والاكتفاء بها عن الصوم من كان مريضاً مرضاً مزمناً من شأنه أن يلزم صاحبه حتى الموت مهما طال أمده . ويستخلص من هذا التشريع الحكيم — الذي حاطه الله بالتيسر على العباد ، فلم يكلفهم بما فيه حرج وعسر عليهم — حكم الصيام بالنظر إلى سكان البلاد التي يكون فيها النهار طويلاً جداً ، وهي البلاد القريبة من المناطق القطبية ، فإنه ما دام عندهم ليل ونهار ، فالصيام من طلوع الفجر إلى غروب الشمس كما قال الله تعالى : « وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام إلى الليل » .

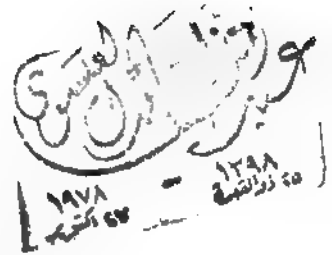
فن لا يستطيع من سكان هذه البلاد إتمام الصيام من الفجر إلى الغروب ، أو كان لا يستطيع ذلك إلا بعسر وحرج بالغين ، فإنه يسوخ له الفطر ويجب عليه قضاء ما فاته في أيام يستطيع فيها ذلك ، إن الله يقول : « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » .

أما إذا كان في منطقة تمسكت فيها الشمس زمناً طويلاً من غير غروب أو في منطقة تغيب فيها كذلك من غير شروق ، فإنه يقدر لصيامه في كل أربع وعشرين ساعة مدة يستطيع الصيام فيها من غير عسر وإجهاد ، ليحصل فرائد الصوم الروحية والبدنية التي من أجلها كتب الله الصوم على العباد ، ولا ينبغي القول بسقوط هذه العبادة عنه فيحرم من ثمراتها وعظيم منافعتها .

كما أنه يجب أن يقدر للصلوات الخمس أزيمة في كل أربع وعشرين ساعة كي ينفع أيضاً بثمرات هذه العبادة التي هي أم أركان الإسلام ؟

عبد الرحمن ناج
شيخ الجامع الأزهر

من نوادر المطبوعات



شرح المطرزی على مقامات الحريري

رزق الحريري شهرة بين كتاب العربية لم تتح لغيره ، كما وزقت مقاماته شهرة لم يلقها كثير من كتب الادب العربي على كثرتها وتنوع موضوعاتها ، ولقد سبق الحريري غيره في إنشاء المقامات ، كما حذا غيره من المتأخرين حذوه ، فلم يفضل من سبقه ، ولم ينسخ شهرته من تأخر عنه . ومقاماته حرة بالمثالة التي أنزلها إياها تاريخ الادب ، ويكفي أن يشهد لها الزمخشري صاحب الكشف فيقول .

أقسم بالله وآياته ومهمر الحبر وميقاته
ان الحريري حري بأن تكتب بالنبر مقاماته
مصبرة تعجز كل الوري ولو سروا في ضوء مشكاته

ويشهد لها المطرزي فيقول : « إنني لم أر في كتب العربية والادب ، وفي تصانيف المعجم والعرب ، كتاباً أحسن تأليفاً ، وأعجب تصنيفاً ، وأغرب ترصيفاً ، وأشمل لمعجائب العربية ، وأجمع للغرائب الادبية ، وأكثر تضمناً لأمثال العرب ، ونكت الادب ، من المقامات التي أنشأها الإمام جمال العصر وكال الدهر أبو محمد القاسم بن علي الحريري البصري ،

وقد انفتت مقامات الحريري قبولا من أدباء عصره ، فأقبلوا عليها دراسة وتحصيلاً ، وتفهماً وتفهماً ، ولما كان الحريري قد ضمن مقاماته كثيراً من أمثال العرب وأخبارهم ، كما ضمها كثيراً من المسائل النحوية والخصائص اللغوية ، احتاجت إلى شرح يكشف ما غرض من هذه المسائل ، فانتدب لشرحها كثير من العلماء فشرحوها شروحا كثيرة قديما وحديثاً ، وشرحها بعض المستشرقين من علماء الغرب شروحا مستفيضة ، وقد طبعت بعض شروحيها وتداولها الأدباء ، ومن أشهر ما تدورل مما طبع شرح الشريشي عليها .

ومن الشروح القديمة التي كان يتداولها العلماء شرح العلامة المطرزي عليها ، وهو

موضوع كلتنا هذه ، وإنه في نظرنا من أجل الشروح وأدقها وأوفاهما بالمراد فيما تصدى له من بيان غرائب ما في المقامات من مسائل النحو واللغة والأدب ، ذلك أن المطرزي من علماء العربية المتقدمين الذين عرفوا بالتضلع في النحو واللغة والأدب ، فتناوله لمساثلها تناول الصنع الخبير والخريت الماهر الذي يصل إلى غايته من أقرب الطرق ، ويلبس المعاني أثوابها المناسبة الموفية بالفرض .

وافد قدم المطرزي لشرحه بمقدمة ذكر فيها بعض قواعد البلاغة لتكون مميّزاً يرن به القارئ مقامات الحريري ، ويعرف مكانها من كلام الفصحاء ، فتكلم عن الحقيقة والمجاز والاستعارة والكناية والقياس ، وعن الفصاحة والبلاغة ، كما تكلم على بعض أنواع البديع كالجناس والاشتقاق ، ورد العجز على الصدر ، ولزوم ما لا يلزم ، إلى غير ذلك من مسائل البلاغة التي اصطلمها الحريري في مقاماته ليمطى القارئ فكرة عنها حتى يكون على ذكر لما يرد في شرحه منها ، وضرب لكل منها مثلاً من كلام الفصحاء ومن المقامات نفسها ، كما أتمض لشرح معنى المقامة ، وشرح معنى المثل ، واعتمد في أكثر ذلك على كتب عبد القاهر بل على عباراته ذاتها ، ويقول في ذلك : ولما فرغت من شرح هذا الكتاب وفحصته وعبرت بسفينة التوفيق إلى ساحل بحره ، بعد أن خضت في غمار عمانه ، وغصت على لآليه وجمانه ، وميزت بين ضعيفه ومثينه ، ووقفت على غنه وسمينه ، وعرفت لجينه من لجينه ، وهجمانه من هجمينه ، أردت أن أطلعك على مستملحه ومستحسنه ، ومستقبحه ومستهجته ، وأعطيك حكك النقد ، وأرى إليك زمام الحل والعقد ، وأنصب لك معيار التمييز حتى تفصل بين الخشب والإبريز ، وليس لي أن أوقفك عليه أو أوصلك إليه ، إلا بأن أكشف نقاب البلاغة ، وأوضح أسباب الفصاحة .

والمطرزي وإن غلب عليه النحو واللغة إلا أن له في الأدب قدماً راسخاً ، وقدأ قوياً رائماً ، وذوقاً لطيفاً قدأ ، فلا تروقه الصياغة اللفظية ، ولا يحمدها إلا إذا استجرتها المعنى واقتضاها المقام . ويقول : واعلم أن هذه الأجناس التي ذكرنا لا نحسن حتى يساعد اللفظ المعنى ، ولا تسلك حتى تكون عذبة الإصدار والإيراد ، سهلة سلسة القياد . . . ولا تملح حتى يوازي مطبوهاً مصنوعها ، وإلا فافان في أما كنهه ، ونبا عن موقعه ، فيمزل عن الرضا عند علماء البيان ، ويمكن من البشاعة لدى أرباب الذر وأصحاب النظم ، فإذا أردت أن تستوفي

أقسام المحاسن ، وتجنب أنواع المساوئ ، فأرسل المعاني على مجيئها ، ودعاها تطلب لأنفسها الألفاظ ، فإما إذا تركت وما تريد لم تكنس إلا ما يليق بها ولا تلبس من المطارف إلا ما يزينها .

وهذه الروح الادبية والقلم القوي تولى المطرزي شرح المقامات ، ولم يسترسل في شرح أكثر ألفاظها كما صنع غيره ، ولكنه تناول بالشرح ما غلب عليه الغموض والغرابية من ألفاظها وعباراتها وإشاراتنا بالقدر الذي يكشف عن المعنى ، وتجنب الحشو والاستطراد ، وجمع بعض موضوعات العلوم ، وغابت عليه ثقافته اللغوية والنحوية فتمرض لبعض مسائل النحو واللغة والبلاغة ، وحاول في شرح الألفاظ اللغوية أن يرجعها إلى معانيها الأصلية ليعقد الصلة بينها وبين المعنى المراد ، كما حاول أن يكشف عن معاني الاستعارات والكنايات بالطرق الفنية المعروفة لأرباب هذه العلوم ، وفي كل ذلك برزت ثقافة المطرزي اللغوية والنحوية .

وشرح المطرزي على المقامات شرح موجز اقتصر فيه على ما يحتاج إلى الشرح منها كما ذكرنا . ويقول في تعليل ذلك : ولما خرج - كتاب المقامات - مقبول النظام ، متداولاً فيما بين الأمام ، أكب أبناء زماننا على تحصيله ، وواظبوا على تفهم جملة وتفصيله ، غير أن أكثرهم ربما خبطوا فيه خبط عشواء ، إذا وقعوا منه في معضلة عجيبة ، ولا يترددون إلى سواء السبيل ، بل يترددون في تيه بلا دليل ، فأردت أن أخوض في عبايه ، وأروض لبعض طلابه ، ما تعمس من صعابه ، وأسهل مسالك شعبه ، وآتي كل معنى من بابه ، وأستكشف كل غامض ، وأستخرج سر كل حلو وحامض ، وأفصل ما أجمل ، وأبين ما أغفل ، وأحل ما أشكل ، بعد أن تصفحت قوائين الأدب ، وقلبت دواوين العرب ، ونفضت أوعية الحكايات ، وقطعت أودية الروايات ، مع مراجعة الشيوخ الذين عضوا في العلم بنواجذهم ، ورموا غرض الإصابة بنواقذهم ، فحين صمم عزمي ، وصاب سهمي ، حكيت من مقالاته ، ما غلب على ظني أنه من مشكلاته ، فقمرته بتفسير كاف ، وحللت عقده ببيان شاف .

وإننا نورد هنا أنموذجاً من هذا الشرح . قال في شرح بعض عبارات المقامة الأولى :

« هدرت شفاشق ارتجاله » هي جمع شفشقة وهي في الأصل لحاة البعير يخرجها من فيه

إذا هدر . قال الغوري : ولا يعرف منه في غير تلك الحال . ثم لما شبه الفصيح بالجميل الهادر شبه لسانه بالشقيقة . وارتجال الخطبة أنه يتكلم بها من غير أن يكون هيأها من قبل ، وكأنه من ارتجال الفرص أو من ترجيل الشعر . « السادر ، هو الذي تاه في غبه وتخير . وقيل : هو الذي لا يهتم ولا يبالي ما صنع ، من السدر وهو في الأصل تحير البصر ، ومنه السماير وهو ضيف البصر عند السكر والذوار ، والميم زائدة . « الغلو ، العلو والسرف ، يقال : خفض من غلوانك . وقال ابن فارس : وهو أنه يمر على وجهه جاحا . وأنشد :

لم تلتفت لشداتها ومضت على غلوانها

وغلو الشباب : أوله . وهذا التركيب يدل على الارتفاع وبجائزة القدر ، ومنه الغلو في الأمر والغلاء في السعر والمغالاة والغلا في الرمي وتعالى الثبت لارتفاعه ، وأما الغالية من الطيب فإنما سميت بذلك لأنها غالية في القيمة ، وهي من الصفات الغالبة . « السادل ثوب خيلانه ، يقال سدل الستر إذا أرخاه ، وستر مسدول ومنسدل وأرخى الليل سدوله وسدل وستر أخوات ، والخيلاء فعلاء من الخال وهو الكبير ، ومنه قول الشاعر :

نخل وإن كنت للخال فاذهب نخل

واختال في مشيته وتخيّل وغايه فاخره ومنه سميت الخيل لاختيالها في المشي .

وقد لقي هذا الشرح قبولا من العلماء ومدحه بعضهم فقال :

مثل المطرزي للحري مثل المطرزي للحري

وشي حدائق لفظه يزواهر الشرح التفسير

فعدت دياجي المشكلا ت نضى كالصبح المنير

وقد سمي المطرزي شرحه بالإيضاح . والمطرزي هو النحوي اللغوي الأديب أبو الفتح أو أبو المظفر ناصر بن عبد السلام بن علي المطرزي ، أخذ عن الزمخشري وبرع في النحو واللغة والفقه على مذهب أبي حنيفة ، وكان خليفة الزمخشري وكان معتزليا ، له المقامات والمغرب في لغة الفقه ومختصر الإصلاح لابن السكيت .

وبالمكتبة الأزهرية نسخة من هذا الشرح تقع في ١٧٨ ورقة من الحجم المتوسط ، تمت كتابته سنة ١١٢٩ هـ بخط شهاب الدين أحمد المنصوري خادم الشريعة بمدينة المنصورة من نسخة شيخه عبد الجواد الشربيني التي كتبها بخطه سنة ١٠٦٥ ، وبدار الكتب نسخة أقدم

الغنى بالكلمات

أورني الكتاب، ورني القلم

لقد سمعت هذا الأسلوب منذ دهر في حدائق من رجل ذي شأن يملئ على آخر، فيقول فيما يليه : « أورانا ... » وأنكرت يومئذ هذا، وقلت : أفلا يدري هذا الرجل أن الصواب أَرَانَا ، وهو من الظهور بحيث لا يخفى على من له اللسان بالعربية ، وكانت دهشتي باللغة أمدها حين قرأت في أساس البلاغة للزمخشري : « وسمعتهم يقولون : أورنيه . وهو من الوزى ، أى أبرزه لى » . فالزمخشري يروى ما أنكرته ويقره في معجمه . والقارى يرى الزمخشري ليثا بنى ما يقدح في العبارة بإخراجها من مادة الرؤية إلى مادة الورى ، وبرى من القراءة في المعنى ما يصحح هذا الاشتقاق ، فورى الزناد خروج النار منها بقدحها ، ويقال من هذا أورى النار أى أخرجها من الزناد وأبرزها منها وأنبطها ، وإذن ففي المادة معنى الإبراز والإظهار ، فن هذا جاء أورنيه أى أبرزه لى ، وهو ما سمعه الزمخشري من معاصريه وصححه بهذا التخريج ، وإذا ساغ للزمخشري أن يسوغ ما سمعه فلنا أن نسوغ ما نسمعه في عصرنا في هذا المعنى ، وهو : ورني القلم أى أبرزه لى . ولا فرق بين الاستعمالين إلا أن في الأول التعدية بالهمزة ، وفي الثاني التعدية بالتضعيف ، والتعديتان متعاقبان ومتواردان .

ويطلب لى أن أذيل كلام الزمخشري بهذه النظرات :

من هذه الفسخة . وإن هذا الشرح جدير بعناية العلماء والناشرين ، وبه على اختصاره كثير من دقائق اللغة والنحو ، وحاجة الخاصة إليه أشد ، وفائدتهم به أكمل .

وللمطرزى في كلمة الختام عبارات تحتاج إلى إغماض الطرف إذ يقول : « إنه لم يسبق إليه أحد فأخذوا بمثاله ، وأنسج على منواله ، بل جمع مخترع ، وصنع مبتدع ، فلقد شرحت المقامات قبله شروحا كثيرة كما ذكر صاحب كشف الظنون .

وقد ولد المطرزى سنة ٥٣٨ وتوفي سنة ٦٩٠ هـ .

أبر الوفا المرافى

١ — اعتمد الزخشرى على سماعه من معاصريه . وقد كان مجاورا بمكة وفيها بقية من العرب على إرث من العربية ، وكان ذلك معروفا من شأنه وخاقه ، تراه مبثوثا في كتبه . ففي الكشف في تفسير قوله تعالى في سورة طه : « إنه لكبيركم الذي علمكم السحر » ، « لكبيركم : لعظيمكم يريد أنه أسحرم وأعلام درجة في صناعتهم ، أو لمعلمكم من قول أهل مكة للعلم : امرني كبيرى ، وقال لي كبيرى كذا ، يريدون معلمهم وأستاذهم في القرآن وفي كل شيء . . . قلت : وأهل مصر يسمون معلم القرآن سيدنا ، وفي الأساس في مادة (ش ق ق) : « وسمعت بمكة من يقول لحامل الجوائق : استشق به ، أى حرثفه على أحد شقيه حتى ينفذ الباب » . وفي مادة (ط ن ف) : « وأهل مكة يبنون حول السطح جديرا يسمونه الأمانف والمجدير تصغير الجندر وهو أصل الجدار »^(١) . وفي مادة (ض ي ع) : « وسمعت منهم من يقول لبغلة : ما ضيعة هذه المجيئة إلا قضب الأمراس » . والضبيعة هنا الحرفة والصناعة ؛ كما في قولهم : كل رجل وضيعة . والمجيئة تصغير المجنونة ، والأمراس جمع التمرس وهو الحبل . وقضبا : قطعها ، يقول : إن هذه البغلة مولعة بقطع الحبال كأنما حرقها ذلك . وقد كتب في طبعة الأساس : قصب الأمراس فالتوى على " المعنى حتى تلبت على التصحيف . وفي الأساس : « وشده بالمرس وهو الحبل . وهو يقضب الأمراس من مرحة » .

٢ — المتبادر من « أورنيه » أنه من الرؤية ، وعلى هذا يكون لحنا ؛ كما كنت أعتقد من قبل . ولكن الزخشرى أخرجه من اللحن بالتحريك السالف ، وكان يسهه أن يرميه بالخطأ ويستريح . ويشهد هذا لما أحاوله في بعض الحين من تصحيح الأساليب العامية . وقد عاب على ذلك بعض الباحثين .

٣ — قد يناقش تحريك الزخشرى بأن الوارد في اللغة أوردى النار أى أبرزها والفعل فيه متعد لواحد ، والعبارة التى سمعها « أورنيه » الفعل فيها متعد لاثنتين ، وهذا يقدح في تحريكه . ويجاب بأن الأصل : أوره لى ، خذف الجار وأوصل الضمير ، وهو ما يعرف عندهم بالخذف والإيصال ، وهو عندهم شائع مستفيض ، وإن نوزع في قياسه . وأذكر هنا أن الزخشرى ولد سنة ١٢٧٧ هـ ، وتوفي سنة ١٣٣٨ هـ .

(١) الهبة — وما تحفظه عن الزخشرى من لغة الحجاز في عصره أنه كان راكبا شقدا كبيرا ، فسأل الأعرابي الذى يتولى أمر الشدق عما يسمون به الشدق الكبير فأجابه : نسيه « شقنداف » فاستدل به الزخشرى على أن زيادة الحروف في بناء الكلمة تدل على زيادة في معنى مدلولها .

التواجد = الحضور

يستعمل التواجد في هذه الأيام في معنى الحضور والوجود . وأسمع كثيراً في الإذاعة :
في وزارة الحرية الوظيفة الفلانية ، فن أرادها فعليه التواجد بالمكان الفلاني .

والتواجد ذكره الزبيدي في مستدرک التاج فقال : « تواجد فلان : أرى من نفسه
الوجد » . والوجد مصدر وجد بفلاة إذا هويها . ويأتى أيضاً مصدر وجد إذا حزن .
فالتواجد تكلف الوجد بمعنى الحب أو الحزن . ولا يأتى في معنى الوجود .

وقد استعمل الصوفية الوجد والتواجد في معان خاصة لهم ، فدخلوا في مصطلحاتهم .
وفي كشف التهانوى : « الوجد : مصادقة الباطن من الله تعالى واردا يورث فيه حزناً
أو سروراً يفيره عن هيئته أو يقنيه عن أوصافه بشهود الحق » . ويقول الغزالي في كتابه :
« الإملاء على مشكلات الأحياء » المطبوع على هامش الأحياء : « التواجد : استدعاء الوجد
والتشبه في تكلفه بالصادقين من أهل الوجد » . فالتواجد تكلف الوجد لا الوجود . وبمحسن
بعد هذا العدول عن هذه الكلمة إلى العربي المعروف بالحضور والوجود .

الملبس

الملبس معروف عند الناس لضرب من الحلواء . وينطقون به بكسر الباء . وقد وقعت
في خطط المقرئى على تاريخ إبداعه وأولية صنعه . ويؤخذ منه أنه في الأصل لب الفستق
الملبس بالسكر الأبيض . فهو إذا في وضعه الأصلي بفتح الباء . وقد ذكر معه المقرئى
ضرباً من السمك كان يحشى بالسكر ، وكان يسمى : افطن له . وإن أسوق هنا كلام المقرئى .
وهو في الحديث عن ابن ميسر أحد قضاة مصر في عهد الفاطميين بمناسبة الكلام على جوق
ابن ميسر في الجزء الرابع : « وكان فيه كرم . سمع بأن المادرائى عمل في أيامه السمك
الصغير المحشو بالسكر المسمى : (افطن له) فأمر هو بعمل لب الفستق الملبس بالسكر
الأبيض الفانيذ المطيب بالمسك . وعمل منه في أول الحال شيئاً عرض له لب ذهب في صحن
واحد ، ففضي فيه جملة ، وخطف قدامه ، تخاطفه الحاضرون . ولم يعد لعمله ، بل الفستق
الملبس . وهو أول من أخرجه بمصر . وكان قد سمع في سيرة أبي بكر المادرائى أنه عمل

هذا الأفطن له ، وجعل في كل واحد خمسة دنائير ، ووقف أستاذ على السباط فقال لأحد الجلساء : أفطن له . وكان على ذلك السباط عدة صحن من ذلك الجنس ؛ لكن ما فيها ما فيه دنائير إلا صحن واحد . فلما رمز الأستاذ لأحد الجلساء على سباط المسارائي بقوله : أفطن له وأشار إلى الصحن تناول الرجل منه فأصاب ذلك فاعتمد له لفصل له جملة . وراه الناس وهو إذا أكل يخرج شيئاً من فيه ويجمع يده ويحيط في حجره . فتنهوا وتزاحوا عليه . فليل لذلك المعمول من ذلك الوقت أفطن له . ، والقانيذ ضرب من الحلوى يعمل بالنشا ، وهو يدل من السكر ، يريد أنه ليس ملبسا بالسكر الخالص ، وهو يوافق الملبس في عصرنا . والأستاذ : الخصى يقوم بالخدمة ، ويقال للباهر في صناعته . وكانت وفاة ابن ميسر صاحب الملبس في سنة ٥٢٦ هـ .

وقف وقفة الشجاع

وقع السؤال عن ضبط « وقفة » في هذا المثال ، هل هي بكسر الأول أو بفتحها . وإن أجب اليوم ولم يستن لي الأمر بصورة تتلج الصدر وتورث اليقين ؛ إذ لم يتوافر لي ما يبين عن الجلية فيه . وأرجو أن أوفق في مستقبل الأيام إلى مزيد من العلم به فأوافق به القراء إن شاء الله .

وأرى أنه إذا أريد الهيئة كسر الأول . وذلك إذا كان لصاحب الحدث هيئة خاصة في تعاطيه ومعالجته ، وإذا لم يرد ذلك فتح الأول . وهو في الأول اسم هيئة ، وفي الثاني اسم مرة ، واسم المرة هنا يلتحق بالمصدر النوعي بإضافته أو وصفه ، وإن كان المعروف في النوعي أن يأتي في المصدر العام ؛ نحو قوله تعالى : فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر .

ومثال الأول الذي فيه الكسر أن تقول : وقف وقفة نابليون ، وقد عرف أن له حالة خاصة في الوقوف والشخوص فقد كان يضع يديه وراء ظهره ، وفي مناظر الحيايلة (السينما) يشاهد شرلي شبلن ذا وقفة خاصة ، فإذا قيل : وقف وقفة شرلي شبلن كان ذلك بالكسر . ومن هذا قول البحري في مدح المتوكل :

ومشيت مشية خاشع متواضع لا تزهي ولا تكبر

والفتح يكون في نحو قولك : نظر إلى نظرة الحب أو الموجدة . ومنه قوله تعالى في سورة الحاقة : « فعصوا رسول ربهم فأخذهم أخذة رابية » . وفي الأساس : « ثوب مطوى ، وأثواب معاً واة ، وطواه طية واحدة ، واطية حسنة ، والذي يدخل فيها نحن فيه المثال الأخير ، وقد ضبط فيه بالفتح . ويقول البحرى في مدح أبي الخطاب :

ودع الخطوب فإنه يكفيكها من حيث واجهها أبو الخطاب
خرق إذا بلغ الزمان فناءه نكصت عواقبه على الأعقاب
نصر السباح على التلاد ولم يقف دون المسكارم وقفة المرتاب

الخرق الكرم الذي يتخرق في الكرم ولا براعى القصد ولا يلزم الكيس والعقل . والتلاد : الأموال . يقول : إنه أثر الكرم على المال ، وكأنما تدعوه الأموال أن يهضم بها فنصر السباح عليها إذ أجاب داعيه ، والظاهر أنه يجوز هنا الفتح والكسر على حسب إرادة المرة أو الهيئة ، وكذلك جاء قول جساس - على ما في شعراء النصرانية ١ / ٢٤٩ - :

إني ورب الشاعر المفرور وباعث الموتى من القبور
وعالم المكنون في الضمير إن رمت منها معقر الجزور
لائين وثبة المغير الذئب أودى للبددة المصور
بصارم ذي فن مشهور

وقد ضبط فيه وثبة ، بكسر الأول على أنه الهيئة ، ولا يتعين هذا ، بل يجوز فتحه على أنه للمرة . ومما جاء فيه الكسر قولهم : مات ميتة سيئة ؛ إذ ليس المراد المرة بل الهيئة والحالة ، وفي اللسان : « والميتة : الحال من أحوال الموت كالجلسة والركية . يقال : مات فلان ميتة حسنة ، وفي حديث الفتن ، فقد مات ميتة جاهلية ، هي بالكسر حالة الموت ، أى كما يموت أهل الجاهلية من الضلال والفرقة ، وفي الأساس : « مات موة لم يمتها أحد ، ومات ميتة سوء ، وتراه يسوغ الموة هنا ، والفرض منها الحالة اعتماداً على إقادة الحالة من الوصف ، ومقتضاه أنه يقال : مات موة سوء ، وفي تصحيح التصحيف للصفدي : « ويقولون : موة سوء ، والصواب : ميتة سوء ، »

محمد علي النجار

البطل الفاتح

سعد

كان سعد بن أبي وقاص من أعلام الفاتحين في صدر الإسلام ، وكان أول من أراق في الإسلام دماً ، وأول من رمى في سبيل الإسلام سهماً ، وقد سبق الفتيان إلى الإسلام . فأسلم وهو في التاسعة عشرة من عمره بدعوة الصديق أبي بكر ، وقد أخذ الإسلام بقوة ، وقصص له طفرة ، كأنه فيه ذو نسب عريق ، فهو له صديق أى صديق ، ما حاد عن الحق قيد شمرة ، ولا أدركته في إثارة ونية ولا فترة ، فاستحق أن يكون أحد العشرة المبشرة .
وعم الذين صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال فيهم :

« أبو بكر في الجنة . وعمر في الجنة . وعثمان في الجنة . وعلي في الجنة ، وطلحة في الجنة والزبير في الجنة . وعبد الرحمن بن عوف في الجنة . وسعد بن أبي وقاص في الجنة . وسعيد بن زيد في الجنة . وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة » .

وقد جعله عمر بن الخطاب في السنة الذين مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض ، وهم أصحاب الشورى في الخلافة بعد عمر .

وبعد فما ظنك برجل يفديه رسول الله صلوات الله عليه بأبويه فيقول : « ارم فذاك أبي وأمي » ، إن هذا شيء عجيب .

وما ظنك برجل يفتخر به رسول الله صلوات الله عليه فيقول : « هذا خالي ، فليأت كل رجل بخاله » . وهل تجمع السعادة لإنسان ، في أكثر مما جمع النبي صلى الله عليه وسلم في دعوته لهذا الإنسان : « اللهم استجب دعوته ، وسدد رميته ، فهو يسأل الله سبحانه ما شاء ، لنفسه ولمن شاء ، ويناضل حيثما كان ، مع كل خصم للإيمان . اللهم إن هذا نمط يجدر أن يقف المؤمن عليه ، وأن يحوم بروحه وعقله حواليه ، عسى أن يتجدد في قلبه إيمانه ، وأن يزيد في الله والعمل الصالح صدقه وإيقانه ، فيسلم من ورطات الهوى والشهوة ، ويكون في الدنيا والآخرة من الفائزين .

ذلك أيها القارئ الكريم هو الصحابي الجليل سعد بن مالك ، أبي وقاص ، ابن وهب ابن عبد مناف بن زهرة بن كلاب (١) ، وأمه حمنة بنت سفيان بن أمية بن عبد شمس .

جمع له الشرف من عبد مناف في أبيه ، ومن عبد شمس في أمه . ونشأ خصيب الاستعداد ، سليم الفطرة ، قوى النزعة ، لا يخالط نفسه الكريمة خبيث من جفاء الجاهلية وتضللاها ، على شدة شمكيمته ، وصلابة عوده . لقد كرمه الله سبحانه فوهب ما منحه من قوة وصلابة لله وللحق ، وكذلك يهدي الله لنوره من يشاء ، فيوجه غرائزه وصفاته لما ينفع صاحبه وينفع الناس ، ويحقق خلافة الله الحق في الأرض .

لقيه أبو بكر في بعض جهات مكة المكرمة - وهو فتي قد سلخ ثمانية عشر عاماً على ما يختلف المؤرخون في ذلك - حين دعاه إلى الإسلام وأظهر له ما فيه من حق وسعادة للأنام ، سارع إلى النبي صاحب الرسالة يسأله ما خطبه ، وما الذي جاء به ، وكأنما كانت روحه الصافية تنبؤ بهذا الباطل الذي نهج به بطحاء مكة . وكأنما كان يمتلج في نفسه ، يصطخب في دخيله ذلك الشجار بين باطل التقاليد الموروثة ومنطق الحق ، والخصومة بين ضلال يموه تضافر الأشراف على نخوة الجاهلية ، وهداية يهديها وأهب المواهب كلها إلى نفس يريد ليظهرها فتسرى فيها مسرى النور ، وتختلط بها اختلاط الحر بالمقهور . فما هو إلا أن وقع على ذلك النور فتشبت به ، بنشد فيه ضلته ، فيشفي به ما في صدره . فأخذ الإسلام من صاحب الدعوة ، واحتضن الإيمان الصادق ، والدين الخالص ، من تنفذ العالم صلى الله عليه وسلم .

• • •

ولقد كان عما يحذره ويدفعه ويسوقه إلى هذا الدين الجديد وبرشحه ، أنه رأى فيما يرى النائم كأنه كان في ظلمة لا يبصر ، ثم أضاء له نور ، فبدد ذلك الظلام ومحا ، وأراه قصده وهده ، ثم نظر فإذا أمامه أبو بكر وعلي وزيد بن حارثة ، وكأنه يسألهم : متى انتهيتم إلى هنا ؟ قالوا الساعة . فلما عرض عليه أبو بكر الإسلام كان متهيئاً له تهبؤاً قريباً ، فلقي النبي صلى الله عليه وسلم ، في شعب ، أجياد ، يدعو إلى هذا الدين الكريم مستخفياً ، فأمن به ، وكان أول من أسلم من الفتيان .

[١] ويقال لسعد إنه خال النبي صلى الله عليه وسلم لمرابته من السيدة آمنة ، وأقارب الام أحوال

فبعد مسلم نشأه الإسلام معه ، وصنعه محمد ﷺ على عينه قومه ، يسير مع هذا الدين جنباً إلى جنب ، ويصير حيث يصير الحق والتقوى من غير تردد ولا فشل . دخل في الإسلام فاختلط بلحمه ودمه ، ووهب نفسه لعبادة الله وحده ، والجهاد في سبيله . وكان أول محنة جرت عليه فجازها ناجحاً موفقاً التواء أم كان أبر الناس بها ، وأعرف ما يكون لحقها ، لقد كان امتحاناً قاسياً جباراً ، ولكن سعداً ضرب فيه المثل للنؤمن الحازم الموفق الذي لا تحسك فيه العاطفة ، وهو الرجل الذي عصمه الله من نزق الجاهلية وطيشها ، ووجهه ووجهة الجد في حياته ، فينما الشبان يعكفون على لهوهم وميول شبابهم يروونها إذا هو عاكف على النبال يصطنعها ويبريها ويثقفها ، فهو فوق العاطفة وحكمها .

استمع إليه يحدثك عن أمره ، وعن خطبة يديه وبين أمه .

قال سعد : لما أسلمت وكنت رجلاً باراً بأبي . قالت : يا سعد ، ما هذا الدين الذي أحدثت ؟ لندعن دينك أولاً أكل ولا أشرب حتى أموت فتعير بي ، فقلت : لا تفعل يا أمي ، فإنني لا أدع ديني . ومكثت يوماً وليلة لا تأكل ولا تشرب ، فأصبحت وقد جددت . فقلت : والله لو كان لك ألف نفس فخرجت نفساً نفساً ما تركت هذا الدين لشيء ، فلما رأيت ذلك أكلت وشربت ، فأرسل الله سبحانه : « وإن جاهدك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعمهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً » .

وهكذا يؤيد الله الصادق . وهكذا يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت .

أرأيت أيها القارئ الكريم لو أن سعداً سائر هذا الحب العميق والبر الموهل ، فأشرك بالله سبحانه ، وعدل عن الحق الذي ظفر به ، ولو مرضاة لأمه وإبقاء على حياتها ، أما كان ذلك خسراناً أي خسران ، وتيمناً في الحياة لا يستقيم عليه شأن ؟ ولكنه الثبات في الحق ، والعزيمة على الرشد والصبر على الخير ، ثم يقضى الله ما يشاء بحكمته راضياً مرضياً .

وهكذا فليكن المؤمن في صلابته وثباته على الحق .

وهذا درس عملي لكل مؤمن يسام خطة الباطل ، ويراد على غير الهدى .

أول دم أريق في الإسلام . وموقف سعد في أحد

موقفان عجيبان من مواقف هذا البطل المجاهد الذي خلق ليكون بطلا مجاهدا مستبلا مضحيا لا يفكر في العواقب ، ولا يرضى نفسه إلا أكرم المواقف .

الموقف الأول : بينما المسلمون الأولون يستخفون بعبادة الله سبحانه وتعالى ويسترون على أنفسهم ويفرون بدينهم ويهابون القوة في من لا يخافون الله من جبايرة الأرض ، إذا سعد يعبد الله مع بعض صحابته من المستخفين الذين يتبعون خطة الإسلام وسياسته ، ولكنه حين يواجه يدافع عن نفسه ومحبته ، ويضرب الباطل في عصابته ، لا يفر ولا يهرب من وجهه . حدث التاريخ قال :

كان سعد في نفر قليل من أصحابه يصلون مستخفين والمشركون يتعقبونهم ، ويقتفون آثارهم ، فسمعوا أن سعدا ورقفته يعبدون الله في شعب يلوذون به ، فصاروا إليهم ، وسفها أحلامهم ، وعابوا إسلامهم ، واشتد الحوار ، ثم قام الشجار ، والتحم الفريقان ، فأخذ سعد بلحي جمل^(١) فتناول به رجلا من قريش فشجه ، فكان أول دم أريق في الإسلام .

فإذا أصاب سعدا بعدما ؟ لقد خسرت فئة الضلال ، وكان سعد هو سعد الذي يسير في طرق مكة وشعابها لا يبالي أحدا ولا يجرؤ عليه مخلوق فيها . وهكذا تكون عاقبة الإقبال ومغبة الكرامة والقوة التي سجلت لسعد أنه أول من أراق دما في الإسلام .

الموقف الثاني : مقامه في أحد الذي فدى فيه الرسول صاحب الدعوة العظيمة بنفسه ففداه صلى الله عليه وسلم بأبيه وأمه ، ويألها من كرامة ومنزلة .

قالوا : إن سعدا في أحد لما مس المسلمين قرح قد مس المشركين قرح مثله ، وانخذ الله من المؤمنين شهداء ، وقف مع النبي صلى الله عليه وسلم وقد اقتحم عليه المشركون وهموا بقتله وقد جرح وجهه وكسرت رباعيته ، وكان موقفه موقفا لم يعرف لاحد سواه ، فقد أرجف الناس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قتل ، فذهب سعد إليه كالأسد المصور ، ونحى عنه من حوله من المشركين ، ووقف أمامه يناضل عنه يمينا وشمالا ، ويدفع عنه (والله معه) كل من بهم أن يناله بأذى في كل ناحية وهو رابط الجأش ،

(١) أخذ بلك جل ميت .

قوى الحس في موقف تذهل فيه كل مرضعة عما أرضعت ، وتشيب النواصي من أهواله . وكان أن نجي الله رسول الله يا خلاص سعد وجلده ووفاته لمن أنجاه من الشرك ، وأنقذه من ظلمات الجهل والكفر . وكان أن نال من الله ورسوله وسام التفدية بأبوى النبي حين بلغ من إعجاب النبي غاية ما يكون الإعجاب ، فإشعر الناس إلا ورسول الله صلى الله عليه وسلم يخاطبه بهذه النفحات المباركة : ارم يا سعد . ارم أيها الغلام القوى . ارم فذاك أبي وأمي . وبعد - فأنت يا سعد وكل هذا التكريم ؟ ولكنه الجزاء العدل ، والإحسان والفضل لمن أحسن كل الإحسان . فليهنك يا سعد ، ثم ليهنك يا سعد ، أنك مفدى بأبوى سيد المرسلين ، ثم أن تجد بركة رضاه عملياً . فإنه بعد أن جمع له أبويه ، وضع حظ الدنيا والآخرة في يديه ، فقال : اللهم أجب دعوته ، وسدد رميته ، فإدع لنفسه ولا لأحد أو عليه إلا أجاب الله دعوته ، وما رمى سهما إلى رميته إلا أصاب رمية . وقد شهد سعد مع النبي ﷺ بدرأ والحندي وغيرهما من مشاهد الإسلام ، فما كان إلا شرفاً ونجدة ودفاعاً صادقاً .

وقد بلغ من تقديره لجهاد واعتداده به أنه لما حضرته الوفاة دعا بحجة خلق من الصوف فقال : كفتوني فيها ، فإني كنت لغيت المشركين فيها يوم بدر وهي علي ، وإنما كنت أختبئها لهذا ، ولعل مما دعا سعداً إلى حفظ هذه الحجة بعينها أنها شهادة له بغزوة بدر ، وهي الغزوة المشهودة التي تشرف الإسلام وأهله ، والتي غفر الله لجميع من حضرها واطلع عليهم فقال : يا أهل بدر اعملوا ما شئتم ، فقد غفرت لكم .

وفي القادسية :

ويسجل التاريخ لسعد بدأ بيضاء أخرى على الإسلام في غزو الفرس خارج الجزيرة العربية وهم قوم أولو بأس شديد ، ولهم من العدد والقوة ما كانوا يسخرون بسبيهم بالمسلمين ويقسمون قبل بدء القتال بالشمس والقمر لا يرتفع الضحى غداً حتى تقتلكم أجمعين . لقد كانت واقعة القادسية من أعجب آيات الله وأقوى دلائله على أنه يؤيد هذا الدين بمن يختار من عباده المؤمنين الصابرين ، فيخرق لهم العادات ، ويؤيدهم بشئ الكرامات .

يقول المؤرخون : إنه لما آلت الخلافة إلى الفاروق الأعظم عمر بن الخطاب كانت

الجيوش الإسلامية قد أوغلت في بلاد الفرس والروم ، فقد كان أبو بكر رضى الله عنه وجه جيشاً إلى أطراف العراق بقيادة خالد بن الوليد . ومعه المنى بن حارثة ، فانتصر على الفرس واستولى على الحيرة والأنبار ، ولكن العرب قهقروا بعد ذلك أمام جيش الفرس الكثيف الذى أعده يزيد بن جهم الثالث آخر ملوك بني ساسان بقيادة رستم ... وكتب المنى ابن حارثة إلى عمر بالامر ، فوجه همه إلى ذلك حتى لا يرجع الإسلام القهقرى ، وقد كان أبو بكر أسله إليه متصهراً متقدماً .

لهذا أراد عمر أن يقود الجيش بنفسه ، ولكن الصحابة أشاروا عليه أن يبعث رجلاً من كبارهم ومن ذوى الكفاية العظيمة وأصحاب الدربة المشهودة ، وأشاروا عليه بسعد ابن أبي وقاص ، فصادف ذلك من نفسه كل الرضا . وكان مما ادخرت الأيام لسعد أن ينقذ كرامة الإسلام في أخطر المواقف مع فارس . فقد اختاره عمر وأوصاه بتلك الوصية الكريمة : « يا سعد ، يا ابن أم سعد ، لا يغرنك في الله أن يقال : خال رسول الله ، وصاحب رسول الله ، فإن الله لا يمحو السي بالسي ولكن يمحو السي بالحسن . إنه ليس بين الله وبين أحد نسب إلا طاعته . فالتاس شريفهم ووضعهم في دين الله سواء ، يتفاضلون بالقوى ، ويدركون ما عنده بالطاعة . فافطر الأمر الذى رأيت رسول الله ﷺ يلزمه فالزمه » .

هكذا كانت وصية عمر أمير المؤمنين المؤيد بالحق ، لأمر الجيش سعد الموفق المظفر ، يريد أن يخلصه لله والجهاد الصادق . وتقول الأخبار : إنه أوصاه أن يترقى بالمسلمين ولا يشق عليهم ، وأن يريحهم كل جمعة يوماً وليلة ، وأن يذكر العيون بينه وبين العدو ، وأن يتخذ من قواده من يطمئن إلى نصحه . وانتفع القائد العظيم بهذه النصيحة الخالصة . ثم لا أطيل عليك بما استقصته كتب التاريخ من وقائع القادسية ، ولا أتجاوز أن سعداً خرج من هذه الموقعة بنصر عجب ، حتى قيل إنه أسر بنت كسرى وقتل عدداً هدياً من الفرس ، حتى دخل الإسلام كثير من دهاقينهم ، ثم اختط الكوفة التى كانت حيناً من الدهر قسبة العمراق ومن أعظم مراكز الثقافة في الإسلام . وولى عمر سعداً الكوفة زمناً ، ثم عزله لوقوع بعض الفتن التى يضيق المقام بتفصيلها ، ولكن عمر لما طعن من المجوسى أوصى لسعد بما يعرف .. حقه . فضله فقال : « إن ولى سعد الخلافة فذاك ، وإلا فإني أوصى الخليفة أن يستعمله ،

فإني لم أعزله عن عجز ولا خيانة ، وكانت وصية كريمة ردت إلى سعد اعتباره . ولقد كان في غنى عن ذلك ، بما سار مسير الشمس من فضل سعد ، ولكنه كالاعتذار من الخليفة والاستغفار في أخطر موقف ، وهو حال الاحتضار . وعمل بهذه الوصاة الكريمة الخليفة الصالح المصلح عثمان بن عفان فولاه الكوفة وأطلق يده في شؤون العراق لما يعلمه من بصره بأمورها وحسن تدبيره وسياسته .

خاتمة سعد :

اعتزل سعد أمور الناس بعد الفتنة بشهادة عثمان ، وعكف على التلاوة والعبادة ، ولم يقبل أن يشترك مع طائفة ، وكانت سنة ترشحه لذلك ، وعقله ودينه يأخذ به أمر الحزم والحيلة أراد به بنوه وذووه أن يطلب الخلافة فأبى ، ثم طمع فيه معاوية لحاول أن يضمه إليه ورفض . ومن المؤرخين من يقول إنه وجه إليه بآيات منها :

أيدعوني أبو حسن على فلم أردد عليه بما يشاء
أقطع في الذي أعيا عليا على ما قد طمعت به العفاء
ليوم منه خير منك حيا وميتا أنت للبره الفداء

والله أعلم بصحة ذلك ، وإنما الذي ثبت أن سعدا رفض أن ينضم إلى فريق وآثر العافية من الفتنة وأن يلتقي الله تقياً برا ، كما كان طول الدهر تقياً برا ، على أن هذه الرواية إن صححت تدل على أن معاوية كان حريصاً على مرضاة سعد والتماس البركة والطمأنينة في انضمامه إليه ، ولكنه أبى احتياطاً لدينه ، ولم يزل في عكوفه على الطاعة وعمل التقوى حتى اختاره الولي الكريم إلى جواره البر الرحيم ، فكانت وفاته رضي الله عنه سنة ٥٥ خمس وخمسين للهجرة عن اثنتين وسبعين سنة وهو مطمئن إلى لقاء الله ، واثق بإحسانه ورضاه ، كما كان يهتف رسول الله صلوات الله وسلامه عليه والخيرة من الصحابة الأكرمين ، حتى قيل إن ولده مصعباً لما بكى عند موته قال له : يا بني ما يبكيك ؟ إني أقسم على ربي أنه لا يعذبني .

رحمك الله يا سعد ، لقد كان مثلك في صالح عمله ، واطمئنانه إلى مسلكه ، جديراً أن لا يظن بالله إلا خيراً ، وأن تقسم على ربك - وأنت القريب والصالح المجاب والمستجيب - ألا يعذبك الله . وكيف لا وأنت من العشرة المبشرين ، من سيد المرسلين . نفع الله المسلمين بذكراك ، بقدر ما رضي عنك وأرضاك . آمين ؟

محمد أمين النواوي

أسرار الشريعة الإسلامية

في تقدير أنصبة الزكاة وسائر الصفقات الشرعية

قدمنا في جزء رجب ذكره الأوزان والنقود والأكيال ، التي كانت معروفة لدى العرب قبل الإسلام ومستعملة فيما بينهم ، وقلنا إنها كانت من صنع دول مصر والشام وفارس ، لا من صنع حكومات العرب ، وقد جاء الإسلام فأقر استعمالها للعرب كما أقر لكل قوم عرفهم منها ، ولكن لا مطلقا بل في معاملات الناس فيما بينهم فقط .

وأما حقوق الله المعينة كأنصبة الزكاة والديات والكفارات فعين الشارع لفرزها عرف (أهل المدينة) في الأكيال و عرف (أهل مكة) في النقود والأوزان .

وقد أتينا بجملة في الجداول الثلاثة المتقدمة معينة بوحدة الوزن والكيل (الحجم) المعلومة الآن لجميع العالم وهي (الجرام) المساوي وزن مكعب سنتيمتر من الماء الصافي . يمكن تحويل هذه المقدرات الشرعية إلى أي وزن أو نقد أو كيل في أي اصطلاح لأي دولة ، إذ وزن الماء وحجمه لا يختلف زمانا ولا مكانا بخلاف وحدة الحب من القمح أو الشعير أو الخرنوب والعدس والخردل فإنها لا تحفظ وزنا ولا حجما .

وهنا نقف بما وعدنا به من تبيان ما اختير من هذه الأوزان والنقود والأكيال لتقدير هذه الصفقات الشرعية في حياة الرسول ﷺ ، وفي زمن خلفائه الراشدين ، وما طرأ عليه تصغير أو تكبير في عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وفي عهدي الخلفيتين معاوية وعبد الملك ، وما استقر عليه رأى الأئمة الأربعة واستمر العمل عليه إلى الآن (سنة ١٣٧٤ هـ) فنقول وبالله التوفيق :

اتفقت روايات المحدثين والمؤرخين والفقهاء على أن نصاب الفضة الموجب لزكاة كان يعد عدا من أشهر الدراهم القديمة وأكثرها استعمالا (زمن النبوة وخلافة أبي بكر) كما اتفقت على أن هذا الأشهر كان على نوعين ، درهم أصفر ، وزنه (٤ دراتق) ودرهم أكبر ،

وزنه (٨ دوانق) وإن كان في بعض الروايات زيادة موع ثالث وزنه (٦ دوانق) لكنه لا يعد خلافاً إذ أنه الوسط وأشهر من الدرهمين السابقين .

وإنما الأمر الذي اختلفت فيه الروايات حقاً ، حاصله : أكان النصاب أعني (٢٠٠ درهم) تعد عداً من الأصغر فقط أو الأكبر فقط أو الأوسط فقط على سبيل اختيار العاملين على الزكاة . . . ٩

أم كانوا يعدون من كل من النوعين (نصف الـ ٢٠٠) ومن كل من الثلاثة الأنواع (ثلث الـ ٢٠٠) . . . ٩

والجواب الذي لم يصح غيره أن كلا من هذين الوجهين قد ورد أنه كان معمولاً به إلى قرب نهاية خلافة عمر رضي الله عنه على سبيل اختيار العاملين أيضاً ، ولم يصح أن أحدهما كان المختص بالعمل حتى أمر عمر في آخر مدته بحصر العمل في الوجه الثاني . ومحصله تحديد الدرهم الوسط عياراً لعد النصاب أي الـ ٢٠٠ درهم ، فكانت النتيجة أن يكون وزن درهم الزكاة في آخر مدة عمر وكل مدة عثمان (٦ دوانق) أعني (٢٨٣٢ جرام) كما دلت عليه الروايات وآثار المتأخفين إذ أن المراد بالدانق هنا الدانق الروماني القديم الوازن (٢٨٧٢ . ٠ جرام) . . .

وبناء عليه يكون وزن كل من الدراهم الثلاثة هكذا :

ومن هنا يبين أن عمل عمر لم يتجاوز اختيار الوسط من هذه الدراهم الثلاثة عياراً لجباية الزكاة توحيداً للعمل . وهو الدرهم الأخير . على أنه داخل فيما أقره النبي صلى الله عليه وسلم من وجوب الجباية الداخلة في تخيير العاملين في حياته ، وأحد ما صدقات الأمر المطلق . . .

$$\begin{aligned} ٨ \times ٠.٤٧٢ &= ٣.٧٧٦ \text{ جرام} \\ ٤ \times ٠.٤٧٢ &= ١.٨٨٨ \text{ جرام} \\ ٦ \times ٠.٤٧٢ &= ٢.٨٣٢ \text{ جرام} \end{aligned}$$

أشهر دراهم النقد ووجدها من عند العرب إلى آخر عهد الخلفاء الراشدين											
النسبة											
الوزن بالبر	الوزن بالبر	الوزن بالبر	الوزن بالبر	الوزن بالبر	الوزن بالبر	الوزن بالبر	الوزن بالبر	الوزن بالبر	الوزن بالبر	الوزن بالبر	الوزن بالبر
٢٧٧٦	٨٥ ١/٢	٨٠	٦٤	٢٠	١٩ ١/٢	٨	٢	١ ١/٢	١	١	١
٢٨٢٢	٦٤	٦٠	٤٨	١٥	١٤ ١/٢	٦	١ ١/٢	١	١	١	١
١٨٨٨	٤٢ ١/٢	٤٠	٢٤	١٠	٩ ١/٢	٤	١	١	١	١	١
٤٧٢	١٠ ١/٢	١٠	٨	٤	٣ ١/٢	١	١	١	١	١	١
١٩٦٧	٤ ١/٢	٤ ١/٢	٤ ١/٢	٢ ١/٢	١ ١/٢	١	١	١	١	١	١
١٨٨٨	٤ ١/٢	٤	٤	٢ ١/٢	١ ١/٢	١	١	١	١	١	١
٥٩	١ ١/٢	١ ١/٢	١ ١/٢	١ ١/٢	١ ١/٢	١	١	١	١	١	١
٤٧٢	١ ١/٢	١ ١/٢	١ ١/٢	١ ١/٢	١ ١/٢	١	١	١	١	١	١
٤٤٢٥	١	١	١	١	١	١	١	١	١	١	١

والجدول الآتي
يوضح أشهر دراهم
النقد التي اختيرت
لتقدير الصفقات
الشرعية زمن التشريع
وكذا الوحدات التي
كانت تتركب منها إلى
آخر عهد الخلفاء
الراشدين ومقادير
كل بالجرام .

ثم في خلافة معاوية أشار عليه زياد بزيادة وزن الدرهم فزاده إلى (٨٥ ر ٢ جرام)
وكان يريد زياد من معاوية أن يجعله (٦ دوايق) كل دائق (٤٩٢ ر ٠ جرام) وهو دائق
روماني جديد ولذا ضرب هو أي زياد في الكوفة درهما يساوي ٢٥ من درهم [عمر فكان

$$٢٨٣٧ ر ٢٥ = \frac{٢٥ + ٢٨٣٧}{٢٤} = ٢ ر ٩٥٠ \text{ جرام .}$$

ثم في عهد عبد الملك بن مروان أشار عليه الحجاج بأن يقر فعل زياد لجعل وزن
الدرهم (٦ × ٤٩٢ ر ٠) = ٢ ر ٩٥٢ جرام وصار النصاب الموجب للزكاة
(٢ ر ٩٥٢ في ٢٠٠ — ٥٩٨ ر ٤) جرام بعد أن كان في زمن عمر (٢ ر ٨٣٢ في ٢٠٠ =
٤ ر ٥٦٦ جرام) وفي زمن معاوية (٢ ر ٨٥ في ٢٠٠ = ٥٧٠ ر ٠) جرام .

ثم شدد عبد الملك بالألا يتبع غير ما أقره حتى في معاملات الناس ، واستمر العمل عليه
مدة الدولة الأموية وكذا العباسية ، فوافق عليه الأئمة الأربعة (أبو حنيفة ومالك
والشافعي وأحمد) رضي الله عنهم واستقر العمل عليه إلى الآن .

والامر الذي يجب التنبيه له دائماً أن وحدات الأوزان التي كانت مستعملة عند العرب
لآخر عهد الخلفاء الراشدين هي وحدات النظام الروماني القديم، وأما بنو أمية فقد استعملوا
وحدات مختلطة من النظامين الرومانيين القديم والجديد ومن وحدات استتجوها من النظام
الجديد كما في هذين الجدولين .

(نظام روماني قديم)

الوزن بالبرام	الوزن بالحيبة	اسماء الأوزان والنقود
٤٧٢ر	١٠٠	مثقال
٤٢٤٨ر	٩٠	دينار
٣٧٧٦ر	٨٠	درهم بغلي
٢٨٣٢ر	٦٠	درهم طبري
١٨٨٨ر	٤٠	درهم عتيق
٠٤٧٢ر	١٠	دائق
١٨٨٨ر	٤	قيراط
٠٤٧٢ر	١	حبة

(نظام بنو أمية)

الوزن بالبرام	الوزن بالحيبة	اسماء الأوزان والنقود
٤٢٢ر	١٥ $\frac{٥}{٧}$	مثقال ودينار
٢٩٥٤ر	٦٠	درهم عبد الملك
٠٤٩٢ر	١٠	دائق زياد
٠٢١١ر	٨٥ $\frac{٥}{٧}$	قيراط عبد الملك
٠١٩٦٧ر	٤	قيراط روماني جديد
٠٤٩٢ر	١	حبة روماني جديد

فإن زياداً في عهد معاوية كان قد استتج درهماً للزكاة من النظام الروماني الجديد
إذ وجد حبه تساوى (٠٤٩٢ر جرام) فجعل الدرهم (٩٠) منها كما أن درهم عمر
المشهور (٩٠) من وزن الحبة الروماني القديم ولم يطاوعه معاوية فيما أراد . . . ولكن
الحجاج أمكنه إقناع عبد الملك بهذا الرأي فنفذه كما كان (دينار الزكاة) في زمن النبوة
والخلفاء الراشدين (٤٢٥ر جرام) فأقصاه إلى (٤٢٢ر جرام) ثم قسمه إلى عشرة
قيراط كل قيراط (٢٩١ر جرام) ثم جعلوا وزن هذا الدينار مثقال وزن للنقود فأطلق
عليه الاسمان (مثقال ودينار) وبذلك تم لهم مطابقة القاعدة الرومانية القسطنطينية (كل
عشرة دراهم سبعة مثاقيل) مع أنها لم تقال ودرهم أنشأها وحدتين لطله المسمى أخيراً
بالرطل البغدادى، ولما كان وزن هذا المثقال ٤٥٣ر جرام كان وزن الدرهم $\frac{٤٥٣ \times ٧}{١٠}$
(٣١٧١ر جرام) وهما للوزن والكيل لا للنقود ولذا لم يضربا نقداً أصلاً .

والخلاصة أن نصاب الذهب قد جرى عليه تقديران : (أولهما) أن وزنه كان زمن النبوة والخلفاء الراشدين ($٢٠ \times ٤٢٥ = ٨٥$ جرام) ، (ثانيهما) أن وزنه صار بعد انقاص درهم الزكاة ($٢٠ \times ٤٢٢ = ٨٤٤$) من عهد عبد الملك والخلفاء بعده والائمة الاربعة ...

وأما نصاب الفضة فقد جرى عليه تقديرات أربعة :

التقدير الأول : أيام النبوة وخلافة أبي بكر وأوائل خلافة عمر إذ كان العاملون على الزكاة غنيين في عد النصاب من الدراهم على وجهين : (الوجه الأول) كان لهم فيه الخيار أيضا في عد جميع المائتي درهم من أحد الدراهم الثلاثة المشهورة كما في الجدول ... (الوجه الثاني) اعتبار الدرهم الثالث أعنى رقم ٣ و جدول الانصبه من الدراهم الثلاثة ،

نمرة	دراهم النصاب	وزن الدرهم	وزن النصاب
١	٢٠٠	٢,٧٧٦	٧٥٥,٢
٢	٢٠٠	١,٨٨٨	٢٧٧,٦
٣	٢٠٠	٢,٨٢٢	٥٦٦,٢

في الجدول عياراً للنصاب بمعنى أن يكون النصاب دائماً مساوياً للوزن ($٥٦٦,٢$ جرام) بحيث يكون عدد دراهم النصاب من الأول (١٥٠ درهما) ومن الثاني (٣٠٠ درهم) ومن الثالث (٢٠٠ درهم) .

التقدير الثاني لنصاب الفضة حصل في آخر خلافة عمر إذ أمر أن يكون العمل في جباية الزكاة على الوجه الثاني فقط .

ذلك أنه وجد الدرهم الثالث الوازن (٢٨٣٢ جرام) أغلب الدراهم استعمالاً ووزنه

$$\text{وسطاً بين الأول والثاني هكذا } ٢٨٣٢ = \frac{٢٧٧٦ + ٢٨٨٨}{٢} \text{ جرام}$$

أو $٢٨٣٢ = \frac{٢٧٧٦ \times ١٨٨٨ \times ٢٨٣٢}{٣}$ جرام على اختلاف الروايات ، فأمر بجمعه عياراً لنصاب الزكاة وسائر الصفقات الشرعية توحيداً للعمل ولذا سمي (درهم عمر) .

التقدير الثالث : في خلافة معاوية إذ كبر هذا الدرهم إلى (٢٨٥ جرام) بإشارة

زياد كما تقدم فصار النصاب (٢٠٠ في $٢٨٥ = ٥٧٠$ جراما) .

التقدير الرابع : في خلافة عبد الملك إذ كبر الدرهم أيضا إلى (٢٩٥٤) جرام فصار النصاب (٢٠٠ × ٢٩٥٤ = ٥٩٠٨ جرام) .

ثم استمر العمل بهذا الدرهم زمن الدولتين الأموية والعباسية فوافق عليه الأئمة الأربعة واستقر وزنه درهما شرعياً إلى الآن سنة ١٣٧٤ هجرية .

ولتأسماً للفائدة رأيت أن أحول هذين النصابين المستقرين في الإسلام للذهب والفضة إلى الدرهم والجنيه والريال المصرية المستعملة الآن بمصر تطبيقاً للعلم على العمل بالأرقام .

ولما كان للفقهاء وأيان (أولها) اشتراط خلوص الذهب والفضة من النحاس . و(الثاني) عدم هذا الاشتراط ما دام لم يخرجهما الخلط عن طبيعتهما ، كان لزاماً لهذا التحويل أن نعرف مقدار هذا الخلط في النقود المصرية الآن لتحقيق هذا الشرط على الرأي الأول . ولذا عمدت إلى التحرر عن عيار هذه النقود من (مصلحة الدفع والموازين) الحكومية بالقاهرة بباب القاضي بالجلالية . وبينها في هذا الجدول :

مع العلم بأن جملة الذهب الخالص في الجنيه المصرى على هذا العيار يكون قدرها هكذا :

$$= ٨٨٥ \times \frac{7}{8} = ٧٤٧٢٥ \text{ (جرام) } .$$

وبناء عليه يكون عدد النصاب بالجنيهات على رأى من يشترط خلوص الذهب

وزن النقود المصرية وعبارتها منقولة لإدارة دمع المصوغان بمصلى - دمع والوزن المذكور ١٩٥٥			
أسماء النقود	الوزن	القيمة	ملاحظاتنا بالأحكام
جنيه	٨٨٥	$\frac{7}{8}$	بوزن الدينار العباسى الصغير وكان نصف دينار الأموي
نصف جنيه	٤٤٢.٥	$\frac{7}{8}$	بوزن الدينار العباسى وكان دينار الزكاة في سنة ١٢٨٥ هـ
ريال	٢٨	$\frac{5}{6}$	كان أوقية درره وفضه رومى في عهد الخليفة أحمد ٢٤٢ هـ
نصف ريال	١٤	$\frac{5}{6}$	كان درهم رومى (مصر) وكان (نصف) أسد ١٦٦٠ هـ
ربع ريال	٧	$\frac{5}{6}$	كان درهم رومى في عهد الخليفة أحمد ٢٠٨ هـ
عشر ريال	٢٨	$\frac{5}{6}$	كان شهر درهم الزكاة وفي عهد الخليفة أحمد ١٢٨٢ هـ
عشر ريال	١٤	$\frac{5}{6}$	استخدمت قريبا بعد انتهاء عهد الخليفة أحمد ١٢٨٢ هـ
نصف ريال	٧	$\frac{5}{6}$	قريب جدا من الدرهم الفضة في عهد الخليفة أحمد ١٢٨٢ هـ

$$\text{هكذا } \frac{٢٠}{٧٤٧٢٥} \text{ في } \frac{٧٤٧٢٥}{٧٤٧٢٥} = \frac{٧٤٧٢٥}{٧٤٧٢٥} = ١١٣٤٦ \text{ جنيها مصرية .}$$

وأن الفضة في الريال المصرى الآن تساوى (٢٨ في ١) = $\left(\frac{1}{28}\right)$ (١٤٠ = $\frac{1}{28}$ جراماً)
وبناء عليه يكون عدد نصاب الفضة بالريال المصرى (٢٠٠ × ٢٨٩٥٤) = $\frac{1}{28}$ = ٢٣٣
 $\frac{1772}{70} = \frac{9008 \times 3}{40}$ = ٢٥٣٢ ريالاً مصرياً سنة ١٣٧٤ وهكذا حساب
سائر الصفقات كما في هذا الجدول .

تقدير الصفقات الشرعية من الذهب والفضة بالأوزان والعملة المصرية الآن ١٩٥٤					
أسماء الصفقات	الوزن الشرائع			القيمة بالجنيه والريال	
	بالنقال ١٩٥٤	بالجرام ١٩٥٤	بالجرام ١٩٥٤	الذهب والفضة المصريين ١٩٥٤	الذهب والفضة المصريين ١٩٥٤
نصاب الذهب	٢٠	$\frac{5}{8}$ ٢٨	٨٤,٤	٩,٩٤ جنيه	١١,٢٤٦ ريالاً
نصاب الفضة	١٤٠	٢٠٠	٥٩,٨	٢١,١ ريالاً	٢٥,٢٣ ريالاً
الدينه ذهب	١٠٠٠	$\frac{5}{8}$ ١٢٢٨	٤٢٢٠	$\frac{9}{17}$ ٤٩٦	٥٦٨,٢٥ ريالاً
الدينه فضه عند عبراني حنيقة	٨٤٠٠	١٢٠٠٠	٢٥٤٤٨	١٢٦٦ ريالاً	١٥١٩,٢ ريالاً
الدينه فضه عند أبي حنيقة	٧٠٠٠	١٠٠٠٠	٢٩٥٤٠	١٠٥٥ ريالاً	١٢٤٧,٢ ريالاً
أقل المهر عند أبي حنيقة	٧	١٠	٢٩,٥٤	١,٠٥٥ ريالاً	١,٢٦٤ ريالاً

وأما صفقات الحبوب والثمار وتقديرها بالسكيل الشرعي وبأجزاء الإردب المصرى
ومقادير زكاة الفطر على جميع الآراء فوعدنا مقال آخر إن شاء الله تعالى ؟

محمد أبو الصوار البنا

مدرس الفلك بكلية الشريعة

عواقب الانهماك

في طلب الدنيا

عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من كانت الآخرة همه جعل الله غناه في قلبه ، وجمع له شمله ، وأتته الدنيا وهي راغمة ؛ ومن كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه ، وفرق عليه شمله ، ولم يأته من الدنيا إلا ما قدر له .

رواه الترمذى

وعن عبد الله بن مسعود : سمعت نبيكم صلى الله عليه وسلم يقول : من جعل الهموم هما واحداً - هم المعاد - كفاه الله هم دنياه ، ومن تشعبت به الهموم أحوال الدنيا لم يبال الله في أى أودية هلك .

سنن ابن ماجه

وفي المجازات النبوية قطعة من هذا الحديث بلفظ : من كانت الدنيا همه وسدمه جعل الله فقراً بين عينيه .

* * *

اللفظ والبيان : يقال : هم بالشئ بهم هما ، إذا نواه وأراده وعزم عليه ، ويؤيد هذا التفسير رواية أخرى لابن ماجه بلفظ : من كانت الآخرة نيته ؛ وتقول : جمع الله شمله ، أى ما تشئت من أمره ، وفرق الله شمله ، أى ما اجتمع من أمره . وفي حديث الدعاء : أسألك رحمة تجمع بها شملى . والسدم بزنة الندم : هو الهم ، فمطلقه عليه تفسير ، وقيل هو الهم مع ندم ، وقيل غيظ مع حزن ، وقيل هو الحرص والولوع بالشئ ، والعاشق السدم بكسر الدال : هو الشديد المشق ، وكل ذلك يراد ، وكله يكون لمن تكون الدنيا همه ونيته ، ومعنى تشعبت به أنها فرقت همه ونيته .

وفي إتيان الدنيا راغمة لمن كانت الآخرة همه تشبيه لتيسر أحوالها واقتيادها له بالرغم

الذي هو ذلة الذليل للعزير ومطاوعته له كما يريد ، وفي المجازات النبوية أن قوله عليه الصلاة والسلام : « من كانت الدنيا همه وسدمه جعل الله فقراً بين عيبيه ، مجاز والمراد به أن من جعل الدنيا همه ، وقر عليها باله ، وأعرض عن الآخرة بوجهه ، وأخرج ذكرها من قلبه ، وأقبل على تكمير الأموال ، واستنخام الأحوال ، عاقبه الله على ذلك بأن يزيد فقره نفس ، وضرع خد ، فلا تسد مفارقة^(١) كثرة ما جمع وعدد ، وعظيم ما أثل^(٢) وثمر . فسكانه يرى الفقر بين عيبيه ، فهو أبداً خائف من الوقوع فيه ، والانتهاه إليه ، فلا يزال آكلاً لا يشبع ، وشارباً لا ينقع ، فعه حرص الفقراء ، وله مال الأغنياء . وقوله عليه الصلاة والسلام : « جعل الله فقراً بين عيبيه ، مبالغة في وصفه بتصور الفقر فسكانه قريب منه ، وغير غائب عنه ، والأشبه بتأويله هذا أنه من قبيل التمثيل : تمثيل هذا الأمر المعنوي في شدة استحضار النفس له واشتغالها به ، بحال ما يروع الإنسان ويفزعه من الأمور الحسية التي يشخص لها البصر ، ويتعلق بمخوفها النظر . وهذه الطريقة في تمثيل الأمور المعنوية بالأمور الحسية وفي المبصرات بخصوصها نظير قول القائل ، وإن اختلف الغرض والمعنى :

إذا هم ألقى بين عيبيه عزمه ونسكب^(٣) عن ذكر المواقب جانباً

وأما قوله ﷺ : « ومن تشعبت به الهوم أحوال الدنيا لم يبال الله في أي أودية هلك ، فالأيسر فيه أنه تمثيل لحال هذا الذي استهوته همومه الكثيرة المتفرقة ، ومطامعه المختلفة المتنوعة ، خملته على طلبها من كل وجه ، والتوسل إليها بكل وسيلة ، ثم لم ينل منها ما ييل غلته ، ولا ما يشقى علته ، ولم يكن حظه إلا الشقاء والحيرة ، والندامة والحسرة ، بحال من تفرقت عليه الأودية والشعب ، وضلت به المذاهب والسبل ، فكلما سلك مسلكاً بدله فأمّ غيره ، وكلما انتهج منهجاً تحير فانتهج سواه ، فلا يصل إلى غاية ، ولا ينتهي إلى نهاية ، إلى أن يهلك كده وقعه ، ويقضى عليه سعيه ودأبه .

وقوله ﷺ : « لم يبال الله في أي أودية هلك ، كناية عن هوانه على الله ، وحقارته عنده ، وأن الله لا يعبأ بمثله .

(١) حاجاته ، (٢) جمع وادخر

(٣) أهرض

المعنى :

هذه قسمة عادلة قسمها الله لأحوال خلقه في ذوات نفوسهم ، وصفات قلوبهم ، قبل أن يزيل بينهم في أحوال معادهم ، ويفرق بينهم في مآبهم وجزائهم ، أن لا يستوى أصحاب الهمم العالية ، والمزائم الماضية ، من طلاب ما عند الله والدار الباقية ؛ وأصحاب الهمم الدنيئة ، من طلاب المطامع والمآثم ، في هذه الدار الفانية ، الذين جعلوا الدنيا مبلغ همهم ، وقاية سعيهم ، ومنتهى أمرهم . فهم لها يعيشون ، وعلى متاعها يعكفون ، وفي دنياها يسابقون ويتنافسون . وذلك مصداق قوله تعالى : « أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون » ، فأما الأولون فإن لهم عند الله أن يصلح بهم وأعمالهم ، ويسدد لهم خطواتهم ويبين سبلهم ، فلا تشعب بهم المسالك ، ولا تقطع بهم الأودية والمفاوز^(١) ، ولا يفرق عليهم أمر ، ولا يتصدع لهم شمل ، ولا يحبط لهم حمل ، ولا ينقطع لهم أمل . بل لا يزالون يهديهم الله بنوره ، ويسدد خطواتهم بتوقيفه ، فإذا عثر أحدهم عثر ويده بيد الرحمن كما ورد في ذوى المروءات ، وأتقذه الله كما ينقذ أهل المسكرات ، من ذوى الهمم العاليات ، والنفوس الايات . ثم لا يجدون في قلوبهم إلا الغنى الذى لا يغلبه فقر ، والرضا الذى لا يزلزله بلاء ، والسعادة التى لا يمحوها شقاء . ولا تعصف بها أعاصير المحن ، ولا توزال القضاء .

وأما الآخرون من أصحاب الهمم الدنيئة والمطامع الرديئة من عشاق الدنيا ومبَادِها ، والمولعين بزخرفها ومتاعها ، فأولئك هم الآخسرون أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ؛ تراهم هائمين في كل واد ، متطلبين لأسباب الفساد ، والعلو على العباد ؛ لا يذكرون لله نعمة ، ولا يخشون منه غضبا ولا قهمة ، ولا يرجون لقاءه ، ولا يتقون بلاءه ، فلا يصبرهم بنوره ، ولا يهديهم إلى سبيله ، ولا يعد لهم إلا الضلالة والخيرة ، والندامة والحسرة ، فلا يجدون غنى مهما جمعوا ، ولا رضا مهما أوتوا ، فقرهم بين أعينهم مائل ، وهلمهم في قلوبهم نازل ، لا يزالون قافدين كلما وجدوا ، موحشين كلما أنسوا ، لا يجتمع لهم شمل ، ولا يلتئم لهم صدع ، ولا يستقيم لهم أمر ، ولا يصلح لهم بال ،

(١) جمع مفازة ، الطريق الملهكة الهوة .

ولا يستفرون على حال ، ولا يخرجون من ضلال إلا إلى ضلال . استغفوا عن الله فاستغنى الله عنهم ، ولم يستقيموا على سبيله فلم يعبأ الله بهم ، والله هو الغنى الحميد . وكيف لا يكونون كذلك ، وقد خانوا أمانة الله في أعناقهم ، وأعرضوا عن حكمته في خلقهم ، إذ يقول : « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون ، إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ، وذلك هو الحق الأول فكيف يوفق الله جاحديه ، أو يهدي إلى خير منكره ١٩ » وقد ورد بيان ذلك الحق في التوراة أيضا : ففيها على ما رواه سلفنا : « يابن آدم ، خلقت الأشياء من أجلك ، وخلقتك من أجل ؛ فلا تهتك ما خلقت من أجل فيما خلقت من أجلك » فالفرق بهذا بين الموفقين والمخذولين هو أن الآخرين اتخذوا الوسيلة غاية ، والطريق مقصدا ونهاية . فانقطع بهم ولم يصلوا ، وضلوا فيه وأضلوا .

وقد كان عيسى عليه السلام يعجب من هذا شأنهم فيقول : « تعملون للدنيا . وأنتم ترزقون فيها بغير العمل ، ولا تعملون للآخرة ، وأنتم لا ترزقون فيها إلا بالعمل ١٩ » ومن المواعظ البالغة في ذلك ما ورد في أثر إلهي ، أن الله عز وجل يقول : « ابن آدم . اطلبني تجدني . فإن وجدتني وجدت كل شيء ، وإن فتك فأتك كل شيء ، وأنا أحب إليك من كل شيء » ، ومن مثل هذا القبس المضيء اقتبس معاذ بن جبل رضى الله عنه قوله : « يابن آدم ، أنت محتاج إلى نصيحتك من الدنيا ، وأنت إلى نصيحتك من الآخرة أحوج ، فإن بدأت بنصيحتك من الآخرة مر بنصيحتك من الدنيا فانظمت انتظاما ، وإن بدأت بنصيحتك من الدنيا فأتك نصيحتك من الآخرة ، وأنت من الدنيا على خطر » . وعن هذه الموارد صدر الحسن رحمه الله في قوله : « أهينوا الدنيا ولا تكرموها فإنها والله أنها ما تكون حين تهان » .

ألا وإنه من رحمة الله بعباده كما كان قسما عدلا وقضاء فصلا ، أن لا يعطى الطمأنينة والرضا ، والقناعة والغنى . والكرامة والتوفيق ، والعزة والتميز ، إلا لهذه القلوب التي أقبلت عليه بمزائنها ، وأخلصت له نياتها ، فإن ذلك عون لها على رشدها ، وتجديد لمزائنها ، وتأيد لسمعها ، وتثبيت من أنفسها ، وتركيز لإيمانها ؛ وأن لا يعطى هذه القلوب المتملقة بالدنيا ، الحريصة على متاعها ، المتفانية في مطامعها وشهواتها إلا الهلع والجزع ، والحلم والسدم ، والغبط والندم ، والحسرات والاحزان ، لتكون الحالتان هبة للمعتبرين ، وبصيرة للمستيقنين ، وذكرى للذاكرين « وما يعقلها إلا العالمون » .

قضية شمال القوقاز

والمؤتمر الاسلامي

يتنظم كفاح شمال القوقاز ضد الاستعمار الروسي القيصري في دورين خطيرين حتى فترة الاستقلال سنة ١٣٣٩ هـ (١٩١٨ م) ويمتد الدور الأول من سنة ١١٧٧ هـ (١٧٦٣ م) حتى أواخر سنة ١٢٨٩ هـ (١٨٦٤ م)

ويبدأ باتحاد شعوب شمال القوقاز بزعامة الإمام الشيخ منصور الذي أعلن الجهاد الإسلامي على روسيا القيصريّة، واقتصر في بعض المواقع الحربية، واستولى على قلعة (أنابو) وحارب الروس نحو عشر سنوات حتى وقع أسيراً سنة ١٢٠٦ هـ (١٧٩١ م) ثم توفى في المنفى^(١). ثم ظهر الإمام الثاني محمد غازي وحارب الروس نحو ثلاث سنوات ثم استشهد في ميدان

(١) المجلة - في هذه السنة ١٢٠٦ هـ عقدت معاهدة صلح يامس بين كثرية الثانية والسلطان سليم وتحصلت روسيا بها على القرم.

ألا وإن من أحكم الحكمة، وأرحم الرحمة، ما ختم به الحديث الأول من أن العبد بالغا ما بلغ سعيه لن يأتيه من الدنيا إلا ما قدر له، ولم يبق بعد ذلك من فرق بين طلاب الدنيا وطلاب الآخرة إلا أن طالب الآخرة يأتيه رزقه بلا تعب مع الرضا والقناعة، وطالب الدنيا يأتيه بتمب وشدة مع الفقر والضراعة. وفي هذا يقول بعض السلف: فطالب الآخرة قد جمع بين الدنيا والآخرة، وطالب الدنيا قد خسر الدنيا والآخرة. وما أبدع قول الخليل بن أحمد:

والرزق عن قدر لا الضعف ينقصه^(٢) ولا يزيدك فيه حول محتال

محمود فرج العفدة

مدرس بكلية اللغة العربية

الحرب وخلفه الإمام حمزة بك ولم يستطع محاربة الروس أكثر من سنة واحدة حتى وقع شهيدا في ميدان القتال .

ومن بعده ظهر الامام الشيخ شامل الذي حارب الروس أكثر من ٢٥ سنة وكبدهم خسائر فادحة حتى اقتصر سنة ١٢٥٦ هـ (١٨٤٠ م) ، وهناك رواية مشهورة هي أنه قال - معترزا بالنصر - لو فد روسيا الذي جاء طلبا للهدنة : إنه سوف لا يلقي السلاح حتى يفتح موسكو وينشر فيها دعوة الإسلام .

• • •

ومن أشهر الزعماء الذين قادوا الحروب في عمده الشيخ شعيب والحاج كراندوق بك ومحمد أمين والحاج مراد ، وأخيرا حشدت روسيا قوات كبيرة تعدادها (٣٠٠ و ٤٠٠) جندي لاحتلال القوقاز نهائيا فوقع الإمام الشيخ شامل أسيرا سنة ١٢٧٦ هـ (١٨٥٩ م) ، واستمرت الحروب من بعده حتى أواخر سنة ١٢٨١ هـ (١٨٦٤ م) .

ولقد وقف المسلمون المجاهدون في هذا الدور الحربي بشجاعة فائقة حصنا منيعا ضد خطر الاستعمار من الشمال على العالم الإسلامي ، كما سجلوا أعظم صفحات البطولة والجهاد في المعارك الطاحنة بين الطرفين ، والتي سجلت تفصيلاتها في كثير من الكتب بمختلف اللغات الأوروبية .

ومن أشهر تلك المعارك معركة (رادى يورت) سنة ١٢٣٤ هـ (سنة ١٨١٩ م) فقد أرسل الجنرال يرمولوف قائد الحملة الروسية إنذاره بإخلاء البلد المذكور فرفض المواطنون الانذار واستعدوا للدفاع ، فتقدمت القوات الروسية لمحاصرة البلد بمدفعيتها الثقيلة والأسلحة الخفيفة ، وفي بداية المعركة كانت خسائر الروس فادحة . . ولكن بعد ما فتحت المدفعية عدة فترات حول أسوار البلد بدأت الوحدات العسكرية تشبك مع المجاهدين الوطنيين بالسلاح الأبيض ، فوقعت الملحمة بالختاخر الطويلة وحراب البنادق ، وقتل معظم أهل البلد ، واشتعلت النيران ، وعندما رأى بقية المجاهدين سقوط البلد أخذوا يقتلون أولادهم ونساءهم ببقية ذخيرتهم حتى لا يقعوا في يد العدو كما أن السيدات صرن يلقين بأنفسهن في النيران دفاعا عن الوطن والشرف .

هذا ملخص ما جاء في التقرير الحربى الذى أرسله الجنرال يرموف إلى الجهات الرسمية فى موسكو .

ثم يبدأ دور الثورات الوطنية ضد الاحتلال الروسى من سنة ١٢٨١ هـ (١٨٦٤ م) إلى آخر الحكم القيصرى الروسى سنة ١٣٣٥ هـ (١٩١٧) .

وبعد انتهاء الحروب النظامية فى الدفاع عن البلاد بدأت الثورات فى معظم المقاطعات ، ولذلك لم يستقر الحكم الروسى فى البلاد ، ولكن هاجر كثير من قبائل شمال القوقاز إلى تركيا وبعض البلاد العربية حرصا على حرية عقيدتهم وللمحافظة على التعليم الدينى للجيل الجديد ولإيقاظه من الاستعمار الثقافى على أمل أن يكون فى المستقبل نواة التحرير . . ومن أشهر الثورات فى هذا الدور ثورة سنة ١٢٩٤ هـ [١٨٧٧] م التى قامت بقيادة محمد غازى وانتهت بخسارة فادحة من الطرفين وكان ذلك إبان الحرب الروسية التركية .

وبعد ذلك اقتهزت البلاد فرصة الحرب الروسية اليابانية سنة ١٣٢٣ هـ (١٩٠٥ م) وأعلنت الثورة بزعامة الثائر الحربى المشهور (زليمخان) الذى قاد حرب العصابات ضد الاحتلال نحو عشر سنوات ، ولم تهدأ الحالة فى البلاد حتى فترة الاستقلال (١٣٣٦ هـ ١٩١٨) (١٣٤٠ هـ - ١٩٢٢ م)

• • •

وبعد جهاد مسلح نحو قرن ونصف بملايين الشهداء انعقد المؤتمر الوطنى لشمال القوقاز فى آخر رجب سنة ١٣٣٦ (١١ مايو سنة ١٩١٨) وأعلن الاستقلال . وهو يوم خالد فى تاريخ القوقاز جدير بالاحتفال . وارتفع فيه العلم الوطنى فى سماء الحرية . وقامت برئاسة الزعيم عبد المجيد جبرموى (جمهورية شمال القوقاز) وهى تتألف من شعوب الداغستان شرقا والشيشان والاستين بالوسط والشركس غربا ، وعدد سكانها نحو خمسة ملايين نسمة ومساحتها نحو ١٧٦ ألف كيلو متر مربع . وهذه البلاد من أجل وأغنى بلاد العالم .

وانتخبت العاصمة (فيلادى قفقاس) وبدأت الحكومة الوطنية بمشروعات هامة

وبتكوين الجيش باسم الجيش الاسلامى القوقازى . واعترفت معظم الدول الكبرى باستقلال جمهورية شمال القوقاز وتبادلت معها انجلترا وفرنسا التمثيل السياسى ، كما اعترفت باستقلالها وروسيا السوفيتية التى قامت عقب الثورة الشيوعية سنة ١٩٣٥ هـ (١٩١٧) بسقوط النظام القيصرى فى روسيا .

ثم اختير عبد المجيد جيرموى رئيسا لوفد شمال القوقاز إلى مؤتمر الصلح فى باريس . وتألقت الحكومة الوطنية برئاسة الزعيم (بشماخوكوسرك) وبدأت بتنظيم أمور الدولة . وبعد ذلك وقعت البلاد مسرحا للعارك الحربية بين الجيش الاحمر والقوات القيصريّة وتعرضت بسبب ذلك لخسائر فادحة .

وآخر حكومة وطنية لفترة الاستقلال تألفت برئاسة الجنرال ميكائيل خليل ولكن بعد انكسار القوات القيصريّة نهائيا بدأ تدخل الجيش الاحمر من جديد . ثم قامت حركة الدفاع الوطنى برئاسة سعيد شامل ولكنها لم تستطع مقاومة الجيش الاحمر وانتهت بإعدام الزعماء الوطنيين وفى مقدمتهم الإمام نجم الدين . ثم التجأ رجال الحكومة إلى تركيا وبعض دول أوروبا .

وأخيرا — فترت المقاومة الوطنية ضد الاحتلال الشيوعى ١٣٤٠ هـ (١٩٢٢) الى الآن

* * *

بالرغم من اعتراف روسيا السوفيتية باستقلال شمال القوقاز وإذاعته تكررأ من موسكو أرسلت الجيش الاحمر لاحتلال القوقاز ثم قسمت شمال القوقاز إلى سبع جمهوريات صغيرة من الحكم الذاتى وألحقت بموسكو .

ثم ضربت الستار الحديدي ونظمت حركة الاستعمار الثنائى ضد الدين والوطنية ، وصبغت التعليم المدنى بالنظام الجديد ، وألغت التعليم الدينى ، وحولت مئات المساجد إلى مرافق أخرى ، واستولت على أهم موارد البلاد .

ولكن لم تنجح الوسائل الجديدة فى القضاء على المقاومة الوطنية .

* * *

ومن أهم حركات المقاومة في هذه الفترة الأخيرة ثورة سنة ١٣٥١ (١٩٣٢) التي استمرت نحو سنتين بقيادة جمعية شمال القوقاز المستقلة التي أصدرت بياناً تشرح فيه مظالم الاحتلال الشيوعي وتناشد دول أوروبا والعالم أجمع بالمعطف على قضية بلادهم حتى تستطيع التخلص من العدوان الشيوعي بعد اعترافهم باستقلال البلاد رسمياً، ونشر ذلك البيان في صحف بولونيا وفرنسا وبعض بلاد أخرى. وفي سنة ١٣٦١ هـ (١٩٤٢)، قامت ثورة شعبية ضد قوات الاحتلال الشيوعي أثناء الحرب الروسية الألمانية الأخيرة واستمرت الثورة نحو سنتين ولكن بعد انسحاب ألمانيا إلى أوروبا وقعت البلاد مرة أخرى تحت الحديد والنار، وأذيع على العالم في ٢٥ رجب ١٣٦٥ (٢٥ يونيو ١٩٤٦) كما نشرت الصحف قرارات الكرمين بالغاء جمهوريات شمال القوقاز ومنها: جمهورية شيشان - أنجوش والقرجاي - البلقار والقرموق فضلاً عن القرم المجاورة، وبلغ عدد المنفيين إلى سيبيريا نحو مليونين من المسلمين المشردين. وتدل هذه القرارات على أن الثورة كانت شعبية عامة، وإلا لحوكم بعض الثوار وبقيت الجمهوريات كما هي. وهذه الثورة في نظر الشيوعيين خروج على الاتحاد بالتعاون مع العدو، ولكنها في نظر الأحرار الوطنيين دفاع عن حق تقرير المصير على أساس الاستقلال المعترف به سنة ١٣٣٩ هـ ١٩١٨ ضد العدوان الشيوعي القائم.

وبعد هذا البيان العام في الوقت الذي تقف فيه مصر النائرة لصالح الشعوب ضد الاستعمار بجميع مظاهره، كما أعلن في مؤتمر باندونج الأخير، تتمثل المطالب القومية لشمال القوقاز بواسطة المؤتمر الإسلامي فيما يأتي:

أولاً: مطالبة الدول الإسلامية والعالم أجمع بالاهتمام بقضية شمال القوقاز في هيئة الأمم المتحدة.

ثانياً: تأليف هيئة تحرير شمال القوقاز للقيام بالدعاية بإصدار مجلة صوت القوقاز الشمالية.

ثالثاً: إعادة المنفيين إلى وطنهم وإبعاد الروس الذين أسكنوا معلم إلى بلادهم الأصلية

رابعاً: إعادة جمهورية شمال القوقاز المستقلة سنة ١٣٣٩ هـ (١٩١٨)

ضمير أرسطو

يمثل الدفاع الوطني لتحرير شمال القوقاز

تَعْلِيْقَات

- ١ -

رسالة الأزهر

خطب حاكم الباكستان في استقباله لوفد مصر ، فكان من أبرز كلماته إشادته بالأزهر ، وامتداحه لمصر لأنها بلد الأزهر .

ثم خطب وزير مصر وبطلها - جمال - فكان من كلامه أن مصر تفخر بالأزهر وتقدر له فضله ، وأن من أمارات اعزازها به أن مع الوفد وزير الأزهر - الباقوري - هذا - ولم يكن حاكم الباكستان مجازفاً فيما أتى ... ولم يكن زعيم مصر مسرفاً فيما قال ، فللأزهر من الشأن ، ولمصر من المجد به ما يجري صدقا على كل لسان .

ويا ترى ! لو لم تكن مصر بلد الأزهر ، فإذا كان حظها من الثقافة يوم كانت منابع العلم جافة في بقاع الشرق - عدا مكة والمدينة - وماذا كان نصيبها من المجد الأدبي ، والزعامة الإسلامية ، يوم كان المجد الأدبي نازحاً من الآفاق ؟؟ أحسب أنها لم تكن تزيد في مجدها على أية دولة من الدول التي تعبطها على أزهرها ، ولا تطاولها في الفخر بشيء مثله اليوم .

ولا أستثنى من ذلك بلداً غريباً من عواصم الثقافات الحديثة ، فكلها مسبوقة بمصر والمحمد لله ... ورسالة الأزهر في حياته الطولى هي رسالة السماء : رسالة الإسلام ولفته ، ينشأ الأزهر بجهود الموصولة ، ويرعاها بحراسته اليقظة ، ويصبر على ما يصيبه فيها من عنت أو شظف .

وإذا كان في مصر - بالذات - وفي الشرق العربي كله من يعرف حلالاً وحراماً ، ومن يعرف قراءة وكتابة ، ومن هم فوق ذلك حظاً من العلم ، فإن هذا في أكثره من فيض الأزهر ، أو هو رشح من معينه ، أو هو قبس امتد من برج الأزهر ، وسار في اتجاهات مختلفة حتى

أعضاء الاصفاة البعيدة ، وبصر الناس في ضوئه أن هذه إشراقة من الأزهري ، فليس كثيراً على مصر أن يشيد بأزهرها من يشيد في الباكستان أو سواها .

وستظل السنة الخطاب ، وأقلام الكتاب ، وقصائد الشعراء ، تغني كلها مجد مصر وبفضل الأزهري ، وسيظل صوت الأزهري ندياً في دور القضاء الشرعي ، وفقرات التدريس ، وحلقات العلم ومجالس الوعظ ، ومكاتب التحرير في الصحافة ، وسيظل صدى تعاليمه على كل لسان من السنة المسلمين ، وغصة في حلق من شائته .

ولكن الأزهري - مع هذا ، وعلى بعد صيته ، وأصالة مجده - لا يعدم في مصر من يخاصمه لغير سبب مفهوم فبينما نجد الأزهري كالرائد الأمين الذي لا يكذب أهله فيما يحمل إليهم من نبأ ، أو يوافيهم به من علم ، نجد أفراداً من الكتاب يزعمون النقص من شأنه ، ويحاولون تزويد الناس فيه ، والمساس بسمعه . فما هي جناية الأزهري عند كتابنا هؤلاء ؟

الأزهري ينقل إلى الناس من كتاب الله وسنة رسوله ما يهذب طباعهم ، ويؤدب نفوسهم ، ويصلح أخلاقهم ، وهو يغار على رجولتهم من التخلف ، وحلى أنوثتهم من التبذل .

فيؤلف في الرجولة نخوة الغيرة ، ويعت في الأنوثة كبرياء الترفع ، ويحوط الأعراض بسياج من تعاليم الله ، حتى لا تهار الكرامات ، ويضطرب الأمن في المحارم والبيوت ، ويكون المسلمون بعد اجتيازهم تلك المراحل في حياتهم العملية والدينية أسوأ حالاً من عصور الجاهلية الأولى .

الأزهري يبلغ الناس عن ربهم وعن رسوله كل ما يرفع مستواهم ، ويشد الروابط بينهم . ثم هو يربطهم بربهم ، فيدعوهم إلى عبادات صحيحة ، ويربطهم بأنفسهم في معاملات مشروعة ، ويركز فيهم الأدب ، ويرجع بهم إلى الحياء ، ويقاوم فيهم الانانية والطغيان والإباحية . ورسالة الأزهري في جعلتها وتفصيلها رسالة دين ودنيا : غير أنه الدين الحق والدنيا الكريمة ، الدين الذي لا تنال منه شبه المفسدين ، والدنيا التي لا تخالطها المآثم ، ولا تنال منها همزات الشياطين .

هذه رسالة الأزهري في إجمال ، فما بالناس نجد لهذه الرسالة خصوماً يتعاملون على الأزهري ولا يترقبون به في مطاعهم ، وكلما وجدوا متسعاً في صحيفة ، أو مناسبة في ندوة ، أو نزعة

طائفة عن لا يرجعون إلى ضمير أذكوا نار الخصومة ، ووسعوا منافذها ، وباعدوا وأسرفوا ، على حين أنهم يرون بأعينهم ، ويسمعون ويقرأون ما هنا وهناك من مخزيات ، فلا نرى لهم فكيرا ، ولا نسمع لهم تأقفا .

يود الأزهر أن يجد من تلك الأفلام عونا له في رسالته ، ليظفروا بنصيب من الفضل في البناء ، أضعاف ما يصيبهم من الاجر على الهدم ، إن كانوا حقائسهمون في الإصلاح ، ويخلصون في التوجيه ، ويود الأزهر أن نكون عند كلمة سواء ، فلا إسفاف بتعير الأزهر أنه جامد أو أنه رجعي ، أو أن أهله كانوا يأكلون الفول والطرشي !! كما أذاع بعضهم هذا في أول رمضان وما إلى ذلك من الأساليب الهزيلة التي لا تروق عند القراء والسمعيين .

يحاول الأزهر أن يتصون ويتغاضى عن منازلة هذه الأساليب ، ولكن غواتها يدأبون عليها ، ويحاول الأزهر أن يدفع كل كلمة شائنة في وجه صاحبها وفي حينها ، ولكنه لا يجد متسعا لما يكتبه ، ثم هو لا يجد معذرة عند من يطلبون إليه أن ينشر ما يدفع به إفك الأفاكين .

وشر من هذا كله : أن أفرادا من أبناء الأزهر يطاوعون هذه الفتنة ، ويتقربون إلى دعاة التجديد ، وأنصار التحلل ، ليقال عنهم : سبقوا غيرهم ، وبذوا سوامهم ، وطلعوا علينا بالجديد من بين الأزهرين .

يكتب هؤلاء - من أبناء الأزهر - غمزا في الأزهر بأنه جامد ، وأنه أغلق باب الاجتهاد ، وأنه مترث في رسالته ، وأنه كذا وكذا مما لا يصدق ولا يليق ، فن أن هؤلاء نبرغهم وهم صنيعه الأزهر الجامد المتخلف ؟؟ خير لم أن نسمع لم صوتا إيجابيا فيما ينفع ، وخير لنا ولم أن نرى لم اجتهدا في الفقه إن كانوا أهلا ، ثم لتنظر أيعترض عليهم الأزهر فيما ينتجون ؟؟ ولكن لاضير على الأزهر من أولئك ، فقد غلبتهم طبائهم على ثقافتهم ، فأحبوا الظهور ، ولاحت لهم آمال فهم يتصيدونها بحبال من أديم الأزهر غير مشفقين ولا أوفياء (ولكل امرئ ما نوى) .

مع الثورة

في الصحراء الناضرة

كان من أعاجيب الثورة أن تكشف لنا عن وجه جديد من وجوه الإصلاح الذي لم يكن يتعلق به الأمل ، ولا يتجه نحوه الخاطر : فهناك في مديرية التحرير ، وبعد أن تقطع السيارة أميالا طوالا في طريق مصر الغربى ، ثم أميالا طوالا في جوف الصحراء الليبية ، يقف المرء مشدوه الخاطر ، مسحور العين ، بين مروج خضراء ، وأشجار مصفوفة ، وطرق مصقولة . وهذا المنظر في عرض الفلاة المبسوطة بنفسك أنها البياب القفر التي طويست في رحلتك من جنباتها أشواطاً مقرامية ، دون أن ترى فيها أثراً من آثار الحياة في القرون الخوالي ، وينسبك أن هذه البلاقع الجرداء عارية حتى من مرايض الوحوش ساعة هجموعها ، ومن أوكار الطيور حين سكونها ، فكيف بالإنسان يعمرها ، وليست على مقربة من ماء ، ولا ذات صلة بالأحياء ؟ ولكن عين الثورة لم تتجاوز هذه الصحراء في غير وعى ، وعزيمة الثورة لم تقف دونها في تهيّب ، فسرعان ما هيمنت أسود الثورة على تلك الرقعة التي تحاشتها أسود العرين والغاب ، وسرعان ما فتحت الثورة فيها السيل ، وعبدت فيها الطريق إلى تلك البقعة التي سمّتها « مديرية التحرير » .

• • •

وهناك ترى الهندسة البارة خلقت في جوف الفلاة حياة فنية جديدة ، ورسمت عليها دنيا خصية بهيجة ، وهيأت للمبصر أن تتقلب في مباحج الطبيعة ، ولنفسوس أن تروح

في ظلال المنشآت ، وأفسحت لغيرنا من فصحاء البيان أن يقول ، وللشاعر الموهوب
أن يخلق ويحول .

كم يبهرك ما ترى حين تتخطى الفلاة وما بها من وهج الشمس اللائحة إلى ترعة جارية
تستقبلك خارج القرية - أم صابر - وعلى متن هذه الترعة طريق مخفوفة بالأشجار الناشئة ،
تصطف في مطلع القرية كأنها الحسان في موكب العروس .

تهز نفسك من برحة الماء ونضرة الشجر نشوة تبدد ما ألم بك من جفوة الصحراء ،
وتعش فيك الوعي واليقظة إلى ما أنت قادم عليه من ألوان الحياة الفنية ، في بقعة كانت
موافا طوال أيام الحياة .

فإذا ترسلت في خطاك ، ووقع نظرك على أم صابر ، فإنه واقع - أولا - على المراعى الخصبة ،
وفيها الأبقار متحاذية في موقفها ترتع في مجبوحة ودعة ، وخيل إليك أنها تميش هنا من
سالف الزمن ، لامن أشهر معدودة ، وتمثل لك قول الله تعالى : « ولكم فيها جمال حين
تربحون وحين تسرحون » .

ونظرك واقع - ثانيا - على حظائر الماشية التي أعدت لمبيتها خارج المساكن ، حتى
لا يجتمع الفلاح ودابته في حين واحد ، كما كان بلاؤه فيما سلف ، وحتى يستطيع أن يتذوق متعة
السكن الحديث الذي نهيأ له ، معزولا عن مراضى الأغنام وسواها ، مستوفيا أسباب الرفاهية .

فإذا تجاوزت ببصرك مصاف الأنعام في مراعيها إلى مباني القرية لفتتك بهجة المسجد
الأنيق في موقعه من جهة القرية ، واسترعتك مثذنته الشائعة ، وللآذن وحى بتغلغل في القلوب ،
ويثير فيها عظمة الإسلام ، ويرمز إلى أنه دين النهوض إلى الغايات السامية ، والتطلع إلى
مراق الحياة ، ودين المناجاة لبارئ السموات وجعلها سقفا مرفوعاً لهذه الدنيا وما اشتملت
عليه من عجائب الله .

يقع ذلك المسجد على رجة تلتق فيها شوارع معدودة إلى داخل القرية ، وعلى جوانب

هاتيك الشوارع أقيمت المساكن المفسقة الحديثة التي أعدت لسكنى المواطنين ، وما أحب أن أستوعب المشاهد الرائعة التي احتوتها قرية أم صابر فإن ذلك سيطول .

وحسبك أنها قطعة من النظام استوفت مباحج الفن وشرائطه الكافية بالحياة الحديثة ، وأن فلاحنا الذي سيختارونه للقيام بها واجد فيها من الوسائل الحديثة والمرافق اللازمة ما ينسبه شقرة الأرياف التي حجبت مواهب الكثير من القرويين ، وكبتهم في آفاق ضيقة ، وحالت بينهم وبين مظاهر الحضارة ، بل وبين ضرورات الحياة التي يكون بها الإنسان مدنياً بعض الشيء ، حتى صار يضرب المثل في التأخر بالفلاح على لسان الذين لا يعرفون للفلاح فضله ، ولا يقدرّون له شأنه في الحياة المصرية من كل ناحية . حتى جاءت الثورة الرشيدة فكان تهافتها قبل كل شيء على الإشادة بالفلاح ، واجتذابه إلى الأمام ، وإحلاله محله اللائق في مقدمة الصفوف .

• • •

وما أحب كذلك أن أستوعب المشاهد في المصانع الجادة في عملها هناك بالآلات الحديثة في الزراعة والصناعة بأيدي الفتيان المصريين ، مما يروح أولئك الذين يستكثرون على المصريين أن يسهموا في الحضارة ، أو يرفلوا في مناعها ، وقد كانوا أسبق الناس إليها قديماً ، وما حجهم عنها أخيراً إلا محابيات تراكت في سيلهم ، ولكن المدنية ظلت كينة في مواهبهم وفي عزائمهم ، حتى جاءت الثورة فأيقظت المشعل أمام الشعب ومكنت له أن يسير .

فإذا روعى أن هذه الوثبة الفجائية من وثبات الثورة الموفقة دفعت بالأمة إلى حياة جديدة في ذلك المكان القصي ، وأنها أنتجت في أشهر قليلة ما لم يسبق مثله في أمد طويل ، أمكن في سهولة أن تؤمن إيماناً حقاً بأن هذا خير تحققت برا كبره ، وأن ما بعد ذلك من العجاج المأمول سيطرّد حتى لا يقف عند تحديده بالوصف .

وإذا كانت مصر بين الشعوب أمة كرمها الله بتشريعه الديني ، وجعلها من قديم وطن

دين وتدين ، لا وطناً بدائياً ، كما جعلها ذات تاريخ مجيد : فما كان يليق بها أن تتفاعد عن مواصلة جهادها حتى تتحدد لنفسها تلك السيادة التي توفرت مبادئها في دينها وتاريخها وجغرافيتها . . . وهي بذلك تكون متمشية مع دينها في دعوتها إلى العمل وبناء المجد . (وقل اعملوا فسمي الله عملكم ورسوله) ، (ان الارض يرثها عبادي الصالحون) ، (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن وباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم) فذلك توجيه إلى المجد ، والتحفيز من مطامع العدو ، وليس حصا على المدوان ، والمناواة الباغية .

وإذا توفرت الامة على يد الثورة شخصية مهيبة ، وعدالة سابعة ، وأمن لها وأمن من شرها ، فتلك هي الامة الإسلامية التي لقنها رسولها مبدأ السيادة الكاملة في أسير تعبیر : (الإسلام يعلم ولا يعلم عليه) .

• • •

ولعل ثورة مصر واصلت بالامة عما قريب إلى تلك الغاية ، حتى نرى التعمير في مديرية التحرير قد استوعب تلك المساحات التي تناولها التخطيط الجغرافي لمشروع الثورة هناك ، ونرى البلاد المزمع إنشاؤها في مديرية التحرير قد اكتمل عددها في ثمانية عشر مركزاً ، وفي كل مركز ثمان عشرة بلدة ، ورقعة كل بلدة ألف فدان ، ثم ينتقل التعمير إلى مثل هذا حتى يتمثل المشروع المأخوذ فيه في مليون ومائة ألف فدان .

وإن المزامم التي خلقت بمعونة الله في جوف الصحراء الغربية هذه الدوحة الجديدة لخلق أن تدرك أملياً (وأول الغيث قطر ثم ينهر) .

عبد اللطيف السبكي

عضو جماعة كبار العلماء

الكتاب

المنتقى من منهاج الاعتدال

وهو مختصر الحافظ الذهبي لكتاب (منهاج السنة) لشيخ الإسلام ابن تيمية
بتحقيق وتعليق عب الدين الخطيب - ٩٥٢ صفحة - المطبعة السلفية ومكتبتها بالقاهرة

• • •

في سنة ١٣٢١ - ١٣٢٢ هـ صدر عن المطبعة الأميرية ببولاق كتاب جليل لشيخ
الإسلام ابن تيمية (٦٦١ - ٧٢٨) في أربعة أجزاء عنوانه (منهاج السنة) فتداولته أيدي
العلماء ، وأقيمت على اقتنائه دور الكتب ومعاهد العلم في الشرق والغرب مدة نصف قرن
حتى صارت نسخته أندر من الكتب المخطوطة . وكان معلوماً أن الحافظ أبا عبد الله محمد
ابن عثمان الذهبي (٦٧٣ - ٧٤٨) وهو أحد كبار تلاميذ شيخ الإسلام قام باختصار هذا
الكتاب في حياة مؤلفه ، وكان المظنون أن هذا المختصر من تراث الإسلام المفقود ، لأننا
لا نجد له ذكراً في فهرس دور الكتب الكبرى في العالم الإسلامي وعواصم الغرب .

ولما زار عين أعيان الحجاز العلامة الجليل الشيخ محمد نصيف الديار الشامية في العام
الماضي متردداً على خزائن كتبها ، اكتشف نسخة مختصر الذهبي لهذا الكتاب مكتوبة
سنة ٨٢٤ أي بعد وفاة الذهبي بست وسبعين سنة ، وهي من بقايا مكتبة عثمان باشا الدوركي
الأصلي الحلبي المولود المتوفى بمكة المشرفة سنة ١١٦٥ ، وهذه المكتبة قد ضمت أخيراً إلى
(دار مكتبات الأوقاف الإسلامية) في حلب ، وعنوان مختصر الذهبي (المنتقى من منهاج
الاعتدال) ، وهو في مكتبة حلب برقم ٥٧٩ ، فبادر الشيخ محمد نصيف إلى استنساخه
بالنصوير الشمسي ، وأرسل صورته الشمسية إلى رئيس تحرير هذه المجلة ، فقام بتحقيق
الكتاب ومعارضته بأصله المطبوع في بولاق والتعليق عليه بما يزيد تحقيقاته أيضاً حاوياً بيننا .

إن هذا الكتاب خزانة حافلة بتحقيق مذاهب الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين في أهم مسائل أصول الدين، ثم هو تاريخ على الحركة الفكرية والعقيدة من صدر الإسلام إلى أن تشعبت المذاهب والطوائف والنحل . وفيه مقارنات دقيقة بين هذه المذاهب المتشعبة وتحقيقها ووزنها بموازين الكتاب والسنة الحميدة في الصحيح من دواوينها ومراجعتها ، مع بيان مواقف الصحابة وأهل القرون الثلاثة الأولى في الإسلام ، وسائر ما تعرض له ابن مطهر الحلبي (٦٤٨ - ٧٢٩) من بحوث ومسائل في كتابه (منهاج الكرامة) ، فأبان شيخ الإسلام ابن تيمية وجهة النظر الإسلامية في كل بحث من تلك البحوث ، وكل مسألة من تلك المسائل .

وكان أصل المختصر في مخطوطة حلب في ٣٩٠ صفحات ، لجاء مع التعليقات ومقدمة رئيس تحرير هذه المجلة والفصل الختامي في نحو ضعف الأصل . وقد زين بصورة شمسية للورقة الأولى من الأصل المخطوط ، ثم بصورة أخرى للورقة الأخيرة منه ، وألحق به فهرس لموضوعات الكتاب تناولت كل ما انطوت عليه صفحاته واحدة فواحدة .

وبما لا ريب فيه أن هذا المختصر يستغنى به عن أصله كل من لم تتح له فرصة اقتناء الأصل ، بل إن في تعليقاته من الزادات والفوائد ما لا يوجد في الأصل ، لأنها مستقاة من مراجع كان بعضها غير معروف في عصر تأليف الكتاب واختصاره . فلفتت إليه أنظار جميع المشتغلين بتاريخ الإسلام ، ودراسة مقالات الإسلاميين ، والمقارنة بين المذاهب في أصول الدين ، فإنه مرجع عظيم في ذلك كله . والله الموفق .

التفكير الفلسفي في الاسلام

للدكتور عبد الحليم محمود - الجزء الأول - ٢١٥ ص

من سلسلة الدراسات الفلسفية والأخلاقية

الدكتور عبد الحليم محمود - أستاذ الفلسفة بكلية أصول الدين - من المفكرين الممتازين في البحوث العقلية والنفسية في الإسلام . وقد صدر له قبل الآن تحقيق كتاب المنقذ من الضلال لأبي حامد الغزالي ، وفلسفة ابن الطفيل ورسائله ، حتى بن يقطين ، ، ورسالة التصوف عند ابن سينا . وكتابه الجديد " التفكير الفلسفي في الإسلام ، يقع في سبعة

فصول أولها عن الجو الذي نشأ فيه الإسلام . فتكلم عن الخلفاء والحكام من العرب في الحقبة الأخيرة من عصر الجاهلية كزيد بن عمرو بن نفيل، وأمّية بن أبي الصلت ، وورقة ابن نوفل ، وعبيد الله بن جحش بن رثاب ، وعامر بن الظرب ، وقس بن ساعدة ، والحسن من قريش ، وحلف الفضول . ونبه المؤلف إلى أخطاء شائعة عن العرب قبل الإسلام ومنها نبذهم بالوثنية وعبادة الأصنام . والحق أن أقطار الأرض قبل الإسلام كانت أعرق في الوثنية من جزيرة العرب التي طرأت عليها الوثنية من عهد عمرو بن لحي الخزاعي ، وكانت قبله على ميراث من دين إبراهيم وإسماعيل . ثم أجمل المؤلف القول على الأدبان في جزيرة العرب ، وأورد بعض آراء العلماء عن العرب كالذي ذكره المحاضر في صدر كتابه البيان والتبيين

وفي الفصل الثاني تحدث المؤلف عن القرآن ، ومهمة الرسول ﷺ ، والقيمة الذاتية للدعوة الإسلامية . . الخ ، وفي الفصل الثالث تكلم على الفرق والأحزاب الدينية في الإسلام وأن الفرق الناجية هي التي التزمت ما عليه الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه .

أما ما ذكره المؤلف من التفصيل في أمر بعض الفرق وهل هي حزب أم فرقة ، فإن كثيراً من الفرق تطور مدلول عنايتها مع الزمن ، فاختلف الحكم عليها بحسب ما صارت إليه وقتاً بعد وقت ، فإن لها في كل وقت حكماً تبعاً لتطورها ، في قربها لما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه أو بعدها عن ذلك .

وفي الفصل الرابع تكلم المؤلف على مذهب السلف ، وإن ما ظنه المؤلف اختلافاً بين مدرسة الأشعرى ومدرسة ابن تيمية سينجلي له متى توسع في دراسة الموضوع في مراجعتها فيتبين له أن الإمام أبا الحسن الأشعرى — كما اعترف في كتابه مقالات الإسلاميين — لا يختلف في شيء عما كان عليه الإمام أحمد وتلاميذه وابن تيمية ومدرسته فكلهم تقيّدوا بالنصوص الإسلامية والتزموا ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه .

وفي الفصل الخامس تكلم المؤلف على التفكير في عهد الصحابة ، وفي الفصل السادس على الاختلاف في الإمامة ، وختم الجزء الأول بالفصل السابع منه عن بدء الاختلاف في الأصول . وقد حاول المؤلف أن يكون متصفاً في أحكامه ، غير أن هذا البحث يحتاج إلى مراجع أوسع من التي كانت بين يديه ، ونعتقد أنه بروحه الطيبة وبحبه العلمي وتوسعه في المراجع سيكون الجزء الثاني من كتابه أدمم وأغزر فائدة وأصح أحكاماً . والله الموفق .

نظام المواريث - في الشريعة الاسلامية

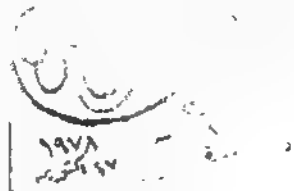
للأستاذ عبد العظيم جوده فياض - الطبعة الثانية ٣٣٠ ص - دار الكتاب العربي
أصدر فضيلة الأستاذ الشيخ عبد العظيم جوده فياض الصوفي المدرس في كلية الشريعة
الطبعة الثانية من كتابه (نظام المواريث في الشريعة الإسلامية - على المذاهب الأربعة) .
وهو من أوفى الكتب وأجودها ترتيباً وتنظيماً لأحكام المواريث في المذاهب الإسلامية
المنقشرة ، وقد امتازت هذه الطبعة بزيادة التنقيح ، وبالعناية بقانون الوصية الواجبة وشرحه ،
وبقانون المواريث الجديد ومذكرته التفسيرية .

وقد ألزم المؤلف ذكر الحكم مقروناً بدليله ، بأسطاً بعض ما اختلف فيه الفقهاء ووجهه
نظرم فيما اختلفوا فيه ، لتربى في الطالب ملكة البحث والتقد . وشرح أحكام المواريث
وفق ما كان العمل جارياً عليه قبل تعديل القانون - وهو المهاج المقرر على الطلبة في كلية
الشريعة - وبيان ما طرأ من التعديل على تلك الأحكام في القانون الجديد ، ليلم القارئ بما
كان عليه أولاً فيسهل الرجوع إليه عند الحاجة . كما عني بمعرفة المذاهب والأصول التي
أخذ بها القانون ، والغاية التي دعت إلى التغيير والتعديل ليكون بمثابة ضوء يلقى على ما قرر
من أحكام وشرح الناحية العملية شرحاً منظماً ينير للقارئ طريق تطبيق العلم على العمل .

والكتاب مقسم إلى تسعة أبواب ، تنتهي بخاتمة انطوت على فوائد : احداها بمجل القواعد
لقسم التركات ، والثانية حل مسائل الميراث والمناسخات بطريق الشباك ، والثالثة أسئلة وأمثلة
وتمرينات ، والدلالة على مواضع الجواب عليها في متن الكتاب .

تقويم جامعة القاهرة

أصدرت جامعة القاهرة تقويمها لسنة ١٩٥٤ - ١٩٥٥ مطبوعاً بمطبعها في ٢٤٠ صفحة
وفيه كل ما يهم الجمهور معرفته عنها منذ نشأتها إلى أن انتهى بها التطور لما هي عليه الآن
في كلياتها ومبانيها وإدارتها ومجالسها ونظامها الدراسي والتأديبي . وبعد التفاصيل الكافية
عن كل كلية تحدث التقويم عن مكتبات الجامعة ومطبعاتها وحفاتها ومتاحفها وسائر مرافقها
وأورد احصاءات للطلبة ودرجاتهم وجفسياتهم ودياناتهم ، فكان بذلك مرجعاً وافياً للحاضر
والمستقبل .



الأدب والعلوم

الأزهر ، واعتمد لهذه المعاهد ثلاثون ألف جنيه .

وتضمن المشروع ثلاثة آلاف جنيه لتأثيث قاعة المحاضرات الأزهرية وشراء مكبرات الصوت والأجهزة ، وستة آلاف جنيه لسبعة مدرجات ، وسبعة معامل بالمعاهد الثانوية .

وتضمنت الميزانية إنشاء معهد جديد في الواحات تحقيقاً لرغبة أهاليها ، واعتمد لتأسيسه ثلاثة آلاف جنيه . كما اعتمد مبلغ ٧٧٠٠ جنيه لتعزيز معهد غزة .

وتضمن المشروع ٣٧ ألف جنيه لفسر الثقافة الإسلامية و ٢٠٠٠ جنيه لبعثة الحج والزيارة والبعثات الأخرى .

معهد للآداب الإسلامية

في بكنين

أذاع راديو بكنين أنه سيقام معهد لدراسة الآداب الإسلامية في بكنين خلال العام الدراسي القادم .

وستتولى الإشراف على المعهد (الرابطة الإسلامية) في الصين ، وسيعين السيد مابووي

مدارس تحفيظ القرآن

أصدر فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر قراراً بتأليف لجنة برئاسة فضيلة وكيل الجامع الأزهر لوضع النظم الدراسية التي تتبع في الجمعيات والمدارس والمكاتب الخاصة بتحفيظ القرآن الكريم ابتداء من السنة الدراسية المقبلة .

ميزانية الأزهر

أقر مجلس الأزهر الأعلى مشروع الميزانية الجديدة للأزهر ، وهي تقدر بمبلغ ١٩٤٩٩٤٠ جنيهاً بزيادة قدرها ٢٠٧١٤٠ جنيهاً عن العام الماضي . وقد تضمن مشروع هذه الميزانية تنفيذ كادر هيئة التدريس الذي اعتمد له في الميزانية ١٢٥٧٠ جنيهاً ، ويقضى هذا الكادر بمنح أعضاء هيئة التدريس بالكليات المرتبات الجامعية التي يستحقونها عن القابح العلمية التي منحوها في مارس سنة ١٩٥١ .

وتضمن المشروع إنشاء معبدتين جديدين أحدهما في فاقوس والآخر في أبو كبير ، وضم معهدى ملوى وبني عدى الأهليين إلى

من هذا التقارب مع مقتضيات الظروف المحلية .

وأوصى المؤتمر الجامعة العربية بإصدار مجلة إدارية لنشر البحوث والوثائق الخاصة بالإدارة العامة في البلدان العربية .

أسماء العلماء

على بعض شوارع شبرا

أطلق في هذا الشهر على بعض الشوارع في أرض شريف بشبرا أسماء بعض أعلام المسلمين ، ومما لفت الأنظار من هذه الأسماء اسم : شارع ابن تيمية ، وشارع الشيخ طاهر الجزائري ، والشيخ عبد القادر الرافعي ، والشيخ عبد الكريم سلمان ، والشيخ عبد الرحمن قراغة ، والشيخ حسن السقا ، والشيخ الظواهري ، والشيخ مأمون الشناوي ، والشيخ أحمد رافع . الخ .

كتبنا باللغات الأوروبية

قامت اللجنة الدولية لترجمة الروائع الأدبية بترجمة رسالة (أيها الولد) للفرزالي إلى اللغة الفرنسية وكانت قد ترجمت من قبل إلى الإنجليزية والإسبانية . كما ترجمت كتاب (البخلاء) للجاحظ ، وكتاب (الإشارات والتنبيهات) لابن سينا . وقررت أخيراً ترجمة كتاب (التاج في أخلاق الملوك) للجاحظ .

من كبار المسلمين في الصين ووكيل الرابطة مستشاراً للمعهد .

وقال الراديو : إن اللغة العربية والقرآن سيكونان أهم المواد التي ستدرس في المعهد .

الاصطلاح في مادة الدين

بالمدارس السورية

صدر في القطر الشقيق سوريا مرسوم رقم ٩٣٧ بتاريخ ٢٧ مارس سنة ١٩٥٥ وهو يقضى بإضافة مادة الدين إلى الامتحانات المحددة في المراسيم التي تضمنت أنظمة الامتحانات العامة للشهادات الرسمية ، وستعتبر مادة الدين كسائر مواد الدراسة الأخرى في جميع أحكامها .

المصطلحات العلمية والمسميات الإدارية

في الدول العربية

من التوصيات التي قررها مؤتمر العلوم الإدارية للدول العربية توحيد المصطلحات العلمية والمسميات الإدارية في البلاد العربية عن طريق تبادل الاساندة والمحاضرين والمؤتمرات بين الدول العربية ، وعقد المؤتمرات الدورية لهذه الغاية .

ويرى المؤتمر أن التقارب في المناهج والنظم الإدارية أمر ضروري لكفالة التعاون الصحيح بين أجزاء الأمة العربية وتحقيق أمانها ، فأوصى باتخاذ أكبر قدر مستطاع

إنشاء المجلس الاستشاري

وبعد انتهاء رئيس وزراء أندونيسيا من تلاوة البيان والموافقة عليه بالإجماع بدأ رؤساء الوفود يلقون كلماتهم الختامية ، وكانت المدة المحددة لكل كلمة خمس دقائق ، والطابع العام لهذه الكلمات تأكيد التضامن الآسيوي الأفريقي ، والإعراب عن الأمل في أن يحمل هذا التضامن في المستقبل ثماراً أكثر في حقول السلام والحرية والتعاون الدولي .

ومما قرره المؤتمر عقد مؤتمر آسيوي أفريقي ثان سيعين موعد انعقاده ومكان اجتماعه فيما بعد .

خمسة شروط

للسلام العالمي

قدم الرئيس جمال عبد الناصر إلى مؤتمر باندونغ خمسة شروط قال إن توفرها ضروري لصيانة وحماية السلام العالمي وهي :

١ — نجاح الجهود التي تبذلها هيئة الأمم المتحدة ولا زالت تبذلها لتنظيم وتحديد وتخفيض القوات المسلحة والتسلح ، وكذا القضاء على الأسلحة ذات التدمير الشامل .

مؤتمر باندونغ

وثيقة استنكار الاستعمار

اشتركت في مؤتمر باندونغ في أندونيسيا ٢٩ دولة من آسيا وأفريقيا يزيد عدد شعوبها على نصف شعوب العالم ، وقد استمرت جلسات المؤتمر الأسبوع الأخير من شعبان (١٨ - ٢٤ أبريل) وترأسه السيد علي سائترو أميدجوجورتيس وزراء أندونيسيا ، وأصدر في اليوم الأخير بيانه الرسمي بالإجماع مقررأ فيه تحقيق التعاون السياسي والاقتصادي والثقافي فيما بين الحكومات المشتركة في المؤتمر وبينها وبين سائر أمم العالم ، واستنكر المؤتمر في بيانه (الاستعمار) و (سياسة القوة) ودعا شعوب الأرض إلى السلم والتعاون . ويعد بيان مؤتمر باندونغ وثيقة تاريخية لم يسبق لها نظير في تاريخ الإنسانية . وهو مؤلف من خمسة آلاف كلمة تدور حول التعاون الاقتصادي والثقافي وحقوق الإنسان وتقرير المصير ومشاكل الشعوب المبعي عليها من الاستثمار كشعوب عرب شمال أفريقيا والشعب العربي الفلسطيني وموقف اليمن في قضية عدن والمناطق الجنوبية من اليمن .

وتعترف وزارة الداخلية الفرنسية بأن أربعين ألف جندي قد رصدوا لمقاومة ضغط الثورة في حملات لا هوادة فيها على جيش الوطنيين المسلمين المدربين أحسن تدريب . وعلى رأس المجاهدين الجزائريين خبراء تمرسوا في الخارج على أعمال التخريب والإرهاب ، ولم يذكر وزير الداخلية الفرنسية اسم أى بلد أجنبي ، ولكنه أعلن أن كل قرية ستكون لها حامية من رجال الجندرية . وبالفعل نقلت وزارة الداخلية الفرنسية ألفين من رجال الجندرية بالطائرات إلى الجزائر للاستعانة بهم في مقاومة الثورة التي تفرغ لمقاومتها من قبل أكثر من أربعين ألف جندي . وفي المعارك الأخيرة التي وقعت بين قوات الاستعمار الفرنسي وتشكيلات الجهاد الوطني في جبال الأوريس كانت طائرات الهليكوبتر تنقل جرحى القوات الفرنسية من مناطق الثورة إلى مدينة بسكرة .

وقد زار الحاكم العام الفرنسي للجزائر منطقة الخطر وتباحث مع قائد القوات المحلية . وكانت غرفة قسنطينة التجارية قد دعت إلى اجتماع لها في هذه الأيام ، فاضطرت إلى إعلان إرجاء اجتماعها إلى أجل غير مسمى . لأنها لا تستطيع عقد جلساتها في الظروف الحاضرة . .

٢ — تمسك هيئة الأمم المتحدة بالميثاق ومبادئه ، واحترامها لنصوص الميثاق في كل ما تصدره من قرارات .

٣ — احترام الدول لالتزاماتها الدولية وحقوق الإنسان .

٤ — وقف الأعباء الدول الكبيرة للضغط السياسي على الدول الصغيرة فوراً .

٥ — تصفية الاستعمار ، وهو سبب الاحتكاك بين الدول والقلق في العالم .

ونوه في خطابه بالتعاون الاسيوي الافريقي ، وأن تعاون الدول الاسيوية والافريقية من أقوى العوامل التي تؤدي إلى تقدم الشعوب وحماية حقوقها . وتدد بالخطر الجسم الذي يتعرض له العالم اليوم ، وهو خطر الحرب وما يمكن أن تكلفه الحرب للإنسانية من أرواح البشر .

الثورة في الجزائر

بعد مكابرة طال أمدها أخذت سلطات الاستعمار الفرنسي في الجزائر تعترف بتفاقم خطر الثورة الجزائرية على الاستعمار ، وأشد ما يقع الآن من نشاط هذه الثورة في شمال مقاطعة قسنطينة حيث يضايق الثوار القوات الفرنسية والقرى بهجائهم الجريئة ليل نهار .

ثورة طهرانه على البهائية

قامت مظاهرات عداوية في طهران على البهائية وكانت الجماهير تهتف مطالبة بتحويل هيكل البهائيين إلى مسجد . وقد فرقت قوات البهائيس المتظاهرين ، غير أن هؤلاء تمكنوا من الاستيلاء على الهيكل . وكان الزعيم السيد فلسفي قد دأب على حث الشاه على مقاطعة البهائية ونصح بتحويل هيكل البهائيين إلى مسجد .

تمويل المشروعات الانتاجية

أعلنت الحكومة المصرية إلغاء النظام القائم لتغطية ما يصدر من البنكنوت ، لأنه « نظام شاذ لا يوجد له مثيل الآن في الدول الأخرى ، وإصدار أذون جديدة من نوع واحد تحمل محل الأذون الحالية ويسمح باستخدام حصيلتها لتمويل قصير الأجل في شتى النواحي الإنتاجية واتفقت الحكومة - في الوقت ذاته - مع البنك الأهمى المصرى على أن تحصل عند الاقتضاء على ما لديه من أرصدة استرلينية حرة لتمويل مشروعاتها الإنتاجية مقابل سندات لمدة ١٥ سنة . وبذلك وفرت الحكومة نحو ٢٥٠ مليون جنيه لتمويل مشروعات السد العالى وإنتاج السجاد والحديد والصلب والسكك الحديدية .

وصدر قانونان : أولهما بالإذن لوزير المالية

فى إصدار سندات بمصر فى حدود مائة مليون جنيه ، والثانى بالإذن فى إصدار أذون على الخزنة بمصر بما لا يجاوز مائة وخمسين مليوناً من الجنيهات .

واتفق مع البنك الأهمى كذلك على أن يخضع البنك أى أذون صادرة بفرض تمويل مشتريات الحكومة من القطن فى حدود ٤٠ مليون جنيه . وأعلن وزير المالية أننا فى مركز يسمح لنا بالاختيار الحر تجاه ما تعرض علينا من القروض من الهيئات الخارجية ، خاصة وإن لدينا احتياطياً يبلغ نحو ٢٧٥ مليون جنيه من الذهب والعملات الأخرى .

وستعفى الأذون الصادرة طبقاً للقانون الجديد ، وكذلك فوائدها ، من كل ضريبة مباشرة أو غير مباشرة حالية ومستقبلية .

الأموال الأمريكية لإسرائيل

فى شهر فبراير الماضى أعلن الدكتور لنكولن هيل مدير بعثة المساعدات الفنية الأمريكية بإسرائيل أن أمريكا قدمت إلى إسرائيل فى السنوات الثلاث الماضية ، من المساعدات الفنية الأمريكية ، نحو ٣٢٦ مليون دولار . وهى هبات لا ترد . إلى جانب ٢٥ اتفاقاً رسمياً آخر عقدها أمريكا مع ربيعة نعمتها لمساعدتها على تنفيذ مجموعة ضخمة من مشروعات الإنشاء والتعمير : من نقل

العربي الجنسية أو الذي يتمتع بإقامة في أى بلد عربي ، إذا ثبت نشاطه واتصاله بإسرائيل ، إلى أى بلد عربي ، وأن يحرم من جنسيته العربية ، ويسحب منه جواز الإقامة في أى بلد من هذه البلدان . وسيعرض هذا الاقتراح - مع سائر توصيات المؤتمر - على مجلس الجامعة العربية في اجتماعه القادم .

أكبر ناقلة للبترول

• الملك سعود الأول ،

مرت بقناة السويس في الايام الأخيرة ناقلة البترول السعودية ، الملك سعود الأول ، في طريقها من هامبورغ حيث تم صنعها في أحواض شركة « هوالدت » لبناء السفن ، قاصدة البحر الأحمر ، فالتحليج العربي ، لتسليم في نقل البترول من الموانئ السعودية إلى فيلادلفيا بالولايات المتحدة .

وهذه السفينة الجبارة تعد أكبر ناقلة بترول في العالم ، ورابعة سفن العالم كله بعد السفائن الثلاث « كوين ماري » و « كوين إليزابث » و « تورماندي » .

ولما دخلت ميناء بورسعيد ترفرف عليها الراية السعودية استقبلتها جميع السفن الراسية في الميناء باطلاق صفاراتها تحية لها وترحيباً بمقدمها إلى المياه المصرية ، قد دفقت الجماهير إلى الميناء على أصوات صفارات السفن لمشاركتها في تحية هذه السفينة العربية العظيمة ، واشتدت

وتدريب مهني واستغلال للمحاجر واليوتاس وغير ذلك .

وفي ٢١ مارس الماضي عرف من تقرير رسمي عن المعونة الأمريكية أن أمريكا قدمت تلك حاجات إسرائيل من العملة الصعبة ، وكانت هذه المعونة هبة مجانية نقدية . أما الهبات غير النقدية فسدت ٤٠ ٪ من ميزانية إسرائيل للتنمية الاقتصادية . وهذه المعونة مستمرة من أمريكا لمدة سنتين .

وبلغ مجموع ما بيع في أمريكا من سندات القروض الاسرائيلية حتى أول مارس الماضي ١٤٥ مليون دولار قررت الحكومة الأمريكية إعفاءها جميعاً من الضرائب .

وقبل نحو شهرين تحدث سفير أمريكا الجديد بإسرائيل - في مأدبة صداقة أمريكية صهيونية أقيمت بتل أبيب - فقال : إني أؤكد لكم - لا بالكلام ، بل بكل عمل يمكن - أن الولايات المتحدة ترغب ورغبة مغلظة أن يستمر تقدم إسرائيل كشريك للعالم الحر ، وأن ترى هذا التقدم يسير بسرعة .

يهود اليهود العربية وإسرائيل

انعقد في بيروت مؤتمر المكاتب الإقليمية لمقاطعة إسرائيل ، ومن أهم المقترحات التي تقدم بها يمثلو المكتب الإقليمي المصري اقتراح إقرار توصية بحظر دخول اليهودي

« رجماً » بمنه النساء المسلمات من مجالسة غير محارمهن من الرجال للدسامة والمباشطة ولنغير ضرورة شرعية . وفى كل يوم يحدث حادث جديد تهدم به بيوت وتقوض دعاتهم أسر وتسفك فيه دماء رجال ونساء بسبب المصطفى فى تحقيق دعوة السفور والاختلاط ، وخذلان الإسلام وتشريعهم الذى يقيد الاختلاط بأن يكون محصوراً بين ذوى المحارم لا غير .

نقول هذا لمناسبة الدماء التى سفكها طالب الطب فى بيت زميله الذى كان يزوره لينخالط أمه ويرتكب معها الفاحشة ، ثم تحولت عنه إلى زائر آخر من زملاء أولادها ، وترتب على ذلك إطلاق الرصاص وسفك الدماء وخراب البيت وفضيحة ناس كان ينبغي أن يمشوا فى ستر وكرامة .

وصدقت المرأة التى قالت للأستاذ زكى عبدالقادر فيما أعلنه عنها يوميات الأخبار « ان المرأة والرجل ليسا شيئاً آخر غير سالب وموجب ، غير جنسين يختلطان ويلتقيان ، فإذا هما كبريت ونار » .

وكل أب ، وكل زوج ، وكل أخ يسمع لإنائه بالاختلاط الذى لا يبيحه الإسلام ، اعتقاداً منه بأن السفور مدنية والحجاب رجعية ، هو رجل مفرط فى عرضه عرف ذلك أو جهله .

حاسة الجاهل عند ما رأوا راية « لا إله إلا الله محمد رسول الله » ، تخفق على السفينة ، فأخذت تردد الالتفات بحماسة الملك سعود والمملكة الشقيقة ، وفى المساء أقيمت على ظهر السفينة حفلة استقبال كبرى للزائرين ، وفى مقدمتهم محافظ القنال ورجال السلطات المصرية وعدد كبير من الموظفين والتجار والأعيان ورجال الملاحة ، وستقام للسفينة حفلة حافلة فى جدة بحضورها جلالة الملك سعود ورجال دولته ، ثم تستأنف رحلتها إلى الخليج العربى ومنه إلى فيلا دلفيا .

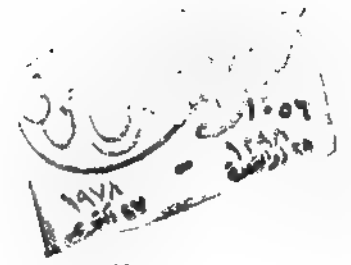
مراقبة الزوجات

فى جلسة محكمة الجنايات الختامية التى نظرت فيها قضية قاتل زوجة مأمور الضرائب توافع الأستاذ فاروق غلاب المحامى عن القاتل ثم اختتم مرافعته قائلاً :

« ان المتهم لا يستحق السجن ، ولكنه يستحق إكليلاً من الفخار لثقتيه درساً مفيداً للآزواج فى مراقبة زوجاتهم » .

الاختلاط

تتوالى التذمر أمام أنظار المسلمين معلنة سوء هواقب اختلاط النساء والرجال غير المحارم ، وأن الإسلام كان على صواب فى تحريم ذلك على المسلمين ، وأن دعاة السفور والاختلاط كانوا كذابين وغشاشين فى الدعوة إلى هناك الحجاب الإسلامى ، وإلى تسمية الإسلام



الاستاذ محب الدين الخطيب رئيس التحرير	٩٤٥	المال - في نظام الاسلام
» عبداللطيف السبكى عضو جامعة كبار العلماء	٩٥٤	نفحات القرآن : الوجود البيض في اليوم الآخر
» طه محمد الساكت	٩٥٨	السنة : بلوغ الدعوة المحمدية
» محمد محمد أبو شبة	٩٦٣	الدخيل وكتب التفسير
» أحمد طه السنوسى	٩٦٦	مشكلة أوقات الفراغ
» محمد رجب البيومى	٩٧١	ابرميم بن آدم
» أحمد القرطاسى	٩٧٦	كلنا مكفوفون
» محمد جمال الدين محفوظ	٩٨١	غزوة بنى قريظة
» على التمارى	٩٨٤	النصاى فى الاسلام
» محمود محمد بكر ملال	٩٩٠	كلنا سواء
» السيد الرئيس جمال عبد الناصر	٩٩٢	دعوة الاسلام هى دعوة القوة والسلام

أحاديث الاستاذ الأكبر

الاستاذ الأكبر للشيخ عبد الرحمن تاج	٩٩٤	وجوب لتحرى رؤية هلال رمضان
» » » » »	٩٩٦	صومو لرؤيته
» » » » »	٩٩٩	عود إلى تقرير رأى فى إثبات الامة
» » » » »	١٠٠٢	أحكام الصيام فى المناطق القطبية وما يقرب منها

الاستاذ أبو الوفا المرافى	١٠٠٦	شرح الطرزي على مقامات الحريري
» محمد على النجار	١٠١٠	لغويات
» محمود النواوى	١٠١٥	البطل الفاتح (سعد)
» محمد أبو الملا الهنا	١٠٢٣	أسرار الشريعة الاسلامية
» محمود فرج العقدة	١٠٢٩	حوادث الانهياك فى طلب الدنيا
» منير أرسلان	١٠٣٣	قضية شمال القوقاز

مطبوعات

» عبداللطيف السبكى عضو جامعة كبار العلماء	١٠٣٨	رسالة الأزهر
» » » » »	١٠٤١	مع الثورة فى الصحراء الناضرة
» » » » »	١٠٤٥	السكتب
» » » » »	١٠٤٩	الادب والعلوم
» » » » »	١٠٥١	أنباء العالم الاسلامى

إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
تليغون ٤٦٤١٤

مجله شهریه و جامعه

تصدد عن شيخه الأزهري في أول كل شهر عربي

الاشترک السنوی

مبلغ	في وادي النيل
٤٠٠	طبية وادي النيل
٣٠٠	للعلماء والمدرسين بالوادي
٥٠٠	خارج الوادي
٢٠٠	للاطباء خارج الوادي
٤٠٠	للعلماء والمدرسين خارج الوادي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حکم صالح، مجتمع صالح

على ضفاف النيل

تتم مصر الآن بكل الأسباب التي تمين على قيام المجتمع الصالح، وعلى أن يتمتع ذلك المجتمع الصالح بنظام وطيد للحكم الصالح، فما الذي يمنع مصر من إصلاح مجتمعيها، ومن إقامة نظام الحكم الصالح له؟

هذا النيل يجري بالخير والرزق والبركة في أرض مصر من أعلاها إلى أدناها ، فيملأ أرضها رياً وحياة وجمالاً . ثم يفيض بما تزهد به مصر من فيض ربه وحياته وجماله ، فتتدرج منه كالجبال في البحر الملح ، ولو شامت مصر لضنت بقطرة منه أن تذهب في البحر بلا فائدة .

وهذه الايدي العاملة في مصر تزدهم مصر بأصحابها اودعاهما موخير ذخر لها فيما ترسمه من خطط للتصنيع ، وما تقتويه للساحات الزراعية من توسيع . ثم إنه ردؤها القوى لإنهاء جيشها وحماة ماها .

والذكاء. في مصر تضرب به الأمثال بين الأمم ، وهو — كالنيل — هبة من هبات الله التي تزخر بها مصر ، وكان من حق هذه النعمة الإلهية علينا أن نحسن استعمالها في إقامة المجتمع الصالح ، لنتم بعد ذلك بالحكم الصالح ، فنكون في طليعة الأمم نشاطا وعملًا وإنتاجًا وكسبًا وتمدنًا بالحلال الرزق الطيب .

كنا نشكو الاستعمار وكابوسه الثقيل يوم كان يتحكم في مواردنا وينابيع ثروتنا وسوء توجيهه لجهودنا ، حتى رفعه الله عنا .

وكنا نشكو الإقطاع الزراعي واستئثار القلة من أهله بالأرض التي هي مصدر الرزق من دون العاملين فيها ، فعدل الدهر بين العاملين في الأرض والذين كانوا يمتصون جهودهم ، ويستأثرون بشمرات عملهم .

كنا نشكو تكتل أذكيا المتعلمين بشكل أحزاب صرفت هذا الوطن عن أهدافه ، فكانت — كما قال عنها جمال عبد الناصر — « الداء الذي حوّل معنى الحرية : من حرية الأغلبية إلى حرية الأقلية » ، فأزال الله الأحزاب وأراح الأمة من أفاعيات زعمائها وقتنتهم وفساد قلوبهم .

والآن وقد أوشكت « فترة الانتقال » أن تنتهي إن شاء الله بانتهاء هذه السنة الشمسية ، فقد أعلن الرئيس جمال عبد الناصر — في مأدبة الإفطار التي أقامها له ضباط القوات المسلحة ليلة القدر من — بلخ ورمضان الماضي — أن الثورة الاجتماعية تطلب أن تقوم حياة الغالية في مصر على عدالة اجتماعية تتحرر بها الأرزاق ، ويشعر كل فرد أنه يعيش في وطن تنكافأ فيه الفرص ، فيستطيع أن يقول ما يريد أن يقول ، ولا يحبا مهدداً في رزقه ولا في أولاده ولا في مستقبله . ولا بد لتحقيق ذلك من إقامة مجتمع اشتراكي في هذا الوطن حتى يحكم هذا الوطن باسم الأغلبية ، وليس باسم الأقلية . وإقامة العدالة في وطن تتمكن فيه عوامل الشر يحتاج إلى إجراءات استثنائية حتى يمكن أن يقوم الوضع في هذا الوطن عند هدف واحد هو إقامة مجتمع اشتراكي تتقارب فيه الفوارق .

هذا الكلام الذي عرضته في الفقرة الأخيرة يكاد يكون كله من كلام الرئيس جمال عبد الناصر ، مما تحدث به إلى ضباط القوات المسلحة ليلة القدر من رمضان الماضي ، وذاع عقب ذلك في أرجاء العالم ، وقد دعا جمال عبد الناصر ذوى الرأي في الأمة إلى إبداء

آرائهم في المجتمع الصالح الذي يراد إقامته في مصر من أول السنة الشمسية القادمة ، وفي الحكم الصالح اللائق به ، فامتلات صفحات الصحف بمقالات أساتذة القانون وأعلام الفقه الدستوري ، وكلها ترجع إلى هذه النظم الأجنبية عنا ، وتنمى الفصول الإنشائية والتفصيلات الدراسية عن أنواعها وتطوراتها : من ديمقراطية سياسية إلى ديمقراطية اقتصادية واجتماعية ، وعن صنوف الانتخابات وتحكيم العوام والاميين في اختيار الخاصة والممتازين ، وهل يكون ذلك بانتخاب مباشر أو بالانتخاب ذى الدرجتين أو الانتخاب النسبي أو الانتخاب بالقائمة . وهل لا بد لذلك من قيام الاحزاب ، أم يمكن الاستغناء عنها بأخذ العينات ، أو بغير ذلك . وهناك مقالات الاعتذار عن فشل هذا التمثيل وأساليبه وإقلاهما عندنا في الماضي وهيو بهما المفضوحة في الشرق والغرب من أوروبا إلى أمريكا . ولم نعدم الصحف كلمات حق أرسلها بعض أهل البصيرة لنقض ما تحدث عنه سدنة الفقه الدستوري الاجنبي دفاعا عن مسطوراته وأساطيره ، فتحدث الأستاذ السيد سنى اللقاني عن المجالس النيابية وأعلن أنها لا تصلح - بتكوينها - للتشريع ، ولم تكن يوما من الايام في أى بلد من بلاد العالم مصدر ابتكار أو تشريع ، بل ظلت رسالتها مقصورة على إقرار التشريعات أو رفضها بعد نقاش غالبه هزيل . كما أعلن الحقيقة المشاهدة في الشرق والغرب ، وهي أن أعضاء المجالس النيابية وليدو الصدفة المجردة ، واختيارهم إلى مصاف النيابة لم يكن مرده - يوما من الايام - إلى حذق ، أو مهارة ، أو حنكة ، أو دراية ، أو تفوق في العلوم والفنون . بل مرده إلى حزبية ، أو نفوذ ، أو ثراء ، أو اتصاف بالتصدق والإحسان ، أو مقدرة في مجال الخطابة والمساجلة ، وكثيراً ما يكون الدجل والشعوذة من أسباب النجاح في هذا المعترك . والمدهش حقاً أن مستوى الكفاءة في برلمانات العالم أخذ في الهبوط ، في الوقت الذي تعددت فيه التبعات ، وتشعبت المسائل العامة وتعمدت حتى شملت من الاقتصاديات والاجتماعيات ما لم يكن للناس به عهد ، وما لا يقوى عليه إلا كل محترف ماهر متفرغ . وقال عن الانتخاب : إنه يجمع إلى مثالبه - التي منها الحزبية - أنه لا يخرج طائفة تمثل الامة بالمعنى الذى يستفاد من هذا اللفظ . ولاقتناع واضعى الدساتير بأن الانتخابات لا تأتى بالذين يجب أن يمثلوا الامة تذرعوها بحلول أخرى كإقامة مجلس ثان يعين بعض أعضائه بالاسم وهم من طراز لم تكن

الانتخابات لتدركه أو تزكبه . فجلس الشيوخ قصره الشارع على طائفة المعمرين ليملا ما حبه فراغا لا يسده الانتخاب الطليق .

ويقول الدكتور محمد عبده العربى : ان هنالك أزمة جارية فى النظام البرلمانى اجتازها العالم فى خلال القرن العشرين ، حتى زهد كثير من الشعوب فى هذا النظام ، وتطلعت فى ظلة اليأس إلى دكتاتورية صالحة تركز فيها المسئولية وتقيها مساوئ النظام البرلمانى ، فالنظام الانتخابى يتطلب صفات فى المواطن قلما توافرت فى كثير من الدول التى اقتبست هذا النظام ، بل لا تزال إلى الآن ناقصة فى أرقى الدول ، وأساليب الانتخاب وإجراءاته قد ثبت عجز أكثرهما عن الوصول إلى حقيقة رأى الأغلبية . والنظام الحزبى اصطنعه كثير من الدول التى استوردت النظام البرلمانى ، وكان من أثر هذا الاصطناع أن صارت الأحزاب فى كثير من هذه الدول أشبه بعصابات تتكافح من أجل مغانم الحكم ، واقترب انتصار كل حزب منها بكل المفاصد البشعة فى الحياة العامة وفى الاداء الحكومية . وكان تعدد الأحزاب النكبة الكبرى التى أصابت جهاز الحكم ، وحرمة من الاستقرار ، وأعجزته عن إيمان التزام سياسة قومية رشيدة ، وكان مبعث التعدد فى الغالب خلافات نظرية جوفاء أو نزاحم على الزعامات فيها . هذه بعض العلل التى أصابت النظام البرلمانى حتى فى أرقى الدول ، وقد كابدنا فى مصر هذه المساوئ مجتمعة ، فكان نظامنا الحزبى أسوأ مثال للنظام الحزبى فى أية دولة برلمانية . والدكتور العربى لا يقول هذه الحقيقة الآن بعد أن سقطت على الأحزاب فى مصر وأنزل عليها صواعق غضبه ، بل سبق له تسجيل ذلك فى كتابه (سياسة الاتفاق الحكومى فى مصر إلى سنة ١٩٤٨) وهو كتاب طبع ونشر قبل سبع سنوات وشرح فيه الضرر البالغ الذى عاد على جميع المرافق العامة من اندفاع الأحزاب فى خدمة مطامعها وأناياتها وآثارها الحزبية .

وبعد فإن القائمين على شئون مصر عزموا على إنهاء فترة الانتقال التى كانت مقدرة بثلاث سنين ، وقد أطلقوا للأفلام حربتها فى أن تشهد على مصر بالنظام الصالح الذى يليق بها بعد فترة الانتقال ، والمستشار مؤتمن ، ومن الحياة أنه وللأمة أن يكتم المستشار ما يؤمن به من حق إذا سئل عما يعلمه .

والذى أعله أنا أن نظم الحكم في أمة لاستعمار لها من أمم أخرى ، وقد أقننا البراهين في هذا المكان من هذه المجلة مرات كثيرة على أن الذى تأخذه أمة من أمة هو الصناعات والعلوم العالمية المحضنة ، أما ما يتصل بسجايها كل أمة وما له مساس بكيانها وثقافتها وموارثها فيجب أن يكون منها ولها ، ويجب أن تفرغ عقول ذوى العقول منها ، ودروس أهل الدرس والعلم من أبنائها ، لمداواتها بأدويتها ، ومعالجتها بما يوافق أمرجتها ، واستقباط أنظمتها من سنتها المحترمة عندها ، ومن موارث التشريع التى تؤمن هى بها .

لما انتهت الحرب العالمية الثانية كانت وزارة تشرشل غير حزبية ، وكان حزب العمال يشترك معه في الحكم ، وكان اتلى يرجو إذا أجريت انتخابات جديدة أن يفوز حزب العمال بالانفراد في الحكم والتخلص من تشرشل ، فكان يلح بتجديد الانتخابات ، ويمتدثر تشرشل بتعذر إجرائها لأسباب متعددة منها أن نسبة كبيرة من الناضحين موزعة في الجيوش العسكرية في خارج البلاد ، فطلب منه اتلى أن يجرى استفتاء ، فكان جواب تشرشل : ان الاستفتاء ، نظام أجنبي (أى أمريكى) ، وليس من الخير لبريطانيا أن تقرأ عليها نظم غريبة منها .

نعم ، ليس من الخير لامة لها موارث من نظمها وتشريعاتها أن ترمى في أحضان النظم الاجنبية عنها وتنتكر لموارثها في الإدارة والتشريع والحكم . وهذا النظام الاجنبى السخيف الذى يقول بتحكيم العوام والاميين في اختيار الخاصة والممتازين قد بدت هيوبه في كل مكان ، وقد استشهدنا على ذلك بما نقلناه آنفا من أقوال غير واحد من علماء القانون الدستورى . وعندنا نحن نظام ، أهل الحل والعقد ، ولا أحب التوسع في الحديث عنه لانه كسائر أنظمتنا يقوم على ، الاخلاق ، ، ونحن أمة قد أفسد أخلاقها الاستعمار وأزمة الانحطاط التى تقدمت عليه وكانت من أسباب وقوعنا في مصائبه . فن الخير لهذه الامة ، بل من حقها على كل من يلى شيئاً من أمورها أن يرد عليها أخلاقها ، وأن يتفحصها من بقايا الاستعمار الفكرى الذى لا يزال متسلطاً على مدارسنا وجامعاتنا فى مناجها التى تأبى أن تعترف بثقافتنا الصميعة وكياننا الادبى وموارثنا العلمية والتاريخية ، ولا تزال ترى أن التقدم كل التقدم والترقى كل الترقى فى إبعاد هذه الامة عن دينها وماضيها ، وفى أن تصبغ بالصبغة الاجنبية فى ثقافتها وميولها واقتاعاتها وإيمانها وتشريعها . فهذا النظام النيابى الفاضل المفلس الذى كنا ضحيته فى الماضى ، ولا يزال الجامعيون ورجال القانون مؤمنين به ، هو فرع من هذا

الأصل الذى تدير عليه جامعاتنا ، وهو الإلحاح فى فصلنا عن ماضينا ، وصبغنا بالصبغة الأجنبية التى رسم لنا الاستعمار خططها من أواخر القرن التاسع عشر فآمن بها الكثرة الكاثرة من تلاميذها الذين يقبأون الآن مقاعد التدريس والتوجيه ، وإن الشر كل الشر فى مواصلة السير على هذا الطريق الذى لن نكون به إفرنجيا كالإفرنج ، ولن نبقى به عربا مصريين مسلمين كما ينبغي أن يكون العرب المصريون المسلمون .

إن تعليمنا الجامعى يجب أن يكون للعلم العالمى المحض فينقله إلى مصر وإلى الشعوب العربية والأمم الإسلامية نقلا كاملا بأرقى ما وصل إليه فى بلاد العلم . ومن سعادة مصر والشعوب العربية والأمم الإسلامية أن يكثر فيها خريجو كليات الهندسة والزراعة والطب والعلوم الطبيعية والكبائية والفنون الحربية والمدارس الصناعية . أما الفلسفة والآداب والتشريع والثقافة فيجب أن نتقدها حالا من الإقطاع الاستعمارى ، وأن نصبغها بلا تردد بصبغتنا ، فنرد إلى شبابنا المتعلم إيمانهم بقوميتهم ومليتهم وتاريخهم وكيانهم ، ونجندهم لهذه الدراسات التى سترجع إليهم فى نظام حكمتنا وأساليب إدارتنا وتطور تشريعنا . وكل ما نحاول فى أول السنة الشمسية القادمة العمل به من أنظمة الحكم فسيكون هو نفسه فترة انتقال أخرى ، وسنعمل به مؤقتا إلى حين ، أى إلى أن يرجع لجامعاتنا إيمانها بقوميتها وبمبادئ هذه القومية وتشريعها الأصيل .

وهذا أيضاً لا يكتفى إلا إذا كان مقرونا بالأخلاق ، وما دامت دور الصحافة والنشر دائبة على هدم الدين والأخلاق ودفع الأمة فى طريق التحلل وشغل عقول القراء بالشهوات والبعد عن صلابة الرجولة وسلامتها فلن ينفع هذا البلد تشريع ولا نظام حكم وإن ينجح فيها ولا عمر بن الخطاب لو أنه تولى حكمها ، لأن عمر بن الخطاب إنما نجح فى إقامة الحكم العادل السليم الرحيم ، وإنما نجح فى تحرير الأمم وإنفاذ الممالك من الاستبداد والظلم ، بالأخلاق التى امتاز بها رجال من أهل الإيمان والدين استعان بهم وأعانوه ، فكانوا المثل الأعلى للحكم الصالح .

يقول البكباشى حسين الشافعى وزير الشؤون الاجتماعية فى كلمة له بمناسبة عيد الفطر : « قبل اليوم بأكثر من عشرة قرون ظهر الإسلام يدعو بقوة إلى للمعاطف الإنسانية ، وإلى الطهارة فى النفوس والقلوب ، وإلى الإخاء والحرية والمساواة ، وأن تقوم المحبة بين الناس مقام القانون . ودعوة الإسلام دعوة اشتراكية بحتة ، ولكنها تختلف

من الاشتراكية بمنها الذي يقتصر على الناحية المادية وحدها ، فإن الإسلام يدعو إلى الاشتراكية الروحية الوجدانية ، وأن يشارك أغنياء المسلمين فقراءهم ، وأن تقوم هذه المشاركة على أساس من التعاطف والتآخي . كما تختلف اشتراكية الإسلام عن اشتراكية الغرب بأنها تخضع المصالح الفردية لدواعي الحاجة الاجتماعية ، وتقارب بين الطبقات دون إلغاء هذه الطبقات ، وتسوى بين الأفراد عن طريق تحسين حال الطبقات الفقيرة ، أى أنها تعمل المجتمع والفرد معاً في جو من المحبة والمساواة والسلام والعدل ، ولا تسمى لخدمتها عن طريق الضغط وكبت الحريات وإذلال رأس المال . .

ليكن نظام الحكم الذي سنفصله في العام الآتي ما يكون ، فكل عمل طيب يقره الإسلام ، وكل عدل وإصلاح فهو من الإسلام . أما نظام الحكم الحقيقي الذي يجب أن يكون لنا إلى الأبد فلا يقوم إلا على علم بماضيها وثقافتنا واشتراكيها وأساليب حكمنا ، وهذا يتوقف على تجديد جامعاتنا لإيمانها ، واقتصارها على العلم المحض في أخذ ما تأخذه عن الغرب ، وتعاونها مع الأزهر وعلما الإسلام في فهم الإسلام وتاريخ المسلمين وفهمهم وسنهم وأنظمتهم ، وكلنا نعملنا في إصلاح جامعاتنا والمدارس التي نغذيها بطلابها ، كان ذلك خيراً للبلد وأقرب لليوم الذي نعرف به تشريعنا وأنظمتنا الصحيحة .

ونظام الحكم الحقيقي الذي يجب أن يكون لنا إلى الأبد لا يقوم في الدولة إلا على أخلاق قوية في المنزل والسوق والمجتمع . وما دامت صحفنا ودور النشر عندنا تتهيج بكل زنديق مفتون هادم للإسلام فتعلى قدره ونومه أنه مصلح وأنه على صواب فيما يعمل ، وما دام نصف صفحاتها مشحوناً بالحديث عن الفاحشة وتصور السيقان ومبهجات الشهوات والفراش ، فإن تكون لنا أمة ذات أخلاق ورجولة تستحق أن تعيش في المستوى الكريم بين الأمم .

أفقدوا الأمة من إقطاعيات الدعوة إلى الفاحشة .

أصلحوا مناهج المدارس والجامعات وجددوا لها إيمانها .

أعدوا للحكم الصالح عدته من النفوس والدروس وإيمان الأمة بنفسها . وكل حكم يقربنا بعد ذلك من هذه الغاية فهو حكم مقبول وعاقبته إلى خير إن شاء الله .

حب الربيع الخطيب

نفاية القرآن

- ٣٠ -

أباطيل العمل ، وكواذب الامل

لا تحسبن الذين يفرحون بما آتوا ، ويحبون أن يحمّدوا بما لم يفعلوا ، فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ، ولهم عذاب أليم

١ - تمهيد :

للجانِب الخالق منهج فسيح في نسق الكتاب العزيز ، إذ القرآن باعتباره دستوراً لإصلاحها سماوياً يحرص على الهوض بالإنسان إلى المثالية الحقة ، أو المثالية التقريبية إذا وقفت دون الأولى موانع ، أو لم تنهياً لكل امرئ بواعثه في التطلع إلى مراقمتها العليا . فعند ذلك يكون الكمال النفسي غاية مرجوة بقدر الإمكان .

ومتابعتمنا للآيات التي عرضت للتهذيب ، واتجهت إلى الترية ، تهدينا إلى أساليب هدة ، اتهمها القرآن في اجتذاب الإنسان إلى ناحية الخير لنفسه ، وللمجتمع العام .

وإذا كانت مباحث المصلحين من الفلاسفة وسوامم فيما كتبوا أحاطت بكل ما اهتموا إليه من عيوب في الخلق ، ومن توجيهات إلى إصلاحه ، وإذا كانوا غالباً على صواب في كثير مما كتبوا وفيها نصحاء ، فلن يكون لهم ما للقرآن من كل ناحية ، ولن يسبروا الغور الذي يسبره القرآن ، فإن حديثهم — إيجاباً كان أو سلباً — مستمد لدى الفلاسفة من التجارب ، ومن هدى العقول ، ومن تجاوب فكرة مع فكرة .

وذلك كله - وإن بلغ مبلغ الاستحسان - محدود في نطاق الفكر البشري .

والبحث الفكري قد يطابق الزمن في بعض مراحله ثم لا يسير الزمن بعد .

أما حديث القرآن عن الخلق فهو حديث العالم بالنفوس ونزعاتها ، وهو في توجيهاته

يضرب الأمثلة من الواقع الذي تورط فيه الناس ، وجرت أحداثه على مسرح الحياة ، وكان له من الأثر قديما ما يجدر بنا الاعتبار به ، فإن سنة الله في خلقه لا تتبدل ، ضرورة أنها ليست وليدة التجارب ، وإنما هي أقدار علوية لا تدركها مواهبنا ، ولا تدفعها قوانا... ثم الفلاسفة المصلحون يمتدحون ما يمتدحون ، ويمعيبون ما يعيبون من الأخلاق ، بالقياس إلى ما يعرفون من أضرار تنجم عن مساوىء الخلق ، أو منافع تقترب بمحاسنه ، وما أوتى الناس من العلم إلا قليلا .

ولكن القرآن أفسح من ذلك مجالا ، دون مقارنة أو تشبيه ، والقرآن لا يقف من إصلاح الأخلاق موقف القصص الخسب ، بل يرتب على الحسن والقيبح من أخلاق الناس وأعمالهم جزاء آخرويا ، وينسخ في ترغيبهم وترهيبهم .

ويحبب إليهم الخير وإن قل ، ويباعد عن الشر وإن قل . ففي الخير يقول : - إنما لانضيق أجر من أحسن عملا . فن يعمل مثقال ذرة خيرا يره . وفي الشر يقول : - كل نفس بما كسبت رهينة . ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره .

ووعده في الخير وعد من لا يرضى بالفضل يسبغه على حسن الخلق وإن تجاوز كفاءهم أضعافا مضاعفة ، إذ الفضل بيده يؤتاه من يشاء .

ووعده في الشر إبعاد من يقدر على الإنجاز غير مزاحم في سلطانه ، ولا مغلوب على أمره ، إذ الناس لا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا ، ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا ، وهو القاهر فوق عباده . .

٢ — وبعد هذا التمهيد فلتفت نحو الآية التي تخيرناها موضوعا لحديثنا اليوم . . فقها ألوان من الخلق والمسالك يعيها القرآن على أهلها ، ويرغب إلينا أن نتحاشاها لنسلم بما لم يسلوا منه ، ولا نكون معرضين لما استقبلوه في أخراهم .
كان من أولئك :-

(١) أن يزعوا إلى الشر . (٢) وأن يفعلوه فرحين به .

(٣) وأن يصدفوا عن الخير كراهية له . (٤) ولكنهم ينتحلون فعله ، ويلتمسون الثناء عليه زورا .

وإذا كان النزوع إلى الشر ، وإقتراف السيئات مع الناس ، بما يعاب خلقاً ، أو يذم ديناً ، فأنت من ذلك وأقبح منه أن يكون المسمى شاعراً بنقيضه ، ولا يحاول الكمال بل يلتحله ، ويدأب على المخادعة ليفتصب الثناء ، طائفاً أن هذا نصيب يكفي لاحتسابه من ذوى المروءات وأهل الخير . ولأن هذه المخادعة شين شائن فضح القرآن أمر المتخلفين بها ، وندد بهم في أسلوب لا ذع مزعج .

فأنت تراه في تنديده يحمل الحديث في مخازيهم فلا يذكرها تفصيلاً ، وإنما يصفهم بنزعاتهم التي هي جنوحهم إلى الشر وفرحهم به ، ورغبتهم إلى المدح بما لم يفعلوا . ثم يصب عليهم غضبه ، ويقسو في تهديدهم بالعذاب ، والعذاب الآليم .

وأنت تراه لم يوجه إليهم خطابه في هذه الآية - لا تحسبن الذين الخ . ولم يفرضهم على مقربة ، ولا على مسمع من كلامه ، بل افترضهم غائبين لا يرغب في هدايتهم ، ولا ترجى منهم مطاوعة .

فساق الحديث عنهم إلى رسوله ومن يصلح للخطاب من المستجيبين مساق التنصيص على معاييرهم ، ومساق العبرة لمن ينصت إلى الدعوة ، وينتزع العبرة فيأخذ منها لنفسه . وساق الحديث عنهم مساق التصحيح لما يتوهمه الوام في شأن هؤلاء الفرحين بالسوء : من أن أمرهم قد لا يفحش ، وأن خطرهم قد لا يعظم ، فنهى النبي - صلوات الله عليه - ومن يستجيب له أن لا يخطر ببالهم ذلك الوهم ، أو يهون عندهم ذلك التخلق بما ورد في الآية : -

لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ، ويحبون أن يمدحوا بما لم يفعلوا ، فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ، ولهم عذاب أليم ،

وليس بلازم أن يكون النبي - صلوات الله عليه - قد احتسب لهم النجاة من العذاب حتى يحتاج إلى النهي الحامم ، ولكن الله - تعالى - يبادر نبيه والمؤمنين بما يدفع ذلك الوهم عن خواطرهم قبل حصوله : مسارعة إلى تأديب المسلمين ، وتزيتها لهم عن تلك النقائص ، وتكميلاً لتربيتهم ، وترغيباً لهم في الترفع عن تلك الخصال التي أودت بأصحابها .

ولعل في تكرار النهي ثانيا بقوله : « فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب » ، وتكرار التهديد ثانيا للمسيئين بقوله : « ولهم عذاب أليم » أقول : لعل في ذلك توكيداً لما نفحنا به الآية الكريمة من آداب وتربية .

وكانت خصال أولئك المقبوحين بادية في أمور منها : أن المنافقين كانوا يعتذرون عن الخروج إلى الغزو بأعذار مختلفة ، ثم يزعمون في أنفسهم أنهم صادفون عند الرسول . ومنها : أن بعض اليهود كانوا يتوددون إلى المسلمين ، وكانت النبي يسألهم عن أحكام في كتبهم ، فيسكتون الحق لأنه يكون حجة عليهم ، ويجيبون بغيره ظانين أن أمرهم محبوب عن الرسول ، وأنهم مصدقون عنده فيما قالوا . ومنها : أن رؤساء اليهود كانوا يسألون علماءهم عن أوصاف الرسول العربي الذي تحدثت عنه التوراة ، وهي هي : أوصاف محمد بن عبد الله ، فكانوا يجيبون رؤساءهم بغير الحق ، وينفون عن محمد ما يعرفونه حقا في كتبهم - فلما جاءهم ما عرفوا : كفروا به .

هذه نقائص كانت فاشية في ذلك الزمن ، فصلحت كلها أن تكون سبب نزول الآية التي بين يدينا الآن والتي هي جانب من المنهج الإسلامي الخالد خلود الزمن . .

ونحن نرى في مجتمعنا الحاضر صوراً لهذه المآسي الخلقية : فالكاذب ، والفاسق ، والفساد ، والفساد ، والفساد ، والشح ، والحقود ، والظالم ، والفاسق . . وكل ذي نقيصة في خلقه أو دينه ، يدأب على نقيصته ، ويغضب إذا وصفته بوصفه الحق ، ويود أن يذكره الناس بخير من وصفه ، وهذا إمعان في القبح ، وإسراف في الخداع ، لأن معرفة النقيصة كمعرفة الخطر في مكان معين ، فهي تمكن من إصلاحه ، أو ترشد إلى تجنبه ، وتحمي الناس من الوقوع فيه ، ولكن محاولة التستر بالمدح الزائف تخفي عن الناس موطن الخطر ، وهذا أقرب السبل إلى البلاء بالمعصية والوقوع في شره .

لذلك كان النفاق في الدين شراً من الكفر ، وإن كان الكفر أسوأ سوء .

وكان المنافق أسوأ عذاباً من الكافر ، لأن المنافق تحت ستاره أشد نكايته من الكافر السافر . وما النفاق في الاخلاق إلا لون من ألوان النفاق في الدين ، ولك أن تقول : إن الاخلاق مرآة صادقة في تبيان ما خفي من قوة الدين .

وهذه إرشادات القرآن ، فهل من يستجيب ؟

عبد اللطيف السبكي
عضو جماعة كبار العلماء

الشيخة

شهران لا ينقصان*

أكرم الشهور عند الله — أحب الأيام إلى الله — أعظم ليلة وأجل يوم — بشارة لإكمال الدين — عدة رمضان في عهد النبوة — مبنى الشريعة على الأمور الظاهرة — حكمة بالغة في سد الذرائع .

عن أبي بكر رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : شهران لا ينقصان ، شهر عید : رمضان وذو الحجة . وعن ابن عمر رضي الله عنهما ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إنا أمة أمية ، لا نكتب ولا نحسب ، الشهر هكذا وهكذا . يعني مرة تسعة وعشرين ، ومرة ثلاثين .

رواهما الشيخان ، واللفظ للبخاري .

* * *

أكرم الشهور عند الله شهران : شهر رمضان ، وشهر ذي الحجة . جعلهما الله أعظم مواسم الخير ، وأجل مقام البر ، وفضلهما على سائر الشهور تفضيلاً ... جعلهما كليهما ميقاتين لركنين من أركان الإسلام : الصوم ، وحج البيت الحرام ؛ واصطفا من كل منهما ثلثاً فضله على سائر الليالي ، والأيام :

فأما تلك رمضان فهو العشر الأخير منه ، ولياليه أفضل ليالي العام كله ، وحسبك أنها شرفت بليلة القدر ، وليلة القدر خير من ألف شهر ، وهي الليلة المباركة التي أنزل

(٥) كتبنا في هذا الحديث إجابة لرغبة أستاذنا الكبير الشيخ عبد الرحمن حسن ، وكيل الجامع الأزهر سابقاً .

فيها القرآن ، هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان . وقد نذب النبي ﷺ أمته أن يلتمسوها في الوتر من هذه الليالي العشر ، وكان صلوات الله وسلامه عليه يجتهد في رمضان ما لا يجتهد في غيره ، ويجتهد في هذا العشر الاخير منه ما لا يجتهد في غيره ، وكان يعتكف في مسجده هذا الثلث الاخير من كل رمضان ، فلما كان العام الذي انتقل فيه إلى الرفيق الاعلى اعتكف ثلثه : الثاني والثالث منه ...

وجعل الله لامة محمد ﷺ ختام هذا الثلث الاخير عيداً كريماً هو عيد الفطر ، فرض عليهم فيه أن يفتروا تحقيقاً لبشارة النبي ﷺ لمن صام رمضان إيماناً واحتساباً بأن له فرحتين يفرحهما : إذا أفطر فرح ، وإذا لقي ربه فرح بصومه ، وما أجل الفرحة الاخرى وأعظمها ...

وأما تلك ذى الحجة فهو العشر الاول منه ، وحسبك أن أيامه أحب الأيام إلى الله تعالى بشهادة الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه ، روى البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله من هذه الأيام - يعنى أيام العشر - قالوا : يا رسول الله ، ولا الجهاد في سبيل الله ؟ قال : ولا الجهاد في سبيل الله ، إلا رجل خرج بنفسه وماله ، فلم يرجع من ذلك بشئ ١١ وكفى هذه الأيام شرفاً أن جعلها الله تعالى خلاصة الأشهر الحرم ، فيها موعد الهجرة إلى بيته ، والجهاد في مرضاته ، وتعميم شعائره وحرمانه ، وفيها يوم النحر أعظم الأيام على الإطلاق ، كما أن ليلة القدر أعظم الليالي على الإطلاق ، وفيها يوم عرفة وهو على يوم النحر في الفضل ، وقد صح أن صيامه يكفر ذنوب سنتين ، وما من يوم يعتق الله فيه الرقاب أكثر منه في يوم عرفة ، وفيه يباهى الله ملائكته بأهل الموقف وقد جاءوا شعناً غرا خاشعين لله ، راجين فضله ورضاه .

وإذا كان الله جلّت آلاؤه قد أنعم على الأمة المحمدية بإنزال القرآن في ليلة القدر ، فلقد أنعم عليها إذ بشرها بإكمال دينه ، وإتمام نعمته ، في يوم عرفة . روى البخارى وغيره أن يهودياً جاء إلى عمر رضى الله عنه فقال : يا أمير المؤمنين ، آية تقرأونها في كتابكم لو علينا

معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيداً . قال : أى آية ؟ قال : « اليوم أكلت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً » فقال عمر : إني لأعلم اليوم الذى نزلت فيه والمكان الذى نزلت فيه ، نزلت على رسول الله ﷺ بعرفة يوم الجمعة ونحن واقفون معه ، فألهم اليهود عليهم لعنة الله ، بأن الله تعالى أنزلها فى عيدين لا فى عيد واحد (١) .

• • •

وإذا كان الله سبحانه قد تفضل على المؤمنين بعيد الفطر فى ختام العشر الاخير من شهر رمضان ، فقد تفضل عليهم بعيد النحر فى ختام العشر الاول من شهر ذى الحجة .

ولعظيم فضل هذه الايام ذهب أكثر السلف والخلف إلى أنه تعالى أقسم بلياليها تشرiffاً لها إذ قال : « والفجر ، وليال عشر » وقيل : إنها العشر الاخير من رمضان ، وقيل : هى العشر الاول من شهر الله المحرم .

وجلة القول أن الله اصطفى من شهور العام شهرى الصيام والحج ، واصطفى من الليالى أواخر الاول ، كما اصطفى من الايام أوائل الآخر ، « وربك يخلق ما يشاء ويختار » (٢) .

• • •

هذا الفضل الثابت لهذين الشهرين الكريمين ، بشهادة المعصوم صلوات الله عليه ، لا يمتريه نقص ولا ضعف ، تمت عدة كل منهما مما ثلاثين يوماً ، أو نقصت عدة كل منهما فكانت تسعة وعشرين يوماً ، أو تمت عدة أحدهما دون عدة صاحبه .

وإذا فن ضعف التأويل أن يقال : إنهما لا يتقصان فى عدتهما معاً ، فلا يكونان كلاهما تسعة وعشرين ، وأضعف من هذا وأستخف أن يقال : إنهما أو إن أحدهما ثلاثون دائماً ! فالحس يدفع هذا ويكذبه !

(١) كتبنا فى هذا الحديث بعنوان « عيد الدستور » فى ج ٨ م ٢٢ كما كتبنا فى « أحب الايام إلى الله » فى ج ١٠ م ١٨ .

(٢) بسط هذا البحث ووفاه بما لم يسبق إليه صاحب « زاد المعاد » فى أوله ، فزود منه .

ولقد صام رسول الله ﷺ تسع رمضان ، إذ كان فرض الصيام في شعبان في السنة الثانية من الهجرة ، وكان صيامه تسعة وعشرين أكثر من صيامه ثلاثين ، حتى قيل إن صيامه ثلاثين كان عامين ليس غير . ويأبى الله - كما دته مع نبيه دائماً - إلا أن يصدق بالعمل قبل القول ، ليزيد الذين آمنوا إيماناً ، ويزيد الذين اهتموا هدى .

ومن الهدى النبوى العمل ما جاء في قصة التحريم ، المشهورة التى انتهت بحلفه ﷺ ألا يدخل على أزواجه شهراً من شدة موجدته عليهن حين عاتبه الله عز وجل ، فلما مضت تسع وعشرون ليلة دخل على عائشة فبدأ بها ، فقالت له : يا رسول الله ، إنك كنت أقسمت ألا تدخل علينا شهراً ! وإنما أصبحت من تسع وعشرين ليلة أعدها عدداً ١١ فقال : الشهر تسع وعشرون ، وكان ذلك الشهر تسعاً وعشرين ليلة .

يقرر بهذا الصنيع صلوات الله وسلامه عليه أن أحكام الشريعة الغراء لا تتأثر ولا تتغير بنقص العدة في غير هذين الشهرين العظيمين ، فأولى ألا تتأثر ولا تتغير فيهما وهما شهرا عيدين كريمين ، لا جرم أن ناقص العدة منهما وكاملها سواء في الحج والصيام وسائر الأحكام ، كما هما سواء في الفضل والجزاء والرضوان ... ذلك الفضل من الله وكفى بالله علماً .

• • •

وتم حكمة جليلة أشار إليها صاحب د حجة الله البالغة ، ولم أجد من تنبه لها سواء ... أشار رحمه الله إلى أن مبنى الشرائع على الأمور الظاهرة عند الأميين دون التعمق في حساب النجوم وذلك قوله صلوات الله عليه : إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب ؛ وقوله صلوات الله عليه وسلامه : شهراً عيد لا ينقصان ، قيل لا ينقصان معاً ، وقيل لا يتفاوت أجر ثلاثين وتسعة وعشرين ، وهذا الأخير أقعد بقواعد الشرع ، كأنه سد أن يخطر ذلك في قلب أحد . ومن المقاصد المهمة في باب الصوم سد ذرائع التعمق ورد ما أحدثه المتعمقون ، فلقد كانت هذه الطاعة شائعة في اليهود والنصارى ومنعثن العرب [بل كانت ولا تزال شائعة في الوثنيين والهنود إلى اليوم] فتعمقوا وابتدعوا وزادوا ونقصوا واتبعوا أهواءهم ١١ فحذر صلوات الله وسلامه عليه أمته أن يزيدوا أو ينقصوا ، إذ بين أحسن بيان وأجمله بأن شهرى الصيام والحج - وكلاهما من العبادات العريقة في القدم - كاملان في الفضل والثوبة وإن نقصت

عدتهما ، فليسا بحاجة إلى تكملة أو زيادة ، فإن التكملة من عند العباد غلو في العبادة واقتراء على المعبود ، وذلك منشأ الضلال وسبيل النكال ، والعباد بالله تعالى .

وهذه الإشارة التي أشار إليها صاحب « حجة الله البالغة » ، وتصرفنا فيها بالبسط والإيضاح - أثر من آثار بصره بالسنة وفقهه في الدين ، ومن يرد الله به خيراً يفقهه في الدين . . .

* * *

ذلك ، ولا نرى حاجة إلى البحث في رؤية الهلال ، وتحريمها بمختلف الطرق ، فقد كفانا مؤنة هذا البحث علماء أجلاء ، وفي طليعتهم أستاذنا الأكبر في أحاديثه بالجزء الماضي من هذه المجلة ، وحسبنا أن نقول كما قال في هذه الأحاديث : « وإذا كانت الشريعة لم تفرض على الناس أكثر من تحريم الهلال برؤيته بالعين المجردة . . . رحمة بهم وتخفيفاً عليهم ، فإن ذلك لا يمنع أن تستخدم تلك الوسائل التي تسهل رؤيته والتثبت منه مادامت موفورة ميسورة ، ومن الله العون والهداية . »

طه محمد الساكت

مفاخر العرب

قال خاتمة أدباء الأندلس لسان الدين بن الخطيب : العرب لم تفنخر قط بذهب يجمع ، ولا ذخير يرفع ، ولا قصر يبني ، ولا غرس يبنى ، إنما غرّها عدو يُطلب ، وثناء يجلب ، وجزر تنحر ، وحديث يذكر ، وجود على الفاقة ، وسباحة بقدر الطاقة ، فلقد ذهب الذهب ، وفقى النشب ، وتمزقت الآثواب ، وهلك الحيل العرب ، وكل الذي فوق التراب تراب . وبقيت المحاسن تروى وتنقل ، والأعراض تحلى وتصفل .

الأزهر في ميدان جديد

غبطة وتقدير

استقر في أذهان كثير من الناس أن نشاط الأزهر العلمي ينحصر في نطاق العلوم الدينية ، وليس له في غيرها من فروع المعرفة مجال . ولعل عذرهم في ذلك أن الأزهر هو المعهد الديني الذي يقوم على علوم الشريعة الإسلامية ، ويؤمه المسلمون في سائر أنحاء العالم لينهلوا منه ويتزودوا من ثقافته الإسلامية . وهذه الفكرة في حاجة إلى التعديل ، فقد أدى الأزهر إلى جانب رسالته الدينية رسالات أدبية ولغوية وفلسفية يلمس العارفون أثرها ، ويقدرونها قدرها . وأرباب المعرفة وحلة الأقلام من رجال الأزهر قديما وحديثا ليسوا في حاجة إلى التنبيه إليهم والتنويه بهم ، فهم معروفون بآثارهم ، ومنهم رجال تعرفهم الجماعات العلمية بمصر وغيرها ، وتعرفهم الصحف وتقع على كواهلهم أعباؤها الأدبية ، ويعرفهم كبار الأدباء الذين تضرع الأسواق بمؤلفاتهم وتحقيقاتهم ، إلا أن من سوء الحظ أن تقضى الأحوال بإخفاء مواهبهم ، ويتشيع غيرهم بمجهوداتهم وأفكارهم .

ومع أن الأزهر شارك وما يزال يشارك في النهضة الفكرية دراسة وتأليفا ، فإن مما يؤخذ به أنه لم يحاول التنويه بمجهوداته والإعلان عن أعماله كما يحاول غيره ، يقال بعض الناس أنه تخلى عن واجبه فيها وفر من ميدانها ، بل كاد ينهمه بمضهم بالعلم والجود .

نعم إن مشاركة الأزهر كانت ضيقة النطاق ، ولكنها منذ نحو ربع قرن ، وبعد أن نهض الأزهر نهضته الأخيرة بفضل المصلحين من شيوخه ، وبعد أن فحمت مناهجه واصطنع بعض وسائل التربية الحديثة ، وبعد أن ازداد اتصاله بالهيئات العلمية في مصر والخارج بواسطة بعثاته العلمية إلى بعض الأقطار الأوروبية ، ازداد نشاطه وبرزت مشاركته ، وأخذ رجال الفكر في مصر وغيرها يحسون أثر هذه المشاركة ، كما أخذ نشاطه طريقه إلى فروع العلم المختلفة ، وكان لبعض رجاله أثر في الترجمة والتأليف والنشر ، وتعرف دور للنشر في مصر كما تعرف الجماعات العلمية لرجال الأزهر كثيراً من الكتب المؤلفة والمترجمة

في الفلسفة والتاريخ واللغة والاجتماع ، وتعرف الجامعات في مصر وغيرها من رجاله من شغلوا بعض المناصب العلمية فيها فنهضوا بأعبائها في ثقة وجدارة .

ولقد كان فيما قرره المجمع اللغوى من إجازة العالم الأزهرى الأستاذ سيد صقر على تحقيقه العلمى لكتابه ، مشكل القرآن ، و ، إنجاز القرآن ، ، والعالم الأزهرى الأستاذ محمود الشرقاوى على كتابه ، دراسة لتاريخ الجبرق ، دليل على اشتداد النشاط الأزهرى ، وامتداده إلى الألوان الثقافية المنوعة . وإن الأزهر ليقتبط أشد الاغتياب بهذا التقدير العلمى الجليل ، لا لأنه موجه إلى الاستاذين الفائزين ، بل لأنه موجه إلى الأزهر ، فإذا هنا الاستاذين من صميم قلوبنا بهذا الفوز العلمى ، فإن الأزهر فى مجموعه أولى منهما بتهانينا واغتيابنا ، لأن هذا النجاح مظهر من مظاهر حيويته ونهوضه ، قد يخرس السنة الفاضلين له الجاحدين لفضله ، على أنا نلفت النظر إلى أن اقترام الاستاذين لهذا الميدان - وهو ميدان النشاط الفكرى والتحقيق العلمى - ليس جديداً على الأزهر كما يتبادر إلى بعض الأذهان ، فرجال الأزهر فرسانه المعلومون من قديم ، وأكثر الكتب العلمية التى لها مكانها من التحقيق العلمى هى من عملهم الخالص أو مما لم يشاركه فيه . والكتب التى لا تحمل طابع التحقيق الأزهرى لا تحظى من نفوس الدارسين بالثقة العلمية الكاملة لا فى مصر ولا فى غيرها .

والجديد فى عمل المجمع اللغوى هو الإعلان عن جهود الأزهر فى هذا الميدان .

وقد كنت أحب أن أقدم الاستاذين الفائزين بجوائز المجمع اللغوى إلى قراء مجلة الأزهر ، لولا أن الصداقة سبيل الظنة فى الحديث ، فعمدرة إليهما . على أنهما قد يكونان فى غنى عن التقديم ، فقد عرف القراء الأستاذ الشرقاوى صحفياً مرموقاً فى جريدة البلاغ نحو خمسة عشر عاماً ، كما عرفه قراء الأهرام بما تشره له من مقالات فى مختلف الشؤون . وقد عرف العلماء الأستاذ سيد صقر بتحقيقه العلمى فى المجلات العلمية فى مصر وغيرها ، وبشباطه الدائب فى الميدان الفكرى ، وبمشاركة الجماعات العلمية فى النشر والترجمة والتأليف .

وبعد — فللأزهر وللأستاذين خالص تهانينا وموفور تقديرنا ؟

أبو الوفا المراكشى

مشاكلنا العلمية

كلمة حكيمة لسيدنا علي بن أبي طالب — كرم الله وجهه — يجب أن تكون دائماً على السنتا وفي قلوبنا : « علوا أبناءكم فإنهم خلقوا لزمان غير زمانكم ، وإذا كانت حاجة الأبناء على عهد سيدنا علي إلى التعليم الذي يناسب زمانهم ، فإن حاجة الأبناء — الآن وفي كل جيل — إلى ما يناسب زمانهم من أنواع المعارف .

من هذه النقطة الواضحة البسيطة يجب أن نبتدى ، ويجب أن نفكر ، ويجب أن نعمل ، نبتدى "عملنا العلمي ، ونفكر في مستقبل أبنائنا ، ونعمل على أن نسير الزمن الذي نعيش فيه ، وإذا آمنا بأن هذا هو الصواب ، قل "يئتنا الخلاف ، وأصبحنا على بينة من أمرنا .

ولا شك أننا نشعر بركوند علي في محيطنا الأزهرى ، ونحس بفراغ هائل ، ذلك أن الدراسة عندنا لا تزال كما كانت عليه في حلقات البصرة والكوفة ، وفي مساجد بغداد ودمشق والقاهرة منذ ألف سنة ، ولا يزال أكثر علمائنا يدورون في هذا المحيط ، يحفظون ويطبقون طلابهم ما حفظوا ، ولا يشعرون أو لا يريدون أن يشعروا أن الدنيا حولهم تدور ، وأن المطابع تله كل يوم جديداً في الفن والعلم والأدب ، وهذا لا يعنى أن روح العصر لا تجسد لها مكاناً يئتنا ، فإن قينا بحمد الله خيراً ، ولكن يعنى أن الطابع العام في الدراسة هو التبعية الكاملة للدراسة والتأليف في تلك المصور البعيدة .

والمشكلة الحادة أننا نجد قوماً مسرفين في تمجيد الجديد ، وتنقص كل قديم ؛ ونجد بجانبهم قوماً مغالين في تقديس القديم ، وتنقص كل جديد ، وقديما قال الجاحظ : إذا رأيت الرجل يقول : ما ترك الأول للآخر شيئاً فاعلم أنه لا يريد أن يفلح ، وكان يرى أن لذلك (مضرة شديدة ، وثمرة مرة) . ذلك أن هذه الكلمة لو استقرت في أذهان العلماء لما كان لها صدى إلا اختلال العلم ، واضطراب المعارف ، ولذلك كان الشيخ عبد القادر الجرجاني يرى أن هذه الكلمة وأشباهاها سبب البلاء ، وقد جهد جهده في كتابته يحذر من التواكل العلمي ، ويدعو إلى عدم الوقوف عندما قال السابقون ، وعنده أن العلم كعبد التبر ،

لا يمنع استخراج السابق منه الشيء الكثير ، أن يطلب فيه اللاحق ، وأن يأخذ منه قدرا ، مهما كان قليلا .

والعلم لا يتقدم بالإسراف في الرأي الذي يرتئيه العالم ، فهو لا ينفذ بتقص القدماء ، وبخسهم حقهم ، كما لا ينفذ بالشكر لكل جديد ، وما أظن واحداً من هذين عمل العالم الخالص ، فلقد رأيت السابقين - حين يريدون أن يضيفوا إلى آثار أسلافهم شيئاً ، بل حين يريدون أن ينفذوا إلى أخطائهم - يقدمون بين يدي ذلك الثناء عليهم ، وينفون أن يكونوا قصدوا إلى شيء من الطعن عليهم ، ومن ذلك قول صاحب القاموس المحيط في مقدمة ديوانه : (ونبت فيه على أشياء ركب فيها الجوهري خلاف الصواب ، غير طاعن فيه ، ولا قاصد بذلك لإزراء عليه) وكذلك قال السكاكي حين وضع للبلاغة قواعد ، ورتب لها شواهد ، فإنه أثنى على جهود السابقين الذين (فعلوا ما وقت به القدرة) - كما يقول - ولا أنردد أن أقول : إن هؤلاء الذين لا يفتأون يفضون من شأن الأسلاف لا يريدون أن يفلحوا بل لا يريدون أن يحمّدوا ، كما أقول : إن أولئك الذين يدافعون بالحق وبالباطل عن كل شيء قديم وصل إلينا ، ويحجرون على العقول ، لا يريدون أن يفلحوا - كما يقول الجاحظ - بل لا يريدون أن يشمروا الناس أنهم أحياء ! .

ومن المؤسف - حقا - أن نجد بيننا من كل فريق أقواما ، فزى من لا يزال يعتقد أنه ليس بعد ما قال الأقدمون قول ، ولا يمتدحون جديداً ، بل لا يخلون جديداً من عيب وضم ، وإذا حدثهم عن بحث جديد ، أو عن فكرة جديدة . قالوا لك : جنبونا زهاتكم ، ومن تورع منهم يقول : ما ولا كصدا ، ومرعى ولا كالسعدان ، وفقى ولا كالك . وهذه العقيدة عندهم حرمت العلم من خير كثير ، فإنها صرفتهم عن النظر في شيء مما يقوله الآخرون ، وكان واجب العلم والرأى يقتضيه أن ينظروا فيما يقوله الناس فربما وجدوا فيه ما يفيد .

كما أننا نجد من فتن بالجديد كل الفتنة ، فهو يعيب على القدماء بعلم وبغير علم ، وتراء في سبيل الانتصار لرأيه ، أو للرأى الذي يشايعه ، يرتكب ما يحافى أبسط قواعد العلم .

فنحن - إذا - في حاجة إلى من يسلك الطريق الوسط ، ولن يكون هؤلاء - إلا من بين

الذين تعمقوا في الدراسات القديمة ، ونظروا في الدراسات الحديثة ، واطلعوا عليها في منابعها الأولى ، مع الحيدة التامة والبعد عن التشيع . وأرى أن خير من يصلح لهذه المهمة هم الأزهريون ، ولكن على شريطة أن يجيدوا لغة أجنبية أو أكثر ، وأن يدرسوا بجد وإخلاص ، ولذلك أعتبر ما اعتزمه الأزهر من إدخال اللغات الأجنبية بين دراساته من أقوى الخطوات في نهضة الدراسات الإسلامية والعربية ، ولكن لا ينبغي أن نكتفي بأن نعلم الطالب مبادئ أو قريبا منها ، بل لابد أن نضع في بعض المراحل منهاجيه لعدد غير قليل من الطلاب لإجادة لغة أو أكثر ، كما لابد أن نظل نحثم - مادامنا مؤمنين بفائدة هذا الدرس - على الاستزادة والتعمق .

وشئ آخر على أكبر جانب من الأهمية ، هو التوسع في إيفاد البعثات الدراسية إلى الممالك الأخرى ، فما أظن أحدا ممن يفهم الأمر يجهل مدى ما يعود على العلم من خير نتيجة لهذا العلم ، وما أظن أحدا كذلك يجهل مقدار ما أداه رفاة الطمطوى وزملاؤه الأبرار من فضل وخير لهذه النهضة الحديثة .

* * *

وأعود إلى دائرتنا الضيقة لنرى ما فيها مما يجب أن نعالجه ، وأول ذلك هذا العزوف الملحوظ عن مباحث الآخرين ، سواء في قراءتنا الخاصة ، أو في مناهجنا الدراسية ، واكتفائنا بما بين أيدينا من كتب السابقين ، وقديماً قال العالم الزاهد أيوب السخيتاني : « إنك لا تبصر خطأ معلمك حتى تجالس غيره ، جالس الناس ، وطالما عادى بعضنا بعض الآراء ، حتى إذا اطلع عليها في مصادرها ، وعرف ما اعتمد عليه أصحابها من حجج وبراهين ، آمن بها ، ودعا إليها . وقديماً أسرف السكاكي في غناصة القول بأن إعجاز القرآن يدرك بالذوق ، ثم عاد في نهاية المطاف ليقول : « طالما سجننا الذيل في إنكاره ، ثم رددنا الذيل ما أن تنكره » .

ومن العجب أن كثيراً من المسائل تناولها القدامى أو المحدثون بالنقد ، ومع ذلك لا تزال نلقنها أبناءنا ، لأنها أثبتت في الكتب التقليدية التي فرض الزمن علينا دراستها ، بل المكوف على دراستها ، ولا نرى محاولة جديدة للانتفاع بهذه النقود ، وليس حقاً أن كل ما توصل إليه المحدثون بعيد عن الصواب ، فلماذا لا ننظر فيما اهتموا إليه ، وندخله في دراستنا .

ونحن نجهل الكثير مما يدور حولنا ، حتى أخص الأمور التي تتعلق بنا ، وإذا كنت مقالياً في هذا ، فأني أسأل : كم منا يعرف شيئاً يذكر عن البهائية ، والقاديانية ، وكم منا يعرف ما هو المذهب الوجودي ؟ بل كم منا يعرف شيئاً يذكر عن الأدب في العراق ، وفي سوريا ، وفي لبنان . بل أقرب فأقول : كم من دارسي النحو العربي من يعرف شيئاً عن المجامع اللغوية ، وعن أعمالها في الدراسات اللغوية . ألسنا نحاسب الطلاب على ما في القاموس ، ألسنا حين نصصح دقائر الإنشاء أو البحوث العلمية نجعل أكبر عهدة على ما قال ابن منظور أو الفيروز ابادي ؟ مع أن الدراسات اللغوية تقدمت تقدماً محسوساً ، وخطت خطوات واسعة ؛ وأجازت المجامع اللغوية في مصر والعراق والشام كثيراً من الألفاظ والتراكيب التي لم تعرض لها القواميس . ألم يكن من الخير ، بل من الواجب أن ندخل في صلب دراستنا المنهجية عمل هذه المجامع ؟

• • •

لقد قال الزركشي عن العلوم : « أما الحديث والفقه فقد نضج واحترق ، وأما علم النحو والأصول فقد نضج وما احترق ، وأما علم التفسير والبلاغة فـانضج ولا احترق » . وهذا القول لا يوجب الكثيرين من يرون آلاف المؤلفات في النحو والأصول والبلاغة والتفسير ، ويرون أن كل هذه العلوم نضجت واحترقت وأكلت أيضاً ، ولكن الذين يؤمنون بالعقل البشري ، ويرون أمامهم ما أنتج من مخترعات ، لا يستطيعون أن يوافقوا الزركشي ، إلا على ما قال في التفسير والبلاغة ، ويرون أن كل العلوم في حاجة متجددة إلى الحطّ الجذول ، والنفع القوي ، حتى تسير إلى النضج ؛ أما الاحتراق فدون ذلك آماد .

لقد كانت خطوة موفقة - ولا شك - ما ابتدأ فيه الأزهر من دراسة المعاملات الجديدة ، وبحثها على أضواء جديدة من حاجات المجتمع ، مع الاستئثار فيها بالأصول المقدسة في الشريعة الإسلامية ، ولكن لا نرى إلا أن هذه خطوة يجب أن تتبعها خطوات ، فإن كثيراً من مسائل العلوم في حاجة إلى هذه الروح لتفي بحاجات المجتمع .

ولنضرب مثلاً ببعض العلوم ، وبعض المسائل :

في العربية علم اسمه علم البديع ، تبجح عبد الله بن المعتز بأنه استخرج فنونه من كلام العرب ، وشتمه بأفقه قاتلاً : وما جمع قبلي فنون البديع أحد ، وظل العلماء بعده يستخرجون

هذه الفنون ، ونيف في ذلك - بصفة خاصة - العلماء المصريون ، حين أعوزهم أن يقولوا في العلم شيئاً ذا بال ، وكان السابقون يرون أن البديع علم عرضي ، يفيد الكلام تحسناً زائداً ، إذا خلا من التكلف ، وكان أكثر أصحاب الذوق منهم يعيرون الإكثار من هذه الفنون ، فخطوا من أبي تمام ، ورفعوا من البحري . فإذا صفعنا نحن ؟ رأينا من يجاهدون ليرفعوا من شأن البديع ، وليجعلوا التحسين فيه ذاتياً ، وآمنا نحن بذلك ، ففرضنا دراسة البديع على طلابنا ، مع أن النظرة العجلى ترى أن مراعاة المحسنات البديعية قد أضرت ضرراً بليغاً بالآثار الأدبية ، فقد انصرف عبادها عن تجديد المعاني وابتكارها ، وتوضيح العبارة وانسجامها ، والاقتصاد الذي هو لب البلاغة ، إلى أمور شكلية ، ولا أشك أنك حين تجد كثرة البديع ، تفقد حرارة العاطفة ، وصدق التعبير ، وسحر المعنى .

وهذا النحو ، صرفنا النظر في علله ، وشواذه ، وفلسفته ، ونخرج شواذه ، عن العمل على إقامة الآلسنة ، وتهذيب القواعد ، وتيسير المسائل ، حتى أصبحت دراسة النحو أبعد الدراسات عن الغاية المرجوة منها . وعجيب ألا نستفيد شيئاً مما كتبه الباحثون في هذا الحقل ، كأننا نعتقد أن كل ما قالوا زور وبهتان .

ومسألة واحدة في علم اليسان أسوقها كشاهد على تمعينا بما قال القدماء ، دون تفكير جدى في مدى الصواب أو الخطأ ، أو حتى دون انتفاع بما أشار بعضهم إليه من نظر صحيح .

وصل اليانا تعريف الكناية على هذه الصورة ، لفظ أطلق ، وأريد به لازم معناه ، مع جواز إرادة المعنى الحقيقي ، وطال الخلاف ، هل المراد لازم المعنى ، أو ملزومه ، في حين أنك لو رحمت تطبق هذا التعريف على أنواع الكناية لوجدت عجباً ، أليسوا يقولون « مع جواز إرادة المعنى الحقيقي » فهل يصدق هذا الكلام ؟ قالوا : إن بعض أنواع الكناية عن صفة ، وربما لا يمكن فيه إرادة المعنى الحقيقي ، حتى قال ابن يعقوب المقرئ ، وهذا أكثر من أن يحصى ، ثم لجأوا إلى الفلسفة ليصححوا التعريف .

ولكن هل يصدق ذلك على الكناية عن نسبة ؟ وهل يصدق عن الكناية عن ذات ؟ إنهم يمثلون - مثلاً - الكناية عن نسبة ، بقولهم : المجد بين ثوبيه ، والكرم بين برديه ، والسباحة والندى في قبة ضربت على ابن الحشرج ، وما إلى ذلك ، فهل يمكن في هذه الأمثلة

وما أشبهها إرادة المعنى الحقيقي ، أو حتى جواز إرادته ؟ إنه من الواضح أن المعنى الحقيقي لا يمكن أن يراد ، وقد ذكر ابن السبكي في كتابه عروس الأفراح أن الجرجاني يحمل هذا النوع من قبيل المجاز الإسنادي ، قال : وأنشد عليه قول يزيد بن الحكم يمدح يزيد بن المهلب وهو في بحن الحجاج :

أصبح في قيدك السباحة والمجد د وفضل الصلاح والحسب

وجعل منه ، إلا أنه في النقي : يبيت بمنجاة من اللوم يتيها .

قلت : وليت الشيخ عبد الفاهر سلك هذا المسلك الذي توهمه ابن السبكي ، إذن لكان إلى المصواب أقرب ، ولكن عبد الفاهر - كما هو واضح من كلامه في دلائل الإعجاز (١) - يحمل ذلك من قبيل الكناية .

أما أمثلة الكناية عن ذات فظاهر أنها من قبيل ذكر الصفة ، وحذف الموصوف ، وقد صرح بذلك الزمخشري عند تفسير قوله تعالى : وحملناه على ذات ألواح ودسر ، حيث يقول : « أراد السفينة ، وهي من الصفات التي تقوم مقام الموصوفات ، فتوب منها ، وتؤدي مؤداها ، بحيث لا يفصل بينها وبينها فاصل ، ونحوه » ولكن قبضى مسرودة من حديد ، . أراد ولكن قبضى درع ، وكذلك « ولو في عيون النازيات باكرع » أراد ولو في عيون الجراد ، ألا ترى أنك لو جمعت بين السفينة وبين هذه الصفة أو بين الدرع والجراد وهاتين الصفتين لم يصح ، وهذا من فصيح الكلام وبديعه ، ومثل ذلك في المفصل .

قلت : ومثله مجامع الاضغان ، وبحيث يكون الرعب والامن ، وما أشبه ذلك من أمثلتهم . ألسنت ترى بعد ذلك ، أن هذه الكلمة (مع جواز إرادة المعنى الحقيقي) لاموضع لها في التعريف ؟ ولكننا من المفرمين بالمحافظة على الآثار !

وفي بعض كتب البلاغة أن من الكنایات : « إياكم وخضراء الدمن » كناية عن المرأة الحسنة في منبت السوء ، وأن العرب يكتنون عن المرأة بالنعجة ، وبالشاة ، وبالفارورة ،

وكل هذا واضح أنه من قبيل الاستعارة ، والقرينة فيه - عادة - تكون مانعة من إرادة المعنى الحقيقي ، أليس خطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنجشة حين وجده يحدو الإبل وعليها الهوداج فيها النساء ، بقوله : يا أنجشة رفقاً بالفوارير ، قرينة على أنه - عليه الصلاة والسلام - لم يرد إلا النساء ، وقل مثل ذلك في بقية الأمثلة .

وإذن فليست كل كتابة بل ليس كثير من الكتابات مما يصدق عليه تعريفهم هذا ، بل لا يصدق التعريف إلا على نوع واحد من أنواع الكتابة الثلاثة ، وفي بعض الأحيان ، فهل فكرنا منذ مئات السنين في شيء من هذا ؟ الجواب - مع الأسف - لا .

ولو رحمت أعداد الأمثلة لضاق المجال ، ولكن خلاصة ما أريد أن أرى إليه ، أن نعيد النظر في موروثاتنا ، مع إيماننا بأن فيها خيراً كثيراً ، وأن نلفت إلى ما جد في عصرنا من بحوث ولو كان أصحابها من المشهورين عندنا بالتعصب على الأسلاف ، وأن نعلم أبناءنا العلم الذي يجعلهم قادرين على الخوض في هذا المعترك الصاخب ، فإنهم كما يقول سيدنا على كرم الله وجهه (خلقوا زمان غير زماننا) .

والويل للمتخلفين ؟

على العمري

في أوروبا الإسلامية

أول مدرسة للطب أنشئت في أوروبا هي التي أنشأها أمير المؤمنين الناصر الأموي في قرطبة ، وقد امتلأت إسبانيا بالمدارس يلجع فروع العلم على عهد العرب ، بل يقال إن جامعة موبليه الطبية في جنوب فرنسا كان الفضل في تأسيسها للعرب .

وكان عبد الرحمن بن بدر - وزير الناصر - يكتب المراسيم والأوامر الرسمية في داره ، ثم تطبع منها نسخ كثيرة بطريقة خاصة أتقنها في زمانهم ، وترسل إلى العمال مطبوعة ، وكان ذلك قبل غوتنبرغ الألماني الذي يعزى إليه اختراع صناعة الطباعة .

على رسلكم يا قوم

إن من الظواهر العجيبة - التي يأسف لها كل غيور على دينه وعلى وطنه وعلى المثل الأخلاقية الفاضلة ، والتي هي في حاجة ملحة إلى شيء من الدرس والبحث من المتخصصين في الدراسات النفسية والاجتماعية والأخلاقية - أن يصاب المجتمع المصري والإسلامي بفتنة من الناس لا ترضى للحق ذمما ، ولا تقيم لتكاليف الدين وزنا ، ولا تراعى الأخلاق الكريمة ومقومات الأمة عهدا ، ولا تراقب الله في الإبقاء على ما بين أفراد الأمة وطوائفها من رباط الحب والمودة والتعاطف والتراحم .

هذه الفتنة من الناس إن بدا لها رأى فطير ، أو خطرت لها فكرة من الفكر الخاطئة ، أو استهواها مذهب من المذاهب الهدامة الفاسدة ، سارعت إلى إعلانه بشئ الوسائل والأساليب ، وركبت في سبيل ذلك كل صعب وذلول ، ولا عليها بعد هذا إن هدم حقاً أو أقام باطلا ، أو صادم عقيدة ثابتة ، أو كان فيه نجن على دين أو خلق فاضل ، أو كان فيه قضاء على مقومات الأمة وما ارتضته لنفسها من آداب أصيلة وما تواضعت عليه من عرف سليم .

ولو أن هذه الفتنة من الناس تصدر فيما تكتسب أو تذيع أو تنشر عن عقيدة وحق وخير لأمكن إرجاعها إلى جادة الحق والإنصاف ، ولكنها اتخذت لها هواها ، وامتلات جنوبها بالغرور ، وحقولها بالشبهات ، فمز إرجاعها عن ضلالها البعيد إلى طريق الهدى والحق والاعتدال .

وأعجب من ذلك لو أن غيورا على دينه ووطنه ومقومات أمته أهاب بهم أن يعدلوا عن هذه الطرق المتنوية إلى طريق الرشاد والاستقامة ، وأن لا يلفوا من هذا المشرب الآسن الذي اعتادوا الولوغ فيه ، رموه بكل مقالة حمقاء ، وأصقوا به كل نعمة هو براء منها ، وحاولوا أن يسلبوه من دينه ووطنيته بل وإنسانيته .

هذه الفتنة من الناس التي تشرع أفلامها لكل رأى غير نضيج وكل فكرة فائلة

وكل حفاة طائفة ، وتلبس لكل حالة لبوسها ، وتكون كآبى يراقش كل يوم لونه يتغير ،
هى أضر على الامة من أعدائها ، وإن ينال العدو من الامة ما ينال هؤلاء منها ، لانهم
يدسون السم الزعاف فى القسم ، ويحتالون ما وسعهم الحيلة على أن يلبسوا الباطل ثوب الحق
والغواية ثوب الرشاد ، ويلبسون للناس مسوح المصلحين الناصحين ، فيغتر السذج بظواهرهم
ويفتنون بأرائهم .

إن على ولاية الامور أن يضربوا على أيدي هذه الفئة العابثة بدين الامة وأخلاقيها
ومقومات شخصيتها ، والتي تحاول جاهدة أن تفسد ما صلح من فطرة هذه الامة ، وأن تلحد
بها عن طريق الرحمن إلى طريق الشيطان . وإن على الشعب أن يكون على حذر من هذه الفئة
التي ابتغت الشهرة من طريقها الدون ، طريق « خالف تعرف » ، وأن يميّتها في مهدها ،
وأن يفوت عليها أغراضها ، ولا يلقى بالالما تنفث من سموم وآراء ضارة ، فالشعوب
كانت ولا تزال هى الموجهة للمجتمعات إلى ما ينبغي أن تكون عليه من صلاح واستقامة .

ومن عجيب أمر هذه الفئة أنها تأتي في بعض ما تذهب إليه إلا أن تؤيد باطلها بآيات
من كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وبشيء من أحاديث الرسول
صلوات الله وسلامه عليه ، فتحرف في آيات الله وفي أحاديث رسوله ما شاء لها الهوى
أن تحرف ، وتفهم الكلام العربى الفصيح بعقول وأذواق أعجمية ، فإذا ما بين لهم العلماء
بالكتاب والسنة الخبيرون بأساليبها العارفون بالشرعة وقواعدها ومقاصدها المحمل
الصحيح مدعما بالحجج والبراهين ، تصاموا إلا عن باطلهم ، ولووا رءوسهم إعراضاً
وتكبراً ، وادعوا أنهم أعلم بالكتاب والسنة من رجالها الذين أفنوا أعمارهم في تفهيمها ،
ورموا الناصحين لهم بالكهنوتية والحجر على العقول والجمود والرجعية ، إلى آخر ما تنضح به
نفوسهم من ألفاظ دأبوا على تردادها .

لا ، لا ، يا قوم ، ما هكذا تورّد يأسعد الإبل ، ولا هكذا يكون الحجاج وتناول النصوص
الشرعية . وإذا كان لكل شخص أن يتكلم فيما لا يعلم ولا يحسن القول فيه ، ففيم كان التخصص
فى العلوم والمعارف ، ولكل علم وفن أهله والعارفون به ، « فاسألوا أهل الذكر
إن كنتم لا تعلمون » .

لا أريد أن أسوق الامثلة فذلك أمر يطول ، ولكنى سأذكر مثالا واحداً يبين منه مدى فهم هؤلاء الكتاب للتصوص الشرعية .



كتبت كاتبة معروفة تدعى بغير بيئة أن تعدد الزوجات في الإسلام ممنوع ، وسمعت كاتباً معروفاً في ندوة إذاعية يقطع بأن التعدد محرم ، وحجتهما في هذا أن الله سبحانه وتعالى قال في صدر سورة النساء : « فأنكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ، فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ، ذلك أدنى ألا تعولوا » ، ثم قال بعد ذلك في السورة نفسها : « ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم ، فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة » ، وخرجنا من الآيتين بأن التعدد ممنوع ، لأن العدل غير ممكن ولا مستطاع . ومثل هذا الفهم الذي هو أقرب إلى العبث والهزل مما ننزه عنه كتاب الله ، ولبت شمرى كيف يتفق ما فهموه من الآيتين هو وقول الله تعالى : « فأنكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع » . وما كان عليه السادة من خيار هذه الأمة من الصحابة ومن جاء بعدهم من تجويز التعدد والجمع - بالفعل - بين أكثر من واحدة ؟ فهل السلف الصالح كلهم كانوا محطتين ، وهؤلاء هم المحقون ؟ !!!

والحق أن العدل في الآية الأولى هو العدل في النفقة والسكنى والبيتونة ، وهو الذي ينفى تحققه لمن رام التعدد ، وهو داخل في نطاق الاستطاعة لاحالة . وأما العدل في الآية الثانية فالمراد به العدل في المحبة والميل القلبي ، ومثل ذلك غير مستطاع لأنه أمر غير اختياري ، فلذا لم يكلفنا الله به . وهذا الذي ذكرناه هو الذي تدل عليه السنة القولية والعملية التي هي مبينة للقرآن وشارحة له ، وقد ثبت فيما رواه الإمام أحمد وأصحاب السنن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقسم بين نسائه فيعدل ثم يقول : « اللهم هذا قسمي فيما أملك ، فلا تلني فيما تملك ولا أملك » ، يعنى الميل القلبي ، فكأن الله سبحانه يوصينا في الآية الثانية أن لا نسير وراء الحب القلبي والميل النفسى فنجور على إحدى النساء فيما يجب لها من نفقة وسكنى وبيتونة ، فهذا هو التفسير الصحيح للآيتين .



وثالثه الأتاني أن تمتد هذه اللونة إلى بعض أبناء الأزهر المدمور الذي سلب من عمر الزمان مئات السنين وهو منارة الإسلام ، ومثابة المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ،

والقائم على حفاظ الشريعة الغراء واللغة العربية لغة القرآن ، فنجدهم لا يقومون بالأمانة التي استحفظوا عليها ، ويؤثرون رضا الخلق على رضا الحق ، فانزلق ذلك البعض إلى مزالت لا يؤمن شرها ولا تحمد عقباها ، وقد حدام إلى هذا الرغبة في تحصيل الشهرة الكاذبة ، وأن تضفي عليهم الألقاب الجوفاء الفارغة ، كأن يقال عنهم إنهم مجددون وعصريون وغير جامدين ، إلى غير ذلك من الألقاب التي لا تستهوي إلا صفار النفوس ورقاق الدين . ولو أنهم كانوا ذوي بصيرة لوقفوا عند معالم الحق ، ولأدركوا أن طلب الجاه من هذا السبيل ماهر إلا كمراب بقية يحسبه الظمان ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفاه حسابه ، وأن هذه الألقاب التي يضيفها عليهم قوم لاحظ لهم من دين أو خلق أو علم أصيل هي إلى التنبأ أقرب منها إلى التعظيم .

• • •

بحسب هؤلاء عبرة وذكرى أن يعلموا أن إماماً من أئمة السلف الصالح وهو الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله كان يفيض الشهرة ما استطاع ، ويجب أن يكون في غمار الناس ، وكثيراً ما كان يتأفف مما ناله من الشهرة ويقول : « طوبى لمن أنعم الله عز وجل ذكره » ، وكان يرى أن الجاه العريض والسعادة الحقة إنما هما في التقى والوقوف عند حدود الله والحرص على رضائه ولو سخط عليه الناس كلهم ، وأن لا تأخذه في الحق لومة لائم . فإذا كان عاقبة هذا الإمام الجليل الذي كان يفر من الشهرة وهي تلاحقه ؟ لقد رفع الله سبحانه وتعالى شأنه ، وأعلى في الأولين والآخرين ذكره ، وحظى بمنزلة لم تلبها الملوك ، ولا تزال مواقفه الخالدة في مجنته شذى يتضوع على كل لسان ، وذكرى مجيدة تتجدد على نوال العصور والأزمان .

• • •

يا أبناء الأزهر المعمور ، أنتم بمثابة النجوم التي يهتدى بها السارى في ظلمات الحيرة والجهالة ، وإذا أعتم النجم فيما يهتدى السارى ؟ وأنتم الذين يستشفي الناس بآرائكم ، وإذا انحرفت الآراء واعتلت فيما يستشفي الناس ؟ وأنتم ملح المسلمين في جميع أقطار الأرض ، وإذا فسد الملح فماذا يصلحه ؟ وقديماً قيل صنفان إن فسادا فسد الناس العلماء والأمراء !!! وأنتم صمام الأمان الذي يبق الأمة الإسلامية غوائل الأفكار الخاطئة والمذاهب الهدامة والآراء المبتكرة : وإذا تخليتكم عن مهمتكم سرى التحلل والفساد إلى هذه الأمة ونغر في عظامها سوس الإباحية والاستهتار ؛ فكونوا كما كان أسلافكم الأماجد ، وقفوا سحر هذه التيارات الجارفة بصلاية عقيدتكم ولا يضيركم أن يقال عنكم إنكم جامدون

ما دمت ترممون الهداية والحق ، فلن كان الوقوف عند حدود الشريعة والانتصار للحق والاعتزاز بالفضائل جهوداً فأجيب به من جهود ، وإن كان التحلل من الأديان ونبذ الحق ظهيراً والانحدار في مهادى الرذيلة تهديداً وتقدماً فما أبغضه من تجديد وتقديم !

يا أبناء الأزهر ؛ إن الكلمة من أحكم قد يضل بها الآلاف من الناس ، فلا تصدروا أحكامكم إلا عن حق وهدى وروية وثبت ، ولن كان في الأمة فئة قليلة تنازع الأمر أهله ، وتتطاول عليكم بالسنة حداد ، وتحاول ما استطاعت أن تنقض من شأنكم ولا نسمع لقولكم ، فإن جمهور الأمة لا يزال يعلق عليكم الآمال الكبار ، ولا يزال يحلمكم من نفسه محل القدوة ، ولا يزال المسلمون في كل صقع وقطر ينظرون إليكم على أنكم ورثة الأنبياء ونجوم الهداية ومصابيح الرشاد ، فراقبوا الله فيما تقولون وما تفعلون ، وأنتم خير من يعلم قول الرسول صلوات الله وسلامه عليه : « من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً ، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً » ، رواه مسلم .

هذه كلمة قصدت بها التحذير والتذكير ، وصدق العلي العظيم : « وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين »

اللهم إني قد بلغت . اللهم فاشهد ؟

محمد محمد أبو شربة
الاستاذ بكلية أصول الدين

عواقب الانهماك في طلب الدنيا

جاء في متن الحديث المشروح تحت هذا العنوان بالجزء الماضي وفي شرحه « لم يبال الله في أى أودية ملك ، ومهنتها أوديته .

« وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه »
(قرآن كريم)

الى أين ??? شاطىء النجاة

(العرب أول من علم العالم كيف تنفق حربة الفكر مع استقامة الدين)
جوستاف لوبون

توفر للدين الإسلامى من الإمكانيات الروحية والمادية ما استطاع بها أن يصهر القلوب المتنافرة ، والمصالح المتضاربة ، والقبائل المتناحرة ، ويكون من شئانها جميعاً قوة واحدة ، أوصلت نور الإسلام إلى جميع الأقطار في زمن قصير ، يقيمه المؤرخ المنصف برهاناً على صدق الداعى إلى هذا الدين . والإسلام دين يربى معتنقيه التربية القويمة ، ويصوغهم على صفات الكمال الإنسانى ، ويهيئهم لمواجهة مشاكل الحياة ، ويمكنهم من معالجة الأمور بما يناسبها .

استقر الأمر للدولة الإسلامية بعد أن انتشر الإسلام في الشرق والغرب ، ودخل أهل البلاد المفتوحة في هذا الدين القويم ، فرجع المسلمون إلى عقولهم يستوحيونها الحكمة والمعرفة ، وينطلقون بها في ميادين البحث والعلم ، ويخلقون بها في سماء النشاط الفكرى المادى والروحى ، فبحثوا في العلوم الدينية والمعارف الإنسانية ، وفي الطبيعة وما وراء الطبيعة ، في جميع ما أنتجته العقول البشرية السابقة من كلدانيين وهنود ويونانيين وفرس وغيرهم . وإذا بدأت حركة البحث الفكرى دينية على عهد النبي ﷺ وعلى عهد خلفائه الراشدين فذلك أمر طبيعى اقتضته فطرة الوجود وسنة التدرج ، فالدين قد ملك على القوم قلوبهم ومشاعرهم ، فهو سبب وحدتهم ، ومنبع نهضتهم ، وسر وجودهم .

وقد أقبل كبار الصحابة الذين وزعوا على الأمصار ومن تلتذ عليهم من التابعين الذين دخلوا في الإسلام من الشعوب المفتوحة على القرآن والحديث بالتفسير والشرح والتحصيل ، يدنون المعاني ، ويستنبطون أحكام ما يمرض لهم من معاملات اقتصادية ، ونظم سياسية ،

ومبادئ اجتهادية ، في هذه الدولة المتراصة الأطراف ، التي صاغت حضارتها في إبداع على أكمل نظام .

وقد وسع الإسلام بأصوله الواضحة ، وقواعده السليمة ، وتعاليمه السمحة القويمة ، هذه الحركة الفكرية المتحررة من أغلال التقليد والتقييد ، ذلك لأن الإسلام يتسع لبحث الفكر ولا يضيق ذرعا بمبتكرات العلم ومبدعاته . كيف لا وهو الدين الذي أخذ بيد الفكر من مواطن الرعونة والغفلة والإهمال إلى أماكن الروية والعمل والاستبصار .

وإن ديننا من أعظم مزاياه أن النص المقطوع به لا يتعارض قط مع العقل في اتجاهه السليم .

وإن ديننا لا يكتفى من معتقبيه بتصديق المقلد ، وإن ديننا يرى أن الحكمة في تناول الإنسان ، وأنها من نصيب البشر ، يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا .

إن ديننا هذا شأنه لخلق أن يستمتع العقل في ظلاله بالحرية الكاملة في البحث والتفكير .

لذلك شق الإسلام طريقه إلى القلوب والعقول بالحجة والبرهان دون التجاء إلى السطوة والصولجان . فلا تجده يكلف الإنسان عقيدة من العقائد دون أن يتبعها الدليل الذي يأخذ عليه طريق المكابرة والعتاد . فلا يسمعه إلا التصديق والإذعان ، فنكتاب الإسلام حين يلقى إليك بعقيدة التوحيد في قوله : « وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم »^(١) ، يقرنها بالدليل مباشرة إذ يقول : « إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون »^(٢) .

ولو تتبعنا القرآن دستور الإسلام ، لوجدناه ينهى باللائمة المرة على من يهمل عقله ، ويعيش دون العناية بهذه الجوهرية الغالية ، وتلك الهبة الربانية السامية ، فقد أبرزه في أشجع صورة إذ يقول : « إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون »^(٣) ، « ومن الذين

كفروا كمثل الذى يتفق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء صم بكم همى فهم لا يعقلون ^(١) .
 كما أوضح بالكثير من آياته شدة عنايته بالعقل وعظيم اهتمامه بشأته . استمع معى إلى بعضها
 وتأمل : والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار
 والأفئدة لعلكم تشكرون ^(٢) . الذى خلق سبع سموات طباقا ما ترى فى خلق الرحمن
 من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ^(٣) . أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم
 قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب
 التى فى الصدور ^(٤) . لم قلوب لا يفقهون بها ولم أعين لا يبصرون بها ولم آذان
 لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون ^(٥) . قل سيروا فى الأرض
 ثم انظروا ^(٦) . أولم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء ^(٧) .
 فلينظر الإنسان إلى طعامه ، أنا صببنا الماء صبا ، ثم شققنا الأرض شقا ، فأنبتنا فيها حبا ،
 وعنبا وقضبا ، وزيتونا ونخلا ، وحدائق غلبا ، وفاكهة وأبا ، متاعا لكم ولأنعامكم ^(٨) .
 فلينظر الإنسان مم خلق ^(٩) . ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ، ثم جعلناه
 نطفة فى قرار مكين ، ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا
 العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ، ثم إنكم بعد ذلك لميتون ^(١٠) .
 وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون ^(١١) .

إن هذه العناية بالعقل لأن العقل قد بلغ أشده فى ظلال الإسلام ، واستوى على عرش
 الفكر ، وتمكن من زمام البحث ، فلم يعد طفلا يستغنى بالتلقينات ويقنع بالمسلطات .
 لذا جاء الإسلام مؤسسا دعائمه على العقل ، متمشيا فى تشريعاته مع الطور الفكرى الذى
 وصلت إليه الإنسانية فى عمرها المديد ، فقد بلغت الإنسانية منتهى النضج الفكرى ، ووافاها
 الإسلام عند السكال ، فهو لذلك دين الإنسانية الكاملة .

ومهما ارتقت وسائل البحث العلمى ، ونظم الحياة المادية ، ومهما ابتدع العلم الحديث
 من عجائب وأحدث من مبتكرات ، فإن الإسلام لا يمكن أن يجافىها بل هو يشجع الباحثين

[١] البقرة ١٧١ . [٢] النحل ٧٨ . [٣] تلك ٣ . [٤] الحج ٤٦ . [٥] الأعراف ١٧٩ .
 [٦] الأنعام ١١ . [٧] الأعراف ١٨٥ . [٨] عبس ٤٤ - ٣٢ . [٩] الطارق ٥ .
 [١٠] المؤمنون ١٢ - ١٤ . [١١] المنكوت ٤٣ .

على التفنن في الابتكار والإتقان لما فيه خير الإنسانية ورفاهيتها - « علم الإنسان ما لم يعلم ،
 - سريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ، « ويخلق ما لا تعلمون » .
 أقول ان يقف الإسلام مناهضا لحركة البحث ، أو عقبة كأداء في سبيل الفكر ،
 كما وقفت الكنيسة في ما ضيها أمام كثير من الحقائق والمخترعات .

فقد سجل التاريخ صوراً قائمة من الكيفاح المرير بين رجال الكنيسة وجمهرة المكتشفين
 والمخترعين وأتباع كل ، مما أوجد العقدة النفسية بين الدين والعلم ، وأرث نار العداوة بينهما ،
 ولا زلنا نصطلي نارها ، ونحاول تهديتها حتى الآن . وهاك بعض هذه الصور المفجعة
 المعبرة والمفارقة :

لم تكشف الكنيسة بالمقاومة القولية ، والمصاولة بالحجة والبرهان ، لأنها تعلم أن قوتها
 ستتهار في هذا الميدان . لذا لجأت إلى طريق القسوة والعنف ، وتفننت في أنواع التعذيب
 والتشكيل في النفس والمال والأهل والاتباع ، وأوقعت المحكمة المقدسة بين الناس في أوروبا
 من الرعب ما خيل لكل من يلبع في رأسه شعاع من نور الفكر أو بصيص من خواطر
 البحث ، أن رسول الشؤم يترصده ، وأن السلاسل والأغلال أقرب إلى عنقه ويديه
 من ورود الفكرة العلية إليه .

حكمت محاكم التفتيش منذ نشأتها سنة ١٤٨١ - ١٥٠٨ م على ٣٤٠ أربعين وثلاثمائة ألف
 نسمة باسم مقدسات المسيحية : منهم مائة ألف حرقوا بالنار أحياء - يقول أحد مؤرخي
 أوروبا مصورا الحالة النفسية الهالعة في ذلك العهد ، يكاد يكون من المحال أن يكون الشخص
 مسيحيا ويموت على فراشه ، وحاربت الكنيسة كروية الأرض ، وكشف أمريكا ، والحقن
 تحت الجلد ، وتخدير النساء عند الولادة ، وغير ذلك . والمؤلم أن تستند الكنيسة في هذه
 المقاومة إلى نصوص من الكتب المقدسة - كأن الأديان إنما هي لعنة الإله على الإنسان ،
 وليست هداية الله للبشر يهدي بها من استنار بضوئها إلى تحقيق السعادة لنفسه ولبنى جنسه
 في العاجلة والآجلة .

فكتفى بهذا الإجمال تاركين العقل الإنساني في غياهبات سجون أوروبا يرسف في السلاسل
 والأغلال لنرى العقل الإنساني في ربوع الشرق وفي رحاب الإسلام ، وتحته ظلاله الوارفة ،
 وشمسه المشرقة .

ماذا وجد العقل في الدين المحمدى ؟

وجد العقل في دستور الإسلام منها له من سبانه العميق ، وحائاً إياه على العمل والتبصر ، ومهتاً له كل وسائل البحث والمعرفة . ولا يسعى للبرهنة على هذه الحقيقة - بعد ما قدمت من آيات دستور الإسلام ، وما فعله من سنة رسول الإسلام وقيادته للحركة العلمية ، وحضه أتباعه على التزود من العلوم والمعارف - إلا أن أضع أمام ناظرليك الحالة العلمية في ربوع الإسلام وتحت راية القرآن ، فهى الميزان الصادق ، والفصل القاطع في هذا المقام ، لأن الحالة العلمية هى النتيجة الطبيعية لحرية البحث الفكرى .

ازدهرت العلوم المدنية ، وأخذت حظها من النضج والبحث الفكرى والتجريبى تحت راية الإسلام ، لا فرق في معاملة الباحثين والمفكرين بين مسلم وغيره ، وأول من توجه إلى هذا الميدان أبو جعفر المنصور وأوصلها هارون الرشيد إلى أوروبا المظلمة ، فلما كان المأمون لم يبق شئ من الكتب والأبحاث العلمية باللغات الأخرى : إغريقية أو فارسية ، سريانية أو هندية ، إلا وترجم إلى اللغة العربية ، وبهذا وضع العرب المعارف البشرية منذ نشأتها بلغتهم تحت أبصارهم وبصائرهم .

وأقبل العلماء على هذه العلوم بالشرح والتعليق ، والاستنباط والتأويل ، واجتازوا دور الفهم والتقليد سراعاً إلى دور الابتكار والتجديد . فالتأوا المدارس والمراسد ، والبيمارستانات ، وألفوا الكتب والموسوعات وأودعوها جهودهم الجبارة في خدمة المدنية والعلم ، وقدر الباحثون دور علماء الإسلام في سلم التطور الفكرى بأنه حلقة الاتصال بين القديم والحديث ، وكذب أن العرب حميلة على اليونان ، وإنما نظر المسلمون في علوم اليونان فأكلوا الناقص منها ، وشذبوه من الأدراة العالقة به ، وأخرجوا منه ومن غيره علماً جديداً أنضجوه بعقليتهم الجبارة وفطرتهم العربية الإسلامية السليمة . فمكتاب القانون الذى ألفه الرئيس ابن سينا كان شريعة الطب في العالم طوال ستة قرون ، واستمر عمدة التدريس في جامعات فرنسا وإيطاليا حتى منتصف القرن التاسع عشر . وم أول من عين موضع إخراج الحصاة كآخر اكتشاف وصل إليه الطب الحديث . وما وصلوا إليه من معرفة في الفلك والجبر والحساب ناطق بفضلهم ، فقد رصدوا الأفلاك وابتكروا آلات

الرصد . وقالوا باستدارة الأرض ودورانها حول محورها . ولا تزال المصطلحات العربية في هذه العلوم حتى الآن ، وبحوثهم في الحيوان والنبات والكيمياء أصول هذه العلوم . وأما النواحي الفكرية الفلسفية (الميتافيزيقية) فإن علماء الإسلام فيها هم الأعلام الذين لا يشق لهم غبار . وجدير بالذكر أن أبحاث ابن رشد أثارت ثائرة العالم المسيحي (الأوربي) آنذاك حيث كان غارقا في بحر الظلمات .

وما كان هذا الإتاحت المادى والروحى إلا لأن الإسلام أطلق لمعتقيه العنان في هذه الأبحاث ، وشجعهم على الإجابة بما كافأهم من مكافآت مادية وأدبية . وقد سجل التاريخ صوراً رائعة تنطق بمؤازرة الإسلام للعلم والنهوض به ، ورفع مكانة العلماء والعناية بشأنهم وتقدير جهودهم ، وما نبأنا التاريخ مرة واحدة أن الإسلام حارب حقيقة أو قاوم اختراعاً جديداً .

كيف والإسلام دين العلم ، ورسول الإسلام يقول عنه القرآن « وقل رب زدنى علماً ، ودستور الإسلام يسمو بمكانة العلماء في قوله « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أتوا العلم درجات » . وما رضى الإسلام بتشجيع معتقيه فحسب وإنما وسع العلماء والباحثين من غير المسلمين كذلك . يقول المستر درابر « إن المسلمين الأولين في زمن الخلفاء لم يقتصروا في معاملة أهل العلم من النصارى واليهود على مجرد الاحترام بل فوضوا إليهم كثيراً من الأعمال الجسام ، ورفقهم إلى أعلى المناصب في الدولة » .

فالإسلام دين لا يعرف إلا الحق ، فهو يقدر العالم لعلبه دون اعتبار لنسب أو نعت أو دين أو جنس أو لغة ، فالحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها أخذها - يقول أحد خلفاء المسلمين : « العلماء هم صفوة الله من خلقه ، ونخبته من عباده ، لا هم صرفوا عنايتهم إلى نيل الفضائل الإنسانية . هم ضياء العالم ، ولولاهم لسقط العالم في الجهل والبربرية ، هذا تقديره الأدبي للعلماء أما المكافآت المادية فقد كان يعطى أحدهم وزن ما يترجم ذهباً .

وفي ظلال هذه الرعاية « أثمر العقل ثمراته التي حفلت بها الأرض في ظلال القرآن وتحت راية السنة المطهرة ، وخلف العلماء هذا التراث الخالد الذى نعتز به ونعتز به البشرية قاطبة » .

ويقول درابر « إن العرب فتحوا من مملكة العلم والفلسفة ما أتوا على حدوده أسرع مما أتوا على حدود مملكة الرومانيين » .

من كل هذا نقرر في وضوح أن الإسلام كدين ودولة معاً لم يعاد العلم ولم يحجر على الفكر. وإنما أطلق للعقل والبحث العنان ، وشجع العلماء والباحثين على الابتكار والإتقان ، فاجتمع المجامع العلمية ، وما استعدى السلطة الزمنية على إخماد الحركة العلمية . وإنما بذلت الأموال ، وأغدقت الإعطيات على العلماء والباحثين .

فهل كان الدين آنذاك في زوايا النسيان والإهمال ، أم كانت له الدولة والسلطان ، إن عصره أنجب أئمة المسلمين المجتهدين والحكام والمبشرين والمفكرين ، وكان من خلفائه من يغزو عاماً ويحج عاماً لا يمكن إلا أن يكون الحق فيه صاحب القهر والسلطان .

فإذا وسع الدين الإسلامى في تلك العصور هذه الحركة العلمية والفلسفية المنحورة في المادة والروح في المحسوسات والمعقولات ، وكان من نتاجه هذا التراث الضخم من المعارف الإنسانية ، فهل لا يستطيع الدين — وقد صاحب تلك العصور الحزالي واعتبر بتلك الحوادث على مر الدهور — أن يعيد سيرته الأولى فيتلهم مع توأمه العلم ، ويتعاونوا معاً على رفع مستوى البشرية ، وتحقيق أسباب السعادة المادية والروحية في العاجلة والآجلة لا بنائها ، والرقى بهم إلى مواطن الطهر والكمال . هذا هو الظن بالإسلام فإنه شرعه الرحمن ، وما أنزله إلا رحمة للعالمين ، وتشريعه هو ذلك التشريع الرحب الفسيح الذى يتسع للناس جميعاً مهما اختلفت لغاتهم ، وتباينت أصقاعهم ، وتفاوتت عاداتهم وتقاليدهم ، لأنه لا يكلف الإنسان إلا بما يطيق ، لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ، وقد تضمن دستور الإسلام الأصول العامة والقواعد الشاملة التى لا تختلف باختلاف الزمان والمكان والأجناس ، وترك التفصيل والتطبيق لما يلائم الصالح العام لكل شعب في عصر من الأعصار .

فالإسلام شريعة بشرية عامة ، نظم حياتها ووضع لها التشريعات القويمة وضعا بديعاً متناسقاً ، فلا عداة ولا صراع ولا تفريق ولا تضارب بين المادة والروح ، ولا بين العلم والدين ، ولا عبادة للثال ولا إنكار لقيمه ، ولا تخريب للعالم كما لا جحود للآخرة ، بل توافق وتعاون وانسجام . . . وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا ، وأحسن كما أحسن الله إليك ، ولا تبغ الفساد فى الأرض إن الله لا يحب المفسدين (١) .

إن العلماء والمفكرين الإسلاميين قد ضربوا للعالم أصدق المثل العملية على هذا التعاون

بين العلم والدين ، ودونت أسفارهم مثلاً رائدة للتضامن بين المادة والروح . وهاك مثلاً طريقاً ضربه لإيضاح هذه الصلة :

« أعمى يحمل مقعداً ، وأويهما صاحب بستان ، ويبيع لهما أن يأكلا من ثماره ومشتبهاته دون العبث بمحتوياته ، تحت مراقبة وإرشاد حارس البستان ، فإن أطاعا وامتلأ دامت لهما حياة الرغد في البستان ، وإلا استحقا الطرد والحرمان . هذا الأعمى هو المادة ، والمقعد هو النفس (الروح) ، وحارس البستان هو العقل ، والبستان هو الدنيا ، وثماره طيبات الدنيا ومشتبهاتها ، وصاحب البستان هو الخالق العظيم سبحانه وتعالى . وهم في هذا يشيرون إلى أن المادة تستطيع أن تتعاون مع الروح فتتم بثمرات الدنيا ومشتبهاتها إذا هي استرشدت (العقل) وأطاعت الخالق (الدين) وبهذا تتحقق لها السعادة في دنياها ، وتوفى جزاءها الكريم في آخرها . أما إن أهملت المادة الروح وهضت الخالق ، وخرجت على أوامره (الدين) فقد تنجست في تصرفاتها ، وأغضبت خالقها ، وحق عليها الشقاء ، وسارت كالأعمى خرج على المقعد وغافل حارس البستان ، فصار يعيش في البستان فساداً ، وهو لا يدري أنفعا جلب لنفسه أم ضراً أصاب . ومن أضل عن اتباع هواه بغير هدى من الله . »

وهكذا يتبين أمامنا ما ضربه أسلافنا من المثل العالية في التضامن بين المادة والروح ، والتناصر بين العلم والدين . فهل نستطيع أن نصرب مثلاً جديدة في هذا السبيل ، دون تطاحن أو مروق ، فنتمشى تلكم الصرخات المدوية ، وتتلأشى هذه الصور القائمة التي تهدد البشرية بالفناء والدمار .

إن السير في طريق المادة والخضوع لسلطانها مود بالعالم إلى الشقاء والفناء ، وإن الأمم التي أسست حضارتها على أسباب المادة تحتل المظاهر المادية عندها جميع نواحي النشاط الإنساني ، أما الأخلاق فجزرية في مكان مظلم من الحياة بحيث ، إن الفرد من رعاياها يعبد البئس ستة أيام في الأسبوع وينطلق اليوم الباقي من حياته للانغماس في الملذات والشهوات ، « ذرم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون » . « يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون »^(١) .

لهذا ننادى العقلاء وبناء الأمة والناهضين بالشعوب الإسلامية مبصرين ، أن الخلق المسلمين عن تعاليم دينهم ، ومخالفاتهم القيم الرفيعة التي أتى بها الإسلام ، وهجر الفضائل التي ورثتها البشرية ، وبذا الآداب الخلقية السامية التي قررتها الفطر الإنسانية السليمة على مر الأجيال ، لا ينبغي أن تقام عليه مدينة المسلمين وحضارتهم في القرن العشرين ، بل يجب أن نحرص على مقدسات الإسلام .

بنى كما كانت أوائلنا تبنى وفصنع مثل ما صنعوا
وكذب أن الدين مخدور للشعوب ومعوق للأمم عن النهوض ، فالإسلام قد أيقظ شعبا
وأهض أمة ، وأنشأ دولة وحضارة .

وأخيرا أقول : إن صوت الإسلام يدوى في الآفاق ينادى أتباعه جميعا :

أيها الماديون جوسوا خلال المادة ، وتلصصوا بين خلاياها ، واخترقوا جدرانها ،
وأميطوا اللثام عن خفاياها ، واهتكوا ستورها ، وابحثوا مآتبات لكم وسائل البحث ،
وامتطوا الهوام وفتوا الفرة وحطموها ، وأخرجوا للبشرية ما تستطيعون مما أبدع الخالق
في ملكوت السموات والأرض ، واستنبروا بهدى الروح ، واستضيئوا بضوء السماء ،
ولياكم والتوجه بمخترعاتكم إلى إيذاء البشرية وضررها ، بل إلى ما ينفع الإنسانية ويهيجها
« فن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » (١) .

أيها الروحانيون ، يا سادة الأخلاق ، ويا دعاة الفضيلة ، ويا عشاق المثل العليا ، ابدلوا
الجدد ، وأقبروا السيل ، وأحيوا القول بالعمل ، كونوا مثلا حية عملية لما تقولون ، فقول
بلا عمل شجرة بلا ثمر « كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون » . خذوا من الحياة المادية
بنصيكم ، واقتنوا بنبيكم عليه الصلاة والسلام ، فهذا دستور الإسلام « وقل اعملوا فسيرى الله
عملكم ورسوله المؤمنين ، وترددون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون » (٢) .
إنكم إن أجبتم جميعا الدعاء ، وليتم النداء ، تحقق لكم وعد السماء ، نصر من الله وحسن
الجزاء ، فإن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا .

« وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون » ٩ محمد أبو الطاهر
الواعظ العام

في ميدان النقد

يغلب على النقد الضحل المبسر في العصر الأخير صفتان : الأولى هي الإفراط في التقيظ ، والأخرى هي الإفراط في التجريح ، وبين هاتين الصفتين الجائرتين يضع النقد البصير المقاصد الحكيم ... هذا شخص يتناول كتاباً لصديق فيكيل له التناء كيلاً ، وذلك آخر يتناول كتاباً لحصم أو عدو ، فيحرص على اتهامه بالحق والباطل ، وتعمى عيناه عن الحسنات وتبرعان في استنباط السيئات ، وقد بما قال شاعرنا :

وعين الرضا عن كل عيب كلية كما أن عين السخط تبدى المساويا
والدارس لراثنا الأدبي لا يرى كثيراً ذلك النقد الموضوعي المنصف ، الذي يتناول الأثر العلمي أو الأدبي بالدرس والتحليل ، فيقول ماله وما عليه ، من غير أن يجعل للذاتية أو العاطفة أو الهوى أو الصداقة أو العداوة مدخلا في منهجه أو عرضه أو حكمه ؛ بينما يرى عشرات أو مئات من المقالات التي أملاها الود الضالع أو القبط الجاح ، فإذا هي « تعميمات فضفاضة ، أو « كليات واسعة ، في باب المجاملة أو باب التجريح .

ومن واجب العلماء والأدباء والناقدين أن يتواصوا بالأسلوب العلمي الموضوعي المجرد حين يصفون الآثار العلمية أو يحكمون عليها ، حتى يصير الأثر النقدي أثراً أدبياً أو فنياً ، تلذ قراءته وتغزر قائمته ، بما فيه من أفكار وآراء ونظرات ؛ وأن يتزاجروا عن النقد الجمال أو المتعامل ، فإنه إن دل على شيء فإنه يدل على فضوب الذهن وفراغ الفؤاد ، اللهم إلا من هوى مستبد أو حقد جموح ، وحسبنا ما ابتلينا به في باب النقد من تلك الأحكام العامة المائمه التي استعلن أمرها في مثل بقيمة الدهر وسلافة العصر وخلاصة الأثر والذخيرة والخريدة وقلائد العقيان ، وذلك فيما يختص بأوصاف الشعراء والأدباء .

أقول هذا بمناسبة ما قرأته للناقد العالم الأستاذ علي الماردي في مجلة « الأزهر » ، الزهراء من نقد لكتابي « القصاص في الإسلام » ، فقد حاول في هذا النقد - كما يبدو - أن يكون موضوعياً ، وقد أشعرنا أنه يريد أن يقول ما للكتاب وما عليه ؛ وإذا كان العمل ما لم يوافق الرغبة على طول الطريق ، لحسب المرء رغبته ومحاولته ، وه إنما الإهمال بالنيات ،

وهو من غير شك محمود على نيته الطيبة ، ومشكور على ماساق في الكتاب وصاحبه من تقدير وتكريم .

لكن الحقيقة بنت البحث ، وهو قد أثار مسائل يحتاج فيها إلى المراجعة ، لاجبا في المراجعة ، ولا حرصا على القلبة ، ولكنه الوفاء للحق ، وهو قبل رضا الزميل .

عاب الناقد على وعلى فقيد العربية والإسلام المرحوم الرافعي - وأكرم بها من مشاركة ! - تعليلا لاختيار كلمة « القصاص » ، في الدلالة على الانتصاف الواجب من القاتل ، ورأى أن الفوارق اللغوية هي التي تؤدي إلى اختيار كلمة القصاص ؛ ولولا على باستقامة الناقد لحسبت ذلك منه مغالطة ، إذ قد شغلت من الكتاب ست صفحات ^(١) في تبيان تلك المعاني اللغوية الكثيرة لكلمات « النار » والقتل والقصاص ، ، وإيضاح الفروق بينها ، ثم عقت قائلا :

« ومن هذا نرى أن المعنى الأصلي لكلمة (القصاص) هو المساواة والتعادل ، ولذلك كانت هذه الكلمة أحسن الكلمات الثلاث للاستعمال في موضوعنا هذا الذي نتعرض له ؛ فلا يحسن أن نقول (النار) ، لأن النار يذكر بالدم والعداوة والأحقاد والإسراف . ولا يحسن أن نقول (القتل) لأنه أيضاً يذكر بإزهاق الروح والطرده واللعن ، بل نقول (القصاص) لأنه مساواة وعدل وإنصاف ، ^(٢) .

والمشاهد أن كثيرين يذكرون كلمة « النار » ، ويريدون بها القصاص ، وأن كثيرين يذكرون كلمة « القتل » ، ويريدون بها أيضاً القصاص ، فكان لابد للمؤلف من أن يبين الخطأ اللغوي والاستعمال في هذا المجال ، لينتهي بما يجب لغوياً وبيانياً وهو إثارة كلمة « القصاص » .

وقد تعرضت لتفسير قوله تعالى : « ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً ، فلا يسرف في القتل إنه كان منصوراً » ، وذكرت فيها ثلاثة تفسيرات ، ولكن الناقد لم يرقه أحدها ، وهو الذي صورته بالعبارة التالية :

(١) كتاب القصاص في الإسلام ص ١٣ - ١٩ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٩ .

« إن المقتول ظلماً لا يذنب دمه هدرأ ، بل أعطينا ولي دمه النصرة عن طريق السلطان الشرعى للاقتصاص من القاتل ، فواجب على القاتل الأول أن لا يقدم على القتل ، وأن لا يسرف في هذا العدوان وهو الاعتداء على النفس المحرمة ، حتى لا يناله ذلك العقاب الاليم ؛ وهناك قراءة تؤيد ذلك ، وهى : (فلا تسرف) أى : أيها القاتل لا تسرف في القتل ، ولا تقدم عليه بهذه الجرأة المشاهدة — فيكون ذلك نهياً عن القتل ابتداءً — لاتنا جعلنا لورثة من قتله أيها القاتل المعتدى سلطاناً رادعاً بالغاً هو القصاص ، ولأنه كان منصوراً بمعونة السلطان ومساعدة جماعة المسلمين » .

ويعلق الناقد على هذا التفسير بقوله : « وذلك لا يتفق مع نص فصيح ، بله القرآن الكريم » . ونحن لا ندرى لماذا لا يتفق هذا مع النص الفصيح ؟ . وما المانع منه والكلام معه واضح جميل المعنى ، وقراءة (فلا تسرف) قراءة صحيحة ، قبلها كرام المفسرين واحتجوا بها ، وذكروا وجه المعنى فى الآية عليها مع ما ذكروا من وجوه ، ولا يبعد أن يكون هناك من اختار هذا الوجه أو اقتصر عليه ١٩ ... وماذا نفعل ولا يمكن تفسير الآية على هذه القراءة إلا بهذا ؟ .

ثم إن المعنى على هذا الوجه بديع ، والتعبير معه لا خلل فيه ولا اضطراب ، بل فيه تنويع وتكثير ... وكأن الله تعالى يقول — وهو أعلم بمراده — : من قتل مظلوماً فقد شرعنا للمطالب بدمه نصرة وقوة ، فاحذر أيها القاتل ، ولا تسرف في القتل ، وتذكر أن من تريد قتله ليس ضعيفاً ، بل هو منصور بقوة الإمام وقوة المسلمين من ورثته ...

ويقسم الناقد عقب ذلك قائلاً : « على أنى لا أدري من أين جاءت النصرة بجماعة المسلمين » . وقد يقال له إن عدم درايته لا يمنع دراية سواء ؛ هل أن « النصرة بالجماعة » حقيقة أولية شائمة الإدراك ؛ ألم يقل القرآن الكريم : « وتعاونوا على البر والتقوى » ؟ . ألم يقل الرسول العظيم : « المسلمون تنكافأ دماؤهم ، ويسمى بذمتهم أدناهم ، وهم يد على من سواهم » ؟ . ألم يأت الاثر الحكيم : « المرء قليل بنفسه كثير بإخوانه » ؟ . ألم يذع المبدأ الاجتماعى القويم : « الفرد للمجموع والمجموع بالفرد » ١٩ ... وما الأمة يا صاحبي ؟ . ومن أين يستمد الحاكم سلطته ، والقانون قوته ، والمنفذ قدرته ؟ .

الامة مجموعة من الافراد ، فيهم ملكات ومواهب وطاقات وقدر ، ولم حقوق وعليهم واجبات ، وهؤلاء الافراد يصطلحون على مبادئ وقواعد ، ويكون تنفيذها إلى راع أو وال يعطونه من هيبته وسلطتهم وطاقته ، فهو بهم يصول ويحول ، وباختيارهم وتقويضهم يحكم ويفصل ؛ وهل يقيم الوالى الحدود والقصاص ، ويفصل في الخصومات ، ويأخذ الحقوق لاهلها ، ويقف الباغين عن بغيرهم إلا بنصرة هذه الجماعة (وهى الامة) بسواعدها وأموالها وجيشها وشرطتها وقضاتها ومنفذى الاحكام فيها ١٤ ... وماذا يبقى للفرد — ولو كان واليا — من سلطان أو اقتدار إذا خذله الجماعة ١٤ .

ويأخذ الناقد على الكتاب أنه يكثر من النقول أحيانا في الموضوع الواحد ، وهو يرى أن المسألة إذا كانت تحتاج إلى تدعيم وتأكيد فيمكن الاختصار فيها على أوفى النصوص ؛ وقد تكون هذه خطة جديدة للناقد يعمل بها أو يدعو إليها ، ولكل امرئ في منهاجه قسط من الحرية والاختيار ، ولكن المتعارف عند الباحثين والعلماء أن المسائل التي تكون موضع شك أو خلاف أو اضطراب تحتاج إلى تنابع النصوص — تابعا معقولا بطبيعة الحال — لأن تعدد الشواهد والأدلة مما يساعد على إزالة الشبهات ، ويؤكد الحكم المراد ، وفي بحوث السابقين واللاحقين أمثلة أكثر من أن يراد لها إحصاء .

ومع هذا كنت أود لو حدد الناقد تلك المواطن التي تعددت فيها النصوص — ولو بذكر الصفحات — حتى يمكننا متابعتها في نقده ، وحتى نستفيد من رأيه إذا استفاد ، ووجدنا له مجال التلقى والتطبيق .

ويقول « فضيلة » الناقد : « وعندي أن من عيوب الكتاب جنوح المؤلف إلى الوعظ والإرشاد ، حتى دعاه ذلك إلى أن يثبت خطبة ألقاها في مسجد من المساجد في يوم جمعة ، . أى عيب في ذلك يا (صاحب الفضيلة) ؟ ... وأى تعارض أو تناقض بين البحث العلمى وبين كلمة تذكر في صميم موضوع البحث العلمى تساق في موطنها ؟ إن بحثي في كتابي عن القصاص بدليل اسمه (القصاص في الإسلام) والخطبة التي تشير إليها موضوعها القصاص ، وهدفها تعليم الناس أن يقتصر على الاقتصاص العادل في دنياهم ، وأن لا يظفروا أو يتجاوزوا الحدود ، أو يأخذوا بريئا بذنب مجرم : « وأن ليس للإنسان إلا ما سعى » ؛ وفي هذه الخطبة نصوص من القرآن ومن السنة ومن التاريخ الإسلامى ومن أقوال الأئمة الاعلام تدور كلها حول القصاص وهو موضوع الكتاب ؛ وفيها نظرات وخطرات اجتماعية

تدخل في صميم (القصاص في الإسلام) فأى تعارض إذن بين هذه الخطبة وبين البحث العلمى الذى كنهه فيه ؟

معدرة فقد نسيت ١ ... جاء التعارض من (الوعظ والإرشاد) الذى لا يرضيك ؛ ومعدرة إلى أهل الوعظ والإرشاد ١ وماذا في الوعظ والإرشاد من غضاضة يا صاحبي ؟ وهل المعرفة في حقيقتها إلا وعظ وإرشاد ؟ وهل للبحث العلمى من ثمرة أكبر من ثمرة الإرشاد إلى الحق ، والتنبيه على الباطل ، والتحذير من الضلال ؛ سواء أكان هذا الضلال في باب العبادة أم في باب الصناعة أم في باب التجارة أم في أى باب من أبواب الحياة ؟ وأخيرا يعرض الناقد لما ذكرته في قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى ... » من أنه نزل في مقتل سيد الشهداء حمزة ، ويعلق الناقد على ذلك بقوله : « وكنت أحب أن يلقى الأستاذ نظرة فاحصة على هذا الكلام ، فإن الذى يبدو لأول وهلة أنه غير مقبول ، . ولو أننى اقتصرمت على ذكر هذا السبب من أسباب النزول لكان للناقد الحق في قوله ، ولكننى قلت ما نصه : (وروى في سبب نزول الآيتين أكثر من رواية ، وتجد ذلك مبسوطا في الجزء الثانى من التفسير المطولة كالطبرى والآلوسى والقرطبي) . ثم ذكرت أربع روايات في سبب النزول ، ولو ذكرتها بلا تعليق أو ترجيح لكان للناقد بعض الحق في اعتراضه ؛ ولكننى بعد أن ذكرت مختلف الروايات قلت :

ومهما كان خصوص السبب الذى نزلت الآيتان عند قيامه ، ومهما قيل عنه من تأييد أو تفنيد ، فإن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب كما يقول العلماء ، ولذلك يذهب البعض إلى تعليق سبب النزول بالمقصد العام لشرعية الإسلام ، وهو تغيير الأحكام الباطلة الجائرة التى كانت موجودة قبل الإسلام (١) . .

ومهما يكن من مدى الاختلاف في رأى يبنى وبين الناقد الفاضل فإنه مشكور على تقديره وعنايته ، ولعل لا أتقل حين أكرر الدعوة إلى نقد موضوعى متجرد لتجلية الحقائق وتصحيح القيم ، وظنى أن أمثال الناقد ممن لم فكروهم وبيانهم قادرون على المضى في هذه السبيل بعد أن استباننا حاجتنا إلى نقد التبعص والتبصير ، وبعد أن طالت شقوتنا بالآعيب المجهالة وسهام التجريح : « وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ، ولو شاء لهداكم أجمعين » .

أحمد الشريف

المدرس بالأزهر الشريف

نظرات في كتاب المصلحة في التشريع الاسلامي

لاخي الفاضل الاستاذ أحمد الشرباصي مكانة في نفسي تجعلني أناي كل ما يكتبه في تقدير له ، ومن ثم رحبت أيما ترحيب بمقاله الذي نشرته له مجلة «الأزهر» الفراء في عدد رمضان الماضي ، وسرتني منه أنه اختار فقد كتاب لي موضوعا لهذا المقال ، ثم لم يدهشني أنه خصه بنقده تحقيق لرسالة الطوفي في هذا الكتاب ؛ فأما أعلم أنه مشغول منذ أعوام بتحقيق كتاب من خير كتب الطوفي هو «الإكسير في قواعد التفسير» ، وأعلم أنه بحكم هذه الصعبة الطويلة الطوفي حريص على أن ينتصف له ، ويدافع عن كتبه .

ولما كنت أعلم أن بين اخي المحقق وبينني من الود ما يسمح لي حين يخطئ أن أقول له لقد أخطأت وأنا آمن غضبه وعتبه معا ، فأتى أهدى إليه هذه النظرات في مقاله ، وأنا واثق من أنه سيتقبل بروح الباحث النصف ما فيها من إنصاف للحقيقة ، ودفاع عن الحق .

١ — قال فضيلته إني اعتبرت النسخ التي اعتمدت عليها في نشر الرسالة أربعا ، مع أن الثالثة والرابعة منها مطبوعتان لا يسوغ الاعتماد عليهما . وأحب أن أطمئنه على أنني لم أعتمد على المطبوعتين في تحقيق ، لا لأنهما مطبوعتان فحسب ، ولكن لأنهما تجريد من الرسالة ، فليستا في عرف التحقيق العلمي أصليين ، ولا يمكن أن نعبرا كذلك ، ولكي يتأكد له هذا ، ينبني أن يرجع إلى نقدي لهما في الكلمة التي قدمت بها التحقيق ، بعنوان «بين يدي النص» ، فسجدت أنني سجلت نواحي النقص فيهما ، وحيدرك أنني إنما أوردت في مواطن من التحقيق بعض ما ورد فيهما للبرازنة ، دون اعتماد عليهما .

٢ — وخطأ فضيلته كلمة (العوائد) جمعاً للعادة، ثم تساءل لماذا لم أفرق بينها وبين العادات ؟ ولماذا لم أذكر كلمة (العادات) لأنها هي المناسبة هناك ؟

ولى على هذه التخطئة ملاحظتان جديرتان باهتمام ناقد باحث فى مثل علمه وفضله ، أولاهما أن كلمة (العوائد) هى التى وردت فى المخطوطتين [كما نبهت فى الهامش] ، ولهذا وجب أن تبقى مادام هناك وجه لتصحيحها ؛ بناء على ما قرره هو .

والثانية أن الكلمة صحيحة بمعنى العادات ، فهى — مثلها — جمع للعادة ، وقد ذكر ذلك صاحب المصباح المنير حيث قال : « والعادة معروفة ، وجمعها عاد وعادات وعوائد » .

٣ — وأخذ على فضيلته أنى لم أشرح كلمة (العترة) ، عندما قررت أن فى الفسختين المطبوعتين بعد دليل إجماع العترة زيادة هى (عند الشيعة) ، ثم أورد ما ذكره صاحب الأساس شرحاً للكلمة .

وكنيت أحب أن يذكر أنى لم أكتب رسالتى لأوساط المثقفين ، ممن يحتاجون إلى شرح هذه الكلمة ، وأن القيد الذى زاده القاسمى لا وجود له فى المخطوطتين ، فلا قيمة له ، وأن منهجى فى التحقيق — وقد بينته هناك — ليس فيه شرح لمفردات ، بدليل أنى لم أشرح كلمة واحدة فى النص كله ، مع أنه يقع فى نحو ثلاث ملازم ، ومع أن فيه كلمات كثيرة يحتاج أوساط المثقفين إلى شرحها .

٤ — ويقرر فضيلته أن اللغة مبنية فى صورها البليغة على الإيجاز والاختصار ، حين يأخذ على أنى زدت كلمة (أهل) على دليل إجماع المدينة ؛ ليصبح (إجماع أهل المدينة) . أما أنا فأستطيع الصور البليغة فى اللغة هذرا ، إذا أصررت على إبقاء الكلمة التى زدتها ، ولنفس السبب الذى ذكرته هناك ؛ ذلك أن هذا التعبير اصطلاح للأصوليين ، فليس من حق أحد — حتى الطوفى — أن يتصرف فيه ، ومن البدهيات أنه لا مشاحة فى الاصطلاح !

• — ويورد فضيلته من رسالة الطوفى كما حققها هذه العبارة [ثم إن قول النبى صلى الله عليه وسلم « لا ضرر ولا ضرار » يقتضى رعاية المصالح إثباتاً ، والمفاسد نفياً ؛ إذ الضرر

هو المفسدة ، فإذا نقاها الشارع لزم إثبات النفع الذي هو المصلحة ؛ لأنها تقيضان لا واسطة بينهما ، ثم يأخذ على أتى زدت فيها كلمة (المفسد) ، وأتى ذكرت ضمير (نقاها) مع أنه يمكن رجمه إلى المصلحة .

والذي أحب أن أذكره هنا أن الطوفى هو الذى أورد العبارة هكذا ، وأن كلمة (المفسد) واردة في جميع النسخ ، وأن ضمير (نقاها) بقى في الرسالة مؤثقا كما ورد في النسخ ، وإن كنت قد رجحت في الهامش تذكيره ، وأن هذا الضمير لا يمكن بحال أن يرجع إلى المصلحة ؛ لأن العبارة لا تصح إلا بإعادته إلى المفسدة ، أو إلى الضرر إذا كان مذكرا ... وليرجع فضيلتك إذا شاء إلى هذا الموضع في الرسالة ؛ فسيأتى كد له كل هذا الذى ذكرته .

٦ — وفي النسخة (١) من المخطوطتين ورد دليل (العرف) بلفظ (العرفة) ، فلما آثرت عليها ما ورد في النسخة (ب) لأنه هو الصحيح — أخذ على فضيلة الناقد أتى خطأت كلمة (العرفة) وقال إن العرفة معناها المعرفة ، وأصل العرف هو المعرفة ...

وأنا أقول أنه لو وردت الكلمة بلفظ (العرفة) في المخطوطتين معاً — لا في واحدة فقط — لصححتها إلى كلمة (العرف) دون تردد ؛ إذ ورود العرفة في اللغة بمعنى المعرفة لا يعنى تسويغ استعمالها بمعنى (العرف) ، وهى — بعد — اصطلاح لا مشاحة فيه ، فكيف نغفوه ؟

٧ — ويأخذ على فضيلة الناقد أتى قد حذف لام التعليل من قول الطوفى : « حجة الاولين أن الله عز وجل متصرف في خلقه بالملك فلا يجب عليه شيء ، ولأن الإيجاب يستدعى موجبا أعلى ، ولا أعلى من الله عز وجل » . قائلا إن بقاء اللام ممكن على أن يكون الكلام من عطف الجمل المستقلة مع التصرف في التعبير ...

وأنا أسأل فضيلته : أين هي الجملة المستقلة التي يمكن عطفها إذا بقيت اللام ؟ وأين هي الجملة المعطوف عليها ؟ وكيف يمكن تخريج العبارة على هذا النحو العجيب ؟

٨ — واختلفت المخطوطتان في عبارة الطوفى هي : « وجه الاستدلال به أنه ورد بالفاظ متعددة بلغت درجة التواتر المعنوى » ، فوردت في إحدهما [بلغ التواتر] ، ووردت

في الأخرى [بمبلغ التواتر] ... ولما صححتها على النحو الذي أوردته هنا . أخذ على فضيلة الناقد هذا التصحيح ، وزعم أن ما ورد في الفسخة الثانية هو ما جاء في الأصل ، ثم قال إنها صحيحة بتقدير : وروايات متعددة هي كائنة بمبلغ التواتر ...

وأما أعيد أسلوب الطوفى أن يكون فيه عبارة [هي كائنة ١] ، وأبجل أن الأصلين مختلفان في هذا التعبير ، وأن ما آثرته هو ما يتفق وأسلوب مصطلح الحديث ...

٩ — وورد حديث « يد الله مع الجماعة » بلفظ (على الجماعة) في رسالة الطوفى ، فلما أبدلت مع بعلى فيه - نقد المحقق الفاضل هذا التصرف منى ، وزعم أن رواية الترمذى هي « يد الله على الجماعة » ، وأنها لإحدى روايتين للطبرانى ... وقد رجعت إلى سنن الترمذى فإذا الحديث فيها كما صححته ، لا كما ذكره الصديق . ويستطيع فضيلته أن يرجع إلى ص ٢٥ ج ٢ من السنن ، طبعة بولاق سنة ١٢٩٢ هـ ... أما الطبرانى ، فإن له ثلاثة معاجم لم يذكر الصديق مكان الحديث فيها ، ولم كنت - وما زلت - أرجو أن يفعل . على أن الترمذى أوثق منه ، وقد روى الحديث في موضعين من الصفحة التى ذكرتها مع لا بعلى .

١٠ — ونقد الصديق تصحيحى لكلمة (السنة) في عبارة [أما أحد بن حنبل فكان أحفظ الناس لسنة] . وزعم أنها وردت في الأصل (لسنة) ... وأنا أرى أن تصحيحها على النحو الذى صححتها به أقرب ؛ لأنه لا يحتاج إلى أكثر من وصل الألف باللام ، ثم لأنه أوضح وأدل على المراد به .

وبعد ، فلي عتب على الصديق الفاضل أنه جعلنى ناشرًا - لا محققًا - ثلاث عشرة مرة في مقاله ، ثم تفضل فأعتبرنى مؤلفًا عند ما أصلحت حديث « يد الله مع الجماعة » ... ومعاذ الله أن أسىء بالصديق الفاضل النبى فى كلمة أعتقد أن قلبه قد سبق بها ؛ فكم تتجنى الأقلام على حملها ، ولم تنصف لنفسها من الذين لا يريحونها ؟

مصطفى زعيم

المدرس بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة

لغويات

جميل هو الوفاء، نفوس عالية تلك التي يحملها الأُبة

يتردد هذان الأسلوبان في هذه الأيام، وتردد أساليب تقرب منهما، ومى هنا
تخرجهما على قواعد العربية.

١ — فالأسلوب الأول فيه الإضمار قبل الذكر. وهذا خلاف أصل الإضمار،
مخلقة أن يكون بعد الذكر. وقد جاء الخروج على هذا الأصل في أحوال مدونة في النحو.
ويخرج الأسلوب على أحد أوجه ثلاثة:

(١) أن يكون ترتيب الجملة مقلوباً. وأصلها: الوفاء هو جميل. فالوفاء مبتدأ أول،
و (هو) مبتدأ ثان، و (جميل) خبره، والجملة خبر (الوفاء). وسوغ الإضمار قبل الذكر
تقدم المرجع في الرتبة.

ويشبه هذا التخرج ما قيل في بيت أبي العلاء المعري:

تعب كلها الحياة فما أعجب ب إلا من راعب في ازدياد

فقد قيل: إن أصل الترتيب: الحياة كلها تعب. فالحياة مبتدأ أول، و (كلها) مبتدأ ثان،
و (تعب) خبره. ولا يكون (كلها) تأكيداً للحياة إذ كان التوكيد لا يتقدم على المؤكد
- بفتح الكاف -.

(ب) وأن يكون (هو) مبتدأ، و (الوفاء) بدل منه، و (جميل) الخبر. والإضمار
قبل الذكر في هذا الموضع مما يقبل ويستساغ.

(ج) وأن يكون ترتيب الجملة في الأصل: الوفاء جميل هو. فالوفاء مبتدأ، و (جميل)
خبره، و (هو) تأكيد للضمير المستتر في (جميل). وهذا كما في قول جميل.

فإن بك جثمانى بأرض سواكم فإن قوادى عندك الهدم أجمع

فأجمع تأكيد للضمير الذى كان في الخبر، فلما حذف الخبر انتقل إلى الطرف
واستتر فيه.

وقد خرج على هذا الوجه قول أبي العلاء السابق : « تعب كلها الحياة » ، قيل : إن ترتيب الكلام : الحياة تعب كلها . فالحياة مبتدأ ، و (تعب) خبره ، و (كلها) توكيد للضمير المستكن في (تعب) على تأويله بالوصف أى متعبة . على أن الكسائي والرماني وجاعة من التحوين يرون تحمل الجامد للضمير وإن لم يؤول بالوصف . ويرى الخوارزمي في كتابته ^(١) على سقط الزند أن « كلها » بدل من الضمير المستكن في (تعب) ، والأظهر أن يكون توكيدا كما ذكرت ، إذ الأكثر في هذا اللفظ أن يكون تابعا ولا مستقل .

ومما يقرب من هذا الأسلوب الأول ما قرأته في إحدى المجلات : « كم هو كبير الفرق بين الحياة التي كان يحياها الرسول ﷺ ومحبته في دنياه المحدودة إذ ذاك ، وبين الحياة التي كان يحياها محبته الأكرمون من بعده » . وهذا يجوز فيه أن يكون أصل التركيب : الفرق هو كبير . فالفرق مبتدأ أول ، وجملة (هو كبير) خبره . ويجوز أن يكون (هو) مبتدأ ، و (كبير) خبره ، و (الفرق) بدل من (هو) . وفي هذا الوجه الفصل بين البدل والمبدل منه . وهذا سائغ ، إذ كان الفصل بالخبر وهو غير أجني . ومما ورد فيه الفصل بين البدل والمبدل منه قوله تعالى : « يأبى المزمل قم الليل إلا قليلا نصفه أو انقص منه قليلا » ، ففي بعض الأوجه أن (قليلا) بدل من (الليل) مع الفصل بالاستثناء .

٢ — والأسلوب الثاني لا ينكر النحوى منه شيئا . فليس فيه سوى تقديم الخبر ، وهذا شائع مستفيض .

ومما يقرب منه ما ورد في شروح سقط الزند (الموضع السابق) منسوبا إلى جارا الله :

يا حبذا الدنيا وطيب نسيمها لو دامت الدنيا لقافل حبذا
قالوا : أذى هذه الحياة وكلهم لهج بأن يبق له هذا الأذى

ومما يقرب منه أيضا أن يقال : إنها قصيرة تلك الأيام التي قضيتها في المرور . فيجوز أن تكون ، تلك الأيام ، بدلا من الضمير في (إنها) وعلى ذلك يقرأ بنصب (الأيام) ، ويجوز أن يكون الضمير في (إنها) ضمير القصة ، على حدد قوله تعالى في الآية ٩٧ من سورة الأنبياء . (فإذا هي شاخته أبصار الذين كفروا) وتكون جملة « قصيرة تلك الأيام » خبر ضمير القصة ، وفيها تقديم خبر المبتدأ كما في الآية الكريمة .

أنعم بك وأكرم

أنكرت الصيغة الأولى من هذا المثال ؛ إذ فيها صوغ التعجب من نعم وهو فعل جامد لا يأتي منه التعجب ، ويقول الاشعوني في شرحه للألفية في الكلام على شروط ما يصاغ منه التعجب : « الثالث أن يكون متصرفا ، فلا يبينان من نحو نعم وبئس ، وشذ ما أعساه وأعس به » . على أني رأيت في شرح الرضى للكافية في مبحث التعجب : « وقد يبنى من غير متصرف ؛ نحو ما أنعم وما أبأس » . وإذا ساغ ما أنعم فإنه يسوغ أنعم به ؛ إذ الصيغتان سواء . ولم أر هذا لغير الرضى . وقد كان واسع الاطلاع على آثار النحويين ، والظن أنه يقول في هذا إلى سند وثيق .

ما أن قدم محمد حتى أقبل عليه المهنثون

سمعت كثيراً من المثقفين ينطقون مثل هذا الأسلوب بفتح همزة (أن) ، والصواب كسرهما ، وذلك أنها إن النافية في نحو قوله تعالى « إن أردنا إلا الحسنى » ، وقوله : « إن الكافرون إلا في غرور » ، وقد جاءت بعد (ما) النافية مؤكدة لها كما يؤكد اللفظ بمرادفه . ومن موارد استعمالها قول النابغة في اعتذاره للنعمان :

والمؤمن العائذات الطير يسحبها ركبان مكة بين الثقل والسند
ما إن أتيت بشيء أنت تكرهه إذا فلا رفعت سوطي إلى يدي

وقد يقول قائل : ما تنكر أن تكون (أن) بفتح الهمزة هنا مزيدة على حد زيادتها في قوله تعالى في الآية ٩٦ من سورة يوسف « فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه فارتد بصيرا » والجواب : أن مواضع زيادة (أن) محدودة مدونة ليس هذا الموضع منها .

على ضوء ما تقدم من البيان يصبح كذا

ابتدع هذا الأسلوب في عصرنا . ورأيت بعض حذاق الكتاب يقولون : في ضوء ما تقدم ... فتراهم آثروا التعدية بالأداة (في) على (على) . وكنت أستحسن هذا بأن الشأن في الضوء أن يعملوا ولا يعمل ، فلا يحمل فيه حرف الاستعلاء . وقد شد من هذا

ووكده ماجاء في ذيل الامالى ٩٩ : « دخل رجل على عمر بن فرج ، فتنصل إليه من ذنب له ، فرضى عنه ، فلما خرج قال : يا غلام خذ الشمعة بين يديه ، فقال : دعنى أمش في ضوء رضاك ، فاستحسن ذلك منه وأمر له بصلة حسنة . »

وبما جاء فيه هذا الاستعمال قوله تعالى : يكاد البرق يخطف أبصارهم ، كلما أضاء لهم مشوا فيه . فقوله : مشوا فيه أى في البرق ، ويقول أبو حيان في البحر المحيط : « أى مشوا في نوره ومطرح لمعانه . » فترى التعدية بنى لا يعلى .

الأطيان الزراعية

الطين : التراب المختلط بالماء . هذا معناه في اللغة . واشتهر الطين في الأرض المزروعة ، لأنها تربة يمتزج بها الماء . فيقال : يملك فلان من الطين كذا فدانا . وهذا الاستعمال مولد لم يعرض له . فيما أعلم . مؤلفو المعاجم . وقد وجدت في طبقات الشافعية (٤ / ٢١٩) للتاج السبكي المتوفى سنة ٧٧٩ هـ في الكلام على زيد بن عبد الله البقاعي « وكانت معيشته من أطيان له باليمن ، فأنجز وحصل مالا كثيرا بالمقارضة . »

كابول = كابل

كابل قصة أفغانستان . وتردد ذكرها هذه الايام في صحف الاخبار . وجرى السكتاب على رسمها (كابول) فيقرؤها القارىء بمطل الضمة ومدعا كما في محمود ومسمود . وجرى العرب على كتابتها (كابل) والنطق بالضمة مختلصة غير مطولة . وقد أنشد ياقوت في معجم البلدان لفرهون بن عبد الرحمن النجفي :

وددت مخافة الحجاج أنى بكابل فى است شيطان رجيم

وأورد للأعشى وعنى بكابل أهلها :

ولقد شربت الخمر تر كض حولنا ترك وكابل
كدم الذبيح غريبة عما يعنى أهل بابل

وقد أُثني كتاب العصر أنهم ينقلون اللفظ عن الكتابة الغرية ، والحركة عندهم ترسم بالحرف ، كما هو معروف ^(١) .

فقط أرجو منك كذا

الوارد في الاستعمال أن تأتي ، فقط ، في أعقاب الكلام ، فنقول : أرجو منك كذا فقط . ويقول الحريري في المقامة الثالثة والعشرين (الشعرية) :

من ذا الذي ما ساء قط ومن له الحسنى فقط

والكلمة مركبة من الفاء وقط ، ويقول السعد في المطول : د قط اسم فعل بمعنى اتته . وبصدر كثير أ بالفاء تزيينا للفظ ، كأنه جزاء شرط محذوف أي إذا كان كذلك فاته عن الآخر . وإذا كان الأمر في هذه الفاء أنها تشبه فاء جواب الشرط فإنه لا يصح أن تكون في صدر الكلام كما لا يتصدر الجواب المقرون بالفاء ، وهي أيضاً تشبه في صورتها فاء العطف ، وهي لا بد أن يتقدمها المعطوف عليه ، وعلى هذا يبين خطأ المثال المسطور وهو مما شاع في هذه الأيام .

وقد نزع بعض الباحثين في جواز التقديم إلى منزع غير مديد . فقد زعم أن (فقط) أضحت أداة للحصر كإثما ، فيجوز تقديمها من هذه المشابهة ، وزعم مرة أخرى أنها تشبه خلا الاستثنائية ، وقد تقدمت في قول الشاعر :

خلا الله لا أرجو سواك وإنما أعد عيالي شعبة من عيالك
والامر وراء ما زعم ، فإن وجود الفاء يوجب سبق كلام عليها ؟

محمد علي النجار

(١) المجلة - ومن عواقب قلمهم بضاعتهم كلها عن الغرب كتابتهم اسم مدينة (دهل) برسم (دهل) ، وهي على السنة أهلها بلام مشددة تجاوزوا هاء تكاد تكون مختلفة لا يترس السامع إن كانت قبل اللام أو بعدها ، فكان العلماء المسلمون من أهلها يكتبونها برسم (دهل) والإنجليز يرمونها (دهل) كما اختلفنا معهم في رسم (الاسكندرية) فهم يرمونها (الكسندريا) ويقدر ما يكون غريباً تسمية مسلمي الهند الاسكندرية باسمها الإنجليزى فنن الفريب يقدر ذلك تسمية كتابنا مدينة (دهل) باسمها الإنجليزى . ترى أليس هذا من بقايا الاستعمار الثقافي ؟ !

الاجتهاد والتقليد



يشير البحث حول الاجتهاد والتقليد الفينة بعد الفينة فريق من الناس ظافين أن الاجتهاد والتقليد ليس لهما حدود ولا سور حصين يمنع تسلق كل من لم تتوافر فيه هذه الشروط . وقد يخيل أحيانا لبعض الناس أن معالم الاجتهاد قد زالت ، وأن طريقه قد انطمست ، فيخترع لنفسه طريقا يرسمها ، ويحددها بالاجتهاد ، ويبني أحكامه عليها ، ومثل هذا - ولا شك - قد ساد عن الجادة ، وانحرف عن المحجة ، وتاه في بيداء الوهم والخيال . فهو طبيب يعالج المرضى بلا علم ولا تجربة ، لم تنهأ له الوسائل لمهمته ، ومثل هذا كالتبث الخبيث لا ينبت إلا في الأرض الخبيثة ، فأولى للمجتمع الصالح والبيئات العلمية الحسنة أن تتخلص منه حتى تنقى هدواه ، وتحفظ الناس من شروره وبلواه ، فهو ضرر لا نفع فيه ، وشر لا خير فيه ، وداء عضال لا دواء له ، وعبء ثقیل لا يستطيع حمله .

وقد آثرت لهذه المناسبة كشف طريق الاجتهاد ، وطريق التقليد ، وتبيين محل الاجتهاد ، ومتى يكون التقليد ومتى يصح ، وتفصيل شروط الاجتهاد والتقليد ، ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة من أمرهم ، ويسمرون على طريق سوى حتى لا تلعب بمقولم الأهواء ولا تهزم أعاصير الادعاء .

ولما كان تفاوت الناس في فهمهم وإدراكهم للأمر حالة طبيعية لا اختلاف فيها ولا امتراء ، لزم من ذلك تفاوتهم في إدراك الأحكام ، والوقوف على مصادرها الشرعية ، ففهم من يصل إلى الحكم بعد بحث في النصوص ومدلولاتها والألفاظ ومعانيها ، وهؤلاء يسمون المجتهدين ، ومنهم من لا يستطيع النظر في النصوص ، ولا الوصول إلى إدراك الأحكام ، وهؤلاء يسمون المقلدين . والاجتهاد في اللغة مأخوذ من الجهد - بضم الجيم - وهو المشقة والطاقة ، وعند الأصوليين استقفاة الوسع في طلب الظن بحكم من الأحكام الشرعية على وجه يدرك المجتهد من نفسه العجز عن المزيد عليه ، فالمجتهد هو الفقيه المستفرغ لوسعه لتحصيل ظن بحكم شرعى .

وليس خافيا على كل من مارس فنا من الفنون ، أو علما من العلوم ، أو حرفة من الحرف ، أن وصف الممارس لهذه الأشياء بصفة منها لا يصل إليه إلا بعد طول معاناة

ومزاولة ، ورياضة طويلة لهذا الفن أو العلم ، ولا بد أن تحصل لصاحب الفن تجارب عديدة ، وتعرض له مشاكل كثيرة يحاول بنفسه وضع الحلول لها ، ويلم بكيفية معالجتها ، وهذا بعينه ما اشترطه الأصوليون في المجتهد إذ قالوا : « لا بد للمجتهد من حصول ملكة يقتدر بها على استخراج الأحكام من مأخذها » .

ومن هذه الجملة القصيرة في مباحها ، الفزيرة في معناها الذي يوحي به الواقع والحس والمشاهدة ، يبين أنه ليس من الحكمة ولا من العقل أن يذهب مريض يلتمس العلاج عند من لا يعرف الطب ولم تكن عنده ملكة به ، بل ليس من الحصافة أن يذهب من يبنى نوعاً خاصاً من التجارة إلى من لا يحفظها ، ولم تكن هذه التجارة الخاصة ملكة له ، وهذه قضية قد فرغ منها عند أولى الأحلام والنهى ، وعند من يعرفون الأمور على وجوهها من أهل العلم والعرفان ، وضابط هذا كله ما أرشدنا إليه القرآن الكريم بقوله تعالى : « فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون » .

وبعد هذا نعود إلى الميدان الفسيح الذي يقارن فيه المجتهدون ، وتتحصر فيه دائرة أبحاثهم وجولاتهم ، وذلك المجال هو الآن وبعد عصر النبوة : الكتاب المكرم ، والسنة الصحيحة ، والإجماع ، والقياس . ففى محل البحث للمقول المستنبذة التي توفر لأهلها شرائط الاجتهاد ، وقد سلك هذا الطريق أقوام تمرست عقولهم ، وتدربت أفئدتهم على أساليب اللغة العربية ، وفهم أوضاعها ، ودلالات ألفاظها الصريحة والظاهرة ، والخفية ونحوها ، وألوا بالسنة الصحيحة المسماة يؤهلهم لدرجة الاجتهاد ، وأساطروا بمواقع الإجماع إحاطة تفهمهم من البحث والاجتهاد في الأحكام التي أجمع عليها ، ونضجت قرائنهم فزوجا يسمو بهم إلى إدراك الحكم في تشريع الأحكام المنصوص عليها ، وإدراك الارتباط والجامع بين هذه الأحكام وغيرها من الحوادث التي لم ترد نصوص فيها ، ثم تفهم ما نص عليه في ما لم ينص عليه ونقله إليه .

وبذلك المنهاج الواضح ، والدستور المحكم ، والضابط الشامل ، يظل معين استنباط الأحكام متدفقاً متفجراً لا ينضب ، ولا يجف ماء حياته ، ولا تفتى عناصر وجوده ، ولا يغلق باب أمام من طهره ، ولا يحرم من استعطاءه . وقد تعرضت الكتب الأصولية لبسط شروط المجتهد ، وتحديد كل شرط منها ، حتى لا يتسابق في ميدانه من يكبو جواد عقله ، ويخبو أوار فكره ، وتبذل قريحته . وأول هذه الشروط وأحراها بالتدبر والإمعان ،

معرفة قدر صالح من اللغة يمكن المجتهد من فهم لغات العرب ، والتبيز بين الالفاظ الوضعية ، والالفاظ الاستعارية ، والنص ، والظاهر ، والعام ، والخاص ، والمطلق ، والمقيد ، والمجمل ، والمفصل ، ولغوى الخطاب ، ومفهوم الكلام ، وما يدل على مفهومه بالمطابقة ، وما يدل بالنضمن ، وما يدل بالاستنباع ، والذي دعا الأصوليين إلى تحميل هذا الشرط كل هذه القيود ، وإحاطته بهذه السلسلة صعبة الحلقات إنما هو أخذ العدة ، واستيفاء الوسائل التي تشبه الآلة لكل صنعة من الصنائع ، وكل حرفة من الحرف ، أو مهنة من المهن ، وقد قيل : من لم يحكم الآلة والاداة ، لم يصل إلى تمام الصنعة ، ، وبذهب الغزالي في مستصفاه إلى أن عدد آيات الاحكام التي يلزم المجتهد معرفتها خمسمائة آية ، ولم يشترط حفظها عن ظهر قلب بل يكفي أن يكون المجتهد عالماً بمواضعها بحيث يستطيع أن يحصل على الآية التي يحتاج إليها في وقت الحاجة ، وهذا الشرط يبدو هيناً سهلاً ، وعسيراً صعباً ، في وقت واحد . فهو يبدو يسيراً سهلاً لمن لم يحط خبراً بلغة العرب ، ولم ير بحارها الزاخرة ، وأواجهها المتلاطمة التي لا يستطيع أن يسير فوق لجتها إلا كل ربان ماهر خبير بمسالك البحار ، فنل هذا الدخيل على لغة العرب مأفون العقل يخبط خبط العشواء لا يدري مواضع أقدامه ، ولا منالقي أخطائه . ويبدو هذا الشرط عسيراً صعباً ، وفرساً شמושاً لا يستطيع اعتلاؤه إلا كل فارس اشتدت شكيمة ، وقويت عزيمته ، وأحاط خبراً بلغة العرب ، وتمرس بأساليبها ، فسلم له قيادها ، وجلس على أريكتها ، وأخذ بناصيتها ، يفهم نصريف القول ، وتنوع الأساليب ، ويميز بين الصريح منها والكتابة ، ويلم بجيد التعابير ، ورفيع الأساليب ، ومثل هذا يعرف أين يضع قدمه ، وأين يسير ، وكيف يفهم ، وكيف يعبر ، وكيف يجيد الخطاب ويتصرف في القول ، وقد أطلقنا بعض الإطالة في هذا الشرط لنضع حداً فاصلاً ، وأعلاماً واضحة ، بين رأيين اشتجرت بينهما الخصومة ، واشتد الجدل ، وحى الوطيس ، حتى أدى النزاع بينهما إلى الحيرة والاضطراب ، وبليلة الأفكار في أسر الاجتهاد ، وفتح بابه أو غلقه ، ووجود مجتهد في كل عصر أو عدم وجوده ، وبالتالي أدى إلى أن الحوادث الطارئة والنوازل المستجدة ، هل تستطيع الشريعة الإسلامية أن تحكم فيها بما يؤدي إليه اجتهاد المجتهد على فرض وجوده في كل عصر وزمان ، أم تقف الشريعة مكتوفة الأيدي ، عاجزة عن أن تحكم في هذه الحوادث لعدم وجود مجتهد يستطيع أن يحكم فيها بما يؤدي إليه اجتهاده .

وثاني الشروط معرفة تفسير القرآن خصوصا ما يتعلق منه بالأحكام ، وما ورد من الآثار في معاني الآيات وما روى عن الصحابة المعبرين من أهل التفسير ، وكيف سلكوا منهاجها ، وأى معنى فهموا من مدارجها . ولو جهل تفسير سائر الآيات التي تتعلق بالمواظع والقصص ، قيل لم يضره ذلك في الاجتهاد ، فإن من الصحابة من كان لا يدري تلك المواظع ولم يتعلم بعد جميع القرآن ، وقد كان يمد من أهل الاجتهاد .

ثالثها : — معرفة الأحاديث ، والفرق بين الأحكام ، فمعرفة الأخبار بمنوتها وأسانيدها ، والإحاطة بأحوال النقلة والرواة ، عدولها وثقاتها ، ومطمونها ومردودها ، والإحاطة بالوقائع الخاصة فيها وما هو عام ورد في حادثة خاصة ، وما هو خاص بهم في الكل حكمه ، ثم الفرق بين الواجب ، والندب ، والإباحة ، والحظر ، والكراهة ، حتى لا يشذ عن وجه من هذه الوجوه ، ولا يختلط عليه موضوع بموضوع ، كل ذلك لازم للجهتد ليكون محيطا بالسنة على وجه يمكنه من الاجتهاد . واكتفى الغزالي من السنة بمعرفة الأحاديث التي تتعلق بالأحكام ، ولم يشترط حفظها بل تكفى استطاعة الرجوع إليها عند الحاجة ، وقيل يكفيه من السنة خمسمائة حديث ، وضعف هذا القول بأن الأحاديث التي تؤخذ منها الأحكام الشرعية ألوف مؤلفة ، وقال ابن العربي في المحصول هي ثلاثة آلاف ، وقال أحمد بن حنبل : الأصول التي يدور عليها العلم عن النبي ﷺ ينبغي أن تكون ألفاً ومائتين . وقال الغزالي وجاعة من الأصوليين : يكفيه مثل سنن أبي داود ومعرفة السنن للبيهقي مما يجمع أحاديث الأحكام . ونازعه النووي قائلا : « لا يصح التمثيل بسنن أبي داود فإنها لم تستوعب ، وكفى في البخاري ومسلم من حديث حكى ليس فيها ١١ كما نازعه ابن دقيق العيد قائلا : « إن كلام أهل العلم في هذا الباب من قبيل الإفراط أو التفريط ، والحق الذي لا شك فيه ولا شبهة أن المجتهد لا بد أن يكون عالما بما اشتملت عليه مجاميع السنة التي صنفها أهل الفن كالامهات الست ، وما يلحق بها ، والكتب التي التزم مصنفوها الصحة . ولا نشترط في هذا أن تكون محفوظة له ، مستحضرة في ذهنه ، بل يكون ممن يتمكن من استخراجها من مواضعها بالبحث عند الحاجة إلى ذلك لتمييز الصحيح منها ، والحسن ، والضعيف . وكذا يتمكن بالبحث في كتب الجرح والتعديل من معرفة حال الرجال ، وما يوجب الجرح ، وما لا يوجب من الأسباب ، وما هو مقبول منها ، وما هو مردود ، وما هو قاذح من العلل ، وما ليس بقاذح .

رابعاً : معرفة مواقع إجماع الصحابة والتابعين وتابع التابعين من السلف الصالحين حتى لا يقع اجتتهاده في مخالفة لإجماع ، وليس بلام أن يحفظ جميع مواقع الإجماع والخلاف بل كل مسألة يفتى فيها ينبغي أن يعلم أن فتواه ليست مخالفة للإجماع .

خامساً : أن يكون قادراً على الوصول إلى مواضع الاقيسة ، وكيفية النظر فيها ، من طلب أصل في أول الامر ، ثم طلب معنى يستنبط منه علة الحكم فيعلق الحكم عليه ، وبذلك يستطيع إلحاق الفرع بالأصل لوجود العلة المشتركة بينهما .

فهذه الشروط الخمسة لا بد من مراعاتها حتى يكون المجتهد مجتهداً واجب الاتباع ، ويجب على العامى تقليده ، فلو ثبتت الأحكام بغير هذا الطريق ، كانت أحكاماً مرسلة تابعة للهوى ، ليست صادرة من الشارع ، فإذا حصل المجتهد هذه المعارف ساغ له الاجتهاد ، ويكون الحكم الذى أدى إليه اجتتهاده سائغاً في الشرع ، ووجب على العامى تقليده والاخذ بفتواه .

ومن غريب أمر المثقفين فينا أنهم يضمنون حواجز منيعة ، وحدوداً مكيئة ، وأسواراً ثابتة ، لئلا علم ، ولكل فن من الفنون التى يقوم بالتخصص فيها طائفة معينة ، فتراهم يرمون بالجهل والادعاء كل من حاول الخوض والتكلم فى علم لم يكن من أهله ، ولا متخصصاً فيه ، على حين أن الخوض فى العلوم الشرعية أصبح مباحاً لمن ليس من أهله ، ولم يكن متخصصاً فيه ، بحجة أن الشريعة مباحة للجميع ، وليست قاصرة على من يسمون رجال الشرع ، ورجال الدين . وهذه مغالطة صريحة ، ومحااجة غريبة لم تسلك مسلك المعقول ، ولم تسر على طريق المنطق . فالشريعة مباحة لكل أحد ، وكل فن من الفنون مباح لكل أحد ، إذا ما توفرت له شروط الدخول والبحث فى هذا الفن أو العلم . فالطلب مباح للجميع ، والجندية مباحة للجميع ، فهل يجوز لدجال غير ملم بالطب أن يتعرض لعلاج المرضى ، أو يجوز لمن لم يتدرب على الفنون العسكرية أن يخرج إلى ميدان القتال ، والدفاع عن الاوطان ، وهل يقول عاقل بذلك ؟ أم يجب الحجر على الطبيب الدجال ، والجاهل بفنون الحرب ، من أن يمارس كل منهما ما يريد أن يمارسه ، وأن يعمل ما يريد عمله ؟ ؟

ولعل من فى قلوبهم حب الشهرة ، والظهور والتكلم والمكتابة والقول فى كل ميدان ، أن يلتزموا الحدود ، وأن يعملوا بقول الله تعالى : « ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مشغولاً » .

عبد الله المراغى

مهلا أيها الكتاب !!

لعمري لقد أبقت من كان نائما
وأسمعت من كانت له أذنان

يتبرع بعض الكتاب بأفراحات عاطفة يوفونها في جلبة ورهين ، وقد نجد من يتبين
ويضا من العقلاء ، فينبذها دبر أذنه ، ولكنها تصيب أرناسا من أناس يستمعون القول
فلا يفرقون بين صائبه وخطئه ، بل ربما تحمسوا إلى تأييد ما يقرهون ، دون
روية واتقاد .

فقد قرأت في مجلة الثورة الصادرة في ١٠ مارس سنة ١٩٥٥ ما يلي :

« أقرأ قصة سكتة بنت الحسين في كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ، وسوف
تؤمن معي بأن حوادثها العاطرة تصلح أن تكون « قبلنا ناجعا ، وحاول أن أكتب هذه
القصة للسينا ، مادام مخرجونا لا يجدون الوقت للبحث عن هذه الروائع ،
في بطون الكتب » .

أقول : قرأت هذا الاقتراح في حينه ، وتغاضيت عن التعليق عليه ليموت في مهده ،
دون أن يثير بعض اللفظ والتساؤل .

ولكن علمت أن بعض المؤلفين قد احتضن الفكرة ، وسعى إلى كتابة هذا الفيلم السينائي
الناجح !! فكان لابد من التصحيح والتوجيه .

وأول ما يجب أن يكون مفهوما لدى صاحب الاقتراح الحصيف ، أن هناك فرقا شاسعا
بين كتب الأدب وكتب التاريخ ، فكتاب الأغاني - وهو أحد أمهات كتب الأدب
في المكتبة العربية - يروي جميع ما يتصل بالشعراء من حق وباطل ، لأن جامعه يهتم بالآثر
الأدبي وحده ، ولا يمينه إن كان الشعر متحلا ، أو كانت القصة مختلقة ، بل إنه يعرف
الشعر المتحل ، ويرويه لآثره الفني ، ودلالته على التطور الأدبي ، وقد يروي أبو الفرج

قصة عن شاعر، تزوج الغول وحادث المنقاء، وحارب الشياطين، متبعاً ذلك بما تقول في موضوعه من شعر كثير. وصاحب الأغاني - كفسكر عاقل - يعلم بديهية هذه الأكاذيب، ولكنه يسجلها أدباً يتمتع الخيال، وبذمه مع الفن في أجوازه المرامية، وعلى القارئ أن يضع الموازين، فيفرق بين الوهم والواقع، والحقيقة والخيال.

ولو أن شاعراً معاصراً نظم قصيدة في الاطباق الطائرة، وطار بأجنحة الخيال، فذكر أحاديثه مع سكان المريخ، ووصف ما شاهد فيه من مدن وأنهار وجبال، ثم قدم قصيدته للقراء، لاصبحت أدباً تتناقله كتب الفن وتسهب في تحليله وتسجيله، ولكن هذا الأثر الأدبي لا يكفي لإثبات سكان في المريخ مجرد نظمه في شعر يؤثر وبذاع.

على أن كتب التاريخ القديمة في المكتبة العربية لم تسلم من الأخبار الضعيفة التي يردح بها كتاب الأغاني، فوافو التاريخ - ولا سيما الذين يكون قارئ الخبر إلى سنده - يجمعون ما يروى عن الحادثة من أخبار صادقة وكاذبة، تاركين للقراء أن يقوموا بالموازنة العادلة بينها بأقدار روائها، وعليهم أن يتسلحوا بأدواتها الصحيحة من معرفة لتواريخ الرواة، وتنبع لنتائج الحوادث، وإدراك للبواعث المختلفة، فإذا تم ذلك للباحث المؤرخ استطاع أن يفرق بين الدخيل والأصيل فيأخذ هذا ويدع ذاك.

يقول الكاتب الكبير الأستاذ محب الدين الخطيب في مجلة الأزهر (صفر ١٣٧٢ هـ) من بحث له عن كتاب الطبري في التاريخ :

« إن مثل الطبري ومن في طبقته من العلماء الثقات المنتهين - في إيرادهم الأخبار الضعيفة - كمثل رجال النيابة الآن، إذا أرادوا أن يبحثوا قضية ما فإنهم يجمعون كل ما اتصل إليه أيديهم من الأدلة والشواهد المتصلة بها، مع علمهم بتفاهة بعضها أو ضعفه، اعتماداً منهم على أن كل شيء سيقدر بقدره ... إلا أنهم يردون كل خبر معزو إلى راويه، ليعرف القارئ قوة الخبر أو ضعفه من منزلة راويه العلمية، وبذلك يرون أنهم أدوا الأمانة .. »

فإذا كانت كتب التاريخ تحتاج إلى هذا العلاج الدائب الذي لا يمتد إلى غير المرة من النطس المتضلعين، فما ظنك بكتب الأدب القديمة وكثير مما تحتضنه مخلفات واضح التلفيق.

أعرف أن الكاتب العربي الأستاذ توفيق الفكيكي قد ألف كتاباً عن سكينه بنت الحسين

أدحض فيه روايات الأغاني بما يستند البرهان ويؤيده الدليل ، ولم أقرأ الكتاب بعد لعدم اهتدائي إليه ، ولكنني قرأت للأديب الناقد الأستاذ محمد عبد الغني حسن بمجلة الثقافة (عدد ٩٩ هـ) نقداً أدبياً عنه يقول فيه :

« إنه - المؤلف - لم يستند في الدفاع إلى العاطفة وحدها ، ولكنه جعل من القضية مسألة عليية يناقشها بالدليل ، ويقارنها بالحجة ، ويناقضها بتضارب الروايات ، حتى يحكم على القضية كلها بالانحياز .

ولقد اتبع المؤلف في كتابه طريقة المحامين في الدفاع عن المتهمين ، فإن اختلاف الروايات في التحقيق الجنائي ، قد يكون سبباً إلى سقوط الاستدلال في الاتهام ، وكذلك فعل صاحبنا الأستاذ الفكيكي في قضية السيدة سكتة ، فأثبت من اختلاف الروايات في الخبر الواحد ، دليلاً على فساد الخبر كله ، ويتبع ذلك الفساد ثبوت البراءة للنهمة البريئة ١١

ونحن - فوق ما تقدم - نجد إلى جوار ما ذكره صاحب الأغاني عن السيدة سكتة كتباً أخرى لها مكاتبتها العلمية ، تذكرها بالمعاف والتصون ، وتسامل مندهشين عن إثارة كتاب الأغاني وحده بالترجيح والوثوق ، فلا نجد سبباً يرتضيه المنطق البري ، وليت شعري إذا كانت روايات أبي الفرج عن السيدة مضطربة متناقضة فكيف ترجح - عند هؤلاء - روايات غيره ، وهي بمنأى شامع عن التناقض السافر ١٢ أليكون للنزوات الذاتية مساس شائن بهذا الترجيح المريب ؟ أم نسكت فلا نقول ١١

لقد اعترف الدكتور وكي مبارك بأن كتب التصوف ترتفع بالسيدة إلى منزلة طاهرة سامية ، ومع هذا الاعتراف الدال على اطلاعه الشامل فقد أثر روايات الأغاني ، وتعمد أن يقول - عن السيدة الطاهرة في كتابه حب ابن أبي ربيعة ص (١٨١) : « إنها كانت في عفافها نزقة طائشة تؤثر الخفة على الوقار ، وكان على الدكتور - وقد أثر روايات أبي الفرج وحدها - أن يدحض ما قرأه في كتب التصوف ، ليستقيم له البحث الأدبي في ميزانه النقدي ، ولكنه لم يستطع ذلك في قليل أو كثير ، ومهما حاول سواء فلن يستطيع ١١

لقد كان على المقترح المنصف أن يذكر البيئة الشريفة التي ترعرعت فيها السيدة الطاهرة ، وأن يذكر عناصر التربية القويمة التي تعهدتها خير تعهد في نشأتها السعيدة ، ثم يتأمل هذا

التضارب الصارخ فيما اختلقه الرواة ، مستشفيا حوافزه وبواعثه ، وبذلك يكون قد خدم الحقيقة العلمية دون أن يتحيف سيدة طاهرة ، نشأت في بيت أذهب الله عنه الرجس ، وطهره أكمل تطهير .

كان على كل من غاض في إفاك السيدة سكينة أن يفعل ذلك ، ولكنه - لحاجة في نفس يعقوب - يتعامله ويذهب مع الذين لا ينسون أوروبا المجاعة فيما يهرفون به من الأباطيل ، فيزعمون أن ، صالون ، السيدة سكينة قد سبق صالونات فرنسا ، التي خرجت كثيراً من الأدياء والشعراء ، وأن السيدة سكينة تزعمت الأزياء في عصرها ، فعرفت بالطرة السكينة ، كما عرفت فرنسا بالطرة الباريسية ١١

أى كلام هذا ؟ ، وأى عاقل منصف يوازن بين المجتمع الحجازي الطاهر في صدر الإسلام ، ومجتمع فرنسا الداعر في هورد التدهور الخلق ، والانحلال الإباحي . أجل ! لقد ظهر بالحجاز لعهد سكينة بعض المترفين المتألفين على التهاون ، فصحبوا الشعراء ، ولزموا القصف والفناء ، كما يظهر أمثال هؤلاء في كل زمان ومكان ، وليس في ظهور هذه العصابة الطائشة ما يحتم أن يكون المجتمع الحجازي صورة مشابهة لما يجري في فرنسا الإباحية من تدهور وانحلال ، ولعل هؤلاء الذين يعتقدون هذه المقارنات المفرضة بين المجتمعين ، يظنون أنهم - لشغفهم بفرنسا - يرتفعون بمكة والمدينة إذ يقرنان مع باريس ١١ وتلك كارثة ، يند فيها العزاء .

إتنا لفي حاجة ماسة إلى أن نفهم ديننا الذي نهمل كل شيء عن صاحبه ومجتمعه الأول في صدر الإسلام ، فنصلح عقولنا التي غلفها الضلال ، وسترها الظلام ، ثم نتأمل تاريخنا الفسيع المنشعب بعين النصفة والتحقيق ، وبعد ذلك كله يجوز لنا أن نمسك القلم معجبين ، فنسطر ما يمن لنا من الاقتراحات ١١

ولكن متى يكون ذاك ؟

محمد رجب البيومي
المدرس بأبي تيج الثانوية

فضيلة الاخلاص في العمل

والسعي على الرزق

عن عامر بن سعد قال : كان سعد بن أبي وقاص في إبله لجأه ابنه عمر ، فلما رآه سعد قال : أهوذا باقه من شر هذا الراكب . فنزل فقال له : أثولت في إبلك وغنمك وتركت الناس يتنازعون الملك بينهم ؟ ١٤ فضرب سعد في صدره . فقال : اسكت ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن الله يحب العبد التقي الغني الحق » ، رواه مسلم وأحمد . واللفظ لمسلم .

تقديم :

الغنى بمعنى الثراء ليس مناطا للحمد في ذاته في الإسلام ، ولهذا قال النووي : المراد بالغنى غنى النفس . هذا هو الغنى المحبوب لقوله صلى الله عليه وسلم : « ولكن الغنى غنى النفس » ، وقال : وأشار القاضى (عياض) إلى أن المراد بالغنى المال ، ولم يتعقبه .

والناظر في سياق هذا الحديث واستشهاد سعد به يرى أن المراد بالغنى هو مثل هذا الذى يشتغل سعد به من الأخذ بالأسباب والسعى على الرزق ، وهذا أيضا هو موضع إنكار عمر على أبيه وتعجبه منه ، ولعله هو مراد القاضى على نوع من التوسع والمجاز ، فإنه لا ينبغي أن يكون مراده المال في ذاته أو على إطلاقه لما علمت ، ولقول الأول :

لمعرك ليس المال من حيلة الغنى ولكن أحاط (١) قسمت وجدود

ويمكن أن يكون مراده خصوص المال الصالح اللازمه من الشكر ، وحسن التصرف . وفسر النووي « الحقنى » ، بالحامل المنقطع للعبادة ، والاشتغال بأمور نفسه ؛ والخول ضد التباهة لا ما اشتهر من معناه ، وهو الكسل ؛ ويأنه على هذا الوجه يجعله كناية عن الإخلاص في العمل ، والانقطاع له ، والحرب من الشهرة والمباهاة والفخر ؛ ومراده بالاشتغال بأمور نفسه ، الاشتغال بإصلاحها ، لا ما يتبادر من العبارة من مثل الأثرة والحرص .

(١) جمع حظ على غير قياس وهو النصيب من الخير ، والجدود مثلها قاله طه تقي .

المعنى :

الإسلام وسيلة وغاية . وجهاد ونية ، وعمل وإخلاص . أمر أهله بالسمي على الرزق كما أمرهم بالتقوى ، فامشوا في مناكبها واكلوا من رزقه وإليه النشور ، وقدم مرتبة العاملين السكادحين على الرهبان المتبتلين . ففي حديث الذين أئثروا على أخيم بصيام النهار ، وقيام الليل ، حين سألم النبي ﷺ عن يعوله ؟ فقالوا : كلنا — أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم : « كلكم خير منه ، وذلك أن القوي في هذا الدين خير من الضعيف ، والمستعين بالله أفضل من العاجز ، والحريص على ما ينفعه أشرف من المفرط ، واليد العليا خير من اليد السفلى ، والمنوكل الآخذ بالأسباب على أدب مع الله سبحانه وتعالى ليس للتواكلين التاركين للأسباب ، والآكل من كسب يده على مرتبة من الحلال الطيب هي مرتبة الأنبياء والمرسلين ؛ والعاملون المخلصون هم القائمون بحق استخلاف الله إياهم في الأرض ، وهم الصالحون لوراثتها ، بما أوتوا من همه وقوة ، وعزيمة وفتوة ، وصدق وإخلاص .

وهكذا كان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه . فعن عائشة وقد سئلت عن عمل رسول الله ﷺ في بيته ؟ : كان يكون في مهنة أهله . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج إلى السوق ويشتري حاجته ويحملها بنفسه ، وكان أبو بكر رضى الله عنه يحمل الثياب على كتفه فيبيع ويشتري حتى إذا ما ولى الخلافة خوطب في ترك التكسب لأجل شغله بالخلافة ، فقال : فمن أين أطعم عيالي ؟ ففرضوا له ما يكفيه ، وكان من عادة عمر رضى الله عنه أن يسأل من يقدم عليه عن حرفته ، فإن لم يجد له حرفة سقط من عينه ، وقد كان هو يهنا إبل الصدقة بيده ^(١) وقال ابن الجوزي : وكان سادة الصحابة والتابعين يتجرون ويجمعون الأموال .

وقد كان ذلك من أهون الأمور على نشر الدعوة ومعوثة الداعي صلى الله عليه وسلم ، ففي الحديث : « ما فنعى مال كمال أبي بكر ، وتجهيز الفزاة : إلى ما فيه من إصلاح حال الرجل وحال أهله ثم سائر إخوانه من المسلمين ، وفي الحديث « نعم المال الصالح للرجل الصالح ، وقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم لأنس بكثرة المال والولد ؛ وكان سعيد بن المسيب

(١) أى يطيها بالهنا . وهو القطران علاجاً للجرب .

رضى الله عنه يقول : لاخير فيمن لا يطلب المال : يقضى به دينه ، ويصون به عرضه ، ويصل به رحمه . فإن مات تركه ميراثا لمن بعده .

وإذا علمت هذه المقاصد الشريفة التي من أجلها شرع الإسلام العمل والكسب ، علمت أن الاشتغال بجمع المال ليس على ما يريد منه السفهاء من الفخر والمباهاة والعلو في الأرض والفساد فيها ، وعلمت وجه الجمع بين الغنى الذي في الحديث والهدى في الإمارة على ما أبداه سعد ، والإمامة المذمومة ليست تقديم الأمانة لأرشدها ليلي أمرها ، بل تقديم المراء نفسه سائلا أو متعرضا لها ، كهذا الذي أراده عمر بن سعد من أبيه ، فإن الأولى معانة ميسرة ، والثانية عذوبة معسرة ، فمن عبد الرحمن بن سمرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : يا عبد الرحمن ، لا تسأل الإمارة ، فإني إن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها ، وإن أعطيتها عن غير مسألة أعنت عليها ؛ على أن من أصول هذا الدين أن لا يعطاهما من سألها أو حرص عليها ، فقد سأل رجلان النبي ﷺ أن يؤمرهما على بعض ما ولاء الله عز وجل فقال : « إنا والله لا نؤلى على هذا العمل أحدا سأل ، ولا أحدا حرص عليه » .

وويل للضعفاء منها . في الحديث : « إنها نعمت المرصعة ، وبئست الفاطمة » ، وإنها أمانة ، وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا على من أخذها بحقها ، وأدى الذي عليه فيها ، وقد قال النبي ﷺ لأبي ذر : « إني أراك ضعيفا ، وإني أحب لك ما أحب لنفسي ؛ لا تأمرن على اثنين ، ولا تولين مال يتيم » .

ولشدة الابتلاء بالإمارة والامتحان بها أعظم الله ثوبة من اختيروا لها بمن جاهدوا أهواءهم فعدلوا وأفسطوا ، ونصروا الله ورسوله ولكتاباه وللمؤمنين ؛ وقد تظاهرت بذلك الأحاديث الصحيحة ، فإن من السبعة الذين يظلمهم الله بظلم يوم لا ظل إلا ظله الإمام العادل ، وقال ﷺ : « إن المقسطين على منابر من نور عن يمين الرحمن عز وجل وكلنا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم وأهلم وما ولوا » .

ولقد كان سعد جديراً بهذه المنزلة من الورع والخشية ، والاحتياط لنفسه ، وحسبه من الفضل أنه أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وأنه أول من رمى بسهم في الإسلام ، وعن علي رضى الله عنه : ما جمع رسول الله ﷺ أبويه لأحد [يعني في التفدية] غير سعد ابن مالك فإنه جعل يقول له يوم أحد : أرم فذاك أبي وأمي ، ودعا له النبي ﷺ فقال : اللهم استجب دعوته ، وسدد رصيته ، وقال : هذا خالي فليرني امرؤ خاله .

أما عمر ابنه فقد كان أهلاً لأن يستعيز منه أبوه ، ولقد صدقت فيه فراسته ، فقد أدى به الطمع في الإمارة أن ولها لعبيد الله بن زياد على الرى ومندان ، فكان أن ابتلى بالدخول في أكبر فتنة ، إذ أمره حين قدم الحسين رضى الله عنه إلى العراق أن يخرج إليه فيقاتله ، وهدده إن لم يطمعه بمزله وهدم داره فأطاعه ، وكان على رأس الجيش الذى قتل الحسين رضى الله عنه . ثم انتقم الله منه إذ قتله المختار الثقفى وقتل ابنه حفصاً حين غلب على الكوفة في عنفوان الدولة الأموية . وكان اعتزال سعد الناس بعد مقتل عثمان رضى الله عنه .

أما بعد : فإن المسلمين ما تأخروا ولا تخلفوا إلا حين حرصوا على الإمارة ، فجعلوها الغاية من طلب العلوم ، ومزاولة الأعمال ، والميزان الذى يزنون به قيم الناس وأقدار الرجال ؛ تخفت موازينهم ، وذهبت أقدارهم ، وحبطت أعمالهم ، وحضل سعيهم ، وافترس سوادهم ، وأفقرت بلادهم ، وتقدمت عليهم أمم قبست قليلاً من نورهم ، وتعلقت بأثارة من مبادئ دينهم ، فأوتيت مفاتيح خزائن الأرض لأنها صارت أصلاح لعمارتها ، وأقدر على الانتفاع بها ، وأصح علماً بما أودع الله فيها ؛ وكفى بحالنا وحالم : وقد تأخرنا من تقديم ، وتقدموا من تأخير ، دليلاً على اتساع مسافة الخلف بيننا وبين ديننا ، وتنكبنا عن صراط ربنا وتنكركنا لسنة نبينا . ألا وإنه لا سبيل لنا إلى الخلاص مما نحن فيه حتى نقدم العلم المشعر ، والعمل المجدى ، على الفخر الباطل ، والجاه الكاذب ، والغرور المفتون ، وأن يعرف طلاب الرئاسة والوعامة ، والمنصب والجاه ، أنها أمانات ثقيل ، وأنها على غير أهلها ندامة ووبال ، وأن الشرف ليس فى طلبها بل فى الصلاحية لها مع الزهد فيها ، والإعراض عنها .

مثل المجد الذى تطلبه مثل الظل الذى يمتشى معك
أنت لا تدركه متبهاً فإذا وليت عنه تبعك

محمود فرج العقدة

المدرس بكلية اللغة العربية



حق الخطأ أم حق الثأر

١ - في سنة ١٩٢٦ أخرج الأستاذ الفاضل الدكتور طه حسين كتابه « في الشعر الجاهلي ، مستنداً في تقرير معلوماته إلى آراء المستشرقين والمبشرين ، أو آراء المبشرين العاملين على هدم الكيان الإسلامي وتحليل الخصائص القومية في الأمم الإسلامية بالحيلة الظاهرة والقبيلة الباطنة .

وكتاب كهذا ، يولد من تفكير المبشرين ونظرياتهم ، لا بد أن يكون منساقاً وراء الغرض الأصلي من عمل المبشرين وهو الهجوم على الإسلام .

وبرغم أن مراتب الهجوم على الإسلام تفاوتت ، إلا أن الكتاب الذي وضعه الدكتور الفاضل كان في الطرف الأقصى والأعنف من مراتب الهجوم ، فاختار - لأمراً - ميدانه نصوص القرآن الكريم ، والتهكم الجريء على نسب النبي ﷺ ، وكان في أسلوبه في هذه النواحي أقل ، ظرفاً ، أي تهديداً من المبشر المسمى « بهاشم العربي » ، الذي تطابق أقواله مع أقوال الدكتور طه حسين في بعض المواضع - كما ثبت ذلك في قرار النيابة التي تولت التحقيق معه في ذلك الوقت .

قال الدكتور الفاضل في كتابه المذكور ص ٢٦ : « للتوراة أن تحدثنا عن إبراهيم وإسماعيل ، والقرآن أن يحدثنا عنهما أيضاً ، ولكن ورود هذين الاسمين في التوراة والقرآن لا يكفي لإثبات وجودهما التاريخي ، فضلاً عن إثبات هذه القصة التي تحدثنا بهجرة إسماعيل ابن إبراهيم إلى مكة ونشأة العرب المستعربة فيها ، ونحن مضطرون إلى أن نرى في هذه القصة نوعاً من (الحيلة) في إثبات الصلة بين اليهود والعرب من جهة وبين الإسلام واليهودية والقرآن والتوراة من جهة أخرى . »

وقال ثانياً في ص ٢٧ : « فلأمر ما اقتنع الناس بأن النبي يجب أن يكون صفوة بني هاشم ، وأن يكون بنو هاشم صفوة بني عبد مناف ، وأن يكون بنو عبد مناف صفوة بني قصي ، وأن تكون قصي صفوة قريش ، وقريش صفوة مضر ، ومضر صفوة عدنان ، وعدنان صفوة العرب ، والعرب صفوة الإنسائية كلها . »

وبهذا التهم المسموم الذى يشتعل فى خلاله حقد أجنبي يتحدث الدكتور - الأستاذ - عن نبي الإسلام .

وكان لا بد أن يقدم الدكتور المحقق ، بسبب هذا الهجوم غير المبرر ، الذى استعمل فيه أدوات للبشرين ، إلى النيابة العامة ، وقد ناقشته النيابة فى أقواله فكانت الفضيحة التى يندى لها جبين العلم والحقيقة .

وقد سجلت عليه النيابة هذه الفضيحة التى يجب ألا ينساها الناس فى العبارات الآتية :

قال النائب العام السيد محمد نور فى تقرير النيابة للأورخ فى ١٩ أكتوبر سنة ١٩٣٦ المطبوع فى مطبعة « الشباب » ، ص ٧ :

« ... ولكن الأستاذ المؤلف وضع السؤال وحاول الإجابة عليه ونطرق فى بحثه إلى الكلام على مسائل فى غاية الخطورة صدم بها الأمة الإسلامية فى أعز ما لديها من الشعور ، ولوث نفسه بما تناوله من البحث فى هذا السيل بغير فائدة ، ولم يوفق إلى الإجابة ، بل قد خرج من البحث بغير جواب » .

وقال فى موضع آخر ص ٩ :

« ... ولا يضيرها أن الأستاذ المؤلف ينكرها بغير دليل ، لأن طريقة الإنكار والتشكك بغير دليل طريقة سهلة جداً فى تناول كل إنسان عالماً كان أو جاهلاً .

على أننا نلاحظ أيضاً على المؤلف أنه لم يكن دقيقاً فى بحثه ، وهو ذلك الرجل الذى يتشدد كل التشدد فى التمسك بطرق البحث الحديثة » .

وأعظم من ذلك فضيحة ما جاء فى ص ١٠ - وقد ادعى الدكتور الباحث فى بعض المواضع أنه يستند إلى النقوش والنصوص ، فلما سئل عن إيراد شيء من النصوص المؤيدة لدعواه قال : « فأما إيراد النصوص والأمثلة فيحتاج إلى ذاكرة لم يهبها الله لى ، ولا بد من الرجوع إلى الكتب المدونة .

فسأله النيابة مرة أخرى عما إذا كان يستطيع أن يقدم المراجع التى أشار إليها ، فقال بالحرف الواحد : « أنا لا أقدم شيئاً » .

ولماذا؟ الآن مرجعه الوحيد هو مقالة ذلك المبشر السالف الذكر ، نخشى أن يرداد سره اقتضاحاً ١٩

ومن ثم فقد دمقته النياية — زيادة على ما تقدم — بالمعز عن الاستدلال ، وأن كلامه في مسألة بعينها ، خيال في خيال ، ، وبأن استدلاله في هذه المسألة لا يخرج عن العبارات الآتية : « فليس يبعد أن يكون ، ، فما الذى يمنع ، ، نحن نعتقد ، .
أى من الكلمات التى لا يقدم على استعمالها فى البحث والاستدلال صفار المتعلمين .
وبلغ نقد النياية مداه حين وصفت الأستاذ المؤلف بأنه أخطأ فيما كتب ، وأخطأ فى تفسير ما كتب ١١ (ص ١٧) .

٢ — أردنا أن نقدم للقارىء هذه الصورة الواضحة من تاريخ الدكتور طه حسين العقلى والعلمى ، لا نريد التشنيع عليه وإزالة منزلته من نفوس بعض المغترين به ، فليس ذلك من شأننا ، وقد يكون لهذا الأديب الواسع الخيال مييزات أدبية لا تنكر ، ولكننا أردنا فقط أن نضع شخصيته تحت ضوء التحليل النفسى ، فإذا علمت أن الذى سبب للدكتور الطموح الشغوف بالشهرة والمكافأة ، هذه الفضيحة القارعة ، فى أعز ما يملك إنسان يحيا على حساب القلم والفكر ، فإذا هو يصاب فى قيمة علمه وفكره ونزاهته فى الحكم ، ويتبين أنه ظل لغيره فيما طلع به على الناس من بحث وتجديد ، إذا علمت أن الذى أوقع به هذه الهزيمة إنما هم علماء الأزهر ، ثم لم تكن هذه أول هزيمة له منهم بل سبقتها هزيمة أخرى صدمت الطالب الحساس المزهى فى مطلع شبابه ، وتركت فى أحماق نفسه جرحاً ناغراً لا يبرأ أبداً - يتبين لك من هذه العوامل الفعالة الشديدة الإيغال أن الدكتور يعاني من ناحية الإسلام والأزهر « حقدة نفسية ، شديدة التسايط على عقله وسلوكه وقلبه فى كل ما يتصل بهذه النواحي ، فلا يملك من طغيان هذه المقدة أن يكون قادراً على النزاهة ، أو إرادة التصحح لا الأزهر ، ولا للأمة ، ولذلك يحى كل ما يكتبه عن الأزهر والإسلام طياشا متخبطا بعيداً عن السداد .

وكذلك جاء مقاله الذى يدافع به عن مدرس تاريخ التى بفتوى خاطئة فى موضوع الصوم ، وراح يهاجم مشيخة الأزهر هجومًا عنيفاً محوماً بغير علة منطقية أو سبب ظاهر ، حتى وبغير اهتمام بدرس الموضوع من أوائله ، وسماء « حق الخطأ ، فسميناه نحن « حق الثأر .

لأن الدكتور يرى أن كل محاكمة هي محاكمة ، وكل فضيحة علمية أو أدبية هي فضيحة بالذات
فيهب للثأر والانتقام ، كما قال الشاعر الحماسي :

فقلت له إن الشجا يبعث الشجا فدعنى فهذا كله قبر مالك

والآن - وقد ألقينا في يديك المعاذير لرفع الثقة بكلام الدكتور طه حسين ، وعدم
التحويل على آرائه في هذه الناحية التي تستيقظ في الاحتكاك بها هزائمه القديمة ، وتتحرك
جراحاته الساكنة ، فلنتقدم معك فوراً ، إلى نقض مقالة الدكتور نقضاً تفصيلياً :

٣ - يتلخص مقال الدكتور الكبير - بعد تجريده من الإضافات والتكرار
وما لافائدة منه - في خمسة عناصر :

(أ) زعمه أن صاحب الفتوى إذا كان غلطاً فلا مؤاخذه على الخطأ فوق أنه يجتهد ،
والجهد المخطئ له أجر واحد ، والمصيب له أجران ، واستشهد على ذلك بقوله تعالى « وليس
عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم » ، كما استند لمبدأ التيسير لا التعسير ،
ومبدأ رفع الحرج ، المنصوص كل منهما في القرآن .

(ب) زعمه أن مؤاخذه المخطئين في آرائهم مبدأ لم يكن يعرفه المسلمون ولم يكونوا
يأخذون به .

(ج) رجاؤه أن لو كان شيخ الأزهر قد أخذ صاحب الفتوى بالرفق واللين ، ونصحه
بالحكمة والموعظة الحسنة .

(د) اغتمازه لعلماء الأزهر بهذه المناسبة لطوعيتهم للملكية السابقة .

(هـ) استعداؤه الحكومة على الأزهر ، ودعوتها لإيقاف المحاكمة التي قررت بشأن
صاحب الفتوى ، حذراً من فتنة - كما زعم - ينطأ شررها ، لاسيما وهناك على حدود أرض
الوطن أحداث تجري .

هذا بالضبط - ومع القيام بعملية تصيد مرهقة وسط بحر لجي من الالفاظ المروصصة ،
والعبارات المكررة ، والشواهد غير المطابقة - هو ما يمكن استخلاصه من مقال الدكتور
العلامة . وإليك الجواب عنه ، عنصراً عنصراً .

٤ - فأما عن العنصر الأول : فالزعم بأن الخطأ على الإطلاق ليس فيه مؤاخذه ،

غير صحيح واقعاً وقانوناً ، فإن الناس في الخطأ رجلان : رجل يزاوُل عملاً مشروعاً له ، كالفقيه المختص ، والطبيب المؤهل ، يفلت الصواب من أحدهما في بعض أمره ، ويقوم الدليل المعتبر على نفي الإهمال والتقصير وسوء النية عن كليهما ، ترفع المواخذة عنهما قانوناً وشرعية ، ولسكنهما برغم ذلك يصيبان من عدم ثقة الجمهور بهما وإعراضه عن صناعتهما ما يعتبر - في سمعتهما وأسباب ارتزاقهما - من أشد العقوبات نكالا بهما .

ورجل مجام لا يعرف قدر نفسه ولا حدود اختصاصه ، فيقتحم على ما ليس له ، ويتكلف ما ليس من شغله ، كالدكتور طه حسين مثلاً ، لو تكلف أن يبدى رأياً في الطبوغرافيا أو الرياضة التطبيقية أو أصول الفقه ، فأخطأ في هذا الرأي ، فلا شك أنه يكون مواخذاً من فرعه إلى قدمه ، فلو ترتب على هذا الرأي ضرر مادي ، تكساره عسكرية ، أو ضلالة الطلاب في مزاولة مسترلياتهم فليس ينكر أحد أن مثل هذه الحالة - على فرض وجودها - تستوجب المواخذة المسادية قانوناً وشرعاً .

وأنواع الخطأ التي يؤاخذ فيها القانون والشرع كثيرة جداً : منها الخطأ في الصوم ، والخطأ في القتل ، والخطأ في صدام سيارة الدكتور طه حسين - لا قدر الله - من شخص يقود سيارته في غير الاتجاه الصحيح ؛ إلى أشياء كثيرة من هذا القبيل ، فليس الخطأ بإطلاق معفواً جملة من المواخذة كما يريد أن يوهننا الأدب الواسع الخيال .

وأما صاحب الفتوى الخاطئة ، فليس بمجتهد على كل حال ولا يثبت له حكم المجتهدين ، من أمثال أبي حنيفة ومالك ، ولا من دونهم في ذلك درجات ، فالاجتهاد - كما نقول - هو نهاية الكفاية الفقهية والتشريعية ، وهي رتبة لا يتسلق إليها إلا الشواخ العباقرة من أهل العلم والاستعداد والدرس ، وصاحب الفتوى لا يجاوز علمه في الفقه حظ طلاب الأقسام الثانوية في الأزهر ، من الوجهة الرسمية التي لا شك فيها ، فقد تخرج في كلية أصول الدين ، ووظیفها درس الفلسفة والعقائد وما إليها وليس لها صلة بدراسة الفقه والشرعية .

ومما يجب أن يعلمه القارئ جيداً هو أن الفلسفة الإسلامية والشرعية الإسلامية مادتان منفصلتان تمام الانفصال ، والمسافة بينهما كالمسافة بين كلية الآداب حيث تدرس الفلسفة واللغات وكلية الحقوق حيث تدرس القوانين والشرائع .

ثم تخصص صاحب الفتوى بعد ذلك في التاريخ فلم يكن عليه بالشريعة أكثر من علم الدكتور طه حسين فكلاهما رجل تاريخ ١

ولا يتوهم القارىء - كما يقع ذلك أحيانا - أننا نمنع المؤرخ، والطبيب، والمهندس، وكل مسلم، من البحث في الدين وتعرف حكمه وأحكامه . كلا، إنما ينصب كلامنا في هذا الموضوع على نقطة معينة، هي أن حق الاجتهاد في أحكام الدين واستنباط أحكام لم تكن مسبوقة، حق خطير شديد الخطورة، لا يعطى إلا لمن تأهل له ونال رتبته عن درس وتخصص .

هذه شبهة خفيفة أزلناها، وأما فيما وراء موضوع الاجتهاد فإننا ندعو جميع المسلمين من كل مستوى وحرقة، للبحث في أحكام الدين وتعرف مسائله . فإن شيوع مثل هذه المعرفة السافهة، يقطع على « المهوشين » طريقهم عند الجمهور، وكانت تغنينا عن هذه الزوبعة الجوفاء التي أثارتها فتوى بيته الخطأ لقوم يعلمون .

فأما الآية الكريمة : « وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به، ولكن ما تعمدت قلوبكم، فقد وردت في بيان حكم الادعاء فقط، وهو نوع خاص من الخطأ عفا الشرع عنه، كالحطأ المغفور عنه في الإيمان المبين بقوله تعالى : « لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الإيمان، فليست الآية عامة الحكم في كل خطأ يقع، ولو كان من طراز استعمال أفكار المبشرين في نفي القواطع الإسلامية، أو الإعراض عن الإجماع في تحديد مواضع الفطر في الصوم . كلا - أيها الباحث العلامة ١ - ولكنها خاصة بموضع بعينه وهو مسألة البناء الادعاء لا غير .

ثم لا ينفع الدكتور أيضا في دفاعه - المتهاافت - الاستغاثة بمبدأ التيسير، ورفع الحرج في الشريعة . لأن النظر لهذا المبدأ مشروط بعدم المصادمة للتكليف، وما يتضمنه من مشقة في العمل، وقهر للنفس بالتزام الأمر والنهي .

وأما عن العنصر الثاني، وهو زعمه أن المسلمين لم يسبق لهم مواخذة المجتهدين المخطئين، فهذه كلمة مرددة يقول بها غير واحد من كتابنا، فلا بد من إزالة الشبهة العالقة بها، وذلك أن الذى صدر من صاحب الفتوى الخطأية، ليس من قبيل الاجتهاد، بل هو من قبيل الابتداع، وكما عرف المسلمون الأولون بالمساحة عن الخطأ الناشئ عن الاجتهاد فقد عرفوا بالإنكار الأشد في الخطأ الناشئ عن الابتداع من أول يوم نادى فيه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله : « كل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، » .

وقد بينا أن صاحب الفتوى ليس من أهل الاجتهاد ولا يبلغ أن يكون هديا في ثوب

أحدهم ، ونزيد الأمر بيانا بما قرره الإمام الفوالى فى المستعنى : من أن الاجتهاد إنما يكون فيما لا يصطدم مع نص قاطع أو إجماع ثابت ، والفتوى الخاطئة لم يقل بها أحد من علماء الملة قبل صاحبها .

وإذ ثبت أن هذه الفتوى ليست من قبيل الاجتهاد فقد تمين أن تكون ابتداء ظاهراً ، وقد استفاض فى أوائل الأمة الإسلامية ، وتتابع ذلك فى عصورها ، الإنكار على المبتدعين ومؤخذتهم ، بما يرد بدعتهم ويحجب العامة شرهم .

وقد عزر عمر بن الخطاب رجلاً مبتدعاً كان يلقى فى زمنه على المسلمين شبهات وأغاليط ونفاه من الأرض .

وسأل رجل الإمام مالكا عن قوله تعالى : « الرحمن على العرش استوى » ، فقال : السؤال عنه بدعه . وأشار بجلد السائل عدداً من الجلدات .

فهذا — أعزكم الله — هو فقه المسألة التى يلج بها الدكتور طه حسين وغيره ، بمن تشبه عليهم الأمور .

وأما عن العنصر الثالث ، وهو رجاؤه أن لو كان شيخ الأزهر قد نصح لصاحب الفتوى بالرفق والإنابة قبل الشروع فى محاكته ، فهذا كلام حق ولا يلىق من شيخ الأزهر — أى شيخ للأزهر — غيره ، فهل علم الدكتور الفاضل أن الأستاذ الأكبر قد سبق إلى ما أشار به ، وأن صاحب الفتوى قد جمع جماعاً بعيداً . وقال عن اللجنة العلمية التى كونت لمباحثته طلباً لأنه لا يعترف بالكهنوت ، وإن إعراضه عن هذه اللجنة العلمية ثابت فى محضر مؤيد بتوقيعه . إن الذى يدولى من سلوك صاحب الفتوى الخاطئة أنه كان مزهواً بالشهرة إلى درجة ضيعت عليه كثيراً من مزايا التبصر والإنابة .

وأما عن العنصر الرابع — وهو اغتيازه لعلماء الأزهر فى علاقتهم بالقصر ، فقد كنت أظن أن الدكتور الأسمى أكثر حصافة من أن يمس هذا الموضوع بالذات ، فما زالت مواقف تزلفه للبلك السابق مذكورة مشهورة ، وما يوم حليلة بسر ، كما يقول المثل العربى القديم ، وما زالت مدائحه الملكية التى أفرغ فيها أعلى أساليب البيان وأروع صور البلاغة مسموعة تدوى فى آذان الناس حتى اليوم .

وأشهد ، لو أن مثالا عبقرى أراد أن يصنع تمثالا لأديب ممتاز يقف منكس الرأس بين يدى ملك ، لما وجد نموذجاً أصدق فى الدلالة على غرضه من الصور التى كانت تنشرها

الصحف في ذلك العهد للدكتور طه حسين ، وهو مائل في الحضرة الملكية ينادى صاحبها من دون الناس جميعا ، بصاحب مصر ، وهي كلمة جارمة ، لم يكن يهتدى إلى استعمالها أعرق الملكية ملكية ، وأشدهم على وراثة الملك لإصرارا .

وأما عن العنصر الخامس - وهو استعداد الحكومة على مشيخة الأزهر ، وإغراؤها بالتدخل في موضوع ديني يهز مشاعر المسلمين ، فنلفت نظر الدكتور الطيب القلب ، إلى أن هذه الجماعة من الشبان الذين يتولون حكم مصر اليوم طراز آخر غير طراز السياسيين الذين يعمدهم ، فليس تهدي في التأثير على اتجاهاتهم وتصرفاتهم أساليب الخداع والمكر التي كانت تهدي مع ضيهرهم ، وانهم قوم يتجهون إلى إدارك الواقع إدراكا مباشرا فلا يفلح عندهم « شغل النمر » .

إن هؤلاء الحكام أذكي وأحصف من أن يفضيوا المسلمين جميعا في مسألة دينية معلومة للعامة والخاصة على سواء من أجل مرضانه أو مرضاة صاحب الفتوى الخاطئة .

إن التهويل بالخطر الجاثم على حدود الوطن والخوف من حدوث فتنة يتنادى شرها في أنحاء العالم الإسلامي ، لا يقتضى من الوجهة السياسية الخالصة ، إرضاء فرد واحد مخلىء على حساب الملايين المعترزة بدينها والمتمسكة بما تلقته من أحكام فقها ، فليس رجل ينصح الحكومة بهذا الرأي الفائل يكون صادق النصح لها .

ومهما يكن من شيء فالواجب على الدكتور أن يلتزم الحدود الأدبية فربما كان ذلك أنسب له ، أما أن يقدم نفسه كمششار سياسي على الحكومة فيما يجب أن تفعل ، وما لا يجب أن تفعل ، فهذا قد يفسر على أنه نوع من سوء الظن بكفايتها في العمل والمعرفة بحقائق الأمور .

وعلى الدكتور طه حسين ، أن يتذكر في مثل هذه المقامات دائما ، أن الذين يحكمون مصر اليوم غير الذين كانوا يحكمونها بالأمس ، فلا يكلف نفسه في خداعهم شططا ؟

محمد حماد جبريل

حاصل على العالمية من درجة أستاذ

في الفقه والأصول - ومدرس بالأزهر

الدعوة الى هدم ركن من أركان الاسلام

لما تداعت الأكلة على قصعة الإسلام فيما بين الحريين العالميتين ، واستبشر بعض أهل الزيغ والزندقة بما حدث في تركيا بعد إلغاء الخلافة ، رأينا صحفاً تتولى مهمة التحريض على أن نعمل نحن هنا كما عمل الترك هناك ، وأقلاماً تمثل دور الإيحاء بمواصلة الخطوات في هذا الطريق الخبيث . وظهر إلى جنب هذا العنصر من أهل التحريض والإيحاء عنصر آخر من أهل الطمع في الكسب العاجل والظهور المصطنع على أكتاف الدين ، بل الدين الإسلامي على وجه التخصيص . ومع كل ذلك لم تبلغ الحفاقة لا في تركيا ولا في مصر إلى حد المجاهرة بمهاجمة ركن من أركان الدين بالإنكار والتعطيل والهدم ، كما وقع في رمضان الماضي عند ما أحججت صحيفة أسما غير مسلمين عن نشر ما تجرأت صحيفة أخرى يتسمى أصحابها بأسماء المسلمين على نشر مقال لساذج مسكين التمس الشهرة والظهور بدعوة المسلمين إلى التحلل من فريضة الصيام ، وإباحة الفطر فيه لغير الذين أباحه الله لهم ، بل لكل من شاء بلا استثناء ، وأن يجاهروا بذلك لينهار به ركن من أركان الإسلام الخمسة التي لا يكون المسلم مسلماً إلا بها .

ومن العجيب أن منعجل الشهرة والظهور بهذا البغي على المسلمين وشريعتهم ، لم يعرف عنه أنه تلقى دروس الفقه الإسلامي إلا بالقدر المقرر للدراسة الثانوية ، وأعجب من ذلك أنه يعيش من تدريس التاريخ وقد تبين أنه يجمل تاريخ أمير المؤمنين عثمان ذى النورين صهر رسول الله ﷺ المبشر بالشهادة والجنة ، كما يجمل معاذير سبط رسول الله الحسين ابن علي رضي الله عنهما في حركته من الحجاز إلى العراق بتحريض الذين كانوا وأوهوه أن الأمر مستتب ميسر ولن يكون فيه قتال ولا فساد ، فسوّد مدرس التاريخ الداعي إلى المجاهرة بإبطال الصيام في الإسلام صفحات في مجلة ذات ألوان تظاير فيها على مقام ذى النورين وثائق السبطين بما يجمله من حقائق تاريخ الصدر الأول للإسلام ، فدل بذلك على أنه جاهل بالتاريخ الإسلامي أكثر من جهله بشرية الإسلام .

ولما كان من الخطر على طلبة الأزهر أن تسمر صلتهم بهذا المدرس المستكر لتاريخ

الإسلام وشريعته ، دعتة المشيخة إلى إبداء وجهة نظره وذكر الشبه التي عرضت له أمام لجنة من شيوخه علماء المذاهب الأربعة في يومى ١٨ و ٢٤ رمضان (١١ و ١٧ مايو) ، فكان موقفه بين يدى اللجنة فى المناقشة الفقهية كوقفه بين يدى الله فى الدعوة إلى تعطيل شريعته ، والانحراف عن أحد طرق عبادته . وحيث أن اضطر فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر إلى أن يحيل هذا المتمرد على مناهج التدريس إلى مجلس تأديب - كما هو المتبع فى جميع وظائف الدولة ، وكما تقضى به أنظمتها - وعين لذلك يوم ٢٨ شوال (١٩ يونيه) كما يرى القارىء فى قرار الانتهام المنشور بعد هذا ، وما كاد مشير هذه الفتنة يشعر بعواقب ما انزلق فيه حتى قابل ذلك بثالثة الاتامى فكذب على أساتذة الكليات الأزهرية وافترى عليهم أنهم عقدوا فى يوم ٩ شوال (آخر مايو) مؤتمراً أيدوه فيه وعارضوا المشيخة فى إنشاء هيئة تأديبية لمحاكمته وعدوا ذلك اضطهاداً ومحاكمة فى مسائل العلم والدين ، وبلغت الجراءة به وبمن اتخذه مقلباً قط أن نشروا بياناً موقفاً عليه بأسماء ثمانية من المدرسين يزعم أنهم كانوا فى المؤتمر الموهوم وأنهم يتكلمون باسمه ، مع أن أحد الموقع بأسمائهم على البيان موجود فى خارج الجمهورية المصرية فى بعثة أزهرية ، وبادر الآخرون إلى إعلان أن ما نسب إليهم كذب وتزوير وغش وأنهم اتخذوا الإجراءات القانونية لحفظ سمعتهم الدينية ومركزهم العلمى .

ولما تمادى البغى على الشريعة الإسلامية وأهلها حتى بلغ هذا المبلغ هبت كليات الأزهر ومعااهده وجهة علماء الأزهر لاستنكار هذه الأساليب الوضيعة . وفى صباح يوم ١٧ شوال (٩ يونيه) عقد فى جامع شرعى مؤتمر جامع لعلماء مساجد القاهرة حضره مدير الثقافة فى وزارة الأوقاف ومدير التفيتش الدينى ووكيل المساجد والمفتشون وجمهير الخطباء والائمة والمدرسين ، وبعد خطب وكلمات ومناقشة استمرت إلى قبيل صلاة الظهر أصدر المؤتمر بياناً عاماً أعلنوا فيه أن هناك خطأ فى الفهم الشائع لحرية الرأى حتى صارت تطلق على من شاء أن يشوه الحقائق وأن ينشر الأكاذيب ، فإذا رأى من بينهم الأمر أن يتدخلوا لتصحيح الخطأ وبيان الحق من الباطل - وخاصة فيما يتصل بدين الله - صاح المترضون : إن حرية الرأى فى خطر ! وإذا رأت الجهات المسئولة أن تناقش الخطأ قامت فى وجهها زوبعة مفتعلة من بعض الكتاب . وإذا كان المحامى الخطأ يحول إلى مجلس تأديب ، والطبيب الخطأ يحول إلى مجلس تأديب ، فهل يحصى المدرس الدينى الخطأ من أية مؤاخذه

بعد أن ينكشف للعامة والخاصة أنه يخطط في الإسلام خبطاً منسكراً ؟ وهل مجلس التآديب في الأزهر إلا مناقشة في الرأي وتمحيص للحق ومقابلة الحجّة بالحجة ؟ إن تزوير الفتوى كتزوير النقد جريمة يجب مكافئتها . وقد طالب المؤتمر فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر أن يعامل بصرامة كل من تسول له نفسه العبث بتعاليم الإسلام ، ثم قرروا أخيراً الإعداد لمؤتمر جامع يضم علماء المساجد في أنحاء الجمهورية لمحاكمة الأفكار المسمومة التي تهدد كيان الأمة وتعمق نهضتها الحاضرة .

وقبل ذلك في يوم ١١ شوال (٢ يونيه) توجه إلى منزل المدرس محضر من محضرى محكمة بولاق - بناء على طلب صاحبى الفضيلة الشيخ أحمد محمد شاكر عضو المحكمة العليا الشرعية سابقاً والشيخ محمد مبارك أحمد مفتش الوعظ بوزارة الشؤون الاجتماعية ، وعلمهما المختار بمكتب الأستاذ الدكتور مصطفى الحفناوى المحامى - وكلفه بالحضور بجلسة الجلس أمام محكمة بولاق في يوم الاحد ٢٦ من يونيه لمحاكمة بالمواد ١٦٩ ، ١٧١ ، ١٧٤ ، ١٧٨ ، ٢٠٢ و ٣٠٩ من قانون العقوبات والمادة ٩٨ ب من المرسوم بقانون رقم ١١٧ لسنة ١٩٤٦ وقد طلب المدعيان في كتاب موجه إلى وزير العدل اتخاذ اللازم لسماع أقوالهما في دعوى ترفع لدى المحكمة الشرعية بطريق الحسبة وموضوعها طلب التفريق بين المدرس وزوجته باعتبارها مرتددا لأسباب مذكورة في إعلان الدعوى .

وكما كان لهذه الفتوى الإلحادية هذا التأثير في مصر كان لها تأثير أشد وأخطر في العالم الإسلامى ، ويرى القارىء في هذا الجزء نموذجاً لذلك من الكتابات الواردة على المشيخة من الهند وجواب المشيخة عليه .

وفي يوم ٢٠ شوال (١١ يونيه) وجه فضيلة الأستاذ الشيخ حسنين محمد مخلوف كلمة نصيح وإشفاق إلى المدرس الذى أثار هذه الفتنة قال له فيها : إن الذين يتظاهرون بالدفاع عنه اتخذوه كبش الفداء وحباله الصيد ، وإنهم لا يهمهم أن يكون من الأبرار أو الفجار ، وما إغراؤهم له إلا ليشفوا صدورهم من نفل ، ويسموا وراء فاشل من أمل . ثم قال له : كن شهما صريحاً ومؤمناً مخلصاً ، وأذعها كلمة مدوية في شجاعة وإقدام : إني أخطأت ، وما أنا أول مخطئ ، والرجوع إلى الحق شعار المؤمن ، والإصرار على الباطل ضعف وخور وذلة . وقد تظاهر المفتون بالاستجابة لهذه الدعوة ، لكن بأساليبه المتنوية التي أفقدته عطف المحرضين ، وزادته بعداً عن أهل الدين ، ثم حضر في اليوم المحدد لمحاكمته ومعه ثلاثة عمّامين طلبوا التأجيل للاطلاع على عناصر الدعوى فأجلت أسبوعاً .

قـرـار

باحالة الشيخ عبد الحميد بخيت

المدرس بكلية أصول الدين إلى مجلس التأديب

نشرت جريدة الأخبار في العدد رقم ٨٩٥ من السنة الثالثة الصادر في يوم الاثنين ١٦ من رمضان سنة ١٣٧٤ (٩ من مايو سنة ١٩٥٥) مقالا للشيخ عبد الحميد بخيت المدرس بكلية أصول الدين بعنوان « إباحة الفطر في رمضان وشروطه » .

ومن حيث انه جاء في هذا المقال أخطاء في أحكام شرعية من شأنها التضليل والدعوة إلى التحلل من ركن من أهم أركان الإسلام وهو الصوم .

وبعد الاطلاع على قرارنا بتاريخ ١٧ من رمضان سنة ١٣٧٤ الموافق ١٠ من مايو سنة ١٩٥٥ بتأليف لجنة عليية للتحقيق مع المذكور فيما جاء في هذا المقال .

وبعد الاطلاع على محضرى التحقيق الذى سئل فيه المذكور فى الجلستين المنعقدتين فى ١٨ و ٢٥ من رمضان سنة ١٣٧٤ الموافق (١١ و ١٧ من مايو سنة ١٩٥٥) .

وبعد الاطلاع على المادة (١٣١) من القانون رقم ٢١٠ لسنة ١٩٥١ بشأن نظام موظفى الدولة .

وعلى المادة (٤٥) من المرسوم بقانون رقم ٢٦ لسنة ١٩٣٦ بإعادة تنظيم الجامع الأزهر والمعاهد الدينية خاصا بمجلس تأديب أعضاء هيئة التدريس .

قـرـر

أولا : إحالة الشيخ عبد الحميد بخيت المدرس بكلية أصول الدين على مجلس التأديب المنصوص عنه فى المادة (٤٥) من المرسوم بقانون رقم ٢٦ لسنة ١٩٣٦ بإعادة تنظيم

الجامع الأزهر والمعاهد الدينية لمحاكته تأديبياً على ما جاء في المقال الذي نشر له في جريدة الأخبار في العدد رقم ٨٩٥ من السنة الثالثة الصادر في ١٦ من رمضان سنة ١٣٧٤ (الموافق ٩ من مايو سنة ١٩٥٥) بعنوان «إباحة الفطر في رمضان وشروطه» من المخالفات الصريحة لأحكام الصوم التي تكاد تكون معلومة من الدين الإسلامي بالضرورة. وهذه المخالفات هي :

١ - قوله في المقال سالف الذكر : ومن هنا رخص الله في الإفطار لمن يؤذيه الصوم ولو قليلاً من الآن.

٢ - وقوله : فن يشق عليه الصوم أو يضايقه فإن له أن يفطر ويظم كل يوم مسكيناً فإن لم يجد فلا جناح عليه أن يفطر ولا يظم .

٣ - ومنها أنه يدعو المفطرين لعذر إلى المجاهرة بالإفطار مع أن الشريعة نذبت من كان له عذر في الإفطار ألا يجاهر الناس بالفطر حرصاً على حرمة الشهر واحترام التقاليد الدينية وشعور الصائمين .

٤ - ومنها تضليل عامة الناس بذكر الأحاديث التي ساقها ليوم القراء أنها أدلة شرعية على ما ادعاه من إباحة الفطر لأدنى ألم مع أن الأحاديث التي ساقها كلها واردة في السفر والجهاد في سبيل الله . ولا شك في إباحة الفطر للمسافرين مع وجوب القضاء عليهم .

٥ - ومنها أنه أفتى المفطرين بعذر بأن الذي عليهم هو الفدية ، وسكت عما يجب عليهم من القضاء ليوم أنه ليس عليهم قضاء ، وهذه فتوى لم يقل بها أحد من المسلمين .

٦ - ومنها أنه أمعن في تضليل القراء بقوله حكمة مشروعية الصوم هي كما قال الله في القرآن الكريم « شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتسكلوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون » . حقيقة أن هذه الآية الكريمة اشتملت على حكمة إباحة الفطر للمسافر

والمريض وهي أن الله أراد بهم اليسر ولم يرد بهم العسر ، ولكن المنهم يأبى إلا أن يعمن في التضييل فيستعمل الآية في غير موضعها ليؤيد بها مدعاه .

٧ — ومنها قوله : إن شريعة الصوم لم تفرض إلا على الشفوفين به الفادرين عليه الذين يؤدونه بدون ما يرم أو ضجر .

وعلى العموم فإن كل ما جاء في هذا المقال يعتبر في جملته وتفصيله دعوة إلى التحلل من ركن من أهم أركان الإسلام وهو الصوم ، أو على الأقل إحداث شك وبلبلة أفسكار عند المسلمين في وجوب القيام بهذه الفريضة الشرعية ، فإن الناس قد يعتقدون أن ما تضمنته ذلك المقال فتوى شرعية يصح الاعتماد عليها من حيث أنها صادرة من عالم من علماء الأزهر .

ثانياً — حددنا يوم الأحد ٢٨ من شوال سنة ١٣٧٤ (الموافق ١٩ من يونيو ١٩٥٥) لمحاكمته على ما نسب إليه وكلفناه بالحضور أمام مجلس التأديب الذي سينعقد في الساعة الحادية عشرة من صباح اليوم المذكور بالإدارة العامة للجامع الأزهر .

ثالثاً — على إدارة المستخدمين تنفيذ ذلك وإعلان المنهم بهذا القرار بالطرق القانونية قبل انعقاد المجلس بخمسة عشر يوماً .

عبد الرحمن ناج
شيخ الجامع الأزهر

تحريراً في { ١٠ شوال سنة ١٣٧٤
أول يونيو سنة ١٩٥٥ }

بين الأستاذ الأكبر والسيد محمد حبيب الله

The Rector of Al-Azhar University,
Cairo—Egypt

صاحب الفضيلة الأستاذ للجل شيخ الجامع
الأزهر : القاهرة — مصر

Most respected sir,

Assalamu Alaikum.

It is with profound sorrow I have to write you that I am shocked to read the newspaper report about the remarks made by sheikh Abdul Hamed Bakheet, professor of Islamic History at Al-Azhar, wherein he is reported to have said that fasting during Ramzan month is not obligatory for a Muslim.

I have the greatest respect for Al-Azhar and its Ulemas, but it pains me to read such a shocking report which is quite contrary to the teachings of Islam. This report has caused a stir in our town, and, I fear we may be misled and our "Imam", God forbids, may be shaken

I approached the local Molvis and Ulemas and they have given the verdict that fasting during Ramzan is obligatory for every Muslim. But it has not satisfied my quest for more knowledge about fasting, and hence, I approach you for a clear guidance.

Please kindly clear the doubt and enlighten me with your knowledge whether fasting is obligatory

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد

فأكتب لفضيلتكم وأنا في غاية التأثر والألم لأمر لكم من الصدمة التي صدمتها عند قراءة ما نشرته الجرائد من آراء الشيخ عبد الحميد بحيت أستاذ التاريخ الاسلامي بالأزهر .

وقد جاء في هذه الجرائد أنه صرح بأن الصيام في شهر رمضان غير واجب على المسلمين .

ونحن نكن أعظم التقدير للأزهر وعلمائه وقد حرز في قلوبنا وألنا أن نقرأ يوماً ما مذكراً بهذا البيان الذي يتعارض تمام التعارض مع تعاليم الاسلام . وقد أحدث نشره رجة عنيفة في مدينتنا وأخفى أن يؤدي الى تضليل الناس وأن يجعل موقف الامام عندنا في غاية الحرج .

وقد اتصلت بأئمة المنطقة وعلمائها فأصدروا فتواهم بأن الصيام في شهر رمضان واجب على كل مسلم . ولكنهم لم يحققوا طلبي في معرفة بيانات أكثر من موضوع الصيام . ولهذا فائق أقدم الى فضيلتكم للحصول على بيان وإرشاد تام الوضوح من هذا الموضوع .

فأرجو أن تفضلوا بإزالة التلكوك وإثباتنا بطلان فتينوا لنا بالتفصيل ما إذا كان الصيام

or non obligatory as contended by the learned sheikh Abdul Hamid Bakheet.

Thanking you and awaiting an early reply.

With respects.

Your most faithfully,

D. Mohamed Habibulla

P.S. I am herewith enclosing the newspaper cutting for your kind perusal.

Ramzan fast not obligatory
Cairo professor's contention.
Cairo, May 12.

The Rector of Al Azhar University has ordered the setting up of a committee of four from the University's Ulemas to look into a professor's claim that fasting during Ramzan month is not obligatory for a Muslim.

Sheikh Abdul Hamid Bakhaet, professor of Islamic History at Al Azhar, the oldest seat of Muslim learning, wrote recently, "Every day we see hundreds of people who are unable to keep Ramzan go into isolated places where they eat and drink".

"Fasting should be observed only by those who can stand it. Those who cannot fast, may acquit themselves before Allah by feeding the poor or giving them money", he said. Ulemas at Al Azhar University strongly objected to the professors remarks-Reuter.

واجبا أو غير واجب كما يرى الشيخ العالم عبد الحميد بنحيت . وأرجو أن يصلني رد عاجل من فضيلتكم ولكم جزيل الشكر .

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام والاجلال .

١٥ مايو سنة ١٩٥٥

أمضاء [د . محمد حبيب الله]

ملحوظة : أرسل سراجا لهذا قصاصة الجريدة للاطلاع عليها .

ترجمة القصاصة المرافقة لهذا الكتاب
صيام رمضان غير واجب — رأى أستاذ بالقاهرة
القاهرة في ١٢ مايو

أمر فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر بتأليف لجنة من أربعة من علماء الكليات بالأزهر لتنظر فيما ادعاه أحد الأساتذة من أن الصيام في شهر رمضان غير واجب على المسلمين .

فقد كتب الشيخ عبد الحميد بنحيت مؤخرًا وهو أستاذ التاريخ الإسلامي بالأزهر أقدم مركز لدراسات الإسلامية « اتنا نرى كل يوم مئات الأفراد من الناس الذين لا يقدرون على أداء رمضان بمضون إلى الأماكن النائية حيث يأكلون ويشربون » .

وأضاف « أنه لا يجب أن يراعى الصوم إلا من يقدر عليه أما الذين لا يستطيعون الصيام فيمكنهم تجرئة ذمتهم أمام الله بإطعام الفقراء أو التصدق عليهم » .

وقد استنكر علماء الأزهر بشدة آراء الأستاذ للذكور . [دوتنر]

Mr. D. Mohamed Habibullah
Muslimpur, Vaniyambadi
N. A. Y. INDIA.
Respected Sir,

Assalamu alaykom wa rahmatu-
llahi wa barakatoh.

We have received your letter dated 15-5-1955, expressing your profound sorrow and indignation, at what has been published by the newspapers, about Sheikh Abdul-Hamid Bakheet, teacher of History in Al-Azhar. You state in this letter that his contention has caused a stir, great perplexity and confusion in the mind of the Muslim people, for it was understood from this article that fasting is not obligatory in the Islamic Religion.

We beg to inform you that the writer of this article is not competent or specialised in the Islamic Jurisprudence, his study of Fiqh or Islamic Law ended with the secondary section. He has not learnt Fiqh in the Higher Education and he specialised and obtained his degree in History. The contention attributed to him in the newspapers on this subject has no foundation or credit at all, is unworthy of consideration and must be neglected.

السيد الفاضل محمد حبيب الله
مسلمپور — فانيامبادى [الهند]

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته — وبعد

فقد تلقيت كتابكم ، الذى تبدوون فيه استنكاركم
واسئاليكم ، لما نشرته الجرائد عن التنبؤ
عبد الحميد بنحيت ، مدروس التاريخ بالأزهر ،
وتذكرون أن ذلك المقال قد أحدث رجة عنيفة ،
وبدلة في أفكار المسلمين، حيث فهم منه أن الصيام غير
واجب في الشريعة الإسلامية .

وأفيدكم أن كاتب هذا المقال ليس من المتخصصين
في الشريعة الإسلامية ، وأن دراسته في الفقه الإسلامي
قد انتهت بالدراسة الثانوية ، فهو لم يزاول الفقه في
التعليم العالي ، وكان تخصصه في التاريخ . وأن
ما نشرته الجرائد له في هذا الموضوع لا يعول عليه
ولا يؤيده ، وقد أحيل إلى محاكمة تأديبية ،
بتهمة التضييل والدعوة إلى التحلل من فريضة
معلومة من الدين بالضرورة .

ted completely. This teacher has been summoned to a disciplinary trial, with charge of misleading and inciting people to dispense with this prescription, necessarily known in the Islamic religion and recognised by all Muslims.

Al-Azhar Rector will preside the Discipline Council composed of the Vice-Ministrs of justice, the three Deens of Al-Azhar Faculties and two members of the Higher Council of Al-Azhar.

As for the rules prescribed by Allah on this point, we beg to state that the fast of Ramadhan is an absolute injunction and one of the four fundamental Islamic Institutions called the pillars of Islam, after the recognition of one God and that Mohamed is his last prophet. Who soever denies that fast is obligatory is unanimously considered kafir, i.e. non Muslim.

Muslims are allowed to break the fast, in the case of disease or journey, with charge of fasting like number of other days, as the Almighty God has said in the Holy Quran :
فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر .

The interpretation of the second paragraph of this verse is as follows: "Whoever is diseased or on a journey is allowed not to fast during the days of disease or journey, with charge of fasting

ويقوم بهذه المحاكمة هيئة يرأسها شيخ الجامع الأزهر ، وأعضاؤها وكيل وزارة العدل وشيوخ الكليات الثلاث واثنان من أعضاء مجلس الأزهر الأعلى .

أما حكم الله في لأفله ، فإن الصيام فريضة محكمة ، وهو أحد أركان الإسلام الأربعة ، بعد العبادتين والذى يذكر فرضيته كالمركب بالاجماع

ثم أنه يباح الفطر بمسند المرض أو السفر مع وجوب الامادة ، كما قال الله تعالى : فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر .

afterwards the number of days he has not observed”.

Excepted of this rule are the old weary and declining person and the one who is attacked of an incurable disease. These two kind of persons who do not expect to be able one day to fast - when they do not fast, being unable to keep it - are required to effect a redemption, by feeding a poor person for each day. This is the case meant by this verse of the Holy Quran :

« وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين »

which means the persons who exhaust their strength in keeping it. This verse is also read :

« وعلى الذين يطوقونه فدية طعام مسكين »

i. e. those who find the fast as a heavy collar on their neck, because it is extremely hard and unbearable for them.

The Muslims are unanimous that the persons, allowed not to fast for one of the above-mentioned reasons, are not authorised to break the fast in public, by consideration of Muslim feelings and respect of the genral execution of this fundamental ordinance.

This is the clearing required, and we hope that this statement will bring things back in the right order, clear your doubts and calm your souls. We implore the Almi-

غير أن الهرم والمرض مرضا لا يرجى برؤه -

وما الذان لا ينتظر أن يأتي عليهما زمن يستطيعان

فيه قضاء الصوم ، عليهما - في حالة الفطر المجز من

الصوم - الفدية ، وهي إطعام مسكين عن كل يوم .

وهذا هو المقصود بالآية للكرامة : « وعلى الذين

يطيقونه فدية طعام مسكين » أى يبدلون فيه غاية

طاقاتهم وآخر وسعهم ، وقد قرئ : « وعلى الذين

يطوقونه فدية طعام مسكين » أى يكون - لما فيه

من الصبر والخرج طيم - كالطوق في أعتاقهم .

وقد أجمع المسلمون على أنه لا ينبغي أن يجاهر

للمتذنبون بإفطارهم احتراماً لعمور المسلمين

ومحافظة على مظهر هذه الشريعة السكرية .

هذا ونرجو أن يكون في هذا البيان ما يفر الأمر

في نصابه ويطن نفوسكم ، والله نأل أن يحفظ

الاسلام ويرد منه كبد أعدائه وأن يجمع كلمة المسلمين

ghty God to preserve and protect Islam against the intrigues of its enemies and to unite Muslims in the execution of their religious ordinances and in pursuing His Clear Book. Would Allah grant peace and blessing to our Prophet Mohamed, leader of pious and chief of Allah' Messengers, to his relatives and to all his companion.

Wassalamu alaykom wa rahmatullah wa barakatoh.

على إقامة شماس الدين والعمل بكتابه للدين ،
وصلى الله على سيدنا محمد إمام للتقوى وسيد المرسلين
وعلى آله وصحبه أجمعين .
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ... ٩

The Rector of Al-Azhar شيخ الجامع الأزهر

عبد الرحمن ناجي

١٤ من شوال سنة ١٣٧٤

• من يونيو سنة ١٩٥٥

حرية الرأي

وحدودها في المقطوع به من الشريعة

لمن حق الاجتهاد والفتوى ؟

نشر الشيخ عبد الحميد بخيت في جريدة الاخبار يوم الاثنين ١٦ رمضان كلمة عنوانها إباحة الفطر في رمضان وشروطه . ولوقوعه بإبداء هذا الرأي في الخطأ الفاحش والزلل الجسم بادرت مشيخة الازهر بالإنكار عليه ونهت المسلمين إلى خطئه ، وقررت التحقيق معه ثم أحالته إلى مجلس التأديب الأعلى كما هو حقها شرعا وقانونا .

وقد ناصره فريق من الكتاب منهم الحقوقيون وحلة القانون ومدرسوهُ وأنكروا على مشيخة الازهر محاكمته : منهم من احتج على ذلك بأنه لا كهنوتية في الإسلام ، ومنهم من احتج بأن في محاكمته حجراً على حرية الفكر ، ومنهم من قال : إن الدين صلة بين العبد وربّه ، ويعنى أنه لا شأن لاحد فيمن يتدين ويتصل بربه كما يشاء ويقول في الدين ما يشاء .

ولما كانت حملة هؤلاء الكتاب لا تخص مسألة الشيخ بخيت ، بل يمكن أن تظهر في الدفاع عن كل من يتهم على الدين والوقوف في وجه من تصدى للدفاع عنه والتهويز عليه - ولو أثمرت وانتصرت وتقرر ما يقولونه في نفوس العامة لانحلت عرى الدين - لا قدر الله - ولم يتمكن حراسه من الدفاع عنه - رأيت من واجبي أن أبين المسلمين حقيقة الواقع في مثل هذه المسائل كما اتفق عليه سلف الامة وخلفها ، ليسكوبوا على بينة من أمر دينهم ويميزوا الحق من الباطل فيما يقال ويكتب في شأنه .

بعث الله سبحانه وتعالى سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم رسولا إلى الناس كافة في وقت انتشر فيه الفساد ، وساد فيه القلق والفوضى والاضطراب ، وزاد المهرج والمرج بين الناس بموج بعضهم في بعض على غير هدى ، فكان إرساله رحمة للعالمين كما قال تعالى : وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ، وشرع سبحانه وتعالى على لسانه ﷺ شريعة تكفلت بصوالح الخلق في الدنيا والآخرة ، وباتظام معاشهم ومعادهم ، وهذه الشريعة قسيان : أحكام اعتقادية أصلية المقصود منها اعتقادها والتصديق بها حسبا دل عليه البرهان العقلي القطعي وأيده

ما جاء في كتاب الله الكريم وسنة نبيه المطهرة . والثاني : أحكام عملية المقصود منها العمل من المكلفين ، وكل مكلف لا تخلو أفعاله التي تصدر عنه باختياره عن حكم الله تعالى من الوجوب أو الحرمة أو غيرها من باقى الأحكام الشرعية ، فالواجب الشرعى ما يثاب على فعله ويستحق العقاب على تركه ، والمحرم شرعاً ما يستحق العقاب على فعله ويثاب على تركه إن توجهت نفسه إليه ثم كفها عنه .

وقد شرع سبحانه وتعالى عقوبات في الدنيا للمخالفين للأحكام الشرعية الحتمية : شرع في بعضها - وهو المهم منها - حدوداً معينة يقيمها على المخالف ولدى الأمر من المسلمين ، وشرع في الباقي تمازير كما يراه لدى الأمر ، وأوعد سبحانه وتعالى المخالفين بالعذاب الشديد في الدار الآخرة .

وقد نصب الشارع على هذه الأحكام أدلة منها الواضح الجلي ، ومنها الدقيق الخفي ، لذلك تنوعت هذه الأحكام إلى ثلاثة أنواع :

الأول أحكام يقينية قطعية نقلت إلينا بالتواتر القطعى بنقل الخلف عن السلف جيلاً بعد جيل من عهد النبوة إلى الآن ، فلم يختص بعلمها الخاصة بل اشترك في العلم بها العامة والخاصة ، فكان العلم بأنها من دين الإسلام علماً ضرورياً لا يختلف فيه اثنان ، وذلك كفرض الصلوات الخمس وصوم رمضان والزكاة وحج بيت الله الحرام وحرمة قتل النفس بغير حق والزنا وشرب الخمر والربا وغير ذلك مما هو معلوم .

وهذا النوع من الأحكام يختص بأمرين :-

الأول : أن من أنكر وجحد من المسلمين حكماً من هذه الأحكام المعلومة من دين الإسلام بالضرورة يكفر ويرتد عن دين الإسلام ، لأنه يمحده هذا الحكم المعلوم قطعاً أنه جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم كذب الرسول صلى الله عليه وسلم ومن كذب الرسول كفر لأن الإيمان هو التصديق بما علم ضرورة أنه من دين محمد صلى الله عليه وسلم . وأحكام المرتد عن الإسلام في الشريعة الإسلامية معلومة : منها القتل إن أصر على رده يتولاه لدى الأمر من المسلمين .

قال صلى الله عليه وسلم : « لا يحل قتل امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث : كفر بعد إيمان ، وزنا بعد إحسان ، وقتل نفس بغير حق » ، وقال صلى الله عليه وسلم : « من بدل دينه فاقتلوه » .

ومنها التفريق بينه وبين زوجته ، وغير ذلك مما هو مقرر في الفقه .
الامر الثاني : أن هذا النوع من الاحكام لا مجال للاجتهاد فيه ولا ينصور ، لأن الاجتهاد استفراغ الوسع في استنباط حكم شرعى غير معلوم . وهذا الحكم معلوم للخاصة والعامة .
النوع الثانى : أحكام شرعية أجمع عليها أئمة المسلمين لم يخالف فيها أحد ، لكن اقتص بالمعلم بها الخاصة دون العامة ، ومن أمثلتها استحقاق بنت الابن السدس مع البنت . وهذا النوع من الاحكام كالنوع الاول لا يجوز لمجتهد يأتى بعد الإجماع أن يخالفه ، لأن خرق الإجماع حرام ، إلا أن الأئمة لم يتفقوا على تكفير منكره ، والصحيح أنه لا يكفر ، وإنما يأنم ويفسق إن علم به ، ولا يجوز العمل بخلافه .

النوع الثالث : أحكام شرعية دقت أدلتها وخفيت ، ولذلك اختلفت أنظار الأئمة المجتهدين في استنباطها وتوعدت المذاهب ، وليس في هذا الاختلاف في هذا النوع من الاحكام من حرج ، كما أنه ليس من الاختلاف المذموم المنهى عنه .

أولاً : لأنه وقع مثله في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم بين الصحابة وأقرم عليه .
ثانياً : لأنه ضرورى لا يمكن التفصى عنه ، لأن المجتهد إذا أفرغ وسعه واستنبط الحكم من الأدلة وأطمأنت نفسه إليه لا يجوز له مخالفته اتباعاً لغيره .

ثالثاً : لا ضرر فيه وإنما فيه فسحة وتيسير على العباد ، وقد اتفق الأئمة المعتبرون على أن كل مكلف غير مجتهد عمل بما تحقق أنه استنبطه أحد الأئمة المجتهدين يخرج عن عبدة التكليف ، سواء قلنا إن كل مجتهد مصيب وإن حكم الله في الحادثة الواحدة يتعدد ، أو إن المصيب فيها واحد والباقي مخطئ وإن حكم الله لا يتعدد ، وإن له في كل حادثة حكماً واحداً ، لأنه لا يترتب على هذا الخلاف إلا أنه على رأى الثانى يكون للمصيب أجران وللخطئ أجر واحد ، والله سبحانه وتعالى هو الذى يعلم المصيب فى الواقع من المخطئ . وهو الذى يمنح بفضل الاجرين للمصيب والاجر للخطئ .

من له حق الاجتهاد

ومن عرف دقة الأدلة ظهر له بوضوح تام أنه لا يستطيع استنباط هذه الاحكام أى واحد ، وإنما الذى يستطيعه هو المجتهد . وله شروط ضرورية مبينة فى أصول الفقه :
منها أن يكون فقيه النفس ، عالماً بعلوم اللغة العربية وأصول الفقه وبمعلق الاحكام

من الكتاب والسنة ، محيطاً بمعظم قواعد الشرع عارساً لها ، حتى يكتسب قوة يفهم بها مقصود الشارع ، خبيراً بمواقع الإجماع كي لا يخرقه ، واقفاً على الناسخ والمنسوخ وأسباب النزول وغير ذلك مما تنوء بحمله الجبال .

ومل يمكن وجود هذا المجتهد الآن أو لا يمكن ؟ وعندى أنه لو وجد لا تظهر له فائدة في الأحكام التي استنبطها فلا الائمة المجتهدون إلا ترجيح بعض المذاهب ، لأنه لا بد أن يوافق أحد المجتهدين ، ولا يجوز له مخالفة الجميع فيما اتفقوا عليه ، وإلا عد خارقاً للإجماع وهو لا يجوز . نعم ، تظهر له فائدة في استنباط الأحكام في الأمور المستحدثة التي لم ينظرها المجتهدون السابقون ولا أتباعهم ، لأنها لم تكن في زمانهم ، وهذا من ضروريات الشريعة ، وفي ظنى أن هذا ليس بمسير ، لأن ما مهده الائمة السالفون من الضوابط والقواعد يمكن العالم باللغة العربية المتبحر في علم الفقه وأصوله المطلع على طريقة استنباط الائمة السابقين أن يدرج هذه الأمور المستحدثة تحت ضابط أو قاعدة شرعية تشملها أو إلحاقها بنظائرها ، والشريعة لا تخلو عن ذلك .

من له حق الافتاء

ثم من مارس الفقه وأصوله انضج له أن بيان الأحكام الشرعية التي دونت ، وإفتاء الناس بها ، ليس من حق كل أحد ، لأنه لا يستطيعه على وجهه الصحيح إلا من تلقى علوم الشريعة أصولاً وفروعاً ووسائلها باستيعاب ، وراجعها المرة بعد المرة بتدريس أو نحوه ، حتى أحاط بدقائقها وألم بظاهرها وخفيها ، ووقف على مداركها وأدائها . وإلا لم يأمن من الوقوع في الزلل والافتاء بالخطأ فيضل ويضل غيره ، وقد قال الله تعالى - وهو يذكر الشيطان - : « إنما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون » ، أى يأمركم الشيطان أن تقولوا هذا حلال وهذا حرام من غير علم ، وذكر سبحانه وتعالى : « أن تقولوا على الله ما لا تعلمون » ، بعد ذكر الفحشاء مع أنه من جملتها لأنه أعظم أنواعها . فالنتج على الفتوى أمر عظيم الخطورة .

وكان الواجب أن يصون القامرون العام للدولة الشريعة الإسلامية ويحميها من عبث العابثين ، ويحدد من له حق بيان أحكامها ، كما صان صناعة الطب ، فإن الخطر على دين الأمة كالخطر على أبدانها .

إذا علمت ما بيناه من أنواع الأحكام الشرعية وخصائص كل نوع علمت أن كل من أبدى حكماً خلاف ما علم أنه من النوعين الأولين - وبخاصة النوع الأول ، وبالاخص إذا نشره ودعا الناس إليه - وجب على المسلمين على الأقل زجره وردعه حتى يتوب إلى الله ويرجع عن رأيه وتزول آثاره السيئة ويحصل الاطمئنان بأن لا يعود هو أو أمثاله إلى مثل هذا الرأي . ولا يجوز لمسلم أن يدافع عنه ويؤيده . أما النوع الثالث فقد وسع الله فيه على عباده ، فكل مكلف لم يصل إلى درجة الاجتهاد وجب عليه أن يتبع في تلك الأحكام المختلف فيها من تطمئن إليه نفسه من الأئمة المجتهدين وليس لأحد الإنكار عليه في هذا الاتباع .

الرد على المناصرين للشيخ بخيت

هذا - ويتمن علينا تفنيد حجج من ناصر الشيخ بخيت في رأيه المعروف . أما قولهم : ولا كهنوتية في الإسلام ، فإن أرادوا بالكهنوتية وجود رؤساء دين يحلون ويحلون ويؤمنون ويعاقبون أو يعفون ويغفرون بآرائهم وأهوائهم من غير استناد إلى الشريعة ، فهؤلاء لا يوجدون في الإسلام قطعاً . وإن أرادوا وجود علماء يعرفون الأحكام التي شرعها الله وهم مكلفون ببيانها للناس على الوجه الصحيح ورؤساء - هم أولياء أمور المسلمين - يحرسون الإسلام من عبث العابثين ويقبضون الحدود على المخالفين ويؤدبون المعتدين على الإسلام وأحكامه ، فهذا موجود ومشروع في الإسلام ، وفقدانهم إيلذان يقرب قيام الساحة .

وأما حرية الرأي والحجج على الأفكار فليس مما نحن فيه ، لأن لا أظن أن أحداً يعقل أن تعدى الحدود المقررة شرعاً أو قانوناً يدخل في نطاق حرية الرأي ، وأن زجر المعتدى وتبيين خطئه داخل في نطاق الحجج على الأفكار ، وإلا لجاز أن يقول كل واحد ما شاء فيما شاء ، ولا شك أن هذه هي الفوضى بعينها .

وأما القول بأن الدين صلة بين العبد وربّه فهو كلمة حق إلا أن هذه الصلة يجب أن تكون كما حددها الرب سبحانه وتعالى وبينها على لسان نبيه ﷺ ، أما الصلة بغير ذلك فليست صلة ، وإنما هي انقطاع وبعد عن الله تعالى وعمرد عليه وعصيان ، لأنه لم يمتثل أمره ونهيه في تحديد تلك الصلة ، وذلك واضح . والله سبحانه وتعالى أعلم ؟

عيسى ضو

عضو جماعة كبار العلماء ولجنة الفتوى

وشيوخ كلية الشريعة سابقاً

تعليلات

- ١ -

براءة الأزهر ومعدرته الى المسلمين

وإخوان تخذتهمو دروعا فكانوها ولكن للأعادي
وأبناء تخذتهمو سهاماً فكانوها ولكن في قنّادي

•••

١ — في الوقت الذي يضاعف الأزهر فيه نشاطه في دعوة الناس إلى ربهم .
وفي الوقت الذي يغمر المسلمين فيه شعور بالجدل لقيامهم بصوم رمضان ، وهم على شغف
بالتوفيق فيما يتطلبه دينهم ، وعلى أمل في القبول والرضوان من ربهم ، يخرج من صفوف
الأزهريين إنسان استبد به شيطانه فقلب عليه النزق ، وغاب عنه الرشد ، ودعا الناس
إلى التحلل من فريضة الصوم متى شعروا بشيء من الضيق أو الأذى ولو قليلا .
وأعلن في الناس أن الصوم لم يفرض إلا على الضعوفين به الذين يؤدونه في غير
ضجر أو برم .
ودعا الناس إلى المجاهرة بالفطر زاعماً إليهم أن المجاهرة بالفطر تعتبر شجاعة دين
وقوة إيمان الخ .

والناس حينما يسمعون صيحة كهذه من أزهري يزعم لهم كذما أنه دكتور ، وأنه ارتقى
إلى درجة أستاذ في الكلية ، يساورهم القلق والريبة فيما كانوا مطمئنين إليه من عمل ،
أو يساورهم الوجل أن يكون الأزهر - وهو منار هدايتهم - قد فكّص عن رسالته الحقّة ،
أو انتابته لومة خرافية ظهرت على لسان واحد من يعيشون في ظلاله .

وكم يكون لهذا الاضطراب من أثر على الناس في حياتهم الدينية إذا ظلوا يفهمون أن

المتحدث به شخصية بين الازهريين ، وأنه يحمل لقب دكتور وأستاذ ، وأنه من أهل الفتوى في العلم والدين ؟

٢ — ولكن الأمر في حقيقته على غير هذا كله . . . إذ الازهر يستقبل من الشباب أخلاطاً تختلف بيناتها ومشاربها ، فإذا ما درجوا في ظلاله وأخذوا شيئاً من تعاليمه ، بدأت تختلف نظراتهم إلى الحياة ، وتباين وجهانهم العلمية ، ولا يمكن أن تظل هذه الأخلاط في وضع متحد ، ولون واحد ، وهم كالزراع يسقى بماء واحد ، ولكن الله يفضل بعضه على بعض في الأكل .

والثقافة الدينية كالدواء تعالج به النفوس ، ولكنه قد ينجع ويصلح في جسم ، ولا يصلح في جسم آخر ، وإن كانت العلة واحدة .

والازهر لا يحمل أن في أحضانه أناساً يحسبون عليه ، وهو لا يعتد بهم من أبنائه الأوفياء بعده ولا من رجاله الأمناء على رسالته ، ولكنه لا يتمكن من نزع هؤلاء الشواذ خارج حظيرته ، لاحتمالهم بالقانون بعد أن أصبحوا في عداد موظفيه . فهو يتأذى منهم ولكنه يصبر عليهم ويصبرهم حتى تحين فرصة تمكن له أن يلفظهم بعيداً عنه ، ويرأ منهم إلى الله ، وإلى المسلمين .

وحديث الناس في الفترة التي تمر بنا الآن يتناول الشيخ عبد الحميد بخيت مدرس التاريخ في كلية أصول الدين .

وقد فعل هذا المدرس فعلته فيما دعا الناس إليه غير مكترث بدين ، ولا قانون .

فلما طلبت إليه مشيخة الازهر أن يدلي بوجهة نظره فيما نشره من أحكام خاطئة ضال بها كثيراً من الصائمين ، امتنع عن التحدث إلى اللجنة العلمية التي شكلت للبحث معه زاعماً أن القوانين لا تقف في سبيل الرأي ، ولو كان كرايه مروقاً من الدين وفتنة للناس .

والناس بحاجة إلى العلم بشيء عن هذا الشيخ لينبتوا ضالة شخصه وفساد رأيه . وهو إنسان بخلت عليه الأقدار بكثير من مميزات الإنسان ، ثم هو متوسط الثقافة في التاريخ حسب دون الفقه أو سواه ، وهو مع ذلك مأخوذ بحب الظهور ، ومفتون بأن يقال عنه فلان ... فلما وجد نفسه غير ذي شأن بين المثقفين دفع بنفسه إلى موقف الإفتاء في الدين مصيباً كان أو مخطئاً ، وهو على أي حال سيظفر بأن يقال أفتى فلان : محضاً كان أو مبطلاً . وربما كان الخطأ أحب إلى نفسه ليثير استياء الناس منه ، وكثرة حديثهم عنه ، وقد فعل .

كما أنه في سبيل ظهوره لا يكفيه أن يكون شيخاً محسوباً من علماء الأزهر ، بل يخلع على نفسه ألقاباً وهمية ، ليوم الناس بأنه ذو مكانة في العلم ، وليأخذوا عنه غير متشككين . هذا هو الشيخ عبد الحميد بخيت الذي أثار زوبعة حول نفسه منذ وقف من دينه موقف المعتدى ، ووقف من الناس موقف الفنان المضلل ، والذي دفع بالأزهر اليوم أن يقف من المسلمين موقف الاعتذار عن ورطة ليس للأزهر فيها جناية .

وهناك شخص آخر نشأ في الأزهر ويعيش اليوم بعيداً عنه ، وقد كان ذلك الآخر على شيء من التقوى أول أمره ، ولكن الرغبة في وفرة الأموال ، وبسطة العيش ، دفعت بهذا الأزهرى الآخر إلى الانحراف ، ثم إلى مهاجمة الأزهر ، ثم إلى الانتفاض على أحكام الدين ، ودعوة الناس إلى الإباحية في غير تربت ولا اقتصاد .

ومن كان يظن أن أزهرياً خطايا سنياً ذا لحية وذا عمامة مرخاة على كتفيه يطمئن على الأزهر في كل ما تمليه هو ، ويطمن على الأزهر كله حتى في أرضه وحواطه وسقفه ثم يتدرج في انحرافه حتى يقوم بالدعوة إلى الرقص وإلى الحب الماجن ١١٤ .

بل إلى الاختلاط المطلق بين الرجال والنساء وإلى ما هو أخش من ذلك في باب التحلل من أحكام الله جملة وتفصيلاً ، وتبين من أمره أنه كان يعبد الله على حرف فلما أصابته الفتنة انقلب على وجهه ، وهذه ضلالات أصبحت تذاع وتنفش يدينا في غير حرج ولا حياء ، بل هناك مجلات معروفة وقفت جهودها وانصبت نفسها لاجتذاب الشباب إلى ناحية الخلاعة والمجون الرضيع والتنصل من كل نزعة كريمة .

وبعض الناس يظنون أن الأزهر مقصر في هذا كله . ولكن الأزهر لا يملك سلطة يهيمن بها على أنصار الفتنة ودعاة الرذيلة من كتاب ومجلات وصحافة غرثها أموال الهيئات المعادية للإسلام بالذات ، وللأزهر وعلماؤه بالنفع ، ورسالة الأزهر في دعونه بحاجة إلى سلطان قاهر ، وشكيمة قوية تكبح هذا الاسترسال في الفساد الجهرى في الدين والخلق والآداب العامة .

وإذا كان في الناس من يأبى على انحراف أفراد من الأزهريين كالشيخ بخيت والشيخ خالد ، فمذرة الأزهر إلى هؤلاء الذين يخدعون أنفسهم غيره وأسفاً أنه غير متمكن تماماً من الوقوف في وجه المتبجحين والاختذ برقابهم .

وليدكر الناس أن انحراف أزهرى عن أزهريته، وفتنة أزهرى في دينه، مثل من الامة الحية في باب العبرة بمن يضل الله على علم، وقد يما كان لإبليس يعيش مع الملائكة، ثم فسق عن أمر ربه، فكان فتنة لنفسه وللعاوين من الناس. والله في خلقه شئون.

- ٢ -

من أمثلة الخير

طبيب معهد المنصورة، الدكتور السيد محمد عبده الجيار، من أسرة عريقة بالمنصورة سوى أسرة الجيار المشهورة بالمطرية دقهلية التي منها الدكتور حلى الجيار. ولأسرة الدكتور محمد عبده الذي تحدث عنه مصاهرة وروابط قوية بأسرة الشناوى المشهود لها في المنصورة بكثير من المروءات والمحامد، وفي مقدمتها بناء المعهد الدينى الذى لهم في إقامته أكبر نصيب من الفضل، والذي نافست به المنصورة جميع المؤسسات العلمية التي أقيمت في العواصم المصرية أخيراً.

ويسدو أن الروابط التي جمعت بين أسرة الجيار هذه وأسرة الشناوى ليست مجرد المواطنة في بلد واحد، ولا مجرد التشابه في اليسار المالى، فكثيراً ما نرى أسراً متباغضة لتزاحمها على السيادة في بلد واحد، أو للتناقص بينها في اليسار. ولكن الرابطة التي جمعت بين الاسرتين وعقدت بينهما القسب والمصاهرة هي اتحاد المشرب، واتجاه كل من الاسرتين إلى الخير والمروءات.

والحديث النبوى يقول: «الارواح جنود مجنده: ما تعارف منها ائتلف، وما تنافرت منها اختلف».

وهاتان الاسرتان تعارفنا على الخير، وفي سبيل الخير. وعما سمعته عرضاً في زيارتي لمعهد المنصورة عن والد الدكتور محمد عبده الجيار أن له بدأ سابقة في كثير من المبرات الخالدة، وأن له أرساداً على جهات باقية، ويقوم عليها أبناؤه وهم الدكتور وإخوته:

من تلك المبرات أنه تقدم إلى وزارة الأوقاف قبل وفاته بأربعة آلاف جنيه لإقامة مسجد بالمنصورة في حي فقير من المساجد، وقد تريت الوزارة في التنفيذ لسبب ما. وبعد ذلك نشط الدكتور محمد إلى تنفيذ ما كان والده حريصاً على تنفيذه، وقد استجابت وزارة الأوقاف لدعوته وآزرتة مؤازرة مشكورة، وها هو ذا المسجد يشاد اليوم على أحسن ما يرجو المصلحون.

هذه إحدى الذكريات الطيبات للرحوم الحاج عبد الجبار ، وقد ورث عنه أبناؤه هذه التزعة وزادوا عليها .

ويتضح ذلك فيما يبذله الدكتور الشاب من مروعات أدبية مع أسر العلماء ومع الطلاب ، ومع سوام من فقراء المنصورة ، فهو كطبيب يقدم للإنسانية خدمات مشكورة في جمالة هؤلاء ، عن طيب خاطر ، وتسام رضا وتعفف ، كما يجامل الإنسانية كثيراً على حساب ماله الخاصة .

وقد حضرت له موقفاً كريماً يشهد بصدق ما سمعته بعد انصرافه عنا ، وهو أنه أحس بحاجة المعهد إلى أجهزة تليفونية تصل بين أجنحة المعهد المتراصة ، ويمكن لشيخ المعهد أن يتصل بكل ناحية فيه حيث يكون جالساً أو مشغولاً .

والدكتور يعلم أن الروتين الحكومي قد لا يطاوع الرغبة ، أو لا ينجز هذه الحاجة مع ضرورتها لمصلحة العلم والدراسة والنظام بالمعهد ، فلم يسعه إزاء هذا إلا أن يتقدم إلى المعهد بما يحتاجه على حسابه الخاص كهدية يجامل بها العلم ، ويتقرب بها إلى الله .

ومثل آخر : أن السيدة شقيقة الدكتور وحرم السيد محمود الشناوى كانت في العام الماضي بمصيفها برأس البر ، وفي يوم جمعة لحظت أن بعض الحريصين على صلاة الجمعة لم تسعفهم المواصلات لإدراك الصلاة في مكانها البعيد عن مجتمع المصطافين . فأثار استياؤها لذلك شعوراً كريماً لديها ، وحفزها على القيام لقورها بالشروع في بناء مسجد لائق بالطبقات الكريمة التي تقصد إلى هذا المصيف .

وكم تردد على هذه الجبهة من شخصيات ومن أسر ، ولكن شعور الخير لم يبلغ من أحدم ما بلغه من السيدة أخت الدكتور وعقيلة السيد محمود الشناوى . ولئن كان هذا عملاً جريلاً فليس كثيراً على سيدة من بيونات المجد والمروءة والتقوى ، وجزاؤها على هذا ونحوه عند من لا يضع أجر من أحسن عملاً .

ولعلها تكون قدوة لرجال ونساء يتفقون أموالهم وحياتهم وجهودهم في غير هذا

عبد اللطيف السبكي
عضو جماعة كبار العلماء

السيد
عبد الرحمن العسري
١٩٧٨
٢٧ أكتوبر

الكتاب

تفسير الطبري

الجزء الثاني بتحقيق الأستاذ محمود محمد شاكر — ٦١٥ ص — دار المعارف بمصر

فنا قبل شهرين بالتعريف بالجزء الأول من هذا الكتاب النفيس الذي يعد في الذروة العليا من تراث الاسلام . وقد ابتهجنا بعد ذلك بالنشاط المحمود في طبع الكتاب عندما وصل إلينا الجزء الثاني منه ، وفيه من مظاهر العناية والتحقيق والخدمة العلمية الممتازة كل ما وصفنا به الجزء الأول . قال الأستاذ محمود شاكر : وقد فاتني أن أذكر في مقدمة الجزء الأول أني وضعت على هامش هذه الطبعة من التفسير ما يقابلها من مطبوعة بولاق . فأثبت الجزء والصفحة معاً لطول ما تداول الناس مطبوعة بولاق ، ولكثرة الإشارة إليها في المكتب . وحرصت أيضاً كل الحرص على أن أثبت في التعليق كل ما أحال عليه الطبري من سالف كلامه حتى يسهل على الباحث والقارئ أن يتابع ما قاله أبو جعفر ، فلا يسقط عليه شيء من معانيه . فإن الكتاب بطول ، وأبو جعفر يختصر ، والإحالة تكثر ، ومن الصعب أن يستدل قارئ كتابه على المواضع التي يحيل عليها .

وفي هذا الجزء الثاني من جامع البيان تفسر الجزء الثاني من كتاب الله أي من الآية ٤٣ من سورة البقرة إلى الآية ١٢٣ . وفيه - من الآثار التي أشرف العلامة الشيخ أحمد شاكر على النظر في أسانيدھا وتكلم عن بعض رجالها حيث يتطلب التحقيق ذلك - من الآثار رقم ٤٨٠ إلى الآثار رقم ٩٠٦ ، مع تخریج جميع أحاديث رسول الله ﷺ على ما شرط على نفسه في الجزء الأول .

وازدان آخر هذا الجزء بمثل ما ازدان به سابقه من الفهارس التي هي كالل دليل والترجمان لمدينة العلم ، وإن فهرس مباحث العربية والنحو يساوي وحده كتاباً في باب لا يعدله غيره . والحق أن تفسير الطبري بعث بالحياة بعثاً جديداً لم يرزق مثله لافى عصور الكتابة والنسخ ولا بعد أن نعمنا بنعمة الطباعة ، فليس لنا إلا الدعاء بأن يمن الله بتمامه .

الأعلام الشرقية في المائة الرابعة عشرة الهجرية

للسيد محمد زكى مجاهد - ٣ أجزاء - ٥٥٠ ص - دار الطباعة المصرية ومطبعة حجازى بمصر

كان في المكتبة العربية فراغ لكتاب يحتاج اليه الناس في معرفة الخطوط الرئيسية لحياة الذين توفاهم الله في هذا القرن الرابع عشر الهجرى من أعلام العرب والشرقيين المعاصرين ، فانصرف مؤلف هذا الكتاب لملء هذا الفراغ بمراقبة الصحف والمجلات والكتب التى ترجمت لكل من انتقل إلى الدار الآخرة بين سق ١٣٠١ و ١٣٦٥هـ ، وتحدثت عن حياتهم ، فلتخص ذلك وجمعه في كتاب قسمه ١٦ قسما تستوعبها خمسة أجزاء صدر منها حتى الآن ثلاثة : في الجزء الاول القسم الاول وهم الذين توفوا خلال هذه المدة من الملوك والأمراء وعددهم ٦٠ ، والقسم الثانى وهم المتوفون فيها من الوزراء والسفراء وعددهم ١١٧ ، والقسم الثالث لزعماء الحركة القومية وعددهم ٣٨ . وهذا الجزء الاول في ١٩٠ صفحة .

وفي الجزء الثانى تراجم القسم الرابع وهم أعلام الجيش والبحرية ، وعددهم ١١٨ ، والقسم الخامس وهم علماء الإسلام في مصر والإقطار العربية الشقيقة والإسلامية وعددهم ١٨٣ . وعدد صفحات هذا الجزء ١٩٨ .

وفي الجزء الثالث القسم السادس للفضاء والمحامين ويحتوى على ١٤٦ ترجمة ، يليه القسم السابع لتراجم المنقبين إلى الطرق الصوفية وعددهم ٥٤ ، فالقسم الثامن لوفيات المشهورين من أبناء النحل غير الإسلامية وعددهم ٥٨ . وهذا الجزء في ١٦٧ صفحة .

وبقى لتسام الكتاب جزءان سيتضمنان تراجم من مات في هذه المدة من الأدباء والمؤرخين ، ورجال الصحافة ، والأطباء ، ورجال المال والأعمال ، وشهيرات النساء .

والنزم المؤلف أن لا يكون له رأى أو ملاحظة في التراجم التى يثبتها ، بل ينقل الخطوط الرئيسية من حياة كل من ترجم له ، ويختتم الترجمة بذكر المصدر الذى أخذها عنه .

وكنا نتمنى لو عنى بالتصحيح المطبعى أو وكله إلى من يجيده من خارج المطبعة ، فقد وقع في الكتاب ولا سيما في جزئه الثالث من التعريف ما كان يحسن أن ينزه عنه .

رحلة إلى السودان

للاستاذ محمد شاهين حمزة - ٢٣١ ص - مطبعة الرغائب

ذهب النائب السابق الأستاذ محمد شاهين حمزة - صاحب مجلة الرابطة الإسلامية - إلى السودان في العام الماضي ليقوم بدراسة استعراضية لهذا القطر الشقيق باعتبار أنه الوطن الثاني للمصري ، بل باعتبار أن المصريين سودانيون بيض وأن السودانيين مصريون سمر ، وكتب في ذلك كتاب رحلة أطلق فيه القلم لكل ما لاحظته في تلك الديار من قديمها إلى حديثها ، ومما لاحظته أن المصري يحب السوداني وكفى ، لكن حب السوداني للمصري لا يقف عند حد الحب ، إنه يعنى بمصر ويلم بمختلف شئونها إلماماً واسعاً ، ويتغلغل فيها تغلغل صاحب الشأن الأول . واخترنا من الكتاب هذه الملاحظة ، لانتا نرى هذا الكتاب وأمثاله إذا ازداد انتشاراً في مصر يزيد في معلومات القراء عن السودان ، فيكون ذلك علاجاً لهذه الناحية من الضعف التي كثر التحدث عنها في البلاد الشقيقة ، فإنا من قطر عربي أو إسلامي إلا ويعرف شبايه عن مصر ما لا يعرف مثله في مصر عن تلك الاقطار . فهذه الرحلة إلى السودان تسد بعض هذا الفراغ وتجعل محبة المصري للسودان غير مقصورة على الحب وكفى ، بل تمتداهما إلى مثل محبة السوداني لمصر بما ينشأ عنها من عناية وإلمام بأحوال القطر الشقيق وروابط أهل شمال النيل بأهل جنوبه ، فيزداد التعاون بين البلدين على المصالح المشتركة والأهداف المتحدة .

السجل الثقافي - لسنة ١٩٥٢

أهدت إلينا إدارة التسجيل الثقافي بوزارة التربية والتعليم نشرتها الخامسة لسنة ١٩٥٢ عن حركة الثقافة في مصر ممثلة فيما يصدر عن المطابع ودور النشر من الكتب المؤلفة والمترجمة وكتب السلاسل ، وفي الرسائل الجامعية ، ودور الكتب العامة ومكتبات الهيئات الحكومية والهيئات الحرة ، وفي الصحف والمجلات ، والبحوث والمحاضرات والإذاعة ، والهيئات الثقافية والعلمية والفنية ، والمؤتمرات ، والتعاون الثقافي ، والمهرجانات والمسابقات ، والمتاحف والحفائر والمعارض ، وأخيراً في المسرح والسينما . وقد جاء هذا المجلد الخامس من السجل الثقافي في قريب من ٧٥٥ صفحة من القطع الكامل .

الأدب والعلوم

الدراسات الاجتماعية

في الأزهر

وقد أرادت وزارة الأوقاف أن تجدد نشاط المساجد في المطالعة فعممت على إنشاء مكتبة في كل مسجد تحوى عدداً من الكتب الإسلامية والثقافية والاجتماعية التي تيسر المعرفة للشباب في الريف خلال فترة الصيف وتكون مرجعاً للمسائل الدينية المهمة ، وقد اعتمدت الوزارة لتنفيذ هذا المشروع خمسة آلاف جنيه مبدئياً .

أعدت الإدارة العامة للأزهر البرامج الخاصة بالدارسين الاجتماعيين الذين ألحقوا بمعهد الدراسات الاجتماعية خلال هذا العام من طلبة الأقسام العالية بالكلية الأزهرية للانتفاع بخبرتهم الدينية والاجتماعية في الهيئات الريفية خلال إجازة الصيف .

مكتباته

في طرابلس الغرب وبنغازي

قررت وزارة التربية والتعليم المصرية توثيق روابط العروبة والإسلام بين مصر وليبيا بإقامة مكتبتين مصريتين إحداهما في مدينة طرابلس الغرب ، والأخرى في مدينة بنغازي ، ووصدت لذلك اعتماداً بمبلغ خمسة عشر ألف جنيه ، وأوفدت مدير المكتبات المدرسية في الوزارة إلى ليبيا ، فقام بمائة المكتبتين ووضع التصميم الداخلي والخارجي لهما ، وينتظر أن يتم افتتاحهما خلال هذا الصيف ، وسيكون فيهما - مبدئياً - أربعون ألف كتاب .

وقد روعي في اختيار هؤلاء الدارسين التمكن من العلوم الدينية مع تلقى دراسات اجتماعية على طائفة من الاختصاصيين طوال العام ، وذلك لإمكان حل مشكلات الأهالي في الريف ، وتوجيه الناس إلى الصالح العام على ضوء التطبيق العملي للدين .

مكتبة المسجدين

كانت المساجد الإسلامية إلى عهد قريب جداً تؤدي مهمات ثلاثاً : فهي مسجد للعبادة ، ومدرسة للدروس العلمية للكتاب ليلاً إن لم تكن للصغار أيضاً نهاراً ، ومكتبة .

المكتبات المدرسية

أدرجت وزارة التربية والتعليم في مشروع ميزانيتها الجديدة تسعين ألف جنيه للمكتبات المدرسية حتى تتمكن من البدء في تزويدها بما تحتاج إليه من أثاث وكتب .

واقترحت اللجنة التي بحثت موضوع المكتبات المدرسية تنظيم مسابقة لتأليف كتاب عن المكتبة . كما اقترحت أن يؤخذ النشاط المكتبي في الاعتبار عند التفتيش على المدارس .

ويفتظر أن يحصل رسم للمكتبات المدرسية ابتداء من العام الدراسي المقبل .

العربية في مدارس السودان

كان من خطط الاستعمار فرض اللغة الانجليزية على مدارس السودان في تعليم العلوم ، ولما تولت الايدي السودانية مباشرة الإدارة في القطر الشقيق أوصت لجنة دولية بأن يكون تدريس العلوم في المدارس السودانية بلغة البلاد (العربية) ، وقد تألفت في وزارة المعارف السودانية لجنة لبحث هذا الامر ، وستنظر اللجنة فيما إذا كان من الاصلح تأليف كتب جديدة باللغة العربية للمدارس الثانوية أو الاكتفاء بالكتب التي تدرس في البلاد العربية .

جغرافية السماء

تمكن علماء الفلك في كليفورنيا من الاستعانة بآلات التصوير التلسكوبية في تصوير السماء وما فيها من كواكب ونجوم فالتقطوا حوالي ١٢٤٦ صورة حجم كل منها ١٧ X ١٧ بوصة ثم جمعوا تلك الصور جنباً إلى جنب وكونوا منها أول خريطة جغرافية دقيقة للسماء . وقد أمكن الآن تصوير شهب وكواكب بآلات التصوير التلسكوبية يقدر علماء الفلك أنها تبعد عن الارض مائتي مليون سنة ضوئية . وقد بدأ النقاط هذه الصور من سنة ١٩٤٧ من الرصد القائم فوق قمة جبل هاملتون ، وستستمر الابحاث نحو ٣٠ أو ٤٠ سنة أخرى ، ويفتظر أن يصبح في الامكان وضع أول خريطة جغرافية كاملة للسماء في نطاق ما تسمح به آلات التصوير التلسكوبية في مستواها الحاضر .

معلم

لا موسوعة ،

« الانسكلويديا ، عنوان باللغات الافرنجية للرجع العلى العام إما في جميع العلوم أو في نوع منها قرب المواد فيه على حروف الهجاء كالمعجم . وأول من ألف فيه بالعربية حديثاً آل البستاني فترجموا هذا اللفظ بعنوان

دائرة المعارف باسم «مُعَلِّمة» ، لأنه أصح وأرشق وأدل على المراد منه ، وحبذا لو اصطلحت دور الكتب في فهرسها ومكتباتها الرسمية على استعمال هذا اللفظ ، بل ان قسم دوائر المعارف في المكتبة النيمورية أخضع فيه هذه التسمية «قسم المعالم» على وزن «المعاجم» ، فأى ما نفع يمنع من تعميم ذلك وإشاعته ؟ .

معلومة زراعية

اقترح معهد البحوث القومى على مجلس الإنتاج القومى منح جمعية خريجي المعاهد الزراعية مبلغ خمسة آلاف جنيه لوضع «مُعَلِّمة» (دائرة معارف) زراعية لتكون مرجعاً في كل شأن من شئون الزراعة في علومها ومادتها وأدواتها .

وحبذا لو تيسرت أسباب تأليف معلمة فقهية ، ومعلمة طبية ، ومعلمة هندسية . الخ فإن ذلك يكون توطئة وتمهيداً لتأليف المعلمة العربية الكبرى في جميع العلوم ، وهى الامنية التى تأخرنا فى تحقيقها ، ولا سبيل إلى إتمامها إلا إذا قدمتها أمثال هذه المعالم فى مختلف فروع المعارف العربية والإسلامية والإنسانية .

«دائرة المعارف» ، وتبعهم فى ذلك الأستاذ فريد وجدى ، وكذلك فعلت اللجنة الجامعية التى تترجم كتاب المستشرقين فى الاعلام والمذاهب والشئون الإسلامية فسموه «دائرة المعارف الإسلامية» .

والعلامة طاشكبرى زاده كتاب من هذا القبيل فى مختلف العلوم سماه (موضوعات العلوم) ، ولما كانت إحدى مكتبات القسطنطينية تدون فهرساً لمحتوياتها أملى أحد موظفيها اسم هذا الكتاب على أحد السكتية بلفظ (موضوعات العلوم) لأن الاعاجم يلفظون الضاد بقرب من لفظ الظاء ، فسمع الكاتب الظاء سينا فكتب اسم الكتاب (موسوعات العلوم) وسمع الشيخ إبراهيم اليازجى صاحب مجلة الضياء باسم هذا الكتاب وموضوعه غفل إليه أن كلمة «موسوعات» تؤدى معنى «دائرة المعارف» ، فأعلن ذلك فى مجلته ، وأخذ به أحد زكى باشا وغيره ، فشاعت كلمة «موسوعة» ، و «موسوعات» ، لهذا النوع من الكتب ، وهى تسمية مبنية على الخطأ كما رأيت .

وكان العلامة أحمد تيمور باشا والاب أنستاس الكرملى وغيرهما يرون تسمية

انباء العالم الاسلامي

لوتجردت حرب فلسطين

حضر إلى مصر الجنرال بيرز كبير المراقبين الدوليين في فلسطين ، واجتمع بالرئيس جمال عبد الناصر ليقول له : إن الحالة في غزة أصبحت خطيرة ، ويخشى أن يقوم اليهود بمحاولة للاستيلاء على القطاع ، فرد عليه الرئيس بقوله :

« أحب أن أعرف موقفك من الآن . إن هذا إذا حدث فإن معناه الحرب . وإذا بدأت الحرب في هذه المرة لن تكون كحرب سنة ١٩٤٨ ، لأن في هذه المرة لن أقف مكتوف اليدين ، ولن تستطيع أية قوة أن تهد من حربي في التصرف ، ولن أسمع لجيش مصر بأن يقع في أحاييل قرارات هدنة أو وقف قتال تصدر من نيويورك و قطاع من ناحية واحدة فقط .

إلى هيئة الأمم بشكل حديث قال فيه : إن الحالة في قطاع غزة أشبه بصندوق البارود ، وقد يتفجر هذا الصندوق في أي وقت ، فتنتشر منه حرب عامة بين العالم العربي وإسرائيل . والطريقة الوحيدة لتجنب أي اشتباك قد يؤدي إلى اندلاع نيران الحرب في الشرق الأوسط هي أن تقبل إسرائيل بسرعة الاقتراح المصري الخاص بإنشاء منطقة منزوعة السلاح على جانبي خط الهدنة . إن حوادث الحدود يتكرر وقوعها يوماً تقريباً منذ أن وقع حادث غزة في أواخر فبراير الماضي . ولقد سبق أن أُنذرت إسرائيل بأن أي هجوم منها مثل ذلك الهجوم سيكون معناه نشوب الحرب . فالحالة حرجة للغاية وخطيرة .

الجهود عن مصر

في مرحلته الثالثة

انتهت في الأيام الأخيرة للمرحلة الثانية من المراحل الخمس لجلاء القوات البريطانية عن منطقة قناة السويس تنفيذاً لاتفاقية الجلاء ، وقد جلا حتى الآن ٣٤٥٠٠ جندي بريطاني بزيادة قدرها ٤٠٠٠ عن النسبة المقررة في الاتفاقية . وفي مثل هذه الأيام

صندوق بارود في غزة

تحتفل الأمم المتحدة بعد بضعة أيام بالذكرى العاشرة لإنشائها فتعقد لذلك اجتماعات مهمة في مدينة سان فرانسيسكو . وقد وجه الرئيس جمال عبد الناصر - عن طريق ولیم راندلف هيرست - الصحفي والناشر الأمريكي - نداء

آرام في ذلك كما يشامون ، وصدر أمر عسكري برفع الرقابة على الصحف في هذا الموضوع بالذات .

الرقابة على الصحف

أصدر الرئيس جمال عبد الناصر أمراً عسكرياً بإضافة فقرة جديدة إلى الأمر رقم ٣٩ المعدل بالأمريين ٥٢ و ٩١ بشأن الرقابة وهذا نصه : « لا يجوز أن تفرض الرقابة طبقاً للفقرة السابقة على أية صحيفة بالنسبة لكل ما يتعلق بنظام الحكم بعد فترة الانتقال » .

توزيع مياه النيل

أمضى السيد اسماعيل الأزهرى رئيس وزراء السودان وبعض زملائه الأيام الأخيرة من رمضان في مصر ، وجرى مباحثات مصرية - سودانية لتوزيع مياه النيل ، وقد تم الاتفاق بين مصر والسودان حول الأسس التي سيتم بها توزيع مياه النيل بين البلدين ، وقال الصاغ صلاح سالم : إن ذلك الاتفاق يعتبر مرضياً للطرفين ، وإن الأرقام والتفصيلات الفنية قد تمكنت لتكون موضع دراسة الفنيين في اجتماع يعقد في الخرطوم . وإن هذه المباحثات قد أزالَت الغيوم التي تلبدت في جو العلاقات المصرية السودانية في الأشهر القليلة الماضية .

من العام القادم يكون قد تم الجلاء إن شاء الله بمراحله الخمس فلا يبقى على الأرض المصرية جندي واحد من جنود الاحتلال الذي قضت عليه اتفاقية الجلاء .

نظام الحكم

خطب الرئيس جمال عبد الناصر في مأدبة الإفطار التي أقامها ضباط القوات المصرية المسلحة لتكريمه في نادى الضباط بالزمالك ، وقد اشترك في الإصغاء إلى هذه الخطبة نحو ثلاثة آلاف ضابط ، وقد أعلن فيها الأهداف الستة التي قامت الثورة لتحقيقها ، وهي :

- ١ - القضاء على الاستعمار وأعوانه .
- ٢ - القضاء على الاقطاع .
- ٣ - القضاء على الاحتكار وسيطرة رأس المال على الحكم .
- ٤ - إقامة ديمقراطية شاملة .
- ٥ - إنشاء جيش وطنى قوى .
- ٦ - إقامة حياة ديمقراطية سليمة .

وأعلن أنه في بداية العام القادم (١٩٥٦) سيقوم في مصر برلمان شعبى قومى يعمل للوطن والأغلبية ، ولا يعمل لرأس المال أو الاقطاع أو تحت ضغط أية قوة خارجية ، شرقية كانت أو غربية .

وأطلقت حرية القول والنشر في الصحف في موضوع نظام الحكم ليبدى أهل الرأى

موظفو الحكومة المصرية

يقدر عدد موظفي الحكومة المصرية الآن بأربعمائة ألف موظف تقريباً ، وهم يتقاضون سنوياً ما يقرب من ٩٨ مليون جنيه ، ويعنى ديوان الموظفين - بالاشتراك مع مصلحة الإحصاء والتعداد - بإخراج أول إحصائية دقيقة عن عدد موظفي الحكومة المصرية ومستخدميها وعملها ، وينظر أن يتم ذلك بين أكتوبر ونوفبر من هذه السنة .

منجم نحاس في سيناء

أسفرت أعمال الكشف عن الثروات المعدنية في شبه جزيرة سيناء عن اكتشاف منجم للنحاس بمنطقة الرقطة . وتمتد عروق النحاس في هذا المنجم من منطقة خليج السويس إلى خليج العقبة . وقد سبق لقدماء المصريين أن عملوا في أجزاء من هذا المنجم الضخم ، وسيقوم بعض الخبراء الفنيين في مصلحة المناجم والمحاجر - مع بعض خبراء النقطة الرابعة - بأبحاث جيولوجية لمعرفة القيمة الاقتصادية لهذا المنجم .

مهزلة الجزائر

بدأت الدوائر المسئولة في فرنسا تستعد لحرب طويلة الأمد في شمال إفريقيا كالحرب التي استمرت سبع سنوات في الهند الصينية

وانتهت بكارثة (دين بين فو) . وتلاحظ هذه الدوائر أن الحرب في الهند الصينية بدأت بنفس الطريقة التي تدور بها المعارك في الجزائر والمغرب الأقصى ، وهذا مما دعا رئيس وزراء فرنسا إلى المبادرة بإرسال أكبر عدد ممكن من القوات الفرنسية إلى الجزائر للقضاء - برغمه - على حركة الجهاد في أقرب وقت . وقد أعلن وزير الداخلية الفرنسي أن عدد القوات التي ترابط الآن في الجزائر يبلغ ١٤ ألف جندي بكامل معداتهم ، هذا غير عشرة الآلاف من الاحتياطي الذين يقيمون في الجزائر وقد استدعتهم الحكومة إلى حمل السلاح فوراً ، ومن ناحية أخرى بدأت وزارة الدفاع الفرنسية بسحب ٥٠ ألف جندي من قواتها التي ترابط في الهند الصينية ، وتسحب منهم فرنسا عشرة آلاف جندي في كل أسبوع وتوجههم فوراً إلى الجزائر وتم هذه العملية في سرية تامة .

الحكم الذاتي لتونس

تم في باريس التوقيع بالاحرف الأولى على الاتفاق الجديد بين فرنسا وتونس ، وهو يكفل لتونس الحكم الذاتي بواسطة جمعية وطنية ، على أن تبقى شئون الدفاع والخارجية فيها بيد فرنسا ، كما تقرر أن العربية وحدها هي اللغة الرسمية لتونس ، وأن تضم المجالس البلدية أعضاء فرنسيين بموافقة الباي

البريطانية في الشهر الماضي على بعض القرى في إحدى سلطنات غرب عدن دمرت قرية وخمس مجموعات من الأكواخ وقلعتين انتقاما منهم لأنهم رفضوا دفع الغرامة التي قضى عليهم بها حاكم عدن . قال : وإن هذه أنجع وسيلة وأكثرها (إنسانية) لمعاقبة سكان القرى الذين يرفضون دفع الغرامات المشتركة وإن هذه العقوبة تطبق على عمية عدن منذ سنين عديدة .

ولا ندرى لماذا يسمون منطقة عدن (عمية) إذا كانت غير عمية من بني المتمدنين الذين يتبعون بهذا الإجراء حتى في مجلس لورداتهم .

ويقول وكيل وزارة المستعمرات إن أهالي القرى التي بني عليها أهل البنى بقاذفات قنابلهم كانوا قد انسحبوا من بيوتهم لما جاءهم النذير بهذا العدوان فافتصر العدوان على خراب بيوتهم ، وسلبت أجسادهم ، كما يدعي وكيل وزارة المستعمرات .

مهاج مصر

بلغ عدد الذين سددوا رسوم الحج من المهاج المصريين بالبوآخر ٣١٥٤٧ حاجا وبالطائرات ١٠٢٧ حاجا ، بزيادة ١٢٠٧٤ حاجا عن العام الماضي .

وينقل اختصاص المحاكم الفرنسية إلى المحاكم الوطنية في مدى عشرين عاما تتولى الفصل خلالها في القضايا التي بين فرنسيين وتونسيين محاكم مختلطة ، وتتولى الحكومة التونسية الإشراف على البوایس إلا في المدن الكبرى ومناطق الحدود وقاعدة بنزرت البحرية ومدينة فبريل .

الانجليز في عمان

زحفت القوات البريطانية في مسقط على منطقة الفهود في طرف إمارة الإباضيين في عمان وركزوا فيها أعمالهم ونشروا فيها خبراتهم للبحث عن البترول بدهوى أن السلطان تيمور سلطان مسقط السابق منح إحدى الشركات الانجليزية امتيازاً بالتنقيب عن البترول والغاز الطبيعي وغيرهما من المنتجات . ومع أن سلطان مسقط لا يملك منح امتيازات في منطقة عمان فإن الامتياز المزعوم محدد بمدة انتهت ، فلاحجة للانجليز في عملهم إلا حجة القوة ومنطق الاستعمار .

الاعتماد على العرب في أوطانهم

وضربهم بالقنابل عمل إنساني ! قال اللورد لويد وكيل وزارة المستعمرات البريطانية في تصريح ألقاه في مجلس اللوردات : إن الغارة التي قامت بها قاذفات القنابل

التوسع الزراعى

فى المملكة العربية السعودية

تعتمد الزراعة فى المملكة السعودية على آلات الرى وعلى الآبار الارتوازية ، وقد بلغ عدد ما استوردته واستعملته إلى الآن من آلات الرى نحو عشرة آلاف آلة . ويوجد لدى الحكومة فى الوقت الحاضر ١٦ آلة لحفر الآبار الارتوازية وستستورد ست آلات أخرى من النوع الكبير ، وقامت خلال ١٤ شهرأ بحفر ١٤٨ بئراً ارتوازية تجمع منها ١٠٨ آبار تعطى قدراً كافياً من المياه العذبة .

وتقوم الحكومة السعودية الآن بإنشاء السدود للاستفادة من تخزين مياه الأمطار والسيول ، وقامت شركة سعودية بإصلاح سد المدينة ، وأتمت وزارة الزراعة السعودية دراسة سدود منطقة جيزان بالاشتراك مع هيئة الأغذية والزراعة وسيبدأ تنفيذ المشروع قريباً . وقامت وزارة الزراعة بتنفيذ سد عكرمة بمنطقة الطائف ، وتدرس الآن إقامة سد فى وادى حنيفة وسدود أخرى فى الرياض .

ويقول الأمير سلطان بن عبد العزيز - وزير الزراعة السعودية - فى زيارته الأخيرة لمصر : إن الأراضي القابلة للزراعة فى المملكة تقدر بنحو ثلث المساحة الكلية إذا توافرت

لها المياه ، ويدرسون مشروعاً لتشجير وزراعة الأراضي الواقعة على الطريق بين الحرمين . وقد أنشأت الحكومة مصنعين لتعبئة التور على أحدث الطرق أحدهما فى المدينة والآخر فى الأحساء ، واستوردت من مصر والبلاد العربية الأخرى ٤٠ ألف شتلة من الموالح وأنواع الفواكه الأخرى والخضر . وبدأت المملكة السعودية تنق بترية الخيران وأنشأت بمض محطات لتربية الدواجن إلى غير ذلك مما لم يكن لهذه البلاد عهد بمثله من قبل .

مرافق النظافة فى الحج

كانت الحكومة المصرية قد تقدمت إلى الحكومة السعودية بمشروع يكفل إنشاء مرافق الطهارة فى مجامع الحج ، وذلك بإقامة مفاصل وأماكن وضوء ومراحيض فى الأماكن التى يزدهم فيها الحجاج بمكة ومنى وجبل عرفات والمدينة ، وقد ردت نفقات ذلك بمبلغ ٢٧٠ ألف جنيه ، وكانت الحكومة المصرية ترغب فى أن يكون ذلك تبرعاً منها للأراضى الطاهرة . فلما عرض المشروع على جلالة الملك سعود استحسنه وأمر بتنفيذه فوراً على حساب الحكومة السعودية وحدها مكثفياً من الحكومة المصرية بالمساهمة فى رسوم التصميمات والمعاونة ببعض المهندسين الذين يشرفون على التنفيذ .

ما بين الصفا والمروة

عزمت الحكومة السعودية على توسيع السعي لحجاج بيت الله الحرام فيما بين الصفا والمروة بإغلاق جميع الدكاكين المتصلة بهذا الطريق أثناء الموسم القادم ، حتى إذا انتهى الموسم شرعت في هدم هذه الدكاكين والمباني القائمة حول الحرم المكي .

أمريكا والحلف العربي

دلت الاتجاهات الأخيرة على أن الولايات المتحدة الأمريكية أخذت تتراجع عن الاستمرار في تنفيذ سياستها في الشرق الأوسط لإقامة منظمة للدفاع عن مصالحها بعد أن فشلت سياستها في الضغط على بعض الدول العربية للانضمام إلى حلف تركيا - العراق ، وهو الحلف الذي كانت أمريكا تعزم الانضمام إليه . ويقال إن الحكومة الأمريكية أرسلت إلى سفيرها في سوريا تعليمات بوقف المحاولات التي كان يبذلها لضم سوريا إلى حزام الدفاع الشمالي . وفي أخبار واشنطن أن أمريكا رفضت عقد حلف دفاعي مع إسرائيل ، وقيل إنها أخذت تنهج إلى توثيق التعاون مع الحكومة المصرية وتأييد الحلف العربي الجديد الذي يضم مصر وسوريا والمملكة العربية السعودية واليمن بعد أن أيقنت أن ذلك أكفل لمصلحة الغرب .

تليفون الحجاز

مصر - سوريا

افتتح يوم آخر جمعة في شوال أول خط تليفوني بين مصر والمملكة العربية السعودية وجرى أول حديث تليفوني فيه بين الملك سعود في قصر الحوية بالطائف والرئيس جمال عبد الناصر في القاهرة ، واستغرق الحديث ربع ساعة . وفي اليوم التالي تحدث الملك سعود مع رئيس جمهورية سوريا ورئيس وزرائها في دمشق .

تحریم الخمر بالهند

ينص دستور الهند على تحريم الخمر في جميع أنحاء تلك البلاد ، وكانت سياسة الدولة ترمي إلى تطبيق هذا المبدأ بالتدرج ، فكان العمل به جاريا منذ عدة أعوام في بومباي ومدراس وبعض الولايات الأخرى . وقرر الآن تطبيقه في ولاية دهل عاصمة البلاد ابتداء من يوم ذكرى مولد غاندى (٣ يونيه) فيمنع تعاطي المشروبات الروحية في المساهي ، والمقاهي ، والأندية ، وسائر المجال العامة . باستثناء الفنادق الكبرى التي يقيم فيها الأجانب ويستثنى من أحكام هذا القرار الدبلوماسيون والأجانب والذين تقضى لهم الضرورة الطيبة . وبعد ثلاثة أعوام سيكون المنع من تعاطي الخمر منعاً شاملاً .

فهرس

المجلد السادس والعشرين

(لسنة ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م)

(١)

إجلاء يهود بني النضير تطبيق لمبدأ الوفاة الحرة ٥٩٥

الأحداث ودخولهم دور للسبنا ٦٢

إحسان التمر : كنوز النقب وموقعه ٦٥٠ ، منبر

للمسجد الأقصى رمز الفتوح ٩١٠

أحكام الاسلام ومبادئه باللغات الحية ٨٢٥

أحكام الصيام في المناطق الفطمية وما يقرب منها

١٠٠٢

أحمد داغش : التأنيث وهل هو حلال في جميع

سوره ٢٧٣

أحمد الشرباصي : لوحة ٨٩ ، الرجولية في القرآن

٧٠٧ ، ٣٠٢ ، الفة والكثرة في القرآن

٤٣٣ ، حديث القرآن عن التطير ٥٠٥ ،

النصرة في القرآن ٥٨٦ ، عمر بن عبد العزيز

بين الجود والاقتصاد ٦٦٩ ، ٧٥٥ ، نظرات

في كتاب « المصلحة في التشريع الاسلامي »

٨٤٩ ، كلنا مكفوفون ٩٧٦ ، في ميدان

النقد ١٠٩٦

أحمد طه السنوسي : مشكلة إجرام الأحداث ٢٩٠ ،

مظاهر الهدم في الأنلام المصرية ٤٤٢ ، ٥١٧ ،

مشكلة التشرد والأوضاع الاجتماعية ٥٧٠ ،

مشكلة الهجرة والاتجاهات الاجتماعية ٧٥٠

مشكلة أوقات الفراغ ٩٦٦

أحمد محرم : ديوان مجد الاسلام ٢٧٧

الاختلاط ١٠٥٥

الاختلاط في التعليم ٩٢١

اختيار المسلمين للناخ لمستشفياتهم ٣٥

أخلاقيات الرف ١٠٤

إدانة إسرائيل في بنها على غزة ٩٤٣

أدركوا الأسرة ٨٦٩

الآثار الاسلامية : إيمانها في دار الكتب المصرية ٥٧

آخر مراحل الأشعري ٣١

الآفة العظمى لهذه الأمة ٨٠٥

الآلام ٩٦٢

الاباحيون من كتاب اليوم ٧٠٤

أباطيل العمل ، وكواذب الامل ١٠٦٤

ابراهيم بن آدم ٩٧٩

ابن حزم (كتاب) ٨٢٣

أبو بكر الصديق : بعض كلماته ٢٨

أبو بكر مصطفى بن رحون : من إلهام ذكرى

المولد ٣١١

أبو سلمة وأم سلمة ١٥٨ ، ٢٣

أبو هريرة مريد أهل الصفة ٤٥ ، ١٤٨

أبو الوفا الرازي : طام جديد ١٩ ، إنصاف الرجال

لرجال ١٤٤ ، خيانة الله أو خيانة الصديق

٢٧٠ ، الاستدراك للتضيق على الجامع الصغير

٣٦٦ ، محنة الأدباء بمد محنة الأدب ٤٩٥ ،

نذر من الغرب ٦٧٤ ، للمساعد لابن عقيل

٧٣٦ ، أدركوا الأسرة ٨٦٩ ، شرح

للطرزي على مقامات الحريري ١٠٠٦ ،

الازهر في ميدان جديد : غبطة وتقدير ١٠٧٣

أما تورك : أستاذة في الخروج على الاسلام ٥٧

الاتحاد العلمي العربي ١٢٤

اتفاقيات الجلاء من مصر ٥٩ ، ٣٤٦

اتقن شر من أحسنت إليه ليس حديثا نبويا ٦٠٢

آثر الصحافة والسينما في توجيه المجتمع ٦٠٩

الاجتهاد والتقليد ١١٩٠

- الأزهر : والصحافة ٤٣ ، ١٥٢ ، ٢٩٨ ، ٨٠٩ ، خريجوه في مدارس الدولة ٥٦ ، رسالته في العهد الجديد ١٢٢ ، ١٠٣٨ ، في المدن المصرية ١٢٣ ، تبرعات حاكم قطر لطلبة الأزهر ١٨٩ ، مناهج الدراسة فيه ٢٥٣ ، احتفاله بالجلال (قبل ص ٢٥٧) مناهج التاريخ فيه ٤١٠ ، مناهج التربية الوطنية فيه ٤١١ ، السودانيون فيه ٤١١ ، إشرافه على مدروس تحفيظ القرآن ٤٧٤ ، كفته في افتتاح معهد بها ٥١١ ، في جنوب السودان ٤٧٦ ، ٥٤٢ ، بشته إلى قنا في نكبة النيل ٥٤٤ ، إعداد شبابه لقيادة المجتمع ٧٧١ ، وتعليم المرأة ٧٩٦ ، كادر كليته ٨٢٥ ، شخصيته ٨٨٥ ، كفته في الاحتفال بطلية قازين ٩١٢ ، ومزامم درية شفيق ٩٢٩ ، الالتحاق بكلياته ٩٣٧ ، تنصيب المرأة المسلمة فيه ٩٣٧ ندوة لطلاب فيه ٩٣٨ ، قائمة للمحاضرات ٩٣٨ ، إنشاء رواق فيه لفرق السودان ٩٣٩ ، سنته الدراسية ٩٤٠ ، ميزانيته ٩٤٩ ، الأزهر في ميدان جديد ١٠٧٣ أسباب الثورة (قبل ص ٢٥٧) استخدام قوة المسلمين ٩٤١ ، الاستدراك للتضييق على الجامع الصغير للانصارى (مخطوط) ٣٦٦ ، الاستغراق (المخطوط مستواه) ٢٥٤ ، الاستعمار الاجتماعي ٢٥٥ ، الفرنسي بالمغرب ٢٥٦ ، الاسراء والمراج ٦٥٦ ، اسرائيل : بقاؤها ١٢٦ ، واتفاقية الجلاء ١٢٦ أسرار الشريعة في أحكام اختلاف المطالع ٢٣٢ ، في تقدير الانصبة ٦٨٠ ، ١٠٢٢ ، إسقاط الأحكام الشرعية بالتعايل ٢٧٣ ، الاسلام والشيوعية (كتاب) ٥٥ ، الاسلام وصنائه ، بالصحة والطب (كتاب) ٤٠٩ ، أسنى الرسائل ستطلق ٨٣١
- أسماء العلماء على بعض شوارع شبرا ١٠٥٠ أسوان والحزان (شعر) ٨٢١ الأشعري ومراحل تطوره الفكري ٢٩ إشكالات في ترجمة القرآن ٢٨١ الإصلاح العمراني بمصر ٦١ إعادة كتابة التاريخ الاسلامي ٧١٢ إقامات أسبوع البر ١٨٩ الاعتداء على العرب في أوطانهم ١١٦٢ . إعداد الأم الصالحة ٩٣٩ إعداد شباب الأزهر لقيادة المجتمع وتوجيهه ٧٢١ الاعلام الشرقية في المائة الرابعة عشرة الهجرة ١١٥٤ الافرنجي أمس واليوم ٦٤٠ أفغانستان وباكستان ٣٤٨ ، والعرب ٤١٦ أفلام الجرائم والتجور ٥٣٨ إقامة الاسنة : كلمة لسيد الملك بن مروان ٥١ إلى أين : للادة ، الروح ، العلم ، الدين ٦٥٢ ، شاطيء النجاة ١٠٨٧ إلى طلاب الأزهر ٤٥٧ إلى قراء مجلة الأزهر ٧٩٩ أم مدوى ١٤٠ إمامة عمان ٤١٤ إمبراطور ألمانيا يوم زار القدس ٩٧٥ أمة الحرية والفرسية : العرب ١٦٢ أمة وسط ٤٨٢ الأمة البقية وهل آن لها أن تطن رشدها ١٩٤ الامتحان في مادة الدين بالمدارس السورية ١٠٥٠ أمريكي والخلف العربي ١١٦٤ . الاموال الأمريكية لاسرائيل ١٠٥٣ الامومة والبنوة : كلمة لبرنارد شو ١٠٣ الانتاج المصري : تنميته ١٢٧ الانجليز بين مسقط وعمان ٤١٣ ، ١١٦٢ إنشاء جيل جديد ٣٤٥ أنصاف الرجال للرجال ١٤٤ أولادنا ٢٨٣ إيران وتزعيتها الاستعمارية للبحرين ٤٨٠ اليمان ٦٥١

التربية الرياضية ٣٨٨
 التربية في القرآن [كتاب] ٢٢٧
 ترجمة القرآن بأذاعة طهران ٧١٧
 تزكية سليية لشبهور ١٠٦
 تشجيع الأخلاق والسلوك ٧٠٦
 تشخيص الانبياء في المسرح والسينما ٦٩٠
 تشيد مبان للتعليم ٧١٢
 التطير والحديث عنه في القرآن ٥٠٥
 التعاون الاسلامي : إمكانيات هائلة له ٦٢
 تمدد الزوجات في الاسلام ٧٩٣
 التعرف بالاسلام بالغات الأجنبية ١٤١
 تطبيقات : إلى الطرايش البقطة ٤٠٣ ، المذراء
 الفاتنة ٦٠٠ ، للمسرح الاسلامي ٧٠١ ،
 المرأة في تفسير القرآن ٧٠٢ ، الاباجيون
 من كتاب اليوم ٧٠٤ ، عنوان عريض ٧٠٥
 مع الثورة في مصانع القنينة ٩٢٥ ، الأزهر
 ومزام درية شفيق ٩٩٩ ، رسالة الأزهر
 ١٠٣٨ ، مع الثورة في الصحراء الناضرة
 ١٠٤١ ، برامة الأزهر ومعدته الى السلطن
 ١١٤٨ ، من أمثلة الخير ١١٥١ .
 التعليم الازامي في مصر ٥٢٩
 التعليم المختلط : مساوئه ٤١٠
 تفسير جزء مبارك (كتاب) ٣٤١
 تفسير الطبرى ٩٣٢ ، ١١٥٣
 التفسير الواضح ١١٨٦ ، ٩٣٥
 التفكير الفلسفي في الاسلام (كتاب) ١٠٤٦
 تقدير أنصبة الزكاة وسائر الصفقات الشرعية
 ١٠٢٢ ، ٦٨٠
 تقوم جلسة القاهرة (كتاب) ١٠٤٨
 طيفون الحجاز - مصر - سوريا ١١٦٤
 تمويل للشروط الانتاجية ١٠٥٣
 توجيه الشباب ١٠٧
 توزيع مياه النيل ١١٦٠
 التوسع الزراعي في المملكة السعودية ١١٦٣
 توفيق ماهر : نحو قومية عربية ٧٢٤ ، ديسع
 الانسانية ٣٢٦

(ب)

البارودي الشاعر البطل ٤٧١
 باريس - تل أيب ٢٥٥
 باكستان وأفغانستان ٣٤٨
 البترول العربي ٧١٦
 البترول في سيناء ٦٠٧
 البترول للمصرى ٧١٦
 بحث في مشكلة التبول (كتاب) ٦٠٤
 برامة الأزهر ومعدته الى السلطن ١١٤٨
 بطل البرية كلها (شعر) ٩١٧
 بغداد النيل على اللطم ٣٥١
 بني إسرائيل في غزة ٨٣٠
 بلوغ الدعوة المحمدية ٩٥٨
 بناء كيانتا النفس ٢
 البنك العربي للانشاء والتعمير ٥٤٤
 البهاية (تاريخها وحقيقتها) ٦٥٩ ، ٧٧٥
 ثورة طهران عليها ١٠٥٣
 البيان السورى للمصرى ٧٢٨
 بين الاستاذ الاكبر والسيد محمد حبيب الله ١١٣٧
 بين العيام والاحرام ٨
 بين العلم والثقافة ٥٤٥

(ت)

تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ٢٥٠
 التاريخ الوالى [كتاب] ٣٤٧
 التأمين ١٣٠
 التأمين بين النظام الاسلامي والنظم الاجنبية ٢٧٥
 للتأمين وهل هو حلال في جميع صوره ٢٧٣
 تأويل مشكلات القرآن لابن تينية [كتاب] ١٨٤
 تبرع الملك سعود للاجئين العرب ٣٥١
 التجارب [شعر] ٣٦١
 تحت لواء أحد [كتاب] ٣٤١
 تحذير من كتاب ٢٥٢
 تحريم الخمر لهند ١١٦٤
 تذوق الأدب ٩٦

(ج)

- جامع البيان (تفسير الطبري) ١١٥٣ ، ٩٣٢
جامعة أردنية ٩٤٠
الجامعة العربية ٤٧٧
الجامعيون الجدد ٣٤٥
جديد . . . ولكن ٧٨٧
المرأة في تفسير القرآن ٧٠٢
الجريرة والشباب ٨٢٥
جزء الصالحات ١٣٧ ، ٢٦٦
الجزائر (زلزالها) ١٨٩ ، ثورتها ٣٤٩ ،
٤١٥ ، ١٠٥٢
جغرافية السماء ١١٥٧

الجلاد من مصر في مرحلته الثالثة ١١٥٩
جمال عبد الناصر : اتصالاته في الحج لتكوين
كتلة إسلامية عالمية ٥٩ ، كلمته عن إمكانيات
هائلة لتعاون إسلامي ٦٢ ، كلمته عن بقاء
إسرائيل ١٢٦ ، كلمته عن برنامج النقطة
الرابعة ١٢٧ ، كلمته في تنمية الإنتاج المصري
١٢٧ ، كلمته في احتفال الأزهر بالجلاد (قبل
من ٢٥٧) ، رأيه في ميثاق الجامعة العربية
٤٧٧ ، دعوة الإسلام هي دعوة القوة والسلام
٩٩٢ ، خمسة شروط لسلام العالم ١٠٥١

جمعية دولية لشباب المسلمين ٢٥٥

جهاد الجزائر ١١٦١

الجوار الأعظم ١١

الجيش المصري : زيادته إلى الضعف ٦١ ، أسلحة

له ١٢٥ ، وللصنع الحربي ٥٤٤

الجبل الصالح : تكوينه ١٧٣

(ح)

حجاج مصر ١١٦٢

حديث القرآن عن التطهير ٥٠٥

الحرس الأردني ومصر ١٢٨

حرية الرأي وحدودها في المنطوق من التريسة ١١٤٣

حسن الاستماع ٣٠٨

حسن جاد : عيد الجلاد [قبل من ٢٥٧]

حسن محمد موسى : سكنى السكواكب ٢٤٤

حسين محمد مخلوف : زواج السلم بالسكتانية ٩٤

مشروع خطير يحركه رجال الطوائف ٨٣

حسن جاهد بالقنن ٤٧٩

حق الخطأ أم حق الثأر ١١٢٣

حناش من قضية فلسطين [كتاب] ٧٠٨

حقيقة اخوان الصفا [كتاب] ٣٤٢

حكم ٨٦٨

الحكم الذاتي لتونس ١١٦١

حكم صالح لمجمع صالح على ضفاف النيل ١٠٥٧

حودة غرابية : الأشمري ومرآة تطوره الفكري

٢٩

حياتنا بين الشرق والغرب ٦٢٧

حي بن أخطب في ساحة اللوت ٩٧٥

(خ)

الخطأ الظاهر والخطأ للتواري ٥٧٤

الخطأ في إنشاء إسرائيل بفلسطين ٣٤٨

خطاب تحية ونصيحة أبوية ٣٢٣

خطبة للنبر بقاء ٨٢٧

خطبة نبوية ٢٦٩

خطر الانفجار القذري ١٢٤

خطر التطعيم المختلط ٨٢٧

خيانة الله أو خيانة الصديق ٢٧٠

الخير في الحديث النبوي ١٠٩

خير وسيلة لهدم المعجزة ٣٨٢

(د - ذ)

الداء والطبيب ٧٤٩

دائرة معارف إسلامية ٦٠٥

دائرة معارف — موسوعة — مطبعة

الدارسون الاجتماعيون في الأزهر ١١٥٦

الدخيل وكتب التصدير ٥٣٠ ، ٤٥٥ ، ٧٤٠ ، ٩٦٣

دوايات هندسية عليا ٤١١

درس من تركيا ٥٤٩
دعوة الاسلام هي دعوة القوة والسلام ٩٩٢
الدعوة الى مدم ركن من اركان الاسلام ١١٣١
دفاع العرب عن أنفسهم ١٢٥
دقائق المريية [كتاب] ٥٥
دقائق وحقائق في مقدمة ابن خلدون ٨٢٤
دور اللهو والسينما ٥٧٩
ديوان مجد الاسلام لاحمد محرم ٢٧٧ ، ٤٩٩
ذروة السنام ٢٩٥
ذهب فرعونى ٩٤٥
سبب تأخر المسلمين ٥٣٩
السجل الثقافى ١١٥٥
السد العالي ٧١٥
سمد بن عبادة ٧٤٦
السفور بعد الحجاب (شعر) ١٤٧
سكان الاسكندرية : تعدادهم ٦٣
سكان العالم : ازديادهم ٥٨
سكنى الكواكب ٢٤٤
سكنية بلك الحنون ١١١٥
سلطان سراكش ٣٤٩
سلمان دنيا : قواعد الاديان وقواعد الاخلاق ٣٤
كتب وآراء غربية في للزان ٢١٢ ، ٣٩٣
سن النبول بفرق تحفيظ للقرآن ٣٤٤
السنة ١١ ، ١٢٧ ، ٢٦٦ ، ٣١٢ ، ٤٩١
٦١٩ ، ٧٣١ ، ٨٤١ ، ٩٥٨ ، ١٠٦٨
السواجم [شعر] ٩٧٥
السؤال عن العلم ٤٥٥ [وتكررى من ٩٨٣]
سؤال وأجوبة ٦٦
السودان : مؤسسات إسلامية فيه ٣٤٤
سوريا : دخولها بلا تأشيرة ٦٠٦
سوريا ولبنان : تقدمهما شمي ١٢٨
سوريا ومصر ١٨٨
سياسة العرب الخارجية ١٨٧
سيد الخوزج سمد بن عبادة ٧٤٦
السيد محمد الكشكى : المؤتمر الاسلامى ٣٨٩ ،
من نظريات ثورة ٢٣ يوليو ٥٨٢
السينما : أثرها في توجيه المجتمع ٦٠٩
الشئون الاندونسية [مجلة] ٧١٠
الشجاعة في نظر الاسلام ٥٦٦
شخصية الاومر ٨٨٥
شرح الطحاوية [كتاب] ٤٠٨
شرح للطرزي على مقامات الحريري ١٠٠٦
شعب أرنى من حكومته ٣٥١
شهران لا يتقصان ١٠٦٨

(ر - ز)

رأس الناس في زمانه : طاسر الشمي ٩٠٣
راية الاسلام ٨٤١
ربيع الانسانية ٢٢٦
الرجولية في القرآن ٢٠٧ ، ٣٠٢
رحلة الى السودان (كتاب) ١١٥٥
رد على استفسار ٧٤٤
رسالة الأزهر ٥٢٧
رسالة البشرية ٤٠٦
رسالة الترية ٢٥٣
رسالة للمساجد ٣٧٨
رسالة للعلم ٣٥٤
رقنا بالتياب ١٧٩
الرقابة على الصحف ١١٦٠
وكن الطلبة ١٢١ ، ٤٠٦ ، ٤٦٩
زكى سويلم : رسالة للمساجد ٣٧٨ ، الشجاعة في نظر
الاسلام ٥٦٦
زواج السلم بالكشائية ١٤
الزواجان للهاجران : أبو سلمة وأم سلمة ٢٣
زينة السلم ٢٣٥

(س - ش)

سادات العرب ٧٣٥

(ص - ض)

- صابر على رمضان الجوشقى . يابى القيا
[قصيدة] ٥٢
صاحب التنقيح صدر الشريعة الأصغر ٦٣٧
الصبر ٤٤٦
الصبر [شعر] ٦٥٨
الصحافة : أثرها في توجيه المجتمع ٦٠٩
صحافتنا : كلمة من رجالها لقيده أنور السادات ٤٧٥
الصراع بين اللوالب والعرب [كتاب] ٥٣
صندوق بارود في غزة ١١٥٩
صوموا لرؤيته ٩٩٦
ضراعة الأبرار ٧١
ضنف الواضع الدينى وواجب الوعاء ١٩١
الضمان العربى الجديد ٧٢٨

(ط)

- الطاقة القدرية تغير محرى الحضارة ١٩٢
الطاقة القدرية في مصر ١٩١
طالب الولاية لا يولى ١٩١
طه الزينى : من أدب الاسلام ٥٣٥ ، قصدد
الزواج في الاسلام ٧٩٣ ، معنى الأرض في
تختلف الآيات ٩١٤
طه محمد الساكت : الجوار الأعظم ١١ ، جزاء
الصالحات ١٣٧ ، ٢٦٦ ، قصة أنى طالب
٣٦٢ ، ٤٩١ ، مسامرة نبوية ٦١٩ ،
٧٣١ ، راية الاسلام ٨٤١ ، بلوغ الدعوة
المحمدية ٩٤٨ ، شهران لا ينقصان ١٠٦٨
الطريق إلى فهم الاسلام ٨٣٣
الطلبة والسياسة في سوريا ٥٤٢
طموح الأنبياء إلى البنين ٣٥٨ ، ٤٢١

(ع - غ)

- العالم العربى وأمريكا ٥٤٤
العالم النصوح ٥٥٢

طام جديد : خواطر وأحكام ١٩

طاهر الشمى ٩٠٣

- عبد الحالى إمام موسى : أخلاقنا في الريف ١٠٤
عبد الرحمن تاج (الأستاذ الأكبر شيخ الجامع
الأزهر) كلمته عن الهجرة النبوية ٧٤ ،
التعريف بالاسلام بالقاعات الأجنبية ١٤١ ،
عظمة محمد صلى الله عليه وسلم ٣٠٩ ، خطاب
تحية ونصيحة أبوية ٣٢٢ ، سبب تأخر
المسلمين ٥٣٩ ، تشجيع الأخلاق والسلوك
٧٠٦ ، وجوب التعزى لرؤية هلال رمضان
٩٩٤ ، صوموا لرؤيته ٩٩٦ ، عود إلى
تقرير الرأى في مسألة إنبات الأهلة ٩٩٩ ،
أحكام الصيام في المناطق القطبية وما يقرب
منها ١٠٠٢

عبد الرحمن النافى البطل الشهيد ١٠٠ ، ٢٢٠

عبد الرحمن نجا : نشيد إسلامى ٥٩٩

عبد الطيم الصديق ٤١٢

عبد القادر شيبه الحمد : إشكالات في ترجمة
القرآن ٢٨١

- عبد الله مصطفى الراغى : إسقاط الأحكام الشرعية
بالتعايل ٣٧٣ ، صاحب التنقيح صدر الشريعة
الأصغر ٦٣٧ ، مقارنة بين العدالة التشريعية
في القوانين الوضعية والرأى في التشريع
الاسلامى ٨٤٦ ، الاجتهاد والتقليد ١١١٠
عبد الاطيف السبكى : بين الصيام والاحرام ٨ ،
ضراعة الأبرار ٧١ ، توجيه الشباب ١٠٧ ،
المذراء القاتنة ١٣٤ ، ١٩٩ ، ٢٦٣ ،
أسباب الثورة (قبل من ٢٥٧) ، طموح
الأنبياء إلى البنين ٣٥٨ ، ٤٢١ ، إلى
الطرايش البيضة ٤٠٣ ، عبدة وذكري
٤٢٩ ، من مناقب المسيح ٤٨٦ ، كلمة
الأزهر في افتتاح معهد بنها ٥١١ ، للشكلمون
في المهد ٥٤٩ ، ٦١٥ ، ٧٨٦ ، تعليقات :
المذراء القاتنة ٦٠٠ ، حياتنا بين الشرق
والغرب ٦٢٧ ، للشرح الاسلامى ٧٠١

هزة النفس ١٦٤٣ ، جديد ولكن ٧٨٧ ،
 وفي البلاغة أيضا ٨٧٢ ، نقد كتاب القصص
 في الاسلام ٩٨٤ ، مشاكلنا العلمية ١٠٧٥
 على مصطفى النوراني : بسى السبى في هجرة
 الرسول ١٥٤
 عماد الدين زكى ٣٨٥ ، ٤٥٣
 عمار بن ياسر ٣٧٠
 عمر بن عبد العزيز بين الجود والاقتصاد ٦٦٩ ،
 ٧٥٥
 العمل الصالح ٤٩٤
 عموم التبعات والواجبات الاجتماعية ٩١٨
 عنوان هريض ٧٠٥
 عنوان النجاة في معرفة من مات بالمدينة من
 الصحابة [كتاب] ١٨٣
 عواقب الانهاك في طلب الدنيا ١٠٢٩
 هود الى تقرير الرأى في مسألة اثبات الامة ٩٩٩
 عبد الجلاء [قبل من ٢٥٧]
 عيسى متون : حرية الرأى وحدودها في اللغزوع به
 من الشريعة ، لمن حق الاجتهاد والفتوى ١١٤٣
 غزوة أحد : آيات من شجاعة الرسول ٤٧ ، الفنون
 والدروس المستفادة منها ٧٥
 غزوة بني قريظة ٩٨١
 غزوة الخندق وسلاح الدعاية ٦٨٥ ، ٨١٧ ،
 ٨٩٥

الغنى والفقر ١٧٨ ، ٩٤٥

(ف)

فائحة السنة السادسة والعشرين للمجلة ١
 فارس غرامطة [مسرحية] ١٦٨ ، ٢٣٩
 الفتاوى ١١٩ ، ٢٤٦ ، ٤٦٦
 فتح الفتوح في الاسلام ٨٥٤
 فتنة جاهلية ٣٤٧
 فرنسا في الوطن العربي ٤١٤
 فرنسا وثورة الجزائر ١١٥
 فضيلة الاخلاص في العمل ١١١٩

الجرأة في تفسير القرآن ٧٠٢ ، الابحيون
 من كتاب اليوم ٧٠٤ ، عنوان هريض
 ٧٠٥ ، الأزهر وتعليم المرأة ٧٩٦ ، للرأى
 واللباقة ٨٣٧ ، شخصية الأزهر ٨٨٥ ،
 كلمة الأزهر في الترجيب بطلبة فائزين
 ٩١٤ ، مع الثورة في مصانع الدخيرة ٩٢٥ ،
 الأزهر ومزاعم درية شقيق ٩٢٩ ، الوجوه
 البيض في اليوم الآخر ٩٥٤ ، رسالة الأزهر
 ١٠٣٨ ، مع الثورة في الصحراء الناشئة
 ١٠٤١ ، أباطيل العمل وكوذا ب الامل ١٠٦٤
 براءة الأزهر ومعدرة إلى السالمين ١١٤٨
 من أمثلة الخير ١١٥١
 عبد المطلب صلاح : ذروة السنام ٧٩٥ ، كعب
 ابن زهير ٤٦١
 عبرة وذكرى ٤٢٩
 المندراء القاتلة مريم ابنة عمران ١٣٤ ، ١٩٩ ،
 ٢٦٣ ، ٦٠٠
 العرب أول من علم العالم كيف تتفق حرية الفكر
 مع استقامة الدين ١٠٨٧
 العربية في مدارس السودان ١١٥٧
 العراق يحائف تركيا ٧١٤
 هريف أهل اللصة : أبو هورية ٤٠ ، ١٤٨
 عز الدين اسماعيل : تدوق الادب ٩٦ ، نظام
 التوازن ٣٣٠

هزة النفس ٦٤٣

المشراء (شعر) ٥٦٩

عضوية الجامعة العربية ٤٧٨

عظمة محمد صلى الله عليه وسلم ٣٠٩

عقبة بن نافع البطل الشهيد ٨٧٧

على رسلكم يا قوم ١٠٨٢

علاج السقية ٢٨٩

عداء الهند في معهد الاسكندرية ٢٥٤

علم الحديث ومصطلحه ٩٤٠

على المارى : للؤمنون حقا كما وصفهم القرآن ١٦٣

أولادنا ٢٨٣ ، هنده هي الحياة ٤٣٩ ،

- فلسطين في مؤتمر التعليم الاثامي ٦٠٥ ، لطفة
طار في جبين الانسانية ٦٠٦ ، القمص
وأصحاب البيت ٩٤٣
فولتير وموقف الاسلام من للرأ ٦٣١
في أوروبا الاسلامية ١٠٨١
في الحروب الصليبية : عماد الدين زنكي ٤٣٧٥
٤٥٣
في الحضارة العربية ١٨
في ميدان النقد ١٠٩٦
(ق)
فانون نحن في حاجة إلى مثله ٩٤٠
قبة الصخرة : إصلاحها ٤٧٩
قتيبة بن مسلم ٦٤٦ ، ٥٦١
القرآن المجيد (كتاب) ٦٤٠
القصص في الاسلام (كتاب) ٢٥١ ، تقديمه
قراو بإحالة الشيخ عبد الحميد بخيت إلى مجلس التأديب
١١٣٤
القصص في الاسلام (كتاب) ٢٥١ ، تقديمه
٩٨٤ ، الدفاع عنه ١٠٩٦
قصة أبي طالب ٤٩١ ، ٣٦٢
قضية شمال القوقاز والمؤتمر الاسلامي ١٠٣٣
قطر : تبرع حاكمها لطيلة الأزهر ١٨٩
الغلة والكثرة في القرآن ٤٣٣
الغبار : تحريمه في مصر ٦٠٧
قمع الشهوة ٣٩٧
قنا : السبول التي اجتاحتها ٥٤٣
قناة السويس ٤٧٩
قواعد الاديان وقواعد الاخلاق ٣٤
قيادة الشرق : كلمة لنانليون ٦٨٩
قيمة الوقت ٣٢٥

(ك)

- الكتاب ٩٨٠
كتب السنة النبوية ومصنفاتها ودرجاتها في الصحة
٧٦٩

- كتب وأفكار غربية في الليزان ٢١٢ ، ٣٩٣
كتبنا بالذات الاوربية ١٠٥٠
كتبة إسلامية طالية ٥٩
الكسب الحلال ٣٦ ، ٩٤٥
الكشف الطبي بالرادار ١٩٢
كعب بن زهير ٤٦١
كلمات لاناتول فرانس ٣٨١
كلمة الأزهر في الترحيب بطلبة قازين ٩١٢
كلنا سواء ٩٩٠
كلنا مكفوفون ٩٧٦
كلية إسلامية بجامعة دمشق ١٢٤
كلية إسلامية بالملايو ٩٣٩
كنوز النقب وموقفه ٦٥٠
كيف طبق محمد صلى الله عليه وسلم مبدأ الوقاية
الحرية بعد غزوة أحد ٢٨٦
كيف حالج الاسلام الجرعة ٥٧٥

(ل)

- لباب البحث في شرح كتاب البعث لسجستاني ٩٣٤
لحن للقراء بالاذاعة وأسبابه وحكمه ٨٠٢
القصص وأصحاب البيت ٩٤٣
لطفة طار في جبين الانسانية ٦٠٦
لغويات ١١٤ ، ١١٥ ، ٣١٨ ، ٤٢٤ ، ٥٩١ ،
١١٠٥ ، ١٠٩٠ ، ٨٩٩ ، ٧٦٠
لماذا أسلم عهد الله براون ٣٢٢
لماذا لم تترجم القرآن ٢٥٩
لو تجددت حرب فلسطين ١١٥٩
لوعة ٨٩
ليلة القدر ٩٢٣

(م)

- ما بين الصفا والمروة ١١٦٤
ما رواه البخاري ومسلم ٧٨٦
للحال في نظام الاسلام ٩٤٥
مبادئ الاسلام (كتاب لعمودوي) ١٨٦
مبدأ عسكري قرره قائد الاسلام لنانليون ٣٨٢

مقي ٩ (شعر) ٥٨٥
 للتكلمون في للهد ٥٤٩ ، ٦١٥ ، ٧٢٦
 الثالثة الواقية في الذكرة الدينية ١١٠ ، ٢٠٢
 مجمع إسلامي ٨٢١
 بموعة تفسير ابن تيمية (كتاب) ٨٢٢
 محب الدين الخطيب : فائحة المجلد السادس والعشرين
 مجلة ١ ، بناء كياننا النفس بعد الاتفاقية
 الجديدة ٢ ، آخر مراحل الاثمري ٣١ ،
 سؤال وأجوبة ٦٦ ، التأمين ١٣٠ ، الأمة
 اليتيمة وهل أن لها أن تظن رشدما ١٩٤ ،
 مولد رسالة ٢٥٧ ، لماذا لم ترجم القرآن
 ٢٥٩ ، التأمين بين النظام الاسلامي والنظم
 الأجنبية ٢٧٥ ، رسالة للمعلم ٣٥٤ ، مرحلة
 الانتقال ٤١٨ ، أمة وسط ٤٨٢ ، بين العلم
 والثقافة ٥٥٥ ، أثر الصحافة والسينما في توجيه
 المجتمع ٦٠٩ ، البهاثية ٦٥٩ ، ٧٧٥ ،
 إعداد شباب الأزهر لقيادة المجتمع ٧٢١ ،
 الطريق إلى فهم الاسلام ٨٣٣ ، يوم الفرقان
 ٨٨٢ ، المال في نظام الاسلام ٩٤٥ ، حكم
 صالح للمجتمع صالح على ضفاف النيل ١٠٥٧ ،
 الدعوة إلى مدم وكن من أركان الاسلام ١١٣١
 باب التعريف بالكتب ، باب الآداب والعلوم ،
 باب العالم الاسلامي ، ترتيب فهرس هذا العام
 محمد أبو الملا البنا : اختلاف المطالع ٢٣٢ ، تقدير
 أنصبة الزكاة ٦٨٠ ، ١٠٢٢
 محمد أبو المسكارم : إلى أين ٦٥٢ ، ١٠٨٧
 محمد جمال الدين محفوظ : غزوة أحد ٤٧ ، ١٧٥ ،
 كيف طبق محمد صلى الله عليه وسلم مبدأ الوقاية
 بعد غزوة أحد ٢٨٦ ، خير وسيلة للدفاع
 الهجوم ٣٨٢ ، إجلال يهود بني النضير (تطبيق
 مبدأ الوقاية الحربية) ٥٩٥ ، غزوة الخندق
 وسلاح الدفاع ٦٨٥ ، ٨٩٥ ، الخندق
 مفاجأة كبرى لقريش والأحزاب ٨١٧ ،
 غزوة بني قريظة ٩٨١
 محمد حافظ : كيف طالج الاسلام الجريمة ٥٧٥

محمد رجب البيومي : عبد الرحمن النافق ٢٢٠ ، ٤١٠٠
 عماد الدين زنتكي ٣٨٥ ، ٤٥٣ ، قتيبة
 ابن مسلم ٥٦١ ، ٦٤٦ ، حقية بن نافع
 ٨٧٧ ، ابراهيم بن آدم ٩٧١ ، حول
 سكتة بنت الحنف ١١١٥
 محمد سعاد جلال : حق الخطأ أم حق الثأر ١١٠٣
 محمد صابر مرسى عاشور : رفقا بالشباب ١٧٩ ،
 الاختلاط في التعليم ٩٢١
 محمد صبري هابدين : كعب السنة ومصنفاتها ودرجاتها
 في الصفحة ٧٦٩
 محمد عبد للتواب : الكسب الحلال ٣٦
 محمد عبد للنم محمد زهران : لفة القدر ٩٢٣
 محمد علي النجار : لنويات ١١٤ ، ٢١٥ ، ٣١٨ ،
 ٤٢٤ ، ٥٩١ ، ٦٠٤ ، ٧٦٩ ، ٨٩٩ ، ١٠١٠ ، ١١٠٥
 محمد فتحي محمد عثمان : الثالثة الواقية في الفكرة
 الدينية ١١٠ ، ٢٠٢
 محمد كامل النقي : الأزهر والمصافة ٤٣ ، ١٥٢ ،
 ٢٩٨ ، ٨٠٩
 محمد المجذوب : فارس غرناطة (مسرحية)
 ١٦٨ ، ٢٣٩
 محمد محمد أبو شبة : أبو سلمة وأم سلمة ٢٣ ،
 ١٥٨ ، موهبة النبي صلى الله عليه وسلم السياسية
 ٣١٤ ، إلى طلاب الأزهر الشريف ٤٥٧ ،
 الدخيل وكتب التفسير ٥٣٠ ، ٥٥٧ ،
 ٧٤٠ ، ٩٦٣ ، رد على استفسار ٧٤٤ ،
 فتح الفتوح في الاسلام ٨٥٤ ، على وسلمك
 يقوم ١٠٨٢
 محمد محمد جابر : منع القراءة بجمع الحروف والوقف
 في المفاصل ٦٤١ ، لحن القراء بالأذاعة
 وأسبابه وحكمه ٨٠٢
 محمد محمد للدني : الاسراء والمراج ٦٥٦
 محمد محي الدين المسيري : نظرية لساواة في الجريمة
 الاسلامية ٢٣٤ ، ٤٤٨ ، ٥٢٢ ، النظم
 التي يقوم عليها المجتمع الاسلامي والاعتداءات
 للامانة بهذه النظم ٨٥٩

- محمد مرسي محمد : العبر ٤٤٦
 محمد المكي بن الحسين : زينة العلم ٢٣٥ ، ٣٩٧ ،
 محمود عبد الوهاب قايد : التريفة في القرآن ٢٢٧ ،
 دور القهر والسبيل ٥٧٩
 محمود فرج المقدة : نصرة الله لأولياته ٥٥٣ ،
 ٦٧٦ ، الآفة العظمى لهذه الأمة ٨٠٥
 محمود التبعات والواجبات الاجتهادية ٩١٨
 هواقب الانهك في طلب الدنيا ١٠٢٩ ، فضيلة
 الاخلاص في العمل ١١١٩
 محمود محمد بكر هلال : كلنا سواء ٩٩٠
 محمود النواوي : هريف أهل الصفة [أبو هريرة]
 ١٤٤٤ هـ ، عمار بن ياسر ٣٧٠ ، سيد
 الخوارج سمع بن عبادة ٧٤٦ ، حامر الشعبي
 ٩٠٣ ، سمع بن أبي وقاص البطل الفاتح ١٠١٥
 محنة الادباء بعد محنة الادب ٤٩٥
 مختصر منهاج السنة لابن تيمية ١٠٤٥
 مدارس تحفيظ القرآن ١٠٤٩ ، ٣٤٤
 مدارس لابناء العرب في الدول الاجنبية ٦٠٥
 مدرس شيعي في مصر ٥٤٠
 مديرية الشباب ١٨٨
 مدينة الأزهر لطلبة البحوث ٤٧٦
 المراء والمباهمة ٨٣٧
 المراسم : إلناؤها في مصر ١٧٨
 مرافق النظافة في الحج ١١٦٣
 مراقبة الزوجات ١٠٥٥
 للمرأة والاسلام (كتاب) ٩٣٦
 مرحلة الانتقال ٤١٨
 مرحلة التأهيل لمجاهد الاذهرية ٧١١
 سريم ابنة عمران : المدرء الفاتنة ١٣٤ ، ١٩٩
 ٢٦٣
 المساعد (شرح التمهيد) لابن حنبل ٧٣٦
 مساعدات التنمية من أمريكا لمصر ٣٥٠
 مسامرة نبوية ٦١٩
 مستثنى إسلامي في بورما ٩٣٩
 مسجد الرفاعي ٧١٦
 للشرح الاسلامي ٧٠١
 المسلمون في كفاحهم (شعر) ٨٨٤
 المسلمون في مهندستان ٢٥٦
 المسند للامام أحمد (كتاب) ٧٠٧
 مشا كلنا العلية ١٠٧٥
 مشروع خطير يحركه رجال الطوائف ٨٣
 مشروع السنوات الخمس بمصر ٦١
 مشكلة إجرام الاحداث ٢٩٠
 مشكلة أوقات الفراغ ٩٦٦
 مشكلة للتعدد والاضاع الاجتهادية ٥٧٠
 مشكلة الدائرة والانتجعات الاجتهادية في العلم
 ٧٥٠
 مشكلة فلفظهن تحمل بالسلاح ٤٧٨
 مصطفى الحفناوى حياتنا بين الشرق والغرب ٦٢٨
 مصطفى زيد : المصاحبة في التفسير الاسلامي ٦٠٣
 ١١٠١
 المصلحة في التفسير الاسلامي ونجم الدين الطولي
 (كتاب) ٦٠٣ ، ٨٤٩ ، ١١٠١
 مظهر الهدى في الافلام المصرية ٤٤٢ ، ٥١٧
 مع اللثوة في مصانع القنخيرة ٩٢٥
 مع علماء الغرب ٢١٢ ، ٣٩٣
 مع المؤمن الاسلامي ١٩٤
 معركة البلاط ١٠٠ ، ٢٢٠
 معلقة == موسوعة == دائرة معارف ١١٥٧
 معلقة زراعية ١١٥٨
 معنى الارض في مختلف الآيات ٩١٤
 معهد أزهرى للدراسات الاجتهادية ١٩٠
 معهد بنها : افتتاحه ٥١١ ، ٥١٦
 معهد دمنهور : كلية شيخه يوم بدء العمل الدراسى
 ٥٢٨
 معهد غرة الدين ١٣٤
 معهد للاداب الاسلامية في بكين ١٠٤٩
 معهد للعلوم الادارية ٥٤٢
 مفاتيح التربية والتليم ٥٤٠

- مفاخر العرب ١٠٧٢
مقارنة بين المدالة التشريعية في القوانين الوضعية
والرأى في التشريع الاسلامى ٨٤٦
للمكتبات المدرسية ١١٥٧
مكتبة دير طور سينا ٧١٣
مكتبة المسجد ١١٥٦
مكتبتان مصريتان في طرابلس وبنغازى ١١٥٦
اللاحة المصرية ٦٠
ملك الأردن في صلاة الجمعة بالأزهر ٧٦٤
الملك سمود الاول (أكبر فاقلة لبيروت) ١٠٥٤
الملك سمود من أحاديثه وخطبه (كتاب) ٣٤١
من أدب الاسلام ٥٣٥
من إلهام ذكرى الملوك (قصيدة) ٣١١
من أمثلة الخير ١١٥١
من الأوقاف للمؤتمر الاسلامى ٣٥٠
من قاربنا (كتاب) ٥٤
من حكم أبي مدين ٨٠٨
من ذكريات رمضان فتح الفتوح في الاسلام ٨٥٤
من ذكريات المهجر ٢٣
من علماء الامس إلى علماء اليوم ١٢١
من له حق الاجتماع ١١٤٥
من له حق الافتاء ١١٤٦
من الملك سمود إلى الشعب السمودى ٣٣٧
من مناقب المسيح ٤٨٦
من نظريات ثورة ٢٣ يولييه ٥٨٢
من نوادر المخطوطات : الاستدراك للنخبة ٤٣٦٦
للساعد شرح التسهيل ٧٣٦ ، شرح للطريزى
على مقامات الحريري ١٠٠٦
منهاجنا : بيتان لشوق ٩٥
منبر المسجد الأقصى رمز الفتوح ٩١٠
للتق من منهاج الاعتدال (كتاب) ١٠٤٥
منجم نحاس في سناء ١١٦١
منصب الافتاء بمصر ٣٥٠
منطقة اسلامية قومية بمصر ٧١٧
- منع القراءة بجميع الحرف والوقف في المحافل ٦٤١
منير أرسلان : قضية شمال القوقاز ١٠٣٣
المهاجرون الاولون ١٤٤
مهلأ أيها الكتاب ١١١٥
للوارث في العربية والقانون (كتاب) ٩٣٦
للمؤتمر الاسلامى ١٩٦ ، ٣٨٩ ، ٩٤٢
مؤتمر باندونغ ١٩٤٢ ، ١٠٥١
مؤتمر التعليم الازامى للدول العربية ٤٧٦
مؤتمر الشباب الاسلامى في كراتشي ١٠٧٤ ، ٥٤٢
٧١٨ ، ٧١٥
المؤتمر الطبى بدمشق ٥٦
للمؤتمر السكشفي العربي بدمشق ١٢٣
للمجلات الكهربائية ذات التردد الصوتى ٦٣
موظفو الحكومة المصرية ١١٦١
مولد رسالة ٢٥٧
المؤافة فلوهم في جنوب السودان ٥٦٥
لأؤمنون حقاً كما وصفهم القرآن ١٦٣
موعبة النبي صلى الله عليه وسلم السياسية ٣١٤
ميثاق الدفاع العربى ٤١٣
ميزان مصر التجارى ٦١
- (ن)
نحو حياة مثلى (كتاب) ٧١٠
نحو الدستور الاسلامى (كتاب للمودودى) ١٨٥
نحو قومية عربية ٢٢٤
نداء الى المسلمين من جامعة كبار العلماء ٤٠١
نذير من الغرب ٦٢٤
نسبات أزهار الاندلس (شعر) ٣٧٢
نسبات الاصيل في المذيع (كتاب) ٧٠٩
نشيد إسلامى ٥٩٩
نصرة الله لاوليائه ٦٧٦ ، ٥٥٣
النصرة في القرآن ٥٨٦
نظام التوازن في حياة الأمم ٣٣٠
نظام الحكم في مصر ١١٦٥

(و)

- واحة البريمي ٤١٤ ، ٧١٥
وجوب التحرر لرؤية هلال رمضان ٩٩٤
الوجوه البيضاء في اليوم الآخر ٩٥٤
وزارة التربية والتعليم ١٢٣ ، موظفوها ٥٤٤
الوطن الأكبر (شعر) ٧٦٨
وطأ اجتاعيون ٧١١
وطأ للأقطار الشقيقة في رمضان ٩٤٠
ولي البلاغة أيضا ٨٧٢
وكاه العفة ٧٥٤
ولايات باكستان ٤١٦
ولايات الأمم ٢٨٠

(ي)

- يا بني الدنيا (قصيدة) ٥٢
اليقيم (شعر) ٧٧٤
يدخلون في دين الله ما ليس منه ٨٠١
يهود البلاد العربية وإسرائيل ١٠٥٤
اليهود في العالم ٥٨ ، في اليونسكو ٤١٢
في أريتريا ٤١٦
يوم الفرقان ٨٨٢

نظام للواو في الشريعة (كتاب) ١٠٤٨
نظرات في كتاب المصلحة في التفريع الاسلامي

١١٠١٤٨٤٩

نظرية المساواة في الشريعة الاسلامية ٤٤٨ ، ٣٣٤
٥٢٢

النظم التي يقوم عليها كيان المجتمع الاسلامي
والاعتدالات المسماة بهذه النظم ٨٥٩

نفحات القرآن : ٨ ، ٧١ ، ١٣٤ ، ١٩٩ ،

٢٦٣ ، ٣٥٨ ، ٤٣١ ، ٤٨٦ ، ٥٤٩ ،

٦١٥ ، ٧٢٦ ، ٨٣٧ ، ٩٥٤ ، ١٠٦٤ ،

النفس الرقيقة : كلمة لمعاوية ١١٨

اللقب : كنوزه وموقفه ٦٥٠

اللقطة الرابعة : برناجها ١٢٧

قول ولا نعمل ٦٠٦

نهضة مصر الصناعية ٦١

(هـ)

- هذه هي الحياة ٤٣٩
الهجرة النبوية الشريفة ٧٤ ، بعض العبر فيها ١٥٤
هل هم يهود ٤٧٦
الهمجية الفرنسية ٧١٢
هي النفس : آيات الربيع بن ضيف ٣٩



مَجَلَّةُ الْأَزْهَرِ

تصدر عن مطبعة الأزهر
في غرة كل شهر عربي

تطلب المجلة في الخارج

من

شركة فرج الله الصحافة والتوزيع

شارع إبراهيم باشا بالقاهرة

مطبعة الأزهر

العدد ٥٠٠ ملبا